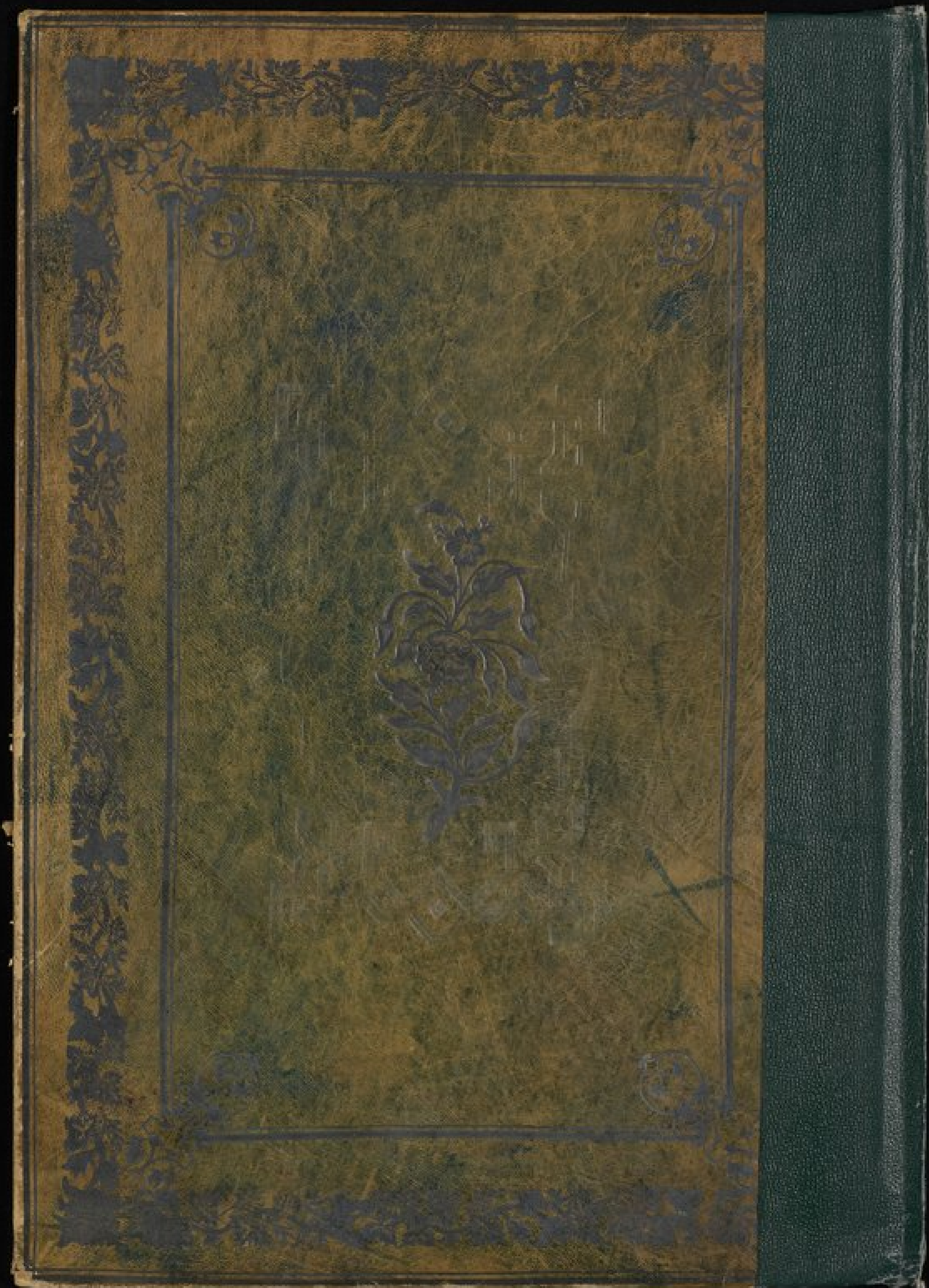


﴿ هذا فهرس الجزء الثانى من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى ﴾

﴿ هذا فهرس الجزء الثاني من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ﴾

﴿ هذا فهرس الجزء الثاني من حاشية شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ﴾

(تم فهرس الجزء الثاني)



معارف عموميه نظارت جليله سنك ١٠٧ نومرولى وقى ٢٣ ذى القعده سنه
١٣١٥ وقى ٢ نيسان سنه ١٣١٤ تاريخلى رخصتنامه سنى حائزدر

هذا الجزء الثانى من حاشية شيخ
زاده على تفسير القاضى البيضاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة يونس عليه الصلاة والسلام﴾

مكية الا قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين فانها مدنية نزلت فى اليهود بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (الر فخمها) اى قرأ بفتح الرآء على التفخيم ابن كثير وقالون وحفص وقرأ بكسر الرآء على الامالة ابو عمرو وحمزة والكسائى وابن عامر وابو بكر وقرأ ورش بين الفتح والكسر واختلف القرآء فى الحروف المقطعة التى فى اوآئل السور اذا كان آخرها الفا مقصورة وهى را وطا وها ويا وحا هل تقرأ بالامالة او بالتفخيم فامال «را» من جميع سورها امالة محضة الكوفيون الا حفصا وابو عمرو وابن عامر وامال الاخوان وابو بكر «طا» من جميع سورها نحو طس وطسم وطه وامال ابو بكر وحمزة والكسائى «يا» من يس وكهيعص ووافقهم ابن عامر فى امالة كهيعص دون يس وامال حمزة والكسائى وابو عمرو وورش وابو بكر «ها» من طه وكذلك امالها من كهيعص ابو عمرو والكسائى وابو بكر وابن ذكوان وامال ابو عمرو وورش وحمزة والكسائى وابو بكر وابن ذكوان «حا» من جميع ال حم (٧) السبع الا ان ابا عمرو وورشا يميلان بين بين والباقين يميلون امالة محضة وقرأ ابن كثير وقالون وحفص وهشام حم بفتح الحاء فى جميع سورها وكلها الفات صحيحة على ان الاصل فى هذه الكلمات ترك الامالة لان الفاتها ليست منقلبة عن الياء ومن امالها فقد قصد بامالتها على انها اسماء لا حروف لانها اسماء الحروف المخصوصة وليست بحروف وقدمر ان فى فواتح السور وجهين احدهما من جنس كلامهم او من جهة ورودها على لسان النبى صلى الله عليه وسلم ﴿قوله لاشتماله على الحكم﴾ على ان يكون الحكيم بمعنى ذى الحكم وقوله او لانه كلام حكيم على ان يكون وصف الكتاب بالحكيم من قبيل وصف الحكم بصفة من تكلم به على طريق الاسناد المجازى نحو نهاره صائم وليله قائم قال الاعشى

وغريبة تأتى الملوك حكيمة ۞ قد قلتها ليقال من ذا قالها

اى قصيدة غريبة مدحت بها الملوك حكيمة ليتعجب الناس ويقولوا من ذا قالها والبيت يصلح شاهدا لكل واحد من الوجهين فان حكيمة يحتمل ان يكون بمعنى النسبة وان يكون من قبيل الاسناد المجازى ﴿قوله او محكم آياته﴾ على ان يكون الحكيم فعيل بمعنى مفعول ﴿قوله على ان الامر بالعكس﴾ اى على ان تكون النكرة المحضة اسم كان الناقصة والمعرفة خبرها على حد قوله يكون مزاجها عسل وماء ويحتمل ان يكون ارتفاع عجب مبنيا

﴿سورة يونس مكية وهى﴾
﴿مائة وتسع آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم الر) فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجرآء لالف الرآء مجرى المنقلبة عن الياء (تلك آيات الكتاب الحكيم) اشارة الى ماتضمنه السورة او القرآن من الآى والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شئ منها (اكان للناس عجبا) استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه (ان اوحينا) وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجب

(٧) (الحواميم) (المصحح)

والام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزآءهم (الى رجل منهم) من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الايتيم ابى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا فى المال وخفة الحال اعون شئ فى هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام (ان انذر الناس) ان هى المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون فى موقع مفعول اوحينا (وبشر الذين آمنوا) عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ماينبغى ان ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به (ان لهم) بان لهم (قدم صدق عند ربهم) سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية (قال الكافرون ان هذا) يعنون الكتاب وماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام (لسحر مبين) وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ماهذا الا سحر مبين (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض) التى هى اصول الممكنات (فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر) يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهئ بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر فى ادبار الامور لتجئ محمودة العاقبة (مامن شفيع الا من بعد اذنه) تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له (ذلكم الله) اى الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية (ربكم) لاغيره اذ لايشاركه احد فى شئ من ذلك (فاعبدوه) وحدوه بالعبادة (افلا تذكرون) تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لاما تعبدونه

على ان كان تامة وان اوحينا بدل منه بدل اشتمال اى أحدث عجب لان اوحينا احدث وحى والظاهر ان يكون حينئذ متعلقا بعجب على حذف لام العلة اى احدث عجب لان اوحينا او يكون على حذف من اى من ان اوحينا ﴿قوله واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة﴾ اى امرا عجيبا يتعجب منه يعنى ان اللام فى للناس لبيان كما فى هيت لك اى هذا الخطاب لك وليس متعلقا بقوله عجبا على طريق المفعولية كما فى قولك عجبت لسعى زيد فى حاجتى لان معمول المصدر لايتقدم عليه ﴿قوله من افناء رجالهم﴾ اى ممن لايعرف بجاه ومال ورياسة ونحو ذلك مما يعدونه من اسباب العز والجلال وليس المراد انه صلى الله عليه وسلم ليس من مشاهيرهم نسبا لان شرف نسبه عندهم اشهر من الشمس وافناء جمع فنى بوزن فتى او جمع فناء بوزن قباء وهو ناحية من الناس * الجوهرى فناء الدار ماامتد من جوانبها ويقال هو من افناء الناس اذا لم يعلم ممن هو ﴿قوله او المخففة من الثقيلة﴾ فيكون اسمها ضمير الشأن المقدر والاصل انه انذر الناس ولما تقرر فى النحو ان الجملة الطلبية لاتقع خبر ضمير الشأن وجب ان يكون تقدير هذا الاصل ان الشأن قولنا ان انذر الناس على ان يكون القول المقدر مبتدأ وتكون الجملة الطلبية محكية به خبرا عنه ويكون خبر ضمير الشان جملة اسمية ﴿قوله عمم الانذار﴾ حيث جعل متعلقه مطلق الناس لان الانذار يعم الناس اى الكل ليرتدعوا من فعل مالاينبغى من الصغائر والكبائر وترك الاولى بخلاف التبشير فانه لايتعلق بالكفار اذ ليس لهم مايبشرون به ولم يذكر المنذر به للتعميم والتهويل وذكر المبشر به لتقوى رغبة المطيعين فيما يؤديهم اليه وقدم الانذار على التبشير لان التخلية مقدمة على التحلية وازالة مالاينبغى متقدمة فى الرتبة على فعل ماينبغى والمبشر به ماذكره بقوله تعالى ان لهم قدم صدق وحذف الباء من ان وان شائع كثير ﴿قوله سابقة﴾ يحتمل ان يكون مصدرا كالعاقبة والكاذبة ويكون المراد بها تقديم الله تعالى يوم القيامة هذه الامة كما قال صلى الله عليه وسلم * نحن الآخرون السابقون * وقال صلى الله عليه وسلم * الجنة محرمة على الانبياء حتى ادخلها ومحرمة على الامم حتى تدخلها امتى * ويحتمل ان يكون اسم فاعل يعنى السعادة السابقة فى القضاء الاول وهى المنازل الرفيعة الروحانية والجسمانية وماذكره فى بيان وجه اطلاق القدم على السابقة وهو قوله لان السبق بها يؤيد الاحتمال الاول وان كان القدم سببا للوصول الى المنازل السابقة كما انها سبب لنفس السبق ايضا ثم انه تعالى لما اجاب عن تعجب الكفار من الوحى والبعثة بقوله اكان للناس عجبا ان بعث خالق الخلق اليهم رسولا يبشرهم على الاعمال الصالحة بالثواب وينذرهم على الاعمال الفاسدة بالعقاب وكان هذا الجواب موقوفا على ثبوت امرين الاول ان يكون لهذا العالم اله قادر نافذ الحكم والتكليف والثانى ان يتحقق البعث بالحشر والقيامة حتى تحصل الثواب والعقاب اثبت الامر الاول بقوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فانها لكونها امورا ممكنة فى ذواتها وصفاتها محتاجة الى ما يرجح جانب وجودها واختصاصها بقدر معين ووصف معلوم وذلك المرجح يجب ان يكون واجب الوجود لذاته متصفا بجميع نعوت الجلال والجمال متخليا عن صفات العجز والنقصان واثبت الامر الثانى بقوله اليه مرجعكم جميعا * فان قيل قوله تعالى الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام يقتضى ان يكون كونه تعالى خالقا السموات والارض فى ستة ايام امرا معلوما عند العرب وهم لايعلمون ذلك فكيف يحسن هذا التعريف * فالجواب ان ذلك امر معلوم مشهور عند اليهود والنصارى والعرب كانوا يخالطونهم والظاهر انهم سمعوه منهم فلهذا السبب حسن هذا التعريف ﴿قوله فى ستة ايام﴾ اى فى مقدارها لان اليوم عبارة عن زمان مقدر مبتداه طلوع الشمس ومنتهاه غروبها فكيف يكون يوم حين لاشمس ولاسماء ويحتمل ان يكون المراد بالايام الاوقات مطلقا كما فى قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اى وقتئذ واتفق المسلمون على ان فوق السموات جسما عظيما هو العرش المحيط بسائر الاجسام وقد يطلق العرش ويراد به الملك ويقال فلان على عرشه اى ملكه وقد يطلق على البناء كما فى قوله تعالى وكان عرشه على الماء اى بناؤه يدل على انه تعالى بنى السموات والارض على الماء ليعرف العقلاء كمال قدرته ونفاذ مشيئته فان الخلائق يبنون بناءهم فى المواضع الصلبة البعيدة من الماء لئلا ينهدم ومن بنى مثل هذه الاجرام العظام على الماء كان فى نهاية العظمة وكمال القدرة فان كل بناء يسمى عرشا وبانيه يسمى عارشا قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون اى يبنون والمشهور عند جمهور المفسرين ان المراد من العرش المذكور هو الجسم المحيط بالعالم وقالوا قوله تعالى ثم استوى على العرش لايمكن ان يكون معناه انه تعالى خلق العرش بعد خلق السموات والارضين بدليل انه تعالى قال فى آية

(اليه مرجعكم جميعا) بالموت او النشور لاالى غيره فاستعدوا للقائه (وعدالله) مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله (حقا) مصدر آخر مؤكد لغيره وهو مادل عليه وعد الله (انه يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد بدئه واهلاكه (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) اى بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل فى امورهم اوبايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون) فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه

غير النظم للمبالغة فى استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابدآء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بمايليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكأنه دآء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابدآء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لامحالة ويؤيده قرآءة من قرأانه يبدأ بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعدالله او بما نصب حقا (هو الذى جعل الشمس ضياء) اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين فى كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين (والقمر نورا) اى ذا نور او سمى نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل مابالذات ضوء ومابالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة فى ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها (وقدره منازل) الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله (لتعلموا عدد السنين والحساب) وحساب الاوقات من الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم (ماخلق الله ذلك الا بالحق) الاملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة (نفصل الآيات لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء (ان فى اختلاف الليل والنهار وماخلق الله فى السموات والارض) من انواع الكائنات (لآيات) على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته (لقوم يتقون) العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر (ان الذين لايرجون لقاءنا) لايتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة لغفلتهم عنها (واطمأنوا بها) وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذآئذها وزخارفها اوسكنوا فيها سكون من لايزعج عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) (لايرجون) لايتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لاتخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين

اخرى وكان عرشه على الماء يدل على ان وجود العرش سابق على تخليق السموات والارض ولايتوهم ايضا من استوآئه على العرش كونه معتمدا عليه مستقرا فوقه بحيث لولا العرش لسقط ونزل لان ذلك مستحيل فى حقه تعالى لاتفاق المسلمين على انه تعالى هو الممسك للعرش والحافظ وانه لايحتاج الى شئ مماسواه بل المراد من الاستوآء على العرش والله اعلم الاستيلاء عليه ونفاذ التصرف وخص العرش بالاستيلاء عليه لانه اعظم المخلوقات قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق ۞ من غير سيف ودم مهراق ۞

وقوله تعالى يدبر الامر حال من استوى او مستأنف لامحل له وقيل المراد بالعرش البناء وقوله تعالى خلق السموات والارض اشارة الى تخليق ذواتها وقوله ثم استوى على العرش اشارة الى تسطيحها وتشكيلها بالاشكال الموافقة لمصالحها وماخلقت هى لاجلها وغير ذلك من الامور البعيدة المعتبرة فى تعريشها وان قيل المراد بالعرش الملك يكون استوآؤه تعالى على الملك عبارة عن وجود الاحوال المتجددة فى ذوات السموات كدوران الكواكب والافلاك وحصول الفصول الاربعة والاحوال المختلفة بسبب ذواتها ﴿قوله مصدر مؤكد لنفسه﴾ لكونه تأكيدا وتحقيقا لمضمون قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا ولايحتمل تلك الجملة غير كونه وعدا بخلاف قوله جميعا فانه ايضا وان كان تأكيدا لمضمون تلك الجملة الاانها يحتمل غير الحقيقة ﴿قوله ليجزى﴾ متعلق بقوله ثم يعيده وبالقسط متعلق بيجزى ويجوز ان يكون حالا من الفاعل اى ليجزيهم متصفا بالقسط او من المفعول اى ملتبسا بالقسط وهو العدل واليه اشار المصنف بقوله بعدالته او بعدالتهم وعدم ظلمهم انفسهم بارتكاب المعاصى ﴿قوله لكنه غير الاسلوب﴾ حيث لم يورد الجملة الثانية على صورة تعليل الابدآء والاعادة بمجازاة الكفرة بشراب من حميم وعذاب اليم بل ابتدأ بقوله والذين كفروا اخبر عنه بالجملة التى بعده مستأنفة لبيان جزآئهم لكنه خلاف الظاهر ووجه ماذكره من التنبيه انه تعالى ادخل لام التعليل على العقاب والثالث انه لم يعين ثواب المؤمنين وعين عقاب الكافر واشار المصنف الى وجه كل واحد من وجوه التغيير ﴿قوله ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا﴾ عطف على قوله اى لانه ذكر لقرآءة انه يبدأ الخلق بفتح الهمزة ثلاث تأويلات الاوّل ان تكون مبنية على حذف لام الجر والثانى ان يكون فى محل النصب بالفعل الذى نصب وعدالله اى وعدالله وعدا ابدآء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه والثالث ان يكون فى محل الرفع بالفعل الذى نصب حقا اى حق حقا بدأ الخلق ثم اعادته ﴿قوله اى ذات ضياء﴾ قدر المضاف لان الشمس ليست نفس الكيفية التى تسمى ضوأ وكذا القمر ليس نفس النور ويحتمل ان يكون من باب تسمية الذات بالمصدر للمبالغة كما يقال فى الكريم انه كرم وجود كما اشار اليه بقوله اوسمى نورا للمبالغة لكن الظاهر ان يقال اوسمى بدل الواو ضياء مفعول ثان لجعل ان كان من الجعل بمعنى التصيير او حال من الشمس ان كان جعل بمعنى انشأ وخلق ﴿قوله على القلب بتقديم اللام على العين﴾ فوقعت الواو طرفا بعد الف زآئدة فقلبت همزة كما فى سارٍ وكساء ﴿قوله وهو اعم من الضوء﴾ فان النور اسم لاصل الكيفية الظاهرة فى نفسها المظهرة لغيرها والضوء اسم لهذه الكيفية اذا كانت كاملة تامة قوية وقيل الضياء اقوى من النور لان الضوء مابالذات كالكيفية التى على الشمس والنور مابالعرض كالكيفية التى على وجه الارض ومابالذات اقوى ﴿قوله اى قدر مسير كل واحد منهما منازل﴾ فعلى هذا منازل منصوب على انه ظرف مكان وعلى الثانى يكون ذا منازل مفعولا ثانيا على تضمين قدره معنى صيره ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولرجوع ضمير قدره الى القمر خاصة فان بالقمر يعرف انقضاء الشهور والسنين لابالشمس وانما يعرف بالشمس اوقات الصلاة والفصول الاربعة التى ينتظم بها مصالح هذا العالم ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهذه المنازل مقسومة على البروج الاثنى عشر ولكل برج منزلتان وثلث فينزل القمر كل ليلة منزلة منها ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وليلة واحدة ان كان الشهر تسعة وعشرين وقرأ ابن كثير والبصريان وهما ابو عمرو ويعقوب يفصل بياء الغيبة جريا على اسم الله تعالى فى قوله ماخلق الله ذلك المذكور والباقون بنون العظمة التفاتا من الغيبة الى التكلم للتعظيم ومعنى التفصيل ذكر هذه الدلائل اى الدلائل الباهرة واحدة عقيب اخرى مع الشروح والبيان ثم انه تعالى لما اقام الدلائل الدالة على صحة القول بثبوت الاله الحكيم الرحيم وعلى صحة القول بالحشر والمعاد بعده شرع فى شرح احوال من يكفر به فقال ان الذين لايرجون لقاءنا الآية ثم شرح احوال من يؤمن فقال ان الذين آمنوا الآية ﴿قوله واما لتغاير الفريقين﴾ اى لايكون من باب عطف الصفات بل يكون الموصول الثانى معطوفا على اسم ان اى ان الذين

لا يرجون وان الذين واولئك مبتدأ ومأواهم مبتدأ ثان وجهنم خبر الثانى والثانى وخبره خبر اولئك واولئك وخبره خبر الذين ﴿ قوله ومفهوم الترتيب ﴾ اى ترتيب الحكم على الموصول الذى صلته مجموع الايمان والعمل الصالح يفهم سببية المجموع ﴿ قوله او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير ﴾ وهو يهديهم بسبب اعمالهم لما يريدونه فى الجنة من المآكل والمشارب وغيرهما فان جريان الانهار من تحت سررهم المرفوعة الموضوعة فى البساتين والرياض لايقارن هدايتهم لما يريدونه فى الجنة ﴿ قوله اى دعاؤهم ﴾ يعنى ان الدعوى بمعنى الدعاء ويدل عليه اللهم فانه نداء فى معنى يا الله دعا يدعو دعاء ودعوى كما يقال شكا يشكو شكاية وشكوى وسبحانك هو المنادى له وهو مصدر بمعنى التسبيح معمول لفعل لايجوز اظهاره واشار اليه المصنف بقوله اللهم انا نسبحك تسبيحا فلما حذف الفعل اضيف المصدر الى مفعوله لما وصف الله تعالى المؤمنين بالايمان والاعمال الصالحة ذكر بعد ذلك درجاتهم وكراماتهم ومراتب سعاداتهم وهى اربع مراتب المرتبة الاولى قوله تعالى يهديهم ربهم بايمانهم الآية اى يهديهم بسبب اعمالهم الى سلوك مايؤديهم الجنة او لعلم مالم يعلموه من الحقائق او لما لايرونه فى الجنة والمرتبة الثانية مااشار اليه بقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم والمراد ان اهل الجنة يشتغلون بتقديس الله تعالى وتمجيده والثناء عليه لامن حيث انهم يلهمون اياه فينطقون به تلذذا وابتهاجا وسرورا به بناء على ان كمال حالهم لايحصل الامنه فان سعادة السعداء ونهاية درجات الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء استسعادهم بمراتب معارف الجلال والارتقاء فيها ابدا ولاسيما انه تعالى لما وعد المتقين بالثواب العظيم كما ذكر فى اول السورة فى قوله تعالى ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط فاذا دخل اهل الجنة ووجدوا ماوعدلهم من تلك النعم العظيمة وشاهدوا كونه تعالى صادقا فيما وعده بسبب اعمالهم فعند ذلك قالوا سبحانك اللهم اى نسبحك عن الخلف فى الوعد والكذب فى القول والمرتبة الثالثة منها قوله تعالى وتحيتهم فيها سلام وهو من اضافة المصدر الى الفاعل ان كان المعنى وتحية بعضهم لبعض ومن اضافته الى المفعول ان كان المعنى وتحية الملائكة اياهم كما قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم او تحية الله تعالى اياهم كما قال سلام قولا من رب رحيم والمرتبة الرابعة وآخر دعواهم ان يقولوا الحمد لله رب العالمين قوله آخر دعواهم مبتدأ وان هى المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المحذوف والجملة بعدها فى محل الرفع على انها خبرها وان مع اسمها وخبرها فى محل الرفع خبر المبتدأ الاول وقرئ ان الحمد لله بتشديد ان ونصب الحمد وهو يؤيد انها مخففة من الثقيلة فى قرآءة العامة ومعنى الآية ان اهل الجنة يفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختتمونه بالتحميد ﴿ قوله واثنوا عليه بصفات الاكرام ﴾ وهى الصفات الاضافية واعلم ان معرفة ذات الله تعالى والاطلاع على كنه حقيقته ممالاسبيل للخلق اليه بل الغاية القصوى معرفة صفاته السلبية او صفاته الاضافية فهى المسماة بصفات الاكرام فلذلك كان كمال الذكر العالى مقصورا عليه كما قال تعالى تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام ولما كان غاية سعادة السعداء معرفته تعالى بصفات الجلال والاكرام ذكر الله تعالى كون اهل الجنة مواظبين على هذا الذكر المقدس الذى كانت الملائكة المقربون مشتغلين به قبل ان يخلق آدم عليه وعليهم الصلاة والسلام الا ترى انهم قالوا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فلذلك الهم السعداء من اولاد آدم عليه الصلاة والسلام حتى اتوا بهذا التسبيح فى اول صلاتهم بان قالوا عند تكبير الافتتاح سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولااله غيرك واتوا بهذا الذكر بعينه بعد انقراض العالم فى دار الكرامة ﴿ قوله وضع موضع تعجيله لهم بالخير ﴾ يعنى ان المشبه بتعجيل الله تعالى لهم الشر هو تعجيله لهم الخير فعدل عنه الى ماعليه النظم وقد تقرر فى علم البلاغة ان كل مقام استحق ايراد لفظ لو عدل عنه الى لفظ آخر فلابد ان يكون العدول لفائدة فلذلك ذكر المصنف العدول فائدتين الاولى الاشعار بسرعة اجابته تعالى لهم بحيث يعجل لهم الخير كما استعجلوه حتى صار استعجالهم الخير عين تعجيل الله لهم الخير ذلك فلذلك عبر عنه باستعجالهم بالخير والفائدة الثانية الاشعار بان المراد من الشر المعتبر فى جانب المشبه هو الشر الذى استعجلوه فان اهل مكة كانوا يستعجلون الشر كما يستعجلون الخير حيث يقولون اللهم ان كان محمد صلى الله عليه وسلم حقا صادقا فيما ادعاه من النبوة فامطر علينا حجارة فكان اصل الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله الخير حيث استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ماحذف لدلالة الباقى عليه بمعونة المقام قال الامام الذى يغلب على ظنى ان ابتداء هذه السورة فيه ذكر شبهات المنكرين للنبوة مع الجواب عنها الشبهة الاولى ان القوم تعجبوا من تخصيص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم

والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحياة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل فى الآجل والاعداد له (اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم او لما يريدونه فى الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له (تجرى من تحتهم الانهار) استئناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله (فى جنات النعيم) خبر او حال آخر منه او من الانهار او متعلق بتجرى او بيهدى (دعواهم فيها) اى دعاؤهم (سبحانك اللهم) اللهم انا نسبحك تسبيحا (وتحيتهم) ما يحيى به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم (فيها سلام وآخر دعواهم) وآخر دعائهم (ان الحمد لله رب العالمين) اى ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هى المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد (ولو يعجل الله للناس الشر) ولو يسرعه اليهم (استعجالهم بالخير) وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ماحذف لدلالة الباقى عليه (لقضى اليهم اجلهم) لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى

وقرئ لقضينا (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون) عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا (واذا مس الانسان الضر دعانا) لازالته مخلصا فيه (لجنبه) ملقيا لجنبه اي مضطجعا (او قاعدا او قائما) وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار (فلما كشفنا عنه ضره مر) مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه (كان لم يدعنا) كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال «ونحر مشرق اللون «كان ثدياه حقان» (الى ضر مسه) الى كشف ضر (كذلك) مثل ذلك التزين (زين للمسرفين ما كانوا يعملون) من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم) يا اهل مكة (لما ظلموا) حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا (وما كانوا ليؤمنوا) وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفي (كذلك) مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم الرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم (نجزي القوم المجرمين) نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه (ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم) استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر (لننظر كيف تعملون) اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله

بالنبوة فازال الله تعالى ذلك التعجب بقوله اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم يقيم على عبادي دلائل وحدانيتي وتفردي بالالوهية والربوبية واني ساعيدهم بعد الاماتة لاجازيهم على اعمالهم واين المحسن والمسيء منهم ثم ذكر دلائل التوحيد ودلائل صحة المعاد والشبهة الثانية للمنكرين انهم كانوا يقولون اللهم ان كان امر محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير الآية وايضا اخبر الله تعالى في آيات كثيرة ان هؤلاء المشركين متى خوفوا بنزول العذاب في الدنيا استعجلوا ذلك العذاب كقوله تعالى فامطر علينا حجارة من السماء وكما قال تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين وكما قال يستعجل بها الذين لا يؤمنون وغير ذلك ثم انهم لما توعدوا بعذاب الآخرة في هذه الآية وهو قوله اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون لعلهم استعجلوا ذلك العذاب كما قال تعالى في هذه السورة بعد هذه الآية ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴿قوله عطف على فعل محذوف﴾ يعني ان الفاء في قوله فنذر يستدعي معطوفا ولا يجوز ان يكون نذر معطوفا على قوله يعجل الله وقوله لقضي اذ لو كان كذلك لدخل في الامتناع الذي يقتضيه كلمة لو وتركهم في طغيانهم يعمهون لم يمتنع بل واقع فهو معطوف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية فان قوله تعالى ولو يعجل يتضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا يعجل ولا يقضي فنذرهم امهالا لهم اذ لا اصلاح في اماتتهم واهلاكهم اذ ربما آمنوا بعد ذلك او ربما خرج من صلبهم من كان مؤمنا وذلك يقتضي ان لا يعاجلهم الله تعالى بايصال الشر اليهم المستلزم لاماتتهم واهلاكهم بناء على ان تركهم في الدنيا لا يحقق العذاب المتوعد به وسمى العذاب شرا في هذه الآية لانه اذى في حق المعاقب ومكروه عنده كما انه تعالى سماه سيئة في قوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة «قال الامام في وجه الانتظام في قوله تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه بما قبله انه تعالى بين في الآية الاولى انه لو انزل العذاب على العبد في الدنيا لهلك ولقضي عليه فبين في هذه الآية ما يدل على غاية ضعفه ونهاية عجزه ليكون ذلك مؤكدا لما ذكره من انه لو انزل عليه العذاب لمات والوجه الثاني في وجه الانتظام انه تعالى حكى عنهم انهم يستعجلون في نزول العذاب ثم بين في هذه الآية انهم كاذبون في ذلك الطلب والاستعجال لانه لو نزل بالانسان ادنى شيء يكرهه فانه يتضرع الى الله تعالى في ازالته عنه ويدل على انه ليس صادقا في هذا الاستعجال ﴿قوله تعالى لجنبه﴾ في محل نصب على انه حال من فاعل دعانا ولذلك عطف عليه الحال الصريحة ﴿قوله او لاصناف المضار﴾ من الضر ما يغلب الانسان ويجعله صاحب فراش يضطره الى الاضطجاع ومنه ما يكون اخف من ذلك ويجعله بحيث يقدر على القعود ومنه ما يمكن الانسان معه على القيام ﴿قوله كانه لم يدعنا﴾ اي اعتبر ضمير الشان لان حق الحروف المشبهة الدخول على المبتدأ والخبر سواء اهملت او الغيت بالتخفيف فان التخفيف لا يبطل الاعمال وعلى هذا لا حاجة الى ضمير الشان في قوله «كان ثدياه حقان» فالتمثيل به ليس الا لمجرد بطلان العمل بالتخفيف وتقدير الصدر والضمير في ثدياه يرجع الى النحر وحقان تثنية حقة والاصل حقتان فحذفت التاء على خلاف القياس وخفف كان فبطل عمله حيث روى ثدياه بالالف وروي ثدييه بالياء على انها اعملت في الظاهر وهو شاذ وقوله تعالى كان لم يدعنا في محل النصب على انه حال من فاعل مر اي مضى على طريقته مشبها من لم يدع الى كشف ضر «﴿قوله مثل ذلك التزين﴾ اشارة الى ان الكاف من كذلك في محل نصب على المصدر والمراد بالتزين الاعراض عن الابتهال سمى الكافر مسرفا لانه مسرف في امر دينه متجاوز الحد في الغفلة عنه فانه لا شبهة في ان المراد كما يكون مسرفا في الانفاق فكذا يكون مسرفا فيما يتركه من واجب او يقدم عليه من قبيح اذا تجاوز الحد فيه فان من بذل ما انعم الله عليه به من الحواس والعقل والفهم لا لاكتساب السعادة الباقية الابدية في تحصيل لذات الدنيا وطيباتها الخسيسة كان قد انفق اشياء عظيمة كثيرة لاجل ان يفوز باشياء حقيرة خسيسة توجب ان يكون من المسرفين ﴿قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا﴾ الظاهر انه معطوف على ظلموا كانه قيل لما ظلموا واصروا على الكفر حقا بحيث لم يبق فائدة في الامهال اهلكناهم فيكون السبب في اهلاكهم مجموع هذين الامرين فان ظلمهم عبارة عن احداثهم التكذيب وما يتفرع عليه وهذا عبارة عن اصرارهم عليه بحيث لا فائدة في امهالهم ﴿قوله استخلاف من يختبر﴾ اشارة الى جواب ما يقال قوله تعالى لهذه الامة ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون يشعر بانه تعالى ما كان عالما باحوالهم قبل وجودهم وانه يحتاج في العلم بها الى الاختبار والامتحان وهو محال «وتقرير

(الجواب)

الجواب ان المراد منه انه تعالى يقابل ويعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وفي الحديث ان الدنيا خضرة نضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون * وعن قتادة رضي الله عنه صدق الله ربنا ماجعلنا خلفاء الا لينظر الى اعمالنا فأروا الله من اعمالكم خيرا بالليل والنهار فالكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية المرتبة على استعارة تصريحية تبعية اما كونه من قبيل الاستعارة التمثيلية فظاهر لانه تعالى منزه عن حقيقة الاختبار لكونه شبه استخلافهم على الوجه المذكور بمعاملة من يختبر فاخرج على صورة كلام المختبر واما كونها مرتبة على استعارة تصريحية تبعية فلان النظر في اللغة عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي طلبا لرؤيته فلاشك انه مستحيل في حقه تعالى من وجوه فلابد ان يجعل النظر في حقه تعالى مجازا عن العلم المحقق الذي لايتطرق اليه الشك والشبهة بان يشبه هذا العلم بنظر الناظر وادراك عين المرئي على سبيل المعاينة والمشاهدة ويطلق عليه لفظ النظر والرؤية على سبيل الاستعارة التصريحية فلما اشتق منه لفظ لينظر صارت هذه الاستعارة تبعا ﴿ قوله وفائدته ﴾ اي فائدة ايراد كيف اذ الاقبال لينظر عملكم اخيرام شر مع انه اخصر منه الدلالة على ان العبرة في الجزاء جهات الافعال فان كيف للسؤال عن الحال فكانه قال لينظر على اي حال تعملون ثم انه تعالى حكى عن المشركين نوعا ثالثا من كلماتهم التي ذكروها والطعن في نبوته صلى الله عليه وسلم مع اجاب عنه وهو قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات الآية وروي ان خمسة من الكفار كانوا يستهزؤن بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فقتل الله تعالى كل رجل منهم بطريق كما قال انا كفيناك المستهزئين فهذه نزلت في حقهم وقوله تعالى لايرجون لقاءنا عبارة عن كونهم مكذبين للحشر والنشر ومنكرين للبعث والقيامة ﴿ قوله بكتاب نقرؤه ليس فيه مانستبعده ﴾ فسر مااقترحوه بقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله على وجه لايرد ان يقال انه صلى الله عليه وسلم اذا بدل هذا القرآن بغيره فقد اتى بقرآن غير هذا القرآن وكذا اذا اتى بغيره فقد بدله واذا كان كذلك كل واحد من هذين الامرين عين الآخر ومما يدل على ان كل واحد منهما نفس الآخر انه صلى الله عليه وسلم اقتصر في الجواب على استحالة احدهما وهو قوله قل مايكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي وكون كل واحد منهما نفس الآخر يأبى ان يورد بينهما كلمة او الدالة على الترديد والتخيير ولما فسر القرينة بعدم كون القرآن المقترح على ترتيب هذا القرآن المنزل ولا على نظمه وبكونه خاليا مما استبعدوه من امر البعث والجزاء وعما استكرهوه من ذم آلهتهم وتحقيرها وفسر التبديل بان يكون هذا القرآن المنزل باقيا على ترتيبه ونظمه لكن يوضع مكان الآيات الدالة على مااستبعدوه واستكرهوه آيات اخر موافقة لهواهم وطريقتهم ﴿ قوله ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه ﴾ كانه جواب عما يقال كيف يصح من الكفار ان يقترحوا عليه صلى الله عليه وسلم ان يأتي من قبله تعالى بكتاب موافق لمايشتهونه وهم عقلاء جازمون باستحالته وكذا على سبيل الجد جازمون باستحالة ان يكذب نفسه ويأتي بما اقترحوه من قبل نفسه فيلزموه احد الامرين على طريق التخيير مع علمهم باستحالة كل واحد من الامرين طمعا منهم في ان يسعفهم اي يشأنه من قبل نفسه فيلزموه بان يقولوا قد تبين لنا انك كاذب في دعوى ان ماتقرأه علينا كلام الهي وكتاب سماوي اوحي اليك بواسطة الملك وانك تنزل من عند نفسك وتفتري على الله كذبا ويحتمل ان يقولوا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء لا على سبيل الجد ﴿ قوله وهو مصدر ﴾ يعني ان التلقاء مصدر كالتقابل على وزن تفعال ولم يجئ مصدر بكسر التاء الا التبيان وقرئ شاذا بفتح التاء وهو قياس المصادر الدالة على التكرار كالتطواف والتجوال ويستعمل ظرف مكان بمعنى القبالة والتجاه ﴿ قوله لو شاء الله غير ذلك ﴾ اي لو شاء الله ان لاينزل القرآن على هذا النظم المتلو ماقرأته عليكم ولا انه اعلمكم الله به على هذا الوجه المعهود يقال دريت الشيء اي علمته وادريته غيري اي اعلمته من الدراية بمعنى العلم روي عن سيبويه انه قال يقال دريته ودريت به ثم قال والاكثر هو الاستعمال بالباء والدليل عليه قوله تعالى ولا ادراكم به ولو كان على اللغة الاخرى ولا ادراكموه ﴿ قوله وقرئ ولا ادرأكم ﴾ بهمزة مفتوحة واسناد الفعل الى ضمير الغائب وهمزته اما مقلوبة من الالف والياء ان كان افعل من الدراية واما اصلية ان كان افعل من الدرء يقال درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا اي دافعا وقرئ ايضا ولا ادرأتكم به بهمزة ساكنة واسناد الفعل الى المتكلم وفيه وجهان ايضا احدهما ان يكون من الدراية ويكون اصله ولا ادريتكم قلبت الياء الفا على لغة من يقلب الياء الساكنة المفتوح ماقبلها الفا فان اهل تلك اللغة

وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لاهي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا) يعني المشركين (ائت بقرآن غير هذا) بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه مانستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا (او بدله) بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه (قل مايكون لي) مايصح لي (ان ابدله من تلقاء نفسي) من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر (ان اتبع الا مايوحى الي) تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال (اني اخاف ان عصيت ربي) اي بالتبديل (عذاب يوم عظيم) وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح (قل لو شاء الله) غير ذلك (ماتلوته عليكم ولا ادراكم به) ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولادراكم بلام التأكيد اي لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا علمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لامحيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادرأكم ولا ادرأتكم بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولاجعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال

والمعنى ان الامر بمشيئة الله تعالى لابمشيئتى حتى اجعله على نحو ماتشتهونه ثم قرر ذلك بقوله (فقد لبثت فيكم عمرا) مقدار عمر
اربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن لااتلوه ولااعلمه فانه اشارة الى ان القرآن
معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم
اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما
ولم ينشئ قريضا ولاخطبة ثم قرأ عليهم كتابا
بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا عن
كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد
علمى الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص
الاولين واحاديث الآخرين على ماهى
عليه علم انه معلم به من الله تعالى (افلاتعقلون)
اى افلاتستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر
فيه لتعلموا انه ليس الامن الله (فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا) تفاد مما اضافوه اليه
كناية اوتظليم للمشركين بافترائهم على الله
تعالى فى قولهم انه لذو شريك وذو ولد
(اوكذب بآياته) فكفر بها (انه لايفلح
المجرمون ويعبدون من دون الله مالايضرهم
ولا ينفعهم) لانه جماد لايقدر على نفع
ولا ضر والمعبود ينبغى ان يكون مثيبا
ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع اودفع
ضر (ويقولون هؤلاء) الاوثان (شفعاؤنا
عندالله) تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا
وفى الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا
شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث
تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة
مايعلم قطعا انه لايضر ولاينفع على توهم انه
ربما يشفع لهم عنده (قل اتنبئون الله)
اتخبرونه (بما لايعلم) وهو ان له شريكا وفيه
تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عنده
ومالايعلمه العالم بجميع المعلومات لايكون له
تحقق ما (فى السموات ولا فى الارض) حال
من العائد المحذوف مؤكدة للنفى منبهة على ان
ماتعبدون من دون الله اما سماوى واما ارضى
ولاشئ من الموجودات فيهما الاوهو حادث
مقهور مثلهم لايليق ان يشرك به (سبحانه
وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم
وعن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ
حمزة والكسائى هنا وفى الموضعين فى اول
النحل والروم بالتاء (وماكان الناس الا
امة واحدة) موجودين على الفطرة
او متفقين على الحق وذلك فى عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال فى فترة من الرسل

تقلب باء النشئة الفا وتجعلها فى جميع الاحوال على لفظ واحد وتقول جاءنى الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان وتقول فى اعطيته وارضيته اعطاته وارضاته فصار ولاادراتكم به وبه قرأ الحسن ومن قلب الالف المبدلة من الياء همزة قرأ ولاادرأتكم به ﴿ قوله تعالى عمرا ﴾ مشبه بظرف الزمان فانتصب انتصابه اى مدة متطاولة وهى اربعون سنة فانه صلى الله عليه وسلم لبث قبل الوحى اربعين سنة ثم اوحى اليه فاقام بمكة بعد الوحى ثلاث عشرة سنة ثم هاجر الى المدينة فاقام بها عشر سنين وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير هذه الآية اقمت فيكم اربعين سنة لااحدثكم بشئ من القرآن ولاآتيكم به افلاتعقلون انه ليس من قبلى قال الامام انما اقترحوا عليه صلى الله عليه وسلم احد الامرين لاجل انهم اتهموه بانه هو الذى يأتى بهذا الكتاب من عند نفسه لامن جهة الوحى فدفع هذا الامر بانهم شاهدوه من اول عمره الى ذلك الوقت وكانوا عالمين باحواله وانه ماطالع كتابا ولاتعلم من احد ثم بعد انقراض اربعين سنة على هذا الوجه جاءهم بهذا الكتاب العظيم الذى عجز عن معارضته العلماء والفصحاء وكل من كان له عقل سليم فانه يعترف ان مثل هذا لايحصل الا بالوحى والالهام من الله تعالى وهذا خلاصة ماذكره المصنف ﴿ قوله تفاد مما اضافوه اليه كناية ﴾ اى احترازا مما اضافوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم ائت بقرآن غير هذا من انه صلى الله عليه وسلم افترى على الله تعالى كذبا بنسبة القرآن العظيم اليه تعالى وزعموا انه صلى الله عليه وسلم انما يأتى بهذا القرآن من عند نفسه فانهم لما نسبوا هذا القرآن اليه صلى الله عليه وسلم وهو من عندالله افتراء على الله تعالى قال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا الآية فالمقصود من قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا نفى الكذب عن نفسه وكانه قيل لو لم يكن هذا القرآن من عندالله تعالى لما كان احد فى الدنيا اظلم على نفسه منى حيث افتريته على الله تعالى لكن الامر ليس كذلك لما مر من الدليل الباهر الدال على انه ليس الاوحى الهى لامن كلام من لبث فيكم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولاخطبة ﴿ قوله اوتظليم ﴾ عطف على قوله تفاد ويجوز ان لايكون المقصود منه التبرى كما اضافوه اليه صلى الله عليه وسلم بل المقصود تظليمهم بنسبة الافتراء والكذب اليهم فكانه قيل انى لاافترى على الله تعالى ولم اكذب عليه وانتم قد فعلتم ذلك حيث زعمتم ان لله شركاء وولدا وعبدتم الاوثان وكذبتم نبيه وما جاء به من عندالله تعالى ﴿ قوله حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفى ﴾ اى لنفى مازعموا من ان له تعالى شريكا وان هؤلاء شفعاء عنده فان المراد من نفى علم الله تعالى به تقرر نفيه فى نفسه فيكون التقييد بحال كونه فى السموات والارض مؤكدا بعدم تحققه فى نفسه والمعنى اتنبئون الله بالامر الذى لايعلمه الله كائنا فى السموات ولافى الارض ﴿ قوله عن اشراكهم ﴾ على ان يكون كلمة ما مصدرية وقوله او عن الشركاء على ان تكون بمعنى الذى ﴿ قوله وقرأ حمزة الى قوله بالتاء ﴾ اى بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة واى يشركون مضارعا دون الماضى تنبيها على استمرار حالهم وعلى انهم على الشرك فى المستقبل كما كانوا عليه فى الماضى ثم انه تعالى لما ابطل القول بعبادة الاصنام وتوهم كونهم شفعاء عنده بين السبب بكيفية حدوث هذه المقالة الباطلة فقال وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا فى انهم كانوا امة واحدة واختلفوا ثلاثة اقوال القول الاول انهم كانوا امة واحدة فى انهم خلقوا على فطرة الاسلام ثم اختلفوا فى الاديان واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه والقول الثانى انهم كانوا امة واحدة بان كانوا جميعا على الدين الحق ثم اختلف القائلون فى هذا القول فى انهم متى كانوا كذلك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومجاهد كانوا على دين الاسلام فى عهد آدم عليه الصلاة والسلام وفى عهد ولده فاختلفوا عند قتل احد ابنيه الابن الثانى وقال قائل انهم ثبتوا على دين الاسلام الى زمن نوح عليه الصلاة والسلام ثم اختلفوا على عهد نوح عليه الصلاة والسلام فبعث الله تعالى اليهم نوحا عليه الصلاة والسلام وقال آخرون كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الى ان غير الدين نمرود فاختلفوا فعلى هذا القول يكون المراد من الناس فى قوله تعالى وماكان الناس الاامة واحدة العرب خاصة ويكون انتظام هذه الآية بماقبلها انه تعالى بين فيها فساد القوم بعبادة الاصنام وبين فى هذه الآية ان هذا المذهب ليس مذهبا للعرب من اول الامر بل كانوا على دين الاسلام وهو دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام وليس فيه عبادة الاصنام وانما حدث فيهم هذا المذهب بتسويل الشيطان واتباعه من الاغنام والغرض منه ان العرب اذا علموا ان هذا المذهب ماكان اصلا فيهم وانه حدث فيهم بعد ان لم يكن

(لم يتعصبوا)

(فاختلفوا) باتباع الهوى والاباطيل او بعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزآء (لقضى بينهم) عاجلا (فيما فيه يختلفون) باهلاك المبطل وابقاء المحق (ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه) اى من الآيات التى اقترحوها (فقل انما الغيب لله) هو المختص بعلمه فلعله يعلم فى انزال الآيات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها (فانتظروا) لنزول ما اقترحتموه (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل عليه من الآيات العظام واقتراحكم غيره (واذا اذقنا الناس رحمة) صحة وسعة (من بعد ضرآء مستهم) كقحط ومرض (اذا لهم مكر فى آياتنا) بالطعن فيها والاحتيال فى دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون فى آيات الله ويكيدون رسوله (قل الله اسرع مكرا) منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج او الجزآء على المكر (ان رسلنا يكتبون ما تمكرون) تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا فى اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله (هو الذى يسيركم) يحملكم على السير ويمكنكم منه (٧) (فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك) فى السفن (وجرين بهم) بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم (بريح طيبة) لينة الهبوب (وفرحوا بها) بتلك الريح (جاءتها) جواب لاذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها (ريح عاصف) ذات عصف شديدة الهبوب (وجاءهم الموج من كل مكان) يجيئ الموج منه (وظنوا انهم احيط بهم) اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال

لم يتعصبوا لنصرته ولم يتأذوا من تزييف هذا المذهب وابطاله والقول الثالث انهم كانوا امة واحدة فى الكفر فائدة ايراد هذا الكلام فى هذا المقام هو انه تعالى بين للرسول صلى الله عليه وسلم انه لا تطمع فى ان كل من تدعوه الى الايمان والاسلام يكون مجيبالك قائلا لبيك فان الناس كلهم كانوا على الكفر وانما حدث الاسلام فى بعضهم بعد ذلك فكيف تطمع فى اتفاق الكل على الايمان ﴿قوله فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل﴾ مبنى على ان المراد من كونهم امة واحدة كونهم مخلوقين على فطرة الاسلام او متفقين على ما هو الحق من الاديان فان من اتبع هواه فقد خالف من لم يضيع فطرته واتبع سبيل الرشاد وكذا من اتبع الاباطيل من الاديان فقد خالف من اتبع الدين الحق وقوله او بعثة الرسل مبنى على ان يكون المراد به اتفاقهم على الضلال فى فترة الرسل ولما وقع الاختلاف بين الناس وناسب تعجيل الحكم بينهم فيما اختلفوا فيه باهلاك المبطلين وتخصيص المحقين او بتعذيب المصرين على الضلال واثابة المهتدين اجاب الله تعالى عنه بقوله ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم والجزآء الى يوم القيامة تميز دار التكليف من دار الجزآء لقضى بينهم عاجلا وقوله تعالى ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه نوع رابع من مقالاتهم المتفرعة على انكار النبوة كان اهل مكة يقترحون شيأ سوى القرآن ليكون معجزة له صلى الله عليه وسلم مثل اليد والعصا وقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات بناء على ما زعمه بعضهم من ان القرآن لم يكن معارضته كما اخبر الله تعالى عنهم انهم قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿قوله بجحودكم ما نزل عليه من الآيات العظام﴾ التى اعظمها واجلها القرآن العظيم وان ظهور مثل هذا الكتاب الشريف من مثل ذلك البشر الذى نشأ فيما بينهم ولبث فيهم اربعين سنة لم يطالع كتابا ولم يتلمذ الى استاذ ولم يتعلم حرفا ولم يصاحب عالما لا يكون الا بالوحى ﴿قوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة الآية﴾ جواب ثان عن قول اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه وتقريره ان مشركى مكة عادتهم المكر واللجاج والعناد وعدم الانصاف لانه تعالى سلط عليهم القحط سبع سنين ثم رحمهم وانزل الامطار على اراضيهم ثم انهم اضافوا تلك المنافع الجليلة الى الانوآء والكواكب او الى الاصنام واذا كان كذلك فبتقدير ان يعطوا ما سألوا من انزال معجزات اخرى فانهم لا يؤمنون بل يبقون على كفرهم وجهلهم وانما يفيد انزال الآيات عليهم ان لو كان غرضهم من اقتراحها تحقيق الحق وطلب اليقين وليس كذلك وليس غرضهم الا التعنت واللجاج فلو ظهر لهم جميع ما طلبوه من المعجزات القاهرة فانهم لا يقبلونها والحيا المطر العام ويكنى به عن الخصب والانوآء جمع نوء وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة فى منزل منها ويسقط فى المغرب نجم واحد ويطلع رقيبه فى ساعة من المشرق فى مقابلة ذلك الساقط وهذا فى غير الجبهة فان لها اربعة عشر يوما فينقضى الجميع مع انقضاء السنة اى مع انقضاء ثلثمائة وخمسة وستين يوما ويقال ناء ينوء نوأ اى نهض بجهد ومشقة وناء اى سقط وهو من الاضداد يقال ناء بالحمل اذا نهض به مستثقلا وانما سمى النجم نوأ لانه اذا سقط الساقط منها بالمغرب فالطالع بالمشرق ينوء اى ينهض ويطلع وقيل انما سمى نوأ لسقوطه وغروبه قال ابو عبيد ولم يسمع فى النوء انه السقوط الا فى هذا الموضع وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والبرد الى الساقط منها وقال الاصمعى الى الطالع فيقول فى سلطانه مطرنا بنوء كذا فلما انجاهم الله تعالى من القحط وامطرهم نسبوا الامر واضافوا ذلك الى الانوآء لا الى الله لئلا يشكروا الله ولا يؤمنوا باياته فقيل هذا هو المراد بمكرهم فى آيات الله تعالى ﴿قوله قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم﴾ يعنى ان ما يأتيهم من العذاب اسرع فى اهلاكهم مما اتوا من المكر فى ابطال القرآن والنبوة روى عن مقاتل انه تعالى قتلهم يوم بدر وجازى مكرهم فى آياته بعقاب ذلك اليوم فكان اسرع فى اهلاكهم من كيدهم فى اهلاكهم له صلى الله عليه وسلم وابطال آياته ﴿قوله وانما دل على سرعتهم المفضل عليها﴾ جواب عما يقال كيف وصف الله تعالى نفسه بكونه اسرع مكرا مع انه لم يصفهم بسرعة المكر ولا يعقل تفضيل بدون المفضل عليه وتقرير الجواب ان كلمة المفاجاة تدل على سرعة مكرهم كانه قيل واذا رحمناهم من بعد ضرآء فاجأوا وقوع المكر منهم وسارعوا قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضرآء ﴿قوله وهو من الله اما الاستدراج او الجزآء على المكر﴾ فهو على الاول استعارة وعلى الثانى مشاكلة ﴿قوله وعن يعقوب يمكرون بالياء﴾ اى بياء الغيبة والباقون بتاء الخطاب نظرا الى قوله قل الله اذ التقدير قل لهم فناسب الخطاب لذلك ولما اوعدهم الله تعالى بقوله قل الله اسرع مكرا اوعدهم بعقاب الآخرة حيث قال ان رسلنا الآية ﴿قوله وقرأ ابن عامر ينشركم﴾ بفتح الياء وسكون النون من النشر وهو التفريق والبسط الذى هو ضد الطى وقرأ الباقون يسيركم من

(٧) (وقرأ ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر) (شيخه)

لان دعاءهم من لوازم ظنهم (لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول (فلما انجاهم) اجابة لدعائهم (اذاهم يبغون في الارض) فاجاؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه (بغير الحق) مبطلين فيه وهو احتراز من تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق (يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم) فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم (متاع الحياة الدنيا) منفعة الحياة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها او رفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اى تتمتعون متاع الحياة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبره (ثم الينا مرجعكم) في القيامة (فننبئكم بما كنتم تعملون) بالجزاء عليه (انما مثل الحياة الدنيا) حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها (كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (مما يأكل الناس والانعام) من الزروع والبقول والحشيش (حتى اذا اخذت الارض زخرفها) زينتها باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزينة فتزينت بها (وازينت) اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت (وظن اهلها انهم قادرون عليها) متمكنون من حصدها ورفع غلتها (اتاها امرنا) ضرب زرعها ما يجتاحه (ليلا او نهارا فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما حصد من اصله (كأن لم تغن) اى كأن لم يغن زرعها اى لم يلبث والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل (بالامس) فيما قبله

التسيير والتضعيف للتعدية يقال سار الرجل وسيرته انا • فان قيل كيف جعل قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة غاية لقوله يسيركم في البحر وغاية الشيء تكون بعده والحال ان السير في البحر يكون بعد الكون في الفلك • فقد اشار المصنف الى جوابه بقوله يحملكم على السير ويمكنكم منه • واجاب عنه صاحب الكشاف بان الغاية ليس مجرد الكون في الفلك بل الغاية هي الكون في الفلك مع ما عطف عليه من قوله وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها فان هذا المجموع بعد السير في البحر وجرين يجوز ان يكون معطوفا على كنتم وان يكون حالا بتقدير ضمير جرين الفلك كانه جمع مكسر وان تغيره تقديري بناء على ان ضمته كضمة اسد وبدن وضمة مفرده كضمة قفل وقرب والالتفات في بهم للمبالغة والتقبيح • الجوهري عصفت الريح اى اشتدت فهي ريح عاصف وقوله يجيء الموج منه صفة مخصصة لكل مكان ﴿قوله وهو بدل من ظنوا﴾ لان دعاءهم ملابس لظنهم الهلاك ملابسة اللزوم ويجوز ان يكون كلاما مستأنفا على انه جواب لمن قال ماذا كان عليهم وحالهم اذ ذاك فقيل دعوا الله واللام للقسم في قوله لئن اى والله ان انجيتنا من هذه الريح العاصفة او من هذه الامواج المتلاطمة والشدائد الهائلة لنكونن من الشاكرين على نعمة الانجاء باتباع اوامرك والاجتناب عن مساخطك ولا نكفر نعمتك بعبادة غيرك فان اخلاص الدين والطاعة لله تعالى عبارة عن ترك الشرك وان لا يشركوا به شيأ من آلهتهم قيل هذا الاخلاص ليس سببا من الايمان بل هو لاجل ان لا ينجيهم من تلك الاهوال الا الله عز وجل فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطراري فانهم يدعون مع الله ما يدعون فاذا جاءهم الضر والبلاء لم يتضرعوا الا الى الله على سبيل الاضطرار وقيل المراد بذلك الدعاء قولهم اهيا شراهيا فان تفسيره يا حي يا قيوم ﴿قوله فاجاؤا الفساد فيها﴾ يعني ان البغي وان كان يطلق بمعنى الطلب فيقال بغاه اى طلبه لكن المراد به ههنا الفساد والتكذيب والجرأة على الله تعالى قيل معنى البغي قصد الاستعلاء بالظلم وقال الزجاج البغي الترقي في الفساد • الجوهري البغي التعدي بغى الرجل على الرجل استطال وبغت السماء اشتد مطرها وبغى الوالي وكل مجاوزة وافراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهو بغي فان قيل ما معنى قوله تعالى بغير الحق والبغي لا يكون بحق • قلنا البغي بمعنى الفساد والافساد وابطال المنفعة قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع اشجارهم كما فعل صلى الله عليه وسلم ببني قريظة والبغي الذي لا يكون بحق هو البغي بمعنى الظلم ﴿قوله مبطلين﴾ اشارة الى ان قوله بغير الحق حال بمعنى ملتبسين بغير الحق ثم انه تعالى بين ان هذا البغي امر باطل يجب على العاقل ان لا يحوم حوله فقال يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم ﴿قوله فان وباله عليكم﴾ اى على انفسكم متعلقا بقوله بغيكم خبر بغيكم بتقدير المضاف في المسند اليه والانفس بمعنى الذوات وقوله او انه على امثالكم على ان يكون على انفسكم متعلقا بقوله بغيكم وان يكون انفسكم بمعنى امثالكم وبعض منكم كما في قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم وقوله ولا تلمزوا انفسكم والمعنى انما بغي بعضكم على بعض وما تنالون به امر تتمتعون به في الحياة الدنيا فهو متاع في الدنيا فعلى هذا يكون متاع الحياة الدنيا خبر بغيكم وعلى الاول يكون خبر مبتدأ محذوف وان نصب متاع الحياة باحد الوجوه المذكورة يكون الخبر هو على انفسكم ﴿قوله حالها العجيبة﴾ سميت الحال العجيبة مثلا لتشبيهها بالمثل السائر في الغرابة كما قال تعالى انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ضرب هذا المثل لمن اغتر بالحياة الدنيا واعرض من التأهب للآخرة قوله تعالى مما يأكل الناس حال من النبات اى كائنا مما يأكل وحتى كلمة غاية فلا بد لها من شيء معناه من شأنه ان يستمر ويبقى الى امر وهو الاختلاط ههنا كانه قيل اختلط نبات الارض الى ان اتاها امرنا حين ما اخذت زخرفها وتزينت واخذت الارض زخرفها استعارة بالكناية شبهت الارض بالعروس واثبت لها ما يلائم العروس وهو اخذ الزينة وهي قرينة الاستعارة بالكناية وازينت ترشيحها ﴿قوله وقرئ بالياء على الاصل﴾ لان الفعل مسند في الاصل الى المضاف المقدر يقال غني بالمكان اذا اقام به قال لبيد فقالمغنى اذا في كأن لم يغن بالامس اى كأن لم يكن وهو من باب علم وهذه الجملة يجوز ان تكون في محل النصب على انها حال من مفعول جعلناها وان تكون مستأنفة لا محل لها من الاعراب جواب لسؤال مقدر ﴿قوله لانه من التشبيه المركب﴾ حيث شبهت الهيئة المنتزعة من اجتماع الحياة ونهايتها وسرعة انقضائها بالهيئة المنتزعة من اجتماع خضرة الارض ونضارتها وانعدامها عقيبها دفعة بآفة سماوية ومشيئة الهية كما في قول الشاعر

○ كأن مثار النقع فوق رؤسنا ○ واسيافنا ليل تهاوت كواكبه ○

(حيث)

حيث شبه الاضوآء الحاصلة من هوى اجرام مشرقة مستطيلة متناسبة الاضوآء متفرقة فى جوانب شئ مظلم بليل سقطت كواكبه والكاف فى كذلك صفة مصدر محذوف اى مثل هذا التفصيل الذى فصلناه فى الماضى نفصل فى المستقبل ووجه ارتباط هذه الآيات انه تعالى لما قال واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضرآء مستهم اذالهم مكر فى آياتنا وكان هذا كلاما كليا ضرب له مثالا لان المعنى الكلى لايصل الى الافهام الا بالامثلة فذكر ان الانسان اذاركب فى السفينة ووجد الريح الطيبة حصلت له المسرة القوية ثم لو ظهرت علامات الهلاك من الرياح العاصفة والامواج المتراكمة فظن الهلاك وقع فى خوف شديد وبلاء عظيم فان هذه الاحوال توجب شدة الخوف والبلاء اذا كان على سبيل الابتدآء فكيف اذا كان بعد الفرح العظيم ولاشك انه فى هذه الاحوال لايطمع الا فى فضل الله تعالى متضرعا اليه ويقطع الطمع من جميع الخلق ثم اذا انجاه الله تعالى من هذه البلية العظيمة يرجع الى ماالفه واعتاده من العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة فهذا مكر الانسان بعد انتقال الانسان من الضر الى الرجفو لما انساق الكلام الى ذكر انهم يسارعون الى ما كانوا عليه من البغى فى الارض بين ان بغيهم على انفسهم متاع الحياة الدنيا ثم مثل الحالة العجيبة لتلك الحياة من نهايتها وسرعة انقضائها بالحاصلة من اخضرار الارض بانواع النبات ثم انعدامها بالكلية بآفة سماوية ﴿قوله دار السلامة من التقضى﴾ اى الانقضاء بيان لوجه تسمية الجنة بدار السلام لما نفر الله تعالى عباده بالمثال المذكور عن الحياة الدنيا والركون اليها رغبهم فى الآخرة بهذه الآية روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال مامن يوم تطلع فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلق الا الثقلين يا ايها الناس هلموا الى ربكم والله يدعوا الى دار السلام ﴿قوله وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية﴾ يعنى انه تعالى عم الدعوة لجميع الخلق وخصص الهداية بالمشيئة فالكل مأمور ولا يريد من الكل الا الاهتدآء لان ظاهر يهدى من يشاء انه يهدى من يشاء هداه ورشده فلو شاء الله تعالى اهتدآء الكل كان هاديا للكل وليس كذلك ويلزم من ذلك على المعتزلة امران احدهما ان الامر غير الارادة والالكان ارادة متعلقة بالكل وليس الامر كذلك والثانى ان من اصر على الضلالة لايريد اهتدآءه ولانه لو اراد اهتدآء كل واحد من المهتدين ومن المصرين على الضلالة لم يبق لتخصيص الهداية بالمشيئة وجه ثم انه تعالى لما دعا عباده الى دار السلام ذكر السعادات التى تحصل لهم فيها فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال المراد باحسان المحسنين ذكر لا اله الا الله وقال الاصم الذين احسنوا فى كل ما كلفوا بان يأتوا بالمأمورات كما ينبغى ويجتنبوا عن المنهيات من الوجه الذى صارت منهيا عنها من ذلك الوجه وهذا اقرب الى الصواب لان الدرجات العالية لاتحصل الا لاهل الطاعات والحسنى فى اللغة تأنيث الاحسن والعرب تطلق هذا اللفظ على الخصلة المرغوب فيها وقال اهل التفسير المراد منها الجنة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما للذين قالوا لا اله الا الله الجنة وزيادة هى النظر الى وجه الله تعالى وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قرأ للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ماهذا الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فماشئ مما اعطوه احب اليهم من النظر اليه وهو الزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد نظرهم اليه ويؤكده قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاثبت لاهل الجنة امرين احدهما نضرة الوجوه والثانى النظر الى الله تعالى وروى عن على رضى الله تعالى عنه ان الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الحسنى هى الجنة والزيادة هى عشر امثالها الى سبع مائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ماتريدون ان امطركم فلا يريدون شيأ الا امطرتهم ﴿قوله والمعنى لايرهقهم مايرهق اهل النار﴾ ويرهقهم حالتان الاولى ما اخبر الله عنه بقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة والثانى ما اخبر الله عنه بقوله وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة والغرض من نفى هاتين الصفتين نفى اسباب الخوف والحزن والذل عنهم ليعلم ان النعيم الذى ذكره الله تعالى خالص لايشوبه شئ من المكروهات وانه لايطرأ عليهم غير ماتحصل به صباحة الوجوه ويزيد مافيها من النضارة والحسن ﴿قوله اولا يرهقهم مايوجب ذلك﴾ على ان يكون الكلام كناية لان عدم غشيانهما لازم لعدم غشيان مايوجبهما فذكر اللازم لينتقل الى الملزوم ﴿قوله مذهب من يجوز فى الدار زيد والحجرة عمرو﴾ اى على مذهب من يجوز العطف على

وهو مثل فى الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتفاف زين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) فانهم المنتفعون به (والله يدعو الى دار السلام) دار السلامة من التقضى والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة (ويهدى من يشاء) بالتوفيق (الى صراط مستقيم) وهو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده (للذين احسنوا الحسنى) المثوبة الحسنى (وزيادة) ومايزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبع مائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء (ولا يرهق وجوههم) لايغشاها (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) هوان والمعنى لايرهقهم مايرهق اهل النار او لايرهقهم مايوجب ذلك من حزن وسوء حال (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) دآئمون لازوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها (والذين كسبوا السيئات جزآء سيئة بمثلها) عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز فى الدار زيد

معمول عاملين مختلفين بشرط ان يتقدم الجار ولا يجوزه اذا لم يتقدم كما في قولك ان زيدا في الدار وعمرا في القصر بمعنى وان عمرا في القصر وفي المسئلة ثلاثة مذاهب احدها الجواز مطلقا وهو قول الفراء والثاني المنع مطلقا وهو مذهب سيبويه والثالث التفصيل الذي ذكرناه وتقدير الكلام للذين احسنوا الحسنى والذين كسبوا السيئات جزآء سيئة بمثلها لا يزاد عليها اثابت للذين كسبوا السيئات ﴿قوله وفيه تنبيه﴾ اى وفي تقييد جزآء السيئة بكونه بمثلا لاجل السيئة غير زآئد عليها تنبيه على ان المراد من قوله وزيادة على المثوبة تفضلا او ما زيد عليها من الاضعاف ووجه التنبيه ان المقصود من الآية الدلالة على الفرق بين الحسنات والسيئات بان الحسنات تجازى بالمثوبة الحسنى والزيادة عليها وان السيئات تجازى بالعقوبة المماثلة لها بدون ان يزاد عليها شئ ويفهم منه بقرينة المقابلة ان الزيادة على الثواب تكون من جنس المزيد عليه زاد عليه تفضلا مع قطع النظر عن كونه ضعف المزيد عليه او اضعافه او زاد عليه مقيدا بكونه عشر امثال الحسنات وذكر الزمخشري هذا الوجه ثم قال وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ولانه دل باثبات الزيادة على المثوبة على فضله ﴿قوله او كانما اغشيت﴾ عطف على جزآء في قوله والخبر جزآء اى ويحتمل ان يكون قوله تعالى والذين كسبوا مبتدأ ويكون الخبر الجملة التشبيهية من قوله كانما اغشيت وكأن حرف تشبيه زيدت عليه كلمة ما لتكفه عن العمل وتهيئه لدخول على الفعل وعلى هذا الوجه فصل بين المبتدأ وخبره ثلاث جمل اعتراض وقوله او لئك عطف عليه ايضا وعلى هذا الوجه قد فصل باربع جمل معترضة اولها قوله تعالى جزآء سيئة بمثلها والثانية وترهقهم ذلة والثالثة ما لهم من الله من عاصم والرابعة كانما اغشيت وجوههم وينبغى ان لا يجوز الفصل بثلاث جمل فضلا من اربع ﴿قوله وقرئ بالياء﴾ من تحت لان تأنيث الذلة غير حقيقي والظاهر ان قوله تعالى وترهقهم ذلة معطوف على كسبوا جيء على لفظ المستقبل لكون المقصود تعيينهم وصفين الاول ان كسبوا السيئات في الماضي والثاني سيرهقهم الذلة يوم القيامة ﴿قوله لانه العامل في قطعا﴾ فان قطعا منصوب باغشيت مفعول ثان له وقد اقيم مفعوله الاول مقام الفاعل ومن الليل فان كان من الليل صفة لقطعا المعمول لاغشيت كان من الليل معمولا لاغشيت ايضا بحكم ان العامل في الموصوف هو العامل في الصفة ايضا وحيث كان مظلما حالا من الليل يكون معمولا لاغشيت ايضا لان العامل في الحال هو العامل في صاحبها ويجوز ان يكون العامل في مظلما على تقدير كونه حالا من الليل معنى الفعل في من الليل اى قطعا كائنة من الليل في حال كونه مظلما ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على ان يقرأ قطعا بسكون الطاء يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه ولا يجوز شئ منهما على قرآءة من قرأ قطعا بفتح الطاء لان قطعا جمع قطعة مثل دمنة ودمن وكسرة وكسر فكان يجب حينئذ ان يقال مظلمة لان الموصوف او ذا الحال لما كان جمعا وجب تأنيث الصفة والحال لوجوب المطابقة بين الصفة والموصوف وكذا بين الحال وصاحبها بخلاف ما اذا قرئ قطعا بسكون الطاء حينئذ فانه يكون اسم جنس ويجوز تذكير صفته نحو نخل منقعر وتأنيثها نحو نخل خاوية وكذا يجوز التذكير والتأنيث فيما انتصب منه على الحالية ويوم في قوله تعالى ويوم نحشرهم منصوب بفعل مقدر اى نخوفهم او اذكرهم يوم والفريقان هم الذين احسنوا والذين كسبوا السيئات وجميعا حال ومكانكم اسم فعل اى الزموا مكانكم وحذف فاعله وانتقل اليه الضمير الذي استند اليه عامله ولذلك اكد بقوله انتم وعطف عليه شركاؤكم وقوله تعالى فزيلنا بينهم وزنه فعلنا والتضعيف فيه للتكثير لا للتعدية لان ثلاثيه متعد بنفسه تقول زلت الشئ ازيله زيلا اى ميزته وفرقته ويقال زل ضانك من معزك وزلته منه وزيلته فتزيل اى فرقته فتفرق وقيل وزنه فيعلنا من زال يزول اصله زيولنا اجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء والاول اظهر لان فعل اكثر من فيعل ولان مصدر التزييل لو كان وزنه فيعل لكان مصدره فيعلة كبيطرة لان فيعل ملحق بفعلل وهذا التزييل وان كان مما سيكون يوم القيامة الا انه لتحقق وقوعه صار كالكائن الآن فلذلك جاء بلفظ الماضي بعد قوله ويوم نحشرهم ثم نقول وكل منهما مستقبل كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة واضاف الشركاء اليهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم فصيروهم كأنهم شركاء لهم في ثلث وقيل لان الاضافة يكفي فيها ادنى تعلق فلما كان هم الذين اثبتوا هذه الشركة حسنت اضافة الشركاء اليهم ﴿قوله مجاز عن برآءة ما عبدوه من عبادتهم﴾ جواب عما يقال كيف يتأتى للشركاء ان يقولوا ما كنتم ايانا تعبدون مع ان المشركين كانوا قد عبدوهم فيكون هذا الكلام من الشركاء على ارادة حقيقته وليس كذلك بل هو مجاز عن برآءة الشركاء من

(عبادة)

والجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزآء سيئة على تقدير وجزآء الذين كسبوا السيئات جزآء سيئة بمثلها اى ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزآء سيئة مبتدأ خبره محذوف اى فجزآء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها (وترهقهم ذلة) قرئ بالياء (ما لهم من الله من عاصم) ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين (كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما) لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه (ويوم نحشرهم جميعا) يعني الفريقين جميعا (ثم نقول للذين اشركوا مكانكم) الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم (انتم) تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم (وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون) مجاز عن برآءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهوآءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به

عبادة المشركين حيث لم تكن تلك العبادة بامر الشركاء وارادتهم وانما الآمر بها هو اهواؤهم والشياطين فالمشركون في الحقيقة انما عبدوا الشياطين واهوآءهم ويدل عليه امران الاول انهم استشهدوا بالله تعالى في ذلك حيث قالوا فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم والثاني انهم قالوا ان كنا عن عبادتكم لغافلين فاثبتوا لهم عبادة الا انهم زعموا انهم كانوا غافلين عن تلك العبادة وقد صدقوا في ذلك لان من اعظم اسباب الغفلة كونها جمادات لاحس لها ولاشعور البتة ﴿قوله وقيل الخ﴾ يعني انهم اختلفوا في المراد بهؤلاء الشركاء المتبرئين من عبادة المشركين فقال بعضهم هم الملائكة والمسيح استشهادا بقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وبقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام ءأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك الى قوله ماقلت لهم الا ماامرتني به ان اعبدوا الله وقال آخرون هم الشيطان حيث تبرأ عن عبدوه بقوله ليس لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقيل بل هم الاصنام والاصنام تقول هذا الكلام بان يخلق الله فيها الحياة والعقل والنطق ولا جرم ان تذكر هذا الكلام * فان قيل اذا احيي الله تعالى الاصنام فهل يبقيهم او يميتهم * قلنا الكل محتمل ولا اعتراض عليه تعالى في شيء من افعاله واحوال القيامة لايعلم منها الا القليل الذي اخبرالله تعالى عنه في القرآن وقيل قول الشركاء ماكنتم ايانا تعبدون يجري على حقيقته بناء على ان ذلك الموقف موقف الدهشة والحيرة فذلك الكذب يكون جاريا مجرى كذب الصبيان والمجانين المدهوشين ولانهم ما اقاموا لاعمال الكفار وزنا وجعلوها لبطلانها كالعدم فلهذا قالوا ماعبدونا ولان المشركين لماتخيلوا فيما عبدوه اوصافا كثيرة غير موجودة في الشركاء كانوا في الحقيقة انما عبدوا ذوات موصوفة بتلك الصفات ولما كانت ذوات الشركاء خالية عن تلك الصفات صدق ان يقال ان المشركين ماعبدوا الشركاء وانما عبدوا امورا تخيلوها ولا وجود لها في الاعيان ﴿قوله في ذلك المقام﴾ يعني ان هنالك باق على اصله الذي هو كونه ظرف مكان لان في ذلك الموقف الدهش وقيل هو هنا ظرف زمان على سبيل الاستعارة كما في قوله تعالى هنالك ابتلي المؤمنون اي في ذلك الوقت ﴿قوله فتعاين نفعه وضره﴾ اشارة الى ان المراد باختبار النفس ماقدمت من خير او شر حدوث العلم لها بكون ماقدمته من الاعمال خيرا او شرا بمعاينة نتائجها وآثارها فان الاختبار سبب لحدوث العلم فاطلق اسم السبب على المسبب مجازا ومن قرأ تتلو بتائين منقوطتين من فوق جعله من التلاوة او من التلو والمعنى على الاول ان كل نفس تقرأ ذكر ماعملته مسطورا في صحف الحفظة وعلى الثاني تتبع كل نفس ماأسلفت لان ماعملته هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار وقرأ عاصم نبلو كل بنون عظمة المتكلم المعظم نفسه ونصب كل على انه مفعول به وقوله ما اسلفت على هذه القرآءة يحتمل ان يكون في محل النصب على اسقاط الخافض فيكون نبلو من البلاء اي العذاب بمعنى نعذبها بسبب ما اسلفت ويحتمل ان يكون منصوبا على انه بدل اشتمال من كل نفس لان تعرف حال عملها من كونه حسنا او قبيحا سبب لتعرف انها سعيدة او شقية فكان بينهما ملابسة السببية فالمعنى ان الله تعالى يقول في ذلك الوقت نختبر كل نفس بسبب اختبار مااسلفته من العمل على معنى انا نعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان قبيحا فهي شقية وحقيقة الاختبار لاتتصور منه تعالى فالكلام من قبيل الاستعارة كما اشار اليه بقوله نفعل بها فعل الخبير حالها الخ ﴿قوله الى جزآئه﴾ او الى موقف جزآئه لابد هنا من تقدم المضاف لان الرجوع الى ذاته تعالى مما لايتصور اي ورد العابدون والمعبودون الى جزآء الله تعالى وحكمه الذي هو مولاهم في الحقيقة لامولى لهم غيره يجازي كل واحد منهم على حسب ماهو وقرئ الحق منصوبا اما على القطع فان اصله الجر على انه تابع فقطع باعتبار المدح او اعني كقولهم الحمد لله اهل الحمد واما على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة وهو ردوا الى الله كما تقول هذا عبدالله الحق لاالباطل اي احق الحق ﴿قوله من ان آلهتهم تشفع لهم﴾ او من تقس شركائهم الذين كانوا يدعون في حقهم انهم آلهة ثم انه تعالى لمابين فضائح عبدة الاوثان اتبعها بذكر مايدل على فساد مذهبهم فذكر امورا لايقدرون على ادعاء ان شركاءهم تقدر عليها وهو احوال الرزق واحوال الحواس واحوال الموت والحياة ﴿قوله باسباب سماوية﴾ كالامطار واختلاف الفصول المترتب عليها او على حركة الكواكب والافلاك ولاشك انه تعالى رزق عباده من المواد الارضية ايضا لان الغذآء لابد ان يكون نباتا او حيوانا والنبات لاينبت الا من الارض والحيوان محتاج الى الغذآء ولايمكن ان يكون غذآء كل حيوان حيوانا والا لزم الذهاب

وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين (فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم) فانه العالم بكنه الحال (ان كنا عن عبادتكم لغافلين) ان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة (هنالك) في ذلك المقام (تبلو كل نفس ما اسلفت) تختبر ماقدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ماقدمت او من التلو اي تتبع عمله فيقودها الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اي نفعل بها فعل الخبير حالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اي بالعذاب كل نفس عاصية بسبب مااسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض (وردوا الى الله) الى جزآئه اياهم بما اسلفوا (مولاهم الحق) ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لاما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد (وضل عنهم) وضاع عنهم (ماكانوا يفترون) من ان آلهتهم تشفع لهم او ماكانوا يدعون انها آلهة (قل من يرزقكم من السماء والارض) اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم

وقيل من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض (ام من يملك السمع والابصار) ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شئ (ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) ومن يحيى ويميت اومن ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه (ومن يدبر الامر) ومن يلى تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص (فسيقولون الله) اذ لايقدرون على المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه (فقل افلا تتقون) انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه فى شئ من ذلك (فذلكم الله ربكم الحق) اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم (فماذا بعد الحق الا الضلال) استفهام انكارى اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله تعالى وقع فى الضلال (فانى تصرفون) عن الحق الى الضلال (كذلك حقت كلمة ربك) اى كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصرفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه (على الذين فسقوا) تمردوا فى كفرهم وخرجوا من حد الاستصلاح (انهم لايؤمنون) بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عليه الصلاة والسلام ان ينوب عنهم فى الجواب فقال (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) لان لجاجهم لايدعهم ان يعترفوا بها (فانى تؤفكون) تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسنده الى الله (قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع ام من لايهدى الا ان يهدى) ام الذى لايهدى الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لايهدى غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير

(جمادات)

الى ما لانهاية له وذلك محال فثبت ان اغتذاء الحيوانات يجب انتهاؤه ومن المعلوم ان تولد النبات من الارض فلزم القطع بانه لاتحصل الارزاق الا من السماء والارض ومن المعلوم ان مدبر السموات والارض ليس الا الله وكذا احوال الحواس لايقدر عليها الا الله تعالى وكان على رضى الله عنه يقول سبحان من ابصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم ﴿قوله وقيل من لبيان من﴾ اى وقيل ان كلمة من فى قوله من السماء ليست لابتداء الغاية بل هى لتبيين جنس من رزق وام فى قوله تعالى ام من يملك منقطعة لانه لم يتقدمها همزة استفهام ولا همزة تسوية ولكن تقدر بل وحدها دون الهمزة بعدها وقد تقرر أن المنقطعة عند الجمهور تقدر ببل وحدها وانما لم تقدر هنا بل والهمزة لانه وقع بعدها اسم استفهام صريح وهو من فهو كقوله ام ماذا كنتم تعملون والاضراب هنا اضراب انتقال كما هو القاعدة المتقررة فى القرآن لا اضراب ابطال ﴿قوله ومن يحيى ويميت﴾ فان كلا واحد من الاحياء والاماتة اخراج احد الضدين من الآخر بمعنى تحصيله منه لان كثيرا ما يقال كان الخارج كذا بمعنى كان الحاصل كذا وايضا انه يخرج الانسان من النطفة وبالعكس ويخرج الطائر من البيضة وبالعكس وقيل المراد انه تعالى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ﴿قوله وهو تعميم بعد تخصيص﴾ لانه تعالى ذكر اولا تدابير مخصوصة متعلقة ببعض الاجساد فان اقسام تدبير الله فى ملكه امور لانهاية لها وذكر كلها على التفصيل كالمتعذر فذكر بعض التفاصيل ثم عقبها بالكلام الكلى ليكون دالا على الباقى ﴿قوله هو ربكم الثابت ربوبيته﴾ اشارة الى ان ربكم الحق خبر ذلكم الله فان الجلالة صفة ذلكم وان الحق بمعنى الصادق اى الثابت ربوبيته ردا لمن اتخذ ما لا تحقق لربوبيته كانه قيل ان الذى يفعل هذه الاشياء هو ربكم الحق لا ما اشركتم معه ﴿قوله اى كما حقت الربوبية لله الخ﴾ يعنى ان الكاف فى كذلك فى محل نصب على انه صفة مصدر محذوف والاشارة بذلك الى المصدر المفهوم من الحق فى قوله ربكم الحق او الى حقية مضمون قوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال او الى حقية انهم مصروفون عن الحق بعد الاقرار به كما قال فسيقولون الله ﴿قوله بدل من الكلمة﴾ اى حق عليهم انتفاء ايمانهم او تعليل لحقية الكلمة على ان يراد بالكلمة العدة بالعذاب وان الاصل لانهم لايؤمنون ﴿قوله تعالى قل هل من شركائكم الآية﴾ احتجاج آخر على بطلان مذهب عبدة الاوثان ﴿قوله جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها﴾ جواب عما يقال المشركون ينكرون البعث والاعادة فكيف احتج عليهم بذلك وتقرير الجواب ان الالزام الخصم كما يصح بما يساعده ويعترف به يصح ايضا بما يبين حقيته لقوة برهانه وامر الحشر والنشر من هذا القبيل فان وجوب التمييز بين المحسن والمسيء برهان دال على تحقق وقوعه دلالة قاطعة لايمكن العاقل دفعه فصح الالزام به وان لم يساعده الخصم عليه ﴿قوله ولذلك الخ﴾ جواب عما يقال لم امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينوب عنهم فى الجواب والالزام انما يصح ان لو اعترفوا به انفسهم وتقريره كون الامر ظاهرا جليا مؤيدا بالبراهين القوية اغنى من الاعتراف به وانابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجواب ﴿قوله والتوفيق للنظر والتدبر﴾ اى للنظر الصحيح والتدبر الصائب فان العقول مضطرب والافكار مختلط وتعين الحق صعب ولايسلم من الغلط الا الاقل من القليل فاهتداء ادراك الحقائق لايكون الا باعانة الله تعالى وهدايته وارشاده وهذا احتجاج آخر على فساد مذهب المشركين والاستدلال على وجود الصانع اولا بالخلق وثانيا بالهداية عادة مطردة فى القرآن قال تعالى حكاية عن الخليل عليه الصلاة والسلام الذى خلقنى فهو يهدين وحكى عن موسى عليه الصلاة والسلام قوله تعالى ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى واعلم ان هدى يتعدى الى اثنين اولهما بنفسه وثانيهما اما باللام واما بالى وقد يحذف حرف الجر تخفيفا وقد جمع بين التعديتين بحرف الجر هنا فعدى الاول والثالث بالى والثانى باللام وحذف المفعول الاول من الافعال الثلاثة والتقدير هل من شركائكم من يهدى غيره الى الحق والمصنف بين سر كل واحدة من التعديتين فقال يعدى بالى ليدل على ان انتهاء الهداية مدخولها ويعدى باللام ليدل على ان الهداية لاتتوجه نحو ما دخلت عليه الا لاجل ان تؤدى اليه ويترتب عليها كما هو شان العلة والمعلل بها ﴿قوله ام الذى لايهدى الخ﴾ اختار فى قوله ام من لايهدى الا ان يهدى قراءة حمزة والكسائى وهو ان يقرأ قوله الا ان يهدى بسكون الهاء وتخفيف الدال على معنى يهتدى فان العرب تستعمل يهدى بمعنى يهتدى فتقول هديته فهدى اى فاهتدى ﴿قوله او لايهدى غيره﴾ عطف على قوله يهتدى فى قوله ام الذى لايهتدى ﴿قوله وهذا حال اشراف شركائهم﴾ جواب عما يقال من ان المراد من الشركاء فى هذه الآية الاصنام وانها

جمادات لاتقبل الهداية فكيف يصح ان يقال فى حقها الا ان يهدى وايضا كلمة من تستعمل فى ذوى العقول دون الجمادات فلايليق ان يقال فى حقها ام من لايهدى فالاقيل ان الله تعالى اكتفى فى بيان فساد مذهب مطلق اهل الشرك من عبدة الاوثان وغيرها بقوله تعالى قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده فانه لاشك ان المراد بالشركاء فيه مايتناول الاصنام وغيرها ثم بين فى هذه الآية فساد مذهب من اتخذ العقلاء الذين يقبلون الهداية اربابا كالملائكة والمسيح وعزير سقط الاشكال المذكور ﴿ قوله والاصل يهتدى ﴾ اى اصل كل واحدة من القرآئتين وهما قرآءة يهدى بفتح الياء والهاء وتشديد الدال وقرآءة يهدى بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال فلما ادغمت التاء فى الدال فيهما اجتمع الساكنان فحركت الهاء بفتحة التاء المدغمة فى احدى القرآئتين وحركت الهاء بالكسر فى القرآءة الاخرى لكون الكسر اصلا فى تحريك الساكن ﴿ قوله وروى ابوبكر ﴾ عن عاصم يهدى بكسر الياء والهاء اتباعا لحركة الياء بحركة الهاء وقيل هى على لغة تميم ﴿ قوله وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ﴾ بان ترك الهاء ساكنة على حالها بعد ادغام التاء فى الدال فجمع بين الساكنين ونسب الامام هذه القرآءة الى قالون عن نافع ثم قال ابو عمرو بالاشارة الى فتحة الهاء من غير اشباع فهو بين الفتح والسكون والفتحة مختلسة على اصل مذهبه اختيارا للتخفيف ثم قال وذكر على بن عيسى انه الصحيح والاجود من قرآءة نافع وقرئ الا ان يهدى بضم الياء وفتح الهاء والدال المشددة على بناء المفعول من باب التفعيل ﴿ قوله والمراد بالاكثر الجميع ﴾ لان ابقاءه على اصل معناه يدل على ان الاعتقاد بعضهم فيما ذهب اليه من قاعدة الشرك وان شركاءهم شفعاؤهم عندالله يستند على برهان وليس كذلك بل كلهم متفقون على اتباع الظن والتقليد ويجوز ان يكون الاكثر باقيا على اصل معناه ويكون التقييد به للاشارة الى ان الظن انما يتأتى ممن له نظر واستدلال وان بعضا منهم بمعزل عنه فضلا عن ان ينسب حكمه ومذهبه الى البرهان ﴿ قوله تعالى وما كان هذا القرآن ان يفترى ﴾ لما تقدم قول اهل مكة ويقولون لولا انزل عليه آية وذكروا ذلك لاعتقادهم ان القرآن ليس بمعجز وانه صلى الله عليه وسلم انما اتى بهذا القرآن افتراء على الله تعالى وماهو وحى نازل عليه من عندالله تعالى احتج على صحة هذا الكلام بقوله قل فأتوا بسورة مثله وذلك يدل على انه معجز لايتأتى ان يكون من عند غيره تعالى ﴿ قوله افتراء من الخلق ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى ان يفترى فى محل نصب على انه خبر ما كان وانه فى تقدير المصدر اى ماينبغى لهذا القرآن ان يفترى به على الله تعالى لان المفترى هو الذى يأتى به البشر والقرآن معجز على كل حال لايقدر عليه البشر والافتراء فى الاصل افتعال من فريت الاديم اذا قدرته للقطع ثم استعمل فى الكذب واحتج على ان القرآن من عندالله تعالى بكونه مطابقا مصدقا لما تقدمه من الكتب الالهية وكل واحد من الكتب السابقة وان تعين صدقه بان صدق الله تعالى مبلغه بان اظهر على يديه من المعجزات القاهرة لكن ليس شئ من تلك الكتب معجزا مصدقا لنفسه بخلاف هذا القرآن الكريم المشتمل على اقاصيص الاولين فانه قد بلغ الينا من قبل رجل لم يكتب ولم يقرأ شيأ من المدونات ولم يخالط احدا من العلماء مشتملا على نفائس علم الاصول وحقائق علم الاحكام ولطائف علم الاخلاق واسرار قصص الاولين وعجز عن معارضته العلماء والفصحاء والبلغاء مع غاية عداوة اهل عصره فلو لم يكن مافيه من قصص الاولين موافقا لما فى التوراة والانجيل لقدحوا فيه ولبالغوا فى الطعن فيه قائلين ان ماجئت به من الاقاصيص غير مطابق لما اخبر الله تعالى فلما لم يقل احد منهم ذلك مع شدة حرصهم على الطعن علم انه صلى الله عليه وسلم اتى بتلك الاقاصيص مطابقة لما فى الكتب المتقدمة مع انه صلى الله عليه وسلم ماطالع شيأ منها وذلك يدل على انه صلى الله عليه وسلم انما اخبر عن هذه الاشياء بوحى من الله تعالى فاذا ثبت ان القرآن العظيم مصدق لنفسه بسبب كونه معجزا ثبت انه مصدق للكتب المتقدمة عيار عليها شاهد على صحتها وصحتها بسبب كون مضمونه مطابقا لمضمون تلك الكتب ﴿ قوله لكونه معجزا دونها ﴾ جواب عما يقال كما ان القرآن دال على نزول الكتب المتقدمة وعلى اخبار الاولين كذلك الكتب المتقدمة دالة عليها فكما ان القرآن مطابق لها كذلك هى مطابقة له فكيف حكم بان القرآن مصدق لها دون العكس ووجهه بان القرآن معجز دونها فهو صالح لان يكون حجة وبرهانا لغيره لا العكس وقرأ الجمهور تصديق وتفصيل بالنصب لوجهين الاول انه خبر كان المقدرة اى ولكن كان تصديقا والثانى انه مفعول له لفعل مقدر اى ولكن انزل للتصديق ﴿ قوله وتفصيل ماحقق واثبت ﴾ على ان الكتاب من كتب

وقرأ ابن كثير وورش من نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى للمبالغة (فما لكم كيف تحكمون) بما يقتضى صريح العقل بطلانه (وما يتبع اكثرهم) فيما يعتقدون (الا ظنا) مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمى منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف (ان الظن لايغنى من الحق) من العلم والاعتقاد الحق (شيأ) من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز (ان الله عليم بما يفعلون) وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان (ماكان هذا القرآن ان يفترى من دون الله) افتراء من الخلق (ولكن تصديق الذى بين يديه) مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولايكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدر او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزل الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق (وتفصيل الكتاب) وتفصيل ماحقق واثبت من العقائد والشرائع (لاريب فيه) منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم الاستدراك

ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وان يكون استئنافا (من رب العالمين) خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق
او بتفصيل ولاريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما او يجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير فى فيه ومساق الآية بعد المنع من اتباع
الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه (ام يقولون) بل ايقولون (افتراه) محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار (قل فأتوا بسورة مثله) فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة واشد تمرنا فى النظم والعبارة (وادعوا من استطعتم) ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به (من دون الله) سوى الله فانه وحده قادر على ذلك (ان كنتم صادقين) انه اختلقه (بل كذبوا) بل سارعوا الى التكذيب (بما لم يحيطوا بعلمه) بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم (ولما يأتهم تأويله) ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدى فرازوا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا (كذلك كذب الذين من قبلهم) انبياءهم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم (ومنهم) ومن المكذبين (من يؤمن به) من يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره (ومنهم من لا يؤمن به) فى نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر (وربك اعلم بالمفسدين) بالمعاندين او المصرين (وان كذبوك) وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة (فقل لى عملى ولكم عملكم) فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا (انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون) لاتؤاخذون بعملى ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف

بمعنى فرض وقدر وحكم قال الشاعر

يابنت عمى كتاب الله اخرجنى ۞ عنكم وهل امنعن الله مافعلا ۞

والناس اختلفوا فى ان القرآن معجز من اى الوجوه فقال بعضهم انه معجز لاشتماله على الاخبار عن العلوم الكثيرة واليه الاشارة بقوله وتفصيل الكتاب من الاحكام والشرائع فى كل باب ﴿قوله ويجوز ان يكون حالا من الكتاب﴾ ولما ورد ان يقال كيف جاز مجئ الحال من المضاف اليه والحال انما يبين هيئة الفاعل او المفعول به اجاب عنه بقوله فانه مفعول فى المعنى فكأنه قيل كان تفصيل الكتاب منتفيا عنه الريب وان كان مستأنفا لايكون له محل من الاعراب وان كان قوله من رب العالمين متعلقا بتصديق او بتفصيل بطريق التنازع يكون قوله لاريب فيه اعتراضا بين العامل ومعموله ﴿قوله بل ايقولون﴾ اشار قال ان ام هذه منقطعة مقدرة ببل والهمزة فاضرب عن الكلام الاول واخذ فى انكار قولهم انه صلى الله عليه وسلم اختلق هذا القرآن من عند نفسه ثم افتراه على الله تعالى ثم احتج عليهم بانه يقول ان كان الامر كما تزعمون فأتوا بسورة مثله فان لم يقدر الواحد والاثنين منكم فى استخراج مايعارض القرآن فاجتمعوا وليعن بعضكم بعضا فى هذه المعارضة مع انه لم يقدر ولو اجتمع الانس والجن بعضهم ظهيرا لبعض لان قدرة البشر عاجزة عنها فعلم ان نظمه وتنزيله ليس الامن قبل الله تعالى ﴿قوله بل سارعوا الى التكذيب﴾ فسر بل كذبوا بقوله بل سارعوا الدلالة قوله بما لم يحيطوا او لما يأتهم على المسارعة فان تكذيب الكلام قبل الاحاطة بمعانيه مسارعة اليه فى اول الوهلة فان التصديق والتكذيب بالشئ ينبغى ان يكون بعد العلم به والاحاطة بكنهه ومعرفة مآله ومرجعه والاكان مسارعا اليه فى غير اوانه ومعنى الاضراب فى بل ذمهم على التقليد وترك التشريع المتمكن منه كانه قيل دع تحديهم والزامهم فانهم لايتأهلون للخطاب لانهم مقلدون متهافتون فى الامر لاعن خبر وتعقل فان كان قوله ولم يحيطوا به علما عبارة عما يؤول اليه نظم القرآن من المعانى يكون وجه الذم انهم سارعوا الى تكذيبه قبل الاحاطة به علما فيعرفوا اعجاز نظمه وقبل ان يعرفوا مآله ومرجعه من المعانى فان القرآن كما انه معجز من جهة حسن نظمه كذلك هو معجز من جهة اشتماله على ما فيه من المعانى وان كان مالم يحيطوا عبارة عما جهلوه مما يخالف دينهم وكان تأويله عبارة عما يؤول اليه ما فيه من الاخبار بالغيوب كان وجه الذم انهم يسارعون الى تكذيب كل واحد منهم قبل ان يتبين لهم حقيقة الاول بالنظر فى دلائل حقيته وحقيقة الثانى ايضا بدلائله وبحصول المآل ووقوع تلك المغيبات قال الامام محيى السنة رضى الله تعالى عنه ولما يأتهم تأويله اى عاقبة ما وعد الله تعالى فى القرآن من انه يؤول اليه امرهم من العقوبة يريد انهم لم يعلموا ما يؤول اليه امرهم ﴿قوله فرازوا﴾ اى جربوا تقول رزته اروزه روزا اى جربته وخبرته ﴿قوله ومعنى التوقع فى لما﴾ فانه يدل على ان الفعل المنفى به امر متوقع لما قيل انه لنفى ما قد يفعل وكلمة لم لنفى ما فعل يعنى انه اتى بكلمة التوقع فى قوله تعالى ولما يأتهم تأويله لدلالة على ان اتيان المرجع والمآل وحصول العلم بحقيقة الحال كان امرا متوقعا منتظرا ومع ذلك سارعوا الى التكذيب لقلة ثباتهم وغلبة اتباع الآباء على طباعهم ﴿قوله ولما فيه من ايهام الاعراض﴾ اشار الى انه ليس بمنسوخ حقيقة لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول هذه الآية اختصاص كل احد بافعاله وبثمرات افعاله من الثواب والعقاب وذلك لايقتضى حرمة القتال فان آية القتال ما رفعت شيأ من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا ۞ واعلم انه تعالى قسم الكفار فى هذه الآية قسمين منهم من يؤمن به ومنهم من لايؤمن به ثم قسم من لايؤمن به قسمين منهم من يكون فى نهاية البغض له صلى الله عليه وسلم والعداوة ونهاية النفرة من قبول دينه ومنهم من لايكون كذلك فوصف القسم الاول فقال منهم من يستمع كلامك مع انه يكون كالاصم من حيث لاينتفع البتة بذلك الكلام ومنهم من ينظر اليك ويعاين فيك شواهد نبوتك ولكن لايصدقك كالاعمى الذى لايشاهد محاسن صاحبه شبه المكذبين الذين اصروا على الكذب وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منعهم عن ادراك محاسن كلامه ومعاينة دلائل نبوته كما يمنع الصمم فى الاذن من ادراك محاسن الكلام ويمنع العمى فى العين عن مشاهدة محاسن الصور فلما شبههم بالصم والعمى فرع عليه وجوب التبرى منهم فقال تعالى افانت تسمع الصم او تهدى العمى يعنى انهم صاروا بسبب شدة عداوتهم وبغضهم ونفرتهم عنك بمنزلة الصم والعمى فكما لا يمكنك جعل الاصم سميعا والاعمى بصيرا فكذا لا يمكنك جعلهم اصدقاء يقبلون كلامك ويهتدون بدعوتك وارشادك والمقصود من نفس هذا الكلام اعلام الرسول صلى الله عليه وسلم بانهم قد بلغوا فى مرض

(العقل)

(ومنهم من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لايقبلون كالاصم الذى لايسمع اصلا (افانت تسمع الصم) تقدر على اسماعهم (ولوكانوا لايعقلون) ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لاتوصف به البهائم وهو لايتأتى الا باستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ماينتفع به البهائم من كلام الناعق (ومنهم من ينظر اليك) يعاينون دلائل نبوتك ولكن لايصدقونك (افانت تهدى العمى) تقدر على هدايتهم (ولوكانوا لايبصرون) وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لايدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبرى والاعراض عنهم (ان الله لايظلم الناس شيأ) بسلب حواسهم وعقولهم (ولكن الناس انفسهم يظلمون) بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان مايحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لايظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه (ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الاساعة من النهار) يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او فى القبور لهول مايرون والجملة التشبيهية فى موقع الحال اى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الاساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اى حشرا كأن لم يلبثوا قبله (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الاقليلا وهذا اوّل مانشروا ثم ينقطع التعارف لشدّة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كأن لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى يتعارفون على ارادة القول (وماكانوا مهتدين) لطرق استعمال مامنحوا من المعاون فى تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادّت بهم الى الردى والعذاب الدائم (واما نرينك) نبصرنك (بعض الذى نعدهم) من العذاب فى حياتك كما اراه يوم بدر (او نتوفينك) قبل ان نريك (فالينا مرجعهم) فنريكه فى الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك (ثم الله شهيد على مايفعلون) مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤدى شهادته على افعالهم يوم القيامة (ولكل امّة) من الامم الماضية (رسول) يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق (فاذا جاء رسولهم) بالبينات فكذبوه (قضى بينهم) بين الرسول ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فانجى الرسول واهلك المكذبين (وهم لايظلمون)

في (٣)

العقل الى حيث لايقبلون الصلاح والطبيب اذا رأى مريضا لايقبل العلاج اعرض عنه لانه يستوحش من عدم قبوله العلاج فكذلك وجب عليك ان تبرأ منهم ولاتنفعل من اصرارهم على التكذيب وهذا معنى قوله اى المصنف والآية كالتعليل للامر بالتبرى ﴿قوله وفيه تنبيه الخ﴾ اى فى ان استماع الاصم العديم العقل ابعد من استماع الاصم العاقل تنبيه على ان حقيقة الاستماع ليست عبارة عن مجرّد وصول الهوآء المكيف بكيفية الصوت الى الصماخ السليم والا لكان الاصم العاقل وغيره سوآء فى عدم الاستماع ولم يكن استماع غير العاقل ابعد من استماع العاقل بل هى متوقفة على سلامة كل واحد من الصماخ والعقل واستماع واحد منهما على وجه يؤدى الى ارتسام المعنى المقصود من الكلام فى المدركة فلذلك كان الاستماع بعيدا منكرا بمجرّد تحقق الصمم وانتفاء سلامة الصماخ وعند انتفاء كل واحد منهما كان ابعد واتم فى كونه منكرا كما قال تعالى افانت تسمع الصم ولوكانوا لايعقلون ﴿قوله بسلب حواسهم﴾ لما حكم الله عليهم بانهم مسلوبوا العقل والحواس فلا يدركون حسن الايمان ولايقبلونه ولايسمعون كلام الداعى سماع قبول ولايبصرون شواهد صدقه فى دعوى النبوّة رؤية اعتبار واستبصار قال ان الله لايظلم الناس بسلبها لانه متصرف فى ملك نفسه ومن كان كذلك لم يكن ظالما ثم قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل اليهم منسوب بسبب الكسب وليس هذا مسلوب الاختيار بالكلية كما ذهب اليه الجبرية وقرأ حمزة والكسائى بتخفيف ولكن ومن ضرورة ذلك كسر النون لالتقاء الساكنين ووصلا ورفع الناس لبطلان العمل بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد ونصب الناس ولما وصف الله تعالى الكفار بقلة الاصغاء وترك التدبّر اتبعه بالوعيد فقال تعالى ويوم يحشرهم ويوم منصوب بفعل مقدّر اى اذكر ماحدث يوم او يتعارفون اى يتعارفون يوم يحشرهم ﴿قوله او صفة﴾ اى ويوما مشبها اهله بمن لم يلبث قبله الاساعة واندفع بهذا التقدير مايرد من ان هذه الجملة كيف تكون صفة مع ان مضمونها وصف المحشورين لاوصف يوم حشرهم ولابدّ من مثل هذا التقدير على تقدير ان تكون الجملة المذكورة صفة لمصدر المحذوف اى حشرا كأن المحشورين لم يلبثوا وقرأ حفص يحشرهم بياء الغيبة على اسناد الفعل الى ضمير الجلالة فى قوله ان الله لايظلم والباقون بنون العظمة ﴿قوله يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا او فى القبور لهول مايرون﴾ فان مايشاهده الكفار من اهوال الآخرة اشدّ الشدآئد واقصاها والعياذ بالله والانسان اذا عظم خوفه نسى الامور الظاهرة وايضا يستقلون ذلك اللبث فى جنب لبثهم فى موقف الحساب وفى سائر مواقف الآخرة ﴿قوله يعرف بعضهم بعضا﴾ كما كانوا يعرفون فى الدنيا فكانهم لم يتفارقوا بسبب الموت الاقدة قليلة لاتؤثر فى زوال ذلك التعارف فلو ورد ان يقال فاوجه التوفيق بين هذا التعارف وبين قوله تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولايتساءلون اشار الى جوابه بان حمل الآتين على الحالتين فانهم يتعارفون اذا بعثوا ثم ينقطع التعارف اذا عاينوا العذاب ويتبرأ بعضهم من بعض والجملة حال اخرى من مفعول يحشرهم اى يحشرهم مشبهين متعارفين وهى حال مقدّرة لان التعارف يكون حال الحشر او بيان لكونهم مشبهين بمن لم يلبث الاساعة لان التعارف لايبقى مع طول العهد وينقلب الامر به الى التناكر لشهادة على خسرانهم يعنى ان هذه الجملة ليست من مقالة الكفار المحشورين بل هى كلام الهى مسوق للشهادة عليهم بالخسران والتكذيب بلقاء الله وعبارة عن ايثار الحظوظ الدنيوية العاجلة الخسيسة الفانية على السعادة الاخروية الشريفة الباقية فكأنه قيل قد خسر من باع آخرته بالدنيا ثم قال ويجوز ان يكون الخ والتقدير ويوم يحشرهم حال كونهم متعارفين وحال كونهم قائلين قد خسر الذين كذبوا فيكون حكمه كحكمه فى الوجهين المذكورين ويجوز ان يكون معطوفا على صلة الذين فيكون كالتأكيد لجملة الصلة لان من كذب بلقاء الله غير مهتد الى رعاية مصالح ماهو فيه من التجارة فيضيع رأس المال خائبا من الخير بالكلية ﴿قوله وهو جواب نتوفينك﴾ جعل فى الكلام شرطين لهما جوابان جواب الاوّل محذوف وجواب الثانى مذكور والتقدير واما نرينك بعض الذى نعدهم اى مانعدهم من العذاب فى الدنيا فذلك هو المأمول او ان نتوفينك قبل ان نريك ذلك الموعود فانك تراه فى الآخرة ولاحاجة الى ارتكاب حذف الجواب لان قوله فالينا مرجعهم صالح لان يكون جوابا للشرط وماعطف عليه ﴿قوله ولذلك رتبها على الرجوع بثم﴾ ولوكان المراد من الشهادة نفسها لما صح الترتيب المذكور لانه تعالى شهيد على مايفعلونه من التكذيب والمجازاة حال رجوعهم اليه تعالى وقبله ﴿قوله فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه﴾ يعنى الكلام فيه الاضمار فاذا جاء رسولهم فبلغهم رسالته

ودعاهم الى الحق فكذبوه فحذف ماحذف للعلم به والتقدير بمعونة المقام ماتبين الله تعالى حال نبينا مع قومه تبين ان حال كل الانبياء مع اقوامهم كذلك * فان قيل كيف يصح ان يقال انه تعالى ما اهمل امة من الامم قط بل بعث الى كل واحدة منهم رسولا ينذرهم من المخالفة مع ان زمان الفترة ليس فيه رسول كما يشهد عليه قوله تعالى لتنذر قوما ما اتاهم من نذير وقوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم * والجواب ان عموم قوله تعالى ولكل امة رسول يقتضى ان يكون الرسول حاضرا مع كل واحدة منهم لان تقدم الرسول على بعض منهم لايمنع من كونه رسولا الى ذلك البعض كما لايمنع تقدم رسولنا صلى الله عليه وسلم من كونه مبعوثا الينا الى آخر الابد غاية مافى الباب ان ماوقع من تخليط القوم فى زمن الفترة مؤد الى ضعف اثر دعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيه ﴿قوله استبعادا له واستهزآء به﴾ يعنى ان من جملة شبه منكرى النبوة انه صلى الله عليه وسلم كلما هددهم بنزول العذاب ومر زمان ولم يظهر ذلك العذاب قالوا له متى هذا الوعد واحتجوا بعدم ظهوره على حسب القدح فى نبوته فان معنى الاستفهام فى متى الاستعجال بمعنى طلب العجل والمقصود من هذا الاستعجال هو استبعاد الموعود وانه مما لايكون وانه يستهزأ به فامره الله تعالى بان يجيب عن هذه الشبهة بجواب يحسم مادة الاشكال فقال قل لااملك لنفسى الآية والمراد ان انزال العذاب على الاعدآء واظهار النصرة للاولياء لايقدر عليه الا الله تعالى وانه تعالى ماعين لذلك الوعد والوعيد وقتا معينا ثم اختلف ماوعد او اوعد فى ذلك الوقت حتى يرد الاشكال وان وقت كل حادث انما يتعين فى علم الله تعالى فاذا حضر الوقت الذى وقته الله تعالى لحدوث ذلك الحادث فانه لابد وان يحدث فيه ويمتنع ان يتقدم عليه او يتأخر عنه ﴿قوله الا ماشاء الله ان املكه﴾ او اقدر عليه ويحتمل ان يكون منقطعا والتقدير ولكن ماشاء الله من ذلك يعنى ان هذا الاستثناء يجوز ان يكون متصلا والتقدير الا ماشاء الله ان املكه او اقدر عليه وان يكون منقطعا والتقدير ولكن ماشاء الله من ذلك النفع والضر فيكون هذا التقدير تصويرا لمعنى الانقطاع لان قوله من ذلك اشارة الى النفع والضر فانه كائن بمشيئة الله تعالى لا بان املكه واقدر عليه مستقلا بدون حصوله بمشيئة الله حتى يكون الاستثناء متصلا فيكون الاستثناء من فاعل لااملك على تقدير ان يكون منقطعا وتقديره لااملك انا ولكن الله تعالى هو المالك لكل مايشاء يفعله بمشيئته ﴿قوله تعالى لكل امة اجل﴾ اى مدة مضروبة لهلاكهم على وجه الاستئصال جزآء على تكذيبهم رسلهم فان الظاهر ان يكون المراد بقوله لكل امة اجل الامة الذين اجترؤا على تكذيب الرسل وقرينة التخصيص بالامم الماضية كونه فى جواب قول المشركين متى هذا الوعد ومتى هذا الحكم لان الحكم المذكور لايعم امتنا بالحديث ويحتمل ان يكون المعنى لكل امة عدة مضروبة لفناء عمر كل واحد منهم فمدلول الآية ان احدا لايموت الا بانقضاء اجله والمعنى الاول انسب لقوله ولكل امة لانه لوكان المراد المعنى الثانى لكان الظاهر ان يقال ولكل احد بدل امة ﴿قوله ان اتاكم عذابه الذى تستعجلون به﴾ الاستفهام المذكور بقولهم متى هذا الوعد يدل على ان معنى الكلام قل لهم يامحمد اخبرونى من عذاب الله ان اتاكم اى شئ تستعجلون به وليس شئ من العذاب يستعجل به لمرارته وشدة اصابته فهو مقتضى لنفور الطبع منه وهو استفهام معناه التفظيع والتهويل كما تقول لمن هو فى امر تستوخم عاقبته ماذا تجنى على نفسك ﴿قوله وقت بيات﴾ اشارة الى ان قوله تعالى اتاكم بياتا من قبيل قولهم آتيك صياح الديك وان البيات اسم بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بات بيتوتة وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا كما يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا ﴿قوله اى شئ من العذاب﴾ قد تقرر ان ماذا فيه وجهان ان يكون اسمين بمعنى ما الذى وان يكون اسما واحدا بمعنى اى شئ ولا يجوز ان يكون المراد ههنا ما الذى لان الضمير فى منه للعذاب فلو كان بمعنى ما الذى لخلت الصلة من ضميره فلذا حمله على اى شئ والتنكير فيه اما للوحدة النوعية او للتهويل فان كان للوحدة فالمعنى اى نوع من العذاب يستعجلونه وعلى هذا تكون كلمة من فى منه للتبعيض او للتبيين وان كان للتهويل فالمعنى اى شئ هائل شديد يستعجلون منه فمن حينئذ تجريدية جرد من العذاب شئ هائل شديد يتعجب منه ومن شدته هوله كل من رآه او احسه وهو العذاب نفسه لا الفرد منه او النوع وكونها للتجريد عائد الى كونها للبيان لان ماجرد من العذاب وهول ذلك الامر المتعجب منه صادق على جنس العذاب مبين له بخلاف ماذا كانت للوحدة فان كان قوله منه بمعنى من جنس العذاب فهى للبيان وان كان بمعنى من انواع العذاب فهى للتبعيض ﴿قوله وهو متعلق بارأيتم﴾ يعنى ان قوله ماذا يستعجل

وقيل معناه لكل امة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضى بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيئ بالنبيين والشهدآء وقضى بينهم (ويقولون متى هذا الوعد) استبعادا له واستهزآء به (ان كنتم صادقين) خطاب منهم للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا) فكيف املك لكم فاستعجل فى جلب العذاب اليكم (الا ماشاء الله) ان املكه او ولكن ماشاء الله من ذلك كائن (لكل امة اجل) مضروب لهلاكهم (اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم (قل ارأيتم ان اتاكم عذابه) الذى تستعجلون به (بياتا) وقت بيات واشتغال بالنوم (او نهارا) حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم (ماذا يستعجل منه المجرمون) اى شئ من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبرونى

متعلق الاستخبار فان ارأيتم استخبار المعنى ارأيتم اخبرونى فيستدعى مفعولا يتعلق هو به وهو جملة الاستفهام فيكون الشرط مع جوابه المحذوف مقررا لمضمون الاستخبار ولذلك وسط بين جملة الاستخبار ومتعلقه ولما كان فى هذا الاستفهام تجهيل لهم وتنديم قدر الجواب تندموا على الاستعجال اوتعرفوا الخطأ فيه ولا مانع من تقدير مايفيد المعنيين ولهذا حذف الجواب ووسط تأكيدا على تأكيد ثم قيل زيادة تنديم وتجهيل اذا وقع العذاب آمنتم به وعاد استهزاؤكم وتكذيبكم تصديقا واذعانا حتى يتم زيادة على زيادة الاستبعاد وفيه ان هذا الثانى ابعد من الاول وادخل فى الانكار وظهر من هذا التقدير انه لا يرد ان يقال فى قوله وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال اوتعرفوا الخطأ فيه ولا مانع من تقديرهما معا اذ تقدير مايفيد المعنيين ليس بسديد بناء على ان الجواب المقدر لايكون الامايدل عليه ماتقدمه لفظا اوتقديرا فلو قيل انت طالق ان فعلت كذا يكون تقديره ان فعلت كذا فانت طالق فينبغى ان يجعل تقدير الآية ان اتاكم عذابه فاخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون تجهيلا لهم وتنديما ﴿ قوله ويجوز ان يكون الجواب ماذا ﴾ ويكون الجملة الشرطية متعلقة بارأيتم والمعنى اخبرونى ان اتاكم عذابه بياتا اونهارا فاى شئ يستعجل منه المجرمون * قيل عليه فى جعل جواب الشرط جملة الاستفهام جواب الشرط بدون الفاء محل بحث فان جواب الشرط اذا كان استفهاما فلا بد فيه من الفاء تقول ان زارنا فلان فاى شئ نصنع معه ولا يجوز حذفها الافى ضرورة وما ذكره من المثال وهو ان اتيتك ماذا تعطينى فهو من مثله لامن كلام العرب * وقيل ايضا فى جعل ماذا يستعجل جواب الشرط اشكال وهو ان استعجال العذاب قبل اتيانه فكيف يكون مرتبا عليه جزاء له * واجيب بانه لاشك ان الاستعجال ماض بالنسبة الى العذاب فلايجوز ان يكون قوله ماذا يستعجل بمعنى الحال حقيقة بل يكون حكاية عن الحال الماضية اى ماذا كنتم تستعجلون لكن مجرد هذا ايضا لايكون جوابا لان الاستعجال السابق لايترتب على اتيان العذاب فلا بد من تقدير وهو ان يقال ان اتاكم عذابه فحينئذ تعلمون لاى شئ تستعجلون ﴿ قوله اوبقوله تعالى اثم اذا ماوقع آمنتم به ﴾ لما كان ظاهر العطف يدل على ان المراد كون الجملة الشرطية متعلقة بقوله أثم اذا ماوقع تعلق المفعولية وليس بمراد فسر المراد بقوله بمعنى اى ان اتاكم عذابه الخ ويجوز ان يكون الجواب قوله أثم اذا ماوقع وتكون الجملة الشرطية متعلقة بارأيتم ايضا ويكون قوله ماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا بين الشرط وجوابه ويكون المعنى واخبرونى ان اتاكم عذابه بياتا اونهارا اووقع وتحقق آمنتم به بعد وقوعه ثم جيء بحرف التراخى بدل الواو للدلالة على تأخر الايمان عن وقوع العذاب والجزاء لايترتب على الشرط بكلمة ثم وانما يترتب عليه بالفاء الاانه اجرى ثم ههنا مجرى الفاء لان ثم ايضا يفيد الترتب مع زيادة التراخى المناسب لمقام التوبيخ ﴿ قوله اى قيل لهم ان آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به ﴾ اشارة الى ان الآن منصوب بفعل مضمر تقديره آمنتم آلآن آمنتم ودل على هذا الفعل المقدر الفعل الذى تقدمه وهو قوله اثم اذا ماوقع آمنتم به آلآن ولايجوز ان يعمل فيه آمنتم الظاهر لان ماقبل الاستفهام لايعمل فيما بعده كما ان مابعده لايعمل فيما قبله لان له صدر الكلام وهذا الفعل المقدر ومعموله مقول قول مقدر كما صرح به وقدر القول والفعل الناصب لقوله آلآن بلفظ الماضى ليطابق ماقبله وهو اذا ماوقع آمنتم ومابعده وهو قوله ثم قيل وهذه الاشياء لم تكن بعد بقرينة ماسبق من قوله تعالى قل ارأيتم ان اتاكم عذابه وعبر عنها بالفعل الماضى تنبيها على انها كائنة لامحالة والمعنى ثم قيل لهم ذوقوا هذا العذاب فانه لكم لايزول حيث تصيرون الى القبر فتعذبون ثم تبعثون فتحشرون الى جهنم فتعذبون فيها ابدا ثم انه تعالى انما ذكر العذاب الشديد ذكر بعده هل تجزون الا بما كنتم تكسبون تنبيها على ان رحمته سابقة على غضبه وانه لم يخلق عباده الاليرحمهم ويتفضل عليهم وان هذا العذاب الشديد المؤلم لم يصدر منه ابتداء بل هو نتيجة عملهم الباطل بمنزلة الهلاك المرتب على تناول السم ﴿ قوله احق هو ﴾ سألوا اولا عن زمان وقوعه وههنا سألوا عن تحققه نفسه ولهذا اختلف جوابهما فاجاب عن الاول بقوله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم * واجاب عن الثانى بتحققه مؤكدا بالقسم حيث قال اى وربى انه لحق ﴿ قوله والضمير ﴾ الذى هو لفظ هو مرتفع بانه فاعل احق فانه صفة مشبهة بمعنى ثابت خبر واقع فيرفع الفاعل وهذا الفاعل ساد مسد الخبر ويجوز ان يكون خبرا مقدما وهو مبتدأ مؤخرا وجملة احق فى محل النصب على انها مفعول ثان ليستنبئونك فان انبأ بمعنى اخبر فيتعدى الى اثنين والاشهر ان يتعدى الى الثانى بكلمة عن بان يقال استنبأت زيدا عن

والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغى ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال اوتعرفوا خطأه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطينى وتكون الجملة متعلقة بارأيتم اوبقوله (اثم اذا ماوقع آمنتم به) بمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لاينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير (آلآن) على ارادة القول اى قيل لهم ان آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام (وقد كنتم به تستعجلون) تكذيبا واستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المقدر (ذوقوا عذاب الخلد) المؤلم على الدوام (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) من الكفر والمعاصى (ويستنبئونك) ويستخبرونك (احق هو) احق ماتقول من الوعد وادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي ابن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة فى موضع النصب بيستنبئونك

(قل اى وربى انه لحق) ان العذاب لكائن او ما أدعيه لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واى بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك

يوصل بواوه فى التصديق فيقال اى والله ولا يقال اى وحده (وما انتم بمعجزين) بفائتين العذاب (ولو ان لكل نفس ظلمت) بالشرك او التعدّى على الغير (ما فى الارض) من خزآئنها واموالها (لافتدت به) لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه (واسرّوا الندامة لما رأوا العذاب) لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسرّوا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سرّ الشئ لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سرّ الشئ واسرّه اذا اظهره (وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) ليس تكريرا لان الاوّل قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثانى مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم (الا ان لله ما فى السموات والارض) تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب (الا ان وعد الله حق) ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه (ولكن اكثرهم لا يعلمون) لانهم لا يعلمون لقصور عقولهم الا ظاهرا من الحياة الدنيا (هو يحيى ويميت) فى الدنيا فهو يقدر عليهما فى العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادّة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما ابدا (واليه ترجعون) بالموت او النشور (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) اى قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة فى المحاسن والزاجرة عن القبائح وللحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم (قل بفضل الله وبرحمته) بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله (فبذلك فليفرحوا) فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا

عمرو اى طلبت منه ان يخبرنى عن عمرو وقد يعدّى اليهما بنفسه ﴿ قوله واى بمعنى نعم ﴾ اى حرف جواب مثل نعم الا انه لا يجاب به الا مقرونا بالقسم قال صاحب الكشاف سمعتهم فى التصديق يوصلونه بواو القسم ﴿ قوله بمعجزين بفائتين العذاب ﴾ اى ما انتم بمعجزين ربكم حين اراد ان يعذبكم حتى يفوتكم العذاب عن ابن عباس رضى الله عنهما يريد ان الله لا يعجزه شئ ولا يفوته شئ ثم اخبر الله تعالى عن حالهم حين ينزل بهم العذاب فقال ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض بالكفر والاشراك والافتدآء يجئ بمعنيين مطاوع فداه فيكون لازما يقال فديته فافتدى ويكون بمعنى فداه فيتعدّى الى واحد يقال فداه وافتداه اذا اعطاه فداءه وهو فى الآية بالمعنى الثانى لان النفس الظالمة هى المعطية لفدآئها ﴿ قوله لانهم بهتوا ﴾ اى صاروا متحيرين بما رأوه من العذاب الشديد فلا يطيقون عنده كلاما ولا بكاء ولا صراخا ولا يبقى لهم الا اخفاء الندامة كمن يذهب به ليصلب فانه يبقى مبهوتا لا ينطق بكلمة وقيل اسرار الندامة كناية عن اخلاصها لله تعالى فان من اخلص فى العمل استر ادخيرا واسرّ جعلها خالصة صافية عن شوب ضدّها بناء على ان الاخفاء من لوازم كون الشئ صافيا هذا على تقدير ان يكون الاسرار بمعنى الاخفاء وهو المشهور فى اللغة واسرّ من الاضداد يستعمل بمعنى اظهر ايضا على معنى ان ليس لهم هناك قوّة اخفاء فاظهروها لضعفهم وفى الكشاف سرّ الشئ واسرّه اذا اظهره ﴿ قوله والثانى مجازاة المشركين على الشرك ﴾ قال الامام قضى بينهم قيل بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال العقوبة عليهم وقيل ان الكفار وان اشتركوا فى العذاب فانه لابد ان يقضى الله بينهم لانه لا يمتنع ان يكون قد ظلم بعضهم بعضا فى الدنيا وخانه فيكون ذلك القضاء تخفيفا من عذاب بعضهم وتثقيلا لعذاب الباقين لان العدل يقتضى ان ينتصف للمظلومين ولا سبيل اليه الا ان يخفف من عذاب المظلومين ويثقل فى عذاب الظالمين ثم انه تعالى لما اوعد الظالمين بقوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت قرر قدرته على الاثابة والعقاب بقوله الا ان لله ما فى السموات والارض وقيل انه لما اراد ان الظالم لو ملك خزآئن الارض واموالها لافتدى بها بين فى هذه الآية العظيمة ان الظالم ليس له شئ يفتدى به فان الاشياء باسرها ملك خاص لله تعالى لا يتصرف فيه غيره قال تعالى وكلهم آتيه يوم القيامة فردا قال الامام فى قوله الا ان لله ما فى السموات والارض دقيقة وهى ان كلمة الا انما تذكر لتنبيه الغافلين واهل هذا العلم مشغولون بالنظر الى الاسباب الظاهرة فيضيفون الاشياء الى ملاكها الظاهرة المجازية فيقولون الدار لزيد والغلام لعمرو والسلطنة للخليفة والتصرف للوزير ونحو ذلك فكانوا مستغرقين فى نوم الجهل والغفلة حيث يظنون صحة تلك الاضافات فلذلك نادى الحق تعالى هؤلاء الغافلين بقوله تعالى الا ان لله ما فى السموات والارض لانه قد ثبت ان جميع ما سواه ممكن لذاته وان الممكن لذاته مستند للواجب لذاته اما ابتدآء او بواسطة فثبت ان جميع ما سواه مملوك له تعالى ثم انه تعالى لما قال ان القرآن من رب العالمين وما كان القرآن من دونه تعالى واثبت رسالته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فأتوا بسورة مثله وصف القرآن ههنا بصفات اربع وهى كونه موعظة وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين والعطف المعتبر فى هذه الآية من قبيل عطف الصفات المتغايرة بعضها على بعض مع اتحاد الذات واشار اليه المصنف بقوله قد جاءكم كتاب جامع الخ والموعظة مصدر بمعنى الوعظ وهو ارشاد المكلف ببيان ما ينفعه من محاسن الاعمال وما يضره من القبائح والترغيب فى المحاسن والزجر عن القبائح والعلم الكافل بهذا البيان هو الحكمة العملية التى هى الموعظة وكونه شفاء لاشتماله على الحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى الصدور من الامراض القلبية ﴿ قوله بانزال القرآن ﴾ اشارة الى ان فضل الله ورحمته عبارتان عن انزال القرآن لان هذه الآية متصلة بالآية الاولى وهى فى ذكر القرآن وقد وصفه الله تعالى بالرحمة فى الآية وقال فى آية اخرى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته الى ان قال ذلك فضل الله كانه قيل قل يا محمد لهؤلاء الذين همتهم جمع الاموال والتزين بزخارف الدنيا بفضل الله وبرحمته افرحوا لا بالاموال والحظوظ الفانية السريعة الزوال روى انه صلى الله عليه وسلم قال بفضل الله وبرحمته اى بكتاب الله والاسلام ﴿ قوله والباء متعلقة بفعل يفسره فليفرحوا ﴾ اعنى ان قوله تعالى بفضل الله وبرحمته لابدّ له من متعلق ومتعلقه لا يكون فليفرحوا المذكور لانه متعلق لقوله فبذلك فلابدّ ان يتعلق بمقدر والمقدر لابدّ له من قرينة تدل عليه ولا قرينة سوى الفعل المذكور بعد قوله فبذلك وذلك الفعل وان كان متعلقا

(لقوله)

لقوله فبذلك الان اسم الاشارة لما كان بمنزلة الضمير كان بمنزلة ان يقال فبهما فليفرحوا وهو ظاهر واما كونه مفسرا بتقدير فليعتنوا فلان الفرح بالشئ انما يكون بالاعتناء بشأنه مع ان له قرينة اخرى وهى ان قوله تعالى فبذلك اشارة الى فضل الله ورحمته وقد تقدم على الفعل فتقديمه يدل على الاعتناء بشأنهما وتكرير الامر بتخصيص الفرح بالفضل والرحمة يفيد التأكيد لامحالة مع ان العامل اجمل فيما ذكره اولا وبين فى الثانى ولاشك ان تبيين شئ اجمل اوقع فى النفس والتقرير وايضا التكرير على الوجه الخاص والتكرير بتقديم المعمول على عامله يفيد ايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح بناسخ والمراد اختصاص الفرح بهما ﴿ قوله اوبفعل دل عليه قدجاءتكم ﴾ اشارة الى ان صاحب الكشاف فسرهما ويجوز ان يراد قدجاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اى فبمجيئها فليفرحوا فانه يدل على كونها متعلقة بجاءتكم المذكور ولاوجه للفصل بينه وبين الجار والمجرور ويحتمل ان يكون الفاء فيه للدلالة على ان ماذكر قبله من مجئ الكتاب الجامع للاوصاف المذكورة سبب موجب لفرحهم وعلى التقادير تكون الفاء الثانية تكريرا للاولى لقصد التأكيد كما فى قوله

لاتجزعى ان منفسا اهلكته ۞ واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى ۞

فان الفاء الاولى فيه جزائية والثانية تأكيد لها وقرأ الجمهور فليفرحوا بياء الغيبة وعن يعقوب فلتفرحوا بتاء الخطاب وهى قرآءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماروى عنه مرفوعا والاصل الامر سواء كان امر الغائب او امر المخاطب بان يكون باللام فاصل اضرب لتضرب لكنهم حذفوا اللام فى امر المخاطب لكثرة استعماله كما حذفوا حرف المضارعة ايضا لذلك تخفيفا ثم ادخلوا همزة الوصل احترازا عن الابتداء بالساكن وهذا معنى قول المصنف على الاصل المرفوض ﴿ قوله وقرأ ابن عامر تجمعون ﴾ بتاء الخطاب على انه خطاب للناس الذين خوطبوا بقوله يا ايها الناس قدجاءتكم وهم كفار مكة خاطبهم ثم قال لهم فبذلك فليفرح المؤمنون وانه خير مما تجمعون ايها الكفار والباقون بياء الغيبة على وفق فليفرحوا الا ان يفرحوا مسند الى ضمير المؤمنين ويجمعوا مسند الى ضمير الكفار او كلاهما مسند الى ضمير الكفار ﴿ قوله جعل الرزق منزلا ﴾ اى من السماء مع ان الارزاق انما تخرج من الارض اما لانه مقدر فى السماء كما قال تعالى وفى السماء رزقكم ولايخرج من الارض الاعلى حسب ماقدر فيها فصار ذلك كأنه منزل منها اولانه انما يخرج من الارض باسباب متعلقة بالسماء كالمطر والشمس والقمر فان المطر سبب الانبات والشمس سبب النضج والقمر سبب التلوّن ووجه اتصال الآية بماقبلها انه تعالى اثبت اوّلا نبوّته صلى الله عليه وسلم واجاب عن شبه اهل مكة فى انكار نبوّته واتبع ذلك شأن فساد طريقتهم فى شرآئعهم وبين ان التمييز بين هذه الاشياء بتحليل بعضها وتحريم البعض الآخر مع انه لم يشهد بذلك عقل ولانقل فرق باطل ومنهج فاسد والمقصود ابطال مذاهب القوم فى اديانهم وفى احكامهم وانهم ليسوا على شئ فى باب من الابواب ﴿ قوله ومافى موضع النصب بانزل اوبارأيتم ﴾ يريد ان كلة ما يجوز ان تكون موصولة بمعنى الذى منصوبة على انه مفعول اوّل لارأيتم والعائد محذوف والتقدير اخبرونى ما انزله الله ومفعوله الثانى هو قوله آلله اذن لكم والعائد من هذه الجملة الى المفعول الاوّل محذوف تقديره آلله اذن لكم فيه فان قيل قوله تعالى قل يمنع من كون الجملة بعده مفعولا ثانيا اجيب بان كلة قل فى قوله تعالى قل آلله اذن لكم هى قل المذكورة اوّلا كررت للتأكيد لانه لوحذف من الكلام وقيل قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا آلله اذن لكم فيه يتم الكلام بدونه فعلم بذلك انها انما ذكرت للتأكيد فلا تمنع كون مابعدها معمولا لماقبلها ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة المحل بانزل وهى حينئذ تكون متعلقة لارأيتم وتكون سادّة مسدّ المفعولين والمعنى اخبرونى اى شئ انزل الله من رزق فجعلتم والمقصود الانكار لتحريمهم الرزق ﴿ قوله ويجوز ان تكون المنفصلة ﴾ اراد قوله آلله اذن لكم فانه قد انفصل من قوله ارأيتم بتخلل كلة قل بينهما يريد انه قد سبق عليه شيئان احدهما ارأيتم والآخر قل فجاز فى قوله قل آلله اذن لكم امران الاوّل ان يكون متعلق الاستخبار ومفعوله والثانى ان يكون متعلق القول ومقوله فان علق بارأيتم فلابد ان تكون الهمزة فى آلله للاستخبار وتكون ام متصلة فان قيل الهمزة وام المتصلة سؤال عن تعيين احد الامرين وذلك يقتضى ان يكون كل واحد من الامرين محتملا ومن المعلوم انتفاء الاذن من الله تعالى فتعين كونهم مفترين على الله فكيف يسأل عن تعيين احدهما اجيب بان هذا السؤال ليس لطلب العلم بل هو للوعيد ولطلب الاقرار منهم على الافترآء والزام

وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قدجاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فبهما فليفرحوا او للربط بماقبلها والدلالة على ان مجئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى ۞ وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقدروى مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا (هو خير مما يجمعون) من حطام الدنيا فانها الى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون (قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق) جعل الرزق منزلا لانه مقدر فى السماء محصل باسباب منها وما فى موضع النصب بانزل او بارأيتم فانه بمعنى اخبرونى ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال (فجعلتم منه حراما وحلالا) مثل هذه انعام وحرث حجر ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرّم على ازواجنا (قل آلله اذن لكم) فى التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه (ام على الله تفترون) فى نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارأيتم وقل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترآئهم على الله (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب)

اى شئ ظنهم (يوم القيامة) ايحسبون ان لايجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى لانه كائن وفى ابهام الوعيد تهديد عظيم (ان الله لذو فضل على الناس) حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب (ولكن اكثرهم لايشكرون) هذه النعمة (وماتكون فى شأن) ولاتكون فى امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذاقصدت قصده والضمير فى (وماتتلو منه) له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول عليه الصلاة والسلام اولان القرآءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو (من قرآن) على ان من تبعيضية او مزيدة لتأكيد النفى او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله (ولاتعملون من عمل) تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ماقبه فخامة وذكر حيث عم مايتناول الجليل والحقير (الاكنا عليكم شهودا) رقباء مطلعين عليه (اذتفيضون فيه) تخوضون فيه وتندفعون (ومايعزب عن ربك) ولايبعد عنه ولايغيب عن علمه وقرأ الكسائى بكسر الزاى هنا وفى سبأ (من مثقال ذرة) موازن نملة صغيرة اوهباء (فى الارض ولافى السماء) اى فى الوجود والامكان فان العامة لاتعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولامتعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها (ولااصغر من ذلك ولااكبر الافى كتاب مبين) كلام برأسه مقرر لماقبله ولانافية واصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتدآء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (الاان اولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة (لاخوف عليهم) من لحوق مكروه (ولاهم يحزنون) بفوات مأمول والآية كمجمل فسره قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه (لهم البشرى فى الحياة الدنيا) وهو مابشر به المتقين فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم

الحجة عليهم فلامحذور وان علق بقل جاز ان تكون ام متصلة وهو ظاهر والتقدير قل آلله اذن لكم فى التحليل والتحريم وانكم تفعلون ذلك بحكمه ام تكذبون على الله فى نسبة ذلك اليه وان تكون منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله والهمزة للانكار على انه تعالى قرّر عليهم تحليله وتحريمه اوّلا ثم انكر عليهم ان يكون ذلك باذن الله تعالى ثم اضرب عنهم وقرّر افترآءهم ﴿قوله اى شئ ظنهم﴾ اشارة الى ان ما استفهامية فى محل الرفع على الابتدآء وظن خبرها ويوم منصوب بنفس الظن والمصدر مضاف الى فاعله ﴿قوله ولاتكون فى امر﴾ اشارة الى ان ما نافية وان الشأن بمعنى الامر ويجمع على شؤون ويكون الشأن بمعنى الحال ايضا ويقال ماشأن فلان بمعنى ماحاله وفى شأن خبر تكون والضمير فى منه راجع الى الشأن اما على تقدير ماتتلو حال كون القرآءة بعض شؤونك واما ان يحمل الكلام على حذف المضاف تقديره وماتتلو من اجل الشأن بان يحدث لك شأن تتلو القرآن من اجله كقوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا اى من اجل خطيئاتهم ﴿قوله او للقرآن﴾ اى ويكون ضمير منه للقرآن فتكون من تبعيضية والتى فى قوله من قرآن زآئدة فى سياق النفى واطلق القرآن على بعضه لان كل جزء منه قرآن وهو اسم للقدر المشترك بين الكل والجزء وان قلنا ان ضمير منه لله عزوجل تكون من ابتدآئية ولما اوعد الله الذين يفترون على الله الكذب بعذاب يوم القيامة بين كون علمه محيطا بعمل كل واحد من المطيعين والعصاة والمذنبين والخطاب وان خص به صلى الله عليه وسلم بحسب الظاهر الا ان الامة داخلون فيه لان رئيس القوم اذا خوطب دخل قومه فى ذلك الخطاب كما فى قوله تعالى ياأيها النبى اذا طلقتم النساء وقوله تعالى الاكنا عليكم شهودا جملة حالية وهو استثناء مفرّغ اى مايكون شئ مما ذكر فى حال من الاحوال الا فى حال كوننا مشاهدين مطلعين عليه وقوله اذتفيضون ظرف معمول لشهودا والافاضة الدخول فى العمل يقال افاض القوم فى العمل اذا اندفعوا فيه وافاضوا من عرفة اذا دفعوا منها لكثرتهم ﴿قوله موازن نملة صغيرة اوهباء﴾ اشارة الى ان قوله تعالى من مثقال ذرة فاعل يعزب وكلمة من فيه زآئدة وان الذرة عبارة من النملة الصغيرة او الهباء وان مثقالها عبارة عما يوازنها ويساويها فى الثقل ﴿قوله كلام برأسه﴾ اى غير معطوف على ماقبله لانه لو عطف على محل من مثقال ذرة فكان مرفوع المحل على انه فاعل يعزب ومن مزيدة فيه كما فى قولك ماجاءنى من احد او على لفظ مثقال ذرة او على لفظ ذرة فكان فتح اصغر واكبر مع كونهما فى موضع الجرّ لعدم انصرافهما لوزن الفعل والصفة لكان المعنى لايعزب عنه مثقال ذرة ولااصغر شئ من ذلك ولااكبر فى حال من الاحوال الافى حال كونه فى كتاب وهو اللوح او علمه تعالى فاماما فى الكتاب من مثقال الذرة وماهو اصغر منه او اكبر فانه يعزب عنه ولاشك ان كون الشئ الذى فى الكتاب خارجا من علم الله تعالى عازبا عنه باطل ومحال فلذلك جعله كلاما برأسه بان جئ به لتقرير ماقبله وجعل لانافية للجنس واصغر واكبر اسمها فهما مبنيان على الفتح على قرآءة الجمهور وقرأ حمزة ويعقوب برفع رآء اصغر واكبر اما عطفا على محل مثقال ذرة واما على الابتدآء ليكون كلاما برأسه ولما ورد ان يقال ان كثيرا من القرآء جعلوا قوله تعالى ولااصغر ولااكبر على قرآءة الجمهور معطوفا على المجرور وجعلوا صورة الفتح جرّ غير المنصرف وجعلوه على قرآءة حمزة معطوفا على محل الجار والمجرور فهم كيف يتخلصون من لزوم فساد المعنى حينئذ اجاب عنه بقوله ومن عطف جعل الاستثناء منقطعا والمعنى لايعزب عنه شئ ولكن جميع الاشياء فى كتابه وقال ابوشامة يزول الاشكال بان يقدر قبل قوله الافى كتاب ليس شئ من ذلك اى ليس شئ من ذلك الافى كتاب مبين ثم انه تعالى لما عم وعده ووعيده فى حق كافة من اطاع وعصى فى الآية السابقة اتبعه بشرح اوليائه المخلصين فقال الا ان اولياء الله ﴿قوله يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة﴾ اى يتقربون اليه ويتقرب هو تعالى اليهم فان الولى القريب وولى كل شئ هو الذى يكون قريبا منه والقرب من الله تعالى بحسب المكان والجهة محال بل القرب منه انما يكون بطاعته والاستغراق فى معرفته بحيث اذا رأى رأى دلائل قدرته واذا سمع سمع آياته واذا نطق نطق بالثناء عليه واذا تحرك تحرك فى خدمته واذا اجتهد اجتهد فى طاعته فبهذه الحيثية يكون فى غاية القرب منه تعالى ويكون وليا له عزوجل فيكون الله تعالى وليا له ايضا كما قال الله ولى الذين آمنوا لان القرب لايكون الامن الجانبين واليه اشار المصنف بقوله يتولونه ويتولاهم والخوف انما يكون من حدوث شئ من المكاره فى المستقبل والحزن انما يكون من تحقق شئ مما يكرهه فى الماضى او من فوت شئ احبه فيه ﴿قوله والآية كمجمل﴾ لان قوله اولياء الله عنوان مجمل لمرتبين فيه جهة قربهم من الله تعالى فحقق المراد منه وقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون سوآء كان

(منصوبا)

ومابريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع (وفي الآخرة) بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى (لا تبديل لكلمات الله) اى لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين (هو الفوز العظيم) هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله (ولا يحزنك قولهم) اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى (ان العزة لله جميعا) استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيأ منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم (هو السميع) لاقوالهم (العليم) بعزماتهم فيكافيهم عليها (الا ان لله من في السموات ومن في الارض) من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) اى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه (ان يتبعون الا الظن) اى ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه لقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم (وان هم الا يخرصون) يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب (ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار (قالوا اتخذ الله ولدا) اى تبناه (سبحانه) تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء

منصوبا على انه صفة للاولياء او منصوبا على المدح او مرفوعا على الابتداء بضمر وبين جهة قربهم منه تعالى وهى ايمانهم وخوفهم من القيام بين يدى الله تعالى كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما يريد بهم الذين صدقوا النبي صلى الله عليه وسلم وخافوا مقامهم بين يدى الله تعالى فكان بيانا لما اجمل اولا والفرق بين كونه تفسيرا للمراد من اولياء الله وبين كونه بيانا لتوليهم اياهم ظاهر لان الاول لا يستلزم الثانى والثانى يستلزم الاول

﴿ قوله ومابريهم في الرؤيا الصالحة ﴾ روى ان عبادة بن الصامت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذه البشرى التى ذكرها الله تعالى بقوله لهم البشرى في الحياة الدنيا فقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له قال الامام اذا حملنا قوله تعالى لهم البشرى على الرؤيا الصادقة فظاهر هذا النص يقتضى انه لا تحصل هذه الحالة الا لاولياء الله تعالى والعقل ايضا يدل عليه وذلك لان ولى الله هو الذى يكون مستغرق القلب والروح بذكر الله تعالى ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في روحه الا معرفة الله تعالى ومن المعلوم ان معرفة الله تعالى ونور جلال الله لا يفيد الا الحق والصدق واما من يكون متوزع الخاطر على احوال هذا العالم الكدر المظلم فانه اذا نام كذلك فلا يبقى الا جرم خال من ذلك النور فانه لا اعتماد على رؤياه وعنه صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان واذا حلم احدكم حلما يخافه فليتعوذ وليبصق عن شماله ثلاث مرات فانه لا يضره وقيل اذا رأى احدكم ما يحزنه فليقل اعوذ بما عاذت به ملائكة الله من شر رؤياى التى رأيتها ان تضرنى في دنياى وفي آخرتى وعنه صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة التى يبشرها المؤمن جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة فمن رأى شيأ من ذلك فليخبر بها ومن رأى سوى ذلك فانما هى من الشيطان ليحزنه بها فلينفث عن يساره ثلاث مرات وليسكت ولا يخبر بها احدا

﴿ قوله وبشرى الملائكة عند النزع ﴾ قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون

﴿ قوله وليس من شرطه ان يقع بعده كلام متصل بما قبله ﴾ جواب عما يقال كل واحدة من الجملتين كيف تكون اعتراضا والاعتراض انما يكون في اثناء الكلام او بين كلامين متصلين لا في آخرهما وقد انقطع الكلام عندهما وتقرير الجواب ان ما ذكر كلام اكثرى لا كلى فانه لا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج وسكت وحدث لى حادث والحوادث جمة وسكت ومن شرط ذلك فهو تذنيب لا اعتراض

﴿ قوله وتهديدهم ﴾ فانه تعالى لما ابطل جميع شبهاتهم المتعلقة بالطعن في النبوة وعدلوا الى طريق آخر في القدح في امره صلى الله عليه وسلم وهو انهم هددوه وخوفوه بانهم اصحاب اموال واتباع فنسعى في قهرك وفي ابطال امرك اجاب تعالى عن طريقتهم بقوله ولا يحزنك قولهم

﴿ قوله من الملائكة والثقلين ﴾ بينه بهما لان كلمة من في السموات والارض مختصة بالعقلاء كأنه قيل فمن يتعزز عليك بكثرة اتباعه وامواله فهو متعزز بما ليس له لان الموجودات كلها لله تعالى فمن استعان بها عليك فقد ضل امره الى الذل والهوان لانه تعالى قادر على ان يسلب منهم تلك الاشياء وينصرك عليهم ويقلدك اموالهم وديارهم

﴿ قوله اى شركاء على الحقيقة ﴾ اشارة الى ان ما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لانفهامه بمعونة المقام والتقدير ما يتبع الذين يدعون آلهة من دون الله شركاء لان شركة الله تعالى في الربوبية محال فالهة مفعول يدعون وشركاء مفعول يتبع

﴿ قوله ويجوز ان تكون ما استفهامية ﴾ بمعنى الانكار والتوبيخ فيكون شركاء منصوبا بيدعون والمعنى اى شئ يتبع المشركون اى ما يتبعونه ليس بشئ

﴿ قوله وقرئ تدعون ﴾ بتاء الخطاب من المشركين على ان يحمل وما يتبع على الاستفهام كما صوره من المعنى

﴿ قوله او يحزرون ﴾ عطف على يكذبون ويقدرون تفسير يحزرون فان الحزر التقدير يعنى ان الخرص مشترك بين معنيين الحزر والكذب يقال خرص يخرص خرصا اى كذب وهو من باب نصر والخراص الكذاب

﴿ قوله وانما قال مبصرا ﴾ يعنى ان المبصر هو الذى يبصر والنهار لا يبصر بل يبصر فيه وكان الظاهر ان يقال لتبصروا فيه كما في الليل لتسكنوا فيه فعدل عن هذا الظاهر واسند الابصار الى الظرف مجازا على طريق نهاره صائم وليله قائم ونكتة العدول الى الاسناد المجازى ما ذكره من التفرقة فنص على ظرفية ما هو مجرد حيث قال لتسكنوا واسند الابصار الى ما ليس ظرفا مجردا ولم يصرح بظرفيته تنبيها على انه ليس بظرف محض بل هو لكونه ذا ضياء سبب لابصار اسباب المعاش قيل هذه الآية في غاية الفصاحة حيث حذف من كل جملة ما اثبت في الاخرى فانه تعالى ذكر علة جعل الليل مظلما وهى قوله لتسكنوا فيه وحذفها من جعل النهار مبصرا

(هو الغني) علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة (له ما في السموات وما في الارض) تقرير لغناه (ان عندكم من سلطان بهذا)

نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان (اتقولون على الله ما لا تعلمون) توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه (لا يفلحون) لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة (متاع في الدنيا) خبر مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا (ثم الينا مرجعهم) بالموت فيلقون الشقاء المؤبد (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) بسبب كفرهم (واتل عليهم نبأ نوح) خبره مع قومه (اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم) عظم عليكم وشق (مقامي) نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة (وتذكيري) اياكم (بآيات الله فعلى الله توكلت) وثقت به (فاجمعوا امركم) فاعزموا عليه (وشركاءكم) اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم (ثم لا يكن امركم) في قصدي (عليكم غمة) مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري (ثم اقضوا) ادوا (الي) ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء (ولا تنظرون) ولا تمهلون (فان توليتم) اعرضتم عن تذكيري (فما سألتكم من اجر) يوجب توليكم

وذكر صفة النهار وهي قوله مبصرا وحذفها من الليل لدلالة مبصرا وتقديره عليه هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه فتحصلوا اسباب معايشكم فحذف مظلما لدلالة مبصرا عليه وحذف لتتحركوا لدلالة لتسكنوا عليه ويقال اظلم الليل اي صار ذا ظلمة واضاء النهار اي صار ذا ضياء فيكون هذا من باب النسب كقولهم لابن وتامر وقوله تعالى عيشة راضية ثم انه تعالى لما بالغ في تقرير الدلائل الدالة على تحقيق الحق وابطال الباطل شرع في بيان قصص الانبياء تسلية لرسول صلى الله عليه وسلم ولاصحابه فان المصيبة اذا عمت خفت وليكون ذلك سببا لانكسار قلوب الكفار ووقوع الخوف في صدورهم وتعليل ايذائهم وسفاهتهم فانهم اذا سمعوا ان الامم السابقة وان بالغوا في ايذاء انبيائهم الا انه تعالى قد اعانهم بالآخرة ونصرهم وقهر اعداءهم كان سماعهم سببا لانكسار شرتهم وتمردهم ولتكون هذه القصص من غير زيادة ولا نقصان مع انه لم يتعلم علما ولم يطالع كتابا معجزة له صلى الله عليه وسلم دالة على انه انما عرفها بالوحي والتنزيل فابتدأ بقصة نوح عليه الصلاة والسلام واذ في قوله اذ قال معمول لنبأ لا لقوله اتل لانه مستقبل واذ ماض والمقام اما اسم لمكان القيام او مصدر فعلى الاول يكون كناية عن النفس لان المكان من لوازمها كما يقال فعلت كذا لمكان فلان اي لاجله وعلى كونه مصدرا اما ان يراد طول قيامه بينهم او قيامه على الدعوة والتذكير فانه صلى الله عليه وسلم مكث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فيحتمل ان يستثقلوا ذلك وايضا ان اولئك الكفار كانوا قد الفوا تلك المذاهب الفاسدة من الف طريقة في امر الدين فانه يثقل عليهم ان يدعوا الى خلافها فان اقترن بذلك طول مدة الدعاء كان اثقل واشد وذهب ابو البقاء الى ان قوله تعالى فعلى الله جواب الشرط وقوله فاجمعوا عطف على الجواب ورد عليه انه عليه الصلاة والسلام متوكل على الله دائما كبر عليهم مقامه او لم يكبر والاظهر ان يقال الجواب محذوف اي فافعلوا ما شئتم والمذكور تعليل لعدم مبالاته بهم او يقال الجواب قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت جملة اعتراضية بين الشرط وجوابه وقراءة الجمهور فاجمعوا بقطع الهمزة من الاجماع وهو العزم يقال اجمعت على الامر اذا عزمت عليه فهو يتعدى بعلى الا ان حرف الجر حذف في الآية واوصل الفعل الى المجرور بنفسه وقيل هو متعد بنفسه في الاصل واجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقرأ العامة شركاءكم منصوبا على انه مفعول معه من ضمير الفاعل في فاجمعوا او على انه معطوف على امركم بحذف المضاف وعن نافع فاجمعوا بقطع الهمزة ووصل الالف وفتح الميم من جمع يجمع وفيه وجهان الاول ان التقدير فاجمعوا ذوي الامر منكم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واوقع الفعل عليه والثاني ان المراد بالامر ههنا وجوه كيدهم ومكرهم والتقدير لا تدعوا من امركم شيأ الا احضرتموه وقول المصنف او الاجتماع على قصده يلائم الوجه الاول ﴿قوله او ثم لا يكن حالكم عليكم غما﴾ اي يحتمل ان يكون الامر في قوله امركم عبارة عن معاداتهم اياه وقصدهم اهلاكه وان يكون الامر في الحال وان تكون الغمة بمعنى الغم والانفصال كما نقل عن المبرد انه قال اي فرجوا عن انفسكم ولا تغموها ﴿قوله ادوا الي ذلك الامر﴾ اشارة الى ان مفعول اقضوا محذوف وهو ذلك الامر وقرئ ثم افضوا بقطع الهمزة والفاء من افضى يفضي اذا انتهى او من افضى اذا خرج الى الفضاء والصحراء اي ثم اصحروا به الي وابرزوه لي والمعنى على الاول ثم اقضوا الي ما استقر عليه رأيكم مما في نفوسكم محكما مصرين عليه ثم لا تمهلون ولا تؤخرون وقد نظم بعضهم هذا الكلام على احسن وجه فقال انه صلى الله عليه وسلم قال في اول الامر فعلى الله توكلت فاني واثق بوعد الله جازم بانه لا يخلف الميعاد فلا تظنوا ان تهديدكم اياي بالقتل والايذاء يمنعني من الدعاء الى الله تعالى ثم انه عليه الصلاة والسلام اورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا امركم كانه يقول اجمعوا كل ما تقدرون عليه من الاشياء التي توجب حصول مطلوبكم ثم لم يقتصر على ذلك بل امرهم ان يضموا الى انفسهم شركاءهم الذين كانوا يزعمون ان حالهم يقوى بمكانهم وبالتقرب اليهم ثم لم يقتصر على هذين بل ضم اليهما ثالثا وهو قوله ثم لا يكن امركم عليكم غمة واراد ان يبلغوا فيه وان يسعوا في امره غاية السعي حتى يطيب عيشهم كل غاية في المكاشفة والمجاهدة ثم لم يقتصر على ذلك حتى ضم اليه رابعا فقال ثم اقضوا الي والمراد وجهوا كل تلك الشرور الي ثم ضم الى ذلك خامسا فقال ولا تنظرون اي عجلوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير انتظار وهذا آخر الكلام ومعلوم ان مثل هذا الكلام يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله وانه كان قاطعا بان كيدهم لا يضره ولا يصل اليه وان مكرهم لا ينفذ فيه ﴿قوله فما سألتكم من اجر يوجب توليكم﴾

لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله او بقوى توليكم (ان اجرى) ماثوابى على الدعوة والتذكير (الا على الله) لاتعلق له بكم يثيبنى به آمنتم او توليتم (وامرت ان اكون من المسلمين) المنقادين لحكمه لااخالف امره ولاارجو غيره (فكذبوه) فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم

لاحد امرين لثقله عليكم او لكونه سببا لاتهامكم اياى بان تقولوا انما بعثنا ويذكرنا طمعا لنيل الاجر والمال من قبلنا وقوله فاساً لتكم عليه علة لما هو جزاء الشرط اقيمت مقام الجزاء والمعنى ان توليتم فلا باعث بدعوكم الى التولى اذليس عندى مايفركم عنى ويحملكم على الاعراض عن تذكيرى ﴿قوله او بقوى توليكم﴾ عطف على قوله وجب توليكم والمعنى حينئذ فان توليتم فلا يرجع ضرر ذلك التولى على الا انتفعل من قبلكم اى اذكر قول نوح عليه الصلاة والسلام اذ قال لقومه كذا وكذا فكذبوه تمردا وعنادا فحقت عليهم كلمة العذاب فاغرقوا فنجيناه ومن استقر معه فى الفلك او فنجيناهم فى هذا المكان فان انجاءهم وقع فى الفلك فعلى هذا يتعلق فى الفلك بنجيناه وعلى الاول يتعلق بالاستقرار الذى تعلق به معه ﴿قوله تعالى بالبينات﴾ متعلق بجاؤهم او بمحذوف على انه حال اى ملتبسين بالبينات وما فى قوله تعالى بما كذبوا به مصدرية وضميره للحق والكاف فى قوله كذلك بمعنى مثل صفة مصدر محذوف اى مثل ذلك الطبع والختم المحكم الممتنع زواله نطبع على قلوب المعتدين على الحد باختيار الاصرار على الكفر * قال الامام احتج اصحابنا بهذه الآية على انه تعالى قد يمنع المكلف من الايمان وتقريره ظاهر ثم نقل القاضى رئيس المعتزلة ان الطبع غير مانع من الايمان بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا فلو كان هذا الطبع مانعا لما صح هذا الاستثناء ثم احال تحقيق الكلام فى هذه المقام على ما استقصاه فى قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴿قوله بالآيات التسع﴾ وهى العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر والحق فى قوله تعالى فلما جاءهم الحق ظاهر اقيم مقام ضمير الآيات المذكورة فى قوله باياتنا وهى الآيات التسع والا لم ينتظم قوله ان هذا لسحر مبين جوابا لقوله فلما جاءهم الحق ثم جعل الحق شخصا جاءهم من عند الله على سبيل الاستعارة المكنية بقرينة اسناد المجئ * يدل على غاية ظهوره بحيث لايخفى على من له ادنى مسكة فلذلك عطف المفسر قوله وعرفوه على قوله تعالى لامن قبل موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام فيكون ذلك فيكون ذلك تفسيرا بالادلة القائمة عليه وتفصيل الآيات بالحق تعريض بان صنعهم تخييل وتمويه فيكون باطلا بخلاف قلب العصا حية وفلق البحر وغير ذلك من الآيات فان ضرورة العقل حاكمة بانها ليست من قبيل التمويه فلا يكون سحرا بل يكون حقا ظاهرا من عند الله تعالى بخلقه وايجاده ﴿قوله لانهم بتوا القول﴾ اى قطعوا بانه سحر ولا يصح منه ان يستفهم ويقول أسحر هذا على انه مقول أتقولون بل هو مقول قال موسى انكر عليهم اولا بت القول بانه سحر مبين ثم انكر ثانيا كونه سحرا من قبيل التمويه والتخييل ﴿قوله الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير﴾ استثناء من قوله ولا يجوز الخ اى لايجوز ذلك بكل حال الا ان يكون الاستفهام فيه لتحقيق كونه سحرا مبينا وقولهم ان صاحبه لايفلح للقطع بان السحر تمويه وتخييل باطل لايظفر به الساحر فكانهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح فلا يفلح الساحرون فيكون المحكى بقوله أتقولون هو مفهوم ماقالوه افرد موسى عليه السلام تلك المقالة المفهومة من قولهم وانكرها واثبت ان الفلاح لصاحبه حيث جاء به حقا من عند الله خالصا ذكر المصنف فى قوله أتقولون للحق لما جاءكم ثلاثة اوجه الاول ان القول فيه على اصل معناه وان مقوله محذوف لدلالة السابق عليه وقول موسى أسحر هذا ابتداء كلام ذكر انكارا لما قالوه وتجهيلا لهم والثانى ان يكون القول على معناه ايضا وتكون الجملة استفهامية مقولا له من حيث دلالتها على انه لافلاح لمن جاء به والثالث ان يكون القول كناية عن المقالة والطعن فلا يستدعى مقولا وان الذكر كناية عنها فلا يستدعى مذكورا كما فى قوله سمعنا فتى يذكرهم وقوله أسحر هذا استئناف للانكار والتجهيل ﴿قوله لتصرفنا﴾ يعنى ان اللفت فى اللغة الصرف يقال لفته عن كذا اى صرفه ولواه عنه وقيل لفت الشئ * وفتله يعنى لواه فهما اخوان ومطاوع لفت التفت كما ان مطاوع فتل انفتل وقد يجعل مطاوع فتل مطاوعا لفتل التفت استغناء بمطاوع احدهما عن مطاوع الآخر واللام فى لتلفتنا متعلقة بالمجئ * اى أجئتنا لهذا الغرض قالوه انكارا لمجيئه صارفا اياهم عن دين آبائهم وحاصل كلامهم انهم قالوا لانترك الدين الذى نحن عليه لانا وجدنا آباءنا عليه لان مقصودكما من دعوى الرسالة ان يكون لكما الملك والعز فى ارض مصر فلا نؤثر رياستكما على رياسة انفسنا فلما ثبتوا على اعراضهم عن قبول دعوتهما لهذين الامرين صرحوا بالحكم المتفرع عليهما فقالوا وما نحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا ان يعارضوا معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بانواع من السحر ليظهر عند الناس ان ما اتى به موسى عليه الصلاة والسلام من باب السحر فجمع فرعون السحرة واحضرهم فقال لهم موسى القوا ما انتم ملقون * فان قيل كيف امرهم بالسحر والعمل بالسحر كفر والامر بالكفر كفر * فالجواب انه

لاجرم حقت عليهم كلمة العذاب (فنجيناه) من الغرق (ومن معه فى الفلك) وكانوا ثمانين (وجعلناهم خلائف) من الهالكين به (واغرقنا الذين كذبوا باياتنا) بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له (ثم بعثنا) ارسلنا (من بعده) من بعد نوح (رسلا الى قومهم) كل رسول الى قومه (فجاؤهم بالبينات) بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم فى الكفر وخذلان الله اياهم (بما كذبوا به من قبل) اى بسبب تعوّدهم تكذيب الحق وتمرّنهم عليه قبل بعثة الرسل (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) بخذلانهم لانهماكهم فى الضلال واتباع المألوف وفى امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن اتباعهما (وكانوا قوما مجرمين) معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيحة للشك (قالوا) من فرط تمردهم (ان هذا لسحر مبين) ظاهر انه سحر او فائق فى فنه واضح فيما بين اخوانه (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) انه لسحر فحذف المحكى بالقول لدلالة ماقبله عليه ولا يجوز ان يكون (أسحر هذا) لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ماقالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى أتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن القول (ولا يفلح الساحرون) من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لايفلح الساحر لايسحر او من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا كانهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون (قالوا أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا واللفت والفتل اخوان

صلى الله عليه وسلم امرهم بالقاء الحبال والعصى ليظهر للخلق ان ما اتوا به عمل فاسد وسعى باطل لا انه عليه الصلاة والسلام امرهم بالسحر ﴿قوله اى الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا﴾ والحصر مستفاد من تعريف الخبر فان تعريفه بلام الجنس قد يفيد قصر الجنس على المسند اليه قصرا حقيقيا مطابقا للواقع نحو زيد الامير اذا لم يكن فى الواقع امير سواه او قصرا غير حقيقى مبنيا على المبالغة فى اتصاف المسند اليه بذلك الجنس نحو عمرو الشجاع اى الكامل فى الشجاعة بنى الكلام فى صورة توهم ان الشجاعة مقصورة عليه لا تتجاوزه لعدم الاعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال وقوله تعالى ما جئتم به السحر من قبيل الاول وكلمة ما فيه بمعنى الذى فى محل الرفع على الابتداء وجئتم به صلته وعائده والسحر خبره عرف لفظ السحر بحرف التعريف وسقطت همزة الوصل حال الدرج ﴿قوله بدل منه﴾ اى من اسم الاستفهام ولذلك اعيد معه اداة الاستفهام فانه قد تقرر فى كتب النحو ان ما وقع بدلا من اسم الاستفهام لا بد ان يعاد فيه اداته ليساوى البدل المبدل منه فى انه استفهام كما تقول كم مالك أعشرون ام ثلاثون فجعل أعشرون بدلا من كم ولا يلزم ان يضمر السحر خبر لانك اذا ابدلته من المبتدأ وصار فى موضعه صار خبر المبتدأ خبرا عنه ﴿قوله ويجوز ان ينتصب ما الخ﴾ اى ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة المحل بفعل مقدر بعدها لان لها صدر الكلام وجئتم به مفسرا لذلك الفعل المقدر فتكون المسئلة حينئذ من باب الاشتغال والتقدير اى شئ أتيتم جئتم به والسحر على ما تقدم ولو قرئ بنصب السحر على انه بدل من ما بهذا التقدير لكان له وجه لكن لم تنقل القراءة به واعلم انك اذا جعلت ما موصولة بمعنى الذى امتنع نصبها بفعل مقدر على الاشتغال لان ما بعدها صلة والصلة كما لا تعمل فى الموصول لا تكون تفسيرا لما هو العامل فيه فتلخص من هذا انها اذا كانت استفهامية جاز ان تكون فى محل رفع او نصب واذا كانت موصولة تعين ان تكون فى محل الرفع بالابتداء ﴿قوله فما آمن لموسى فى مبدأ امره﴾ ولعله اخذ التقييد المذكور من فاء التعقيب فانها تدل على ان السحرة لما ألقوا حبالهم وعصيهم وعارضهم موسى عليه الصلاة والسلام قولا لم يتأخر ايمان الذرية عنه بل وقع عقيبه فان الفاء تفيد ذلك ثم انه لما تقدم ذكر موسى عليه الصلاة والسلام وفرعون اختلف فى مرجع ضمير قومه فاختار المصنف كونه راجعا الى موسى لكونه اقرب مذكور ولانه لو رجع الى فرعون لكان حق التركيب ان يقال على خوف منه بدل على خوف من فرعون واليه ذهب ابن عباس رضى الله عنهما وغيره قالوا المراد مؤمنوا بنى اسرائيل الذين كانوا بمصر وخرجوا معه وقالوا لفظ الذرية يعبر به عن القوم على وجه التحقير والتصغير ولا سبيل لحمله على التحقير والاهانة ههنا فوجب حمله على التصغير بمعنى قلة العدد او حداثة السن وقيل ضمير قومه يعود على فرعون ويضعف عوده على موسى لان المعروف من اخبار بنى اسرآئيل انه قد فشت فيهم انواع الذل والقهر بسبب استيلاء فرعون عليهم وكانوا يرجون ان يكشف الله تعالى عنهم ما هم فيه من انواع الشدآئد بظهور المولود الذى يخاف فرعون من ظهوره ومن زوال ملكه بسببه فلما جاءهم عليه الصلاة والسلام اتفقوا على اتباعه والايمان به ولم تتخلف قط الاطائفة من بنى اسرآئيل كفرت بموسى عليه الصلاة والسلام فيبعد ان يقال معنى الآية فما آمن لموسى الا ذرية قليلة من بنى اسرآئيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية اخرى عنه انه قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا بموسى منهم امرأة فرعون ومؤمن من آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وامرأة ماشطة ﴿قوله تعالى على خوف﴾ حال اى آمنوا كائنين على خوف او مع خوف ﴿قوله وجمعه على ما هو المعتاد فى ضمير العظماء﴾ جواب عما يقال كيف يعود ضمير المجموع على مفرد وهذا انما يكون جوابا ان لو كان التعبير عن المفرد بضمير الجمع واردا فى كلام من يعظم فرعون حتى يعبر عنه بضمير الجمع فينبغى ان يقتصر على الجواب الثانى وهو ان فرعون صار اسما لاتباعه كثمود وربيعة الفرس ومضر الحمرآء ﴿قوله او للذرية﴾ اى ويجوز ان يكون ضمير ملأهم للذرية اى على خوف من فرعون ومن ملأ الذرية وهم اشراف بنى اسرآئيل وان يكون للقوم سوآء جعلنا الضمير فى قومه لموسى او لفرعون اى ومن ملأ قوم موسى او من ملأ قوم فرعون وقوله وهو بدل منه اى من فرعون بدل اشتمال تقديره على خوف من فرعون فتنته كقولك نفعنى زيد علمه ويجوز ان يكون فى محل النصب على انه مفعول لخوف اى على خوف فتنته واعمال المصدر كثير ومنه قوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما واسباط الانبياء بنوا اسرآئيل فانهم من يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام جعلهم ارقاء مقهورين

(قوله)

(عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام (وتكون لكما الكبرياء فى الارض) الملك فيها سمى بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم (وما نحن لكما بمؤمنين) بمصدقين فيما جئتما به (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر) وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار (عليم) حاذق فيه (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر) اى الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتدآء وجئتم به خبرها وآلسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اى آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اى شئ أتيتم (ان الله سيبطله) سيمحقه او سيظهر بطلانه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته) باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى) فى مبدأ امره (الا ذرية من قومه) الا اولاد من اولاد قومه بنى اسرآئيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته (على خوف من فرعون وملأهم) اى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد فى ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم (ان يفتنهم) ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه (وان فرعون لعال فى الارض) لغالب فيها (وانه لمن المسرفين) فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء

﴿ قوله وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين ﴾ فان الآية وان اعتبر فيها شرطان مختلفان وهما الايمان بالله والاسلام فان الايمان بالله عبارة عن التصديق بانه واجب الوجود لذاته واحد وان جميع ماسواه محدث مخلوق مقهور تحت مشيئته وتصرفه والاسلام عبارة عن الاستسلام والانقياد لتكاليف الصادرة من الله تعالى واظهار الخضوع وترك التمرد ولاشك انهما امران مختلفان الا ان المعلق على هذين الشرطين حكم واحد من وجه واحد وهو وجوب التوكل والا لزم ان لايجب التوكل بمجرد الايمان بالله تعالى لان المشروط لايحصل الاعند تحقق شرطه والشرط اذا كان امورا متعددة لايحكم بتحققه الا اذا تحقق جميع اجزآئه فان قال الشارع ان كان المكلف زانيا محصنا فارجموه لايجب الرجم الاعند تحقق مجموع الامرين فكذا في هذه الآية لو علق وجوب التوكل على مجموع الايمان بالله تعالى والاسلام لزم ان لايجب التوكل الاعند تكامل الشرط بجميع اجزآئه وليس كذلك بل هناك حكمان علق كل واحد منهما بشرط على حدة علق وجوب التوكل على الايمان بالله وحصول التوكل على الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله تعالى اي يجعلوها سالمة خالصة لاحظ للشيطان فيها فان من لم يسلم وجهه لله تعالى بان جعل للشيطان مدخلا فيها لايحصل له التوكل وهو تفويض الامر بالكلية الى الله تعالى والاعتماد في كل الاحوال على الله تعالى والعاقل فعليه توكلوا ولم يقل توكلوا عليه لان الاول يفيد الحصر حيث يدل على ان موسى عليه الصلاة والسلام امر قومه بالتوكل عليه ونهاهم عن التوكل على غيره تعالى والمراد في هذا المقام هو التوكل على هذا الوجه لانه الذي يقتضيه الايمان بالله فان من اعتقد ان كل ماسوى الله تعالى ملكه ومقهور تحت تصرفه وتسخيره امتنع ان يتوكل على غيره وقدمر ان نوحا عليه الصلاة والسلام وصف نفسه بالتوكل على هذا الوجه حيث قال فعلى الله توكلت وكذلك موسى عليه الصلاة والسلام ثم انه تعالى بين ان موسى عليه الصلاة والسلام لما امر بذلك قومه قبلوه فقالوا على الله توكلنا لتحقق الشرطين فيهم حيث كانوا مؤمنين بالله تعالى مخلصين انفسهم له تعالى ﴿ قوله موضع فتنة ﴾ لهم اي موضع عذاب لهم بان تسلطهم علينا فيعذبونا وقيل المراد لاتفتنا بفرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا لوقع في قلوبهم انا لو كنا على الحق لما سلطهم الله علينا فيصير ذلك شبهة قوية في اصرارهم على كفرهم فيصير تسلطهم علينا فتنة لهم وانك لو سلطتهم علينا لاستوجبوا العذاب الشديد في الآخرة وذلك يكون لهم فتنة ﴿ قوله ان تخذا مباءة ﴾ في الصحاح المباءة منزل القوم في كل موضع يقال تبوأت منزلا اي نزلته وبوأت الرجل منزلا وبوأته منزلا بمعنى هيأته ومكنت له فيه وكلمة أن فيه يجوز ان تكون مفسرة لانه قد تقدمها ماهو بمعنى القول والايحاء ويجوز ان تكون مصدرية فيكون ان تبوآ في موضع النصب باوحينا مفعولا به اي اوحينا اليهما التبوء وهو النزول والرجوع يقال تبوأ المكان اذا اتخذه مباءة ومنزلا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا ترجعون اليه للعبادة والصلاة فيه ﴿ قوله امروا بذلك ﴾ اي بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما بالغ في اظهار المعجزات وتقرير الدلائل والبينات ورأى القوم مصرين على الجحود والعناد دعا عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب جرمه وكان جرمهم حب الدنيا وزينتها فلذلك تركوا الدين وعاندوا من يدعو اليه فلذلك ابتدأ عليه الصلاة والسلام في دعائه عليهم بقوله ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان لهم من بناء فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن ذهب وفضة وزبرجد وياقوت وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ليضلوا بضم الياء والباقون بفتح الياء وذكر في هذه اللام ثلاثة اوجه الاول ان تكون لام الامر الغائب بمعنى الدعاء عليهم كانه قيل ليثبتوا على ماهم عليه من الضلال والاضلال وليكونوا ضلالا مضلين وانما دعا عليهم بذلك بعدما عرض عليهم آيات الله وبيناته مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ماكانوا عليه من الكفر والضلال ورآهم لايزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا ابعادا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لايجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالامر المحال واشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله تعالى عليهم بما علم انه لايكون غير ذلك ليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لايستأهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم والوجه الثاني ان تكون لام الصيرورة والعاقبة كما في قوله • لدوا للموت وابنوا للخراب • فلما كان عاقبة قوم موسى عليه الصلاة والسلام

(وقال موسى) لما رأى تخوف المؤمنين به (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) فثقوا به واعتمدوا عليه (ان كنتم مسلمين) مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لايوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت (فقالوا على الله توكلنا) لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم (ربنا لاتجعلنا فتنة) موضع فتنة (للقوم الظالمين) اي لاتسلطهم علينا فيفتنونا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته (واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ) ان اتخذا مباءة (لقومكما بمصر بيوتا) يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة (واجعلوا) انتما وقومكما (بيوتكم) تلك البيوت (قبلة) مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها (واقيموا الصلاة) فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم (وبشر المؤمنين) بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة) مايتزين به من الملابس والمراكب ونحوهما (واموالا في الحياة الدنيا) وانواعا من المال (ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء عليهم بلفظ الامر عاعلم من ممارسة احوالهم انه لايكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالاتهم وكفرانهم تقدمة لقوله

هو الضلال وقد اعلم الله تعالى ذلك عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ والوجه الثالث ان لاتكون لام التعليل حقيقة بل مجازا لانه لما كان الله تعالى آتاهم ذلك ليؤمنوا ويشكروا نعمته فتوسلوا به الى مزيد البغي والكفر شبهت هذه الحالة بحال من اعطى المال لاجل الاضلال فورد الكلام بلفظ التعليل بناء على هذه المشابهة وايتاء النعمة على الكفر والضلال استدراج وتثبيت عليه فيكون الايتاء لاجل التثبيت على الضلال ومعللا به وعلى التقديرين تكون اللام متعلقة بآتيت ولاتكون للدعاء فيكون لفظ ربنا تكريرا للاول تقدمة * واعلم ان الاشاعرة استدلوا بهذه الآية على انه تعالى يضل الناس ويريد اضلالهم من وجهين الاول ان اللام في قوله تعالى ليضلوا لام التعليل والمعنى انك اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا وهذا صريح في انه تعالى يريد اضلالهم والثاني ان موسى عليه الصلاة والسلام لما دعا بقوله واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا قال قد اجيبت دعوتكما ولولا انه تعالى يريد ذلك لم يشاء لما حسن من موسى عليه الصلاة والسلام ان يسأل ويقول اقس قلوبهم واطبع عليها حتى تكون قاسية ولاتلين ولاتنشرح للايمان ولما قال تعالى قد اجيبت دعوتكما وقالت المعتزلة في جواب الاشاعرة لايجوز ان يكون المراد من الآية ماذكر لانه تعالى منزه عن فعل القبائح وارادة الكفر قبيحة فوجب ان لاتكون اللام فيه للتعليل بل تكون لام العاقبة فان عاقبة قوم موسى لما كانت هي الضلال عبر عن هذا المعنى بهذا اللفظ على سبيل الاستعارة التبعية او تكون لام الدعاء وفيه مراعاة التئام الكلام لايراد الادعية مسوقة على نسق واحد ﴿ قوله واطمس الحق ﴾ وهو المحو والابطال قال اكثر المفسرين في قوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم اى امسخها وغيرها عن هيئتها لانهم يستعينون بنعمتك على معاصيك وانما امرتهم بان يستعينوا بها على طاعتك وسلوك سبيلك روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال قد بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئة الدراهم والدنانير وصارت كنوزهم حجارة ﴿ قوله جواب للدعاء ﴾ يعنى انه في محل النصب على انه جواب اطمس واشدد وفي محل الجزم على انه دعاء في صورة النهي كقوله

* فلا ينبسط من بين عينيك ماانزوى * ولاتلقنى الا وانفك راغم *

او في محل النصب على انه معطوف على قوله ليضلوا فيكون مابينهما اعتراضا وقوله حتى يروا العذاب اى يروا ذلك ويحتمل ان يكون غاية لنفي ايمانهم اى الى ان يروا العذاب الاليم وكان كذلك فانهم لم يؤمنوا الى الغرق وكان ذلك ايمان يأس ولم يقبل قرأ العامة ولاتتبعان بتشديد التاء والنون وقرئ بتخفيف النون مكسورة مع تشديد التاء وقرئ بتخفيف التاء من تبعه اذا لحقه وادركه يقال تبعته اذا اتبعته اى مشيت من بعده حتى لحقته ﴿ قوله حتى بلغوا الشط ﴾ فيتعدى بالباء الى المفعول الاول وهو الذى كان فاعلا في الاصل والى المفعول الثانى بنفسه كما هو عليه فيقال جاوز ناببنى اسرآئيل البحر وعبر المصنف عن هذه التعدية وفسرها بقوله جوزناهم في البحر اى هديناهم فيه على ان التضعيف فيه للتعدية والتجويز بهذا المعنى يتعدى الى المفعول الاول بنفسه لابالباء وتعدى الى المفعول الثانى بفي فمن قرأها وجوزنا ببنى اسرآئيل البحر لايجعل التضعيف فيه للتعدية ويجعل جوز بمعنى جاوز واجاز فانهما يتعديان الى مفعول واحد ولايتعديان الى ماهو اكثر من واحد الابالباء الداخلة على فاعل مافي الاصل واليه اشار المصنف بقوله وهو من فعل المرادف لفاعل اى ليس من جوز الذى يتعدى الى المفعول الاول بنفسه والى الثانى بكلمة في ﴿ قوله وعادين ﴾ على ان يكون بغيا وعدوا مصدرين في موضع الحال ويجوز ان ينتصبا على انهما مفعولان من اجلهما اى من اجل البغى والعدو ﴿ قوله على اضمار القول ﴾ والتقدير قال آمنت فقال انه فيكون هذا القول مفسرا واطلاق الاستئناف على البدل مبنى على جعل ان معمولا لمثل عامل المبدل منه ولو جعل كونه ابتداء كلام واستئناف اخبار بذلك علة مستقلة لكسر ان وكونه بدلا من آمنت علة اخرى لكان اظهر وافيد ﴿ قوله فنكب عن الايمان ﴾ اى عدل واعرض عنه اوان بقاء التكليف والاختيار وبالغ فيه حين لايفيد حرصا على القبول حيث كرر المعنى الواحد ثلاث مرات بثلاث عبارات حيث قال اولا آمنت وقال ثانيا انه لااله الا الذى آمنت به بنوا اسرآئيل وقال ثالثا وانا من المسلمين وكانت المرة الثانية كافية حين بقاء التكليف والاختيار جاء في الاخبار عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال غار النيل على عهد فرعون فاتاه اهل مملكته فقالوا ايها الملك اجرلنا النيل فقال انى لست براض عنكم حتى قال ذلك ثلاث مرات فذهبوا فاتوه فقالوا ايها الملك ماتت البهائم وهلكت الصبيان والابكار فان لم تجرلنا النيل اتخذنا الها غيرك

(ربنا اطمس على اموالهم) اى اهلكها واطمس المحق وقرئ واطمس بالضم (واشدد على قلوبهم) اى واقسها واطبع عليها حتى لاتنشرح للايمان (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) جواب للدعاء اودعاء بلفظ النهى اوعطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض (قال قد اجيبت دعوتكما) يعنى موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن (فاستقيما) فاثبتا على ماانتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولاتستعجلا فان ماطلبتما كائن ولكن في وقته روى انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة (ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون) طريق الجهلة في الاستعجال اوعدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وعن ابن عامر رواية ابن ذكوان ولاتتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولاتتبعان من تبع ولاتتبعان ايضا (وجاوزنا ببنى اسرآئيل البحر) اى جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف (فأتبعهم) فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته (فرعون وجنوده بغيا وعدوا) باغين وعادين او للبغى والعدو وقرئ وعدوا (حتى اذا ادركه الغرق) لحقه (قال آمنت انه) اى بانه (لااله الا الذى آمنت به بنوا اسرآئيل وانا من المسلمين) وقرأ حمزة والكسائى انه بالكسر على اضمار القول او الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لايقبل (آلآن) أتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار (وقد عصيت قبل) قبل ذلك مدة عمرك (وكنت من المفسدين) الضالين المضلين عن الايمان

(فقال)

(فاليوم ننجيك) نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اى نلقيك بناحية الساحل (ببدنك) فى موضع الحال اى ببدنك عاريا عن الروح اوكاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له دروع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اى باجزآء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها (لتكون لمن خلفك آية) لمن ورآءك علامة وهم بنوا اسرآئيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ماخيل ﴿ ٢٩ ﴾ اليهم انه لايهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل اولمن يأتى بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ماكان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اى لخالقك آية اى كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) لايتفكرون فيها ولايعتبرون بها (ولقد بوأنا) انزلنا (بنى اسرآئيل مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر (ورزقناهم من الطيبات) من اللذآئذ (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) فما اختلفوا فى امر دينهم الامن بعد ماقرؤا التوراة وعلموا احكامها اوفى امر محمد صلى الله عليه وسلم الامن بعد ماعلموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته (ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز الحق من المبطل بالانجاء والاهلاك (فان كنت فى شك مما انزلنا اليك) من القصص على سبيل الفرض والتقدير (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فانه محقق عندهم ثابت فى كتبهم على نحو ماالقينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لمافيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة ماانزل اليه او تهييج الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته لاامكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لااشك ولااسأل وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته اوكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما انزلنا على لسان نبيك اليك وفيه تنبيه على ان كل من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم (لقد جاءك الحق من ربك) واضحا لامدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة (فلا تكونن من الممترين) بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين (ولاتكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين (ان الذين حقت عليهم) ثبتت عليهم (كلمة ربك) بانهم يموتون على الكفر ويخلدون فى العذاب (لايؤمنون) اذلايكذب كلامه ولاينتقض قضاؤه

فقال لهم اخرجوا الى الصعيد فخرجوا فتنحى عنهم بحيث لايرونه ولايسمعون كلامه والصق خده بالارض واشار بالسبابة وقال اللهم انى خرجت اليك خروج العبد الذليل الى سيده وانى اعلم انه لايقدر احد على اجرآئه غيرك فاجره قال فجرى النيل جريا فاتاهم فقال لهم انى اجريت لكم النيل قال فخروا له سجدا فعرض له جبريل فقال ايها الملك ان عبدا ملكته عبيدى واعطيته مفاتيح خزآئنى وعادانى واحب من عاديته وعادى من احببته فقال له فرعون لوكان لى ذلك العبد لغرقته فى بحر القلزم فقال له جبريل عليه السلام ايها الملك اكتب لى بذلك كتابا قال فدعا بدواة وقلم وقرطاس فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزآء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق فى البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فقال جبريل هذا ماحكمت به على نفسك ﴿قوله او نلقيك على نجوة من الارض﴾ النجوة المكان المرتفع الذى تظن انه نجاؤك من السيل والباء فى ببدنك للمصاحبة كما فى قولك خرج زيد بعشيرته واشترى الفرس بسرجه وهذه الباء تصلح ان تكون مع مدخولها فى محل الحال فاراد المصنف ان يبين كونه مبينا لهيئة المفعول فقال عاريا عن الروح او بدنا سويا لم ينقص منه شئ لئلا يتوهم شبهة فى انه بدنك او بدن غيرك الى آخر ماقال والعرب تطلق البدن على الدرع قال ابو الهيثم البدن الدرع الذى يكون قصير الكمين وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان عليه درع من ذهب فاخرجه الله تعالى من الماء مع ذلك الدرع ليعرف انه هو روى ان بنى اسرآئيل قالوا ماءمات فرعون ولايموت ابدا ولم يصدقوا بغرقه فالقاه البحر بامر الله تعالى الى الساحل فعاينوه واتقنوا بموته وقرئ بابدانك جمعا اماعلى ارادة الدروع لانه كان يلبس كثيرا منها خوفا على نفسه او على جعل كل جزء من بدنه بدنا كما يقال شابت مفارقه ووقع باجرامه مع ان المفرق واحد والجرم واحد ﴿قوله وقرئ لمن خلقك﴾ بالقاف فعلا ماضيا وقرئ لمن خلفك بالفاء وفتح اللام اى لمن خلفك من الجبابرة اى ليتعظوا بذلك وذكر فى كونه آية ثلاثة وجوه كونه آية دالة على كونه مملوكا مقهورا وكونه آية اعتبارا اى لمن خلفك وان كان على الطغيان وكونه آية دالة على كمال قدرة الله تعالى لانه اغرقه مع جميع قومه وما اخرج من الجميع فى قعر البحر الا اياه فتخصيصه دليل واضح على ذلك وذكر الوجه الثالث فى قرآءة لمن خلقك بالقاف ثم قال وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وهو ان يقرأ لمن خلفك بالفاء ﴿قوله منزلا صالحا مرضيا﴾ اشارة الى ان مبوأ اسم مكان ووصف بالصدق مدحا لهم اى اسكناهم مكانا محمودا فان عادة العرب اذا مدحت شيأ اضافته الى الصدق تقول رجل صدق قال تعالى رب ادخلنى مدخل صدق واخرجنى مخرج صدق قيل كان قوم موسى عليه الصلاة والسلام على ملة واحدة ومقالة واحدة ثم تشعبوا واختلفوا فى امور كثيرة من امور دينهم قبل البعثة طلبا للرياسة وبغيا من بعضهم على بعض حتى اداهم ذلك الى القتال تعسفا فى التأويل وتعصبا للمذاهب وماوقع هذا الاختلاف والتشعب الامن بعدما قرؤا التوراة وعلموا ماهو الحق فى امر الدين ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة فيه فالمراد من بنى اسرآئيل هم الذين نجوا من فرعون وماتناسل منهم فانه تعالى اورثهم جميع ماكان تحت ايدى قوم فرعون من الناطق والصامت والحرث والنسل وقيل المراد من بنى اسرآئيل هم الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة والنضير وبنو قينقاع انزلهم الله تعالى مبوأ الصدق مابين المدينة والشام من ارض يثرب ورزقهم من الطيبات من النخل ومافيها من الرطب والتمر الذى لايوجد مثله فى البلاد فما اختلفوا فى تصديقه وانه نبى حق الامن بعد ماجاءهم العلم والبينات بانه صلى الله عليه وسلم النبى المبعوث فى الكتب الالهية قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما المراد بالعلم القرآن العظيم وسمى القرآن علما لكونه سبب العلم وتسمية السبب باسم المسبب مجاز مشهور وقال الفرآء العلم ههنا بمعنى المعلوم والمراد به محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان معلوما عندهم بنعته فلما جاءهم صلى الله عليه وسلم اختلفوا فى تصديقه فكفر به اكثرهم ﴿قوله على سبيل الفرض والتقدير﴾ اى فان كنت فى شك فافعل كذا وكذا قضية شرطية فلا اشعار فيها البتة بان الشرط وقع من المخاطب اولم يقع ولابان الجزآء وقع اولم يقع بل ليس هناك الابيان ان ماهية ذلك الشرط مستلزمة لماهية ذلك الجزآء فقط ﴿قوله وقيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته اوكل واحد﴾ وتخصيص المخاطب لفرض تحقق الشرط فيه مبنى على كونه امير امته فان عادة السلطان الكبير اذا كان له امير وكان تحت رأى ذلك الامير جمع فاراد السلطان ان يأمر الرعية بامر مخصوص فانه لايوجه خطابه اليهم بل يوجه ذلك الخطاب الى

(ولو جاءتهم كل آية) فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود (حتى يروا العذاب الاليم) وحينئذ لاينفعهم كما لاينفع فرعون (فلولا كانت قرية آمنت) فهلا كانت قرية من القرى التى اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون (فنفعها ايمانها) بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها (الاقوم يونس) لكن قوم يونس عليه السلام (لما آمنوا) اول مارأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا) ويجوز ان تكون الجملة فى معنى النفى لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كأنه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قرآءة الرفع على البدل (ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد غامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم) بحيث لايشذ منهم احد (جميعا) مجتمعين على الايمان لايختلفون فيه وهو دليل على القدرية فى انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لامحالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر (أفانت تكره الناس) بما لم يشأ الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين) وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روى انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله (وما كان لنفس ان تؤمن) بالله (الا باذن الله) الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك فى هداها فانه الى الله (ويجعل الرجس) العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاى وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون (على الذين لايعقلون) لايستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والآيات او لايعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله (قل انظروا) اى تفكروا (ماذا فى السموات والارض) من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل (وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) فى علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية فى موضع النصب (لاستحقاق)

ذلك الامر الذى جعله امرا عليهم ليكون ذلك اقوى تأثيرا فى قلوبهم لما فرغ الله تعالى من قصة نوح عليه الصلاة والسلام وموسى عليه الصلاة والسلام شرع فى القصة الثالثة وهى قصة يونس عليه الصلاة والسلام وان قومه آمنوا بعد كفرهم وانتفعوا بذلك الايمان وهو مادل عليه قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت ووجه اتصالها بما قبلها ان قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون ولو جاءتهم كل آية يدل على ان من الكفار فريقا قضى الله عليهم ان يموتوا على الكفر فهم لايؤمنون البتة فاتبعه بيان ان من الكفار فريقا آخر ختم لهم بالايمان * فان قيل انه تعالى حكى عن فرعون انه تاب فى آخر الامر ولم تقبل توبته وعن قوم يونس عليه السلام انهم تابوا وقبلت توبتهم فما الفرق * والجواب ان فرعون انما تاب بعد ان شاهد العذاب وقوم يونس تابوا قبل ان يشاهدوا العذاب والمصنف اشار الى هذا الفرق بقوله لما آمنوا اول مارأوا امارة العذاب تابوا قبل ان يشاهدوا العذاب فظهر الفرق ﴿قوله فهلا كانت﴾ اشارة الى هذا الفرق بقوله لما آمنوا اول مارأوا العذاب تابوا قبل ان يشاهدوا لان لولا هنا تحضيضية وفيه معنى التوبيخ كما فى قول الفرزدق

تعدون عقر النيب افضل مجدكم ۞ بنى ضوطرى لولا الكمى المقنعا

وفى مصحف ابى وعبد الله فهلا وبه قرئ وهى نص فى انها للتحضيض وقيل ان لولا تأتى بمعنى ما النافية فى مواضع منها ما فى هذه الآية وتقديرها فما كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس وهو من حيث اللفظ استثناء منقطع لان مابعد الا وهو قوم يونس ليس بداخل فى جنس ماقبلها وهى القرية وبحسب المعنى متصل لان المعنى ما آمن من اهل القرى الا قوم يونس وظاهر عبارة المصنف يدل على ان المصحح لكونه متصلا كون الكلام فى معنى النفى وليس كذلك بل المسوغ له كونه اطلق القرى واريد بها اهاليها على اطلاق اسم المحل على الحال والا فانه يكون الاستثناء منقطعا كما اشار اليه بقوله لكن قوم يونس لما آمنوا فى وقت قبول الايمان كشفنا عنهم بعد قوله فهلا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها والتحقيق ان كلمة لولا اذا كانت حرف تحضيض او كانت بمعنى ما النافية يكون المراد من القرى اهاليها لان التحضيض انما يكون للاهل لا لنفس القرية ولانه قد اسند الايمان اليها والايمان لايسند الى نفس القرية بل الى اهلها والمصنف قطع بكون الاستثناء منقطعا باعتبار كون الجملة مسوقة الى التحضيض وقطع بكونه متصلا باعتبار كونها فى معنى النفى فان التحضيض لما كان فيه معنى النفى كان فى قوة قوله ما آمن المحضضون ولم يؤمنوا لان حرف التحضيض اذا دخل على الفعل الماضى يكون للتوبيخ على ترك الفعل فان اعتبر معنى النفى كان الاستثناء متصلا لامحالة لان المراد حينئذ ان اهالى القرى ما آمنوا الا قوم يونس فانهم آمنوا واما ان اعتبر التحضيض لم يكن الاستثناء متصلا لان من شأن الاستثناء المتصل ان يجوز نفى ما استثنى عن المستثنى منه ولو قلت لولا آمنوا الا قوم يونس ليسوا بما لم يؤمنوا او ما آمنوا لم يكن كلاما مستقيما بخلاف ما اذا جعل الاستثناء منقطعا فانك اذا قلت لكن قوم يونس آمنوا وانتفعوا بايمانهم استقام الكلام وانما قال المصنف فى معنى النفى لان المراد من القرى اهلها بلفظ الجمع مع ان المذكور فى الآية لفظ قرية لانها نكرة فى سياق النفى فتفيد العموم وكان فى الآية تامة وآمنت صفة لقرية وقوله فنفعها معطوف على آمنت ﴿قوله ويؤيده قرآءة الرفع﴾ على جعله بدلا من قرية وجه التأييد ان ابدال المستثنى من المستثنى منه انما يجوز فى كلام غير موجب ولا يجوز الابدال فى مثل جاءنى القوم الا زيد لان المبدل فى حكم الساقط فيكون تقدير الكلام جاءنى الا زيد وهو يستلزم ان يجيء جميع العالم اليه الا زيد وهو محال ﴿قوله وهو دليل على القدرية﴾ القائلين بانه تعالى يريد ايمان الكافر وطاعة العاصى لكن الكافر والعاصى انما يكفر ويعصى بقدرة نفسه وارادته ووجه الاستدلال ان الآية صريح فى انه تعالى ما اراد ايمان الكل لان معنى الآية انه لو شاء ايمان الكل لآمن الكل وكلمة لو الامتناعية فى الآية صريح فى انه تعالى ما اراد ايمان الكل لان معناها انتفاء الشئ لانتفاء غيره فدل على ان ماق حيز لو منتف فلا يريد ايمان الكل * واجاب الجبائى والقاضى وغيرهما من المعتزلة عما يرد على مذهبهم بان المراد بالمشيئة مشيئة الالجاء اى لو شاء الله ان يلجئهم الى الايمان لقدر عليه ولصح ذلك منه ولكنه مافعل ذلك لان الايمان الصادر من العبد على سبيل الالجاء لاينفعه ولا يفيد فائدة ثم قال الجبائى ومعنى الجاء الله تعالى اياهم الى ذلك ان يعرفهم اضطرارا انهم لو حاولوا ترك الايمان حال الله بينهم وبين ذلك وعند هذا لابد وان يفعلوا ما الجئوا اليه كما ان من علمنا انه لو حاول قتل امير منع من فعله وتركه قهرا لم يكن تركه لذلك الفعل سببا

(فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم) مثل وقائعهم من نزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها (قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين) لذلك او فانتظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا) عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية (كذلك حقا علينا ننجى المؤمنين) كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجى محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك (قل ياايها الناس) خطاب لاهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) وصحته (فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم) فهذا خلاصة دينى اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو انى لا اعبد ما تختلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذى هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد (وامرت ان اكون من المؤمنين) بما دل عليه العقل ونطق به الوحى وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله

امرتك الخير فافعل ما امرت به ٭ فقد تركتك ذا مال وذا نسب ٭

(وان أقم وجهك للدين) عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما فى الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة فى الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او فى الصلاة باستقبال القبلة (حنيفا) حال من الدين او الوجه (ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) بنفسه ان دعوته او خذلته (فان فعلت) فان دعوته (فانك اذا من الظالمين) جزاء الشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء (وان يمسسك الله بضر) وان يصبك به (فلا كاشف له) يرفعه (الا هو) الا الله (وان يردك بخير فلا راد) فلا دافع (لفضله) الذى ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية (قل ياايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر (فمن اهتدى) بالايمان والمتابعة (فانما يهتدى لنفسه) لان نفعه لها (ومن ضل) بالكفر بهما (فانما يضل عليها) لان وبال الضلال عليها (وما انا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك) بالامتثال والتبليغ (واصبر) على دعوتهم وتحمل اذيتهم (حتى يحكم الله) بالنصرة او بالامر بالقتال (وهو خير الحاكمين)

لاستحقاق المدح والثواب فكذا ههنا فتفسير الآية على طريق اهل السنة انه تعالى اخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته فقال ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا ولكن شاء ان يؤمن به من علم منه اختيار الايمان وشاء ان من علم منه انه يختار الكفر لا يؤمن به فقد اخبر الله تعالى بنفاذ مشيئته فى جميع خلقه ﴿ قوله من المطرد مع ان ﴾ اى باعتبار الاول مطرد وبالاعتبار الثانى غير مطرد فيمكن ان يجعل حذف حرف الجر فيه مبنيا على كل واحدة من القاعدتين ﴿ قوله ولا فرق بينهما ﴾ بين ان يكون صلة ان خبريا او طلبيا وهو جواب عن الاشكال الذى اورده الزمخشرى على كون وان اقم معطوفا على ان اكون وهو ان ان فى قوله وان اقم وجهك اما ان تكون مفسرة او موصولة كالاولى ولا سبيل الى شئ منهما اما الى الاول فلان الاولى مع صلتها مأمور بها فلو كانت المفسرة عطفا عليها لكانت ايضا مأمورا بها والمأمور به لا يكون تفسيرا للامر وايضا هى مع صلتها مفعول والمفسرة لا تقع مفعولا وايضا يلزم تقدير حرف الجر فيها كما فى الموصولة واما الى الثانى فلان الصلة يجب ان تكون خبرا كما فى الموصول الاسمى وهو التى واخواتها ويسمى نحو ان وما المصدريتين وان المشبهة وكى موصولا حرفيا لكونها مع الجملة التى بعدها فى تأويل المفرد فاذا وقع فى التركيب يكون له محل من الاعراب وتلك الجملة تسمى صلة فى تقدير الكلام ٭ والجواب ان سيبويه جوز ان تكون الصلة امرا ونهيا لان الوصل بالماضى والمضارع انما يجوز لدلالته على المصدر فيجوز الوصل بالامر والنهى لدلالتهما ايضا على المصدر وانما وجب فى الموصول الاسمى ان تكون صلته خبرية لان وضعها ليتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل والجمل لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية والموصول الحرفى ليس كذلك فلا يجب ان تكون صلته خبرية ﴿ قوله والمعنى وامرت بالاستقامة فى الدين ﴾ لما تقرر ان ان مصدرية معطوفة على ان اكون وانها مع صلتها مأمور بها وفيه اشارة الى ان اقامة الوجه للدين كناية عن توجه النفس بالكلية الى عبادة الله تعالى والاعراض عما سواه فان من اراد ان ينظر الى شئ نظر الاستقامة او بالاستقبال فانه يقيم وجهه فى مقابلته بحيث لا يلتفت يمينا ولا شمالا لانه لو التفت الى جهة بطلت تلك المقابلة واختل النظر المراد ولذلك كنى باقامة الوجه عن صرف الفعل بالكلية الى الدين وقيل المعنى اقم وجهك فى الصلاة نحو القبلة وقوله حنيفا حال من الدين او من الوجه اى فى حال كونه مستقيما لا اعوجاج فيه بوجه ما او فى حال كونك مائلا اليه ميلا كليا معرضا عما سواه اعراضا كليا فقوله امرت ان اكون من المؤمنين اشارة الى تحصيل اصل الايمان وقوله وان اقم وجهك للدين حنيفا الى الاستغراق فى نور الايمان والاعراض بالكلية عما سواه ٭ قال الامام قوله تعالى ولا تكونن من المشركين لا يمكن ان يكون نهيا عن عبادة الاوثان لان ذلك مذكور فى اول الآية وهو قوله لا اعبد الذين تعبدون من دون الله فلابد ان يحمل هذا الكلام على ما يفيد فائدة زائدة فان من عرف مولاه لو التفت بعد ذلك الى غيره كان ذلك شركا وهذا هو الذى يسميه اصحاب القلوب بالشرك الخفى ثم قال قوله تعالى ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك اشارة الى مقام آخر هو درجات العارفين لان ما سوى الحق لا وجود له الا بايجاد الحق وعلى هذا التقدير فلا نافع الا الحق ولا ضار الا الحق وكل شئ هالك الا وجهه واذا كان كذلك فلا حكم ولا رجوع فى الدارين الا الى الله ثم قال تعالى آخر الآية فان فعلت فانك اذا من الظالمين اى لو اشتغلت بطلب المنفعة والمضرة من غير الله فانت من الظالمين لان الظلم عبارة عن وضع الشئ فى غير موضعه فاذا كان ما سوى الحق معزولا عن التصرف كان طلب المنفعة والمضرة مما سوى الحق وضع الشئ فى غير موضعه فيكون ظلما وطلب الانتفاع بالاشياء التى خلقها الله تعالى للانتفاع بها من الطعام والشراب ونحوهما لا ينافى الرجوع بالكلية الى الله تعالى بشرط ان يكون بصر عقله عند توجهه الى شئ من هذه الاشياء مشاهدا لقدرة الله تعالى وجوده واحسانه فى ايجاد تلك الموجودات وابداع تلك المنافع فيها وجازما بانها فى انفسها وذاتها معدومة هالكة لا وجود لها ولا بقاء ولا تأثير الا بايجاد الله تعالى وابقائه وافاضة ما فيها من الخواص عليها بجوده واحسانه ثم انه تعالى قرر بقوله وان يمسسك الله الآية ان جميع الممكنات مستندة اليه وان جميع الكائنات من الرحمة والجود فائض منه محتاج اليه فما كان كل واحد من الخير والضر واقعا بقدرة الله تعالى وبقضائه لزم ان يكون الكفر والايمان والطاعة والعصيان والشرور والآفات والآلام واللذات واقعة بقدرة الله تعالى وقضائه ان قضى على احد شرا فلا كاشف له الا هو وان قضى لاحد خيرا فلا راد لفضله البتة ﴿ قوله ولم يستثن ﴾ اى لم يقل وان يردك بخير فلا راد لفضله الا هو

لانه مدفرض ان تعلق الخيرية واقع بارادة الله تعالى لم يبق للاستثناء معنى بخلاف الضر فانه لم يفرض ان تعلقه به مراد بالذات فحسن الاستثناء وقوله تعالى وان يردك بخير معناه وان يردك الخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالآخر جازت كل واحدة من العبارتين مع ان التقديم فى اللفظ يدل على زيادة العناية بالمقدم فقوله وان يردك بخير يدل على ان المقصود هو الانسان وسائر الخيرات مخلوقة لاجله وهذه الدقيقة لاتستفاد الامن هذا التركيب والله اعلم

﴿ سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله تعالى الر كتاب ﴾ ان كان الر اسم السورة يكون مبتدأ وكتاب خبره وان كان مذكورا على نمط تعديد الحروف التحدى والاعجاز من حيث دلالته على ان المتحدى به مؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم فلولا انه من عند الله تعالى لما عجزوا عن الاتيان بمثله يكون كتاب خبر مبتدأ محذوف وذكر فى احكام الآيات اربعة معان الاول انها نظمت نظما محكما لايقع فيه نقض ولا اخلال كالبناء المحكم والثانى كونها ممنوعة من الفساد بان ينسخ شئ منها والثالث ان احكامها عبارة عن تحقق مدلولاتها بالحجج والدلائل والرابع ان المعنى جعلت حكيمة اى مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية فان الحكم الدينية اما نظرية لاتعلق لها بالعمل بل المقصود بها مجرد الاعتقاد كمعرفة الصانع بانه واحد ازلا وابدا ووحدته وسائر صفات جلاله وجماله ومعرفة الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وما فيه من نحو الصراط والميزان واما عملية متعلقة بكيفية العمل وهى قسمان احدهما مايتعلق بتهذيب الاعمال الظاهرة وبالاحوال الباطنة وهو علم التصفية ورياضة النفس ولا يوجد فى العالم كتاب يساوى القرآن الكريم والكتاب الحكيم فى بيان هذه المطالب المهمة ﴿ قوله ثم فصلت بالفرائد من العقائد ﴾ بالفرائد متعلق بفصلت ومن العقائد بيان للفرائد يقال عقد مفصل اذا جعل بين كل لؤلؤتين خرزة فمعنى قوله تعالى ثم فصلت ان آياته زينت بالفرائد كما زينت القلائد بالفرائد ﴿ قوله او بجعلها سورا ﴾ معنى جعل آيات هذه السورة الكريمة سورا ذكر معانى هذه السورة وآياتها فى سورة متفرقة وآيات متعددة من التفصيل بمعنى التفريق وكذا اذا كانت فصلت بمعنى انزلت نجما نجما اى وقتا وقتا فان النجم فى الاصل اسم للكوكب الطالع ثم نقل الى الوقت لانهم يعرفون الاوقات بطلوع النجم ومنه قول الامام الشافعى اقل التأجيل نجمان اى شهران ﴿ قوله او فصل فيها ﴾ اى بين ولخص فيها مايحتاج اليه العباد فان التفصيل يستعمل بمعنى التبيين ايضا ﴿ قوله وثم للتفاوت فى الحكم ﴾ اى للتراخى فى الرتبة لاللتراخى فى الوقوع فى الزمان فان تفصيل آياتها ليس متراخيا عن احكامها بحسب الزمان بل هو متراخ عنه بحسب الرتبة فان التفصيل باى معنى كان اقوى وادخل فى المدح بالنسبة الى الاحكام ﴿ قوله او للتراخى فى الاخبار ﴾ فان الشائع فى الجمل ان يراد بها نفس مفهومها الا انه قد يراد بها الاخبار بمفهومها كما سبق فى جزاء الشرط والظاهر ان المراد من التراخى هو مجرد الترتيب فانه لاحقيقة التراخى منتفية بين الاخبارين ضرورة ان الاخبار بالتفصيل وقع عقيب الاخبار بالاحكام ﴿ قوله صفة اخرى لكتاب ﴾ فان احكمت فى محل الرفع على انه صفة لكتاب فيكون تقدير الكلام الر كتاب من لدن حكيم خبير وان كان خبرا بعد خبر يكون التقدير الر من لدن حكيم خبير وان كان صلة اى معمولا لاحد الفعلين من حيث صناعة الاعراب على سبيل التنازع يكون متعلقهما من حيث المعنى ويكون المعنى احكمها حكيم وفصلها اى شرحها وبينها خبير عالم بكيفيات الامور وعلى كل تقدير يكون المقصود منه تقرير احكامها وتفصيلها فانه لما وصف من انزلها واحكمها وفصلها بانه رب حكيم اى محكم للامور واضع كل شئ موضعه وبانه خبير لايعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يخفى شئ فى الملك والملكوت الا ويكون عنده خبره فان الخبير بمعنى العليم لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة سمى خبرة وسمى صاحبه خبيرا ولكون الخبير ابلغ من العليم اورد ذكر الخبير بعد ذكر العليم فى قوله تعالى وهو العليم الخبير ﴿ قوله باعتبار ماظهر امره وماخفى ﴾ متعلق بقوله تقرير فان كون الركتابا منزلا من لدن حكيم يدل على متانة ظاهر نظمه وكونه منزلا من لدن خبير يدل على متانة ماخفى من مدلوله فهو بالاعتبار الاول تقرير لاحكامها وبالاعتبار الثانى تقرير لتفصيلها وتبيينها ﴿ قوله لان لاتعبدوا ﴾ على تقدير ان تكون كلمة ان فى قوله ان لاتعبدوا مصدرية موصولة بالنهى وقد مر عن قريب انه يجوز

اذ لايمكن الخطأ فى حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس ومن كذب به وبعدد من غرق مع فرعون

﴿ سورة هود مكية وهى مائة ﴾
﴿ وثلاث وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر كتاب) مبتدأ وخبرا وكتاب خبر مبتدأ محذوف (احكمت آياته) نظمت نظما محكما لايعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقولة من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية (ثم فصلت) بالفرائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص مايحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت فى الحكم او للتراخى فى الاخبار (من لدن حكيم خبير) صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ماينبغى باعتبار ماظهر امره وماخفى (ان لاتعبدوا الا الله) لان لاتعبدوا وقيل ان مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبرى من عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا (اننى لكم منه) من الله (نذير وبشير) بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد (وان استغفروا ربكم) عطف على ان لاتعبدوا

ان يكون صلة الموصول الحرفي جملة طلبية وهي مع الجملة التي بعدها في محل النصب على انها مفعول له لقوله احكمت او فصلت على طريق التنازع و حذفت اللام منه وان لم يشتمل على شرآئط حذف اللام من المفعول له بناء على القياس المطرد في حذف حرف الجر مع ان و التقدير كتاب احكمت آياته ثم فصلت لاجل ان لاتعبدوا الا الله وهذا التأويل يدل على انه لامقصود من هذا الكتاب الشريف الا هذا الحرف الواحد فكل من صرف عمره الى سائر المطالب فقد خاب وخسر وقيل كلمة ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول وان المفسرة في تقدير القول كقوله تعالى و ناديناه ان يا ابراهيم تقديره ناديناه وقلنا يا ابراهيم ولهذا لاتجيء بعد صريح القول لان تقدير القول بعد صريحه لامعنى له وانما تجيء بعد كلام فيه معنى القول ليدل على القول فكأنه قيل ههنا ثم فصلت من لدن حكيم خبير قال لاتعبدوا الا الله قيل وحملها على المفسرة اولى لان قوله وان استغفروا معطوف على قوله ان لاتعبدوا فيجب ان يكون معناه ان لاتعبدوا الا الله ليكون الامر معطوفا على النهي فان كونه بمعنى لان لاتعبدوا يمنع عطف الامر عليه * والجواب عنه ان قوله وان استغفروا لما كان معطوفا عليه كان ان فيه ايضا كذلك وقد سبق انه يجوز وصلها بالامر والنهي وان فاته معنى الامر والنهي عند التقدير بالمصدر كفوات معنى الماضي والمستقبل عنده كأنه قيل لاجل تخصيص العبادة بالله ولاجل الاستغفار احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ويجوز ان لايكون قوله ان لاتعبدوا متصلا بما قبله بل يكون منقطعا عنه مقولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فيكون فيه ان مصدرية فلهذا قدر بقوله ترك عبادة غيرالله بمعنى الزموا تركها فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه واضيف الى المفعول والاستغفار هو ان يستر على العبد ذنوبه في الدنيا ويتجاوز عن عقوبته في الآخرة ولما ورد ان يقال الاستغفار هو التوبة فما معنى ايراد ثم بين الشيء ونفسه * اشار الى دفعه بان جعل التوبة هي الرجوع عن الضلال مجازا عن التوصل الى المطلوب بطريق اطلاق السبب على المسبب وجعل كلمة ثم قرينة المجاز لان التوصل المطلوب يتراخى عن الرجوع الى الطريقة ﴿ قوله يمتعكم ﴾ مجزوم لكونه تفسيرا لما هو جواب الامر يقال اياته عيشة راضية والدعة الراحة واعترض على تفسير الاجل المسمى بآخر الاعمار المقدرة بان قوله صلى الله عليه وسلم * الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر * وقوله * خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل * وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة يدل على ان نصيب المطيع عدم الراحة في الدنيا فكيف الجمع بين هذه النصوص وبين ان تفسر هذه الآية بان يقال يعيشكم في امنة وسعة الى الموت * واجيب بان المؤمن انما يشتغل باستغفار ربه وطاعته لايثاره طاعة ربه على هوى نفسه ولكون راحته واطمئنان قلبه في الاشتغال بطلب ربه وتفويضه جميع اموره اليه ثقة باطلاعه على جميع احواله واعتمادا على ضمانه بكفاية مهماته بقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن كان هذا شأنه لاجرم يعيش في امن وراحة لكونه راضيا عما قضاه الله تعالى في حقه بخلاف من ربط قلبه بغيرالله تعالى من الاسباب فانه ابدا في الم الخوف من فوات محبوبه وزواله فكان عيشه منغصا وقلبه مضطربا وقيل الجواب ليس معنى قوله يمتعكم متاعا حسنا انه تعالى يعيشكم في امن وسعة الى اجل مسمى بل معناه انه تعالى لايعذبهم بعذاب الاستئصال كما استأصل الفرقة من الكفرة * قال الامام وقيل قوله تعالى الى اجل مسمى هل يدل على ان العبد اجلين وانه يجوز في ذلك التقديم والتأخير فالجواب لادلالة على ذلك ومعنى الآية انه تعالى حكم بان هذا العبد لو اشتغل بالعبادة لكان اجله في وقت آخر عمره لكنه تعالى عالم بانه هل يشتغل بالعبادة اولا فلاجرم كان عالما بان اجله ليس الا في ذلك الوقت فثبت ان لكل انسان اجلا على حدته بمعنى اجلا واحدا انتهى كلامه وقال الكعبي ان المقتول اجلين اجل القتل واجل الموت فان المقتول لو لم يقتل لعاش الى اجله الذي هو اجل الموت وعند الفلاسفة ان للحيوان اجلا طبيعيا وقت موته لتحلل رطوبته وانطفاء حرارته الغريزيتين واجلا اخترانيا بحسب الآفات والامراض وعندنا الاجل واحد والمصنف اشار الى ما قاله الامام بقوله والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال الخ ﴿ قوله وان تولوا ﴾ لفظ تولوا وان كان على صيغة الماضي اسند الى ضمير الغائبين الا انه جعل مضارعا حذف منه احدى التاءين تخفيفا وقرئ تولوا بضم التاء وفتح الواو وضم اللام وهو مضارع ولى من قولهم ولى هاربا اي ادبر ثم انه تعالى لما قال وان تولوا عن عبادة الله وطاعته بين بعد صفة ذلك التولي فقال الا انهم يعني الكفار يثنون صدورهم قرآءة الجمهور بفتح الياء وسكون الثاء

(ثم توبوا اليه) ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لابدله من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين (يمتعكم متاعا حسنا) يعيشكم في امن ودعة (الى اجل مسمى) هو آخر اعماركم المقدرة اولا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير (ويؤت كل ذي فضل فضله) ويعط كل ذي فضل في دينه جزآء فضله في الدنيا او الآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين (وان تولوا) وان تتولوا (فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير) يوم القيامة وقيل يوم الشدآئد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى (الى الله مرجعكم) رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس (وهو على كل شيء قدير) فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب فكأنه تقرير لكبر اليوم

(الا انهم يثنون صدورهم) يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء المبالغة و يثنون واصله يثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني ويثئن من اثنان كابياض بالهمزة (ليستخفوا منه) من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة (الا حين يستغشون ثيابهم) الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم (يعلم ما يسرون) في قلوبهم (وما يعلنون) بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه (انه عليم بذات الصدور) بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه (ويعلم مستقرها ومستودعها) اماكنها في الحياة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة (كل) كل واحد من الدواب واحوالها (في كتاب مبين) مذكور في اللوح المحفوظ وكأنه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام) اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات (وكان عرشه على الماء) قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك (ليبلوكم ايكم احسن عملا) متعلق بخلق اي خلق ذلك خلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون

الثلاثة على انه مضارع اثني يثني اي عطف وصرف والاحرف تميد اي تنبيه على احوال المشركين الذين وقعوا على جهلهم حيث يعرضون عن الحق ويقبلون على الباطل والكفر و يولون ظهورهم الحق يريدون بذلك الاستخفاء من الله تعالى ذكر الله للكفار حالين يريدون بكل واحدة منهما الاستخفاء من الله تعالى احداهما انهم كانوا يعرضون عن الحق وذلك ان جماعة من الكفار كان يخلو بعضهم ببعض فيشتغلون بذم النبي صلى الله عليه وسلم وسبه فاشتغالهم بالمذمة هو اعراضهم عن الحق واخفاء ذلك في قلوبهم وفي خلواتهم هو ارادتهم الاستخفاء فجعل ثني الصدر كناية عن الاعراض لانه من لوازمه وقوله تعالى ليستخفوا منه ليس علة للثني بمعنى الاعراض لان الاعراض عن الحق ليس للاستخفاء فلا بد من تقدير اي يريدون ليستخفوا والحال الثانية انهم يستغشون ثيابهم وذلك ان طائفة من المشركين كانوا اذا رأوه صلى الله عليه وسلم يقبل اليهم ومن عادته صلى الله عليه وسلم انه كان اذا لقي الكفار دعاهم الى الله تعالى واسمعهم كلام الله تعالى استغشوا ثيابهم لئلا يراهم الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يسمعوا كلامه وهو ايضا ارادة الاستخفاء والاستخفاء في كل واحدة من الحالين انما هو من الرسول صلى الله عليه وسلم لكن الاستخفاء منه انما يكون بالاستخفاء من الله تعالى لان اطلاع الله تعالى على ما اسروه ملزوم لاطلاع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عليه كما اشار اليه بقوله فلا يطلع رسوله والمؤمنين ﴿قوله يثنوني بالياء والتاء﴾ لان تأنيث الصدور مجازي فجاز تذكير الفعل باعتبار تأويله بالجماعة و يثنوني من اثنوني على وزن افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة فيكون صدورهم مرفوعا بالفاعلية وقرئ يثنون بفتح الياء وسكون الثاء وفتح النون وكسر الواو وتشديد النون الاخيرة والاصل يثنونن بوزن يفعوعل من الثن بالكسر وهو يابس الحشيش والكلأ يميل الى الضعف والمراد مطاوعة نفوسهم للثني او ضعف قلوبهم وقرئ يثئن بان يجعل مكان الواو المكسورة في القراءة السابقة همزة مكسورة على وزن يطمئن من الثن وهو ما ضعف من الكلأ كما تقدم ﴿قوله تعالى حين يستغشون ثيابهم﴾ جعله صاحب الكشاف منصوبا بفعل مضمر حيث قال ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله تعالى والظاهر من تقرير المصنف كونه منصوبا بيعلم والمعنى تنبهوا واعلموا انه يعلم سرهم وعلنهم في وقت التغشية الذي يخفى السر فيه فاولى ان يعلم ذلك في غيره وهذا بحسب العادة والا فالله تعالى لا يتفاوت علمه بتفاوت احوال الخلق وما في ما يسرون يجوز ان تكون مصدرية وان تكون بمعنى الذي والعائد محذوف اي يسرونه ويعلنونه ثم انه تعالى لما ذكر انه يعلم ما يسرون وما يعلنون اردفه بما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات فذكر ان رزق كل حيوان مع اختلاف طبائع الحيوانات واغذيتها انما يصل اليه من الله تعالى فلو لم يكن عالما بجميع المعلومات لما حصلت هذه المهمات والدابة لكل حيوان ذي روح ذكرا كان او انثى مأخوذ من الدبيب الا انه اختص بحسب عرف البعض بذات القوائم الاربع وبحسب عرف العرب بالفرس والمراد به في هذه الآية معناه الوضعي اللغوي باتفاق المفسرين روي ان موسى عليه الصلاة والسلام حين نزل الوحي اليه تعلق قلبه باحوال اهله فامره الله تعالى بان يضرب بعصاه على صخرة فضربها فانشقت وخرجت منها صخرة ثانية ثم ضربها بعصاه فانشقت فخرجت منها صخرة ثالثة ثم ضربها بعصاه فانشقت فخرجت منها دودة وفي فيها شيء يجري مجرى الغذاء لها ورفع الحجاب عن موسى عليه الصلاة والسلام فسمع الدودة تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني ﴿قوله وانما اتى بلفظ الوجوب﴾ جواب عما يقال حصول الرزق الى الحيوان بطريق التفضل ومنوط بمشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وكلمة على للوجوب فيتنافيان وتقرير الجواب ان ايصال الرزق الى كل حيوان وان كان بطريق التفضل والجود والاحسان لكنه تعالى لا يخلف الميعاد فصور بصورة الوجوب لفائدتين احداهما التحقيق لوصوله والثانية حمل العباد على التوكل عليه في شأن الرزق ﴿قوله اماكنها في الحياة والممات﴾ اشارة الى ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان مستقرها المكان الذي تأوي اليه ليلا او نهارا وتستقر فيه ومستودعها الذي تدفن فيه اذا ماتت فانها تستودع الى ان تبعث وقال عطاء المستقر ارحام الامهات والمستودع اصلاب الآباء ﴿قوله او مساكنها﴾ يعني ان المستقر هو مكانها من الارض حيث وجدت بالفعل والمستودع حيث تكون مودعة قبل وجودها فيه بالفعل صلبا او رحما او بيضة ﴿قوله وبما بعدها﴾ اي واريد بقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض بيان كونه تعالى قادرا على كل المقدورات بعد كونه عالما بجميع المعلومات ﴿قوله اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم﴾ يعني ان لام التعليل في قوله

تعالى ليبلوكم وان كان ظاهرا على مذهب المعتزلة القائلين بان افعال الله تعالى معللة بمصالح العباد الا ان اهل السنة والجماعة يقولون بانها ليست على ظاهرها بل المعنى ان الله تعالى فعل فعلا لو كان يفعله من يراعى المصالح مايفعله الا لتلك المصلحة واشار به ايضا الى جواب مايقال الابتلاء انما يصح من الجاهل بعواقب الامور فكيف اسند اليه تعالى • وتقرير الجواب عنه ان ليس المراد به حقيقة الابتلاء بل هو مشبه بالابتلاء وان معاملة الله تعالى مع عباده فى خلق المنافع لهم وتكليفهم بشكره واثابتهم ان شكروا وعقوبتهم ان كفروا تشبه معاملة المختبر فاستعير لها الابتلاء على سبيل التمثيل ﴿ قوله فان جملة ذلك الخ ﴾ بيان لكونها شبيهة بمعاملة المبتلى لاحوالكم وقوله وانما جاز تعليق فعل البلوى جواب عما يقال التعليق مختص بالفعل القلبى وفعل البلوى ليس منه فكيف يكون التعليق • فاجاب بانه انما علق لان فيه معنى العلم والعلم يجوز تعليقه فكذا مافيه معنى العلم كما يعلق النظر والاستماع لما فى كل واحد منهما معنى العلم من حيث ان كلا من النظر والاستماع طريق الى العلم فقال انظر ايهم احسن وجها واستمع ايهم احسن صوتا وتعليق افعال القلوب عبارة عن ابطال عملها فى اللفظ دون المعنى اذا توسط بينها وبين معمولها احد امور ثلاثة احدها لام نحو ظننت لزيد منطلق والثانى الاستفهام نحو علمت أزيد منطلق وعلمت ايهم فى الدار والثالث حرف النفى نحو علمت مازيد منطلق وهذه الثلاثة لما اقتضت صدر الكلام منعت ماقبلها من العمل فيما بعدها فرفع مابعده على الابتدآء وفعل البلوى يستدعى مفعولا ثانيا وهو المختبر به كما فى قوله تعالى ولنبلونكم بشئ وفى هذه الآية قد عمل فى الفاعل ومفعوله الاول حيث قيل ليبلوكم وعلق عن مفعوله الذى يتعدى اليه بالباء لانه لم يعمل فيه لفظا وان تعلق به من حيث المعنى وهو معنى التعليق اما انه لم يعمل فيه لفظا فلان طريق عمله فيه لفظا ان يكون المعمول مفردا او يتعدى العامل بواسطة حرف الجرّ لفظا او يكون منصوبا بنزع الخافض ولا يتعدى الى الجملة الاستفهامية بواسطة الباء لانها لاتدخل الجملة الاسمية ولا تكون الجملة منصوبة بنزع الخافض فظهر انها ليست معمولة لفعل البلوى واما كونها متعلقة به من حيث المعنى مخبرا بها لان المعنى ليبلوكم بتكليفكم احسن العمل وما ذكره فى سورة الملك من انه ليس بتعليق مبنى على ان تضمن فعل البلوى معنى العلم فتكون الجملة منصوبة المحل به على انها مفعول ثان له لانه لايتعدى بحرف الجرّ حتى يلزم المحذور المذكور على تقدير جعله عاملا ﴿ قوله وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار ﴾ مع ان جمعهما فى حكم الجمع بين المتنافيين لان الاختبار يتعلق بجميع العباد محسنين كانوا ومسيئين واحسن عملا يخصصه بالمحسنين تنبيها على ان المقصد الاقصى من خلق المخلوقات ان يتوسلوا باحسن الاعمال الى اجل المثوبات وتحريضا لهم على ترك القبائح والمنكرات ثم انه تعالى لما بين انه خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم اقتضى ذلك نشأة اخرى لهم بان يبعثوا من قبورهم ويحشروا فى موقف القيامة للحساب والجزآء لان الابتلاء والامتحان يوجب تخصيص المحسن بالرحمة والثواب وتخصيص المسئ بالمحنة والعقاب وذلك لايتم الا بتحقيق البعث والحساب فلذلك خاطب نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولنّ الذين كفروا واللام فى ولئن قلت لام الموطئة للقسم وليقولنّ جوابه وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه وانكم محكى بالقول ولذلك كسرت همزته فى قرآءة الجمهور وان قرئ ان هذا الاسحر تكون الاشارة الى البعث او القول المدلول عليه بما تقدم او الى القرآن المتضمن لذكره كانه قيل لو تلوت عليهم من القرآن مافيه اثبات البعث لقالوا هذا المتلوّ سحر والمراد انكار البعث بطريق الكناية لان القرآن هو الحاكم بحصول البعث واذا طعنوا فيه بكونه سحرا فقد طعنوا فيما حكم به القرآن من البعث لان الطعن فى الاصل يستلزم الطعن فى الفرع ﴿ قوله الا كالسحر ﴾ اشارة الى وجه مطابقة جوابهم لقول الرسول صلى الله عليه وسلم انكم مبعوثون وهو انهم اجابوه صلى الله عليه وسلم بكلام هو من باب التشبيه البليغ حيث شبهوا نفس البعث او القرآن المتضمن لذكره بالسحر فى الخديعة حيث زعموا انه صلى الله عليه وسلم انما ذكر ذلك لمنع الناس عن لذات الدنيا وصرفهم الى الانقياد له ودخولهم تحت طاعته او فى البطلان فان السحر لاشك انه تمويه وتخييل باطل فشبهوا به الامور المذكورة فى البطلان ﴿ قوله او ان يكون ان بمعنى عل ﴾ ذكر فى الصحاح وان المفتوحة قد تكون بمعنى لعل كقوله تعالى ومايشعركم انها اذا جاءت لايؤمنون فى قرآءة ابى لعلها فعلى هذا يكون معنى الاية ولكن قلت لهم الحكم لعلكم مبعوثون ولما ورد ان يقال انه صلى الله عليه وسلم قاطع بالبعث فكيف يقول لعلكم مبعوثون وايضا القرآءة المشهورة صريحة فى القطع والبت وهذه

فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم ومايحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح التحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقى دآئما فى مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل مايعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولنّ الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) اى ماالبعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر فى الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائى الاساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى عل اى ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل مالا حقيقة له مبالغة فى انكاره (ولئن اخرنا عنهم العذاب) الموعود (الى امة معدودة) الى جماعة من الاوقات قليلة (ليقولنّ) استهزآء (مايحبسه) مايمنعه من الوقوع (الا يوم يأتيهم) كيوم بدر (ليس مصروفا عنهم) ليس العذاب مدفوعا عنهم

ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها (وحاق بهم) واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد (ما كانوا به يستهزؤن) اى العذاب الذى كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزآء (ولئن اذقنا الانسان منا رحمة) ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها منه) ثم سلبنا تلك النعمة منه (انه ليؤس) قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به (كفور) مبالغ فى كفران ما سلف له من النعمة (ولئن اذقناه نعماء بعد ضرآء مسته) كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفى اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى (ليقولن ذهب السيئات عنى) اى المصائب التى ساءتنى (انه لفرح) بطر بالنعم مغتر بها (فخور) على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفى لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان فى الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده فى الآخرة وانه يقع فى الكفران والبطر بادنى شئ لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول (الا الذين صبروا) على الضرآء ايمانا بالله تعالى واستسلاما لقضائه (وعملوا الصالحات) شكرا لآلائه سابقها ولاحقها (اولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر كبير) اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأى المشركين مخافة ردهم واستهزآئهم به ولا يلزم من توقع الشئ لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل من الخيانة فى الوحى والثقة فى التبليغ مانعا (وضائق به صدرك) وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة (ان يقولوا لولا انزل عليه كنز) ينفقه فى الاستتباع كالملوك (او جاء معه ملك) يصدقه وقيل الضمير فى به مبهم يفسره ان يقولوا (انما انت نذير) ليس عليك الا الانذار بما يوحى اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك (والله على كل شئ وكيل) فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزآء اقوالهم وافعالهم

القرآءة صريحة فى عدم القطع والبت فيتافيان اشار الى جوابه بقوله يعنى توقعوا بعثكم الخ يعنى ان لعل لتوقع المخاطب لا على سبيل الاخبار لانهم لا يتوقعون البعث بل على سبيل الامر فكان المعنى توقعوا بعثكم فلما لم يكن لعل لتوقع المتكلم لم يلزم محذور ثم انه تعالى لما حكى انهم يكذبون الرسول صلى الله عليه وسلم بقولهم ان هذا الاسحر مبين حكى عنهم نوعا آخر من اباطيلهم وهو انه متى تأخر عنهم العذاب الذى توعدهم به الرسول صلى الله عليه وسلم اخذوا فى الاستهزآء بان يقولوا ما السبب الذى حبسه عنا فاجاب الله تعالى بانه اذا جاء الوقت الذى عينه الله لنزول ذلك العذاب لم ينصرف عنهم بل احاط بهم ﴿ قوله وهو دليل ﴾ يعنى ان جمهور البصريين لما رأوا ان يوم منصوب بالمصروف الذى هو خبر ليس استدلوا به على جواز تقديم خبر ليس عليها ووجه الاستدلال ان تقديم معمول الخبر يؤذن بجواز تقديم العامل ويوم لما قدم على ليس مع كونه معمولا لخبره فجواز تقديم نفس الخبر بطريق الاولى لانه لا تقدم الفرع فاولى ان يتقدم الاصل ثم انه تعالى لما ذكر ان عذاب اولئك الكفار وان تأخر الا انه لا بد وان يحيق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم وعلى كونهم مستحقين العذاب فقال ولئن اذقنا الانسان فقيل المراد به مطلق الانسان بدلالة استثناء قوله الا الذين صبروا منه والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل فيه فدلالة الاستثناء المذكور فى هذه الآية تدخل فيه المؤمن والكافر وقيل المراد به الكافر لان الاصل فى المعرف بلام التعريف ان يشار به الى المعهود السابق الا ان يمنع مانع منه وههنا لا مانع فوجب حمله على المعهود السابق وهو الكافر المعهود المذكور فى الآية المتقدمة فوجب ان يحمل الاستثناء فى هذه الآية على الاستثناء المنقطع ﴿ قوله وفى اختلاف الفعلين ﴾ وهما تحويل النعمة الى الشدة وعكسه وجعل التعبير عن الاول مخالفا للتعبير عن الثانى فان الظاهر ان يقال فى الاول ولئن اصبناه بشدة وضر بعد ما اعطيناه رخاء ورحمة ليوافق قوله ولئن اذقناه نعماء بعد ضرآء وخولف ذلك للتنبيه على سبق رحمة الله غضبه وان المقصود قصدا اوليا اى المقصود بالذات هو الرحمة وان البلاء انما يصيب الانسان لسوء تدبيره والحكمة فى كون الكافر يؤوسا حال زوال ما به من النعمة انه لا يعتقد ان تلك النعمة انما حصلت من جود الله تعالى وفضله واحسانه اذ هو لا يعتقد ذلك بل يعتقد ان السبب فى حصولها سبب اتفاق فيستبعد حدوث ذلك الاتفاق مرة اخرى فلا جرم يستبعد عود تلك النعمة فيقع فى اليأس حال زوالها ويقع فى الكفران حال حصولها لانه لما اعتقد ان حصولها انما كان على سبيل الاتفاق او بسبب ان الانسان انما حصلها بسبب جده وجهده لا يشتغل بشكر الله تعالى عن تلك النعمة ﴿ قوله بطر بالنعم ﴾ لان من شكر السعادة الاخروية اذا وجد لذة عاجلة دنيوية زعم انه فاز بنهاية السعادة فيعظم فرحه ويفتخر ولا يشتغل بشكر النعم كما انه لا يلزم الصبر عند البلاء والشدة ﴿ قوله ولا يلزم من توقع الشئ لوجود ما يدعو اليه وقوعه ﴾ فان لعل فى قوله فلعلك تارك للترجى بالنسبة الى المخاطب والمعنى اعظم ما يرد على قلبك من تخليطهم انك تتوهم انهم يزيلونك عن بعض ما انت عليه من تبليغ ما اوحى اليك فورد عليه ان يقال كيف يصح منه صلى الله عليه وسلم ان يتوقع من نفسه ان يخون فى الوحى ويترك تبليغ بعض ما يوحى اليه وقد اتفق المسلمون على انه لا يجوز للرسول صلى الله عليه وسلم ان يخون فى الوحى ويترك تبليغ بعضه والا ارتفع الوثوق من احكامه وبطل فائدة الرسالة فاجاب المصنف عنه بان توقع الخيانة لوجود ما يدعو اليها لا يستلزم وقوعها لان مجرد ما يدعو الى الشئ لا يكفى فى وجوده بل لا بد معه من ارتفاع ما يمنع عنه فمن اين تحكم بارتفاعه حتى تقع فى الاشكال ﴿ قوله وعارض لك احيانا ضيق صدرك ﴾ يعنى ان قوله تعالى وضائق عطف على قوله وتارك وعدل عن ضيق اليه وان كان ضيق اكثر منه استعمالا لان المقام ليس مقام الدلالة على الثبوت والاستقرار بل المقام مقام الدلالة على الحدوث والعروض فلذلك عدل الى ما يدل عليه وهو صيغة الفاعل فانك اذا اردت السيادة والجود الثابتين المستقرين قلت سيد وجيد واذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد وكذا الفرق بين حاسن وثاقل وسامن وبين حسن وثقيل وسمين ﴿ قوله مخافة ان يقولوا ﴾ علة لقوله وضائق حذف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب اعرابه محلا وضمير به يعود على بعض ما يوحى وقيل مبهم تفسيره ان يقولوا روى ان اهل مكة لما قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا هم النبى صلى الله عليه وسلم ان يدع سب آلهتهم ظاهرا فانزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعنى سب الآلهة وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة تشهد بنبوتك فقال صلى الله عليه وسلم

لاقدر على ذلك فنزلت الآية وكانوا قالوا لو كنت صادقا انك رسول الله الذى تصفه بالقدرة على كل شئ وعزيزا عنده فهلا انزل عليك كنزا اى مالا كثيرا من شأنه ان يجعل كنزا اى مالا مدفونا فان الكنز اسم للمال المدفون فوجب ان يكون المراد ههنا مايكنز وقد جرت العادة بان يسمى المال الكثير ايضا بهذا الاسم فكأن القوم قالوا فهلا نزل عليك ماتستغنى به وتغنى احبابك من الكل والتعب وتستعين به على مهماتك وتعين انصارك وان كنت صادقا فهلا انزل الله تعالى معك ملكا يشهدلك على صدق قولك ويعينك على تحصيل مقصودك فتزول الشبهة من امرك فلما لم يفعل ذلك فانت غير صادق فاجابهم الله تعالى بانه صلى الله عليه وسلم رسول ينذر بالعقاب ويبشر بالثواب ولاقدرة له على ايجاد هذه الاشياء والذى ارسله هو القادر على ذلك فان شاء فعل وان شاء لم يفعل ولااعتراض عليه فى فعله ولا فى حكمه ﴿قوله ام منقطعة﴾ لعدم ماتتصل هى به وتكون معادلة له معطوفة هى عليه والتقدير خلاف الاصل وجعلها صاحب التيسير متصلة وقال تقديره ايكذبونك ام يقولون افتراه وقيل تقديره ايكذبون بما اوحينا اليك معجزة ام يقولون انه ليس من عندالله بل افتراه محمد صلى الله عليه وسلم واتى به من عندنفسه وعلى تقدير كونها منقطعة يكون تقديرها بل والهمزة اضراب عن شرح صدره صلى الله عليه وسلم لثبات على الانذار بما اوحى اليه وعلى ان لايضيق صدره بان يقولوا لولا انزل عليه كنز ثم انكر عليهم قول ذلك ﴿قوله فى البيان وحسن النظم﴾ جواب عما يقال كيف يكون مايأتون به مثله ومايأتون به مفترى اى ليس المراد من المماثلة ان يكون مايأتون به مثل مااوحى اليه صلى الله عليه وسلم فى كونه غير مفترى ﴿قوله تحداهم اولا بعشر سور﴾ تصريح بان هذه السورة متقدمة بالنزول على سورة البقرة وهى قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله اى بسورة كائنة من مثل مانزلنا وعلى الآية التى فى سورة يونس وهو قوله تعالى ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله اما تقدمها على سورة يونس وان كانت كل واحدة منهما مكية فبدليل ان التحدى بعشر سور ينبغى ان يكون متقدما على التحدى بسورة اذلا معنى التحدى بالعشر بعد التحدى بسورة وبين عجزهم عن معارضتها فانه بمنزلة ان يقال لرجل اعطنى درهما فيعجز فيقال له اعطنى عشرة دراهم فان هذا الدليل يقتضى ان يكون سورة هود متقدمة فى النزول على سورة يونس وان كانت كل واحدة منهما مكية ﴿قوله وتوحيد المثل﴾ ويجوز ان يقال بجواز كل واحد من الافراد والمطابقة للموصوف من خصائص لفظ المثل كقوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا وقوله تعالى كامثال اللؤلؤ وقوله تعالى ثم لايكونوا امثالكم والقريض الشعر خاصة يقال قرضت الشعر اقرضه اذا قلته ﴿قوله والتنبيه على الخ﴾ تعليل بان يجمع الضمير على وجه تعميم الخطاب ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون لكم خطابا له صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين او خطابا له صلى الله عليه وسلم خاصة على جهة التعظيم رتب عليه مابعده بالفاء الجزائية والمعنى ان لم يستجب هؤلاء المشركون لكم يامحمد واصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الى مادعوتم اليه من معارضة القرآن واتيان عشر سور مثله وتبين عجزهم عنه بعد الاستعانة بمن استطاعوا الاستعانة منه من دون الله تعالى فاعلموا اى فاثبتوا على العلم الذى انتم عليه لتزدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عندالله تعالى وانه من جملة المعجزات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم فى دعوى الرسالة والجزم بصدقه صلى الله عليه وسلم يستلزم انه اى الشان لااله الاهو وليس المراد بقوله فاعلموا الامر بالعلم لانه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عالمون بالامرين قبل نزول هذه الآية بل المراد الثبات على العلم والزيادة فيه وكذا ليس المراد بقوله تعالى فهل انتم مسلمون الاستفهام عن احداثهم الاسلام بل المراد تثبيتهم عليه وتقوية نشاطهم لرسوخ والاخلاص ﴿قوله مطلقا﴾ بالنسبة اليكم والى كل من دعوتموه من دون الله ممن استطعتم وكلمة ما فى قوله تعالى انما انزل بعلم الله يجوز ان تكون كافة مهيئة لدخول ان على الفعل وفى انزل ضمير يرجع الى قوله مايوحى وبعلم حاله اى انزل القرآن ملتبسا بما لايعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لاسبيل لهم اليه ويجوز ان تكون مصدرية او موصولة اسما لان وخبرها الجار بعدها فالتقدير واعلموا ان تنزيله او ان الذى انزل ملتبسين بعلم واختار المصنف الكافة * قال الامام فان قلت اى تعلق بين الشرط المذكور فى هذه الآية وبين مافيها من الجزاء واجاب بان القوم ادعوا كون القرآن مفترى على الله فقال الله تعالى قل لهم لو كان مفترى على الله لوجب ان يقدر الخلق عليه ولما لم يقدروا عليه ثبت انه من عند الله فقوله انما انزل بعلم الله كناية عن كونه من عندالله ومن قبله كما يقول الحاكم جرى بعلمى ﴿قوله ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين﴾

(ام يقولون افتراه) ام منقطعة والهاء لما يوحى (قل فأتوا بعشر سور مثله) فى البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد (مفتريات) مختلقات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته من عند نفسى فانكم عرب فصحاء مثلى تقدرون على مثل ماأقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم (وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين) انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) باتيان مادعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول صلى الله عليه وسلم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم فى كل امر الا ماخصه الدليل وللتنبيه على ان التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله (فاعلموا انما انزل بعلم الله) ملتبسا بما لايعلمه الا الله ولايقدر عليه سواه (وان لا اله الا هو) واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لايعلم ولايقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم (فهل انتم مسلمون) ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين

وذلك لان الآية المتقدمة اشتملت على خطابين احدهما خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى
قل فأتوا بعشر سور مثله والثانى خطاب الكفار وهو قوله تعالى فأتوا وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم
صادقين فى ادعاء الافتراء فلذلك جاز فى خطاب لكم وجهان الاوّل ما مرّ من انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
وللمؤمنين او للرسول خاصة على جهة التعظيم والمعنى ان الكفار ان لم يستجيبوا لكم فى الاتيان بما تحدّاهم فاعلموا اى
فاثبتوا على العلم الذى انتم عليه وهو انه منزل من عند الله الذى لا اله الا هو والوجه الثانى انه خطاب للكفار والمعنى
الذين تدعونهم من دون الله ان لم يستجيبوا لكم فى الاعانة على المعارضة فاعلموا ايها الكفار ان هذا القرآن
انما انزل بعلم الله فهل انتم مسلمون بعد لزوم الحجة عليكم والقائلون بهذا القول قالوا هذا القول اولى من القول
الاوّل لانكم فى القول الاوّل احتجتم الى ان حملتم قوله فاعلموا على الامر بالثبات او على اضمار القول وعلى هذا
القول لا حاجة الى الاضمار فكان اولى ولان اقرب المذكورين هو الكفار فرجع الضمير اليهم اولى ﴿قوله
وفى مثل هذا الاستفهام﴾ يعنى ان قوله تعالى فهل انتم مسلمون وان كان لفظه استفهاما الا ان معناه ايجاب امر بليغ
لا الاستفهام لما ذكره من الدليل فان قلنا انه خطاب مع المؤمنين كان معناه ايجاب الثبات على الاسلام فى زيادة
الاخلاص وان قلنا انه خطاب مع الكفار كان معناه ايجاب اصل الاسلام عليهم وترغيبهم فى التفكير فيما يوجبه
من الحجة القاطعة ﴿قوله باحسانه وبرّه﴾ يعنى ان هذه الآية سواء نزلت فى المؤمنين الذين عملوا الصالحات
مراآة للخلق او المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزواتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم الغنائم من غير ان يؤمنوا
بالآخرة وثوابها او فى الكفار الذين يعملون اعمالهم فى صورة الاعمال الصالحة من البرّ وصلة الرحم والصدقة
وبناء القناطر وتسوية الطرق والسعى فى دفع الشرور واجراء الانهار يكون معناها من كان يريد بما عمله من اعمال
البرّ والاحسان التمتع بلذات الدنيا وطيباتها والانتفاع بخيراتها وشهواتها من ثناء الخلق عليه فى الدنيا ونحو ذلك
فان جزاء عمله يصل اليه فى الدنيا تاما كاملا ولا ينتفع احد من هؤلاء الطوائف المذكورة فى الآخرة بشئ
من الاعمال التى اراد بها الحظوظ العاجلة ولا يستحق بها الا النار اما المنافقون والكفار فظاهر لانهم مخلدون
فى النار واما المرآؤون من المؤمنين فلان العمل انما يكون عبادة بشرط الاخلاص ومن راآى به لم يخلصه
لله تعالى بل عمله طلبا لزينة الدنيا ورياء وسمعة وقد استوفى ما تقتضيه صورة عمله الصالح من المنافع التى ارادها
بعمله ولم يبق له الا اوزار عزائمه القبيحة فاستحق ان يعذب بها فان شاء ربه ان يعذبه او يعفو عنه فعل ذلك فقوله
تعالى ليس لهم فى الآخرة الا النار ان كان نازلا فى حق المرآئين من المؤمنين يقتضى بظاهره ان يخلد اهل الرياء
فى النار وليس كذلك فلابدّ من تقييده بان يقال ليس لهم فى الآخرة بسبب اعمالهم الريائية الا النار الا ان يتجاوز الله
عنهم وليس فى الآية ما يدل على ان لا محالة يعذب وانما يدل على انه لا يستحق بسببها الا النار والمراد بالاطلاق المذكور
بقوله مطلقا الاطلاق المشار اليه بقوله اولئك وهو من كان يريد الحياة الدنيا كائنا من كان من الطوائف الثلاث
وقوله فى مقابلة ما عملوا اشارة الى ما ذكرنا من وجوب التقييد فى حق المرآئى من المؤمنين روى عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال «اشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى الناس ان فيه خيرا ولا خير فيه» وروى عنه صلى الله عليه وسلم ايضا
انه قال «اذا كان يوم القيامة يؤتى برجل قرأ جميع القرآن فيقال له ما عملت فيه فيقول قمت به آناء الليل واطراف
النهار فيقول الله تعالى كذبت اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى
الم اوسع عليك فماذا عملت فيما آتيتك فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال
فلان جواد وقد قيل ذلك ويؤتى بمن قتل فى سبيل الله فيقول قاتلت فى الجهاد حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت
بل اردت ان يقال فلان جرئ مقدام فارس» قال الراوى وهو ابو هريرة رضى الله عنه ثم ضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ركبتى وقال «يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اوّل خلق تسعر بهم النار يوم القيامة» وروى ان ابا هريرة ذكر هذا
الحديث عند معاوية رضى الله عنه فبكى معاوية حتى ظننا انه هالك ثم افاق فقال صدق الله ورسوله من كان يريد
الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وذكر القرطبى ناقلا عن بعض العلماء ان معنى هذه الآية هو قوله صلى الله
عليه وسلم «انما الاعمال بالنيات» وقرأ الجمهور نوف بنون العظمة وتشديد الفاء من وفى يوفى وقرئ يوفى بياء الغيبة
وبناء الفعل للفاعل وهو ضمير الله تعالى وقرئ يوف بضم الياء وفتح الفاء المشددة من وفى يوفى مبنيا للمفعول
اعمالهم بالرفع على انه قائم مقام الفاعل والجزم فى يوف على هذه القراءة لكونه جوابا للشرط كما فى قوله تعالى

(من)

والضمير فى لم يستجيبوا لمن استطعتم اى فان
لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم
وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة
فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من
عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل
انتم داخلون فى الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة
وفى مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من
معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب
وزوال العذر (من كان يريد الحياة الدنيا
وزينتها) باحسانه وبرّه (نوف اليهم
اعمالهم فيها) نوصل اليهم جزاء اعمالهم
فى الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق
وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اى يوف الله
وتوف على البناء للمفعول ونوفى بالتخفيف
والرفع لان الشرط ماض كقوله
وان اتاه كريم يوم مسغبة *
يقول لا غائب مالى ولا حرم *
(وهم فيها لا يبخسون) لا ينقصون شيأ من
اجورهم والآية فى اهل الرياء وقيل فى
المنافقين وقيل فى الكفرة برّهم (اولئك الذين
ليس لهم فى الآخرة الا النار) مطلقا فى مقابلة
ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم
الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة
(وحبط ما صنعوا فيها) لانهم لم يبق لهم
ثواب فى الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به
وجه الله تعالى والعمدة فى اقتضاء ثوابها هو
الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا
على ان الضمير للدنيا (وباطل) فى نفسه
(ما كانوا يعملون) لانه لم يعمل على ما ينبغى
وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها
وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون
وما ابهامية او فى معنى المصدر كقوله
* ولا خارجا من فىّ زور كلام *
وبطل على الفعل

من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وقرأ الحسن البصرى يوفى بتخفيف الفاء وثبوت الياء من اوفى قال ابن الحاجب فان كان كل واحد من الشرط والجزاء مضارعا او الاول فالجزم وان كان الجزاء وحده مضارعا فالامران اى الجزم وعدم الجزم فان تعلق فيها بالفعل المحذوف فضمير فيها يرجع الى الآخرة اى وظهر حبوط ما صنعوا فى الآخرة لانه لم يروا له ثوابا فيها وان تعلق فيها بصنعوا يتعين ان يعود الضمير اليها اى الى الحياة الدنيا كما يتعين ان يعود اليها فى قوله نوف اليهم اعمالهم وفى الصحاح حبط عمله حبطا وحبوطا اى بطل ثوابه وقرأ الجمهور وباطل ما كانوا يعملون برفع الباطل اما على انه خبر مقدم وما كانوا يعملون مبتدأ مؤخر وهذه الجملة الاسمية معطوفة على الفعلية التى قبلها واما على ان باطل معطوف على خبر اولئك اى اولئك باطل وما كانوا يعملون فاعل باطل والمصنف اختار الاحتمال الاول حيث صرح بكونها جملة واسم الفاعل مع فاعله لايكون جملة وقرئ باطلا بالنصب على انه مفعول به ليعملون وما ابهامية ومعنى كونها ابهامية كونها صفة للنكرة قبلها كما فى قولهم لامر ما يسود من يسود والمعنى وباطلا اىّ باطل كانوا يعملون او على انه بمعنى المصدر لفعل محذوف اى وبطل بطلانا ما كانوا يعملون ﴿ قوله والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه ﴾

وهو كونه على بينة من ربه وان يتبع بينة كتابين سماويين يعنى ان كلمة من فى قوله تعالى أفمن كان شرطية او موصولة مرفوعة المحل على انها مبتدأ والخبر محذوف اعتمادا على دلالة همزة الانكار وفاء التعقيب عليه ووجه دلالتها عليه انها دخلت على الجملة المصدرة بفاء التعقيب فافادت انكار التعاقب والتقارب بين مدخول الفاء وبين امر آخر وليس ذلك الامر الا ما ذكر قبل وهو قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا فكان تقدير الكلام ومعناه ما ذكره بقوله أفمن كان على بينة كمن يريد الحياة الدنيا ومثل هذا الحذف فى القرآن كثير منه قوله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا اى كمن هداه الله وقوله ام من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الى غير ذلك ولما كانت همزة الاستفهام تقتضى صدر الكلام وكانت الفاء العاطفة تقتضى المعطوف عليه قدر صاحب الكشاف المعطوف عليه بين همزة الاستفهام وحرف العطف فقال معناه امن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة من ربه وهذا التقدير هو القاعدة المقررة عنده فى مثل هذا الموضع الا ان التقدير الذى ذكره لابد فيه من تقدير فعل السائم اى اذكر اولئك فذكر هؤلاء او يقال فيقال والهمزة لانكار هذا التعقيب واشار اليه بقوله اى لاتعقبونهم ولا تقاربونهم وبقى الكلام فى ان المعطوف عليه على تقدير المصنف اى شئ هو والظاهر انه هو جملة من كان يريد الحياة الدنيا كما فى تقدير صاحب الكشاف وما ذكره من التقدير لاتعرض فيه لبيان المعطوف عليه بل هو بيان لحاصل المعنى فان المراد نفى التماثل بين الفريقين فذكر المعطوف عليه بكاف التشبيه ليدل الكلام على نفى المماثلة وانكارها والمستفاد من نظم القرآن هو انكار المعاقبة والمقاربة فان فاء التعقيب فيه تدل على اعتبار المعطوف عليه وهمزة الانكار تدل على انكار التقارب والمعاقبة بينهما والتقدير امن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة فى السعادة وحسن العاقبة والمعنى ان الفريق الثانى لايعاقبه ولا يقاربه الفريق الاول فيما ذكر بناء على ان الاستفهام للانكار والفاء للتعقيب فيفيد انهم لاتقارب بينهم فضلا عن التماثل ﴿ قوله ويتبع ذلك البرهان ﴾

على ان قوله يتلوه من التلو لا من التلاوة وقوله ذلك البرهان اشارة الى وجه تذكير الضمير الراجع الى بينة فان الظاهر ان يقال ويتلوها الا انه ذكر ضمير التأنيث باعتبار المعنى وتنوين شاهد للتفخيم وكون القرآن تابعا لدليل العقل كونه موافقا له فى المدلول وشاهدا مصدقا له ﴿ قوله وهو حكم يعم كل مؤمن ﴾ يعنى الذى وصفه الله تعالى بانه على بينة المراد به كل مؤمن مخلص متمسك بالبرهان الدال على ما هو الحق فيكون الحكم الدال على انكار المقاربة بينه وبين من قصر همته وفكره على الدنيا شاملا لاهم جميعا غير مختص به صلى الله عليه وسلم او بمؤمنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه على ما قيل ﴿ قوله او لسان الرسول صلى الله عليه وسلم على ان ضمير منه له ﴾ صلى الله عليه وسلم والتالى وان كان ذات الرسول صلى الله عليه وسلم واللسان آلة التلاوة الا ان التلاوة اسندت الى الآلة مجازا كما يقال عين باصرة واذن سامعة ولسان ناطق فالمعنى افمن كان على حجة مبينة وهى القرآن ويقرأ ذلك القرآن شاهد من الله تعالى وهو جبريل او شاهد من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لسانه وضمير يتلوه على تقدير ان يكون من التلاوة يتعين ان يكون البينة بتأويل القرآن واما على تقدير ان يكون من التلو وهو التبعية فحينئذ يحتمل ان يكون لمن على بينة كما يحتمل ان يكون لنفس البينة ﴿ قوله ومن قبله كتاب موسى ﴾

(أفمن كان على بينة من ربه) برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم فى المنزلة وهو الذى اغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبى صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان الذى هو دليل العقل (شاهد منه) شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) يعنى التوراة فانها ايضا تتلوه فى التصديق وقيل البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان الرسول صلى الله عليه وسلم على ان ضمير منه له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير فى يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير فى يتلوه اى يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة (اماما) كتابا مؤتما به فى الدين (ورحمة) على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين (اولئك) اشارة الى من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به من الاحزاب) من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده) يردها لامحالة (فلا تك فى مرية منه) من الموعد او القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك (انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) لقلة نظرهم واختلال فكرهم

(ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا) كأن اسند اليه مالم ينزله اونفى عنه ما انزله (اولئك يعرضون على ربهم) فى الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم (ويقول الاشهاد) من الملائكة والنبيين اومن جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف جمع شريف (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين) تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله (الذين يصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويبغونها عوجا) ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة (وهم بالآخرة هم كافرون) والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به (اولئك لم يكونوا معجزين فى الارض) اى ماكانوا معجزين الله فى الدنيا ان يعاقبهم (وما كان لهم من دون الله من اولياء) يمنعونهم من العقاب ولكنه أخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم (يضاعف لهم العذاب) استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد (ما كانوا يستطيعون السمع) لتصامهم عن الحق وبغضهم له (وما كانوا يبصرون) لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان مالا يسمع ولا يبصر لايصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض (اولئك الذين خسروا انفسهم) باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ماحصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة (لاجرم انهم فى الآخرة هم الاخسرون) لااحد ابين واكثر خسرانا منهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم) اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهى الارض المطمئنة (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون (مثل الفريقين) الكافر والمؤمن (كالاعمى والاصم والبصير والسميع) يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه

مبنى على ان يكون المراد بالبينة القرآن ويكون يتلوه من التلاوة فالمعنى ويتلو القرآن شاهد من كان على بينة من ربه ويتلو كتاب موسى من قبل القرآن وفصل بين العاطف والمعطوف بقوله من قبله وقوله اماما ورحمة منصوبان على الحال من كتاب موسى سوآء قرئ مرفوعا اومنصوبا والموعد اسم مكان والمرية بكسر الميم وضمها لغتان بمعنى الشك ﴿ قوله بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ﴾ اشارة الى انه تعالى ليس فى مكان حتى يعرضون عليه وان المراد عرضهم على الموقف المقدر للحساب والسؤال وحبسهم فيه الى ان يقضى الله عز وجل بين العباد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يدنى المؤمن يوم القيامة فيستره من الناس فيقول اى عبدى أتعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم حتى اذا قرره بذنوبه قال الله تعالى فانى قد سترتها عليك فى الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته واما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين يفضحونهم بما كانوا عليه فى الدنيا ويبينون انهم ملعونون عند الله بسبب ظلمهم ثم وصفهم بانهم يمنعون الناس عن دين الله وطريق طاعته بالتخويف وادخال الشبهة والسبيل مؤنث سماعى فلذلك انث ضمير يبغونها يقال بغيت الشئ طلبته وبغيتك الشئ طلبته لك وفسر طلب العوج لسبيل الله اوّلا بوصفهم اياها بالانحراف عن الحق بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب وثانيا بطلب العوج لاهلها على حذف المضاف ﴿ قوله وتكريرهم لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به ﴾ اما التأكيد فمن تكريرهم فان تكرير المسند اليه يفيد تأكيد شأنه فى الاتصاف بمضمون الخبر واما الاختصاص فلتقديم هم على الكافرين كانه قال هم يكفرون وسبب تضعيف العذاب عليهم انهم ضلوا واضلوا غيرهم ولانهم كفروا بالله وهو كفر بالمبدأ والبعث وكفر بالمعاد ولانهم كانوا لايشتغلون استماع الحق وابصار الحق ومايدل على الحق من الآيات فيعذبون بكل واحد منها ﴿ قوله لتصامهم عن الحق وبغضهم له ﴾ يقال تصام تصاما اى أرى من نفسه انه اصم وليس به صمم لانه الله تعالى نفى عنهم استطاعة سمع الاصوات والحروف وكان خلاف ماذهب اليه اهل الحق والمعتزلة فان اهل الحق وان ذهبوا الى ان افعال العباد الاختيارية واقعة بقدرة الله تعالى وليس لقدرتهم تأثير فيها الا انهم اثبتوا للعبد استطاعة غير مؤثرة فانهم قالوا اجرى الله سبحانه وتعالى عادته على ان يوجد فى العبد قدرة واختيارا واذا لم يكن هناك مانع اوجد فعله المقدور مقارنا لها فيكون فعل العبد مخلوقا لله تعالى ابداعا واحداثا ومكسوبا للعبد والمراد بكسبه اياه مقارنته لقدرته وارادته من غير ان يكون هناك تأثير ومدخل فى وجوده سوى كونه محلا له وقال اكثر المعتزلة انها واقعة بقدرة العبد وحدها على سبيل الاستقلال وقالت طائفة منهم هى واقعة بالقدرتين معا فظهر ان كل واحد من الفريقين يقول بان للعبد استطاعة على افعاله الاختيارية يسمع بها الاصوات والحروف ويبصر بها المبصرات الى غير ذلك «اجيب بتأويل الآيات فنقول قوله تعالى ماكانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون استعارة تصريحية تبعية شبه تصامهم عن استماع الحق وبغضهم له بعدم استطاعتهم السمع فاطلق على المشبه وكذا شبه تعاميهم عن آيات الله بعدم ابصارها فاطلق عليه عدم الابصار على سبيل الاستعارة التصريحية ثم اشتق من اللفظ المستعار لتصامهم ماكانوا يستطيعون السمع ولتعاميهم عن آيات الله تعالى ماكانوا يبصرون ﴿ قوله وقيل هو بيان لما نفاه الخ ﴾ عطف على ماشار اليه من التأويل اى وقيل لاحاجة الى التأويل وانما يحتاج اليه ان لوكان قوله ماكانوا يستطيعون من صفات الكفار وليس كذلك بل هو من صفات الاوثان فعلى هذا يكون قوله يضاعف لهم العذاب اعتراضا لكونه فى حق الكفار وليس ذلك من صفات الاوثان ﴿ قوله اطمأنوا اليه ﴾ اذ الاخبات الخضوع والخشوع ويستعمل باللام حيث يقال اخبت لله واستعمل بالى فى الآية لتضمنه معنى الاطمئنان والانقطاع ﴿ قوله يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى ﴾ تعبير عن خلاصة المعنى فان الظاهر ان يقال تشبيه حال الكافر بحال الاعمى نظرا الى قوله تعالى مثل الفريقين اى حالهما وصفاتهما العجيبة فلابد ان يقدر فى جانب المشبه به مثل آخر اى كمثل الاعمى والاصم والسميع والبصير وهو تعالى شبه حال الفريقين بحال هؤلاء ولم يشبه انفس الفريقين بانفسهم فانه تعالى شبه عدم انتفاع الكافر ببصره اجلى الآيات المنصوبة بين يديه وبسمعه فى استماع الآيات المتلوّة عليه بعدم انتفاع الاعمى والاصم بحاسة البصر والسمع وشبه حال المؤمن لانتفاعه ببصره وسمعه فى ذلك بانتفاع البصير والسميع ببصره وسمعه الا ان تشبيه حال الشئ بحال شئ آخر لما كان يستلزم تشبيه الشئ الاوّل بالشئ الثانى تجوّز المصنف فقال يجوز ان يراد تشبيه الكافر بالاعمى الخ والفرق بين هذا الاحتمال

(والاحتمال)

وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين اوتشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضدّيهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق (هل يستويان) هل يستوى الفريقان (مثلا) اى تمثيلا او صفة او حالا (أفلا تذكرون) بضرب الامثال والتأمل فيها (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم) بانى لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول (نذير مبين) ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص (ان لاتعبدوا الا الله) بدل من انى لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير (انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم) مؤلم وهو فى الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جدّه ونهاره صائم للمبالغة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه مانراك الا بشرا مثلنا) لامزية لك علينا تخصك بالنبوّة ووجوب الطاعة (ومانراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا) اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذال جمع رذل (بادى الرأى) ظاهر الرأى من غير تعمق من البدو او اوّل الرأى من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ماقبلها وقرأ ابو عمرو بالهمز وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اى وقت حدوث بادئ الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لمالم يعلموا الاظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل (ومانرى لكم) لك ولمتبعيك (علينا من فضل) يؤهلكم للنبوّة واستحقاق المتابعة (بل نظنكم كاذبين) اياك فى دعوى النبوّة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين (قال ياقوم ارأيتم) اخبرونى (ان كنت على بيّنة من ربى) حجة شاهدة بصحة دعواى (وآتانى رحمة من عنده) بايتاء البيّنة او النبوّة (فعميت عليكم) فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البيّنة فى نفسها هى الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوّة او على تقدير فعميت بعد البيّنة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما

والاحتمال الثانى ان كل واحد من الاعمى والاصم مغاير للآخر ذاتا على الاحتمال الاوّل ويكون تشبيه الكافر تشبيهين ضرورة تعدّد المشبه به وكذا الحال فى السميع والبصير وتشبيه المؤمن ايضا بخلاف الاحتمال الثانى فان كل واحد من الاعمى والاصم يكون متحدا مع الآخر ذاتا وعطف احدهما على الآخر من قبيل عطف الصفة على الصفة لامن قبيل عطف الذات على ذات آخر كما فى الاحتمال الاوّل فيكون تشبيه كل واحد من الفريقين تشبيها واحدا حيث شبه الكافر بشخص موصوف بوصفين وكذا المؤمن كأنه تعالى شبه حال فريق الكفار فى تعاميهم من الآيات المنصوبة بين ايديهم وعن الآيات المتلوّة عليهم بحال من اجتمع فيه الصفتان الاعمى والاصم فهو ابدا فى خبط وضلال لان الاعمى اذا سمع شيأ ربما يهتدى الى الطريق والاصم ربما ينتفع بالاشارة ومن جمع بينهما فلاحيلة فيه ﴿قوله وهذا من باب اللف والطباق﴾ اللف فى اصطلاح البديع ذكر متعدد على التفصيل والاجتماع ثم ذكر مالكل واحد من آحاد ذلك المتعدد وفى الآية الكريمة ذكر الفريقين ثم مالكل منهما كالاعمى الخ والطباق هو جمع بين معنيين متقابلين حقيقيا او اعتباريا سوآء كان التقابل تقابل الايجاب والسلب او غير ذلك ولاشك ان الاعمى والبصير وكذا الاصم والسميع امران متقابلان ﴿قوله تمثيلا﴾ على ان يكون المثل اسما بمعنى التمثيل كالسلام بمعنى التسليم ومثلا تمييز منقول من الفاعلية والاصل هل يستوى مثلهما اى تشبيههما شبه الله احد الفريقين بالاعمى والاصم والفريق الآخر بالبصير والسميع ثم انكر استوآء التشبيهين ولفظ المثل حقيقة عرفية فى القول السائر المشبه مضربه بمورده ثم يستعار للصفة العجيبة تشبيها لها بالقول المذكور فى الغرابة فانه لايضرب الالشئ فيه غرابة * واعلم ان عادة الله تعالى فى القرآن العظيم انه اذا اورد على الكافرين انواعا من دلائل الوحدانية والنبوّة اتبعها بالقصص ليؤكدها تلك الدلائل فلذلك ذكر فى هذه السورة قصصا متعددة فبدأ بقصة نوح عليه الصلاة والسلام وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى انى لكم بفتح الهمزة على اضمار حرف الجر اى بانى لكم والجار والمجرور متعلق بمحال محذوفة اى ارسلناه ملتبسا بيان هذا الكلام وقرأ الباقون انى لكم بالكسر على اضمار القول والتقدير ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال لهم انى لكم نذير مبين اى مخوف مبين اى مظهر ذلك الانذار على اكمل طريقة ﴿قوله بدل من انى لكم﴾ بالفتح اى ارسلناه بان لاتعبدوا الا الله بالنهى عن عبادة غير الله والامر بعبادة الله تعالى لان قوله الا الله استثناء من النهى ويجوز على قرآءة الفتح ان تكون ان مفسرة ايضا والمفسر بها اما ارسلنا واما نذير لان كل واحد منهما فى معنى القول وعلى قرآءة انى لكم بكسر الهمزة يتعين ان تكون ان مصدرية منصوبة المحل مع مافى حيزها على انه مفعول مبين او مفسرة متعلقة بنذير ﴿قوله على طريقة جد جدّه ونهاره صائم﴾ لف ونشر مرتب فان اسناد الاليم الى اليوم اسناد للظرف كقولك نهاره صائم واسناده الى العذاب اسناد الى الوصف كقولك جد جدّه والتألم هو الشخص المدرك لا وصفه ولا زمانه فاذا وصفناه بالتألم دل على ان الشخص بلغ فى تألمه الى حيث سرى مابه من التألم الى مايلابسه من الزمان والاوصاف ولماحكى الله تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام انه دعا قومه الى عبادة الله تعالى وحده حكى عن قومه انهم طعنوا فى نبوّته بثلاثة انواع من الشبهات فالشبهة الاولى انه بشر مثلكم والتفاوت الحاصل بين الآحاد المتفقة فى الحقيقة البشرية يمتنع انتهاؤه الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالمين والشبهة الثانية كونه بحيث اتبعه اراذل القوم كالحاكة واهل الصنائع الخسيسة قالوا ولو كنت صادقا لاتبعك الاكياس والاشراف من الناس ونظيره قوله تعالى فى سورة الشعرآء انؤمن لك واتبعك الارذلون والشبهة الثالثة ومانرى لكم علينا من فضل لافى العقل ولافى رعاية المصالح العاجلة ولافى قوّة الجدل فاذا لم نشاهد فضلك علينا فى شئ من هذه الاحوال الظاهرة فكيف نصدق بفضلك علينا فى اشرف الدرجات واعلى المقامات والاخساء جمع خسيس مثل نبى وانبياء واراذل يحتمل ان يكون جمع ارذل صفة كاحمر وقياسه ان يجمع على رذل الا انه جمع على اراذل لجريانه مجرى الاسماء من حيث انه هجر موصوفه كالابطح والابلج وقيل هو جمع ارذل الذى للتفضيل نحو افضل والافاضل وقديجاء اكابر مجرميها واحاسنهم اخلاقا وهما جمع اكبر واحسن ويحتمل ان يكون جمعا لجمع بان يكون جمعا لارذل واراذل جمع رذل نحو كلب واكلب واكالب وقيل بل هو جمع لارذال وارذال جمع رذل ايضا فالرذل الجوهرى الدون الخسيس وقد رذل فلان بالضم رذالة ورذولة فهو رذل ورذال بالضم من قوم رذول وارذال ورذلاء قال النبى صلى الله عليه وسلم الا اخبركم باحبكم الىّ واقربكم مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا ﴿قوله وتوحيد الضمير الخ﴾ جواب عمايقال قدسبق امران بيّنة ورحمة

وقرأه والكسائي وحفص فعميت اي اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله (أنلزمكموها) أنكرهكم على الاهتداء بها (وانتم لها كارهون) لاتختارونها ولاتتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني الفصل والوصل (وياقوم لااسألكم عليه) على التبليغ وهو وان لم يذكر فعلوم مما ذكر (مالا) جعلا (ان اجرى الا على الله) فانه المأمول منه (وما انا بطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين سألوا طردهم (انهم ملاقوا ربهم) فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم (ولكني اراكم قوما تجهلون) بلقاء ربكم او باقدارهم او في التماس طردهم او تسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل (وياقوم من ينصرني من الله) بدفع انتقامه (ان طردتهم) وهم بتلك الصفة والمثابة (أفلا تذكرون) لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب (ولااقول لكم عندي خزائن الله) خزائن رزقه او امواله حتى جحدتم فضلي (ولااعلم الغيب) عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الرأي من غير بصيرة ولاعقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول (ولااقول اني ملك) حتى تقولوا ماانت الا بشر مثلنا (ولااقول للذين تزدري اعينكم) ولا اقول في شأن من استرذلتموهم لفقرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا (الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين) ان قلت شيأ من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادي الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل في معانيهم وكمالاتهم (قالوا يانوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فاكثرت جدالنا) فأطلته او اتيت بانواعه (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لاتؤثر فينا (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) عاجلا او آجلا (وما انتم بمعجزين) بدفع العذاب او الهرب منه (ولاينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم) شرط ودليل جواب

فكان مقتضى الظاهر ان يقال فعميتا عليكم فان نوحا عليه الصلاة والسلام لمادعا قومه الى توحيد الله تعالى وطعنوا في نبوته بثلاث شبه اجاب عليه الصلاة والسلام عن تلك الشبه كلها باني على بينة ورحمة من ربي وهي شبهة عليكم ولااقدر على ان الزمكم قبولها وهو جواب عن تلك الشبه كلها اما عن الاولى فلان الاشتراك في الحقيقة البشرية لاينافي الاختصاص بالبينة والرحمة من عند الله تعالى وعن الثانية بان البينة قد اشتبهت على الاشراف لحسدهم وخوفهم على الجاه وكانوا لايقبلونها الا بالحجة والالزام بخلاف الفقراء الذين قبلوها واتبعوا الحق وقت حدوث بادئ الرأي فانه لامانع فيهم يمنعهم من القبول من نحو الحسد والخوف من زوال الجاه والرياسة فلذلك قبلوها في اول الوهلة وعن الثالثة بان التفاوت في الفضل انما هو ببيان طريق الهدى لنجاة عباد الله باذن الشارع ونصره وهو المولى فنعم المولى ونعم النصير وانما وحد الضمير لان البينة والرحمة وان كانتا متغايرتين بحسب المفهوم الا انهما متحدتان بحسب الذات وان المراد بهما البرهان الدال على نبوته عليه الصلاة والسلام وهو بينة باعتبار انه شاهد على دعواه ورحمة باعتبار ان ينتفع به وعلى تقدير ان تكونا متغايرتين ذاتا ايضا بان يراد بالبينة الحجة الشاهدة لصحة دعواه وبالرحمة نفس النبوة وحد الضمير ايضا لرجوعه الى البينة ولم يتعرض لهذا في الرحمة لاستلزام خفاء البينة خفاءها او لرجوعه الى الرحمة التي هي النبوة ولم يذكر ضمير البينة للاختصار وتقدير الكلام فعميت النبوة عليكم بعد قيام البينة عليها ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائي وحفص فعميت﴾ بضم العين وتشديد الميم على مالم يسم فاعله واصله فعماها الله عليكم اي ابهمها عقوبة لكم ثم بني الفعل للمفعول وحذف فاعله للعلم به وهو الله تعالى واقيم المفعول وهو ضمير الرحمة او كل واحدة منهما مقامه وقرأ الباقون بفتح العين وتخفيف الميم والمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي دليل القوم عليهم في المفازة فان الحجة كما توصف بالابصار اذا كانت معلومة جلية لانها هادية كالبصر قال تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة كذلك توصف بالعمى اذا كانت مجهولة خفية لكونها غير هادية قال الله تعالى فعميت عليهم الانباء ﴿قوله وحيث اجتمع ضميران﴾ قد اجتمع في انلزمكموها بعد الضمير المرفوع ضمير الغائب ثم ان نوحا صلى الله عليه وسلم قال لقومه ياقوم لاتهمة على فيما ادعوكم اليه ولااتصور في صورة من يطمع في اموالكم والرياسة في امور الدنيا عليكم ولاتظنوا في الكذب وماأجري الا على الله بناء على سعة فضله وكرمه فلله اعمل ومنه ارجو فبأي عذر لاتقبلون مني مادعوتكم اليه والطرد الابعاد على وجه الهوان ﴿قوله عطف على عندي﴾ لاعلى اقول اذ لايستقيم ان يقال لااعلم الغيب حتى تكذبوني وانما يستقيم ان يقال لااقول انا اعلم حتى تكذبوني استبعادا وانما يستقيم عطفا على لا اقول ان لو كان المعنى لااعلم الغيب حتى اعلم ان هؤلاء يتبعوني بادي الرأي ﴿قوله وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه﴾ قال الامام فان احدا لايعجزه اي لايمتنع مما اراد ان يفعله والعجز هو الذي يفعل ماعنده فيتعذر به مراد الغير فيوصف بانه اعجز فقوله تعالى وما انتم بمعجزين اي لاسبيل لكم الى ان تفعلوا ماعندكم فيمتنع على الله تعالى مايشاء من العذاب ان اراد انزاله بكم ﴿قوله شرط ودليل جواب﴾ يعني ان قوله تعالى ان اردت ان انصح لكم شرط جزاؤه محذوف وماقبله دليل الجواب وليس بجواب عند البصريين فانهم لايجوزون تقدم الجزاء على الشرط وكذا جواب قوله تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم محذوف حذف لدلالة الجملة الشرطية المتقدمة عليه وتقدير الكلام ماذكره فتكون الآية الكريمة نظير قولك ان اتيتني ان كلمتني اكرمتك فقولك ان كلمتني جواب لقولك ان اتيتني وهي مسئلة اعتراض الشرط على الشرط وفي مثله يكون الجزاء المذكور معلقا على الشرط المذكور اولا وواقعا عند وقوع ذلك الشرط بشرط حصول الشرط الثاني ولما كان حصول الشرط الثاني شرطا لكون الشرط الاول مستلزما للجزاء ومن المعلوم ان الشرط مقدم على المشروط في الوجود وجب ان لايحكم بتحقق الجزاء الاعند وجود الشرط الاول بعد وجود الشرط الثاني ففي قولك ان اتيتني ان كلمتني اكرمتك ان اتاه ثم كلمه لايجب الاكرام ولكن ان كلمه ثم اتاه وجب الاكرام ولو قال الرجل لامرأته انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق لانعدام شرط كون الدخول مستلزما للطلاق ولكن ان كلمت ثم دخلت تطلق فقال الامام قوله ولاينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم جزاء معلق على شرط بعده شرط آخر وهذا يقتضي ان يكون الشرط المؤخر في اللفظ مقدما في الوجود وذلك لان الرجل اذا قال لامرأته انت طالق ان دخلت الدار كان المفهوم كون الطلاق من لوازم

(الدخول)

والجملة دليل جواب قوله (ان كان الله يريد ان يغويكم) تقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغوآء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك (هو ربكم) خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على اعمالكم (ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلىّ اجرامي) وباله وقرئ اجرامي على الجمع (وانا بريء مما تجرمون) من اجرامكم في اسناد الافترآء الىّ (واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون) اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذآء (واصنع الفلك باعيننا) ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي يحفظ به الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل (ووحينا) اليك كيف تصنعها (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم (انهم مغرقون) محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه) استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ما كنت نبيا (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون) اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) يعني به اياهم وبالعذاب الغرق (ويحل عليه) وينزل او يحلّ عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه (عذاب مقيم) دآئم وهو عذاب النار (حتى اذا جاء امرنا) غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام (وفار التنور) نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة بارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع منها

الدخول ولكن اذا ذكر بعده شرط آخر مثل ان يقول ان اكلت الخبز كان المعنى ان تعلق ذلك الجزآء بذلك الشرط الاول مشروط بحصول الشرط الثاني والشرط مقدم على المشروط في الوجود فعلى هذا ان حصل الشرط الثاني تعلق ذلك الجزآء بذلك الشرط الاول واذا لم يوجد الشرط الثاني لم يتعلق ذلك الجزآء بذلك الشرط الاول وبهذا المعنى قال الفقهاء ان الشرط المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى المشروط والمقدم في اللفظ مؤخر في المعنى ﴿قوله وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل﴾ مع ان جداله معهم انما هو نصح لهم وارشاد الى اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وازالة شبهاتهم الواهية ولما كانت هذه الآية حجة لنا على المعتزلة القائلين بان كفر العبد واغوآءه انما هو بقدرة العبد وارادته ولا يتعلق بقدرة الله تعالى وارادته قالوا ظاهر الآية يدل على انه تعالى اذا اراد اغوآء القوم لم ينتفعوا بنصح الرسول وهذا مسلم فانا نعرف ان الله تعالى لو اراد اغوآءهم لم ينفعهم نصح الناصحين لكن لم تقولوا انه تعالى اراد هذا الاغوآء وليس النزاع الا فيه ﴿قوله اذا بشم فهلك﴾ البشم التخمة يقال بشم الفصيل من كثرة شرب اللبن ﴿قوله تعالى ام يقولون افتراه﴾ الظاهر ان ام فيه منقطعة اضرب الله تعالى عن حكاية جواب نوح عليه الصلاة والسلام لقومه الى انكار ما قالوه في حقه صلى الله عليه وسلم من انه اختلق الوحي على ان الضمير المستتر في افتراه لنوح عليه الصلاة والسلام والبارز للوحي الذي بلغه اليهم وقال مقاتل الضمير المستتر فيه يرجع الى محمد صلى الله عليه وسلم ووقع هذا الكلام في قصة محمد صلى الله عليه وسلم على طريق الاضراب عن بيان قصة نوح عليه الصلاة والسلام الى انكار ما يقوله اهل مكة في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ام يقول اهل مكة افترى محمد القرآن واختلقه من تلقاء نفسه قل يا محمد ان اختلقته فعلىّ جزآء جرمي وانا بريء مما تجرمون ثم رجع الى قصة نوح عليه الصلاة والسلام والجمهور على كسر همزة اجرامي وهو مصدر اجرم اي كسب ذنبا وقرئ في الشاذ اجرامي بفتحها وهو جمع جرم كقفل واقفال وقوله ان افتريته لا يدل على انه كان شاكا بل هو قول يقال على وجه الانكار عند التبري من القول وفي الكلام حذف مضاف اي فعلىّ وبال اجرامي وعقابه وفيه محذوف آخر فان المعنى ان كنت افتريته فعلىّ عقاب اجرامي وان كنت صادقا وكذبتموني فعليكم عقاب ذلك التكذيب وحذف بقية الكلام لدلالة قوله تعالى وانا بريء مما تجرمون عليها قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث نوح عليه السلام بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل بعث وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة ﴿قوله على طريقة التمثيل﴾ لما كانت العين سببا لحفظ الشيء بناء على ان من عظمت عنايته بحفظ الشيء يجعله نصب عينه صح ان يعبر بها عن الحفظ مجازا وان يعبر بلفظ الاعين عن المبالغة في الحفظ والرعاية فمن قال عملته بعيني كان مراده بحفظي واحتياطي او كان مراده بنهاية ما في وسعي من التحفظ لانه لا يمكن حمل الكلام المذكور على ظاهره لان العين ليست من الآلات التي يستعان بها على مباشرة العمل فلا يكون من قبيل قولك قطعته بالسكين حتى يتعين حمله على ظاهره لان السكين من الآلات التي يستعان بها على مباشرة العمل فتعين حمله على المعنى المجازي ولفظ العين وان كان مجازا عن الحفظ الا ان اضافته الى المتكلم حقيقة اذا كان المتكلم مركبا من الاعضاء والجوارح واما في حقه تعالى فانما تصح الاضافة على طريق التمثيل والتشبيه لكونه منزها عن الاعضاء والابعاض فيشبه بمن له اعين كثيرة وكان قوله باعيننا في معنى قوله محفوظا على انه حال من فاعل اصنع اي اصنعه محفوظا عن ان يمنعك اعدآؤك من ذلك وعن ان تزيغ في صنعته عن الصواب بوحينا اليك كيف تصنعها ووعده الله تعالى في عمله السفينة بامرين ان يحفظه من جميع ما يمنعه عن اتمام ذلك العمل على وجه الصواب وان يوحي اليه كيفية عمل السفينة ﴿قوله وقيل المراد بالسخرية الاستجهال﴾ بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب لان السخرية مسبب عن الجهل لما فيها من التعرض لسخط الله تعالى وعذابه فالتم اولى بالسخرية منا ﴿قوله او يحل عليه حلول الدين﴾ على ان الكلام من قبيل الاستعارة المكنية شبه العذاب الاخروي الذي قضى الله تعالى به في حقهم بالدين المؤجل الواجب الحلول واثبت له الحلول الذي هو من لوازمه ليكون تخييلا للتشبيه المضمر في النفس ﴿قوله او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام﴾ دخلت على الجملة من الشرط والجزآء ومع كونها حرف ابتدآء لا يلزم ان يكون ما بعدها مبتدأ لان ذلك لا يطرد وقد تقع بعدها جملة شرطية مستأنفة كما في هذه الآية وكونها حرف ابتدآء لا ينافي

كون مابعدها غاية لما قبلها فان صنعة الفلك لما تمت جاء امر الله وفار التنور فكانت ثمة حتى والمقدرين انتهاء صنعة الفلك وابتدآء مجيء امر الله وهو المراد من كونها الغاية وكان يصنعها الى ان جاء وقت الطوفان ﴿قوله والباقون اضافوا﴾ اى قرأ العامة باضافة كل الى زوجين على ان اثنين مفعول احمل ومن كل زوجين حال من المفعول لانه كان صفة للنكرة فلما قدم عليها انتصب حالا وعلى قرآءة حفص يكون زوجين واثنين صفة مؤكدة له كقوله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين ومن كل على هذه القرآءة يجوز ان يتعلق باحمل وهو الظاهر وان يتعلق بمحذوف على انه حال من زوجين والزوج يطلق في المشهور على كل واحد بماله ازدواج قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين ويقال للمرأة زوج قال تعالى وخلق منها زوجها يعني المرأة وقال تعالى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى فالواحد يقال له زوج قال تعالى ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين والزوجان عبارة عن كل اثنين لايستغني احدهما من الآخر ويقال للكل واحد منهما زوج ويقال زوج خف وزوج نعل روى ان نوحا عليه الصلاة والسلام قال يارب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله اليه السباع والطير فجعل يضرب يده في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة قال الحسن لم يحمل نوح عليه السلام في السفينة الا ما يلد ويبيض واما ما يتولد من التراب كالحشرات والبق والبعوض فلم يحمل منه شيأ وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام ثمانون رجلا احدهم جرهم يقال ان في ناحية الموصل قرية يقال لها قرية الثمانين سميت بذلك لانهم لما خرجوا من السفينة بنوها فسميت بهم وقيل لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنيه سام وحام ويافث ونساؤهم الثلاث التي هي لبني نوح عليه السلام احد بنيه وهو سام ابو العرب وحام ابو السودان ويافث ابو الترك وكانت لنوح عليه السلام امرأتان احداهما كافرة وهي واعلة ام كنعان وهو ابنه الذي اعتزل منه وكان من المغرقين واخرى مؤمنة وهي التي ذكرها الله تعالى بقوله وأهلك وفاعل قال في قوله تعالى قال اركبوا فيها يجوز ان يكون لنوح عليه السلام ويجوز ان يكون ضمير الباري تعالى اي وقال الله تعالى لنوح عليه السلام ومن معه وضمير فيها للسفينة وهو متعلق باركبوا وعدي بفي لتضمنه ادخلوا وصيروا فيها راكبين قيل انهم ركبوا السفينة يوم العاشر من شهر رجب وكان يوم الجمعة فانت السفينة البيت فطافت اسبوعا فسارت بهم مائة وخمسين يوما واستقرت بهم على الجودي شهرا وكان خروجهم من السفينة يوم عاشورآء من المحرم ﴿قوله متصل باركبوا﴾ فيكون قوله تعالى اركبوا فيها وقوله بسم الله جملة واحدة ويكون بسم الله قيدا لاركبوا حالا من فاعله والباء فيه للملابسة تقديره اي مسمين الله وقت الاجرآء والارساء او مكانهما ويجوز ان يكون بسم الله محكيا بالقول المقدر اي اركبوا قائلين بسم الله وقت الاجرآء والارساء او مكانهما فالمجرى والمرسى على التقديرين ظرفان منصوبان بما قدر حالا كما صورناه ويجوز ارتفاعهما ببسم الله اي بالمتعلق به الباء مما قدر حالا على انهما فاعلان له اي اركبوا فيها كائنا بسم الله اجراؤها وارساؤها فيكون بسم الله مع متعلقه المقدر حالا كما تقدم ويكون المجموع جملة اخرى على ان يكون مجراها مبتدأ وبسم الله خبر او متعلق به والخبر محذوف ويدل عليه انه ذكر هذا الوجه في ذيل قوله متصل باركبوا اي ويجوز ان يكون بسم الله مجراها جملة اخرى على ان يكون مجراها مبتدأ وبسم الله خبرا او متعلق به وخبر المبتدأ محذوف وعلى تقدير ان يكون جملتين يحتمل ان تكون الجملة الثانية مقتضبة مرتجلة منقطعة عما قبلها لاختلافهما خبرا وطلبا حيث امرهم في الجملة الاولى بالركوب ثم اخبر ان مجراها ومرساها بسم الله فان الاقتضاب مرتبة الخروج من كلام الى آخر لاعلاقة بينهما ويقابله التخلص وهو الخروج برابطة مناسبة ولامناسبة بين الامر بالركوب وبين الاخبار بان مجرى السفينة ومرساها بذكر اسم الله للانشائية والخبرية ويحتمل ان تكون الثانية حالا من واو اركبوا او من الضمير المجرور في قوله فيها وههنا بحث من وجهين الاول ان هذه الجملة كيف تكون حالا من الواو مع انه قد تقرر ان الحال ان كانت جملة فلابد فيها من عائد يرجع الى ذي الحال ولا عائد فيها الى ضمير اركبوا لان الضمير في بسم الله ان جعلته خبرا لمجراها فانما يعود على المبتدأ الذي هو مجراها والثاني ان المصنف كيف قطع بكون هذه الجملة حالا مقدرة مع ان مضمونها مقارن للابسة العامل في ذي الحال حقيقة لان المعنى اركبوا بسم الله اجرآؤها ولاشك ان نفس مضمونها واقع حال ركوبهم لامقدر عنده فلا تكون مقدرة اللهم الا ان تجعل الجملة في تأويل اجرآؤها بسم الله فان اجرآءها لم يكن عند

(الركوب)

(فقلنا احمل فيها) في السفينة (من كلّ) من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها (زوجين اثنين) ذكرا وانثى هذا على قرآءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف انثى (واهلك) عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم (الا من سبق عليه القول) بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين (ومن آمن) والمؤمنين من غيرهم (وما آمن معه الاقليل) قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روى انه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير (وقال اركبوا فيها) اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض (بسم الله مجراها ومرساها) متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرآئها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا

الركوب حقيقة بل هو مقدر عنده كما تقول اركب الفرس سائرا باسم الله والاحوال اربع موطئة ومقدرة ومؤكدة ومنتقلة لان الحال مايبين هيئة الفاعل او المفعول فاما ان تكون مبينة لهيئة بالذات او بالغير فان كانت مبينة لهيئة بالغير فهي الحال الموطئة لانها لاتبين الهيئة بذاتها بل بتابعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة كقرآنا في قوله تعالى انا انزلناه قرآنا عربيا وان كانت مبينة في الاستقبال فهي الحال المقدرة وان كانت في الحال فاما ان تكون لازمة لذي الحال او مفارقة والاولى مؤكدة والثانية منتقلة ﴿قوله ويجوز ان يكون الاسم مقحما﴾ والمعنى بالله اي بقدرته وامره اجراؤها وارساؤها وتمام البيت

فقوما وقولا بالذي قد عرفتما ولاتخمشا وجها ولاتحلقا الشعر

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

قاله لبيد بن ربيعة العامري يوصي ابنتيه حين حضرته الوفاة بالبكاء والندبة عليه وقرئ مرساها بفتح الميم الاان القراء السبعة اتفقوا على ضم ميم مرساها فالضم فيهما مبني على انهما من اجرى وارسى والفتح على انهما من جرى ورسا ﴿قوله صفتين لله﴾ فيه ان اضافة اسم الفاعل الى معموله لفظية لاتفيده تعريف فكيف جاز وقوعه صفة للمعرفة والظاهر انهما بدلان من اسم الله اولم يرد بالصفة النعت النحوي بل مايكون مفهومه معنى قائما بالغير ﴿قوله اي لولا مغفرته لفرطاتكم﴾ يريد ان قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم جملة مستأنفة جيء بها بيانا لموجب الامر السابق ولايصح ان تكون علة لاركبوا لعدم المناسبة فيقدر مايصح به الكلام بان يقال امتثلوا ماامرتم به لينجيكم الله تعالى بمغفرته ورحمته او يقال اركبوا فيها ذاكرين الله تعالى ولاتخافوا الغرق بسبب مافرط منكم من التقصير لان الله غفور رحيم وفيه ان انجاءهم لاللاستحقاق منهم بسبب انهم كانوا مؤمنين بل هو محض رحمة الله وغفرانه كما عليه اهل السنة ﴿قوله متصل بمحذوف﴾ يعني ان قوله تعالى وهي تجري بهم في موج كالجبال حال من شيء محذوف تضمنه جملة دل عليها سياق الكلام كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم وقوله فيها اشارة الى ان قوله تعالى بهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل تجري اي تجري ملتبسة بهم كقوله * تدوس بنا الجماجم والترائب * اي تدوس خيولنا ملتبسة بنا ونحن راكبون عليها جماجم القتلى وترائبهم ولو جعل الباء للتعدية لم يحتج الى هذا التأويل ﴿قوله وماقيل من ان الماء طبق﴾ اي ملأ مابين السماء والارض جواب عما يقال اذا ملأ الماء مابين السماء والارض لم يتصور الموج فيه فما معنى جريها في الموج * واجاب عنه اولا بان الرواية ليست بثابتة وثانيا بان جريانها في الموج كان في زمان عدم التطبيق وجريانها في جوف الماء قرأ الجمهور ونوح ابنه بكسر تنوين نوح لالتقاء الساكنين وقرئ بضمه اتباعا لحركة الاعراب وقرأ العامة ابنه بوصل هاء الضمير بواو وهي اللغة الفصيحة الفاشية وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما بسكون الهاء قيل انه لغة وقرأ علي رضي الله عنه ابنها باضافة الابن الى امرأة نوح عليه الصلاة والسلام وكانه اعتبر قوله تعالى انه ليس من اهلك وقوله عليه الصلاة والسلام ان ابني من اهلي لايدل على بنوته له وانما يدل عليها لو قال مني وقرأ ابنه بفتح النون والهاء وحذف الالف اكتفاء عنها بالفتحة كما تحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقرئ ابناه بالالف وهاء السكت على صيغة الندبة وهي ان كانت عبارة عن التفجع والتحزن لميت الا انه لما رأى ابنه مشرفا على الغرق والهلاك ناداه بصيغة الندبة على وجه الرأفة والترحم * ولما ورد ان يقال كيف تحكم بانه على صيغة الندبة والقوم قد نصوا على انه لايجوز حذف حرف النداء من المندوب * اجاب عنه بانه حكاية ندبته عليه الصلاة والسلام وليست ندبة في نفسها فلهذا سوغ حذف حرف النداء ﴿قوله تعالى وكان في معزل﴾ في محل النصب على انه حال من ابنه والحال بأني من المنادى لانه مفعول به والمعزل بكسر الزاي اسم لمكان العزل وهو الابعاد اي وكان بمكان عزل فيه نفسه عن ابيه بناء على ظنه ان الجبل يعصمه من الغرق واختلف في انه هل كان ابنا له حقيقة او ربيبه فقيل انه ابنه في الحقيقة لانه تعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه ونوح ايضا نص عليه وقال يابني وصرف هذا اللفظ الى انه كان ربيبه فاطلق عليه هذا الاسم لهذا السبب صرف الكلام من حقيقته الى مجازه من غير ضرورة فانه لايجوز ومنهم من خالف هذا الظاهر استبعادا لان يكون ولد المعصوم كافرا وليس ببعيد لانه قد ثبت ان والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالدي ابراهيم عليه الصلاة

ويجوز رفعهما بسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لاتعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله (ان ربي لغفور رحيم) اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما انجاكم (وهي تجري بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها (في موج كالجبال) في موج من الطوفان وهو مايرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وماقيل من ان الماء طبق مابين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق (ونادى نوح ابنه) كنعان وقرأ علي ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف (وكان في معزل) عزل فيه نفسه من ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده

والسلام كانوا كافرين فكيف يبعد ان يكون الولد ايضا كافرا • فان قيل انه صلى الله عليه وسلم لما قال رب لاتذر على الارض من الكافرين كيف احب نجاته مع كفره • اجيب عنه بوجوه • الاول انه كان ينافق اباه فظن نوح عليه الصلاة والسلام انه مؤمن فلذلك ناداه ولولا ذلك لما احب نجاته والثانى انه عليه الصلاة والسلام كان يعلم انه كافر لكن ظن انه لما شاهد الغرق والاهوال العظيمة جاز ان يقبل الايمان فصار قوله يابنى اركب معنا بمنزلة ان يقول يابنى آمن بالله وتموت بحاله وجلاله ولاتكن مع الكافرين فى الكفر واركب مع المؤمنين والثالث ان شفقة الابوة لعلها حملته على ذلك النداء او الذى تقدم من قوله الا من سبق عليه القول كالمجمل فلعله جوز ان لايكون داخلا فيه وقيل كان ابن امرأته ويدل عليه قرآءة ابنها وهو قول محمد بن على الباقر وقول الحسن البصرى قال قتادة سألت الحسن عنه فقال والله ماكان ابنه فقلت ان الله حكى عنه انه قال ان ابنى من اهلى وانت تقول ماكان ابنه فقال لم يقل منى ولكن قال من اهلى وهذا يدل على قوله وقيل انه ولد على فراشه لغير رشدة احتجاجا بقوله تعالى فى امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام فخانتاهما وهذا قول خبيث لان منصب الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجب ان يكون مصونا من مثل هذه الفضيحة ولاسيما وهو خلاف نص القرآن واما قوله تعالى فخانتاهما فليست خيانتهما بما ذكر من النسب بل المراد من الخيانة الخيانة فى الدين حيث سلكتا سبيل النفاق وقيل لابن عباس رضى الله عنهما ما كانت تلك الخيانة فقال كانت امرأة نوح تقول زوجى مجنون وامرأة لوط تدل الناس على ضيفه اذا نزلوا به ﴿ قوله والجمهور كسروا الياء ﴾ قرأ حفص عن عاصم يابنى بفتح الياء فى جميع القرآن والباقون بالكسر ووجه من كسر الياء ان تكون الكسرة دليلا على ياء الاضافة المحذوفة فان اصل ابن على مااختاره الجوهرى بنو فحذفت واوه وعوضت عنها همزة الوصل فلما صغر عادت الواو فصار بنيو فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء فى الياء فصار بنى ثم اضيف الى ياء المتكلم ونودى فصار يابنى وقد تقرر فى النحو ان الاسم المنادى المضاف الى ياء المتكلم فيه لغات منها سكون ياء الاضافة مع كسر ماقبلها نحو ياغلامى ومنها فتح ياء الاضافة مع كسر ماقبلها لان ياء الاضافة اسم والاصل فى الاسماء الاعراب والاصل فى الاعراب الحركة فكان المناسب ان تبنى هذه الياء على الحركة واختير الفتح لخفته وهذان الوجهان اعنى الفتح والسكون مطردان فى النداء ايضا نحو ياغلامى ومنها ان تحذف ياء الاضافة للتخفيف وتجعل كسرة ماقبلها دليلا نحو ياغلام ومنها ان تقلب الياء الفا للتخفيف ايضا فان الالف والفتحة اخف من الياء والكسرة نحو ياغلاما وهذان الوجهان لايكونان الا اذا كان الاسم المضاف منادى وقد جاء شاذا فى المنادى ايضا حذف الالف المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحة نحو ياغلام ويااب فظهر من هذا التفصيل ان من قرأ يابنى بكسر الياء جعله من قبيل ياغلام فى حذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة ومن قرأ يابنى بفتح الياء جعله من قبيل ياغلام فى حذف الالف المبدلة من الياء اكتفاء بالفتحة وهذا الحذف ليس شاذا فيه كما شذ فى نحو ياغلام لما فى هذه الكلمة من الثقل الحاصل باجتماع ثلاث ياآت الاولى ياء التصغير والثانية الياء المبدلة من لام الكلمة والثالثة ياء الاضافة • واعلم ان مجموع ماوقع فى القرآن من لفظ يابنى ستة الفاظ واحد منها فى سورة هود وهو يابنى اركب وثانيها فى سورة يوسف وهو يابنى لاتقصص رؤياك وثلاثة منها فى سورة لقمان احدها قوله يابنى لاتشرك وثانيها قوله تعالى يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل وثالثها قوله تعالى يابنى اقم الصلاة وسادسها فى الصافات وهو قوله تعالى يابنى انى ارى فى المنام فالجمهور كسروا ياء بنى فى الجميع غير ابن كثير فانه وقف عليها فى اول مافى لقمان اى قرأها ياء ساكنة فقال يابنى لاتشرك بالله باتفاق الرواة عنه وكذا فى ثالث مافى لقمان فى رواية قنبل فقال يابنى اقم الصلاة بلا حذف ياء الاضافة لكثرة حذفها فى باب النداء ثم استثقل الياء المشددة فى المكسورة فحذفها وابقى الياء الاولى وهى ياء التصغير ساكنة فهم من جمع بين اللغات مع اتباع الاثر ومنهم من اختار بعضها مع الاتباع المذكور ﴿ قوله وعاصم ﴾ بالجر عطفا على ابن كثير وقرئ بادغام باء اركب فى ميم معنا وقرآءة حفص بالادغام ﴿ قوله وقيل لاعاصم بمعنى لاذا عصمة ﴾ على ان يكون بناء عاصم بناء النسبة فيكون بمعنى المعصوم ويكون من رحم بمعنى المرحوم ويكون الاستثناء متصلا لان المرحوم من جنس المعصوم كما انه متصل على الوجهين الاولين وهما ان يكون المعنى لاعاصم الا الراحم ولاعاصم الامكان المرحومين بتقدير لان الراحم من جنس العاصم وكذا مكان المرحومين واما اذا كان المعنى لاعاصم

(يابنى اركب معنا) فى السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة فى جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها فى لقمان فى الموضع الاول باتفاق الرواة وفى الثالث فى رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه فى سائر المواضع وقد ادغم الباء فى الميم ابو عمرو والكسائى وحفص لتقاربهما (ولاتكن مع الكافرين) فى الدين والاعتزال (قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء) ان يغرقنى (قال لاعاصم اليوم من امر الله الا من رحم) الا الراحم وهو الله تعالى او الامكان من رحمهم الله وهم المؤمنون ورد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لاعاصم بمعنى لاذا عصمة كقوله تعالى فى عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اى لكن من رحمه الله يعصمه (وحال بينهما الموج) بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل (فكان من المغرقين) فصار من المهلكين بالماء

(الا المرحوم)

الا المرحوم فحينئذ يكون الاستثناء منقطعا ويكون المعنى لاعاصم اليوم لكن من رحمه الله يعصمه ذكر صاحب الانتصاف ان الاحتمالات الممكنة اربعة لاعاصم الا الراحم ولا معصوم الا مرحوم ولا عاصم الا مرحوم ولا معصوم الا الراحم فالاولان استثناء من الجنس والاخيران من غير الجنس وزاد الزمخشرى احتمالا خامسا وهو لاعاصم الا مرحوم على انه من الجنس بتأويل حذف مضاف تقديره لامكان عاصم الامكان مرحوم والمراد بالنفى التعريض بعصمة السفينة والكل جائز وبعضها اقرب من بعضها ﴿ قوله نوديا بما ينادى به اولوا العلم ﴾ حيث نوديا باسم حقيقتهما وهو يا ارض ويا سماء فطلب به اقبالهما تشبيها لهما بالعقلاء المميزين المأمورين الذين لايتأتى منهم العصيان لكمال هيبة الآمر وادخالهما فى جنس هؤلاء المأمورين على جهة الاستعارة المكنية وجعل النداء قرينتها على سبيل الاستعارة التخييلية وجعل القلع والبلع ترشيحا للاستعارة لان كل واحد منهما امر ملائم للمستعار منه اما القلع فظاهر واما البلع فلانه ادخال الطعام فى الحلق بعمل الجارحة والمراد بالبلع ههنا ان تنشف الارض ماءها اى تشربه فهو استعارة لغور الماء فى الارض يقال نشف الثوب العرق بكسر الشين اى شربه والفعل من باب علم واما الاقلاع فهو مشترك بين الحيوانات والجمادات يقال اقلع الرجل من عمله اذا كف واقلعت السماء بعد مامطرت اذا امسكت فليس تجريدا ولا ترشيحا ﴿ قوله وغيض الماء نقص ﴾ يعنى ان الغيض النقصان يقال غاض الماء يغيض غيضا اى قل ونقص وغيض الماء اى فعل به ذلك وغاضه الله تعالى فيتعدى ولايتعدى واغاضه الله تعالى ايضا ومن المتعدى هذه الآية لان الفعل لايبنى للمفعول بغير واسطة حرف الجر الا اذا كان متعديا بنفسه ﴿ قوله وانجز ماوعد ﴾ يعنى ان القضاء بمعنى الفراغ كانه قيل تم امرهم وفرغ من اهلاكهم وفى الصحاح وقد يكون القضاء بمعنى الفراغ يقال قضيت حاجتى وضربه فقضى عليه اى قتله كانه فرغ منه وسم قاض اى قاتل ﴿ قوله هلاكا لهم ﴾ يعنى ان البعد ههنا مصدر بعد بكسر العين اذا صار بعيدا بحيث لايرجى عوده وفى الصحاح البعد ضد القرب وقد بعد بالضم وهو بعيد والبعد بالتحريك جمع باعد مثل خادم وخدم والبعد ايضا الهلاك تقول منه بعد بالكسر فهو باعد وبعدا فى الآية منصوب على انه مصدر لفعله المقدر اى وقيل بعدوا بعدا والمعنى الدعاء عليهم بذلك واللام متعلق بفعل محذوف على سبيل البيان كما فى نحو سقيا لك وهيت لك وهو المتبادر من تعبير المصنف ويحتمل ان يتعلق بقوله قيل اى قيل لاجلهم هذا القول ﴿ قوله وايراد الاخبار ﴾ وهى قوله وغيض الماء وقضى وقيل على البناء للمفعول للدلالة على غاية العظمة والجلال بحيث اذا ذكرت هذه الافعال مسندة الى المفعول لاينصرف الفعل الا اليه ﴿ قوله واراد نداءه ﴾ اى قدر الارادة لان نداءه هو قوله رب فيلزم عطف الشئ على نفسه لولا تقدير الارادة ولو قيل قوله ونادى نوح ربه مجمل ومابعده تفصيل له وحق التفصيل ان يكون عقيب ذكر الاجمال لكان له وجه ﴿ قوله فما حاله او فما له لم ينج ﴾ فيكون النداء بعد غرق ابنه طلبا للحكمة فى عدم نجاته مع انه تعالى قد وعده بان ينجى اهله ويجوز ان يكون هذا قبل غرقه والمقصود من النداء طلب نجاته واختار المصنف ان يكون هذا النداء بعد الغرق لما سبق من انه صلى الله عليه وسلم نادى ابنه قائلا يابنى اركب معنا وانه امتنع من الركوب معهم فحال بينهما الموج فكان من المغرقين ثم ذكر بعده نجاة المؤمنين باستواء السفينة ثم ذكر بعد هذه الآية فهذا الترتيب يدل على ان نداء ربه فى حق ابنه وقع بعد غرق الابن ولانه قدم انه تعالى قد نهاه عن المخاطبة فى الذين ظلموا وهو يستلزم ان يكون هذا النداء بعد غرق الابن لان كونه قبل الغرق يتضمن سؤال النجاة لابنه مع انه قد نهى عنه وارتكاب المنهى عنه معصية فلا يجوز فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام ● فان قيل فكيف يجوز المصنف نداء الرب قبل غرق الابن وقبل ان يطلب منه ان يركب مع المؤمنين مع انه يتضمن استدفاع العذاب عن ابنه الظالم ● فالجواب ان المنهى عنه هو المخاطبة باستدفاع العذاب عمن علم انه من الظالمين وهو عليه الصلاة والسلام سأل النجاة فى حق ابنه وهو غير عالم بكفره فان استثناء من سبق عليه القول انما يدل على ان فى اهله من هو غير ناج ولا يدل على انه ابنه ● فان قيل هب انه لايعلم كفره حال نداء ربه فقد علم به بعد ذلك بقوله تعالى انه ليس من اهلك الآية فكيف جاز له ان ينادى ابنه بعد ذلك قائلا له يابنى اركب معنا طلبا لنجاته مع علمه بحاله ● فالجواب انه عليه الصلاة والسلام امره بالركوب بناء على ظن ان الابن لما شاهد سبب الغرق والاهوال العظيمة جاز له ان يعرض عن الكفر ويقبل الايمان فصار امره بالركوب فى الحقيقة امرا له بالايمان ومجانبة الكفار والاشتراك

(وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى) نوديا بما ينادى به اولوا العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذى يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك (وغيض الماء) نقص (وقضى الامر) وانجز ماوعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودى) جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روى انه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار ذلك سنة (وقيل بعدا للقوم الظالمين) هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لايرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية فى غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالى عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين فى نفسه مستغنى عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لايقدر عليه سوى الواحد القهار (ونادى نوح ربه) واراد نداءه بدليل عطف قوله (فقال رب ان ابنى من اهلى) فانه النداء (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده حق لايتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجى اهلى فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه

(وانت احكم الحاكمين) لانك اعلمهم واعدلهم
اولانك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان
الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع
(قال يانوح انه ليس من اهلك) لقطع الولاية
بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله (انه عمل
غير صالح) فانه تعليل لنفى كونه من اهله
واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل
للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ٭
ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت ٭ فانما هى
اقبال وادبار ٭ ثم بدل الفاسد بغير الصالح
تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء
ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ
الكسائى ويعقوب انه عمل اى عمل عملا غير
صالح (فلا تسألن ماليس لك به علم) مالم تعلم
أصواب هو ام ليس بصواب وانما سمى
نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله
استنجازه فى شأن ولده او استفسار المانع
للانجاز فى حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه
بقوله (انى اعظك ان تكون من الجاهلين)
لان استثناء من سبق عليه القول من اهله
قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن
اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الامر
وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة
وكذلك نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون
على ان اصله تسئلنى فحذفت نون الوقاية
لاجتماع النونات وكسرت المشددة للياء
ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها
فى الوصل (قال رب انى اعوذبك ان اسألك)
فيما يستقبل (ماليس لى به علم) مالا علم لى
بصحته (والا تغفرلى) وان لم تغفرلى ما فرط
منى من السؤال (وترحمنى) بالتوبة والتفضل
علىّ (اكن من الخاسرين) اعمالا

معهم فى الكفر والضلال والنجاة مع المؤمنين بدخوله محل النجاة مع ان هذا السؤال يرد عليه على تقدير ان
يكون نداء الابن مقدما على نداء الرب بعد الغرق بان يقال كيف طلب بالنداء ابنه الكافر ان يركب مع المؤمنين
وينجو من عذاب الكافرين والحاصل ان امة نوح عليه الصلاة والسلام كانوا ثلاثة اقسام كافر يظهر كفره
ومؤمن يعلم ايمانه ومنافق مستور حاله وقد كان حكم المؤمنين النجاة وحكم الكافرين هو الغرق وكان ذلك معلوما
واما اهل النفاق فبقى حكمه مخفيا وكان ابن نوح منهم وكان يجوز فيه كونه مؤمنا وكانت الشفقة المفرطة التى
تكون للاب فى حق الابن يحمله على حمل حال ابنه وافعاله لا على كونه كافرا بل على الوجوه الصحيحة فلما رآه
بمعزل عن القوم طلب منه ركوب السفينة فقال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء وذلك لا يدل على كفره لجواز
ان يكون استبعد من الدخول لكراهته الاحتباس فى السفينة وظنه ان الصعود على الجبال يجرى مجرى
الركوب فى السفينة وانه يصون من الغرق ايضا وقول نوح عليه الصلاة والسلام لا عاصم اليوم من امر الله
الامن رحم لا يدل على انه عليه السلام علم من ابنه انه كان كافرا لجواز ان يكون مراده ان يقرر عنده انه لا ينفعه
الا الايمان والعمل الصالح وقصد هذه الحالة لانه قد بقى فى قلبه ظن ان ذلك الابن مؤمن فنادى ربه طالبا منه ان
يخلصه بطريق من الطرق اما بان يمكنه من الدخول فى السفينة واما بان يحفظه على قلة جبل فعند ذلك اخبر الله
تعالى بانه منافق وانه ليس من اهل دينه فالزلة الصادرة من نوح عليه الصلاة والسلام هى عدم استقصائه
فى تعرف ما يدل على نفاق ابنه وكفره ﴿ قوله لانك اعلمهم واعدلهم ﴾ علة لكونه تعالى احكم الحاكمين فى الحكم
وفى الكشاف وانت احكم الحاكمين اى اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ويجوز
ان يكون من الحكمة على انه بنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع ﴿ قوله فجعل ذاته ذات
العمل للمبالغة ﴾ فى مداومته على العمل الفاسد فان الرجل اذا كثر عمله وكرمه يقال انه عمل وكرم قالت الخنساء
اخت صخر تصف ناقة فقدت ولدها بنحر او موت او نحوه

٭ ترتع ما غفلت حتى اذا ادكرت ٭ فانما هى اقبال وادبار ٭

كانها نفس الاقبال والادبار ﴿ قوله ثم بدل الفاسد بغير الصالح ﴾ جواب عما يقال ان اثبات الفساد للعمل ونفى
الصلاح عنه متلازمان فلم اوثر الثانى على الاول مع انه اخصر والجواب ان الصلاح صفة اهل نوح وكانه نفى عنه كونه
من اهل نوح نفى عنه صفتهم ايضا حتى اذا علم ان عدم صفتهم كان سببا لهلاكه علم منه صريحا ان صفتهم هى التى
كانت سبب نجاتهم لا كونهم من اهل نوح وعبارة الفساد وان دلت على هذا المعنى ضمنا الا ان التصريح بالمقصود
اولى واقرب الى الفهم ﴿ قوله وقرأ الكسائى ويعقوب انه عمل ﴾ على صيغة الفعل الماضى وغير منصوب على انه
نعت لمصدر محذوف والمعنى ان ابنك عمل عملا غير صالح الشرك والكذب والباقون قرأوا عمل بفتح الميم وتنوين الكلمة
ورفعها على انها اسم وقع خبر ان وغير بالرفع على انه صفة المرفوع ﴿ قوله قد دله على الحال ﴾ وهى ان ابنه ممن
سبق عليه القول واستوجب العذاب فانه تعالى لما قدم الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول كان
عليه السلام يعتقد ان فى جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بصالحين وهذه
لا محالة شبهة حين شارف ولده الغرق فى انه من المستثنى منهم فلذلك عوتب عليه بان اشتبه عليه ما يجب
ان لا يشتبه عليه وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظ ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين
﴿ قوله وقرأ ابن كثير ﴾ فلا تسألن بفتح اللام وتشديد النون المفتوحة فيجعل الفعل متصلا بياء المتكلم بل اكده
بنون التأكيد الثقيلة وقرأ نافع برواية قالون وابن عامر فلا تسألن بفتح اللام وتشديد النون المكسورة من غير
اثبات الياء بعدها وفى رواية ورش عن نافع فلا تسألنى باثبات الياء بعد النون المشددة حال الوصل والباقون
باسكان اللام وكسر النون وتخفيفها باثبات الياء وصلا لابى عمرو وبدون الياء فى الحالين للكوفيين فمن خفف
النون جعلها نون الوقاية وحدها ومن شددها جعلها نون التأكيد ثم انه تعالى لما قال فلا تسألن ماليس لك به
علم قال عليه الصلاة والسلام قبلت يارب هذا التكليف ولا اعود اليه الا انى لا اقدر على الاحتراز منه الا باعانتك
وهدايتك فلهذا بدأ اولا بقوله انى اعوذبك ان اسألك فيما يستقبل ماليس لى به علم وان اعود الى مثله ابدا ثم اشتغل
بالاعتذار عما مضى فقال والا تغفرلى وترحمنى اكن من الخاسرين وحقيقة التوبة تقتضى امرين احدهما
العزم على ترك الفعل فى المستقبل واليه اشار بقوله اعوذبك ان اسألك ماليس لى به علم والآخر الندم والاستغفار

للمضى واليه الاشارة بقوله والاتفترق الآية ﴿ قوله انزل من السفينة مسلما من المكاره ﴾ اشارة الى ان قوله سلام حال من فاعل اهبط بمعنى انزل اى ملتبسا بسلام ومتصفة لسلام فيتعلق بمحذوف امره الله تعالى بان ينزل من السفينة ثم وعده عند الخروج بالسلامة اولا ثم بالبركة ثانيا ويحتمل ان يكون قوله اهبط امرا بان ينزل من جبل الجودى الذى استقرت السفينة عليه الى الارض المستوية والبركات الخيرات النامية وهى عطف على قوله سلام فيكون مثله فى الاعراب وهو عليه السلام لما خرج من السفينة وعلم انه ليس فى الارض ماينتفع به من النبات والحيوان صار كالخائف فى انه كيف يعيش وكيف يدفع جميع الحاجات عن نفسه من المأكول والمشروب فلما قال الله تعالى اهبط بسلام منا زال ذلك الخوف لان ذلك يدل على حصول السلامة من الآفات ولايكون ذلك الامن سعة الرزق ثم انه تعالى لما وعده بالسلامة اردف بان وعده بالبركة لان موجبات السلامة والراحة والفراغة تكون فى الزراعة والنماء والثبات والاستقرار على ان البركة عبارة عن الدوام والبقاء والثبات ومنه بروك الابل ومنه البركة لثبوت الماء فيها ومنه تبارك الله اى ثبت تعظيمه وقيل المراد بالبركة الموعودة له عليه الصلاة والسلام كونه ابا لمن جاء بعده من البشر الى يوم القيامة كما قال الله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فانه روى انه عليه الصلاة والسلام لما خرج من السفينة مات من كان معه ممن لم يكن من ذريته ولم يحصل النسل الامن ذريته وصار عليه الصلاة والسلام آدم ثانيا وروى ايضا انه لم يكن فى سفينة نوح عليه الصلاة والسلام الا من كان من نسله وذريته وعلى التقديرين فالخلق كلهم انما يولدون منه ومن اولاده فهذا هو المراد من البركات التى وعده الله تعالى بها ﴿ قوله وعلى امم هم الذين معك ﴾ على ان تكون كلة من فى قوله ممن معك لبيان الجنس فيراد بالامم الامم الذين كانوا فى السفينة لانهم كانوا جماعة متحزبين وايضا كانوا منشأ لمن تشعب منهم من الامم ﴿ قوله او على امم ناشئة ممن معك ﴾ على ان تكون من لابتداء الغاية فالمراد بالامم الامم المؤمنون الى آخر الدهر ﴿ قوله اى وممن معك امم سنمتعهم ﴾ على ان امم مرفوع بالابتداء وسنمتعهم صفته والخبر محذوف لدلالة قوله ممن معك والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشأون ممن معك وامم ممتعون بالدنيا منقلبون فى الآخرة الى النار فان نوحا عليه الصلاة والسلام كان اب الانبياء عليهم الصلاة والسلام والخلق الحادث بعد الطوفان نشأ منه ومن اولاده الذين كانوا معه فى السفينة ﴿ قوله عطف على قوله نوحا ﴾ كأنه قيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه وارسلنا الى عاد اخاهم * فان قيل عاد قبيلة من العرب وهود علم شخص معين والشخص الواحد كيف يكون اخا لقبيلة فالجواب ان الاخوة بمعنى انتساب شخص الى صلب واحد منهم كما يقال يا اخا تميم ويا اخا قريش لرجل منهم وهود عليه الصلاة والسلام وان لم يكن اخا لعاد فى الدارين الا انه كان واحدا من قبيلة عاد وهم قبيلة من العرب بناحية اليمن كما ان صالحا كان واحدا من قبيلة ثمود ﴿ قوله ثم توسلوا اليها بالتوبة ﴾ لما كانت المغفرة منوطة بالتوبة وكانت التوبة وسيلة اليها فسر المصنف قوله تعالى ثم توبوا اليه بقوله ثم توسلوا اليها بالتوبة ولزم منه ان تكون كلة ثم للتراخى فى الاخبار فان هودا عليه الصلاة والسلام دعا قومه الى التوحيد ثم كلفهم ان يطلبوا من ربهم ان يغفر لهم ذنوبهم ثم بين الشئ الذى يتوسل به الى المغفرة وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه فانه لاسبيل الى طلب المغفرة من الله تعالى الا باظهار التوبة لان المذنب معرض عن طريق الحق والمعرض المتمادى فى التباعد مالم يرجع عن ذلك الاعراض لايمكنه التوجه الى المطلوب فالمطلوب بالذات هو العفو والغفران والصفح والرضوان الا ان ذلك لايمكن الا بالرجوع من المخالفة والعدوان فثبت ان المغفرة مطلوبة بالذات وان التوبة مطلوبة لكونها من مبادى المغفرة وما كان آخرا فى الحصول كان متقدما فى الطلب فلهذا السبب قدم ذكر الاستغفار على التوبة ثم بين ما يتوقف عليه المطلوب ثم اشار المصنف الى ان كلة ثم للاشارة الى ان التوبة والتبرى من عبادة غير الله تعالى متأخر بالذات والرتبة عن الايمان بالله والرغبة فيما عنده وقد اشار المصنف فى اول السورة الى وجه آخر وهو ان تكون ثم على اصل معناها بان تكون التوبة التى هى الرجوع عن الضلال مجازا عن التوصل الى المطلوب بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب والوصول الى ماعند الله تعالى من الكرامة انما يكون بالاستغفار وقوله تعالى يرسل السماء مجزوم على انه جواب الامر والمعنى انكم متى فعلتم ذلك فالله تعالى يكثر النعم عليكم وعندكم ويقويكم على الانتفاع بها فان انتظام حال الانسان فى معاشه كما يتوقف على وصول نفس النعم والارزاق اليه يتوقف ايضا

(قيل يانوح اهبط بسلام منا) انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك (وبركات عليك) ومباركا عليك اوزيادات فى نسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهى الخير النامى (وعلى امم ممن معك) وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله (وامم سنمتعهم) اى وممن معك امم سنمتعهم فى الدنيا (ثم يمسهم منا عذاب اليم) فى الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب مانزل بهم (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها (من انباء الغيب) اى بعضها (نوحيها اليك) خبر ثان والضمير لها اى موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء (ما كنت تعلمها انت ولاقومك من قبل هذا) خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء فى نوحيها او الكاف فى اليك اى جاهلا انت وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمها اذلم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لم يسمعوها فكيف بواحد منهم (فاصبر) على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح (ان العاقبة) فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز (للمتقين) عن الشرك والمعاصى (والى عاد اخاهم هودا) عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان (قال ياقوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره) وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده (ان انتم الامفترون) على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء (ياقوم لااسألكم عليه اجرا ان اجرى الاعلى الذى فطرنى) خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لاتنجع مادامت مشوبة بالمطامع (أفلا تعقلون) أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من المبطل والصواب من الخطأ (وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرى من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده

(يرسل السماء عليكم مدرارا) كثير الدر (ويزدكم قوة الى قوتكم) ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم (قالوا ياهود ما جئتنا ببينة) بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات (وما نحن بتاركى آلهتنا) بتاركى عبادتهم (عن قولك) صادرين عن قولك حال من الضمير فى تاركى (وما نحن لك بمؤمنين) اقناط له من الاجابة والتصديق (ان نقول الا اعتراك) ما نقول الا قولنا اعتراك اى اصابك من عراه يعروه اذا اصابه (بعض آلهتنا بسوء) بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذى وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ (قال انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون) اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على برآءته من آلهتهم وفراغه من اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة لهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التى هى جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله (انى توكلت على الله ربى وربكم) تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضرونى فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكى ومالككم لا يحيق بى ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) اى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك (ان ربى على صراط مستقيم) اى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم (فان تولوا) فان تتولوا (فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم) فقد اديت ما على من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط منى ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم (ويستخلف ربى قوما غيركم) استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلككم ويستخلف قوما آخرين فى ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القرآءة بالجزم على الموضع فكأنه قيل وان تولوا يعذرنى ربى ويستخلف (ولا تضرونه) بتوليكم (شيأ) من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه (ان ربى على كل شئ حفيظ) رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شئ (ولما جاء امرنا) عذابنا او امرنا بالعذاب (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا) وكانوا اربعة آلاف (ونجيناهم من (الغليظ)

على اقتداره على الانتفاع بها فى اجتمع الامران فقد بلغ فى سعادته العاجلة الى الكمال ومتى فقد اى واحد منهما او كلاهما فقد اختل امر معاشه ﴿ قوله كثير الدر ﴾ مبنى على ان المدرار من ابنية المبالغة وهو حال من السماء ولم يؤنث لان مفعالا للمبالغة يستوى فيه المؤنث والمذكر كصبور اولان المراد بالسماء السحاب او المطر فذكر حملا على المعنى يقال سحاب مدرار وغيث مدرار اذا تتابع منه القطر ﴿ قوله صادرين عن قولك ﴾ من صدر صدرا بمعنى رجع واعرض كأنه قيل لا نقبل قولك ياقوم اعبدوا الله وحده معرضين عنه اى نحن مصرون على ما نحن عليه من الاعراض عن قولك لا يحدث منافيا يستقبل قبول قولك وترك عبادة آلهتنا جعل كلمة عن فى قوله عن قولك متعلقا بقوله تاركى باعتبار ما ضمنه من معنى الصدر والاعراض وجعل الفعل المذكور اصلا والمضمر حالا كما فى قوله تعالى ولا تتبع اهوآءهم عما جاءك من الحق اى لا تتبعها معرضا عما جاءك وان كان الاكثر والاولى فى باب التضمين ان يجعل الفعل المضمن اصلا والمذكور فى اللفظ حالا لما فيه من الاعتناء بشأن المتروك بجعل حرف الجر المذكور مع الفعل الملفوظ صلة للمتروك ومثاله ان يقال فى تقدير قوله تعالى ولا تتبع اهوآءهم عما جاءك متبعا اهوآءهم وكلا الامرين حسن شائع فى كلام الفصحاء والارجح الاكثر هو الثانى لما ذكرنا والاول قليل بالنسبة اليه ﴿ قوله وهذا ﴾ اى مواجهته قومه مع كثرة عددهم بقوله لهم تمالؤوا انتم واوثانكم جميعا فى عداوتى واقصدوا هلاكى ولا تمهلونى من اعظم معجزات الانبياء والفاتك الجرئ القاتل والجمع فتك والفتك ان يأتى الرجل صاحبه وهو غار غافل حتى يشتد عليه فيقتله ﴿ قوله بهذا الكلام ﴾ حال من فاعل المواجهة اى مواجهته اياهم متلبسا بهذا الكلام وتثبطهم بالنصب عطفا على مواجهته والتثبط عن الامر الاشتغال عنه والكلاءة الحفظ لما اجاب قوم هود اياه عليه الصلاة والسلام بان اقنطوه من اجابتهم وقالوا ان بعض آلهتنا اصابك بجنون وافسد عقلك لسبك اياها وصدك عن عبادتها والا فمن له عقل سليم لا يقدم على ما انت عليه اجاب هود عليه الصلاة والسلام بقوله فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون عن قولهم ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وقوله انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه مقدمة وتمهيد للجواب فانهم لما سموها آلهة وانجوا لها الضرر نفى بقوله اشهد الله الآية كونها آلهة رأسا ثم نفى الضرر بقوله فكيدونى ثم لا تنظرون على ابلغ وجه ولما ورد ان يقال ان قوله واشهدوا عطف على قوله اشهد ومنع من عطفه عليه امران الاول ان الطلب لا يعطف على الخبر والثانى ان عطفه عليه يستلزم ان يكون الطلب خبرا وهو غير جائز وبيان الملازمة ان اشهد خبر لكلمة ان فما عطف عليه يكون خبرا ايضا فالظاهر ان يقال انى اشهد الله واشهدكم اشار الى جوابه ببيان الفرق بين اشهاد الله تعالى واشهاده اياهم بان اشهاد الله تعالى اشهاد على التحقيق جئ به ليؤكد به ما ذكره من البرآءة من شركهم وشركائهم بخلاف اشهاده اياهم على البرآءة فانه ليس اشهادا على التحقيق الا يقول احد لمن يعاديه اشهدك على انى برئ منك الا وهو يريد عدم المبالاة ببرآءته والاستهانة بعداوته فلما اختلف الاشهادان فى المعنى خولف بينهما فى الصيغة فجئ بصيغة الامر وان كان المراد بها الخبر لان الجملتين اذا اختلفتا خبرا وطلبا فلا بد ان يقدر الطلب بالخبر او بالعكس ﴿ قوله والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك ﴾ فان الناصية عند العرب الشعر فى مقدم الرأس ويسمى الشعر النابت هناك ايضا ناصية تسمية له باسم منبته والاخذ بناصية الانسان عبارة عن قهره والغلبة عليه وكونه فى قبضة الآخذ بحيث تناله قدرته كيف شاء والعرب اذا وصفوا انسانا بالذلة والخضوع لرجل قالوا ما ناصيته الا بيد فلان اى انه مطيع له لان كل من اخذت بناصيته فقد قهرته فكان اخذ الله تعالى بناصية الخلائق استعارة تمثيلية لنفاذ قدرته فيهم وقوله ان ربى على صراط مستقيم استئناف لبيان ما يوجب التوكل عليه والمعنى انه تعالى مع كونه قادرا على الخلائق ليس الا على الحق والعدل لا يظلمهم ولا يخطفهم بقدرته الا ما يوجب الحق وقوعه بهم فلا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم ﴿ قوله تكرير ﴾ اى ليس المراد بالنجاة الثانية ما يغاير الاولى بالذات وانما يغايرها بالاعتبار بين الله تعالى اولا انه احسن اليهم بنفس الانجاء ثم بين ان ما نجاهم منه عذاب عظيم غليظ وانه احسن اليهم بمثل هذا الاحسان ويجوز ان يكون المراد بالنجاة الاولى النجاة من عذاب الدنيا وبالنجاة الثانية النجاة من عذاب الآخرة فيكون حينئذ معنى قوله فنجيناهم حكمنا بانهم لا يمسهم عذاب يوم القيامة والمراد بالسموم ما نزل بهم من الريح

عذاب غليظ) تكرير لبيان مانجاهم منه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الآخرة بالعذاب الغليظ (وتلك عاد) انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة اولان الاشارة الى قبورهم وآثارهم (جحدوا بآيات ربهم) كفروا بها (وعصوا رسله) لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول (واتبعوا امر كل جبار عنيد) يعنى كبرآءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا وعندا اذا طغا والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم (واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) اى جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم فى العذاب (الاان عادا كفروا ربهم) جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار (الابعدا لعاد) دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ماحكى عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم (قوم هود) عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بماجرى بينهم وبين هود (والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو انشأكم من الارض) هو كونكم منها لاغيره فانه خلق آدم ومواد النطف التى خلق نسله منها من التراب (واستعمركم فيها) عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم (فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب) الرحمة (مجيب) لداعيه (قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) لمانرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا فى الامور او ان توافقنا فى الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك (أتنهانا ان نعبد مايعبد آباؤنا) على حكاية الحال الماضية (واننا لفى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد والتبرى من الاوثان (مريب) موقع فى الريبة من ارابه او ذى ريبة على الاسناد المجازى من اراب فى الامر (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى) بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين (وآتانى منه رحمة) نبوة (فمن ينصرنى من الله) فمن يمنعنى من عذابه (ان عصيته) فى تبليغ رسالته والمنع من الاشراك به (فما تزيدوننى) اذا باستتباعكم اياى (غير تخسير) غير ان تخسرونى بابطال مامنحنى الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدوننى بما تقولون لى غير ان انسبكم الى الخسران (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) انتصبت آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها (فذروها تأكل فى ارض الله) ترع نباتها وتشرب ماءها (ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) عاجل لايتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام (فعقروها فقال تمتعوا

العقيم التى عذبهم الله تعالى بها سبع ليال وثمانية ايام تدخل فى مناخرهم وتخرج من ادبارهم وتصرعهم على وجوههم حتى صاروا كاعجاز نخل خاوية قيل المراد من الرحمة ماهداهم الله به من الايمان وقيل المراد انه لاينجو احد وان اجتهد فى الايمان والعمل الصالح الا برحمة الله تعالى وقصتهم ان عادا انبسطوا فى البلاد مابين عمان وحضر موت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمود والهبا فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان اوسطهم واخيرهم واحسنهم جسما وافضلهم نسبا فكذبوه وازدادوا تجبرا وعتوا فامسك الله عليهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم البلاء توجهوا الى البيت مسلمهم وكافرهم وطلبوا من الله الفرج فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا رئيسهم قيل بن عنز فدخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله ثلاث سحابات بيضاء وحمرآء وسودآء ثم نودى من السماء ياقيل اختر لنفسك وقومك فقال اخترت السودآء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادى المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة وعبدوا الله حتى ماتوا رحمهم الله ثم انه تعالى لما ذكر قصة عاد خاطب قوم محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه تعالى قال سيروا فى الارض فانظروا اليها واعتبروا او اشارة الى نفس القبيلة الجامعة للاوصاف الثلاثة المذكورة جحودهم بدلالة المعجزات على الصدق وعصيانهم الرسل واتباع الرؤساء الجبارين المعاندين ﴿ قوله لاغيره ﴾ الحصر مستفاد من تقديم الفاعل المعنوى لان قوله تعالى هو انشأكم من قبيل قوله انا قلت فى انه يجوز ان يقدر اصله انشأكم هو فيكون هو فاعلا فى المعنى وان كان فى اللفظ تأكيدا للفاعل وقوله كونكم منها اشارة الى ان من لابتدآء الغاية بمعنى ابتدأ انشاءكم منها والخطاب مبنى على تغليب الحاضرين على الغائبين من نوع البشر وان مادة الجميع هو التراب اما كون مادة آدم هو التراب فظاهر واما كونه مادة اولاده فلانتهاء مادة تكونهم الى التراب لانهم كلهم مخلوقون من صلب آدم وكان هو مخلوقا من الارض ولان كل واحد مخلوق من المنى ومن دم الطمث والمنى انما تولد من الدم فبنوا آدم كلهم مخلوقون من الدم والدم انما يتولد من الاغذية والاغذية اما حيوانية او نباتية والنباتية انما تتولد من الارض والاغذية الحيوانية لابد ان تنتهى الى الاغذية النباتية المتولدة من الارض فثبت انه تعالى انشأ الكل من الارض ﴿ قوله عمركم فيها واستبقاكم ﴾ على ان بناء استفعل للتعدية يقال عمر الرجل يعمر عمرا اى بقى زمانا طويلا وهو من باب علم الا ان مصدره عمر بفتح العين وسكون الميم واستعمره الله اى اطال بقاءه ونظيره بقى الرجل واستبقاه بمعنى ابقاه قال الفاضل شمس الدين التفتازانى فى كتابه الموسوم باساس الصرف بناء استفعل يجيئ لمعان منها التعدية كاستبقاه ﴿ قوله او اقدركم على عمارتها وامركم بها ﴾ بناء على ان الاستعمار اى طلب العمارة او الطلب المطلق من الله تعالى يحمل على الامر والايجاب والاقدار على العمارة مدلول التزامى للامر بها والعمارة متنوعة الى واجب ومندوب ومباح ومكروه وحرام فالواجب مثل سد الثغور وبناء القناطر على الانهر المهلكة وبناء المسجد الجامع فى المصر والمندوب كبناء القناطر والمدارس والرباط تيسيرا للناس فى امورهم والمباح بناء بيوتهم كالبيوت التى يسكن فيها ويمكث بها بقدر حاجتهم والمكروه كالذى زاد على قدر الحاجة والحرام كابنية الظلمة وغيرهم للمباهاة واسأل الله التوفيق والتوبة والمغفرة ﴿ قوله او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم ﴾ فان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها فلما كان المخاطبون بمنزلة المعمرين كان استعماره تعالى اياهم عبارة عن جعله اياهم بمنزلة المعمرين ذكر المصنف فى قوله تعالى استعمركم ثلاثة وجوه كونه من العمر ومن العمارة ومن العمرى بمعنى جعلكم معمرين ﴿ قوله اى غير مكذوب فيه ﴾ اوله او به لعدم امكان حمله على ظاهره لان الوعد انما يوصف بكونه غير مكذوب اذا كان من شأنه ان يكون مكذوبا وليس كذلك لان المصدوق والمكذوب من كان مخاطبا بالكلام المطابق للواقع وغير المطابق له فلا يوصف بهما الا الانسان الصالح للخطاب فلذلك جعل اصل الكلام وعد غير مكذوب فيه فحذف حرف الجر فاتصل الضمير المجرور باسم المفعول باقامته مقام المفعول به توسعا كما فى قوله * ويوم شهدناه * والاصل شهدنا فيه فاجرى الظرف مجرى المفعول به ويحتمل ان لايكون من قبيل الاتساع بل يجعل من قبيل الاستعارة المكنية بان شبه الوعد بالمخاطب فيوصف بغير المكذوب تخييلا وهذان الوجهان على تقدير ان يكون المكذوب

فى داركم) عيشوا فى منازلكم او فى داركم الدنيا (ثلاثة ايام) الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون (ذلك وعد غير مكذوب) اى غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرآئه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامراه او غير مكذوب على المجاز وكانّ الواعد قال له اى بك فان وفى به صدقه والا كذبه اووعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول (فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ) اى ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة اوذلهم او فضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ههنا وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ (ان ربك هو القوىّ العزيز) القادر على كل شئ والغالب عليه (واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) قد سبق تفسير ذلك فى سورة الاعراف (كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم) نوّنه ابوبكر ههنا وفى النجم والكسائى فى جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو فى قوله (الا بعدا لثمود) ذهابا الى الحىّ او الاب الاكبر (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم) يعنى الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل (بالبشرى) بشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما (قال سلام) اى امركم سلام او جوابى سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائى سلم وكذلك فى الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح (فما لبث ان جاء بعجل حنيذ) فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ فى المجئ به او فما تأخر عنه والجار فى ان مقدر او محذوف والحنيذ المشوىّ بالرضف وقيل الذى يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرّقته بالجلال لقوله بعجل سمين (فلما رأى ايديهم لاتصل اليه) لايمدون اليه ايديهم (نكرهم واوجس منهم خيفة) انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار

اسم مفعول ويحتمل ان يكون مصدرا كالمجلود والمعقول فانهما مصدران بمعنى العقل والجلد الذى هو الصلابة والجلادة ﴿ قوله اى ونجيناهم من خزى يومئذ ﴾ على ان قوله ومن خزى متعلق بمعطوف على نجينا كرّر لبيان ماانجاهم منه وهو هلاكهم يومئذ جاء امرنا فان اذ مضافة الى جملة محذوفة عوّض عنها التنوين او الهوان الذى نزل بهم فى ذلك اليوم ولزمهم بحيث بقى ماتقيهم من العار بسببه مأثورا عنهم ومنسوبا اليهم الى يوم القيامة فان معنى الخزى العيب الذى تظهر فضيحته ويستحيى من مثله ويحتمل ان يكون يومئذ بمعنى يوم يقوم الناس لرب العالمين وتجد كل نفس ماعملت من الخير والشرّ حاضرا تجازى عليه كما اشار اليه بقوله او فضيحتهم يوم القيامة فان قيل لم يتقدم ذكر يوم القيامة ولا مايكون فيها فكيف يكون هذا التنوين عوضا عن الجملة التى تكون فى يوم القيامة ‌ه فالجواب ان تلك الجملة وان لم تكن مدلولا عليها دلالة لفظية لكنها مدلول عليها دلالة معنوية بسياق الذهن اليها عند ذكر الخزى والفضيحة ﴿ قوله بالفتح ﴾ اى بفتح ميم يومئذ على البناء حركة بناء اكتسبها المضاف من المضاف اليه وهو قوله اذ فانه مبنى غير متمكن وقرأ الباقون بكسر الميم لاضافة الخزى اليه والصيحة فعلة تدل على المرة من الصياح وهو الصوت الشديد يقال صاح يصيح صيحا وصياحا اى صوّت بقوة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما امهلهم صالح ثلاثة ايام قالوا وما علامة ذلك قال ان تصبحوا فى اليوم الاوّل ووجوهكم مصفرّة وفى اليوم الثانى محمرّة وفى اليوم الثالث مسودّة ثم يأتيكم العذاب فى اليوم الرابع فكان كما قال فلما رأى قومه تلك العلامات قصدوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين فلما كان ضحوة اليوم الرابع تكسوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فقطعت قلوبهم فهلكوا ‌ه فان قيل كيف يعقل ان تظهر هذه العلامات مطابقة لقول صالح عليه الصلاة والسلام ثم يبقون مصرّين على الكفر ‌ه فالجواب ان الامارات مادامت غير بالغة الى حدّ يوجب اليقين والقطع فقد انتهى الامر حينئذ الى حدّ الالجاء والايمان غير مقبول فى ذلك الوقت ﴿ قوله جاثمين ﴾ اى جامدين ميتين لايتحركون وجثومهم سقوطهم على وجوههم وقيل الجثوم السكون يقال جثمت الطيور فى اوكارها اذا باتت ثم ان العرب اطلقوا هذا اللفظ على مالا يتحرّك من الموتى ﴿ قوله تعالى كأن لم يغنوا فيها ﴾ اى كأنهم لم يوجدوا ولم يقيموا فيها وثمود غير منصرف للتأنيث والعلمية ومن صرفه جعله اسما للحىّ او للاب الاكبر لما ذكر الله تعالى قصة ثمود ذكر بعدها القصة الرابعة فقال ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وصدّرت بكلمة قد لان السامع لقصص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد للتوقع دخلت اللام فيها لتأكيد الخبر ولفظ رسلنا جمع واقله ثلاثة فيفيد القطع بحصول ثلاثة والزآئد على هذا العدد لايثبت الابدليل منفصل واجمعوا على ان الاصل فيهم كان جبريل عليه الصلاة والسلام ثم اختلفت الرواية فقيل اتاه جبريل ومعه اثنا عشر ملكا على صورة الغلمان الذين يكونون فى غاية الحسن وقال الضحاك كانوا تسعة وقال ابن عباس رضى الله عنهما كانوا ثلاثة ﴿ قوله سلمنا عليك سلاما ﴾ على ان يكون سلاما فى النظم منصوبا على انه مصدر لفعل محذوف وذلك الفعل فى محل النصب بالقول فلما حذف الفعل اقيم المصدر مقامه ﴿ قوله اى امركم سلام او جوابى سلام ﴾ على ان سلام خبر مبتدأ محذوف او عليكم سلام فالملائكة سلموا بالجملة الفعلية الدالة على التجدد والحدوث وردّ عليهم سلامهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار اجابة لهم بما هو احسن من تحيتهم ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائى سلم ﴾ بكسر السين وسكون اللام ويلزم بالضرورة سقوط الالف قال الفرآء وهما لغتان كحرم وحرام وحل وحلال وقال الفارسى السلم بالكسر ضد الحرب ومناسبة ذلك لانهم امتنعوا من تناول ماقدّمه اليهم فنكرهم واوجس منهم خيفة فقال انا سلم اى مسالمكم فلا احاربكم اى غير محارب فلا تمتنعوا ‌ه قال الامام وهذا بعيد لانه على هذا التقدير يقتضى ان يكون تكلم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بهذا اللفظ بعد اظهار الطعام والقرآن يدل على ان هذا الكلام قبل احضار الطعام لانه تعالى قال قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ والفاء للتعقيب فدل على ان مجيئه بالعجل الحنيذ بعد السلام ﴿ قوله فما ابطأ مجيئه به ﴾ على ان ما نافية وان فاعل لبث هو قوله ان جاء وفاعل جاء ضمير ابراهيم او ان جاء على اسقاط الخافض وهى كلمة فى او عن اى فما ابطأ فى المجئ به او فما تأخر عنه والرضف الحجارة المحماة والحنيذ هو المشوىّ فى حفرة من الارض بالحجارة المحماة كفعل اهل البادية فانهم يشوون فى الاخدود بالحجارة المحماة وقيل الحنيذ هو الذى يقطر دسمه يقال حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى يقطر عرقا ﴿ قوله انكر ذلك منهم ﴾ يعنى ان نكر بمعنى انكر والنكر والانكار

عبارة عن عدم المعرفة والمراد بقوله نكرهم انه لم يعرف سبب عدم تناولهم من طعامه واشاهم عنه فلذلك خاف منهم بناء على انه كانت عادتهم اذا لم يمسك من يطرقهم عن طعامهم أمنوه والاخافوه والايجاس الادراك بناء على ان الواجس هو الهاجس الذي يخطر في القلب يقال وجس في نفسه كذا اى خطر بها فيكون اوجس بمعنى اخطر واستشعر ﴿قوله سرورا بزوال الخيفة﴾ بسماعها قول الملائكة لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط فان زوال الخوف سبب للمسرة ولما يتبعها من الضحك وايضا لما كانت عظيمة الانكار على قوم لوط لخبثها السرور فضحكت لذلك وقيل ان سارة قالت لابراهيم عليه الصلاة والسلام ارسل الى ابن اخيك وضمه لنفسك فان الله تعالى لايترك قومه حتى يعذبهم فعند تمام هذا الكلام دخل الملائكة على ابراهيم فلما اخبروه بانهم انما جاؤا لاهلاك قوم لوط صار قولهم موافقا لقولها فضحكت لشدة سرورها لحصول الموافقة بين كلامها وكلام الملائكة وقال السدى لما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لهم ألا تأكلون قالوا لانأكل طعاما الا بالثمن فقال ثمنه ان تذكروا اسم الله تعالى على اوله وتحمدوه على آخره فقال جبرائيل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام حق لمثل هذا الرجل ان تتخذه ربه خليلا فضحكت امرأته فرحا منها بهذا الكلام وقال مجاهد وعكرمة فضحكت بمعنى حاضت يقال ضحكت اى حاضت وانكر الفراء وابو عبيدة ان يكون ضحكت الارنب بمعنى حاضت قال ابو بكر الانبارى هذه اللغة ان لم يعرفها هؤلاء فقد عرفها غيرهم حتى الليث فى هذه الآية ضحكت طمثت ومنه قول الشاعر

وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة ⁂ ولم تعد حقا ثديها ان تحلما

يقول وصلى بسلمى وقعت حال ماحدث لها الحيض فى ابتداء بلوغها داخلة فى جملة نساء لبابة اى خالصة عما يكدر الواتين والدائهن من نوائب الزمان فان لباب كل شئ خالصه ومنه سميت المرأة لبابة والحلمة رأس الثدى وهما حقان والسمرة شجرة يسيل منها صمغ يشبه الدم واستبعد صاحب الانتصاف ان يكون ضحكت فى الآية بمعنى حاضت بناء على ان التعجب المذكور بعده يأبى عنه حيث قال ويبعد هذا التأويل لانها قالت بعده ياويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا الشئ عجيب فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت اذ لاعجب فى حبل من تحيض والحيض فى العادة معيار على امكان الحمل ولا تعجب من الولادة فى زمن الحيض والجواب ان الحيض فى غيراوانه داخل فى سياق التعجب ولا يأباه اللفظ والمعنى وظاهر كلام ابى البقاء يدل على ان ضحكت بفتح الحاء مختص بالحيض فانه قال يقال ضحكت الارنب بفتح الحاء بمعنى حاضت ﴿قوله نصبه﴾ اى نصب لفظ يعقوب بفعل مقدر دل عليه قوله بشرناها كأنه قيل فبشرناها باسحق ووهبناها من وراء اسحق يعقوب وهو من عطف جملة على جملة ولا يكون يعقوب على هذا مبشرا به وقيل انه منصوب عطفا على محل اسحق لان موضعه نصب كقوله وارجلكم بالنصب عطفا على محل برؤسكم وزعم صاحب الكشاف انه معطوف على قوله باسحق على تضمين بشرنا معنى وهبنا وتوهم انعدام الباء فى قوله باسحق حيث قال كأنه قيل ووهبنا لها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ⁂ ولا ناعب الابين غرابها

فان الشاعر عطف قوله ولا ناعب على قوله مصلحين بناء على توهم وجود الباء فى خبر ليس لجره ووجه تشبيه الآية بالبيت انه جعل تقدير الآية ووهبنا لها اسحق ثم عطف عليه يعقوب كما ان الشاعر قدر انه قال ليسوا بمصلحين ولذلك قال ولا ناعب بالجر فقدر فى البيت المعدوم موجودا وفى الآية عكسه فكان كلاهما من قبيل العطف على التوهم وان اختلف طريق التوهم فيهما ﴿قوله ورد﴾ اى رد كون يعقوب مجرورا بالعطف على لفظ اسحق بناء على ان غير المنصرف يكون فى موضع الجر مفتوحا ووجه الرد ان حرف العطف نائب مناب العامل والعامل ههنا الجار فكما لايجوز الفصل بين الجار والمجرور لايجوز الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه فامتنع ان تكون فتحة يعقوب صورة الجر بالعطف على المجرور وان رفع يعقوب على الابتداء يكون خبره الظرف السابق مع متعلقه والتقدير ويعقوب مولود من بعده على ان يكون وراء بمعنى بعد وهو قول الاكثرين لابمعنى ولد الولد والجملة الاسمية حال داخلة فى البشارة اى فبشرناها باسحق متصلا به يعقوب بان يولد منه ﴿قوله وعلى هذا الخ﴾ اى على ان يكون وراء بمعنى ولد الولد لايصح الاخبار عن يعقوب بانه من وراء اسحق بمعنى انه من ولد ولده وجب تأويله ضرورة بان يقال انه ليس ولد ولد اسحق بل هو ولد ابراهيم فلا حكم على من تفرع من ولد ابراهيم بانه من وراء

(قالوا) له لما احسوا منه اثر الخوف (لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط) انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم تمد اليه ايدينا لانا لانأكل (وامرأته قائمة) وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فانى اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال

وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة ⁂
ولم تعد حقاقيها ان تحلما ⁂

ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره مادل عليه الكلام وتقديره ووهبناها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق يعقوب او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ماعطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اى ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمى به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر

اسحق بمعنى انه من ولد ولده وجب تأويله بان يقال انه جعل وراء اسحق من حيث كونه وراء ابراهيم بان يلاحظ من الوراء المضاف الى اسحق مجرد التخصيص لانه لو قيل ومن وراء يعقوب لم يعلم هذا الوراء كان منسوبا الى اسحق ام الى اسماعيل فاضيف الى اسحق لينكشف المعنى ويزول اللبس وفيه نظر وتعسف ظاهر لان الوراء على تقدير ان يفسر بولد الولد يكون التأويل المذكور بعيدا كل البعد قال الامام القول بان الوراء ولد الولد عندى شديد التعسف واللفظ ينبو عنه ﴿قوله والاسمان﴾ يعنى ان اسمى اسحق ويعقوب يحتمل انه تعالى اختارهما اسمين للولدين المبشر بهما كما اختار اسم يحيى وسمى به ولد زكريا وتولى تسميته به تشريفا له عليه الصلاة والسلام كما قال يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ويحتمل انه تعالى ذكرهما حكاية لما اختاره قوم الوالدين فى تسميتهما به ﴿قوله وتوجيه البشارة اليها﴾ مع ان المبشر به نعمة بالنسبة الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام يصح ان يكون يبشر هو ايضا بها ﴿قوله يا عجبا﴾ اصل الويل الخزى يقال ويل لفلان اى خزى له من فظاعة ما ارتكبه مما هو شر فى حقه ثم اطلق للايذان بورود الامر الفظيع مطلقا شرا كان او خيرا تعجبا من فظاعته وخروجه عن حد امثاله واصل يا ويلتا يا ويلتى فابدل من الياء الالف ومن كسرة التاء الفتحة لان الالف مع الفتحة اخف من الياء مع الكسرة ﴿قوله دون القدرة﴾ لان التعجب من القدرة يوجب الكفر لكونه مستلزما للجهل بقدرته تعالى بل هو استعجاب من عادته تعالى من حيث العادة كانها قالت لم كان امرنا خلاف ما هو المعتاد بين الناس فلذلك اجابوها منكرين عليها استعجابها من حيث العادة كأنهم قالوا لها أتعجبين من امر الله اى من قدرته وحكمته وقولهم رحمة الله وبركاته الخ كلام مستأنف علل به انكار التعجب كأنه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله تعالى عليكم ثم استأنفوا تعليلا آخر لما تضمنه قولهم أتعجبين من الله باعتبار تعليله بقولهم رحمة الله وبركاته عليكم فانه بذلك الاعتبار يتضمن اعتبار ايجاب الزيادة والوقار والتسبيح والتحميد والتمجيد عليها مكان التعجب والخلو بارتكاب ما لا يليق لامثالها فعللوا هذا المضمن بقولهم انه حميد مجيد اى انه حميد فاعل فعل ما يستوجب به الحمد من عباده لاسيما فى حقها مجيد كثير الاحسان الى العباد خصوصا فى ان جعل بيتها مهبط البركات والمجد الكرم والمجيد صيغة المبالغة به ثم انه تعالى لما فرغ من قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام شرع فى القصة الخامسة وهى قصة لوط عليه الصلاة والسلام فقال فلما ذهب عن ابراهيم الروع بمعنى الخوف والفزع الذى اصابه لما لم يأكلوا من العجل يقال راعه يروعه روعا اى افزعه واما الروع بالضم فهى النفس لانها محل الروع ففرقوا بين الحال والمحل بحركة الحرف الاول من اللفظ الدال عليهما وفى الحديث ان روح القدس نفث فى روعى والمعنى انه لما زال الخوف وحصل السرور بسبب مجئ البشرى بحصول الولد اخذ يجادلنا فى شأن قوم لوط عليه الصلاة والسلام وهلاكهم وقدر المضاف فى قوله تعالى يجادلنا لانه تعالى قد صرح فى سورة العنكبوت بمجادلته عليه الصلاة والسلام قال تعالى فى تلك ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين ولان المجادلة مع الله تعالى جرأة عليه وسوء ادب فاى عاقل يجادل ربه فى تبديل حكمه والمجادلة مع الملائكة بان يطلب منهم ان يتركوا اهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام وان كان لا يخلو من سوء ادب بحسب الظاهر لانه عليه الصلاة والسلام لا يخلو اما ان يعتقد ان الملائكة جاؤا من عند انفسهم لاهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام او يعتقد فيهم انهم جاؤا بامر الله تعالى والاول سوء ادب وسوء ظن بهم لانهم لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وكذا الثانى لان محصول المجادلة حينئذ ان يطلب منهم مخالفة امر الله تعالى وهذا منكر الا انه تعالى مدحه فى تلك المجادلة بقوله ان ابراهيم لحليم اواه منيب ولو كانت المجادلة الواقعة منه عليه الصلاة والسلام مذمومة لما مدحه بهذا المدح العظيم قال المفسرون فى بيان مجادلته معهم عليهم الصلاة والسلام انهم لما قالوا لابراهيم انا مهلكوا اهل هذه القرية قال لهم أرأيتم ان كان فيها خمسون من المسلمين اتهلكونهم قالوا لا قال واربعون قالوا لا قال فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد قالوا لا قال فاحتج عليهم بلوط عليه الصلاة والسلام وقال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله فهذا صورة جدال ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع الرسل عليهم الصلاة والسلام فى شأن قوم لوط عليه الصلاة والسلام فالله تعالى مدحه فى جداله هذا فقال ان ابراهيم لحليم اواه منيب والحليم هو الذى لا يتعجل فى مكافأة من يعاديه ويؤذيه ومن كان كذلك فانه يتأوه اذا شاهد وصول الشدائد

والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما فى الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد (قالت يا ويلتا) يا عجبا واصله فى الشر فاطلق فى كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل (أألد وانا عجوز) ابنة تسعين او تسع وتسعين (وهذا بعلى) زوجى واصله القائم بالامر (شيخا) ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلى بدل (ان هذا لشئ عجيب) يعنى الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك (قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت) منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت فى ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة (انه حميد) فاعل ما يستوجب به الحمد (مجيد) كثير الخير والاحسان

(فلما ذهب عن ابراهيم الروع) اى ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم (وجاءته البشرى) بدل الروع (يجادلنا في قوم لوط) يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال اولانه في سياق الجواب بمعنى الماضى كجواب لو اودليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا اوشرع في جدالنا اومتعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا (ان ابراهيم لحليم) غير عجول على الانتقام من المسيء اليه (أواه) كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس (منيب) راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه (يا ابراهيم) على ارادة القول اى قالت الملائكة يا ابراهيم (اعرض عن هذا) الجدال (انه قد جاء امر ربك) قدره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم وهو اعلم بحالهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك (ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) ساءه مجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم (وضاق بهم ذرعا) وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه (وقال هذا يوم عصيب) شديد من عصبه اذا شده (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه (ومن قبل) ومن قبل ذلك الوقت (كانوا يعملون السيئات) الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين (قال يا قوم هؤلاء بناتى) فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتى فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة في تناهى خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كى يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبى ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم

الى الغير فلما رأى مجيء الملائكة لاهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام عظم حزنه واخذ يتأوه فوصفه الله تعالى بانه منيب لان من ظهرت منه هذه الشفقة العظيمة على الخلق فانه يتوب ويرجع الى الله عز وجل في ازالة ذلك العذاب ولان من لا يرضى بوقوع غيره في الشدائد فبأن لا يرضى بوقوع نفسه فيها اولى ولا طريق الى تخليص النفس من الوقوع في عذاب الله تعالى الا بالتوبة والانابة ﴿قوله جيء به مضارعا﴾ مع ان جواب لما ينبغى ان يكون ماضيا لكونها موضوعة للدلالة على وقوع امر في الماضى لوقوع غيره فيه يقال لما جاء زيد جاء عمرو فأجاب عن وقوعه مضارعا بوجوه اربعة الاول انه جيء به مضارعا على حكاية الحال الماضية والثانى ان المضارع الواقع في سياق جواب لما يكون بمعنى الماضى بان ترده لما الى معنى الماضى كما ترد كلمة لو ما وقع في حيزها من المضارع الى معنى الماضى كقولك لو فعلت كذا لفعلت كذا وكما ترد كلمة ان الماضى الى معنى الاستقبال والثالث ان جواب لما محذوف اى فلما كان كذا وكذا اجترأ على خطابنا اوشرع في جدالنا وقوله يجادلنا في قوم لوط جملة مستأنفة وهى الدالة على الجواب المحذوف والرابع ان متعلق الجواب المحذوف اقيم مقامه والتقدير فلما كان كذا وكذا اخذ او اقبل يجادلنا فقوله اخذ او اقبل هو الجواب المحذوف وقوله يجادلنا حال من فاعل اقبل او اخذ حذف الجواب واقيم قيده مقامه ﴿قوله تعالى انه قد جاء امر ربك﴾ اى عذابه الذى قدره اى تعلقت ارادته الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق الارادة بالاشياء في اوقاتها ﴿قوله ساءه مجيئهم﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما الرسل الذين بشروا ابراهيم عليه الصلاة والسلام انطلقوا من عنده الى لوط عليه الصلاة والسلام وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شبان مرد من بنى آدم وكانوا في غاية الحسن ولم يعرف لوط انهم ملائكة الله تعالى وظن انهم من الانس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم فلذلك ضاق بهم ذرعا اى قلبا ويطلق على الوسع والطاقة ايضا يقال ضاق ذرع فلان بكذا اذا وقع في مكروه ولا يطيق الخروج منه قال الازهرى الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فضعف ومد عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع والطاقة فيقال مالى ذرع ولا ذراع اى مالى به طاقة وسيء بهم فعل مبنى للمفعول والقائم مقام الفاعل ضمير لوط من قولك ساءنى كذا اى حصل لى به سوء وبهم متعلق به اى بسببهم وذرعا نصب على التمييز وهو في الاصل مصدر ذرع البعير بيده في سيره اذا مشى وسار على قدر خطوه اشتقاقا من الذراع ثم توسع فيه فوضع موضع الطاقة فقيل ضاق ذرعه اى طاقته وقوله يهرعون قرأ العامة يهرعون بالبناء للمفعول وقرئ بفتح الياء بالبناء للفاعل والاهراع الاسراع وقال ابو عبيدة قوله تعالى يهرعون اليه اى يستحثون اليه كانه يحث بعضهم بعضا واهرع الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مهرع اذا كان برعدة اى يضطرب من غضب او حمى او فزع فلذلك قيل الاهراع هو الاسراع مع الرعدة وقيل هو العدو الشديد ثم انه تعالى بين ان اسراعهم انما هو لطلب العمل الخبيث قال تعالى ومن قبل كانوا يعملون السيئات ﴿قوله فتمرنوا بها﴾ اى تعودوا يقال مرن على الشيء يمرن مرونا ومرانة اى تعوده واستمر عليه وروى انه لما دخلت الملائكة دار لوط عليهم الصلاة والسلام مضت امرأته فقالت لقومه دخل دارنا قوم ما رأيت احسن وجوها منهم ولا انظف ثيابا ولا اطيب رائحة فجاء قومه يهرعون اى يسرعون وروى ان القوم دخلوا دار لوط عليه الصلاة والسلام وارادوا ان يدخلوا البيت الذى كان فيه جبريل عليه الصلاة والسلام فوضع جبريل يده على الباب فلم يطيقوا فتحه حتى كسروه فمسح اعينهم بيده فعموا فقالوا يا لوط قد ادخلت علينا السحرة واظهرت الفتنة ﴿قوله فدى بهن اضيافه﴾ يعنى ان المراد بالبنات بناته الصلبية وانه ما دعاهم الى الزنى بهن بل المراد انه دعاهم الى التزوج بهن بناء على جواز تزويج المؤمنة من الكافر في شريعته وهكذا كان في اول الاسلام بدليل انه صلى الله عليه وسلم زوج ابنته زينب من ابى العاص بن وائل وزوج ابنته من ابنى ابى لهب عتبة وعتيبة وهم كفار ثم نسخ بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ﴿قوله او مبالغة﴾ عطف على قوله كرما وحمية نقل صاحب التيسير عن الامام ابى منصور الماتريدى انه قال يحتمل انه عرض بناته الصلبية على الاوباش والفجار تعريضا لهم بخبث ذلك الفعل ويكون معنى قوله هن اطهر لكم اى هذا اقل خبثا من ذلك اى الزنى بالبنات دون الذكور في الخبث وكانوا يعتقدون حرمة الزنى فبين عليه الصلاة والسلام ان هذا زول بالنكاح وذلك لا زول بحال والامتعاض البغض والانكار يقال امتعض من ذلك الامر

لبعض بعضا وبعضا وامتعضت منه اذا غضبت وشق ذلك عليك وقيل المراد بقوله بناتى نساء قومه جعل بنات قومه بناته لان النبى صلى الله عليه وسلم كالاب لقومه وازواجه امهاتهم واولادهم كاولاده قال الامام وهذا القول عندى هو المختار ويدل عليه وجوه الاول ان اقدام الانسان على عرض بناته على الاوباش والفجار امر مستبعد لا يليق باهل المروءة فكيف باكابر الانبياء عليهم الصلاة والسلام والثانى انه قال هؤلاء بناتى هن اطهر لكم وبناته اللاتى من صلبه لا تكفى للجمع العظيم واما نساء امته ففيهن كفاية للكل اذ صحت الرواية انه كان له بنتان واطلاق لفظ البنات على البنتين لا يجوز لما ثبت ان اقل الجمع ثلاثة ﴿ قوله انظف فعلا او اقل فحشا ﴾ لم يرد ان فى اتيان الاناث ازيد طهارة منه ولا طهارة فى اتيان الذكران شرعا فاوجه حصول جعلهن اطهر اجاب المصنف رحمه الله تعالى عنه بانه ليس المراد بالطهارة كونه حلالا ومشروعا حتى يرد ما ذكر بل المراد بها النظافة بحسب العقل وقلة استخباث الطبع ولا شك ان اتيانهن ازيد فى الطهارة بهذا المعنى بالنسبة الى اتيانهم ولم يلتفت المصنف الى كون بناء التفضيل هنا للزيادة المطلقة كما فى قولنا الله اكبر كما لا يخفى وان ذهب اليه الامام الرازى فى الكبير ﴿ قوله على ان هن خبر ثان ﴾ قوله تعالى هؤلاء بناتى على القراءة المشهورة جملة برأسها ويجوز ان يكون هن فصلا واطهر خبرا لهؤلاء والجملة خبر الاول وعلى قراءة اطهر بالنصب هؤلاء مبتدأ وبناتى مبتدأ ثان وهن خبر الثانى والجملة خبرا الاول واطهر حالا قد عمل فيها ما عمل فى الاول اى فى هؤلاء بناتى من معنى الفعل كما فى قوله تعالى هذا بعلى شيخا ولا يجوز ان يكون هن فصلا بين الحال وصاحبها لان ضمير الفصل انما يقع بين جزئى الجملة ولا يقع بين الحال وذى الحال ﴿ قوله ولا تفضحون من الخزى ﴾ يقال فضحه فافتضح اى كشف مساويه فذل وهان ويقال خزى بالكسر يخزى خزيا اى ذل وهان وخزى ايضا يخزى خزاية اى استحيى ويقال خجل خجلا اى تحير ودهش من الاستحياء واخجله غيره ﴿ قوله لو قويت بنفسى على دفعكم ﴾ اى لدفعتكم بها عن اضيافى على ان جواب لو محذوف لدلالة فحوى الكلام عليه وما ذكره المصنف تصوير لحاصل المعنى فانه قد تقرر فى النحو ان كلمة ان انما تقع بعد لو لكونها واقعة موقع المفرد لكون ما فى حيزها فاعل فعل محذوف فقولك لو انك قائم معناه لو ثبت قيامك قال ابو البقاء قوله بكم حال من قوة وليس معمولا لها لانها مصدر ولا يتقدم معمول المصدر عليه والتقدير لو ثبت واستقر لنفسى قوة بكم ويجوز ان تكون لو ههنا للتمنى فلا تحتاج الى الجواب الا ان القول بكونها شرطية حذف جوابها اولى لامكان تقدير انواع كثيرة من المنع والدفع والتعدى ونحوها وفى تقدير المصنف اشارة الى ان قوله تعالى او آوى الى ركن شديد وقوله امتنع به عنكم وان كان صفة لشديد اى قوى الا ان فيه اشارة الى تعيين الجواب المحذوف والركن بسكون الكاف وضمها الناحية من الجبل وغيره والى ان كل واحد من قوله تعالى لو ان لى بكم قوة وقوله تعالى او آوى الى ركن شديد فائدة غير فائدة الآخر فان المراد بالاول كونه بنفسه قادرا على الدفع وبالثانى حضور من يعينه على الدفع ﴿ قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد ﴾ اى كان يريد او يتمنى ان يأوى الى ركن شديد وفى قوله رحمه الله اشارة الى ان هذا الكلام من لوط عليه الصلاة والسلام ليس مما ينبغى من حيث انه يدل على اقناط كلى وبأس شديد من ان يكون له ناصر ينصره والحال انه لا ركن اشد من الركن الذى كان يأوى اليه أليس الله بكاف عبده وان قرئ آوى بالنصب يكون معطوفا على قوة والتقدير كما ذكره لو ان لى بكم قوة او اويا الى ركن شديد وهذه القراءة تدل على ان آوى فى قراءة الرفع معطوف على قوة ايضا بناء على انه كان منصوبا فى الاصل باضمار ان فلما حذف رفع الفعل كقوله تعالى ومن آياته يريكم البرق ﴿ قوله فضرب جبريل بجناحه ﴾ يعنى لما اغلق لوط عليه الصلاة والسلام باب بيته فدخلوا تحول جبريل عليه الصلاة والسلام الى اصل صورته فضرب وجوههم فاعماهم وصاروا لا يبصرون الطريق فانصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة فان فى بيت لوط اسحر قوم فى الارض سحرونا فقال لوط عليه الصلاة والسلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فلو اهلكتموهم الآن فقالوا أليس الصبح بقريب ﴿ قوله وقرأ ابن كثير ونافع ﴾ فانهما اسقطا الهمزة من قوله تعالى فاسر باهلك وقوله تعالى فاسر بعبادى وقوله ان اسر حال الوصل واثبتاها مكسورة حال الابتداء والباقون وقرأوا الجميع بهمزة القطع تثبت مفتوحة حال الوصل والابتداء والقراءتان مأخوذتان من لغتى هذا الفعل فانه يقال سرى ومنه قوله تعالى والليل اذا يسر واسرى ومنه قوله تعالى سبحان الذى اسرى وهل هما بمعنى واحد او بينهما فرق فيه خلاف فقيل هما بمعنى واحد

(هن اطهر لكم) انظف فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر ثان كقولك هذا اخى هو ولا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها (فاتقوا الله) بترك الفواحش او بايثارهن عليهم (ولا تخزون) ولا تفضحونى من الخزى او ولا تخجلونى من الخزاية بمعنى الحياء (فى ضيفى) فى شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه (أليس منكم رجل رشيد) يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبيح (قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق) من حاجة (وانك لتعلم ما نريد) وهو اتيان الذكران (قال لو ان لى بكم قوة) لو قويت بنفسى على دفعكم (او آوى الى ركن شديد) الى قوى امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى شدته وعن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد وقرئ او آوى بالنصب على اضمار ان كانه قال لو ان لى بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روى انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب (قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط سحرة (فاسر باهلك) بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع فى القرآن من السرى (بقطع من الليل) بطائفة منه

(وقيل)

وقيل اسرى لاول الليل وسرى لآخره واما سار فمختص بالنهار وليس مقلوبا من سرى والجوهري اختار كون الاسراء والسرى بمعنى حيث قال وسريت سرى ومسرى واسريت بمعنى اذا سرت ليلا ثم قال وانما قال تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا وان كان السرى لا يكون الا بالليل للتأكيد كقولهم سرت امس نهارا او البارحة ليلا والباء فى قوله تعالى باهلك يجوز ان تكون للتعدية وان تكون للحال اى مصاحبا لهم وفى قوله بقطع للحال اى مصاحبين بقطع على ان المراد به ظلمة الليل وقيل فيه بمعنى فى اى اخرجوا ليلا لئلا يسمعوا نزول العذاب الذى موعده الصبح ﴿ قوله ولا يتخلف او ولا ينظر ﴾ يعنى ان الالتفات يجيء بمعنيين الاول الانصراف كما فى قوله تعالى أجئتنا لتلفتنا اى لتصرفنا فالمراد على هذا النهى عن التخلف لانه انصراف عن امتثال المأمور به والثانى ان ينظر الانسان الى ورآئه فالظاهر ان المراد على هذا انه كان لهم فى البلد اموال واقمشة واصدقاء فالملائكة عليهم الصلاة والسلام امروهم بان يخرجوا ويتركوا تلك الاشياء ويقطعوا تعلق قلوبهم عنها ﴿ قوله والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط ﴾ عليه الصلاة والسلام لما اختار ان قوله تعالى الا امرأتك استثناء من الاهل واستلزم ذلك المناقضة بين القرآءتين المتواترتين على ان قرآءة الرفع على البدلية من احد تستلزم ان تخرج المرأة مع جملة اهله ولا تكون منهية عن التفات كما نهى باقى اهله عنه ولاشك ان خروجها معهم بدون كونها منهية عن التفات مناقض لعدم خروجها معهم والقرآءة المقطوع بصحتها لا يجوز حملها على المعانى المتفاوتة المتناقضة اشار الى دفع المناقضة بينهما بقوله والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط عليه الصلاة والسلام لان مكالمة الملائكة انما هى مع لوط فيكون معنى كلامهم لا تدع منهم احدا يلتفت ويتخلف عن السرى الا امرأتك فدعها وخلها وشانها ولاشك ان هذا المعنى لا يناقض استثناءها من الاهل ثم بين ان هذا الجواب مبنى على ان يأول الالتفات بالتخلف لانه ان فسر بالنظر الى الورآء تكون المناقضة باقية بحالها سوآء جعل النهى لاحد او للوط عليه الصلاة والسلام وجعل صاحب الكشاف اختلاف القرآءتين لاجل اختلاف الروايتين وصحة الاستثناء مبنية عليه فاسد قطعا لان الروايتين متناقضتان يمتنع اجتماع مدلولهما وكل واحدة من القرآءتين متواترة ثابتة قطعا روى عن ابن الحاجب انه قال التفسير باطل يعنى جعل القرآءة بالرفع محمولة على الاستثناء والبدل من قوله تعالى ولا يلتفت منكم احد وقرآءة النصب محمولة على الاستثناء من الموجب وهو قوله تعالى فاسر باهلك فان القرآءتين ثابتتان قطعا فيمتنع حملهما على الوجهين اذا احدهما باطل قطعا والقضية واحدة فهو اما ان يكون سرى بها او ما سرى بها فان كان قد سرى بها فليس مستثنى الا من قوله تعالى ولا يلتفت منكم احد وان كان ما سرى بها فهو مستثنى من قوله تعالى فاسر باهلك وقد ثبت ان احد التأويلين باطل قطعا فلا يصار اليه فى احدى القرآءتين الثابتتين قطعا اى لا يجوز حملهما على ما يوجب بطلان مقتضى احداهما واجيب عنه بمنع ان الاستثناء من الاهل يقتضى ان لا يكون لوط عليه الصلاة والسلام مأمورا بالاسرآء بها وبمنع انها ما سرت بنفسها ويكفى لصحة الاستثناء بهذا المقدار كيف ولم ينهه عن اخراجها ولكنه امر باخراج غيرها قال الشيخ والاولى من هذا ان يكون الا امرأتك فى الرفع والنصب مثل قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم ولا يبعد ان يكون اقل القرآء على الوجه الاقوى واكثرهم على الوجه الذى هو دونه بل قد التزم بعض الناس انه يجوز ان يتفق جميع القرآء على قرآءة غير الاقوى الى هنا كلام الشيخ واختار المصنف اولا ان يكون قوله الا امرأتك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك لانه كلام موجب والاستثناء الواقع بعد الكلام الموجب يكون منصوبا ابدا وقوله ولا يلتفت منكم احد غير موجب والمختار فى مثله البدل فلو جعل قوله تعالى الا امرأتك متعلقا بقوله ولا يلتفت منكم احد لكان الرفع فيه هو الراجح واكثر القرآء على النصب فيلزم اطباق الاكثر على الوجه المرجوح وهو بعيد ثم ايده بقرآءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك فان الاستثناء على هذه القرآءة من الاهل ليس الا اذ لم يذكر فى مصحفه قوله تعالى ولا يلتفت منكم احد ثم قال والاولى ان يكون قوله الا امرأتك على قرآءة النصب استثناء متعلقا بغير الموجب وان كان الافصح حينئذ الرفع على البدلية كما هو متعلق به على قرآءة الرفع ليتفق القرآءتان بقدر ما امكن فاذا لم يمكن له ان يدع احدا من اهله لان يتخلف او لان ينظر الى ورآءه الا امرأته فان له ان يدعها للتخلف او للنظر فيحصل اتفاق القرآءتين فى حسن انتظام اللفظ والمعنى * ولما ورد ان يقال الاستثناء من غير الموجب ايجاب فيلزم ان تكون مأمورة بالالتفات ولا معنى له اجاب عنه بقوله ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل اللازم

(ولا يلتفت منكم احد) ولا يتخلف او ولا ينظر الى ورائه والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط (الا امرأتك) استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الورآء فى الذهاب ناقض ذلك قرآءة ابن كثير وابى عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القرآءتين على الروايتين فى انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت ياقوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعانى المتناقضة والاولى جعل الاستثناء فى القرآءتين من قوله لا يلتفت مثله فى قوله تعالى ما فعلوه الا قليل

ولا بعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله (انه مصيبها ما اصابهم) ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع (ان موعدهم الصبح) كأنه علة الامر بالاسراء (أليس الصبح بقريب) جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب (فلما جاء امرنا) عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله (جعلنا عاليها سافلها) فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها اى الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدآئنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم (وامطرنا عليها) على المدن او على شذاذها (حجارة من سجيل) من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنكيل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادرّ عطيته والمعنى من مثل الشئ المرسل او من مثل العطية فى الادرار او من السجل اى مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت نونه لاما (منضود) نضد معدا لعذابهم او نضد فى الارسال يتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به (مسوّمة) معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز بها عن حجارة الارض او باسم من يرمى بها (عند ربك) فى خزائنه (وما هى من الظالمين ببعيد) فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى امتك ما من ظالم منهم الا وهو بمعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان (والى مدين اخاهم شعيبا) اراد اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان) امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافى للعدل المخل بحكمة التعاوض (انى اراكم بخير) بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو فى الجملة علة النهى (وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط) لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه (وايضا)
(ويا قوم اوفوا المكيال والميزان) صرح الامر بالايفاء بعد النهى عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها (بالقسط) بالعدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا

عدم نهيها عنه وذلك لما مرّ من ان قوله تعالى ولا يلتفت نهى لوط عليه الصلاة والسلام والاستثناء من النهى عدم النهى ﴿قوله ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع﴾ لان المستثنى المنقطع يجب نصبه عند الاكثرين ولا يجوز البدل الا على لغة تميم وعليها قوله

* وبلدة ليس بها انيس * الا اليعافير والا العيس *

لان اليعافير والعيس مستثنى منقطع بعد الانيس رفعه على البدلية من انيس ولا يحسن ان يحمل اعراب افصح الكلام على اللغة القليلة وفى قوله لا يحسن اشارة الى انه يجوز جعل الاستثناء منقطعا على كل واحدة من القراءتين بان لا يقصد اخراج المرأة من المأمور بالاسراء بهم ولا النهيين عن الالتفات بل يقصد استئناف الاخبار عنها بانه يصيبها ما اصابهم فالمعنى لكن امرأتك يجرى عليها كذا وكذا ﴿قوله ويؤيده الاصل﴾ اى يؤيد كون المراد بقوله امرنا امره تعالى بالعذاب ان الاصل حمل اللفظ على معناه الاصلى الحقيقى لانه لو اريد العذاب لزم ان يتحد السبب والمسبب لان الجعل المذكور فى قوله جعلنا عاليها سافلها هو العذاب فيكون حاصل المعنى فلما جاء امرنا فلما جاء عذابنا عذبنا فوجب ان يحمل الامر على ما هو ضد النهى ﴿قوله وكان حقه جعلوا﴾ جواب عما يقال لو كان المعنى فلما امرنا الملائكة عليهم الصلاة والسلام بايصال العذاب اليهم لكان الظاهر ان يقال فلما جاء امرنا جعلوا عاليها سافلها لان العذاب انما صدر عن المأمورين وتقرير الجواب انه اوثر طريق الاسناد المجازى حيث لم يسند الفعل الى المباشر بل اسند الى المسبب على صيغة الفاعل على انه فاعل السبب وهو الامر لان ما وقع من المباشر انما وقع بامر الله تعالى واقداره تعظيما لشأن الفعل الصادر وقوله عاليها سافلها مفعول الجعل الذى بمعنى التصيير اى عالى مدآئنهم ومساكنهم والمعنى وجعل جبريل عليه الصلاة والسلام عالى قراهم سافلها بامرنا ﴿قوله او على شذاذها﴾ اى متفرديها عن جمهور اهل المدن يقال شذ عنه يشذ شذوذا اذا انفرد عن الجمهور وشذاذ الناس الذين يكونون فى القوم وليسوا من قبائلهم روى ان الحجر تبع شذاذهم ومسافريهم اين كانوا فى البلاد ودخل رجل منهم الحرم فكان الحجر معلقا عليه فى السماء اربعين يوما حتى خرج فاصابه فاهلكه ﴿قوله واصله سنكيل﴾ وهو بالفارسية وبالعربية حجر من طين فعرب وجعلت حروفه الى ما ترى ويتصره ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هو حجر من طين كالآجر المطبوخ ﴿قوله نضد معدا لعذابهم﴾ يعنى ان منضودا اسم مفعول من النضد وهو وضع الشئ بعضه على بعض واعدادها لاهلاك الظلمة او لكون بعضها فوق بعض فى النزول ولان كل حجر منها منضود فان ما فيه من الاجزآء منضود بعضه على بعض وملتصق بعضه ببعض ﴿قوله تعالى مسوّمة﴾ منصوب على انه صفة لحجارة وعند اما منصوب بمسوّمة واما محذوف على انه صفة لحجارة او صفة مسوّمة ﴿قوله الا وهو بمعرض حجر﴾ يقال فلان عرضة للناس لا يزالون يقعون فيه وجعلت فلانا عرضة لكذا اى نصبته ﴿قوله وتذكير البعيد﴾ مع ان ما هو على صيغة الفعيل انما يستوى فيه المذكر والمؤنث اذا كان بمعنى المفعول نحو قتيل وذبيح ونحو قريب وبعيد بمعنى الفاعل فلا يستويان فيه الا لنكتة ﴿قوله اراد اولاد مدين﴾ يعنى ان مدين اسم لمدين بن ابراهيم عليه السلام ثم صار اسما للقبيلة وهى المراد به فى الآية وكثير من المفسرين ذهبوا الى ان مدين اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم عليه السلام والمعنى على هذا التقدير وارسلنا الى اهل مدين بحذف المضاف كما فى قوله واسأل القرية اى اهلها ﴿قوله تعالى ولا تنقصوا﴾ نقص يتعدى الى اثنين الى اولهما بنفسه والى ثانيهما بحرف الجر وقد يحذف تقول نقصت زيدا من حقه وحقه وهو فى الآية كذلك اذ المراد لا تنقصوا الناس من المكيال والميزان اى مما يكال او يوزن بهما على طريق ذكر المحل وارادة الحال والآية بظاهرها تدل على انه يستوفى ما هو الزيد من حقه وان استلزم نقص الموفى حقه من المكيل والموزون ﴿قوله لاشتماله عليه﴾ اى لاشتمال اليوم على ما هو واقع فيه من العذاب وتوصيف زمان الشئ بصفة ذلك الشئ مجاز مشهور كقوله هذا يوم عصيب ﴿قوله صرح الامر بالايفاء﴾ دفع لما يتوهم من ان هذه الآية وكذا ما بعدها تكرار لقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان ووجه الدفع ان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن ضد الشئ وقوله اوفوا المكيال والميزان امر بايفاء الشئ وهو العدل والنهى عن ضد الشئ مغاير للامر به ثم انهما وان كانا متلازمين لا ينفك احدهما عن الآخر الا ان ذكر احدهما عقب الآخر فى حكم التكرير ولا شك ان التكرير يفيد التأكيد وشدة العناية والاهتمام

وايضا النهى عن شئ انما يتوقف على كونه فعلا اختياريا للمنهى كان النهى عبارة عن طلب الكف عن مباشرته عمدا وكان التطفيف سهوا اى نسيانا غير مناف للحمل بمقتضى قوله تعالى ولا تنقصوا المكيال والميزان من حيث ان الساهى والناسى لم يباشرا تنقيص حق الغير عمدا الا ان شعيبا عليه الصلاة والسلام لم يكتف بتكليفهم بالامتناع عن التطفيف عمدا بل كلفهم ايضا بالسعى فى ايفاء الحق اى اعطائه تاما كاملا وان استلزم ذلك ان يعطى قدرا زائدا على الحق حتى يخرج عن العهدة بيقين لكن اعطاء الزيادة ليس بمأمور به لقوله بالقسط فانه حال من فاعل اوفوا ولما وجب ان يكون المأمور به مما يدخل تحت القصد والاختيار كان معنى اوفوا المكيال والميزان اسعوا فى اعطاء الحق على وجه التمام والكمال بحيث يحصل لكم اليقين بالخروج عن العهدة متلبسين بالعدل والتسوية فالمأمور به هو الايفاء بطريق الازدياد فانه مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا وذلك اذا كان المعقود عليه من الاموال الربوية ❊ واعلم ان العلماء اختلفوا فى ان الامر بالشئ هل هو نهى عن ضده اولا وكذا النهى عن شئ هل هو امر بضده اولا فذهب امام الحرمين والغزالى رحمهما الله تعالى الى ان الامر بالشئ ليس نهيا عن ضده ولا يقتضيه عقلا وقال القاضى ابو اسحق انه نهى عن ضده واليه ذهب الامام فى المعالم والقاضى فى المنهاج وقال القاضى ابو اسحق والنهى كذلك اى ان النهى عن الشئ امر بضده وكذا يقتضيه عقلا لان النهى عن الفعل طلب ضد الفعل فيكون امرا بالضد ﴿ **قوله** تعميم بعد تخصيص ﴾ جواب عما يقال البخس النقص فقوله تعالى لا تبخسوا الناس اشياءهم بمعنى قوله تعالى لا تنقصوا المكيال والميزان فما الفائدة فى هذا التكرار ❊ وتقرير الجواب انه لا تكرار ههنا لان مدلول الكلام الاول النهى عن البخس فى المقدار وذكر المكيال والميزان لكونهما اكثر آلات التقدير استعمالا ومدلول قوله تعالى ولا تبخسوا الناس اشياءهم النهى عن البخس فى مطلق ما استحقه بعقد المعاوضة والمعنى لا تنقصوا الناس ما استحقون عليكم بالعقود اى شئ كان وذكر صاحب الكشاف للبخس ثلاثة معان الهضم وهو الظلم وكسر الحق والثانى النقص والثالث المكس وهو اخذ المكس والعشور والخراج وما هو اليوم فى الاسواق من رسوم الظلم واستشهد على اطلاق البخس على المكس بقول زهير ❊ أفى كل اسواق العراق اتاوة ❊ اى خراج ❊ وفى كل ما باع امرؤ بخس درهم ❊ وروى مكس درهم ثم قال وكانوا يأخذون من كل شئ يباع شيئا كما تفعل السماسرة اوكانوا يمكسون الناس وكانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك انتهى ﴿ **قوله** فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد ﴾ يعنى العثو الافساد مطلقا سواء كان تنقيص الحقوق او غيره فهو ايضا من قبيل التعميم بعد التخصيص وفى الصحاح عثا فى الارض يعثو أفسد وكذلك عثى بالكسر يعثى قال تعالى ولا تعثوا فى الارض مفسدين وفى التيسير العثى المبالغة فى الافساد فجعل تجاوز الحد فى هذه المعاملة افسادا فى الارض لانه تغيير لما وضعه الله تعالى من قانون سنن المعاملة بالعدل واصلح به احوال اهل الارض وقال الراغب العثى والعيث متقاربان نحو جذب وجبذ الا ان العيث اكثر ما يستعمل فى الفساد الذى يدرك حسا والعثى فيما يدرك حكما ﴿ **قوله** وقيل المراد بالبخس الخ ﴾ اشارة الى ان المختار ان يكون البخس عبارة عن نقص ما استحقه المرء بعقد المعاوضة وان يكون العثو عبارة عن الافساد مطلقا سواء كان تنقيص الحق او غيره ﴿ **قوله** وفائدة الحال ﴾ اشارة الى جواب ما يقال ان العثى الافساد فيكون قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين بمنزلة ان يقال ولا تفسدوا فى الارض مفسدين فما وجهه ❊ وتقريره ان الفساد خروج الشئ عن الاعتدال اللائق فمعنى الآية لا تخرجوا اشياء ما فى الارض عن الاعتدال وذلك الاخراج قد يكون لقصد الاصلاح كما فعله الخضر عليه الصلاة والسلام من قتل الغلام وخرق السفينة وقد يكون لقصد الاضرار والافساد كفعل الظلمة والنهى عن الافساد ههنا نهى عن الافساد على الوجه الثانى فلذلك قيده بالحال ❊ وتقرير الجواب الثانى ان الافساد المقيد المنهى عنه غير الافساد الذى وقع قيدا لان المراد بالافساد الاول افساد حال الغير وبالافساد الثانى افساد حال نفسه مما يتعلق بامر دينه ومصالح آخرته فان من سعى فى افساد حال الغير فهو فى الحقيقة ساع فى افساد نفسه ولم يرض بهذا الجواب لقلة فائدة التقييد بالحال حينئذ ﴿ **قوله** ما ابقاه لكم من الحلال ﴾ اشارة الى ان بقية فعيلة بمعنى المفعول واضافتها للتشريف كما فى بيت الله وناقة الله فان ما بقى بعد الايفاء فائدته وهى حصول الثواب والنجاة من العذاب والعقاب انما تظهر مع الايمان فان الكافر مخلد فى عذاب النيران ومحروم من الرضوان وثواب الرحمن سواء اوفى الكيل

(ولا تبخسوا الناس اشياءهم) تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون فى المقدار او فى غيره وكذا قوله (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم (بقية الله) ما ابقاه الله لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم (خير لكم) مما تجمعون بالتطفيف (ان كنتم مؤمنين) بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهى تقواه التى تكف عن المعاصى (وما انا عليكم بحفيظ) احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم (قالوا يا شعيب اصلواتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا) من الاصنام اجابوا به بعد ان امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلى وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب كثير الصلوات فلذلك جمعوا وخصوا الصلاة بالذكر وقرأ حمزة والكسائى وحفص على الافراد

والمعنى اصلواتك تأمرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لايؤمر بفعل غيره (او ان نفعل فى اموالنا مانشاء) عطف على مافى وان نترك فعلنا مانشاء فى اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهى عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك (انك لانت الحليم الرشيد) تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار مااسمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين من المبادرة الى امثال ذلك (قال ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى) اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة (ورزقنى منه رزقا حسنا) اشارة الى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون فى وحيه واخالفه فى امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهى عن دين الآباء والضمير فى منه لله اى من عنده وباعانته بلا كدّ منى فى تحصيله (وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه) اى وما اريد ان آتى ما انهاكم عنه لاستبدّ به دونكم فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس (ان اريد الا الاصلاح مااستطعت) ما اريد الا ان اصلحكم بامرى بالمعروف ونهيى عن المنكر مادمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعى فى كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضى ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف (وما توفيقى الا بالله) وما توفيقى لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته (عليه توكلت) فانه القادر المتمكن من كل شئ وما عداه عاجز فى حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ (واليه انيب) اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفى هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالى والاستعانة به فى مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء (وياقوم لايجرمنكم) لايكسبنكم (شقاقى) معاداتى

والميزان او سلكت سبيل الخوان ﴿ قوله او ان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم ﴾ اى انكم تجتنبون عن التطفيف وتكتفون بما بقى لكم بعد الايفاء فان جواب مثل هذا الشرط محذوف عند جمهور البصريين وان ذهب آخرون الى ان جوابه هو ما تقدم عليه وقال مجاهد بقية الله اى طاعة الله خير لكم من ذلك القدر القليل لان منفعة الطاعة تبقى ابدا جعل البقية بمعنى الباقية وسمى الطاعة والعبادة التى يقصد بها وجه الله بقية لبقاء ثوابها فتكون الاضافة لتخصيص ثوابها بالمكلف ابدا ومنه قوله تعالى والباقيات الصالحات اى التى يبقى ثوابها من الاعمال فان البقاء عبارة عن ثواب الشئ على الحالة الاولى ويضاده الفناء ﴿ قوله لان الرجل لايؤمر بفعل غيره ﴾ تعليل لتقدير المضاف اى لابد من هذا التقدير لان المأمور بقوله تعالى أصلواتك تأمرك هو شعيب عليه الصلاة والسلام والمأمور به بحسب الظاهر هو الترك الذى هو فعل الكفار فابقاء الكلام على ظاهره يستلزم ان يكون شعيب عليه الصلاة والسلام مأمورا بفعل الكفار وهو الترك فلابد من تقدير المضاف اى اصلواتك تأمرك ياشعيب بتكليفك ايانا ان نترك ﴿ قوله او ان نترك ﴾ اشارة الى ان كلمة او بمعنى الواو لان ما كلفهم به شعيب عليه الصلاة والسلام هو مجموع الامرين لا احدهما وان اجابتهم اياه على سبيل الانكار والاستهزاء انما هو بقولهم له اصلواتك تأمرك بتكليفك ايانا بهذين الامرين لا باحدهما ﴿ قوله وقرئ بالتاء فيهما ﴾ على معنى اصلواتك تأمرك ان تفعل انت فى اموالنا ما تشاء انت على ان يكون معطوفا على مفعول تأمرك ﴿ قوله تهكموا به ﴾ يعنى ان قولهم الحليم الرشيد من قبيل الاستعارة التبعية استعاروا الحلم والرشد للسفه والغواية على التهكم ثم سرت الاستعارة فيهما الى الحليم الرشيد ﴿ قوله وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهى عن دين الآباء ﴾ فان شعيبا عليه الصلاة والسلام دعاهم اولا الى التوحيد ثم دعاهم الى ترك البخس فى المكيال والميزان على ما هو دأب الانبياء عليهم الصلاة والسلام من انهم يبتدئون بالدعوة ثم يشرعون فيما هو الاهم فالاهم وكان المعتاد من اهل مدين البخس والتطفيف فدعاهم الى ترك هذه العادة بعد دعوتهم الى التوحيد فانكروا فرده عليه ما وقع منه من هاتين الدعوتين قالوا انك سفيه متهتك تحمل ما بدا لك من غير روية وتأمل وضالّ عن الطريق بان قالوا انك تدعى حلما ورشدا فى قومك فكيف يليق بك ان تبادر الى تغيير طريقتنا المألوفة فى باب المسامحة بالاموال وفى عبادة الاوثان فاجابهم شعيب عليه الصلاة والسلام بطريق ارخاء العنان والكلام المنصف كأنه قال صدقتم فيما قلتم انى لما كنت مرشدا لكم حليما فيما بينكم لكن ما جئت به ليس غير الارشاد والنصيحة انظروا بعين الانصاف فان كنت على نعمة جليلة من عند ربى وكنت نبيا حقيقة ورزقنى منه رزقا حسنا فكيف يسع لى ان اقدم على ما فعلته من النهى عن عبادة غير الله تعالى وعن البخس والتطفيف ونحو ذلك من المعاصى مع كثرة ما عندى من نعم الله تعالى الجسمانية والروحانية وهو تعالى قد امرنى بتبليغ رسالته وبيان ما شرعه من الاحكام المتعلقة بباب العبادات والمعاملات فكيف يتصور منى مع كثرة نعم الله تعالى علىّ ان اخالف امره وتكليفه ﴿ قوله يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه ﴾ على ان يكون الى كذا متعلقا بمحذوف هو حال من فاعل خالفت اى خالفته مائلا الى ما هو مول عنه فمعنى الآية ما اريد مخالفتكم مائلا الى ما انهاكم عنه ﴿ قوله وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ﴾ اى اذا ولىت عنه وهو قاصده لان مخالفة زيد موليا عن كذا انما تكون بان يقصده زيد ﴿ قوله وما مصدرية ﴾ يريد ان كلمة ما فى قوله ما استطعت يحتمل ان تكون مأوّلة بالزمان واقعة موقعه كما فى نحو آتيك خفوق النجم وصياح الديك اى مدة استطاعتى ويحتمل ان تكون خبرية اى موصولة بمعنى الذى بدلا من الاصلاح والتقدير ان اريد الا الاصلاح اى المقدار الذى استطيعه من الاصلاح او الا الاصلاح اصلاح ما استطعته من الاصلاح فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ﴿ قوله تعالى لايجرمنكم شقاقى ﴾ اى شقاقكم وعداوتكم اياى ان يصيبكم عذاب العاجلة وهو عذاب الاستئصال فى الدنيا مثل ما اصاب من قبلكم من الهالكين وجرم وان كان يتعدى الى واحد والى اثنين الا انه فى الآية قد تعدى الى اثنين اولهما الكاف والميم وثانيهما ان يصيبكم يقال جرم زيد ذنبا اى كسبه وجرمته ذنبا اى كسبته اياه فهو مثل كسب فى كونه متعديا الى واحد تارة والى اثنين اخرى وانشد الزمخشرى على تعديته الى اثنين قوله

ولقد طعنت اباعيينة طعنة ٭ جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا

وقرآءة العامة لايجرمنكم بفتح ياء المضارعة على انه مضارع جرم الثلاثى وقرئ بضمها على انه مضارع المنقول

(من)

من جرم المتعدى الى واحد والعامة ايضا على ضم لام مثل على انه فاعل يصيبكم وقرئ بفتحها وتلك الفتحة فتحة بناء وذلك لان مثل وان كان فاعلا كحاله فى القرآءة المشهورة الا انه بنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن كما فى قوله تعالى انه لحق مثل ما انكم تنطقون فان مثل وغير مع ما وان مخففة ومشددة يجوز بناؤهما على الفتح واعرابهما كقوله

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت ❊ حمامة فى غصون ذات اوقال ❊

الضمير فى منها للراحلة لم يمنعها من الشرب الا انها سمعت صوت حمامة فنفرت يريد انها حديدة الحس فيها فزع وذعر لحدة حسها وذلك محمود فيها والاوقال جمع وقل وهى الحجارة اى غصون نابتة بارض ذات حجارة وقيل الوقل شجرة المقل بنى غير على الفتح مع انه فاعل لم يمنع ﴿قوله وافراد البعيد﴾ مع انه خبر عن الجمع فالقياس يقتضى ان يقال ببعداء او بعيدين لان القوم اسم جمع مبنى على ان فى الكلام مضافا مقدرا والتقدير وما اهلاك قوم لوط عليه الصلاة والسلام او على ان فيه موصوفا مقدرا اى وما هم بشئ بعيد ﴿قوله ولا يبعد ان يسوّى فى امثاله﴾ من نحو القريب والقليل والكثير بين المذكر والمؤنث اشارة الى جواب ما يقال من ان لفظ القوم مؤنث كقوله تعالى كذبت قوم نوح فالقياس ان يقال ببعيدة فلم ذكر بعيد وما ذكره من كون امثاله على زنة المصادر جواب ثالث غير تقدير المضاف او الموصوف لانهما جوابان عن هذا السؤال ايضا والصهيل صوت الخيل والنهيق والشهيق صوت الحمار ﴿قوله ما يفعل البليغ المودّة بمن يودّه﴾ يعنى ان الودود بناء مبالغة من ودّ الشئ يودّه ودادة اى احبه وآثره والمشهور وددت بكسر العين وسمع الكسائى وددت بفتحها والودود بمعنى المحب اى يودّ عباده ويرحمهم وقد تقرّر انه تعالى اذا وصف بما هو من قبيل الكيفيات النفسانية الانفعالية يراد به غاياتها فلذلك فسر المصنف كونه تعالى ودودا محبا لعباده بانه يفعل بعباده ما يفعله بليغ المودّة بمن يودّه وقيل الودود فى اسماء الله تعالى بمعنى المفعول والمعنى ان عباده يحبونه لكثرة احسانه وافضاله على الخلق ﴿قوله وهو وعد على التوبة﴾ وبيان لهم ان سبق الكفر والمعصية منهم لا ينبغى ان يمنعهم من الرجوع الى الطاعة راعى شعيب عليه الصلاة والسلام فى جواب قومه ترتيبا لطيفا لانه بين اولا ان ظهور البينة وكثرة انعام الله تعالى عليه فى الظاهر والباطن يمنعه من الخيانة فى وحى الله تعالى ويصدّه عن التهاون فى تبليغه كأنه قال انما اسعى واجتهد فى تبليغ ما اوحى الىّ رعاية لحق الله تعالى ثم بين ان سعيه هذا رعاية لحق نفسه ثم بين ان فيه رعاية لحق الناس ثم لما بين صحة طريقته اشار الى الوعيد على الاصرار بما هم عليه من الكفر والعصيان وحملهم على الاستغفار والتوبة وعلل قبول ذلك بانه رحيم ودود ﴿قوله وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه﴾ فان الرجل قد يقول لصاحبه لا ادرى ما تقول وان كان قد فهم كلامه لكنه لم يرقبه واستهان به صار كأنه لم يفهمه فيقول ذلك القول وهذه التوجيهات جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام كان يخاطبهم بلسانهم فلم قالوا ما نفقه كثيرا مما تقول مع انه لحسن محاورته مع قومه وكمال اقتداره فى مراجعة جوابهم يسمى بخطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكيف لا يفهم كلامه والمشهور ان الضعيف من ليس له قوة جسمانية يمنع بها القوم عن نفسه او من ليس له عزة واتباع يتقوى بها على تحصيل مقاصده وقيل الضعيف عبارة عن الاعمى فى لغة حمير وحمله على هذا المعنى غير مناسب لهذا المقام والسوق يقتضى ان يكون مرادهم بالضعيف من لا قوة له لا الاعمى اذ حمله عليه مخالف للظاهر من غير دليل ومع هذا قوله فينا يبطل حمله على ذلك المعنى فانه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لكان كلاما فاسدا لان الاعمى اعمى فيهم وفى غيرهم ❊ قال الامام واعلم ان اصحابنا يجوّزون العمى على الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا ان هذا اللفظ لا يحسن الاستدلال به فى اثبات هذا المعنى لان حمل لفظ الضعف على معنى العمى ليس بسديد فى هذا المقام فكيف يستدل به عليه واما المعتزلة فقد اختلفوا فيه فمنهم من قال انه لا يجوز لكونه منفرا فانه لا يمكنه الاحتراز من النجاسات وانه يخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلان يمنع من النبوّة كان اولى هو اجاب المصنف عنه اى عن هذا الاستدلال بقوله والفرق بين ولعل مراده ان مناط امر النبوّة كون الانسان يوحى اليه من قبله تعالى وكونه مبلغا لما اوحى اليه والعمى لا يخل بهذا المعنى بخلاف القضاء والشهادة فان مناطهما التمييز من له الحق ومن عليه والعمى مناف له ﴿قوله لا لخوف من شوكتهم﴾ لئلا يخالف قوله سابقا او مهينا لا عزلك وانما لم يكن لهم شوكة في قومهم من حيث انهم عبروا عن قومه برهط والجماعة القليلة لا يكون لهم شوكة لكنهم اتقوا لهم الحرمة لكونهم على ملتهم ودينهم ولم يحترموا شعيبا عليه الصلاة والسلام لانه لا حرمة له

(ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح) من الغرق (او قوم هود) من الريح (او قوم صالح) من الرجفة وان بصلتها ثانى مفعولى جرم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدى الى مفعول والاوّل افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبنى كقوله

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت ❊
حمامة فى غصون ذات اوقال ❊

(وما قوم لوط منكم ببعيد) زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم اوليسوا ببعيد منكم فى الكفر والمساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوّى فى امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) عما انتم عليه (ان ربى رحيم) عظيم الرحمة للتائبين (ودود) فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودّة بمن يودّه وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار (قالوا يا شعيب ما نفقه) ما نفهم (كثيرا مما تقول) كوجوب التوحيد وحرمة التطفيف وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه (وانا لنراك فينا ضعيفا) لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوأ او مهينا لا عزلك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يردّه التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين (ولولا رهطك) قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة

عندهم ولاوقع له فى صدورهم وانهم انما لم يقتلوه لاجل احترامهم رهطه بسبب كون الرهط على ملتهم والرجم فى اللغة عبارة عن الرمى وذلك قد يكون بالحجارة عند قصد القتل ولما كان هذا الرجم سببا للقتل لاجرم سموا القتل رجما تسمية للمسبب باسم السبب ﴿ قوله او باصعب وجه ﴾ اشارة الى احتمال ان يكون لرجمناك استعارة تبعية تشبيها للقتل باصعب الوجوه بالقتل بالحجارة واطلاق الاسم المشبه به على المشبه استعارة تصريحية ﴿ قوله وهذا ديدن السفيه ﴾ يعنى ان جوابهم لشعيب عليه الصلاة والسلام بقولهم ياشعيب مانفقه كثيرا مما تقول الى هنا ليس دافعا لما قرره شعيب عليه الصلاة والسلام من الدلائل والبينات بل هو جار مجرى مقابلة الدليل والحجة بالشتم والسفاهة كما هو ديدن السفيه المحجوج اى المغلوب بالحجة ﴿ قوله وفى ايلاء ضميره ﴾ اى ايلاء الضمير الذى هو عبارة عن شعيب عليه الصلاة والسلام حرف النفى تنبيه على ان الكلام فيه اى على ان التردد واقع فى الفاعل لافى الفعل بان يتفق المتكلم والمخاطب على وجود اصل الفعل لكن المخاطب يخطئ فى تعيين الفاعل والمتكلم يقصد ان يرده الى الصواب وهذا يقتضى ان يكون اصل الكلام ماعززت انت فقدم انت للاختصاص فانه قد تقرر ان تقديم المسند اليه يفيد تخصيصه بالخبر اى قصر الخبر عليه ان وقع المسند اليه بعد حرف النفى بلا فصل نحو ماانا قلت اى لم اقله مع انه مقول لغيرى فالتقديم يفيد نفى الفعل عن المذكور وثبوته لغيره على الوجه الذى نفى عن المذكور وانما التزم تحقق التقديم فى مثله لان كلمة مالنفى الحال والحال له اختصاص بالزمان فالقياس ان يكون مدخولها فعلا او شبهه وحيث وجد الاسم بعدها لاسيما الضمير دل ذلك على ان اصل الكلام ماعززت انت وان التقديم لاجل الاهتمام والاختصاص قال صاحب المفتاح فى تفسير الآية اى العزيز علينا ياشعيب رهطك لاانت لكونهم من اهل ديننا ولذلك قال عليه الصلاة والسلام فى جوابهم أرهطى اعز عليكم من الله اى من نبى الله ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون مدلول الكلام التخصيص ونفى الفعل عن المذكور مع ثبوته لغيره قال عليه الصلاة والسلام أرهطى اعز عليكم فانه لوكان معنى قولهم ماانت علينا بعزيز مجرد نفى العزة عنه ولم يفهم اثبات العزة لرهطه لم يكن الجواب بقوله عليه الصلاة والسلام ارهطى اعز عليكم مطابقا لكلامهم لانه يكون معنى كلامهم حينئذ مجرد نفى العزة عنه عليه الصلاة والسلام ويكون معنى جوابه انكار عزة رهطه واين احدهما من الآخر واما اذا كان معنى كلامهم اثبات العزة لرهطه مع انتفائها عنه فحينئذ تحصل المطابقة بينهما وكان الظاهر ان يقال فى الجواب ارهطى اعز عليكم منى الا انه قيل اعز عليكم من الله للايذان بان تهاونهم به عليه الصلاة والسلام وهو نبى الله تهاون بالله تعالى فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله ﴿ قوله الا تتقون على الله ﴾ اى فلاتحفظوننى ولاترجموننى ولاتراعوننى وتراعون نسبة قرابتى الى الرهط وتضيعون نسبتى الى الله تعالى بالنبوة فكانكم زعمتم ان القوم اعز من الله تعالى حيث تزعمون انكم تركتم قتلى اكراما لرهطى والله عز وجل اولى بأن يتبع امره كأنه يقول حفظكم اياى فى الله اولى منه فى رهطى وفى الصحاح اتقيت على فلان اذا ارعيت عليه ورحمته بان تتبع امره ويقال اتق الله عليك ان اتقيت على وفيه ايضا ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته ﴿ قوله والكسر من تغييرات النسب ﴾ كقولهم فى النسبة الى امس امسى بكسر الهمزة والى الدهر دهرى بضم الدال ﴿ قوله اعملوا على مكانتكم ﴾ المكانة الحالة التى يتمكن بها صاحبها من عمله فالمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة كل ما فى وسعكم وطاقتكم من ايصال الشرور الى وانى ايضا عامل بقدر ما آتانى الله من القدرة سوف تعلمون اينا الجانى على نفسه والمخطئ فى فعله ﴿ قوله فهو ابلغ فى التهويل ﴾ اى حذف الفاء لاستلزام ان يكون الكلام استئنافا جوابا لما يقال فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وانت عملت على مكانتك ابلغ فى باب التهويل من ربط الكلام بما قبله بالفاء السببية المؤذنة بكون ماقبلها سببا لما بعدها فان سلوك طريقة الاستئناف ان يكون المخاطب طالبا لمرفته بحالهم فيكون الجواب بالتهويل اوقع فى ذهنه بخلاف مالو ربط الكلام بلفظة الفاء ﴿ قوله وقيل كان قياسه ومن هو صادق ﴾ يعنى ان قوله اعملوا على مكانتكم انى عامل اشتمل على عمل الصادق والكاذب منه ومنهم ولم يذكر فى قوله سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب الا عاقبة الكاذب منهم والآية مسوقة لبيان ذكر عاقبة العاملين من الفريقين وذلك انما يحصل بان يقال ومن هو صادق بدل ومن هو كاذب لينصرف الاول اليهم والثانى اليه الا انه عدل عنه الى ماوقع فى النظم بناء على ان المراد من قوله ومن هو كاذب الصادق لكن

(ذكر)

(لرجمناك) لقتلناك برمى الاحجار او باصعب وجه (وماانت علينا بعزيز) فتمنعنا عزتك من الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفى ايلاء ضميره حرف النفى تنبيه على ان الكلام فيه لافى ثبوت العزة وان المانع لهم من ايذائه عزة قومه ولذلك (قال ياقوم أرهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا) وجعلتموه كالنسى المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله أفلا تتقون على الله وتتقون على رهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب (ان ربى بما تعملون محيط) فلا يخفى عليه شئ منها فيجازى عليها (وياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) سبق مثله فى سورة الانعام والفاء فى فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ فى التهويل (ومن هو كاذب) عطف على من يأتيه لالانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب منى ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثانى اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم (وارتقبوا) وانتظروا مااقول لكم (انى معكم رقيب) منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع

ذكر الكاذب موضع الصادق بناء على زعمهم من حيث انه جرى على السنتهم دعاؤهم اياه عليه الصلاة والسلام كاذبا وقال صاحب الانتصاف الظاهران الكلامين جميعا للكفار فقوله من يأتيه عذاب يخزيه فيه ذكر جزائهم وقوله ومن هو كاذب فيه ذكر جرمهم الذى هو الكذب فيكون من باب عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد كما تقول لمن تهدده ستعلم من يهان ومن يعاقب وانما تعنى المخاطب فى الكلامين واذا ثبت صرف الكلامين اليهم لم يخل ذلك من الدلالة على ذكر عاقبة المحق الصادق لان احد الفريقين اذا كان مبطلا والآخر محقا تبين ان احدهما يفهم منه ذكر الآخر تعريضا والتعريض ابلغ واوقع من التصريح فى كثير من المواضع وهذا منه ولذلك لم يذكر عاقبة شعيب عليه الصلاة والسلام استغناء عنها بذكر عاقبتهم **﴿قوله كما فى قصة عاد﴾** وهو قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه ولم يسبق ذكر الوعد الجارى مجرى السبب الموقى به حتى تجيء الفاء السببية كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت فان قولك فلما جاء الميعاد مرتب على الوعد فجيء بالفاء السببية لتدل على سببية الوعد وترتب المسبب عليه بل ذكر مجيء العذاب فيهما من غير ان يسبق ذكر الوعد به كأنه قصة بنفسها وما قبله قصة اخرى لكنهما متعلقتان بقوم واحد فهما مشتركان من وجه مفترقان من وجه آخر فكان المقام مقام الواو التى تعطف بها القصة على القصة بخلاف قصتى صالح ولوط عليهما الصلاة والسلام فانه سبق ذكر الوعد فيهما قال تعالى فى قصة صالح فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا وقال فى قصة لوط عليه الصلاة والسلام ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها فجيء بالفاء السببية فيهما غير ان صيحتهم كانت من تحتهم روى الكلبى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لم يعذب الله تعالى امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح عليهما الصلاة والسلام اما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب اخذتهم من فوقهم قيل نشأت لهم سحابة فيها عذابهم ولم يعلموا انها سحابة العذاب فصارت عليهم كهيئة الظلة فيها ريح فلما رأوها اتوها يستظلون تحتها من حر الشمس فاتتهم صيحة من تحتها فاهلكتهم فذلك قوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة **﴿قوله وقرئ بعدت بالضم﴾** الجمهور على كسر العين من بعدت على انها من بعد يبعد بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع بمعنى هلك يهلك ارادت العرب ان تفرق بين البعد بمعنى الهلاك وبين البعد الذى هو ضد القرب ففرقوا بينهما بصيغة البناء فقالوا بعد بالضم فى ضد القرب وبعد بالكسر فى ضد السلامة والبعد بالضم والسكون مصدر لهما والبعد بفتحتين انما يستعمل فى مصدر مكسور العين وقرئ بضم العين اخذا من ضد القرب لانهم اذا هلكوا فقد بعدوا ومنه قول الشاعر

من كان بينك فى التراب وبينه ۞ شبر فذا فى غاية البعد

﴿قوله وهو المعجزات القاهرة﴾ على تقدير ان يراد بالآيات التوراة وما فيها من الاحكام والمعنى ولقد ارسلنا موسى باحكام وتكاليف وايدناه بالمعجزات القاهرة والبينات الباهرة **﴿قوله او العصا﴾** على تقدير ان يراد بالآيات جملة ما اعطاه الله تعالى من المعجزات وهى تسع آيات بينات العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الاموال والانفس ومنهم من ابدل نقص الاموال والانفس باظلال الجبل وفلق البحر فيكون افراد العصا بالذكر مع انها داخلة فى الآيات بالمعنى المذكور لكونها اشهرها وابهرها فيكون من عطف الخاص على العام لشرف كملائكته ورسله وجبريل وميكال عليهم الصلاة والسلام هذا على تقدير ان يكون الموصوف بكونه آيات غير ما وصف بانه سلطان ويكون من قبيل عطف الذات على الذات ويجوز ان يراد بهما ذاتا واحدة ويكون العطف من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف فان ما اظهره من المعجزات القاهرة كما توصف بانها علائم مضافة اليه تعالى دالة على نبوته توصف ايضا بانها سلطان له اى حجة بينة له يتسلط بها على من خالفه قال الامام ان قيل اذا حملتم الآيات على المعجزات والسلطان على الدلائل والمبين ايضا على ما كان مبينا فالمشهورة الفرق بين هذه المراتب قلنا اما الآيات فاسم للقدر المشترك بين العلامات التى تفيد الظن وبين الدلائل التى تفيد اليقين واما السلطان فهو اسم لما يفيد القطع واليقين الا انه مشترك بين الدليل القطعى الذى فيه جلاء وبين ما لا جلاء فيه واما السلطان المبين فهو مخصوص بما فيه جلاء ولما كانت معجزات موسى عليه الصلاة والسلام هكذا لا جرم وصفها الله تعالى بانها سلطان مبين **﴿قوله فاتبعوا امره بالكفر بموسى﴾** عليه الصلاة والسلام

(ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) انما ذكر بالواو كما فى قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجرى مجرى السبب له بخلاف قصتى صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية (واخذت الذين ظلموا الصيحة) قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا (فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) ميتين واصل الجثوم اللزوم فى المكان (كأن لم يغنوا فيها) كأن لم يقيموا فيها (الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) شبههم بهم لان عذابهم ايضا كان بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) بالتوراة او المعجزات (وسلطان مبين) وهو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها بالذكر لانها ابهرها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه او موضحا اياها فان أبان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع والمبين يخص بما فيه جلاء (الى فرعون وملئه فاتبعوا امر فرعون) فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم (وما امر فرعون برشيد) مرشد او ذى رشد وانما هو غى محض وضلال صريح

ومجراه ويحتمل ان يكون المراد من الامر الطريق والشان وهو انه كان دهريا نافيا للصانع والمعاد وكان يقول لا اله للعالم وانما يجب على اهل كل بلدان يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبوديته ومن المعلوم ان كل الرشد فى معرفة الله تعالى وعبادته فمن كان نافيا لهذين الامرين كان خاليا عن الرشد بالكلية ﴿ قوله يقال قدم بمعنى تقدم ﴾ وفى الصحاح قدم يقدم قدما بالفتح اى تقدم فالمعنى يتقدمهم ويكون قدامهم وهم خلفه كما كان قدمهم فى الدنيا الى الضلالة يكون قدمهم فى العقبى الى النار ﴿ قوله ونزل النار لهم منزلة الماء ﴾ يعنى ان قوله تعالى فاوردهم النار من قبيل الاستعارة بالكناية والتخييلية حيث شبهت النار فى النفس بالماء على سبيل التهكم وجعل اثبات الايراد لها تخييلا فان الورود عبارة عن المجيء الى الماء والايراد احضار الغير والمورود اسم مفعول بمعنى الشيء المورود عليه وهو الماء ويستعمل على انه مصدر ميمى لانه يكون على اسم المفعول فى المشعبات ﴿ قوله فسمى اتيانها موردا ﴾ اى ايرادا على ان المورد مصدر ميمى لانه عبر عن احضارهم النار بقوله فاوردهم النار والورد المورد والمورود هو الذى ورده شبه فرعون بمن يسبق الى الماء وبحقه قومه فاستعير الورود للنار استعارة تهكمية والتقدير بئس الذى ورده اى المورد المورود وورودهم وهو النار ردها فرعون ثم قومه وقيل فى حقها بئس الورد لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد ﴿ قوله والآية كالدليل ﴾ يريد ان الرشيد فى قوله تعالى وما امر فرعون رشيد يحتمل ان يكون بمعنى امر فيه رشد وسداد فيكون الرشد على معناه الحقيق وهو خلاف العمى وخلاف الغى والضلال ويكون قوله يقدم قومه استئنافا كانه قيل لم حكمت عليه بانه ليس فى امره رشد بل هو غى محض فاجيب بانه يقدم قومه يوم القيامة فيوردهم النار ومن هذا عاقبته لا يكون فى امره رشد ويحتمل ان يكون الرشيد بمعنى الصالح المرضى الحميد العاقبة فيكون الرشد مجازا عن العاقبة الحميدة ويكون قوله تعالى وما امر فرعون رشيد بمعنى وكان امر فرعون مذموما محفوظا عليه سيء الخاتمة فيكون قوله يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار موضحا له ومبينا لسوء العاقبة ﴿ قوله اى يلعنون ﴾ ويطردون من رحمة الله تعالى فى الدنيا بالخذلان اولا وبالغرق آخرا وفى الآخرة بما فيها من العذاب فان كل معذب ملعون مطرود من الرحمة كما ان كل مخذول محروم من التوفيق والعناية كذلك ﴿ قوله بئس العون المعان او العطاء المعطى ﴾ فان الرفد جاء بمعنى العون وبمعنى العطية تقول رفدته ارفده رفدا اذا اعطيته وكذلك اذا اعنته والارفاد الاعطاء والاعانة وسميت اللعنة عونا لانها اذا اتبعتهم فى الدنيا تبعهم فى الآخرة تبعدهم عن رحمة الله تعالى وتعينهم على ما هم عليه من الضلال وتكون مددا لهم فى طغيانهم وغيهم فسميت رفدا اى عونا لهذا المعنى على الاستعارة التهكمية واما كونه معانا فلانها ارفدت فى الآخرة بلعنة اخرى لتكونا هاديتين الى طريق الجحيم كما قال تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم والمرفود وان كان قوم فرعون الا انه اسند المرفود الى الرفد الذى هو اللعنة على الاسناد المجازى نحو جد جده وجنونك مجنون وكذا الحال فى قوله او بئس العطاء حيث اعتبر فيه الاستعارة التهكمية والاسناد المجازى كما فى الاول فان جعلت اللعنة عطية لفرعون وقومه ثم جعلت معطى مع ان المعطى هو فرعون وقومه مجاز كذا قيل وقول صاحب الكشاف ان اللعنة فى الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة فى الآخرة يدل على ان تسمية اللعنة ليس من قبيل الاستعارة التهكمية وانما تكون من ذلك القبيل ان لو كانت رفدا للمعذبين وليس كذلك بل هى رفد ومدد لنفس العذاب فلا تهكم فيه وايضا ذكر انها رفد اعين برفد فكيف يكون اسناد المرفود الى الرفد من باب جد جده ثم لو فسر الرفد بالعطاء لكانت تسمية اللعنة من قبيل الاستعارة التهكمية الا انه لا يكون الاسناد مجازيا ﴿ قوله ليعمده ﴾ اى ليصير له عمادا يقال عمد الحائط اذا وضع له عمادا ﴿ قوله مقصوص عليك ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى نقصه عليك خبر بعد خبر لقوله ذلك والمعنى ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك ويجوز ان يكون نقصه خبرا ومن انباء اهل القرى حالا من المفعول ويجوز العكس ايضا وثمة مضاف محذوف اى من انباء الرسل ومن انباء اهل القرى ولذلك اعيد ضمير العقلاء عليهم فى قوله تعالى وما ظلمناهم وقوله تعالى منها قائم وحصيد جملة اسمية وحصيد مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر الاول عليه اى ومنها حصيد اى محصود شبه ما بقى من آثار القرى وجدرانها بالزرع القائم على ساقه وما عفا منها وبطل بالحصيد والمعنى ان تلك القرى بعضها بقى منها شيء وبعضها هلك وما بقى منه اثره وقيل القائم ما بقى حيطانه وسقطت سقوفه والحصيد ما محى اثره وقيل القائم العامر والحصيد

(ماحى)

(يقدم قومه يوم القيامة) الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم (فاوردهم النار) ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال (وبئس الورد المورود) اى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذه عاقبته لم يكن فى امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها (واتبعوا فى هذه) فى هذه الدنيا (لعنة ويوم القيامة) اى يلعنون فى الدنيا والآخرة (بئس الرفد المرفود) بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين (ذلك) اى ذلك النبأ (من انباء القرى) المهلكة (نقصه عليك) مقصوص عليك (منها قائم) من تلك القرى باق كالزرع القائم (وحصيد) ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير (وما ظلمناهم) باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا انفسهم) بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه (فما اغنت عنهم) فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم بل ضرتهم (آلهتهم التى يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك) حين جاءهم عذابه ونقمته

(وما زادوهم غير تتبيب) هلاك او تخسير (وكذلك) ومثل ذلك الاخذ (اخذ ربك) وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر (اذا اخذ القرى) اى اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضى (وهى ظالمة) حال من القرى وهو فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم والنذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة (ان اخذه اليم شديد) وجيع غير مرجو الخلاص منه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير (ان فى ذلك) اى فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) يعتبر بها لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعده الله للمجرمين فى الآخرة او ينزجر بها عن موجباته لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك الايام لالذنوب المهلكين بها (ذلك) اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) اى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لامحالة وان الناس لاينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة (وذلك يوم مشهود) اى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله • فى محفل من نواصى الناس مشهود • اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتميزه فان سائر الايام كذلك (وما نؤخره) اى اليوم (الا لاجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لانتهائها فانه غير معدود (يوم يأتى) اى الجزاء او اليوم لقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل لقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة باثبات بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة (لا تكلم نفس) لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة

ما يحى اثره وقيل القائم العامر والحصيد الخراب والضمير المرفوع فى قوله تعالى وما زادوهم للاصنام والمنصوب لعبدتها وعبر عن الاصنام بواو العقلاء لانهم نزلوها منزلة العقلاء ﴿ قوله غير تتبيب ﴾ هلاك تب يستعمل لازما ومتعديا يقال تب اذا هلك او خسر وتبه غيره اذا اهلكه او اوقعه فى الخسران وتفسير التتبيب بالهلاك مبنى على ان تب اللازم بنى منه فعل لقصد المبالغة وتكثير الفعل نحو طوّف البيت والمعنى ان الكفار كانوا يعتقدون فى الاصنام انها تنفع وتدفع المضار ثم انهم عند احتياجهم الى المعين ما وجدوا شيأ مما اعتقدوا فيها لاجلب نفع ولا دفع ضرر ثم انهم لما لم يجدوا فيها شيأ من ذلك وجدوا بسببها مضرة عظيمة وهو انه زال عنهم بسبب ذلك الاعتقاد منافع الدنيا والآخرة وجلب ذلك اليهم مضار الدنيا والآخرة وذلك من اعظم الهلاك واشد الخسران ﴿ قوله ومثل ذلك الاخذ ﴾ اشارة الى ان الكاف فى محل الرفع على انه خبر مقدم للمصدر المذكور بعده فان الجمهور على ان الاول مصدر غير مرفوع على الابتداء والثانى فعل ماض وقرئ كلاهما فعلين ماضيين ﴿ قوله اى يجمع له الناس ﴾ فسر به ما وقع فى نظم القرآن لان مقتضى الظاهر ان يقال ذلك يوم يجمع له الناس لان فعل الجمع الذى وصف به اليوم مترقب بعد لم يتصف اليوم به بالفعل ليكون على وفق قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع اى لاجله ولما فيه من الحساب والجزاء ثم بين النكتة فى مخالفة مقتضى الظاهر وهى الدلالة على ان اليوم موصوف بذلك الوصف وصفا لازما وان الناس لاينفكون عن الجمع البتة فان اسم المفعول على ثبات الامرين ولزومهما بخلاف الفعل ﴿ قوله ومعنى الجمع له الجمع لما فيه ﴾ ضرورة ان جمع الناس ليس لاجل اليوم نفسه ﴿ قوله فاتسع فيه باجراء الظرف ﴾ اى بحذف الجار وتعلق الفعل بالظرف على صورة تعلقه بالمفعول به كقوله

• ومشهد قد كفيت الغائبين به • فى محفل من نواصى الناس مشهود •

نواصى الناس اشرافهم والمقدمون منهم يقول رب مشهد عظيم الشان تكلمت فيه وكفيت الغائبين بالنطق عنهم واليوم يوم مشهود فيه رؤساء الناس واما انهم يعنى كشفت الغمة بقلب ثابت فمعنى قوله تعالى يوم مشهود يوم يشهد فيه الخلائق الموقف لايغيب فيه عنه احد فالمشهود هو الوقف والشاهدون الخلائق والمشهود فيه اليوم ﴿ قوله ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه ﴾ جواب عما يقال ما بالك الى ان تجعل اليوم مشهودا فيه وان تجعل المشهود من قبيل ما حذف فيه حرف الجر اتساعا كما فى قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فان الشهر منتصب ظرفا لامفعولا به وكذلك الضمير فى فليصمه فالمعنى فمن شهد منكم فى الشهر فليصم فيه على معنى فمن كان منكم مقيما حاضرا فى وطنه فى شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبت الشهر على انه مفعول به وجعلت الشهر مشهودا لكان مدلول الآية ايجاب الصوم على من ادرك الشهر مقيما كان او مسافرا لان المسافر والمقيم كلاهما يشهد ان الشهر لانه يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر فهلا تجعله ابتداء مشهودا فى نفسه مع ان اليوم كما يصح ان يوصف بانه مشهود فيه بمعنى يشهد فيه الخلائق من كل ناحية لامر له شان او خطب مهم كيوم الجمعة والعيد وعرفة يصح ان يوصف ايضا بانه مشهود اى مدرك كما تقول ادركت يوم فلان وشهر فلان فى يوم عينت كونه مشهودا على الاتساع • وتقرير الجواب ان المقام مقام تهويل اليوم وتعظيمه وتميزه عن سائر الايام وهذا المقصود انما يحصل بجعل اليوم مشهودا فيه لان الايام كلها سواء فى كونها مشهودا اى مدركا وليست كذلك فى كونها مشهودا فيها وان الفرق بين الصورتين فى غاية الظهور لانه لايقال مشهود فيه الا ليوم يشهد فيه الخلائق من كل اوب لامر له شان او خطب مهم كيوم العيد والجمعة وعرفة وايام الحروب وقدوم السلطان ويقال يوم مشهود لكل يوم ادركه احد ﴿ قوله اى الجزاء ﴾ على ان يكون عدم ذكر فاعل يأتى من قبيل الابهام لقصد التعظيم والتهويل كانه قيل يوم يأتى الشئ المهيب الهائل المعظم وتعين الجزاء مستفاد من سوق الكلام ﴿ قوله او اليوم ﴾ فان قيل يوم يأتى اليوم معناه يوم يوجد اليوم لان اتيان اليوم وجوده فيكون للزمان زمان وانه محال وايضا اليوم انما يضاف لاجل تحديده وتعيينه واضافته الى اتيان اليوم تستلزم تحديد الشئ بنفسه واليوم انما يتعين بما وقع فيه لابنفسه • اجيب بان الكلام مبنى على تقدير المضاف والمعنى يوم يأتى هول له ووجود اليوم ليس وجود نفسه فلا يلزم ما ذكر ﴿ قوله بما ينفع او ينجى ﴾ قيده به لئلا يناقضه الآيات الدالة على انهم يتكلمون بدون سبق الاذن كقوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها بل على انهم يكذبون ويحلفون بالله عليه كقوله والله

ربنا ما كنا مشركين فما ناقض قوله تعالى لاتكلم نفس من النفوس الابادنه هذه الآيات بحسب الظاهر خصص الكلام المدلول بقوله لاتكلم بالكلام النافع المنجى و قرينة التخصيص قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده الاباذنه ولايلزم من كون الكلام المتعلق بجلب النفع او دفع الضرر موقوفا على الاذن ان يكون جميع ماصدر من اهل الموقف مسبوقا بالاذن ثم لما ورد ان يقال هذه الآية تدل على ان بعض النفوس تتكلم بالاذن و يناقضه قوله تعالى هذا يوم لاينطقون الآية فانه يدل على انهم لاينطقون اصلا ولايؤذن لهم اجاب عنه بوجهين لايخفى تحصيلهما ﴿ قوله تعالى فمنهم شقى وسعيد ﴾ ظاهره يدل على ان اهل الموقف لايخرجون من هذين القسمين اللذين احدهما مخلد فى النار ابدا الا ماشاء ربك وثانيهما مخلد فى الجنة ابدا الا ماشاء ربك فيلزم ان يكون اطفال المشركين والمجانين الذين لم يعملوا صالحا ولا كفرا غير خارجين عنهما فان قلت انهم من اهل الجنة فبلا ايمان وان قلت انهم من اهل النار فبلا ذنب روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اطفال المشركين أهم من اهل الجنة ام من اهل النار فقال صلى الله عليه وسلم الله اعلم بما كانوا عاملين من الكفر والايمان ان عاشوا و بلغوا واعلم ان امرهم فيما يتعلق بالامور الدنيوية تبع لاشرف الابوين وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم حيث قال مع ابائهم وفيما يتعلق بامر الآخرة من الثواب والعقاب موقوف موكول الى علم الله تعالى لان السعادة والشقاوة ليستا معلقتين عندنا بالاعمال بل الله تعالى خلق من شاء سعيدا ومن شاء شقيا وجعل الاعمال دليلا على السعادة والشقاوة وانت تعلم ان عدم الدليل وعدم العلم به لايوجبان عدم المدلول والعلم بعدمه فكما ان البالغين منهم شقى ومنهم سعيد كذلك الاطفال والمجانين ﴿ قوله فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم ﴾ فان الانسان اذا عظم غمه وقوى كربه انحصرت حرارته الغريزية وروحه الحيوانى فى داخل قلبه وعند ذلك يحتاج الانسان الى رد نفسه فى داخل قلبه على مقدار قوته وقدرته على شدة التنفس حتى تتروح تلك الحرارة القوية بدخول الهواء البارد ثم ان تلك الحرارة لما كانت محصورة فى داخل القلب استولت البرودة على الاعضاء الخارجة فربما عجزت النفس من دفع ذلك الهواء الكثير المستنشق فيبقى ذلك الهواء فعلى قياس قول الاطباء الزفير هو استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة فى القلب بسبب انحصار الروح فيه والشهيق هو اخراج ذلك الهواء عند مجاهدة الطبيعة فى اخراجه وكل واحدة من هاتين الحالتين تدل على الكرب والغم بطريق دلالة اللازم على ملزومه فكان اثبات الزفير والشهيق لهم تخييلا لتشبيه حالهم الثابتة لهم من مقاساة حر جهنم بحال من استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه فيكون قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق استعارة مكنية وتخييلية ويحتمل ان يكون الزفير والشهيق مستعارا لصراخهم تشبيها له بصوت الحمار ﴿ قوله وقرئ شقوا بالضم ﴾ اى بضم الشين على ان يكون شقى متعديا حيث يقال شقاه الله كاشقاه الله والجمهور على فتح الشين على انه من شقى اللازم ﴿ قوله ليس لارتباط دوامهم فى النار بدوامهما ﴾ يعنى ان كلمة ما فى قوله تعالى مادامت السموات والارض مصدرية والمصدر المؤول قائم مقام الظرف والمعنى خالدين فيها مدة دوام السموات والارض ومن المعلوم من النصوص القاطعة ان مدة بقائهما متناهية فيلزم ان يكون دوام الاشقياء فى النار مرتبطا بدوامهما فيلزم ان يكون عذابهم منقطعا عند فنائهما او يكونا دائمتين كدوام عذابهم لان ظاهر هذه الآية يدل على ان مدة عذابهم مساوية لمدة بقائهما وكلاهما باطل فاجاب المصنف عنه بان ظاهر الآية وان دل على ان دوامهم فى النار مرتبط بدوامهما الا انه ليس المراد من توقيت خلودهم فى النار بدوامهما ان الخلود مقدر بمدة دوامهما ومنته عند فنائهما لان النصوص القاطعة تنفى ان يكون الامر كذلك بل التوقيت المذكور للتعبير عن التأبيد وعدم الانقطاع والمبالغة فيه بما كانت العرب يعبرون به عن ذلك كقولهم لا افعله مادامت السموات والارض وماحنت النيب وماطت الابل وماورق الشجر وماينع الثمر وماسال سيل وماجن ليل وماطرق طارق وما نطق ناطق فانهم يعبرون بمثل هذه الالفاظ عن التأبيد والمبالغة فى الدوام على طريق تمثيل ماقصد تأبيده بها فى التأبد وعدم الزوال بناء على اعتقادهم فلما كانت هذه الالفاظ بحسب عرفهم تفيد الابد والدوام الخالى عن الانقطاع خاطب الله تعالى العرب على عرفهم واعتقادهم ولئن سلمنا ان التوقيت المذكور لبيان ارتباط دوامهم فى النار بدوامهما لكن لانسلم انه يلزم من زوالهما زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الامن قبيل المفهوم لان الآية بمنزلة ان يقال ان دامتا يدوم عذابهم فيفهم منه ان دوام عذابهم يستلزم

وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر اوبالانتهاء المحذوف (الاباذنه) الا باذن الله كقوله لايتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لاينطقون ولايؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر او المأذون فيه هى الجوابات الحقة والممنوع عنه هى الاعذار الباطلة (فمنهم شقى) وجبت له النار بمقتضى الوعيد (وسعيد) وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لاتكلم نفس او للناس (فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق) الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى اول النهيق وآخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم (خالدين فيها مادامت السموات والارض) ليس لارتباط دوامهم فى النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لايقاوم المنطوق

(دوامهما)

دوامهما بحكم ان تحقق اللازم يستلزم تحقق الملزوم ويفهم منه ايضا ان عدم دوامهما يستلزم عدم دوام عذابهم بحكم ان عدم الملزوم ملزوم لعدم اللازم وقد تقرر ان المفهوم لا يعارض المنطوق وهو دوام عذابهم و انقطاع دوامهما ﴿قوله وقيل﴾ اى قيل ان التوقيت المذكور ليام دوام عذابهم بدوام سموات الآخرة وارضها فهو بمنزلة ان يقال ان دائما يلزم دوام عذابهم وان دام عذابهم يلزم دوامهما فلا محذور ﴿قوله وان اهل الآخرة لابد لهم من مظل ومقل﴾ فما اظلهم سماء وما اقلهم ارض لان كل ما علاك فهو سماء وكل ما استقرت عليه قدمك فهو ارض واعترض المصنف على الجواب بان دوام السموات والارض انما ينقطع لو كان المراد سموات الدنيا وارضها وليس كذلك لان الكلام فيما بعد الحشر بل المراد سموات الآخرة وارضها وهى دائمة بقوله وفيه نظر وبيانه ان محصول قوله تعالى خالدين فيها مادامت السموات والارض تشبيه عذابهم فى دوامه بدوام السموات والارض ومن المعلوم ان التشبيه انما يفيد اذا كان اتصاف المشبه به بوجه الشبه اظهر واعرف بالنسبة الى اتصاف المشبه وذلك يستلزم ان يكون نفس وجود المشبه به ظاهرا معروفا والحال ان اكثر الخلق لا يعرف وجود سموات الآخرة وارضها فضلا عن دوامهما وانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فيكون اتصاف المشبه بوجه الشبه اعرف بالنسبة اليه فلا يجدى له التشبيه ٭ واجاب عنه صاحب الكشاف عفا الله عنه بقوله اقول اما اذا اريد ما يظلهم وما يقلهم فهو ظاهر السقوط لان هذا القدر معلوم الوجود لكل عاقل واما الدوام فليس مستفادا من دليل دوام الثواب والعقاب بل ما يدل على دوام الجنة والنار سواء عرف اتصاف دار الثواب والعقاب وان اهلهما السعداء والاشقياء من الناس ام لا فليس تشبيها من باب تشبيه ما يعرف بما لا يعرف بل الامر بالعكس انتهى كلامه ووجه كونه من باب تشبيه ما لا يعرف انه شبه تلك الدار بهذه الدار واثبت لها ما لهذه الدار من المظلة والمقلة والجامع كونهما جنسين ﴿قوله استثناء من الخلود﴾ اى من حكم الخلود المستثنى منه الزمان المدلول عليه بقوله تعالى خالدين فيها مادامت السموات والارض اى الا الزمان الذى او الا زمانا شاء ربك فلا يخلدون فيه على ان ما موصولة او موصوفة ويحتمل ان يكون المستثنى منه الضمير المستتر فى خالدين فتكون كلمة ما عبارة عن من على رأى من رأى ذلك كأنه قيل الحق الذى لا محيص عنه ان يحمل ما على معنى من لافادة معنى الوصفية وهى المرحومية لتؤذن ان اخراجهم بمحض مشيئته وسبق رحمته لا لاستحقاق منهم فينطبق عليه قوله تعالى ان ربك فعال لما يريد وتحقيقه ان قوله تعالى خالدين فيها حال مقدرة من ضمير الاستقرار فى الظرف وهو قوله فى النار وانت تعلم ان الحال قيد للحكم فاذا انتفى الحكم عن البعض بالاستثناء ينتفى كونه مقيدا والمعنى ان الذين شقوا مستقرون فى النار مقدرين الخلود الا المرحوم الذى شاء الله ان لا يستقر مخلدا فيفيد اما ان لا يستقر فيها مطلقا او يستقر غير مخلد واحوال العصاة على هذا النهج كما علم من النصوص الصحيحة نقل الامام عن بعض المفسرين انهم قالوا هذا الاستثناء يفيد اخراج اهل التوحيد من النار لان قوله الا ما شاء ربك وجب ان لا يبقى ذلك الحكم على ذلك المجموع ويكفى فى زوال حكم الخلود زواله عن بعضهم فوجب ان لا يبقى حكم الخلود لبعض الاشقياء ولما ثبت ان الخلود واجب للكفار وجب ان يقال ان الذين زال حكم الخلود عنهم هم الفساق من اهل الصلاة واما قوله تعالى واما الذين سعدوا ففى الجنة فيفيد ان جملة السعداء محكوم عليهم بهذا الحكم وقوله الا ما شاء ربك اوجب زوال حكم الخلود عن المجموع فى الجنة ويكفى فى زواله عن الجميع زواله عن البعض وما ذلك البعض الا الفساق من السعداء وليس زوال حكم الخلود عنهم بان يدخلوا الجنة ثم يخرجوا منها الى النار وان كل من يدخل الجنة فهو خالد فيها بعد دخوله فيها بل المراد من زوال حكم الخلود عنهم عدم دخولهم فيها من اول الامر وهم ما خلدوا فيها تخليد من دخلها اول وهلة فان الخلود فى مكان كما ينتفى بالانتقال منه انتهاء ينتفى ايضا بان لا يدخله ابتداء والفساق مفارقون عن الجنة ايام عذابهم ﴿قوله او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره الخ﴾ تعليل ثان لكون الاستثناء من الخلود فى النار والمراد باصل الحكم كونهم فى النار وهو اصل بالنسبة الى قيده الذى هو خلودهم فيها فكأنه تعالى قال واما الذين شقوا ففى النار الا بعض الاوقات وتوقفهم فى الموقف للحساب فانهم فى ذلك الوقت لا يكونون فى النار كما لا يكونون فى الجنة ﴿قوله او مدة لبثهم فى الدنيا والبرزخ﴾ عطف على قوله زمان توقفهم فى الموقف كأنه قيل خالدين فيها الا مقدار لبثهم فى الدنيا والبرزخ ﴿قوله وقيل هو﴾ اى الاستثناء من قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق كأنه قيل لهم زفير

وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لابد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدى له التشبيه (الا ما شاء ربك) استثناء من الخلود فى النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف فى صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام عقابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقى وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط من حيث التقسيم لانفصال حقيقى او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين فى شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم فى الموقف للحساب لان ظاهره يقتضى ان يكونوا فى النار حين يأتى اليوم او مدة لبثهم فى الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم على هذا التأويل ويحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق

وقيل الاهنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ماشاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء
السموات والارض (ان ربك فعال لما يريد)
من غير اعتراض (واما الذين سعدوا ففي
الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض
الاماشاء ربك عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع
وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على
ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع
ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد
وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على
البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده
وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا
عطاء او الحال من الجنة (فلاتك في مرية)
شك بعدما انزل عليك من مآل الناس (مما
يعبد هؤلاء) من عبادة هؤلاء المشركين في انها
ضلال مؤد الى مثل ماحل بمن قبلهم ممن
قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال
مايعبدونه في انه يضر ولا ينفع (ما يعبدون
الا كما يعبد آباؤهم من قبل) استئناف معناه
تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء
في الشرك اي مايعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم
او مايعبدون شيأ الامثل ماعبدوه من الاوثان
وقد بلغك مالحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم
مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل
في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف
لدلالة قبل عليه (وانا لموفوهم نصيبهم)
حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون
عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام مايوجبه
(غير منقوص) حال من النصيب لتقييد التوفية
فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه
ولو مجازا (ولقد آتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه) فآمن به قوم وكفر به قوم كما
اختلف هؤلاء في القرآن (ولولا كلمة سبقت
من ربك) يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة
(لقضي بينهم) بانزال مايستحقه المبطل
ليتميز به من المحق (وانهم) وان كفار قومك
(لفي شك منه) من القرآن (مريب) موقع
للريبة (وان كلا) وان كل المختلفين المؤمنين
منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف اليه
وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع
الاعمال اعتبارا للاصل (لما ليوفينهم ربك
اعمالهم) اللام الاولى موطئة للقسم والثانية
للتأكيد او بالعكس ومامزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام
فاجتمعت ثلاث ميمات فحذف اولاهن والمعنى لمن الذين ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا

﴿قوله﴾ وشهيق في جميع ازمنة كونهم في النار الازمانا شاء ربك ان ينقطع ذلك عنهم بان يصيروا ساكتين خامدين ﴿قوله وقيل الاهنا بمعنى سوى﴾ والمعنى انه تعالى لما قال خالدين فيها مادامت السموات والارض ثم قال سوى مازاد على ذلك من الخلود الدائم ذكر اولا في خلودهم ماهو مدة الخلود عند العرب ثم زاد عليها الدوام الذي لا آخر له بقوله تعالى الا ماشاء ربك اي سوى ماشاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها ثم قال تعالى ان ربك فعال لما يريد حيث قهر كافة الاشقياء بالخلود في النار واستثنى منهم الذين تعلقت مشيئته بغفرتهم وانجائهم منها * روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعدما يلبثون فيها احقابا وعن ابي هريرة رضي الله عنه مثله ومعناه عند اهل السنة انه لا يبقى من اهل الايمان واما مواضع الكفار فمملوءة ابدا واعلم ان الله تعالى لما قص خبر عبدة الاوثان وذكر ماحل بهم من عذابه ثم اتبعه بذكر مااعد للاشقياء والسعداء شرح لرسول الله صلى الله عليه وسلم احوال المشركين من قومه تسلية وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم فقال الله تعالى فلاتك في مرية اصله فلا تكن حذفت نونه لكثرة الاستعمال ولان النون الساكنة لم يبق عند التلفظ بها الاغيرد الغنة فاذا وقعت في آخر الكلمة التي هي محل التغيير حذفت تشبيها لها بحرف العلة والمعنى لاتبين عندك ماقصصت من قصص المتقدمين من المشركين فلاتك في شك من عبادة هؤلاء الحاضرين من المشركين وكن على يقين في انها ضلال مبين سيء العاقبة على ان ما مصدرية ويجوز ان تكون ماموصولة اي من حال الذي يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ثم قال على سبيل الاستئناف مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين ﴿قوله لتقييد التوفية﴾ يعني ان قوله تعالى غير منقوص حال مؤكدة من المفعول وهو النصيب الموفى فان توفية الحق اعطاؤه تاما كاملا فالموفى لا يجوز ان يكون ناقصا فيجب ان يكون سبيل قوله تعالى غير منقوص سبيل الحال المؤكدة وهي ان تقرر مضمون الجملة لدفع توهم التجوز كما في قوله تعالى ثم وليتم مدبرين فان قوله تعالى انا لموفوهم نصيبهم لو لم يقيد بقوله تعالى غير منقوص لتوهم ان قوله تعالى انا لموفوهم بمعنى لمعطوهم ولو مجازا فلما قيد به اندفع التوهم فكان حالا مؤكدة ثم انه تعالى لما بين في الآية الاولى اصرار كفار مكة على انكار التوحيد بين ايضا اصرارهم على انكار نبوته صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم بكتاب الله فانزل الله تعالى عليه قوله ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل ان اختلف فيما انزل عليك فلايشق عليك فقد اختلف فيما انزل على من قبلك ﴿قوله وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف﴾ اي باسكان النون في قوله تعالى وان كلا لما ليوفينهم والباقون بتشديدها وكذا انهم قرأوا لما بتخفيف الميم ومن قرأ ان مخففة يعملها اعتبارا للاول لان الفعل يعمل بعد التخفيف كما كان يعمل اولا بدون التخفيف نحو لم يك زيد قائما فكذلك الحرف الذي يعمل بمشابهة الفعل واعمال المخففة لغة ثابتة عند العرب سمع من واحد منهم وهو يقول ان عمرا لمنطلق وقال آخر كأن ثدييه حقان ووجه تخفيف لما ذكره المصنف من ان اللام فيه هي الموطئة للقسم واللام في ليوفينهم لام الابتداء او بالعكس اي اللام الاولى ابتدائية والثانية لام جواب قسم مضمر والجملة من القسم وجوابه خبر ان ولما اجتمع اللامان فصل بينهما بما كما فصل بالالف بين النونين في يضربنان فتكون كلمة ماهنا زائدة جيء بها للفصل اصلاحا للفظ ووجه التشديد في لما ان اصله لمن بكسر الميم على انها من الجارة دخلت على ما الموصولة او الموصوفة والمعنى لمن الذين والله ليوفينهم اولمن خلق او جماعة والله ليوفينهم فلما اجتمعت النون ساكنة مع ميم ما وجب ادغامها فيها فقلبت ميما وادغمت فاجتمع في اللفظ ثلاث ميمات فحذفت اولاهن فصار لما ﴿قوله وقرئ لما بالتنوين﴾ فيكون لما مصدر قولك لممته اي جمعته لما وانتصابه على انه صفة كل على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة والتقدير وان كلا لما اي جمعا ليوفينهم جزاء اعمالهم والمصدر ههنا بمعنى المفعول اي كلا مجموعا وصف به الكل للدلالة على الاجتماع فان الكل يحتمل الاجتماع والافتراق ونقل عن ابن جني رحمه الله انه قال لما بالتنوين مصدر كالذي في قوله تعالى وتأكلون التراث اكلا لما جامعا للاجزاء المأكول ولذلك تقديره هذا وان كلا ليوفينهم ربك اعمالهم لما اي ليوفينهم توفية جامعة لاعمالهم جمعا ومحصلة لاعمالهم تحصيلا فهو كقولك قياما لاقومن وقعودا لاقعدن يعني ان قوله تعالى لما في هذه القراءة منصوب بقوله تعالى ليوفينهم ربك اعمالهم على انه مفعول مطلق له من غير لفظه كأنه قيل توفية جامعة لاعمالهم ليوفينهم كما تقول قياما لاقومن وقال ابو البقاء رحمه الله وانتصابه على الحال من ضمير المفعول في ليوفينهم ضعيف

(قوله)

كقوله (كلا لما) وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به (انه بما يعملون خبير) فلا يفوت عنه شئ منه وان خفى (فاستقم كما امرت) لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهى شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحى وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهى في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتني سورة هود (ومن تاب معك) اى ومن تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عما حد لكم (انه بما تعملون بصير) فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهى وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيى بزيهم وتعظيم ذكرهم (فتمسكم النار) بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اى الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية ابلغ ما يتصور في النهى عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التى هى العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفى افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه (وما لكم من دون الله من اولياء) من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال (ثم لا تنصرون) اى ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقى عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا (واقم الصلاة طرفى النهار) غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه (وزلفا من الليل) وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلاة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة (ان الحسنات يذهبن السيئات) يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى قد اصبت من امرأة غير انى لم آتها فنزلت (ذلك) اشارة الى قوله فاستقم وما بعده وقيل الى القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين (واصبر) على الطاعات وعن المعاصى (فان الله لا يضيع اجر المحسنين) عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصبر والصلاة احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص

قوله وان كل لما عطف على قوله لما بالتنوين اى وقرئ وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا كما في قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ اى ان كل نفس الا عليها حافظ وصرح المصنف رحمه الله في سورة الطارق بان عاصما وابن عامر وحمزة رحمهم الله قرأوا في هذه السورة لما ليوفينهم وفي يس لما جميع وفي الطارق لما عليها حافظ بتشديد الميم في الثلاث والباقون بتخفيفها وصرح ايضا رحمه الله في سورة الطارق بان لما المشددة بمعنى الا وان ان نافية ومعنى الآية ان من عجلت عقوبته او اخرت ومن صدق الرسل ومن خالفهم سواء في انه تعالى يوفيهم جزاء اعمالهم في الآخرة فجمعت الآية الشريفة الوعد والوعيد لان توفية جزاء الطاعات وعد عظيم وتوفية جزاء المعاصى وعيد عظيم وقوله تعالى انه بما يعملون خبير تأكيد للوعد والوعيد فانه تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات كان عالما بمقادير الطاعات والمعاصى فكان عالما بالقدر اللائق بكل عمل من الجزاء فحينئذ لا يضيع شئ من الحقوق وذلك نهاية البيان وقرأ العامة يعملون بياء الغيبة اجراء على ما تقدم من المختلفين وقرئ بما تعملون على الخطاب التفاتا من الغيبة الى الخطاب وقوله تعالى يعبد هؤلاء وانه بما يعملون بصير مخالف لهذا فان العامة قرأوه بتاء الخطاب جريا على الخطاب المتقدم وقرئ بياء الغيبة التفاتا من الخطاب الى الغيبة قال الامام رحمه الله تعالى وعندى لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه لما دل على عموم النص وجب الحكم بمقتضاه لقوله تعالى فاستقم كما امرت والعمل بالقياس انحراف عنه ولذا لما ورد القرآن بالامر باعمال الوضوء في الاعضاء مرتبة في اللفظ وجب الترتيب فيها ولما ورد الامر في الزكاة باداء الابل من الابل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد امر الله به كل ذلك لقوله تعالى فاستقم كما امرت ومن تاب معك وقوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا بفتح الكاف من باب قتل يقتل وقوله فتمسكم النار منصوب باضمار ان في جواب النهى وقوله تعالى وما لكم من دون الله الآية حال من مفعول فتمسكم اى تمسكم حال انتفاء ناصركم ويجوز ان تكون مستأنفة وقوله تعالى ثم لا تنصرون جملة فعلية معطوفة على الاسمية قبلها وقرئ بحذف النون اى بحذف نون الرفع عطفا على تمسكم وكلمة ثم فيه اما لاستبعاد نصرة الله تعالى اياهم مع استحقاقهم العذاب مع ركونهم او منزل منزلة الفاء السببية في الدلالة على ان مساس النار لهم في حال انتفاء ناصريهم سبب لانتفاء كونهم منصورين بالكلية مع الدلالة على استبعاد النصرة ثم انه تعالى لما امره صلى الله عليه وسلم بالاستقامة في العقائد والاعمال التى من جملتها اقامة الصلاة اردفه بالامر في اقامتها خاصة تنبيها على ان اعظم العبادات بعد الايمان بالله تعالى هو الصلاة وقوله تعالى طرفى النهار ظرف لاقم والطرف وان لم يكن موضوعا للظرفية الا انه لما اضيف للظرف اعرب باعرابه ونظيره قولك فعلته اول النهار وآخره ونصف الليل فان هذه الكلمات منصوبة على الظرفية لكونها مضافة الى الظرف وقرأ العامة زلفا بضم ففتح فيكون على انه مخفف من القراءة بضمتين كما قالوا بسر وبسر في جمع بسرة وقرئ زلفى بمعنى زلفة وقول المصنف رحمه الله تعالى وساعات منه قريبة من النهار اشارة الى ان الزلف اول ساعات النهار وانه منصوب على الظرفية لعطفه على طرفى النهار قال الامام رحمه الله كثرت الاقوال في تفسير طرفى النهار والاقرب ان الصلاة التى تقام في طرفى النهار هى الفجر والعصر وذلك لان احد طرفى النهار طلوع الشمس والطرف الثانى منه غروب الشمس فالصلاة التى تقام في الطرف الاول هى صلاة الفجر والتى تقام في الطرف الثانى لا يجوز ان تكون صلاة المغرب لانها داخلة في التى تقام في زلف من الليل فوجب حمل ما تقام في الطرف الثانى على صلاة العصر واذا عرفت هذا كانت الآية دليلا على قول ابى حنيفة رحمه الله ورضى عنه ان التنوير بالفجر افضل وان تأخير العصر افضل وذلك لان ظاهر هذه الآية يدل على وجوب اقامة الصلاة في طرفى النهار وبينا ان طرفى النهار هو الزمان الاول لطلوع الشمس والزمان الاول لغروبها واجمعت الامة على ان اقامة الصلاة في ذلك الوقت من غير ضرورة غير مشروع فقد تعذر العمل بظاهر هذه الآية فوجب حمله على المجاز وهو ان يكون المراد اقم الصلاة في الوقت الذى يقرب من طلوع الشمس ومن غروبها ولا شك ان هذا الحمل اقرب الى ظاهر اللفظ وان اقامة صلاة الفجر عند التنوير اقرب الى وقت الطلوع من اقامتها وقت التغليس وكذلك اقامة صلاة العصر عند ما يصير ظل كل شئ مثليه اقرب الى وقت الغروب من اقامتها عند ما يصير ظل كل شئ مثله والمجاز كلما كان اقرب الى الحقيقة كان حمل اللفظ عليه اولى فثبت ان ظاهر هذه الآية يقوى قول ابى حنيفة رحمه الله ورضى عنه في هاتين المسئلتين فظهر بهذا سر قول المصنف رحمه الله لان صلاة الصبح اقرب الصلوات من اول النهار ثم قال رحمه الله واما قوله تعالى

وزلفا من الليل فهو يقتضى الامر باقامة الصلاة فى ثلاث زلف من الليل لان اقل الجمع ثلاثة والمغرب والعشاء وقتان فيجب الحكم بوجوب الوتر حتى تحصل زلف ثلاث يجب ايقاع الصلاة فيها واذا ثبت وجوب الوتر فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وجب فى حق الامة ايضا لقوله فاتبعوه ونظير هذه الآية بعينها قوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فالذى قبل طلوع الشمس هى صلاة الفجر والذى قبل غروبها هى صلاة العصر ثم قال ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار وهو نظير قوله تعالى وزلفا قال سعيد بن جبير رضى الله عنه طرفا النهار الغداة والعشى فالصلاة التى فى طرف الغداة صلاة الفجر والتى فى طرف العشى الظهر والعصر وفى الخبر سماهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى احدى صلاتى العشى اما الظهر واما العصر ونقل عن الامام الواحدى رحمه الله انه قال نقلا عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى طرفى النهار يريد الصبح والظهر والعصر وهو قول مجاهد ومحمد بن كعب رحمهما الله وقال الزجاج رحمه الله تعالى صلاة طرفى النهار الغداة والظهر والعصر وذهب ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وعامة اهل التفسير الى ان تعريف الحسنات للعهد الخارجى والمراد ان الصلوات الخمس تكفرن مابينهن من الذنوب وعن مجاهد رحمه الله ان الحسنات هو قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿قوله فهلا كان﴾ اشارة الى ان كلمة لولا تحضيضية دخلت على الماضى بمعنى التفجيع عليهم فكان قريبا من اسلوب قوله تعالى ياحسرة على العباد ومن القرون يجوز ان يتعلق بكان لانها تامة اذ المعنى فهلا وجد من القرون او حدث ونحو ذلك ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من اولوا بقية لانه لو تأخر عنه جاز ان يكون نعتاله ومن قبلكم حال من القرون وينهون حال من اولوا بقية لتخصصه بالاضافة ويجوز ان يكون نعتا لاولوا بقية وهو اولى ثم لما بين الله تعالى ان الامم المتقدمين حل بهم عذاب الاستئصال بين ان السبب فيه امران الاول انه ماكان فيهم قوم ينهون عن الفساد فى الارض ومعنى الآية فهلا كان من القرون التى اهلكناهم من قبلكم اولوا بقية والسبب الثانى فى نزول عذاب الاستئصال بهم ماذكره بقوله تعالى واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه قرأ العامة بقية بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء وفيها وجهان احدهما انها صفة على فعيلة بمعنى فاعل ثم غلبت الاسمية عليها حيث لم يحتج الى ذكر الموصوف واجرآئها عليه بل جعلت عبارة عن كل ما اطلق عليه الخير من العقل والتمييز والفضل فلذلك دخلت التاء فيها فانها تدخل على الصفات لتدل على غلبة الاسمية عليها كالنطيحة والذبيحة والوجه الثانى ان تكون مصدرا كالتقية بمعنى التقوى اى فهلا كان منهم ذوا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه ﴿قوله وانما سمى بقية﴾ يعنى ان البقية بمعنى الصفة كناية عما اطلق عليه انه خير وجيد من قوة العقل والتدبير ومن الصفات الفاضلة والاخلاق المرضية بناء على ان الاستبقاء من لوازم الخيرية والجودة فان الرجل يستبقى افضل مايخرجه ويكسبه ﴿قوله لكن قليلا منهم انجيناهم﴾ يعنى ان قوله تعالى الا قليلا فانهم كانوا ينهون لان من شأن الاستثناء المتصل ان يصح نفى ما المستثنى منه عن المستثنى واثبات ماليس المستثنى منه المستثنى كقولك جاءنى القوم الا زيدا فانه ماجاءنى ومابجاءنى احد الا زيدا فانه جاءنى بخلاف ما اذا لم يحمل الكلام على ظاهره بل اريد به النفى اللازم للتحضيض ضرورة ان التحضيض على الشئ انما يكون بانتفائه فانه حينئذ يصح ان يجعل الاستثناء متصلا فكانه قيل ماكان من القرون اولوا بقية الا قليلا وهو معنى صحيح وغاية مافى الباب انه انتصب المستثنى فى غير الموجب مع ان الافصح ان يرفع على البدل ولا محذور فيه كيف وقد قرئ ماقعلوه الا قليل منهم بالرفع وكلمة من فى قوله تعالى ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض وذلك لان البيان والمبين شئ واحد كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فعلى تقدير جعلها للبيان يكون القليل الذين نهوا هم الناجون وحدهم دون غيرهم ويكون الكثير الذين لم ينهوا محكوما عليهم بالعذاب وهذا المعنى مطابق لما فى سورة الاعراف من قوله تعالى انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس واما اذا حمل على التبعيض يكون ممن انجينا بدلا من قليلا فيلزم ان يكون الناهون بعض الناجين غير الناهين وليس كذلك بل الامر من ان كل من هو غيرناه محكوم عليه بالعذاب ﴿قوله ما اترفوا فيه اى ماانعموا فيه من الشهوات﴾ يريد ان الاتراف افعال من الترف وهو النعمة يقال صبى مترف اى منعم بسبب الاهتمام فى شأنه وفى الكشاف واتبعوا ماعرفوا فيه التنعم والترف والشرف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهنئ ورفضوا ماوراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم جعل الشهوات مترفا فيها اى منعما بناء على اعتقادهم ان

(فلولا كان) فهلا كان (من القرون من قبلكم اولوا بقية) من الرأى والعقل اولوا فضل وانما سمى بقية لان الرجل يستبقى افضل مايخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اى ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقيه وهى المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه (ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم) لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفى اللازم للتحضيض (واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه) اى ماانعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك (وكانوا مجرمين) كافرين كانه اراد ان يبين ماكان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهى عن المنكرات مع الكفر

تعمهم فى ضمنها ﴿ قوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام ﴾ لما مرّ من ان التحضيض يدل على انتفاء المحضض عليه ولم يجز عطفه على انجينا لانه صلة من ويمتنع وقوع واتبع صلة ولا معنى لجعله حالا من انجينا لان انجاء القليل ليس فى اتباع الكثير الشهوات فتعين جعله عطفا على مقدر الا ان صاحب الكشاف جعله معطوفا على نهوا المقدر خبرا لانه بمعنى لكن والمصنف عطف على مادل عليه جملة التحضيض ولعله نظر الى ان فيما اختاره عطف احد سببى الاستئصال على الآخر الا انه وضع الظاهر موضع المضمر فى قوله تعالى واتبع الذين ظلموا للتصريح بان اتباع الشهوات ظلم منهم وانه هو المؤدى الى الاستئصال وهذه المناسبة منتفية فيما اختاره صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه ﴿ قوله واتبع) بضم همزة القطع وسكون التاء وكسر الباء على بناء المفعول من باب الافعال ولابدّ حينئذ من حذف مضاف اى واتبعوا جزآء ما اترفوا فيه وما يجوز ان تكون بمعنى الذى وهو الظاهر لرجوع فيه له ويجوز ان تكون مصدرية اى جزآء اترافهم لحينئذ لايحتاج الى تقدير المعطوف لصحة جعل الواو للحال بتقدير قد كأنه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزآء اترافهم وهو ترتيب حسن لانه ذكر اوّلا انجاء الناهين ثم بين هلاك الذين لم ينهوا كأنه قيل وانجينا القليل واتبع الذين لم ينهوا ثم انه تعالى لما بين ان سبب اهلاك الامم السالفة امران الاوّل فشوّ الظلم فيمابينهم والثانى اتباعهم الشهوات بين انه ليس من شأنه ولا يصح له ان يهلك القرى بمجرد شركهم اذا كانوا مصلحين فى المعاملات الواقعة فيمابينهم والحاصل ان عذاب الاستئصال لاينزل لاجل كون القوم معتقدين للشرك والكفر بل انما ينزل ذلك العذاب اذا اساؤا فى المعاملات وسعوا فى ايذآء الخلق وظلمهم ولهذا قال الفقهاء ان حقوق الله تعالى مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على الضيق والشح ويقال فى الاثر الملك يبقى على الكفر ولايبقى على الظلم واللام فى قوله تعالى ليهلك لام الجحود وينتصب الفعل بعدها باضمار ان وهى متعلقة بخبر كان المحذوف والتقدير وما كان الله مريدا لاهلاك القرى بمجرد الظلم والمراد به ههنا الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وهذا مذهب البصريين وقال الكوفيون يهلك خبر كان زيدت اللام فيه دلالة على التأكيد وبظلم متعلق بيهلك والباء فيه سببية وجوّز الزمخشرى عفا الله عنه ان يكون حالا من فاعل ليهلك وقوله واهلها مصلحون جملة حالية ﴿ قوله الا ناسا الخ ﴾ اشارة الى ان الاستثناء متصل من الضمير فى مختلفين وان جاز كونه استثناء من فاعل يزالون ولا ضرورة تدعو الى جعله استثناء منقطعا بمعنى لكن من رحم لم يختلفوا ﴿ قوله واللام للعاقبة ﴾ لاللعلة لان افعاله تعالى غير معللة ولانه تعالى لو خلقهم للاختلاف واراده منهم لكان لايجوز ان يعذبهم عليه اذا كانوا مطيعين له تعالى بذلك الاختلاف وكانت الآية حينئذ مخالفة لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴿ قوله او اليه والى الرحمة ﴾ اى ان كان الضمير للناس يجوز ان تكون الاشارة الى الاختلاف والى الرحمة كما قال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عطاء يريد انه تعالى خلق اهل الرحمة للرحمة واهل الاختلاف للاختلاف وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وهذا اختيار الفرآء والزجاج قال الزجاج رحمه الله ويدل على صحة هذا قوله تعالى بعده وتمت كلمة ربك لاملأنّ جهنم من الجنة والناس اجمعين قال الكلبى رحمه الله يريد من كفار الجن وكفار الانس وهذا تصريح بانه تعالى خلق اقواما للهداية والجنة واقواما للضلالة والنار واجمعين تأكيد والاكثر ان يسبق بكل وقد جاء ههنا بدونها ﴿ قوله وكلا نبأ ﴾ اشارة الى ان كلا منصوب على انه مفعول به قدم على عامله وتنوينه عوض عن المضاف اليه المحذوف ومن انباء بيان له او صفة وما نثبت بيان لكلا او منصوب باضمار اعنى او بدل من كلا ﴿ قوله وفائدته ﴾ اى فائدة ايراد قوله ما نثبت به فؤادك على سبيل البيان او البدلية التنبيه على ماهو المقصود من ذكر القصص المذكورة فى هذه السورة فانه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام مع اتباعهم مثل حاله مع امته صلى الله عليه وسلم سهل عليه تحمل اذى قومه وامكنه الصبر عليه فان الانسان اذا ابتلى بمحنة وبلية فرأى جماعة يشاركونه فيها خف على قلبه بليته كما يقال البلية اذا عمت خفت وطابت ومع ذلك يحصل له صلى الله عليه وسلم باستماع تلك الاقاصيص من زيادة اليقين وطمأنينة القلب فيما يتعلق بكمال قدرة الله تعالى وحكمته ورحمته على عباده مالايطلع على كنهه الا هو سبحانه وتعالى ﴿ قوله او مفعول ﴾ عطف على قوله بيان لكلا ويحتمل ان يكون ما نثبت مفعولا لنقص ويكون كلا منصوبا على المصدر بان يكون تنوين كلا عوضا عن المضاف اليه المحذوف الذى هو الاقتصاص وذهب اكثر

وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اى واتبعوا جزآء ما اترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) بشرك (واهلها مصلحون) فيما بينهم لايضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته فى حقوقه ولذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولايبقى مع الظلم (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه (ولا يزالون مختلفين) بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لاتكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا (الا من رحم ربك) الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ماهو اصول دين الحق والعمدة فيه (ولذلك خلقهم) ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة (وتمت كلمة ربك) وعيده اوقوله للملائكة (لاملأنّ جهنم من الجنة والناس) اى من عصاتهما (اجمعين) او منهما اجمعين لامن احدهما (وكلا) وكل نبأ (نقص عليك من انباء الرسل) نخبرك به (ما نثبت به فؤادك) بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل (وجاءك فى هذه) السورة او الانباء المقتصة عليك (الحق) ماهو حق

(وموعظة وذكرى للمؤمنين) اشارة الى سائر فوائده العامة (وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم) على حالكم (انا عاملون) على حالنا (وانتظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون) ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم (ولله غيب السموات والارض) خاصة لايخفى عليه خافية مما فيهما (واليه يرجع الامر كله) فيرجع لامحالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وفى تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد (وما ربك بغافل عما تعملون) انت وهم فيجازى كلاما يستحقه قرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء هنا وفى آخر النمل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى

﴿ سورة يوسف عليه السلام مكية ﴾

﴿ وآيها مائة واحدى عشرة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر تلك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات السورة وهى المرادة بالكتاب اى تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها فى الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت (انا انزلناه) اى الكتاب (قرآنا عربيا) سمى البعض قرآنا لانه فى الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو فى نفسه اما توطئة للحال التى هى عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفى كل ذلك خلاف (لعلكم تعقلون) علة لانزاله بهذه الصفة اى انزلناه مجموعا او مقروأ بلغتكم كى تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لايتصور الا بالايحاء (نحن نقص عليك احسن القصص) احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن مايقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب

المفسرين رحمهم الله الى ان هذه فى قوله تعالى وجاءك فى هذه الحق اشارة الى هذه السورة الكريمة وتخصيصها بالحكم بمجيء الحق فيها مع ان ماجاء فى جميع السور حق يحق تدبره والاذعانه والعمل بمقتضاه تشريفا لها ورفعا لمنزلتها ﴿ قوله اشارة الى سائر فوائده العامة ﴾ يعنى ان فى ايراد القصص المذكورة فى هذه السورة فائدتين تختصان به صلى الله عليه وسلم اشار اليهما بقوله وكلا نقص وبقوله تعالى وجاءك فى هذه الحق وفائدة ثالثة تعم المؤمنين اشار اليها بقوله تعالى وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴿ قوله وقرأ نافع وحفص يرجع ﴾ بضم الياء وفتح الجيم اى يرد وقرأ الآخرون بفتح الياء وكسر الجيم اى يعود الامر كله اليه حتى لايكون للخلق امر يوجد مما ﴿ قوله تعملون انت وهم ﴾ اشارة الى انه اختار قرآءة نافع وحفص وابن عامر وهى القرآءة بتاء الخطاب على تغليب الخطاب على الغيبة ＊تمت سورة هود بعون الله الملك المعبود والحمد لله الودود والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الشفاعة العظمى والحوض المورود وعلى آله وصحبه ماتجدد الموجود وتباعد المفقود فى اليوم التاسع من المحرم من شهور سنة اربع وثلاثين وثلثمائة

﴿ سورة يوسف عليه السلام كلها مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الر تلك آيات الكتاب المبين ﴾ الظاهر ان الر اسم للسورة وانه فى محل الرفع على انه مبتدأ حذف خبره او خبره مبتدأ محذوف والتقدير الر هذه السورة او هذه السورة الر اى مسمى هذا الاسم ان ابقيتها على اصل معانيها وهى ان تكون اسما للحروف التى تتركب منها الكلم وان جعلتها تعديدا للحروف على طريق التحدى نزلتها منزلة ان يقال المؤلف من هذه الحروف والمؤلف منها هو المتحدى به وقرأ نافع وابن كثير وعاصم بفتح الراء على التفخيم والباقون بكسرها على الامالة والاصل فى امثالها ترك الامالة كما تركت فى ما ولا لان ألفاتها ليست منقلبة عن الواو ومن امالها نظر الى ان هذه الالفاظ اسماء الحروف المخصوصة فقصد بامالتها التنبيه على انها اسماء لاحروف ثم انهم اتفقوا على ان قوله الر وحده ليس آية واتفقوا على ان قوله طه وحده آية والفرق ان قوله الر لايشاكل مقاطع الآى التى بعد قوله تعالى طه فانه يشاكل مقاطع الآى التى بعده ﴿ قوله اى تلك الآيات آيات السورة ﴾ اشارة الى ان تلك مبتدأ ومابعده خبره ومن المعلوم ان المشار اليه لابد ان يتقدم على الاشارة لان الشئ مالم يوجد لايمكن ان يشار اليه الا انه لايمكن ان يكون موجودا فى الخارج قبل الاشارة بل يكفى ان يكون موجودا فى ذهن المخاطب قبلها وما نحن فيه من هذا القبيل فان الر سواء جعل اسما للسورة او جعل تعديدا للحروف يدل على السورة او المتحدى به المؤلف من الآيات وعلى التقديرين يحضر فى ذهن المخاطب الآيات التى تضمنتها السورة او المتحدى بها فصح ان يشار اليها باعتبار حضورها ذهنا وان كانت مترقبة بحسب الوجود الخارجى فان صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه فى قوله تعالى هذا فراق بينى وبينك تصور فراق بينهما عند حلول الميعاد فاشار اليه وجعله مبتدأ وخبرا ولما ورد على قوله تلك اشارة الى آيات السورة وهى المرادة بالكتاب ان يقال على تقدير ان يكون المراد بالكتاب السورة يكون حاصل الكلام آيات السورة آيات السورة ولا فائدة فيه اشار الى دفعه بان المراد بالمبتدأ الآيات من حيث حصولها فى ضمن السورة وبالخبر الآيات من حيث كونها موصوفة بكونها ظاهرة الاعجاز او المعانى او بكونها مظهرة لغيرها مايتعلق بها فتحقق التغاير بين الموضوع والمحمول بهذا الاعتبار حصلت الفائدة من الحكم وان اتحدا ذاتا وقوله الظاهر امرها مبنى على ان يكون المبين من أبان بمعنى بان اى ظهر ووضح وقوله او المبينة مبنى على كون أبان بمعنى بين واوضح فعلى الاول يحتمل ان يكون المراد بالظهور ظهور البينات بكونه معجزا للعرب موجبا لتبكيتهم او ظهور معانيه للعرب لكونه نازلا بلسانهم وعلى الثانى لابد من تقدير مفعول وهو كونه من عند الله تعالى لا من كلام البشر او ماسأله اليهود ﴿ قوله وهو فى نفسه اما توطئة للحال التى هى عربيا ﴾ لانه فى نفسه لايبين الهيئة والحال تبين الهيئة بالغير وما يتبعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هى الحال فى الحقيقة فقوله تعالى قرآنا كذلك ولايكون مبينا للهيئة بنفسه الا اذا اعتبر كونه بمعنى المفعول ﴿ قوله احسن الاقتصاص ﴾ على ان يكون لفظ المصدر باقيا على المعنى المصدرى ﴿ قوله او احسن مايقص ﴾ على ان يكون المصدر بمعنى المفعول او على ان يكون القصص فعلا بمعنى المفعول وهو المقصوص فان القصص مصدر يقال قص الحديث يقصه قصصا كقوله شله يشله شللا فان اريد به المعنى المصدرى يكون المعنى احسن الاقتصاص ويكون انتصابه على انه مصدر

واشتقاقه من قص اثره اذا تبعه (بما اوحينا) بايحائنا (اليك هذا القرآن) يعنى السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر (وان كنت من قبله لمن الغافلين) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (اذ قال يوسف) بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبرى ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بنى للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته (لابيه) يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم وعنه عليه الصلاة والسلام «الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم» (يا ابت) اصله يا ابى فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسروها لانها عوض حرف يناسبها الا ابن عامر ففتحها فى كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقى الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب (انى رأيت) من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تأويل رؤياى من قبل (احد عشر كوكبا والشمس والقمر) روى عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنى يا محمد عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك فهل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها (رأيتهم لى ساجدين) استئناف لبيان حالهم التى رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم

مؤكد ويكون المقصوص محذوفا اكتفاء بدلالة قوله تعالى بما اوحينا اليك هذا القرآن عليه وان كان بمعنى المفعول يكون المعنى احسن المقصوص ويكون منصوبا على انه مفعول به جعل الله تعالى اقتصاص هذه القصة على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم احسن من اقتصاصها على موسى عليه الصلاة والسلام فى التوراة لما روى ان اليهود تفاخروا بان الله تعالى بين لهم قصة يوسف عليه الصلاة والسلام فى التوراة وهى غير مذكورة فى القرآن فنزلت هذه السورة على ابدع طريقة واعجب اسلوب بلغة العرب افصح من لغة اليهود دليلا على افتخارهم على المسلمين وعلى تقدير ان يكون المراد بالقصص المقصوص جعل هذه القصة احسن ما يقص لاشتمالها على الحكم والآيات والعبر التى ليست فى غيرها قال محيى السنة رحمه الله تعالى سمى الله تعالى قصة يوسف عليه الصلاة والسلام احسن القصص لما فيها من العبر والحكم والفوائد التى تصلح للدين والدنيا من سير الملوك والمماليك ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد الاقتدار وغير ذلك من الفوائد ولذلك قيل ان سورة مريم وسورة يوسف عليه الصلاة والسلام يتفكه بهما اهل الجنة وقيل لا يسمع سورة يوسف محزون الا استروح اليها ثم الظاهر انه ليس المراد ان قصته عليه الصلاة والسلام احسن الاقاصيص المفيدة لما تضمنته قصة يوسف عليه السلام من الفوائد كمعرفة سير الملوك والمماليك ومكر النساء وغيرها مما ذكر آنفا

﴿قوله واشتقاقه﴾ ليس المراد ان القصص مع انه مصدر ومأخذ لما يشتق منه من المشتقات مشتق من قص اثره اذا تبعه لان الاشتقاق باى معنى كان انما يتحقق اذا اتحد المشتق منه والمشتق فى اصل المعنى المصدرى النسبى الذى هو مدلول جوهر الحروف ولم يختلفا الا بمفهوم الصيغة وهيئة ترتب الحروف والقصص بمعنى الحكاية والرواية ليس بمشتق فضلا على ان يتحد معنى قصه بمعنى تبعه بل المراد من الاشتقاق النقل المبنى على المناسبة بين المعنى الاصلى المنقول منه والمعنى المنقول اليه يعنى كلامه ان المعنى الاصلى للقصص هو الاتباع قال الله تعالى وقالت لاخته قصيه ثم نقل الى قص الحديث اى حكاه ورواه وذلك لان حاكى الحديث يتبع ما حفظه شيئا فشيئا كما ان المعنى الاصلى للتلاوة هو الاتباع ثم نقلت الى معنى القرآءة لان القارئ يتلو اى يتبع ما حفظه شيئا فشيئا وقيل القصص اتباع الخبر بعضه بعضا والباء فى قوله تعالى بما اوحينا اليك متعلقة بنقص وما مصدرية والمعنى نقص عليك بوحينا اليك هذا القرآن وضمير من قبله يرجع الى الايحاء او القرآن ﴿قوله ان جعل مفعولا﴾ اى ان جعل احسن القصص بمعنى احسن ما يقص من المقصوص جاز ان يكون وقت قول يوسف بدلا منه لان المقصوص هو قول يوسف عليه الصلاة والسلام ووقته مشتمل عليه اشتمال الظرف على المظروف واما اذا كان المراد احسن الاقتصاص فلا يجوز الابدال حينئذ بل يتعين تقدير اذكر لان الاقتصاص انما هو فى زمان الوحى الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وزمان يوسف عليه الصلاة والسلام غير مشتمل على ذلك الاقتصاص ﴿قوله على التلعب به﴾ فان العرب اذا عربت ما ليس بعربى يعبرون بانواع التعبير فيصيرون بذلك كانهم يتلعبون به فمفتوح السين وان كان على وزن المضارع المبنى للمفعول ومكسور السين على وزن المضارع المبنى للفاعل من آسف وكان ينبغى ان لا ينصرف لوزن الفعل والتعريف الا انه لما لم ينصرف على القرآءة المشهورة للعجمة والتعريف تعين اعتبار عجمته على غير المشهورة لئلا يلزم كون اللفظ عربيا تارة واعجميا اخرى ﴿قوله لتناسبهما فى الزيادة﴾ اى لتناسب ياء الاضافة وتاء التأنيث من حيث كون كل واحدة منهما زيادة ملحقة بآخر الاسم ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكونها تاء التأنيث قلبت هاء ولو كانت اصلية لبقيت تاء خالصة فى الوقف كتاء ضربت وآيات فى الوقف ولكونها عوضا عن ياء الاضافة لا يجوز الجمع بينهما الا ضرورة كقوله

فيا ابتى لا زلت فينا بقائم ○ لنا املا فى العيش مادمت عائشا

فان قلت كيف جاز الحاق تاء التأنيث بالمذكر اجيب بانه كثيرا ما يوصف المذكر بما فيه تاء التأنيث نحو غلام يفعة ورجل ربعة ويقال حمامة ذكر وشاة ذكر الربعة بسكون الباء مربوع الخلق لا قصير ولا طويل واليفعة بفتح الفاء والعين مرتفع القامة واليفاع ما ارتفع من الارض وايفع الغلام اى ارتفع من الارض وهو يافع ولا يقال موفع وهو من النوادر وغلام يفع ويفعة ايضا ﴿قوله الا ابن عامر﴾ استثناء من فاعل كسروها يعنى ان ابن عامر فتح التاء فى يا ابت حيث وقع فى القرآن لتدل الفتحة على حركة ياء الاضافة التى هى اصلها فان ياء الاضافة حقها ان تكون مفتوحة فالعوض لا بد ان يأخذ حكم المعوض عنه فلذلك حركت التاء بحركة اصلها فان يا الاضافة

اسم و الاسماء حقها التحريك فى الاصالة لاصالتها فى الاعراب الا انها اسكنت للتخفيف لانها حرف لين بخلاف الياء فانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم ﴿قوله وقرأ حفص هنا وفى الصافات بفتح الياء﴾ على ان اصلها يابنيا الذى اصله يابنى ابدلت ياء الاضافة الفا كما قيل فى ياغلامى ياغلاماه على ان الالف والفتحة اخف من الياء والكسرة وقرأ الباقون يابنى بحذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة كما قيل ياغلام فى ياغلامى فان ابن يصغر على بنى فاذا اضيف الى ياء المتكلم قيل يابنى وقد نبهنا على ذلك مفصلا فى اوآئل سورة هود عليه الصلاة والسلام وقرئ بالضم لانه نداء مفرد معرفة ﴿قوله ثم ان المتخيلة تحاكيه﴾ اى تشابه ماتصوّر به النفس من المعنى الذى استفادته من عالم الملكوت بصورة تناسبه قال الجوهرى رحمه الله تعالى يقال حكيت فعله وحاكيته اذا فعلت مثل فعله والمحاكاة المشابهة يقال فلان يحكى الشمس حسنا اى يشابهها فى الحسن ويحاكيها بمعنى ثم اذا كانت الصورة المخيلة شديدة المناسبة لذلك المعنى الكلى استغنت الرؤيا عن التعبير فانه عليه الصلاة والسلام رأى سجود الكواكب والشمس والقمر فاحتاج الى التعبير حيث اوّلت الكواكب باخوته حيث كانوا رجالا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم واوّلت الشمس بامه والقمر بابيه لان الشمس مؤنثة والقمر مذكر وقيل الشمس ابوه والقمر امه قاله قتادة رضى الله عنه وقال السدى رحمه الله القمر خالته لانّ الام راحيل كانت قدماتت وهى لاتحتاج الى التعبير وخرجت على عين مارأى يوسف عليه الصلاة والسلام كرؤية ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى المنام ذبح الولد فخرج الولد على الكبش وخرج الذبح على عينه فان يوسف عليه الصلاة والسلام رآهم يسجدون له اما بحقيقة السجود او بتواضعهم له ودخولهم تحت امره فخرج الامر على عين مارأى ولفظ السجود كما يطلق على وضع الجبهة على الارض سوآء كان على وجه التعظيم والاكرام او على وجه العبادة يطلق ايضا على التواضع والخضوع كما قال الشاعر * ترى الاكم فيها سجدا للحوافر * ﴿قوله وانما عدّى كاد باللام وهو متعدّ بنفسه﴾ كما فى قوله تعالى فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون فعلى هذا الظاهر ان يقال فيكيدوك الا انه عدّى باللام لتضمنه معنى فعل يتعدّى باللام كانه قيل فيكيدوك محتالين لك او فيحتالوا لك ادبن والنكتة فى اعتبار التضمين ان يفيد تأكيد التخويف وتقويته بان يفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وابلغ فى التخويف ولكون المقام مقام التأكيد وكونه المقصود اكد بمصدره والكيد الاحتيال للاغتيال وهو طلب ايصال الشر الى الغير وهو غير عالم به ﴿قوله وكما اجتباك﴾ اى مثل اجتبائك واختيارك واصطفائك من بين اخوتك لهذه الرؤيا على ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف والمعنى يجتبيك اجتباء مثل ذلك الاجتباء العظيم وجباية الشئ لنفسك عبارة عن الاختيار والاصطفاء وكان يعقوب قصد بهذا الكلام ان يعبر رؤياه الدالة على شرف وعز وكمال نفس فذكر ثلاثة امور الاوّل اجتباؤه لامر عظيم غير اجتبائه لهذه الرؤيا والثانى ان يعلمه تأويل الاحاديث والثالث ان يتم نعمته عليه ولم يجعل التعليم مشبها باجتبائه لرؤيا الشريفة لفقدان المناسبة الداعية الى التشبيه اذهو مانع من حمل الكلام على التشبيه ﴿قوله من تعبير الرؤيا﴾ هكذا اخبار اتهمن النسخ والظاهر من تعبير الرؤى على انه جمع الرؤيا لان المقصود تفسير التأويل بالتعبير وتفسير الاحاديث بالرؤى والجمع لايفسر بالمفرد وقوله لانها احاديث علة لاطلاق لفظ الاحاديث على الرؤيا وقد ورد فى كتب الاحاديث ان الرؤيا ثلاث حديث النفس وتخويف الشيطان وبشرى من الله تعالى يقال عبرت الرؤيا اعبرها عبارة فسرتها وكذا عبرت الرؤيا تعبيرا وكان يوسف عليه الصلاة والسلام اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ﴿قوله اومن تأويل غوامض كتب الله تعالى الخ﴾ عطف على قوله من تعبير الرؤيا فعلى هذا فى الكلام اشارة الى ان العلم اجل النعم وان اشرف العلوم تأويل كتب الله تعالى وتفسير سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام نقل عن الراغب ان التأويل من الاوّل وهو الرجوع الى الاصل ومنه الموئل للموضع الذى يرجع اليه فالتأويل ردّ الشئ الى الغاية المرادة منه علما كان او فعلا فالاوّل كقوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والثانى كقوله تعالى هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله اى بيانه الذى هو غايته المقصودة منه ﴿قوله وهو اسم جمع الحديث﴾ ولم يجعله جمعا للحديث لان فعيلا لايجمع على افاعيل بل يجمع على فعل نحو قبيل وقبل وعلى افعلة نحو قفيز واقفزة وفعلان نحو قفيز وقفزان وعلى افعلاء نحو نبى وانبياء وعلى فعلاء نحو شهيد وشهدآء وعلى فعال نحو كريم وكرام وعلى افعال نحو شريف واشراف فنحو الاطيع والاحاديث ينبغى ان يجعل اسم جمع حديث وقطيع قال صاحب الكشاف عفا الله عنه فى سورة المؤمن الاحاديث تكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله

(قال يابنى) تصغير ابن صغره للشفقة اولصغر السن لانه كان ابن ثنتى عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفى الصافات بفتح الياء (لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوّقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون فى النوم ففرق بينهما بحرف التأنيث كالقربة والقربى وهى انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لمابينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصوّر بماقيها مما يليق من المعانى الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لايكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والااحتاجت اليه وانما عدّى كاد باللام وهو متعدّ بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدّى به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلله بقوله (ان الشيطان للانسان عدوّ مبين) ظاهر العداوة كما فعل بآدم عليه السلام وحوّآء فلايألو جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد (وكذلك) اى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس (يجتبيك ربك) للنبوّة والملك اولامور عظام والاجتباء من جبيت الشئ اذاحصلته لنفسك (ويعلمك) كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة اومن تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع لباطل

صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا للاحدوثة الذي هو مثل الاضحوكة والاعجوبة ولا يصح ان يجعل جمع احدوثة في الآية لانها عبارة عما يحدث به الناس تلهيا وتعجبا بحيث يتعجب منه ويضحك لانه يقال احاديث النبي ومن الممتنع ان يطلق على الكلام النبوي احدوثة وقيل انه جمع لواحد غير ملفوظ به كأنهم جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع ﴿قوله ويتم نعمته عليك بالنبوة﴾ مبني على ان يحمل الاجتباء في قوله تعالى يجتبيك ربك على الاجتباء للامور العظام والدرجات العالية اذ لو حمل على الاجتباء للنبوة وفسر اتمام النعمة ههنا ايضا بالنبوة لزم التكرار وقوله او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة مبني على ان يحمل الاجتباء هناك للنبوة فان من اتم الله تعالى عليه بالنبوة والملك ثم اوصله في العقبى الى الدرجات العلى فقد اتم نعمته عليه فان اعز المناصب واجلها واكملها واتم النعم في حق البشر ليس الا النبوة وكل ماسواها فهي ناقصة بالنسبة اليها وقوله عليك يجوز ان يتعلق بيتم وان يتعلق بنعمته وكرر على في قوله تعالى وعلى آل لئلا يكون العطف على الضمير المجرور قال ابن الحاجب واذا عطف على الضمير المجرور اعيد الخافض مثل مررت به وبزيد والآل وان كان اصله اهل الا انه فرق في الاستعمال بان الآل لا يستعمل الا في الاشراف يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولا آل الحائك بخلاف الاهل فانه يقال اهل الحجام ونحوه والنسل الولد ذكرا كان او انثى والآل وان كان بمعنى الاهل والاتباع من الاولاد وغيرهم الا انه حمله اولا على المختصين بالنبوة منهم حيث قال يريد به سائر بنيه بناء على ان المراد من تمام النعمة النبوة ثم حمله على النسل لانهم يعمهم في الدارين ﴿قوله وقيل على ابراهيم بالخلة الخ﴾ فعلى هذا يكون المراد من اتمام النعمة في حق يوسف عليه الصلاة والسلام تخليصه مما وجد اليه من المحن ليصح تشبيه ابويه به في انعامه تعالى على احدهما بانجائه من النار وعلى الآخر بتخليصه من الذبح ولا يخفى ان حمل اتمام النعمة في حقه عليه الصلاة والسلام على تخليصه من المحن لا يخلو عن بعد والظاهر ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قاطعا بحصول هذه البشارات التي بشر بها في غربته وخوفه عليه من حسد اخوته وكيدهم اياه ليس خوفا من اهلاكهم اياه حقيقة بل هو خوفه من اضرارهم بما يسوءه ويسلب عنه حضوره وقوله عليه الصلاة والسلام لهم اخاف ان يأكله الذئب عبارة عن تهاونهم في حفظه لان يعقوب وعيصا كانا توأمين فاقتتلا في بطن امهما حيث اراد يعقوب عليه الصلاة والسلام ان يخرج فمنعه العيص وقال لئن خرجت من قبلي لاعترضن في بطن امي فاقتلها فتأخر يعقوب فخرج عيص فاخذ يعقوب بعقب عيص فخرج بعده فلهذا سمي به وسمي الآخر عيصا لما عصى وخرج قبل يعقوب عليهما الصلاة والسلام وكان عيص احبهما الى ابيه وكان يعقوب احبهما الى امه وكان عيص صاحب صيد وكان يعقوب صاحب غنم فلما كبر اسحق عليه الصلاة والسلام وعمي قال للعيص يا بني اطعمني لحم صيد واقترب مني ادع لك بدعاء دعا لي ابي به وكان عيص رجلا اشعر وكان يعقوب اجرد فخرج عيص لطلب صيد فقالت امه ليعقوب يا بني اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة ثم اشوها والبس جلدها وقدمها الى ابيك وقل انا ابنك عيص ففعل ذلك يعقوب فلما جاء يعقوب بالشواء قال يا ابتاه كل قال من انت قال ابنك عيص فقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت امه هو ابنك عيص فادع له قال قدم طعامك فقدمه فأكل ثم قال ادن مني فدنا منه فدعا له ان يجعل الله تعالى في ذريته الانبياء والملوك فذهب يعقوب وجاء عيص فقال قد جئتك بالذي اردت فقال اسحق يا بني قد سبقك اخوك فغضب فقال والله لاقتلنه فقال اسحق عليه الصلاة والسلام يا بني قد بقيت لك دعوة فهلم ادع لك بها فدعا له ان يجعل الله تعالى ذريته عدد التراب وان لا يملكهم احد غيرهم فقالت ام يعقوب عليه الصلاة والسلام ليعقوب الحق بخالك مخافة ان يقتله عيص فانطلق الى خاله ليان ناهين وكان مع خال يعقوب عليه الصلاة والسلام بنتان احداهما ليا وقيل لاوى وهي اكبرهما والاخرى راحيل وهي اصغرهما فطلب يعقوب من خاله ان يزوجه احداهما فقال هل لك مال قال لا ولكن اعمل لك قال نعم صداقها ان ترعى لي سبع سنين فقال اخدمك سبع سنين على ان تزوجني راحيل فقال ذلك بيني وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فزوجه الكبرى وهي ليا فقال له يعقوب انك خدعتني انما اردت راحيل فقال له خاله انا لا ننكح الصغيرة قبل الكبيرة فهلم فاعمل سبع سنين اخر فازوجك اختها وكان الناس يجمعون بين الاختين الى ان بعث الله موسى عليه الصلاة والسلام فرعى له سبع سنين اخر فزوجه راحيل فجمع بينهما وكان خاله حين جهزهما دفع الى كل واحدة منهما امة تخدمها اسم احداهما زلفة واسم الاخرى بلهة فوهبتا الامتين ليعقوب عليه الصلاة والسلام فولدت ليا اربعة بنين

(ويتم نعمته عليك) بالنبوة اي بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة (وعلى آل يعقوب) يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله (كما اتمها على ابويك) بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم (من قبل) اي من قبلك او من قبل هذا الوقت (ابراهيم واسحق) عطف بيان لابويك (ان ربك عليم) بمن يستحق الاجتباء (حكيم) يفعل الاشياء على ما ينبغي

(لقدكان فى يوسف واخوته) اى فى قصتهم (آيات) دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوّتك وقرأ ابن كثير آية (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته
علاته العشرة وهم يهودا وروبيل وشمعون ولاوى وربالون ويشجر ودينة من بنت خالته

ليا زوّجها يعقوب اوّلا فلما توفيت تزوّج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالى وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة (اذقالوا ليوسف واخوه) بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوّة من الطرفين (احب الى ابينا منا) وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب فى المحلى جائز فى المضاف (ونحن عصبة) والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فما فوقها سموا بذلك لان الامور تعصب بهم (ان ابانا لفى ضلال مبين) لتفضيله المفضول او لترك التعديل فى المحبة روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له (اقتلوا يوسف) من جملة المحكى بعد قوله اذقالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون اودان ورضى به الآخرون (او اطرحوه ارضا) منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة (يخل لكم وجه ابيكم) جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم فى محبته احد (وتكونوا) جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان (من بعده) من بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه (قوما صالحين) تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين فى امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم (قال قائل منهم) يعنى يهودا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل (لا تقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (والقوه فى غيابة الجب) فى قعره سمى به لغيبوبته عن اعين الناظرين وقرأ نافع فى غيابات الجب فى الموضعين على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد (يلتقطه) يأخذه (بعض السيارة) بعض الذين يسيرون فى الارض (ان كنتم فاعلين) بمشورتى او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه (قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف) لم تخافنا عليه (وانا له لناصحون) ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رأيه فى حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهورة تأمنا بالادغام باشمام

ولدت راحيل ابنين وولدت كل واحدة من الامتين ثلاثة بنين فصار بنوه اثنى عشر ابنا سوى البنات قيل ان اسماء اولاد يعقوب مبينة فى التوراة روبيل وشمعون ويهودا ولاوى من امرأته ليا ويوسف وبنيامين من امرأته راحيل والستة الباقون من الامتين يشجر وربالون ودينة ودان ونفتالى وجاد عليهم الصلاة والسلام فاراد يعقوب عليه الصلاة والسلام ان يخرج الى البيت المقدس ولم يكن له نفقة وكان ليوسف خالة لها اصنام من ذهب فقالت ليا ليوسف اذهب واسترق منه صنما من اصنامه فلعلنا نستنفق منه فذهب يوسف واخذه وكان يوسف اعطف على ابيه وكان احب الاولاد اليه فحسده اخوته لما رأوا من حب ابيه له وكان رأى يوسف فى المنام الى آخر القصة ﴿قوله لقد كان فى يوسف واخوته اى فى قصتهم آيات﴾ لمن سأل عنها دالة على كمال قدرة الله تعالى وحكمته فان من سأل عنها وان لم يحصل له بمجرد سؤاله ما يدل على كمال القدرة والحكمة لكن يحصل له ذلك اذا علم ذلك اى القصص بسبب تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة عليه فانه يظهر له حينئذ ان كبار اولاد يعقوب عليهم الصلاة والسلام بعد ان اتفقوا على اذلال اصغر اولاده وفعلوا به ما فعلوا اذا اصطفاه الله تعالى للنبوّة والملك وجعلهم خاضعين له منقادين لحكمه وان وبال حسدهم له قد انقلب عليهم وهذا من اجل الدلائل الدالة على قدرته تعالى وحكمته وايضا يحصل لذلك السائل بسبب تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة عليه وبيان ما فيها من قصتهم على وجه صحيح موافق لما فى الكتب المتقدمة من غير سماعه من احد ولا قراءة كتاب دلائل دلت عليه اى دالة على صدقه فى دعوى النبوّة ومن قرأ آيات على لفظ الجمع نظر الى ان امور يوسف عليه الصلاة والسلام كانت كثيرة وكل واحدة منها آية بنفسها ومن قرأ بلفظ الافراد نظر الى ان اسم الجنس يتناول الواحد والمتعدد ﴿قوله لتفضيله المفضول او لترك التعديل فى المحبة﴾ كأنه اشار الى جواب ما يقال انهم كيف نسبوا اباهم المكرم بكرامة النبوّة الى الضلال المبين ومن بالغ فى ذم الرسول صلى الله عليه وسلم وطعنه فقد كفر لاسيما اذا كان الطاعن ولده فان هتك حرمة الابوة والنبوة افحش من هتك احدى الحرمتين فقط وتقرير الجواب ان مرادهم بما نسبوا اليه من الضلال عن رعاية مصالح الدنيا والبعد عن طريق الرشد والصواب فيما يتعلق بها مع ان تضليلهم اياه فى مجرد ترك التعديل فى المحبة ليس تضليلا فى الحقيقة لان المحبة ليست من الامور الاختيارية فان قيل ان الحسد من امهات الكبائر لاسيما وقد اقدموا بسبب ذلك الحسد على تضييع ذلك الاخ الصالح والقائه فى ذل العبودية وتبعيده من الاب المشفق والقاء ابيهم فى الحزن الدائم وارتكابهم الكذب الصريح وبالجملة فما بقيت خصلة مذمومة الا وقد اتوا بها وكل ذلك ينافى العصمة والنبوّة اجاب الامام رحمه الله تعالى بقوله الامر كما ذكرتم الا ان الامر المعتبر عندنا عصمة الانبياء فى وقت حصول النبوّة فاما قبلها فذلك غير واجب ﴿قوله ولذلك نصبت كالظروف المبهمة﴾ يعنى ان قوله ارضا منصوب على انه ظرف مكان وظرف المكان انما ينصب بتقدير فى اذا كان مبهما غير محدود ولفظ ارضا لما كان نكرة غير موصوفة بصفة كان مبهما وتنكيرها فى حكم توصيفها بكونها مجهولة بعيدة من العمران ومن ارض ابيه فازداد بذلك ابهاما فان قيل المعلوم ان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يخل من الكون فى ارض فتبين انهم ارادوا ارضا بعيدة غير التى هو فيها ومثل هذا المكان لا يتعدى اليه الا بواسطة فى فلابد ان يكون انتصابه مبنيا على اسقاط الخافض كما فى قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم فالجواب ان الظرف المبهم عبارة عما ليس له حدود تحصره ولا اقطار تحويه وارضا فى الآية الكريمة من هذا القبيل قال ابن الحاجب رحمه الله فى الكافية وفسر المبهم بالجهات الست وحمل عليه عند ولدى وشبههما منه لابهامهما ولفظ مكان لكثرته بما بعده نحو الدار فى الاصح ﴿قوله وقرئ غيبة﴾ بالفتحات المتوالية اما على انه مصدر كالغلبة او على انه جمع غائب نحو ناصر ونصرة وقيل هو فى مصحف ابىّ رضى الله عنه غيبة بسكون الياء قيل الغيابة تكون فى قعر الجب لان اسفله واسع ورأسه ضيق فلا يكاد الناظر يرى ما فى جوانبه والجب البئر التى لم تطو سميت جبا لانه ليس فيها غير جب الارض وقطعها ومفعول فاعلين محذوف اى فاعلين برأيى ومشورتى او فاعلين ما يحصل به غرضكم من تبعيد يوسف عن ابيه عليهما الصلاة والسلام والسيارة جمع سيار وهو بناء المبالغة والالتقاط تناول الشئ المطروح ومنه اللقطة ﴿قوله ارادوا به استنزاله عن رأيه فى حفظه منهم﴾ فان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان يخافهم على يوسف عليه الصلاة والسلام ويحفظه منهم لما تنسم من حسدهم اى وجد نسيم حسدهم وريحه ثم انه لما احكموا العزم على تبعيد يوسف عليه الصلاة والسلام من ابيه اما بالقتل او بالتغريب الى ارض يحصل به

وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتئمنا بكسر التاء (ارسله معنا غدا) الى الصحرآء (نرتع) نتسع فى اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهى الخصب (ونلعب) بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفى يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء (وانا له لحافظون) ان يناله مكروه (قال انى ليحزننى ان تذهبوا به) لشدة مفارقته على وقلة صبرى عنه (واخاف ان يأكله الذئب) لأن الارض كانت مذأبة وقيل رأى فى المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع فى رواية قالون وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر درجا ووقفا وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة (وانتم عنه غافلون) لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه (قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة) اللام موطئة للقسم وجوابه (انا اذا لخاسرون) ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو فى ونحن للحال (فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب) وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به مافعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى الصحرآء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهودا اما عاهدتمونى ان لاتقتلوه فأتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤانسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وكان فيها ماء فسقط ثم أوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكى فجاءه جبرآئيل بالوحى كما قال (واوحينا اليه) وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحى اليه فى صغره كما اوحى الى يحيى وعيسى عليهم السلام وفى القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القى فى النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله فى تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل عليه السلام فالبسه

البأس من اجتماعه مع ابيه ذكروا هذا الكلام لابيه وقالوا لم تخافنا عليه ونحن نحبه ونريد الخير له وقولهم لاتأمنا حال من الكاف والمشهور تأمنا بادغام النون الاولى فى الثانية واشمامها الضم ومرادهم بالادغام بطريق الاشمام ان لاتدغم احدى النونين فى الاخرى ادغاما صحيحا بل تفصل احدى النونين من الاخرى بحيث يكون شبيها بالاظهار لكن ليس باظهار حقيقة كما انه ليس بادغام صحيح ومثله يسمى اخفاء وهو عبارة من تضعيف الصوت بالحركة والفصل بين المدغم والمدغم فيه لاان يسكن الحرف المدغم رأسا بل تختلس حركته فيقرأ تأمنا بفتح الميم واختلاس ضمة النون الاولى ليدل على ان الفعل مرفوع قال ابو عمرو الدانى فى التيسير كلهم قرأوا مالك لاتأمنا بادغام النون فى الثانية واشمامها الضم وحقيقة الاشمام فى ذلك ان يشار بالحركة الى النون لابالعضو اليها فيكون ذلك اخفاء لاادغاما صحيحا لان الحركة لاتسكن رأسا بل يضعف الصوت فيفصل بين المدغم والمدغم فيه كذلك وهذا قول عامة أئمتنا وقرأ بعضهم ذلك بالاشمام بمعنى آخر وهو ان يهيأ الشفتان لتلفظ الضمة ليدل على اعراب النون المدغمة بالضمة مع الادغام الصريح وفيه عسر كثير قالوا وتكون الاشارة الى الضمة بعد الادغام او قبل كماله والاشمام يقع بازآء معان وهذا من جملتها وقرئ بالادغام الصريح من غير اشمام وقرأ الحسن ذلك بالاظهار مبالغة فى اعراب الفعل والمحافظة على حركة الاعراب ﴿قوله نلعب بالاستباق والانتضال﴾ روى انه قيل لابى عمرو كيف يقولون نلعب وهم انبياء عليهم الصلاة والسلام فقال رحمه الله تعالى لم يكونوا يومئذ انبياء ويجوز ان يكون اللعب المراد منه الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر كما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لجابر رضى الله عنه «فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك» وايضا كان لعبهم الاستباق مما يكون الغرض منه تعلم المحاربة مع الكفار ويدل عليه قولهم انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه فى صورة اللعب ﴿قوله وقرأ ابن كثير نرتع﴾ بالنون وكسر العين ويلعب بالياء اسندوا الارتعاء الى انفسهم لانهم كبار بالغون واضافوا اللعب الى يوسف لصغره عليهم الصلاة والسلام والارتعاء افتعال من رعى البعير الكلأ فان رعى وارتعى بمعنى اكل وارعى الله الماشية اى انبت لها ماترعاه اى ماتأكله والارتعاء فعل المواشى الا انهم اسندوه الى انفسهم لانهم هم السبب فى ارتعائها وقرأ نافع كلاهما بالياء وكسر العين على اسناد كل واحد من الارتعاء واللعب الى يوسف عليه الصلاة والسلام بمعنى انه يباشر رعى الابل تارة ليتدرب بذلك ويباشر اللعب اخرى لينشرح صدره وقرأ الكوفيون كلاهما بالياء وسكون العين من الرتع لا من الرعى يقال رتعت الماشية ترتع رتوعا اى اكلت ماشاءت وتوسعت وقرئ يرتع بضم الياء من ارتع وقرئ نرتع بكسر العين من ارتعى ورفع يلعب على الاستئناف اى هو من يلعب ﴿قوله ان تذهبوا﴾ فاعل يحزننى اى يحزننى ذهابكم «فان قيل كيف جاز وقوعه فاعلاله وهو مستقبل لاقترانه بحرف الاستقبال وليحزننى فعل حالى بناء على ماصرح به النحاة رحمهم الله من ان لام الابتداء الداخلة على المضارع من القرآئن المخصصة للحال وكون ليحزننى حالا يستلزم تحقق الفعل قبل تحقق فاعله «اجيب عن ذلك بان الفاعل محذوف والتقدير ليحزننى تصور ذهابكم وتوهمه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والتصور موجود فى الحال فزال الاشكال ﴿قوله واشتقاقه من تذاءبت الريح﴾ نقل عن الاصمعى انه قال قولهم تذاءبت الريح مأخوذة من فعل الذئب لانه يأتى كذلك والمعنى ان الريح اتت كما يأتى الذئب فيكون تذاءبت الريح مأخوذا من الذئب وقد عكس المصنف تبعا للزمخشرى ﴿قوله ضعفاء مغبونون﴾ لما كان حقيقة الخسران والغبن غير مرادهنا وكانت منبئة عن العجز والضعف جعل الخسران عبارة عن الضعف المؤدى الى الغبن والخسران فى عقد المعاوضة او عن استحقاق الدعاء بالهلاك ﴿قوله وجواب لما محذوف﴾ اى وفى الآية محذوف آخر وتقديره قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فاذن له وارسله معهم وقوله فلما ذهبوا به متصل بهذا المحذوف روى ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما القى فى الجب قال ياشاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لى من امرى هذا فرجا ومخرجا وروى اجعل لى فرجا مما انا فيه فبات فيه قال الحسن رضى الله تعالى عنه القى يوسف عليه الصلاة والسلام فى الجب وهو ابن اثنتى عشرة سنة ولقى اباه بعد ثمانين سنة وقيل ويوسف عليه الصلاة والسلام ابن سبع عشرة سنة وروى ان هوام البئر قال بعضها لبعض لاتخرجن من مساكنكن فان نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام نزل بساحتكن فانجحرت الا الافاعى فانها قصدت يوسف عليه الصلاة والسلام فصاح بها جبريل عليه السلام فصمت وبقى الصمم فى نسلها وعلم جبريل عليه الصلاة والسلام يوسف

اياه (لتنبئنهم بامرهم هذا) لتحدثنهم بما فعلوا بك (وهم لايشعرون) انك يوسف لعلوّ شأنك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ماقال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لايشعرون متصل باوحينا اى آنسناه بالوحى وهم لايشعرون ذلك (وجاؤا اباهم عشاء) اى آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشيّ وعشي بالضم والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكاء (يبكون) متباكين روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يا بنيّ واين يوسف (قالوا ياابانا انا ذهبنا نستبق) نتسابق فى العدو اوفى الرمى وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما انت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف (وجاؤا على قميصه بدم كذب) اى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اى كدر او طرى وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه فى موضع النصب على الظرف اى فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوّز تقديمها على المجرور روى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فأخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال مارأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه ولذلك (قال بل سوّلت لكم انفسكم امرا) اى سهلت لكم انفسكم وهونت فى اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء (فصبر جميل) اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر الجميل الذى لاشكوى فيه اى الى الخلق (والله المستعان على ماتصفون) على احتمال ماتصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح (وجاءت سيارة) رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجبّ وكان ذلك بعد ثلاثة ايام من القائه فيه (فارسلوا واردهم) الذى يرد الماء ويستقى لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى (فادلى دلوه) فارسلها فى الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه (قال يابشرى هذا غلام) نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كأنه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يابشراى بالاضافة وقرئ يابشرىّ بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف (وأسرّوه) اى الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل أخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك لان يهودا كان يأتيه بالطعام كل يوم فأتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه (بضاعة) نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه مابضع من المال للتجارة

عليه الصلاة والسلام هذا الدعاء اللهم ياكاشف كل كربة ويامجيب كل دعوة ويا جابر كل كسير ويا ميسر كل عسير وياصاحب كل غريب ويامؤنس كل وحيد يا لااله الا الله لااله الا انت سبحانك اسألك ان تجعل لى فرجا ومخرجا وان تقذف حبك فى قلبى حتى لايكون لى هم ولاذكر غيرك وان تحفظنى وترحمنى ياارحم الراحمين قال طائفة عظيمة من المحققين ان المراد من الوحى المذكور بقوله تعالى واوحينا اليه وحى النبوّة والرسالة وقيل المراد منه الالهام كما فى قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اوحى الله تعالى الى يوسف عليه الصلاة والسلام تقوية لقلبه فى البئر لتصدقنّ رؤياك ولتخبرنّ اخوتك بصنعهم هذا بعد اليوم وهم لايشعرون بانك يوسف فى وقت اخبارك اياهم بامرهم وهو قوله لهم هل علمتم مافعلتم بيوسف روى انهم حين دخلوا عليه لطلب الحنطة وعرفهم وهم له منكرون دعا بالصاع فوضعه على يده ثم نقره فطنّ فقال عليه الصلاة والسلام ان هذا الجام ليخبرنى انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف فطرحتموه فى البئر وقلتم لابيكم اكله الذئب ﴿قوله وقيل وهم لايشعرون﴾ اى بايحائنا اليه والفائدة فى اخفاء الايحاء عنهم انهم لو عرفوه فربما ازداد حسدهم فكانوا يقصدون قتله والاحتمال الاول كونه حالا من فاعل لتنبئنهم او من مفعوله اى تخبرهم وهم لايعرفونك لبعد المدة وتغير الاحوال واذا حمل الكلام على هذا الاحتمال كان هذا امرا من الله تعالى ليوسف عليه الصلاة والسلام بان يستر نفسه عن ابيه طول تلك المدة مع تمكنه من وجود ابيه خوفا من مخالفة امر الله تعالى ولعله تعالى قضى على يعقوب ان وصل اليه تلك الغموم الشديدة والهموم العظيمة ليصبر على مرارتها ويكثر رجوعه اليه تعالى وينقطع تعلق فكره عن الدنيا فيصل الى درجة عالية لايمكن الوصول اليها الا بتحمل المحن العظيمة ﴿قوله آخر النهار﴾ فان العشاء آخر النهار الى نصف الليل وانتصابه على الظرفية اى جاؤا فى هذا الوقت ويكون جملة حالية من فاعل جاؤا اى متباكين وقرئ عشيا بضم العين وفتح الشين على انه تصغير عشيّ نحو اصيل فى اصيل وقرئ عشى بضم العين والقصر على انه جمع اعشى وفيه ضعف لان قدر مايكون فى ذلك اليوم لايعشو منه الانسان ﴿قوله على قميصه﴾ فى محل النصب على انه حال من قوله بدم لانه لو تأخر عنه لكان صفة له فلما تقدم عليه انتصب حالا واختلف النحاة فى جواز تقديم الحال على المجرور قال رحمه الله تعالى فى الكافية ولاتتقدم على العامل المعنوى ولا على المجرور فى الاصح او على انه ظرف بمعنى فوق قميصه وفيه انه لايساعد المعنى على قوله منصوبا على الظرفية بمعنى فوق لان العامل فيه اذا يكون جاؤا وليس الفوق ظرفا لهم بل يستحيل ان يكون ظرفا لهم وعن صاحب التقريب ان كونه ظرفا للمجيئ مع بقاء المعنى المقصود فيه حزازة والحق ان يقال انه حال من جاؤا بتضمينه معنى الاستيلاء اى جاؤا مستولين على قميصه ﴿قوله على اظفار الاحداث﴾ جمع حدث بمعنى الشاب يقال رجل حدث ورجال احداث اى شبان لما كان الكذب بمعنى البياض المذكور يؤثر فى اظافيرهم فيصير كالنقش فيها شبه به الدم اللاصق بالقميص لتأثيره فى القميص كتأثير ذلك البياض فى الاظافير فاطلق اسم الكذب على سبيل الاستعارة التصريحية ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولاجل استدلاله بسلامة القميص على كذبهم فى قولهم اكله الذئب قال اضرابا عن قولهم وابطالا له بل سوّلت لكم انفسكم الى آخر الآيات كأنه قال لهم هل كان يوسف فى هذا القميص حين اكله الذئب قالوا نعم قال كيف وصل اليه ولم يمزق قميصه ولم اعهد ذئبا يبلغ حلمه فى حق مافترسه الى هذا الحد ولو اكله لمزق قميصه فخجلوا فقال بل سوّلت لكم انفسكم امرا عظيما والسول استرخاء ماتحت السرة من البطن ﴿قوله وهذه الجريمة﴾ جواب عما يقال قد مر ان آل يعقوب عليه الصلاة والسلام انبياء فكيف صح لهم ارتكاب مثل هذه الجريمة ﴿قوله وقيل اخفوا امره﴾ اى اخفوا وجدانهم اياه فى الجبّ وقالوا فيما بينهم ان قالوا لكم ماهذا الغلام فان قلنا التقطناه من الجب شاركونا وان قلنا اشتريناه سألونا الشركة فيه فالوجه ان نخفى امره ونقول استبضعناه بعض اهل الماء لنبيعه لهم بمصر والمعنى على الاول اخفوا نفس يوسف ولم يظهروه لسائر الرفقة ﴿قوله واشتقاقه من البضع﴾ وهو القطع يقال بضعت اللحم بضعا قطعته والبضعة القطعة من اللحم قال الراغب البضاعة قطعة وافرة من المال تقتنى للتجارة والبضع فى العدد هو مابين الثلاث الى التسع سمى به لكونه منقطعا من العشرة والمعنى اسرّوه حال ماجعلوه واخفاء امره فى هذا الحال لايليق بالاخوة اذليس مقصودهم تحصيل المال وانما مقصودهم تبعيد يوسف عليه الصلاة والسلام عن ابيه فالاولى ان يسند الاخفاء الى الوارد واصحابه وقوله بضاعة اى حال ماحكموا عليه بانه بضاعة وقوله او صنيع اخوة

(والله عليم بما يعملون) لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم (وشروه) وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته (بثمن بخس) مبخوس لزيفه او نقصانه (دراهم) بدل من الثمن (معدودة) قليلة فانهم كانوا يزنون مابلغ الاوقية ويعدّون مادونها قيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين (وكانوا فيه) في يوسف (من الزاهدين) الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف بينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول (وقال الذي اشتراه من مصر) وهو العزيز الذي كان على خزآئن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليق وقد آمن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وكان ابن ثلاثين وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل ملئه فضة وقيل ذهبا (لامرأته) راعيل او زليخا (اكرمي مثواه) اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده (عسى ان ينفعنا) في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا (او نتخذه ولدا) نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابة استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله تعالى عنهما (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) وكما مكناه محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكناله فيها (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلم اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتاب الله واحكامه فينفذها او يعبر المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل بسنيه (والله غالب على امره) لا يرده شئ او لا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف ارادبه اخوة يوسف شيأ واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده (ولكنّ اكثر الناس لا يعلمون) ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه (ولما بلغ اشده) منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف مابين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدأه بلوغ الحلم (آتيناه حكما) حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس (وعلما) يعني علم تأويل الاحاديث (وكذلك نجزي المحسنين) تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزآء على احسانه في عمله واتقائه

يوسف بابيهم واخيهم حيث جعل الله تعالى مادبروه لابطال حكم مارآه يوسف عليه الصلاة والسلام في المنام سببا لوصوله الى مصر ولتتابع ماجرى عليه من الاحوال الى ان صار ملك مصر وحصل ذلك الذي رآه في النوم ◄ قوله وفي مرجع الضمير ► المرفوع في شروه يعني الوجهان المذكوران في ضمير اسروه ومعناه فقد ذكر ان معناه باعوه قطعا اذلا معنى لاشترائهم وقد التقطوه وان كان ضمير واسروه للاخوة يكون ضمير شروه ايضالهم ويكون الشرآء بمعنى البيع ايضا اذلاوجه لحمله ايضا على الاشترآء ◄ قوله او اشتروه من اخوته ► اي على تقدير ان يكون ضمير اسروه للاخوة يجوز ان يكون الشرآء بمعنى الاشترآء ويكون ضمير شروه للرفقة ◄ قوله مبخوس ► يعني ان البخس مصدر بخسه حقه بخسه اي نقصه والثمن لا يوصف بالمعنى المصدري فلذلك جعله بمعنى المبخوس اما لرداءة عينه او لنقصان وزنه ◄ قوله الراغبين عنه ► فسر الزاهدين به لان الزهد والزهادة عبارة عن قلة الرغبة في الشئ فضمير كانوا ان كان للاخوة فوجهه ظاهر لانهم لم يعرفوا موضعه من الله تعالى ولا كرامته ◄ قوله فهو متعلق بمحذوف بينه الزاهدين ► كقوله تعالى وان احد من المشركين استجارك والتقدير وكانوا من الزاهدين فيه والثاني تأكيد للاول ◄ قوله وهو العلم المؤيد بالعمل ► قال القشيري رحمه الله تعالى ونفعنا به من جملة الحكم الذي آتاه الله تعالى نفوذ حكمه على نفسه حتى غلب شهوته فامتنع عما راودته زليخا عن نفسه ومن لاحكم له على نفسه لم ينفذ حكمه على غيره فالله تعالى في قصة موسى عليه الصلاة والسلام فلما اوحى اليه عند منتهى الاشد والاستوآء وهو اربعون سنة واوحى الى يوسف عند اوله وهو ابن ثماني عشرة سنة وقال الامام نقلا عن الحسن رحمهما الله تعالى انه عليه الصلاة والسلام كان نبيا من الوقت الذي كان فيه قد القي في غيابة الجب لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وكان رسولا من الوقت الذي فيه بلغ اشده لقوله تعالى ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما ثم قال ومنهم من قال انه كان رسولا من الوقت الذي فيه القي في غيابة الجب ثم نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال قال تعالى ولما بلغ اشده اي لما بلغ ثلاثا وثلاثين سنة ثم ذكر اقوال العلماء في تفسير الحكم والعلم فقال اولها ان المراد من الحكم الحكمة العملية والمراد من العلم الحكمة النظرية وذلك لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولا الى الحكمة العملية ثم يترقون منها الى الحكمة النظرية واما اصحاب الافكار والانظار العقلية فانهم يصلون اولا الى الحكمة النظرية ثم ينزلون منها الى الحكمة العملية وطريقة يوسف عليه الصلاة والسلام هي الاولى لانه صبر على البلاء والمكاره والمحن ففتح الله تعالى عليه ابواب المكاشفات والقول الثاني ان الحكم هو النبوة لان النبي يكون حاكما على الخلق والعلم علم الدين والقول الثالث انه يحتمل ان يكون المراد من الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على نفسه الامارة بالسوء مستعلية عليها قاهرة لها ومتى صارت القوة الشهوية والغضبية مقهورة ضعيفة فاضت الانوار القدسية والاضوآء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس فقوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه يعني امرأة العزيز التي كان يوسف عليه الصلاة والسلام في بيتها طلبت منه ان يواقعها والمراودة المطالبة الواقعة بين اثنين بحيث يريد احدهما ان يحمل الآخر على شئ لا يريده الآخر فيجري بينهما بذلك مدافعة وممانعة مأخوذة من الرود وهو الطلب ومعنى عن نفسه اي من اجل نفسه يقال فلان يخاصم عن فلان ويتكلم عن فلان اي من اجله قال الزجاج رحمه الله تعالى راودته اي طالبته بما يريد النساء من الرجال ◄ قوله والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق ► اي لتكثير الفعل او للمبالغة في الاتصاف باصل الفعل نحو طوّف البيت ◄ قوله تعالى هيت لك ► فيه اربع قرآآت للسبعة الاولى هيت لك بفتح الهاء والتاء بينهما ياء ساكنة وهي قرآءة الاكثرين والثانية هيت بفتح الهاء وضم التاء بينهما ياء ساكنة وهي قرآءة ابن كثير والثالثة بكسر الهاء وفتح التاء بينهما ياء ساكنة وهي قرآءة نافع وابن عامر والرابعة هئت بكسر الهاء وكسر التاء بينهما همزة ساكنة وهي قرآءة هشام وفيه ايضا اربع قرآآت في الشواذ هيت بفتح الهاء وكسر التاء بينهما ياء ساكنة وهيت بكسر الهاء وضم التاء بينهما ياء ساكنة ونقل الجوهري عن الاخفش رحمهما الله تعالى انه قال وقرأ بعضهم هئت بكسر الهاء وضم التاء بينهما همزة ساكنة على مثال جئت بمعنى تهيأت لك يقال هئت للامر اهئ هيأة وتهيأت تهيئا بمعنى انتهى كلام الجوهري فصار الجميع ثماني قرآآت وهي على جميع القرآآت اسم فعل الا على قرآءة هئت على وزن جئت فانه على هذه القرآءة فعل ماض مبني للفاعل مسند الى ضمير المتكلم من هاء للامر يهيئ اي

فى منعو ان امره (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) طلبت منه و تمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شئ ومنه الرائد (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة فى الايثاق (وقالت هيت لك) اى اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كأين واللام للتبيين كالتى فى سقياك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهى لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهئ اذا تهيأ وقرئ هيئت وعلى هذا فاللام من صلته (قال معاذ الله) اعوذ بالله معاذا (انه) ان الشأن (ربى احسن مثواى) سيدى قطفير احسن تعهدى اذ قال لك فى اكرمى مثواه فما جزاؤه ان اخونه فى اهله وقيل الضمير لله تعالى اى انه خالق واحسن منزلتى بان عطف على قلبه فلا اعصيه (انه لا يفلح الظالمون) المجازون الحسن بالسيئ وقيل الزناة فان الزنى ظلم على الزانى والمزنى باهله (ولقد همت به وهم بها) قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشئ قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بشئ امضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختيارى وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله (لولا ان رأى برهان ربه) فى قبح الزنى وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها فى حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه السلام وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودى يا يوسف انت مكتوب فى الانبياء وتعمل عمل السفهاء (كذلك) اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنى (انه من عبادنا المخلصين) الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القرآن اذا كان فى اوله الالف واللام اى الذين اخلصوا دينهم لله (واستبقا الباب) اى تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا

(يحتمل)

تهيأ ويحتمل الامران على قرآءة من قرأ بكسر الهاء وضم التاء فانه يحتمل ان يكون حينئذ اسم فعل بنى على الضم كحيث وان يكون فعلا مسندا الى ضمير المتكلم من هاء الرجل يهئ كجاء يجيئ وله حينئذ معنيان احدهما ان يكون بمعنى حسن هيئته والثانى ان يكون بمعنى تهيأ يقال هيئت اى حسنت هيئتى او تهيأت وعلى تقدير كونه اسم فعل يكون من فتح التاء بناها على الفتح تخفيفا نحو اين وكيف ومن ضمها كابن كثير ضمها تشبيها بحيث ومن كسرها فعلى اصل التقاء الساكنين كجير وفتح الهاء وكسرها لغتان وكذا يحتمل الامران على قرآءة هشام هيت بكسر الهاء وفتح التاء اما احتمال كونه اسم فعل فظاهر واما احتمال كونه فعلا مسندا الى ضمير المخاطب فبنى على ان يكون المعنى حسنت هيئتك لانه لا يجوز ان يكون المعنى تهيأت لان الخطاب من المرأة ليوسف عليه الصلاة والسلام وهو لم تهيأ لها بل هى تهيأت له بدليل قوله تعالى وراودته التى هو فى بيتها وقوله تعالى انى لم اخنه بالغيب واللام فى قوله هيت لك متعلقة بمحذوف على سبيل البيان كانها قالت لك اقول اذ الخطاب لك كما فى قوله سقياك ورعياك وهذا على تقدير ان يكون اسم فعل واما على تقدير كونه فعلا فانها حينئذ تتعلق بالفعل المذكور اذ لا حاجة حينئذ الى تقدير شئ * ثم ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام قال يوسف معاذ الله وهو منصوب على انه مصدر فعل محذوف اى اعوذ بالله معاذا يقال عاذ يعوذ عياذا وعياذة ومعاذا وعوذا طلب عليه الصلاة والسلام ان يعيذه من ذلك العمل بان يخلق فيه داعية جاذبة له الى جانب الطاعة وان يزيل عن قلبه داعية المعصية ونظيره ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما وقع بصره على زينب ام المؤمنين رضى الله تعالى عنها وهى تحت زيد قال يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فكان المراد منه تقوية داعية الى الطاعة وازالة داعية المعصية ﴿قوله او مشارفة الهم﴾ عطف على قوله ميل الطبع فان من شارف الاتصاف بوصف يجعل موصوفا به كما فى قوله قتلته لو لم اخف الله فعد نفسه قاتلا لكونه مشارفا له فكذا يوسف عليه الصلاة والسلام لما شارف قلبه ان يقصد مخالطتها قال تعالى فى حقه عليه الصلاة والسلام وهم بها فانه على تقدير تسليم انه شارف ان يهم بها لا نسلم انه عليه الصلاة والسلام قد هم بها والمصنف ضعف ما ذكره المفسرون من ان يوسف عليه الصلاة والسلام هم بهذه المرأة هما صحيحا كما انها همت به حتى حكوا انها استلقت له وقعد هو بين رجليها واخذ يحل تكته فلما رأى البرهان من ربه زال عنه كل ما طرأ عليه من الشهوة واختار ما ذهب اليه المحققون من المفسرين بانه عليه الصلاة والسلام كما انه برئ من ارتكاب نفس الفاحشة والعمل الباطل فهو ايضا برئ من الهم المحرم نقل عن الامام ابى منصور رحمه الله تعالى انه قال اما ما قاله اهل التفسير من انها استلقت له وهو هم بها وحل ازاره وامثال هذا من الخرافات فهذا كله مما لا يحل ان يقال ويدل على فساد ما قالوه وجوه احدها قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام هى راودتنى عن نفسى وثانيها قوله تعالى لنصرف عنه السوء والفحشاء وثالثها قوله تعالى حكاية عنه ايضا ذلك ليعلم انى لم اخنه بالغيب ورابعها قولهن ما علمنا عليه من سوء وخامسها قولها الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه فهذا كله دليل على انه لم يكن منه شئ من ذلك وليس فى ظاهر الآية شئ مما قالوه سوى قوله تعالى وهم بها وله تأويل صحيح وهو انها همت به هم عزم وهم هو بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ﴿قوله لشبق الغلمة﴾ الشبق شدة الغلمة والغلمة بالضم شهوة الضراب وقيل قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه دليل على ان يوسف عليه الصلاة والسلام برئ من الهم المحرم لان قوله تعالى وهم بها جواب لولا قدم عليه فيدل على انتفاء الهم لتحقق الرؤية وطعن الزجاج فى هذا القول من وجهين الاول ان تقديم جواب لولا شاذ غير موجود فى الكلام الفصيح والثانى ان لولا يجاب باللام فلو كان هم بها جواب لولا ان رأى لاقترن باللام بل جواب لولا محذوف لدلالة وهم بها عليه * والجواب عما قاله الزجاج من ان مراد القائل ان الجواب محذوف مدلول عليه بما تقدم واما قوله لو كان هم بها جواب لولا لاقترن باللام فغير لازم لانه متى كان جواب لو ولولا مثبتا جاز فيه الامران اللام وعدمها وان كان الاتيان باللام هو الاكثر ﴿قوله اى مثل ذلك التثبيت﴾ على ان يكون كاف كذلك فى محل النصب بفعل مضمر والثانى على انه مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله لنصرف متعلق بذلك الفعل الناصب للكاف على الاول وبمحذوف آخر على الثانى اى فعلنا ذلك لنصرف ﴿قوله تعالى وقدت﴾ يحتمل ان يكون معطوفا على استبقا ويحتمل ان يكون جملة حالية بتقدير قد وكلمة ما فى قولها ما جزاء يجوز ان تكون نافية وان تكون استفهامية وكلمة من يجوز ان تكون موصولة او نكرة موصوفة والا ان

(والفيا سيدها) وصادفا زوجها (لدى الباب قالت ماجزآء من اراد باهلك سوأ الاان يسجن او عذاب اليم) ايهاما بانها فرّت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغرآءبه انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اىّ شئ جزآؤه الا السجن (قال هى راودتنى عن نفسى) طالبتنى بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب ﴿ ٨١ ﴾ ولو لم تكذب عليه لما قاله (وشهد شاهد من اهلها) قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها وكان صبيا فى المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها (ان كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) لانه يدل على انها قدّت قميصه من قدّامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقدّ جيبه (وان كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين) لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدّته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادّت مؤدّاها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الىّ فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمن علىّ باحسانك امنن عليك باحسانى السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين (فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال انه) اى ان قولك ماجزآء من اراد باهلك سوأ او ان السوء او ان هذا الامر (من كيدكن) من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء (ان كيدكن عظيم) فان كيد النساء الصق واعلق بالقلب واشدّ تأثيرا فى النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة (يوسف) حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث (أعرض عن هذا) اكتمه ولا تذكره (واستغفرى لذنبك) يا راعيل (انك كنت من الخاطئين) من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب (وقال نسوة) هى اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقى ولذلك جرّد فعله وضم النون لغة فيها (فى المدينة) ظرف لقال اى اشعن الحكاية فى مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقى والخباز والسجان وصاحب الدواب (امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه) تطلب مواقعة ق (١١) غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة (قد شغفها حبا) شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا

يسجن خبر المبتدأ وهو ماجزآء ولما كان ان يسجن فى قوة المصدر عطف عليه المصدر وهو قوله او عذاب ﴿ قوله ايهاما ﴾ علة لقولها ذلك وتبرئة علة الايهام وتغييره عطف على تبرئة والتغيير من الغيرة اى اوهمت ذلك ابقاءا لسيدها فى الغيرة على يوسف عليه الصلاة والسلام واغرآءا لسيدها بيوسف كى ينتقم منه ﴿ قوله وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له ﴾ اى لما اشهرت المرأة لاجل يوسف عليه الصلاة والسلام وابرزته الى ان قال ذلك فى حقها ارادة ان يهتك سترها فى اوّل الامر الا انه لما خاف على النفس وعلى العرض اظهر الامر ولو لم تكذب عليه ابتدآء لما اظهره ﴿ قوله قيل ابن عمها ﴾ روى انه كان لها ابن عم وكان رجلا حكيما ذا لحية واتفق فى ذلك الوقت انه كان مع الملك يريد ان يدخل عليها وقال قد سمعت من ورآء الباب صوت شق القميص الا انى لا ادرى ايكما قدام صاحبه فان كان شق القميص من قدامه فانت صادقة والرجل كاذب وان كان من خلفه فالرجل صادق وانت كاذبة فلما نظروا الى القميص ورأوا الشق من خلفه قال ابن عمها انه من كيدكن ويحتمل ان يكون هذا الكلام من قول قطفير زوج المرأة وقيل كان صبيا فى المهد وكان ابن خال المرأة لقوله صلى الله عليه وسلم وشاهد يوسف الخ اما ابن ماشطة فرعون فانه لما اسلمت اخبرت بنت فرعون اباها باسلامها فامر بالقائها والقاء اولادها فى النار فلما بلغت النوبة الى ولدها وكان مرضعا قال اصبرى يا امّاه فانك على الحق وقوله ماشطة فرعون من قبيل اضافة الملابسة واما صاحب جريج فمن قصته انه كان يتعبد فى صومعته فقالت امرأة لافتننه وعرضت عليه نفسها فلم يلتفت اليها فمكنت نفسها من راعى غنم كان يأوى بغنمه الى صومعته فولدت غلاما وقالت انه من جريج فضربوه وخربوا صومعته فصلى جريج وانصرف الى الغلام فطعنه وقال بالله يا غلام من ابوك قال انا ابن الراعى ﴿ قوله والشرطية محكية ﴾ جواب عما يقال كيف جازت حكاية الجملة الشرطية بعد فعل الشهادة لانها تقتضى الادآء والانشاء عدمه فبينهما تناف * واجاب عنه بوجهين الاوّل انها محكية بعد القول المحذوف كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه الخ والثانى ان ذكر فعل الشهادة من قبيل اطلاق لفظ الخاص وارادة العام بناءا على ان الشهادة نوع من القول وقوله وتسميتها شهادة جواب عما يقال كيف يجوز اطلاق الشهادة على ترديد هذه الشرطية مع ان الشهادة فى عرف الشرع عبارة من الاخبار بثبوت حق الغير بلفظ أشهد * واجاب عنه بان قوله وشهد من قبيل الاستعارة التبعية حيث شبه ترديد الشرطية بالشهادة فاطلق عليه اسم الشهادة استعارة اصلية ثم اشتق من الشهادة بالمعنى المجازى لفظ شهد فكان استعارة تبعية ووجه الشبه ان ترديد تلك الشرطية يؤدى مؤدى الشهادة من حيث انه ثبت به قول يوسف عليه الصلاة والسلام وبطل قولها ﴿ قوله والجمع بين ان وكان ﴾ يعنى ان كلمة ان تدل على الاستقبال وكان على المضى فينبغى ان لا يجمع بينهما لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه يعنى ان الشرط وان كان ماضيا بحسب اللفظ لكنه فى تأويل المضارع لان المراد ارشاد العزيز الى ان يتبع الامارة التى تدل على تعيين الصادق وتمييزه من الكاذب وهو نظير قولك ان احسنت الىّ فقد احسنت اليك من قبل لمن يمن عليك باحسانه فان المعنى ان تمن علىّ باحسانك امنن عليك باحسانى السابق وان تعدّ احسانك الىّ فيما مضى فاعدّ احسانى اليك فيه فلما كان الشرط فى تأويل المستقبل ارتفعت المنافاة بينه وبين كلمة ان ﴿ قوله وقرئ من قبل ومن دبر ﴾ قرأهما الجمهور بضمتين وبالجرّ والتنوين بمعنى من خلفه ومن قدّامه اى من خلف القميص ومن قدّامه او من خلف يوسف وقدّامه وقرئ فى الشواذ بثلاث ضمات من غير تنوين وهو مبنى على الضم لانه قطع عن الاضافة والاصل من دبره ومن قبله فلما قطعا عن الاضافة جعلوهما غاية كقبل وبعد ومعنى الغاية ان يجعل المضاف غاية نفسه بعدما كان المضاف اليه غايته والاصل اعرابهما لانهما اسمان متمكنان وليسا بظرفين الا انهما بنيا لمشابهتهما مبنى الاصل فى الاحتياج الى الغير وقرئ من قبل ومن دبر بالفتح بجعلهما علمين للجهتين ومنعهما من الصرف للعلية والتأنيث وقرئ من قبل ومن دبر بسكون العين تخفيفا ثم ان من قرأ بسكون العين منهم من قرأ بالجرّ والتنوين على الاصل ومنهم من جعلها كقبل وبعد فى البناء على الضم ﴿ قوله وهو حجابه ﴾ يعنى ان الشغاف جلدة رقيقة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب ومعنى قولك شغف الحب المرأة ان الحب اصاب شغافها وشقه واصاب فؤادها كما يقال كبده اذا اصبت كبده ورأسه اذا اصبت رأسه وقرئ شعفها بالعين المهملة بمعنى احرق قلبها وفى الصحاح شعفه الحب اى احرق قلبه وشعفت البعير بالقطران اذا طليته به ويقال هنأت البعير اهنؤه اذا طليته بالهناء وهو القطران وامرأة العزيز مبتدأ وتراود خبره جئ

ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه (انا لنراها فى ضلال مبين) فى ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب (فلما سمعت بمكرهن) باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفى الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها (ارسلت اليهن) تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات (واعتدت لهن متكأ) ما يتكئن عليه من الوسائد (وآتت كل واحدة منهن سكينا) حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن من نفوسهن فتقع سكينهن على ايديهن فتقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين امرأة فى ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهى عنه قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا *

وشربنا الحلال من قلله *

وقيل المتكأ طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشئ اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكئ اذا اتكأ (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه) عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبى صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام اى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبى

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع *

فان لحت حاضت فى الخدور العواتق *

(وقطعن ايديهن) جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة (وقلن حاش لله) تنزيها لله من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو فى الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما فى قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشى فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اى صار فى ناحية لله مما يتوهم فيه (ما هذا بشرا) لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز فى اعمال ما عمل ليس لمشاركتها فى نفى الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم (ان هذا الا ملك كريم) فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه الا الملك (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) اى فهو ذلك العبد الكنعانى الذى لمتننى فيه بالافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتننى

بالمضارع ولم يقلن راودت تنبيها على ان المراودة صارت عادة لها وانها تستمر على المراودة وقولهن قد شغفها حبا يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون جملة مستأنفة وان يكون حالا من فاعل تراود وحبا تمييز منقول من الفاعل اذ الاصل قد شغفها حبه صرف الفعل عنه واسند الى الضمير المبهم ثم فسر ذلك الضمير بالتمييز ليكون التفصيل بعد الاجمال اوقع فى النفس واكد ﴿ قوله او لانها استكتمتهن ﴾ اى طلبت منهن كتمان سرها فوعدن وما وفين به فيكون المكر على معناه من غير مجاز ومعنى قول جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا * وشربنا الحلال من قلله *

يقال ظللت اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملت بالنهار دون الليل واتكأنا اى طعمنا والقلل جمع قلة وهى الجرة والحلال النبيذ والقلل ظرفه يقول اشتغلنا طول النهار بالتنعم واكل الطعام وشرب الشراب ﴿ قوله وقرئ متكا ﴾ العامة على ضم الميم وتشديد التاء وفتح الكاف والهمزة وقرئ متكا على ضم الميم اصله متكأ فحذفت همزته تخفيفا ومتكاء بالتشديد والمد وهى كقراءة العامة الا انه اشبعت الفتحة فتولد الالف منها كما فى منتزاح بمعنى منتزح ومتكا بضم الميم وفتحها وسكون التاء وتنوين الكاف والمتك والمتك بضم الميم وفتحها الاترج وقيل هو اسم لجميع ما يقطع بالسكين اترجا كان او غيره من الفواكه وقيل هو من متك الشئ بمعنى بتكه اى قطعه فيحتمل ان يكون الميم بدلا من الباء بدلا مطردا فى لغة قوم يقولون ما زلت راتما اى راتبا ويحتمل ان يكون مادة اخرى واتفقت هذه المادة فى المعنى وقيل فيه اللغات الثلاث اعنى ضم الميم وفتحها وكسرها ومتكأ على وزن مفعلا من تكئ يتكئ اذا اتكأ ﴿ قوله والهاء ﴾ يعنى ان ضمير اكبرنه على تقدير ان يكون بمعنى عظمنه ودهشن من حسنه ضمير يوسف واما اذا كان بمعنى حضن فالزمخشرى قال الهاء حينئذ تكون للسكت ولم يلتفت المصنف اليه بناء على ان تحريك هاء السكت لحن ولو كانت للسكت لسكنت واختار ان تكون هاء ضمير فقال والهاء ضمير المصدر المدلول عليه بفعله اى اكبرن الاكبار او ضمير يوسف والمعنى حضن له من شدة الشبق وهو شدة الضراب وانشدوا لكون الاكبار بمعنى الحيض قوله

يأتى النساء على اطهارهن ولا * يأتى النساء اذا اكبرن اكبارا *

﴿ قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ﴾ اى استر جمالك ببرقع ترسله على وجهك فان لحت اى ان ظهرت حاضت الابكار الشواب فى خدورهن عشقا وصبابة فان المرأة اذا اغتلمت واشتدت شهوتها سال دم حيضها والعواتق جمع عاتق يقال جارية عاتق اى شابة اول ما ادركت وبلغت فخدرت فى بيت اهلها لا تظهر من بين اهلها الا اذا زوجت ﴿ قوله كما قرأه ابو عمرو ﴾ فانه قرأ حاشا لله بالف حال الوصل فاذا وقف حذفها اتباعا للخط وقرأ الباقون بغير الف فى الحالين ﴿ قوله وهو حرف يفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه ﴾ آثر كونها حرف جر فى الاصل ثم نقل الى معنى المصدر اى براءة وتنزيها لله مع ان النحاة عدوها من الادوات المترددة بين الحرفية والفعلية وقالوا ان جرت فهى حرف وان نصبت فهى فعل وهى من ادوات الاستثناء ولم يعرف سيبويه فعليتها وان ذهب اليها غيره ولذلك اختار المصنف حرفيتها لانها ثابتة بالاتفاق بخلاف فعليتها وما نقل عن ابى على الفارسى من انه فعل وفيه ضمير يوسف عليه الصلاة والسلام ومعناه جانب وبعد مما توهم لله اى لطوعه ومراقبته فضعيف لان المعنى فى حاش لله وحاشا لله وسائر وجوه استعمالاته لا يختلف ولفوات معنى التعجب حينئذ وما استدل به من انه لا يكون حرفا لدخوله على حرف الجر لان الحرف لا يدخل على الحرف الا لم يكن فيه تضعيف فجوابه ان التصرف المذكور انما حصل بعد جعله اسما مع ان الحرف قد يدخل على الحرف من غير تضعيف كقولهم اما والله حرام والله والدليل على نقله الى معنى المصدر اضافته لان حرف الجر لا يضاف ولا يجد ايه الكلام وكذا اذا كان حرف استثناء فحاشا فى الآية الكريمة ليست حرفا ولا فعلا وانما هى اسم مصدر نقل من حاشا حال كونه حرف استثناء وهو معنى التنزيه كانه قيل تنزيها لله وبراءة لله وانما لم ينون مراعاة لاصله الذى نقل منه وهو الحرفية ﴿ قوله وبشرى ﴾ بكسر الباء الجارة الداخلة على الشرى بمعنى ما هذا حاصلا بالشرى وقراءة العامة فتح الباء على ان لفظ البشر كلمة واحدة غير مركبة من الاسم والحرف فهى الموافقة لخط المصحف حيث كتب فيه بالالف والشرى انما يكتب بالياء ﴿ قوله فهو ذلك العبد الكنعانى الذى لمتننى فيه ﴾ الظاهر ان يكون ذلك مبتدأ والموصول بصلته خبره الا ان ما ذكره من النكتة فى الاشارة بلفظ البعيد الى يوسف عليه الصلاة والسلام وهو حاضر يقتضى ان يقدر مبتدأ ويجعل ذلكن

(الذى)

اوفهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) فامتنع طلبا للعصمة اقرّت لهنّ حين عرفت انهنّ يعذرنها كى يعاونّها على الانقدار بكته (ولئن لم يفعل ما آمره) اي ما آمر به فحذف الجار او امرى اياه يعني موجب امري فيكون الضمير ليوسف (ليسجننّ وليكونن من الصاغرين) من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكوننّ وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين (قال رب السجن) وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر (احبّ الىّ مما يدعونني اليه) اي آثر عندي من مواتاتها نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهنّ جميعا لانهنّ خوّفنه من مخالفتها وزيّنّ له مطاوعتها او دعونه الى انفسهنّ وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك ردّ رسول الله صلى الله عليه على من كان يسأل الصبر (والا تصرف) وان لم تصرف (عني كيدهنّ) في تحبيب ذلك الىّ وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة (اصب اليهنّ) امل الى جانبهنّ او الى انفسهنّ بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق (واكن من الجاهلين) من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء (فاستجاب له ربه) فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف (فصرف عنه كيدهنّ) فثبته بالعصمة حتى وطّن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان (انه هو السميع) لدعاء الملتجئين اليه (العليم) باحوالهم وما يصلحهم (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات) ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقدّ القميص وقطع النساء ايديهنّ واستعصامه عنهنّ وفاعل بدا مضمر يفسره (ليسجننه حتى حين) وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتّى بلغة هذيل (ودخل معه السجن فتيان) اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسمّاه (قال احدهما) يعني الشرابي (اني اراني) اي ارى في المنام

الذي الخ خبره وتقدير النكتة ان ذلك وان كان موضوعا لان يشار به الى المشار المحسوس البعيد الا انه قد يشار به اشارة عقلية الى محسوس غير مشاهد تنزيلا للاشارة العقلية منزلة الحسية ومن المعلوم ان المحسوس الغير المشاهد غائب فيكون في حكم البعيد فيصح ان يشار اليه بلفظ ذلك قال النحرير المحقق في شرح التلخيص ولفظ ذلك صالح للاشارة الى كل غائب عينا كان او معنى بان يحكى عنه اولا ثم يشار اليه نحو جاءني رجل فقال ذلك الرجل فلما سمعت زليخا قول النسوة ان امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني بحيث لم يبق لها صبر ولا قرار الا وصله فلذلك اشتغلت بمراودته عن نفسه فقد سبق ذكر العبد الكنعاني الغائب الذي لم تصوّره النسوة بما هو عليه من كمال الحسن ولطافة المنظر فاشارت اليه بقولها فذلكنّ وجعلته خبرا للمبتدأ المحذوف فكأنها قالت هذا الذي رأيتموه هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه واشارت بهذا الى الشخص الحاضر عندها وبقولها ذلكنّ الى الذي تصوّرنه ﴿قوله او فهذا الذي لمتنني﴾ على ان يكون ذلكنّ مبتدأ والموصول مع صلته خبره واشير الى المشاهد المحسوس بلفظ البعيد تعظيما للمشار اليه بالبعد تنزيلا لبعد درجته ورفعة محله منزلة بعد المسافة ولما اظهرت زليخا عند النسوة عذرها في شدة محبتها له وهو انهنّ بنظرة واحدة لحقهنّ ما هو اعظم مما لحقها مع طول زمان كونه عندها كشفت عن حقيقة الحال فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم كي يعاونّها على الانقدار عريكته والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستعظم واستجمع الرأي ﴿قوله اي ما آمره به﴾ على ان تكون كلمة ما موصولة وان يرجع ضميره الى الموصول بحذف الجار كما في قوله امرتك الخير او امري اياه على ان تكون ما مصدرية ﴿قوله آثر عندي﴾ لما كان محبة الشيء مستلزمة لكونه مرضيا عند المحب وكان السجن مكروها غير مرضي فسر المحبة بالايثار لان اختيار الشيء لا يستلزم كونه مرضيا فان المكره يختار اهون الشرين مع ان شيأ منهما غير مرضي عنده ﴿قوله وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه﴾ وهو فعل والفعل لا يكون مخبرا عنه فلا يقال ضرب قتل فتقدير الكلام ثم بدا لهم سجنه الا انه اقيم هذا الفعل مقام ذلك الاسم وكلمة ثم في قوله تعالى ثم بدا لهم تدل على تغير رأيهم في حق يوسف عليه الصلاة والسلام وذلك ان زوج المرأة قد ظهر له براءة يوسف عليه الصلاة والسلام فلا جرم لم يتعرّض له واحتالت المرأة بعد ذلك بجميع الحيل حتى تحمل يوسف عليه الصلاة والسلام على موافقتها في مرادها فلم يلتفت يوسف عليه الصلاة والسلام اليها فلما ايست منه احتالت في طريق فقالت لزوجها هذا العبد العبراني فضحني بين الناس يقول لهم اني راودته عن نفسه وانا لا اقدر على اظهار عذري فارى ان الاصلح ان تحبسه لينقطع عن الناس ويحقق منهم ويسقط ذكر هذا الحديث وكان العزيز مطواعا لها وجملا ذلولا زمامه في يدها فاغتر بقولها ونسي به ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه والحاق الصغار به كما اوعدته به وحتى في قوله حتى حين جارّة بمعنى الى كأنه قيل ليسجننه زمانا ذكر في الكتب الفقهية انه لو حلف بقوله والله لا اكلم فلانا حينا او زمانا بلا نية على شيء من الوقت فهو محمول على نصف سنة ومع نية شيء معين من الوقت فما نوى من الوقت وقال اهل اللغة الحين وقت من الزمان غير محدود يقع على القصير منه والطويل ولا دلالة في الآية على تعيين مدة حبسه وانما القدر المعلوم انه بقي محبوسا مدة طويلة لقوله تعالى وادّكر بعد امة وفي الآية محذوف والتقدير لما رأوا حبسه حبسوه وحذف ذلك لدلالة قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان قيل هما غلامان للملك الاكبر بمصر احدهما صاحب طعامه والآخر صاحب شرابه رفع اليه ان صاحب الطعام يريد ان يسمه اي ان يسقيه السم وظن ان الآخر يساعده عليه فامر الملك بحبسهما قيل ان جماعة من مصر ارادوا المكر بالملك واغتياله فضمنوا لهذين مالا ليسمّا الملك في طعامه وشرابه ثم ان الساقي نكل عن ذلك وقبل الخباز الرشوة فسم الطعام فلما احضر كل واحد منهما طعام الملك وشرابه قال الساقي ايها الملك لا تأكل الطعام فانه مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشرب فلم يضرّه وقال للخباز كل من طعامك فابى فجرّب ذلك الطعام على دابة فاكلت فهلكت فامر الملك بحبسهما ﴿قوله اي ارى في المنام﴾ يدل على ان المراد ذلك قولهما نبئنا بتأويله ولو كان المراد رؤية العين لم يكن له وجه وايضا لو كان المراد حكاية ما ظهر عليه حال اليقظة لكفاه ان يقول اعصر ولما احتاج الى ان يقول اراني واختلف في انهما هل رأيا رؤيا او لم يريا شيأ فقال بعضهم ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما دخل السجن قال لاهله اني اعبر الاحلام فقال احد الفتيين للآخر هلم فلنجرّب هذا

العبد العبراني رؤيا تحزعها عليه فسألاه من غير ان يكونا رأياشيأ وقال آخرون ومنهم مجاهد انهما قد رأيا حين ادخلا السجن رؤيا فأتيا يوسف عليه الصلاة والسلام وسألاه عنها فقال الساقي ايها العالم انى رأيت كانى فى بستان فاذا انا باصل عنبة حسنة فيها ثلاثة اغصان عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وكان كأس الملك بيدى فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه وقال صاحب الطعام انى رأيت كأن فوق رأسى ثلاث سلال فيها خبز والوان الاطعمة وارى سباع الطير يأكلن منها اى من السلة العليا وتنهس الجم اخذه بمقدم الاسنان قيل المراد باحسان يوسف عليه الصلاة والسلام احسانه فى علم التعبير لانه عليه الصلاة والسلام متى عبر رؤيا احد من اهل السجن وقع الامر على ماعبر به وروى ان الضحاك سئل ماكان احسان يوسف عليه الصلاة والسلام فقال انه كان يؤثر الاحسان ويأتى بمكارم الاخلاق فى جميع الافعال وكان يعود مريضهم ويؤنس حزينهم واذا ضاق على رجل مكانه يوسعه وان احتاج احد جمع له مايحتاج اليه وقال الفراء والزجاج احسانه كونه من العالمين الذكرين للناس ماينتفع به الناس فى معاشهم ومعادهم * الجوهرى يقال هو يحسن الشئ اى يعلمه وقالا ذلك لانهما سمعا يوسف عليه الصلاة والسلام يذكر للناس مايعلم منه انه عالم فلما سمع يوسف عليه الصلاة والسلام قولهما هذا وصل به قوله لايأتيكما طعام الخ ليريهم ان علمه فوق ماعلمه العلماء وجعل وصف نفسه بالعلم الفائق وسيلة الى ذكر التوحيد وذلك لان جواب فتواه هو قوله ياصاحبى السجن اما احدكما فيسقى ربه خمرا الآية لكن قدم عليه مقدمة الدعوة الى التوحيد لانها اول مايجب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولها بعثوا وبها امروا بجعل قوله لايأتيكما طعام ترزقانه الى قوله ولكن اكثر الناس لايشكرون مخلصا الى قوله ياصاحبى السجن أرباب متفرقون فقوله لايأتيكما طعام مقدمة لاصل الجواب الذى هو تعبير الرؤيا من حيث ان تأويلها وتعبيرها من قبيل العلم بالغيب وهذا القول يدل على علمه بها فيوطن انفسهما لقبول ماير د بعده من الجواب وجعله مخلصا لمطلوبه وذريعة الى الشروع فى اثبات التوحيد ونفى الشرك عن نفسه لكون ذلك ابلغ فى نصحهم وارشادهم الى الحق ولودعاهم الى التوحيد ابتدأ بان قال لهم من اول الامر أرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار بسواله جلدا لخمر ولم التفتوا اليه فيفوت غرضه الذى هوان ينتفع به فى الدين ﴿قوله اى بتأويل ماقصصتما على﴾ على ان يكون المراد من التأويل عبارة عن مآل الشئ ومرجعه كما هو المراد منه فى قولهما نبئنا بتأويله وهو المعنى الاصلى للتأويل وفى النهاية ان التأويل من آل الشئ يؤول الى كذا اى رجع وصار اليه وتأويل الآية نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الاصلى الى معنى يرجع اليه المراد من ذلك اللفظ بناء على دليل لولاه لماترك ظاهر اللفظ ﴿قوله او بتأويل الطعام بمعنى بيان ماهيته وكيفيته﴾ والتأويل بمعنى كشف الماهية وبيان كيفيتها ليس من قبيل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الاصلى الى معنى يرجع اليه المراد من ذلك اللفظ بناء على دليل لولاه لماترك ظاهر اللفظ بل هو بيان المجمل والمشكل الذى يحتاج الى تفصيله وكشفه وذلك لان صاحبى السجن كانا يعلمان على الاجمال مايحمل اليهما من الطعام لكن ماهية ذلك الطعام وكيفيته لم تكن معلومة عندهما فاذا بين ذلك لهما فقد فسر ماهو المبهم عندهما وسمى هذا البيان والكشف تأويلا على سبيل المشاكلة لقولهما نبئنا بتأويله ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكونه وصف نفسه بما وصفها من كونه من اهل النبوة وكون ابيه وجده انبياء الله ورسله لاجل ان تقوى رغبتهما فى الاستماع والوثوق عليه لكن ذلك ليس من قبيل التزكية التى نهى عنها بقوله تعالى فلا تزكوا انفسكم فان فضل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم فضل اسحق ويعقوب عليهما الصلاة والسلام كان امرا مشهورا فى الدنيا فاذا ظهر انه ولدهم عظموه ونظروا اليه بالاجلال فكان انقيادهم له اتم وتأثير قلوبهم بكلامه اكمل فلذلك عرف شرف نسبه فلم يكن ذلك من قبيل التزكية المذمومة فان قيل قوله انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله يوهم انه عليه الصلاة والسلام كان من هذه الملة اجيب عنه اولا بان الترك عبارة عن عدم التعرض للشئ وليس من شروطه ان يكون قد تلبس فيه وثانيا انه صلى الله عليه كان لهم عبدا بحسب زعمهم الفاسد ولعله قبل ذلك كان لايظهر التوحيد والايمان خوفا منهم ثم انه اظهره فى هذا الوقت وادعى النبوة واظهر المعجزة وهى الاخبار عن الغيب فكان هذا جاريا مجرى ترك اولئك الكفرة بحسب الظاهر ﴿قوله وتكرير الضمير﴾ يعنى تكرير ضميرهم وتقديمه على كافرون للدلالة على الاختصاص والتأكيد فالتخصيص يفهم من التقديم والتأكيد من التكرير ﴿قوله اى شئ كان﴾ من ملك او انس او جن فكيف بصنم مصنوعت فالمراد بالشئ المشرك اى ماكان لنا ان نشرك بالله شيأ غيره ويجوز ان يكون شئ بمعنى المصدر اى شيأ

هى حكاية حال ماضية (اعصر خمرا) اى عنبا وسماه بمايؤول اليه (وقال الآخر) اى الخباز (انى ارانى احمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه) تنهس منه (نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين) من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه فى السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل مارأينا ان كنت تعرفه (قال لايأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) اى بتأويل ماقصصتما على او بتأويل الطعام بمعنى بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ماسألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء فى الهداية والارشاد فقدم مايكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه فى الدعوة والتعبير (قبل ان يأتيكما ذلكما) اى ذلك التأويل (مما علمنى ربى) بالالهام والوحى وليس من قبيل التكهن او التنجيم (انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) تعليل لما قبله اى علمنى ذلك لانى تركت ملة اولئك (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما فى الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة (ماكان لنا) ماصح لنا معشر الانبياء (ان نشرك بالله من شئ) اى شئ كان (ذلك) اى التوحيد (من فضل الله علينا) بالوحى (وعلى الناس) وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتنبيههم عليه (ولكن اكثر الناس) المبعوث اليهم (لايشكرون) هذا الفضل فيعرضون عنه ولا ينتبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لاينظرون اليها ولايستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولايشكرها

(ياصاحبي السجن) اى ياساكنيه او ياصاحبيّ فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله ياسارق الليلة اهل الدار (أأرباب متفرقون) شتى متعددة متساوية الاقدام (خيرام الله الواحد) المتوحد بالالوهية (القهار) الغالب الذى لايعادله ولايقاومه غيره (ماتعبدون من دونه) خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر (الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان) اى الا اشياء باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لاتعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم مالم يدل على استحقاقه الالوهية عقل ولانقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ماتطلقون عليها (ان الحكم) فى امر العبادة (الا لله) لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل المالك لامره (امر) على لسان انبيائه (ان لاتعبدوا الا اياه) الذى دلت عليه الحجج (ذلك الدين القيم) الحق وانتم لاتميزون المعوج من القويم وهذا من التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ماتسمونها آلهة ويعبدونها لاتستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ماهو الحق القويم والدين المستقيم الذى لايقتضى العقل غيره ولا يرتضى العلم دونه (ولكنّ اكثر الناس لايعلمون) فيخبطون فى جهالاتهم (ياصاحبي السجن اما احدكما) يعنى الشرابى (فيسقى ربه خمرا) كما كان يسقيه قبل ويعود الى ماكان عليه (واما الآخر) يريد الخباز (فيصلب فتأكل الطير من رأسه) فقالا كذبنا فقال (قضى الامر الذى فيه تستفتيان) اى قطع الامر الذى تستفتيان فيه وهو مايؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا فى امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة مانزل بهما (وقال للذى ظن انه ناج منهما) الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحى فهو الناجى الا ان يأوّل الظن باليقين (اذكرنى عند ربك) اذكر حالى عند الملك كى يخلصنى (فانساه الشيطان ذكر ربه) فانسى الشرابى ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره

من الاشراك ومن مزيدة على التقديرين ﴿قوله ياساكنيه او ياصاحبيّ فيه﴾ اى يجوز ان يكون ياصاحبي السجن من باب الاضافة الى المفعول به نحو اصحاب الجنة واصحاب النار ويكون من باب الاضافة الى الظرف اتساعا كما تقول ياسارق الليلة فكما ان الليلة غير مسروقة بل هى مسروق فيها فكذلك السجن ليس مصحوبا بل هو مصحوب فيه ثم انه عليه الصلاة والسلام لما ادّعى النبوّة فى الآية الاولى وكان اثبات النبوّة مبنيا على اثبات الالهيات شرع فى تقرير الالهيات وفساد عبادة الاصنام فقال ءأرباب متفرقون خير على سبيل الاستفهام الانكارى اى انكر القول بتعدد الآلهة بناء على انتفاء لازمه الذى هو اختلال نظام هذا العالم المشاهد المحسوس فان كثرة الآلهة توجب الفساد والخلل ووحدة الآلهة تقتضى حسن الترتيب والانتظام التام ولاشك انه خير من الفساد والاختلال فثبت ان مايقتضى ذلك هو الخير لان مايقتضى فساد السموات والارضين لاخير فيه ﴿قوله اى الا اشياء باعتبار الخ﴾ اشارة الى ان المراد بالاسماء المسميات مجازا او على حذف المضاف اى الاذوات الاسماء لان ابقاءها على اصل معناها يستلزم ان تكون المسميات حاصلة فى نفس الامر وهو مخالف ماسبق من ءأرباب متفرقون لانه يدل على عدم وجود هذه المسميات فى نفس الامر فتقدير قول المصنف اى الا اشياء ملتبسة باعتبار اسام وسميتموها فى الآية صفة الاسماء بمعنى المسميات وهو متعدّ الى مفعولين ثانيهما محذوف اى سميتموها آلهة تأكيد للمستثرفيه ليتأتى العطف عليه ءواعلم انه عليه الصلاة والسلام لما قرر التوحيد والنبوّة عاد الى تأويل رؤياهما التى سبق تقريرها فقال للساقى ما احسن مارأيت اما حسن الحلبة فهو حسن حالك واما الاغصان الثلاثة فثلاثة ايام يوجه الملك اليك عند انقضائهنّ فيردك الى عملك فتصير كما كنت بل احسن وقال للخباز بئس مارأيت فالسلال الثلاث ثلاثة ايام يوجه اليك الملك عند انقضائهنّ فيصلبك وتأكل الطير من رأسك فقالا مارأينا شيأ قال قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى فرغ منه يعنى سيقع ماعبرت لكما صدقتما او كذبتما وانما جزم يوسف عليه الصلاة والسلام بوقوع الامر بهما من قبل وحى اتاه من الله تعالى وبين ان عاقبة كل واحد منهما تكون على الوجه المخصوص لانه عليه الصلاة والسلام لو بنى جوابه على علم التعبير لما قال قضى الامر لان علم التعبير مبنى على الظن والحسبان قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ولا يبعد ايضا ان يقال انه عليه الصلاة والسلام بنى جوابه ذلك على علم التعبير وقوله قضى الامر الذى فيه تستفتيان لم يعن به ان الذى ذكره واقع لامحالة بل عنى به ان حكمه فى التعبير مايشاء الظان يوسف عليه الصلاة والسلام ان كان ماذكره من التعبير لان تلك القواعد لاتفيد التعيين ولا اليقين وانما تفيد الظن والتخمين فيصح اسناد الظن بالمعنى المشهور الى يوسف عليه الصلاة والسلام حينئذ فى قوله وقال للذى ظن انه ناج واما اذا كان تعبيره بطريق الوحى فلا يصح اسناد الظن اليه عليه الصلاة والسلام لان الوحى انما يفيد اليقين دون الظن فيتعين كونه مسندا الى الناجى ويكون المعنى وقال يوسف للرجل الذى ظن ذلك الرجل انه ناج وكان ظانا فى نجاته من حيث انه لم يطمئنّ قلبه بنبوّة يوسف عليه الصلاة والسلام لكن كان حسن الاعتقاد فى حقه فلذلك غلب على ظنه كونه مصيبا فى التعبير ﴿قوله فاضاف اليه المصدر لملابسته له﴾ يعنى الظاهر ان يقال ذكره لربه على اضافة المصدر الى مفعوله لان الشائع فى اضافته ان يضاف الى الفاعل او الى المفعول به الصريح الا انه اضيف الى غير الصريح للملابسة او هو مضاف الى المفعول به الصريح المقدر اى ذكر اخبار ربه ﴿قوله او انسى يوسف ذكر الله﴾ اى ان يذكر ربه تعالى وان لايستعين بغيره من المخلوقين فان اللائق بمنصبه ان لايعرض حاجته لسوى الله تعالى وان يقتدى بجده ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين قال له جبريل هل لك من حاجة فقال اما اليك فلا ثم قال ءالى الله تعالى قال حسبى من سؤالى علمه بحالى قال المفسرون لما استعان يوسف بغير الله تعالى عاقبه الله تعالى سبع سنين بعد الخمس التى حبسها الى وقت قوله اذكرنى عند ربك وروى ان جبريل دخل على يوسف عليهما الصلاة والسلام فى السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يوسف يااخا المنذرين مالى اراك بين الخاطئين فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام ياطاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك اما استحييت منى اذا استشفعت بالآدميين فوعزتى وجلالى لالبثنك فى السجن بضع سنين قال الاصمعى البضع مابين الثلاث الى التسع وعامة المفسرين على ان المراد بالبضع ههنا سبع سنين وهو منصوب على الظرف الزمانى والمهازيل جمع مهزول من الهزال وهو ضد السمن وسمان جمع سمين وسمينة ككرام جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام والعجف الهزال ليس بعده حدّ وعجاف جمع عجفاء وجمع على

ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله اخي يوسف لولم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدآئد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لاتليق بمنصب الانبياء (فلبث في السجن بضع سنين) البضع مابين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع (وقال الملك انى ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان (وسبع سنبلات خضر) قد انعقد حبها (واخر يابسات) وسبعا اخر يابسات فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثانى بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه (يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى) عبروها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهى الانتقال من الصور الخيالية الى المعانى النفسانية التى هى مثالها من العبور وهى المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوى باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تتدبون لعبارة الرؤيا (قالوا اضغاث احلام) اى هذه اضغاث احلام وهى تخاليطها جمع ضغث واصله ماجمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة فى وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اى ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فهو كانه مقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتأويله

فعال مع ان افعل وفعلاء لا يجمعان على فعال حملا على سمان ﴿ قوله واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ﴾ يعنى لم يقل انى ارى سبع بقرات سمانا على انه صفة سبع ويكون المراد بالمهازيل السبع من البقرات مطلق نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير لكن ههنا حمل النقيض على النقيض مطلقا لان المقصود من التمييز رفع الابهام المستقر فى المميز وهذا المقصود انما يحصل بان يميز السبع بالبقرات الموصوفة بالسمن ولو جعل سمان صفة سبع وجعل بقرات تمييزا للسبع الموصوفة بالسمن وقيل ارى سبع بقرات سمانا لوقع التمييز بجنس البقرات ولو جعل سمان صفة التمييز لوقع التمييز بنوع البقرة وهى البقرات السمان ولاشك ان التمييز بالنوع اولى وابلغ من التمييز بالجنس لاشتمال النوع على الجنس فقوله لان التمييز بها اى بالسمان من البقرات لابجنس البقرات ﴿ قوله ووصف السبع الثانى بالعجاف الخ ﴾ اى لم يجعل عجافا مجرورا على انه مميز للعدد بل رفع على انه صفة للسبع لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف وذلك لان المقصود من التمييز بيان جنس المميز وحقيقته والعجاف صفة لايدل على الحقيقة وانما يدل على شئ ما متصف بشئ فلا يصلح للتمييز الا اذا كان جاريا على الموصوف فتعين جعله صفة للعدد ﴿ قوله ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا ﴾ اى بتعبيرها وتأويلها ويقال عبرت الرؤيا تعبيرا بمعنى فسرتها ايضا وقوله اثبت اى فى ألسنة الفصحاء بالنسبة الى لغة التثقيل ويقال ايضا عبرت النهر وغيره اعبره عبرا وعبورا اذا جاوزته ووصلت الى الجانب الآخر من عرضه وقيل لعابر الرؤيا عابر لانه يتأمل جانبى الرؤيا ويتفكر فى اطرافها وينتقل من احد الطرفين الى الآخر فعابر الرؤيا مأخوذ من عابر النهر ﴿ قوله واللام للبيان ﴾ كانه لما قيل ان كنتم تعبرون قيل لاى شئ فقيل للرؤيا كما ان لك فيه فى قوله وكانوا فيه من الزاهدين للبيان كانه لما قيل من الزاهدين قيل فى اى شئ زهدوا فقيل فيه ﴿ قوله او لتقوية العامل ﴾ فانه وان كان فعلا قويا فى العمل لكن طرأ عليه الضعف بتقديم معموله عليه فقوى باللام المزيدة كما يقوى بها اذا كان العامل فرعا كقوله تعالى فعال لما يريد فكل هذه اللام لاتعلق بشئ وانما تزاد لمجرد التقوية وقد تزاد عند فقدان الشرطين جميعا كما فى قوله تعالى ردف لكم فانه لافرعية فيه ولاتقديم مع انه زيدت اللام ﴿ قوله وهى تخاليطها ﴾ اى اباطيلها واكاذيبها وفى الصحاح اختلط فلان اى فسد عقله والتخليط فى الامر الافساد فيه ﴿ قوله فاستعير للرؤيا الكاذبة ﴾ تشبيها لها بما جمع وجزم من انواع النبات والحشايش والجامع الاختلاط من غير تمييز بين الجيد والردئ وتسمية لها باسم المشبه به واضافة الاضغاث الى الاحلام قرينة الاستعارة والاحلام جمع حلم وهو بضم اللام وسكونها الرؤيا اى مايراه النائم فى النوم باطلا كان او حقا فان الاحلام لولم تتناول كلا القسمين لما اضيف اليها الاضغاث التى هى الاباطيل اضافة بمعنى من فانها تستدعى ان يكون المضاف اليه جنسا يندرج فيه المضاف وغيره وقد تخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما فى قوله صلى الله عليه وسلم «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان» ﴿ قوله وانما جمعوا ﴾ يعنى جمعوا الضغث وجعلوه خبرا لهذه الرؤيا مع انها ليست الا رؤيا واحدة لايدل على كثرة آحاد مايدل عليه مفرده بل انما جمع للمبالغة فى وصف الحلم بالبطلان فان لفظ الجمع كما يدل على كثرة الذوات يدل ايضا على المبالغة فى الاتصاف كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الهند لمن لايركب الا فرسا واحدا وماله الا عمامة واحدة مبالغة فى الوصف فهؤلاء ايضا بالغوا فى وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ﴿ قوله يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة ﴾ على ان يكون تعريف الاحلام فى قولهم وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين للعهد والمعهود ماصرحوا به من قولهم اضغاث احلام ولم يحمله على تعريف الجنس وهو مايعلم كل احد ان الاحلام ماهى لان حمله عليه يستلزم ان ينفى القوم عن انفسهم كونهم عالمين بتعبير جنس الرؤيا فيبقى قولهم هذه اضغاث احلام ضائعا بلا فائدة بخلاف ما اذا حمل على تعريف العهد فانه حينئذ يكون قولهم ذلك لتمهيد عذرهم فى انهم غير عالمين بها ويكون محصل جوابهم ان الرؤيا على قسمين منها مايكون متسقة منتظمة فيسهل الانتقال من الامور الخيالية الى الحقائق العقلية الروحانية ومنها مايكون مختلطة مضطربة ولايكون بينها ترتيب معلوم وهو المسمى بالاضغاث فالقوم قالوا ان رؤيا الملك من قسم الاضغاث ثم اخبروا انهم غير عالمين بتعبير هذا القسم فكانهم قالوا هذه الرؤيا مختلطة من اشياء كثيرة وما كان كذلك فنحن لانهتدى الى تعبيره وفيه ايهام ان الكامل فى هذا العلم والمتبحر فيه يهتدى الى تعبير مثلها فقوله وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يكون بهذا الاعتبار كانه مقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتعبيرها كأنهم قالوا هذه الرؤيا من قبيل اضغاث الاحلام وما نحن بمتبحرين فى علم التعبير فلا نهتدى الى تعبيرها * واعلم ان الملك لما رأى مارآه من الرؤيا

(وقال الذى نجا منهما) من صاحبى السجن وهو الشرابى (وادكر بعد امة) وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة وقرئ اِمّة بكسر الهمزة وهى النعمة اى بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اى نسيان يقال أمه يأمه أمها اذا نسى والجملة اعتراض ومقول القول (انا انبئكم بتأويله فارسلون) اى الى من عنده علمه او الى السجن (يوسف ايها الصديق) اى فارسل الى يوسف فجاء وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو البالغ فى الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه (أفتنا فى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات) اى فى رؤيا ذلك (لعلى ارجع الى الناس) اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه (لعلهم يعلمون) تأويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم (قال تزرعون سبع سنين دأبا) اى على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دآبين او المصدر باضمار فعله اى تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب فى العمل وقيل تزرعون امر اخرجه فى صورة الخبر مبالغة لقوله (فما حصدتم فذروه فى سنبله) لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة (الا قليلا مما تأكلون) فى تلك السنين (ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن) اى يأكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به (الا قليلا مما تحصنون) تحرزون لبذور الزراعة (ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس) يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث (وفيه يعصرون) ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على تغليب المستفتى وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبنى للفاعل منه اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدى بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع فى السنين المخصبة فى السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحى او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم

قلق واضطرب بسبب انه شاهد ان الناقص الضعيف استولى على الكامل القوى فشهدت فطرته بان هذه الرؤية صورة شر عظيم يقع فى المملكة الا انه ما عرف كيفية الحال فيه فاشتاق ورغب فى تحصيل المعرفة بتعبير رؤياه فجمع اعيان مملكته من العلماء والحكماء فقال لهم يا أيها الملأ افتونى فى رؤياى ثم انه تعالى اعجز هؤلاء الذين حضروا عنده عن جواب هذه المسئلة وعماه عليهم ليصير ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من الحبس لان شأنه تعالى اذا اراد امرا هيأ اسبابه فلما اعترف الحاضرون بالعجز عن الجواب جثى الشرابى بين يدى الملك فقال انا انبئكم بتأويله فقال الملك وما يدريك بافلام فلست بكاهن ولا معبر فقص عليه ما جرى لهما مع الخباز من انهما رأيا فى السجن منامين واخبر كل واحد برؤياه رجلا مسمى بيوسف وطلب منه تعبير رؤياه فعبرها وصدق فى جميع ما وصفه ولم يسقط من تعبيره شئ فان اذنت مضيت اليه واتيتك من قبله بتعبير هذه الرؤيا وهو قوله تعالى وقال الذى نجا منهما وادكر بدال مهملة مشددة وهى قرآءة العامة اصله اذتكر وهو افتعل من الذكر فوقعت تاء الافتعال بعد الذال فابدلت دالا فاجتمع متقاربان فابدل اولهما بجنس الثانى وادغم وقول المصنف تذكر يوسف ليس بيانا لاصل الكلمة والا لقيل اذكر بتشديد الدال والكاف وقرأ الجمهور بعد امة بضم الهمزة وتشديد الميم وتاء منونة وهى المدة الطويلة الحاصلة من اجتماع الايام الكثيرة كما ان الامة انما تحصل من اجتماع الجمع العظيم فالمدة الطويلة كانها امة من الايام والساعات وقرئ بعد أمه بفتح الهمزة والميم الخفيفة والهاء المنونة من الامه وهو النسيان يقال أمه يأمه أمها وأمها بفتح الميم وسكونها ﴿قوله والجملة اعتراض﴾ ويجوز ان تكون حالا من الموصول وان تكون معطوفة على نجا ثم ان الشرابى قرر الرؤيا وقد تختلف بسبب اختلاف الفطنة كما هو المذكور فى علم التعبير ثم انه عليه الصلاة والسلام ذكر تعبير تلك الرؤيا فقال تزرعون سبع سنين وهو خبر بمعنى الامر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن وقوله والوالدات يرضعن ويدل على كونه بمعنى الامر قوله فذروه فى سنبله وقوله دأبا قرأ حفص بفتح الهمزة والباقون بسكونها وهما لغتان فى مصدر دأب يدأب اى دام على الشئ ولازمه على عادته والمعنى فازرعوا سبع سنين مستمرين على الزراعة على عادتكم او ازرعوا تدأبون دأبا اى يحصل لكم بسبب تلك الزراعة ما تعتادونه من الغلة ونماء الارض ورفع شداد فى قوله سبع شداد على انه صفة سبع ولم يجعل مجرورا مميزا لسبع لما مر من انه صفة يتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف بخلاف سنين فى قوله سبع سنين والمعنى ثم يأتى من بعد ذلك سبع سنين شداد اى صعاب مجدبات تشتد على الناس تأكل تلك السنون ما ادخرتم لاجلهن اى يذهبنه ويفنينه اسند الاكل والافناء الى السنة وهى لا تأكل شيأ اسنادا مجازيا على طريق اسناد الفعل الى زمانه كما فى قوله تعالى والنهار مبصرا تطبيقا بين المعبر والمعبر به فان السبع بقرات السمان فى المعبر مأولة بسبع سنين مخصبات والسبع العجاف اكلن تلك البقرات السمان فكذا اسند الاكل فى المعبر به ايضا الى السنين المجدبة مع ان الآكل انما هو حال اهلها تطبيقا بينهم ﴿قوله يغاث الناس﴾ معناه يمطرون ويسقون الغيث ويجوز ايضا ان تكون الفها مبدلة من الواو على ان تكون من الغوث الذى هو الفرج وزوال الهم والكرب وعلى هذا يكون فعله رباعيا يقال استغاث الله تعالى فاغاثه اى انقذه من الكرب الذى فيه وهو القحط فى قصة الرؤيا ﴿قوله من الغيث﴾ اى يجوز ان تكون الف يغاث مقلوبة من الياء على ان يكون مشتقا من الغيث الذى هو مصدر قولك غاث الله البلاد يغيثها غيثا اذا انزل بها الغيث وهو المطر وقد غيثت الارض تغاث اذا مطرت ﴿قوله او من اعصرت السحابة﴾ اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر على ان يكون همزة افعل فيه كما فى احصد الزرع فان قرئ يعصرون على بناء المفعول على ان يكون من اعصرت السحابة فلابد من احد التأويلين لان اعصر بهذا المعنى لا يتعدى حيث يسند الى المفعول القائم مقام الفاعل ﴿قوله ولعله عليه الصلاة والسلام علم ذلك بالوحى﴾ وذلك لان رؤيا الملك انما تدل على ان كل واحد من السنين المخصبة والمجدبة سبع وان السنين المجدبة يأكلن ما جمع فى السنين المخصبة وليس فيها ما يدل على ان حال السنة التى تأتى بعد انقضاء تلك السنين المذكورة ماهى فتعين انه عليه الصلاة والسلام ما عرف ذلك الا بالوحى ويجوز ان يعلمه من الرؤيا بناء على ان الملك لما رأى ان العجاف سبع دل ذلك على ان السنين المجدبة لا تزيد على هذا العدد ومن المعلوم ان الحاصل بعد انتهاء زمان القحط ليس الا زمان الخصب بحكم ان العالم لا يخلو من احد الضدين او بحكم ان سنة الله جرت على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم ثم ان

الشرابي لما عرض على الملك التعبير الذي ذكره يوسف عليه الصلاة والسلام قال ائتوني به فعاد الشرابي الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال اجب الملك فابى يوسف عليه الصلاة والسلام ان يخرج من السجن الابعد ان يتفحص الملك عن حاله مع النسوة لتنكشف حقيقة الحال وبرآئته مما اسند اليه من الخيانة في حق العزيز واهله ليظهر كمال عقله وصبره ووقاره فان من بقي في السجن اثنتي عشرة سنة اذا طلبه الملك وامر باخراجه ولم يبادر الى الخروج وصبر الى ان تبين براءته دل ذلك على برآئته من جميع انواع التهم وعلى ان كل ماقيل فيه كان كذبا وبهتانا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه استحسن حزم يوسف وصبره حين دعاه الملك فلم يبادر الى الخروج حيث قال « لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره دعاه الملك فلم يبادر والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترطت ان يخرجوني ولقد عجبت حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة الآية ولو كنت مكانه ولبثت في السجن مالبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب وماابتغيت العذر انه كان حليما ذا اناة » قوله عليه الصلاة والسلام والله يغفر له ونحوه مقدمة تذكر امام المقصود تعظيما لمن قيل له ذلك وتوقيرا له وهو كما تقول لمن تعظمه عفا الله عنك ماصنعت في امري ﴿ قوله وانما قال فاسأله ﴾ يعني انه عليه الصلاة والسلام امر الرسول بان يسأل الملك عن شأن النسوة وحالهن ولم يأمره بان يسأل الملك ان يفتش عن حالهن مع ان المقصود ذلك لكون الطريق الذي آثره ابلغ في افادة هذا المقصود وذلك لان فعل السؤال علق بكلمة ما التي يستكشف بها حقيقة الشئ فاذا قلت سألته ما الانسان كان معناه طلبت منه ان يبين لي ماهية الانسان وحقيقته واذا قلت سألته الخبر كان المعنى طلبت منه ان يعطيني الخبر فلم قال فاسأله مابال النسوة فقد امره ان يطلب من الملك كشف حقيقة حالهن وهذا الطلب يحمل الملك على التفتيش عن حالهن من حيث ان الانسان حريص على الاطلاع على حقيقة الشئ ويستنكف عن ان ينسب الى الجهل بها فلاجرم انا اذا سئل عنها يبذل جهده في التفتيش عنها وتحصيل العلم بها بخلاف مالو قيل فاسأله ان يفتش عن حالهن فانه انما يدل على ان يطلب الرسول من الملك ان يفتش عن حالهن والملك لايبالي بهذا الطلب بل ولايلتفت الى مثل هذا الطلب من هو ادنى حالا من الملك بمراتب ﴿ قوله بربي مما قذف به ﴾ اى اتهم به يقال قذفت الرجل اى عبته ويقال هو يقذف بكذا اى يرمى به ويتهم فهو مقذوف اى متهم فلما اجاب يوسف عليه الصلاة والسلام الرسول بذلك رجع الرسول الى الملك برسالة يوسف عليه السلام فدعا الملك النسوة وفيهن امرأة العزيز فقال لهن ماشأنكن وقصتكن اذ راودتن يوسف عن نفسه هل وجدتن منه ميلا اليكن وقوله راودتن وان كانت صيغة الجمع الا انه يحتمل ان يكون المراد منه خطاب زليخا على طريق اسناد فعل الجماعة الى الواحد لوقوعها بينهم ورضاهن واستصالهن كما في قوله تعالى قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم ويحتمل ان يكون المراد خطاب الجماعة اما لان كل واحدة منهن راودت يوسف عليه الصلاة والسلام عن نفسه لاجل نفسها اولان كل واحدة منهن راودته لاجل امرأة العزيز فان اللفظ يحتمل كل واحد من هذين الوجهين ولما علمت امرأة العزيز ان هذه المناظرات والتفحصات انما وقعت بسببها اولاجلها كشفت الغطاء وصرحت بما هو الواقع وقالت الآن حصحص الحق اى وضح وانكشف وتمكن في النفوس والقلوب قال الزجاج اشتقاقه في اللغة من الحصة اى بانت حصة الحق من حصة الباطل ولما علمت زليخا ان يوسف عليه الصلاة والسلام راعى جانبها حيث قال مابال النسوة اللاتي قطعن ايديهن فذكرهن ولم يذكرها مع ان الفتن كلها انما نشأت من جانبها جزمت بان رعايته اياها انما كانت تعظيما لجانبها واخفاء للامر عليها وارادت ان تكافئه على هذا الفعل الحسن فلذلك اعترفت بان الذنب انما كان كله من جانبها وان يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريئا من الكل « روى ان امرأة جاءت بزوجها الى القاضي وادعت عليه المهر فامر القاضي بان تكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اداء الشهادة على وجهها فقال الزوج لاحاجة الى ذلك فاني مقر بصدقها في دعواها فقالت حيث اكرمني الى هذا الحد فاشهدوا اني ابرأت ذمته من كل حق لي عليه » حصحص الحق وقوله قال

حصحص في صم الصفا ثفناته ۝ وناء بسلمى نوءة ثم صمما ۝

الصم جمع اصم وهو الحجر المصمت الصلب والصفا جمع الصفاة وهي الصخرة الملساء وثفنات البعير مباركه وهي خمس الصدر والركبتان والرجلان وناء الجمل بحمله اذا نهض مثقلا وصمم في السير وغيره اى مضى وحصحص وناء مسندان الى ضمير البعير يقول هذا البعير الزق ثفناته في ارض ذات حجارة صلبة وركبت عليه سلمى ثم قام بسلمى وقصد السفر

(وقال الملك ائتوني به) بعد ماجاءه الرسول بالتعبير (فلما جاءه الرسول) ليخرجه (قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتي قطعن ايديهن) انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله ليظهر برآءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن مالبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله مابال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ماصنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون (ان ربي بكيدهن عليم) حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن (قال ماخطبكن) قال الملك لهن ماشأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه (اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله) تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله (ماعلمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال شعر

فحصحص في صم الصفا ثفناته ۝ وناء بسلمى نوءة ثم صمما ۝

او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول (انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) في قوله هي راودتني عن نفسي (ذلك ليعلم) قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اى ذلك التثبت ليعلم العزيز (اني لم اخنه بالغيب) بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب عنه اوهو غائب عني اوظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة (وان الله لايهدي كيد الخائنين) لاينفذه ولايسدده اولا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله

(وما ابرئ نفسي) اى لا ازكيها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس انه لما قال ليعلم انى لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك (ان النفس لامارة بالسوء) من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح فى اثرها كل الاوقات (الا ما رحم ربى) الا وقت رحمة ربى او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل ﴿ ٨٩ ﴾ والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام (ان ربى غفور رحيم) يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه (وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى) اجعله خالصا لنفسى (فلما كلمه) اى فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء (قال انك اليوم لدينا مكين) ذو مكانة ومنزلة (امين) مؤتمن على كل شئ روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه بالعربية فقال الملك ما هذا اللسان فقال لسان عمى اسماعيل ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياى منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفى قطفير فى تلك الليالى فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا (قال اجعلنى على خزائن الارض) ولنى امرها والارض ارض مصر (انى حفيظ) لها ممن لا يستحقها (عليم) بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله فى امره لا محالة آثر ما يعم فوائده ويجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولى من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) ارض مصر (يتبوأ منها حيث يشاء) ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون (نصيب برحمتنا من نشاء) فى الدنيا والآخرة (ولا نضيع اجر المحسنين) بل نوفى اجورهم عاجلا وآجلا (ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والفواحش لعظمه ودوامه (وجاء اخوة يوسف) روى انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد فى تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر ى (١٢) والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلى والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأى رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة (فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) اى

ومضى فى السفر ﴿ قوله الا وقت رحمة ربى ﴾ على ان ما مصدرية والمصدر المأول فى محل النصب على انه مستثنى مفرغ والتقدير لامارة بالسوء فى كل الاوقات الا وقت رحمة ربى ﴿ قوله او الا ما رحمه الله ﴾ على ان ما موصولة مستثنى من الضمير المستتر فى امارة كانه قيل ان النفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها ربى لا تأمر بالسوء والمراد بالنفس الجنس فلذلك جاز الاستثناء منها كما فى قوله تعالى ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا ويجوز ايقاع ما على من يعقل على ارادة الوصف كما فى قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقوله وقيل الآية حكاية قول راعيل عطف على قوله قاله يوسف لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن وارتباط الآية بما قبلها على تقدير كونها من كلام راعيل انها لما شهدت على براءة يوسف عليه الصلاة والسلام واعترفت بانه على الحق وانها كانت على الباطل قالت ذلك الذى قلت ليعلم يوسف انى لم اخنه بالغيب ولم اكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه ومع ذلك ما ابرئ نفسى من الخيانة فانى خنته حين قذفته وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن ان كل نفس لامارة بالسوء الا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف عليه الصلاة والسلام ان ربى غفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت ولم يرض المصنف بهذا القول اى بجعل هذا الكلام بقية كلام المرأة لان قوله وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى كلام لا يحسن صدوره الا ممن احترز عن المعاصى ثم ذكر هذا الكلام على سبيل كسر النفس وذلك لا يليق بالمرأة التى استفرغت جهدها فى المعصية ﴿ قوله يغفر هم النفس ﴾ على ان تكون الآية من تتمة كلام يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله او يغفر للمستغفر ﴾ من تتمة كلام زليخا ﴿ قوله فلما اتوا به فكلمه ﴾ اى كلم الملك يوسف عليه السلام وهو الظاهر لان مجالس الملوك لا يحسن لاحد ان يبدأ فيها بالكلام وانما الذى يبتدئ به هو الملك وان جاز ان يكون الفاعل ضمير يوسف والمفعول ضمير الملك والدهاء جودة الرأى ﴿ قوله احب ان اسمع رؤياى منك ﴾ وفى الكشاف قال ايها الصديق انى احب ان اسمع رؤياى منك شفاها قال يوسف عليه الصلاة والسلام رأيت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ومكان السنابل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك من غير ان ينقص منها حرفا قال المفسرون انه عليه الصلاة والسلام لما عبر رؤيا الملك بين يديه قال له الملك فما ترى ايها الصديق قال ان تزرع فى هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبنى الخزائن وتجمع فيها الطعام فاذا جاءت السنون المجدبة بعت الغلات فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال الملك من لى بهذا الشغل فقال يوسف اجعلنى على خزائن الارض اى خزائن ارض مصر على ان تعريف الارض للعهد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فى هذه الآية «رحم الله اخى يوسف انه لما تأنى فى الخروج من السجن سهل الله عليه ذلك الامر على احسن الوجوه ولما سارع فى ذكر الالتماس اخر الله ذلك المطلوب عنه» ودل هذا على ان ترك التصرف وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى اولى ولم يحك الله تعالى عن الملك انه قال قد فعلت ما التمسته منى الا انه تعالى قال وكذلك مكنا ليوسف فى الارض الآية وذلك يدل على ان الملك اجابه الى ما سأل الا انه تعالى اسند التمكين الى نفسه ليعلم ان المؤثر الحقيقى ليس الا الله تعالى وانه هو الذى مكنه فى الارض «روى ان الملك توجه بتاج الكرامة وادخل خاتم الملك فى اصبعه وقلده سيفه ووضع له سريرا من الذهب مكللا بالدر والياقوت فقال يوسف عليه الصلاة والسلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فقال قد وضعته على رأسك اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير متوجا ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير عما كان واجلس يوسف مكانه ثم ان قطفير هلك فى تلك الليالى فزوج الملك يوسف من زليخا امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها اليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت ايها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعل الله فى صورتك فغلبتنى نفسى فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فاصابها فولدت له ابنين افرائيم وميشا فهما ابنا يوسف عليه الصلاة والسلام» ﴿ قوله تعالى وكذلك مكنا ﴾ اى ومثل ذلك التمكين الظاهر الذى انعمنا به يوسف عليه الصلاة والسلام مكناه فى ارض مصر روى انها كانت اربعين فرسخا فى اربعين ينزل من بلادها حيث يهوى لاستيلائه على جميع ارضها ودخولها تحت ملكه وسلطانه وكانت خزائن مصر وجميع بلادها بيده وتحت حكمه بعد ما كان ضيق عليه بالرق والحبس والتمكين الاقدار واعطاء المملكة والمكنة المكانة ﴿ قوله اى عرفهم يوسف ﴾ عليه الصلاة والسلام وسبب معرفته اياهم انه تعالى قد اخبره حين القوه اخوته فى الجب بقوله لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون

عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام (ولما جهزهم بجهازهم) اصلحهم بعدتهم واوقر ركابهم بما جاؤا لاجله واصل الجهاز مايعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى ومازف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر (قال ائتونى باخ لكم من ابيكم) روى انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وماامركم لعلكم عيون قالوا معاذالله انما نحن بنوا اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا عند ابينا يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لايعرفنا احد ههنا فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وأتونى باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطى لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم (الاترون انى اوفى الكيل) اتمه (وانا خير المنزلين) للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم (فان لم تأتونى به فلاكيل لكم عندى ولاتقربون) اى لاتقربونى ولاتدخلوا ديارى وهو اما نهى اونفى معطوف على الجزآء (قالوا سنراود عنه اباه) سنجتهد فى طلبه من ابيه (وانا لفاعلون) ذلك لانتوانى فيه (وقال لفتيته) لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائى وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) فانه وكل بكل رحل واحدا يعبى فيه بضاعتهم التى شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لايكون عند ابيه مايرجعون به (لعلهم يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردها او لكى يعرفوها (اذا انقلبوا) انصرفوا ورجعوا (الى اهلهم) وفتحوا اوعيتهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع (فلما رجعوا الى ابيهم قالوا ياابانا منع منا الكيل) حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين (فارسل معنا اخانا نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل مانحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائى بالياء على اسناده الى الاخ اى يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا (وانا له لحافظون) من ان يناله مكروه (قال) يعقوب لهم (هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل) وقد قلتم فى يوسف وانا له لحافظون (فالله خير حفظا) فاتوكل عليه وافوض امرى اليه وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا على قرآءة حمزة والكسائى وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ (اى) وخير الحافظين (وهو ارحم الراحمين) فارجو ان يرحمنى بحفظه ولايجمع علىّ مصيبتين (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الرآء نقلها فى بيع وقيل (قالوا ياابانا مانبغى) ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا اولا نطلب وراء ذلك احسانا اولا نبغى فى القول ولا نزيد

فعلم بذلك انهم يصلون اليه ويدخلون عليه البتة فلذلك كان مترصدا لوصولهم اليه وكان يتفحص عن كل من وصل الى بابه من البلاد البعيدة ويتعرف احوالهم ليعرف ان هؤلاء الواصلين أهم اخوته ام لا فلما وصل اخوته الى داره تفحص عن احوالهم تفحصا ظهر له بذلك انهم اخوته واما كونهم ماعرفوه فقد ذكر المصنف فيها وجوها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال كان بين ان قذفوه فى الجب وبين ان دخلوا عليه اربعون سنة فلذلك انكروه ﴿ قوله قال ائتونى باخ لكم ﴾ لم يقل باخيكم بالاضافة مبالغة فى عدم تعرفه لهم فانهم فرقوا بين مررت بغلامك وبغلام لك فان الاول يقتضى عرفانك بالغلام دون الثانى ﴿ قوله اما نهى اونفى ﴾ وفى الكشاف فى ولاتقربون وجهان احدهما ان يكون داخلا فى حكم الجزآء مجزوما عطفا على محل قوله فلاكيل لكم كانه قيل فان لم تأتونى به تحرموا ولاتقربوا وان يكون بمعنى النهى انتهى وعلى التقديرين اى سوآء كان خبرا اونهيا يكون داخلا فى حكم الجزآء معطوفا عليه لكن جزمه على الثانى بلا الناهية وعلى الاول بالعطف على ماهو فى محل الجزم ﴿ قوله لانتوانى فيه ﴾ على ان قولهم لفاعلون بمعنى الاستقبال قالوه تأكيدا للوعد ويحتمل ان يكون بمعنى الحال على ان يكون الفعل مجازا عن القدرة عليه بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب فيكون تنزيلا وتخييلا وتأكيدا لفعل المراودة ﴿ قوله تعالى وقال لفتيته ﴾ وهى قرآءة العامة على انها جمع قلة على وزن فعلة كاخوة وصبية والفتيان على وزن فعلان جمع كثرة كاخوان وصبيان والقليل من الثلاثة الى العشرة والكثير فوق العشرة والجمع المصحح من جموع القلة على الاشهر والظاهر ان قوله لغلمانه الكيالين اشارة الى وجه القرآءة على جمع القلة بناء على ان المولى بالكيل جماعة قليلون وقرآءة الفتيان توافق قوله اجعلوا بناء على ان المأمورين بالجعل غير محصورين فى العشرة ومادونها وكذا ضمير الجمع فى نحو اجعلوا بناء على انه لايختص بما يستعمل فيه جمع القلة والرحال جمع رحل وهو الوعاء الذى يحمل المسافر اسبابه فيه والظاهر ان رحال الاخوة ليس اقل من عشرين غرارة فاذا وكل بكل غرارة واحد من الفتيان يكون المأمورون كثيرين زآئدين على العشرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان بضاعتهم التى هى ثمن طعامهم كانت نعالا وأدما وقيل كانت دراهم والمكيال والكيل ايضا مصدر قولك كلت الطعام اذا اعطيته كيلا وكل واحد من المعنيين يصح فى هذا المقام الا انه اذا كان بمعنى المكيال يكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال يقال اكتلت عليه اذا اخذت منه كيلا ويقال كال المعطى واكتال الآخذ واذا قلت كلته يكون المعنى كلت له اى توليت فعل الكيل لاجله قال تعالى واذا كالوهم بمعنى كالوا لهم ﴿ قوله حكم بمنعه ﴾ اى بمنع اعطاء الطعام كيلا حيث قيل فان لم تأتونى به فلاكيل لكم عندى ﴿ قوله نرفع المانع من الكيل ﴾ فان عدم اتيان اخيهم لما كان مانعا من الكيل كان ارساله رفعا لذلك المانع وانما زاد هذا لبيان الملازمة بين الارسال والاكتيال فانه اذا ارسل ارتفع المانع ومقتضى الاكتيال موجود فيحصل المطلوب بارساله لتحقق علته التامة بذلك ﴿ قوله هل آمنكم ﴾ استفهام انكارى يتضمن معنى النفى وقوله الا كما امنتكم منصوب على انه نعت مصدر محذوف اى لا آمنكم على بنيامين الا امنا كامنى على اخيه وقولك آمنته على كذا وائتمنته بمعنى وقد قالوا فى بدء الامر ياابانا مالك لاتأمنا على يوسف الى قولهم وانا له لحافظون يريد انكم قد ذكرتم هذا الكلام فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام ثم خنتم فى حفظه فكيف آمنكم على بنيامين اعتمادا على كلامكم هذا بعد ماشاهدت منكم الخلف وعدم الثبات على القول ثم قال فالله خير حفظا اى خيركم حفظا اى خير من حفظكم اياه يريد به انى وثقت بكم فى حفظ يوسف عليه الصلاة والسلام فكان ما كان فالآن اتوكل على الله فى حفظ بنيامين فتوكل على الله تعالى فى حفظه ودفعه اليهم قال كعب لما قال يعقوب فالله خير حفظا قال الله عز وجل وعزتى وجلالى لاردن عليك كليهما بعدما توكلت علىّ ﴿ قوله تعالى ولما فتحوا متاعهم ﴾ المتاع يطلق على كل مايصلح لان يستمتع به ويجوز ان يراد به ههنا الطعام الذى حملوه وان يراد اوعية ذلك الطعام وبضاعتهم ماشروا به الطعام ﴿ قوله ماذا نطلب ﴾ على ان تكون كلمة ما فى مانبغى استفهامية فى محل النصب على انها مفعول نبغى قدمت عليه لان لها صدر الكلام والمعنى اى شئ نبغى بعد هذا الاكرام حيث اكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب لمافعل ذلك ثم باع كل واحد منا حمل بعير من الطعام ورد علينا ثمن الطعام على احسن الوجوه وعلى ماذكره بعد هذا تكون ما نافية اى لانطلب وراء مارأينا من احسانه احسانا آخر ولا نكذب ولا نتعدى فيما نتكلم فى وصفه مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال على ان البغى بمعنى التعدى لا بمعنى الطلب ﴿ قوله ونزداد كيل بعير ﴾

اى حمل بعير وانما قالوا ذلك لان يوسف عليه الصلاة والسلام كان لايكيل لكل رجل الاحمل بعير فعلى تقدير ان يحضر معهم اخوهم بنيامين لابد وان يزداد له ذلك الحمل وقولهم ونمير اهلنا اى نجلب اليهم الطعام يقال مار اهله يميرهم ميرا اذا اتاهم بطعام والميرة الطعام الذى يمتاره الانسان اى يجلبه من بلد آخر ﴿قوله هذا﴾ اى الاحتياج الى تقدير المعطوف عليه انما هو اذا كانت ما استفهامية لاختلافهما خبرا وانشاء ولايصح عطف الخبرية على الجملة الاستفهامية لعدم الجامع بينهما فتعين كونه معطوفا على محذوف واما اذا كانت نافية فحينئذ يجوز الامران اى كونه معطوفا على محذوف وكونه معطوفا على قوله مانبغى لكونها خبرية حينئذ والمعنى لانبغى ولانكذب على الملك فيما وصفناه بالكرم والاحسان ومن جملة كرمه انه رد الينا بضاعتنا على احسن الوجوه ونمير اهلنا ﴿قوله ماتوثق به﴾ ومعنى كون ذلك العهد كائنا من عند الله تعالى كونه مؤكدا باشهاد الله تعالى عليه بسبب القسم بالله تعالى عليه ولما كان المعنى حتى تحلفوا بالله كان المعنى لقوله عليه الصلاة والسلام لتأتننى به جواب القسم ﴿قوله الا ان تغلبوا او الا ان تهلكوا جميعا﴾ يعنى ان كونهم محاطا بهم كناية اما عن كونهم مغلوبين مقهورين بحيث لايقدرون على اتيانهم به البتة او عن هلاكهم وموتهم جميعا فان من احاط به العدو يصير مغلوبا عاجزا من تنفيذ مراده او هالكا بالكلية ومن استعمال الاحاطة فى الهلاك قوله تعالى واحيط بثمره اى اصابه ما اهلكه فهلك وقوله وظنوا انهم احيط بهم ﴿قوله او من اعم العلل على ان قوله لتأتننى به فى تأويل النفى﴾ وفى الكشاف والاستثناء من اعم العام لايكون الا فى النفى فلابد من تأويله بالنفى والمعنى لاتمتنعون من الاتيان به لعلة من العلل الالعلة واحدة وهى ان يحاط بكم ونظيره فى الاثبات المتأول بمعنى النفى قولهم اقسمت بالله لما فعلت والافعلت يريد ماطلب منك الا الفعل وروى عن الزمخشرى انه قال عفا الله عنه اقسمت اثبات فى الظاهر وليس به لانه فى معنى النفى وقسم وليس بقسم لانه فى معنى الاستدعاء والطلب وظاهر لما للوقت وليس بوقت لانه فى معنى الاستثناء وما بعده فعل وليس بفعل لانه فى معنى الاسم فالكلام كله اذا ليس على ظاهره بل هو مأول ولذلك اعضل على سيبويه حتى قال لقد سألت الخليل عن قول العرب اقسمت بالله لما فعلت فحاصل كلام الزمخشرى ان الاستثناء من اعم العام لايكون الا فى النفى او فيما هو مأول به فجعل قوله لتأتننى به الا ان يحاط بكم مقترنا بالنفى وذكر صاحب الانتصاف ما محصوله انما اختص هذا النوع من الاستثناء بالنفى لانه اذا لم يذكر المستثنى منه فى الكلام المنفى نفى الاتيان به على وجه الاطلاق ونفى الاتيان به على وجه الاطلاق انما يصح اذا عم حكم النفى لجميع افراد الحكم المنفى فاذا انتفى الاتيان به على وجه الاطلاق مثلا نفى جميع صور الاتيان به ووجوهه فكان الكلام لعموم مافيه من النفى كانه معروف مقرون بذكر المستثنى منه ولا كذلك الاثبات فانه لااشعار له بعموم الاحوال الا انه لايتوقف الاعلى احدها ثم قال ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم * البلاء موكل بالمنطق * فان يعقوب عليه الصلاة والسلام قال اولا فى حق يوسف عليه الصلاة والسلام واخاف ان يأكله الذئب فابتلى من ناحية هذا القول حيث قالوا اكله الذئب وقال ههنا لتأتننى به الا ان يحاط بكم اى الا ان تغلبوا عليه فابتلى ايضا بذلك واحيط بهم وغلبوا عليه والذى يرى من كلام المصنف ان قول الزمخشرى والاستثناء من اعم العام لايكون الا فى النفى ليس على عمومه بل هو منوط باقتضاء المقام ان يأول الاثبات بالنفى حيث جعل قوله الا ان يحاط بكم مستثنى مفرغا من اعم الاحوال من غير ان يأول الاثبات فى لتأتننى به بالنفى وان صح ان يجعل المعنى لاتمتنعون من الاتيان به على كل حال الا فى حال ان يحاط بكم * الابهة العظمة والكبرياء يقال تأبه الرجل اذا تكبر وكوكبة واحدة اى جماعة عظيمة وكوكب الشئ * معظمه وكوكب الروض نورها ﴿قوله فيعانوا﴾ اى يصابوا بالعين يقال عنت الرجل اصبته بعينى فانا عائن وهو معين على النقص ومعيون على التمام ﴿قوله والنفس آثار منها العين﴾ لما بين ان يعقوب عليه الصلاة والسلام انما قال لبنيه لاتدخلوا مصر من باب واحد بناء على انه عليه الصلاة والسلام خاف عليهم من العين لعلمه بان العين حق يدل عليها تجارب العقلاء من الزمن الاقدم وتطابق سنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام على حقيتها ايده بما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين رضى الله عنهما بعوذة ويقول لهما ان اباكما كان يعوذ بها اسمعيل واسحق عليهما الصلاة والسلام وهى اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة * وروى عن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اول النهار فرأيته شديد الوجع ودخلت

فيما حكيناك من احسانه وقرئ ما تبغى على الخطاب اى اى شئ تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا (هذه بضاعتنا ردت الينا) استئناف موضح لقوله ما نبغى (ونمير اهلنا) معطوف على محذوف اى ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك (ونحفظ اخانا) من المخاوف فى ذهابنا وايابنا (ونزداد كيل بعير) وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على ما نبغى اى لانبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا (ذلك كيل يسير) اى مكيل قليل لايكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شئ قليل لايضايقنا فيه الملك ولايتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لايخاطر لمثله بالولد (قال لن ارسله معكم) اذ رأيت منكم ما رأيت (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى تعطونى ماتوثق به من عند الله اى عهدا مؤكدا بذكر الله (لتأتننى به) جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتننى به (الا ان يحاط بكم) الا ان تغلبوا فلاتطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتننى به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتننى به فى تأويل النفى اى لاتمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اى ما اطلب الا فعلك (فلما آتوه موثقهم) عهدهم (قال الله على مانقول) من طلب الموثق واتيانه (وكيل) رقيب مطلع (وقال يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة) لانهم كانوا ذوى جمال وابهة مشتهرين فى مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعى اليها خوفه على بنيامين والنفس آثار منها العين والذى يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فى عوذته اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة

(وماأغنى عنكم من الله من شئ) مماقضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لايمنع القدر (ان الحكم الالله) يصيبكم لامحالة ان قضى عليكم سوأ ولا ينفعكم ذلك (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) جمع بين الحلفين فى عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم (ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) اى من ابواب متفرقة فى البلد (ما كان يغنى عنهم) رأى يعقوب واتباعهم له (من الله من شئ) مماقضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا واخذ بنيامين لوجدان الصواع فى رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب (الاحاجة فى نفس يعقوب) استثناء منقطع اى ولكن حاجة فى نفسه يعنى شفقته عليهم وحرازته من ان يعانوا (قضاها) اظهرها ووصى بها (وانه لذو علم لما علمناه) بالوحى ونصب الحجج ولذلك قال وما اغنى عنكم من الله من شئ ولم يغتر بتدبيره (ولكن اكثر الناس لايعلمون) سر القدر وانه لايغنى عنه الحذر (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه) ضم اليه بنيامين على الطعام او فى المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لوكان اخى يوسف حيا جلس معى فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لاثانى له فيكون معى فبات عنده وقال له أتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه و(قال انى انا اخوك فلا تبتئس) فلا تحزن افتعال من البؤس (بما كانوا يعملون) فى حقنا فيما مضى (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) المشربة (فى رحل اخيه) قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا (ثم اذن مؤذن) نادى مناد (ايتها العير انكم لسارقون) لعله لم يقله بامر يوسف عليه الصلاة والسلام او كان تعبية السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون

عليه فى آخر النهار فرآه معافى فقال ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتانى فرقانى وقال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن كل عين وحاسد والله يشفيك قال صلى الله عليه وسلم فافقت وقال صلى الله عليه وسلم « العين حق ولوكان شئ يسبق القدر لسبقت العين القدر » وعن عائشة رضى الله عنها كان يؤمر العائن ان يتوضأ ثم يغتسل منه المعين وهو الذى اصيب بالعين فلما ثبت بمثل هذه الدلائل ان العين حق واطبق المتقدمون من المفسرين على ان يعقوب عليه الصلاة والسلام انماقال ذلك لبنيه خوفا عليهم من العين قال المصنف اولا فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ثم شرع فى بيان سبب تأثر بدن المعين اذا رآه العائن واستحسنه وتعجب منه فقال وللنفس آثار منها العين يعنى ان تأثير المؤثر من العين لايجب ان يكون مستندا الى القوى الجسمانية بل قديكون التأثير نفسانيا محضا ويدل عليه ان اللوح الذى يكون قليل العرض اذا كان موضوعا على الارض يقدر الانسان على المشى عليه ولوكان موضوعا فيما بين جدارين عاليين يعجز عن المشى عليه وماذلك الالان خوفه من السقوط يوجب سقوطه منه فعلنا ان التأثيرات النفسانية موجودة وايضا اذا تصور الانسان كون فلان مؤذياله حصل له فى قلبه غضب يسخن بذلك مزاجه جدا فبدأ أثاث السخونة ليس الا ذلك التصور النفسانى ولان مبدأ الحركات البدنية ليس الا التصورات النفسانية فلما ثبت ان تصور النفس يوجب تغير بدنها الخاص لم يبعد ايضا ان يكون بعض النفوس مؤثرا فى سائر الابدان فان جواهر النفس مختلفة بالماهية فجاز ان يكون بعض النفوس بحيث تؤثر فى تغير بدن حيوان آخر بشرط ان يراه ويتعجب منه والهامة واحدة الهوام وهى الحيات وكل ذى سم يقتل واما مالاسم له يقتل فهو السوام وواحدتها سامة كالعقرب والزنبور وقدتقع الهوام على كل مايدب من الحيوان واللامة الملمة من الممت به اى نزلت وجئ بها على فاعلة ولم يقل ملمة لازدواج هامة ويجوز ان تقال على ظاهرها بمعنى جامعة للشر على المعيون من لمه لله اذاجمعه يقال ان الدار لتلم الناس اى تجمعهم ثم ان يعقوب عليه الصلاة والسلام بعد ماامر بنيه برعاية الاسباب المعتبرة فى هذا العالم بين لهم انه لايصل الى العبد الاماقدر عليه بقدر الله تعالى وارادة وجوده فقال وماأغنى عنكم من الله من شئ وكان قتادة رضى الله عنه يفسر الاصابة باصابة العين ويقول ليس فى قوله وما اغنى عنكم من الله من شئ ابطال له لان تأثير العين ليس مشروطا بالاجتماع او الافتراق وكل ماقدره الله تعالى فهو كائن لامحالة « قال الامام واعلم ان الانسان مأمور بان يراعى الاسباب المعتبرة فى هذا العالم ومأمور ايضا بان يجزم بانه لايصل اليه الاماقدره الله تعالى وان الحذر لايغنى من القدر فان الانسان مأمور بان يحذر ويتقى الاشياء المهلكة والاغذية الضارة ويسعى فى تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الامكان ثم انه مع ذلك ينبغى ان يكون جازما بانه لايصل اليه الاماقدره الله تعالى ولايدخل فى الوجود الامااراده الله تعالى فينبغى للانسان ان يجمع بين رعاية الاسباب المعتبرة فى هذا العالم وبين ان لايعتمد عليها ولا يراعيها الاعلى التعديل ويربط قلبه بمشيئة الله تعالى وان يقطع رجاءه عن كل شئ سواه ﴿ قوله لتقدم الصلة ﴾ بيان لوجه امكان الجمع بينهما فان قوله عليه لولم يتقدم على متعلقه لما امكن الجمع بينهما وقوله للاختصاص علة لتقدمها وقوله كان الواو بيان لفائدة الجمع بينهما ﴿ قوله تعالى ولما دخلوا ﴾ فى جواب لما هذه ثلاثة اوجه احدها وهو الظاهر انه الجملة المنفية وهى قوله ما كان يغنى وثانيها ان جوابها محذوف تقديره امتثلوا وقضوا حاجة ابيهم لان ارتكاب الحذف مع اشتمال الكلام على مايصلح جوابا صريحا لايخلو عن تعسف وثالثها ان الجواب هو قوله آوى اليه اخاه قال ابو البقاء وهو جواب لما الاولى والثانية كقولك لماجئتنى ولما كلمتك اجبتنى وحسن ذلك ان دخولهم على يوسف عليه الصلاة والسلام عقب دخولهم من الابواب ﴿ قوله فسرقوا ﴾ اى نسبوا الى السرقة وافتضحوا بذلك والحرازة الاحتراز والتوقى ﴿ قوله اى ولكن حاجة ﴾ اشارة الى ان حاجة منصوبة بالاالكونها بمعنى لكن وقضاها خبر لكن والمعنى ان رأى يعقوب عليه الصلاة والسلام فى حق بنيه وهو ان يدخلوا من الابواب المتفرقة واتباع بنيه له فى ذلك الرأى ماكان يدفع عنهم شيأ مماقضاه الله تعالى عليهم ولكن يعقوب اظهر بذلك الرأى مافى نفسه من الشفقة والاحتراز من ان يعانوا واوصى به ﴿ قوله لعله لم يقله بامر يوسف عليه الصلاة والسلام الخ ﴾ جواب عمايقال كيف يليق بيوسف عليه الصلاة والسلام وهو الرسول الحق من عند الله ان يتهم اقواما ويفسبهم الى السرقة كذبا وبهتانا « وتقرير الجواب بوجوه الاول ان المنادى فعله من عند نفسه بناء على ان يوسف عليه الصلاة والسلام وضع السقاية بنفسه فى رحل اخيه واخفى الامر عن الكل او امر بذلك بعض

خواصه وهو اخلق ذلك من الكل ثم ان اصحاب يوسف عليه السلام لما طلبوا السقاية وما وجدوها وما كان هناك احد غير الذين ارتحلوا غلب على ظنهم انهم هم الذين اخذوها فنادى المنادى من بينهم على حسب ظنهم انكم لسارقون فخلفوا بقولهم تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزآؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزآؤه من وجد في رحله فهو جزآؤه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كانوا في ذلك الزمان يستعبدون كل سارق بسرقته سنة وكان استعباد السارق في شرعهم جاريا مجرى وجوب القطع في شرعنا قال اصحاب يوسف عليه الصلاة والسلام فأنيخوا نفتش رحالكم فأناخوا واثقين ببرآءتهم ففتشوا رحل الاخ الاكبر ثم الذى يليه حتى بلغوا رحل بنيامين فوجدوا الصاع مدسوسا فيه فلما استخرجوه منه نكسوا رؤسهم وانقطعت السنتهم فاخذوا بنيامين مع مامعه من الصواع وردوه الى يوسف عليه الصلاة والسلام من عند انفسهم وتقرير الثانى ان المراد انكم لسارقون يوسف من ابيه الاانهم لم يصرحوا بهذا المعنى على ماهو الاصل وتقرير الثالث ان تعبية السقاية واخفاءها ثم النداء بنسبة السرقة اليهم كان برضى بنيامين فلم يتألم قلبه بسبب نسبة السرقة اليه فخرجت عن كونها ذنبا وذلك ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما اظهر لاخيه انه اخوه يوسف قال فانا لا افارقك بعد هذا فقال يوسف عليه الصلاة والسلام قد علمت اغتمام الوالدين بانقطاعك عنهما بغير سبب يوجبه ولا يمكننى حبسك الا بعد ان اشهرك بامر فظيع قال لا ابالى فافعل مابدالك قال فانى ادس صاعى هذا في رحلك ثم انادى عليك بالسرقة ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك معهم ففعل ذلك برضاه وتقرير الجواب الرابع ظاهر وهو ان المعنى انكم لسارقون على سبيل الاستفهام فلا يكون كذبا ﴿قوله لانها تعير اى تردد﴾ يقال عار في الارض يعير اى ذهب والعارة الناقة التى تخرج على الابل اى تعرض على الفحل وعار الفرس اى انقلب وذهب ههنا وههنا من مرحه ونشاطه ويسمى الاسد عيارا لجيئته وذهابه في طلب صيده والعير بالكسر جمع عير بالفتح واصلها عير بضم العين وسكون الياء فكسرت العين لئلا تنقلب الياء واوا كما فعل ذلك في بيض جمع ابيض اصله بيض نحو احمر وحمر ﴿قوله واقبلوا عليهم﴾ جملة حالية من فاعل قالوا اى قالوا في حال اقبالهم عليهم ﴿قوله وقرئ صاع﴾ قيل لافرق بين الصاع والصواع بناء على قرآءة صاع الملك مكان صواع الملك وقيل الصواع اسم والسقاية وصف كقولهم كوز وسقاء فكوز اسم والسقاء وصف وجمع صواع صيعان كغراب وغربان وجمع صاع اصوع كباب وابوب ، وكم الدواب هو سد افواهها بالكمام والكمام شئ يجعل في فم البعير يقال كممت البعير اذا سددت فمه في هياجه فهو مكموم ﴿قوله قسم فيه معنى التعجب﴾ اى يلازمه التعجب غالبا ومنه قوله تعالى تالله تفتأ تذكر يوسف والمعنى مااعجب حالكم انتم تعلمون علما جليا لاريب فيه لما شاهدتم من احوالنا انا بريئون مما تنسبونه الينا فكيف تقولون لنا انكم لسارقون ﴿قوله فهو جزآؤه﴾ تقرير الحكم والزامه حكموا اولا بان جزاء سرقة الصواع اخذ من وجد في رحله واسترقاقه ثم قرروا ذلك الحكم والزموه بقولهم فهو جزآؤه اى فاخذ السارق نفسه هو جزآء سرقته كقولك حق زيد ان يكسى ويتم عليه ثم تقول فذلك حقه تقرر به ماذكرته من استحقاقه لذلك وتلزمه به ﴿قوله او خبر من﴾ اى ويحتمل ان يكون جزآؤه مبتدأ ومن موصولة مرفوعة المحل على انها مبتدأ ثان او شرطية وقوله وجد في رحله فعل الشرط وقوله فهو جزآؤه جواب الشرط ومن مع مافى حيزها على التقديرين خبر المبتدأ الاول وهو جزآؤه ﴿قوله على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير﴾ جواب عما يقال كيف يكون قوله تعالى من وجد في رحله فهو جزآؤه خبرا لمبتدأ الاول ولاعائد فيه يعود على الاول وتقرير الجواب انه لو قال من وجد في رحله فهو هو لتحققت الرابطة لكنه اقام الظاهر الثانى مقام ذلك الضمير فحصل الربط بذلك كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثانى الى الاخ ثم تقول فهو اخوه بمظهر يقوم مقام المضمر ثم ان اخوة يوسف لما افتوا بان جزآء السارق الاسترقاق قال المؤذن او يوسف لابد من تفتيش اوعيتكم فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفى التهمة ثم استخرجها من وعاء بنيامين فحبسه عنده بمقتضى فتواهم ﴿قوله بان علمناه اياه واوحينا به اليه﴾ فسر الكيد المسند اليه تعالى بالتعليم والايحاء لان حقيقة الكيد مستحيل في حقه تعالى وذلك لان الكيد عبارة عن المكر والخديعة وهو ان توهم غيرك خلاف ماتخفيه فهو في حق الله تعالى محمول على التمثيل فان صورة صنع الله تعالى في تعليم يوسف عليه الصلاة والسلام ان لايحكم على اخوته حكم الملك وهو ان يضرب السارق ويغرم مثلى

والعير القافلة وهو اسم الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تتردد فقيل لاصحابها كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به مافعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة (قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون) اى شئ ضاع منكم والفقد غيبة الشئ عن الحس بحيث لايعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا (قالوا نفقد صواع الملك) وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة (ولمن جاء به حمل بعير) من الطعام جعلا له (وانا به زعيم) كفيل أؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله (لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين) استشهدوا بعلمهم على برآءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتى مجيئهم ومداخلتهم للملك مايدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التى جعلت في رحالهم وكم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد (قالوا فما جزآؤه) فما جزآء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف (ان كنتم كاذبين) في ادعاء البرآءة (قالوا جزآؤه من وجد في رحله فهو جزآؤه) اى جزآء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام وقوله فهو جزآؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هى خبر جزآؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزآؤه من وجد في رحله فهو هو (كذلك نجزى الظالمين) بالسرقة (فبدأ باوعيتهم) فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر (قبل وعاء اخيه) بنيامين نفيا للتهمة (ثم استخرجها) اى السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث (من وعاء اخيه) وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة (كذلك) مثل ذلك الكيد (كدنا ليوسف) بان علمناه اياه واوحينا به اليه (ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك) ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد

ما اخذه بل يحكم عليهم على سنن مذهبهم وهو ان يستعبد السارق سنة صورة صنع من يوهم الغير خلاف ما يخفيه لان مقصود يوسف عليه الصلاة والسلام ايواء اخيه اليه وكان لا يتم ذلك الا بهذه الحيلة ولما كان قوله تعالى ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك هو عين الكيد قال المصنف هو بيان للكيد ﴿قوله فالاستثناء من اعم الاحوال﴾ اى ما كان ليأخذه فى كل حال الا فى حال كونه ملتبسا بمشيئة الله تعالى واذنه ان يجعل ذلك الحكم حكم نفسه ويجوز ان يكون الا ان يشاء الله كلمة تأبيد كأنه قيل ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك ابدا لانه جل من انصف بمنصب النبوة عن ان يحكم بدين الكفار نحو قوله تعالى وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم فى ملتهم مالن يشاؤه الله ابدا وقرأ الكوفيون درجات بالتنوين والباقون بغير تنوين وقرأ يعقوب بالياء التحتانية فى نرفع ونشاء والفاعل هو الله تعالى فان قرئ درجات من نشاء بالاضافة يكون درجات مفعول نرفع وان قرئ منونا غير مضاف يكون من نشاء مفعول نرفع ويكون درجات منصوبا على الظرفية او بنزع الخافض اى الى درجات والجملة استئناف تقرر مضمون قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف وقوله تعالى وفوق كل ذى علم عليم تذييل لما قبله فان التذييل ان يعقب الكلام بما يشتمل على معناه تأكيدا له وهو من هذا القبيل فانه تعالى بين اولا ان اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام وان كانوا علماء فضلاء الا انه تعالى فضل يوسف عليه الصلاة والسلام عليهم فى العلم ثم قرر ذلك بقوله نرفع درجات من نشاء بسبب العلم كما رفعنا درجات يوسف واكد ذلك بانه المنفرد بالعلم الكامل وان علوم جميع الخلائق مستفادة منه فائضة عليهم بتعليمه والهامه فيكون فوق كل ذى علم من خلقه ﴿قوله واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته﴾ لا بعلم زائد يقوم به وهم المعتزلة الذين يقولون انه تعالى عالم وليس بذى علم لانه لو كان ذا علم لكان فوقه عليم لعموم هذه الآية وهو باطل * واجاب عنه المصنف بتخصيص عموم قوله تعالى كل ذى علم من الخلق لان الكلام فيهم لما ذكرنا فى بيان كون قوله تعالى وفوق كل ذى علم عليم تذييلا لما قبله وكيف لا يخص هذا العام وقد دل سائر الآيات على انه تعالى ذو علم منها قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله تعالى انزله بعلمه وقوله تعالى لا يحيطون بشئ من علمه وقوله تعالى ولا تضع الا بعلمه ولما وقع التعارض بين هذه النصوص وبين ما تمسك به الخصم وجب تخصيصه بذى علم من الخلائق اعتمادا على قيام قرينة التخصيص توفيقا بين النصوص ومما دل على ارادة الخصوص ان العليم لكونه صفة مشبهة مبنية من علم بعد نقله الى فعل بضم العين حتى يكون فعلا لازما من الافعال الغريزية يدل على المبالغة فى اتصاف الذات بما قام به من حيث كونه امرا مستقرا دائم الثبوت كما هو شان الافعال الغريزية وكان العليم بمعنى من له العلم البالغ وهو الله عز وجل فاذا كان المفضل بالعلم هو الله تعالى لكون المفضل عليه هو العلماء من الخلائق فيكون المراد بقوله كل ذى علم من له علم من الخلق ﴿قوله ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم﴾ دليل ثالث على ارادة الخصوص * وتقريره ان قوله تعالى فوق كل ذى علم وان كان بمعنى كل واحد على ان تكون كل استغراقية ومن المعلوم انه تعالى لا يدخل فى كل العلماء والا لما كان فوقه لان من كان فوقه يكون خارجا عنه لا محالة * ثم ان الصواع لما خرج فى رحل بنيامين افتضح الاخوة ونكسوا رؤسهم فقالوا تبرئة لساحتهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون ان هذه الواقعة ليست ببعيدة منه فان اخاه الذى هلك كان ايضا سارقا ونحن ايضا لسنا على طريقتهما وسيرتهما لانهما من ام اخرى ثم قالوا يا ابنى راحيل ما اكثر البلاء علينا من قبلكما فقال بنيامين ما اكثر البلاء علينا منكم ذهبتم باخى وضيعتموه فى المفازة ثم تقولون فى حق هذا قالوا له فكيف خرج الصواع من رحلك قال وضعه فى رحلى من وضع البضاعة فى رحلكم واختلفوا فى السرقة التى نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام على اقوال الاول انه كانت لابراهيم عليه الصلاة والسلام منطقة يتوارثها اكابر ولده ويتبركون بها فورثها اسحق ثم دفعت الى ابنته عمة يوسف وكانت اكبر اولاده وكانت تحب يوسف حبا شديدا بحيث لا تصبر عنه وكانت حضنته بعد وفاة امه فلما شب يوسف اراد يعقوب ان ينزعه منها فاحتالت بان شدت المنطقة على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها ففتشوا عنها فوجدوها مشدودة على يوسف فقالت انه سرقها منى فكان حلالا وكان حكمهم ان من سرق يسترق فتوسلت بهذه الحيلة الى امساكه عند نفسها فتركه يعقوب عندها الى ان ماتت والقول الثانى ما روى عن سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه انه كان جده ابو امه كافرا يعبد الوثن فامرته امه بان يسرق ذلك الوثن ليترك عبادة الاوثان والعناق الانثى من ولد المعز ﴿قوله وقيل انها كناية بشريطة التفسير﴾ يعنى ضمير اسرها مبهم

(بفسر)

(الا ان يشاء الله) ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اى لكن اخذه بمشيئة الله واذنه (نرفع درجات من نشاء) بالعلم كما رفعنا درجته (وفوق كل ذى علم عليم) ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذى علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذى له العلم البالغ ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص (قالوا ان يسرق) بنيامين (فقد سرق اخ له من قبل) يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدها محزومة عليه فصارت احق به فى حكمهم وقيل كان لابى امه صنم فسرقه وكسره والقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل وقيل دخل كنيسة واخذ تمثالا صغيرا من الذهب (فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم) اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله (قال انتم شر مكانا) فانه بدل من اسرها والمعنى قال فى نفسه انتم شر مكانا اى منزلة فى السرقة لسرقتكم اخاكم او فى سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان (والله اعلم بما تصفون) وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون

(قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا) في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه (فخذ احدنا مكانه) بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به (انا نراك من المحسنين) الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك (قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه (انا اذا لظالمون) في مذهبكم هذا وأن مراده ان الله اذن ان آخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما (فلما استيأسوا منه) يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزى استايسوا بالالف وفتح الياء من غير همز واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على الياء على اصله (خلصوا) انفردوا واعتزلوا (نجيا) متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندى واندية (قال كبيرهم) في السن وهو روبيل او في الرأى وهو شمعون وقيل يهودا (الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله) عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته (ومن قبل) ومن قبل هذا (ما فرطتم في يوسف) قصرتم في شأنه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع من الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اى ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم (فلن ابرح الارض) فلن افارق ارض مصر (حتى يأذن لى ابى) في الرجوع (او يحكم الله لى) او يقضى الله لى بالخروج منها او بخلاص اخى منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لأصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب عليه السلام اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه لا يكون الا بالحق (ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق) على ما شاهدناه من ظاهر الامر وقرئ سرق اى نسب الى السرقة

يفسره قوله تعالى انتم شر مكانا * فان قيل لو كان بدلا من اسرها لكان مقول القول وهو انتم شر مكانا مفسرا لضمير اسرها فان الاضمار على شريطة التفسير على ضربين احدهما ان يفسر بمفرد نحو نعم رجلا زيد ففي نعم ضمير هو الفاعل ورجلا تفسيره ومثله ربه رجلا وثانيهما ان يفسر بجملة نحو قل هو الله احد اى الامر الله احد وانث الضمير المفسر بقوله انتم شر مكانا لما ذكر وانما قال في نفسه لان هذه الجملة لما وقعت تفسيرا لضمير اسرها وجب ان يقولها وصفا في نفسه ﴿قوله او من المتعودين الاحسان﴾ الجملة على التقدير مستأنفة لبيان الموجب لان المعنى على الاول فخذ احدنا مكانه اما على طريق الاستعباد او على طريق الرهن الى ان يوصل اليك الفداء كما كنت تحسن الينا فيما سلف فيكون هذا الاحسان من تتمته والمعنى على الثاني اثبات احسانه على العموم في كل الناس ﴿قوله هذا﴾ اى فخذ هذا فانه هو المعنى المستفاد من الظاهر الان المراد انا اذا لظالمون بالحمل على خلاف ما اذن الله فيه ﴿قوله وزيادة السين والتاء للمبالغة﴾ فان السين للطلب فدل على انهم كانوا في يأس وهو انتفاء الطمع فطلبوا من انفسهم الزيادة على ما هم فيه وبناء استفعل هنا بمعنى المجرد الا انه ابلغ منه ﴿قوله وانما وحده﴾ مع ان ذا الحال جمع لانه مصدر بمعنى التناجي كالصهيل والنهيق الاول صوت الفرس والثاني صوت الحمار يقال صهل الفرس يصهل بالكسر صهيلا او صفة بمعنى التناجي كالعشير بمعنى المعاشر على ان وزن فعيل مثل صديق فيوحد لكونه على زنة المصدر فعومل معاملة المصدر وعلى تقدير كونه مصدرا يكون المعنى انهم انفردوا عن الناس فصاروا بحيث لا يخالطهم سواهم كانهم تناجيا محضا لاجتماعهم لذلك واستفاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم باى صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شأن اخيهم ﴿قوله وما مزيدة﴾ ذكر في كلمة ما ثلاثة اوجه الاول ان تكون مزيدة فيتعلق الظرف الذى قبلها بالفعل الذى بعدها والتقدير ومن قبل هذا فرطتم اى قصرتم في حق يوسف عليه الصلاة والسلام وشأنه وزيادة ما كثيرة والثاني ان تكون ما مصدرية فيكون ما فرطتم في تأويل المصدر المنصوب او المرفوع محلا ووجه النصب العطف على مفعول تعلموا وهو ان اباكم قد اخذ اى الم تعلموا اخذ ابيكم الميثاق وتفريطكم في يوسف من قبل غاية ما في الباب ان قوله من قبل وقع فاصلا بين المعطوف والمعطوف عليه ولا بأس به وان قال بعضهم انه لا يجوز الا في ضرورة الشعر والوجه الثاني للنصب كونه معطوفا على اسم ان اى ألم تعلموا ان اباكم قد اخذ وان تفريطكم في حق يوسف عليه الصلاة والسلام واقع من قبل او ان تفريطكم من قبل هذا واقع في حق يوسف عليه الصلاة والسلام ووجه الثاني كون المصدر المأول مبتدأ ومن قبل خبره قدم عليه اى وتفريطكم في شأن يوسف عليه الصلاة والسلام واقع من قبل واورد عليه ان الظروف التي هي غايات اذا بنيت لكونها مقطوعة عن الاضافة لا تقع اخبارا للمبتدأ وكذا لا تقع صفة ولا صلة ولا حالا لانها بذلك تبقى ناقصة فلا تفيد خبرا ولا شيأ من ذلك فلا تقول يوم السبت مبارك والسفر بعده ولا تقول والسفر بعد وتقول زيد عمرو خلفه ولا تقول زيد عمرو خلف والوجه الثالث في كلمة ما ان تكون موصولة اسمية بمعنى الذى فيكون التفريط على هذا الوجه بمعنى التقديم لا بمعنى التقصير ويكون محلها ما تقدم على تقدير كونها مصدرية وهو الرفع على الابتداء وخبرها من قبل والتقدير والذى قدمتموه في حق يوسف عليه الصلاة والسلام واقع قبل هذا والنصب معطوف على مفعول الم تعلموا والتقدير الم تعلموا اخذ ابيكم الميثاق والذى قدمتموه في حق يوسف من قبل ثم انهم لما تناجوا وتفكروا قال كبيرهم ان ابانا قد اخذ علينا موثقا من الله وايضا نحن متهمون بواقعة يوسف فليس لنا مخلص من هذه الورطة فانا لا افارق ارض مصر الا ان يأذن لى ابى في الانصراف اليه او يحكم الله لى واما انتم فارجعوا الى ابيكم واذكروا له كيفية الواقعة كما وقعت من غير تفاوت كما قال ارجعوا الى ابيكم الآية ﴿قوله سرق على ما شاهدناه من ظاهر الامر﴾ جواب عما يقال كيف حكموا عليه انه سرق بمجرد ظهور الصواع في رحله مع قيام احتمال ان يضعه فيه غيره حكمة مع ان بنيامين قال لهم كيف تنسبوننى الى السرقة بمجرد وجدان الصاع في رحلي فان كان هذا القدر مقتضيا لنسبة السرقة الى احد يلزم ان تكونوا سارقين لوجود البضاعة في رحالكم وتقرير الجواب انهم انما قالوا ذلك بناء على انهم شاهدوا ما يدل على كونه سارقا بحسب الظاهر فانهم شاهدوا ان اصحاب الملك اخرجوا الصواع من رحله بعدما ادعوا السرقة عليهم وفتشوا رحالهم وحكموا بذلك على انه سارق واخذوه بحكم السرقة فبهذا السبب غلب على ظنهم انه سرق فشهدوا عليه بانه سرق بناء على الظن ثم بينوا انهم غير قاطعين بهذا الامر حيث قالوا وما شهدنا

الا بما علمنا اى بما رأينا من انهم اخرجوا الصاع من رحله وحكموا بذلك على انه سارق واما حقيقة الحال فغير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى فالمراد بالغيب على هذا باطن الحال وقيل المراد به عواقب الامور فالمعنى ما كنا نعلم ان ابنك سيسرق اى انك ستصاب به كما اصبت بيوسف ولو علمنا ذلك لما ذهبنا به اليها الى الملك ولما اعطيناك موثقا من الله تعالى فى رده اليك ثم انهم لما كانوا متهمين بسبب واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام امر كبيرهم بان يبالغوا فى ازالة التهمة عن انفسهم ويقولوا واسأل القرية التى كنا فيها اى وقولوا اسأل القرية ليتبين لك صدقنا وقال المفسرون المراد باصحاب العير قوم من الكنعانيين صحبوهم متوجهين الى كنعان فقالوا لابيهم واسألهم ايضا عن هذه الواقعة يظهر لك صحة ما قلنا ﴿ قوله تأكيد فى محل القسم ﴾ اى ليس المقصود بقولهم وانا لصادقون اثبات صدق انفسهم بذلك لانه اثبات الشئ بنفسه قبل مقصودهم به تأكيد ما دل عليه قولهم اسأل القرية واسأل العير فان الانسان اذا قدم ذكر الدليل القاطع على صحة دعواه يقول بعد ذلك وانا صادق فيما ادعيه يعنى بذلك ان يقول تأمل فيما ذكرته من الدليل ليزول عنك الشبهة فيما ادعيه ﴿ قوله وقالوا له ما قال لهم اخوهم ﴾ اى الكبير اشارة الى ان قوله تعالى ارجعوا الى ابيكم الى قوله وانا لصادقون من كلام كبيرهم ثم ان يعقوب عليه الصلاة والسلام لما سمع من ابنائه ذلك الكلام لم يصدقهم فيما ذكروه فى حق بنيامين كما انه لم يصدقهم فيما ذكروه فى واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام فقال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل فى هذه الواقعة كما قاله بعينه فى واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام الا ان المصنف فسر الامر الذى سولته لهم انفسهم هناك بالامر العظيم الذى لا يقبل الوصف وهو ان يهلكوا يوسف ويعتذروا لابيهم بالباطل وفسره ههنا بان افتوا الملك ان جزاء السارق ان يؤخذ والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته لان ذلك انما هو من دين يعقوب عليه الصلاة والسلام لا من دين الملك ولولا فتواكم وتعليمكم لما حكم الملك بذلك والفرق بين الواقعتين انهم فى واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام استصحبوه فى الخروج الى البادية ولم يرجعوا به فناسب ان يفسر الامر فيها بذلك واما فى واقعة بنيامين فانهم لم يتعمدوا فى حقه سوأ ولم يخبروا اباهم الا بالواقع على جليته فلم يصح ان يسند احتباس بنيامين عند الملك اليهم الا من حيث انه كان ذلك على وفق ارادتهم فانهم لما كانوا متهمين عند يعقوب عليه الصلاة والسلام بسبب واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام اتهمهم ايضا فى واقعة بنيامين بان قال لهم ان الملك انما فعل بفتواكم له به لغرض لكم وظن انهم افتوه بذلك بعد ظهور السرقة ارادة ان يخلفوه عند الملك ورجعوا الى ابيهم دونه لان اخذ السارق لم يكن من دين الملك ولكن كان من دين يعقوب عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك تنبيها من الله تعالى على وجه اتهام يعقوب لهم وكان الواقع انهم استفتوا قبل ان يظهر الصواع فيهم فذكروا ما عندهم من الجواب حيث قيل لهم فما جزاؤه ان كنتم كاذبين فقالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه فافتوا ولم يشعروا ان المراد الزامهم بما قالوا ﴿ قوله واخيهما الذى توقف بمصر ﴾ وهو الذى قال فلن ابرح الارض اى لن اخرج من مصر حتى يبعث الىّ ابى ان آتيه او يقضى الله تعالى فى امرى شيأ فانهم حين ذهبوا الى البادية اوّل مرة كانوا اثنى عشر فضاع يوسف وبقى احد عشر ولما ارسلهم الى مصر مادوا التسعة لان بنيامين حبسه يوسف واحتبس ذلك الكبير الذى قال فلن ابرح الارض حتى يأذن لى ابى او يحكم الله لى فلما بلغ الغائبون ثلاثة لاجرم قال عسى الله ان يأتينى بهم جميعا ﴿ قوله عليه الصلاة والسلام يا اسفا على يوسف ﴾ الالف فيه منقلبة عن ياء المتكلم والاصل يا اسفى فقلبت الفاء وصيرت الياء الفا طلبا للتخفيف لان الفتحة والالف اخف من الكسرة والياء وليحصل امتداد الصوت الذى هو المقصود فى الندامة وندآء مثل الاسف والحسرة مجاز والمقصود انشاء التأسف والتحزن لتحقق ما يوجبهما وقوة ما يدعو اليهما من الاسباب والعلل كانه يقول هذا اوانك ايها الاسف فاحضر ﴿ قوله وفى الحديث الخ ﴾ اشارة الى جواب ما يقال اليس ان الاولى عند نزول المصيبة الشديدة ان يقال انا لله وانا اليه راجعون حتى يستوجب الثواب العظيم المذكور فى قوله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فلم يسترجع يعقوب عليه الصلاة والسلام بل قال يا اسفا وتقرير الجواب ظاهر ﴿ قوله لكثرة بكائه ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى وابيضت عيناه من الحزن كناية عن غلبة البكاء فان من غلب عليه البكاء يكثر الماء فى عينه فتصير العين كانها ابيضت من بياض ذلك الماء وقيل ما جفت عينا يعقوب عليه الصلاة والسلام من وقت فراق يوسف عليه الصلاة والسلام الى وقت لقائه

(وما شهدنا) عليه (الا بما علمنا) بان رأينا ان الصواع استخرج من وعائه (وما كنا للغيب) لباطن الحال (حافظين) فلا ندرى انه سرق او سرق ودس الصاع فى رحله او وما كنا لعواقب بالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف (واسأل القرية التى كنا فيها) يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة (والعير التى اقبلنا فيها) واصحاب العير التى توجهنا فيهم وكنا معهم (وانا لصادقون) تأكيد فى محل القسم (قال بل سولت) اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اى زينت وسهلت (لكم انفسكم امرا) اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته (فصبر جميل) اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل (عسى الله ان يأتينى بهم جميعا) بيوسف وبنيامين واخيهما الذى توقف بمصر (انه هو العليم) بحالى وحالهم (الحكيم) فى تدبيره (وتولى عنهم) فاعرض عنهم كراهة لما صادف منهم (وقال يا اسفا على يوسف) اى يا اسفى تعالى فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفى الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الاترى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفا (وابيضت عيناه من الحزن) لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمى

(وكان)

وكان يظنهما ماتون ياما وقيل ضعفت عيناه اى ضعف بصره وقيل عمى ويؤيد القول الاوّل قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا اذ الحزن لايكون علة لضعف البصر فضلا عن العمى وانما يكون علة لكثرة البكاء فلو حملنا الابيضاض على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسنا بخلاف مالو حملناه على ضعف البصر او العمى فكان القول الاوّل اولى ﴿ قوله وقرئ من الحزن ﴾ بفتحتين وقرأ العامة بضم الحاء وسكون الزاى وهما لغتان كالعدم والعدم ﴿ قوله فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفى ﴾ وتفتأ ههنا جواب القسم فى قوله تالله وتقديره لاتفتأ ويدل عليه اى على حذف حرف النفى فيه انه لوكان مثبتا لكان بلام الابتدآء ونون التأكيد معا عند البصريين نحو والله ليفعلنّ او باحدهما عند الكوفيين فلو قيل والله احبك كان المراد لااحبك وهو من قبيل التورية فان كثيرا من الناس يتبادر ذهنهم منه الى اثبات المحبة وليس كذلك فظهر ان المعنى لاتفتأ ونظيره فى كون حرف النفى مضمرا قول امرئ القيس * فقلت لها تالله ابرح قاعدا * والمعنى لا ابرح وتمامه * ولو قطعوا رأسى لديك واوصالى * الاوصال جمع وصل بكسر الواو وهو المفصل قيل ان امرأ القيس سرى الى ليلى ابنة قيصر فقالت له تريدان تفضحنى ألست ترى رب السماء والرقباء راقدين حولى فقال مجيبا لها لاابرح حتى آتيك واقضى منك حاجتى ولو قطعت اربا اربا ولاتفتأ من الافعال الناقصة بمعنى لاتزال فترفع الاسم وهو الضمير المستتر فيها وتنصب الخبر وهو الجملة من قوله تذكر اى لاتزال ذاكرا ورسمت هذه اللفظة تفتؤ بالواو والقياس تفتأ بالف ولذلك وقف حمزة بالوجهين اعتبارا بالخط الكريم او القياس ﴿ قوله وهو فى الاصل مصدر ﴾ ومعناه الاشفاء على الموت لاختلال الجسم والعقل وفساد هما لاجل الحزن او الحب يقال منه حرض الرجل يحرض حرضا بفتح الرآء فهو حرض بالكسر الرآء يوصف به العين واحدا كان او كثيرا مذكرا كان او مؤنثا يقال هو حرض وهما حرض وهم حرض وهى وهما وهن حرض وقد ورد فى الآية بمعنى النعت على الوجه المذكور فى نحو رجل عدل وهو ان يكون المراد انه ذو حرض لحذف المضاف او يكون المراد انه لما تناهى فى الفساد والضعف صار كانه عين الحرض ونفس الفساد قال الراغب الحرض مالايعبأ به ولاخير فيه ولذلك يقال لمن اشفى على الهلاك انه حرض ومنه قوله تعالى حتى تكون حرضا * قال الامام الاظهر ان الذين كانوا فى الدار من اولاده واولاد اولاده وخدمه وارادوا بهذا القول منعه من كثرة البكاء كانهم قالوا انت الآن فى بلاء شديد ونخاف ان يحصل ماهو ازيد منه واقوى وحلفوا على ذلك بل انهم مع ذلك يعلمون ذلك قطعا بناء على الظاهر فان تحمل المشاق والاستمرار عليه يؤدّى الى فساد البنية واختلال العقل مع القوى ثم حكى الله تعالى عن يعقوب عليه الصلاة والسلام انه قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله يعنى ان هذا الذى اذكره لااذكره معكم وانما اذكره فى حضرة الله تعالى وبث الشكوى اليه تعالى والالتجاء اليه هو محض العبودية ﴿ قوله همى الذى لااقدر الصبر عليه ﴾ يريد ان البث اشدّ الهم كانه لقوّته لايطاق تحمله فيبثه الانسان اى يفرقه فالبث هو الهم المبثوث لعدم القدرة على كتمه فان الانسان مالمكنه ان يمسك لسانه عن ذكر ما به من الحزن لم يكن ذلك الحزن مستوليا عليه واما اذا عظم وعجز الانسان عن ضبطه وانطلق اللسان بذكر ما به كان ذلك بثا والظاهر انه مصدر بمعنى المفعول ويحتمل ان يكون بمعنى الفاعل اى الذى فرق بين همى وحضورى وبث فكرى والحزن اعم من البث فاذا عطف على الخاص يراد الافراد الباقية فيكون المعنى لااذكر الحزن العظيم ولا الحزن القليل الامع الله تعالى ﴿ قوله من صنعه ورحمته ﴾ على ان من تبعيضية وعلى الثانى ابتدآئية ﴿ قوله رأى ملك الموت فى المنام فسأله ﴾ اى هل قبضت روح ابنى يوسف الخ بيان لسبب قوله واعلم من الله مالاتعلمون ثم ان يعقوب عليه الصلاة والسلام لما طمع فى وجدان يوسف عليه الصلاة والسلام بما ذكر من الامارات قال لبنيه على سبيل اللطف يابنىّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف * فان قلت كيف خاطبهم بهذا اللطف وقد تولى عنهم * فالجواب ان التولى عنهم ملتجئا الى الله تعالى والشكاية اليه والاعراض عن الشكاية الى احد منهم او غيرهم لاينافى الملاطفة والمكالمة معهم فى امر آخر ﴿ قوله فتحسسوا ﴾ اى تعرفوا واستقصوا خبره بحواسكم فان التحسس طلب الشئ بالحاسة وقوله من حالهما اشارة الى ان من للتبعيض اى تحسسوا خبرا من اخبار يوسف وتعرّفوا بعض اخباره والجمهور على فتح الرآء من روح الله * عن الاصمعى ان الروح مايجده الانسان من نسيم الهوآء فيسكن اليه وتركيب الرآء والواو والحاء يفيد الحركة والاهتزاز فان كل مايهز الانسان ويلتذ بوجوده فهو روح والمراد به ههنا رحمة الله تعالى وتنفيسه ومن قرأه بضم الرآء جعله مستعارا لرحمة الله

وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لاتدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدآئد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولانقول مايسخط الرب وانا عليك ياابراهيم لمحزونون (فهو كظيم) مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له فى قلبه لايظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرّته اذا ردّها فى جوفه (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف) اى لاتفتأ ولاتزال تذكره تفجعا عليه لحذف لا كما فى قوله * فقلت يمين الله ابرح قاعدا * لانه لايلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفى (حتى تكون حرضا) مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذى اذابه هم او مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك لايؤنث ولايجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب (او تكون من الهالكين) من الميتين (قال انما اشكو بثى وحزنى) همى الذى لااقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر (الى الله) لا الى احد منكم ومن غيركم فخلونى وشكايتى (واعلم من الله) من صنعه ورحمته فانه لايخيب داعيه ولايدع الملتجئ اليه او من الله بنوع من الالهام (مالاتعلمون) من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت فى المنام فسأله عنه فقال هو حىّ وقيل علم من رؤيا يوسف انه لايموت حتى يخرّ له اخوته سجدا (يابنىّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه) فتعرفوا منهما وتحسسوا من حالهما والتحسس طلب الاحساس (ولاتيأسوا من روح الله) لاتقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اى من رحمته التى يحيى بها العباد (انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون) بالله وصفاته فان العارف المؤمن لايقنط من رحمته فى شئ من الاحوال

تعالى تشبيها لها بالروح التي يحيى بها العباد «قوله بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية» اشارة الى ان فى الكلام محذوفا والتقدير ان يعقوب لما قال لبنيه اذهبوا فتحسسوا قبلوا من ابيهم هذه الوصية فعادوا الى مصر ودخلوا على يوسف عليه الصلاة والسلام فقالوا يا ايها العزيز الآية فان قيل اذا كان يعقوب امرهم ان تحسسوا امر يوسف واخيه فلم عدلوا الى الشكوى وطلبوا ايفاء الكيل اجيب بان المتحسس يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق والاعتراف بالعجز وضيق اليد ورقة الحال وشدة الحاجة مما يرق القلب فقالوا نختبره بذكر هذه الامور فان رق قلبه لنا ذكرنا المقصود والا سكتنا وارادوا بالضر الفقر والحاجة وكثرة العيال وقلة الطعام وباهلهم من خلفهم «قوله رديئة او قليلة ترد وتدفع» يريد ان مزجاة اسم مفعول من ازجيت الشئ اذا دفعته وردته فقولهم مزجاة بمعنى مدفوعة يدفعها كل احد عنه اما لرداءتها على ما قيل من ان بضاعتهم كانت زيوفا لا تنفق فى ثمن الطعام او لقلتها قال ابو عبيد انما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة غير مقبولة ممن ينفقها فان الازجاء فى اللغة السوق والدفع قليلا ومنه قوله تعالى الم تر ان الله يزجى سحابا اى يسوقها بالريح ويقال ازجيت الابل اى سقتها وزجيت الشئ تزجية اى دفعته برفق وفى الصحاح المزجى الشئ القليل وبضاعة مزجاة اى قليلة والريح تزجى السحاب والبقرة تزجى ولدها اى تسوقه «قوله واختلف فى ان حرمة الصدقة تعم الانبياء» جواب عما قال الاخوة كيف طلبوا الصدقة وهى محرمة على الانبياء وتقرير الجواب ان من فسر التصدق بالزيادة على ما يساوى بضاعتهم المزجاة على وجه التصدق يخص حرمة الصدقة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم واما من قال بعموم حرمتها لجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه يفسر بالوجوه الاخر ويقول التصدق هو التفضل مطلقا سواء كان من قبيل انفاق المال للمحتاجين او لم يكن فيتناول اطلاق المحبوس والمسامحة فى قبول الزيف والقليل «قوله وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه الصلاة والسلام» عطف على ما قبله من حيث المعنى فانه يفهم من ترتيب قوله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون على ما حكاه الله تعالى عنهم من قولهم يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى اخوته تضرعوا اليه وصفوا ما هم عليه من شدة الرجاء وقلة الحيلة ادركته الرقة وضعف صبره فقدم على ان يعرفهم ويصرح لهم بانه يوسف عليه الصلاة والسلام الا انه آثر حق الله تبارك وتعالى على حق نفسه فقال مستفهما عن وجه قبح ما فعلوه بيوسف عليه الصلاة والسلام واخيه وما صنعوه بهما شفقة عليهم وتنصحا فى امر الدين حيث حملهم به على الاعتراف بالذنب والاستغفار والتوبة منه ولم يرد بذلك المعاتبة والتثريب هو التعيير والاستقصاء فى اللوم عليهم فعطف على هذا المفهوم قوله وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه الصلاة والسلام وكتب فيه من يعقوب اسرائيل الله تعالى بن اسحق ذبيح الله تعالى بن ابراهيم خليل الله تعالى عليهم الصلاة والسلام الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدى فشدت يداه ورجلاه ورمى فى النار ليحرق فنجاه الله تعالى وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابى فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله تعالى واما انا فكان لى ابن وكان احب اولادى الى فذهب مع اخوته الى البرية ثم اتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به اليك ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف عليه الصلاة والسلام الكتاب اقشعر جلده ولان قلبه وعيل صبره فقال لهم ذلك وفيه تصديق لقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون «قوله اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه» قدر القبح المضاف الى الموصول بناء على انه لا شك انهم كانوا عالمين بنفس ما فعلوا بيوسف عليه الصلاة والسلام واخيه فلا فائدة فى طلب التصديق والاقرار بحصول علمهم به مع انه اثبت جهلهم بذلك بقوله اذ انتم جاهلون والجهل لا يثبت مع العلم فلما قدر متعلق العلم والجهل كان المعنى هل استمر ذلك الجهل الحاصل زمان صدور ذلك الفعل منكم المتعلق بقبحه او حصل لكم العلم بقبحه الموجب للرجوع عنه وتلافيه بالتوبة فان العاقل اذا علم قبح فعله بادر الى التوبة وكان علمه بذلك باعثه اليها واشار الى سببية العلم لها بقوله فتبتم «قوله ولذلك» اى ولكون مقصودهم تحقيق كونه يوسف عليه الصلاة والسلام وتقريره اكد الكلام الاستفهامى بان ولام الابتداء تعجبا منه «قوله وقرأ ابن كثير على الايجاب» اى قرأ انك بكسر الهمزة على لفظ الخبر وقرأ الباقون على الاستفهام ثم انهم اختلفوا فقرأ نافع اينك بفتح الالف غير ممدود وبالياء وقرأ ابو عمرو

(فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز) بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية (مسنا واهلنا الضر) شدة الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) رديئة او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل (فاوف لنا الكيل) فاتم لنا الكيل (وتصدق علينا) برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف فى ان حرمة الصدقة تعم الانبياء عليهم الصلاة والسلام او تختص بنبينا صلى الله عليه وسلم (ان الله يجزى المتصدقين) احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه) اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة (اذ انتم جاهلون) قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب فى تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين (قالوا ائنك لانت يوسف) استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب

آيِنك بمد الالف وبالياء وهو رواية قالون عن نافع رحمهم الله تعالى وقرأ الباقون أئنك بهمزتين وكل ذلك على الاستفهام واللام فى لأنت لام الابتداء وانت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبر ان ﴿ قوله ورواءه ﴾ اى منظره وشمائله خصائله والشامة تخفيف الشيم الخال ﴿ قوله ذكره تعريفا لنفسه ﴾ جواب عما يقال انهم سألوه عن نفسه فكان مقتضى الظاهر ان يقال بلى انا يوسف فلم اجابهم عنها وعن اخيه معا على ان اخاه كان معلوما لهم فاجاب بانه لم يذكر اخاه لتعريفه وانما ذكره لتعريف نفسه به تفخيما لشأن اخيه بانه اشد اتصالا به فانهم سألوه عن حقيقة كونه يوسف عليه الصلاة والسلام حيث اتوا بالهمزة المؤكدة للتعجب وادخلوا اللام فى الخبر فاجاب بقوله عليه الصلاة والسلام انا يوسف على الحقيقة وهذا المتميز المشاهد اخى من ابى وامى وفى ذكر الاخ وايراد اسم الاشارة مزيد تقرير وفضل بمنزلة التمييز له والبيان بانه يوسف لامحالة وفى التصريح باسمه الشريف عليه الصلاة والسلام وعدم اقتصاره بان يقول انا الذى ظلمتمونى فائدة اخرى وهى ان ذكر الشئ باسمه العلم يفيد تمييزه فكانه قال انا الذى ظلمتمونى على اعظم الوجوه حيث ألقيتمونى فى البئر وقصدتم قتلى ثم ان الله تعالى اوصلنى الى اعظم المناصب وصيركم كما ترون ﴿ قوله لاتأنيب ﴾ اى لاتعنيف ولالوم يقال انبه تأنيبا اى عنفه ولامه لما اعترفوا بذنوبهم وبكونهم خاطئين آثمين فى امره قال لاتعيير ولاتوبيخ عليكم بعد اليوم قد انقطع عنكم توبيخى عند اعترافكم بالذنب وفى الحديث «اذا زنت امة احدكم فليضربها الحد ولايثرب بالزنى» والتثريب ازالة الثرب كما ان التجليد ازالة الجلد سمى التقريع تثريبا تشبيهاله بالتثريب فى اشتمال كل منهما على معنى التخريق ﴿ قوله او بالمقدر الجار ﴾ اى هو متعلق بالذى قدر متعلقا لعليكم فان عليكم خبر لقوله لاتثريب متعلق بمعنى الاستقرار واليوم ايضا متعلق بمامتعلق به هذا الخبر اى لاتثريب مستقر عليكم اليوم والمنفى بلا التى لنفى الجنس هو ماهية التثريب وحقيقته ونفى الماهية يقتضى انتفاء جميع افراد الماهية فلا دلالة فى اللفظ على كون المنفى تثريب المتكلم فقط والمصنف انما حكم بكون المعنى لااثربكم بمعونة المقام ثم انه عليه الصلاة والسلام لما ازال عنهم تثريب الدنيا وملامتها طلب من الله تعالى ان يغفر لهم فى الآخرة فان المراد بقوله يغفر الله لكم الدعاء فعلى هذا يكون الوقف على قوله لاتثريب عليكم اليوم ويبتدأ بقوله تعالى يغفر الله لكم وعلى تقدير ان يكون اليوم متعلقا بقوله يغفر الله لكم يوقف على قوله تعالى لاتثريب عليكم ويبتدأ بقوله تعالى اليوم يغفر الله لكم ويكون فحوى الكلام انه نفى عنهم جميع افراد التثريب بنفى حقيقته ثم بشرهم بان الله تعالى غفر ذنبهم فى هذا اليوم وذلك لانهم لما انكسروا وخجلوا واعترفوا بذنوبهم وتابوا قبل الله توبتهم وغفر لهم ذنبهم فلذلك قال اليوم يغفر الله لكم وهذا معنى قول المصنف رحمة الله تعالى عليه لانه عليه الصلاة والسلام صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وفيه اشارة ايضا الى ان اليوم فيه بمعنى الزمان مطلقا ﴿ قوله وقيل القميص المتوارث ﴾ روى عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما قوله اذهبوا بقميصى هذا فان نمرود الجبار لما القى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى النار نزل اليه جبريل عليه الصلاة والسلام بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فالبسه القميص واقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه فكسا ابراهيم ذلك القميص اسحق وكساه اسحق يعقوب وكساه يعقوب يوسف عليهم الصلاة والسلام فجعله فى قصبة من فضة وعلقها فى عنقه فالقى فى الجب والقميص فى عنقه فذلك قوله عليه الصلاة والسلام اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه ابى يأت بصيرا الآية وقال مجاهد رحمه الله تعالى امره جبريل عليه السلام ان ارسل اليه قميصك فان فيه ريح الجنة لايقع على مبتلى ولاسقيم الاصح وعوفى وقال الحسن رحمة الله تعالى عليه قدم احتمال ان يكون المراد من القميص القميص الذى كان عليه ولعل وجهه انه اختار فيما قيل ان يكون المراد من قوله تعالى وابيضت عيناه انه كثر بكاؤه بحيث صارت عيناه كانهما ابيضتا ببياض العبرة ولم يرض بما قيل من ان المراد ضعف بصره او عمى فعلى هذا التقدير من ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما وقع العتاب بينه وبين اخوته وسألهم عن حال ابيه فاجابوه بان اباك قد ذهبت عيناه يكون مرادهم انه غرقت عيناه فى دموعه منذ فارقته ويكون يوسف عليه الصلاة والسلام عالما بان اباه ماصار اعمى ولاضعف بصره وانه لم يصبه الاضيق القلب والمواظبة على البكاء وانه اذا اخبره البشير بسلامة ابنه والقى قميصه على وجهه يسلى قلبه ويسكن بكاؤه وهو الذى اراده بقوله يأت بصيرا وهذا المعنى لايتوقف معرفته على ورود الوحى بل العقل يحكم بذلك ﴿ قوله انتم واى ﴾ على تغليب الحاضرين على الغائب قال الكلبى رحمه الله كان اهل يعقوب اكثر من سبعين انسانا وقال مسروق

قبل عرفوه برواءه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها (قال انا يوسف وهذا اخى) من ابى وامى ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشأنه وادخالا له فى قوله (قدمن الله علينا) اى بالسلامة والكرامة (انه من يتق) اى يتق الله (ويصبر) على البليات او على الطاعات وعن المعاصى (فان الله لايضيع اجر المحسنين) وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة (وان كنا لخاطئين) والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك (قال لاتثريب عليكم) لاتأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذى يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذى يمزق العرض ويذهب ماء الوجه (اليوم) متعلق بالتثريب او بالمقدر الجار الواقع خبرا للاتثريب والمعنى لااثربكم اليوم الذى هو مظنته فماظنكم بسائر الايام او بقوله (يغفر الله لكم) لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ (وهو ارحم الراحمين) فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف عليه السلام انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن نستحيى منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الىّ بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما مابلغ ولقد شرفت بكم وعظمت فى عيونهم حيث علموا انكم اخوتى وانى من حفدة ابراهيم عليه السلام (اذهبوا بقميصى هذا) القميص الذى كان عليه وقيل القميص المتوارث الذى كان فى التعويذ (فألقوه على وجه ابى يأت بصيرا) يرجع بصيرا اى ذا بصر (واتونى) انتم وابى (باهلكم اجمعين) بنسائكم وذراريكم وموالیكم

دخل قوم يوسف مصر وهم ثلاثة وتسعون من بين رجل وامرأة روى ان يهودا حمل القميص وقال انا احزنته بحمل القميص الملطخ بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسافة ثمانين فرسخا ﴿قوله اوجده الله تعالى ريح ماعبق بقميصه﴾ اى لزق ولصق به فوجده بحاسة الشم على سبيل اظهار المعجزات لان وصول الرائحة اليه من المسافة البعيدة امر مناقض للعادة فتكون معجزة ولكن كونها معجزة تكون منها والاقرب انها معجزة ليعقوب عليه الصلاة والسلام حيث نسبوه فى هذا الكلام الى ما لا ينبغى وظهر ان الامر كما ذكر فكانت معجزة له قال اهل المعانى ان الله تعالى اوصل اليه ريح يوسف عليهما الصلاة والسلام عند انقضاء مدة المحنة ومجئ وقت الروح والفرج من المكان البعيد ومنع من وصول خبره اليه مع قرب احدى البلدتين من الاخرى فى مدة ثمانين سنة وذلك يدل على ان كل سهل فى زمان المحنة فهو صعب وكل صعب فهو فى زمان الاقبال سهل وذكر فى القصة ايضا ان ريح الصبا استأذنت ربها فى ان تأتى يعقوب عليه الصلاة والسلام قبل ان يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فاتت بها ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا ويتنسمها المكروبون فيجدون لها روحا وقد اكثر الشعراء ذكرها وهى التى تأتى من ناحية المشرق وفيها لين اذا هبت على الابدان نعمتها ولينتها وهيجت الاشواق الى الاحباب والحنين الى الاوطان قال الشاعر

اذا قلت هذا حين اسلو يهيجنى ✿ نسيم الصبا من حيث ان يطلع الفجر

وقال آخر

ايا جبلى نعمان بالله خليا ✿ نسيم الصبا يخلص الىّ نسيمها
فان الصبا ريح اذا ما تنفست ✿ على نفس مهموم تجلت همومها

وقال آخر

ولقد تهب لى الصبا من ارضها ✿ فيلذ مس هبوبها ويطيب لى
يندى على كبدى وينقع غلتى ✿ ويبل حرّ فؤادى المشتعل

﴿قوله عاد بصيرا﴾ على ان الارتداد انقلاب الشئ الى حال كان عليها قيل انه كان قد عمى بالكلية فانه يقول لما بشره البشير بحياة يوسف عليهما الصلاة والسلام والقى القميص على وجهه عظم فرحه وانشرح صدره وزالت احزانه فعند ذلك قوى بصره وزال ما فيه من الضعف والنقصان وكان المصنف رحمه الله تعالى اشار اليه بقوله لما انتعش فيه من القوة والانتعاش الارتفاع يقال نعشه الله فانتعش اى رفعه فارتفع ويقال انتعش العاثر اذا نهض من عثرته ﴿قوله اخره الى السحر﴾ قيل قام الى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لاولادى ما فعلوا فى حقى وحق يوسف فاوحى الله تعالى اليه قد غفرت لك ولهم اجمعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقيل انه عليه الصلاة والسلام استغفر لهم فى الحال وقوله سوف استغفر لكم معناه انى ادوام على هذا الاستغفار فيما يستقبل من الزمان فقد روى انه عليه الصلاة والسلام كان يستغفر لهم فى كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة وروى ان ابناء يعقوب عليه الصلاة والسلام قالوا ليعقوب وقد غلبهم الخوف والبكاء ما يغنى عنا عفوك ان لم يعف عنا ربنا فاستقبل الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمّن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ان الله تعالى اجاب دعوتك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة كذا فى الكبير عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام ﴿قوله روى انه وجه اليه رواحل﴾ قالوا كان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث مع البشير الى يعقوب جهازا ومائتى راحلة وسأله ان يأتيه باهله وولده اجمعين فتهيأ يعقوب عليه الصلاة والسلام للخروج الى مصر فتوجه مع اولاده واولادهم واهليهم الى مصر على رواحلهم فلما قربوا من مصر واخبر بذلك يوسف عليه الصلاة والسلام تلقاه ومعه ثلاثمائة الف فارس على كل واحد منهم جنة من فضة وراية من ذهب الافراس مراكبه والفرسان خلفه فتزينت الصحراء بهم واصطفوا صفوفا وصعد يعقوب تلا ومعه اولاده وحفدته ولما رأى الصحراء مملوءة من الفرسان مزينة بالالوان نظر اليها متعجبا فقال له جبريل عليهما الصلاة والسلام انظر الى الهواء فان الملائكة قد حضروا وسرّوا بحالكم كما كانوا باكين محزونين مدة لاجلك ثم نظر يعقوب الى الفرسان فقال ايهم ولدى يوسف فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام يا يوسف ان اباك يعقوب

(ولما فصلت العير) من مصر وخرجت من عمرانها (قال ابوهم) لمن حضره (انى لاجد ريح يوسف) اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهودا من ثمانين فرسخا (لولا ان تفندون) تنسبونى الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لايقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتى وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتمونى او لقلت انه قريب (قالوا) اى الحاضرون (تالله انك لفى ضلالك القديم) اى لفى ذهابك عن الصواب قدما بالافراط فى محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه (فلما ان جاء البشير) يهودا روى انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه (القاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام او يعقوب نفسه (فارتد بصيرا) عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة (قال الم اقل لكم انى اعلم من الله مالا تعلمون) من حياة يوسف عليه السلام وانزال الفرج وقيل انى اعلم كلام مبتدأ والقول لاتيأسوا من روح الله او انى لاجد ريح يوسف (قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة (قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) اخره الى السحر او الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روى انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمّن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم (فلما دخلوا على يوسف) روى انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى

قد نزل لك فانزل له فنزل عن فرسه وجعل كل واحد منهما يعدو الى الآخر حتى التقيا فاعتنقا وبكيا سرورا وماج الفرسان بعضهم فى بعض وصهلت الخيول وسبحت الملائكة وضرب بالطبول والبوقات فصار كأنه يوم القيامة قيل لما دنا كل واحد منهما قصد يوسف عليه الصلاة والسلام ان يبدأ بالسلام فمنع من ذلك وكان يعقوب عليه الصلاة والسلام افضل واحق بذلك منه فابتدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان

﴿ قوله ضم اليه اباه وخالته ﴾ فان اكثر المفسرين فسر ابويه بمجابناء على ماروى ان امه راحيل كانت قد ماتت فى نفاس بنيامين ولما ماتت امه تزوج اباه خالته ليا فسماها الله تعالى باحد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام اولان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قول ابناء يعقوب لابيهم حين كان قوله لهم ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق فانهم عدوا اسمعيل من آباء يعقوب وهو عمه

﴿ قوله او الدخول الاول كان فى موضع خارج البلد حين استقبلهم ﴾ جواب عما يقال مامعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر وليس له محال استقباله اياهم منزل حتى يدخلوا عليه فى ذلك البيت او الخيمة والمعنى ضم اليه ابويه واعتنقا ثم قال لهم قبل ان يدخلوا مصر ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ثم حذف لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الشرطية بين الحال وعاملها ولم يجعل المشيئة متعلقة بنفس الدخول اذليس المقصود تدبهم الى مجرد الدخول بل المقصود بيان اتصافهم بالامن فى دخولهم كأنه قيل اسلموا وامنوا فى دخولكم ان شاء الله واما وعد لهم الامن فى دخولهم مصر لانه كان بلدا فيه كفار وملكهم الذى اقام يوسف مقام نفسه كان كافرا ايضا والمسلمون لايأمنون من غائلة الكفار عادة فوعده عليه الصلاة والسلام لهم الامن متعلق بالمشيئة رجاء لذلك من فضل الله تعالى والعرش فى اللغة السرير الرفيع قال الله تعالى ولها عرش عظيم والمراد بالعرش ههنا السرير الذى كان يجلس عليه يوسف عليه الصلاة والسلام وقوله ورفع ابويه على العرش معناه ان يوسف عليه الصلاة والسلام اجلس ابويه معه على سرير الملك قبل القوم وان اشتركوا فى دخول دار يوسف عليه السلام لكنهم تباينوا فى الايوان فانفرد الابوان بالجلوس معه على سرير الملك لبعدهما من الجفاء كذلك غدا اذا وصلوا الى الغفران يشتركون فيه وفى دخول الجنة ولكنهم يتباينون فى بساط القربة فيختص به اهل الصفاء دون من اتصف اليوم بالالتواء ○ ولما ورد ان يقال كيف جاز السجود لغير الله تعالى على وجه التعظيم وعلى تقدير جوازه كان يعقوب احق بذلك من يوسف عليهما الصلاة والسلام لان يوسف وان كان نبيا الا ان يعقوب كان اعلى حالا منه من حيث التقدم فى النبوة ولحرمة الابوة ومن حيث الاجتهاد فى تكثير الطاعات ومن حيث انه كان شيخا كبيرا والشاب يجب عليه تعظيم الشيخ فاوجه قوله تعالى وخروا له سجدا ○ اجاب عنه المصنف رحمه الله بقوله تحية وتكرمة له بناء على انهم لم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله تعالى فى شريعتهم وكان تحية الناس يومئذ بعضهم لبعض بالسجود ولم يزل تحية الناس ذلك الى ان جاء الله تعالى بالاسلام فذهب بالسجود وجاء بالمصافحة واكثر المفسرين على ان المراد بالخرور سجدا وضع الوجه على الارض بناء على انه هو المتعارف المتفاهم وقيل المراد به الانحناء والتواضع فان التواضع قد يسمى سجودا كما فى قوله ○ ترى الاكم فيها سجدا للحوافر ○ فينبغى لهذا القائل ان يقول الخرور ههنا بمعنى المرور كما فى قوله تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا اى لم يمروا ﴿ قوله وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله ﴾ وهو قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى رواية عطاء يعنى الآية على هذا خروا اى لاجل وجدان يعقوب اياه شكرا لله فذلك السجود سجود شكر والمسجود له هو الله تعالى لان ذلك السجود انما كان لاجله تعالى بمقابلة نعمة وجدان يوسف وقيل المراد معناه خروا اليه سجدا لله شكرا لنعمة وجدانه على ان يجعلوا يوسف كالقبلة وليسجدوا لله تعالى وذلك كما يقال صليت للكعبة والى الكعبة قال حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

○ ما كنت اعرف ان الامر منصرف ○ عن هاشم ثم منها عن ابى حسن ○
○ اليس اول من صلى لقبلتكم ○ واعرف الناس بالقرآن والسنن ○

وقوله يدل على انه يجوز ان يقال صلى للقبلة فكذا يجوز ان يقال سجد للقبلة فقوله خروا له اى جعلوه كالقبلة ثم سجدوا لله شكرا لنعمة وجدانه وقوله والرفع مؤخر عن الخرور جواب عما يقال لو كان المراد بالسجود سجود التحية والتكريم لكان ينبغى ان يسجدوا له قبل الصعود على السرير فى اول الملاقاة لان ذلك هو وقت التحية

(آوى اليه ابويه) ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب فى قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق اولان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما (وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان فى موضع خارج البلد حين استقبلهم (ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا) تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجرى مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله تعالى والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما (وقال يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل) التى رأيتها ايام الصبى (قد جعلها ربى حقا) صدقا (وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن) ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم (وجاء بكم من البدو) من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشى واهل البدو (من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى) افسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجرى (ان ربى لطيف لما يشاء) لطيف التدبير له اذ مامن صعب الا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها (انه هو العليم) بوجوه المصالح والتدابير (الحكيم) الذى يفعل كل شئ فى وقته وعلى وجه يقتضى الحكمة روى ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام فى خزائنه فلما ادخله خزانة القراطيس قال يابنى ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل قال امرنى جبريل عليه السلام قال او ما تسأله قال انت ابسط منى اليه فسأله قال جبريل الله امرنى بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتنى (رب قد آتيتنى من الملك)

بعض الملك وهو ملك مصر (وعلمتنى من تأويل الاحاديث) الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التأويل (فاطر السموات والارض) مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى برأسه (انت وليى) ناصرى او متولى امرى (فى الدنيا والآخرة) او الذى يتولانى بالنعمة فيهما (توفنى مسلما) اقبضنى (والحقنى بالصالحين) من آبائى او بعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة روى ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفى واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمة وعاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر فى مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه فى صندوق من مرمر ويدفنوه فى النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب عليه السلام (ذلك) اشارة الى ماذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من انباء الغيب نوحيه اليك) خبران له (وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون) كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ماهموا به من ان يجعلوه فى غيابة الجب وهم يمكرون به ويأبيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذى لايخفى على مكذبيك انك مالقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره فى غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا (وما اكثر الناس ولو حرصت) على ايمانهم وبالغت فى اظهار الآيات عليهم (بمؤمنين) لعنادهم وتصميمهم على الكفر (وما تسألهم عليه) على الانباء او القرآن (من اجر) من جعل كما يفعله حملة الاخبار (ان هو الا ذكر) عظة من الله تعالى (للعالمين) عامة (وكأين من آية) وكم من آية والمعنى وكاى عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده (فى السموات والارض يمرون عليها) على الآيات ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) لايتفكرون فيها ولايعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير فى عليها وبالنصب على ويطأون الارض وقرئ والارض يمشون عليها اى يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة (وما يؤمن اكثرهم بالله) فى اقرارهم بوجوده وخالقيته (الا وهم مشركون) بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبنى اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية فى مشركى مكة وقيل فى المنافقين وقيل فى اهل الكتاب (افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله) عقوبة تغشاهم وتشملهم (او تأتيهم الساعة بغتة) فجأة من غير سابقة علامة (وهم لايشعرون) باتيانها غير مستعدين لها (قل هذه سبيلى) يعنى الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله (ادعو الى الله) وقيل هو حال من الياء (على بصيرة) بيان وحجة واضحة غير عمياء (انا) تأكيد للمستتر فى ادعو وفى على بصيرة لانه حال منه (اعمى)

وهو خلاف مايفهم من قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا فانه يشعر بانهم صعدوا ذلك السرير ثم سجدوا له روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى سجود ابويه واخوته له هاله ذلك واقشعر جلده منه وقال ليعقوب ياابت هذا تأويل رؤياى من قبل وهذا يدل على ان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يكن راضيا بذلك فى قلبه الا انه لما علم ان الله تعالى امر بذلك لحكمة لايعرفها الا الله تعالى كما امر الملائكة بالسجود لآدم لحكمة لايعرفها الا هو سكت وقال ذلك كأنه يقول ياابت لايليق بمثلك على جلالتك فى النبوة والدين والابوة والشيخوخة والعلم ان تسجد لولدك الا ان هذا امر امرت به وتكليف كلفت به فان رؤيا الانبياء حق كما ان رؤيا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده صارت سببا لوجوب الذبح عليه فى اليقظة فكذلك صارت هذه الرؤيا التى رآها يوسف عليه الصلاة والسلام وحكاها ليعقوب سببا لوجوب ذلك السجود وقوله ان ربى لطيف لما يشاء تعليل لقوله وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن الخ فان خلاصه من كل واحد مما اصابه من المحن وحصول الاجتماع بينه وبين ابيه واخوته مع الالفة والمحبة وطيب العيش وفراغ البال وان كان فى غاية البعد عن الحصول الا ان لطيف التدبير اذا اراد حصول شئ سهل اسبابه فحصل وان كان فى غاية البعد عن الحصول ﴿قوله فتمنى الموت﴾ اختلفوا فى ان قوله توفنى مسلما هل هو طلب الموت منه او لا فقال قتادة رضى الله عنه سأل ربه اللحوق به ولم يتمن نبى الموت قبله قط وكثير من المفسرين على هذا القول وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عطاء يريد اذا توفيتنى فتوفنى على الاسلام فهذا طلب لان يجعل الله تعالى وفاته على الاسلام وليس فيه مايدل على انه طلب الوفاة ووجه اتصال قوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين بما قبله ان كفار قريش وجماعة من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف عليه الصلاة والسلام على سبيل التعنت فشرحها شرحا شافيا على اعتقاد انه عليه الصلاة والسلام اذا ذكرها فربما آمنوا فلما اصروا على كفرهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فعزاه الله تعالى بقوله وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين اى ولو حرصت على ان تهديهم لانك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء ثم بين ان اصرارهم على الكفر بعدما شاهدوا منك هذه المعجزة الباهرة ليس بعجيب لانه انما نشأ من عدم تأملهم فى الدلائل الدالة على نبوتك كما هو دأبهم وعادتهم فان العالم مملوء بالدلالة الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وحكمته وهم يمرون عليها ويشاهدونها ولايتفكرون فيها ولايعتبرون ﴿قوله ليكونوا شرعا﴾ اى سواء الجوهرى الناس فى هذا شرع اى سواء يحرك ويسكن ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿قوله وقرئ والارض﴾ الجمهور على جر الارض عطفا على السموات والضمير فى عليها للآية فيكون يمرون صفة للآية او حالا منها لتخصيصها بالوصف بالجار وضمير عليها للارض ويمرون حال منها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء وخبره الجملة بعده وقرئ بالنصب ايضا على انه من باب الاشتغال والفعل المحذوف مفسر بما بعده معنى اى يطأون الارض او يسلكون الارض يمرون عليها والضمير فى هاتين القراءتين يعود على الارض فقط ولما سمع المشركون قوله تعالى وكأين من آية الآية قالوا انا نؤمن بالله الذى خلق هذه الاشياء فانزل الله تعالى ومايؤمن اكثرهم بالله اى فى اقراره بان الله تعالى خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك حيث يثبت له شريكا فى المعبودية سبحانه وتعالى لاشريك له وتقول العرب فى تلبيتهم لاشريك لك لبيك لاشريك لك الاشريك هو لك تملكه وماملك وتقول اهل مكة الله ربنا وحده لاشريك له والملائكة بناته فلم يوحدوه بل اشركوا وتقول عبدة الاصنام الله ربنا وحده والاصنام شركاؤه فى استحقاق العبادة وقالت اليهود ربنا الله وحده وعزير ابن الله وقالت النصارى ربنا الله وحده والمسيح ابن الله وليس المراد بقوله ومايؤمن اكثرهم حقيقة الايمان ولكن المعنى ان اكثرهم مع اظهارهم الايمان بالسنتهم مشركون ثم انه تعالى خوفهم بقوله افأمنوا يعنى المشركين ﴿قوله يعنى الدعوة الى التوحيد الخ﴾ يعنى جعل هذه اشارة الى المعنى الحاضر فى الذهن وهو الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد واخبر عن ذلك المعنى بانه سبيلى وجعل قوله ادعو الى الله الى قوله وما انا من المشركين جملة مستأنفة لبيان السبيل والظاهر ان الدعوة الى قوله وما انا من المشركين فانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو بفعله ايضا واخذ الدعوة الى الاعداد من قوله ادعو الى الله فان المراد منه الدعوة الى طاعة الله وثوابه الموعود يوم البعث والحساب وكون الحجة بصيرة عبارة عن كونها واضحة مرشدة الى المطلوب فان الدليل اذا كان بصيرا تمكن من الارشاد والهداية بخلاف ما اذا كان

او مبتدأ خبره على بصيرة (ومن اتبعنى) عطف عليه (وسبحان الله وما انا من المشركين) وانزهه تنزيها من الشركاء (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفى استنباء النساء (يوحى اليهم) كما يوحى اليك ويميزون بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحى فى كل القرآن ووافقه حمزة والكسائى فى سورة الانبياء (من اهل القرى) لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو (افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا من حبها (ولدار الآخرة) ولدار الحال او الساعة او الحياة الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك والمعاصى (افلا يعقلون) يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلى اى قل لهم افلا تعقلون (حتى اذا استيأس الرسل) غاية محذوف دل عليه الكلام اى لا يغررهم تمادى ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل من النصر عليهم فى الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم فى الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع (وظنوا انهم قد كذبوا) اى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اى وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثانى للرسل اى وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روى عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس فى القلب على طريق الوسوسة هذا او ان المراد به المبالغة فى التراخى والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اى وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اى وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا (جاءهم نصرنا فنجى من نشاء) النبى والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضى المبنى للمفعول وقرئ فنجا (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين (لقد كان فى قصصهم) فى قصص الانبياء واممهم او فى قصة يوسف واخوته (عبرة لاولى الالباب) لذوى العقول المبرأة من شوائب الالف والركون الى الحس (ما كان حديثا يفترى) ما كان القرآن حديثا يفترى (ولكن تصديق الذى بين يديه) من الكتب الالهية (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه فى الدين اذ ما من امر دينى الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط (وهدى) من الضلال (ورحمة) ينال بها خير الدارين (لقوم يؤمنون) يصدقونه وعن النبى صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة على ان لا يحسد مسلما

﴿سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وهى خمس واربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (المر) قيل معناه انا الله اعلم وارى (تلك آيات الكتاب)

اعمى وذكر فى قوله انا ومن اتبعنى احتمالين الاول ان يكون ومن اتبعنى عطفا على المستتر فى ادعو فلذلك اتى بالضمير المنفصل فى قوله انا فالمعنى والله سبحانه وتعالى اعلم ادعو الى طاعة الله وثوابه انا كائنا على بصيرة على ان قوله تعالى على بصيرة حال من الضمير المستتر فى ادعو ويدعو اليهما من اتبعنى كذلك اى كائنا على بصيرة والاحتمال الثانى ان يكون انا مبتدأ مؤخرا وعلى بصيرة خبرا مقدما ويكون من اتبعنى عطفا على انا ويكون المعنى انا ومن اتبعنى على حجة وبرهان فيوقف على قوله تعالى أدعو الى الله على بصيرة ﴿قوله وانزهه تنزيها﴾ على ان سبحان اسم بمعنى التسبيح منصوب بفعل مضمر اى اسبح الله تسبيحا من الشركاء وان قوله وما انا من المشركين حال من اسبح المضمر وان جملة سبحان الله عطف على قوله ادعو الى الله وبه يتضح ان تكون الجملة مع ما عطفت هى عليه استئنافا لبيان السبيل ﴿قوله رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة﴾ قالوا ذلك تعجبا وانكارا لنبوته صلى الله عليه وسلم فرد الله تعالى عليهم بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا اى كيف يتعجبون من ارسالنا اياك والحال ان من قبلك من الرسل كانوا على مثل حالك والآية تدل على ان الله تعالى ما بعث رسولا الى الخلق من النسوان ولا من الجن ولا من اهل البادية لانه يغلب عليهم القسوة والجفاء واهل الامصار والقرى اعلم واحلم فلذلك قيل من بدا جفا ﴿قوله وقرأ حفص نوحى﴾ بالنون مبنيا للفاعل وقرأ الجمهور يوحى بالياء من تحت مبنيا للمفعول وقوله من المكذبين بالرسل اى فتكون الآية تأكيدا لقوله افامنوا ان تأتيهم غاشية ﴿قوله او من المشغوفين﴾ اى من الحيرين القلوب بحب الدنيا فيكون المقصود من الآية الحث على ازالة ما هو السبب فى اعراضهم من الآيات وانهماكهم فى الشهوات ﴿قوله غاية محذوف﴾ يعنى ان كلمة حتى تدل على الانتهاء وكون ما قبلها مغيا بما بعدها وليس فى الكلام شئ تكون حتى غاية له واختلفت عبارات المفسرين فى تقدير شئ يكون مغيا بما بعد حتى فقدره المصنف رحمه الله تعالى عليه بقوله امهل من قبلهم من المكذبين حتى ايس الرسل وقدره بعضهم بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم فدعوا قومهم فكذبوهم وطال دعاؤهم قومهم وتكذيب قومهم اياهم حتى اذا استيأس وكل واحد مما ذكروه يفهم من سياق الكلام الا ان ما ذكره المصنف رحمه الله اخصر واقرب والمعنى ان نصر الرسل على قومهم تأخر عنهم حتى وقع ما وقع من اليأس والظنون ثم نصروا فاهلك المكذب ونجى المصدق ﴿قوله اى كذبتهم انفسهم او كذبهم القوم﴾ بتخفيف الذال وبناء الفعل للمفعول وهى قراءة الكوفيين ومعناه القى اليهم خبر كاذب وضمير ظنوا للرسل اى ظن الرسل ان انفسهم وان قومهم القت اليهم قولا كاذبا وقرأ الباقون من السبعة بالتشديد على معنى قد قيل لهم كذبتم ﴿قوله وقيل الضمير للمرسل اليهم﴾ اى الضمائر الثلاثة فى قوله وظنوا انهم قد كذبوا ﴿قوله والثانى للرسل﴾ ولو قال وما بعده للرسل لكان اظهر الا انه اكتفى بذكر الثانى لان كونه للرسل يستلزم كون الثالث لهم ايضا ﴿قوله وانما لم يعينهم﴾ اى لم يعبر عنهم فى مقام التعيين بما يخصهم من العنوان للدلالة على ان عنوان من نشاء نجاتهم يخصهم بناء على ان الذين يتأهلون لان تتعلق بهم مشيئة الانجاء انما هم هؤلاء دون غيرهم ﴿قوله وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب﴾ فنجى بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء ومن نشاء قائم مقام الفاعل وباقى السبعة فننجى بنونين الاولى مضمومة والثانية ساكنة وتخفيف الجيم واسكان الياء على لفظ المضارع من انجى وقرئ فنجى بتشديد الجيم من نجاه وكلاهما على حكاية الحال الماضية لان القصة قد وقعت فيما مضى وقرئ نجا على لفظ الماضى من الثلاثى * تمت سورة يوسف عليه الصلاة والسلام والحمد لله حق حمده على جميع آلائه والصلاة والسلام على رسوله خاتم انبيائه وعلى آله وصحبه ما دعى الحق باسمائه وتقرب الى الله بتلاوة الآيات واستغفر الله لى ولجميع اهل الاسلام من قرابتى واحبابى ولجميع المؤمنين والمؤمنات

﴿سورة الرعد قيل مدنية بالاجماع سوى قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وقيل مكية سوى قوله تعالى﴾

﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وقوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله المر قيل معناه انا الله اعلم وأرى﴾ على ان تكون هذه الحروف التى جعلت فاتحة هذه السورة الكريمة مختصرة من كلمات تركبت هى منها كما اختصر الشاعر قوله قاف من وقفت حيث قال «قلت لها قفى فقالت قاف» والظاهر ان المر كلام مستقل والتقدير هذه المراى سورة مسماة بالمر ثم اشار الى آياتها وحكم عليها بانها آيات الكتاب

الكاملة يعنى آيات السورة الكاملة وصفة الكمال مستفادة من اضافة الآيات الى الكتاب المعرّف بلام الجنس فان خبر المبتدأ اذا كان مقرونا بلام الجنس او مضافا الى المعرّف بها يفيد انحصار الجنس فى ذلك المبتدأ وانه نفس ذلك الجنس لانوع من انواعه فان حصر جنس آيات السورة ليس الاهى وان ماسواها من الآيات ليس من افراد جنس آيات السورة ﴿قوله عطف العام على الخاص﴾ على ان يراد بالكتاب السورة فان ماانزل اليه صلى الله عليه وسلم من ربه اعم من السورة ﴿قوله او احدى الصفتين على الاخرى﴾ على ان يراد به القرآن فان الكتاب بمعنى القرآن المنظوم الذى من شأنه ان يكتب صفة مغايرة لصفة المنزل من الرب تعالى فيكون من قبيل قول من مدح قومه بعدم الفرار من العدو

لايبعدن قومى الذين هم ۞ سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك ۞ والطيبين معاقد الازر

فانه عطف الطيبين على النازلين وهما صفتان لقوم معينين وقول الآخر

الى الملك القرم وابن الهمام ۞ وليث الكتيبة فى المزدحم

﴿قوله والجملة كالحجة على الجملة الاولى﴾ لانه اذا انحصر جنس الحق فيما انزل اليه صلى الله عليه وسلم حصر الكمال من حيث بلوغه فى متانة النظم والاشتمال على مهمات الخلائق فى باب الاعتقاد واعمال الدنيا والآخرة الى حيث صار سائر الكتب الالهية بالنسبة اليه كانه ليس بحق كان ذلك كالحجة الدالة على ان آيات هذه السورة هى التى استحقت بان تسمى آيات السورة الا ان مضمون الجملة الاولى متصل من حيث انها تفيد تفصيل آيات سورة معينة ومضمون الثانية يفيد تفصيل جملة ماانزل اليه صلى الله عليه وسلم فيكون بمثابة كبرى الشكل الاول ﴿قوله وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل﴾ اى وتميزه عن غير المنزل بكونه حقا دون غير المنزل ومن المعلوم ان انحصار الحق فى الحكم المنزل من عند الله تعالى يستلزم ان لاتكون الاحكام الثابتة بالقياس والاجماع حقا فيلزم ان تكون باطلة لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال فيلزم ان لايكون القياس ونحوه من الادلة الشرعية الدالة على الحق والصواب الا ان المنزل من عند الله تعالى اعم من الحكم المنزل صريحا كالاحكام الثابتة بصريح نص القرآن العظيم ومن الحكم المنزل ضمنا كالذى يثبت بالسنة والاجماع والقياس فان الحكم المثبت بواحد منها وان لم يثبت بنص القرآن العظيم صريحا لكنه يثبت ضمنا من حيث كونه اصلا يستند اليه كل واحد من الادلة الثلاثة المذكورة وينطق بحسن اتباع كل واحد منها ويقرر حجتها * قال الامام ومن الناس من تمسك بقوله تعالى والذى انزل اليك من ربك الحق فى نفى القياس فقال الحكم المستنبط بالقياس غير نازل من عند الله تعالى وقد قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون مع انهم لايكفرون بالاجماع فثبت ان الحكم المثبت بالقياس غير نازل من عند الله تعالى واذا كان كذلك وجب ان لايكون حقا لان قوله تعالى والذى انزل اليك من ربك الحق يقتضى انحصار الحق فى المنزل من عند الله تعالى وانه لاحق الا ما انزل الله تعالى فكل مالم ينزله وجب ان لايكون حقا واذا لم يكن حقا وجب ان يكون باطلا لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ثم قال ومثبتو القياس يجيبون عنه بان الحكم المثبت بالقياس نازل من عند الله تعالى ايضا لانه لما امر العمل بالقياس كان الحكم الذى يدل عليه القياس نازلا من عند الله تعالى انتهى ثم انه تعالى لما ذكر ان المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحق بين ان اكثر الناس لايؤمنون به وبكونه حقا منزلا من عند الله تعالى على سبيل الزجر والتهديد ثم ذكر عقيبه مايدل على صحة التوحيد والمعاد وهو قوله تعالى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها اى انشأها مرفوعة لا انها كانت موضوعة فرفعها ولكن جعلها فى الابتداء مرفوعة كما تقول الخياط وسع كم القميص وحافر البئر ضيق فم البئر ودلالته على التوحيد ظاهرة فانه لايقدر على رفع مافيه سعة وبعد بغير عمد ترى الا الواحد القهار القادر على كل شئ واما دلالته على المعاد فلان من قدر على رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد ترى لقادر على اعادة الخلق واحيائهم بعد الموت بل رفع السماء مع سعتها وبعدها بلا عمد اكبر من اعادة الشئ بعد فنائه اذ فى الشاهد من يقدر على اعادة مافنى ولايقدر على رفع سقف ذى سعة وبعد بغير عمد ﴿قوله او عمود كاديم وأدم﴾ جعل فعول كفعيل فى ان يجمع على فعل بضمتين وفيه بحث لان كل وزنه خصوصية يختص بها فلايلزم من جمع فعيل على فعل ان يجمع عليه فعول وان قرئ عمد بضمتين يكون مفرده عمادا نحو كتاب وكتب وشهاب وشهب وقوله بغير عمد فى محل

(النصب)

يعنى بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اى تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن (والذى انزل اليك من ربك) وهو القرآن كله ومحله الجرّ بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره (الحق) والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه (ولكنّ اكثر الناس لايؤمنون) لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه (الله الذى رفع السموات) مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر (بغير عمد) اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وأدم وقرئ عمد كرسل

النصب على انه حال من السموات اى رفعها خالية عن عمد و ترونها فى محل الجر على انه صفة لعمد فيكون الضمير المنصوب فيه راجعا الى عمد والمعنى رفعها خالية عن عمد مرئية وانتفاء العمد المرئية يحتمل ان يكون لانتفاء العمد والرؤية جميعا اى لاعمد لها فلا ترى و يحتمل ان يكون لانتفاء الرؤية فقط بان يكون لها عماد غير مرئى وهو القدرة فانه تعالى يمسكها مرفوعة بقدرته فكأنها عماد لها فقوله بغير عمد معناه بغير عمد مرئية فكلمة النفى وان كانت متقدمة فى الذكر فهى متأخرة فى المعنى وكونها مرفوعة بعماد غير مرئى مثل كونها مرفوعة بغير عماد اصلا فى كون ذلك الرفع عجيبا خارجا عن دائرة العقل والخيال فانا لا نعقل ارتفاع السقف الواسع الرفيع السمك بغير عمد و اساطين مرئية ونظير الآية فى الاحتمالين قولك ما رأيت رجلا صالحا فان صدقه يحتمل ان يكون لانتفاء الرجل والصلاح جميعا اولانتفاء الصلاح وحده ﴿قوله او استئناف للاستشهاد﴾ فان الضمير المنصوب فى ترونها على تقدير ان يرجع الى السموات يكون ترونها كلاما مستأنفا لا محل له من الاعراب كأنه قيل ما الدليل على ان السموات مرفوعة بغير عمد فاجيب بانكم ترونها غير معمودة او مرفوعة بلا عمد فاستشهد على كونها مرفوعة بغير عمد برؤية الناس اياها كذلك ﴿قوله وهو دليل على وجود الصانع﴾ ووجه دلالته عليه ان ارتفاعها على سائر الاجسام ليس مقتضى جسميتها ولا مقتضى ذاتها او ذات حيزها والا لكان كل جسم كذلك ولا مقتضى خصوصيتها النوعية لانا ننقل الكلام الى اختصاصها بتلك الخصوصية فنقول اختصاصها بها ليس لاجل جسميتها والا لكان جميع الاجسام كذلك فتعين ان يكون لمخصص خارجى ولابد ان لا يكون ذلك المخصص الخارجى جسما ولا جسمانيا والا لكان له حيز يشغله بذاته او بتبعية موضوعه و يمتنع ان يكون حصوله فى ذلك الحيز مقتضى ذاته او ذات حيزه لما بينا ان الاجسام والاحياز متساوية فى تمام الماهية فلابد ان يكون ذلك المخصص فاعلا مختارا يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته ﴿قوله بالحفظ والتدبير﴾ اشارة الى ان الاستواء على العرش عبارة عن الاستيلاء على الملك والتصرف فيه بلا معارض بناء على ان العرش فى الاصل سرير الملك فصح ان يجعل الاستيلاء عليه كناية عن نفاذ الامر والتدبير كيف يشاء والظاهر ان كلمة ثم لمجرد العطف والترتيب مع قطع النظر عن معنى التراخى لان استيلاءه تعالى على التصرف فيه بلا معارض ليس بمتراخ عن رفعه و يحتمل ان يجعل لمجرد العطف مع قطع النظر عن الترتيب ايضا بناء على ان يراد بالملك مطلق التصرف فان الاستيلاء على الملك مطلقا غير مرتب على رفع السموات قال الامام المراد استواؤه على عالم الاجسام بالقهر والقدرة والتدبير يعنى ان ما هو كائن من فوق العرش الى ما تحت الثرى فى حفظه وتدبيره وفى الاحتياج اليه ﴿قوله وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات﴾ اى من الآيات الدالة على وجود الصانع الحكيم فانه تعالى استدل عليه باحوال السموات وباحوال الشمس والقمر وباحوال الارض والنبات فاستدل عليه اولا باحوال السموات حيث قال تعالى الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها وبين المصنف رحمه الله تعالى وجه دلالتها عليه وثانيا باحوال الشمس والقمر حيث قال وسخر الشمس والقمر فان اختصاصهما بالحركة الدائمة على وجه مخصوص من البطؤ والسرعة ونسق معين دون السكون ودون الحركة على سائر الوجوه مع كون الاجسام متماثلة لابد له من مخصص الى ما ذكرنا فاما انه تعالى لما قرر الدلائل السماوية اردفها بتقرير الدلائل الارضية فقال تعالى وهو الذى مد الارض اى انشأها ممدودة لانها كانت مجموعة فى مكان فبسطها وهو كما ذكر من رفع السماء ونحوه ووجه الاستدلال بامتداد الارض ان كونها ممدودة اى ذات امتداد من الطول والعرض والعمق على قدر معين مع جواز كونها ازيد مقدارا مما هى الآن عليه او انقص منه لابد له من مخصص قال ابو بكر الاصم المد هو البسط الى ما لا يدرك البصر منتهاه فقوله وهو الذى مد الارض يشعر بانه تعالى جعل حجم الارض حجما عظيما كبيرا لا يقع البصر على منتهاه فان الارض لو كانت اصغر حجما مما هى الآن عليه لما كمل الانتفاع بها ومد الارض على اى معنى كان لا ينافى كونها كرة لان الكرة اذا كانت فى غاية الكبر كانت كل قطعة منها تشاهد كالسطح والتفاوت الحاصل بينها وبين السطح لا يحصل الا فى علم الله تعالى ثم استدل عليه بحصول جبال ثابتة فيها غير منتقلة عن اماكنها فان حصول الجبل فى بعض جوانبها دون البعض مع ان طبيعة الارض واحدة لابد ان يكون بتخصيص الفاعل المختار الحكيم وكذلك حصول الانهار فى بعض جوانبها دون بعض لابد ان يستند اليه ثم استدل عليه بعجائب خلقه حيث قال تعالى ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين فان الحبة اذا وقعت فى الارض وانتشرت فيها نداوة الارض ربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق اعلاها واسفلها فيخرج من الشق

(ترونها) صفة لعمد او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها فى حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضى ذلك لابد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسمانى يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات (ثم استوى على العرش) بالحفظ والتدبير (وسخر الشمس والقمر) ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع فى حدوث الكائنات وبقائها

الاعلى الشجرة الصاعدة وتخرج من الشق الاسفل العروق الغائصة فى اسفل الارض وهذا من العجائب لان طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير تلك الطبائع والافلاك والكواكب فيها واحد ثم انه خرج من احد جانبى تلك الحبة جرم صاعد الى الهواء ومن الجانب الآخر منها جرم غائص فى الارض ومن المحال ان يتولد من طبيعة واحدة طبيعتان متضادتان فعلنا ان ذلك انما كان بسبب تدبير المدبر الحكيم ثم ان الشجرة النابتة من تلك الحبة بعضها يكون خشبا وبعضها يكون نورة وبعضها يكون ثمرة ثم ان تلك الثمرة ايضا يحصل فيها اجسام مختلفة الطبائع فالجوز له اربعة انواع من القشور قشره الاعلى وتحته القشرة الخشبية وتحته القشرة المحيطة باللب وتحت هذه القشرة قشرة اخرى فى غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز رطبا وايضا فقد يحصل فى الثمرة الواحدة الطبائع المختلفة فالعنب مثلا قشره وعجمه باردان يابسان ولحمه وماؤه حاران رطبان فتولد هذه الطبائع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوى تأثيرات الطبائع وتأثيرات الانجم والافلاك لابد وان يكون لاجل تدبير الحكيم القديم ثم استدل باحوال الليل والنهار حيث قال تعالى يغشى الليل النهار فان الانعام لايكمل الا بالليل والنهار وتعاقبهما ﴿قوله لمدة معينة﴾ اى يسير الى وقت معلوم فى منازله لايجاوزه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما للشمس مائة وثمانون منزلا كل يوم لها منزل وسيرها فى تلك المنازل يتم فى ستة اشهر ثم انها تعود مرة اخرى الى كل واحد منها فى ستة اشهر اخرى وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلا فالمراد بقوله تعالى كل يجرى لاجل مسمى هذا وقيل المراد به كونهما متحركين الى يوم القيامة وعند مجئ ذلك اليوم تنقطع هذه الحركات ﴿قوله امر ملكوته﴾ اى امر ملكه وسلطنته فان الملكوت من الملك كالرهبوت من الرهب يقال له ملكوت العراق وهو الملك والعزة ولفظ الجلالة فى قوله تعالى الله الذى رفع السموات مبتدأ خبره الذى ورفع السموات واستوى على العرش وسخر الشمس والقمر صلات وكانه قيل ماذا حكمته فى انشائها وتسخيرها والاستواء عليه قيل يدبر الامر يفصل الآيات الدالة على وجود منشئها وحكمة تحزعها ليوقن المكلفون بان مرجعهم اليه وانه لابد من لقائه ليثيبهم ويعاقبهم على ما كلفوا به كما اشار اليه بقوله تعالى لعلكم بلقاء ربكم توقنون وقوله تعالى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وان كان الذى رفع السموات صفة للفظ الجلالة يكون قوله يدبر خبرا للمبتدأ ويفصل خبرا بعد خبر كما اشار اليه المصنف ويكون المقصود من توصيف المسند اليه باسم الموصول جعله ذريعة ووسيلة الى التعريض بتعظيم شأن الخبر الذى هو التدبير والتفصيل كما فى قول الفرزدق

ان الذى سمك السماء بنى لنا ۞ بيتا دعائمه اعز واطول

فان فى قوله ان الذى سمك السماء ايماء الى ان الخبر المبنى عليه امر من جنس الرفعة والبناء فكذا قوله تعالى فى الآية الذى رفع السموات بغير عمد ترونها الى آخر الصلات ذريعة وايماء الى ان الخبر المبنى عليه امر عظيم الشان يليق ان يصدر عن هذا شأنه ﴿قوله ينزلها ويبينها مفصلة﴾ على ان يكون المراد بالآيات آيات القرآن ويكون المراد بتفصيلها انزالها مفرقة على حسب تجدد المصالح والثانى على ان يكون المراد بها الدلائل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته وتفصيلها احداث بعضها عقيب بعض على سبيل التميز والتفصيل ﴿قوله والتاء للتأنيث﴾ جواب عما يرد على قوله جبالا ثوابت وهو ان رواسى اذا كانت صفة جبال يكون مفردها وهو راسية صفة جبل وهو مذكر فما وجه دخول التاء فى صفته وتقرير الجواب انا لانسلم ان راسية صفة جبل بل هو صفة اجبل وهو جمع والجمع لكونه فى تأويل الجماعة يعامل معاملة المؤنث وفيه بحث وهو ان الرواسى لما كان جمع راسية التى هى صفة اجبل لزم ان يكون الجبال الرواسى جمع الجمع وليس كذلك بل كل واحد من الجبال والاجبل جمع جبل الاول جمع كثرة والثانى جمع قلة فالاولى هو الجواب الثانى وهو ان راسية صفة جبل والتاء فيه ليست للتأنيث بل هى للمبالغة كما فى علامة ﴿قوله ضمها الى الجبال﴾ جواب عما يقال كل واحد من الرواسى والانهار اختصاصه ببعض جوانب الارض دون بعض دليل مستقل على وجود الصانع الحكيم فلم جمعهما وعلق بهما فعلا واحدا حيث قال وجعل فيها رواسى وانهارا اى خلق فيها اياهما والوجه فى كون الجبال اسبابا لتولد الانهار ان الحجر جسم صلب فاذا تصاعدت الابخرة من قعر الارض ووصلت الى الجبل احتبست هناك فلا تزال تتزاحم وتتضاعف حتى تحصل بسبب الجبل مياه عظيمة لكثرتها وقوتها تثقب الجبل وتخرج وتسيل على وجه الارض فهذا هو السبب فى تولد الانهار من الجبال فلما كان بينهما هذه العلاقة كنت ترى فى اكثر الامر انه تعالى اينما ذكر الجبال قرن بها ذكر الانهار مثل ما فى هذه الآية ومثل ما فى قوله تعالى وجعلنا فيها رواسى شامخات واسقيناكم ماء فراتا ﴿قوله متعلق بقوله جعل﴾

(كل يجرى لاجل مسمى) لمدة معينة يتم فيها ادواره اولغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت (يدبر الامر) امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك (يفصل الآيات) ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) لكى تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء (وهو الذى مد الارض) بسطها طولا وعرضا لتثبت فيها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان (وجعل فيها رواسى) جبالا ثوابت من رسا الشئ اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انه صفة اجبل او للمبالغة (وانهارا) ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها (ومن كل الثمرات) متعلق بقوله (جعل فيها زوجين اثنين) اى جعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير

(يغشي الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيها فان تكوّنها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها (وفي الارض قطع متجاورات) بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع (وجنات من اعناب وزرع ونخيل) وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات (صنوان) نخلات اصلها واحد (وغير صنوان) ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل) في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم بالتفكر (وان تعجب) يا محمد من انكارهم البعث (فعجب قولهم) حقيق بان تتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته (أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق جديد) بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه أئنا لفي خلق جديد (اولئك الذين كفروا بربهم) لانهم كفروا بقدرته على البعث (واولئك الاغلال في اعناقهم) مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة (واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار

على انه حال من معموله اى وجعل فيها زوجين اثنين حال كونهما من جميع انواع الثمرات قدمت على ذي الحال لكونه نكرة وقوله تعالى يغشي الليل النهار اما مستأنف لبيان الحكمة في انشاء الشمس والقمر وتسخيرهما او حال من ضمير اسم الله المستتر في الافعال المذكورة قبله وهي رفع وسخر ويدبر ويفصل ومد وجعل ﴿قوله يلبسه مكانه﴾ يعني ان الاغشاء الباس الشيء الشيء ولما كان الباس الليل النهار وتغطية النهار به غير معقول لانهما متضادان لا يجتمعان والالباس لابد ان يجتمع مع اللابس قدر المضاف وهو مكانه ومكان النهار هو الجو وهو الذي يلبس ظلمة الليل شبه احداث الظلمة في الجو الذي هو مكان الضوء بالباسها اياه وتغطيته بها فاطلق عليه اسم الاغشاء والالباس فاشتق منه لفظ يغشي فصار استعارة تبعية ﴿قوله ولولا تخصيص قادر الخ﴾ اشارة الى ان المقصود من قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات الآية اقامة الدليل على انه لا يجوز ان يكون حدوث الحوادث في هذا العالم مستندا الى الاتصالات الفلكية والحركات الكوكبية وذلك لان قطع الارض مختلفة في صفاتها مع اشتراكها في الطبيعة الارضية وكونها متجاورة متقاربة بحيث يكون تأثير الشمس وسائر الكواكب فيها على السوية وقوله من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع علة لاشتراك تلك القطع فيما يعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية ﴿قوله نخلات اصلها واحد﴾ تفسير الصنوان على وجه يشير الى ان صنوان جمع صنو كقنوان جمع قنو عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الصنوان ما كان من نخلتين او ثلاث او اكثر اصلهن واحد وغير صنوان يريد به المتفرق الذي لا يجمعه اصله واحد ﴿قوله وقرأ ابن كثير الى قوله بالرفع عطفا على وجنات﴾ لا يخفى ان المرفوع بالعطف على جنات انما هو قوله تعالى وزرع ونخيل واما رفع قوله تعالى صنوان وغير صنوان فلكونه تابعا لنخيل والنخل والنخيل بمعنى واحد وقرأ الباقون بجر الالفاظ عطفا على اعناب واختار المصنف رحمه الله هذه القراءة ولهذا قال وبساتين فيها انواع الاشجار الخ ﴿قوله على تأويل ما ذكر﴾ اي يسقى ما ذكر من القطع المتجاورة والجنات والنخيل المتفقة الاصول والمختلفة الاصول بماء واحد ونفضل بعض هذه الاشياء المذكورة في الثمر من جهة الشكل والقدر والرائحة والطعم ويحتمل ان يكون قراءة يسقى بالياء التحتانية بناء على تأويل كل واحد منها او على تغليب المذكر على المؤنث والاكل الثمر الذي يؤكل وقيل الاكل كل ما هيئ للاكل ثمرا كان او غيره ويؤيده قوله تعالى في صفة الجنة اكلها دائم وهو عام في جميع المطعومات وقرأ الباقون تسقى بالتاء الفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير جنات او الى الاشياء المذكورة ويؤيد هذه القراءة قوله تعالى ونفضل بعضها اي بعض هذه المذكورات ومن قرأ يفضل بالياء التحتانية على بناء الفاعل عطفه على قوله يدبر ويفصل ويغشي ومن قرأ نفضل بنون العظمة قال تقديره ونحن نفضل وقرأ نافع وابن كثير الاكل ساكنة الكاف في جميع القرآن والباقون مضمومة الكاف وهما لغتان ﴿قوله حقيق بان تتعجب منه﴾ اي فقد عجبت في موضع التعجب لما قرر وفصل من الدلائل ما يدل على وجود المبدئ القادر على كل شيء وكانت تلك الدلائل دالة على صحة الاعادة ايضا استبعد قول من انكرها فقال وان تعجب من انكارهم البعث فقد عجبت العجب والتعجب حالة انفعالية تعرض للنفس عند ادراك ما لا يعرف سببه وهو مستحيل في حق الله تعالى فكان المراد وان تعجب فعجب عندك ﴿قوله بدل من قولهم﴾ اي من لفظ قولهم بدل الكل من الكل لان هذا هو نفس قولهم والاظهر ان هذه الجملة الاستفهامية منصوبة المحل على انها محكية بالقول واذا هنا ظرف محض وليس فيها معنى الشرط والعامل فيها مقدر يفسره قوله تعالى لفي خلق جديد والتقدير أئذا كنا ترابا نبعث او نحشر ولا يجوز ان يكون العامل فيها كنا لانه مضاف اليه فلا يعمل في المضاف ولا يعمل فيها ايضا خلق جديد لان ما بعد اداة الاستفهام وما بعد ان لا يعمل فيما قبله ولما حكى الله تعالى عنهم هذه المقالة وقال وان تعجب منها فقد تعجبت في موضع التعجب حكم عليهم بثلاثة اشياء اولها قوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم لان من انكر البعث والقيامة انما ينكره لانكاره قدرة الله تعالى عليه واحاطة علمه بجميع الكليات والجزئيات او لانكاره صدق من صدقه الله تعالى باظهار المعجزات الباهرة على يده وحكم عليهم ثانيا بقوله تعالى واولئك الاغلال في اعناقهم والاغلال جمع الغل وهو طوق يشد به اليد الى العنق يقال منه غل الرجل فهو مغلول والمصنف رحمه الله فسر الاغلال اولا بما لزم عليه من سوء الاعتقاد وقبائح الاعمال شبهها بالاغلال في لزومها لهم ومنعها اياهم عن الالتفات الى غيرها يقال للرجل هذا غل في عنقك للعمل الردي ومعناه انه لازم لك لا يرجى خلاصك منه ثم فسرها ثانيا بمعناها الحقيق الاصلي وحل

الكلام على الحقيقة وان كان اولى الا ان المصنف رحمه الله قدم التفسير الاوّل فى الذكر لان ظاهر الآية يقتضى حصول الاغلال فى اعناقهم فى الحال وهو امر سيحصل يوم القيامة بخلاف الغل بمعنى الكفر و الضلال فانه حاصل فى الحال فحمل الكلام عليه رعاية لجانب الحقيقة من بعض الوجوه فلا رجحان لاحد الحملين على الآخر من هذا الوجه ورجح الوجه الاوّل لانه يفيد تقبيح حالهم فى الآخرة فلذلك كان انسب فى هذا المقام وعلى الوجه الثانى يكون المعنى اولئك يغلون يوم القيامة وحكم عليهم ثالثا بقوله واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون على معنى انهم هم الموصوفون بالخلود فى النار لاغيرهم وان خلودهم انما هو فى النار لافى غيرها لان كل واحد من توسيط ضمير الفصل وتقديم فيها يفيد الحصر فثبت ان اهل الكبائر لايخلدون فى النار ﴿ قوله وذلك انهم استعجلوا ماهددوا به من عذاب الدنيا استهزآء ﴾ اى قالوا متى يجيئنا هذا العذاب فاستعجلوا نزوله على سبيل الطعن فيه واظهار ان الذى يقوله كلام لا اصل له فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم انهم يستعجلون الرسل بالسيئة قبل الحسنة اى بنزول العقوبة المهلكة قبل احسان الله معهم بالانظار والامهال فانه تعالى صرف عمن بعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم عقوبة الاستئصال واخر تعذيب مكذبيه الى يوم القيامة فذلك التأخير فى حقهم هو الحسنة فهؤلاء طلبوا منه صلى الله عليه وسلم نزول تلك العقوبة ولم يرضوا بما هو حسنة فى حقهم سميت العقوبة سيئة لانها تسوءهم وتؤذيهم ويجوز ان يكون المراد بالحسنة الثواب الموعود لهم فى الآخرة وحصول النصر والظفر فى الدنيا بشرط الايمان فانه صلى الله عليه وسلم كان يعدهم ذلك على الايمان فالقوم طلبوا منه صلى الله عليه وسلم نزول العذاب بدل ماوعدلهم على الايمان من النصر والظفر واعلم انه صلى الله عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب القيامة وتارة بعذاب الدنيا والقوم كلما هددهم بعذاب القيامة انكروا البعث والقيامة وهو الذى تقدم ذكره فى قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا وكلما هددهم بعذاب الدنيا استعجلوه وقالوا متى يجيئنا استهزآء وهو قوله ويستعجلونك بالعذاب وقوله قبل الحسنة متعلق بالاستعجال ظرف له ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف على انه حال مقدرة من السيئة وقوله وقد خلت حال من المستعجلين والعامة على فتح الميم وضم الثاء المثلثة وهو جمع مثلة بفتح الميم وضم الثاء ايضا كسمرة وسمرات وهى العقوبة الفاضحة ويقال لها مثلة ايضا بضم الميم وسكون الثاء مثل صدقة وصدقة ويجمع على مثلات بسكون الثاء وقيل المثلة العقوبة المبقية فى المعاقب شيأ وهو تغير تبق الصورة معه قبيحة وهو قوله مثل فلان بفلان اذا قبح صورته او قطع اذنه او انفه او سمل عينه او بقر بطنه فهذا هو الاصل ثم يقال للعار الباقى والخزى اللازم مثلة قال الواحدى اصل هذا الحرف من المثل الذى هو الشبه ولما كان الاصل ان يكون العقاب مشابها للمعاقب عليه ومماثلاله لاجرم انه يسمى بهذا الاسم وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء جمع مثلة قيل لغة الحجاز والمثلات بضم الميم وسكون الثاء على ان يكون المثلة بالضم والسكون لغة اصلية او مخففة من المثلة بضمتين وهو قوله بالتخفيف بعد الاتباع وقرأ الاعمش ومجاهد المثلات بفتحهما جمع مثلة على وزن صدقة او جمع مثلة كركبة وركبات ﴿ قوله مع ظلمهم انفسهم ﴾ يعنى ان قوله تعالى على ظلمهم معناه حال اشتغالهم بالظلم كما يقال رأيت فلانا على اكله والمراد حال اشتغاله بالاكل ﴿ قوله والعامل فيه المغفرة ﴾ يعنى انه هو العامل فى صاحبها لامتعلق الجار والمجرور محذوف اى مستقرين على ظلمهم ولاشك ان المستقر على الظلم والمشتغل به لايكون تائبا عنه فدلت الآية على جواز العفو بدون التوبة ولما لم يكن معمولا بها فى حق الكفار لنصوص الدالة على عدم العفو عنهم بقيت معمولا بها فى حق اهل الكبيرة فيكون قوله تعالى وان ربك لشديد العقاب فى حق الكفار او فى حق من شاء عقابه من عصاة المؤمنين ثم انه تعالى لما اتعجب من الكفار انكارهم البعث والجزآء المستلزم لانكار النبوة حكى انهم طعنوا فى نبوته صلى الله عليه وسلم ولم يعتدوا بما شاهدوه من المعجزات وطلبوا منه صلى الله عليه وسلم معجزات ظاهرة قاهرة مثل فلق البحر وقلب العصا ثعبانا فقال ويقول الذين كفروا الآية فلقن الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ان يجيبهم بان يقول ليس علىّ اتيان كل مايقترح علىّ وانما علىّ الانذار عن مخالفة حكم الله ومايتوقف عليه ذلك الانذار وهو اتيان ماتثبت به النبوة من جنس المعجزات فان اتيت بمعجزة واحدة فقد تم المقصود فيكون طلب الباقى تحكما على مدعى النبوة فلا يلتفت اليه لتمام الحجة بدون الباقى وايضا فتح هذا الباب يفضى الى اتيان مالانهاية له لانه كلما جاء بمعجزة جاء واحد آخر فطلب معجزة اخرى وذلك يوجب سقوط عزم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو باطل ﴿ قوله

(ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا ماهددوا به من عذاب الدنيا استهزآء (وقد خلت من قبلهم المثلات) العقوبات لامثالهم من المكذبين فالهم لم يعتبروا بها ولم يجوّزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الثاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اوّل المغفرة بالستر والامهال (وان ربك لشديد العقاب) للكفار او لمن شاء وعن النبى صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه) لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو مااوتى موسى وعيسى عليهما السلام (انما انت منذر) مرسل للانذار كغيرك من الرسل وماعليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لابما يقترح عليك

(ولكل قوم هاد) نبي مخصوص بمعجزات من جنس ماهو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب اوقادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لايهدي الا من يشاء هدايته بماينزل من الآيات ثم اردف ذلك بمايدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال مااقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وماعند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف بالياء في هذه الاحرف الاربعة حيث وقعت لاغير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغيرياء فقال (الله يعلم ما تحمل كل انثى) اي حملها او ماتحمله انه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة (وماتغيض الارحام وماتزداد) وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لاحدله وقيل نهاية ماعرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رضي الله عنه وقال الشافعي رحمه الله اخبرني شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ان تكون مامصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى اولما فيها (وكل شئ عنده بمقدار) بقدر لايجاوزه ولاينقص عنه كقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأله اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك (عالم الغيب) الغائب عن الحس (والشهادة) الحاضر له (الكبير) العظيم الشأن الذي لايخرج عن علمه شئ (المتعال) المستعلي على كل شئ بقدرته اوالذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه (سواء منكم من اسر القول) في نفسه (ومن جهر به) لغيره (ومن هو مستخف بالليل) طالب للخفاء في مختبأ بالليل (وسارب) بارز (بالنهار) يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله • نكن مثل من ياذئب يصطحبان • كأنه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بماقبلها مقررة لكمال علمه وشموله

نبي مخصوص بمعجزات من جنس ماهو الغالب عليهم﴾ يعني ان تنكيرها لعموم الافراد والمعنى ان لكل قوم من الاقوام هاديا على حدة مغايرا لسائر الهداة وان الهداة على حسب اختلاف الاقوام الا ان المراد باختلاف الهداة اختلاف معجزاتهم على حسب اختلاف طرق الاقوام وكمالاتهم فانه تعالى وان سوى بين جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام في اظهار المعجزة الا انه تعالى خص نبي كل قوم بنوع من المعجزة يناسب لطرق ذلك القوم فيما تميزوا به عن سائر الاقوام من الكمالات فلما كان الغالب في زمان موسى عليه الصلاة والسلام هو السحر جعل معجزته ماهو اقرب الى طريقهم ولما كان الغالب في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام الطب جعل معجزته مايناسب الطب وهو احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ولما كان الغالب في ايام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الفصاحة والبلاغة جعل معجزته ماكان لاتضاهيه ذلك الزمان وهو فصاحة القرآن وبلوغه في باب البلاغة الى حد خارج عن قدرة الانسان فلما لم يؤمنوا بهذه المعجزة مع انها اقرب الى طريقهم والبق بطباعهم كان أن لايؤمنوا عند اظهار سائر المعجزات اولى ﴿قوله اوقادر على هدايتهم﴾ عطف على قوله نبي مخصوص والمعنى ان قومك ان لم يصدقوك ولم يعتمدوا على مااظهرته من المعجزات فلايضيق قلبك بسببه فانه ليس عليك الا الانذار واما الهداية فانها الى الله تعالى فانه الهادي لكل قوم يهدي بارادته تعالى من يشاء ﴿قوله ثم اردف ذلك الخ﴾ اي اردف ذكر ماحكى عنهم من انهم طلبوا آيات اخرى غير ماأتى به الرسول صلى الله عليه وسلم بذكر مايدل على كمال علمه والمقصود بيان وجه انتظام هذه الآية بماقبلها وهو انه تعالى حكى عنهم انهم طلبوا آيات اخرى غير ماشاهدوه من الآيات ثم احتج على كمال علمه بانه يعلم ماتحمل كل انثى وكذا وكذا تنبيها على انه تعالى يعلم من حالهم هل طلبوا آية اخرى للاسترشاد او لاجل التعنت والعناد فلو علم انهم طلبوا ذلك لاجل الاسترشاد ومزيد الطمأنينة لاظهر ذلك ومامنعهم اياه ولكنه تعالى لماعلم منهم انهم لم يطلبوا ذلك الالمحض العناد لاجرم منعه عنهم ﴿قوله اي حملها او ماتحمله﴾ يعني ان كلمة ما في قوله تعالى ماتحمل وماتغيض الارحام وماتزداد يحتمل ان تكون مصدرية والمعنى يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لايخفى عليه شئ من ذلك ولامن اوقاته واحواله ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذي منصوبة المحل بيعلم والعائد محذوف اي يعلم ماتحمله من الولد هل هو ذكر او انثى تام او ناقص حسن او قبيح طويل او قصير الى غير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ايضا ماتغيضه الارحام وماتزداده على ان ماموصولة وغاض يستعمل لازما ومتعديا يقال غاض الماء يغيض غيضا اي قل ونضب كما يقال انغاض ويقال ايضا غاضه الله ومنه قوله تعالى وغيض الماء وكذا ازداد فانه يقال زدته فزاد بنفسه وازداد ويقال اخذت منه حقي وازددت منه كذا واختلفوا فيما تغيضه الارحام وماتزداده ماهو فقيل هو جثة الولد فقد تكون كبيرة وقد تكون صغيرة وقد تكون تامة الاعضاء وقد تكون ناقصة وقيل هو مدة ولادته فانها قد تكون تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة رحمه الله والى اربع عند الامام الشافعي رحمه الله وكذلك عند الامام ابن حنبل والى خمس عند الامام مالك رحمهم الله تعالى وقيل هو عدد الولد فان الرحم قد تشتمل على ولد واحد وعلى اثنين وعلى ثلاثة وعلى اربعة • روي ان شريكا رضي الله تعالى عنه وهو احد فقهاء المدينة رضي الله تعالى عنهم كان رابع اربعة في بطن امه وقيل هو دم الحيض فانه يقل ويكثر ﴿قوله فانهما لله تعالى﴾ على تقدير كونهما متعديين اولما فيها على تقدير كونهما لازمين فان كل واحد من الغيوض والزيادة ليس لنفس الارحام بل لما فيها ﴿قوله فانه تعالى خص كل حادث الخ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى وكل شئ عنده بمقدار المراد منه ان كل شئ في حكمه وارادته مختص بوقت وحال وقيل يحتمل ان يكون المراد من العندية العلم ومعناه انه تعالى يعلم كمية كل شئ وكيفيته على الوجه المعين فيمتنع وقوع التغير في تلك المعلومات ثم انه تعالى احتج على كونه تعالى عالما بجميع المعلومات بقوله تعالى سواء منكم من اسر القول الآية فقوله من اسر القول مبتدأ ومن جهر عطف عليه وسواء خبر المبتدأ قدم عليه ومنكم حال من الضمير المستتر في سواء لانه بمعنى مستو ولم يثن الخبر مع انه خبر عن شيئين لانه في الاصل مصدر وان كان هنا بمعنى مستو والاستواء يقتضي شيئين فمعنى الآية الانسان سواء كان اضمر القول في نفسه او اظهره بلسانه وسواء كان مستخفيا في الظلمات او ظاهرا في الطرقات فعلم الله تعالى محيط بالكل ﴿قوله وهو عطف على من او على مستخف على ان من في معنى الاثنين﴾ جواب عما يقال ان الاستواء يقتضي شيئين فكيف يصح ان يعطف سارب على قوله مستخف مع انه مستلزم تحقق الاشياء بالاستواء في شخص واحد له صفتان الاستخفاء والبروز وذلك لان جملة قوله تعالى

من هو مستخف بالليل وسارب بالنهار معطوفة على جملة قوله تعالى من اسرّ القول ومن جهر به وهما مبتدأ حكم عليهما بالاستوآء فلما عطف عليه قوله تعالى ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار لزم ان يكون هذا المعطوف ايضا محكوما عليه بالاستوآء وهو شخص واحد له صفتان فحق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار ليتحقق شيئان يحكم عليهما بالاستوآء ٭ واجاب المصنف عنه رحمه الله بوجهين تقرير الاوّل ما ذكرتما يلزم ان لو كان وسارب معطوفا على قوله مستخف وليس كذلك بل هو معطوف على من فيتحقق شيئان كأنّه قيل سوآء منكم انسان وهو مستخف وسارب وتقرير الوجه الثانى سلمنا انه معطوف على مستخف لكن لانسلم استلزامه لكون الاستوآء فى شخص واحد بناء على ان كلمة من عبارة عن الاثنين كأنّه قيل سوآء منكم اثنان هما مستخف بالليل وسارب بالنهار وعلى الوجهين تكون كلمة من موصوفة لاموصولة فصل الاوّل ايضا على ذلك ليتوافق الكل ومما وقع فيه كلمة من عبارة عن المتعدد ماوقع فى بيت الفرزدق ٭ نكن مثل من ياذئب يصطحبان ٭ وقبله

٭ فقلت له لما تكشر ضاحكا ٭ وقائم سيفى من يدى بمكان ٭
٭ تعال فان عاهدتنى لاتخوننى ٭ نكن مثل من ياذئب يصطحبان ٭

تكشر اى ابدى اسنانه وقائم السيف وقائمته مقبضه والمعنى وانا قابض قائم سيفى فضلا قويا ليس بعده شئ من القوة يظهر تجلده وشجاعته يخاطب ذئبا اتاه ويقول له ان عاهدتنى على ان لاتخوننى كنا مثل رجلين يصطحبان فجملة يصطحبان صلة من وياذئب نداء اعترض بين الصلة والموصول ﴿قوله لمن اسرّ الخ﴾ يعنى ان الضمير فى له عائد الى من فى قوله سوآء منكم من اسرّ القول وقيل الى اسم الله المذكور فى قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والمعنى لله معقبات ﴿قوله من عقب مبالغة عقبه﴾ فتكون صيغة التفعيل للمبالغة والتكثير كما فى قولك طوّفت البيت وقيل للملائكة عليهم الصلاة والسلام معقبات لكثرة تعقب بعضهم بعضا او لكثرة انهم يعقبون افعال المكلفين واقوالهم فيكتبونها فيكون اطلاق المعقبة على الملك كاطلاق النسابة والعلامة على الرجل وان التاء فيها ليست للتأنيث ﴿قوله او اعتقب﴾ عطف على قوله عقب فيكون معقبات اصله معتقبات فادغمت التاء فى القاف ﴿قوله والتاء للمبالغة﴾ جواب عما يقال الملك لايوصف بالذكور قولا بالانوثة فلم جمع وصفه جمع الاناث فقيل معقبات ٭ فاجاب عنه اوّلا بان التاء ليست للتأنيث وثانيا بانها للتأنيث بناء على ان المعقبة صفة لجماعة الملائكة فلما جمعت اريد بها الجماعات قال جهور المفسرين المراد بالمعقبات الملائكة الحفظة وصح وصفهم بالمعقبات اما لاجل ان ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار وبالعكس واما لاجل انهم يعقبون اعمال العباد واقوالهم ويتبعونها بالحفظ والكتب وكل من عمل عملا ثم عاد اليه فقد عقب فعلى هذا المراد بالمعقبات ملائكة الليل والنهار ﴿قوله وقرئ معاقيب جمع معقب﴾ بسكون العين وكسر القاف كمقاديم فى جمع مقدم ومطاعيم فى جمع مطعم ومعقب اسم فاعل من قولهم ذهب فلان فاعقبه ابنه اى اخلفه وهو مثل عقبه ﴿قوله من جوانبه﴾ اى كائنين من جوانبه او كائنون من جوانبه على ان يكون قوله من بين يديه متعلقا بمحذوف على انه حال من الضمير المستتر فى الظرف الواقع خبرا او على انه صفة لمعقبات ويجوز ان يتعلق بنفس معقبات بان تكون من لابتدآء الغاية وعلى التقادير يتم الكلام عند قوله ومن خلفه ٭ فان قيل كيف يتعلق حرفان متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد وهما من الداخلة على بين ومن الداخلة على امر الله ٭ فالجواب ان من الثانية مغايرة للاولى فى المعنى بان يكون معنى من الثانية يحفظونه من اجل امر الله اياهم بذلك او بسبب امره وقيل من امر الله خبر لمبتدأ محذوف اى ذلك الحفظ من امر الله اى مما امر الله به لانهم لايقدرون على ان يدفعوا شيأ مما قضى الله وقدره ﴿قوله او من الاعمال ماقدم واخر﴾ فالظاهر ان كلمة من على هذا تعليلية اى له معقبات يعقب بعضهم بعضا فى النزول الى الارض لاجل مابين يديه من الاعمال او لاجل ماخلفه اى لاجل ان يكتبوا ماقدمه وما أخره من الاعمال والاقوال وقوله تعالى يحفظونه يجوز ان يكون صفة اخرى وان يكون حالا من الضمير المستكن فى الجار والمجرور الواقع خبرا وقوله من امر الله متعلق به والمعنى يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له وسؤالهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب او يحفظونه من المضارّ ويدل عليه ماروى عن مجاهد انه مامن مسلم الا وكل به وكلاؤه من الملائكة يحفظونه من الجن والانس والهوام او يحفظونه من المضارّ فاذا رأوا شيئا منها قالوا وراءك وراءك الا شيئا قد قضى الله ان يصيبه وماروى عن عمر بن جندب قال كنا جلوسا عند سعيد بن قيس بصفين فاقبل علىّ رضى الله عنه يتوكأ على عنزة له بعد ما اختلط الظلام فقال سعيد امير المؤمنين

(له) لمن اسرّ او جهر او استخفى او سرب (معقبات) ملائكة تعتقب فى حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء فى القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين (من بين يديه ومن خلفه) من جوانبه او من الاعمال ماقدم واخر (يحفظونه من امر الله) من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضارّ او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات

(قال)

قال ثم قال اما الخاف ان يخاف احد قال انه ليس من احد الا ومعه من الله حفظة من ان يتردى فى بئر او يخرّ من جبل او يصيبه حجر او تصيبه دابة فاذا جاء القدر خلوا بينه وبين القدر ﴿ قوله وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة ﴾ وفى الصحاح الحرس حرس السلطان وهم الحراس الواحد حرسى لانه قد صار اسم جنس فينسب اليه ولا تقول حارس الان تذهب الى معنى الحراسة والحفظ دون الجنس وقال الجلواز الشرطى والجمع الجلاوزة وهم اعوان السلطان فالمقصود من هذا الكلام توبيخ الغافل المتمادى فى غروره والتهكم به على اتخاذ الجلاوزة وهم اعوان السلطان والحرس بناء على توهم انهم يحفظونه من امر الله وقضائه كما يشاهد من ان بعض الملوك والسلاطين يتخذون الحرسى والشرطى لذلك والعاقل يعلم ان القضايا الالهية والنوازل المقدرة مما لا يمكن التحفظ عنه فالنظر رأيهم وماذهبوا اليه ﴿ قوله وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف ﴾ احتيج الى تقديره لان الخوف من صواعق البرق والطمع فى غيثه ليسا من فعل فاعل الفعل المعلل لان الارآءة فعل الله والخوف والطمع فعل الخائفين ﴿ قوله او الحال ﴾ اى ويحتمل ان يكون انتصابهما على ان يكونا مصدرين واقعين موقع الحال اما من المفعول الاوّل لقوله يريكم اى يريكم البرق خائفين صواعقه طامعين واما من المفعول الثانى وهو البرق اى يريكم اياه حال كونه ذاخوف وطمع او مخوفا او مطموعا فى غيثه ﴿ قوله وقيل يخاف المطر من يضره الخ ﴾ عطف على قوله خوفا من اذاه وطمعا فى الغيث اختار ان يكون المخوف منه والمطموع فيه شيئين مختلفين وضعف ان يكون المراد منهما شيئا واحدا بالنسبة الى شخصين * واعلم انه تعالى لما خوّف العباد بانزال مالا مردّ له اتبعه بذكر آيات وانواع دالة على وجود الصانع القادر على مايشاء النوع الاوّل ارآءة البرق قال تعالى هو الذى يريكم البرق الآية والبرق دليل عجيب على قدرة الله تعالى وبيانه ان السحاب لاشك انه جسم مركب من اجزآء رطبة ومن اجزآء هوآئية ولاشك ان الغالب عليه الاجزآء المائية والماء جسم بارد رطب والنار جسم حارّ يابس وحصول الضدّ من الضدّ على خلاف العقل فلابدّ له من صانع مختار يظهر الضدّ من الضدّ والنوع الثانى من دلائل وجود الصانع وقدرته احداث السحاب الثقال بالماء وخلقته لان هذه الاجزآء المائية المشوبة بالاجزآء الهوآئية انما حدثت وتكوّنت فى جوّ الهوآء بقدرة المحدث القادر على مايشاء والقول بان تلك الاشياء اى الاجزآء تصاعدت من الارض فلما وصلت الى الطبقة الباردة من الهواء بردت وثقلت فرجعت الى الارض خبط لان الامطار مختلفة فتارة تكون قطراتها كبيرة وتارة تكون صغيرة وتارة تكون متقاربة واخرى تكون متباعدة وتارة تدوم زمانا طويلا وتارة لاتدوم فاختلاف الامطار فى هذه الصفات مع ان طبيعة الارض واحدة وكذا طبيعة الشمس المسخنة للبخارات واحدة لابدّ ان يكون بتخصيص الفاعل المختار وايضا فالتجربة دلت على ان للدعاء والتضرّع فى نزول الغيث اثرا عظيما ولذلك كانت صلاة الاستسقاء مشروعة فعلمنا ان المؤثر فيه هو قدرة الفاعل لا الطبيعة والخاصة والنوع الثالث من الدلائل المذكورة فى هذه الآية الرعد اختلف العلماء فى الرعد والبرق فقال بعضهم اسم ملك من الملائكة وهذا الصوت المسموع هو صوت ذلك الملك بالتسبيح والتهليل وذلك يسمى ايضا بالرعد ويؤيد هذا القول ماروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان اليهود سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الرعد ماهو فقال * ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله * قالوا فالصوت الذى يسمع قال * زجره السحاب فاذا شذت سحابة ضمها واذا اشتدّ غضبه طارت من فيه نار هى الصاعقة * وقيل الرعد ملك والبرق سوطه الذى يزجر به السحاب وروى عنه صلى الله عليه وسلم ان الله ينشئ السحاب فينطق احسن النطق ويضحك احسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق وهذا القول غير مستبعد عقلا وذلك ان البنية ليست شرطا للحياة عند اهل السنة فلا يبعد من الله تعالى ان يخلق الحياة والعلم والقدرة والنطق فى اجزآء السحاب فيكون هذا الصوت المسموع فعلا له والمخاريق جمع مخراق وهو فى الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا والمراد به ههنا آلة يسوق بها الملائكة السحاب وقال بعضهم ان الرعد اسم لهذا الصوت المخصوص ولما كان سببا حاملا لمن يسمعه على ان يسبح الله ويحمده اسند اليه التسبيح والحمد اسنادا مجازيا فقيل ويسبح الرعد بحمده ﴿ قوله او يدل الرعد بنفسه ﴾ عطف على قوله ويسبح سامعوه يعنى ان التسبيح والتقديس ومايجرى مجراهما ليس الا وجود مايدل على حصول التنزيه والتقديس لله تعالى فلما كان حدوث هذا الصوت دليلا على وجود موجد متعال عن النقص والزوال موصوف بنعوت الفضل والجلال كان ذلك فى الحقيقة تسبيحا

وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه فى توهمه من قضاء الله (ان الله لايغير مابقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بانفسهم) من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة (واذا اراد الله بقوم سوء افلا مردّ له) فلارد له والعامل فى اذا مادل عليه الجواب (ومالهم من دونه من وال) يمن يلى امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراده تعالى محال (هو الذى يريكم البرق خوفا) من اذاه (وطمعا) فى الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اى ارآءة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوى او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه (وينشئ السحاب) الغيم المنسحب فى الهوآء (الثقال) وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس فى معنى الجمع (ويسبح الرعد) ويسبح سامعوه (بحمده) ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب (والملائكة من خيفته) من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد

وبحميد الله تعالى ولذلك قيل في حق الرعد يعني الصوت المخصوص انه يسبح بحمد ربه فقول المصنف ويسبح سامعوه مبني على ان يكون المراد بالرعد هذا الصوت المخصوص ثم اشار الى احتمال ان يكون المراد الملك الموكل بالسحاب بحكاية ماروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقدم الاحتمال الاول بناء على ان عطف قوله تعالى والملائكة من خيفته على الرعد يؤذن بان الرعد ليس بملك لان العطف يقتضي التغاير بين المعطوف والمعطوف عليه ولمن ذهب الى ان المراد بالرعد الملك الموكل بالسحاب ان يقول الرعد وان كان من جنس الملائكة الا انه افرد بالذكر على سبيل التشريف وقد اشتهر بين العلماء ان العام اذا عطف على الخاص يراد به الافراد المغايرة لذلك الخاص وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الملائكة خائفون من الله تعالى وليس خوفهم كخوف ابن آدم فانه لا يعرف احدهم من على يمينه ومن على يساره ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء اصلا والنوع الرابع من الدلائل المذكورة في هذه الآية ماذكره الله بقوله ويرسل الصواعق الخ فان امر الصاعقة عجيب جدا وذلك لانها نار تتولد في السحاب مع ان طبيعة النار حارة يابسة ضد طبيعة السحاب فيجب ان تكون طبيعتها في الحرارة واليبوسة من طبيعة النار الحادثة عندنا على ما يقتضيه العقل وليس الامر كذلك بل هي اقوى نيران هذا العالم فانها اذا نزلت من السحاب فربما غاصت في البحر واحرقت الحيتان تحت البحر فظهر ان اختصاصها بمزيد تلك القوة لابد وان يكون بسبب تخصيص الفاعل المختار اياها بذلك ثم انه تعالى لما بين دلائل كمال علمه بقوله يعلم ما تحمل كل انثى الآية ثم بين دلائل كمال قدرته بذكر ماذكره من الآيات قال بعد ذلك وهم يجادلون اي هؤلاء الكفار مع ظهور هذه الدلائل يجادلون في الله والواو التي في هذه الجملة ان كانت للحال يكون المعنى يصيب بالصاعقة من يشاء في حال جداله في الله فان اربد بن ربيعة لما جادل في الله احرقته الصاعقة وان كانت لعطف الجملة على الجملة اي لعطف جملة وهم يجادلون على جملة قوله تعالى يعلم ما تحمل كل انثى الآية يكون وجه انتظام هذه الجملة بما قبلها انه تعالى اخبر اولا عن علمه الشامل وقدرته الكاملة بقوله الله يعلم ما تحمل الآية ثم انه اخبر عن استواء الظاهر والخفي عنده بقوله سواء منكم الآية ثم اخبر عن وحدانية الله وتفرده بالالوهية بقوله وهو الذي يريكم البرق وقوله ويسبح الرعد بحمده الآية ثم قال انهم مع ذلك يجادلون في الله اي في شان الله من علمه وقدرته ونعوت جلاله وجماله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ومن الوحدانية باتخاذهم الشركاء ويجعلهم اياه ابا لبعض الاجسام حيث قالوا الملائكة بنات الله ونحو ذلك ﴿قوله غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية﴾ روبا مرفوعين بتقدير اصابتني غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وسلول قبيلة من العرب اقلهم وارذلهم قال قائل في حقهم

الى الله اشكو انني بت طاهرا	فجاء سلولي فبال على نعلي
فقلت اقطعوها بارك الله فيكمو	فاني كريم غير مدخلها رجلي

كان عامر يقول ابتليت بامرين كل واحد منهما شر من الآخر احدهما ان غدتي كغدة البعير وان موتي موت في بيت ارذل الخلائق والغدة الطاعون للابل وقلما تسلم منه يقال اغد البعير اي صار ذا غدة وهي الطاعون قال محيي السنة رضي الله تعالى عنه ان عامرا لما ولى هاربا ارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فاوداه في التراب وخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت سلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم عدا فرسه اي اجراه حتى مات على ظهره فاجاب الله تعالى دعاء رسوله بقوله اللهم اكفنيهما بما شئت فقتل عامرا بالطاعون واربد بالصاعقة وقال وانزل الله تعالى في هذه القصة قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب النهار له معقبات يعني رسول الله من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ﴿قوله تعالى وهو شديد المحال﴾ في محل النصب على انه حال من الجلالة الكريمة اي وهم يجادلون والحال انه شديد المكر والكيد لاعدائه تعالى يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون هذا على تقدير ان يكون الواو في قوله تعالى وهم يجادلون في الله لعطف الجملة على الجملة واما ان كانت حالية فحينئذ تكون هذه الجملة وما بعدها استئنافا لتعليل قوله تعالى فيصيب به من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال وسيشير اليه المصنف رحمه الله تعالى عليه بقوله والمراد بالحقتين الخ قال الجوهري المحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلأ يقال امحل القوم وامحل البلد اذا اصابهم القحط والمحل المكر والكيد يقال محل به اذا سعى به الى السلطان وفي الدعاء ولا تجعله علينا

(ماحلا)

(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) فيهلكه (وهم يجادلون في الله) حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال فانه روى ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله عليه السلام فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له رسول صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت (وهو شديد المحال) المماحلة المكايدة لاعدائه من محل فلان بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط

ماحلا مصدقا اى خصما ماحلا مصدقا مجادلا او ساعيا مصدقا على ان يكون من قولهم محل بفلان الى السلطان اذا سعى به اليه قيل تمامه اللهم اجعله لنا شافعا مشفعا و الضمير للقرآن الشريف يعنى ان من اتبعه و عمل بما فيه فانه شافع له مقبول الشفاعة و مصدق عليه فيما رفع من مساويه اذا ترك العمل به و المماحلة المهالكة و المكايدة فعلى هذا تكون الميم فى المحال اصلية و يكون وزنه فعالا و قوله وقيل فعال من المحل بمعنى القوة عطف على قوله و لعل اصله المحل بمعنى القحط و لعل الوجه فى ترجيح ما اختاره ان المحل بمعنى القوة ليس بمشهور و لذلك لم يذكر فى الصحاح ﴿ قوله وقيل مفعل من الحول او الحيلة ﴾ القياس صحة الواو كما فى قولهم مرود و محور و مقود اجاب عنه بقوله اعل على غير قياس و ذكر ابو البقاء ان المحل هو القوة يقال محل به اذا غلبه و فى الصحاح الحيلة بالكسر من الاحتيال و هو من ذوات الواو و كذا الحيل يقال لا حيل و لا قوة لغة فى لا حول و استشهد رحمه الله تعالى عليه على كون المحال من الحول و الحيلة بقراءة من قرأ بفتح الميم فانه مصدر بمعنى الاحتيال و الاصل فى القرآن ان يفسر بعضه بعضا و يجوز ان يكون بمعنى الفقار و هو عمود الظهر فان المحال لغة فيه ايضا و فى الاساس قوى المحال اى قوى الفقارات الواحدة محالة و الميم اصلية ذكر فى النهاية فى حديث الهجرة ساعد الله اشد و موساه احد اى لو اراد الله عز و جل تحريمها لشق اذنها لخلقها كذلك فانه يقول سبحانه و تعالى كن فيكون ﴿ قوله الدعاء الحق ﴾ فيكون من باب اضافة الموصوف الى الصفة و المعنى ان الدعوة التى هى التضرع و العبادة قسمان مايكون حقا و صوابا و مايكون باطلا و خطأ و التى تكون حقا منها مختصة به تعالى لا يشاركه فيها غيره و قد اشتهر بين النحاة ان هذه الاضافة تحتاج الى تأويل فهم يأولون نحو ان يقال له عبادة اهل الحق او عبادة طالب الحق الا انه حذف المضاف و اقيم المضاف اليه مقامه ليكون الكلام مشعرا باختصاصه بما يكون حقا من الدعوة و العبادة اى بالدعوة المختصة بكونها حقا فاضيفت الدعوة الى الحق ليكون الاضافة مفيدة اختصاص المضاف بالمضاف اليه ﴿ قوله الدعوة المجابة ﴾ على ان الحق بمعنى الثابت الغير الضائع الباطل و على الاول بمعنى الحقيق اللائق الغير الباطل و على اى معنى كان يكون الحق ماينافى الباطل و يكون بينه و بين الدعوة ملابسة الوصفية و الموصوفية المصححة للاضافة اليه ﴿ قوله وقيل الحق هو الله تعالى ﴾ فيه اشكال لان الكلام حينئذ يكون فى قوة قولنا لله دعوة الله و لا معنى له و لعل مراده بقوله الحق هو الله تعالى ان الحقيق بالدعاء و المستحق للعبادة هو الله تعالى الذى يسمع دعاء من دعاه و يرى عبادة من عبده فلا يخيب سائله و لا يضيع عمل من عبده فيكون دعاء من توجه اليه دعوة الحقيق بالدعاء المختص به تعالى و انما يرد الاشكال ان لو كان المراد بقوله الحق هو الله تعالى و وجه اتصال قوله و هو شديد المحال و له دعوة الحق بما قبلهما على تقدير كون الآية نازلة فى عامر و اربد ان يكون قوله تعالى فيصيب بها من يشاء هو عامر و اربد و على تقدير كونها نازلة فى عامة المجادلين ان يكون قوله تعالى و هم يجادلون فى الله و هو شديد المحال جملة معطوفة على ماتقدم عليها فى قوله تعالى الله يعلم ماتحمل كل انثى و ماتغيض الارحام الى آخر الآيات فتكون كل واحدة منهما وعيدا لعامة المجادلين ﴿ قوله بحذف الراجع ﴾ اى الى الموصول و هذا الراجع هو مفعول يدعون فالموصول ان كان عبارة عن الاصنام يكون المحذوف الراجع و المفعول جميعا و فاعل يدعون ضمير المشركين و العائد المحذوف ضمير الاصنام و كذا لا يستجيبون ان كان عبارة عن المشركين يكون المحذوف المفعول فقط لان ضمير يدعون يرجع الى المفعول حينئذ و فاعل قوله لا يستجيبون ضمير عائد الى مفعول يدعون المحذوف و عاد عليه ضمير العقلاء لمعاملته اياهم معاملة العقلاء و التقدير و المشركون الذين يدعون الاصنام لا يستجيبون اى لا يستجيب لهم الاصنام الا استجابة مثل استجابة من بسط كفيه الى الماء اى من بسط كفيه اليه و طلب منه ان يبلغ فاه اذ الماء جماد لا يشعر بسط كفيه و لا بعطشه و حاجته و لا يقدر ان يجيب دعاءه و يبلغ فاه و كذلك مايدعونه جماد لا يجيب دعاءهم و لا يستطيع اجابتهم و لا يقدر على نفعهم ﴿ قوله الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه ﴾ الاستثناء مفرغ من اعم المصدر اى لا يستجيب الاصنام شيأ من الاستجابة الا استجابة مثل استجابة من بسط كفيه اى مثل استجابة الماء من بسط كفيه على ان اضافة الاستجابة من قبيل اضافته الى مفعوله فان فاعلها الماء و من بسط مفعوله و الاستجابة بمعنى الاجابة كما فى قوله

۞ وداع دعا يا من يجيب الى الندا ۞ فلم يستجبه عند ذاك مجيب ۞

و التشبيه من المركب التمثيلى شبه حال الاصنام مع من دعاهم من المشركين و عدم فوز المشركين من دعائهم الاصنام

وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا فى القوة و القدرة كقولهم فساعد الله اشد و موساه احد (له دعوة الحق) الدعاء الحق فانه الذى يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب و يؤيده مابعده و الحق على الوجهين ماينافى الباطل و اضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق و المراد بالجملتين ان كانت الآية فى عامر و اربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله تعالى و اجابة لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم و دلالة على انه على الحق و ان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسوله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم و تهديدهم باجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم او بيان ضلالهم و فساد رأيهم (و الذين يدعون) اى و الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او و المشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة (من دونه) عليه (لا يستجيبون لهم بشيء) من الطلبات (الا كباسط كفيه) الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه (الى الماء ليبلغ فاه) يطلب منه ان يبلغه (و ماهو ببالغه) لانه جماد لا يشعر بدعائه و لا يقدر على اجابته و الاتيان بغير ماجبل عليه و كذلك آلهتهم

وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) في ضياع وخسار وباطل (ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها) يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة له كرها حالة الشدة والضرورة (وظلالهم) بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ماارادة فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او المفعول له وقوله (بالغدو والآصال) ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع اصيل وهو مابين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل (قل من رب السموات والارض) خالقهما ومتولي امرهما (قل الله) اجب عنهم بذلك اذ لاجواب لهم سواه ولانه البين الذي لايمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به (قل أفاتخذتم من دونه) ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل (اولياء لايملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لايقدرون على ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم (قل هل يستوي الاعمى والبصير) المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل منكم والمعبود المطلع على احوالكم (ام هل تستوي الظلمات والنور) الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابوبكر بالياء (ام جعلوا لله شركاء) بل أجعلوا والهمزة للانكار وقوله (خلقوا كخلقه) صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار (فتشابه الخلق عليهم) خلق الله وخلقهم والمعنى انهم مااتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لايقدرون على مايقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شئ) اى لاخالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عما سواه ليدل على قوله (وهو الواحد) المتوحد بالالوهية (القهار) الغالب على كل شئ (قدر)

بشئ من الاستجابة والنفع بحال الماء الواقع بمرأى العطشان الذي يبسط كفيه يطلبه ان يبلغ فاه وينقذه من احتراق كبده ووجه التشبيه عدم استطاعة المطلوب منه اجابة الدعاء وخيبة الطالب من نيل ماهو احوج اليه من المطلوب وهذا الوجه كماترى منتزع من عدة امور ﴿ قوله وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها ﴾ عبر عن العدم بالقلة مبالغة في ايثار الصدق وايماء الى نوع من التهكم وهو عطف على قوله الااستجابة الخ اى شبه المشركون الذين يدعون الاصنام ويعبدونها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فيبسط كفيه ناشرا اصابعه في عدم انتفاع كل واحد منهما بسعيه فهو من تشبيه المفرد المقيد بآخر مثله كقولك لمن لايحصل من سعيه على شئ هو كالراقم على الماء فان المشبه هو الساعي مقيدا بكون سعيه كذلك والمشبه به هو الراقم مقيدا بكون رقمه على الماء فكذلك فيما نحن فيه وليس من المركب العقلي في شئ على ماذهب اليه الطيبي ثم وجه الشبه عقلي اعتباري والاستثناء مفرغ من اعم عام الاحوال اى لايستجيب الاصنام لهؤلاء المشركين في حال من الاحوال الا في حال كون المشركين مشبهين بمن بسط كفيه ولم يقبضهما وانهما مبسوطتان الى الماء فلم يحصل على شئ لان الماء يحصل بالقبض عليه لا بالبسط اليه ولم يتعرض المصنف رحمه الله تعالى لنشر الاصابع لان بسط الكف انما يكون بنشر الاصابع واللام في قوله تعالى ليبلغ فاه متعلق بباسط وفاعل ليبلغ ضمير الماء ولفظ هو في قوله وماهو ببالغه ضمير الماء والهاء في بالغه للفم اى وما الماء ببالغ لفيه ويجوز العكس اى وما الفم ببالغ الماء الا كل واحد منهما لايبلغ الآخر على هذه الحالة فنسبة الفعل الى كل واحد منهما صحيحة ﴿ قوله وقرئ تدعون بالتاء ﴾ اى الفوقانية وحينئذ يتعين ان يكون قوله الذين عبارة عن الاصنام بحذف العائد الذي هو مفعول تدعون ولعل المصنف رحمه الله تعالى عليه انما قدم هذا الوجه لتأيد هذه القرآءة اياه ﴿ قوله والمراد بهما الدوام ﴾ لان السجود سوآء اريد به حقيقته او الانقياد والاستسلام لااختصاص له بالوقتين فان الباء في قوله تعالى بالغدو بمعنى في اى يسجد له من ذكر في هذين الوقتين ﴿ قوله وتخصيص الوقتين ﴾ مع انقياد الظلال وميلانهما من جانب الى جانب وطولها بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاع الشمس لايختص بوقت دون وقت بل هي مستسلمة منقادة الى الله تعالى في عموم الاوقات ﴿ قوله والايصال ﴾ وهو مصدر آصل على وزن افعل بمعنى دخل في الاصيل كاصبح بمعنى دخل في الصباح ثم انه تعالى لما قرر ان جميع الكائنات منقادة وتخضع لجلاله وتوقيره عاد الى الرد على المشركين بان امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يسألهم سؤال التقرير فقال له قل من رب السموات والارض ولما تعين لهم ان يجيبوا بالاقرار في ان لارب لهما سواه كلف تعالى رسوله ان يجيب عنهم بذلك تنبيها على انهم مقرون بذلك ولاينكرونه البتة فكأنه حكاية لاعترافهم به وتأكيد له عليهم ثم الزمهم الحجة فقال قل ابعد اقراركم هذا تتخذون من دونه اولياء ثم ضرب مثلا للذين يعبدون الاصنام والذين يعبدون الله تعالى فقال تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير يعني المشرك والمؤمن ام هل تستوي الظلمات والنور يعني الشرك والايمان فانه تعالى لما احتج اولا على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء يدعونهم من دون الله تعالى بكونها جمادات لاتحس بدعائهم اياها ولاتدرك مقصودهم من الدعاء ولاتقدر ان تجيب دعاءهم وتأتيالهم الآمال ان تجلب لنفسها نفعا وان تدفع عنها ضرا فضلا عن غيرها بين بعد ذكر هاتين الحجتين ان الجاهل بمعنى هذه الحجة يكون كالاعمى وان العالم بها كالبصير ثم ذكر ان الجهل بمثل هذه الحجة كالظلمات وان العلم بها كالنور وكما ان كل واحد يعلم بالضرورة ان الاعمى لايساوي البصير كذلك يعلم كل احد بالضرورة ان الجاهل بهذه الحجة لايساوي العالم بها وهو المراد بقوله تعالى قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ﴿ قوله وقرأ حمزة والكسائي وابوبكر ﴾ يستوي الظلمات بالياء من تحت والباقون بالتاء من فوق باعتبار ان الفعل اسند الى الظاهر المؤنث الغير الحقيقي وفي مثل هذا الفعل يجوز التذكير والتأنيث والفاء في قوله تعالى قل افاتخذتم سببية مرتبة للكلام الثاني على الاول وادخل همزة الانكار بين السبب والمسبب انكارا على تعكيس الامر وهو ان من علم انه تعالى رب السموات والارض وجب عليه ان يعبده تعالى ويوحده فهم جعلوا ذلك العلم سببا للاشراك وادخلت همزة الانكار على الفاء لان المنكر الاتخاذ بعد العلم والاقرار فانه اقبح من الاتخاذ بدونه ﴿ قوله والهمزة للانكار ﴾ اعلم ان همزة الاستفهام اذا كانت للانكار يكون الانكار على احد معنيين الاول ماكان كذا والثاني لم يكن كذا والانكار بمعنى الثاني كما اشار اليه بقوله والمعنى انهم مااتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله تعالى فتشابه عليهم خلق الله تعالى وخلقهم حتى يقولوا

قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة لذلك فتخذهم شركاء ونعبدهم كما نعبد الله تعالى الا لافرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوهم شركاء عاجزين على ما يقدر عليه الخلق فضلا عن ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق ومعنى الاضراب المستفاد من كلمة بل التى تضمنتها ام المنقطعة انه تعالى عنف عليهم ووبخهم على تعكيس الامر حيث قال تعالى قل أفاتخذتم من دونه اولياء وذيل ذلك التعنيف والتوبيخ بضرب مثل الاعمى والبصير والظلمات والنور ثم اضرب عن ذلك الى انكار اتخاذهم شركاء يذهب الوهم الى صلاحيتهم له وبيان ان تعكيسهم ذلك لم ينشأ عن شبهة فضلا عن حجة بناء على ان حكاية ذلك عنهم ادخل فى ذمهم واهم فى ذلك المقام بالنسبة الى ما ذكر اولا ﴿ قوله بمقدارها الذى علم الله تعالى انه نافع غير ضار ﴾ لما كان المقصود تمثيل الحق واهله بالماء الذى ينزل من السماء ويسيل فى الاودية وينتفع به الناس بوجوه الانتفاع ومن المعلوم ان بعض المياه السائلة فى الانهار يتضرر به الناس ويذهب جفاء اى يرمى هو وكل شئ يمر عليه كذلك ناسب ان يفسر قوله بقدرها بالقدر الذى لا يتضرر به الناس ويؤيد هذا التفسير انه تعالى عبر عن هذا الماء السائل فى الاودية فى مقام التفصيل بقوله واما ما ينفع الناس فدل هذا التفصيل على ان المراد بالمجمل ما يكون مطرا خالصا للنفع خاليا عن المضرة ليحصل التطابق بين المجمل والمفصل فلذلك قدم المصنف رحمه الله هذا التفسير ثم قال او بمقدارها فى الصغر والكبر اى ان صغر الوادى قل الماء وان اتسع الوادى كثر الماء فيكون الضمير المجرور فى قوله تعالى بقدرها راجعا الى المعنى الحقيقى للفظ اودية على طريق الاستخدام لان قول المصنف رحمه الله تعالى واستعمل للماء الجارى فيه يدل على ان لفظ اودية مجاز مرسل من قبيل ذكر المحل وارادة الحال ﴿ قوله رفعه ﴾ اشارة الى ان احتمل بمعنى حمل فان افتعل قد يكون بمعنى فعل نحو جال واجتال وتعريف السيل للاشارة الى حصة معينة من حقيقة السيل المتقدم ذكرها بالكناية بذكر الفعل الدال عليها وهو قوله تعالى فسالت ﴿ قوله وضر الغليان ﴾ اى الخبث والوسخ المجتمع بالغليان والظاهر ان قيد الغليان بناء على الغالب لان الزبد اسم لكل ما علا على وجه الماء من الوضر وغيره سواء حصل بالغليان او بغيره ﴿ قوله تعالى ومما توقدون ﴾ خبر مقدم لقوله زبد ومثله صفة للمبتدأ مصححة للابتداء بالنكرة ومن فى مما لابتداء الغاية اى وزبد مثل زبد الماء ينشأ مما توقدون عليه او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد وتلخيص المعنى الموقد عليه من جواهر الارض له زبد مثل الزبد الذى يكون على الماء يعلو عليه اذا اذيب فالصافى ينتفع به كما ينتفع بالماء وزبده يبطل كما يبطل زبد الماء والفلزات جمع فلز بكسر الفاء واللام وتشديد الزاى وهو ما فى الارض من الجواهر المعدنية او نحوها كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها ﴿ قوله على وجه التهاون بها ﴾ وجه التهاون انه عدل عن التعبير عنها بالاسم الظاهر مثل ان يقال فلزات الارض والجواهر المعدنية او نحوها وعبر عنها بما يدل على حالة هى احد الحالات من حالات هذه الجواهر وهى كونها توقد عليها النار وتذاب بها فهو لو ورد ان يقال جعل هذا التعبير مبنيا على ارادة التهاون بها لا يناسب المقام لان المقصود تمثيل الحق بها وتحقيرها لا يناسب ذلك فاشار الى جوابه بقوله اظهارا لكبريائه يعنى ان حقارتها عند خالقها لا ينافى عزة قدرها عند المخلوقات وقوله عليه متعلق بتوقدون وقوله تعالى فى النار يحتمل ان يكون متعلقا به ايضا وان يكون متعلقا بمحذوف اى كائنا وثابتا فيها وقوله تعالى ابتغاء حلية مفعول له ويجوز ان يكون مصدرا فى موضع الحال اى مبتغين حلية يزينون بها وقوله او متاع عطف على حلية والمتاع كل ما ينتفع به وقرأ حمزة والكسائى وحفص يوقدون بياء الغيبة اى مما يوقد الناس والباقون بتاء الخطاب ﴿ قوله جفاء ﴾ حال اى باطلا مرميا والجوهرى الجفاء ما نفاه السيل يقال جفأ الوادى جفأ اذا رمى بالغثاء والزبد وجفأت القدر اذا رمى بزبده عند الغليان واجفأ لغة فيه والجفال بالضم ما نفاه السيل وجفالة القدر ما اخذته بالمغرفة انتهى والكاف فى قوله تعالى كذلك فى محل النصب اى مثل ذلك الضرب والبيان يضرب الله تعالى ويبين مثل الحق والباطل لان العرب كانت عادتهم انهم يثبتون المقصود بالمثل وقد انزل الله تعالى القرآن بلغة العرب فاوضح لهم الحق وميزه عن الباطل بالمثل كما اوضح المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها وميزه عن الموحد العالم بذلك بان مثل الاول بالاعمى والثانى بالبصير وكذلك ميز الشرك والتوحيد بمثل آخر فمثل الحق والتوحيد بالماء الصافى وبالفلز ومثل الشرك والباطل بزبدهما وبين وجه الشبه بما اتحد لمشبه به من الذهاب باطلا مطروحا والثبات نافعا مقبولا ﴿ قوله واللام متعلقة بيضرب ﴾ يعنى ان قوله تعالى للذين استجابوا متعلق بيضرب فيكون فرقا المؤمنين الذين استجابوا

(انزل من السماء ماء) من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادى منها (فسالت اودية) انهار جمع واد وهو الموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجارى فيه وتنكيرها لان المطر يأتى على التناوب بين البقاع (بقدرها) بمقدارها الذى علم الله تعالى انه نافع غير ضار او بمقدارها فى الصغر والكبر (فاحتمل السيل زبدا) رفعه والزبد وضر الغليان (رابيا) عاليا (ومما توقدون عليه فى النار) يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه (ابتغاء حلية) اى طلب حلية (او متاع) كالاوانى وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها (زبد مثله) اى ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او للتبعيض وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به (كذلك يضرب الله الحق والباطل) مثل الحق والباطل فانه مثل الحق فى افادته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث فى الارض بان يثبت بعضه فى منابعه ويسلك بعضه فى عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذى ينتفع به فى صوغ الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل فى قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله (فاما الزبد فيذهب جفاء) يجفأ به اى يرمى به السيل او الفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد (واما ما ينفع الناس) كالماء وخلاصة الفلز (فيمكث فى الارض) ينتفع به اهلها (كذلك يضرب الله الامثال) لايضاح المشتبهات (للذين استجابوا) للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب

ربهم والكافرين الذين لم يستجيبوا له مضروبا لهما اى ضرب الله لهما المثل والمضروب له فى الحقيقة شأنهما لانفسهما وشأنهما هو استجابة احد الفريقين وعدم استجابة الآخر قول المصنف رحمه الله ضرب المثل لشأن الفريقين مفعول اول لجعل وقوله ضرب المثل لهما مفعوله الثانى وجعل الحسنى صفة لمصدر استجابوا اى استجابوا الاستجابة الحسنى فيكون قوله تعالى لو ان لهم ما فى الارض كلاما مبتدأ لبيان مااعد لغير المستجيب وقيل قوله تعالى للذين استجابوا ليس يتعلق بقوله يضرب بل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف بان يكون الحسنى مستأنفا اى مبتدأ خبره قوله للذين استجابوا قدم عليه والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهى الجنة وقوله والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره قوله ان لهم مع ما فى حيزه والظاهر ان هذا القول اولى من الذى اختاره لانه فيما اختاره تكون الاستجابة مقيدة بالحسنى ولاتقابل بينها وبين عدم الاستجابة مطلقا والمذكور فى الآية نفى الاستجابة مطلقا والمهاد فعال بمعنى الممهود والمبسوط كاللباس بمعنى الملبوس والكتاب بمعنى المكتوب من مهدت الفراش مهدا اى بسطته اطلق هنا بمعنى المستقر مطلقا ثم انه تعالى لما مثل المشرك الجاهل بالاعمى ومثل الموحد العالم بالبصير ومثل نفس الكفر والباطل تارة بالظلمات واخرى بزبد الماء والفلز ومثل نفس الايمان والحق تارة بالنور واخرى بالماء والجوهر الصافى عن الزبد قال تعالى بعد ذلك افمن يعلم كمن لايعلم بادخال همزة الانكار على الفاء السببية الدالة على كون مابعدها كلاما متفرعا على ماقبلها كأنه قيل بعدما علمتم مثل العالم المحق والجاهل المبطل هل بقيت شبهة فى المشابهة بين الفريقين ومن يذهب الى وهمه تحقق المشابهة بين الاعمى والبصير وبين العالم والجاهل ثم ذكر انه لاينتفع بهذه الامثال الا اولوا الالباب الذين يتفكرون من كل صورة الى معناها ومن ظاهر كل حديث الى ماهو سره ولبابه ﴿قوله او ماعهده الله تعالى عليهم فى كتبه﴾ عطف على قوله ماعقدوه اى الزموه على انفسهم بلسان استعدادهم فعهد الله على الاول هو العهد الذى اخذه الله تعالى على جميع ذرية آدم عليه الصلاة والسلام فانه تعالى خلقهم مستعدين للاقرار بربوبية الله تعالى ثم قال لهم ألست بربكم فاقروا واعترفوا بلسان الاستعداد فمن اقر بذلك بلسان العيان ايضا فقد وفى بذلك العهد السابق وعلى الثانى ماالزمه الله تعالى على كل امة بالكتب الالهية بألسنة الرسل والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام وهو ان اضيف الى الله تعالى يراد به ماوثق الله تعالى به عهده من الآيات والكتب وان اضيف الى العباد يراد به ماوثقوه به من الالتزام والقبول ﴿قوله وهو تعميم بعد تخصيص﴾ يعنى ان عدم نقض الميثاق اعم من الوفاء بعهد الله تعالى وذلك لانه فسر عهد الله تعالى باعترافهم بربوبيته تعالى وفسر الميثاق بكل ماوثقوه على انفسهم مما كلفوا به من حقوق الله تعالى وحقوق العباد اجراء للفظ الميثاق المحلى بالالف واللام التى هى لام الجنس على عمومه وعطف قوله تعالى ويخشون ربهم على قوله تعالى يصلون من قبيل عطف العام على الخاص ايضا لان خشية الله تعالى ملاك كل خير من اتيان ماينبغى وترك مالاينبغى واما عطف قوله تعالى ويخافون سوء الحساب على قوله تعالى يخشون فهو من عطف الخاص على العام كما اشار اليه بقوله عموما وخصوصا وكذا عطف قوله تعالى واقاموا الصلاة وانفقوا على قوله تعالى وصبروا ﴿قوله لمن لم يعرف بالمال﴾ كأنه جعل سرا مصدرا واقعا موقع المفعول به لقوله تعالى انفقوا بان جعل مجهول الحال كأنه نفس السر مبالغة قال الحسن المراد الزكاة المفروضة فان لم يتهموا بترك اداء الزكاة فالاولى ان اداؤها فى العلانية وقال آخرون المراد مايعم الزكاة الواجبة والصدقة التى يؤتى بها على صفة التطوع فقوله تعالى سرا يرجع الى التطوع وقوله تعالى علانية يرجع الى الزكاة الواجبة ﴿قوله يدفعونها بها﴾ كدفع ماورد عليهم من سيئ غيرهم بالكلام الحسن واعطاء من حرمهم وعفو من ظلمهم ووصل من قطعهم ﴿قوله او يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها﴾ اى يمحون ويدفعون بالعمل الصالح السيئ من العمل كما روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاذ بن جبل « اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها » وقيل هو انهم كلما اذنبوا ذنبا تابوا ليدفعوا بالتوبة مضرة الذنب روى ان شقيق بن ابراهيم البلخى رحمه الله وتعبا به دخل على عبد الله بن المبارك متنكرا فقال اذا منعوا صبروا وان اعطوا شكروا فقال عبد الله نعتنا الله به طريقة كلابنا هكذا فقال فكيف ينبغى ان يكون الامر فقال الكاملون هم الذين اذا منعوا شكروا وان اعطوا آثروا وقد ذكر الله تعالى فى صلة الذين تسعة امور وعد لمن اتصف بها ثلاثة امور الاول عقبى الدار التى هى جنات عدن والثانى ان يضم اليه من آمن من اهله ان عملوا مثل عمله والثالث دخول الملائكة عليه مبشرين له

(يدوام)

على انه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا جزاء الحسنى وهى المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره (لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين (اولئك لهم سوء الحساب) وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لايغفر منه شئ (ومأواهم) مرجعهم (جهنم وبئس المهاد) المستقر والمخصوص بالذم محذوف (افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق) فيستجيب (كمن هو اعمى) عمى القلب لايستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان يقع شبهة فى تشابههما بعدما ضرب من المثل (انما يتذكر اولوا الالباب) ذووا العقول المبرأة من مشابعة الالف ومعارضة الوهم (الذين يوفون بعهد الله) بما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ماعهده الله تعالى عليهم فى كتبه (ولا ينقضون الميثاق) ماوثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل) من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس (ويخشون ربهم) وعيده عموما (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا (والذين صبروا) على ماتكرهه النفس ومخالفة الهوى (ابتغاء وجه ربهم) طلبا لرضاه لا لغيره وسمعة ونحوهما (واقاموا الصلاة) المفروضة (وانفقوا مما رزقناهم) بعضه الذى وجب عليهم انفاقه (سرا) لمن لم يعرف بالمال (وعلانية) لمن عرف به (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها

(اولئك لهم عقبى الدار) عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولى الالباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات (جنات عدن) بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره (يدخلونها) والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة (ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا تنفع (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين (سلام عليكم) بشارة بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية او للبدلية (فنعم عقبى الدار) وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره (والذين ينقضون عهد الله) يعني مقابلي الاولين (من بعد ميثاقه) من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول (ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض) بالظلم وتهييج الفتن (اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) ويضيق (وفرحوا) اي اهل مكة (بالحياة الدنيا) بما بسط لهم في الدنيا (وما الحياة الدنيا في الآخرة) اي في جنب الآخرة (الا متاع) الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال (ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدي اليه من اناب) اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات

بدوام السلامة ﴿قوله عاقبة الدنيا﴾ اي التي تخلف الدنيا وتجيء بعدها وكل ما جاء بعد شيء فهو عاقبته والتاء لتأنيث الموصوف وهي الجنة فانها هي التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها والنار وان كانت عاقبة الدنيا بالنسبة الى الكفار لقوله تعالى وعقبى الكافرين النار الا انها لما كانت عاقبة لها بالنسبة اليهم لسوء اختيارهم ليس كونها عاقبة لها مقصودا بالذات قال الواحدي رحمه الله تعالى العقبى كالعاقبة ويجوز ان يكون مصدرا كالشورى والقربى والرجعى اضيف الى فاعله والمعنى اولئك لهم ان تعقب اعمالهم الدار التي هي الجنة ﴿قوله والجملة﴾ وهي قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وجعلها جملة اما باعتبار ان عقبى الدار مبتدأ ولهم خبره قدم عليه والجملة خبر اولئك واما باعتبار ان لهم خبر اولئك وعقبى فاعل الاستقرار الذي قام الجار والمجرور مقامه ﴿قوله والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم﴾ اي من آمن منهم وقد روى ذلك عن مجاهد رضي الله تعالى عنه قال الامام وفي قوله من صلح قولان الاول قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد من صدّق بما صدّقوا به وان لم يعمل مثل اعمالهم والثاني قول الزجاج بين الله تعالى ان الانساب لا تنفع اذا لم تحصل معه اعمال صالحة بل الآباء والازواج والذرية لا يدخلون الجنة الا بالاعمال الصالحة قال الواحدي رحمه الله تعالى والصحيح ما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وذلك ان الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بحضور اهله معه في الجنة وذلك يدل على انهم يدخلونها كرامة للمطيع الآتي بالاعمال الصالحة ولو دخلوها باعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به اذ كل من كان صالحا فهو يدخل الجنة ثم قال الامام واعلم ان هذه الحجة ضعيفة لان المقصود بشارة المطيع بكل ما يزيده سرورا وبهجة فاذا بشر الله تعالى المكلف بانه اذا دخل الجنة فانه يحضر معه آباؤه واولاده الصلحاء فلا شك انه يعظم سرور المكلف بذلك ويقوى به ويقال ان من اعظم سرورهم ان يجتمعوا فيتذاكروا احوالهم في الدنيا ثم يشكروا الله تعالى على الخلاص منها والفوز بالجنة فقول المصنف رحمه الله تعالى والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم جواب عما يقال لو كان المراد من قوله تعالى ومن صلح من آبائهم الموصوفين بتلك الصفات من اهليهم لما ظهرت الفائدة في وصف المطيع به اذ ليس دخولهم الجنة من ثمرات طاعته بل من ثمرات طاعتهم ﴿قوله من كل باب من ابواب المنازل﴾ بان يكون لقصورهم ومنازلهم ابواب فيدخل عليهم من كل باب ملك ﴿قوله او من ابواب الفتوح﴾ بان يكون الباب بمعنى النوع ويكون المعنى من كل نوع من الفتوح والتحف بان يأتي كل بتحفة غير التحفة التي اتى بها الملك الآخر على اختلاف خيراتهم وقدر اعمالهم ﴿قوله متعلق بعليكم﴾ اي بما تعلق به عليكم ﴿قوله او بمحذوف﴾ اي يحتمل ان يكون بما صبرتم خبر مبتدأ محذوف اي هذا الثواب الجزيل ثابت لكم بما صبرتم وما مصدرية اي بسبب صبركم ولا تعلق بالمصدر اي بسلام اذ المصدر لا يفصل بينه وبين معموله ﴿قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ جواب عما يرد على قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله الى قوله اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار وهو ان من نقض عهد الله تعالى لو كانوا ملعونين في الدنيا ومعذبين في الآخرة لما فتح الله تعالى عليهم ابواب النعم واللذات في الدنيا وتقرير الجواب ان فتح باب الرزق في الدنيا لا تعلق له بالكفر والايمان بل هو متعلق بمجرد مشيئة الله تعالى فقد يضيق على المؤمن امتحانا لصبره وتكفيرا لذنوبه ورفعا لدرجاته ويوسع على الكافر استدراجا قال الواحدي رحمه الله تعالى معنى القدر في اللغة قطع الشيء على مساواة غيره من غير زيادة ولا نقصان ومعنى يقدر ههنا انه تعالى يعطيه رزقه بقدر كفايته لا يفضل عنه شيء قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه في قوله تعالى الله يبسط الرزق اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره ولم يتعرض له المصنف رحمه الله تعالى لان مثل هذا التركيب عند صاحب المفتاح رحمه الله تعالى نص في افادة تقوى الحكم ولا يحتمل التخصيص البتة لان المبتدأ ثابت في مكانه وليس مثل انا عرفت في احتمال التخصيص والتقوى ﴿قوله كعجالة الراكب﴾ وهي ما يعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك وفي الصحاح العجالة بالضم ما تعجلته من شيء والتمر عجالة الراكب والاعجالة ما يعجله الراعي من اللبن الى اهله قبل الحلب ﴿قوله وفرحوا﴾ استئناف اخبار وليس بمعطوف على صلة الذين قبله لانه يستلزم تخلل الفاصل بين ابعاض الصلة وهو الخبر وايضا هو ماض وما قبله مستقبل ولابد من التوافق ﴿قوله في الآخرة اي في جنب الآخرة﴾ ولا يجوز ان يكون ظرفا للحياة ولا للدنيا لانهما لا يقعان في الآخرة وانما هو حال والتقدير وما الحياة القريبة كائنة في جنب الآخرة الا متاع ﴿قوله وهو جواب يجري مجرى التعجب﴾ جواب عما يقال ما وجه

(الذين آمنوا) بدل من من او خبر مبتدأ محذوف (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) انساً به واعتماداً عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات (الا بذكر الله تطمئن القلوب) تسكن اليه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره (طوبى لهم) وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واواً لضمة ماقبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ (وحسن مآب) بالنصب (كذلك) مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك (ارسلناك في امة قد خلت من قبلها) تقدمتها (امم) ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها (لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك (وهم يكفرون بالرحمن) وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شئ رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصاً ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي اهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن (قل هو ربي) اي الرحمن خالقي ومتولي امري (لا اله الا هو) لامستحق للعبادة سواه (عليه توكلت) في نصرتي عليكم (واليه متاب) مرجعي ومرجعكم (ولو ان قرآناً سيرت به الجبال) شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتاباً زعزعت به الجبال عن مقارها (او قطعت به الارض) تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهاراً وعيوناً (او كلم به الموتى) فتقرأ او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار اولما آمنوا به لقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشاً قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب متقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وماتينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيق

انطباق هذا الجواب لقول الكفرة يا محمد ان كنت رسولاً فأتنا بمعجزة ظاهرة قاهرة مثل معجزة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فاوجه كون قوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب جواباً عن سؤال الكفرة وتقرير الجواب انه كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك لان الآيات الباهرة التي ظهرت على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغت في الكثرة وقوة الدلالة الى حيث استحال ان تصير مشتبهة على العاقل فطلب آيات اخرى بعد ذلك موضع لغايات التعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما اعظم عنادكم الخ وفي الصحاح اناب الى الله تعالى اي رجع اليه وتاب وقول المصنف رحمه الله تعالى اقبل الى الحق اشارة الى ان ضمير اليه في قوله تعالى ويهدي اليه راجع الى الحق وان الاضلال والهداية انما هو بالنسبة اليه ﴿قوله انساً به واعتماداً عليه﴾ لان الاضطراب والقلق انما يكون بسبب الوجل او بسبب العجز عن كفاية المهمات ومن ذكر الله تعالى وايقن بكونه مستجمعاً لجميع صفات الكمال منزهاً عن جميع صفات النقصان احبه ومن احبه لاجرم يستأنس به ويطمئن قلبه اي يسكن اليه ويترك القلق والاضطراب وايضاً يتيقن بكون علمه محيطاً بجميع احواله وبكمال قدرته وسعة فضله ورحمته فلاجرم لايعتمد الاعليه ولايرجو الامنه ﴿قوله او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته﴾ فان المؤمن اذا ذكر عظمة الله تعالى وعلو شأنه وعز سلطانه لاجرم يغلب عليه الخوف والخشية كما قال تعالى في سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون والوجل ضد الاطمئنان ثم اذا ذكر سعة رحمته وفيضان بحار فضله واحسانه على جميع خلقه سكن قلبه وزال وجله واضطرابه وايضاً القلوب لايحصل لها طمأنينة اليقين الا بذكر مانصبه الله تعالى من الدلائل الدالة على وجوده ووحدته فالم يذكر القلب هذه الدلائل يبقى في قلق وتردد فهذان الوجهان مبنيان على تقدير المضاف في قوله بذكر وقوله او بكلامه مبني على ان يكون المراد بذكر الله تعالى كلامه فيكون الكلام تعريضاً للكفار الذين قالوا لولا انزل عليه آية من ربه بانهم انما قالوا ذلك لعدم تفكرهم فيه ووقوفهم على كونه معجزة قاهرة باهرة بخلاف المؤمنين فان قلوبهم تطمئن به ولا تطلب معجزة سواه ﴿قوله ويجوز فيه الرفع والنصب﴾ لما ذكر ان جملة طوبى لهم في محل الرفع على انها خبر المبتدأ المذكور بين ان لفظ طوبى يجوز ان يكون مرفوعاً على الابتداء ولهم خبره والجملة خبر الاول وجاز الابتداء بطوبى اما لانها علم الشئ بعينه واما لانها نكرة في معنى الدعاء كسلام عليكم وويل له كأنه قيل خير لهم وغبطة او حسنى لهم او نعمى لهم يقال طوبى لكم ان اصبتم خيراً ووجه كونه علماً لشئ بعينه ماقيل من ان طوبى اسم الجنة بلسان الحبشة وقيل هو اسم شجرة في الجنة اصلها في دار رسول الله صلى الله عليه وسلم واغصانها في دور اهل الجنة فعلى هذا يكون وجه الآية ان اهل الكتاب ادعوا ان تلك الشجرة لانفسهم فاخبر الله تعالى انها للذين آمنوا لالهم ويجوز ان يكون منصوباً بفعل مضمر اي وجعل لهم طوبى وايد هذا الوجه بقراءة من قرأ وحسن مآب بالنصب وان كان طوبى مصدراً من طاب كبشرى وزلفى يحتمل الرفع والنصب ايضاً كقولك طيبات وطيباتك وسلامات وسلام لك ﴿قوله مثل ذلك﴾ اشارة الى ان الكاف في محل النصب بالفعل الذي بعده والاشارة الى ماهو حاضر في ذهن المخاطب من ارسال الرسل المتقدمين الى اممهم كأنه قيل كما انه قد خلت من قبلك امم ارسلنا اليهم ارسلناك ايضاً الى هذه الامة ﴿قوله وقيل نزلت في مشركي اهل مكة حين قيل لهم الى آخره﴾ عطف على مافهم من قوله وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة وهو ان يكون معنى الآية انا ارسلناك الى هذه الامة لتتلو عليهم القرآن وتزينهم بحلية الايمان وحالهم انهم يكفرون بالله ولايعرفون قدر رحمته ولا انعامه تعالى عليهم بارسالك وانزال القرآن العظيم عليهم وعلى ماقيل يكون معنى الآية والله تعالى اعلم وهم يكفرون بالرحمن اي انهم يكفرون بالبليغ الرحمة وهو الله تعالى لانهم يكفرون باطلاق هذا الاسم عليه ﴿قوله والمراد منه تعظيم شأن القرآن﴾ على ان يكون الجواب المحذوف قوله لكان هذا القرآن وقوله او المبالغة في عناد الكفرة على تقدير ان يكون الجواب لما آمنوا به ﴿قوله وقطائع﴾ جمع قطيعة وهي الارض التي يزرع فيها ﴿قوله وقيل الجواب متقدم﴾ عطف على قوله حذف جوابه اي قيل جواب لو هو قوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن اخر الشرط وقدم عليه جوابه كأنه قيل لو ان قرآناً عظيم الشان الذي لايكتنه كنهه ظهرت بتلاوته هذه الامور لاصروا على كفرهم بنزله الرحمن وهو في الحقيقة دال عليه اي على الجواب وليس نفس الجواب ﴿قوله وتذكير كلم خاصة﴾ جواب عما يقال لم حذفت التاء في قوله تعالى او كلم به الموتى واثبت في الفعلين المذكورين قبل مع استواء الجميع في اسناده الى الظاهر المؤنث الغير الحقيقي وتقرير الجواب

(ان)

ان الموتى لما اشتملت على المذكر الحقيق وغيره غلب المذكر على غيره بخلاف الجبال والارض * واعلم ان قوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى ان كان المراد به تعظيم شأن القرآن يكون من جملة ماهو مقول القول اى قل هو ربى وقل لو ان قرآنا وان كان المراد به المبالغة فى عناد الكفرة بان يكون الجواب المقدر قوله لما آمنوا به تكون الآية متصلة بقوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه فى كونها بيانا لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم ويكون قوله وقيل ان قريشا الخ تأكيدا وتأييدا لهذا الوجه لانه لايخالف هذا الوجه الا فى تفسير تقطيع الارض وسبق الاقتراح قال الواحدى رحمه الله تعالى فى تفسير هذه الآية لما قالت قريش للنبى صلى الله عليه وسلم ماذكره المصنف رحمه الله انزل الله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال اى جعلت تسير او قطعت به الارض اى اشققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى اى احيوا حتى تكلموا وجواب لو محذوف وقال الفراء تقديره لكان هذا القرآن والمعنى لو ان قرآنا تما فعل به ما التمسوا لكان كذلك هذا القرآن وقال الزجاج جوابه لما آمنوا وهو قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يريد لو قضيت ان لايقرأ القرآن على الجبال الاسارت وعلى الارض الاانخرقت وعلى الموتى الاتكلموا وحيوا ماآمنوا لما سبق عليهم فى علمى وقوله تعالى بل لله الامر جميعا معناه دع عنك ذلك الذى قالوه من تسيير الجبال وغيره فالامر لله جميعا لو شاء ان يؤمنوا الآمنوا وان لم يشأ لم ينفع تسيير الجبال وسائر مااقترحوه من الآيات ثم اكد ذلك بقوله تعالى افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما معناه افلم يعلم وقال الكلبى رضى الله تعالى عنه ييأس يعلم فى لغة النخع الى هنا كلام الواحدى رحمه الله تعالى ومن اليأس بمعنى العلم قول الشاعر

* الم ييأس الاقوام انى انا ابنه * وان كنت عن ارض العشيرة نائيا *

اى ألم يعلموا واصل اليأس قطع الطمع فى الشئ والقنوط منه وهو مسبب عن العلم بان ذلك الشئ لايكون واطلاق لفظ المسبب مجاز شائع ﴿ قوله وهو اضراب عما تضمنه لو من معنى النفى ﴾ اما ان كان المراد منه تعظيم شأن القرآن فلان المعنى يكون حينئذ لو ان قرآنا فعل اى معنى كان فعل به هذه الافعال لكان كذلك هذا القرآن المنزل عليك لكن لم يفعل بشئ من الكتب المنزلة على الرسل عليهم الصلاة والسلام ذلك فلم يفعل ذلك بقرآنك ايضا بل لله الامر جميعا اى ماذكر من الامور وغيرها انما يكون لله تعالى يفعل مايشاء بقدرته وان كان المراد منه المبالغة فى عنادهم يكون المعنى ايضا لو ان قرآنا ما او قرآنك هذا فعل به هذه الافعال لما آمنوا لكن لم يفعل بشئ من القرآن ذلك لالاجل عدم قدرته عليه بل لله الامر جميعا وكذا ان كان جوابه ماتقدم عليه من قوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن ﴿ قوله ويؤيد ذلك ﴾ اى ويؤيد ان المراد لاتلين شكيمتهم بسبب اتيان مااقترحوه فلا يؤمنوا فلذلك لم تتعلق ارادته تعالى بذلك ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون المراد من اليأس العلم مجازا جعلت ان المخففة مع مافى حيزها فى محل النصب على انها مفعول اليأس بمعنى العلم فان أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والجملة الامتناعية بعدها خبرها فكلمة لو لما كانت لانتفاء الشئ لانتفاء غيره كان محصول الكلام افلم يعلم الذين آمنوا ان الله تعالى لايهدى الناس جميعا لعدم تعلق مشيئته باهتداء الجميع لعلمه بان بعضهم يختار الكفر والضلال فيكون هذا الكلام سواء كان ان لو يشاء الله متعلقا باليأس بمعنى العلم او بمحذوف او بآمنوا مؤيدا لكون المراد بقوله تعالى بل لله الامر جميعا انه قادر على اتيان مااقترحوه الاان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بان اتيانه لايؤدى الى اهتدائهم واذا كان ان لو يشاء مفعول آمنوا كان مفعول لم ييأس محذوفا اى لم ييأس من ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بهذه القضية قيل ان طائفة من المؤمنين قالوا يارسول الله اجب هؤلاء الكفار بان تأتى بما اقترحوه من الآيات فعسى ان يؤمنوا فقال الله تعالى افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا الآية وهو استفهام بمعنى الاقرار والفاء فيه عاطفة دالة على تفرع مابعدها على امر معلوم قبلها اى اطمعوا فى ايمانهم فلم ييأسوا بعدما رأوا كثرة عنادهم بعدما شاهدوا الآيات ﴿ قوله مليا من الزمان ﴾ الجوهرى اقمت عنده مليا من الدهر بفتح الميم وضمها وكسرها اى حينا وبرهة منه ﴿ قوله والخبر محذوف ﴾ يعنى ان كلمة من فى قوله تعالى افمن هو قائم موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وقوله تعالى هو قائم صلتها وخبرها محذوف حذف لدلالة قوله تعالى وجعلوا لله شركاء عليه فانه استئناف جئ به للدلالة على الخبر المحذوف ولابد من وجه

(بل لله الامر جميعا) بل لله القدرة على كل شئ وهو اضراب عن ماتضمنه لو من معنى النفى اى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الاان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لاتلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله (أفلم ييأس الذين آمنوا) من ايمانهم مع مارأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روى ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المأيوس منه لايكون ولذلك علقه بقوله (ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) فان معناه نفى هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا (ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من الكفر وسوء الاعمال (قارعة) داهية تقرعهم وتقلقهم (او تحل قريبا من دارهم) فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية فى كفار مكة فانهم لايزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام كان لايزال يبعث السرايا عليهم فتغير حواليهم وتخطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية (حتى يأتى وعد الله) الموت او القيامة او فتح مكة (ان الله لايخلف الميعاد) لامتناع الكذب فى كلامه (ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان فى دعة وأمن (ثم اخذتهم فكيف كان عقاب) اى عقابى اياهم (افمن هو قائم على كل نفس) رقيب عليها (بما كسبت) من خير او شر لايخفى عليه شئ من اعمالهم ولايفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك

ارتباط هذه الجملة بماقبلها وتفرّعها عليه ليصح موقع الفاء ووجهه انه تعالى لماذكر قوله تعالى بل لله الامر جميعا اى ليس لاحد منه شئ سوآءهدى ام اضل واصطفى ام خذل وعقبه بقوله تعالى افلم يأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ترشيحا لهذا المعنى وتنصيصا على تصميمهم وعنادهم واتبعه بذكر وعيدهم متوجها الى تسلية من واجهوه بالتكذيب والانكار اورد على المشركين مايجرى مجرى الحجاج ومايكون توبيخا لهم وتعجيبا من سخافة عقولهم فقال تعالى أفمن هو قائم وهو استفهام بمعنى النفى اى ليس من هو قائم على كل نفس بما كسبت اى قائم بالتدبير فى جزآئها وقيل بحفظها وادرار رزقها ومعنى القيام ههنا التولى لامور خلقه والتدبير للارزاق والآجال واحصاء الاعمال للجزآء فتلخيص المعنى افمن هو مجاز كل نفس بما كسبت كمن ليس بهذه الصفة من الاصنام التى لاتضرّ ولاتنفع ﴿ قوله او عطف على كسبت ان جعلت مامصدرية ﴾ اى بكسبها وبجعلها لله شركاء ﴿ قوله تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لايستحقونها ﴾ اى العبادة يعنى ان المقام مقام الاحتجاج على بطلان مذهبهم وليس قوله تعالى قل سموهم صريحا فى ابطاله بل هو تنبيه على بطلانه كأنه قيل سموهم واذكروا مالهم من الاوصاف الثابتة فى نفس الامر لاعلى طريق تسمية الزنجى كافورا فانظروا هل تجدون فيهم مايستحقون به ان يعبدوا ويتخذوا شركاء ﴿ قوله بل اتنبئونه ﴾ اشارة الى ان ام هذه منقطعة مقدرة ببل والهمزة وهو اضراب عن الزامهم الحجة بان يطلب منهم ان يصفوهم فينظروا هل يجدون فيهم مايدل على استحقاق العبادة بقوله ام تنبئونه اى أتخبرون الله تعالى بشركاء له يستحقون العبادة لايعلمهم الله وهذا نفى الشركاء على وجه بليغ لانه كناية واستدلال بنفى اللازم على نفى الملزوم وهذا على تقدير ان تكون كلمة ماعبارة عن الشركاء المستحقين للعبادة ويحتمل ان تكون عبارة عن صفاتهم التى يستحقون العبادة لاجلها لايعلمها الا الله تعالى فيكون نفيا لتلك الصفات عنهم بنفى اللازم ثم اضرب عن قوله سموهم بوجه آخر فقال تعالى ام بظاهر من القول وهو انكار وتوبيخ انكر عليهم اتخاذهم الشركاء بانكم لفرط جهلكم وسخافة عقولكم تسمونهم شركاء وهذه التسمية قول لاحقيقة له بل هى من قبيل تسمية الزنجى كافورا فى كونها تسمية خالية عن اعتبار المعنى ان هى الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ماانزل الله بها من سلطان ولاشك ان هذا احتجاج على اساليب بديعة ﴿ قوله ثم خالوها ﴾ اى ظنوها يقال خلت الشئ اى ظننته ومنه من يسمع يخل ﴿ قوله وقرأ ابن كثير ﴾ وقرآءة الكوفيين وصدّوا مبنيا للمفعول من صدّ المتعدّى وعلى قرآءة غيرهم يحتمل ان يكون متعدّيا حذف مفعوله اى صدّوا غيرهم وانفسهم وان يكون لازما بمعنى اعرضوا وتولوا وقرئ بالكسر على انه مبنى للمفعول اصله صدد بضم الاول فنقلت كسرة الدال الى الصاد كما قيل فى بيع ومثل هذا النقل فى الفعل الصحيح شاذ ﴿ قوله من عذابه او رحمته من واق ﴾ يعنى ان قوله تعالى مالهم من الله من واق فيه وجهان من الثانية فى كلا الوجهين زآئدة ومن الاولى متعلقة بواق فى الوجه الاول ومتعلقة بمحذوف على انه حال من واق فى الوجه الثانى اى مااستقر لهم كائنا من رحمته واق قدم الحال لكون ذى الحال نكرة ﴿ قوله التى هى مثل ﴾ اى كالمثل السائر فى الغرابة على ان قوله هى مثل كقولك زيد اسد فى كونه من قبيل التشبيه البليغ فان لفظ المثل بمعنى المثل لغة كالشبه والشبه ثم انه خص فى العرف العام بالقول السائر الذى يشبه مضربه بمورده ثم استعير لكل مافيه غرابة تشبيهاله بالقول السائر فى الغرابة فانه لايضرب من الاقوال الامافيه غرابة ﴿ قوله على طريقة قولك صفة زيد اسمر ﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يكون المثل ههنا بمعنى الصفة ثم يكون مبتدأ وخبره تجرى من تحتها الانهار فان المثل اذا كان بمعنى الصفة كان تقدير الكلام صفة الجنة فيها انهار والحال انه لامعنى لقولنا صفة الجنة فيها انهار لان الانهار فى نفس الجنة لافى صفتها وتقرير الجواب ان ماذكر انما يلزم ان لوكان ضمير فيها راجعا الى الصفة فى قولنا صفة الجنة فيها انهار وليس كذلك كما اذا قيل صفة زيد اسمر يريد ان ضمير اسمر راجع الى نفس زيد لا الى صفته فلا يرد ماذكر لانه انما يرد ان لوكان ضمير اسمر راجعا الى الصفة وليس كذلك بل هو راجع الى نفس زيد كأنه قيل صفة اسمر فيه ﴿ قوله او على حذف موصوف ﴾ فيكون لفظ المثل باقيا على معناه اللغوى الاصلى اى شبه الجنة جنة كذا ولا يكون مستعارا للصفة العجيبة من القول السائر ولا يرد ان يقال ان الشبه بمعنى المشابهة وهى حدث والجنة عين واسم العين لايكون خبرا عن اسم المعنى لانه انما يرد ان لوكان المثل بمعنى المماثلة وليس كذلك بل هو ههنا بمعنى المثل والمشابه عرف الله تعالى الجنة التى لم نرها بما رأيناه وشاهدناه فى الدنيا لتفهمها بعض الفهم كانه قيل ليس

(وجعلوا لله شركاء) استئناف او عطف على كسبت ان جعلت مامصدرية ويجوز ان يقدر مايقع خبرا المبتدأ ويعطف عليه وجعلوا اى افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله (قل سموهم) تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لايستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم مايستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة (ام تنبئونه) بل أتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف (بما لايعلم فى الارض) بشركاء يستحقون العبادة لايعلمهم الله او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لايعلمها وهو العالم بكل شئ (ام بظاهر من القول) ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجى كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز (بل زين للذين كفروا مكرهم) تمويههم فتخيلوا الباطل ثم خالوها حقا او كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين (ومن يضلل الله) يخذله (فماله من هاد) يوفقه للهدى (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل والاسر وسائر مايصيبهم من المصائب (ولعذاب الآخرة اشق) لشدته ودوامه (ومالهم من الله) من عذابه او رحمته (من واق) حافظ (مثل الجنة التى وعد المتقون) صفتها التى هى مثل فى الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره (تجرى من تحتها الانهار) على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اى مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الانهار او على زيادة المثل

(فى الجنة)

وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة (اكلها دآئم) لا ينقطع ثمرها (وظلها) اى وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس (تلك) اى الجنة الموصوفة (عقبى الذين اتقوا) مآلهم ومنتهى امرهم (وعقبى الكافرين النار) لا غير وفى ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك) يعنى المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم (ومن الاحزاب) يعنى كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب ابن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما (من ينكر بعضه) وهو ما يخالف شرآئعهم او ما يوافق ما حرفوه منها (قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به) جواب للمنكرين اى قل لهم انى امرت فيما انزل الى بان اعبد الله واوحده وهو العمدة فى الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرآئعكم فليس ببدع مخالفة الشرآئع والكتب الالهية فى جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف (اليه ادعو) لا الى غيره (واليه مآب) واليه مرجعى للجزآء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه (وكذلك) ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها (انزلناه حكما) يحكم فى القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة (عربيا) مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال (ولئن اتبعت اهوآءهم) التى يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها (بعد ما جاءك من العلم) بنسخ ذلك (مالك من الله من ولى ولا واق) ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات فى دينهم (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك) بشرا مثلك (وجعلنا لهم ازواجا وذرية) نساء واولادا كما هى لك (وما كان لرسول) وما صح له ولم يكن فى وسعه (ان يأتى بآية) تقترح عليه وحكم يلتمس منه (الا باذن الله) فانه الملئ بذلك (لكل اجل كتاب) لكل وقت وأمد حكم يكتب على العباد على ما تقتضيه استصلاحهم (يمحو الله ما يشاء) ينسخ ما يستصوب نسخه (ويثبت) ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها

فى الجنة كما فى الدنيا الا الاسماء ﴿ قوله وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة ﴾ والتقدير وعدها المتقون مقدرا جريان انهارها ﴿ قوله او عامتهم ﴾ بالنصب عطفا على المسلمين من اهل الكتاب والمراد من الكتاب على التقديرين التوراة والانجيل «فان قيل» كيف يصح ان يراد باهل الكتاب فى هذا الموضع عامة اهل الكتاب وهم الكفرة ويحكم عليهم بانهم يفرحون بما انزل اليك مع ان ما انزل اليه جميع ما انزل اليه صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان عامتهم لا يفرحون بكل ما انزل اليه «فالجواب» ان ما انزل اليه عام يتناول الكل والبعض وليس عاما مستغرقا لجميع ما يصدق لفظ الكل عليه فجاز حملها على البعض بحسب القرينة فلذلك قال المصنف رحمه الله تعالى فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ﴿ قوله يحكم فى القضايا ﴾ اشارة الى ان الحكم مصدر بمعنى الحاكم لما كان جميع التكاليف الشرعية مستنبطة من القرآن كان سببا للحكم فاسند اليه الحكم اسنادا مجازيا ثم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة ﴿ قوله التى يدعونك اليها ﴾ «فانه» روى ان المشركين كانوا يدعونه صلى الله عليه وسلم الى اتباع ملة آبائهم المشركين وكان اليهود يدعونه الى الصلاة الى قبلتهم بعد ما حول عنها جعل ما يدعون اليه من الدين الباطل والطريق الزآئغ هوى وهو ما يميل اليه الطبع وتهواه النفس بمجرد الاشتهاء من غير سند مقبول ودليل معقول لكونه هوى محضا ﴿ قوله وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين ﴾ يعنى ان الخطاب وان كان مع النبى صلى الله عليه وسلم الا ان المراد التعريض لغيره لان صلابته صلى الله عليه وسلم فى امر الدين بلغت الى حيث لا يحتاج معها الى الحث على التصلب والثبات ووجه التعريض ان من سمع تحذير سيد الخلائق وتهديده على عدم التثبت والتصلب ان كان ممن يطمع منه صلى الله عليه وسلم فى ذلك انقطع طمعه بالكلية وان كان ممن لا يتوهم منه ذلك قويت عزيمته وهمته على ذلك اى على الثبات فى الدين علما منه بان من هو ارفع منزلة اذا حذر هذا التحذير فهو بذلك احق واولى ﴿ قوله بشرا مثلك ﴾ يعنى ان من انكر نبوته صلى الله عليه وسلم تمسكوا بشبه فى ابطال نبوته منها ان قولهم الرسول لا بد ان يكون من جنس الملائكة كما حكى عنهم بقوله لو ما تأتينا بالملائكة وبقوله تعالى لولا انزل عليه ملك ومنها قولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ومنها انهم عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة الزوجات وقالوا لو كان رسولا من عند الله تعالى ما كان مشتغلا بامر النسوان بل كان معرضا عنهن مشتغلا بالزهد والعبادة فاجاب الله تعالى عن شبههم بقوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فجاز ذلك فى حقهم فلم لا يجوز مثله ايضا فى حقه فقد روى انه كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلاثمائة امرأة مهرية وسبعمائة سرية وكان لداود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكان من شبههم انهم قالوا لو كان رسولا من عند الله تعالى لكان عليه ان يأتى باى شئ طلبنا منه من المعجزات ولا يتوقف ولما لم يكن الامر كذلك علمنا انه ليس برسول فاجاب الله تعالى عنه بقوله تعالى وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله اى وما صح له ولم يكن فى وسعه ان يأتى بآية الا باذن منه فان المعجزة الواحدة كافية فى اثبات الحجة وما زاد عليها فهو مفوض الى مشيئة الله سبحانه وتعالى ان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها ولا اعتراض لاحد عليه فى ذلك ﴿ قوله لكل وقت وأمد حكم يكتب ﴾ يعنى ان الكتاب بمعنى الحكم المكتوب المفروض على المكلفين بالشرآئع والاحكام لان الطاعنين فى نبوته صلى الله عليه وسلم قالوا لو كان صادقا فى دعوة النبوة لم ينسخ الاحكام التى نص الله تعالى على ثبوتها فى الشرآئع المتقدمة فى التوراة والانجيل لكنه نسخها وحرفها نحو تحريف القبلة ونسخ اكثر احكام التوراة والانجيل فوجب ان لا يكون نبيا حقا فاجاب الله تعالى عنه بقوله لكل وقت حكم يليق بصلاح اهله وحالهم فان الحكمة تقتضى اختلاف الاحكام على حسب الاعصار والامم وعلى حسب تخصيص المشيئة الالهية اهل كل عصر بحكم على حدة كما قال الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت ان فسر بما ذكره المصنف رحمه الله تعالى بقوله ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته قال الامام رحمة الله تعالى عليه فى هذه الآية قولان الاول انها عامة فى كل شئ كما يقتضيه ظاهر اللفظ قالوا ان الله يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا فى الاجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود رضى الله عنهما والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضرعون الى الله فى ان يجعلهم سعداء لا اشقياء وهذا التأويل رواه جابر رضى الله عنه قال كان يطوف بالبيت وهو يبكى ويقول اللهم ان كنت كتبتنى فى اهل الشقاوة فامحنى واثبتنى فى اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود رضى الله عنه ايضا والقول الثانى ان الآية خاصة فى بعض

الاشياء دون بعض وعلى هذا التقدير ففي الآية وجوه الاول ان المراد من المحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم واثبات حكم آخر لاعين الاول فقد روى عن سعيد بن جبير وقتادة رضى الله تعالى عنهما يمحو الله مايشاء من الشرآئع فينسخه ويثبت مايشاء فلا ينسخه وهذا القول اختيار ابى على الفارسى قال هذا والله اعلم فيما يحتمل النسخ والتبديل من الشرآئع الموقوفة على المصالح على حسب الاوقات فاما ما كان من غير ذلك فلا يمحى ولا يبدل والثانى انه تعالى يمحو من ديوان الحفظة ماليس بحسنة ولا سيئة وذلك لانهم مأمورون بكتابة جميع مايقوله الانسان ويفعله فاذا كان يوم الاثنين ويوم الخميس يعارض ما كتبه الحفظة بمافى اللوح المحفوظ فيلق من كتاب الحفظة مالا جزآءله من ثواب وعقاب ويثبت ماله جزآء من احدهما ويترك مكتوبا كما هو والثالث ان من اذنب ذنبا اثبت الله تعالى ذلك الذنب فى ديوانه فاذا تاب عنه يمحو ذلك من ديوانه وقال عكرمة يمحو الله سيئات التائب ويثبت بدلها حسنات والرابع يمحو الله مايشاء وهو من جاء اجله ويدع من لم يجئ اجله ويثبته وان الله تعالى يمحو مايشاء ويثبت الا الشقاوة والسعادة والموت والحياة والرزق والاجل ويدل على صحة هذا القول ماروى انه صلى الله عليه وسلم قال اذا مضى على النطفة خمس واربعون ليلة يدخل الملك ويقول يارب اذكر ام انثى فيقضى الله عز وجل ويكتب الملك فيقول ماأجله وعمله ورزقه فيقضى الله تعالى ويكتب الملك ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هما كتابان سوى ام الكتاب الذى لايغير منه شئ * فان قيل الستم تزعمون ان المقادير سابقة قد جف بها القلم فكيف يستقيم هذا المعنى * فالجواب ان المحو والاثبات مما جف به القلم ايضا فلا يمحو الاما سبق فى علمه وقضائه محوه وسمى اللوح المحفوظ ام الكتاب لكونه اصلا لجميع الكتب والعرب تسمى كل مايجرى مجرى الاصل للشئ اماله ومنه ام الرأس للدماغ وام القرى لمكة وجميع حوادث العالم السفلى والعلوى مثبتة فى اللوح المحفوظ قال صلى الله عليه وسلم * كان الله تعالى ولاشئ * ثم خلق اللوح واثبت فيه جميع احوال الخلق الى قيام القيامة * قال المتكلمون الحكمة فيه ان يظهر للملائكة كونه تعالى عالما بجميع المعلومات على سبيل التفصيل وعلى هذا التقدير فعنده تعالى كتابان احدهما الكتاب الذى تكتبه الملائكة على الخلق وذلك الكتاب هو محل المحو والاثبات والكتاب الثانى هو اللوح المحفوظ وهو الكتاب المشتمل على نقش جميع الاحوال العلوية والسفلية وهو الباقى الذى لايتغير وقيل المراد بام الكتاب هو علم الله تعالى فانه تعالى عالم بجميع المعلومات من الموجودات والمعدومات فانها وان تغيرت الا ان علم الله تعالى بها باق منزه عن التغير فالمراد بام الكتاب هو ذاك ﴿ قوله اريناك بعض مانعدناهم ﴾ تفسير وتفصيل للحال الدآئرة اى سوآء اريناك بعض مانعدناهم او توفيناك قبله فالواجب عليك تبليغ احكام الله تعالى واداء امانته ورسالته والبلاغ اسم اقيم مقام التبليغ كالسراح ﴿ قوله فلا تحتفل ﴾ اى لاتبال يقال احتفلت بكذا اى باليت به لما اوعدالله تعالى المكذبين بقوله لهم عذاب فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اشق ومالهم من الله من واق قال بعده واما نرينك يعنى ان ابتلاءهم بما اوعدوا به غير مشروط بحياتك بل هو واقع بهم مت او بقيت حيا وعلى كل حال فالواجب عليك ليس الا البلاغ وعلينا الحساب فلا تبال باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم والطلائع جمع طليعة الجيش وهو من يبعث ليطلع على حال العدو والمعنى هذه الحال التى هى نقص ارض الكفرة من اطرافها طلائع تحقيق ما اوعدهم الله تعالى من تعذيبهم فانه تعالى لما وعد رسوله صلى الله عليه وسلم رؤية بعض ماوعدهم كان الكفرة قالوا عند ذلك اين ماوعد ربك ان ربك فقال الله سبحانه وتعالى عند ذلك اولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها اى يأتيها امرنا وقوله ننقصها حال امامن فاعل نأتى او من مفعوله فان مازاد فى بلاد المسلمين باستيلائهم عليها قهرا وجبرا نقص من ديار الكفرة وهى من طلائع تحقق تلك المواعيد وعلاماتها فانه تعالى اذا قدر على جعل بعض ديار الكفر للمسلين فهو قادر على ان يجعل الكل لهم افلا يعتبرون بهذا ثم انه تعالى اكد هذا المعنى فقال سبحانه وتعالى والله يحكم لامعقب لحكمه اى يحكم نافذا حكمه خاليا عن المدافع والمعارض والمنازع ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان اخبره ان كفار الامم الماضية كفروا برسلهم ومكروا بان هموا بقتلهم واهلاكهم وابطال دينهم الذى دعوا قومهم اليه مثل نمرود مكر بابراهيم عليه الصلاة والسلام واليهود مكروا بعيسى عليه الصلاة والسلام وفرعون مكر بموسى عليه الصلاة والسلام ثم بين ان مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكر الله تعالى حيث قال فلله المكر جميعا ثم بين قوة مكره وكماله بقوله يعلم ماتكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار فان من علم ماتكسب كل نفس واعدلها جزآءها وكان قادرا على امضاء مااعده من الجزآء

وقيل يمحو من كتاب الحفظة مالا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت مارآه وحده فى صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخر وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويثبت بالتشديد (وعنده ام الكتاب) اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذما من كائن الا وهو مكتوب فيه (وامانرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك) وكيف مادارت الحال اريناك بعض مانعدناهم او توفيناك قبله (فانما عليك البلاغ) لاغير (وعلينا الحساب) للمجازاة لاعليك فلا تحتفل باعراضهم ولاتستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه (اولم يروا انانأتى الارض) ارض الكفرة (ننقصها من اطرافها) بما نفتحه على المسلمين منها (والله يحكم لامعقب لحكمه) لاراد له وحقيقته الذى يعقب الشئ بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لايمكن تغييره ومحل لامع المنفى النصب على الحال اى يحكم نافذا حكمه (وهو سريع الحساب) فيحاسبهم عما قليل فى الآخرة بعدما عذبهم بالقتل والاجلاء فى الدنيا (وقد مكر الذين من قبلهم) بانبيائهم والمؤمنين منهم (فلله المكر جميعا) اذلا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ماهو المقصود منه دون غيره

(يعلم ما تكسب كل نفس) فيعدّ جزاءها (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعدّ لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اى اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) قيل المراد بهم رؤساء اليهود (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها (ومن عنده علم الكتاب) علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى اى وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول * من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

﴿ سورة ابراهيم عليه السلام مكية ﴾

﴿ وهي احدى وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر كتاب) اى هو كتاب (انزلناه اليك لتخرج الناس) بدعائك اياهم الى ما تضمنه (من الظلمات) من انواع الضلال (الى النور) الى الهدى (باذن ربهم) بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله (الى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله تعالى اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله (الله الذي له ما في السموات وما في الارض) على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر مبتدأ محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق

في الدنيا والآخرة لاجرم يأخذ المجرمين بالنواصي والاقدام وهم في غفلة عما يراد بهم ان بطشه لشديد اذا اخذ الظالم لا يفلته ﴿قوله مع ما في الاضافة الى الدار﴾ اى مع الدلالة الكائنة في اضافة العقبى الى الدار فان الاضافة لتعظيم المضاف فتدل على ان المعنى ما ينبغي ان تكون العاقبة عاقبة الدنيا بل ليس هي الا الجنة ﴿قوله فانه اظهر من الادلة على رسالتي الخ﴾ يعني ان المراد بشهادة الله تعالى اظهار المعجزات الدالة على صدقه في دعوى الرسالة وقوله علم الكتاب فسر الكتاب اولا بالقرآن العظيم فيكون المراد بالذي عنده علم الكتاب المؤمنين وثانيا بجنس الكتب المتقدمة وثالثا باللوح المحفوظ ﴿قوله اى وكفى بالذي يستحق العبادة الخ﴾ على تقدير ان يكون معنى قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى * فان قلت كيف يصح ان يراد بمن عنده الله تعالى مع كونه معطوفا على قوله بالله وهو عطف الشيء على نفسه * اشار الى دفعه بان اوّل اسم الذات بما يعطيه من معنى استحقاق العبادة لكون لفظ الجلالة مختصا بالمعبود بالحق المستجمع لجميع صفات الكمال واوّل من عنده بالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو ليكون من قبيل عطف الصفة على الصفة كما في قول الشاعر

* ياالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآئب *

وقرأ الجمهور من عنده بفتح ميم من وهي موصولة في محل الجر حينئذ عطفا على لفظ الجلالة اى بالله وبمن عنده علم الكتاب وجملة عنده علم الكتاب يحتمل ان تكون جملة ظرفية بان يكون علم الكتاب فاعل عنده لاعتماده على الموصول ويحتمل ان تكون جملة اسمية بان يكون علم الكتاب مبتدأ وعنده خبره قدم عليه والجملة على التقديرين صلة من وان قرئ من عنده بكسر الميم على انه حرف جر تعين ان يكون علم الكتاب مرفوعا على الابتداء وما قبله خبره وقرئ من بالكسر وعلم على بناء المفعول والله اعلم * تمت سورة الرعد والحمد لله على التمام وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام

﴿سورة ابراهيم مكية وهي احدى وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله اى هو كتاب﴾ اما على تقدير ان يكون الر اسما للسورة ويكون التقدير هذه الر ثم استؤنف قوله كتاب اشارة الى فخامة شأنها وعظم قدرها بانها كتاب عظيم الشان تولينا انزاله وبلغ في الفصاحة النهاية فاعتلك بمجموع القرآن واما على ان يكون الر تعديدا للحروف قرعا لعصا وتقدمه لدليل الاعجاز فلا يكون له محل من الاعراب ﴿قوله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب﴾ اى مجاز مرسل على طريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم فان لفظ الاذن حقيقة في الاطلاق ورفع الحجب ويلزمه التسهيل والتيسير فان الدخول في حق الغير وملكه متعذر فاذا صودف الاذن يكون تسهيلا وتيسيرا فلما كان التسهيل من لوازم الاذن صح استعمال لفظ الاذن فيه مجازا فالمراد بقوله مستعار الاستعارة اللغوية لا ما هو مصطلح اهل البيان وقوله لتخرج متعلق بانزلناه وقوله باذن ربهم يجوز ان يتعلق بالاخراج اى لتخرجهم بتسهيله وتيسيره وان يتعلق بمحذوف على انه حال من ضمير الفاعل اى مأذونا لك او من الناس اى مأذونا لهم شبه الكفر بالظلمات لانها نهاية ما يتحير الرجل فيه ولا يهتدي به الى الحق والصواب وشبه الايمان بالنور لانه نهاية ما يتجلى به الحق المطلوب وجمع الظلمات لتعدد طرق الكفر وانواعه ﴿قوله بدل من قوله الى النور﴾ ولا يضره الفصل بقوله باذن ربهم لانه من معمولات العامل في المبدل منه ﴿قوله او استئناف﴾ فيتعلق بمحذوف كأنه قيل الى اى نور اخراجهم فقيل الى صراط ﴿قوله امالانه مقصده﴾ اى اما لان الله تعالى هو المقصود من ذلك الصراط واما لانه تعالى هو المظهر لذلك الصراط وهذا القدر من الملابسة يكفي في صحة الاضافة فاضيف الصراط الى العزيز للتنبيه على انه صراط عزيز لا يذل سالكه واضيف الى الحميد للتنبيه على انه صراط كثير الخير اى لا يخيب سابله اى من اتخذه سبيلا ﴿قوله على قراءة نافع وابن عامر﴾ فانهما قرأ برفع لفظ الجلالة على انه مبتدأ خبره الموصول بعدها او على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو الله وقيل هذا يسمى الرفع على المدح فعلى هذا يكون الموصول مع صلته في محل الرفع على انه صفة الجلالة والباقون بجره على انه عطف بيان للعزيز الحميد لان لفظ الجلالة وان كان في اصل الوضع اسما مشتقا الا انه صار في العرف جاريا مجرى الاسم العلم لذات الله تعالى فخرج بذلك عن ان يكون مفهومه صالحا لوقوع الشركة فيه لجاز كونه تابعا لما قبله في الايضاح والتفسير والذي يدل على كونه جاريا مجرى الاسم العلم انه لو كان مشتقا

لكان مفهومه شيئاً ما حصل له المشتق منه وهو مفهوم كلي صالح من حيث هو لوقوع الشركة فيه فلا يكون قولنا لا اله الا الله موجبا للتوحيد لان المستثنى يكون امرا كليا حينئذ وهو خلاف الاجماع لان الائمة قد اجمعوا على ان قولنا لا اله الا الله كلمة توحيد وذلك يوجب كون لفظ الجلالة جاريا مجرى الاسم العلم لذاته المخصوصة فعلى هذا كان الظاهر ان يذكر الاسم ثم يذكر عقيبه الصفات كما في قوله هو الله الخالق البارئ واما اذا عكس هذا الترتيب بان يقال لهو الخالق البارئ الله فذلك ترتيب بعيد عما هو الشائع المتعارف فمن قطع لفظ الجلالة عما قبله وقرأه مرفوعا اما على الابتداء او الخبرية لمحذوف فلا كلام في قرآءته واما من قرأ بالجر عطفا على العزيز الحميد فيرد عليهم ان اتباع الاسم للصفة خلاف الترتيب الشائع بين القوم ولهم ان يقولوا انه تعالى لما اراد تعظيم الصراط الذي يدعو الناس اليه بالاضافة الى العزيز الحميد ووقعت الشبهة في ان ذلك العزيز الحميد من هو بناء على ان الكفار زعموا وصفوا الصنم بكونه عزيزا حميدا عطف عليهما عطف بيان قوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض ازالة لتلك الشبهة وايضاحا للمتبوع ﴿قوله لكنه رفع﴾ على انه مبتدأ وللكافرين خبره وجاز الابتدآء بالنكرة لانه دعاء كسلام عليكم مع انه موصوف بقوله من عذاب شديد فانه متعلق بمحذوف هو صفة كأنه قيل وويل كائن من عذاب شديد مستقر للكافرين ولا يجوز ان يتعلق بنفس ويل لاجل الفصل بينهما بالخبر وقد تقرر في النحو انه لا يجوز الفصل بين المصدر ومعموله ﴿قوله فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها﴾ فان استحباب الشئ طلب محبته عبر عن اختيار الشئ باستحبابه لما في اختياره من شائبة طلب كونه احب اليه من غيره والظاهر ان استحباب الشئ ابلغ من اختياره في الدلالة على كون ذلك الشئ محبوبا لان اختيار الشئ انما يدل على مجرد ترجيح ذلك الشئ وعده خيرا بخلاف الاستحباب فانه يدل على كون حب الشئ مطلوبا له ومحبوبا عنده وهو نهاية المحبة فقوله الذين يستحبون الحياة الدنيا يدل على كونهم في نهاية المحبة للحياة الدنيا وهو نهاية الضلال لانها انما تنشأ عن الغفلة عن حقيقة الحياة الاخروية والاشتغال بادنى لذات الحياة العاجلة التي لا حاصل لها في الحقيقة لان ما في هذه الحياة من اللذات لا حاصل له في الحقيقة الا دفع الآلام بخلاف اللذات الاخروية فانها في انفسها لذات محضة ثم انه زاد على ما يدل على ضلالهم في انفسهم فقال ويصدون فمن كان موصوفا باستحباب الدنيا فهو ضال ومن كان في نفسه منع الغير من الوصول الى سبيل الله تعالى ودينه فهو مضل ثم زاد على وصفهم باضلال الغير بصده عن الوصول الى الصراط المستقيم فقال ويبغونها عوجا فان السعي في القاء الشكوك والشبهات في المذهب الحق والجد في تقبيحه بكل ما يقدر عليه من الحيل هو نهاية الضلال والاضلال ﴿قوله والبعد في الحقيقة﴾ جواب عما يقال القرب والبعد لا يوصف بهما الا الاماكن والتمكن فيها والضلال ليس منهما فكيف وصف بقوله بعيد فاجاب عنه اولا بان البعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق والمقصد فوصف به فعله اسنادا مجازيا على طريق جد جده وثانيا بان البعد صفة للامر الذي به الضلال عن الحق تنزيلا له منزلة المكان الذي وقع فيه الضلال فاسند البعد الى سببه للابسة بينهما ﴿قوله الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم﴾ تخصيص قوم الرسول بمن هو منهم وبعث فيهم يظهر منه انه ليس المراد منه جميع من بعث اليهم من امة دعوته لان رسولنا صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة بل الى الثقلين مع انه لم يرسل الا ملتبسا بلسان العرب خاصة والذي يخطر ببالي في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انها جواب عما يرد على قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس وهو ان تعريف الناس للاستغراق لقوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وما انزل اليه عليه الصلاة والسلام بلسان العرب خاصة فكيف يخرج به جميع الناس من ظلمة الكفر الى نور الايمان فاجاب عنه بقوله وما ارسلنا من رسول الى الامم التي اختلفت السنتهم الا بلغة قومه الذي هو منهم اذ لا حاجة الى ان ينزل الى كل قوم كتاب ملتبس بلغة ذلك القوم لان ذلك ينوب ويكفي من التطويل اللازم من ذلك فاذا نزل بلسان واحد من الاقوام كان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لان قومه اقرب الناس اليه فكان حقهم عليه اقدم وكان الاولى ان يدعوهم الى الحق اولا وينذرهم عن المخالفة والعصيان حتى اذا فهموا منه يبينون ما ارسل به اليهم ويترجمون لغيرهم ما فهموه منه فتنتشر دعوته بذلك الى اطراف العالم ﴿قوله تعالى الا بلسان قومه﴾ في موضع النصب على الحال اي الا متكلما او ملتبسا بلسان وهو على وزن كتاب وقرئ في الشواذ بلسن قومه بكسر اللام وسكون السين وهو لغة في اللسان وقيل اللسان يطلق على

(وويل للكافرين من عذاب شديد) وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره (ويصدون عن سبيل الله) بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا نكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة (ويبغونها عوجا) ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره (اولئك في ضلال بعيد) اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به للابسة (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم (ليبين لهم) ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فان الله انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب

العضو المعروف وعلى اللغة ايضا واما اللسن فانما يطلق على اللغة خاصة وقرئ بلسن بضم اللام والسين وهو جمع لسان ككتاب وقرئ بضم اللام وسكون السين وهى تخفيف القرآءة بضمتين نحو رسل فى رسل ﴿ قوله فيضل ﴾ استئناف اخبار اى فهو يضل فلا يجوز ان يكون عطفا على ماقبله لان المعطوف كالمعطوف عليه فى المعنى فيكون المعنى ليبين فيضل والرسل انما ارسلت للبيان لا للاضلال قال الزجاج ولو قرئ بنصبه على ان اللام لام العاقبة جاز والفاء فيه تفصيلية والمعنى ان الله تعالى ارسل الرسل الى اقوامهم ليبين لهم طريق الهداية وطريق الضلالة فعند ذلك حصل الاختلاف فبعضهم اختار الهداية وبعضهم الضلالة او تقول انزلنا الكتاب لتبين فمنهم من نفعناه بذلك البيان ومنهم من جعلناه حجة عليه ﴿ قوله بآياتنا ﴾ حال اى ارسلناه ملتبسا بآياتنا وأن فى أن أخرج يجوز ان تكون مفسرة لوقوعها بعد فعل فى معنى القول وان تكون مصدرية واختلف النحاة فى انه هل يجوز ان تكون صلة ان المصدرية امرا اونهيا او غيرهما مما فيه معنى الطلب اولا يجوز والمشهور عدم الجواز واجاز سيبويه كون صلة ان المصدرية ذلك على ان يكون معنى قولك امرته ان قم بأن قم اى بالقيام وقال ابو على فى قوله تعالى ماقلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله يجوز ان تكون كلمة أن فيه مصدرية فتكون مع مافى حيزها بدلا من ما او من الهاء فى به او خبر مبتدأ محذوف اى هو أن اعبدوا الله وان تكون مفسرة واختار المصنف كونها مصدرية حيث قال فان صيغ الافعال سوآء فى الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة الا انه تسامح فى العبارة حيث جعل ان الداخلة على فعل الامر ناصبة لان ان الناصبة تدخل على الفعل المضارع الا ان يقال لو كانت داخلة على الفعل المضارع لكانت ناصبة ولو قال ان يوصل بها ان المصدرية لم يحتج الى هذا التأويل ثم انه تعالى لما ذكر رسوله صلى الله عليه وسلم على سبيل المنة انه انزل كتابا عظيم الشان ليخرج به الناس من الظلمات الى النور أتبع ذلك بشرح ارساله سائر الانبياء الى اقوامهم وكيفية معاملة اقوامهم معهم ليكون ذلك تصبيرا له عليه السلام على اذى قومه وارشادا له الى كيفية مكالمته ومعاملته مع قومه فذكر قصة موسى عليه الصلاة والسلام فقال ولقد ارسلنا موسى بآياتنا الآية امر الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام فى هذا المقام بشيئين احدهما ان يخرجهم من ظلمات الكفر والضلال وثانيهما ان يذكرهم بأيام الله فقيل المراد بها ما انعم الله تعالى عليهم فى الايام الماضية كأنه قيل لهم ياقوم كم من خير قد اعطاه الله تعالى لكم وكم من شر قد صرفه الله تعالى عنكم وكم من غم قد فرّجه الله عنكم اماتذكرون ما كنتم عليه مما اصابكم من قبل فرعون من انواع العذاب ثم انه اهلك عدوّكم بتدبير عجيب وخلصكم من عذابه وانزل عليكم المنّ والسلوى واتم عليكم بجميع ماانتم عليه الآن من صنوف نعمائه فبادروا الى شكر هذه النعم وقيل المراد بأيام الله وقائعه فى الامم السالفة اى اذكر كيف اهلك الله تعالى الامم السالفة لما كذبوا الرسل وقيل المراد بها جميع ماوقع فيها من النعماء والبلاء والمعنى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد فالترغيب والوعد أن يذكرهم جميع ماانعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمنوا بالرسل فيما سلف من الايام والترهيب والوعيد ان يذكرهم بأس الله وعذابه وانتقامه ممن كذب رسله فيما سلف من الايام مثل ما نزل بعاد وثمود وغيرهما ليرغبوا فى الوعد فيصدقوا ويحذروا من الوعيد فيتركوا التكذيب والعناد ويؤيد هذا القول الجمع بين الصبار والشكور فى قوله تعالى ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ومن حمل الايام على معنى الوقائع استدل عليه بان التذكير بالايام اكثر مايستعمل فى التخويف والانذار ﴿ قوله اى اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ﴾ يعنى ان قوله اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى الانعام ثم قال ويجوز أن ينتصب بعليكم اى بما تعلق به عليكم على تقدير ان لا يكون صلة النعمة بل يكون متعلقا بالاستقرار بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائكم فعلى هذا تكون النعمة بمعنى العطية لا بمعنى الانعام ولو جعل عليكم صلة النعمة بمعنى الانعام فحينئذ لا يجوز ان ينتصب الظرف بعليكم لان المعمول فيه عبارة عما فعل فيه فعل مذكور فلا يعمل فيه الا فعل او شبهه وعليكم على تقدير كونه صلة النعمة لا يكون فعلا ولا شبهه ﴿ قوله احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين ﴾ او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما ويجوز ان يكون مستأنفا لبيان ما انجاهم منه قال الله تعالى فى سورة البقرة واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وكذا فى الاعراف الا انه وقع فيها بدل يذبحون يقتلون وكل واحد منهما فى سورته بغير واو فلما وقع فى هذه السورة ويذبحون بواو العطف اشار المصنف الى الفرق بان الجملة حيث ذكرت بغير واو

(فيضل الله من يشاء) فيخذله عن الايمان (ويهدى من يشاء) بالتوفيق له (وهو العزيز) فلا يغلب على مشيئته (الحكيم) فلا يهدى ولا يضل الا لحكمة (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته (ان أخرج قومك من الظلمات الى النور) بمعنى اى اخرج كأن فى الارسال معنى القول او بأن اخرج فان صيغ الافعال سوآء فى الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة (وذكرهم بأيام الله) بوقائعه التى وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل نعمائه وبلائه (ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون) اى اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز أن ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة النعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم) احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به فى سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة

تكون بدلا من قوله يسومونكم سوء العذاب على طريق التفسير والبيان وحيث ذكرت بالواو يكون الكلام من قبيل عطف الخاص على العام على تقدير أن يراد بالعذاب جنس العذاب ويعطف عليه التذبيح للاشارة الى انه بلغ فى الفظاعة والشدة الى حيث صار كأنه جنس مغاير للعذاب او من عطف احد المتباينين على الآخر على تقدير ان يخص العذاب باستعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة ﴿قوله من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم﴾ لما جعل الاشارة الى فعل آل فرعون بهم ورد أن يقال كيف يكون فعل آل فرعون بلاء من ربهم فأجاب عنه بأن فعلهم لما كان باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه صار ابتلاء من الله تعالى فانه تعالى يبتلى عباده تارة بالمحنة وتارة بالنعمة ﴿قوله ايضا من كلام موسى عليه السلام﴾ فيكون معطوفا على قوله اذ أنجاكم فيكون معمولا للنعمة بمعنى الانعام او للاستقرار الذى تعلق به عليكم او على قوله نعمة الله فيكون معمولا لقوله اذكروا والنعمة الزآئدة بالشكر تعم النعم الروحانية والجسمانية اما النعم الروحانية فهى ان الشاكر يكون أبدا فى ملاحظة اقسام نعم الله وانواع فضله وكرمه وتلك الملاحظة تستجلب محبة العبد لله تعالى ومقام المحبة اعلى مقامات الصدّيقين ثم قد يترقى العبد من تلك الحالة الى ان يصير حبه للنعم شاغلا له عن الالتفات الى النعم ومعرفتها فثبت ان الاشتغال بالشكر يجلب النعم الروحانية واما ازدياد النعم الجسمانية بالشكر فلأن الاستقرآء دل على ان من كان اشتغاله بشكر نعم الله اكثر كان وصول نعم الله تعالى اليه اكثر ثم ان موسى عليه السلام لما بين ان الاشتغال بالشكر يوجب تزايد الخيرات فى الدنيا والآخرة وأن كفران النعم يوجب العذاب الشديد وحصول الآفات فى الدنيا والآخرة بين بعده ان منافع الشكر ومضار الكفران لاتعودان الا الى صاحب الشكر وصاحب الكفران واما المعبود والمشكور فانه غنى عن ان ينتفع بالشكر او يستضر بالكفران فهو تعالى انما امر بهذه الطاعات لمنافع العباد كما قال فان الله لغنى حميد لان من كان ذاته كافية فى وجوده وجميع كمالاته يكون غنيا لايفتقر الى شكر شاكر وحميدا يستحق الحمد لذاته لكونه مستجمعا لجميع الكمالات بالفعل ﴿قوله من كلام موسى عليه الصلاة والسلام﴾ لقومه ذكرهم احوال المتقدمين وخوفهم بها ليعتبروا ويجتهدوا فى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وقيل هو ابتدآء خطاب من الله تعالى لاهل عصر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ذكر اقواما ثلاثة وهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم نوح بدل من الذين من قبلكم او عطف بيان له ثم قال والذين من بعدهم لايعلمهم الا الله وذكر المصنف فيه احتمالين الاول ان يكون قوله والذين من بعدهم مبتدأ وقوله لايعلمهم الا الله خبره وتكون الجملة الاسمية معترضة بعد الكلام على ماجوزه صاحب الكشاف او بين الحال وصاحبها ان جعل قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات حالا من الذين من قبلكم على مذهب من يجوز انتصاب الحال من المضاف اليه وفائدة الاعتراض التنبيه على كثرة الامم المتقدمين كأنه قيل ان من بعدهم بلغ من الكثرة بحيث لايعلم عددهم الا الله فكيف بالمجموع والاحتمال الثانى ان يكون قوله والذين من بعدهم معطوفا على ماقبله وهو قوم نوح وعاد وثمود ويكون قوله لايعلمهم الا الله اعتراضا لبيان كثرة من قبلهم والمعنى الم يأتكم انباء الجم الغفير الذين لايعلم عددهم الا الله لكثرتهم وقول المصنف والمعنى انهم لكثرتهم لايعلم عددهم الا الله بيان للمعنى على الاحتمالين لكن يختلف مرجع ضمير انهم بحسب الاحتمالين فان المعنى على الاحتمال الاول ان الذين من بعدهم بلغوا من الكثرة بحيث لايعلم عددهم الا الله فيكون المقصود الترقى فى بيان كثرة من قبلهم كأنه قيل الم يأتكم نبأ هؤلاء ومن لايحصى عددهم ممن بعدهم فهو بمنزلة ان يقال دع التفصيل فانه لامطمع فى الحصر وفيه لطف من حيث انه يوهم الجمع بين الاجمال والتفصيل ولهذا قدم هذا الاحتمال فى الذكر والمعنى على الثانى ان الذين من قبلكم لكثرتهم لايعلمهم الا الله فيكون حاصل المعنى مامر من قوله الم يأتكم انباء الجم الغفير الخ ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون المعنى على الاحتمالين تكثير المتقدمين بحيث لايعلم عددهم الا الله كان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول كذب النسابون يعنى انهم يدّعون علم الانساب ويوصلونها الى آدم عليه السلام وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد حيث بين ان الذين قبلكم اقواما كذبوا رسلهم فاهلكوا ولم يبلغ اليكم خبرهم فلا يعلمهم الا الله ونظير هذه الآية قوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا تبرنا تتبيرا وقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قيل وعلى هذا القول لايمكن القطع بمقدار السنين من لدن آدم عليه السلام الى هذا الوقت لانه ان امكن ذلك لم يبعد ايضا تحصيل العلم بالانساب الموصولة ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام المذكورين انه لما جاءتهم رسلهم بالبينات اى المعجزات اتوا بامور أولها قوله فردوا

(وفى ذلكم) من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه (بلاء من ربكم عظيم) ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة (واذ تأذن ربكم) ايضا من كلام موسى عليه السلام وتأذن بمعنى آذن كتوعد بمعنى اوعد غير انه ابلغ لما فى التفعل من معنى التكلف والمبالغة (لئن شكرتم) يا بنى اسرآئيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح (لأزيدنكم) نعمة الى نعمة (ولئن كفرتم ان عذابى لشديد) فلعلى اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة أكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تأذن على انه يجرى مجرى قال لانه ضرب منه (وقال موسى ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا) من الثقلين (فان الله لغنى) عن شكركم لنعمته (حميد) مستحق للحمد فى ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى عليه الصلاة والسلام اوكلام مبتدأ من الله (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ماقبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لايعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كذب النسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم) فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزآء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء عليهم الصلاة والسلام او امرا لهم باطباق الافواه واشاروا بها الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لاجواب لهم سواه اوردوها فى افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم

ايديهم في افواههم وثانيها قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به وثالثها قولهم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه وذكر المصنف فيه ثلاثة احتمالات الاوّل انهم ردّوا ايدي انفسهم في افواه انفسهم والثاني انهم ردّوا ايدي انفسهم في افواه الانبياء والثالث انهم ردّوا ايدي الانبياء في افواه الانبياء على ان الايدي بمعنى الايادي وذكر في الاحتمال الاوّل ثلاثة اوجه الاوّل ان يكون ردّ الايدي الى الافواه عبارة عن عضها غيظا من شدّة نفرتهم من رؤية الرسل او من استماع كلامهم والثاني ان يكون عبارة عن وضعها على الافواه اما لانهم لما سمعوا كلام الانبياء تعجبوا منه غاية التعجب فحملهم ذلك على ان يضعوا ايديهم في افواههم او لانهم لما سمعوه غلب عليهم الضحك على سبيل السخرية والاستهزاء فوضعوا ايديهم على افواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضحك او لانهم لما سمعوه وضعوا ايديهم على افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء أن كفوا عن هذا الكلام واسكتوا والثالث ان يكون عبارة عن الاشارة بأيديهم الى جوابهم الذي قالوه بألسنتهم وهو قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا الذي نقوله بافواهنا فقول المصنف الى ألسنتهم توطئة لقوله وما نطقت به والمراد اشارتهم الى كلامهم ثم انه يحتمل ان يكونوا اشاروا بأيديهم الى ان هذا هو الجواب ثم قرّروه ويحتمل انهم كانوا قرّروا جوابهم ثم اشاروا بأيديهم الى ان هذا هو الجواب لان قوله تعالى وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به معطوف على ماقبله بالواو وعطف قوله فردّوا على جاءتهم بفاء التعقيب لا يرجح احد الاحتمالين لانه انما يدل على انه لما جاءتهم الرسل بالبينات ما امهلوا بل عقبوه بالتكذيب والانكار ولا دلالة فيه على تقدم الاشارة على الجواب او تأخرها وأشار الى الاحتمال الثاني بقوله او ردّوها في افواه الانبياء والى الثالث بقوله وقيل الخ

﴿ قوله وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا ﴾ بان مثل الهيئة الحاصلة في دعوة الانبياء اياهم الى التوحيد والايمان باظهار المعجزة والبرهان وردّ هؤلاء ما سمعوا منهم وما رأوا ابلغ الردّ والانكار بالهيئة الحاصلة من مباشرة احد بأن يتكلم بمراده ويتعمد الآخر منه بأن يضع يده على فم صاحبه يقسره على السكوت فاذا لابد ولا نعم هناك ﴿ قوله الايدي بمعنى الايادي ﴾ انما قال بمعنى الايادي لان الايادي هي النعم اي على ان يكون الايدي جمع يد بمعنى النعمة كالايادي وان كان اكثر استعمال الايدي في الجوارح والايادي في النعم قال الشاعر

ساشكر عمرا ان تواصل منيتي ٭ ايادي لم تمنن وان هي جلت

﴿ قوله لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردّوها الى حيث جاءت منه ﴾ اشارة الى ان ردّ الايدي الى الافواه من قبيل التمثيل قطعا على تقدير ان يكون المراد ردّ أيادي الانبياء الى افواههم لامتناع ردّ احكام الانبياء وشرائعهم الى افواههم حقيقة فوجب حمل الكلام على الاستعارة التمثيلية بأن مثل ردّ الكفار مواعظ رسلهم بردّ الكلام الخارج من الفم الى الفم فقيل ردّوا أيديهم اي مواعظهم في افواههم على نحو ما ذكر آنفا ﴿ قوله على زعمكم ﴾ يعني ان المعنى انا كفرنا بما زعمتم ان الله ارسلكم به وانما قال ذلك لانهم لا يقرّون بأنهم ارسلوا ﴿ قوله موقع في الريبة ﴾ على ان يكون مريب من اراني فلان اذا اوقعت في الريبة ورأيت منه ما اكرهه ﴿ قوله او ذي ريبة ﴾ على ان يكون من اراب الرجل بمعنى صار ذا ريبة قيل قولهم وانا لفي شك بعد ما قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به مشكل لان الشك ينافي الجزم بالكفر بقولهم انا كفرنا فاجيب وقد اكدوا كفرهم بانا واجيب بأن الواو ههنا بمعنى او اي احد الامرين لازم وهو الكفر برسالتكم جزما وان لم ندع هذا الجزم واليقين فلا اقل من ان نكون شاكين مرتابين في صحة نبوّتكم وعلى التقديرين فلا سبيل الى الاعتراف بنبوّتكم ويندفع الاشكال بأن يقال تحقق الكفر والجزم به لا ينافي شكهم في نبوّته عليه السلام وفي حقية ما ادعاه من البرهان لان الشاك لا ايمان له فيكون كافرا قطعا كالمنكر فيكون قولهم وانا لفي شك بعد تحقق كفرهم بقولهم انا كفرنا لبيان ان طريق كفرهم هو الشك دون الانكار ﴿ قوله ادخلت همزة الانكار على الظرف ﴾ مع ان الظاهر ان يقال أشك في الله لان تقديم الظرف يوهم الاختصاص فيكون مدلول الكلام انكار تخصيص الشك في الله واثباته في غير الله ولا شك ان اثبات الشك في غير الله ليس بمقصود من الآية وانما المقصود نفي الشك في الله تعالى والعبارة المؤدية لهذا المعنى هي ان يقال اشك في الله فلم قدم الظرف وادخلت همزة الانكار عليه ٭ فحاصل الجواب ان تقديم الظرف ليس للاختصاص بل للاهتمام فان الكلام في المشكوك فيه لا في نفس الشك لان الشك موجود لا محالة فلا وجه لانكاره وانما المنكر ثبوته في الله تعالى فكان

وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردّوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردّوها الى حيث جاءت منه (وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به) على زعمكم (وانا لفي شك مما تدعوننا اليه) من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام (مريب) موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء (قالت رسلهم أفي الله شك) ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه

واشاروا الى ذلك بقولهم (فاطر السموات والارض) وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف (يدعوكم) الى الايمان ببعثه ايانا (ليغفر لكم) او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به (من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج من المظالم (ويؤخركم الى اجل مسمى) الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر اعماركم (قالوا ان انتم الا بشر مثلنا) لافضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل (تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) بهذه الدعوى (فأتونا بسلطان مبين) يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى (وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله) اى ليس لنا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر متعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله (وما لنا ان لا نتوكل على الله) اى اى عذر لنا في ان لا نتوكل عليه (وقد هدانا سبلنا) التي نعرفه بها ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت

الاهم من الشك والمشكوك فيه هو المشكوك فيه فلذلك قدم الظرف واستلزم ذلك دخول الهمزة عليه ﴿قوله وشك مرتفع بالظرف﴾ لاعتماده على حرف الاستفهام ولو جعلكونه مرفوعا بالابتداء وكون الظرف المتقدم خبره لانه يستلزم الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي وهو المبتدأ بخلاف الاول فان الفاصل حينئذ لا يكون اجنبيا لانه فاعل والفاعل كالجزء من رافعه وكون فاطر السموات عطف بيان اقرب من كونه بدلا لان الابدال بالمشتقات قليل ﴿قوله يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة﴾ قدر في الاول المفعول به وهو قوله الى الايمان فيكون المدعو اليه الايمان وقوله ليغفر لكم تعليلا وعلى الثاني اقام المفعول له مقام المفعول به وجعل المغفرة مدعوا اليها لا بأن تكون اللام بمعنى الى بل لان معنى الاختصاص ومعنى الانتهاء كلاهما واقعان في هذا الموقع فكأنه قيل يدعوكم الى المغفرة لاجلها لا لغرض فالمدعو اليه هو المغفرة باعتبار كونها لازمة لكونها غرضا من الدعوة آخرا وحقيقته ان الاغراض غايات مقصودة تفيد معنى الانتهاء وزيادة هي كون المنتهى اليه مطلوبا لذاته اذ ليس كل ما ينتهي اليه الشيء مطلوبا كذلك ﴿قوله الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم﴾ اى لا يعاجلكم بالعذاب بل يؤخركم ويمتعكم في الدنيا الى الاجل المسمى وهو الموت قيل معناه يؤخر الله تعالى موتكم الى الاجل المسمى ان آمنتم والا عاجلكم بعذاب الاستئصال وقال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى يمتعكم في الدنيا باللذات والطيبات الى الموت اى يؤخركم في أمن وراحة الى الموت ان آمنتم والا عوجلتم بالعذاب والمصنف اختار الاول * فان قيل أليس انه تعالى قال اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف قال ههنا يؤخركم الى اجل مسمى * فالجواب والله اعلم لعل المراد بقوله يؤخركم الى اجل مسمى الاجل المسمى على تقدير الايمان والطاعة ويدل عليه ما رواه الواحدي في الوسيط في تفسير سورة الانعام بقوله قال ابن عباس ان الله تعالى قضى لكل نفس اجلين من مولده الى موته ومن موته الى مبعثه فاذا كان الرجل صالحا واصلا لرحمه زاد الله له في اجل الحياة من اجل الممات الى البعث واذا كان غير صالح ولا واصل لرحمه نقصه الله من اجل الحياة وزاد في اجل البعث وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب انتهى ما في الوسيط ولا يلزم منه ان يكون للانسان اجلان كما ذهب اليه المعتزلة لانه تعالى عالم بما يكون منه من الامور التي يزداد بها العمر وينقص فقضى اجل كل شخص على حسب علمه بما يكون منه * قال الامام ابو منصور الماتريدي تعلقت المعتزلة بظاهر قوله تعالى ويؤخركم الى اجل مسمى وقالوا ان لكل انسان اجلين اجل في حال اذا كان فعل كذا واجل في حال آخر اذا كان فعل كذا ولكن ما قالوه فاسد لان جعل الاجلين انما يكون لجهل في العواقب والله تعالى عالم بما كان وبما يكون فلا يحتمل ان يجعل له اجلين وانما جعل اجله بالذي علم انه يكون منه في الوقت الذي جعل والله اعلم ﴿قوله لا فضل لكم علينا﴾ يعني ان الاشخاص الانسانية متساوية في تمام الماهية ولوازمها فيمتنع ان يكون الواحد منهم متميزا عن الباقين بان يكون رسولا من عند الله مطلعا على الغيب مخالطا لزمرة الملائكة ويكون الباقون غافلين عن كل هذه الاحوال وايضا كانوا يقولون ان كنت قد فارقتنا في هذه الاحوال العالية وجب ايضا ان تفارقنا في الاحوال الخسيسة وهي الحاجة الى الاكل والشرب والحدث والوقاع وهذه الشبهة هي المرادة بقولهم ان انتم الا بشر مثلنا فالله تعالى حكى عن الانبياء جوابهم عن هذه الشبهة بأنهم سلموا ان الامر كذلك لكنهم بينوا ان التماثل في البشرية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بمنصب النبوة بناء على ان هذا المنصب يمن الله تعالى به على من يشاء من عباده فان اهل السنة والجماعة تمسكوا بهذه الآية فيما ذهبوا اليه من ان النبوة عطية من الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده ولا يتوقف حصولها على امتياز ذلك الانسان من سائر الناس بمزيد اشراق نفساني وقوة قدسية فانه تعالى بين في هذه الآية ان حصول النبوة ليس الا بمحض المنة من الله والعطية وايضا انهم ذهبوا الى ان لا مؤثر في الوجود الا الله ولا دخل لشيء مما سواه في الوجود وانه تعالى يرجح بعض الجائزات على بعض بمشيئته وقال جماعة من حكماء الاسلام الانسان ما لم يكن في نفسه وبدنه مخصوصا بخواص شريفة قدسية فانه يمتنع عقلا حصول النبوة واجابوا عن قول الاشاعرة بأنهم لم يذكروا فضائلهم النفسانية والبدنية وامتيازهم بها عن سائر الناس تواضعا بل اقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لعلمه باتصافهم بالفضائل

التي لاجلها استوجبوا ذلك التخصيص كما قال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته اى الله يعلم موضع رسالته من الناس يعنى يعلم من يصلح للنبوة ومن لا يصلح فخص بها محمدا واجابوا عن قولهم فأتونا بسلطان مبين بقولهم وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله ثم ان الانبياء لما اجابوا عن شبهات الكفرة بتلك الاجوبة فالظاهر ان الكفرة اخذوا فى السفاهة وتخويف الانبياء ووعيدهم فعند ذلك قالت الانبياء عليهم السلام لانخاف من تخويفكم ولا نلتفت الى تهديدكم بل نتوكل عليه ونعتمد على فضله ونقطع رجاءنا عما سوى الله تعالى الا انهم عمموا الامر بالتوكل حيث قالوا وعلى الله فليتوكل المؤمنون للاشعار بان موجب التوكل هو الايمان وقصدوا بلفظ المؤمنين انفسهم قصدا اوليا بدليل قولهم وما لنا ان لا نتوكل على الله اى فى ان لا نتوكل فحذف الجار واوصل الاستقرار الذى تعلق به قوله لنا الى قوله ان لا نتوكل بعدما علمنا ان الامور كلها بيده فان من فاز بشرف العبودية ووصل الى مقام الاخلاص والمكاشفة والمعارف الربانية يقبح له ان يرجع فى امر من الامور الى غير الحق سواء كان فلكا او ملكا او روحا او جسما ثم انه تعالى لما حكى من الانبياء عليهم السلام انهم اكتفوا فى دفع شرور اعدائهم بالتوكل عليه والاعتماد على حفظه حكى عن الكفار انهم بالغوا فى السفاهة وأقسموا على انهم ليخرجنّ الانبياء واتباعهم من ارضهم او ليعودنّ فى ملتهم وانما قدروا على تفوّه هذه المقالة القبيحة بناء على انّ اهل الباطل فى كل زمان يكونون كثيرا بالنسبة الى اهل الحق وانهم يتعاضدون ويتعاونون فى تمشية اباطيلهم فلهذا السبب قدروا على هذه السفاهة ، ولما ورد أن يقال قولهم او لتعودنّ يوهم أن الانبياء كانوا على ملتهم فى اوّل الامر حتى يصح ان يقال لتعودنّ فى ملتنا اجاب عنه اوّلا بان العود هنا بمعنى الصيرورة واستعمال عاد بمعنى صار كثير فى كلام العرب وثانيا بأن الخطاب وان كان مع الرسل ظاهرا الا ان المقصود بهذا الخطاب كل رسول مع اتباعه واصحابه فغلب اتباع الرسل على انفسهم فى حكم العود فقيل او لتعودنّ اذ الظاهر ان الاتباع كانوا قبل ذلك على دين اولئك الكفار ومع هذا أن من قال او لتعودنّ هم الكفار ولا يجب ان يكونوا صادقين فى كل ما قالوه فلعلهم توهموا كون الانبياء على ملتهم اوّلا بناء على انهم نشأوا فى بلاد الكفر وما اظهروا مخالفة الكفار فلذلك ظن الكفرة انهم كانوا فى اوّل الامر على دينهم فقالوا او لتعودنّ فى ملتنا ولما ذكر الكفار هذه السفاهة قال الله تعالى فأوحى اليهم ربهم بفاء التعقيب الدالة على ان هذا الوحى لم يتأخر عن سفاهتهم ﴿ قوله موقفى ﴾ يعنى ان المقام يحتمل ان يكون اسم مكان الوقوف والمعنى ذلك الامر حق لمن خاف مكان الوقوف بين يدىّ يوم الحساب ونظيره ولمن خاف مقام ربه اى موقفه الذى يقيم فيه المكلفين ويحتمل ان يكون مصدرا مضافا الى فاعله ويحتمل ان يكون مقحما والمعنى لمن خافنى كما يقال سلام على مجلسكم العالى والمراد سلام عليكم وهو بعيد لان اقحام الاسم قليل نادر ﴿ قوله سألوا من الله الفتح على اعدآئهم أو القضاء ﴾ يعنى ان الاستفتاح طلب الفتح والفتح قد يراد به النصرة على العدوّ كما فى قوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقد يراد به الحكم والقضاء كما فى قوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقوله قال رب ان قومى كذبونى فافتح بينى وبينهم فتحا وكلا المعنيين صحيح ههنا والمعنى على الاوّل ان الرسل استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما يئسوا من ايمانهم قال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطمس على اموالهم وقال لوط انصرنى على القوم المفسدين وعلى الثانى ان الامم طلبوا الحكومة والقضاء من الله قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا كما قال كفار قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وكما قال آخرون ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وقيل ان الرسل سألوا الله الحكم بنصرهم واهلاك اعدآئهم فضمير استفتحوا لايخلو اما ان يرجع الى الرسل الكرام او الى الكفار اللئام وقيل يرجع الى الفريقين لان كلا منهما طلب النصر على صاحبه والحكم باهلاك عدوّه ﴿ قوله وهو معطوف على فأوحى ﴾ اختار المصنف كون الضمير راجعا الى الرسل حيث قطع بكون واستفتحوا معطوفا على فأوحى كأنه قيل قال الذين كفروا ما قالوا فاذن للرسل فى الاستنصار فسألوا الله ذلك الفتح والنصرة فنصروا وظفروا بمقصودهم وخاب كل جبار عنيد فالظاهر انه معطوف على قوله قال الذين كفروا رجوعا من مخاطبة الرسل الى طلب الحكومة من الله تعالى فيكون قوله وخاب معطوفا على مقدر وهو فنصروا على قومهم وان كان ضمير استفتحوا للكفرة يكون المعنى ان الكفار استفتحوا على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على

(ولنصبرنّ على ما آذيتمونا) جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من الكفار عليهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودنّ فى ملتنا) حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد (فأوحى اليهم ربهم) اى الى الرسل (لنهلكنّ الظالمين) على اضمار القول او اجرآء الايحاء مجراه لانه نوع منه (ولنسكننكم الارض من بعدهم) اى ارضهم وديارهم كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكنّ وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى كقولك اقسم زيد ليخرجنّ (ذلك) اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين (لمن خاف مقامى) موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام مقحم (وخاف وعيد) اى وعيدى بالعذاب او عذابى الموعود للكفار (واستفتحوا) سألوا من الله الفتح على اعدآئهم او القضاء بينهم وبين اعدآئهم من الفاتحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكنّ (وخاب كل جبار عنيد) اى ففتح لهم فأفلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع

(من ورائه جهنم) اى من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من ورآء حياته وحقيقته ما توارى عنك (ويسقى من ماء) عطف على محذوف تقديره من ورآئه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من (صديد) عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار (يتجرّعه) يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير فى يسقى (ولايكاد يسيغه) ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس (ويأتيه الموت من كل مكان) اى اسبابه من الشدآئد تحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله (وما هو بميت) فيستريح (ومن ورآئه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) اى يستقبل فى كل وقت عذابا اشدّ مما هو فيه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنيهم التى ارسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم واوعدلهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار (مثل الذين كفروا بربهم) مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة اوقوله (اعمالهم كرماد) وهى على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد (اشتدت به الريح) حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح (فى يوم عاصف) العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة (لايقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من اعمالهم (على شئ) لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل (ذلك) اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون (هو الضلال البعيد) فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق (الم تر) خطاب للنبىّ صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين (ان الله خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق السموات

(كفرهم)

الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم وما افلح بسبب استفتاحه بكيد الرسل وكذا ان كان الضمير لمجموع الفريقين يكون قوله وخاب معطوفا على استفتحوا ومن ورائه جهنم جملة فى محل الجرّ على انها صفة لجبار ويجوز ان تكون الصفة من ورائه وحده وجهنم فاعل مرفوع به لاعتماده على الموصوف لما حكم الله تعالى عليه بالخيبة والحرمان ووصفه بكونه جبارا عنيدا وصف كيفية عذابه بامور الاول قوله من ورائه جهنم ولفظ الورآء يستعمل للخلف والقدام قال ابن عباس واكثر المفسرين انه ههنا بمعنى القدام والمعنى ان جهنم أمام ذلك الجبار وهو يردها ويدخلها ﴿قوله فانه مرصد بها﴾ اختلفت النسخ فى هذه الكلمة ففى بعضها مرصد بها بفتح الميم وبالباء فى بها اى فان الجبار موضع الرصد والترقب بسبب جهنم تترقبه ملائكة العذاب ليدخلوه جهنم يقال رصدته ارصده اذا قعدت له على طريقه تترصده فالجبار فى الحقيقة مرصود جعل موضع الرصد اشعارا بشدة ملابسة الراصدية وفى بعضها مرصدها اى معدّلها من قولك ارصدت له العقوبة اذا اعددتها وحقيقته جعلتها على طريقه كالمترقبة وفى بعضها مترصد لها اى موضع الترصد بسببها فهو كما فى النسخة الاولى من حيث المعنى او مترصد مترقب لها واللام لتقوية العامل ثم انه حمل لفظ الورآء هنا على معنى الامام فانه من الاضداد يطلق على القدام والخلف لانه فى الدنيا وجهنم معدّدة له فى الآخرة ومن اطلاقه على الامام قول الشاعر

* عسى الكرب الذى امسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب *

اى يكون امامه فرج ويصح فى تاء امسيت الفتح على خطاب صاحبه المكروب بأن يبشره بالفرج القريب وزوال الحزن ويصح فيه الضم ايضا على نسبته لنفسه وحذف من الفعل المذكور بعد عسى كلمة أن وهو قليل ومنه قوله تعالى وكان ورآءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا اى امامهم ويقال ايضا الموت ورآء كل احد وقال ابن الانبارى ورآء ههنا بمعنى بعد كما فى قول من قال * وليس ورآء الله للمرء مطلب * اى ليس بعد الله فانه لما حكم على كل جبار بالخيبة فى قوله وخاب كل جبار عنيد قال بعده من ورآئه جهنم اى من بعد هذه الخيبة يدخل جهنم ﴿قوله وحقيقته ما توارى عنك﴾ اى سواء كان خلفك اوقدامك اشارة الى وجه اطلاق لفظ الورآء على كل واحد منهما ﴿قوله ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه﴾ يريد ان كاد من افعال المقاربة فقوله لايكاد يسيغه يدل على نفى المقاربة من الاساغة وانتفاء المقاربة من الاساغة يستلزم انتفاء الاساغة قطعا فان قيل كيف يحكم بان الاساغة منتفية البتة مع ان قوله تعالى يتجرّعه يدل على الاساغة شيأ بعد شئ لان التجرّع عبارة عن تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار وايضا قوله تعالى يصهر به ما فى بطونهم يدل على حصول الاساغة لان الصهر لايحصل بدون الاساغة فالجواب ان ما ذكرتم من الدليل انما يدل على وصول بعض ذلك الشراب الى جوف الكفار وذلك لايستلزم حصول الاساغة لانها عبارة عن اجرآء الشراب فى الحلق بسهولة وقيل هى استطابة النفس للمشروب والكافر انما يتجرّع ذلك الشراب بكراهة ولا يسيغه اى لايستطيبه ولا يشربه بسهولة مرّة واحدة ثم انه تعالى بعد ما ذكر أنواع الجبابرة المعاندين ذكر أن اعمالهم بأسرها تصير ضائعة لاينتفعون بشئ منها فقال مثل الذين كفروا بربهم فالمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة تشبيها لها بالمثل السائر فى الغرابة وهو مبتدأ حذف خبره وقوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة بيان لصفتهم كأنه قيل كيف مثلهم وصفتهم الغريبة فقيل كيت وكيت ويجوز ان يكون مثل مبتدأ اوّلا واعمالهم مبتدأ ثانيا وكرماد خبر الثانى والثانى وخبره خبر الاوّل فان قيل كيف يجوز ان تكون هذه الجملة خبرا للمبتدأ الاوّل ولا رابط فيها يربطها بالمبتدأ وليست نفسه حتى يستغنى بها عن رابط قلنا انها ليست نفس المبتدأ لفظا بل هى نفس المبتدأ معنى فان نفس مثلهم هو نفس اعمالهم كرماد فى ان كلا منهما لايفيد شيأ ولا يبقى له اثر فهى كالجملة الواقعة خبرا عن ضمير الشأن والمراد باعمالهم الشبيهة اما المبرات التى عملوها غير مقرونة بالايمان واما مازعموه نافعا من عبادة الاصنام الا الكفار لاينتفعون بشئ منهما اما بالثانى فظاهر واما بالاوّل فلعدم ابتنائه على الاساس ومن الظاهر المعلوم انه اذا صح تشبيه كل واحد من القسمين بالرماد الموصوف صح تشبيه كلا القسمين به ايضا فلا فائدة يعتدّ بها فى الترديد ووجه المشابهة بين هذه الاعمال وبين الرماد الموصوف هو ان الريح العاصف يطير الرماد ويفرّق اجزآءه بحيث لايبقى لذلك الرماد اثر ولا خبر فكذلك

(ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) بعدكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا السموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما توقف عليه تخليقهم ثم كوّنهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدران يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء (وبرزوا لله جميعا) اى يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه (فقال الضعفآء) الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو (للذين استكبروا) لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم (انا كنا لكم تبعا) فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب اومصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف (فهل انتم مغنون عنا) دافعون عنا (من عذاب الله من شئ) من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشئ الذى هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض اى بعض شئ هو بعض عذاب الله والاعراب ماسبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء (قالوا) اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم (لو هدانا الله) للايمان ووفقنا له (لهديناكم) ولكن ضللنا فأضللناكم اى اخترنا لكم مااخترناه لانفسنا ولو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم ولكن سدّ دونا طريق الخلاص (سوآء علينا أجزعنا ام صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر (ما لنا من محيص) منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سوآء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ماروى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سوآء علينا

كفرهم ابطل اعمالهم واحبطها بحيث لم يبق من تلك الاعمال معهم خبر ولا اثر ثم انه تعالى لما مثل اعمالهم بالرماد الموصوف وبين ان الكفر يضيع الاعمال التى كانت فى انفسها خيرات ولا يبقى لهم الا الحسرة والاسف على خيبتهم مما افنوا فيه اعمارهم بين كمال قدرته تعالى واستدل به على قدرته على افناء قوم وايجاد آخرين حثا وتحريضا للمكلفين على الايمان بالله تعالى والرغبة فى طاعته كما اشار اليه بقوله ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يعبد الخ ﴿قوله يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله﴾ لما كان البروز عبارة عن الظهور بعد الاستتار ومن المستحيل ان يستتر شئ من الاشياء عنه تعالى حتى يظهر له بعد الاستتار وجب تأويل قوله تعالى وبرزوا لله وذكر فى التأويل وجهين الاول ان ليس المراد البروز لله بل المراد البروز للخلق بخروجهم من القبور لامر الله وحسابه وحكمه والثانى ان المراد بالاستتار الملحوظ فى ضمن البروز الاستتار فى ظنهم فانهم كانوا يستترون عن العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان مافعلوه فى الخلوات يخفى على الله فيكون انكشافهم لله تعالى يوم القيامة وبروزهم بالنسبة الى ظنهم لما بين الله تعالى مايصيب الكفار يوم القيامة من انواع العذاب وحرمانهم من ثواب مافعلوه من الخيرات وهددهم ببيان قدرته على اهلاكهم وانشاء خلق جديد بدلهم بين مايكون بين رؤساء الكفرة واتباعهم من تمسك الاتباع بالرؤساء قائلين انا اتبعناكم لننتفع باتباعكم عند الشدة وكيفية اعتذار الرؤساء عندهم معترفين بالعجز التام والخزى العظيم وهذا نوع آخر من العذاب اشد من العذاب الجسمانى المذكور قبله ﴿قوله اى بعض الشئ الذى هو عذاب الله﴾ فان قلت كيف طابق هذا التقدير قوله من الاولى للبيان والثانية للتبعيض ومامعنى كون الاولى واقعة موقع الحال والثانية واقعة موقع المفعول وحق من البيانية ان يتقدم عليها مايبينه ولا يتأخر عنها فكيف جعلت الاولى بيانية فالجواب ان ماذكره المصنف توجيه من حيث المعنى فان المعنى هل تغنون عنا من شئ من عذاب الله فمن عذاب الله صفة لشئ وبيان له فلما تقدم عليه انقلب اعرابه من الوصفية الى الحالية لان الصفة لا تتقدم على الموصوف واما معنى البيان فهو باق بحاله لم يتغير وكذا كون من شئ مفعول مغنون باق بحاله فقوله من عذاب الله حال من شئ قدمت عليه لكون ذى الحال نكرة والحال وصاحبها صفة وموصوف فى الحقيقة وذو الحال مفعول والحال بيان له وهذا الاعراب لا يتغير على تقدير كون كل واحدة من كلتى من تبعيضية والفرق بينهما ان المعنى على الاول هل انتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله وعلى هذا التقدير تكون من متعلقة بمحذوف لانها فى الاصل صفة لشئ فلما تقدمت عليه انتصبت على الحال وعلى تقدير كون الاولى مفعولا تكون متعلقة بنفس مغنون ويكون من شئ واقعا موقع مصدر مغنون بمعنى بعض الاغناء وقول الاتباع والعوام لسادة الكبرآء انا كنا لكم تبعا توبيخ وتقريع لهم على استتباعهم لان الكبرآء عرفوا ذلك فلا فائدة لهم فى هذا الاخبار وقولهم فهل انتم مغنون عنا ليس بطريق ان يطلب الاتباع منهم دفع العذاب عنهم وكيف يطلبون منهم ذلك وقد رأوهم فى العذاب ولو قدروا على دفع ذلك عنهم لدفعوه اولا عن انفسهم وانما قالوه على سبيل التبكيت والالزام لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فأجاب الكبرآء عن متابعتهم بأن قالوا انما دعوناكم الى الضلال لان الله اضلنا بسبب اختيارنا مااشتهيه انفسنا ولو هدانا لدعوناكم الى الهدى نسبوا ذنبهم الى الله تعالى واحالوا على مافعل بهم من عدم توفيقهم للاهتدآء وخلق الاهتداء فيهم فكلام الكبرآء على هذا التقرير يكون جوابا لتوبيخ الاتباع بقولهم انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون وعلى قوله أو لو هدانا الله طريق النجاة الخ يكون جوابا عن قولهم فهل انتم مغنون ومعنى الآية على الاول لو وفقنا الله للايمان او هدانا الله للايمان فى دار الدنيا لهديناكم اى بينا لكم طريق الهدى وعلى الثانى لو هدانا الله اليوم الى طريق التخلص من العذاب لهديناكم اليه ثم يقولون لا محيص لنا مما قد وقعنا فيه ولا يخفف عنا العذاب بالصبر ولا بالجزع فكلاهما سوآء علينا وقال مقاتل يقولون ذلك فى النار فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة سنة فلا ينفعهم الخ ﴿قوله مستويان علينا الجزع والصبر﴾ اشارة الى ان قوله أجزعنا ام صبرنا فى محل الرفع على الابتدآء والجملة انما يمتنع الاخبار عنها اذا كانت نسبتها ملحوظة تفصيلا واما اذا اريد بها مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهى كالاسم فى الاضافة والاسناد اليه وقوله سوآء اسم بمعنى الاستوآء نعت به كما نعت بالمصادر والمحيص المنجى بالقصر وهو قد يكون مصدرا كالمغيب والمشيب وقد يكون مكانا كالمبيت والمضيق يقال حاص منه وحاص عنه بمعنى واحد اى هرب منه قصدا

الخلاص ثم انه تعالى لما ذكر المناظرة الواقعة بين رؤساء الكفرة و اتباعهم اردفها بذكر المناظرة الواقعة بين الشيطان و اتباعه فقال وقال الشيطان لما قضى الامر اى فرغ منه وقضى الله بين العباد و استقرّ اهل الجنة فى الجنة و اهل النار فى النار فحينئذ يأخذ اهل النار فى لوم ابليس و تقريعه فيقوم فيما بينهم خطيبا و يقول ما اخبر الله تعالى عنه بقوله وقال الشيطان لما قضى الامر وقيل المراد بقضاء الامر انقضاء المحاسبة و الاوّل اولى لان الفراغ مما يتعلق بامر المحاسبة انما يكون باستقرار كل فريق فيما اعدّله من المقرّ وقيل المراد به انقطاع ما يتعلق بامر المحاسبة بالكلية بانتهاء الاحوال المتغيرة فلا يبقى فى النار الا ما يخلد فيها فان مذهبنا ان عصاة المؤمنين يخرجون من النار و يدخلون الجنة فلا يبعد ان يكون المراد بقوله لما قضى الامر ذلك الوقت لان فى ذلك الوقت تنقطع الاحوال المتغيرة المتعلقة بالحساب و لا تحصل بعده الادوام ما كان على ما كان ﴿ قوله و عدا من حقه ان ينجز ﴾ على ان وعد الحق مصدر وعدكم اضيف الى الحق ليدل على اختصاصه على انه من اضافة المصدر الى مفعوله الذى هو الحق بمعنى الثابت و هو البعث والجزآء و الاصل وعدكم الحق ثم ذكر المصدر لنكتة و هى ههنا تقرر انتفاء تسلطه عليهم و تحقيقه كما فى قول من قال

○ ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم ○ بهن فلول من قراع الكتائب ○

ادعى ان كون سيوفهم ذوات فلول من قبيل العيب لتحقق به برآئتهم من جميع العيوب و كذا لو قيل ما تحية بينهم الا الضرب الوجيع فقد ادعى كون الضرب من انواع التحية للدلالة على ان لا تحية بينهم اصلا فكذلك اللعين ادعى ان التسويل و التزيين من انواع القهر و التسلط ليقرّر ان لا تسلط عليهم اصلا ﴿ قوله اسرعتم اجابتى ﴾ اشارة الى ان استجاب و اجاب و ان كانا بمعنى واحد الا ان استجاب ابلغ كامرّ فى قوله فاستعصم و نهاية مقال اللعين و حاصلها ان مراده فى قوله ما كان منى الا الدعاء و الوسوسة وقد كنتم سمعتم دلائل الله تعالى و شاهدتم مجيئ انبياء الله تعالى فكان الواجب عليكم ان لا تغتروا بقولى و لا تلتفتوا الى دعوتى و وسوستى فلما رجحتم قولى على الدلائل الظاهرة كان اللوم عليكم فى هذا الباب فالسلطان اذا بمعنى الحجة و البرهان اى لم يكن الا مجرّد الدعاء و الوسوسة من غير اقامة حجة و برهان على ما دعوتكم اليه فتركتم اجابتهم و تبعتم ما دعوتكم اليه وقد كان مع الرسل البراهين و استجبتم لى بلا حجة و برهان و يحتمل ان يكون المراد من السلطان الملك و القهر و الغلبة و يكون المعنى ما كان لى عليكم من قهر و غلبة اقهركم و اغلب عليكم الا الدعاء و الوسوسة فاستجبتم لى طوعا و خالفتم حكم الله تعالى و دعوة النبىّ الصادق المصدّق باختياركم فاتركوا لومى و حالى و اشتغلوا بلوم انفسكم و لابدّ فى توضيح هذا المقام من بيان ان مدخل الشيطان فى اى شئ مما يصدر عن الانسان باختياره ليتميز ما يلام عليه الانسان مما يلام عليه الشيطان فاعلم ان ما استند الى الانسان من الترك و الاتيان يتوقف على امور مرتبة يترتب بعضها على بعض ترتبا ضروريا الاوّل الشعور بذات الشئ الذى يتوجه الى ايقاعه او تركه و يترتب عليه تصوّر كونه خيرا ملائما له او شرا منافرا له وكونه غير ملائم و لا منافر و يترتب على تصوّره بأحد الوجوه المذكورة الميل الجازم الداعى الى الفعل او الترك و عدم الميل الى احدهما فانه اذا حصل له الشعور بكونه ملائما له يترتب عليه الميل الجازم الى الفعل و ان حصل له الشعور بكونه منافرا له يترتب عليه الميل الجازم الى الترك و ان لم يحصل الشعور لا بهذا و لا بذاك لم يحصل الميل لا الى الفعل و لا الى الترك بل يبقى كما كان و يترتب على حصول ذلك الميل الجازم مع انضمام القدرة و الاستطاعة اليه وقوع الفعل و هذه الامور المرتبة لا مدخل للشيطان فى شئ منها الا فى ان يذكر شيأ كان الانسان غافلا عنه مثل ان يكون الانسان غافلا عن شأن امرأة و صورتها فيلقى الشيطان حديثها فى خاطره و الشيطان لا قدرة له الا فى هذا المقام و هو عين ما حكى الله تعالى عنه انه قال ما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم اى ما كان لى الا مجرّد هذه الدعوة و اما بقية المواد فلم تصدر منى و ما كان لى فيها اثر فظهر منه ان الشيطان الاصلى هو النفس لانه لولا الميل الحاصل بسبب الشهوة و الغضب و العزم و الخيل لم يكن لوسوسته تأثير البتة ﴿ قوله و احتجت المعتزلة بأمثال ذلك على استقلال العبد بافعاله ﴾ قائلين ان الكفر و المعصية لو كانا من الله تعالى لوجب ان يقول فلا تلوموني و لا انفسكم فان الله تعالى قضى عليكم الكفر و اجبركم عليه و ضعفه ظاهر فظاهر الآية يدل على ان الشيطان لا قدرة له على الفعل مع الانسان و لا على تحريك اعضائه و لا على ازالة العقل عنه كما يقوله القوم ﴿ قوله يغيثكم من العذاب ﴾ اى ينقذكم منه فان الصارخ هو المستغيث و المصرخ المغيث يقال

(وقال الشيطان لما قضى الامر) احكم و فرغ منه و دخل اهل الجنة الجنة و اهل النار النار خطيبا فى الاشقياء من الثقلين (ان الله وعدكم وعد الحق) وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجز و هو الوعد بالبعث و الجزآء (ووعدتكم) وعد الباطل و هو ان لا بعث و لا حساب و ان كانا فالاصنام تشفع لكم (فأخلفتكم) جعل تبين خلاف وعده كالاخلاف منه (و ما كان لى عليكم من سلطان) تسلطا فألجئكم الى الكفر و المعاصى (الا ان دعوتكم) الا دعائى اياكم اليهما بتسويلى و هو ليس من جنس السلطان و لكنه على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع ❊ و يجوز ان يكون الاستثناء منقطعا (فاستجبتم لى) اسرعتم اجابتى (فلا تلوموني) بوسوستى فان من صرّح بالعداوة لا يلام بأمثال ذلك (و لوموا انفسكم) حيث اطعتمونى اذ دعوتكم و لم تطيعوا ربكم لما دعاكم و احتجت المعتزلة بأمثال ذلك على استقلال العبد بافعاله و ليس فيها ما يدل عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما فى فعله و هو الكسب الذى يقوله اصحابنا (ما انا بمصرخكم) بمغيثكم من العذاب

(صرخ)

صرخ فلان اذا استغاث وقال واغوثاه واصرخته اى اغثته ﴿ قوله او على لغة من يزيد ياء الخ ﴾ عطف على قوله على الاصل فى التقاء الساكنين فهو توجيه ثان لقرآءة حمزة بعد توجيهها بان ياء الاعراب ساكنة وياء المتكلم اصلها السكون فلما التقيا كسرت ياء المتكلم لالتقاء الساكنين * وتقرير الوجه الثانى لقرآءة الكسر ان ياء المتكلم تشبه هاء الضمير والجامع بينهما ان كل واحد منهما ضمير على حرف واحد وايضا ياء المتكلم لايخلو من ان تكون فى موضع النصب او الجر كما فى انى وغلامى بالياء فى النصب والجر كالهاء فيهما والكاف فى اكرمتك وهذالك والهاء توصل بالواو اذا كانت مضمومة نحو لهو ضربتهو وبالياء اذا كانت مكسورة نحو غلامهى وتكسر بعد الكسرة والياء الساكنة نحو بهى وعليهى فزاد الياء بعد ياء المتكلم ايضا فيقال مصرخيى كما يقال بهى وفيهى ولم تحذف الياء اكتفاء بالكسرة وتقول بكسر ياء المتكلم بعد الكسرة كما كسرت الهاء بعدها فى نحو به ولذلك قد تلحق الزيادة بعد كاف الخطاب فيقال اعطيتكاه واعطيتكيه فكذا تزاد الياء بعد ياء المتكلم تشبيها لها بالكاف فيما ذكر ثم تحذف الياء كما ذكر وقيل زيادة الياء بعد ياء المتكلم لغة بنى يربوع فيزيدون ياء اجرآء لها مجرى الهاء والكاف بعدها حيث زادوا على الهاء الواو وعلى الكاف الالف والياء نحو ضربتهو واعطيتكاه واعطيتكيه فالاصل فى قرآءة حمزة اثبات ياء بعد الياء المشددة لحذفت الاخيرة اى الزآئدة تخفيفا واكتفاء بالكسرة فبقى مصرخى واستشهدوا على زيادة الياء بعد ياء المتكلم بقول من قال

قال لها هل لك ياتافيى ○ قالت له ما انت بالمرضى

اى هل لك يا هذه فى والاستشهاد فى ياء فيى وقوله يا تا اسم اشارة للمؤنث ﴿ قوله نحو ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا ﴾ يريد ان ما على تقدير ان تكون موصولة يراد بها الله عز وجل وكلمة ما لا تستعمل فى ذوى العلم موصولة الا باعتبار الوصفية فيه وتعظيم شأنه كقولهم سبحان ما سخركن لنا اى سبحان العظيم الشأن الذى سخر امثالكن لنا وارتباط قول اللعين انى كفرت بما اشركتمونى بالمقام على تقدير كونها مصدرية ظاهر لانه لما بان ما يأتيه من الشدآئد تبرأ منهم ومن اشراكهم واما على تقدير كونها موصولة وكون المعنى انى كفرت بالله الذى اشركتمونى به من قبل كفركم فوجه ارتباطه انه تعليل وتأكيد لقوله فلا تلومونى كأنه يقول لا تأثير لوسوستى فى كفركم بدليل انى كفرت بالله قبل ان وقعتم فى الكفر وما كان كفرى بوسوسة أحد والا لزم التسلسل فثبت بهذا ان سبب الكفر شئ آخر سوى الوسوسة وهو ترك العمل بالحجة والبرهان واتباع شهوات النفس وترجيح حظوظها الباطلة ويحتمل ان يكون تعليلا لقوله وما انتم بمصرخى كأنه يقول لا تعتمدوا على اغاثتى لان كفرى قبل كفركم ﴿ قوله وقرئ ادخل ﴾ يعنى ان العامة قرأوا وادخل على لفظ الماضى المبنى للمفعول لعطفه على برزوا او على قوله فقال الضعفاء وقرئ على لفظ المضارع المسند الى المتكلم فقوله باذن ربهم على قرآءة العامة يتعلق بادخل او بقوله خالدين ولا وجه لتعلقه بادخل فى القرآءة الاخرى لان قوله وادخل الذين باذن ربهم لا وجه له لان المتكلم هو الله تعالى ولا معنى لادخال الله تعالى باذن نفسه فالوجه حينئذ ان يتعلق بما بعده فان تحيتهم مصدر مضاف الى مفعوله اى يحييهم الله او الملائكة او الى فاعله اى يحيى بعضهم بعضا واياما كان يجوز ان يتعلق به الجار وفيه بحث وهو ان معمول المصدر لا يتقدم عليه فالاحسن ماروى عن ابن جنى انه قال قوله وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم فقطع الكلام واستئناف كأنه قال الله تعالى وانا ادخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار باذن ربهم اى باذنى الا انه اعاد ذكر الرب على سبيل الالتفات من التكلم الى الغيبة ليضيفه اليهم فانه ارحم عليهم وادخل فى الاكرام والتقرب منه وما قال انه متعلق بخالدين لا يدفع المنافرة لان خلاصة الكلام حينئذ تكون هكذا وانا ادخلهم جنات مقدرا خلودهم باذن ربهم وهذا كلام ركيك لا تندفع ركاكته الا بما روى عن ابن جنى ﴿ قوله كيف اعتمده ﴾ اى جعله عمادا يعتمد عليه افهام المعنى يريد ان ضرب متعد الى واحد لكونه بمعنى اعتمد الازهرى اعتمده واعتمد عليه بمعنى وقيل انه من ضرب البلد اذا قصده والظاهر انه من ضرب الخاتم ونحوه وصرح به فى قوله ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا واراد ان يظهر مقاربته لاصل معنى الضرب بانه اعتماد فاعتمده بمعنى تعمده وقصده مثلا ووضعه ولفظة كلمة على هذا منصوبة بمضمر اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة والجملة تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون انتصابها بالمثل لانه بمعنى الممثل به وفيه ان المثل بمعنى الممثل به والكلمة الطيبة ليست بممثل بها

(وما انتم بمصرخى) بمغيثى وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض فى امثاله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحرى ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجرآء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته واعطيتكاه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة (انى كفرت بما اشركتمونى من قبل) ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتمونى اى انى كفرت اليوم باشراككم اياى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اى كفرت بالذى اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان (ان الظالمين لهم عذاب اليم) تتمة كلامه او ابتدآء كلام من الله تعالى وفى حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم (وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم) باذن الله تعالى وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله (تحيتهم فيها سلام) اى تحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم (الم تر كيف ضرب الله مثلا) كيف اعتمده ووضعه (كلمة طيبة كشجرة طيبة) اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اى هى كشجرة وان يكون اول مفعولى ضرب اجرآء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتدآء (اصلها ثابت) فى الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) واعلاها (فى السمآء)

فانه تعالى لم يضرب الكلمة مثلا بل ضرب لها مثلا فلعل تفسير المثل بالممثل او على حذف مضاف اى ذا مثل وقوله كشجرة حينئذ اما فى محل النصب على انه صفة كلمة او فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ثم اشار الى ان ضرب يحتمل ان يتعدى الى مفعولين لكونه بمعنى صير وجعل عند استعماله مع لفظ المثل ناسقوا ان قرئ كلمة بالرفع يكون مبتدأ خبره كشجرة ﴿ قوله ويجوز ان يريد وفروعها ﴾ عطف على قوله اعلاها يعنى ان الفرع يجوز ان يحمل على اعلى الشجرة او على اغصانها بان يكتفى باسم الجنس عن الجمع * الجوهرى فرع كل شئ اعلاه ﴿ قوله والاول على اصله ﴾ اى كون اصلها مبتدأ وثابت خبره موافق لاصل المعنى وهو اثبات وصف الثبات له وهو الاصل دون الشجرة فان الخبر عنه بالثبات فى الحقيقة انما هو الاصل سوآء جعل الاصل مبتدأ وثابت خبره او جعل ثابت صفة كشجرة ورفع اصلها على انه فاعل ثابت وتوصيف الشجرة بثابت من قبيل توصيف الشئ بحال سببه فيكون اجراء الوصف على غير ما هو له بخلاف ما لو جعل اصلها مبتدأ وثابت خبره فانه توصيف للاصل بحال نفسه واجراء الوصف على ما هو له فيكون الكلام حينئذ جاريا على اصله ولعل الثانى ابلغ لان ثابت اصلها صفة كشجرة والاصل فى الصفة ان تكون اسما مفردا لان الجملة اذا وقعت صفة حكم على موضعها باعراب المفرد فاذا قيل كشجرة طيبة ثابت اصلها فقد جرت الصفة على اصلها واذا قيل اصلها ثابت فقد وضعت الجملة موضع المفرد وهو خلاف الاصل ثم اعلم ان كون الشجرة طيبة يكون بكونها طيبة الصورة والمنظر وبكونها طيبة الرآئحة وبكونها طيبة الثمر والثمرة بان يكون ثمرها كثيفا قويا وثمرها لذيذا مستطابا كثير الخواص والمنافع ولا وجه لتخصيص بعض هذه الوجوه بالارادة ومثل هذه الشجرة اذا كان اصلها راسخا فى الارض وكان فرعها مرتفعا يكون شأنها منافيا لسرعة هلاكها وانقطاع الابتهاج بها فيعظم فرحه وسروره بسبب الفوز بها ثم ان ارتفاع اعلاها واغصانها يدل على كمال تلك الشجرة من وجهين الاول ارتفاع الاغصان وقوتها يدل على ثبات الاصل ورسوخ العروق والثانى انها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الارض وقاذوراتها فتكون ثمراتها حاضرة دآئمة فى جميع الاوقات وتكون فى غاية الشرف والكمال بحيث تعظم رغبة كل عاقل فى تحصيل مثلها فشبه الله تعالى الكلمة الطيبة بهذه الشجرة ترغيبا للمكلفين فى تحصيلها ثم قال ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون فان فى ضرب الامثال زيادة الافهام لان المعانى العقلية المحضة لا يقبلها الحس والخيال والوهم فاذا ذكر ما يماثلها من المحسوسات ترك الحس والخيال المنازعة والمدافعة للعقل فيحصل الفهم التام ثم شبه الكلمة الخبيثة التى لا يعضدها حجة ولا يؤيدها عقل ولا نقل بالشجرة الخبيثة الكثيرة المضار الخالية عن المنافع فاشار الى كثرة مضارها بقوله خبيثة والى خلوها عن المنفعة بقوله اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار والكشوث نبت يتعلق باغصان الشجرة من غير ان يضرب بعرق فى الارض قال الشاعر

هو الكشوث فلا اصل ولا ورق ۞ ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر ۞

والكلمة التى تعرب عن الحق يثبت اصلها ودليل حقيتها فى قلب المؤمن ويرتفع ما يترتب عليها من الاعمال الصالحة الى السماء ويغتنم المؤمن بركاتها وثوابها فى كل وقت وزمان والكلمة الخبيثة تخالفها حينئذ فى جميع ذلك لما مثل الله تعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الموصوفة بين انه تعالى يثبت المؤمن بسببها فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فقال يثبت الله الذين آمنوا والباء فى قوله بالقول الثابت للسببية وهو متعلق بقوله يثبت وكذا قوله فى الحياة الدنيا وفى الآخرة والمقصود بيان ان الثبات على الكلمة الطيبة يوجب الثبات فى الثواب والكرامة من الله فى الدنيا والآخرة روى ان جرجيس كان من الحواريين من اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام علمه الله الاسم الذى يحيى به الموتى وكان بارض الموصل جبار عنيد يعبد الصنم فدعاه جرجيس الى عبادة الله تعالى ونهاه عن عبادة الصنم فامر به فشد رجلاه ويداه ودعا بامشاط من حديد فسرح بها صدره ويديه ثم صب عليه الملح فصبره الله تعالى عليه ثم دعا بمسامير من حديد فسمر بها عينيه واذنيه فصبره الله عليه ثم دعا بحوض من نحاس فاوقد تحته حتى ابيض ثم القى فيه والحق رأسه فجعله الله تعالى له بردا وسلاما وزاده حسنا وجمالا ثم قطع اعضاءه اربا اربا فاحياه الله ودعاهم الى الله واحيى الموتى ولم يؤمن الملك فاهلكه الله تعالى مع قومه بان قلب المدينة عليهم وجعل عاليها سافلها واما شمعون العابد فكان من رهبان النصارى وكان رجلا شجاعا يحارب عبدة الاصنام من اهل الروم ويدعوهم الى الدين الحق وكان يكسر بنفسه جنودا مجندة واحتال عليه ملك الروم بانواع من الحيل ولم يقدر عليه الى ان صرح الى امرأته بمواعيد فسألته فى وقت خلوة عن حاله كيف يغلب عليك فقال ان اشد بشعرى فى غير حال الطهارة فانى حينئذ

ويجوز ان يريد وفروعها اى افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ (تؤتى اكلها) تعطى ثمرها (كل حين) اقته الله تعالى لاثمارها (باذن ربها) بارادة خالقها وتكوينه (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى وادناؤها من الحس (ومثل كلمة خبيثة كشجرة) كمثل شجرة (خبيثة اجتثت) استؤصلت واخذت جثتها بالكلية (من فوق الارض) لان عروقها قريبة منه (ما لها من قرار) استقرار واختلف فى الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالشرك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وشجرة فى الجنة والخبيثة بالحنظل والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم (فى الحياة الدنيا) فلا يزلون اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود

(وفي الآخرة) فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال يوم القيامة روى انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (ويضل الله الظالمين) الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن (ويفعل الله ما يشاء) من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما هم الافجران من قريش بنوا المغيرة وبنوا امية فاما بنوا المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنوا امية فمتعوا الى حين (واحلوا قومهم) الذين شايعوهم في الكفر (دار البوار) دار الهلاك بحملهم على الكفر (جهنم) عطف بيان لها (يصلونها) حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين حرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم (وبئس القرار) اي وبئس المقر جهنم (وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله) الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو وورش عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض (قل تمتعوا) بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله (فان مصيركم الى النار) وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع (قل لعبادي الذين آمنوا) خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف دل عليه جوابه اي قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلاة وانفقوا (يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم) فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله

* محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ما خفت من امر تبالا *

لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لابد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا

لم اقدر على الفتك فاحاطوا به في منامه وشدوه كذلك وألقوه من قصر الملك فهلك واما اصحاب الاخدود فقد روى مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعده يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس الملك فابرأه فسأله الملك من ابرأك فقال ربي فغضب الملك فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده فدعا فهلك من معه ونجا فاجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول باسم رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع السهم في صدغه فمات فآمن الناس فامر باخاديد اوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت

﴿قوله فلا يتلعثمون﴾ اي لا يتمكثون يقال تلعثم الرجل في كلامه اذا تمكث فيه وتأنى ﴿قوله اي شكر نعمته﴾ قدر المضاف لان الكفر المذكور بجنب النعمة يراد به الكفران ومقابله الشكر واعلم ان بدل تعدى الى مفعولين الى اولهما بنفسه والى ثانيهما بواسطة الباء وان المجرور بالباء هو المتروك والمنصوب هو الحاصل المختار وقد يحذف حرف الجر فيتعدى الفعل اليهما بنفسه كما في هذا المقام والمجرور بالباء ههنا هو النعمة لانها هي المتروكة والذي تعدى الفعل اليه بنفسه هو الكفران فهو المفعول الاول ﴿قوله واحلوا قومهم وقوله وجعلوا لله اندادا﴾ معطوفان على الصلة وهي قوله بدلوا نعمة الله وصفهم اولا بايثار كفران نعم الله تعالى على شكرها وثانيا بانهم اضلوا قومهم وحملوهم على الكفر الذي اداهم الى جهنم وثالثا بانهم جعلوا لله المستجمع لجميع صفات الكمال اشباها وشركاء والمراد من هذا الجعل الحكم والاعتقاد والقول واللام في ليضلوا سواء قرئ بفتح الياء او ضمها لام العاقبة لان كل واحد من الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد وغايته ﴿قوله وفي التهديد بصيغة الامر﴾ لما كانت صيغة الامر موضوعة لطلب الفعل ولو على طريق الندب والاباحة وكان التمتع بالشهوات غير مطلوب وجدا فضلا عن ان يكون وسيلة الى مطلوب آخر وهو كون المصير الى النار جعل المصنف صيغة الامر للتهديد كقول الطبيب للمريض الذي خالف امره بترك الاجتناب عما يضره بعد ما امره الطبيب به مرات كل ما شئت فان مصير امرك الى الموت يريد به التهديد ليرتدع المريض عما هو عليه ويقبل قول الطبيب فكذلك الله تعالى ترك الكفار وخلاهم وانفسهم فالا تمتعوا والمقصود ردعهم عن تلك الحالة ثم بين ان فائدة تخصيص صيغة الامر لتأدية معنى التهديد امران الاول ان ترتب المهدد عليه على المهدد به ايذان باستعارة تمثيلية شبه حال المخاطب في انهماكه في التمتع المؤدي الى النار بحال من امر بالتمتع من قبل الآمر المطاع الذي ليس في وسع المخاطب مخالفته فاطلق في حقه العبارة الواقعة في حق المشبه به فقيل في تهديده تمتعوا والثانية ايذان بان كل واحد من المهدد عليه وبه واقع لا محالة بحيث يترتب الثاني على الاول ﴿قوله ويجوز ان يقدر بلام الامر﴾ عطف على قوله ومقول قل محذوف اي ويجوز ان لا يكون مقوله محذوفا بان يحتمل ان يكون يقيموا وينفقوا مجزومين بلام الامر المقدرة ويكون التقدير ليقيموا ولينفقوا ليصح كونهما مقول القول كما تقول قل لزيد يضرب عمرا فانه قد يحذف الجازم ويبقى عمله ولما ورد ان يقال كيف يجوز حذف لام الامر مع ان اهل اللغة وضعوا لامر المخاطب صيغة مخصوصة وعينوا لام الامر للدلالة على ان المأمور ليس بمخاطب فلا يجوز ان يقال يضرب زيد ويراد امر زيد بالضرب لان المعاني انما تستفاد من الالفاظ الموضوعة للدلالة عليها وعند حذف الدليل كيف ينتقل الذهن الى المدلول * اجاب عنه بقوله وانما حسن ذلك اي انما حسن حذف لام الامر في هذه الآية مع انه لا يحسن حذفها في نحو قول الشاعر

* محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ما خفت من امر تبالا *

لدلالة قل عليه اي على ان المراد امر الغائب يعني حسن حذف لام الامر هنا لقيام ما يقوم مقامها في الدلالة على ان المراد امر غير المخاطب وهو قوله قل فانه امر لمبلغ الحاضر فهو يدل على ان المأمور بقوله يقيموا وينفقوا غير المخاطب فيكون قائما مقام اللام في الايذان بان الامر لغير المخاطب فحسن حذف لام الامر فيه وفي قوله ويجوز اشارة الى ضعفه لان حذف الجازم وابقاء عمله نادر كحذف الجار فالمختار هو الوجه الاول وهو ان يكون يقيموا وينفقوا مجزومين على انهما جواب قوله قل ويدلان على مقوله المحذوف والمعنى قل لهم اقيموا الصلاة وانفقوا

ذلك ان تقل لهم ذلك يقيموا الصلاة وينفقوا لفرط مطاوعتهم اياك وضعف وجه ان يكونا مجزومين على انهما
جواب اقيموا وانفقوا المحذوفين والتقدير اقيموا وانفقوا يقيموا وينفقوا ووجه ضعفه امران الاول ان جواب الشرط
لا بد ان يخالف نفس الشرط اما فى الفعل او فى الفاعل او فيهما ولا يجوز كونه مثل الشرط فى الفعل
والفاعل كقولك قم تقم والتقدير على هذا الوجه ان يقيموا وان ينفقوا ولا وجه له والامر الثانى انهما على تقدير
كونهما جواب القول المقدر يكون من قبيل اسلم يسلم فان يجاب امر المخاطب بلفظ الغيبة وهو انما يجوز اذا كان
فاعل الشرط غير فاعل الجزاء واما اذا اتحدا كما فى قولك اسلم تسلم او كان محكيا به كما فى مانحن فيه فحينئذ يجوز
ان يجاب بلفظ الغيبة كما تقول قل لعبدى اطعنى يطعك ﴿ قوله اى انفاق سر وعلانية ﴾ على الاضافة البيانية
فان كل واحد من السر والعلانية لما كان نوعا من الانفاق جاز وقوعه موقع الانفاق ﴿ قوله اى ذوى سر ﴾
وهو احد التأويلات الثلاثة المذكورة فى رجل عدل ويجوز فيه التأويلان الآخران ايضا وهما ان يجعلوا نفس السر
والعلانية مبالغة وان يقام سرا وعلانية مقام مسرين ومعلنين ﴿ قوله فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره ﴾
اشارة الى ان فائدة تقييد الانفاق مقبولة من قبل ان يأتى يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق
لانه لا بيع فيه حتى يبتاع ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامح اخلاؤكم به اى بما تنفقونه وقوله او يفدى به
نفسه عطف على قوله يتدارك به اى ليس فيه بيع حتى يبتاع ما يعطيه فدآء لنفسه فيخلصها من العذاب وليس فيه
مخالة ومصافاة حتى يشفع خليل لخليله فينجيه من العذاب ﴿ قوله او من قبل ان يأتى يوم لا انتفاع فيه
بمبايعة ولا مخالة ﴾ لما كان اهل الدنيا ينتفعون بالانفاق الواقع فى عقد المعاوضات بان يعطوا شيأ من المال
ليأخذوا ما يرغبون فيه عوضا عنه وفى عقد التبرعات الواقعة بين الاصدقاء على طريق المهاداة بان يعطوا شيأ على
وجه الهدية ليستخيروا بذلك ما هو خير منه فى حب الله تعالى اى الانفاق الواقع لوجه الله تعالى بان يشارك
فى المنفعة التى تترتب على هذا الانفاق الواقع فى عقد المعاوضة والمهاداة فالمنفى بقوله تعالى لا بيع فيه ولا خلال
هو ذاتهما ومنفعتهما المترتبة عليهما فعلى هذا المقصود من الآية الحث على الانفاق الواقع فى عقد المبايعة
ومهاداة الاخلاء ونفى الانتفاع فى ذلك اليوم بهما كناية عن الانتفاع بمقابلهما وحصول المعنى على الوجه الاول
ان الانفاق امر مطلوب فى نفسه فليفعلوه قبل ان يفوت وقت هذا المطلوب ولا يدركه الطالب وعلى الثانى
ان الانفاق الذى تصور منكم فى الدنيا يكون على ثلاثة اوجه لا تنتفعون بشئ منها فى الآخرة الا ان يكون على الوجه
الثالث والخلال الخالة وهى المصاحبة والمصادقة يقال خاللته خلالا ومخالة وقيل الخلال جمع خلة كبرمة وبرام
فان قيل كيف نفى الخلة فى هذه الآية مع انه تعالى اثبتها فى قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
فالجواب ان الآية الدالة على نفى الخلة محمولة على الخلة بمثل ميل الطبيعة ورغبة النفس والآية الدالة على
حصول الخلة محمولة على الخلة بسبب عبودية الله ومحبة الله ثم انه تعالى لما ذكر احوال السعدآء واحوال الاشقياء
وكانت معرفة احوالهما منوطة بمعرفة الصانع بذاته وصفاته ختم وصف احوالهما بذكر الدلائل الدالة على
وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وذكر ههنا عشرة انواع من الدلائل وهى خلق السموات وخلق الارض واخراج
الثمرات بسبب انزال الماء من السماء وتسخير الفلك تجرى فى البحر وتسخير الانهار وتسخير الشمس وتسخير القمر وتسخير
الليل وتسخير النهار واعطاء البعض من جميع ما يطلبه فانه كما يدل بهذه الدلائل الدالة على سلطانه وقدرته حيث سخر
هذه الاشياء مع شدتها وصلابتها وعظمها واهوالها وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض ذكرنا ايضا نعمه التى
انعمها علينا اذ تسخير هذه الاشياء منادى بذلك ﴿ قوله وانزل من السماء ماء ﴾ فيه قولان الاول ان الماء ينزل
من السحاب وسمى السحاب سماء للاشتقاق من السمو والارتفاع والثانى انه ينزل من نفس السماء وهو بعيد لان الانسان
ربما يكون واقفا على جبل عال ويرى الغيم اسفل منه فاذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم ماطرا عليه واذا كان
هذا مما يشاهد بالبصر كان النزاع فيه انكارا للمحسوس ولفظ الثمرات يطلق فى الاغلب على ما يحصل من الاشجار
ويطلق ايضا على الزروع والنباتات ﴿ قوله تعيشون به ﴾ اشارة الى ان الاضافة الى الله فى انتفاع التعيش
معتبرة فى مفهوم الرزق فان الرزق عند الاشاعرة اسم لما يسوقه الله تعالى الى الحيوان لينتفع به سوآء كان بالتغذى
او بغيره مباحا كان او حراما مملوكا كان او غير مملوك وهذا التفسير اجل من تفسيره بما يسوقه الله الى الحيوان
ليأكله لاختصاصه بالمأكول ومن تفسيره بما يتغذى به الحيوان لذلك ولخلوه عن معنى الاضافة الى الله مع انه معتبر

(فى مفهوم)

(سرا وعلانية) منصوبان على المصدر
اى انفاق سر وعلانية او على الحال اى ذوى
سر وعلانية او على الظرف اى وقتى سر
وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء
المتطوع به (من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه)
فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدى
به نفسه (ولا خلال) ولا مخالة فيشفع لك
خليل او من قبل ان يأتى يوم لا انتفاع فيه
بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق
لوجه الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو
ويعقوب بالفتح فيهما على النفى العام
(الله الذى خلق السموات والارض)
مبتدأ وخبر (وانزل من السماء ماء فاخرج به
من الثمرات رزقا لكم) تعيشون به وهو يشمل
المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات
بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز
ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر
لان اخرج فى معنى رزق (وسخر لكم الفلك
لتجرى فى البحر بامره) بمشيئته الى حيث
توجهتم

فى مفهوم الرزق وعند المعتزلة الحرام ليس برزق لانهم فسروه تارة بما كول يأكله المالك وتارة بما لايمنع من الانتفاع به وذلك لايكون الاحلالا ويلزم على التفسير الاول ان لايكون مايأكله الدواب رزقا وعلى التفسيرين يلزم ان من اكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله تعالى اصلا ﴿ قوله فجعلها معدة لانتفاعكم ﴾ يعنى ان الاصل فى التسخير تذليل الحيوان بجعله منقادا لما اريد منه وهو فى غير الحيوان مجاز من جعله معدا لان ينتفع به من يريد الانتفاع به فيصير بذلك كأنه حيوان مسخر للانتفاع ﴿ قوله دائبان ﴾ اى يدأبان ويستمران ويجريان ابدا فيما يسند اليهما من الافعال يقال دأب فلان فى عمله دؤوبا اى جد وتعب ﴿ قوله ان المسئول فى الاول ازالة الخوف عنه ﴾ لاجعله بلدا آمنا لان هذا فى قوله هذا البلد آمنا اشارة الى البلد والمشار اليه لابد ان يكون موجودا فى وقت الاشارة وهو وقت الدعاء فتكون البلدية موجودة وقت الدعاء فلا تكون داخلة تحت الطلب وانما المطلوب صفة الامن وانما لاتكون مادة البلد داخلة تحت الطلب لانه طلب تحصيل الحاصل واذا قلت اجعل هذا بلدا آمنا لايكون المشار اليه بهذا البلد بل يكون المشار اليه موضعا معينا والمعنى اجعل هذا الموضع بلدا آمنا وطلب جعله من الآمنة لايستلزم ان يكون فى وقت الدعاء بلدا بل يجوز ان لايكون بلدا ويكون المسئول ان يجعله بلدا موصوفا بالامن ويجوز ان يكون بلدا والمسئول مجرد صفة الامن كما يقال كن رجلا فقيها فانه يكون المطلوب مجرد الاتصاف بالفقاهة وذكر رجل لتصريح بالذات التى يجرى عليها الاسم المشتق وهو الفقيه ثم ان كان الدعاء واحدا وعبر عنه بعبارتين مختلفتين فلابد ان يحمل ما فى سورة البقرة على ما فى هذه السورة ويجعل المطلوب صفة الامن فقط وان تعدد الدعاء يجوز ان يكون اجعل هذا بلدا آمنا فى وقت عدم تحقق البلدية ويكون المطلوب البلدية مع صفة الامن فقط قال صاحب الكشف فى تحقيق المقام انه اذا قلت اجعل هذا خاتما حسنا فقد اشرت الى المادة وسألت ان يسبك منها خاتما حسنا واذا قلت اجعل هذا الخاتم حسنا فقد عمدت نحو الحسن دون الخاتمية وذلك لان محط الفائدة هو المفعول الثانى الكائن بمنزلة الخبر ثم قال وفيه ان المصنف قدر فى البقرة هذا البلد بلدا آمنا فلا يلوح فرق والجواب ان المسئول البلدية مع الامن فقوله فى التقدير هذا البلد اشارة الى الحاضر فى الذهن لا الى الكائن فى الخارج بخلاف مانحن فيه ﴿ قوله وقرئ واجنبنى ﴾ بقطع الهمزة يقال جنبه شرا واجنبه شرا ثلاثيا ورباعيا وهى لغة نجد وجنبه شرا مشددا وهى لغة الحجاز ﴿ قوله وهو بظاهره لايتناول احفاده ﴾ اى اولاد اولاده جمع حافد وهو ولد الولد يعنى ان قوله وبنى اراد به بنيه من صلبه لان الظاهر من الآية انه عليه الصلاة والسلام اراد بنيه من غير واسطة ولو صلح ذلك دليل الاجابة حتى يستدل بقوله واجنبنى وبنى على ان احدا من احفاده لم يعبد الصنم مع ان قوله تعالى لاينال عهدى الظالمين يدل على ان فيهم من هو كذلك وايضا قد حكى الله تعالى عن قريش عبادتهم الاصنام فى مواضع من القرآن ولا يقبل التعليل فى مقابلة النص لان حفدته لو دخلوا فى دعائه عليه الصلاة والسلام لما اشرك احد منهم مع ان كفار قريش كانوا من حفدته ثم انهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على انه تعالى لايرد دعاء الانبياء قال الامام فى هذه الآية اشكال من وجوه احدها ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام دعا ربه ان يجعل مكة بلدا آمنا وماقبل الله دعاءه لان جماعة خربوا الكعبة واغاروا على مكة وثانيها ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لايعبدون الوثن البتة واذا كان كذلك فالفائدة فى واجنبنى عن عبادة الاصنام وثالثها انه طلب من الله تعالى ان لايجعل ابناءه من عبدة الاصنام والله تعالى لم يقبل دعاءه لان كفار قريش كانوا من اولاده ثم انهم كانوا يعبدون الاصنام فان قيل انهم ماكانوا ابناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانما كانوا ابناء ابنائه والدعاء مخصوص بالابناء فنقول ان كان المراد بقوله وبنى ابناءه من صلبه فهم اسماعيل واسحق وماكانا الامن اكابر الانبياء وقد علم ان الانبياء لايعبدون الصنم فقد عاد الاشكال فى انه ماالفائدة فى ذلك الدعاء ثم اجاب عن السؤال الاول من وجهين الاول انه نقل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت ذكر هذا الدعاء والثانى هو ان المراد جعل اهلها آمنين كقوله واسأل القرية اى اهلها وهذا الوجه عليه اكثر المفسرين فان مكة قد اختصت بمزيد الامن الاترى ان الخائف وصاحب الجريمة كان اذا التجأ الى مكة امن وكان الناس مع شدة العداوة بينهم يتلاقون بمكة فلا يخاف بعضهم بعضا ومن ذلك امن الوحوش فانهن لاينفرن اذا كن بمكة ويستوحشن على الناس خارج مكة فهذا النوع من الامن حاصل فى مكة فوجب حمل الدعاء عليه والجواب عن السؤال الثانى قال الزجاج معناه ثبتنى على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك اى ثبتنا على الاسلام ثم قال ولقائل ان

(وسخر لكم الانهار) فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) يدأبان فى سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم (وآتاكم من كل ما سألتموه) اى بعض جميع ما سألتموه يعنى من كل شئ سألتموه شيأ فان الموجود من كل صنف بعض ما فى قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اى وآتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية فى موضع الحال اى وآتاكم من كل شئ غير سائليه (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) لاتحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة (ان الانسان لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان (كفار) شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) بلد مكة (آمنا) ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول فى الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفى الثانى جعله من البلاد الآمنة (واجنبنى وبنى) بعدنى واياهم (ان نعبد الاصنام) واجعلنا منها فى جانب وقرئ واجنبنى وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبنى شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لايتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسماعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث مانصبنا حجرا فهو بمنزلته

يقول السؤال باق لانه لما كان من المعلوم انه تعالى ثبت الانبياء عليهم الصلاة والسلام على الاجتناب عن عبادة الاصنام فما الفائدة فى هذا السؤال ثم قال والصحيح عندى فى الجواب وجهان الاول انه عليه الصلاة والسلام وان كان يعلم انه تعالى عصمه من عبادة الاصنام الا انه ذكر ذلك هضما للنفس واظهارا للحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى فى كل المطالب والثانى ان الصوفية يقولون الشرك نوعان شرك جلى وهو ما عليه المشركون وشرك خفى وهو تعلق القلب بالوسائط والاسباب الظاهرة والتوحيد المحض هو ان ينقطع العبد نظره عن الوسائط ولا يرى متوسطا بينه تعالى وبين الممكنات الحادثة فيحتمل ان يكون مراده بقوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام هذا الشرك الخفى والله اعلم بمراده والجواب عن السؤال الثالث من وجوه الاول ما قال صاحب الكشاف من ان قوله وبنى اراد به بنيه من صلبه والفائدة فى هذا الدعاء عين الفائدة التى ذكرناها فى قوله واجنبنى والثانى ان بنيه يتناول اولاده واولاد اولاده الذين كانوا موجودين فى حال الدعاء ولا شك ان دعوته مجابة فيهم والثالث ما قاله مجاهد من انه لم يعبد احد من ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام صنما انما عبدوا الوثن فان الصنم هو التمثال المصور وما ليس بمصور فهو وثن وكفار قريش ما عبدوا التماثيل وانما كانوا يعبدون احجارا مخصوصة واشجارا مخصوصة وهذا الجواب ليس بقوى لانه عليه الصلاة والسلام لا يريد بهذا الدعاء الا تجنب عبادة غير الله والحجر كالصنم فى ذلك والرابع ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من اولاده والدليل عليه انه قال فى آخر الآية فمن تبعنى فانه منى وذلك يدل على ان من لم يتبعه على دينه فانه ليس منه ولا من اولاده والخامس انه عليه الصلاة والسلام وان دعا فى حق ابنائه الصلبية وحفدته الا انه تعالى اجاب دعاءه فى حق البعض دون البعض وذلك لا يوجب تحقير الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونظيره قوله تعالى فى حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين الى هنا كلام الامام ﴿قوله فانه منى اى بعضى﴾ لا يريد ان من فى قوله منى تبعيضية وان صرح بلفظ البعض بل يريد انها اتصالية كما فى قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ولهذا فسر معنى البعضية بقوله لا ينفك عنى فى امر الدين اى فكان بذلك كانه بعض منى ﴿قوله وفيه دليل على ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره﴾ لان هذا الكلام من ابراهيم عليه الصلاة والسلام شفاعة منه فى حق اهل العصيان مطلقا بان يغفر لهم ويرحمهم باى وجه كان ولا شك ان مطلق المعصية يتناول الشرك وما دونه فلو كان مغفرة الشرك مما يستحيل عليه تعالى لما وقعت هذه الشفاعة منه عليه الصلاة والسلام كانه يقول فانك تقدر على ان تغفر او ترحم المشرك مع عظم جرمه فضلا عن سائر العصاة فاسألك ان تغفر وترحم من لا تكون مغفرتهم ورحمتهم مخالفة لحكمتك وفى الوسيط قال قوله عليه الصلاة والسلام ومن عصانى فانك غفور رحيم معناه ومن عصانى ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وقال ابن الانبارى ويحتمل ان هذا كان قبل ان يعلمه الله انه لا يغفر الشرك كما استغفر لابيه وقال الامام هذا القول من ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى حق اهل الكبائر ممن آمن منهم لا فى اسقاط عقاب الكفر والشرك لانه عليه الصلاة والسلام قال فى مقدمة هذه الآية واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام ولما تبرأ من الكفر بهذا الاجمال دل على انه لا تجوز الشفاعة فى اسقاط عقاب الكفر ودل ذلك على انه ليس مراده الشفاعة فى حق المشركين ﴿قوله الذى حرمت التعرض له﴾ ذكر لتوصيف البيت بالمحرم ثلاثة اوجه مبنى الوجه الاول على كون المحرم من التحريم الذى هو ضد التحليل ووصف البيت بكونه محرما مبالغة فى توصيفه بحرمة اهانته والتعرض له بسوء ومبنى الوجه الآخر ليس على كونه من التحريم بالمعنى المذكور وانما هو بمعنى المنع كما فى قوله وحرمنا عليه المراضع فانه ليس بمعنى لا يحل له المراضع بل هو بمعنى المنع اى منعناها عنه لنرده الى امه فكذا قوله عند بيتك المحرم اى الممنوع عن الخلق حتى لم يقدر احد من الفراعنة والملوك على الغلبة عليه او الممنوع منه الطوفان ﴿قوله ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم﴾ جواب عما يقال اسكان الخليل اسمعيل بمكة قبل بناء الكعبة فكيف يصح له عليه الصلاة والسلام ان يقول اسكنت بواد عند بيتك المحرم واجاب عنه بان مراده عند بيتك الذى سيحدث فى هذا الوادى فقوله غير ذى زرع توصيف للوادى باعتبار ما كان عليه وقت قدومه وقوله عند بيتك توصيف له باعتبار ما سيحدث فيه وهذا التقرير مبنى على ما وجدت فى نسخة مطالعتى وهو باعتبار ما كان وما سيئول بالوادى دون اليه ثم ظهر فى نسخة اخرى فيكون قوله اول ما قدم معناه اما على ما كان قبل الطوفان واما على ما سيحدث بنائه وعلى هذا الجواب يجوز ان يكون دعاؤه هذا بعد بنائهما البيت حال كبر اسمعيل عليهما الصلاة والسلام كما ذكر الامام فى جواب

(السؤال)

(رب انهن اضللن كثيرا من الناس) فلذلك سالت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحياة الدنيا (فمن تبعنى) على دينى (فانه منى) اى بعضى لا ينفك عنى فى امر الدين (ومن عصانى فانك غفور رحيم) تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره (ربنا انى اسكنت من ذريتى) اى بعض ذريتى او ذرية من ذريتى فحذف المفعول وهو اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم (بواد غير ذى زرع) يعنى وادى مكة فانها حجرية لا تنبت (عند بيتك المحرم) الذى حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقا اى اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيئول اليه روى ان هاجر كانت لسارة رضى الله عنها فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل عليه السلام فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثم طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا فى مائك نشركك فى ألباننا ففعلت

السؤال الاوّل من انه نقل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت ذكر هذا الدعاء وفي التيسير قيل ان هذا الدعاء كان بعد بنائه وقيل كان قبل بنائه لكن كان الله تعالى ابان له موضع البيت فصحت اشارته اليه ﴿قوله ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة﴾ البلقع الارض القفراء التي لاشئ بها والقفراء مفازة لانبات بها ولاماء والارتفاق الانتفاع والحصر المدلول عليه من الاستثناء بعد النفي مستفاد من تقدير محذوف مؤخر يتعلق به هذا المذكور اي ليقيموا من اسكنتهم هذا المكان البلقع اخبر اوّلا بانه اسكنهم بواد قفر وادمج فيه حاجتهم الى الوافدين واشار بقوله عند بيتك المحرّم الى انه وجد الايثار انما هو شرف الجوار ثم اخبر ثانيا بانه انما آثر ذلك الموضع ليعمروا احرمك الحرم باقامة الصلاة المعرفة وما اشتمل عليه من الاذكار والدعوات او باداء العبادات والقربات مطلقا وتخصيص الصلاة بالذكر من قبيل الاكتفاء بذكر معظم افراد الحقيقة النوعية عن ذكر الكل ودل على اسكانهم في الوادي المذكور لهذا الغرض الدعاء بقوله فاجعل افئدة من الناس ويدل على ان ليقيموا غير متعلق باسكنت المذكور تخلل ربنا ثانيا بين الفعل ومتعلقه وهذا ابين الا ان قول المصنف وتكرير النداء وتوسيطه صريح في انه متعلق بالمذكور فلا يكون الكلام حينئذ مشتملا على شئ من طرق الحصر فلا يستفاد الحصر حينئذ الامن اسلوب الكلام وسياقه فانه عليه الصلاة والسلام نفى اوّلا ان يكون اسكانهم في ذلك الوادي لاجل التوسع في اسباب المعيشة حيث وصف موضع الاسكان بكونه غير ذي زرع ثم لما وصفه بكونه عند بيت الله الحرام دل ذلك على انه انما آثر ذلك الموضع بالاسكان للانقطاع لعبادة الله تعالى والتبتل اليه والتبرك بشرف جوار بيته ثم انه لما كرر ذكر قوله ربنا اشعر ذلك بانه كمال الاهتمام بشأن المطلوب المدعوّ له وبجملة هذه الامور ولما علل اسكانه في الوادي المذكور بقوله ليقيموا دل ذلك على ان المقصود من الاسكان فيه ليس الا التقرّب الى الله تعالى بالاشتغال بالصلاة التي هي عماد الدين ﴿قوله او للابتداء كقولك القلب مني سقيم﴾ اي القلب الكائن مني وافئدة كائنة من الناس والمصنف نكر لفظ الناس حيث قال اي افئدة ناس مع انه في الآية معرف باللام لان الافئدة في الآية وقعت منكرة ولما اراد تصوير كون القلوب مبتدأة من الناس اضاف الافئدة اليهم ونكر الناس ليحفظ معنى تنكير افئدة في الآية فان تنكير المضاف اليه يفيد ما يستفاد من تنكير المضاف في مقام الاثبات من البعضية وعدم الاستغراق والعموم وناس اسم جمع بمعنى افئدة ناس اي بما يطلق عليه لفظ ناس وهو معنى قوله افئدة من الناس وان كان لفظ الناس المعرف باللام في هذا التعبير محمولا على العموم ﴿قوله وقرأ هشام افئيدة﴾ قيل حصلت الياء باشباع كسرة الهمزة ورد بان الاشباع انما يرتكب لاجل ضرورة الشعر فكيف يحمل عليه افصح الكلام مع ان هشاما انما قرأ بتسهيل الهمزة بين بين وظن زيادة ياء بعد الهمزة ليس بشئ لان الرواة اجل من ان يسند اليهم مثل هذا وقرئ آفدة على وزن عابدة اما على تقديم الهمزة على الفاء او على ان يكون اسم فاعل من افد الرجل بالكسر يأفد افدا اي عجل فهو آفد على فاعل اي مستعجل وافد الرحيل اي دنا وازدلف فقوله آفدة على هذا صفة محذوف اي فاجعل جماعة آفدة يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ افدة على ان اصلها افئدة طرحت الهمزة للتخفيف فصار افدة وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين وقيل فيه نظر لان الهمزة المتحركة الساكن ما قبلها حيث كان حرفا صحيحا انما يكون تخفيفها بنقل حركة الهمزة الى ما قبلها وحذفها كما في مسلة وخب في مسئلة وخبء ولا يجوز جعلها بين بين لانه شبه ساكن واجتماع ساكن وشبه ساكن كاجتماع ساكنين ﴿قوله ويجوز ان يكون من افد﴾ اي من افد يأفد افدا فهو افد على وزن فعل كرفرح فالمعنى فاجعل جماعة افدة يعجلون نحوهم ﴿قوله تعالى تهوى اليهم﴾ مفعول ثان لجعل وقرأ العامة بكسر الواو من هوى بفتح الواو يهوى بالكسر هويا اي سقط من اعلى الى اسفل والمعنى ههنا تسرع اليهم وقيل تحن اليهم وقيل تنزع اليهم وقرئ تهوى بفتح الواو من هوى بكسر الواو يهوى بفتحها هوى اي احب وهو يتعدى بنفسه وعدي بالى لتضمينه معنى الميل وقرئ تهوى بضم التاء وفتح الواو على بناء المفعول من اهوى المنقول من هوى اللازم اي يسرع بها اليهم ﴿قوله وقيل ماتخفي من وجد الفرقة﴾ اي من اسماعيل وامه وهو عطف على قوله تعلم سرّنا وعلانيتنا جعل تخفي ونعلن اوّلا عطفا من قبيل يعطي ويمنع تجيما لحسن الطلب ثم قدر لكل منهما معنى على حدة ﴿قوله تعالى الحمد لله الذي وهب لي على الكبر الآية﴾ قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام في وقت آخر لاعقيب ماتقدم من الدعاء لان الظاهر انه عليه الصلاة والسلام دعا بذلك اوّل ما قدم بهاجر وابنها وهي ترضعه

(ربنا ليقيموا الصلاة) اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرّم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقام الصلاة كانه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها (فاجعل افئدة من الناس) اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرأ هشام افئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر في ادؤر وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد (تهوى اليهم) تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا لانبات فيه (لعلهم يشكرون) تلك النعمة فاجاب الله عز وجل دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) تعلم سرّنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرّع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرّع والالتجاء الى الله تعالى (وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء) لان العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) اي وهب لي وانا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية (اسماعيل واسحق) روي انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة

ووضعها عند البيت واحق ماواد فى ذلك الوقت فقد روى انه عليه الصلاة والسلام وضعها عند البيت وليس بمكة يومئذ احد ولاماء وانطلق ابراهيم نحو الشام فتبعته هاجر وقالت يا ابراهيم تذهب وتركتنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انيس ولاشئ فلم يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لايضيعنا ثم غاب ابراهيم عن نظرها واستقبل البيت ودعا بهذه الدعوات من قوله ربنا انى اسكنت الى قوله وما يخفى على الله من شئ ولهذا اشار المصنف بقوله آنفا ودعا بهذا الدعاء اوّل ماقدم الى احتمال ان يكون الدعاء ايضا فى وقت آخر والله اعلم وكلمة على فى قوله على الكبر يحتمل ان تكون للاستعلاء المجازى اى وهب لى وانا متمكن على الكبر وان تكون بمعنى مع كما فى قوله

◦ انى على ما ترين من كبرى ◦ اعلم من حيث تؤكل الكتف ◦

وهو فى موضع الحال من الياء فى قوله وهب لى والمعنى وهب لى وانا كبير اى فى حال الكبر كذا فى الكشاف ومعنى البيت انى على ما ترين من كبرى وتغير احوال الحواس منى اعرف الاشياء حق معرفتها لانى جربتها ومارستها فان قوله اعلم من حيث تؤكل الكتف مثل فى التجربة لان المجرّب يأخذ الكتف من اعلاها لجذب اللحم منها وقيل تؤكل من اسفلها ليسهل ﴿ قوله اى لمجيبه ﴾ جواب عما يقال ان ابراهيم دعا ربه ووجد على اجابته فكان المناسب ان يقول ان ربى مجيب الدعاء لانه تعالى يسمع الدعاء اجابه اولم يجبه ﴿ قوله وقد تقدم عذر استغفاره لهما ﴾ وكانا كافرين وهو ان المنع من الاستغفار للكافر لايعلم الابالتوقيف ولعله لم يجد المنع منه حينئذ فظن كونه جائزا ويحتمل ان يكون المراد من سؤال المغفرة لهما سؤال مايكون سببا لمغفرتهما وهو الاسلام فانه سبب لصيرورة الانسان اهلا للمغفرة فطلب الشئ طلب لمايتوقف حصوله عليه وهو المراد بقول نوح عليه الصلاة والسلام لقومه المشركين استغفروا ربكم انه كان غفارا فان قيل كيف طلب المغفرة لنفسه وان طلبها لها يؤذن بسابقة الذنب ولايصدر الذنب من الانبياء سوى ترك الاولى ونحوه مما يعلم ان الله تعالى يغفر ذلك منهم فيكون طلبهم المغفرة لانفسهم طلبا لما يعلم حصوله فجوابه بان ليس المقصود منه الا الالتجاء الى الله وقطع الطمع فى غيره وانه ليس الا فى فضله وكرمه ورحمته ﴿ قوله مستعار من القيام على الرجل ﴾ بان شبه ثبات الحساب بقيام القائم على الرجل فاستعير القيام لذلك الثبات ثم اطلق يقوم واريد يثبت فهى استعارة تبعية كما استعير القيام على الساق لثبات الحرب ويمكن ان يقال شبه الحساب فى الثبات والاستقرار بالقائم على الرجل فاثبت له القيام على سبيل التخييل فهى استعارة مكنية قرينتها التخييلية فالمجاز على هذا التقرير فى المفرد وعلى الثالث فى الاسناد ولا مجاز على الثانى لانه مبنى على تقدير المضاف ﴿ قوله والمراد تثبيته عليه الصلاة والسلام على ماهو عليه ﴾ جواب عما يرد على قوله انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو انه تعالى منزه عن السهو والغفلة وانه عليه الصلاة والسلام اعلم الناس بما يستحيل فى حقه تعالى فكيف نهاه الله نهيا مؤكدا عن الحسبان المذكور ﴿ قوله والوعيد ﴾ عطف على قوله تثبيته فاجاب عنه اولا بان المراد من النهى المذكور تقويته وتثبيته على الثبات على ماهو عليه من الاعتقاد الصحيح فى حقه تعالى وثانيا بانه كناية او مجاز فى المرتبة الثانية عن التهديد والوعيد بعقوبة الظالمين على ظلمهم كقوله والله اعلم بما تعملون فانه كناية عن المجازاة ﴿ قوله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم ﴾ على ان يكون الخطاب كقوله تعالى ولاتكونن من المشركين ولاتدع مع الله الها آخر لكل مكلف ولايختص به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا من توهم غفلته فان الناس لايخلون عن المظلوم والظالم فاذا سمع المظلوم ان الله تعالى عالم بما يفعله الظالم ويقتص له هان عليه ظلمه والظالم اذا تصوّر ان الله تعالى عالم بما يفعله ولابد ان يجازيه على ظلمه ربما ارتدع عن ظلمه خوفا من العقوبة فقوله تعالى ولاتحسبن على جميع التقادير دليل على انه لابد من وجود يوم الحساب فان اطلاعه تعالى على مايعمله الظالمون يستلزم ان ينتقم للمظلوم ﴿ قوله وعن ابى عمرو بالنون ﴾ على طريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وقرأ العامة يؤخرهم بالياء الغيبة لتقدم اسم الله وقوله تعالى ليوم اى لاجل يوم فاللام للعلة وقيل بمعنى الى للغاية وتشخص صفة ليوم وشخوص البصر ارتفاعه وعدم استقراره فى مكانه من حدة النظر وقيل بقاؤه مفتوحا بحيث لايغمض ولايرتد اليه طرفه قال الجوهرى شخص بالفتح شخوصا اى ارتفع وشخص بصره فهو شاخص اذا فتح عينه وجعل لايطرف ﴿ قوله تعالى مهطعين مقنعى رؤسهم ﴾ حالان من المضاف اليه المحذوف اذ التقدير تشخص فيه ابصارهم ويجوز فى مقنعى ان يكون حالا من الضمير فى مهطعين فيكون حالا متداخلة واضافة مقنعى غير حقيقية فلذلك وقعت حالا من الضمير وقوله

(ان ربى لسميع الدعاء) اى لمجيبه من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتدّ به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ماوقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها (رب اجعلنى مقيم الصلاة) معدلا لها مواظبا عليها (ومن ذريتى) عطف على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته فى الامم الماضية انه يكون فى ذريته كفار (ربنا وتقبل دعاء) واستجب دعائى او وتقبل عبادتى (ربنا اغفر لى ولوالدىّ) وقرئ ولابوىّ وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحوّاء (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ماهو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لايخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لامحالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم (انما يؤخرهم) يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون (ليوم تشخص فيه الابصار) اى تشخص فيه ابصارهم فلا تقرّ فى اماكنها من هول ماترى (مهطعين) مسرعين الى الداعى او مقبلين بابصارهم لايطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشئ (مقنعى رؤسهم) رافعيها (لايرتدّ اليهم طرفهم) بل بقيت عيونهم شاخصة لاتطرف اولا يرجع اليهم نظرهم فينظرون الى انفسهم

(لايرتد)

(وافئدتهم هوآء) خلاء اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هوآء اى لا رأى فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هوآء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق (وانذر الناس) يا محمد (يوم يأتيهم العذاب) يعنى يوم القيامة او يوم الموت فانه اوّل ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر (فيقول الذين ظلموا) بالشرك والتكذيب (ربنا أخرنا الى اجل قريب) اخر العذاب عنا وردّنا الى الدنيا وامهلنا الى حدّ من الزمان قريب او أخر آجالنا وأبقنا مقدار ماتؤمن بك ونجيب دعوتك (نجب دعوتك ونتبع الرسل) جواب للامر ونظيره لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين (اولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال) على ارادة القول ومالكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم) بالكفر والمعاصى كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفى كقر وغنى واقام وقد استعمل بمعنى التبوء فجرى مجراه كقولك سكنت الدار (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) بما تشاهدونه فى منازلهم من آثار مانزل بهم وماتواتر عندكم من اخبارهم (وضربنا لكم الامثال) من احوالهم اى بينا لكم انكم مثلهم فى الكفر واستحقاق العذاب او صفات مافعلوا او فعل بهم التى هى فى الغرابة كالامثال المضروبة (وقد مكروا مكرهم) المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل (وعند الله مكرهم) ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده مايمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له (وان كان مكرهم) فى العظم والشدّة (لتزول منه الجبال) مسوّى لازالة الجبال ومعدا لها وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبى صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ماهو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرائعه وقرأ الكسائى لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هى الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كاد مكرهم

لا يرتد اليهم فى محل النصب على انه حال من الضمير فى مقنعى والطرف فى الاصل مصدر اطلق ههنا على الفاعل وهو العين كقولهم مافيهم عين تطرف والطرف الجفن ايضا يقال ماطبق طرفه اى جفنه على الآخر والطرف ايضا تحريك الجفن ويجوز ان يكون كل واحد من قوله لا يرتد اليهم طرفهم وقوله وافئدتهم هوآء استئنافا وان يكون حالا وقوله هوآء وان كان خبرا عن جمع فانه فى معنى فارغة او خالية ثم انه تعالى لما اوعد الظالمين بانه لا يخفى عليه شئ من احوالهم وافعالهم ولكن يؤخر عذابهم ليوم القيامة الذى من صفته انه تشخص فيه الابصار وكذا امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الناس يوم يأتيهم ذلك العذاب المعهود على ان يوم يأتيهم مفعول ثان لانذر فانه يتعدى الى اثنين كما فى قوله انذرتكم صاعقة ﴿قوله قال زهير﴾

كأن الرحل منها فوق صعل ۞ من الظلمان جؤجؤه هواء

الصعل الصغير الرأس والعنق من الرجال والنعام ومن غيرهما والجؤجؤ من الطائر والسفينة صدرهما يهمز ولا يهمز يصف مطية بالقلق يقول كأن رحل هذه المطية فوق ظليم اى نعامة لا قوة فى قلبه ولا جرآءة فان النعام يضرب به المثل فى الجبن قيل فى حق الحجاج وصفا له بالجبن

اسد علىّ وفى الحروب نعامة ۞ فتخاء تنفر من صفير الصافر

﴿قوله او أخر آجالنا﴾ هذا على تقدير ان يكون المراد باليوم يوم موتهم معذبين بشدة السكرات وملاقاتهم بمعاينة ملائكة العذاب والحقنوا بسوء عاقبتهم والاوّل على تقدير ان يراد باليوم يوم القيامة ﴿قوله على ارادة القول﴾ اى القول الجارى من قبلهم بلسان المقال والمعنى اولم تكونوا قائلين بلسان المقال والله مالنا من زوال وان كان المتبادر من ظاهر العبارة ان يكون المراد من القول قول الله تعالى او قول الملائكة فى جواب قول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب ويكون المعنى والتقدير فيقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ اولم تكونوا الآن عطف قوله او دل عليه حالهم يدل على ان المراد منه القول الجارى من قبلهم كأنه قيل اولم تكونوا اقسمتم بلسان المقال صريحا او بدلالة الحال وشهادة الافعال هذا هو المفهوم من تقرير الكشاف ويحتمل ان يكون مراد المصنف من قوله على ارادة القول ماذكرنا من انه المتبادر الى الذهن ويكون قوله او دل عليه حالهم معطوفا على قوله اقسموا بطرا وغرورا ويكون مقصوده انه لما حكى عنهم انهم اقسموا على انهم باقون فى الدنيا لا يزالون عنها بالموت ورد ان يقال كيف يقسموا عليه وليسوا مجانين اجاب عنه بقوله ولعلهم اقسموا عليه بطرا وغرورا او دل عليه حالهم ﴿قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين﴾ عطف على قوله اقسمتم اى ولم تكونوا سكنتم فهو تقريع ثان للذين ظلموا فانهم لما سكنوا فى مساكن الذين كفروا وعصوا وبين لهم ماحل بهم بسبب كفرهم وتكذيبهم الانبياء ولم يعتبروا فقد استوجبوا الذم والتقريع ﴿قوله واصل سكن الخ﴾ اشارة الى وجه تعديه تارة بفى كما فى هذه الآية وتارة بدونها وقرأ العامة وتبين فعلا ماضيا وقرئ ونبين بضم النون الاولى والثانية على انه مضارع بين وهو خبر مبتدأ محذوف والجملة حال اى ونحن نبين وفاعل تبين مضمر لدلالة الكلام عليه اى وتبين لكم حالهم وخبرهم وهو هلاكهم بطريق الاستئصال وكيف فى موضع النصب بفعلنا ولا يجوز ان يكون فاعلا ﴿قوله اى بينا لكم انكم مثلهم فى الكفر﴾ فيكون لكم متعلقا بمحذوف فى محل النصب على انه حال من الامثال والتقدير ضربنا امثال احوالهم ثابتة لكم والمراد بالامثال معناها اللغوى وعلى الثانى تكون الامثال مستعارا للصفات مافعلوا وما فعل بهم تشبيها لها بالامثال المضروبة فى الغرابة لما ذكر الله تعالى صفة عقابهم اتبعها بذكر كيفية مكرهم فقال وقد مكروا مكرهم الخ ﴿قوله المستفرغ فيه جهدهم﴾ هذه المبالغة والاهتمام بالمكر مستفادة من اضافة المكر اليهم لان صناديد قريش لما اشتهروا بشدة الشكيمة والتمادى فى الطغيان كان ما اضيف اليهم من المكر المتعلق بابطال الحق وتقرير الباطل مكرا مبذولا فيه جهدهم ونهاية قدرتهم ﴿قوله ومكتوب عنده فعلهم﴾ مبنى على ان يكون المكر مضافا الى فاعله كالمكر الاوّل والمعنى ان مكرهم الذى مكروه مكتوب عند الله وقوله او عنده مايمكرهم به على ان يكون المصدر مضافا الى مفعوله ومكر الله تعذيبه اياهم وسمى مكرا للمشاكلة ﴿قوله مسوّى لازالة الجبال ومعدا لها﴾ على ان تكون كلمة ان شرطية حذف جوابها لدلالة قوله وعند الله مكرهم عليه والتقدير وان كان مكرهم معدا لازالة امثال الجبال الرواسى وهى المعجزات والآيات فالله تعالى مجازيهم بمكرهم واعظم من مكرهم ﴿قوله وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها﴾ اى للنفى المستفاد منها فان اللام حينئذ هى لام الجحود التى ينتصب الفعل بعدها باضمار ان لوقوعها بعد كون منفى وخبر كان

(فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلى واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثانى ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله (ان الله عزيز) غالب لا يماكر قادر لا يدافع (ذو انتقام) لاوليائه من اعدائه (يوم تبدل الارض غير الارض) بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده (والسموات) عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون فى الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفى الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما فعن على رضى الله تعالى عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضى الله تعالى عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هى تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثانى ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة كما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وقوله ان كتاب الفجار لفى سجين (وبرزوا) من اجداثهم (لله الواحد القهار) لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر فى غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم فى العقائد والاعمال لقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم (فى الاصفاد) متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل • وزيد الخيل قد لاق صفادا • يعض بساعد وبعظم ساق • واصله الشد (الله)

محذوف عند البصريين تعلق به هذه اللام والتقدير وما كان مكرهم مريدا لازالة ما هو كالجبال لان انتفاء ارادة الفعل آكد من انتفاء نفس الفعل وهو معنى قوله اللام مؤكدة لان النافية كما ان قوله ما كان الله مريدا لتعذيبهم آكد من قولك ما كان الله يعذبهم وعلى تقدير كونها مخففة من الثقيلة تكون اللام فارقة بين النافية والمخففة ويكون المقصود تعظيم مكرهم لان ما فعل لازالة ما هو كالجبال الراسية فى الثبات والقوة يكون فى غاية الشدة والقوة بخلاف ما اذا كانت نافية فان المعنى حينئذ حصر مكرهم بيان انه ما كان مكرهم بحيث تزول منه الشرائع التى هى كالجبال لانه تعالى وعد نبيه صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على كل الاديان فكيف تزول امره الذى هو دين الاسلام بمكرهم فان مكرهم اوهن واضعف من ان تزول منه الجبال الراسيات التى هى دين محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل شريعته ويؤيد صحة هذا المعنى قوله تعالى بعد هذه الآية فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله اى قد وعدك الظهور عليهم فلا يخلف وعده بمكرهم وقوله تعالى فلا تحسبن على جميع التقادير الظاهر انه جواب شرط محذوف اى اذا تقرر ان مكرهم مكتوب عند الله وهو مجازيهم عليه فلا تحسبن او اذا تقرر ان مكرهم اوهن من ان تزول منه امرك الذى هو اثبت واقوى من الجبال الراسيات فلا تحسبن ﴿ قوله مثل قوله انا لننصر رسلنا ﴾ يعنى ان المراد بالوعد قوله تعالى فى غير هذا الموضع انا لننصر رسلنا وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلى ويحتمل ان يكون المراد به ما فهم من قوله فى هذا الموضع وعند الله مكرهم فانه على التقديرين دال على انه تعالى يجازيهم على مكرهم وينصر رسوله عليهم ﴿ قوله واصله مخلف رسله وعده ﴾ لان فعل الاخلاف يتعدى الى مفعولين اولهما الموعود له وهو ههنا الرسل وحق المفعول الاول ان يتقدم على الثانى يقال اخلفه ما وعده وهو ههنا الرسل لكن قدم المفعول الثانى واضيف اليه اسم الفاعل تخفيفا نحو هذا الكاسى جبة زيدا قيل لما تعدى الفعل اليهما لم يبال بالتقديم والتأخير والاخلاف ان يقول شيأ ولا يفعله ﴿ قوله ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا ﴾ اعترض عليه بانه لما كان رسله مفعولا كان اخلاف الوعد مقيدا به سواء قدم على الوعد او اخر فلم يكن اخلاف الوعد مطلقا بل مقيدا برسله واجيب بان المفعول الثانى حقه التأخير فلما قدم دل على انه اهم والعناية بشأنه اتم فالمقصود الاصلى من الكلام ليس الانفى اخلاف الوعد واما نفى خلف وعد الرسل فهو شئ متفرع على ذلك لانه لما لم يكن من شان الله تعالى اخلاف الوعد كان عدم اخلافه وعد من هو خيرته وصفوة عبيده ثابتا بطريق الاولى ونظيره فى تقديم المفعول الثانى على الاول للاهتمام بشأنه قوله تعالى فى سورة الانعام وجعلوا لله شركاء الجن فانه قدم الشركاء ليدل على ان المقصود الاصلى استعظام اتخاذ الشركاء ونفى شركاء الجن تابع لهذا المقصود ومتفرع عليه ﴿ قوله تعالى وبرزوا ﴾ معطوف على قوله تبدل الارض وهو ماض يراد به الاستقبال كقوله تعالى ونادى اصحاب النار ﴿ قوله قرن بعضهم مع بعض ﴾ يعنى ان قوله مقرنين فيه ثلاثة اوجه الاول ان بعض الكفار قرن بعض على حسب تجانس ما كتسبوه من العقائد الزائغة والملكات الباطلة المتجانسة فمن حيث الجزاء ايضا تجتمع اصحابها فان الجنسية سبب الاجتماع فى الامور المتجانسة والثانى قرن كل كافر مع شيطانه فى سلسلة قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين والعاشى عن سواء السبيل لما كان يتبع الشيطان ويأتمر بامره حشر معه مقرونا فى سلسلة واحدة او مع ما كتسبه من العقائد الزائغة والملكات الباطلة التى هى بمنزلة الشيطان بالنسبة اليه فى كونها سببا لتأذى نفسه منها وخروجها من الاعتدال اللائق بها والثالث قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال اما حقيقة واما على ان يكون الايدى والارجل عبارة عن الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء على طريق اطلاق اسباب الاكتساب على الامور المكتسبة بتلك الاسباب ويكون مقارنة تلك الامور الى الرقاب عبارة عن مؤاخذة انفسهم بها يقال قرنت الشئ بالشئ اذا وصلته به وجاء ههنا على التشديد لكثرة هؤلاء القوم فان بناء التفعيل قد يكون لتكثير المفعول نحو فتحت الابواب والاصفاد جمع صفد وهو القيد قال عطاء يريد سلاسل الحديد والاغلال وكل من شددته شدا وثيقا فقد صفدته قال الراغب الصفد والصفاد الغل وجمعه اصفاد وفى الصحاح صفده يصفده صفدا اى شده واوثقه وكذلك التصفيد والصفاد ما يوثق به الاسير من قيد وغل والاصفاد القيود وبيت سلامة يدل على انه اطلق الصفاد على ما يتناول كل واحد من الغل والقيد فان الغل يوضع على الساعد والعنق والقيد يوضع على الرجل وظاهر البيت يدل على ان صفادا واحدا يعض ويجمع تلك الثلاث فكأنه نوع من الغل يجمع فيه الرجل واليد وتشدان على العنق وزيد الخيل اسم رجل من قبيلة طئ قدم على النبى صلى

(سرابيلهم) قمصانهم (من قطران) وجاء قطران وقطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار فى جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآنى المتناهى حره والجملة حال ثانية او حال من ضمير مقرنين (وتغشى وجوههم النار) اى وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا فى تدبره مشاعرهم وحواسهم التى خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم (ليجزى الله كل نفس) اى يفعل بهم ذلك ليجزى كل نفس مجرمة (ما كسبت) او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم وتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا (ان الله سريع الحساب) لانه لا يشغله حساب عن حساب (هذا) اشارة الى القرآن او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله (بلاغ للناس) كفاية لهم فى الموعظة (ولينذروا به) عطف على محذوف اى لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلى وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له (وليعلموا انما هو اله واحد) بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه (وليذكر اولوا الالباب) فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هى الغاية والحكمة فى انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التى منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما

وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

الله عليه وسلم وسماه صلى الله عليه وسلم زيد الخيل ومات منصرفه من عند النبى صلى الله عليه وسلم محموما وقوله مقرنين حال من المجرمين ان كانت الرؤية بصرية ومفعول به ثان ان كانت علمية وفى الاصفاد اما ظرف متعلق بمقرنين او ظرف مستقر متعلق بمحذوف حال من ضمير المجرمين وقوله سرابيلهم من قطران حال ثانية من المجرمين او حال من الضمير فى مقرنين وكذا قوله وتغشى وجوههم النار على انها معطوفة على الحال الاان الاخيرتين حالان مقدرتان او جملتان مستأنفتان لامحل لهما من الاعراب منقطعتان عن كلم الرؤية لان قوله مقرنين بيان لحالهم فى الموقف الى ان يكب بهم فى النار والحالان الاخيرتان لبيان حالهم بعد دخول النار كان قوله مقرنين حرك فى السامع ان يقول اذا كان هذا شأنهم وهم فى الموقف فكيف حالهم وهم فى جهنم خالدون فاجيب بقوله سرابيلهم من قطران واوثر الفعل المضارع فى قوله وتغشى ولم يجعل اسمية كما قبله لاستحضار الحال والدلالة على تجدد الغشيان حالا فحالا ﴿قوله وجاء قطران وقطران لغتين فيه﴾ يعنى ان قرآءة العامة قطران بفتح القاف وكسر الطاء وجاء فيه لغتان غيرها احداهما قطران بفتح القاف وسكون الطاء على وزن سكران والاخرى قطران بكسر القاف وسكون الطاء على وزن سرحان وهو ما يتحلب اى يستخرج من شجر يسمى الابهل والعرعر ايضا فيطبخ ويطلى به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وحرارته والسربال القميص وسربلته فتسربل اى البسته السربال وجمعه سرابيل فلذلك قال المصنف قمصانهم وهو جمع قميص ويحتمل ان يكون قوله تعالى سرابيلهم من قطران استعارة تمثيلية مبنية على تشبيه الهيئة الحاصلة لجوهر النفس من احاطة الملكات الرديئة والهيئات القبيحة بها حيث يترتب على تلك الاحاطة اغتمام النفس بانواع من الغموم والآلام بالهيئة الحاصلة من تسربل البدن سربالا من القطران بحيث يترتب على ذلك التسربل ما ذكر من الانواع الاربعة المعدة وهى لذع القطران بحرارته وحدته ووحشة لونه ﴿قوله وعن يعقوب قطرآن﴾ بفتح القاف وكسر الطاء وتنوين الراء وآن على وزن رام فيكون قطرآن كلمتين والقطر النحاس او الصفر المذاب والآنى اسم فاعل من انى يأنى انا اى تناهى فى الحرارة قال الله تعالى وبين حميم آن ﴿قوله اى وتتغشاها﴾ اى يجب على قرآءة وتغشى بتشديد الشين ان يحمل الكلمة على المضارع بحذف احدى التاءين لتوافق المشهورة فيكون تفعل بمعنى فعل نحو تيسير بمعنى يسر كما ان تغشاه بمعنى غشيه فقوله تتغشاها بمعنى تعلوها وتغطيها ﴿قوله كما تطلع على افئدتهم﴾ يعنى انه تعالى خص القلب والوجه بظهور آثار العذاب فيهما حيث قال فى القلب نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة وقال فى الوجه وتغشى وجوههم النار لان الحكمة فى خلق المكلفين انما هى معرفتهم ربهم وخالقهم بمعاينة ما يدل على كمال علمه وقدرته واستعمال المشاعر والحواس المجتمعة فى الرأس والوجه ليؤدى استعمالها الى المعرفة التى موضعها القلب ليخضعوا لعظمته وكبريائه ويرغبوا فى طاعته ومرضاته ويجتنبوا عن سخطه وعقابه ويحوزوا بذلك سعادة الدارين فمن اهمل هذه القوى التى هى اسباب السعادات كلها لجدير ان يكون معظم ما يتعلق به من العذاب ظاهرا فى محال تلك القوى ﴿قوله ونظيره قوله تعالى افمن يتقى بوجهه سوء العذاب﴾ فان من اصاب وجهه اذى فى الدنيا يتقى عنه بيده والمجرمون لما كانت ايديهم مغلولة الى اعناقهم لايقدرون على ان يتقوا النار بايديهم فلا جرم يتقونها بوجوههم ﴿قوله اى يفعل بهم ذلك ليجزى﴾ يعنى ان اللام متعلقة بمحذوف ولما ورد ان يقال تعذيب المجرمين كيف يصح تعليله بمجازاة كل نفس بما كسبت فان علته ليست الا مجازاة انفسهم فقط لامجازاة عامة النفوس اشار الى دفعه بوجهين الاول ان المراد بكل نفس النفوس المجرمة والثانى ان تعذيب المجرمين لاجرامهم لما استلزم اثابة المطيعين لطاعتهم كان قوله يفعل بهم ذلك متضمنا لكل واحد من الاثابة والتعذيب فصح تعليله بمجازاة كل نفس على العموم ثم اشار الى جواز كون اللام فى ليجزى متعلقة بقوله وبرزوا وحينئذ لاحاجة الى تخصيص كل نفس بالمجرمين بل يتعين ابقاؤه على عمومه ﴿قوله ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد﴾ ذكر الفائدة الاولى بقوله ولينذروا به وذكر الثانية بقوله وليعلموا انما هو اله واحد والثالثة بقوله وليذكر واعلم ان النفس الناطقة لها قوتان نظرية تستكمل بها النفس معرفة الموجودات باقسامها التى هى الواجب لذاته وصفاته وآثاره الممكنة من الجواهر العلوية والسفلية ومعلولات الاعراض القائمة بها حتى تصير النفس بتلك المعرفة عالما آخر ارتسمت فيه صور جميع الموجودات من اجناسها وانواعها واصنافها مضاهيا للعالم الاكبر الذى تحققت فيه اعيان الموجودات المذكورة واجل هذه المعارف معرفة

ذات الواجب بصفات جلاله وجماله وقوة عملية تمكن النفس بها على اعمال جوارحها وقواها القاهرة والباطنة وتستعين بها فى تحصيل المقاصد الدنيوية والاخروية التى هى الاعمال الصالحة وهى التى عبر عنها المصنف بالتدرع بلباس التقوى والمراد بالتقوى ههنا التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك فقوله تعالى وليعلموا انما هو اله واحد اشارة الى ما يجرى مجرى الرئيس بكمال القوة النظرية وقوله وليذكر اولوا الالباب اشارة الى ما يجرى مجرى الرئيس بكمال حال القوة العملية فان غاية هذا التذكر وفائدته هى الاعراض عن الاعمال الباطلة والاقبال على الاعمال الصالحة وهذه الآيات مشعرة بان التذكر بهذه المواعظ والنصائح وجب الوقوف على التوحيد والاقبال على العمل الصالح والوجه فيه ان من سمع هذه التخويفات والتحذيرات عظم خوفه واشتغل بالنظر والتأمل والنظر يوصل الى معرفة التوحيد والنبوة والاشتغال بالاعمال الصالحة * واعلم ان هذه الآية الكريمة دالة على ان العقل اشرف ما يتوصل به الى الحق لان اعز المطالب واكرم المواهب هو هداية الله تعالى بانزال الكتب وبعثة الرسل وقد تبين بهذه الآية ان من ينتفع به ويتذكرهم اولوا الالباب فظهر به ان من لا لب له كالبهائم اللهم اجعلنا من المهتدين بنور العقل والمتذكرين بنصائحك ومواعظك يارب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

﴿ سورة الحجر مكية بالاجماع وهى تسع وتسعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ﴾ قد مر ان فواتح السور يحتمل ان تكون اسماء لها وان تكون مذكورة على نمط التعديد للتحدى وتعديد دليل الاعجاز اما من جهة التحدى مركب من جنس ما منه كلامهم وقد عجزوا عن اتيان مثله او من جهة ان من يأتى بهذه الفواتح لم يكتب ولم يقرأ ولم يخالط الكتبة فعلم اسامى حروف المبانى من مثله معجزة فيكون الافتتاح بالمقطعات للايقاظ وقرع العصا من جملة المعجزات الخارقة للعادة فعلى هذا لا يكون لها محل من الاعراب والذى يلوح من تقرير المصنف ان يكون الر اسما لهذه السورة الكريمة ويكون كلاما مستقلا تقديره هذه الر مثل قولك هذا زيد اى مسمى زيد ويكون تلك اشارة الى ما فى ضمنها من الآيات مرفوعة المحل على الابتداء وآيات الكتاب خبره ووصف الكتاب بكونه كاملا مستفاد من التعريف الجنسى فان تعريف الخبر فى مثل زيد الشجاع يفيد الحصر فيدل على ان زيدا لكماله فى الشجاعة لا ينبغى لاحد سواه ان يدعى شجاعة فكذا اذا كان الخبر مضافا الى المعرف بلام الجنس فاذا اخبرت عن آيات هذه السورة بانها آية السورة دل ذلك على كمالها وتفضيل الشئ على غيره ادعاء لا يستلزم ان يكون ما عداه مفضولا بالنسبة اليه حقيقة واذا كان المراد بالقرآن ايضا السورة يكون عطفه على الكتاب من قبيل عطف الصفات بان يكون الكتاب عبارة عن السورة الموصوفة بالكمال والقرآن عبارة عن السورة الموصوفة بانها المقروء المبين والواو المتوسطة بين الصفات تفيد الجمع بينها والمبين من ابان المتعدى وتنكير قرآن مبين للتفخيم فيرجع المعنى الى انه قرآن جامع لفخامة الشان وغرابة البيان ولما كان فى التعريف نوع من الفخامة وفى التنكير نوع آخر وكان الغرض الجمع بينهما عرف الكتاب ونكر القرآن وان كان الافتتاح بقوله الر للايقاظ وتعديد دليل الاعجاز فحينئذ يحتمل ان يكون تلك اشارة الى ما بعده كما فى قولك هذا اخوك فانه نقل عن الزمخشرى ان هذا لا يكون اشارة الى غير الاخ وان المشار اليه لا يجب ان يكون موجودا حاضرا بل يكفى ان يكون موجودا ذهنا وجملة تلك آيات الكتاب لا محل لها ان قيل الر كلام مستقل جيء به لمجرد التنبيه والايقاظ وفى محل الرفع على الخبرية ان قيل الر مبتدأ ﴿ قوله حين عاينوا حال المسلمين ﴾ اختلف فى وقت ودادتهم ذلك والاصح ما قاله الزجاج فان حال الكافر كلما رأى حالا من احوال العذاب ورأى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما روى عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * اذا كان يوم القيامة واجتمع اهل النار فى النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة قال الكفار لهم ألستم مؤمنين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا فى النار فيتفضل الله تعالى بفضل رحمته فيأمر باخراج كل من كان من اهل القبلة من النار فيخرجون * فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقيل وقت ودادتهم حين حلول الموت ونزول ملائكة العذاب فانهم اذا شهدوا علامات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقيل يودون ذلك اذا اسودت وجوههم ونودى امتازوا اليوم ايها المجرمون ﴿ قوله وما كافة ﴾ اعلم ان رب حرف جر تلحقها ما على وجهين احدهما ان تكون بمعنى شئ كما فى قول الشاعر

﴿ سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغى بيانا غريبا (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ربتما ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضى لكن لما كان المترقب فى اخبار الله تعالى كالماضى فى تحققه اجرى مجراه

(ربما نكره)

ش الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة عن ولدها
فحنّ بعضها الى بعض وعلت الاصوات الضجيج واخلصوا التوبة وكشف واظهروا الايمان
وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة جلد صحيحه قاضى

في بيان الظلم

قوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم اى بشرك واهلها مصلحون اى فيما بينهم لا
يضمون الى شركهم فسادا ونيا غيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ولذلك
قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى
مع الظلم جلد صحيحه قاضى ٧١

في بيان الحسنات

قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وعامة اهل التفسير الى ان تعريف
الحسنات للعهد الخارجي والمراد الصلوات الخمس تكفر ما بينهن من الذنوب
وعن مجاهد رحمه الله ان الحسنات هو قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم جلد صحيحه ٧٠ قاضى في بيان دعاء يوسف
روى ان يوسف عم لما القى في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا
غالبا غير مغلوب اجعل لي من امري هذا فرجا ومخرجا اجعل لي فرجا مما انا فيه فما بات
فيه وعلم جبرائيل عم هذا الدعاء اللهم يا كاشف كل كربة ويا مجيب كل دعوة ويا جابر
كل كسير ويا ميسر كل عسير ويا صاحب كل غريب ويا مؤنس كل وحيد يا لا اله الا
الله لا اله الا انت سبحانك اسألك ان تجعل لي فرجا ومخرجا وان تقذف حبك
في قلبي حتى لا يكون لي هم ولا ذكر غيرك وان تحفظني وترحمني يا ارحم الراحمين جلد صحيحه ٧٢ شيخ زاده
قال الحسن رضي الله عنه القي يوسف في الجب وهو ابن اثنتي عشرة سنة ولقي اباه بعد ثمانين سنة
وقيل ويوسف ابن سبع عشرة سنة وروى ان هوام البئر قال بعضها لبعض لا تخرجن من جحرها
فان نبيا من الانبياء نزل بساحتكن فاختبت الا الافاعي فان قصدت يوسف ...

[illegible] فاعتبروا [illegible]

في بيان جري النيل

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال غار النيل على عهد فرعون فأتاه اهل مملكته فقالوا ايها الملك اجر
لنا النيل فقال اني لست براض عنكم حتى قال ذلك ثلاث مرات فذهبوا فأتوه فقالوا ايها
الملك ماتت البهائم وهلكت الصبيان والابكار فان لم تجر لنا النيل اتخذنا الها
غيرك فقال لهم اخرجوا الى الصعيد فخرجوا فتنحى عنهم بحيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه
والصق خده بالارض واشار بالسبابة وقال اللهم اني خرجت اليك خروج العبد الذليل
الى سيده واني اعلم انه لا يقدر احد على ~~[illegible]~~ اجرائه غيرك فاجره قال فجرى النيل جريا ما جرى
فقال لهم اني ~~[illegible]~~ اجريت لكم النيل فخروا له سجدا فعرض له جبريل فقال ايها
الملك ان عبدا ملكته عبيدي واعطيته مفاتيح خزائني فعاداني واحب من عاداني
وعادى من احببته فقال له فرعون لو كان لي ذلك العبد لغرقته في بحر القلزم فقال له جبريل
ايها الملك اكتب لي بذلك كتابا قال فدعا بدواة وقلم وقرطاس فكتب فرعون فيه يقول ابو
العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق في بحر فلما
الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فقال جبريل هذا ما كتبت [illegible] تفسير [illegible] جلد ٢ صحيفه ٢٨

في بيان توبة قوم يونس عليه السلام

حكي عن فرعون انه تاب في آخر الامر ولم تقبل توبته وعن قوم يونس عليه السلام انهم تابوا فقبلت توبتهم
فما الفرق والجواب ان فرعون انما ~~[illegible]~~ تاب بعد ان شاهد العذاب وقوم يونس تابوا
قبل ان يشاهدوا العذاب والمصنف اشار الى هذا الفرق بقوله لما آمنوا اذ رأوا امارة
امارة العذاب تابوا قبل ان يشاهدوا العذاب فظهر الفرق جلد [illegible] صحيفه [illegible]
روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث
وقيل الى ثلاثين وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد غامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط
حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه وايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا [illegible]

ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

فكلمة تكره النفوس صفته بحذف العائد والتقدير رب شئ تكرهه النفوس ولولا انها اسم لما جاز عود الضمير اليها والوجه الثانى ان تكون كافة تكف الحرف عن العمل ولما صارت مكفوفة عنه تهيأت وصلحت للدخول على مالم تكن تدخل عليه قبل كونها مكفوفة فان رب حال كونها عاملة انما تدخل على الاسم المفرد وتجره نحو رب رجل كريم لقيته ولا تدخل على الفعل فلما دخلت عليها ما هيأتها للدخول على الفعل كما فى هذه الآية ثم انهم اتفقوا على ان كلمة رب اذا دخلت على الفعل لا تدخل الا على غير المستقبل كما يقال ربما قصدنى عبد الله لانها لتقليل ما ثبت وتحقق وقيل هى لتقليل المحقق فلا معنى لدخولها على المستقبل ولا ينتقض بدخولها على المستقبل فى قوله ربما تكره النفوس لما مر من انها داخلة على اسم نكرة والقاعدة انما هى فيما اذا دخلت على الفعل لكنه ينتقض بهذه الآية حيث دخلت فيها على المستقبل على تقدير كون ما كافة * قال الامام قول النحويين انه لا يجوز دخول رب على الفعل المستقبل لا يمكن تصحيحه بالدليل العقلى وانما الرجوع فيه الى النقل والاستعمال ولو انهم وجدوا بيتا مشتملا على هذا الاستعمال لقالوا انه جائز صحيح وكلام الله تعالى اقوى واجل فى الاستدلال بالجواز اولى فلم لم يتمسكوا فى دخولها على المستقبل بهذه الآية والحمل على جوازه وصحته ثم قال اجاب النحويون عن النقض المذكور بوجهين الاول قالوا المترقب فى اخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكأنه قيل ودّوا والثانى ان كلمة ما فى قوله ربما يود الذين كفروا اسم ويود صفته والتقدير رب شئ يود الذين كفروا ﴿ قوله ومعنى التقليل فيه ﴾ جواب عن سؤال مبنى على مقدمة وهى انهم اتفقوا على ان رب موضوعة للتقليل وهى فى التقليل نظير كم فى التكثير فاذا قال الرجل ربما ازور فلانا دل به على تقليل الزيارة قال الزجاج من قال ان رب يعنى بها الكثرة فكلامه مخالف لما يعرف من اهل اللغة والسؤال المتفرع عليها هو ان تمنى الكافر الاسلام كثير دائم فلا يليق به القلة ربما التى تفيد التقليل وتقرير الجواب انه لا شك فى كثرة ودادتهم الاسلام لكنها صورت بالقلة لكون التقليل ابلغ فى التهديد والمعنى انه لو ودّ اتهم الاسلام وتمنيهم ذلك لو كانت قليلة بل مرة لوجب مسارعتهم الى الاسلام فكيف اذا كانت كثيرة مستمرة فى كل ساعة وقوله فبالحرى مبتدأ وان يسارعوا خبره والباء زائدة كما فى قولك بحسبك درهم والتقدير فالحرى اى الحقيق المسارعة اليه والفائق فكيف جواب شرط محذوف تقديره اذا كفى ودادتهم مرة فى المسارعة الى الاسلام فكيف لا يسارعون اليه والحال انهم يودّون فى كل ساعة * فان قلت قوله يودّ لا بدّ له من مفعول فما مفعوله * فالجواب انه محذوف اى يودّون اسلامهم فحينئذ تكون كلمة لو فى قوله لو كانوا مسلمين امتناعية ويكون جوابها محذوفا تقديره لو كانوا مسلمين لسرّوا بذلك وتخلصوا عما هم فيه ويحتمل ان تكون لو مصدرية لوقوعها بعد فعل دال على معنى التمنى فحينئذ يكون المصدر المأوّل مفعولا ليودّ اى يودّون كونهم مسلمين وقد ذكر فى شرح الرضى ان كلمة لو فى قولهم يودّ لو انهم يأذنون بمعنى ان المصدرية وليست بشرطية لمجيئها بعد فعل دال على معنى التمنى وهذا على تقدير ان تكون ما كافة واما ان جعلتها نكرة موصوفة فحينئذ يكون مفعول يودّ ضميرا محذوفا يعود الى النكرة الموصوفة وتكون لو المصدرية مع ما فى حيزها بدلا من ما ﴿ قوله وقيل تدهشهم اهوال القيامة ﴾ اى قيل فى وجه تقليل ودادة الكافر الاسلام ان غلبة الدهشة عليهم تجعلهم مبهوتين متحيرين بحيث تمنعهم غلبة الحيرة عليهم من تمنى الاسلام الا فى زمان افاقتهم عما هم فيه من الفكرة والدهشة ومن المعلوم ان زمان افاقتهم فى غاية القلة فلا جرم تقل ودادتهم الاسلام ﴿ قوله والغيبة فى حكاية ودادتهم ﴾ يعنى ان قوله تعالى لو كانوا مسلمين حكاية لودادتهم بقول مقدر والتقدير يودّ الذين كفروا قائلين لو كانوا مسلمين فالظاهر حينئذ ان يقال لو كنا مسلمين لتكون الحكاية مطابقة للمحكى الا انه جئ بها على لفظ الغيبة لتطابق اللفظ الذى ذكر قبلها وهو قوله الذين كفروا واعلم ان قوله تعالى ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين الى قوله وما يستأخرون جملة معترضة بين قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين وبين قوله يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون فانه تعالى لما بالغ فى وصف آيات هذه السورة الكريمة بما ينبئ عن بلوغها الى اقصى درجات الكمال وحكى عن المشركين انهم بالغوا فى التكذيب حتى قالوا على سبيل خطاب المواجهة يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ربما يودّ الذين كفروا والمعنى هوّن على نفسك فانك بالغت فى الارشاد والانذار وهم ايضا افرطوا فى التكذيب والانكار فهم قوم جهلة عديموا الدراية والاعتبار فانهم لو كانوا يودّون الاسلام مرة فالحرى

وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودّون الاسلام مرة فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودّونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة فى حكاية ودادتهم كالغيبة فى قولك حلف بالله ليفعلن (ذرهم) دعهم (يأكلوا ويتمتعوا) بدنياهم (ويلههم الامل) ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد

ان يسارعوا اليه فكيف وهم يوقنونه كل ساعة واذا كان كذلك فاقطع طمعك فى ارعوائهم وردعهم من النهى عاهم عليه من الاغترار بالحظوظ العاجلة وعدم الالتفات الى مايؤدى الى سعادة الآخرة واللذة الباقية بل مرهم امر تهديد بأكل الطعام والتمتع فيها ايامًا قلائل فسوف يعلمون سوء صنيعهم ﴿ قوله وفيه الزام الحجة ﴾ اى فى قوله ذرهم مع تخصيص الاكل والتمتع بالمشتهيات والتلهى بالامل بالذكر فان تخلية الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم وبين مايشتهون وصده من انذارهم ودعوتهم الى الحق لايكون الا عند تكرر الانذار والجحود الى ان تحصل اليأس من الايمان كأنه قيل قد بالغت فى الانذار والزمت الحجة فدعهم بعد ذلك الى ان يعاينوا جزآء اصرارهم وعنادهم فقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ليس امر تكليف بل هو على طريق التهديد والتوعيد والابلاغ فى الوعيد والتأكيد كقوله تعالى اعملوا ماشئتم انه بما تعملون بصير وقوله تعالى ويلههم الامل اى يشغلهم مايؤملون من امور الدنيا عن الاخذ بحظهم من الايمان والطاعة يقال الهاه الشئ اى شغله وانساه ثم انه تعالى لما هدد المكذبين المعاندين بقوله فسوف يعلمون بين ان تأخير العذاب ليس مبنيا على الاهمال بل هو امهالهم ليبلغوا الاجل المقدر لهم فقال وما اهلكنا من قرية اى من اهل قرية قبل ان يبلغوا اجلهم فهذا الامهال لاينبغى ان يغتر به العاقل لان العذاب مؤخر وان كل اجل له وقت معين لنزوله لايتقدم ولايتأخر ﴿ قوله والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية ﴾ لان قوله الا ولها كتاب استثناء مفرغ من الصفة وتقدير الكلام وما اهلكنا من قرية على اى صفة الاعلى صفة انها لها كتاب معلوم ولانه فى قوة قوله اهلكنا قرية لها كتاب معلوم فلها كتاب معلوم صفة لقرية ﴿ قوله والاصل ان لاتدخلها الواو ﴾ يعنى ان القياس ان لايتوسط العاطف بين الصفة والموصوف لشدة اتصالها به لكن لما كانت الصفة كالحال فى المعنى وان كان بينهما فرق من بعض الوجوه وجاز ان الواو تدخل على الجملة الواقعة حالا كذلك جاز ان تدخل على الجملة الواقعة صفة فكما ان معنى الحالية لايتغير بدخول الواو عليها نحو اذا قلت جاءنى زيد عليه ثوب وجاءنى وعليه ثوب كذلك معنى الوصفية لايتغير بدخول الواو عليها وعدم دخولها ولو كان الواو الداخلة على الحال انما تدخلها لمجرد الربط كذلك الواو الداخلة على الصفة وذلك ان الاصل فى الجملة الواقعة موقع الحال ان لاتدخلها الواو لفوات المغايرة لان حكم الحال مع صاحبها حكم الخبر مع المخبر عنه والخبر ليس موضعا لدخول الواو فكذا الحال وانما يدخلها لمجرد الربط لاسيما اذا كانت جملة اسمية فانها اشد اقتضاء للربط فكذا حكم الوصف لان الصفة مرتبطة بالموصوف فتكون الواو لتأكيد ذلك الارتباط واعترض على جعل الجملة صفة لقرية لان توسيط الواو بين الصفة والموصوف غير معهود وكذا توسيط كلمة الا بينهما لم يعرف ان احدا من النحاة ذهب الى جوازه صفة بل ذهب الى جوازه حالا والحال ليس وزانها وزان الصفة اذا لحقتها الواو ولعل من جعلها صفة لقرية ولم يجعلها حالا نظر الى تنكير ذى الحال وهو قرية وليس بقوى اذ يجوز ان يقال عمومها يصحح كونها ذا الحال كما فى المبتدأ نحو ما احد خير منك وهذا المعترض قد تبع صاحب المفتاح حيث قال فالوجه عندى هو ان ولها كتاب معلوم حال من القرية لكونها فى حكم الموصوفة اى قرية من القرى لا وصف لها وحمله على الوصف سهو لا خطأ ولا عيب فى السهو ﴿ قوله ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ﴾ قال المصنف فى تفسير قوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت انتهى * فان قيل لما كان قوله تعالى الا ولها كتاب معلوم صفة لقرية كما فى قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فما الفرق بينهما حتى اكد لصوق الصفة بالموصوف فى احداهما ولم يؤكد فى الاخرى * فالجواب ان الوصف المذكور فى هذه الآية غير الوصف المذكور فى قوله الا لها منذرون لان الوصف فيما نحن فيه لازم عقلى وفى تلك لازم عادى جرت عليه سنة الله تعالى فان وجود الحوادث فى اى وقت كان على سبيل الاتفاق لايقتضيه العقل والحكمة بل هما يقتضيان ان يكون لكل حادث وقت مقدر وكتاب معلوم لايتقدم عليه ولايتأخر بخلاف لزوم سبق وجود المنذر على الاهلاك فان لزومه له بمجرد جرى عادة الله تعالى على ذلك ﴿ قوله تعالى من امة ﴾ فاعل تسبق ومن مزيدة للتأكيد وحمل على لفظ امة حيث انث تسبق لاسناده الى امة وافرد الضمير المجرور وانث فى قوله اجلها كذلك وحمل على معناها فى قوله وما يستأخرون فجمع وذكر وحذف متعلق يستأخرون وتقديره وما يستأخرون عنه لدلالة عليه ورعاية للفواصل ﴿ قوله للتمنى ﴾ اى على سبيل البدل اما الامتناع واما التحضيض فان قوله لولا على لهلك عمر ليس فيه سوى الامتناع وقوله تعالى لو ما تأتينا ليس فيه سوى

(فسوف يعلمون) سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لاطائل تحته وفيه الزام الحجة وتحذير عن ايثار التنعم ومايؤدى اليه طول الامل (وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) اجل مقدر كتب فى اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لاتدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف (ماتسبق من امة اجلها ومايستأخرون) اى ومايستأخرون عنه وتذكير ضمير امة للحمل على المعنى (وقالوا ياايها الذى نزل عليه الذكر) نادوا به النبى صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ماقالوا له وهو قولهم (انك لمجنون) ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعى ان الله تعالى نزل عليك الذكر اى القرآن (لو ما تأتينا) ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشئ لوجود غيره والتحضيض (بالملائكة) ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل (ان كنت من الصادقين) فى دعواك

(التحضيض)

٧٠

[illegible]

فضیلتلو استاذم حاجی احمد افندی

مخصوصاً سلام ایدوب خاطر عالیلریکزی استفسار ایدرم بوکره والده‌مه زیارت
مقصدیله زیاده سببله مصرده خسته اولدیغم حالده یوله چیقدم و ایولرده
دها زیاده خسته اولدیغم کوچ حال ایله جانمزده گلدیکه بیلدم رجا ایدرم
سود لوغورتندن بشقه و معده‌مه صوغوقلغندن شکایتم
طبیب تداوی ایتمکده در ایکی هفته اغزیمه ابراز ایدوب فالقدم بیچاره ایچمکده‌یم
برشی قورقمه جانم اولدی صحه اولسون بولندیغمده برار اگر تشریفکز ممکن اولورایسه
ذات عالیلریکزک هر حالده تشریفلری ارزو ایدرم ذات عالیلریکزک یاننده گچیرمک فکرنده‌یم
تبدیل هوا ضمننده رمضان شریفی اولمق دیلرم رمضانده اول
تبدیل هوایه برابر ایمه جکسه و بو فکرمده مصیب اولمیه‌جقسه رمضانده
هر حالده رمضانده باخصوص رمضانده
بیانه بیورمکزی و شاید اوله‌جقسه ایسه هفته‌سنه قدر بولوردم اگر صحتم برلنده اولور
تشریف بیورمکزی تمنی ایدرم شواللک ایلک گوننده نه قدر ضعیف و خسته اولدیغم
الله کیده‌جکم اولمز ایسه اوچ ماللک برابر

صحابه شریف
ثوابدن اکلایسکز باقی دعا

مخلصکز الحاج عبدالقادر
زاده ازهر شریف
طلبه سندن محمد لطفی

التحضيض والفرق بين التحضيضية والامتناعية هو ان التحضيضية لايليها الا الفعل ظاهرا او مضمرا كما في قوله

تعدّون عقر النيب افضل مجدكم ۞ بني ضوطرى لولا الكميّ المقنعا

اى هلاتعدّون الشجاع المتقنع بآلات الحرب والامتناعية لايليها الا الاسم لفظا اوتقديرا عند البصريين وفي قوله ما ينزّل الملائكة اربع قرآت ماينزّل على لفظ المضارع المعلوم المسند الى ضمير الغائب وننزّل بنونين اولاهما مضمومة وثانيتهما مفتوحة وكسر الزاى ونصب الملائكة فيهما على المفعولية وتنزّل بضم التاء وفتح النون والزاى ورفع الملائكة على انه قائم مقام الفاعل وتنزّل بفتح التاء والنون والزاى على ان اصله تتنزّل فحذفت احدى التاءين ورفع الملائكة على الفاعلية وقوله الا بالحق مستثنى مفرغ من اعم عام المصدر اى ماتنزّل الملائكة تنزيلا الا تنزيلا ملتبسا بالحق وقوله بالحق متعلق بمحذوف منصوب على انه نعت لمصدر محذوف ﴿قوله ولا حكمة في ان تأتيكم بصورة﴾ على ان يكون قولهم لوما تأتينا بالملائكة بمعنى لوما تأتينا بهم ليصدّقوك فيما تدّعيه من الرسالة حتى تزول الشكوك والشبهات في ذلك بشهادتهم عندنا وقوله ولا في معاجلتكم بالعقوبة على ان يكون معناه لوما تأتينا بالملائكة الذين ينزلون علينا بذلك العذاب الذي تخوّفنا به على تقدير عدم ايماننا بك كما قال ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب ﴿قوله وقيل الحق الوحي او العذاب﴾ عطف على قوله اى بالوجه الذى قدره فالمعنى على هذا ماينزّل الملائكة الا لاجل تبليغ الوحي اولعذاب الاستئصال وتصديق المدّعي والشهادة بصدقه في دعواه ليس شيأ منهما فلا ينزلهم لذلك ولا يردّ عذاب الاستئصال لهذه الامّة ﴿قوله اذا جواب لهم وجزآء﴾ فان اذا انما يذكر حيث خاطبك احد بشئ وتريد ان تجيبه فتقول في جواب كلامه اذا يكون كما اذا قال لك انسان انا آتيك فتقول اذا اكرمك كانك قلت ههنا ان كان الامر كما ذكرت اكرمك فكذا هذه الآية ﴿قوله ردّ لانكارهم واستهزآئهم﴾ فان الكفرة قالوا يا ايها الذى نزّل عليه الذكر فقد انكروا ان ينزّل عليه ذكر من ربه واستهزؤا به حيث نادوه بهذا العنوان زاعمين انه عليه الصلاة والسلام غير موصوف به فكأنهم قالوا يا ايها المفترى ان الله تعالى لم ينزّل عليك الذكر وهذا الذى تزعم انه من عند الله ليس منه بل هو من القاء الجن وانك لمجنون فردّ الله عليهم بقوله انا نحن نزّلنا الذكر وأكده من وجوه تصدير الجملة بان وتوسيط ضمير الفصل بين اسمها وخبرها والتعبير عن المتكلم الواحد بضمير الجمع للتعظيم والاجلال وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتقريره واسمية الجملة فان قيل قد حصل ردّ انكارهم واستهزآئهم بقوله انا نحن نزّلنا الذكر فما وجه اتصاله بقوله وانا له لحافظون اجيب بان اتصاله من قبيل اتصال الدليل بالمدلول فان حفظ الله اياه يدل على كونه من عند الله لانه لوكان من عند غيره لما كان مصونا من الزيادة والنقصان بل مجرّد كونه من عند الله تعالى لايستلزم كونه محفوظا مالم يحفظه الله تعالى ويتكفل بحفظه الاترى انه لم يتفق لشئ من الكتب مثل هذا الحفظ فانه لا كتاب الا وقد دخله التحريف والتغيير اما في الكثير منه او في القليل وبقاء هذا الكتاب مصونا من جميع جهات التحريف مع ان دواعى الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده من اعظم المعجزات وذكر لطريق حفظ الله تعالى اياه وجهين الاوّل جعله اياه معجزا مباينا لكلام البشر فان الخلق عجزوا بذلك عن الزيادة والنقصان لانهم لوزادوا فيه ونقصوا لتغير نظم القرآن وظهر لكل العقلاء ان هذا ليس من القرآن فصار كونه معجزا كاحاطة السور بالمدينة في كونه سببا للحفظ والصيانة والثاني ماشار اليه بقوله اونفى تطرّق الخلل فانه مصدر معطوف على قوله بان جعلنا فانه في تأويل المصدر فانه تعالى لمادام واستمرّ على ضمان الحفظ له امتنع تطرّق الخلل اليه وكان ذلك طريق الحفظ وتمّة مافي قوله كما نفى ان يطعن فيه مصدرية والباء في قوله بانه المنزّل له متعلقة بالذكر واشار به الى بيان المناسبة بين قوله وانا له لحافظون وبين قوله انا نحن نزّلنا الذكر ليصح عطف احداهما على الاخرى وهي كون كل واحدة من الجملتين متعلقة بالذكر ﴿قوله وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم﴾ والمعنى وانا لمحمد لحافظون وصح ارجاع الضمير اليه لانه لما ذكر الانزال والمنزّل دل ذلك على المنزّل عليه فحسن ارجاع الضمير اليه لكونه امرا معلوما كما في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر فان ضمير انزلناه للقرآن مع انه لم يتقدّم ذكره وحسن ذلك لما ذكر فكذا ههنا ثم ان القوم لما اساؤا الادب وخاطبوه عليه الصلاة والسلام خطاب السفاهة حيث قالوا له انك لمجنون فالله تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم وقال ان عادة الجهال مع جميع الانبياء كانت هكذا وكانوا يصبرون على اذى الجهال وسفاهتهم ويستمرّون على الدعوة والانذار

(ماينزّل الملائكة) بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون وابوبكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزّل بمعنى تتنزّل (الا بالحق) الا تنزيلا ملتبسا بالحق اى بالوجه الذى قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تأتيكم بصورة تشاهدونها فانه لايزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب (وماكانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزآء لشرط مقدّر اى ولو نزّلنا الملائكة ما كانوا منظرين (انا نحن نزّلنا الذكر) ردّ لانكارهم واستهزآئهم ولذلك اكده من وجوه وقرّره بقوله (وانا له لحافظون) اى من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لايخفى تغيير نظمه على اهل اللسان اونفى تطرّق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزّل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم

فاقتديهم فى ذلك وهو قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وسميت الفرقة المتفقة على طريق ومذهب شيعة لكون بعضهم تبعا لبعض وتابعا له والشياع الاتباع واحدهم شيعة وشيعة الرجل اتباعه قيل شيع الاوّلين من باب اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وجانب الغربى والاصل فى الشيع الاوّلين والبصريون يأوّلون مثله على حذف المضاف اليه اى فى شيع الامم الماضين الاوّلين وجانب المكان الغربى ﴿قوله والمعنى نبأنا رجالا﴾ جواب عما يقال الاصل فى فعل الارسال ان تعدى بالى فينبغى ان يقال ولقد ارسلنا من قبلك الى شيع الاوّلين فكيف عدى بكلمة فى والجواب ان يقال عدى بفى لتضمين ارسلنا معنى نبأنا الا انه زاد قوله رجالا للاشارة الى ان مفعول ارسلنا محذوف تقديره ارسلنا رسلا فيهم وزاد قوله وجعلناهم رسلا فيما بينهم اشعارا لمعنى ارسال الرسل لما تقرر من ان الرسول من له معجزة باهرة وكتاب سماوى والنبى صاحب المعجزة فقط وليس له كتاب سماوى فلو اقتصر على قوله نبأنا رجالا فيهم لكان المذكور بعض معنى ارسلنا وهو بصدد بيان تمام معناه فدل بقوله نبأناهم فيهم على معنى اعطيناهم المعجزة وبقوله وجعلناهم رسلا فيما بينهم على معنى صيرناهم صاحب كتاب وشريعة مستقلة والفائدة فى ارتكاب ما يحوج الى اعتبار التضمين الاعلام بزيد تمكين الرسل واستقرارهم فيما بين الامم ﴿قوله تعالى وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن﴾ نظير قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فيكون النفى فيه صفة لرسول الله على ما اختاره المصنف لانه فى قوّة ان يقال اتاهم رسول مستهزأ به ولم يأتهم رسول غير مستهزأ به ويكون حالا من مفعول يأتيهم على ما اختاره السكاكى والكاف فى قوله تعالى كذلك منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف او حال منه اى سلكنا الاستهزآء فى قلوبهم سلكنا مثل هذا السلك ويحتمل ان يكون مرفوع المحل على انه صفة مصدر محذوف او حال منه اى الامر كذلك ويستأنف وقوله وقيل الذكر فان المعتزلة لما ابوا من ارجاع ضمير نسلكه الى الاستهزآء المدلول عليه بقوله يستهزؤن على ان الاستهزآء بالانبياء كفر وضلال والله تعالى لا يخلق الباطل فى قلب العبد على زعمهم قالوا ان الضمير للذكر واستدلوا عليه بان الضمير فى قوله لا يؤمنون به عائد الى القرآن بالاجماع فوجب ان يكون ضمير نسلكه ايضا عائدا اليه لانهما ضميران متعاقبان فيجب عودهما الى شئ واحد ﴿قوله لا يؤمنون به﴾ حال من ضمير نسلكه فلو كان ذلك الضمير للاستهزآء لكان المعنى نسلك الاستهزآء فى قلوبهم حال كونهم لا يؤمنون بذلك الاستهزآء وذلك يوجب التناقض لان الكافر لا بدّ وان يكون مؤمنا بكفره واستهزآئه والذى لا يؤمن ولا يصدّق بالكفر هو المسلم العالم ببطلان الكفر اذ هو بيان وتفسير لجملة كذلك نسلكه فينبغى ان يكون المبين مشتملا على ما اشتمل عليه البيان واجاب المصنف عن وجوه احتجاجهم بان الاصل فى الضمائر ان ترجع الى اقرب المذكورات وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر بعيد وقوله يستهزؤن قريب والاصل المذكور يقتضى ان يرجع ضمير نسلكه الى الاستهزآء المدلول عليه باقرب المذكورين ولا مانع من اعتبار هذا الاصل فى ضمير نسلكه فان قلت انه راجع الى الاستهزآء الا لم يتحقق مانع والا فلا قلنا انه راجع الى الاستهزآء ولم يتحقق المانع من اعتبار هذا الاصل فى الضمير الثانى وهو لزوم التناقض قلنا ان الضمير الثانى يرجع الى الذكر المذكور اوّلا وتفريق الضمائر المتعاقبة على الاشياء المختلفة ليس بقليل فى القرآن فان تعاقب الضمائر لا يستلزم الرجوع الى شئ واحد بل الامر فيه موقوف على الدليل وقد دل الدليل فى هذه الآية على رجوع الضمير الاوّل الى الاقرب ورجوع الضمير الثانى الى الابعد عملا بمقتضى الدليل واجاب عن قولهم ان يؤمنون به حال من ضمير نسلكه فلو كان الضمير للاستهزآء لزم التناقض بقوله ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير الخ يعنى ان التناقض انما يلزم على تقدير كون ضمير نسلكه للاستهزآء وكون الجملة حالا منه وذلك غير لازم لجواز ان تكون حالا من المجرمين بل ويجوز ان لا يكون لها محل من الاعراب بان تكون جملة مستأنفة لبيان حالهم بدخول الاستهزآء فى قلوبهم ويكون المعنى لا يؤمنون بسببه واجاب عن قولهم ان كون الجملة الثانية بيانا للاولى يستدعى ان يكون ضمير نسلكه للذكر وهو ينافى كونه للاستهزآء بقوله ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاوّل بل يقوّيه فان تمكن الاستهزآء بالرسل فى القلب عبارة عن الامتناع من الايمان بسبب ذلك الاستهزآء فيصلح ان يكون لا يؤمنون به تفسيرا لقوله كذلك نسلكه اى الاستهزآء فى قلوبهم ﴿قوله بان خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم﴾ قدّم هذا المعنى لكونه اكثر ارتباطا بما ذكر قبل وعلى المعنى الثانى يكون تهديدا لكفار مكة ﴿قوله على هؤلاء المقترحين﴾ من كفار مكة فانه تعالى حكى عنهم توغلهم فى الكفر والعناد بقوله وقالوا يا ايها الذى نزّل عليه

(ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاوّلين) فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية (كذلك نسلكه) ندخله (فى قلوب المجرمين) والسلك ادخال الشئ فى الشئ كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون والضمير للاستهزآء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر فى قوله (لا يؤمنون به) له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاوّل بل يقوّيه (وقد خلت سنة الاوّلين) اى سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة (ولو فتحنا عليهم) على هؤلاء المقترحين

الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين وقد حكى الله تعالى فى مواضع اخر انهم كانوا يقترحون الآيات ويعلقون اسلامهم على مجيئها نحو قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها فكان المسلمون يظنون انهم صادقون مسترشدون فى ذلك الاقتراح فكانوا يشفعون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسأل من الله ان يعطيه الآيات التى سألوها لعلهم يؤمنون فبين الله تعالى انهم فى ذلك الاقتراح غير مسترشدين بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء لأصروا على العناد والمكابرة فلا تلتفتوا الى قولهم لوما تأتينا بالملائكة ونظيرها قوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقوله قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لايؤمنون ﴿قوله تعالى فظلوا﴾ من الافعال الناقصة واسمه مستتر فيه راجع الى الكفار المفتح لهم الباب وقيل راجع الى الملائكة وقد اشار اليه المصنف بقوله او تصعد الملائكة والمعنى لو كشف لهؤلاء عن ابصارهم حتى عاينوا بابا من السماء مفتوحا فظل الملائكة ينزلون منه ويصعدون فان الصعود لايكون بدون النزول فكان ذكره مستغنى عنه لصرفوا ذلك الى انهم سحروا ولأصروا على كفرهم ولم يؤمنوا فعلى هذا يكون النظم من قبيل ماتعاقب فيه الضمائر مع اختلاف المرجع اليه والظلول فعل الشئ نهارا يقال ظل يفعل كذا اذا فعله بالنهار وبات يفعل كذا اذا فعله بالليل فقوله فظلوا فيه يعرجون بمعنى يصعدون اليه فى بياض النهار ليكونوا مستوضحين لما يرون ﴿قوله اليها﴾ اشارة الى ان متعلق يعرجون محذوف اى يعرجون اليها فيه بتضمين معنى الارتقاء اى يرتقون ﴿قوله سدت من الابصار بالسحر من السكر﴾ بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر اسكره اذا سددته وهو من باب نصر والسكر بالكسر العرم والسكر بضم السين وسكون الكاف اسم لسكر من الشراب وفعله من باب علم يقال سكر يسكر سكرا وهذا لازم والاول متعد فيكون بناء التفعيل فى الاول للتكثير اى تكثير المفعول وهو الابصار وفى الثانى للتعدية وقرأ ابن كثير سكرت بتخفيف الكاف وبناء المفعول وباقى السبعة قرأوا على بناء المفعول ايضا الا انهم شددوا الكاف والفعل على قراءة الجميع من السكر بمعنى السد بشهادة قراءة ابن كثير فانه لو لم يكن من السكر المتعدى لما بنى الفعل للمفعول وذلك يدل على ان باقى القراآت ايضا من المتعدى وان التضعيف للتكثير ﴿قوله او حيرت من السكر﴾ بالضم عطف على قوله سدت فعلى هذا يكون التضعيف للتعدية ﴿قوله وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان مايرونه لاحقيقة له﴾ اما دلالة كلمة الحصر عليه فلانها تدل على ان سكرا تعلق بالتسكير وحيرنا الا ان ذلك التسكير والتحيير لم يتعلق الا بابصارنا ولم يتعلق بعقولنا ولايخفى ان هذا بت بان مايرونه لاحقيقة له واما دلالة كلمة الاضراب عليه فلانهم اضربوا عن الحصر فى الابصار وقالوا بل جاوز التسكير الى عقولنا وان سحر السحرة كما حير ابصارنا حير عقولنا ايضا فقد حكموا بانه كما لااعتماد على شهادة حواسهم لااعتماد ايضا على شهادة عقولهم لكون الكل حيرى سكرى فهو بت بان مايرونه بابصارهم ويحكمون عليه بعقولهم امور مموهة لاحقيقة لها ٭ قال الامام فان قيل كيف يجوز من الجماعة العظيمة ان يصيروا شاكين فى وجود مايشاهدونه بالعين السليمة فى النهار الواضح ولو جاز حصول الشك فى ذلك كان حصول السفسطة لازما ولايبقى حينئذ اعتماد على الحس والمشاهدة ثم قال واجاب القاضى عنه بانه تعالى ماوصفهم بالشك فيما يبصرونه وانما وصفهم انهم يقولون هذا القول وقد يجوز ان يقدم الانسان على الكذب على سبيل العناد والمكابرة وقال بعده فيصح من الجمع العظيم ان يظهروا الشك فى المشاهدات واجاب ايضا بان ذلك اذا جاءهم غرض معتبر من المواطأة على دفع حجة او غلبة خصم فهذه الحكاية ايضا انما وقعت من قوم مخصوصين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن انزال الملائكة وهم رؤساء القوم وكانوا قليلى العدد واقدام القليل على مايجرى مجرى المكابرة جائز ﴿قوله مختلفة الهيئات والخواص﴾ اشارة الى وجه دلالة جعل السماء ذات البروج على وجود الفاعل المختار وكمال قدرته وعلمه فانه تعالى لما اجاب عن شبه منكرى النبوة وبين توغلهم فى المكابرة والعناد وقد تقرر ان القول بالنبوة متفرع على قول بالتوحيد اتبع مايدل على حقية النبوة بذكر دلائل التوحيد فبدأ بذكر الدلائل السماوية فقال ولقد جعلنا فى السماء بروجا الآية واصل البرج الحصن والقصر قال الله تعالى ولو كنتم فى بروج مشيدة اى ابنية عالية قيل لها البروج لظهورها من بعيد فان اصل البروج الظهور ومنه قوله تعالى غير متبرجات بزينة اى غير ظاهرات بها روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد ببروج السماء منازل الشمس والقمر فانه تعالى جعل لكل واحد منهما منزلا ينزل كل ليلة فى منزل على حدة

(بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم (لقالوا) من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق (انما سكرت ابصارنا) سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان مايرونه لاحقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) اثنى عشر مختلفة الهيئات والخواص على مايدل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء

وقيل هي النجوم الكبار وقيل يحتمل ان يكون المراد بها مطالع الشمس والقمر والنجوم ومغاربها وقيل البروج الاثنى عشر واسماؤها الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ﴿ قوله المعتبرين المستدلين ﴾ فان ما يجمع فى العين منظرا لايتفكر الناظر فيه ولاينظر اليه فزينها الله تعالى ليحملهم ذلك على النظر اليها والتفكر فيها فيعلموا ان ذلك تدبير العزيز العليم حيث دبر نظام العالم على احسن تقويم وجعل منافع السماء متصلة بمنافع الارض مع بعد ما بينهما ﴿ قوله بدل من كل شيطان ﴾ اى الا من استرق السمع * قيل فيه نظر لان النحاة قد صرحوا بان المستثنى بالا لغير الصفة اذا وقع فى كلام موجب تام يجب نصبه ويمتنع البدل لاقتضائه فساد المعنى لان المبدل منه فى حكم الساقط فيكون تقدير جاءنى القوم الازيد مثلا جاءنى الازيد ويفهم منه ان يجيئ اليه جميع العالم غير زيد وهومعنى فاسد * واجيب عنه بان قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان فى معنى النفى كانه قيل لايقربها شيطان الامن استرق السمع ولو قيل انه فى محل النصب على انه مستثنى متصل لان من استرق من جنس الشيطان والمعنى انا حفظناها من قرب كل شيطان الامن استرق السمع فانا لم نحفظها من قربه لم يتوجه النظر المذكور ولم يحتج فى دفعه الى تكلف فان المستثنى من كلام تام موجب يجب نصبه على الاستثناء بالاتفاق ومن جعله منقطعا لعله نظر الى ان قوله وحفظناها معناه انا حفظناها لكن من استرق السمع ممنوع من دخول السماء فاستراقه السمع لايخرج السماء عن كونها محفوظة من دخول الشيطان فلا يصح الاستثناء الا على سبيل الانقطاع * قال الامام فان قيل مامعنى قوله وحفظناها من كل شيطان والشيطان لاقدرة له على هدم السماء فاى حاجة الى حفظ السماء منه واجاب بانه تعالى لما منعه من القرب منها فقد حفظ السماء من مقاربة الشيطان فيكون حفظ الله تعالى السماء منهم كما تحفظ منازلنا ممن يتجسس ويخشى منه الفساد ﴿ قوله واستراق السمع اختلاسه سرا ﴾ قال الامام لايمكن حمل لفظ الا على الاستثناء بدليل ان اقدامهم على استراق السمع لايخرج السماء عن ان تكون محفوظة منهم لانهم ممنوعون من دخولها وانما يحاولون القرب منها فلا يصح ان يكون استثناء على التحقيق فوجب ان يكون معناه ولكن من استرق السمع يقال استرقت السمع اى استغفلت قوما حتى سمعت حديثهم وهم لايعلمون نقل الامام عن ابن عباس انه قال فى قوله الا من استرق السمع يريد به الخطفة اليسيرة وذلك ان المارد من الشياطين من يعلو فيرمى بالشهاب فيحرقه ويخبله ومنهم من يحبله الشهاب اى يفسده فيصير ذلك الشيطان غولا فيضل الناس فى البرارى وقال الامام ابو الليث كان الشيطان المارد منهم يصعد على آخر ويكون الآخر اسفل منه فاذا سمع قال للذى اسفل منه قد كان من الامر كذا وكذا فيهرب الذى اسفل ويرمى الذى استرق السمع بالشهاب ويأتى الذى هو اسفل بالامر الذى سمعه الى كهنتهم فذلك قوله الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين اى تبعه ولحقه شعلة نار ساطعة اى مرتفعة لايخطئه الشهاب اى يصيبه فهو اما ان يأتى على نفسه واما ان يخبله حتى لايعود الى الاستماع من السماء والمصنف جعل استراق السمع استعارة لاستلاب الشياطين من سكان السموات امورا يسيرة من غير توسيط حاسة السمع اصلا بل اما بان تلق منهم تلقيا معنويا بناء على ما بينهما من المناسبة فى الجوهر واما بطريق الاستدلال باوضاع الكواكب وحركاتها ﴿ قوله فى الارض او فيها وفى الجبال ﴾ قدم الاحتمال الاول لان انواع النبات المنتفع بها انما تتولد فى الارض واما الفواكه الجبلية فليست بكثيرة النفع وقيل رجوع الضمير الى الجبال اولى لان المعادن انما تتولد فى الجبال والاشياء الموزونة فى العرف والعادة هى المعادن لا النبات قال الكلبى وانبتنا فيها اى فى الجبال من كل شئ موزون وهى الاجساد التسعة كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والكحل والزرنيخ والملح والزاج ونحوها ﴿ قوله وقرئ بالهمز ﴾ يعنى ان فى لفظ معايش يجوز ان يتلفظ بياء صريحة لكونها ياء اصلية بمنزلة الصاد من مناصر لكون الكلمة من العيش بخلاف نحو الشمائل والخبائث فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة لان الهمزة فيها زائدة لبناء فعائل كما فى نحو قبيلة وقبائل وسحابة وسحائب وحالة وحائل فمن قرأ معائش بالهمزة فوجه قراءته تشبيه الكلمة بالشمائل ﴿ قوله او على محل لكم ﴾ وهو النصب لانه مفعول كانه قيل جعلنا لكم معايش ومن لستم له برازقين لكن حذف الجار واوصل الفعل وانما قال على محل لكم لما تقرر فى النحو من انه لايجوز العطف على الضمير المجرور الا باعادة الجار فى حال السعة والاختيار عند البصريين ويجوز ترك الاعادة حال الضرورة كما فى قوله

فاليوم قد بت تهجونا وتشتمنا ۝ فاذهب فما بك والايام من عجب

(واجاز)

(وزيناها) بالاشكال والهيئات البهية (للناظرين) المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها (وحفظناها من كل شيطان رجيم) فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فى امرها ويطلع على احوالها (الا من استرق السمع) بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة فى الجواهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم كانوا لايحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن من استرق السمع (فاتبعه) فتبعه ولحقه (شهاب مبين) ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكواكب والسنان لما فيهما من البريق (والارض مددناها) بسطناها (والقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت (وانبتنا فيها) فى الارض او فيها وفى الجبال (من كل شئ موزون) مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن فى ابواب النعمة والمنفعة (وجعلنا لكم فيها معايش) تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمز على التشبيه بشمائل (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش او على محل لكم

واجاز الكوفيون ترك الاعادة فى حال السعة بقوله تعالى تساءلون به والارحام بالجر فى قراءة حمزة الا ان تقرر هذا فقد ظهر الفرق بين العطف على الضمير المجرور والعطف على محل مجموع الجار والمجرور والذى لم يجوزه البصريون حال السعة هو الاول دون الثانى ﴿ قوله وسائر ما يظنون انهم رازقوهم ﴾ اشارة الى ان كلمة من يراد بها ما يعم العقلاء وغيرهم من الدواب المنتفع بها على سبيل تغليب العقلاء على غيرهم ﴿ قوله اى وما من شئ ﴾ يعنى ان كلمة ان نافية ومن مزيدة فى المبتدأ وعندنا خبره وخزائنه فاعل الظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز ان يكون خزائنه مبتدأ ثانيا وعندنا خبره قدم عليه والجملة خبر المبتدأ الاول والخزائن جمع خزانة كحمالة وحمائل وهو اسم المكان الذى تخزن فيه الاشياء اى تحفظ فان كان محصل المعنى ما من شئ من الممكنات الغير المتناهية الا وخزائنه عندنا تكون الخزائن استعارة تصريحية للقدرة شبه اقتداره على ايجاد الممكنات باسرها بالخزانة فاطلق عليه اسم الخزانة وجمع مع ان قدرة الله تعالى لا تعدد فيها فضلا عن القدرة المتعلقة بكل واحد من الاشياء المقدورة وفائدة العدول الى المجاز الايذان بان مقدورات الله تعالى كانها حاصلة موجودة بالفعل وهذه الفائدة لا تحصل بان يقال وان من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه وان كان محصل المعنى ما من شئ من الاشياء المقدورة الا وهى مخزونة عندنا كان من قبيل التشبيه البليغ حيث شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة والجامع عدم الاحتياج فى اظهارها الى كلفة واجتهاد والبقاع ما ارتفع من الارض واضافة البقاع الى القدرة بيانية ولما كان تنزيل الشئ عبارة عن تحريكه من اعلى الى اسفل شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة والقدرة بالارض المرتفعة واشار به الى ان قوله وما ننزله الا بقدر ترشيح لاستعارة الخزانة للقدرة لكون التنزيل مما يلائم المستعار منه ﴿ قوله تعالى لواقح ﴾ حال مقدرة من الرياح قيل اللواقح جمع ملقح لانه من القح يلقح فهو ملقح فحذفه ملاقح يقال القحت الريح السحاب كما يقال القح الفحل الانثى اذا القى الماء فيها فحملته فكذلك الرياح جارية مجرى فحل السحاب وكون لواقح جمع ملقح من النوادر ونظيره كون الطوائح جمع مطيحة او مطوحة يقال طاح يطوح ويطيح اى هلك وكذلك اذا تاه فى الارض والطائح وطوحه اى توهه فتطوح فى البلاد اى تحير ورمى بنفسه ههنا وههنا والمطوحة الطوائح كقذفة القوادف ولا يقال المطوحات ولا الملقحات وهو نادر وكذا لواقح قال

ليبك يزيد ضارع لخصومة ۞ ومختبط مما تطيح الطوائح ۞

وقيل اللواقح جمع لاقح بمعنى حامل يقال لقحت الريح اذا حملت الماء قال الازهرى لواقح اى حوامل تحمل السحاب والماء قال تعالى وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اى حملت فعلى هذا تكون الريح لاقحة والمصنف قدم هذا الاحتمال لما فيه من حمل لفظ اللواقح على ظاهره حيث جعلت الرياح لواقح فى انفسها لا ملقحات لغيرها على ان ضد هذه الرياح العقيم وهى التى لا تحمل الماء وهو يرجح ان تكون اللواقح على ظاهرها وهو كونها بمعنى الحوامل ﴿ قوله فجعلناه لكم سقيا ﴾ اى جعلنا لكم ماء المطر معدا لسقى انفسكم واراضيكم ومواشيكم هذا على قول من فرق بين سقاه واسقاه فقال سقاه اذا اعطاه ماء يشربه فى الحال فيسكن به عطشه واسقاه اذا جعل له شربا يتمكن به من الانتفاع زمانا وقيل هما لغتان بمعنى ﴿ قوله وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم ﴾ اى جعل قوله تعالى اسقيناكموه على معنى وجعلنا ماء المطر محفوظا معدا لانتفاعكم زمانا وما انتم له بحافظين يدل على وجود المدبر الحكيم كما يدل عليه حمله على معنى انا دبرنا لصلاح احوالكم وانتظام امر معاشكم هذا التدبير العجيب حيث تفردنا بخلق الماء فى السماء وانزاله منها وجعله لكم سقيا ترجعون اليه كلما احتيج الى الماء وما انتم بقادرين على شئ منها ﴿ قوله فان طبيعة الماء تقتضى الغور ﴾ علة لدلالته على ما ذكر وقوله كما يدل حركة الهواء الخ معترضة بين العلة والحكم المعلل والمقصود بيان ان فذلكة قوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح الآية مثل فذلكة الآية المتقدمة على اى معنى من المعنيين المذكورين حملت قوله وما انتم له بخازنين ﴿ قوله وقد اول الحياة بما يعم الحيوان والنبات ﴾ يعنى ان منهم من حمله على القدر المشترك بين احياء الحيوان والنبات ومنهم من يقول وصف النبات بالاحياء مجاز فوجب تخصيصه باحياء الحيوان وايا ما كان تصلح الآية دليلا على وجود الاله الفاعل المختار كما ثبت بالدلائل العقلية انه لا قدرة على خلق الحياة بالمعنى الاعم المتحقق فى الحيوان والنبات ولا بالمعنى المختص بالحيوان الا الله تعالى فقوله نحن نحيى من قبيل القادر على كل ما يريد ﴿ قوله وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ﴾ وذلك لان قوله تعالى نحن نحيى من قبيل قولك انا كتبت من حيث ان نحن

ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم رازقوهم ظنا كاذبا فان الله رازقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء فى الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد فى الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ فى ذلك وقال (وان من شئ الا عندنا خزائنه) اى وما من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التى لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد (وما ننزله) من بقاع القدرة (الا بقدر معلوم) حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم (وارسلنا الرياح لواقح) حوامل شبه الريح التى جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر او السحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى قوله

ومختبط مما تطيح الطوائح ۞ وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس (فانزلنا من السماء ماء) بقدر (فاسقيناكموه) فجعلناه لكم سقيا (وما انتم له بخازنين) قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين فى الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء فى بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حده لا بد له من مخصص (وانا لنحن نحيى) بايجاد الحياة فى بعض الاجسام القابلة لها (ونميت) بازالتها وقد اول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر

(ونحن الوارثون) الباقون اذا ماتت الخلائق كلها (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج ومن اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة وتأخر لايخفى علينا شئ من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان مايدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت (وان ربك هو يحشرهم) لامحالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر المتولي لحشرهم لاغير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ماسبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله (انه حكيم) باهر الحكمة متقن في افعاله (عليم) وسع علمه كل شئ (ولقد خلقنا الانسان من صلصال) طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصال اذا انتن تضعيف صل (من حمأ) طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حمأ (مسنون) مصور من سنة الوجه او مصبوب لييبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كأنه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان مايسيل منهما يكون منتنا ويسمى السنين

مبتدأ ونحن خبره والجملة خبر وقوله انا وقد تقرر في علم المعاني ان تقديم المسند اليه يفيد الاختصاص بشرطين الاول ان نحن يجوز ان يقدر كونه في الاصل مؤخرا على انه فاعل معنى فقط وان كان في اللفظ تأكيدا للفاعل والثاني ان لايقدر ذلك وان لم يوجد الشرطان لايفيد التقديم الاتقوى الحكم وقد وجد الشرطان ههنا اما الاول فظاهر واما الثاني فلكون الآية مسوقة لتقرير دليل اثبات الصانع وذلك يقتضي اعتبار الحصر في التخصيص ومايتوقف اعتباره عليه ويحتمل ان يكون نحن تأكيدا لاسم ان ونحيي خبرها وذلك لايمنع تحقق الشرطين ايضا كما لايخفى ولايجوز ان يكون نحن فصلا لان ضمير الفصل لايكون الابين اسمين ونحن ههنا لم يقع بين اسمين وقد اتفق شراح الكشاف على ان الحصر في قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم مستفاد من توسيط ضمير الفصل بين اسم ان وخبرها ﴿قوله ونحن الوارثون الباقون اذا ماتت الخلائق كلها﴾ يعني ان الوارث من يخلف الميت ويقوم مقامه في تملك تركته بعد موته وهو مستحيل في حقه تعالى لانه تعالى مالك الموجودات بامرها اصالة لاخلافة فوجب جعله مستعارا لمعنى الباقي بعد هلاك الخلق تشبيها له تعالى بوارث الميت في بقائه بعد فنائه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في دعائه واجعله الوارث منا هو اوله اللهم امتعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا واجعله الوارث منا وقيل ضمير اجعله راجع الى السوابق باعتبار المذكور والمعنى واجعلها سالمة لازمة معنا الى الموت فيولع فيه وقيل اجعلها كأنها تبقى بعدنا لان الوارث يبقى بعد الموروث وقيل الضمير يرجع الى التمتع المدلول عليه بقوله امتعنا اي اجعل التمتع بما ذكر كأنه الوارث لما انحل من القوى النفسانية عند الكبر والباقي بعد زوالها روي انه عليه الصلاة والسلام ما كان يقوم من مجلس حتى يدعو بهذه الدعوات له ولاصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ﴿قوله تضعيف صل﴾ يقال صل اللحم يصل بالكسر صلولا اي صار مطبوخا بعد ان كان نيئا والحمأ الطين الاسود وكذلك الحمأة بالتسكين يقال حمئت البئر حمأ بالتحريك اي كثرت حمأتها والحمأ المسنون اي المتغير المنتن وسنة الوجه صورته قال ذو الرمة

○ تريك سنة وجه غير مقرفة ○ ملساء ليس بها خال ولاندب ○

والمسنون المصور على صورة مثال وقد سننته اسنه سنا اذا صورته وسننت التراب اي صببته على وجه الارض صبا سهلا حتى صار كالصورة والنكل من الصحاح عن ابن عباس انه تعالى خلق آدم من اديم الارض فالقي على الارض حتى صار طينا لازبا وهو الطين الملتزق ثم ترك حتى صار حمأ مسنونا وهو المنتن ثم خلقه الله تعالى بيده وكان اربعين يوما مصورا حتى يبس فصار صلصالا كالفخار اذا ضرب عليه صلصل اي صوت ومن في قوله من صلصال لابتداء الغاية او التبعيض تقول العرب سننت الماء اي صببته وهذه الآية ايضا مسوقة لاثبات الصانع وكمال قدرته فانه قد ثبت بالدلائل القاطعة انه يمتنع القول بوجود حوادث لا اول لها بل يجب انتهاء الحوادث الى اول حادث فلزم من ذلك ان ينتهي الناس الى الانسان الذي هو اول الناس وذلك الانسان لايكون مخلوقا من الابوين فيكون مخلوقا لامحالة بقدرة الله تعالى فقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان اي ذلك الانسان الاول وقد اجمع المفسرون على ان المراد منه آدم عليه الصلاة والسلام وقد دل قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب على انه تعالى خلق آدم من تراب ودلت آية اخرى على انه مخلوق من طين وهي قوله تعالى اني خالق بشرا من طين وجاء في هذه الآية انه عليه الصلاة والسلام مخلوق من صلصال كائن من حمأ مسنون وقال في موضع آخر انا خلقناهم من طين لازب هو الملتزق والظاهر ان ليس المراد انه تعالى خلقه من هذه المذكورات المتخالفة في حالة واحدة لقيام التنافي بين هذه الاوصاف في شئ واحد في زمان واحد فيشتبه فثبت ان يكون المراد من هذه المذكورات ان مبدأ خلق آدم عليه الصلاة والسلام على اختلاف الاحوال والاوقات بان يكون مبدأ التكوين في اول الحال ترابا وفي حال آخر صار طينا لازبا وفي آخر صار حمأ مسنونا وهو الذي اسود وتغير لطول مكثه وفي حال آخر صار صلصالا كالفخار قبل ان يخلق فيه اللحم والعظم وركب فيه الجوارح والاعضاء ولما كان على هذه الاحوال المذكورة على ما اخبر الله تعالى وكان تغير احوال اولاده كذلك حيث قال فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة فذكر ان اولاده كانوا على هذه الاحوال قبل ان يخلق فيهم لحما وعظما كما ذكر في حق آدم عليه الصلاة والسلام من انه خلق من تراب وطين لازب وصلصال وحمأ مسنون حمل على ما ذكر في اولاده قال المفسرون خلق الله آدم من طين فصوره وتركه في الشمس اربعين سنة فصار صلصالا لايدري احد ما راد منه ولم يروا شيأ

من الصور يشبهه الى ان نفخ فيه الروح و حقيقة كلامهم انه تعالى خلق آدم من طين على صورة الانسان فجف
فكانت الريح اذا مرّت به سمع له صلصلة ولذلك سماه الله تعالى صلصالا وهو الطين اليابس الذى يصلصل اى
يصوّت وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار ﴿ قوله والجانّ ابا الجن ﴾ قال عامة المفسرين الجانّ ابو الجن كما ان
ابليس ابو الشياطين سمى جانا لتواريه من الاعين يقال جنّ الشئ اذا استتر امره فالجانّ يستتر نفسه عن اعين بنى آدم
﴿ قوله من نار الحرّ الشديد ﴾ الظاهر ان المراد بالحرّ الشديد حرّ النار وان المراد من حرّ النار لهب النار الذى
لادخان له كما نه قيل من نار اللهب الشديد وقوله النافذ فى المسام اشارة الى صفاء ذلك اللهب وخلوّه عن الدخان ولما كان
من طبع لهب النار العلوّ والارتفاع ومن طبع التراب التنزّل والتسفل كان خلق ما خلق من كل واحد منهما مناسبا
لمادّته قيل السموم اسم من اسماء جهنم اخبر الله تعالى انه خلق الجانّ من نار جهنم وقيل السموم الريح الحارّة التى
تقتل قال الكلبى هى نار لادخان لها والصواعق تكون منها وقال ابن مسعود من نار الريح الحارّة قال وهذا السموم
جزء من سبعين جزأ من السموم التى خلق منها الجانّ وتلا هذه الآية ومعنى السموم فى اللغة الريح الحارّة وفيها نار
وفى الخبر انها من نفح جهنم كذا فى الوسيط وقول المصنف من نار الحرّ الشديد يدل على ان السموم عبارة عن الحرّ
المفرط سواء كان من شمس او ريح او نار وان ما فيه من النارية لشدّته ولطافته يدخل المسام فيقتل وقيل السموم
ما كان ليلا والحرور ما كان نهارا وقيل من فى من قبل ومن نار السموم متعلقتان بخلقنا لاختلاف معناهما لان
الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض ﴿ قوله ولايمتنع خلق الحياة فى الاجرام البسيطة ﴾ جواب عما يقال
لايتصوّر الحياة بدون تركيب يتوقف عليه بقاء البنية واعتدال المزاج فكيف تخلق فى الجسم البسيط ولاسيما فى
الجوهر الذى يكون فى غاية الحرارة والجواب ان البنية ليست بشرط لامكان حصول الحياة فانه تعالى خلق الحياة
والعقل والنطق فى الجوهر الفرد فى الجسم الذى يكون فى غاية الحرارة ﴿ قوله ولما كان الروح ﴾ اى النفس الناطقة
تتعلق اوّلا بالبخار اللطيف الذى هو الروح الحيوانى لكونه اقبل لها بالنسبة الى سائر ما فى البدن من الاعضاء
المناسبة بينهما فى اللطافة وهو جواب عما يقال النفخ اجراء الريح فى تجويف شئ آخر ولا ريح ههنا ولا نفخ
فما وجه قوله تعالى ونفخت فيه من روحى وتقرير الجواب انه من قبيل الاستعارة التبعية شبه تعلق الروح بمعنى
النفس باجزاء البدن بواسطة سريان الروح الحيوانى فيها جاريا فى تجاويف الشرايين بجريان الريح فى تجويف
آخر فاطلق على المشبه اسم النفخ واشتق منه نفخت ويحتمل ان يكون المراد بالروح الروح الحيوانى السارى
فى البدن بتوسط الشرايين فيشبه اجراءه هذا الروح فى البدن وهو سبب الحياة باجراء الريح فى الشئ وهو النفخ
بل هو اظهر الا ان اضافته للتشريف فى قوله من روحى تستدعى ان يراد به النفس الناطقة التى هى المشرف بمعرفة
الله تعالى والمكلف بطاعته ﴿ قوله تعالى فقعوا له ﴾ امر من الوقوع والفاء للتعقيب فيدل على انه تعالى لما نفخ
الروح فى آدم عليه الصلاة والسلام اوجب على الملائكة ان يسجدوا له سجود التحية والتعظيم وقيل المسجود له
هو الله تعالى وانه كان آدم كالقبلة لذلك السجود حيث امروا بان يتوجهوا اليه فى سجودهم لله تعظيما له بجعلهم
اياه وسيلة الى عبادة الله تعالى وتعظيمه حيث عاينوا قدرة الله تعالى فى خلق البشر المسوّى من الحمأ المسنون
وقيل اخبر الله تعالى الملائكة انه سيفعل امر كذا وامرهم بالسجود له ان فعل فيكون امرا بالسجود لآدم قبل
خلقه ليفعلوا ذلك حين ما عاينوا انه تعالى عدّل صورته وسوّاه بالصورة الانسانية ونفخ فيه الروح وسمى الانسان
بشرا لكونه جيوانا ظاهر البشرة لاشعر عليه ولا وبر ولا صوف وقيل لكونه جسما كثيفا يباشر اى يمس ظاهر جلده
والملائكة والجن لايباشرون للطافة اجسامهم والبشر والبشرة ظاهر جلد الانسان ﴿ قوله تأكيدين ﴾
ولايفيد الاجتماع فى الوقت كما ذهب اليه البعض فتكون الفائدة فى تكرار التأكيد المبالغة فى الدلالة على سجود
الكل فانه لو قيل فسجد الملائكة من غير تأكيد لاحتمل ان يكون الساجد بعض الملائكة فلما قيل كلهم زال هذا
الاحتمال وظهر انهم سجدوا باسرهم ثم كرر التأكيد للمبالغة فى ازالة احتمال كون الساجد بعضهم وقيل كل
واحد من اللفظين يفيد غير ما افاده الآخر فان الاوّل يفيد ان الساجد كل الملائكة لابعضهم والثانى يفيد ان الكل
سجدوا فى وقت واحد غير متفرقين واعترض عليه المصنف بانه لو كان الامر كذلك لكان الثانى حالا لاتأكيدا اى
ان الثانى لايكون تأكيدا وقد فرض ان كل واحد منهما تأكيد جئ به ليفيد فائدة جديدة غير ما يفيده الآخر وفيه
بحث لانه ان اراد بقوله لكان الثانى حالا لاتأكيدا ان الثانى لايكون تأكيدا حينئذ ممنوع اذ لاشك ان اجمعون

(والجانّ) ابا الجنّ وقيل ابليس ويجوز
ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان
لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد
خلق من مادّة واحدة كان الجنس باسره
مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره قوله
(خلقناه من قبل) من قبل خلق الانسان
(من نار السموم) من نار الحرّ الشديد النافذ
فى المسام ولايمتنع خلق الحياة فى الاجرام
البسيطة كما لايمتنع خلقها فى الجواهر المجرّدة
فضلا عن الاجساد المؤلفة التى الغالب فيها
الجزء النارى فانها اقبل لها من التى الغالب
فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار
الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق
الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى
وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة
الثانية التى يتوقف عليها امكان الحشر وهو
قبول المواد للجمع والاحياء (واذ قال ربك)
واذكر وقت قوله (للملائكة انى خالق بشرا
من صلصال من حمأ مسنون فاذا سوّيته)
عدّلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه
(ونفخت فيه من روحى) حتى جرى آثاره
فى تجاويف اعضائه فحيى واصل النفخ اجراء
الريح فى تجويف جسم آخر ولما كان الروح
يتعلق اوّلا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب
ويفيض عليه القوّة الحيوانية فيسرى حاملا
لها فى تجاويف الشرايين الى اعماق البدن
جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى
نفسه كما مرّ فى سورة النساء (فقعوا له)
فاسقطوا له (ساجدين) امر من وقع يقع
(فسجد الملائكة كلهم اجمعون) اكد
بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص
وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة
على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر
اذ لو كان الامر كذلك كان الثانى حالا لاتأكيدا

يؤكد ما دل عليه لفظ الملائكة معرفا باللام الاستغراقية وان اراد به مع انه تأكيد يفيد فائدة الحال والتأكيد لا يفيد فائدة الحال فهو ايضا ممنوع اذ لا منافاة بينهما بالنسبة الى المعنى الا ترى انه يجوز ان يقال جاؤنى جميعا على انه حال مع افادته معنى التأكيد ﴿ قوله ان جعل منقطعا ﴾ بان يكون الا بمعنى لكن فحينئذ يكون ابى خبره اتفق المفسرون على ان ابليس كان مأمورا بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام الا انهم اختلفوا فى انه من الملائكة والاستثناء متصل او ليس منهم بل كان جنيا من جنس الجن وليس من الملائكة فالامر للملائكة بالسجود لآدم تناول ذلك الامر له ايضا لكونه مخاطبهم وان لم يكن منهم حقيقة كان الاستثناء منقطعا وقوله لم اكن لاسجد مشتمل على دليلين احدهما ان كونه بشرا يشعر بكونه جسما كثيفا لان الانسان انما سمى بشرا للظهور جلده لما مر ان البشر والبشرة ظاهر جلد الانسان فكأنه يقول البشر جسمانى كثيف وانا روحانى لطيف والجسمانى الكثيف ادون حالا من الروحانى اللطيف والادون لا يجوز ان يكون مسجود الاعلى وثانيهما انه مخلوق من صلصال وابليس مخلوق من نار والنار اشرف من الصلصال وما يكون مخلوقا من الاشرف فهو اشرف والاشرف لا يجوز ان يسجد للادون والمصنف اشار اليهما بقوله استنقص آدم باعتبار النوع والاصل قال المصنف فى سورة الاعراف قد غلط اللعين فى ذلك حيث رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى وباعتبار الصورة حيث سواه الله تعالى ونفخ فيه من روحه وباعتبار الغاية فانه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والحق انه تعالى نص على السجود وعارضه ابليس بالقياس ومن عارض النص بالقياس كان رجيما ملعونا ﴿ قوله فان من يطرد يرجم بالحجر ﴾ بيان لوجه انتقال الذهن من المرجوم الذى هو المرمى بالحجر الى معنى المطرود من الرحمة والكرامة وتوضيحه ان الرجيم كناية عن كونه مطرودا ملعونا لان الطرد مستلزم للرجم فاطلق اللازم على الملزوم ﴿ قوله او شيطان يرجم بالشهب ﴾ اى ويحتمل ان يكون الرجيم بمعنى المرجوم بالشهب ويكون كناية عمن اشتهر بهذا الوصف وهو الشيطان كقولك جبان الكلب وزيد جبان الكلب وزيد كثير الرماد ﴿ قوله وهو وعيد ﴾ اى الاخبار بانه رجيم اى معنى كان وعيد اما ان كان بمعنى الطرد من الخير والكرامة فلان معظم الخير ما يكون يوم القيامة بلا حرمان ولا وعيد اعظم من الحرمان من الخير فيه واما ان كان بمعنى الشيطان المرجوم بالشهب فلان الشيطان لا يخلو اما ان يكون من شطن بمعنى بعد او من شاط بمعنى هلك وكل واحد منهما ينبئ عن الوعيد واما كونه متضمنا الجواب عن شبهته فلان المرجومية كناية عن الملعونية والشيطانية اللتين هما غاية الخذلان والهوان فيكون ابطالا لادعائه الفضل والرجحان ﴿ قوله فانه منتهى أمد اللعن ﴾ جواب عما يقال من ان كلمة الى لانتهاء الغاية فيلزم زوال اللعن وانتهاؤه عند يوم القيامة الذى هو يوم الدين والجزاء واجاب عنه اولا بان المراد ان يكون مخذولا غير موفق للاهتداء الى طاعة الله تعالى ودينه ومن هذا شأنه يكون مطرودا من رحمة الله تعالى لان اصل الرحمة ما يكون ايام التكليف فلما كان المرجوم من وفق للاهتداء ايام التكليف والملعون من كان مخذولا غير موفق له زمان التكليف ظهر ان اللعنة بهذا المعنى تنتهى بانتهاء زمان التكليف ثم استشعر ان يقال كيف تكون اللعنة بمعنى الابعاد عن الرحمة فى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين فاجاب عنه بان اللعنة تطلق على معنيين فالتى جعلها الله تعالى منتهية بيوم الجزاء هى اللعنة بمعنى الطرد عن الهداية الى الحق والتى ابتداها يوم الجزاء هى اللعنة بمعنى آخر ثم نقل جوابين آخرين على سبيل التضعيف والتمريض الاول ان اللعن وان حد بيوم الجزاء الا ان المراد به التأبيد وذكر يوم الدين لكونه ابعد غاية يذكرها الناس فى مقام التأبيد كقوله تعالى ما دامت السموات والارض الامثاله والثانى ان قوله تعالى وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال الكلبى معناه يلعنك اهل السماء واهل الارض الى يوم الحساب لانك اول من عصى الله ثم اذا جاء يوم الجزاء عذب عذابا ينسى عنده اللعن فيصير اللعن حينئذ كالزائل بسبب ان شدة العذاب تذهل عنه وتنسيه فكانت مذمة الخلائق اياه ودعاؤهم عليه باللعن كأنها مختصة زمان التكليف ومنتهية عند مجيء يوم الجزاء فلذلك قال الى يوم الدين ﴿ قوله والفاء متعلقة بمحذوف ﴾ تقديره اذا جعلتنى رجيما ملعونا الى يوم القيامة فانظرنى طلب ان يمهله الله تعالى الى يوم البعث وهو يوم القيامة عند يأسه من سعادة الآخرة اى طلب اصل الانظار ليجد فسحة فى الاغواء وطلب كون الانظار المطلوب منتهيا الى يوم البعث لئلا يموت لعلمه بان لا يموت احد يوم الحشر فانظره الله تعالى الى يوم الوقت الذى سمى وعين عند الله تعالى حلول اجله فيه ولم يبين ذلك الوقت ولم يطلعه عليه الا ترى

(الا ابليس) ان جعل منقطعا اتصل به قوله (ابى ان يكون مع الساجدين) اى لكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد (قال يا ابليس ما لك ان لا تكون) اى غرض لك فى ان لا تكون (مع الساجدين) لآدم (قال لم اكن لاسجد) اللام لتأكيد النفى اى لا يصح منى وينافى حالى ان اسجد (لبشر) جسمانى كثيف وانا ملك روحانى (خلقته من صلصال من حمأ مسنون) وهو اخس العناصر وخلقتنى من نار وهو اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف (قال فاخرج منها) من السماء او الجنة او زمر الملائكة (فانك رجيم) مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته (وان عليك اللعنة) هذا الطرد والابعاد (الى يوم الدين) فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما فى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل (قال رب فانظرنى) فاخرنى والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم (الى يوم يبعثون) اراد ان يجد فسحة فى الاغواء او نجاة من الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثانى

(الى)

الى قوله حكاية عنه وانى جار لكم فلما ترآءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى بريء منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله فاخبر تعالى انه يخاف الله ولو بين له الوقت المعلوم لكان لا يخاف هلاكه قبل ذلك وقيل الوقت المعلوم هو الوقت الذى عين فى علم الله تعالى انقراض الناس كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى على ما روى انه اذا نفخت النفخة الاولى مات الخلائق كلهم ومات ابليس معهم ﴿ قوله لما عرفت ﴾ اى من ان حكمة الحشر ان تجازى الخلائق باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر ﴿ قوله وثانيا يوم البعث ﴾ لكونه صالحا لان يكنى به عن مقصود اللعين وهو ان يكون الانظار الى وقت انقطاع التكاليف وحصول اليأس من اغوآء بنى آدم وتضليلهم ولا شك ان يوم البعث ينتقل منه الذهن الى الوقت المذكور فعبر به عن ذلك الوقت لهذا الاعتبار وعبر عنه ثالثا بالمعلوم لانه لما ذكر فى كلامه تعالى يوم الدين وفى كلام اللعين يوم يبعثون صار معلوما معينا ولما ورد ان يقال كونه منظرا الى يوم القيامة يستلزم ان لا يموت ابدا لانه لا موت بعد يوم البعث اشار الى جوابه بقوله فلعله يموت اول اليوم لا فى اثنائه والذى تقرر انتفاؤه هو الموت فى اثناء ذلك اليوم لا فى اوله الذى الجزآء ينتهى اليه ﴿ قوله وهذه المخاطبة الخ ﴾ جواب عما يقال ظاهر الآية يدل على انه تعالى تكلم مع ابليس بغير واسطة وهو من اعظم المناصب واشرف المراتب فلا يليق بمن هو رأس الكفرة ورئيسهم وتقرير الجواب ان مكالمة الله تعالى بغير واسطة انما تكون منصبا عاليا اذا كان على سبيل الاكرام والاعظام واما اذا كان على سبيل الاهانة والاذلال فلا ﴿ قوله والمعنى اقسم باغوآئك ﴾ ونظيره قوله تعالى حكاية عنه فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا انه فى هذا الموضع اقسم بعزة الله وهى من صفات الذات وفى قوله فبما اغويتنى اقسم باغوآء الله وهو من صفات الفعل والفقهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح واما القسم بصفات الافعال فقد اختلفوا فيه وذكر فى شرح الوافى قال العراقيون الحلف بصفات الذات كالقدرة والعظمة والعزة والجلال والكبرياء يمين وبصفات الفعل كالرحمة والسخط والغضب والرضى ليس بيمين وصفة الذات ما لا يجوز ان يوصف بضده وصفة الفعل ما يجوز ان يوصف بضده فانه تعالى يرضى بالايمان ولا يرضى بالكفر ثم قال الشارح والمذهب عندنا ان صفات الله تعالى لا هو ولا غيره وكلها قديمة فلا يستقيم الفرق ﴿ قوله لازينن لهم المعاصى فى الدنيا ﴾ اشارة الى ان مفعول لازينن محذوف وهو المعاصى وعدى الفعل بفى بناء على ان يراد بالارض جهة السفل وهى الدنيا كما فى قوله تعالى اخلد الى الارض اى ركن الى الدنيا ﴿ قوله والمعتزلة ﴾ فانهم لما ابوا عن القول بانه تعالى يحدث الغواية والضلال فى العبد بناء على ما زعموا من ان بعض الافعال قبيح فى حقه تعالى اوّلوا قوله اغويتنى بقولهم نسبتنى الى الغى وحقق ذلك او بكونه تعالى سببا لغيه فانه تعالى لما امره بالسجود وافضى ذلك الى غيه بالاباء عن السجود كان له تعالى مدخل فى غيه فاسند الاغوآء اليه تعالى على طريق اسناد الفعل الى السبب فالنظر الى ابليس مع انه تعالى هو الذى يخلق فعل الغواية والضلال فيمن يختار له ذلك ولم تعلم المعتزلة ذلك وايضا اوّلوا الاغوآء بالاضلال عن طريق الجنة اى ان اضللتنى عن طريق الجنة اضلهم انا بالدعاء الى المعصية وضعف هذا التأويل لانه لما اقدم على الكفر باختياره فقد خيب نفسه عن رحمة الله تعالى وايضا لما توجه عليهم ان قوله انك من المنظرين مخالف لمذهبهم لانه لما سأل من الله تعالى هذا العمر الطويل زيادة الكفر والمعصية وبسبب تلك الزيادة يزداد استحقاقه لانواع العذاب والتعذيب كان هذا الامهال سببا لمزيد عذابه وذلك يدل على انه تعالى اراد به ان يزداد عذابه وعذاب من يتبعه لا انه تعالى امهله تلك المدة الطويلة لعلمه بانه لا تفاوت حاله ولا حال من يتبعه فى الاستحقاق للعذاب الشديد بالكفر والضلال ويموت على الكفر ويخلد فى العذاب الشديد فلا يكون امهاله الا مزيدا لتعذيبهم ويدل على ضعفه الدلائل النقلية والعقلية اما النقلى فكل قوله فازلهما الشيطان وقوله فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فانه يدل على ان للشيطان مدخلا وسببية فى تلك الافعال واما الدليل العقلى فان بداهة العقل شاهدة بانه ليس حال من ابتلى بمحاولة شخص رغبته ابدا فى القبائح وتفرته عن الخيرات مثل حال شخص كان حاله على ضد حاله فظهر بهذه الدلائل ان القول بعدم تفاوت الحال بين وجود اغوآء الشيطان وامهاله وعدم ذلك وبين وجود وسوسته وعدمها ضعيف وان ليس للمعتزلة اعتذار يعتد به ﴿ قوله ولاجعلنهم ﴾ اشارة الى ان اسناد الاغوآء اليه من قبيل اسناد الفعل الى سببه الحامل واستثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم وانهم لا يقبلون منه فلو لم يذكر الاستثناء لكان كاذبا فى قوله فابليس مع كونه ابليسا لما احترز عن الكذب ظهر ان الكذب فى غاية الخبث بحيث لا يرضى به سعيد ولا شقى ثم ان ابليس لما استثنى

(قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اوّلا بيوم الجزآء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكاليف واليأس من التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه فى الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق فى تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال (قال رب بما اغويتنى) الباء للقسم وما مصدرية وجوابه (لازينن لهم فى الارض) والمعنى اقسم باغوآئك اياى لازينن لهم المعاصى فى الدنيا التى هى دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفى انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اوّلوا الاغوآء بالنسبة الى الغى او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليطه له على اغوآء بنى آدم بان الله تعالى علم منه وممن يتبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان فى امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوى الالباب (ولاغوينهم اجمعين) ولاحملنهم اجمعين على الغواية (الا عبادك منهم المخلصين) اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوآئب فلا يعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر فى كل القرآن اى الذين اخلصوا نفوسهم لله

المخلصين من الغاوين باغوآئه قال تعالى هذا اشارة الى الاخلاص المدلول عليه بلفظ المخلصين صراط علىّ مستقيم من سلكه يمرّ علىّ اى على مرضاتى وفضلى واحسانى ومن مرّ على مرضاتى فكأنه مرّ علىّ وقيل على ههنا بمعنى الى والمعنى انه اشارة الى ما استثناه ابليس وهو انه لايغوى عباده المخلصين وهم الذين لايختارون اتباع ابليس فيكون علىّ متعلقا بمحذوف وهو حق ويكون استقامته كناية عن عدم الانحراف من الحق وقرئ علىٌّ بالرفع على انه صفة لقوله صراط ﴿قوله تصديق لابليس﴾ صدّقه الله تعالى فى قوله الاعبادك منهم المخلصين وبين انه لايقدر على اغوآء المخلصين الا انه تعالى غير الوضع بان جعل ما استثناه ابليس مستثنى منه على غير الوضع الذى استثناه ابليس فان الاضافة فى قوله الاعبادك لتعريف الجنس وفى قوله تعالى ان عبادى لتشريف المخلصين باضافتهم الى نفسه والمصنف جعل الاستثناء متصلا بان جعل قوله تعالى ان عبادى بجنس العباد فيكون المستثنى داخلا فى جنس المستثنى منه وقال جعل وضع ما ورد بتصديق قول ابليس مغاير الوضع ابليس لان ابليس استثنى من جنس العباد المخلصين وهو تعالى استثنى منه الغاوين لفائدتين الاولى لتعظيم المخلصين لانهم هم الباقون بعد الاستثناء فهم الاحقاء لان يعبر عنهم بلفظ عبادى والثانية ان المقصود انما يتم بهذا الوضع فعلى هذا يكون قوله تعالى الامن اتبعك بمعنى لكن من اتبعك لعدم دخول متبعى ابليس فى المخلصين وان كان انما يحصل بتغيير الوضع وجعل التعريف للعهد ﴿قوله او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص﴾ فان قول ابليس لاغوينهم اجمعين الاعبادك منهم المخلصين يوهم ان له سلطانا على عباد الله تعالى الغير المخلصين لانهم هم الباقون بعد استثناء المخلصين فتعينوا لذلك لان يكونوا متعلق اغوآئه فى قوله لاغوينهم وهو يوهم ان يكون له سلطان على اغوآئهم فكذبه الله تعالى حيث بين بهذه الآية انه ليس له سلطان عليهم ثم استدرك فقال لكن من اتبعك منهم باختياره فهو من الغاوين الا ان غوايته ليس لاجل ان ابليس يقهره على تلك المتابعة ويجبره عليها بل هو مختار فى ذلك كما قال تعالى حكاية عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فظهر بهذا التقرير كون استثناء الامن اتبعك منقطعا لان اتباع ابليس لايخرجون باتباعهم اياه من كونهم موصوفين بان ليس للشيطان سلطان عليهم ويمكن ان يجعل الاستثناء متصلا بان يحمل العباد فى قوله تعالى ان عبادى على العموم من المطيعين والعصاة ويكون السلطان بمعنى التمكن والوسوسة والدعوة الى الضلال ﴿قوله وعلى الاوّل﴾ اى على ان تكون الآية تصديقا لابليس وتوضيح المقام يتوقف على بسط الكلام فاعلم ان الاصوليين اتفقوا على ان الشرط فى الاستثناء المتصل ان لايكون المستثنى مستغرقا للمستثنى منه فيبطل ان يقال مثلا علىّ خمسة الاخمسة لانه يفضى الى اللغو وشرط الحنابلة مع ذلك ان لايزيد المستثنى على نصف المستثنى منه وقالوا لايصح نحو ان يقال له علىّ عشرة الاستة ويصح الاخمسة وشرط القاضى ابوبكر ان ينقص المستثنى عن نصف المستثنى منه فلا يصح علىّ عشرة الاخمسة ويصح الاربعة واحتج على مذهبه بان قال القياس يقتضى ان لايصح الاستثناء اصلا لان الحكم على المستثنى منه يتناول جميع ما يندرج تحته وذكر الاستثناء بعده بمنزلة الانكار بعد الاعتراف الا انه خولف هذا القياس فيما اذا كان المستثنى اقل لمعنى لم يوجد فيما اذا كان مساويا او اكثر وهو ان الاقل قد ينسى لعدم الاعتداد وقلة التفات النفس اليه فيستدرك بالاستثناء فلم يلزم من صحة استثناء الاقل صحة استثناء الاكثر والمساوى وقوله تعالى الامن اتبعك ان جعل مستثنى متصلا من جنس العباد واراد تصديق ابليس فى قوله لاغوين عبادك الا المخلصين لزم اندفاع ما ذهب اليه القاضى من وجوب كون المستثنى اقل من الباقى ووجه الدفاعه كونه مفضيا الى ان يكون كل واحد من المخلصين والغاوين اقل من الآخر وذلك لان استثناء المخلصين من جنس العباد فى قوله لاغوين عبادك يستلزم ان يكون المخلصين اقل من الغاوين واستثناء الغاوين من جنس العباد فى قوله تعالى الامن اتبعك يستلزم ان يكون الغاوين اقل من المخلصين فيكون كل واحد منهما اقل مما هو اقل من نفسه فيكون كل واحد منهما اقل من نفسه بدرجتين وما هو الاتناقض وباطل ﴿قوله او حال﴾ اى من الضمير فى موعدهم وهذا على رأى من يجوّز الحال من المضاف اليه فان جعلت الموعد مصدرا يجوز ان يعمل فى الحال الا انه لابدّ من حذف مضاف اى مكان موعدهم لان جهنم ليست نفس المعنى المصدرى وان جعلت الموعد اسم مكان لايحتاج الى تقدير المضاف الا ان اسم المكان لايعمل فحينئذ يكون العامل فى الحال معنى الاضافة ﴿قوله او طبقات ينزلونها﴾ يعنى اختلف فى ان المراد بابواب جهنم ما هو فقيل لها سبع طبقات بعضها اسفل من

(قال هذا صراط علىّ) حق علىّ ان اراعيه (مستقيم) لا انحرف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوآئه او الاخلاص على معنى انه طريق علىّ يؤدى الى الوصول الىّ من غير اعوجاج وضلال وقرئ علىٌّ من علوّ الشرف (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاوّل يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقى لافضائه الى تناقض الاستثنائين (وان جهنم لموعدهم) لموعد الغاوين او المتبعين (اجمعين) تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لايعمل (لها سبعة ابواب) يدخلون منها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار جميع المهلكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية اولان اهلها سبع فرق

(لكل باب منهم) من الاتباع (جزؤ مقسوم) افرزله فأعلاها للوحدين العصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابوبكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاى ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن فى الظرف لافى مقسوم لان الصفة لاتعمل فيما تقدم موصوفها (ان المتقين) من اتباعه فى الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة (فى جنات وعيون) لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وحفص وابو عمرو وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين (ادخلوها) على ارادة القول

بعض وتسمى تلك الطبقات بالدركات ويدل على كونها كذلك قوله تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وقيل ان اهل النار سبع فرق لكل فرقة باب معين وقد فصل المصنف اسامى طبقات النار فقال اولها جهنم ثم لظى ثم سقر ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية وقال الضحاك الطبقة الاولى فيها اهل التوحيد يعذبون على قدر اعمالهم ثم يخرجون والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وهو قوله تعالى لكل باب منهم جزؤ مقسوم اى صنف او جنس جزؤ مقسوم اى حظ معين معلوم او لكل منزل وطبقة جزؤ كائن من اهل النار على ان قوله منهم حال من جزء لانه فى الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا وعلى الاول يكون منهم حالا من الضمير المستتر فى قوله لكل باب والعامل فى هذه الحال ماهو العامل فى هذا الجار والمجرور ولايجوز ان يكون منهم حالا من المستكن فى مقسوم لان الصفة لاتعمل فيما قبل الموصوف وقوله لها سبعة ابواب يجوز ان يكون جملة مستأنفة وهو الظاهر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا قيل جهنم من قول العرب بئر جهنام اى بعيدة القعر ولظى من التلظى وهو التوقد والحطمة من الحطم وهو الكسر لانها تحطم عظام الكفار اى تكسرها وسقر لانها تذيب عظامهم ولحومهم يقال سقرته الشمس وسقرته اى اذابته والسعير لانها سعرت اى التهبت والجحيم لانها نار عظيمة والهاوية لانها تهوى بهم اى تسقطهم ﴿قوله وقرأ ابو بكر جزؤ بالتثقيل﴾ اى بضمتين والباقون بسكون الزاى ثم انه تعالى لما شرح احوال العقاب اتبعه بيان احوال الثواب فقال ان المتقين فى جنات وقدمر ان التقوى لها ثلاث مراتب الاولى تقوى عامة المؤمنين وهى التقوى عن العذاب المخلد بالتبرى من الشرك والثانية تقوى الخواص وهو التجنب عن كل مايؤثم من فعل وترك والثالثة تقوى اخص الخواص وهو التنزه عن كل مايشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشره والمصنف حمل التقوى المذكورة ههنا على المرتبة الثانية منها حيث قال المتقين من اتباع ابليس فى الكفر والفواحش لكون الحمل المذكور انسب بهذا المقام لما مر ان الناس فريقان المخلصون والغاوون وان جهنم مقسومة سبعة اقسام وان الدركة الاولى منها لعصاة المؤمنين يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها فاذا لابد من تفسير المتقين فى هذا المقام بما يميزون به عن الغاوين الذين قيل فى حقهم وان جهنم لموعدهم اجمعين لكل طبقة منها صنف معين من الغاوين حتى يكون المتقون مقابلا للغاوين ومرادفا للمخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وطهرهم من شوائب معصيته وغاية مافى الباب انه لايعلم من هذه الآية خروج عصاة المؤمنين من النار ودخولهم فى الجنة بالآخرة ولا محذور لكونه يعلم من نصوص اخر وقال جمهور المعتزلة القائلين بوجوب عقاب اصحاب الكبائر وخلودهم فى النار المتقون هم الذين اتقوا جميع المعاصى لانه اسم مدح فلايتناول الامن يكون كذلك وقال جمهور الصحابة والتابعين وهو المنقول عن ابن عباس ان المتقين هم الذين اتقوا الشرك والكفر بالله تعالى ووجهه ان المتقى من اتصف بالتقوى فى الجملة وليس من شرط الاتصاف بها ان يكون الشخص آتيا بجميع انواع التقوى وكان القياس ان يصح توصيف الشخص بانه متق بمجرد كونه آتيا بنوع من انواع التقوى اى نوع كان الا ان الائمة اجمعوا على ان التقوى من الكفر شرط فى صحة الحكم بانه فى جنات فوجب ان يعتبر فى التقوى خصوص الاتقاء عن الكفر وقد تقرر ان تحقق شئ من انواع التقوى فى الشخص يكفى فى توصيفه بانه متق فلايشترط فى توصيف الشخص بالتقوى ان يتحقق فيه شئ زائد فى الاتقاء عن الكفر هذا كلام الامام ولايخفى ان ليس الكلام فى كفاية تحقق الاتقاء عن الشرك فى صحة التوصيف بانه متق بل الكلام فى رعاية المناسبة للمقام وهى تقتضى اعتبار التوقى عن سائر الكبائر ايضا فلذلك حمل التقوى فى هذا المقام على المرتبة الثانية منها ﴿قوله او لكل عدة منهما﴾ فيكون لكل واحد اربع جنات بمقتضى الآيتين واربعة انهار بمقتضى قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى هذا على تقدير ان تكون العيون المذكورة بقوله فى جنات وعيون الانهار المذكورة فى هذه الآية ويحتمل ان يكون المراد من هذه العيون منابع مغايرة لتلك الانهار ثم انه يحتمل ان يكون كل واحد من المتقين له عيون تخصه ويتمتع بها هو وكل من فى حمايته من الحور والولدان ويحتمل ايضا ان تجرى تلك العيون من بعضهم الى بعض لانهم مطهرون عن الحقد والحسد ﴿قوله على ارادة القول﴾ بان يقال لاهل الجنة ادخلوها ويحتمل ان يكون القائل هو الله تعالى ويحتمل ان يكون بعض الملائكة فان قيل قد حكم الله تعالى بان المتقين فى جنات وعيون واذا كانوا فيها فكيف يمكن ان يقال لهم ادخلوها مع السلامة من كل الآفات فلنا يمكن ان

وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين (بسلام) سالمين او مسلما عليكم (آمنين) من الآفات والزوال (ونزعنا) في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم (ما في صدورهم من غل) من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب (اخوانا) حال من الضمير في

جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله (على سرر متقابلين) ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر (لا يمسهم فيها نصب) استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين (وما هم منها بمخرجين) فان تمام النعمة بالخلود (نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم) فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتأكيده وفي عطف (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما (قال انا منكم وجلون) خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره (قالوا لا توجل) وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله (انا نبشرك) استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر (بغلام) هو اسحق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحق (عليم) اذا بلغ (قال أبشرتموني على ان مسني الكبر) تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحالة وكذلك قوله (فبم تبشرون) اي فبأي اعجوبة تبشروني او فبأي شيء تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء (قالوا بشرناك بالحق) بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان (بمعنى) استعجاب ابراهيم صلوات الله عليه باعتبار العادة دون القدرة ولذلك (قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح

فقال لهم ادخلوها مع السلامة من كل الآفات في الحال مع القطع ببقاء هذه السلامة والامن من زوالها وبسلام حال اي ملتبسين بالسلامة او مسلما عليكم وآمنين حال اخرى بدل من الاولى بدل الكل او الاشتمال لان الامن مشتمل على السلامة او بالعكس ﴿قوله وقرئ بقطع الهمزة﴾ اي مضمومة على انه ماض مبني للمفعول يعني ان العامة على وصل الهمزة على انه امر من دخل يدخل وحينئذ يجوز كسر تنوين عيون لالتقاء الساكنين ويجوز ضمه ايضا بالقاء ضمة الهمزة على التنوين وحذف الهمزة حال الوصل وعلى تقدير ان يقرأ بقطع الهمزة لا يجوز كسر التنوين لانه لم يكن ساكنا ويجوز ضمه بالقاء ضمة الهمزة عليه واسقاط الهمزة اجراء لها مجرى همزة الوصل في الاسقاط ﴿قوله ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم﴾ بان اتفقوا على ما يقتضيه الاسلام من الاخلاق الحسنة والافعال المرضية بعد ما كانوا عليه من الكفر وخصائل الجاهلية من اتباع الشهوة والغضب كما قال تعالى فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار بسبب اجتماعكم على الكفر والاحوال الناشئة له كأنه قيل ان المتقين في جنات بسبب انا طهرنا قلوبهم في الدنيا عن الكفر وما يناسبه من الكدورات الطبيعية والملكات الردية ﴿قوله او في الجنة﴾ بان ينسي الله تعالى ما كان بينهم من الجفاء والعقوق لان ذكر الجفاء والمخالفة ينغص النعم التي في الجنة ويمنعهم فيها عن التلذذ والتنعم بنعيمها مع صفاء القلوب روي ان المؤمنين يحاسبون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقى الله قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد والسرر بضمتين والاسرة جمع سرير قيل انه مجلس رفيع مهيأ للسرور فهو مأخوذ منه لانه مجلس سرور روي ان لكل سرير مثل صنعاء الى الجابية ﴿قوله لانه بمعنى متصافين﴾ وتأويل الجامد بالمشتق البعيد منه لا يخلو عن بعد ﴿قوله تحقيق لهما بما يعتبرون به﴾ فانه تعالى لما ذكر ان ضيف ابراهيم بشروه بالولد بعد الكبر وبانجاء المؤمنين من قوم لوط من عذاب الاستئصال واهلاك الآخرين على اسوء الاحوال كان ذلك تحقيقا وتقريرا لما قبله من انه غفور رحيم للمؤمنين وان عذابه عذاب اليم في حق الكفار والضيف في الاصل مصدر ضاف يضيف اذا اتى انسانا لطلب القرى ثم سمي به واطلق على الملائكة ضيفا مع امتناعهم من الاكل وطلب القرى من حيث ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام ظنهم اضيافا لدخولهم عليه على صورة الاضياف ﴿قوله تعالى اذ دخلوا﴾ فيه وجهان احدهما انه مفعول به لفعل مقدر اي اذكر اذ دخلوا والثاني انه ظرف محذوف اي اذكر خبر ضيف اذ دخلوا او ظرف لنفس ضيف بناء على انه كان في الاصل مصدرا فاعتبر ذلك فيه ويدل على اعتبار مصدريته بعد جعله اسما وصفيه به وعدم مطابقته لما قبله تثنية وجمعا وتأنيثا في الاغلب ﴿قوله او لانهم امتنعوا من الاكل﴾ فانه قد كانت عادتهم انه اذا اكل من يطرقهم طعامهم أمنوا والا خافوا ﴿قوله وقرئ لا تاجل﴾ العامة على فتح تاء توجل من وجل يوجل كشرب يشرب وقرئ لا تاجل والاصل لا توجل كقراءة العامة الا انه قلبت الواو الفا لانفتاح ما قبلها وان لم تكن هي متحركة كقولهم تابه وصامه في توبه وصومه وجمع الهم نقل تابي وصامي وقرئ ايضا لا توجل مبنيا للمفعول من الايجال وقرئ لا تواجل ايضا ﴿قوله وقرأ حمزة نبشرك﴾ اي بفتح النون وسكون الباء من بشرت الرجل ابشره بشرا وبشورا من البشرى فالبشر والابشار والتبشير ثلاث لغات وقرأ الباقون نبشرك بضم النون وفتح الباء من التبشير بشروه بامرين احدهما ان الولد ذكر والثاني انه عليم واختلفوا في تفسير العليم فقيل بشروه بنبوته وقيل بشروه بانه عليم بالدين وما يتعلق به ﴿قوله تعجب او انكار الخ﴾ الا انه لا يصح حمله على الاستفهام حقيقة اذ لا وجه للاستفهام بعد ان قالوا انا نبشرك بغلام عليم وكذا لا وجه للاستفهام عن المبشر به بعد ما بينوه بانه غلام عليم فلذلك حمل الاستفهام على التعجب والانكار والباء صلة تبشرون كما في قولك بشرته بقدوم زيد ويجوز ان لا تكون صلة تبشرون بل تكون كالباء في قوله ضربته بالسوط والمعنى باي طريقة تبشرونني بالولد أنحصل ذلك من حال كوني باقيا على صفة الشيخوخة ام اصير واقلب الى الشباب ثم تحصل الولد مني وكل ذلك بعيد بحسب العادة وامر عجيب وكذا قوله بالحق يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اي بشرناك بطريقة هي حق وهي ان تحصل الولد منك حال بقائكما على صفة الشيخوخة النادة بفعل الله تعالى وامره فانه تعالى قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ وعجوز عاقر والقنوط اليأس من الخير وقول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون يدل على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن قانطا ولكنه استبعد ذلك باعتبار العادة فظنت الملائكة ان به قنوطا فنفى عن نفسه واخبر ان القانط من رحمة ربه ضال جاهل والاستفهام في قوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون يدل على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن قانطا لانه

(قال فما خطبكم ايها المرسلون) اى فما شأنكم الذى ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لاتحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (الا آل لوط) ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير فى مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجى آل لوط ويدل عليه قوله (انا لمنجوهم اجمعين) اى مما نعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله (الا امرأته) استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لايكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائى لمنجوهم مخففا (قدرنا انها لمن الغابرين) الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابوبكر عن عاصم قدرنا هنا وفى النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) تنكركم نفسى وتنفر عنكم مخافة ان تطرقونى بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفيك من عدوك وهو العذاب الذى توعدتهم به فيمترون فيه (وأتيناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) فيما اخبرناك به (فأسر باهلك) فاذهب بهم فى الليل وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير (بقطع من الليل) فى طائفة من الليل وقيل فى آخره قال شعر

فاقصى الباب والظرى فى النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم * (واتبع أدبارهم) وكن على اثرهم تذود بهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم

يعنى النبى ولذلك وقع بعده الايجاب بالا ﴿ قوله ولعله علم الخ ﴾ جواب عما يقال الملائكة لما بشروه بغلام عليم تبين غرضهم من المجئ فكيف سأل عليه الصلاة والسلام بعد ذلك بقوله فما خطبكم ﴿ قوله ويدل عليه ﴾ اى على ان ارسال الملائكة الى المجرمين لاجل اهلاكهم الاستئناف بقوله انا لمنجوهم اجمعين فانه لما قيل انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم توجه ان يقال فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فانه صريح فى ان المقصود من ذلك الارسال اهلاك القوم المجرمين ﴿ قوله لاختلاف الحكمين ﴾ فان آل لوط مستثنى من حكم الاجرام وامرأته مستثنى من حكم التنجية والاستثناء من الاستثناء لايصح الا فيما اتحد الحكم فيه مثل ان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته وما نحن فيه ليس كذلك الا ان يجعل انا لمنجوهم معترضة بين الاستثناء الثانى والاول نقل عن صاحب التقريب انه قال وقد يتوهم من الارسال اذا كان بمعنى الاهلاك انه لا اختلاف اذ التقدير الا آل لوط لم نهلكهم فهو بمعنى منجوهم وجوابه ان الاستثناء من متعدد بعطف مستثنى منه ان كان متصلا بما قبله وههنا تخلل انا لمنجوهم فلو قال الا آل لوط الا امرأته جاز ذلك قال الطيبى قلت لاسيما ان قوله انا لمنجوهم على تقدير ان يكون الاستثناء متصلا جملة منقطعة عما قبلها على تقدير سؤال سائل فيبعد من البليغ ان يجعل ما فى حيزه متعلقا بما قبله وقوله جملة منقطعة خبر قوله ان قوله الخ وقال صاحب الكشاف قوله انما يكون فيما اتحد الحكم اى شخصا وعددا فلا يرد ان الارسال اذا كان بمعنى الاهلاك كان قوله انا لمنجوهم وقوله الا آل لوط فى معنى واحد واخر الاستثناء من الاول فى المعنى وانما شرط الاتحاد اذ المتصل كاسم واحد ولا يجوز تخلل جملة بين ابعاضها وحالها ولا كذلك فى المنقطع ﴿ قوله وانما علق ﴾ ودليل تعليقه ان قوله انها لمن الغابرين فى موضع المفعول لقدرنا والمعنى قضينا انها تتخلف وتبقى مع من يبقى حتى تهلك مع الهالكين فلما كسرت ان مع وقوعها فى حيز المفعول علمنا ان الفعل قبلها معلق عما بعده فان ان المكسورة من المعلقات اذا كان فتحها ممنوعا وذلك اذا جاء فى خبرها لام الابتداء نحو علمت ان زيدا لقائم فان لام الابتداء لاتدخل الا مع المكسورة واما اذا تجردت ان عن اللام فانها لاتعلق ويجوز فتحها وجعلها مع ولية الفعل واصل الكلام قدرناها من الغابرين ثم جئ بلام الابتداء فصار قدرنا لها من الغابرين ثم جئ بان فأخر لام الابتداء الى الخبر وقيل قدرنا انها لمن الغابرين ومعنى التقدير جعل الشئ على مقدار غيره يقال قدر هذا الشئ بهذا اى اجعله على مقداره وقدر الله تعالى الاقوات اى جعلها على مقدار الكفاية ويستعمل فى معنى القضاء يقال قدر الله عليه اى قضى عليه بذلك قضاء كائنا على قدر ما تقتضيه الحكمة وقيل قدرنا بمعنى كتبنا وقيل بمعنى دبرنا * فان قيل لم اسند الملائكة التقدير الى انفسهم مع انه لله تعالى * فالجواب انهم انما ذكروا هذه العبارة لما لهم من القرب والاختصاص بالله تعالى كما تقول خواص الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لاهم وانما يريدون بهذا الكلام اظهار ما لهم من الاختصاص بذلك الملك فكذا هذا ﴿ قوله لتضمنه معنى العلم ﴾ فان تقدير الشئ يبنى على العلم به ويستلزمه فعومل معاملة العلم فى التعليق بسبب تلك العلاقة والمعتزلة يفسرون تقدير الله تعالى اعمال العباد بالعلم بها ويجحدون القضاء والقدر لامتناعهم عن القول بتعلق قدرة الله تعالى بالمعاصى والتقدير عندهم هو العلم لا الارادة ﴿ قوله مخافة ان تطرقونى بشر ﴾ وذلك لان الملائكة كانوا على صورة شبان مرد حسان الوجوه فخاف ان تهجم قومه عليهم بغتة بسبب طلبهم فقال هذه الكلمة لذلك ويحتمل ان يكون المراد بقوله انكم قوم منكرون انى لا اعرفكم ولا اعرف انكم من اى الاقوام ولاى غرض دخلتم على وذلك لان النكرة ضد المعرفة الا ان قولهم بل جئناك بدل من القول المحذوف والتقدير ما ذكره ﴿ قوله فأسر بوصل الهمزة ﴾ يقال سريت اسرى سرى واسريت وهما لغتان بمعنى واحد اى سرت ليلا ﴿ قوله وقيل فى آخره ﴾ كلمة فى ههنا مستدركة لان القطع آخر الليل لا فى آخره * الجوهرى القطع طائفة آخر الليل ومنه قوله تعالى فأسر باهلك بقطع من الليل وقال الاخفش بسواد من الليل ثم اورد قول الشاعر

افتحى الباب وانظرى فى النجوم ◦ كم علينا من قطع ليل بهيم ◦

اى كم علينا من آخر الليل المظلم كأن القائل طال عليه الليل فخاطب نفسه او حبيبته بذلك او كان يحب طوله لوصال فقال لها ذلك والبهيم المظلم الذى لايخالطه شئ سوى لونه يقال فرس بهيم اى مصمت وهو الذى لايخالط لونه شئ سوى لونه ﴿ قوله تذود بهم ﴾ اى تسوقهم ليكون مسيره مسيرا الهارب الذى يقدم اهله حال فراره ويفوت بهم عما ورآءه من المكروه وتسرع بهم اهتماما لامر خلاصهم بانقاذهم قبل ان يجئ الصبح وينزل العذاب ومسارعة

(ولا يلتفت منكم احد) لينظر ماوراءه فيرى من الهول مالا يطيقه او فيصيبه مااصابهم اولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة (وامضوا حيث تؤمرون) الى حيث امركم الله بالمضى اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع (وقضينا اليه) اى اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى (ذلك الامر) مبهم يفسره (ان دابر هؤلاء مقطوع) ومحله النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لايبقى منهم احد (مصبحين) داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء (وجاء اهل المدينة) سدوم (يستبشرون) باضياف لوط طمعا فيهم (قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون) بفضيحة ضيفى فان من اسئ الى ضيفه فقد اسئ اليه (واتقوا الله) فى ركوب الفاحشة (ولا تخزون) ولا تذلون بسببهم من الخزى وهو الهوان او ولا تخجلونى فيهم من الخزاية وهو الحياء (قالوا اولم ننهك عن العالمين) عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم (قال هؤلاء بناتى) يعنى نساء القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود (ان كنتم فاعلين) قضاء الوطر او ما اقول لكم (لعمرك) قسم بحياة المخاطب والمخاطب فى هذا القسم هو النبى عليه الصلاة والسلام وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمى وهو لغة فى العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على ألسنتهم (انهم لفى سكرتهم) لفى غوايتهم او شدة غلمتهم التى ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذى يشار به اليهم (يعمهون) يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض

الى امتثال قوله تعالى فاسر باهلك وتطلع على حالهم لئلا يتخلف احد منهم لغرض له فيرآه فيصيبه العذاب وهذه فوآئد الامر باتباعه ادبار اهله امافوآئد النهى عن الالتفات بمعنى النظر الى ورآئه فامران الاول ان الالتفات بذلك المعنى ربما يؤدى الى رؤية مالايطيقه من الهول ويكون ذلك سببا لهلاكه والثانى انه يؤدى الى رؤية هلاك قومه وان تحمله تلك الرؤية على ترحمهم والرقة عليهم فى مقام البغض لله فيصاب بما اصابهم وان كان الالتفات المنهى عنه بمعنى الانصراف والتخلف لغرض ففائدة النهى عنه ظاهرة وهى الاحتراز عن اصابة العذاب ﴿قوله الى حيث امركم الله﴾ اشارة الى ان حيث على ابهامه من كونها ظرف مكان مبهم ولابهامها تعدى الفعل اليها من غير واسطة فى ثم صرح بهذا فى قوله فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع بمعنى ان حيث من الظروف الغير اللازمة الظرفية لكونه مفعولا به فى قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقد يتوسع فى الظروف الغير اللازمة الظرفية فيجعل مفعولا بها فحينئذ يسوغ ان ينصب سوآء كان مستغنيا من لفظ فى نحو قولك يوم الجمعة صمته وان يضاف اليه المصدر والصفة المشبهة كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقول من قال * ياسارق الليلة اهل الدار * وقد اتفقوا على ان معناه سوآء كان متوسعا فيه او غير متوسع فيه لايخرج عن كونه ظرفا للعامله وحيث على تقدير انتصابه على الظرفية لايحتاج الى فى لانه مبهم وقد تقرر ان ظرف المكان المبهم منصوب غير مجرور بفى بخلاف الوقت فان حكمه حكم ماليس بظرف فيحتاج الى فى وكذا الضمير فى تؤمرون ظرف مكان مبهم لكونه راجعا الى حيث فلذلك عدى الفعل اليه اتساعا على طريق تعديته الى المفعول به ولو كان مؤقتا لقيل تؤمرون فيه ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون قضينا بمعنى اوحينا عدى بالى والافعل القضاء لايتعدى بالى قال تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وقد عدى ههنا الى لوط عليه الصلاة والسلام بكلمة الى باعتبار المضمن واسم الاشارة اشارة الى ماوعد من اهلاك قومه والامر منصوب على انه عطف بيان له وجملة ان دابر هؤلاء مقطوع فى محل النصب على انه بدل من ذلك ﴿قوله سدوم﴾ اسم قرية لوط عليه الصلاة والسلام والاستبشار اظهار السرور لما جاء الملائكة دار لوط عليه الصلاة والسلام اشتهر خبرهم وهو انه نزل بلوط ثلاثة من المرد فى غاية الحسن فذهب القوم الى دار لوط طلبا لهم فقال لهم لوط لما قصدوا اضيافه هؤلاء الخ ﴿قوله هؤلاء بناتى﴾ يجوز فيه ثلاثة اوجه احدها ان يكون هؤلاء منصوب المحل على انه مفعول فعل مقدر اى تزوجوا هؤلاء وبناتى عطف بيان له او بدل منه والثانى ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتى بدلا او عطف بيان والخبر محذوف اى هن اطهر لكم كما صرح به فيما هو نظير لهذه الآية والثالث ان يكون هؤلاء مبتدأ وبناتى خبره ﴿قوله لعمرك﴾ مبتدأ محذوف الخبر وجوبا وقوله انهم مع مافى حيزه جواب القسم تقديره لعمرك قسمى او يمينى انهم الى آخره والعمر بفتح العين وضمها بمعنى واحد هو البقاء فاذا اقسموا فتحوا العين لاغير لان الفتح اخف وهم يكثرون القسم بلعمرى ولعمرك فاختاروا الاخف والعمر بفتح العين متى اقترن به لام الابتداء التزموا فيه الرفع بالابتداء وحذفوا خبره لسد جواب القسم مسده ﴿قوله والمخاطب فى هذا القسم هو النبى صلى الله عليه وسلم﴾ لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال وحياتك يامحمد وعنه انه قال ماخلق الله نفسا اكرم عليه من محمد عليه الصلاة والسلام وماسمعت الله تعالى اقسم بحياة احد الا بحياته قال لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وقيل ان هذا القسم مع جوابه كلام الملائكة لوط حكاه الله تعالى عنهم بقول مقدر اى قالت الملائكة لوط عليه الصلاة والسلام لعمرك انهم كذا ﴿قوله او شدة غلمتهم﴾ وهو بضم الغين وسكون اللام شهوة الضراب وقوله التى ازالت عقولهم صفة لكل واحد من الغواية وشدة الغلمة وبيان لوجه الشبه بين ماهم عليه من الغواية وشدة السكرة على ان كل واحدة منهما على سبيل البدل على وجه الاستعارة التصريحية ﴿قوله وقيل الضمير لقريش﴾ عطف من حيث المعنى على مايفهم من الكلام السابق وهو ان المخاطب بقوله لعمرك سوآء كان لوطا او نبينا عليه الصلاة والسلام يكون الضمير فى قوله انهم لفى سكرتهم يعمهون لقوم لوط وعطف على هذا المفهوم قول من قال ان الضمائر المذكورة فى قوله انهم لفى سكرتهم يعمهون راجعة الى قريش على تقدير ان يكون خطاب لعمرك لنبينا صلى الله عليه وسلم فعلى هذا تكون جملة القسم مع جوابه معترضة فى خلال قصة قوم لوط كأنه سبحانه وتعالى خاطب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال لعمرك ان قومك الذين هم قريش لفى سكرتهم اى غوايتهم التى هى كحال سكر السكران يعمهون اى يترددون فى الباطل غافلين عما اعده الله تعالى لاهل

(معصيته)

معصية كما ازله بقوم لوط وهذا كرجل يذكر قصة قوم خرجوا على السلطان فاخذوا وقتلوا فاذا ذكر بعض القصة وهو يريد ان يستمعه قوم مثلهم فعلوا كذلك ولم يعاقبوا بعد قال قبل تمام القصة سمع فان هؤلاء في غفلة لا يدرون ماذا يحل بهم ثم يعود الى تمام القصة ﴿قوله وقيل صيحة جبريل عليه الصلاة والسلام﴾ ضعفه ظاهر لانه ليس في الآية مايدل على ان تلك الصيحة صيحة جبريل وان ثبت بالدليل المقوى لذلك قيل به والا فليس في الآية الامايدل على انه جاءتهم صيحة عظيمة مهلكة وانه تعالى عذبهم بثلاثة انواع من العذاب احدها الصيحة الهائلة المنكرة وثانيها ماذكره بقوله فجعلنا عاليها سافلها وثالثها قوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وقوله مشرقين حال من مفعول اخذتهم وشروق الشمس طلوعها يقال شرق يشرق شروقا لكل ماطلع من جانب الشرق واشرقت الشمس اى اضاءت قيل كان ابتداء العذاب حين اصبحوا وكان تمامه حين اشرقوا فلذلك قال اولا ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقال ههنا مشرقين ﴿قوله ثابت﴾ تفسير لقوله مقيم والمعنى ان مدينة قوم لوط بطريق ثابت لا يندرس ولا يخفى يسلكه من يسافر من الحجاز الى الشام والمقصود ان الاعتبار بها يمكن ﴿قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله﴾ فان كل من آمن بالله ورسله عرف ان ماذكر انما كان من الله تعالى انتقاما لانبيائه من اولئك الجهال واما الذين لا يؤمنون بالله ورسله فانهم يحملون ذلك على حوادث العالم ووقائعه وحصول القرانات الكواكبية والاتصالات الفلكية ذكر الله تعالى اولا ان فيما ذكر من هذه القصة آيات للمتوسمين ولم يبين انه من اى جهة يكون فيه آيات لهم وذلك يحتمل وجوها الاول هو ان قوله ان في ذلك لآية يدل على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لانه عليه الصلاة والسلام ذكر قصة ابراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام على ما كانت وهو لم يشهدها ولم يقرأ كتابا ولم يخالط اهل العلم والاخبار فكان ذلك آية على صدقه في دعوى الرسالة والثاني ان في هلاك من اهلك منهم ونجاة من نجا منهم آية للمتوسمين لان من هلك منهم هلك بالتكذيب ومن نجا منهم نجا بالتصديق ويستدلون بذلك على ثبوت الصانع القادر العليم الحكيم وعلى حقية امر البعثة والنبوة وحقية ماجاء به الانبياء والمرسلون من الشرائع والاحكام وقيل انما جمع الآيات للمتوسمين ووحد الآية للمؤمنين بناء على ان لفظ ذلك اشارة الى وقوع القرية الهالكة بسبيل مقيم والله اعلم ﴿قوله فاهلكوا بالظلة﴾ روى انه تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام فبعث الله تعالى سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون منها الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فذلك قوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة ﴿قوله ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع﴾ جواب عما يقال ان ثمود انما كذبوا رسولهم صالحا فكيف قيل كذب اصحاب الحجر المرسلين وتقرير الجواب ان صالحا كان يدعوهم الى ما كان دعاء سائر الرسل اليه فاذا كذبوه صاروا كأنهم قد كذبوا الرسل جميعا لان كل رسول كان يدعو الى الايمان بالرسل جميعا فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الكل وقيل الرسول من اوتي الكتاب بعد اظهار المعجزة وكل من لم يصدق هذا فقد عم التكذيب والرد ﴿قوله ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه﴾ بطريق تغليب صالح على اتباعه المؤمنين ﴿قوله او معجزاته﴾ يحتمل انه تعالى اعطاه آيات ومعجزات سوى الناقة وان لم تذكر في القرآن ويحتمل ان تكون الناقة وحدها آيات من حيث انها خرجت من الصخرة وتحركت الصخرة لخروجها ودنت ولادتها لسقبها من حين خروجها والسقب الذكر من ولد الناقة والانثى سقبة ومن حيث انها تردالماء يوما وتتركه يوما ومن حيث كثرة درها ولبنها حتى كان يكفيهم جميعهم ومن حيث انتصابها لهم حتى يحلبوها ومن حيث عظم خلقها حتى لم تشبهها ناقة فلذلك كانت تصدر من طريق غير الطريق الذي وردت منه لانه كان يضيق عنها وغير ذلك من امورها التي كل واحد منها آية على حدة وان كانت الآيات عبارة عن الادلة والحجج فوجه جمعها ظاهر واضافة الناقة اليهم وان كانت الناقة لصالح لانها آيات رسولهم ﴿قوله او من العذاب﴾ كأنهم كانوا آمنين مما وعدهم صالح من عذاب الله حيث قالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين وكانوا آمنين من انهدام ما نحتوا اعتمادا على حذاقتهم في صنعة النحت قال تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين على تأويل حاذقين ﴿قوله الا خلقا ملتبسا بالحق﴾ اشارة الى ان قوله بالحق صفة مصدر محذوف وان الاستثناء مفرغ من اعم عام المصدر واشار الى وجه انتظام هذه الآية بما قبلها بما محصوله انه تعالى بين اولا انه يهلك الكفار لاصرارهم على الكفر والعناد ثم ذكر انه ماخلق الخلق عبثا مهملا عن التقييد بقيد التكليف حتى تعمل كل نفس ماتشتهيه وانما خلقهم وهيأ لهم اسباب معاشهم وبين لهم دلائل الرشد والهدى ومايؤدي الى الهلاك والردى ليعرفوا خالقهم ورازقهم وحق احسانه اليهم ويشتغلوا بشكره وطاعته

(فاخذتهم الصيحة) يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل (مشرقين) داخلين في وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) عالي المدينة او عالي قراهم (سافلها) فصارت منقلبة بهم (وامطرنا عليهم حجارة من سجيل) من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود (ان في ذلك لآيات للمتوسمين) المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته (وانها) وان المدينة او القرى (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها (ان في ذلك لآية للمؤمنين) بالله ورسوله (وان كان اصحاب الايكة لظالمين) هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة (فانتقمنا منهم) بالاهلاك (وانهما) يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به (ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين) يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكأنما كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر وادٍ بين المدينة والشام يسكنونه (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه (فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة افسادهم من الارض

ويفوزوا بالحسنى والدولة العظمى يوم لقائه فمن اعرض عن النظر فى الدلائل البينات واصر على الاستهزآء بالحجج والآيات ورغب فى ارتكاب المعاصى والسيئات فقد استحق لان يعاقب بانواع العقوبات فلذلك اهلك من آثر سبيل الضلالات والجهالات اخلاء لوجه الارض من تلك الحالات ولم يكتف باهلاكهم بل اعد دار الجزآء لينتقم فيها من الاعدآء ويتفضل فيها على الاولياء فان الدنيا ليست بدار الجزآء بل هى دار التكليف والابتلاء فلا بد من يوم الدين والجزآء ليصل الى كل ذى حق حقه كما قال تعالى انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه رغبه بعد ذلك فى الصفح عن سيئاتهم فقال فاصفح الصفح الجميل اى فاعرض عنهم واحتمل مالقى منهم اعراضا جميلا ملتبسا بحلم واغضاء ولا تكافئهم بما آذوك قولا وفعلا فان الساعة آتية فانا ننتقم منهم ونكافئهم عنك ووصف الصفح بالجميل للدلالة على معنى ان لا يترك نصحهم ودعاءهم الى الحق مع ذلك والصفح بهذا المعنى لايقبل النسخ والذى يقبله هو الصفح بمعنى الاعراض عن قتالهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وهو بعيد لان المقصود من ذلك ان يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح فكيف يصير منسوخا فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالصفح فى موضع وبالقتال فى موضع ﴿ قوله او هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم ﴾ عطف على قوله الذى خلقك وخلقهم فالوجه الاول على تفسير الصفح بالمعاملة بالخلق الحسن فى تبليغ الرسالة والصبر على ايذآئهم بلسانهم وفعلهم فحينئذ تكون الآية متعلقة بقوله وان الساعة آتية والوجه الثانى مبنى على تفسير الصفح بالاعراض عن قتالهم فتكون الآية حينئذ متعلقة بقوله فاصفح وقوله وهو يصلح للقليل والكثير فان صيغة فاعل موضوعة لمن يقوم به الفعل على وجه الحدوث سوآء كان متعلق الفعل واحدا او كثيرا وصيغة فعال انما تطلق اذا كان متعلق الفعل كثيرا ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه وامره بالصفح الجميل اتبعه بذكر ماخصه من النعم الجليلة لان الانسان اذا تذكر نعم الله عليه سهل عليه الصفح والتجاوز فقال ولقد آتيناك سبعا من المثانى والسبع يحتمل ان يكون المراد منه سبع آيات او سبعا من السور او سبعا غيرهما من الفوآئد وليس فى اللفظ مايدل على التعيين والمثانى صيغة جمع واحده امامثناة وهى موضع التثنى او مثنية اسم فاعل والتأنيث لكونها صفة آية فان الآية انما تثنى مكررة او هى مثنية كانها تثنى على الله بصفاته الحسنى على الاسناد المجازى او الاستعارة المكنية ﴿ قوله تعالى سبعا من المثانى ﴾ مفهومه سبعة اشياء من جنس الاشياء التى هى موضع التثنى والتكرير او موضع الثناء او العطف او الاشياء المثنية وهذا القدر مفهوم مجمل لاسبيل الى تعيين المراد منه الا بدليل منفصل فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد منه فاتحة الكتاب وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قرأ فاتحة الكتاب وقال هى السبع المثانى ووجه التسمية بالسبع والمثانى لانها سبع آيات ولانها تثنى فى كل صلاة بمعنى انها تقرأ فى كل ركعة لانها تثنى بما يقرأ بعدها ولانها قسمان نصفها ثناء ونصفها دعاء كما ورد فى الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال «يقول الله تعالى قسمت الصلاة» اى الفاتحة «بينى وبين عبدى نصفين الخ» فان النصف الاول منها حق الربوبية وهو الثناء والنصف الثانى حق العبودية وهو الدعاء ولان كلماتها مكررة مثل الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين الصراط صراط عليهم عليهم ولفظ غير وغير فى قرآءة عمر رضى الله عنه فانه قرأ غير المغضوب عليهم وغير الضالين وقيل لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة فلذلك سميت مثانى وقال الزجاج سميت الفاتحة مثانى لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله تعالى وتوحيده وملكه ونحو ذلك وعلى تقدير ان يكون المراد بقوله تعالى سبعا من المثانى هو الفاتحة دلت الآية على ان هذه السورة الكريمة افضل سور القرآن من وجهين احدهما ان افرادها بالذكر مع كونها من جملة القرآن لابد ان يكون لاختصاصها بمزيد الشرف والفضيلة والثانى انه تعالى لما انزلها مرتين دل ذلك على زيادة فضلها وشرفها ويدل عليه ايضا قوله عليه الصلاة والسلام «لاصلاة الا بفاتحة الكتاب» وانه عليه الصلاة والسلام واظب على قرآءتها فى جميع الصلوات طول عمره وما اقام سورة اخرى مقامها فى شئ من الصلوات وقيل المراد من السبع المثانى السبع الطول والطول جمع الطولى تأنيث الاطول كالكبر جمع الكبرى تأنيث الاكبر وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة وسميت هذه السور مثانى لانه يثنى فيها حدود القرآن وفرآئضه وامثاله وعبره وعامة احكامه فان عامة الاحكام فى هذه السبع * واعترض على هذا القول بان هذه الآيات مكية واكثر هذه السور السبع مدنية فكيف يمكن حمل هذه الآية عليها واجيب عنه بان الله تعالى انزل الله القرآن

(وان الساعة لآتية) فينتقم الله لك فيها ممن كذبك (فاصفح الصفح الجميل) ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم (العليم) بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفى مصحف عثمان وابى رضى الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير (ولقد آتيناك سبعا) سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطول وسابعتها الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس

(كله)

كله الى السماء الدنيا وقضى فى علمه ان ينزله على نبيه صلى الله عليه وسلم نجوما وبهذا الاعتبار كأنه قد آتاه وانزله عليه فلذلك قال تعالى فى حق ماينزله بعد ولقد آتيناك ﴿ قوله او الحواميم ﴾ عطف على قوله الطول يعنى على تقدير ان يحمل سبعا على سبع سور يحتمل ان يراد بتلك السور الطول السبع وان يراد الحواميم السبع بناء على انه قد ثنى فيها القصص وبعض الاحكام ﴿ قوله وقيل سبع صحائف ﴾ عطف على قوله وقيل سبع سور وهذا هو القول الثالث فى بيان قوله تعالى سبعا والصحائف جمع صحيفة بمعنى الكتاب فان القرآن العظيم سبعة اسباع كل سبع صحيفة وكتاب ومثناة ومثنية فعلى هذا القول السبع المثانى هو القرآن كله ودليل هذا القول قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى ووصف كل القرآن بالمثانى لانه كرر فيه دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف وانه مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله بما هو اهله فعلى هذا يكون عطف والقرآن العظيم على السبع من قبيل عطف الصفات مع وحدة ذات الموصوف كما فى قوله

* الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم *

ويكون المعنى ولقد آتيناك مايقال له السبع المثانى والقرآن العظيم اى الجامع لهذين الوصفين ونظير هذه الآية فى القرآن قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء اى كتابا جامعا بين هذين الوصفين ثم انه تعالى لما منّ على رسوله بان آتاه اشرف النعم واعلاها ثوابا ولذة نهاه عن الالتفات الى ما آتاه بعض الكفرة من نعيم الدنيا وادامة النظر اليها فقال ولا تمدن عينيك والزوج فى اللغة الصنف وازواجا مفعول متعنا قال عليه الصلاة والسلام لاتغبطن فاجرا بنعمة فانك لاتدرى ماذا يلاقى بعد موته ان له عند الله قاتلا لايموت» يعنى النار وقال عليه الصلاة والسلام «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» اى من لم يتغن على ان يكون التغنى من الغنى المقصور وهو اليسار وقد جاء التغنى فى الحديث الصحيح وهو قوله عليه الصلاة والسلام «ان الخيل لرجل خير ولآخر ستر وثالث وزر» ثم قال واما التى هى له ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس حق الله تعالى فى رقابها والمشهور حمله على تحسين الصوت بجعله من الغناء الممدود فان التغنى بهذا المعنى اشهر كيف وقد قيل لبعض رواة هذا الحديث ياابا محمد ارايت ان لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع ويشهد له الحديث الآخر «زينوا القرآن باصواتكم» وقيل المراد من التغنى بالقرآن الافصاح بالفاظه وقيل اعلانه والجهر به وقيل قرآئته على خشية من الله ورقة من فؤاده وقيل معناه كشف الهموم بقرآئته وذلك ان الانسان اذا اصابه غم ربما تغنى بالشعر فطلب بذلك فرجه مما هو فيه والصدّيقون همومهم المعاد وضيق صدورهم بما يشغلهم عن الله ولا يفرجون كربهم الابذكر كلام ربهم واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام «من لم يتغن بالقرآن فليس منا» اى من لم يتفرج من غمومه بقرآءة القرآن والتدبر فيه فليس منا خلقا وسيرة ﴿ قوله انه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ﴾ اى صادف فيها فلا يكون المقصود من ايراد هذه الرواية بيان سبب نزول الآية لان الآية مكية وهو عليه الصلاة والسلام انما سافر ديار الشام بالمسلمين فى آخر عمره بل المقصود مجرد بيان ان سبعا من المثانى خير من الدنيا وان التقرب بها افضل وانفع من التقرب بانفاق الدنيا فى سبيل الله تعالى ورواية الكشاف والكبير هكذا وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل اى اتت يقال وافى فلان اى اتى وحينئذ يحتمل ان تكون هذه الواقعة متقدمة على نزول الآية وتكون سببا لنزولها واذرعات بكسر الرآء موضع بالشام تنسب اليه الخمر وبصرى موضع بالشام ايضا تنسب اليه السيوف وقوله انهم لم يؤمنوا علة لنهيه عليه الصلاة والسلام عن الحزن على المشركين ان نزل بهم العذاب فنهاه اولا عن الالتفات الى اموالهم ثم نهاه عن الالتفات الى انفسهم كأنه قيل كيف يضيق صدرك بما اصابهم من بأس الله تعالى وعذابه والحال انهم لم يؤمنوا فيتقوى بهم الاسلام وتنتعش بهم المؤمنون ﴿ قوله وقيل انهم المتعون به ﴾ اى قيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى قوافل الكفار وكثرة اموالهم وخطر بقلبه عليه الصلاة والسلام ان اصحابه ليس لهم الاقدر الحاجة ولاعدة الله هذه الاموال الكثيرة انزل الله تعالى عليه قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم وهو خير مما يتمتعون به اياما قلائل ثم يزول عنهم عن قرب ثم قال ولا تحزن عليهم اى ولا تحزن لاجل فقراء المسلمين حتى تكون رقة قلبك لاجلهم لود بك الى الالتفات الى المتاع القليل الزائل عن قرب لانهم المتعون به اى لان مافى ايدى الكفرة سيصير الى اصحابك عن قرب فيتمتعون به زمانا والله اعلم ﴿ قوله

او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهى الاسباع (من المثانى) بيان للسبع والمثانى من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قرآئته والفاظه او قصصه ومواعظه ومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثنٍ على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثانى القرآن او كتب الله كلها فتكون من للتبعيض (والقرآن العظيم) ان اريد بالسبع الآيات والسور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر (لاتمدن عينيك) لاتطمح ببصرك طموح راغب (الى مامتعنا به ازواجا منهم) اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى مااوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وعن ابى بكر من اوتى القرآن فرأى ان احدا اوتى من الدنيا افضل مما اوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى انه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لوكانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها فى سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به

و تواضع لهم ﴾ يعني ان جناح الانسان يده كما قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة و السلام واضمم اليك جناحك والخفض ضد الرفع قال تعالى في صفة القيامة خافضة رافعة اى انها تخفض اهل المعاصي و ترفع اهل الطاعة وخفض الجناح ههنا كناية عن اللين و الرفق و التواضع فهو تعالى لما نهاه عن الالتفات الى الاغنياء من الكفرة امره بالتواضع لفقراء المسلمين ثم امره بان يقول للقوم انى انا النذير المبين اى الآتي بجميع البيانات الشافيات و البينات الوافيات ﴿ قوله فهو وصف لمفعول النذير ﴾ يعني ان الكاف اسم بمعنى المثل منصوب المحل على انه صفة لمحذوف وهو مفعول النذير اى عذابا مثل العذاب الذي انزلناه على المقتسمين وهم نفر من قريش بعثهم الوليد بن المغيرة ايام الموسم فاقتسموا مداخل مكة و طرقها يقولون لمن سلكها لا تغتروا بالخارج منا و المدعى للنبوة فانه مجنون و كانوا ينفرون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقول كل واحد منهم في شأنه عليه الصلاة و السلام شيأ من المطاعن مثل كاهن و ساحر و شاعر و مفتر و مجنون فانزل الله تعالى بهم خزيا فماتوا شر ميتة وقيل هم الذين تقاسموا وتحالفوا على ان يبيتوا صالحا عليه الصلاة و السلام فرمتهم الملائكة بالحجارة فقتلوهم و القصة مذكورة في تفسير قوله تعالى قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه و اهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك اهله و على هذا يكون الاقتسام من القسم لا من القسمة و على هذين القولين المشبه محذوف وهو مفعول النذير حذف لدلالة المشبه به عليه كما تقول رأيت انسانا كالقمر ليلة البدر في الحسن و التقدير مامر وهو انا النذير المبين عذابا مثل العذاب الذي انزلناه على المقتسمين ثم ذكر احتمالا آخر وهو ان لا يكون كما انزلناه واقعا في حيز النذير بل يكون واقعا في حيز آتيناك من حيث المعنى فان معنى آتيناك انزلنا اليك فيكون الكاف منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف اى انزالا مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم و جهلهم بعضه حق موافق للتوراة و الانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق و باطل او اقتسموا القول فيه فقال بعضهم سحر و بعضهم كهانة او شعر او اساطير الاولين او افتراء فهو تعالى شبه انزاله على رسوله عليه الصلاة و السلام بانزاله عليهم تسلية له عليه الصلاة و السلام عن تكذيبهم و عداوتهم و توسط قوله تعالى و لا تمدن عينيك الى قوله كما انزلنا بين المشبه و المشبه به اعتراضا بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى اموالهم و التأسف على كفرهم و يحتمل ان يكون المراد بالقرآن كتبهم بان يكون بمعنى المقروء الذي يقرأونه و يكون المعنى على المقتسمين من اهل الكتاب الذين جعلوا ما يقرأون من الكتاب مقسوما مفرقا بان آمنوا ببعض كتابهم و كفروا ببعض فما وافق هواهم اخذوه و ما لم يوافق غيروه و بدلوه كما قال تعالى تجعلونه قراطيس تبدونها و تخفون كثيرا ﴿ قوله و اصلها عضو من عضى الشاة ﴾ اى فرقها لان المشركين فرقوا اقاويلهم في القرآن فجعلوه كذبا و سحرا و كهانة و نحو ذلك وقيل بنقصان الهاء و اصله عضهة لان العضة و العضين في لغة قريش السحر و هم يقولون للساحر عاضه و للساحرة عاضهة روى انه عليه السلام لعن العاضهة و المستعضهة فقوله تعالى جعلوا القرآن عضين على هذا القول جعلوه اسحارا و قال الكسائي العضة الكذب و البهتان و جمعها عضون مثل عزة و عزون فقوله تعالى جعلوا القرآن عضين معناه جعلوه مفترى و على القولين جمعت العضة جمع ما يعقل لما لحقها من الحذف فجعل الجمع بالواو و النون عوضا عن المحذوف ﴿ قوله وقيل هو عام في كل ما فعلوا ﴾ و على القولين ضمير لنسألنهم يرجع الى المقتسمين لانه الاقرب و يحتمل ان يرجع الى جميع المكلفين لتقدم ذكرهم في قوله وقل انى انا النذير المبين اى لجميع الخلق فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين و بين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس و لا جان اجيب عنه بوجوه الاول ان المعنى لا يسألون سؤال الاستفهام لانه تعالى عالم بكل اعمالهم بل يسألون سؤال تقريع فيقال لهم لم فعلتم كذا و هو ضعيف لانه لو كان المراد من قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس و لا جان نفي سؤال الاستفهام لما كان في تخصيص هذا النفي بقوله فيومئذ فائدة لان مثل هذا السؤال محال على الله تعالى في كل الاوقات لا فيه و الثاني ان يصرف النفي الى بعض الاوقات و الاثبات الى وقت آخر لان يوم القيامة يوم طويل و فيه مواقف يسألون في بعضها و لا يسألون في بعضها و نظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون و قال في آية اخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون و القائل ان يقول قوله فيومئذ لا يسأل الآية صريح في انه لا يحصل السؤال في ذلك اليوم فلو حصل السؤال في جزء من اجزاء ذلك اليوم لحصل التناقض و الوجه الثالث ان قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه الآية يفيد عموم النفي و الضمير في قوله فوربك لنسألنهم يرجع الى المقتسمين فيكون خاصا و الخاص مقدم على العام

(واخفض جناحك للمؤمنين) و تواضع لهم و ارفق بهم (وقل انى انا النذير المبين) انذركم ببيان و برهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا (كما انزلنا على المقتسمين) مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه و المقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فاهلكهم الله تعالى يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اى تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك و المقتسمون هم اهل الكتاب (الذين جعلوا القرآن عضين) حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة و الانجيل و بعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر و سحر و كهانة و اساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم و كفروا ببعض على ان القرآن ما يقرأونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم و قوله لا تمدن الخ اعتراضا ممدا لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضو من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء و قيل فعلة من عضهته اذا بهته و في الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة و المستعضهة وقيل اسحارا و عن عكرمة العضة السحر و انما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه و الموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره (فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون) من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل هو عام في كل ما فعلوا من الكفر و المعاصي

(فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اى بما تؤمر به من الشرائع (وأعرض عن المشركين) فلا تلتفت الى ما يقولون (انا كفيناك المستهزئين) بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد ابن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والاسود ابن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فأومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات وأومأ الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدى بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عينى الاسود بن المطلب فعمى (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة امرهم فى الدارين (ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون) من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء بك (فسبح بحمد ربك) فافزع الى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق (وكن من الساجدين) من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) اى الموت فانه متيقن لحاقه كل حى مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

﴿ سورة النحل مكية غير ثلاث ﴾
﴿ آيات فى آخرها وهى مائة وثمان ﴾
﴿ وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اتى امر الله فلا تستعجلوه) كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله تعالى اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين اولهم ولغيرهم لما روى انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبى صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه (ينزل الملائكة بالروح) بالوحى او القرآن فانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل

﴿ قوله واصله الابانة والتمييز ﴾ اصل الصدع الشق يقال صدعته فانصدع اى شققته فانشق ويستعمل بمعنى التفرقة ايضا كقوله يومئذ يصدعون فقوله فاصدع بمعنى فافرق بين الحق والباطل وافصل بينهما قال الزجاج معناه اظهر ما امرت به اخذا من الصديع وهو ضوء الصبح قال الشاعر كأن بياض غرته صديع * وقال المفسرون معناه اجهر بامرك وما مصدرية اى فاصدع بامرك وشأنك وهو تبليغ الرسالة والدعوة الى التوحيد وما يتفرع عليه من الاحكام قالوا وما زال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ﴿ قوله فمر بنبال ﴾ اى برجل يصنع السهام والنبل السهم والاخمص ما دخل من باطن القدم بحيث لا يصيب الارض ﴿ قوله تعالى فسبح بحمد ربك ﴾ جواب شرط محذوف اى ان ضاق صدرك بما يقولون بمقتضى الجبلة البشرية والمزاج الانسانى فافزع الى الله تعالى فيما نابك بالاشتغال بهذه العبادات وهى اربعة اشياء التسبيح والتحميد والصلاة والملازمة عليها ما دام حيا قال المحققون فى بيان كون هذه المذكورات سببا لزوال ضيق القلب والحزن ان الانسان اذا اشتغل بهذه العبادات انكشفت له اضواء عالم الربوبية ومتى حصل له ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة عنده فيستوى عنده وجدانها وفقدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم بالكلية ﴿ قوله والمعنى فاعبده ما دمت حيا ﴾ اى معنى التقييد بقوله حتى يأتيك اليقين مع ان كل احد يعلم انه متى مات سقطت عنه العبادات التكليف بالاستمرار والمواظبة على العبادة ابدا ما دام حيا لانه لو قيل اعبد ربك من غير توقيت لجاز انه اذا عبد الانسان مرة يكون مطيعا ممتثلا للامر بناء على ان الامر لا يقتضى التكرار فلما قيل حتى يأتيك اليقين فهم الدوام بالاقامة ابدا ما دام حيا روى انه صلى الله عليه وسلم قال «ما امرت ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحى الى ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» تمت السورة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة النحل مائة وعشرون وثمان آيات وهى مكية الا آخر السورة فانها نزلت بالمدينة بعد قتل ﴾
﴿ حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وهى قوله وان عاقبتم الى آخر السورة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله ويقولون ان صح ﴾ عطف على قوله يستعجلون اى كان اولا استعجالهم ما اوعدوا به استهزاء وتكذيبا ثم كانوا يقولون بعده ان صح الخ واجاب الله تعالى عن استعجالهم بان ما امر الله من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة لكونه محقق الوقوع ومقررا فى علم الله تعالى وقضائه بمنزلة الواقع بالفعل فلذلك قال فى حقه انه قد اتى اجراء له مجرى الواقع كما يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاء الغوث فلا تجزع ولا تستعجل واجاب عن قولهم ان صح كونه واجب الوقوع وجاريا مجرى الواقع فالعبده من الاصنام شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فنتخلص منه بسبب شفاعتهم بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون به غيره فانى يكون لمبدع السموات والارض شريك فى تصرف ملكه فضلا عن ان يشاركه فى ذلك اخس خلقه ﴿ قوله لما روى ﴾ قال الامام انه لما نزل قوله تعالى اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيأ فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا وقوعها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيأ مما تخوفنا به فنزل قوله تعالى اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزل قوله فلا تستعجلوه انتهى كلامه يعنى انه لما نزل اتى امر الله ظنوا انها قد اتت حقيقة ففزعوا وخافوا فلما نزل قوله فلا تستعجلوه اطمأنوا وسكنوا فعلى قراءة حمزة والكسائى يكون الخطاب فى الموضعين للكفار وعلى قراءة الباقين يحتمل ان يكون الغيبة مبنيا على الالتفات وان يكون الخطاب فى قوله فلا تستعجلوه للمؤمنين اولهم ولغيرهم وتكون الغيبة على ظاهرها ﴿ قوله فانه ﴾ اى فان كل واحد من الوحى والقرآن يحيى به القلوب بان لوجه الشبه بين الروح وبين كل واحد منهما شبههما اولا بالروح من حيث كونهما سببا لحياة القلوب مثل كون الروح سببا لحياة الجسد وشبههما ثانيا بالروح ايضا لكونهما بالنسبة الى الدين بمنزلة الروح للجسد فكما ان قوام الجسد وزينته بالروح فكذلك قوام الدين وزينته بالوحى والقرآن اذ بهما تكون المعارف الربانية والتكاليف الالهية فالروح الاصل ليس الا القرآن والوحى من حيث ان ارتقاء الجسد عن درجة البهيمية لا يحصل الا بهما ثم عبر بالمشبه به عن المشبه فصار استعارة تصريحية تحقيقية ثم انه تعالى لما بين بلسان الرسول صلى الله عليه وسلم ان ما توعدهم به لكونه محقق

الوقوع فى حكم الواقع وانه تعالى منزه عن الشركاء والانداد بين لهم الطريق الذى علم به الرسول صلى الله عليه وسلم تحقق ماتوعدهم به ودنوه وازالة استبعادهم اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالعلم به فقال ينزل الملائكة بالروح اى الملتبسين بالوحى او القرآن او ينزلهم ومعهم الروح على ان تكون الباء للصاحبة كما فى قولهم خرج زيد بعشيرته فان هذه الجملة مستأنفة لبيان ماذكر من طريق علمه عليه الصلاة والسلام بذلك ولازالة استبعادهم اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالعلم المذكور كأنهم قالوا هب انا سلمنا انه تعالى قضى على بعض عبيده بالسرآء وعلى آخرين بالضرآء ولكن كيف يمكنك ان تعرف هذه الامور التى لايعلمها الا الله فكيف صرت بحيث تعرف اسرار الله تعالى واحكامه فى ملكه وملكوته فاجاب الله تعالى عنه بقوله ينزل الملائكة بالروح وتقرير هذا الجواب انه تعالى ينزل الملائكة على من يشاء من عباده بامره وذلك الامر ان يبلغ الى سائر الخلق انه اله العالم وكلفهم بالتوحيد وبالعبادة وبين لهم انهم ان فعلوا ذلك فازوا بخيرى الدنيا والآخرة فبهذا الطريق صار مخصوصا بهذه المعارف من دون سائر الخلق وقرأ العامة ينزل بضم ياء الغيبة وسكون النون وكسر الزاى الخفيفة ونصب الملائكة وقرئ تنزل بتاء واحدة فوقانية مفتوحة وتشديد الزاى على بناء الفاعل والاصل تتنزل بتاءين حذفت احداهما وقرئ تنزل بضم التاء الفوقانية وفتح النون والزاى المشددة على انه مضارع مبنى للمفعول من التنزيل ورفع الملائكة على انه قائم مقام الفاعل قيل المراد بلفظ الملائكة جبريل وحده وقد يطلق لفظ الجمع على الواحد اذا كان ذلك الواحد معظما ومنه نحو قوله تعالى انا ارسلنا وانا انزلنا وانا نحن نزلنا الذكر والمراد بالروح ههنا الوحى او القرآن كامر وقيل المراد به ههنا جبريل عليه الصلاة والسلام والباء فى قوله بالروح بمعنى مع كما فى قولهم خرج زيد بعشيرته اى ومعه عشيرته والمعنى ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل عليه الصلاة والسلام فانه عليه الصلاة والسلام ماينزل وحده فى اكثر الاحوال بل كان ينزل مع جبريل اقوام من الملائكة كما فى يوم بدر وفى كثير من الغزوات وفى سائر المصالح والمهمات ﴿قوله بامره ومن اجله﴾ يعنى ان كلة من فى قوله من امره للسببية والتعليل كما فى قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا والمعنى ان ذلك التنزيل والنزول لايكون الا بامر الله كما قال تعالى وما نتنزل الا بامر ربك وقال لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وغير ذلك مما يدل على ان الملائكة لايقدمون على عمل من الاعمال الا بامر الله تعالى واذنه والمراد بالعباد فى قوله على من يشاء من عباده الانبياء الذين يخصهم الله تعالى برسالته والانذار هو الاعلام مع التخويف يقال نذر القوم بالعدو بكسر الذال اذا علموا وكثيرا مايستعمل الانذار فى مجرد التخويف كما اشار اليه المصنف بقوله او خوفوا عطفا على قوله اى اعلموا والمخاطب بقوله تعالى انذروا هو الانبياء عليهم الصلاة والسلام الا انه تعالى انما يخاطبهم به بواسطة الملائكة المرسلة فانهم هم الذين يتلقون الوحى من الله تعالى ابتدآء من غير واسطة سوآء كان ذلك الوحى وحيا متلوا مكتوبا فى المصاحف وكان من قبيل الالهام والقاء الكلام الحق ثم ان الملائكة يوصلون ذلك الوحى الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام فلذلك قال تعالى فى آخر سورة البقرة والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فبدأ بذكر الله تعالى الذى هو اول مايجب ان يؤمن بوجوده ووحدانيته ثم ذكر الملائكة الذين يتلقون منه تعالى الوحى من غير واسطة ثم ذكر الكتب التى تلقاها الملائكة منه تعالى ثم ذكر الرسل فى الدرجة الرابعة لانهم وسائط فى تلق المكلفين احكام الله تعالى وحدوده التى انجلها الله تعالى فى قوله انه لا اله الا انا فاعبدون فانه يدل على ان الروح المشار اليه بقوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره ليس الا مايدل عليه الكلمة الجامعة وهو التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذى هو اقصى كمال القوة العملية فان النفوس البشرية لها نسبة الى عالم الغيب تستعد بها لقبول حصول الواردات وتجلى المعارف والادراكات من ذلك العالم ونسبة الى عالم الشهادة تستعد بها لان تتصرف فى اجسام هذا العالم ويسمى استعدادها الحاصل لها باعتبار النسبة الاولى قوة نظرية واستعدادها باعتبار النسبة الثانية قوة عملية واشرف كمال القوة النظرية معرفة انه لا اله الا هو واشرف كمالات القوة العملية الاتيان بالاعمال الصالحة الواقية من خزى يوم القيامة وقدم قوله لا اله الا انا على قوله فاتقون للدلالة على ان مايستند القوة النظرية اعلى كمالا مما يستند الى القوة العملية والكمال الانسانى باعتبار هاتين القوتين يسمى كمالا نفسانيا وللانسان كمالات غير ماذكر وهى كمالاته الجسدية البدنية وهى صحة جسده وكمال قواه الحيوانية وهى تسع عشرة قوة وذلك لان قواه الحيوانية لاتخلو اما ان تكون محركة او مدركة اولا تكون محركة ولا مدركة فالمحركة منها قوتان شهوية وغضبية والمدركة منها عشر قوى الحواس

او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذى به علم الرسول ماتحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبنى للمفعول من التنزيل (من امره) بامره ومن اجله (على من يشاء من عباده) ان يتخذه رسولا (ان انذروا) بان انذروا اى اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته (انه لا اله الا انا فاتقون) ان الشأن لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر

الظاهرة و الباطنة و التي لاتكون محركة و لامدركة سبع و تسمى القوى النباتية وهي الغاذية و النامية و المولدة و الجاذبة و الهاضمة و الماسكة و الدافعة فالمجموع تسع عشرة و في بدن الانسان ثلاث قوى غير ماذكر وهي الروح الحيواني و الروح الطبيعي و الروح النفساني اما الروح الحيواني فهو البخار اللطيف المتولد من غليان الدم المنبث في التجويف الايسر من اللحم الصنوبري و اما الروح الطبيعي فهو الذي انتقل من هذا البخار الى جانب الكبد و وصل اليه و اصلح حاله من التغذي و الطبخ و نحو ذلك و الروح النفساني هو مادخل الشرايين من هذا البخار و تصاعد حتى وصل الى الدماغ و البخار في هذه الدرجة يكون في نهاية اللطافة و يترتب عليه الانفعال الحيواني فيكون لغاية اللطافة ساريا الى جميع الاعضاء و العروق نافذا في اعماق البدن فان اتفق ان ظهرت سدة في شئ من الاعضاء سقط ذلك العضو عن العمل لعدم نفوذ الروح النفساني اليه بسبب السدة والله اعلم ﴿ قوله وان مفسرة ﴾ ذكر في كلمة ان ثلاثة اوجه الاول ان تكون مفسرة لان الوحي فيه ضرب من القول وفي الصحاح الوحي الكتاب و الوحي ايضا الاشارة و الكتابة و الرسالة و الالهام و الكلام الخفي وكل ما القيته الى غيرك يقال وحيت اليه الكلام و اوحيت وهو ان تكلمه بكلام تخفيه و الثاني ان تكون مصدرية وهي التي من شأنها ان تنصب المضارع و وصلت ههنا بالامر كما في قولك كتبت اليه بان قم فان فعل الامر لما دل على المصدر كالمضارع صح ان يدخل عليه مايجعله في تأويل المصدر و الثالث ان تكون مخففة من الثقيلة و اسمها ضمير الشأن المحذوف تقديره ينزل الملائكة بان الشأن وهو مبتدأ و أنذروا خبره وهو انشاء فلابد من تقدير القول ليصح حمل الانشاء على المبتدأ فان قلنا انها مفسرة لايكون لها محل من الاعراب وان كانت مخففة او ناصبة تكون في محل الجر اما على انها بدل من الروح كما اختاره الزجاج وقال انه بدل من الروح و المعنى ينزل الملائكة بان انذروا اى اعلموا الخلائق انه لااله الا انا و اما على اسقاط الخافض و ابقاء عمله كما هو مذهب بعض النحاة او في محل النصب بنزع الخافض كما ذهب اليه الآخرون و الاصل بان انذروا ﴿ قوله وان النبوة عطائية ﴾ اى لايخصصها واحد دون واحد سوى تعلق المشيئة و يدل عليه قوله تعالى على من يشاء من عباده ثم انه تعالى لما بين ان اصل السعادات ومنتهى كمال القوة العلمية معرفة الصانع شرع في تقرير الدلائل الدالة على وجود الصانع و وحدته و دلالة المصنوعات على وجود الصانع من حيث انها لحدوثها تحتاج الى محدث و لامكانها تحتاج الى مرجح يرجح احد طرفي وجودها و عدمها على الآخر فالذي وقع في القرآن هو الاستدلال بحدوثها و تغير احوالها فابتدأ سبحانه و تعالى في هذه السورة في الاحتجاج على وجود الاله المختار بايجاد اجرام السموات والارض فان كل واحد منهما محدث لما تبين ان كل جسم متناه وكل ما كان متناهيا في الحجم و القدر كان اختصاصه بذلك القدر المعين دون الازيد و الانقص مع جواز الكل لابد له من مقدر و مخصص فكل ماكان مفتقرا الى الغير فهو محدث وكذا كل جسم له شكل معين و وضع معين و صفات مختلفة مع تساوي نسبة جميع الاشكال و الاوضاع و الصفات بالنسبة الى ذاته فلابد له من مخصص يخصص بعض تلك الاشكال و الاوضاع لذلك الجسم ثم انه تعالى ثنى بذكر الاستدلال باحوال الانسان ثم ثلث بذكر الاستدلال باحوال الحيوان ثم ربع بذكر الاستدلال باحوال النبات ثم خمس بذكر الاستدلال باحوال العناصر الاربعة فان شيأ منها لايقدر عليه غيره تعالى ﴿ قوله تعالى عما يشركون منهما الخ ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى عما يشركون ليس تكريرا لما ذكر في اول السورة لانه ذكر اولا لابطال قول من زعم ان الاصنام تشفع لمن عبدها وتدفع ما اراد الله به من العقاب وقد اشار المصنف اليه هناك بقوله فيدفع ما اراد بهم و ذكر ههنا لكونه نتيجة متفرعة على ماذكر قبله من دليل الوحدانية كانه قيل خالق السموات والارض كيف يكون له شريك مع ان مايتصور ان يكون شريكا له اماشئ منهما او شئ يفتقر اليهما او شئ لايقدر على خلقهما و شئ منها لايصلح ان يكون شريكا له فثبت انه تعالى هو الواحد المتعالي عن الشركاء و الانداد و هذا التقرير مبني على ان تكون كلمة ما في قوله عما يشركون موصولة و المعنى تعالى عن الاشياء التي تشركونها لمن هو خالق السموات و الارض القادر على كل شئ ﴿ قوله وفيه دليل ﴾ اى وفي قوله خلق السموات و الارض بالحق وجه دلالته على ماذكر ان من هو خالق اصول الاجرام كيف يكون من قبيل الاجرام المحدثة المحتاجة الى موجد و مخصص يخصص لها المقادير و الاشكال و الاوضاع و الاوصاف و لما كان اشرف الاجسام بعد الافلاك وهو الانسان مركبا من بدن و نفس استدل به على وجود الصانع الحكيم باعتبار كل واحد من بدنه و نفسه بعد الاستدلال عليه بخلق الافلاك بقوله خلق الانسان من نطفة اشار الى الاستدلال عليه باعتبار بدنه بقوله

و المعاصي بانه لااله الا انا و قوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود و ان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة و الآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة و ان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية و الامر بالتقوى الذي هو اقصى كمال القوة العملية و ان النبوة عطائية و الآيات التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم و فروعه على وفق الحكمة و المصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع (خلق السموات و الارض بالحق) اوجدهما على مقدار و شكل و اوضاع و صفات مختلفة قدرها و خصصها بحكمته (تعالى عما يشركون) منهما او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما او مما لايقدر على خلقهما وفيه دليل على انه سبحانه و تعالى ليس من قبيل الاجرام

(خلق الانسان من نطفة) جماد لاحس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل (فاذا هو خصيم) منطيق مناظر مجادل (مبين) للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد أترى ان الله تعالى يحيي هذا بعدما قد رم فنزلت (والانعام) الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره (خلقها لكم) او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان لما خلق لاجله وما بعده تفصيل له (فيها دفء) ما يدفأ به فيقي البرد (ومنافع) نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها (ومنها تأكلون) اي تأكلون ما يؤكل منها كاللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي (وحين تسرحون) تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه (وتحمل اثقالكم) احمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه) ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا من ان تحملوها على ظهوركم اليه (الا بشق الانفس) الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب (ان ربكم لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم (والخيل والبغال والحمير) عطف على الانعام (لتركبوها وزينة) اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موضع الحال من احد الضميرين اي متزينين او متزينا بها

خلق الانسان من نطفة وقوله فاذا هو خصيم مبين استدلال عليه باحوال نفسه فان خلق الجسد الحساس المتحرك بالارادة من الماء المهين لا يقدر عليه سوى الاله القادر وايضا النفوس الانسانية في اول الفطرة اقل فهما وذكاء وفطنة من نفوس الحيوانات الاترى ان ولد الدجاجة حين خروجه من قشر البيضة يميز بين الصديق والعدو فيهرب من الهرة ويلتجئ ويميز بين ما يوافقه من الغذاء وما لا يوافقه بخلاف ولد الانسان فانه حين انفصاله عن بطن الام لا يميز البتة بين الضار والنافع ثم انه حال كبره يقوى عقله ويكمل فهمه بحيث يقدر على تعقل المعاني الدقيقة والعلوم الغامضة ويتمكن من ان يخاصم ويناظر ويجادل مع من ينازعه في جميع المطالب والمهمات فانتقال نفس الانسان من تلك المرتبة الدنية الى هذه الكمالية المفرطة لابد ان يكون بتدبير اله مختار قادر على ما يشاء فهذا هو المراد من قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين وقيل معناه فاذا هو خصيم لربه منكر ما اخبر به خالقه من البعث والجزاء مبين ظاهر الخصومة والمكافحة المخاصمة مواجهة ومشافهة والصحيح ان الآية عامة لكونها مذكورة لتقرير الاستدلال على وجود الصانع وكمال قدرته لا لتقرير وقاحة الانسان وتماديه في الكفر والغواية ﴿قوله بعد ما قد رم﴾ اي بلي وتفتت يقال رم العظم يرم بالكسر رمة اذا بلي فهو رميم وانما قال تعالى من يحيي العظام وهي رميم والقياس رميمة لان فعيلا وفعولا قد يستوي فيهما المذكر والمؤنث والجمع مثل رسول وعدو وصديق ولما كان اشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلي بعد الانسان الحيوانات التي ينتفع بها الانسان وهي الانعام ذكرها بعد ذكر الانسان والانعام عبارة عن الازواج الثمانية وهي الضأن والمعز والابل والبقر والغنم اسم الجنس المتناول الضأن والمعز والدفء السخونة واللام في قوله تعالى لكم فيها دفء يجوز ان تتعلق بخلقها اي خلقها لاجلكم ولمنافعكم ويكون قوله فيها دفء جملة اسمية قدم فيها الخبر او يكون فيها حالا من دفء لانه لو تأخر لكان صفة له قال الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام خلقها لكم ثم ابتدأ وقال فيها دفء وقيل احسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ويبدأ بقوله لكم فيها دفء ليناسب قوله ولكم فيها جمال فانه معطوف والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ﴿قوله وتقديم الظرف﴾ جواب عما يقال تقديم الظرف في قوله ومنها تأكلون يفيد الحصر وليس الامر كذلك فانه يؤكل من غير الانعام كالدجاج والبط وصيد البر والبحر والحبوب والثمار ومحصول الجواب ان المراد حصر الاكل المعتاد المعتمد عليه في المعاش والحصر بهذا المعنى صحيح ﴿قوله الى مراحها﴾ بضم الميم وهو اسم للمكان الذي تأوي اليه الابل والغنم بالليل يقال اراح ابله اي ردها الى المراح وذلك لا يكون الا بعد الزوال ويقال سرح القوم ابلهم سرحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى ﴿قوله حافلة الضروع﴾ اي ممتلئة يقال حفل الوادي بالسيل اي امتلأ ﴿قوله لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق﴾ اشارة الى جواب ما يقال كيف ناسب قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم فان المناسب للامتنان بخلق الانعام لحمل الاثقال ان يوصف البلد بان يقال لم تكونوا حامليها اليه فان الحمل شيء والبلوغ شيء آخر والمناسب للمقام هو الاول دون الثاني وتقرير الجواب ان بينهما مناسبة من حيث المعنى وذلك لان تنكير البلد للتفخيم والتهويل والمعنى الى بلد بعيد غاية البعد بحيث لا يبلغ الانسان اليه بالمشي على رجليه فضلا عن ان يبلغه وهو يحمل اثقاله على ظهره ولما كان المقام مقام توصيف البلد بالبعد وتحقيق بعده حسن توصيفه بقوله لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فقوله تعالى لم تكونوا صفة لبلد وقوله الا بشق الانفس حال من الضمير المرفوع في بالغيه اي لم تبلغوه الا ملتبسين بالمشقة والعامة على كسر الشين وقرئ بفتحها وقيل هما مصدران بمعنى واحد وهو المشقة وقيل الشق بالكسر كما يكون بمعنى المشقة يكون ايضا بمعنى نصف الشيء ويجوز حمل اللفظ على كل واحد من المعنيين ههنا اما حمله على المعنى الاول فظاهر واما حمله على نصف الشيء فالمعنى لم تكونوا بالغيه الا عند ذهاب نصف قوتكم ونقصانها ﴿قوله ولتتزينوا بها زينة﴾ يعني ان زينة منصوب على انه مصدر فعل محذوف وقيل انها مفعول لاجله معطوف على محل قوله لتركبوها ولم ينصب الاول لفقدان شرط نصبه وهو اتحاد الفاعل فان الخالق هو الله تعالى والراكب المخاطبون بخلاف قوله وزينة فان فاعله الزائن الذي هو الخالق فاتحد الفاعل روي عن ابي يوسف ومحمد رحمهما الله انهما يبيحان اكل لحم الخيل لما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال كنا قد جعلنا في قدورنا لحم الخيل ولحم الحمار فنهانا عليه الصلاة والسلام ان نأكل لحم الحمار وامرنا بان نأكل لحم الخيل وروي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما انها قالت نحرنا فرسا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلناه وروي عن حسن عن ابي

واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر (ويخلق ما لا تعلمون) لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضرورى اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق فى الجنة والنار مما لا يخطر على قلب بشر (وعلى الله قصد السبيل) بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال (ومنها جائر) مائل عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طريق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد (ولو شاء لهداكم اجمعين) اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء (هو الذى انزل من السماء) من السحاب او من جانب السماء (ماء لكم منه شراب) ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه فى الارض (ومنه شجر) ومنه يكون شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال الشاعر • نعلفها اللحم اذا عز الشجر • والخيل فى اطعامها اللحم ضرر • (فيه تسيمون) ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات (ينبت لكم به الزرع) وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم (والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) وبعض كلها اذ لم ينبت فى الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا وهو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها

حنيفة انه كان يحرم اكلها والرواية الظاهرة عن ابى حنيفة انه لا يحرم الاكل بل يكره كراهة تنزيه ولم يصرح بالتحريم لاختلاف الصحابة والسلف ﴿ قوله واستدل به على حرمة لحومها ﴾ حيث قيل منفعة الاكل اعظم من منفعة الركوب فلو جاز اكل لحم الخيل لكان الانسب بيان هذه المنفعة فلما بين منفعة الركوب علم منه حرمة لحوم هذه المذكورات وان تمام المقصود من خلقها هو الركوب والزينة فان الانعام وما ذكر بعدها من الخيل والبغال والحمير وان كان الانسان يحتاج اليها غالبا الا ان احتياجه الى الانعام ضرورى لا يتأتى له ان يعيش بدونها لكونها مناط مأكولاته وملبوساته بخلاف ما ذكر بعدها من الانواع الثلاثة فان الاحتياج اليها ليس من ضروريات الانسان وبقى من الحيوانات ما لا ينتفع به الانسان غالبا فذكره على سبيل الاجمال بقوله ويخلق ما لا تعلمون ﴿ قوله بيان مستقيم الطريق ﴾ اى على تقدير المضاف وان يكون القصد مصدرا بمعنى الاستقامة والعدل وصف به السبيل على طريق قولك رجل عدل فهو بمعنى قاصد يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ولما شرح الله تعالى دلائل التوحيد قال وعلى الله قصد السبيل اى حق عليه بيان ما يكون مستقيما من السبيل وما يكون جائرا وليس كلمة على ههنا للوجوب اذ لا يجب على الله تعالى شئ لكن بيان الرشد من الغى مما تقتضيه الحكمة الالهية كأنه قيل انما ذكرت هذه الدلائل وشرحتها ازاحة للعذر وازالة للعلة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة ﴿ قوله او اقامة السبيل وتعديلها ﴾ اى ويجوز ان يكون المعنى وحق على الله تعديل الطريق وجعلها مستقيمة فان قصد السبيل معناه لغة استقامة الطريق وكون هذه الاستقامة على الله تعالى معناه انه حق عليه تعالى تعديل طريق المكلفين بان يهديهم الى ما يوصل الى مرضاته ﴿ قوله او عليه قصد السبيل ﴾ اى او يمر على فضل الله ورضوانه مستقيم الطريق بمعنى ان من سلكه يصل الى ذلك لا محالة فعلى هذا يكون قوله تعالى ومنها جائر بمعنى ومن الطريق ما هو جائر مائل عن الله ورضوانه يؤدى من سلكه الى نهيه وعقابه ﴿ قوله وتغيير الاسلوب ﴾ يعنى الظاهر ان يقال وعليه جائرها على معنى وعليه بيان المائل المعوج منها وعدل عن هذا الاسلوب بناء على ان مقتضى الحكمة انما هو بيان الطريق المستقيم المؤدى الى السعادة الابدية او بيان ما يمر عليه ويوصل الى الله ﴿ قوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين ﴾ صريح فى انه تعالى ما شاء هداية الكفار جميعا وما اراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشئ لانتفاء غيره فمعنى الآية ما شاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم لعلمه بان بعضهم لا يختار ذلك بل يختار ما يوافق هواه ثم انه تعالى لما قرر الاستدلال على وجود الصانع الحكيم بعجائب احوال الحيوانات ذكر بعده الاستدلال عليه بعجائب احوال النبات لان اشرف ما فى العالم السفلى بعد الحيوان هو النبات فقال تعالى هو الذى انزل من السماء ماء ﴿ قوله ولكم صلة انزل ﴾ اى متعلق به فيكون شراب مبتدأ ومنه خبره قدم عليه والجملة صفة لقوله ماء ﴿ قوله وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ﴾ اى فى المطر لان معناه منه لا من غيره مع انا قد نشرب ماء الينابيع والآبار ولا بأس به لان ماء الارض من جملة ماء المطر فسكن فيها ﴿ قوله ومنه يكون شجر ﴾ اى بسببه نبت الشجر فان من فى قوله ومنه شجر سببية ويدل عليه قوله ينبت لكم به الزرع والذى ينبت فى الارض بسبب ماء السماء نوعان نجم وشجرة فالنجم كل ما نجم اى يظهر ويطلع من الارض مما ليس له ساق والشجر ما له ساق وقوله تعالى فيه تسيمون اى فى الشجر تخلون مواشيكم ترعى يقتضى ان يراد بالشجر الاشجار التى ترعاها الماشية ويمكن اسامتها فيها فان الابل تقدر على رعى اوراق الاشجار الكبار فلهذا قال المصنف يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى مما له ساق ثم عطف عليه قوله وقيل كل ما نبت على الارض شجر سواء كان له ساق او لم يكن واستدل على صحة هذا القول بقول الشاعر

• نعلفها اللحم اذا عز الشجر • والخيل فى اطعامها اللحم ضرر •

يقول الخيل نغذيها اللحم الذى هو الضرع بان نسقيها اللبن الحلوب منه اذا اجدبت الارض وقل الكلأ فانه اطلق الشجر على الكلأ ﴿ قوله ترعون ﴾ اى ترعون مواشيكم من قولك رعيت الابل ارعاها اذا خليتها ترعى وانت ترقبها ويقال رعى البعير الكلأ بنفسه والرعى بهذا المعنى لا يصلح ان يذكر فى تفسير تسيمون بضم التاء من قوله اسام ماشيته اذا ارسلها وخلاها ترعى وسامت هى تسوم سوما اذا رعت بنفسها حيث شاءت قال الزجاج اخذ ذلك من السومة وهى العلامة وتأويلها انها تؤثر فى الارض برعيها علامات ﴿ قوله ولعل تقديم ما يسام فيه الخ ﴾ يعنى ان النبات قسمان احدهما معد لرعى الانعام وقد ذكره بقوله تسيمون وثانيهما مخلوق لان يكون غذاء للانسان وهو

المراد بقوله ينبت لكم به الزرع والزيتون وكان الظاهر ان يقدم ما يأكله الانسان لا ما يكون مرعى للحيوانات من النبات الا ان مرعى الحيوان بسبب اكل الحيوان اياه يكون جزأ منه فيصير غذآء حيوانيا وهو اشرف من الاغذية النباتية فبهذا الاعتبار يكون مرعى الحيوان اشرف مما يأكله الانسان فلذلك قدم الاول على الثانى لان الغذآء الحيوانى انما يحصل من اسامة الحيوانات والسعى فى تسمينها بواسطة الرعى ثم ان الغذآء النباتى قسمان حبوب وفواكه فهو تعالى اشار الى الحبوب بلفظ الزرع والى الفواكه بقوله والزيتون والنخيل والاعناب ولا شك ان الحبوب اشرف فى الغذآئية بالنسبة الى الفواكه واشرف الفواكه الزيتون والنخيل والاعناب فلذلك خص هذه الفواكه الثلاث بالذكر مع كثرة الفواكه واشرف هذه الثلاث هو الزيتون لانه فاكهة من وجه وادم من وجه لكثرة ما فيه من الدهن ومنافع الادهان كثيرة حيث تصلح للاكل والطلى واشتعال السرج واشرف الباقيين النخيل فلذلك قدم الزيتون على النخيل وقدم النخيل على الاعناب ﴿قوله نفعكم بها حال كونها مسخرات﴾ جواب عما يقال فيه تحصيل الحاصل وتقييد الشئ بنفسه وتكرار بلا فائدة وتقرير الجواب ان مسخرها لكم بمعنى نفعكم بها عبر عن النفع بالتسخير لكون النفع غاية للتسخير مترتبا عليه فهو تعبير عن الشئ بغايته والامر فى هذه الآية امر تكوين لا امر تكليف بناء على ان الافلاك والكواكب جمادات على ما ذهب اليه اكثر المسلمين فالامر المتعلق بها امر تخليق وتدبير لا امر تكليف بالفعل ومنهم من يقول انها ليست بجمادات فهم يحملون الامر على الادآء والتكليف ﴿قوله ورفعا للدور والتسلسل﴾ فانه لو استند حوادث العالم السفلى الى الحركات الفلكية والكوكبية لاحتاجت تلك الحركات الى ان تستند الى حركات اخرى ولا شك ان الحركات الكوكبية والفلكية لا يمكن استنادها الى افلاك وكواكب اخرى والا لزم الدور او التسلسل وكلاهما محالان ولا يمكن استناد تلك الحركات والاوضاع الى قوات الافلاك والكواكب من حيث انها اجسام متماثلة فلو كان جسم معين من تلك الاجسام علة لصفة ووضع معين لكان كل جسم واجب الاتصاف بذلك الوضع والصفة ولامتنع اختلاف الصفات والاوضاع فثبت ان الجسم يمتنع ان يكون متحركا لكونه جسما وبقى ان يكون متحركا لغيره وذلك الغير اما ان يكون قوة قائمة به او امرا مباينا عنه والاول باطل لان البحث المذكور يعود بان يقال ان ذلك الجسم بعينه لم اختص بتلك القوة بعينها دون سائر الاجسام فتعين ان تكون تلك الحركة مستندة الى امر مباين عنه وذلك المباين لا يخلو اما ان يكون موجبا بالذات الى جميع الاجسام على السوية فلا يكون بعض الاجسام بقبول بعض الصفات المعينة اولى من بعض فتعين ان يكون فاعلا مختارا قادرا على ما يشاء وهو الله تعالى وان الحركات الفلكية على تقدير استناد الحوادث السفلية اليها حادثة بتخليق الله تعالى وتقديره وتكوينه وكان هذا اعترافا بان الكل من الله تعالى وباحداثه وتخليقه وهذا هو المراد من قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم الآية يعنى ان كانت تلك الحوادث السفلية لاجل تعاقب الليل والنهار وحركات الشمس والقمر فهذه الاشياء لابد وان يكون حدوثها بتخليق الله تعالى وتسخيره قطعا للتسلسل ولما تم هذا الدليل فى هذا المقام ختم الآية بقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون يعنى ان كل من كان له عقل يعلم ان التسلسل والقول بما يؤدى اليه باطل بل لابد من الانتهاء فى آخر الامر الى الفاعل المختار القديم تعالى شأنه من غير احتياج الى تفكر وتأمل بخلاف الاستدلال باحوال النبات على وجود الله وموجد الكائنات فان احوال النبات وان كانت دالة عليه الا ان دلالتها على وجوده تحتاج الى التفكر والتأمل فانه لما ذكر انه تعالى انزل من السماء ماء فانبت به الزرع والزيتون ونحوهما توهم ان يقال لانسلم انه هو الذى انبتها ولم لا يجوز ان يقال هذه الاشياء انما حدثت بسبب اختلاف الفصول الاربعة وتأثيرات الشمس والقمر والكواكب فالم يقم الدليل على فساد هذا الاحتمال لا يكون الاستدلال باحوال النبات وافيا بافادة هذا المطلوب قاطعا للشكوك والريوب بل يكون الاحتياج الى التفكر والتأمل باقيا بعد فلهذا السبب ختم الاستدلال باختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والنجوم لما خلقت له بقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون تنبيها على ان هذا الدليل واف لافادة هذا المطلوب لمن له عقل سليم ولا يحوجه الى مزيد التفكر والتأمل فان من يعقل ان اختلاف الفصول والاوضاع الفلكية والكوكبية لا يستند الى افلاك واوضاع ضرورة بطلان التسلسل يقطع بان جميع الحوادث مستندة اليه تعالى ابتدآء وانتهاء وجمع لفظ الآية لدلالته على اختلاف انواع الدلالة ﴿قوله او مصدر ميمى﴾ عطف على قوله حال من الجميع فيكون مسخرات مفعولا مطلقا على ان يكون مسخر بمعنى التسخير لان المصدر الميمى من المزيدات يكون على وزن

(ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع فى الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجر وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) بان هيأها لمنافعكم (مسخرات بامره) حال من الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلق له بايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلابد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود رفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمى جمع لاختلاف الانواع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه

(اسم)

اسم المفعول من ذلك الباب ويجوز ان يجمع المصدر للدلالة على اختلاف الانواع والمعنى انه سخرها انواعا من التسخير على اسلوب قولك ضربته ضربات ﴿ قوله ورفع ابن عامر ﴾ — اى قرأ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع فى الاربعة وقرأ حفص برفع النجوم ومسخرات فقط والباقون بنصب الجميع وكسر تاء مسخرات * فان قيل التسخير انما يتعلق بمن له حياة وقدرة يصح منه الانقياد والمخالفة حتى يقهر ويسخر فكيف يصح ان يتعلق التسخير بما هو من قبيل الاعراض كالليل والنهار وما هو من قبيل الجمادات كما فى المذكورات * فالجواب ان تسخير هذه الاشياء عبارة عن انه تعالى خلق هذه الاشياء ودبرها كيف شاء من غير ان يتوهم الامتناع والمخالفة من قبلها فهن مسخرات لله تعالى دبرها كيف شاء من غير ان يتوهم الامتناع او هو عبارة عن انه تعالى جعل فيها منافع للخلق تصل اليهم تلك المنافع شئن او ابين ولم يجعل لهن ما يمتنع عن الخلق استيفاء تلك المنافع منهن بسببه فهن مسخرات لما خلقن له بايجاده وتقديره على الوجهين فالمراد بالامر امر التكوين والتقدير لا امر التكليف والحاصل انه تعالى لما كوّن هذه الاشياء على وجه ملائم لمصالح العباد وتكوّنت على وفق ارادته صارت شبيهة بالعبد المنقاد المطواع فاطلق على هذا التكوين والتدبير لفظ التسخير على طريق التخييل فصيغ المشتقات استعارة تبعية وكانت قرينة للاستعارة المكنية ﴿ قوله يذكرون ان اختلافها ليس الا بصنع صانع ﴾ — اشارة الى انه تعالى ختم الاستدلال باختلاف اصناف ما ذرأ بقوله لقوم يذكرون بناء على ان خلاصة هذا الدليل راجعة الى ما ذكر فى الاستدلال باحوال النبات من ان الحبة الواقعة فى الارض يشق اسفلها فيخرج منه عروق الشجر ويشق اعلاها فيخرج منه ساقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار الى قوله علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار فتم الاستدلال باحوال النبات فلذلك قال ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون ثم انه تعالى لما احتج على اثبات الصانع بالاجرام العلوية والسفلية من السموات والارض وخلقة نوع الانسان وانواع الحيوانات والنباتات شرع الآن فى الاستدلال عليه بعجائب احوال العناصر فبدأ منها بالاستدلال بعنصر الماء * واعلم ان علماء الهيئة قالوا ثلاثة ارباع كرة الارض غائصة فى الماء الذى هو البحر المحيط وهو كله عنصر الماء وحصل فى هذا الربع المسكون سبعة من البحار كما قال تعالى والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحار التى سخرها الله تعالى للناس هى هذه البحار ومعنى تسخير الله تعالى اياها للخلق جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها اما بالركوب او بالغوص لاستخراج ما فيها من اللؤلؤ والمرجان واصطياد ما فيها من اللحوم الطرية ونحو ذلك والماء الزعاق هو المالح الاجاج اى المرّ ﴿ قوله وتمسك به الامام مالك ﴾ — حيث قال كيف لا يحنث باكل السمك مع انه تعالى نص على كونه لحما فى هذه الآية وليس فوق بيان الله تعالى بيان روى عن ابى حنيفة انه لما قال لحم السمك ليس بلحم حتى لو حلف لا يأكل اللحم فاكل لحم السمك لا يحنث وسمعه سفيان انكر عليه واحتج عليه بهذه الآية فبعث اليه ابو حنيفة وسأله عن رجل حلف لا يصلى على البساط فصلى على الارض فهل يحنث او لا فقال سفيان لا يحنث فقال السائل أليس الله تعالى قال والله جعل لكم الارض بساطا فعرف سفيان ان ذلك كان بتلقين ابى حنيفة ﴿ قوله تشقه بحيزومها ﴾ — اى بوسط صدورها قال اهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء ان المخر صوت جرى الفلك وقوله تعالى منه لحما طريا يجوز ان يتعلق بقوله لتأكلوا وان يتعلق بمحذوف على ان يكون حالا من النكرة بعده وكذا منه فى قوله وتستخرجوا منه حلية يحتمل الوجهين المذكورين والحلية اسم لما يتحلى به وقوله تعالى وترى الفلك جملة معترضة بين التعليلين وهما قوله لتأكلوا منه وما عطف عليه وقوله ولتبتغوا وانما قلنا معترضة لانه خطاب لواحد وقع بين خطابين لجمع ﴿ قوله ركوبها للتجارة ﴾ — اضافة الركوب الى ضمير الفلك يشعر ان يكون تقدير الكلام لتنتفعوا بكونها مواخر فيه ولتبتغوا الربح والنماء من فضل الله بركوبها للتجارة فاذا وجدتم ما تبتغونه من فضل الله واحسانه فعلكم تؤدون حق شكره اذ لو جعل معطوفا على قوله تعالى لتأكلوا منه لحما وجعل قوله وترى الفلك اعتراضا بين التعليلين كما هو الظاهر لكان المناسب تذكير الضمير بان يقال بركوبه للتجارة ﴿ قوله كراهة ان تميل بكم ﴾ — الميدان الميل والحركة والاضطراب يمينا وشمالا يقال ماد يميد ميدا ﴿ قوله او ان تحركت بادنى سبب للتحريك ﴾ — كالسفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت اجرام ثقيلة فى تلك السفينة استقرت على وجه الماء واستوت لان تلك الاجرام بسبب ثقلها تتوجه نحو المركز وتمنع السفينة عن ان تضطرب يمينا وشمالا فكذلك الجبال بالنسبة الى الارض فانها بمنزلة الاوتاد بالنسبة الى الامواج كما قال تعالى

ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات (وما ذرأ لكم فى الارض) عطف على الليل اى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات (مختلفا الوانه) اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) ان اختلافها فى الطبائع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم (وهو الذى سخر البحر) جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص (لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه عذبا طريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف ان لا يأكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) كاللؤلؤ والمرجان اى تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم (وترى الفلك) السفن (مواخر فيه) جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك (ولتبتغوا من فضله) من سعة رزقه بركوبها للتجارة (ولعلكم تشكرون) اى تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بعقب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش (والقى فى الارض رواسى) جبالا رواسى (ان تميد بكم) كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة

وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ماهي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال (وانهارا) وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه (وسبلا لعلكم تهتدون) لمقاصدكم او الى معرفة الله سبحانه وتعالى (وعلامات) معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك (وبالنجم هم يهتدون) بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قرآءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم (أفمن يخلق كمن لا يخلق) انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام أفمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكأنه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بمن لا علم عنده (أفلا تذكرون) فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) اي لا تضبطوا عددها فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور (ان الله لغفور) حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها (رحيم) لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم

وجعلها الجبال اوتادا على طريق التشبيه البليغ ﴿قوله ماهي بمقر أحد على ظهرها﴾ كذا وجدنا بخط من النسخ والظاهر ان يقال بمقرة احد بتأنيث مقرة منونة او غير منونة لكونها خبرا عن ضمير الارض ﴿قوله لان القى فيه معناه﴾ اى معنى جعل فان الالقاء حقيقة هو طرح الشيء من اعلى الى اسفل ولا يخفى ان اثبات الجبال الرواسي في وجه الارض ليس بطريق الالقاء بل بطريق الجعل والخلق ويدل عليه قوله في آية اخرى وجعل فيها رواسي من فوقها ولما كان قوله في هذه والقى في الارض رواسي بمعنى وجعل فيها رواسي ثم عطف قوله وانهارا وسبلا على قوله رواسي كان المعنى وجعل فيها رواسي وانهارا وسبلا ومعنى القاء السبل وجعلها في الارض انه تعالى اظهرها وبينها ليهتدي بها من يشاء الى مقصده ووضع فيها علامات اى معالم وهو جمع معلم وهو الاثر الذي يستدل به على الطريق من جبل وسهل وريح ونحوها مما يستدل به في النهار ولعل النهار تهب فيه الريح من جهة الى جهة اخرى فيستدل بها على الطريق في الليل كما يستدل بالجبل ونحوه قال الامام ورأيت جماعة يشمون التراب وبواسطة ذلك الشم يعرفون الطرقات ﴿قوله ولعل الضمير لقريش﴾ يعني غير اسلوب الخطاب في قوله ان تميد بكم الى طريق الغيبة في قوله وبالنجم هم يهتدون وخص اولئك الغائبين بالاهتداء دون غيرهم بدلالة تقديم هم على يهتدون وخص اهتداءهم بالنجم دون غيرهم حيث قدم بالنجم على عامله الذي هو يهتدون فلعل المراد بهؤلاء الغائبين قريش فانهم امتازوا من بين جملة الناس بكثرة الاسفار للتجارة ومن سافر في الديار للتجارة يكون اكثر سفره واتفاقي خلة الليالي فيكون اهتداؤه مختصا بالنجم وقوله عن سنن الخطاب اى عن طريقه الى طريق الغيبة اشارة الى قريش لكون هذا المعنى فيهم اتم واكمل ثم انه تعالى لما اقام الدليل على وجود الاله القادر ووجود نعمه واحسانه اتبعه بذكر ما يدل على بطلان عبادة غيره بانه الذي هو المتفرد بخلق هذه الآثار البعيدة والمولى لجميع هذه النعم الجليلة فقال افمن يخلق كمن لا يخلق ﴿قوله انكار بعد اقامة الدلائل﴾ الانكار مستفاد من الهمزة والبعدية من الفاء ولما كان المقصود من هذا الكلام الانكار على من يجعل غير الخالق مثل الخالق في تسميته باسم الاله في الاشتغال بعبادته كان الظاهر ان يقال أفمن لا يخلق كمن يخلق لتم الالزام والتجهيل في جعلهم العاجز كالقادر الا انه تعالى عكس هذا النظم للتنبيه على كمال جهالة المشركين فانه لاشك في انحطاط شأن من لا يخلق شيأ وهم يخلقون بالنسبة الى خالقهم فمن سلك سبيل الاشتراك يلزمه ان يجعل الخالق القادر مماثلا لهؤلاء المخلوقات العجزة وهو غاية الجهالة والغواية فانكر عليهم في هذه الجهالة فقال افمن يخلق كمن لا يخلق عبر عن الاصنام التي هي جمادات بلفظ حقه ان يطلق على اولي العلم لاجرائها مجرى اولي العلم او للمشاكلة او للمبالغة في انكار المماثلة بين الخالق والاصنام فانه اذا امتنعت المماثلة بين الخالق وبين من لا يخلق من اولي العلم كان امتناعها بين الخالق وبين من لا يخلق ولا يعلم بطريق الاولى ﴿قوله فانه لجلائه كالحاصل﴾ يعني ان قوله تعالى أفلا تذكرون استعارة تبعية شبه ادراك الصورة الجلية الغير الحاصلة بالحاصلة المخزونة تشبيها مضمرا بتذكر الصورة المخزونة التي ذهل عنها فاطلق عليه اسم التذكر بناء على تلك المشابهة ثم اشتق منه تذكرون او هو استعارة مكنية شبهت الصورة الجلية الغير الحاصلة بالحاصلة المخزونة تشبيها مضمرا في النفس وجعلت نسبة التذكر اليها تخييلا ﴿قوله بادنى تذكر﴾ الظاهر ان يقال بادنى توجه ﴿قوله فضلا من ان تطيقوا القيام بشكرها﴾ يعني ان الاشتغال بشكر النعم مشروط بعلم النعم عليه بتلك النعم على سبيل التفصيل فان ما لا يكون معلوما امتنع الاشتغال بشكره واذا كان عقل الانسان قاصرا عن احصاء نعم الله تعالى والاحاطة بها تفصيلا امتنع منه ان يشتغل بشكرها على الوجه الذي يكون ذلك الشكر لائقا بتلك النعم فلما كان احصاء النعم والعلم بتفاصيلها من لوازم الطاقة على القيام بشكرها كان انتفاء الاحصاء مستلزما لانتفاء الطاقة على الشكر فان قيل اذا لم يكن القيام بالشكر مما لا يطيقه الانسان فكيف امرهم الله تعالى بذلك فالجواب ان الشكر المأمور به هو الاشتغال بالعبادة على حسب الطاقة بان يلاحظ كمال عظمة الله تعالى وكبريائه وكثرة ما انعم به عليه من وجوه فضله واحسانه ويجتهد في رعاية حدوده وتكاليفه على حسب طاقته واستطاعته ﴿قوله وتزييف للشرك باعتبار العلم﴾ يعني انه تعالى زيف الشرك وعبادة الاصنام في الآية الاولى باعتبار القدرة على الخلق وزيفه في هذه الآية باعتبار العلم كأنه قال ان الاله يجب ان يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام جمادات لا شعور لها بشيء اصلا فكيف تحسن عبادتها وقرأ العامة تسرون وتعلنون بتاء الخطاب وقرأ عاصم في رواية حفص يسرون ويعلنون ويدعون في كلهن بياء الغيبة للغائبة وكذلك الكسائي وروى عن عاصم يدعون خاصة بياء الغائبة والباقون كلهم بتاء

(الخطاب)

الخطاب للمخاطبة كذا في تفسير التيسير وليس في تفسير القرآء الا قوله قرأ عاصم و الذين يدعون بالياء و الباقون بالتاء
﴿ قوله لمانفي المشاركة بين من يخلق و من لايخلق ﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان قوله تعالى في اول الآية أفمن يخلق يفيد ان هذه الاصنام لاتخلق شيأ فيكون قوله ههنا لايخلقون شيأ تكرارا محضا فاوجه وقوعه في القرآن وتقرير الجواب ان ماذكر اولا لايدل على ماذكر بعده بل كل واحد منهما مقدمة مستقلة لدليل بطلان القول بالاشراك وترتيب الدليل هكذا الآلهة الذين يعبدهم المشركون من دون الله لايخلقون شيأ ولاشئ مما لايخلق بشريك مماثل للخالق فلاشئ من الاصنام بشريك الخالق فلاتكرار ﴿ قوله هم اموات لاتعتريهم الحياة ﴾ اشارة الى ان قوله اموات خبر مبتدأ محذوف والى دفع مايقال من ان قوله اموات يفيد كونهم غير احياء فاالفائدة في ذكر قوله غير احياء بعد ذكر اموات دفعه اولا بان قوله غير احياء صفة مخصصة لقوله اموات فان من الاموات ماتعتريه الحياة بعد زمان كالنطفة و البيضة ونحوهما ومالاتعتريه الحياة ابدا والاصنام من قبيل الثاني فكيف تكون شركاء للاله الحق الحي الذي لايجوز ان يعتريه الموت ابدا والحال ان الميت الذي لاتعتريه الحياة ابدا في غاية البعد عن الحي الذي لايعتريه الموت ابدا ويمتنع ذلك في حقه قطعا ودفعه ثانيا بان المراد بقوله اموات مايتناول الاموات حالا كالاصنام وعيسى وعزير والاموات مآلا كالملائكة الذين تعبدهم طائفة من المشركين والاموات بهذا المعنى يلزم ان لاتكون احياء بالذات الا انها وصفت بانها غير احياء بالذات للتأكيد كما في قوله نفخة واحدة فانه لما كان المقصود نفي الالهية عن شركاء المشركين اقتضى المقام الاهتمام بنفي لوازم الالوهية عنها وتوصيفها بماينافي الالوهية فلذلك اكد كونها امواتا حالا اومآلا بكونها غير احياء بالذات فانه تعالى وصفهم بثلاث صفات كل واحدة منها تنافي الالوهية وهي انهم غير خالقين بل هم مخلوقون وانهم اموات غير احياء وانهم لايعلمون وقت البعث والمقصود منها نفي الالوهية عنهم واثبات وجوب كون الاله خالقا غير مخلوق حيا لايموت عالما بالغيب كعلمه بالشهادة الذي يكون موصوفا باضداد هذه الاوصاف لايكون الها قطعا ﴿ قوله ولايعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم ﴾ اشارة الى ان ضمير يشعرون للمعبودات البتة وان ضمير يبعثون يحتمل ان يكون للمعبودات ايضا ويكون المعنى ان الاصنام لايشعرون متى يبعثها الله تعالى قال ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام ولها ارواح ومعها شياطينها فتبرأ من عابديها فيؤمر بالكل الى النار ويحتمل ان يكون للعابدين ويكون المعنى ان الاصنام وسائر المعبودات من دون الله لايشعرون وقت بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزآء منهم على عبادتهم ﴿ قوله وفيه تنبيه ﴾ اى في قوله ومايشعرون ايان يبعثون تنبيه على انه لابد من البعث وان البعث من لوازم التكليف على معنى ان من شأن المعبود ان يجازي عابده الذي كلفه بعبادته والدنيا دار تكليف لايتأتى المجازاة فيها فلابد من دار الجزآء وبعث الخلق للثواب والعقاب ثم انه لابد للاله من العلم بماصدر من المكلف وبمايعادله من الثواب والعقاب وبالوقت المقدر للجزآء والذي لايعلم شيأ من ذلك كيف يكون الها وقوله تعالى ايان منصوب بمابعده لابماقبله وهو يشعرون لانه استفهام علق يشعرون ﴿ قوله تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج ﴾ يعني ان قوله تعالى الهكم اله واحد فذلكة لماسبق واعادة للمدعى بعد اقامة الحجج عليه مفصلا كرره ليكون توطئة لماذكر بعده من بيان مالاجله اصر الكفار على القول بالشرك وانكار التوحيد والفاء في قوله فالذين جواب شرط محذوف كأنه قال اولا قد ثبت بالدلائل الواضحة ان الالوهية مختصة بالله تعالى وانه واحد متفرد بالالوهية ثم قال اذا كان كذلك فمن حقه ان يخص بالعبادة وينزه عن الشريك فمن لم يحترز عن الشرك بعد اقامة هذه الدلائل لم ينتفع بها اى بهذه الدلائل حيث استمر على ضلاله القديم واستمراره انما يكون لاجل انه لايؤمن بالآخرة بل ينكرها فلذلك لايرغب في الثواب ولايرهب من الوقوع في العقاب فيبقى قلبه منكرا لكل كلام يخالف هواه ومستكبرا عن الرجوع الى قول الناصح فلاجرم يبقى مصرا على الجهل والضلال ﴿ قوله وانكار قلوبهم ﴾ عطف على قوله عدم ايمانهم بالآخرة وكذا قوله والاستكبار عطف عليه ايضا والمراد بالاول عدم الايمان بالآخرة فانه هو العمدة في باب الاصرار على الضلال وبالآخرين انكار القلوب والاستكبار وبكونهما مرتبين على الاول وقوعهما خبرا للمبتدأ المتضمن لمعنى الشرط ﴿ قوله لاجرم حقا ﴾ نقل الجوهري عن الفراء ان قولهم لاجرم كلمة كانت في الاصل بمعنى لابد ولامحالة فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت الى معنى القسم وصارت بمنزلة حقا فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب عن القسم بها الاتراهم يقولون لاجرم لآتينك وقيل لارد لكلامهم وجرم بمعنى حق ووجب يعني ان لانافية لكلام متقدم تكلم به الكفرة

(والذين تدعون من دون الله) اى والآلهة الذين تعبدونهم من دون الله وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء (لايخلقون شيأ) لمانفي المشاركة بين من يخلق ومن لايخلق بين انهم لايخلقون شيأ لينتج انهم لايشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال (وهم يخلقون) لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود (اموات) هم اموات لاتعتريهم الحياة او اموات حالا اومآلا (غير أحياء) بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لايعتريه الممات (ومايشعرون ايان يبعثون) ولايعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزآء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف (الهكم اله واحد) تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج (فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها تكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم مالا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين (لاجرم) حقا

فردّ الله تعالى عليهم ذلك بقوله لا كلا رداً لهذه الواقعة قبل القسم في قوله لا اقسم وقوله فلا وربك لا يؤمنون ثم اتى بعدها بجملة فعلية وهي جرم ان لهم كذا اى حق ووجب ان يكون الامر كذا فيكون ما بعد جرم مرفوعا بالفاعلية وقيل ان لاجرم لفظ مركب من لا النافية وجرم جعلا لفظا واحدا مبنيا بناء خمسة عشر وصار بعد التركيب بمعنى حق فيرتفع ما بعدهما بالفاعلية ايضا فقوله تعالى لاجرم ان لهم النار معناه حق وثبت كون النار مثوى لهم واستقرارها لهم وقيل ان لاجرم بمنزلة لا رجل في كون لا نافية للجنس وجرم اسمها مبنى معها على الفتح وهي واسمها في محل الرفع بالابتدآء وما بعدهما خبر لا النافية وصار معناها لا محالة ولابدّ ان الله تعالى يجازيهم على حسب علمه بما اسرّوا واعلنوا ﴿ قوله فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده ﴾ يعني ان المستكبرين يعم كل من عرف الحق واستكبر عن قبوله وعرف النعمة واستكبر عن شكرها ويدخل في هذا القبح من سيق له الكلام دخولا اوّليا وهم المشركون الذين يستكبرون عن التوحيد وجاز ان يكون لفظ المستكبرين من وضع الظاهر موضع ضمير المشركين المستكبرين عن التوحيد فقط وتكون النكتة في العدول عن الضمير الاشارة الى علة الحكم بانه تعالى لا يحبهم ثم انه تعالى لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد وبطلان مذهب عبدة الاوثان حكى عن منكري النبوّة وبين ان عاقبة طعنهم ان يحملوا الاوزار واشار اليه المصنف بقوله فحملوا اوزار ضلالتهم فانه عليه الصلاة والسلام لما احتج على صدقه في دعوى النبوّة بانزال القرآن المعجز عليه طعنوا في القرآن وقالوا انه اساطير الاوّلين وليس هو من قبيل المعجزات فقال تعالى انما قالوا ذلك ليحملوا اوزارهم كاملة واللام فيه لام العاقبة لانهم لم يصفوا القرآن بانه اساطير الاوّلين لاجل ان يحملوا ولكن لما كانت عاقبة ذلك التوصيف ان يحملوها شابه الحمل المذكور الغرض المطلوب من الفعل فحسن ادخال لام العلة عليه كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا ﴿ قوله ماذا ﴾ في محل الرفع على الابتدآء وقوله انزل ربكم خبره اى اى شئ انزله ربكم غاية ما في الباب ان يكون التركيب من قبيل زيد ضربت في حذف العائد المنصوب والمسئلة مختلف فيها بين النحاة والصحيح جوازه والقائم مقام الفاعل لقوله قيل هو الجملة من قوله ماذا انزل ربكم لا نها هي المقولة والبصريون يأبون ذلك ويجعلون القائم مقامه ضمير المصدر لان الجملة لا تكون فاعلة ولا قائمة مقام الفاعل واختلفوا في قائل هذا القول وفاعله المحذوف بعد اتفاقهم على ان المقول لهم المشركون الطاعنون في القرآن وكونه منزلا من الله تعالى فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما انزل الله تعالى على رسوله كذا في التفسير الكبير وفيه تسامح والمراد انه قول الوافدين على المشركين كما اختاره المصنف وعلى تقدير ان يكون هذا قول بعض المشركين لبعض يكون قوله ماذا انزل ربكم مبنيا على التهكم لانهم منكرون للانزال والنبوّة ﴿ قوله اى ما تدّعون نزوله او المنزل اساطير الاوّلين ﴾ وارتفاع اساطير دليل على ان ماذا مرفوع على الابتدآء وخبره ما بعده لانه لو كان منصوبا على انه مفعول محذوف لطابق الجواب السؤال فان جواب المرفوع ينبغي ان يكون مرفوعا وجواب المنصوب منصوبا ولم يقرأ احد اساطير الاوّلين بالنصب ﴿ قوله وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب ﴾ يعني ان كلة من في قوله تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم تبعيضية اى ان الرؤساء في كمال الضلالة حيث جمعوا بين الضلالة عن الحق بانفسهم وبين الضلالة التي يتعدى اثرها الى الغير وهي ضلالة الاضلال فلما كانت ضلالتهم كاملة لاجرم حملوا اوزار ضلالتهم كاملة وكذلك الاتباع فان لهم ضلالة متسببة من اضلال الرؤساء اياهم ولهم ضلالة غيرها فالرؤساء يحملون من اوزار الاتباع ما هو حصة الضلال الحاصل فيهم باضلال الرؤساء اياهم ولا تحمل الرؤساء جميع اوزار الاتباع وهذا لا يخالف ما روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا الى هدى فاتبع كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيأ ومن دعا الى ضلال فاتبع كان له من الاثم مثل آثام من تبعه من غير ان ينقص من آثامهم شئ » لان المراد ببعض اوزار من ضل هو وزر الضلالة الذي تسبب فيه المضل وكذلك الآثام المذكورة في الحديث « قال الامام واعلم انه ليس المراد انه تعالى يحملهم اوزار غيرهم ويدل عليه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى بل المعنى ان الرئيس اذا وضع سنة قبيحة استحق بذلك عقابا عظيما حتى يكون ذلك العقاب مساويا للكل ما استحقه كل واحد من الاتباع ثم نقل عن الواحدي انه قال انها لو كانت للتبعيضية نقص عن الاتباع بعض اوزارهم وذلك غير جائز

(قوله)

(ان الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون) فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل (انه لا يحب المستكبرين) فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله (واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم) القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون (قالوا اساطير الاوّلين) اى ما تدّعون نزوله او المنزل اساطير الاوّلين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اى على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون (ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة) اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال (ومن اوزار الذين يضلونهم) وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب

(بغير علم) حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين الحق والمبطل (الا ساء ما يزرون) بئس شيأ يزرونه فعلهم (قد مكر الذين من قبلهم) اى سوّوا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام (فاتى الله بنيانهم من القواعد) فأتاها امره من جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضعت (فخر عليهم السقف من فوقهم) وصار سبب هلاكهم (واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد من فى السماء فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا (ثم يوم القيامة يخزيهم) يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته (ويقول اين شركائى) اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم وقرأ البزى بخلاف عنه اين شركاى بغير همز والباقون بالهمز (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون المؤمنين فى شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله عز وجل (قال الذين اوتوا العلم) اى الانبياء او العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة (ان الخزى اليوم والسوء) الذلة والعذاب (على الكافرين) وفائدة قولهم اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا ووعظا لمن سمعه (الذين تتوفاهم الملائكة) وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة (ظالمى انفسهم) بان عرضوها للعذاب المخلد (فألقوا السلم) فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت (ما كنا نعمل من سوء) قائلين ما كنا نعمل من سوء كفران وعدوان ويجوز ان يكون تفسير السلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام (بلى) اى فتجيبهم الملائكة بلى (ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فألقوا السلم الى آخر الآية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اوّل من لم يجوّز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوأ واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولوا العلم (فادخلوا ابواب جهنم) كل صنف بابه المعدّ له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها (خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) جهنم

قوله عليه الصلاة والسلام من غير ان ينقص من آثامهم شئ ولكنها للجنس اى ليضلوا من جنس اوزار الاتباع انتهى كلامه ولا يخفى ان من التى تكون لبيان الجنس لا يكون تقديرها هكذا بل الظاهر ان يقال فى تقديرها واوزارهم التى هى اوزار الذين يضلونهم ﴿قوله حال من المفعول﴾ ويجوز ان يكون حالا من الفاعل والمعنى حينئذ يضلونهم جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال الا ان الفائدة المتفرّعة على كونه حالا من المفعول تفوت حينئذ فانه تعالى لما وصف الذين لا يعلمون انهم ضلال بالضلال وبكونهم حاملين للاوزار حيث اضاف اليهم اوزار من يضلونهم والاضلال لا يتحقق بدون الضلال علم منه ان جهلهم بذلك لا يخرجهم من كونهم ضلالا حاملى الاوزار فى انفسهم، واعلم انه تعالى حكى عن المشركين انهم وصفوا القرآن بانه اساطير الاوّلين اى احاديثهم واباطيلهم ولم يجب عنه ببيان حقيقته وكونه كلاما الهيا معجزا بل اقتصر على مجرّد بث الوعيد بناء على ما تكرّر من بيان ذلك فى مواضع متعددة من القرآن ثم انه عليه الصلاة والسلام لما تأسف من قول المشركين فى حق القرآن انه اساطير الاوّلين وجعلهم هذا القول وسيلة الى تكذيبه فى دعوى الرسالة نزل قوله قد مكر الذين من قبلهم الآية والمراد بالمكر ههنا التدبير الفاسد اى قد مكر الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء المشركين بانبيائهم كما مكر بك هؤلاء ولم يضر ذلك بالانبياء بل ابطل الله تعالى مكرهم وردّه فى نحورهم كيدهم وتحقق فيهم معنى ما قيل من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا والمنصوبات جمع منصوبة وهى الحيلة يقال سوّى فلان منصوبة وهى فى الاصل صفة الشبكة او الحبالة فجرت مجرى الاسماء كالدابة والعجوز وفسر الزجاج القواعد بالاساطين التى تعمد البنيان اى انهدمت عمد البنيان فانهدم اى اتاه بعماد يعتمد عليه والعمد بفتحتين جمع عماد ﴿قوله بان ضعضعت﴾ اى انهدمت القواعد الجوهرى ضعضعه اى هدمه حتى الارض وهو استعارة تمثيلية شبه حالهم فى انهم سوّوا منصوبات ليمكروا بها الانبياء فجعلها الله تعالى سبب هلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من تلك الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا واليوم فى قوله تعالى ان الخزى اليوم معمول للخبر وهو قوله على الكافرين اى كائن على الكافرين اليوم وفصل بين العامل ومعموله بالمعطوف لانه يتسامح فى الظروف ﴿قوله وقرأ حمزة بالياء﴾ اى التحتانية لان التأنيث فى الملائكة ومن قرأ بالتاء الفوقانية نظر الى لفظ الملائكة ﴿قوله وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة﴾ الجر على انه صفة للكافرين والنصب بتقدير اعنى والرفع بتقدير هم الذين وعلى التقادير يكون قوله تتوفاهم واردا على حكاية الحال الماضية لان الذين اوتوا العلم يقولون هذا القول حين يرون خزى الكفار وفضاحتهم يوم القيامة على اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة لهم والقاهر ان توفى الملائكة اياهم امر ماض بالنسبة الى يوم القيامة فيكون التعبير عنه بلفظ المستقبل مبنيا على حكاية الحال الماضية وقوله فألقوا السلم يجوز ان يكون معطوفا على تتوفاهم لكونه بمعنى الماضى وان يكون معطوفا على قوله قال الذين اوتوا العلم فتكون المسالمة المذكورة من جملة احوالهم الواقعة يوم القيامة ولا تكون من جملة مقالة اولى العلم بخلاف ما اذا كان معطوفا على تتوفاهم الا ان قول المصنف واخبتوا حين عاينوا الموت يدل على انه جعله معطوفا على تتوفاهم والاخبات الخشوع يقال اخبت لله اى تواضع واصل الالقاء فى الاجسام واستعمل هنا فى اظهارهم الانقياد اشعارا بغاية خضوعهم واستكانتهم وانها كالشئ الملقى بين يدى الغالب القاهر ﴿قوله ما كنا نعمل من سوء﴾ مقول لقول مضمر منصوب على انه حال من فاعل ألقوا اى فألقوا السلم قائلين ذلك ومن سوء مفعول نعمل زيدت فيه من ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم الذى هو القول لانه بمعنى القول الدال على الاستسلام والانقياد والاقرار لله تعالى بالربوبية كما قال تعالى فى آية اخرى فألقوا اليهم القول كأنه قيل فألقوا ما يدل على الاستسلام وقالوا ما كنا نعمل من سوء وهذا الاستسلام وان وقع من المشركين يوم القيامة بان قالوا فيه ما كنا نعمل فى الدنيا من سوء على سبيل الكذب كان ذلك دالا على صحة قول من يجوّز صدور الكذب من اهل القيامة لفرط الخوف والدهشة وهو ظاهر واما الذين قالوا ان الكذب لا يجوز عليهم فانهم قالوا معنى الآية على تقدير ان يكون المراد منه حكاية كلام المشركين يوم القيامة ما كنا نعمل من سوء انا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوأ فيجاب عنه ردا عليهم وتكذيبا لهم قولهم ما كنا نعمل من سوء بقوله بلى الخ ولا يبعد ان يكون قائل هذا القول هو الله سبحانه وتعالى او بعض الملائكة او الذين اوتوا العلم والمعنى انه تعالى عالم بما كنتم عليه فى الدنيا فيجازيكم عليه ولا ينفعكم هذا ثم صرح بذكر العقاب فقال فادخلوا ابواب جهنم ﴿قوله وقيل قوله فألقوا السلم الخ﴾

(وقيل للذين اتقوا) يعنى المؤمنين (ماذا انزل ربكم قالوا خيرا) اى انزل خيرا وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ماقالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك (للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة) مكافاة فى الدنيا (ولدار الآخرة خير) اى ولثوابهم فى الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بمابعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح (يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها مايشاؤن) من انواع المشتهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لايجد جميع مايريده الا فى الجنة (كذلك يجزى الله المتقين) مثل هذا الجزآء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس (يقولون سلام عليكم) لايحيقكم بعد مكروه (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ (هل ينظرون) ماينتظر الكفار المار ذكرهم (الا ان تأتيهم الملائكة) لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائى بالياء (او يأتى امر ربك) القيامة او العذاب المستأصل (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم) فاصابهم مااصاب (وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه (فاصابهم سيئات ما عملوا) اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزآء باسمها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) واحاط بهم جزاؤه والحيق لايستعمل الا فى الشر (وقال الذين اشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ) انما قالوا ذلك استهزآء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ماشاء الله يجب ومالم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكار القبح ماانكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لوكانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لااعتذار اذلم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب من الشبهتين

عطف على مايفهم من التقرير السابق فانه يفهم منه ان قوله تعالى فالقوا حكاية لشرح حال الكفار عند القرب من الموت ومعاينته وعلى هذا القول يكون فالقوا استئنافا بتم كلام الذين اوتوا العلم عند قوله ظالمى انفسهم ويكون قوله قال الذين اوتوا العلم الى قوله انفسهم جملة معترضة بين قوله تعالى ثم يوم القيامة يخزيهم وبين قوله فالقوا السلم ﴿قوله وفى نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا﴾ اى لم يتمكثوا فى الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال وقد اشتهر ان فى نحو ماذا صنعت وجهين احدهما ان تكون ما استفهامية بمعنى اى شئ ويكون ذا بمعنى الذى فيكون الكلام جملة اسمية تقديره اى شئ صنعته فحق ماذكر فى جوابه ان يكون مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف ليكون الجواب مطابقا للسؤال وثانيهما ان يكون ماذا بمنزلة اسم واحد معناه اى شئ منصوب المحل على انه مفعول صنعت لانه غير مشتغل عنه بضميره فيكون الكلام جملة فعلية فحق جوابه النصب على ان يكون مفعولا لفعل مقدر ليطابق السؤال وفى هذه الآية الكريمة قد اجاب المتقون بالانزال بالنصب حيث قالوا خيرا اى انزل خيرا بخلاف المنكرين للانزال فانهم اجابوا بالرفع حيث قالوا اساطير الاولين لكون اللائق بحال كل واحد من الفريقين ان يجيب بما اجاب به فلذلك اجابوا بالرفع فان قولهم اساطير الاولين كان مطابقا له وبيانه موقوف على الفرق بين ان يكون السؤال جملة اسمية وبين كونه فعلية وهو انه اذا سأل سائل اى شئ انزل ربكم فقد تقرر عنده اصل الانزال وانما يسأل عن تعيين المنزل ولادلالة فيه على كون المخاطب مقرا بالانزال او منكرا له بخلاف ما اذا سئل بان يقال اى شئ الذى انزله ربكم فان السؤال بهذا الطريق يدل على كون المخاطب معترفا بالانزال لما تقرر ان الجملة التى تقع صلة للموصول حقها ان يكون مضمونها معلوما للمخاطب فلما اجاب المخاطب بان ماتدعون انه المنزل اساطير الاولين خالف السائل المخاطب فقد اجاب المخاطب بانه غير مسلم عندى بل ماتدعى نزوله او المنزل اساطير الاولين مطابقا للسائل فيما زعمه من ان اصل النزول محقق مسلم عنده فكان جوابه مخالفا للسؤال ومطابقا لما تقتضيه حاله ولو اجاب بالنصب لكان موافقا للسائل فى الاعتراف بكون اصل النزول مسلما عنده ولكان مناقضا لنفسه فى توصيف ما اعترف بكونه منزلا من ربه بانه اساطير الاولين المعلوم ان المنزل من قبله لايكون اساطير بخلاف المتقى فان اللائق بحاله ان يحمل السؤال على الجملة الفعلية ويجيب بالنصب لانه كان اللائق بحاله ان لايتلعثم ويوافق السائل فى الاعتراف باصل النزول لا ان يكون متلعثما فى الجواب ويجيب بتعيين ان المنزل ماهو ولو اجاب بالرفع وقال المنزل خير لكان موافقا للسائل فى الاعتراف باصل النزول الا انه يكون متلعثما فى الجواب بتغييره اسلوب السائل فانه سأل بالجملة الفعلية طالبا لتعيين المفعول وهو قد اجاب بتحقيق كون المنزل خيرا ﴿قوله وهو عدة﴾ اى قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى الآية كلام منقطع عماقبله اى ليس من جملة كلام الذين اتقوا بل هو ابتدآء كلام من الله تعالى يبين به ان من احسن اعتقادا وعملا فله حسنة فى الدنيا وحسنة فى الآخرة والذى يفهم من تقرير المصنف انه جعل قوله فى هذه الدنيا متعلقا بقوله احسنوا وحمل قوله حسنة على المكافأة الواقعة فى الدنيا بقرينة قوله بعد ذلك ولدار الآخرة خير ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من حسنة اذلو تأخر عنها لكان صفة لها ولا وجه لجعله متعلقا بنفس حسنة لتقدمه عليها ويدخلونها صفة جنات وتجرى اما صفة اخرى او حال من مفعول يدخلونها وقوله لهم فيها مايشاؤن جملة اسمية والخبر ما لهم واما فيها واعرابها كاعراب الجملة التى قبلها ﴿قوله وهو يؤيد الوجه الاول﴾ وهو كون قوله تعالى للذين احسنوا الى آخر الآية عدة للذين اتقوا على قولهم وقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة صفة للمتقين وطيبين حال من المفعول ويقولون حال من الفاعل اى يقبضون ارواحهم مسلمين عليهم او مبلغين سلام الله عليهم ويحتمل ان يكون الذين مبتدأ ويقولون خبره فلا بد حينئذ من عائد محذوف ثم انه تعالى لما وصف جزآء الذين اتقوا على قولهم فى حق القرآن انه خير عاد الى بيان ان اولئك الكفار الذين طعنوا فى القرآن بان قالوا اساطير الاولين ماينتظرون فى الايمان بالقرآن وبما انزل اليك الا الوقت الذى لاينفعهم الايمان فى ذلك الوقت ﴿قوله تعالى فاصابهم﴾ معطوف على قوله فعل الذين وما بينهما اعتراض ﴿قوله انما قالوا ذلك استهزآء﴾ ذكر الامام الواحدى فى الوسيط ان الزجاج قال انهم قالوا هذا على الاستهزآء ولو قالوه معتقدين لكانوا مؤمنين ولكنهم قالوا ذلك مستهزئين انتهى وزاد المصنف انهم قصدوا بذلك الطعن فى النبوة والتكليف متمسكين فى ذلك بالقول بالجبر وقالوا الكل من الله تعالى ولو شاء الله منا الايمان والتوحيد لحصل لنا ذلك سوآء بعث الرسول

(اولم يبعث)

اولم يبعث فلا فائدة فى البعثة فالحوادث كلها منوطة بمشيئة الله تعالى ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا يستحقون بهذا القول اللوم والتوبيخ فى البعثة قال الامام فى الجواب من شبهة الكفار ان قولهم لما كان الكل من الله تعالى كانت بعثة الانبياء عبثا اعتراض على الله فان قولهم اذا لم يكن فى بعثة الرسل مزيد فائدة فى حصول الايمان واندفاع الكفر والعصيان كانت بعثة الانبياء غير جائزة من الله تعالى هذا القول منهم صار جاريا مجرى طلب العلة فى احكام الله تعالى وفى افعاله وذلك باطل بل لله تعالى ان يحكم فى ملكه مايشاء ويفعل مايريد ولا يجوز ان يقال له لم فعلت هذا ولم تفعل ذاك فهذا القول من الكفار من حيث دلالته على تعليق جميع الحوادث بمشيئة الله صحيح والفساد والانكار انما يتوجه اليه من حيث انهم قصدوا الاعتراض على الله وطلبوا العلة فى احكامه وافعاله ويدل عليه انه تعالى صرح فى آخر هذه الآية بهذا المعنى فقال ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فبين تعالى بهذا المعنى ان سنة الله فى عبيده الارسال اليهم وامرهم بعبادة الله ونهيهم عن عبادة الطاغوت ثم قال فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة والمعنى انه تعالى وان امر الكل بالايمان ونهى الكل عن الكفر والعصيان الا انه تعالى هدى البعض واضل البعض فهذه سنة قديمة لله تعالى مع عباده وتحسن منه ذلك بحكم كونه الها منزها عن اعتراضات المعترضين فثبت انه تعالى انما حكم على هؤلاء الكفار باستحقاق الخزى واللعن لالانهم كذبوا فى قولهم لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ بل لانهم قالوا ذلك بناء على اعتقادهم انه لو كان الامر كذلك لامتنع جواز بعثة الانبياء والرسل وتكليف العباد بالاوامر والنواهى فلاجرم استحقوا على هذا الاعتقاد مزيد الذم واللعن فهذا هو الجواب الصحيح فى امثال هذه الشبهات ﴿قوله وماشاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لامطلقا بل باسباب قدرها له﴾ لما كانت خلاصة شبهة الكفار ان تعلق مشيئة الله كافية فى تحقق الحوادث فاى حاجة الى بعثة الرسل اشار تعالى بقوله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الى ان المؤثر فى حصول الاهتداء ليس الا الله تعالى ولا تأثير فيه لتبليغ الرسل الا ان له مدخلا فيه من حيث توسطه بينه تعالى وبين المكلفين وتعلق مشيئة الله تعالى بوجود الحوادث وان اوجبها الا انها لاتعلق لها بوجود شئ منها الا عند تحقق اسبابها العادية التى من جملتها سعى المكلف ومباشرته لاسباب حصولها باخبار الانبياء بالنسبة الى اهتداء من اهتدى وضلالة من ضل فان كون الدنيا دار تكليف والكسب والاختيار يستدعى ان تجعل الحوادث مرتبطة بالاسباب العادية وذلك من كمال الحكمة الالهية والا فلاحاجة الى توسط الاسباب فى نفاذ قدرته ومشيئته فاى واسطة فى حصول امور الآخرة فما انكر عليه الشرع قبيح شرعا وواقع بقدرة الله تعالى ومشيئته عند كسب العبد واختياره اياه فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة يعنى فمنهم من هداه الله الى الايمان واتباع الحق ومنهم من اضله عن الحق واعماه عن الهدى واوقعه فى الكفر والضلال وهذا يدل على ان امر الله تعالى لايوافق ارادته بل قد يأمر بالشئ ولا يريده وينهى عن الشئ ويريده وهذا مذهب اهل الحق والمعتزلة يقولون الامر والارادة متطابقان ونحن نقول ان الامر والارادة قد يختلفان والفاظ هذه الآية صريح فى قولنا وهو ان الامر بالايمان عام فى حق الكل واما ارادة الايمان فخاصة بالبعض دون البعض ﴿قوله يأمر بعبادة الله﴾ اشارة الى ان ان فى قوله ان اعبدوا الله مصدرية اى بعثنا بان اعبدوا الله والباء المقدرة متعلقة بمحذوف منصوب المحل على انه حال من رسولا واختلف فى الطاغوت قال بعضهم كل ماعبد من دون الله تعالى فهو طاغوت وقال الحسن الطاغوت الشيطان والمراد من اجتنابه اجتناب مايدعو هو اليه مما نهى عنه شرعا ولما كان ذلك الارتكاب بامر الشيطان ووسوسته سمى ذلك عبادة الشيطان ثم انه لما بين ان البعثة كالغذاء الصالح تكون سببا لهداية قوم وضلال آخرين امر قريشا بان يسيروا فى الارض ويعاينوا هلاك من ضل بتكذيب الرسل ليعتبروا بذلك ويعلموا ان العذاب نازل بهم كما نزل باولئك لاجل ضلالهم وتكذيبهم ثم انه بين ان من حقت عليه الضلالة لايهتدى فقال ان تحرص على هداهم الآية وقرأ الكوفيون لايهدى بفتح الياء وكسر الدال فقوله من يضل مفعول يهدى وفاعله مضمر فيه راجع الى الجلالة والعائد على من محذوف اى الذى يضله الله تعالى وقيل يجوز ان يكون لايهدى بمعنى لايهتدى فان هدى كما يكون متعديا يكون ايضا لازما يقال هدى الرجل اى اهتدى والمعنى ان الله تعالى اذا اضل احدا لم يصر ذلك مهتديا فقوله من يضل فاعل يهدى بمعنى يهتدى والباقون لايهدى بضم الياء وفتح الدال على بناء المفعول ومن قائم مقام فاعله وعائده محذوف ايضا فتكون الآية نظير قوله تعالى من يضلل الله فلاهادى له وقوله فمن يهديه من بعد

(كذلك فعل الذين من قبلهم) فأشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يؤثر فى هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدى اليه على سبيل التوسط وماشاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لامطلقا بل باسباب قدرها له تعيين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية فى الامم كلها سببا لهدى من اراد وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوى ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يأمر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغوت (فمنهم من هدى الله) وفقهم للايمان بارشادهم (ومنهم من حقت عليه الضلالة) اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به فى الآية الاخرى (فسيروا فى الارض) يامعشر قريش (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون (ان تحرص) يامحمد (على هداهم فان الله لايهدى من يضل) من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لايهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ (وما لهم من ناصرين) من ينصرهم بدفع العذاب عنهم

(واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت) عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقدرة الله تعالى عليهم ابلغ رد فقال (بلى) يبعثهم (وعدا) مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله تعالى (عليه) انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته (حقا) صفة اخرى للوعد (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصر نظرهم على المألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال (ليبين لهم) اي يبعثهم ليبين لهم (الذي يختلفون فيه) وهو الحق (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال (انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي ههنا وفي يس فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل رضي الله تعالى عنهم وقوله في الله اي في حقه ولوجهه (لنبوئنهم في الدنيا حسنة) مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة (ولاجر الآخرة اكبر) مما تعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة افضل (لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) على الشدائد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح (وعلى ربهم يتوكلون) منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم) رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه (فاسألوا اهل الذكر) اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم (ان كنتم لا تعلمون) وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم (بالبينات والزبر) اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كأنه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات

قوله انكروا البعث مقسمين عليه — وجعلوا انكاره ذريعة الى انكار النبوة لانه عليه الصلاة والسلام انما يدعو الى طاعة الله تعالى ورعاية حدوده وتكاليفه بسبب ترغيبه في ثواب الآخرة والترهيب من عقاب الكافرين بعد البعث فاذا بطل القول بالبعث بطل نبوة من دعا الى الاقرار به لكونه داعيا الى الباطل ثم انهم ادعوا البديهة في انكارهم البعث وقالوا الانسان ليس الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزاؤه وبطل المزاج والاعتدال امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم وفني ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فنائه فالذي يعود يجب ان يكون شيئا مغايرا للاول لا عينه واشاروا الى ادعائهم ضرورة ذلك الانكار بالاقسام واليمين ولم يصرحوا بتفريع بطلان القول بالنبوة على بطلان القول بالبعث لكون تفرعه عليه جليا مستغنيا عن التصريح **قوله مصدر مؤكد لنفسه** — فان وعدا معنى مضمون الجملة التي دل عليها بلى وتلك الجملة لا تحتمل لها من المصادر الا ذلك المصدر الذي هو الوعد فقوله وعدا يؤكد الوعد المدلول عليه ببلى واللام في قوله ليبين متعلق بالفعل المقدر بعد حرف الايجاب اي بلى يبعثهم ليبين لهم بالبعث الذي اختلفوا فيه مع المؤمنين وذهبوا فيه الى خلاف ما ذهب اليه المؤمنون **قوله بين الامرين** — بين اولا ان البعث مقتضى الحكمة فان الحكمة تقتضي التمييز بين المحق والمبطل وبين المظلوم والظالم بمجازاة كل احد على حسب عمله وذلك التمييز لا يكون الا بالبعث والجزاء وقد مر ان البعث من توابع التكليف ومقتضياته ثم بين امكان البعث وان اقسامهم على نفيه وانكاره انما نشأ من قصر نظرهم على ما ألفوه من استقرار الميت على الموت وعدم طريان الحياة عليه وعدم التفاتهم الى ما يدل على امكانه وصحته فقال انما قولنا لشيء الآية كلمة انما مكفوفة بما وقولنا مرفوع على الابتداء وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اراد حدوث شيء لم يكن وسماه شيئا وان كان معدوما لقربه الى الوجود فليس الا ان نقول له احدث فيحدث عقيبه من غير توقف واللام في قوله لشيء وفي له لام التبليغ كما في قولك قلت له قم وجعلها الزجاج لسببية فيهما اي انما قولنا لاجل شيء ان نقول لاجله وليس بواضح وقرأ الجمهور فيكون برفع النون وقرأ ابن عامر والكسائي بنصبها قال الفراء ولقراءة الرفع وجهان الاول ان يجعل قوله ان نقول له كن كلاما تاما ثم يخبر عنه بانه سيكون كما يقال ان زيدا يكفيه ان آمر فيفعل برفع قولك فيفعل والثاني ان يجعل كلاما مبتدأ اي فهو يكون ووجه قراءة النصب ان يكون معطوفا على ان نقول ويبعد كونه منصوبا على انه جواب كن لان قوله كن وان كان على لفظ الامر فليس القصد به ههنا الامر بل المقصود بيان ان يكون الله تعالى لا يحتاج الى سبق المادة والمدة فان قيل قوله كن ان كان خطابا مع المعدوم فهو محال وان كان خطابا مع الموجود كان امرا بتحصيل الحاصل وهو محال والجواب انه لا قول ثمة ولا خطاب والمقصود بيان سهولة خلق الانسان عليه وانه متى اراد الشيء كان فمثل الله تعالى تكوينه المكونات بمجرد تعلق ارادته من غير توقف وامتناع بامر الآمر المطاع اذا امر المأمور المطيع المسارع في الامتثال فعبر عن سرعة تكوينه على الوجه المذكور بالامر المستلزم للامتثال فانه تعالى لو اراد خلق الدنيا والآخرة بما فيهما من السموات والارض والجنة والنار وما فيهما في قدر لمحة البصر لقدر على ذلك ولكن خاطب الخلق بما يفهمون والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو اهون من الابتداء بالنسبة الى عقولنا ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم على انكار البعث والقيامة وجعلوه ذريعة الى تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم دل ذلك على انهم يعادون المسلمين ويؤذونهم ايذاء يلجئ طائفة منهم الى المهاجرة عن الاهل والاوطان فبين الله تعالى ما لهؤلاء المهاجرين من الحسنة في الدنيا والآخرة فقال والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا الآية وقوله في الله يدل على ان الهجرة اذا لم تكن لله لم يكن لها قدر واعتبار وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد **قوله مباءة حسنة** — اودارا حسنة او بلدة حسنة وهي المدينة آواهم اهلها ونصروهم وهو اشارة الى ان قوله حسنة صفة لموصوف محذوف مفعول ثان لقوله لنبوئنهم لانه يتضمن معنى لنعطينهم والمباءة منزل القوم وعلى قوله او تبوئة حسنة يكون حسنة صفة لمصدر محذوف **قوله اي ارسلناهم بالبينات** — على ان قوله بالبينات متعلق بمحذوف جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل بم ارسلوا فقيل بالبينات والزبر **قوله داخلا في الاستثناء مع رجالا** — حال من فاعل يتعلق فان تعلقه بما ارسلنا يتصور على وجهين احدهما ان يتعلق به غير داخل مع رجالا في الاستثناء بان يكون المستثنى المفرغ رجالا فقط ويكون بالبينات قيدا للمستثنى منه المقدر ويكون على نية التقدير على ارادة

(الاستثناء)

الاستثناء ويكون التقدير وماارسلنا جماعة من الجماعات بالبينات والزبر الارجالا يوحى اليهم كما في قول الشاعر

* نبئتهم عذبوا بالنار جارهمو * ولا يعذب الا الله بالنار *

اى لا يعذب بالنار الا الله على ما يقتضيه سياق الكلام ومثل هذا التركيب ضعيف لان الاصل ان يذكر المستثنى منه بجميع ما يتعلق به بتمامه ثم يستثنى منه وفى هذه الصورة قد تأخر بعض قيود المستثنى منه عن المستثنى وثانيهما ان يتعلق الجار والمجرور بقوله وماارسلنا حال كونه داخلا مع المستثنى فى حكم الاستثناء بان يعتد المستثنى المفرغ ويكون التقدير ما ارسلنا جماعة من الجماعات بشئ من الاشياء الا رجالا بالبينات والضعف الذى يتوجه على تعلقه بما ارسلنا غير داخل مع رجالا لا يتوجه على تعلقه به بهذا الوجه فلهذا احترز على تعلقه به على الوجه الاول بقوله داخلا فى الاستثناء مع رجالا وكذا تقدير قولك ماضربت الازيدا بالسوط ماضربت احدا بالسوط الازيدا لما فيه من ذكر الاستثناء قبل تمام المستثنى منه بجميع قيوده والوجه الثالث ان يكون بالبينات صفة رجالا فيتعلق بمحذوف اى الارجالا ملتبسين بالبينات مصاحبين لها والوجه الرابع ان يتعلق بيوحى على انه مفعول به غير صريح له اى يوحى اليهم بالبينات كما قال اوحى اليه بحق والوجه الخامس ان يتعلق بيوحى على انه حال من القائم مقام فاعله وهو اليهم اى يوحى اليهم ملتبسين بالبينات والزبر ومعنى تعلقه بيوحى حينئذ مع انه انما يتعلق بمحذوف كون يوحى هو العامل فى متعلقه وقوله تعالى فاسألوا يكون اعتراضا على جميع الوجوه المتقدمة والمعنى على الوجه الاول فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون انا ارسلناهم بالبينات وعلى الثالث فاسألوهم ان كنتم لاتعلمون انا ما ارسلنا الارجالا ملتبسين بالبينات وعلى الرابع فاسألوهم ان كنتم لاتعلمون انه يوحى اليهم ملتبسين بالبينات والوجه السادس ان يتعلق بقوله لا تعلمون على معنى فاسألوهم ان لم يكن عندكم علم بالبينات والزبر فان من قدر على اقامة البينات على صحة ماقلنا اوكان عنده كتاب ناطق بالحجة فانه يستغنى عن السؤال ﴿قوله على ان الشرط للتبكيت والالزام﴾ يعنى ان الاصل فى الشرط الذى تعلق به الحكم بكلمة ان يكون محتمل الوقوع وقد استعملت هنا فى امر معلوم مقطوع به لان الكلام مع قريش لقول المفسرين ان هذه الآية رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا ولاشك ان قريشا لم يكونوا من علم البينات والزبر فى شئ فالمقصود من تعليق السؤال بهذا الشرط التبكيت والالزام اى لاارتياب فى انكم غير عالمين بالبينات والزبر واحتمال عدم علمكم بها يستلزم السؤال فكيف اذا كنتم غير عالمين بها البتة ولستم ايضا ممن يسألون منهم لانكم تعلمون انهم لايجيبونكم الا بما ذكرنا من انا ما ارسلنا من قبل ارسال هذا الرسول الارجالا يوحى اليهم فلم يبق لهم طريق سوى التسليم والاذعان وعليه قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطنى حقى وقرأ حفص نوحى اليهم بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء وحمزة والكسائى يميلانها على اصلها ﴿قوله بتوسط انزاله اليك﴾ بيان لوجه قوله مانزل اليهم مع ان القرآن منزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ودفع لما يقال من ان كونه عليه الصلاة والسلام مبينا لما نزل يقتضى ان يكون القرآن كله مجملا بان يكون المراد منه خفيا لايطلع عليه مالم تأت البينات من قبل المجمل لان المفتقر الى البيان يكون مجملا مع ان بعضه محكم والمحكم يجب ان يكون مبينا ووجه الدفع ان القرآن المشتمل على الاحكام المتعلقة بهم لما كان منزلا عليه عليه الصلاة والسلام بالذات ليبلغه اليهم ويبين احكامه لهم لم تكن البينات بمعنى بيان المجمل بل بمعنى تبليغ ماكلفوا به اليهم ولوسلم انه بمعنى المجمل فالمراد بيان مانزل بيان ما كان مجملا منه بقرينة ان المحكم لايحتاج الى البيان ﴿قوله والتبيين﴾ على ان المبين لجميع التكاليف والاحكام هو الرسول صلى الله عليه وسلم تعلقا منها ان القياس ليس بحجة لانه لوكان حجة لما تعين الرسول صلى الله عليه وسلم لبيان جميع مانزل اليهم لجواز ان يبين المكلف بعض الاحكام بطريق القياس . وتقرير الجواب ان شارع جميع التكاليف والاحكام هو الله تعالى والقياس هو المظهر لبعض منها وهو عليه الصلاة والسلام مرشد الى مايكون طريقا لاظهاره فصار بذلك مبينا لجميع مانزل اليهم فان التبيين اعم من ان ينص بما هو المقصود من الاحكام او يرشد الى مايدل عليه ويؤيد هذا الجواب عطف قوله ولعلهم يتفكرون على قوله ليبين فان الاحكام المنصوص عليها لاتحتاج الى التفكر ثم انه تعالى لما رد قول قريش فى استبعاد ان يكون البشر رسولا من الله تعالى ونص على ارساله عليه الصلاة والسلام ليبين للناس مانزل اليهم شرع فى تهديد ماكريه والسيئات منصوب على انه صفة مصدر محذوف وان يخسف معمول أمن وخسوف المكان ذهابه فى الارض يقال خسف الله به الارض خسفا اى غاب به

كقولك ماضربت الازيدا بالسوط اوصفة لهم اى رجالا ملتبسين بالبينات اويوحى على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام (وانزلنا اليك الذكر) اى القرآن وانما سمى ذكرا لانه موعظة وتنبيه (لتبين للناس مانزل اليهم) فى الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه اوبما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى مايدل عليه كالقياس ودليل العقل (ولعلهم يتفكرون) وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق (أفأمن الذين مكروا السيئات) اى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان (ان يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون (او يأتيهم العذاب من حيث لايشعرون) بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط

فيأخذهم الله تعالى اولا بذلك وثانيا بان يأتيهم ملائكة العذاب من جانب السماء فيهلكهم بغتة وثالثا ان تأخذهم العقوبة فى اسفارهم فانهم لا يعجزون الله تعالى بسبب ذهابهم فى البلاد البعيدة بل يهلكهم الله تعالى حيث كانوا ورابعا بان يأخذهم بالعذاب لكن لا يأخذهم به ابتداء بل يخيفهم اولا ثم يعذبهم بعده فانه تعالى اذا اهلك فرقة خافت التى تليها زمانا فتكون الاخافة نوعا من التعذيب ثم اذا اهلكهم بعد ذلك يكون ذلك الاهلاك اشد عليهم وافضع من اهلاكهم ابتداء او ان يأخذهم جميعا بالعذاب على ان ينقص شيأ بعد شئ فى انفسهم واموالهم بان يظهر فيهم القتل او الموت او الغارة فيأخذ منهم شيأ فشيأ حتى يأتى الاخذ على جميعهم والحاصل انه تعالى خوفهم بخسف يحصل فى الارض او بعذاب ينزل من السماء او بآفات تحدث دفعة واحدة حال انهم لم يكونوا عالمين بعلاماتها ودلائلها او بآفات تحدث قليلا قليلا الى ان يأتى الهلاك على جميعهم ﴿ قوله تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن ﴾ وروى الجوهرى ظهر النبعة بدل عود النبعة وتخوف اى تنقص منها اى من الناقة والتامك السنام والقرد ما تلبد من الصوف الجوهرى سحاب قرد ركب بعضه بعضا والنبع شجر يتخذ منه القسى والسفن بالتحريك الحديدة التى تنحت بها ويطلق على المبرد ايضا يصف ناقة اثر الرحل فى سنامها وتنقصه كما ينقص المبرد من العود ويقول تنقص الرحل منها سناما مشرفا مرتفعا متراكم اللحم اى ركب بعضه فوق بعض ﴿ قوله لا تضلوا ﴾ مجزوم على انه جواب الامر وهو عليكم لانه بمعنى الزموا اى لا تضلوا الديوان ويروى لا تضلوا اى لا تضلوا فى تفسير كتاب الله تعالى ديوانكم من دون الكتب اذا جمعها وقطعها لانه قطع من القراطيس مجموعة وديوان الشاعر مجموع متفرقات اشعاره ثم انه تعالى لما هدد المشركين بانواع عذابه اردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته ليعلموا انه لا يعجز عن ايصال ما ذكره من انواع العذاب فقال اولم يروا الآية قرأ حمزة والكسائى اولم تروا بالتاء على الخطاب جريا على اسلوب قوله فان ربكم والباقون بالياء جريا على قوله أفأمن الذين مكروا وقرأ ابو عمرو تتفيأ بالتاء والباقون بالياء وكلمة ما فى قوله ما خلق الله موصولة مبهمة ومن شئ بيان لها فان قيل كيف بين الموصول وهو مبهم مثله بل هو ازيد ابهاما مما قبله * فالجواب ان شيأ لما وصف بقوله يتفيأ ظلاله اختص بالمخلوقات التى لها ظلال متفيئة من الجبال والاشجار والابنية ونحوها من الاجرام الكثيفة فصلح بذلك لان يكون مبينا لما خلق الله فما كان البيان فى الحقيقة مستندا الى ما وقع صفة لشئ قال المصنف بانها يتفيأ ظلاله وقوله يتفيأ يتفعل من الفئ يقال فاء الظل يفئ فيئا اذا رجع وعاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخه فان ظل الارض ينبسط على وجه الارض بغروب الشمس فاذا طلعت الشمس ينسخ من الظل ما كان فى جانب المشرق من الاجرام الكثيفة الى ان ينتصف النهار فاذا مالت الشمس الى جانب المغرب رجع الظل الذى نسخته الشمس فى جانب المشرق الى ذلك الجانب ايضا فذلك الظل يسمى فيئا فالظل اعم من الفئ حيث يطلق الظل على ما كان قبل الزوال وبعده والفئ لا يطلق الا ما كان بعد الزوال قال الازهرى تفيئ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار والتفيئ لا يكون الا بالعشى بسبب انصراف الشمس عنه والظل ما يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وقيل الفئ والظل مترادفان يطلق كل واحد منهما على ما كان قبل الزوال وما كان بعده واستدل عليه بقول الشاعر

* فسلام الاله يغدو عليهم * وفيوء الفردوس ذات الظلال *

فان الشاعر اطلق لفظ الفئ فى هذا البيت على ما لم تنسخه الشمس لان ما فى الجنة من الظل دائم لا يحصل بعد ان كان زائلا بسبب ضوء الشمس لقوله تعالى اكلها دائم وظلها واضيف لفظ الظلال الى ضمير مفرد لان مرجع الضمير وان كان مفردا فى اللفظ وهو قوله ما خلق الله لكنه كثير فى المعنى وهو نظير قوله تعالى لتستووا على ظهوره فانه اضيف الظهور الى ضمير مفرد لرجوعه الى ما هو كثير فى المعنى وهو قوله ما تركبون ثم قيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك الذى هو المشرق وشماله الذى هو المغرب تشبيها لجانب المشرق باقوى جانبى الانسان وهو جانب يمينه من حيث ان اقوى الحركات الفلكية التى هى الحركة اليومية آخذة من المشرق الى المغرب فلذلك جعل المشرق يمين الفلك والمغرب شماله ووجه تفيئ الظلال من يمين الفلك الى الشمال وبالعكس ظاهر وهو ان الشمس عند طلوعها الى وقت انتهائها الى وسط الفلك تكون ظلالها مائلة الى الجانب الغربى ثم بزوالها ترجع الظلال الى الجانب الشرقى وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الاجرام التى لها ظلال فان ظلالها تتفيأ من جانب يمينها الى جانب شمالها وبالعكس وعلى القولين يكون اطلاق لفظ اليمين والشمال على جانبى الاشياء المذكورة على سبيل الاستعارة

(اويأخذهم فى تقلبهم) اى متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم (فما هم بمعجزين اويأخذهم على تخوف) على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على تنقص شيأ بعد شئ فى انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته

تخوف الرحل منها تامكا قردا *
كما تخوف عود النبعة السفن *

فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لا يعاجلكم بالعقوبة (اولم يروا الى ما خلق الله من شئ) استفهام انكار اى قد رأوا امثال هذه الصنائع فما لهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها (يتفيأ ظلاله) اى اولم ينظروا الى المخلوقات التى لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائى تروا بالتاء وابو عمرو تتفيأ بالتاء

(التصريحة)

(من اليمين والشمائل) من ايمانها وشمائلها او من جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله (سجدا لله وهم داخرون) وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيئ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض) اى ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله (من دابة) بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كانت في ارض او سماء (والملائكة) عطف على المبين عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما والمراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء (وهم لا يستكبرون) عن عبادته (يخافون ربهم من فوقهم) يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته (ويفعلون ما يؤمرون) من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين) ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه

التصريحية او على سبيل التخييل للاستعارة المكنية لانهما لا يطلقان على سبيل الحقيقة الا على جانبي الانسان والظاهر ان قوله من اليمين متعلق بيتفيأ اى يتجاوز الظلال عن اليمين الى الشمال وبالعكس والتعريف الحاصل بالايمان والشمائل بدل من التعريف الحاصل بالاضافة والمصنف اشار الى الاول بقوله عن ايمانها وشمائلها والى الثاني بقوله او عن جانبي كل واحد منها واشار بايراد لفظ عن ايمانها بدل اللفظ المفرد المطابق لما في نظم القرآن لان لفظ اليمين وان كان مفردا فهو اسم جنس يتناول جميع مسمياته فعبر به عن الجمع لخفة المفرد كما في قوله تعالى ويولون الدبر اى الادبار ﴿قوله باعتبار اللفظ والمعنى﴾ فان لفظ ما مفرد معناه كثير فافرد لفظ اليمين اعتبارا لافراد ما اضيف هو اليه من حيث اللفظ وجمع لفظ الشمائل اعتبارا لكثرة معنى ما خلق الله فان قوله عن اليمين والشمائل بمعنى عن يمين ما خلق الله وشماله وسجدا جمع ساجد كراكع وركع ﴿قوله وهما حالان من الضمير في ظلاله﴾ والمعنى يتفيأ ظلال ما خلق الله في حال كون انفسهم ساجدين لله تعالى متواضعين متصاغرين منقادين لحكمه والجمهور وان كانوا لا يجوزون انتصاب الحال من المضاف اليه الا ان منهم من جوز ذلك اذا كان المضاف جزأ من المضاف اليه نحو حلقت رأس زيد قائما او كالجزء منه كما في قوله تعالى اتبع ملة ابراهيم حنيفا وظل الشيء بمنزلة الجزء منه لانه ناشئ عنه والعامل في مثل هذا الحال معنى الاختصاص والالتصاق المستفاد من الاضافة ﴿قوله او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير﴾ اى في ظلاله فالمعنى ظلالهم ساجدة وهم في انفسهم صاغرون متواضعون ﴿قوله او واقعة على الارض﴾ يعني جعلت الظلال ساجدة اما لكونها منقادة لارادة الله تعالى خاضعة لتقديره وتدبيره او لكونها واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجدين ولما كانت هيئة الظلال شبيهة بهيئة الساجدين اطلق عليها لفظ السجود على سبيل الاستعارة وكان الحسن يقول اما ظلك فيسجد لربك واما انت فلا تسجد له بئس ما صنعت وعن مجاهد ظل الكافر يصلي وهو لا يصلي وقيل ظل كل شيء يسجد لله تعالى سواء كان ذلك الشيء ساجدا ام لا ﴿قوله عطف جبريل على الملائكة﴾ بناء على ان اسم الدابة يتناول الاجسام اللطيفة السماوية والدواب الكثيفة الارضية من حيث ان كل واحد من النوعين له دبيب يليق به فيكون عطف الملائكة على المبين من قبيل عطف الخاص على العام اظهارا لشرفه وان جعل اسم الدابة مختصا بالحيوان الجسماني الذي يتحرك ويدب وجعل الملائكة ارواحا محضة مجردة عن الدبيب والحركة الجسمانية يكون من عطف احد المتباينين على الآخر قال صاحب الكشاف فان قلت فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء على غيرهم والمصنف اجاب عنه بان استعمال كلمة ما في القبيلين حقيقة فهو اولى من سلوك طريق التغليب الذي هو من باب المجاز وقوله تعالى وهم لا يستكبرون يجوز ان يكون استئنافا اخبر بذلك عنهم وان يكون حالا من فاعل يسجد وقوله يخافون ربهم من باب حذف المضاف اى يخافون عذاب ربهم ومن فوقهم صفة للمضاف المقدر اى الكائن من فوقهم وصف العذاب بذلك لان اكثر ما يأتي من العذاب المهلك انما يأتي من فوق ويجوز ان يكون من فوقهم حالا من ربهم اى يخافون ربهم عاليا عليهم علو الرتبة والقدرة قاهرا لهم كيف يشاء ويدل على صحة هذا المعنى قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده واحتج الطاعنون في عصمة الملائكة بهذه الآية فقالوا انه تعالى وصفهم بالخوف فلولا انهم يجوزون من انفسهم الاقدام على الذنب لما حصل لهم الخوف واجيب عنه بوجهين الاول انه تعالى حذرهم من العقاب حيث قال ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فلخوف العقاب يتركون الذنب والثاني ان ذلك الخوف خوف الاجلال كقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وكقوله عليه الصلاة والسلام انى لاخشاكم لله فانه يدل على انه كلما كانت معرفة الله تعالى اتم كان الخوف اكثر منه واعظم وهذا الخوف لا يكون الا خوف الاجلال والهيبة من كمال الكبرياء ﴿قوله ذكر العدد﴾ جواب عما يقال انما يحتاج الى ذكر العدد حيث لا يتعين العدد بدلالة المعدود عليه وذلك انما يكون اذا كان المعدود وراء الواحد والاثنين واما نحو رجل ورجلين فانهما يدلان على الوحدة والاثنينية فلا حاجة الى ذكر شيء زائد يدل على الوحدة والاثنينية معهما فما وجه قوله تعالى الهين اثنين انما هو اله واحد وذكر المصنف لذكر العدد فائدتين الاولى الدلالة على ان الكلام مسوق للنهي عن اتخاذ الاثنين من الآلهة فان لفظ الهين حامل لمعنى الجنسية اعني الآلهة ومعنى العدد اعني الاثنينية وكذا لفظ اله حامل لمعنى الجنسية والوحدة والغرض المسوق له الكلام في الاول النهي عن اتخاذ الاثنين من اله لا عن اتخاذ جنس الاله وفي الثاني اثبات الواحد من الاله لا لاثبات جنسه فوصف الهين باثنين واله بواحد ايضاحا لهذا الغرض وتفسيرا فان حق الكلام

ان يجيء لما سيق له الكلام من الغرض وذلك قد يكون بحذف ما يخيل غرضا آخر وزيادة ما يزيل ذلك التخييل والأول كما تقول اللباس طويل واللابس قصير اذا رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة والثاني كما نحن فيه فانه مزيد فيه لفظ واحد واثنين مع افهام الوحدة والاثنينية من لفظ الموصوف اعتناء بشأنهما ودلالة على انهما الغرض المسوق له الكلام فكل واحد من لفظي اثنين وواحد وصف صناعي جيء به لبيان الغرض وتفسيره كما في قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه اذ قوله في الارض صفة لدابة وقوله يطير بجناحيه صفة لطائر ليدل على ان القصد الى الجنس دون الوحدة فالآيتان يشتركان في ان الوصف فيهما للبيان ويفترقان من حيث انه في الهين اثنين واله واحد لبيان القصد الى العدد دون الجنس بخلاف الوصف في قوله تعالى وما من دابة وفي قوله يطير بجناحيه فانه لبيان القصد الى الجنس دون العدد والخطيب الدمشقي اورد هذه الآية في باب الوصف وذكر انه للبيان والتفسير واورده السكاكي في باب عطف البيان مصرحا بانه من قبيل التابع الذي يراد به البيان والتفسير وذهب العلامة الى ان مذهب صاحب الكشاف ان الهين اثنين وتحفة واحدة من التأكيد الصناعي بناء على قوله شفع اسم الله والهين بما يؤكد الدلالة على ان المعنى بهما العدد لا الجنس ولا خلاف بينهم الا ليس في كلام السكاكي ما يدل على انه عطف بيان صناعي لانه لا يكون الا بتكرير لفظ المتبوع او بالفاظ مخصوصة وكلا الامرين منتف ههنا والفائدة الثانية لذكر العدد في هذه الآية ما اشار اليه بقوله او ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية ووجه الايماء ان توصيف الهين باثنين يشعر بان علة النهي هي الاثنينية وكونها منافية للالهية ووجه المنافاة انا لو فرضنا تعدد الواجب لذاته لكانا مشتركين في الوجوب الذاتي ومتباينين بالتعين وما به المشاركة غير ما به المباينة فيكون كل واحد منهما مركبا من جزءين وكل مركب ممكن وقد فرض ان كل واحد منهما واجب لذاته هذا خلف ولانا لو فرضنا الهين فلا يخلو اما ان يكون كل واحد منهما علة مستقلة لكل واحد من الممكنات الموجودات او يكون لكل واحد منهما معلول مغاير لمعلول الآخر والأول يستلزم توارد العلتين المستقلتين على معلول شخصي والثاني يستلزم التمانع والتنازع ولانه لو حاول احدهما تحريك جسم مثلا والآخر تسكينه فاما ان يحصل مراد كل واحد منهما وهو محال لاستلزامه اجتماع الضدين في موضع واحد او لا يحصل مراد كل واحد منهما فيلزم عجزهما والعاجز لا يكون الها او يحصل مراد احدهما فيلزم عجز احدهما دون الآخر فلا يكون الآخر الها فثبت ان الاثنينية تنافي الالهية وانتظام قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا بما قبله انه معطوف على قوله ما خلق الله من شيء على اسلوب قوله « علفتها تبنا وماء باردا » وقوله « متقلدا سيفا ورمحا » اي وسقيتها ماء باردا وحاملا رمحا اي او لم ينظروا الى ما خلق الله من الدلائل الدالة على كمال قدرته ولم يستمعوا الى ما قاله الله اوحاه في الكتب المنزلة من بيان التوحيد ونفي الشركاء ﴿قوله وتصريحا بالمقصود﴾ وهو ان الاله الذي ثبتت وحدته هو متكلم هذا الكلام ليسارع الى تأمل كلامه وتحفظ بما فيه من وجوه الهدى والرشاد ﴿قوله فاياي﴾ منصوب بفعل مقدر بعده يفسره هذا الظاهر اي اياي ارهبوا فارهبون والواو في قوله وله ما في السموات عاطفة على قوله اله واحد وهو مفرد فيجب ان تأول الجملة المعطوفة ايضا بالمفرد لانها لما عطفت على الخبر كانت هي ايضا خبرا ويجوز كونها معطوفة على الجملة باسرها وهي قوله انما هو اله واحد ويجوز ان تكون واو ابتداء واستئناف فانه قد يؤتى بالواو اول كلام من غير ان يقصد بها عطف وتشريك وقوله واصبا حال من الدين والعامل فيها الاستقرار الذي تعلق به الحال الواقع خبرا والواصب الدائم قال تعالى ولهم عذاب واصب قيل ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك الدين والطاعة بسبب في حال الحياة او بالموت الا الحق تعالى فانه طاعته لازمة ابدا لان العلة في كونه تعالى مطاعا وهي تفرده بالالهية ثابتة لازمة له ابدا فيدوم له معلولها الذي هو الطاعة والانقياد ﴿قوله وقيل واصبا من الوصب﴾ وهو التعب ويكون بناء فاعل حينئذ للنسب بمعنى ذا وصب لان الدين فيه تكاليف ومشاق على العباد ﴿قوله واي شيء اتصل بكم من نعمة﴾ على ان ما شرطية وفعل الشرط بعدها محذوف وقوله فمن الله جواب الشرط قال الفراء التقدير وما يكن بكم وقد رد هذا الوجه بانه لا يحذف فعل الشرط الا بعد ان خاصة في موضعين احدهما ان تكون في باب الاشتغال نحو وان احد من المشركين استجارك لان المحذوف في حكم المذكور والثاني ان تكون متلوة بلا النافية وان يدل على الشرط مع ما تقدم من الكلام كقوله

° فطلقها فلست لها بكفؤ ° والا يعل مفرقك الحسام °

اي وان لا تطلقها اضرب رأسك بالسيف فحذف لدلالة قوله فطلقها ويحتمل ان تكون كلمة ما موصولة وبكم صلة فهي

(مبتدأ)

او ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله (انما هو اله واحد) للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية (فاياي فارهبون) نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غيري (وله ما في السموات والارض) خلقا وملكا (وله الدين) اي الطاعة (واصبا) لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر (أفغير الله تتقون) ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) اي واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى لا لحصولها منه (ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون) وهم كفاركم

مبتدأ و قوله فمن الله خبرها زيدت الفاء في الخبر لتضمن الموصول معنى الشرط و من نعمة بيان للموصول و التقدير و الذي استقر بكم من نعمة فهو من الله و لما كان مضمون الصلة في مثله سببا لحصول مضمون الخبر كما في قولك الذي يأتيني فله درهم وليس استقرار النعمة بالمخاطبين سببا لحصولها من الله بل الامر بالعكس بين المصنف ان الوجه في كون مضمون الصلة شرطا لمضمون الخبر كون مضمونها سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه و وجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى بين اولا انه يجب على العاقل ان لا يتقي غير الله ثم بين في هذه الآية انه يجب عليه ان لا يشكر احدا الا الله اذ لا منعم غيره تعالى ثم بين انه اذا اتفق لاحدهم مضرة توجب زوال شيء من تلك النعم فالى الله يجأر اي يرفع صوته بالاستغاثة و التضرع لعلمه بانه لا متضرع للخلق الا اليه فكأنه تعالى قال لهم فاين اتم من هذه الطريقة في حال الرخاء و السلامة ثم بين انهم عند كشف الضر و سلامة الاحوال يفترقون ففريق منهم يبقى على مثل ما كان عليه حال الضر اي لا يفزع الا الى الله و فريق منهم يتغير حالهم فيشركون بالله تعالى غيره و هذا غاية الجهل و الضلالة لانه لما شهدت فطرته الاصلية عند نزول البلاء و الضر بانه لا مفزع للعبد الا الله تعالى فعند زوال البلاء يجب ان لا ينصرف عن ذلك الاعتقاد و مقتضاه و هذا التقرير مبني على ان يكون منكم صفة لفريق و من للتبعيض و هذا انما يكون اذا كان الخطاب في قوله و ما بكم من نعمة عاما و يكون المراد بالفريق من دامت حالته في دين الله و استمر على ما كان عليه من العبودية ﴿قوله كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة﴾ بان اضافوها الى شركائهم و اصنامهم اشارة الى ان اللام في قوله تعالى ليكفروا لام العاقبة كما في قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا و لما كان شركهم مؤديا الى كفران النعمة صار الكفر الذي هو غرضا مطلوبا من الشرك فادخل عليه لام العلة تشبيها لعاقبة الشيء بعلته و قيل انها لام كي متعلقة بيشركون و المعنى ان اشراكهم سببه كفرهم به اي بالقرآن و بما جاء به محمد عليه الصلاة و السلام من النبوة و الشرائع على ان يكون المراد بقوله تعالى بما آتيناهم القرآن و النبوة و ما تفرع عليهما ﴿قوله و قرئ فيمتعوا﴾ بضم الياء التحتانية و هذا المضارع في هذه القراءة يجوز ان يكون حذف النون فيه لنصب عطفا على ليكفروا ان كانت اللام فيه لام الصيرورة او لنصب ايضا و لكن على جواب الامر ان كانت اللام لام الامر الوارد للتهديد و يجوز ان يكون حذف النون فيه للجزم عطفا على ليكفروا ان كانت اللام فيه للامر ﴿قوله او التي لا يعلمونها﴾ فالمعنى و يجعلون لآلهتهم التي ليس اعتقادهم في حقها علما لانهم يعتقدون انها آلهة و انها تنفع و تضر و ان طاعتهم اياها تنفعهم و اعراضهم عنها يضرهم و ليس شيء من هذه الاعتقادات علما لكونها مخالفة للواقع فصح ان يقال انهم لا يعلمونها فان من رأى شبحا و اعتقد انه انسان و هو شجر او حجر صح ان يقال انه لا يعلم ذلك الشيء مع انه يعرف ذاته و لو كان لا يعلمونها بمعنى لا يعرفون ذاتها فسد المعنى لانه يستحيل ان يجعل الشخص نصيبا من رزقه لما لا يعلمه ﴿قوله او لجهلهم﴾ معطوف على قوله اي لآلهتهم و المعنى و يجعلون لعدم علمهم نصيبا و المجعول له هو الآلهة و حذف لعلمه به و الجعل بمعنى التصيير و نصيبا هو المفعول الاول للجعل و الجار قبله هو الثاني و مما رزقناهم يجوز ان يكون نعتا لنصيبا و ان يتعلق بالجعل فمن على الاول للتبعيض و على الثاني للابتداء و كان مشركوا العرب يجعلون لاوثانهم جزءا من اموالهم لقوله تعالى في حقهم فقالوا هذا لله بزعمهم و هذا لشركائنا اي يجعلون نصيبا من الحرث و الانعام لله تعالى يتقربون به اليه و نصيبا للاصنام يتقربون به اليها و قيل المراد بهذا النصيب البحيرة و السائبة و الوصيلة و الحام ثم انه تعالى لما حكى من هؤلاء المشركين قولهم الفاسد بطريق الغيبة التفت اليهم و خاطبهم مقسما على نفسه فقال تالله لتسألن الخ اي انكم تسألون سؤال توبيخ و تهديد عما تقولونه على الله تعالى من انه امركم بذلك و يجوز في ما يشتهون الرفع بالابتداء كأنه بعدما حكى عنهم انهم يجعلون لله البنات استأنف به و يجوز ان تكون ما منصوبة المحل عطفا على البنات و لهم عطف على لله اي يجعلون لهم ما يشتهون و هذا الوجه يقتضي ان يكون ضمير الفاعل و المفعول لشيء واحد فان ضمير الفاعل و هو واو يجعلون عبارة عن المشركين و كذا الضمير المجرور في لهم عبارة عنهم ايضا و قد تقرر في النحو انه لا يجوز اتحاد ضميري الفاعل و المفعول الا في باب ظننت و اخواتها من افعال القلوب و لا فرق في عدم وجوده بين ان يتعدى الفعل الى الضمير بنفسه او بحرف الجر فلا يجوز زيد ضربه اي ضرب نفسه و لا زيد مر به اي مر بنفسه و يجوز زيد ظنه قائما و زيد فقده و عدمه اي ظن نفسه قائما و فقد نفسه و عدمها اذا تقرر هذا فجعل ما منصوبة عطفا على البنات يؤدي الى اتحاد ضميري الفاعل و المفعول الذي عدي اليه الفعل بحرف الجر و قال الامام اجاز الفراء في ما وجهين الاول ان تكون في محل النصب على معنى

(ليكفروا) بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من البيان فكأنه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد (بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله تعالى (فتمتعوا) امر تهديد (فسوف تعلمون) اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب (ويجعلون لما لا يعلمون) اي لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به (نصيبا مما رزقناهم) من الزروع والانعام (تالله لتسألن عما كنتم تفترون) من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه (ويجعلون لله البنات) كانت خزاعة وكنانة يقولون ان الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له من قولهم او تعجب منه (ولهم ما يشتهون) يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو ان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف

ويجعلون لانفسهم مايشتهون والثانى ان يكون رفعا على الابتدآء لانه تم الكلام عند قوله سبحانه ثم ابتدأ فقال ولهم مايشتهون يعنى البنين وهو كقوله امله البنات ولكم البنون ثم اختار الوجه الثانى لانه لوكان فى محل النصب ينبغى ان يقال ولانفسهم مايشتهون لانك تقول جعل لنفسه كذا وكذا ولاتقول جعل له وابى الزجاج اجازة الوجه الاول وقال ماقى موضع رفع لاغير والتقدير ولهم الشئ الذى يشتهون ولايجوز النصب لان العرب تقول جعل لنفسه مايشتهى ولاتقول جعل له مايشتهى وهو يعنى لنفسه انتهى ماذكره الامام بعبارته والحاصل ان الممتنع هو اتحاد ضمير الفاعل مع ضمير المفعول بان يكونا عبارتين عن شئ واحد فلا يمتنع ان يقال زيد ضرب نفسه وضرب نفسه زيد الا لامتناع اتحاد الضمير شرط آخر وهو ان يكون كل واحد من الضميرين متصلا اذ لو كان ضمير المفعول منفصلا جاز اتحاده مع الضمير المرفوع نحو زيد ماضرب الا اياه والمصنف فرق بين اتحاد ضمير الفاعل مع ضمير المفعول المذكور ابتدآء وبين اتحاده مع ضمير المفعول المذكور معطوفا على ضمير المفعول المرفوع بالابتدآء وجعل الممتنع هو الاتحاد على الوجه الاول دون الوجه الثانى ﴿ قوله اخبر بولادتها ﴾ يعنى ان التبشير ههنا بمعنى الاخبار مطلقا وان كان فى عرف اللغة مختصا بالاخبار بالخبر الذى يفيد السرور والاخبار بولادة الانثى لالم يفد السرور حمل على مطلق الاخبار ﴿ قوله صار او دام النهار كله ﴾ يعنى ان ظلول الشئ على صفة قد يعبر به عن كونه عليها فى تمام النهار وقد يكون بمعنى صيرورته عليها مطلقا وعلى التقديرين يكون ظل من الافعال الناقصة ووجهه اسمها ومسودا خبرها ﴿ قوله واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشور ﴾ التشور التخجيل يقال شوّر به فتشوّر اى اخجله فخجل اذا فعل به مايستحيى منه والمناسب التشوّر بدل التشور ولعله سهو من قلم الناسخ وقوله كناية عن الاغتمام لكون اسوداده وغبرته من لوازم الغم كما ان اشراقه واستنارته من لوازم الفرح فان الانسان اذاقوى فرحه انبسط روح قلبه الى الاطراف فيستبشر وجهه واذا قوى غمه تختنق الروح فى داخل قلبه فلايبقى منها اثر قوى فى ظاهر الوجه فلاجرم يصفرّ وجهه ويظهر فيه اثر الارضية والكاّبة ﴿ قوله محدثا نفسه ﴾ اشارة الى ان الجملة الاستفهامية معمولة لشئ محذوف هو حال من فاعل يتوارى وهو مراد من قال انها فى موضع الحال لان النحاة قد نصوا على ان الحال لاتقع جملة طلبية فالمعنى يتوارى محدثا نفسه ومتفكرا أيمسكه على هون وتذكير ضمير يمسكه ويدسه اعتبارا بلفظ ما فى قوله مابشر به وقوله على هون يحتمل ان يكون حالا من الفاعل الممسك او من المفعول اى يمسكها ذليلة مهانة والدس اخفاء الشئ والمراد به ههنا الوءد وهو دفن المولود حيا وكانت العرب تدفن البنات احياء خوفا من الفقر عليهن وطمع غير الاكفاء فيهن نقل من صحيح مسلم انه عليه الصلاة والسلام قال من ابتلى من البنات بشئ فاحسن اليهن كن له سترا من النار وقال عليه الصلاة والسلام من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو كهاتين وضم اصابعه اخرجه مسلم ﴿ قوله المنادية بالموت ﴾ وصف الحاجة الى الولد التى هى بيان صفة السوء فان الافراد الانسانية بطرأ عليهم الموت والفناء والملائكة لاتتوالد لكون انفسهم مصونة عن تطرّق الفناء اليها ﴿ قوله او من دابة ظالمة ﴾ عطف على قوله من دابة فقط قيل على الاول التنكير فى الدابة للجنس وعلى هذا للنوع ولما دل ظاهر الآية على ان ظلم الناس يوجب اهلاك جميع الدواب ظالمة كانت او غير ظالمة ولاوجه لاهلاك غير الظالمة منها اشار المصنف الى ان الآية على ظاهرها وان هلاك الجميع بسبب شؤم ظلم الناس وايده بما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قيل فى طريق هلاك الجميع انه تعالى يمسك القطر بشؤم ظلمهم وانقطاعه يوجب انقطاع النسل فلا يبقى على ظهرها دابة قط وقوله وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء اى وذلك يستلزم ان لايبقى فى العالم احد من الناس الذين العلوم انه لااحد الا وفى آبائه من يستحق العذاب فاذا هلكوا فقد انقطع نسلهم فيلزم ان لايبقى فى العالم احد من الناس وذلك يستلزم ان لايبقى احد من الدواب ايضا لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم واذا لم يبق من ينتفع بها فقد انتفت الحكمة فى بقائها فوجب اهلاكها ووجه انتظام الآية بما قبلها انه تعالى لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين انه يمهلهم ولايعاجلهم بالعقوبة لحكمة توجب ذلك ﴿ قوله ولا يلزم من عموم الناس ﴾ جواب عن احتجاج الطاعنين فى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية قائلين انه تعالى اضاف الظلم الى ما يعبر به عن جميع اولاد آدم من الانبياء وغيرهم فلولا ان كل واحد منهم اتى بالذنب والمعصية لما صحت اضافة المعصية الى كافة الناس وتقرير الجواب ماالانسلم ان اضافة الظلم الى الناس بناء على كون كلهم ظالمين لجواز ان يضاف الحكم الصادر عن بعض القوم الى كلهم نحو بنوا فلان قتلوا زيدا مع ان القاتل واحد منهم فلما جاز ذلك فالاول

(واذا بشر احدهم بالانثى) اخبر بولادتها (ظل وجهه) صار اودام النهار كله (مسودا) من الكاّبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشور (وهو كظيم) مملوء غيظا من المرأة (يتوارى من القوم) يستخفى منهم (من سوء مابشر به) من سوء المبشر به عرفا (أيمسكه) محدثا نفسه متفكرا فى ان يتركه (على هون) ذل (ام يدسه فى التراب) ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما (الاساء مايحكمون) حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ماهذا محله عندهم (للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين (وهو العزيز الحكيم) المتفرد بكمال القدرة والحكمة (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس او الدابة عليها (من دابة) قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء (ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى) سماه لاعمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا (فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون) بل هلكوا او عذبوا حينئذ لامحالة ولايلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز ان يضاف اليهم ماشاع فيهم وصدر عن اكثرهم

ان يضاف اليهم ماشاع فيهم وصدر عن اكثرهم * واجيب ايضا بانه قد ثبت بالدلائل القاطعة ان كل الناس ليسوا ظالمين منها قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولو كان المقتصد والسابق ظالمين لفسد ذلك التقسيم فعلنا ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فثبت بهذا الدليل انه لايجوز ان يقال كل الخلق ظالمون فوجب ان يخصص الناس المذكورون في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بالعصاة الذين هم استحقوا العقاب او يحمل التعريف فيه على العهد والمعهود المشركون الذين تقدم ذكرهم والذين اتخذوا لله البنات وعلى التقديرين يسقط استدلال الطاعنين في عصمتهم بهذه الآية ﴿ قوله والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال ﴾ معطوفان على البنات فانهم كما يكرهون البنات والشركاء في رياستهم يكرهون ايضا ان يستخف رسلهم وان يخصصوا اراذل الاموال وان يخص شركاؤهم في رياستهم بكرائم الاموال ثم انهم يجعلون لله تعالى جميع هذه المكروهات عندهم فانهم يسمون الملائكة بنات الله ويثبتون له شركاء في الوهيته ويستخفون برسله ويجعلون ارذل اموالهم وللاصنام اكرمها ﴿ قوله مع ذلك ﴾ الجمل المشتمل على القول والفعل القبيحين الجمهور على ان الكذب منصوب على انه مفعول به وان لهم الحسنى بدل منه بدل كل من كل اى تصف وتبين ألسنتهم معنى كاذبا غير مطابق للواقع وهو ان لهم الحسنى عند الله في الآخرة * فان قيل كيف يحكمون بذلك وهم كانوا منكرين للقيامة * اجيب بان جميعهم لم ينكروا القيامة بل كان في العرب جمع يقرون بالبعث والقيامة حتى روى انهم كانوا يربطون البعير النفيس على قبر الميت ويتركونه الى ان يموت ويقولون ان ذلك الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه * واجيب ايضا بان حكمهم بذلك لايستلزم اعتقادهم بالبعث والقيامة لجواز ان يكونوا منكرين لها طبعا ويكون حكمهم بذلك مبنيا على الفرض والتقدير بان يقولوا ان كان محمد صادقا في قوله بالبعث والنشور فانه يحصل لنا الجنة والثواب بهذا الدين الذي نحن عليه ويؤيد هذا الجواب ماحكاه الله تعالى عنهم بقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى فان كلمة ان انما تستعمل في الامور المحتملة التي لايقطع بتحققها والاصل ان فريقا من الكفار يدعي الاشتراك مع المؤمنين في نعيم الآخرة كما كان لهم اشتراك معهم في نعيم الدنيا كقوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون ومنهم من ادعى ان نعيم الآخرة لانفسهم خاصة وان النار للمؤمنين لما يرون اكثر المؤمنين على الفقر والقلة ويرون انفسهم اصحاب السعة في انواع الاموال فيحتمل ان يكون قوله تعالى وتصف ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى واردا في حق الذين ادعوا ان الجنة لانفسهم خاصة ثم كذبهم الله تعالى في قولهم بان لهم الحسنى فقال لاجرم ان لهم النار اى حقا ان لهم النار وقيل لا رد لقولهم اى ليس الامر كما وصفوا وزعموا جرم فعلهم اى كسب ذلك القول فعلى هذا يكون أن مع ما في حيزه في محل النصب بوقوع الكسب عليه ﴿ قوله من افرطته في طلب الماء اذا قدمته ﴾ وهو منقول بالهمزة من فرط الى كذا اى تقدم اليه وجعل صاحب الكشاف فعل وافعل بمعنى حيث قال فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته والمعنى على قرآءة نافع انهم متجاوزون الحد في معاصي الله تعالى وافرط بمعنى تجاوز الحد لازم فلايجيء منه اسم المفعول ويقال فرّط في الامر بالتشديد اذا قصر فيه ثم انه تعالى سلى رسوله صلى الله عليه وسلم فيما كان يناله من الغم بسبب جهالات القوم فقال تالله لقد ارسلنا الآية وختم تسليته بمايدل على انك لم تبعث الا لتبلغ وتبين للناس ماهو الحق من العقائد والاعمال لالان تلتفت الى سفاهات قومك وجهالاتهم وتغتم لاجلها فقال وماانزلنا عليك الكتاب الآية ثم انتقل الى تقرير دلائل الوهيته وتفرده بها فقال والله انزل من السماء ماء الآية تنبيها على ان دلائل حقية ماد عوت اليه واضحة وان من خالفك فانما يخالف عنادا فلاتحزن عليهم ولاتك في ضيق مما يمكرون ﴿ قوله فان الانعام اسم جمع ﴾ علة لقوله لغة يعني ان انعاما اسم مفرد بمعنى الجمع مثل أسمال وأخلاق واكباش وأعشار فانها اسماء مفردة حيث وصف بها المفرد يقال ثوب اسمال واخلاق اذا كانت الخلوقة فيه كله وكذا المسمول يقال خلق الثوب وسمل اى بلي وثوب اكباش وهو ضرب من الثياب يغزل غزله مرتين وفي المثل عليك بالثوب الاكباش فانه من لباس الاكياس ويقال ايضا برمة أعشار ﴿ قوله دلالة يعبر بها ﴾ اشارة الى ان العبرة مصدر بمعنى العبور اطلق على مايعبر به الى العلم مبالغة في كونه سببا للعبور وقيل ذكر الضمير في بطونه مع ان الظاهر ان يقال في بطونها لرجوعه الى الانعام لكون المراد بعضا منها وهو

(ويجعلون لله مايكرهون) اى مايكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال (وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك وهو (ان لهم الحسنى) اى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة (لاجرم ان لهم النار) رد لكلامهم واثبات لضده (وانهم مفرطون) مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الرآء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات (تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم) فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين (فهو وليهم اليوم) اى في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم وان يقدر مضاف اى فهو ولي امثالهم والولي القرين حيث كان او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه (ولهم عذاب اليم) في القيامة (وماانزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم) للناس (الذي اختلفوا فيه) من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين (والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها) انبت فيها انواع النبات بعد يبسها (ان في ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع تدبر وانصاف (وان لكم في الانعام لعبرة) دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم

(نسقيكم مما في بطونه) استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع

ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على أفعال كأخلاق وأكياش ومن قال انه جمع جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفي المؤمنين (من بين فرث ودم لبنا) فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعهما الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرودة والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدئ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة (خالصا) صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه (سائغا للشاربين) سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف

اشارة الى ان المذكور لا ألبان لها فكان العبرة انما هي لبعض منها وقيل ذكر باعتبار ما ذكر ومن في قوله مما في بطونه يجوز ان تكون للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها وفي قوله من بين فرث لابتداء الغاية لان الاسقاء يبتدأ من المكان الواقع بين الفرث والدم وهو اللبن الواقع اولا في خلال الفرث وثانيا في خلال الدم ويجوز ان تكون الاولى لابتداء الغاية فيكون مجرور الثانية بدلا من مجرور الاولى لئلا يتعلق جاران متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد وهو نسقيكم وهو من بدل الاشتمال لان المكان مشتمل على ما حل فيه ومن فتح النون في قوله نسقيكم فدليله واضح الاقبال سقيته ماء ولبنا وما كان سقيا للشفة فهو بفتح النون ومن ضم النون جعله من قولهم اسقاه اذا جعل له شربا كقوله تعالى وأسقيناكم ماء فراتا اي جعلناه لكم شربا وقيل سقى واسقى كلاهما بمعنى والفرث سرجين الكرش لكل مجتر وهو للحيوان بمنزلة المعدة للانسان قال المص في الفرث وهو اخ وهم ان يكون هو في قوله وهو بعض الاشياء راجعا الى الفرث وليس كذلك بل ينبغي ان يكون راجعا الى الدم لان المنهضم بعض الانهضام في الكرش هو الدم لا الفرث اي بعض الاشياء المأكولة ثم قال الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث * قال الامام القول الصحيح في كيفية تولد اللبن ان الحيوان اذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف الى معدته او الى كرشه سواء كان من الانعام او غيرها فاذا طبخ وحصل الهضم الاول فيه فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم ذلك الذي يحصل منه في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية اما الصفراء فتذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضروع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق الى الضروع والضرع لحم غددي رخو ابيض فيقلب الله عز وجل الدم الى صورة اللبن فاذا تقرر هذا ظهر ان الدم واللبن ليسا البتة في الكرش ومنعه الحس ايضا فان هذه الحيوانات تذبح ذبحا متواليا وما رأى احد في كرشها لا دما ولا لبنا ولو كان تولد اللبن والدم في الكرش لوجب ان يشاهد ذلك في بعض الاحوال والشئ الذي دلت المشاهدة على فساده لم يجب المصير اليه فقول من قال ان المراد من قوله تعالى من بين فرث ودم هو ان هذه الثلاثة تتولد من موضع واحد فالفرث يكون في اسفل الكرش والدم يكون في اعلاه واللبن يكون في الوسط قول يخالف الحس والتجربة وايضا لو تولد الدم في اعلى المعدة والكرش كان يجب ان يكون الحيوان يقئ الدم وذلك باطل قطعا فلذلك ذهب المحققون الى ان المراد من قوله تعالى نسقيكم من بين فرث ودم لبنا انما نسقيكم لبنا متولدا من الاجزاء التي كانت حاصلة فيما بين الفرث اولا ثم كانت حاصلة فيما بين الدم ثانيا فصفاه الله تعالى عن تلك الكثيفة الغليظة وخلق فيها الصفات التي باعتبارها صارت لبنا موافقا لبدن الطفل وانما قلنا ان مادة اللبن كانت حاصلة فيما بين الفرث اولا والدم ثانيا بناء على ان اللبن انما يتولد من بعض اجزاء الدم والدم انما يتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهي الاشياء المأكولة الحاصلة في الكرش

﴿قوله ومن تدبر صنع الله الخ﴾ بيانه من وجوه الاول انه تعالى خلق في اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثقل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء وشربه انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شئ من ذلك المأكول والمشروب الى ان يكمل انهضامه في المعدة وينجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثقل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه الثقل فحصول الانطباق تارة والانفتاح اخرى بحسب الحاجة وتقدير المنفعة مما لا يتأتى الا بتقدير العليم الحكيم والثاني انه تعالى اودع في الكبد قوة هاضمة طباخة تطبخ بها تلك الاجزاء اللطيفة في الكبد وتقلب دما ثم انه تعالى اودع في المرارة قوة جاذبة للصفراء وفي الطحال قوة جاذبة للسوداء وفي الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية حتى يبقى الدم صافيا اي الصافي الموافق لما تقدم منه في البدن وتخصيص كل واحد من هذه الاعضاء بتلك القوة الخاصة فيها لا يمكن الا بتقدير العليم الحكيم والثالث ان في الوقت الذي يكون الجنين في رحم الام ينصب من ذلك الدم نصيب وافر اليه حتى يصير مادة لنمو اعضاء ذلك الولد وازدياده فاذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب الى جانب الثدي يتولد منه اللبن الذي يكون له غذاء فاذا كبر الولد لم ينصب ذلك النصيب لا الى الرحم ولا الى الثدي بل ينصب الى جميع بدن المغتذي فانصباب ذلك الدم في كل وقت الى عضو آخر انصبابا موافقا للحكمة والمصلحة لا يتأتى الا بتقدير الفاعل المختار الحكيم والرابع انه تعالى جعل الثقوب والمسام التي احدثها في حلمة الثدي ضيقة جدا بحيث اذا اتصل المص والحلب بتلك الحلمة لا يخرج منها الا ما كان في غاية الصفاء واللطافة فانه لا يمكنها

الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبق محبوسة فى الداخل فكانت حلمة الثدى بسبب ضيق المنافذ كالمصفاة فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا موافقا لبدن الصبى سائغا للشاربين والخامس انه تعالى ألهم ذلك الصبى وهداه الى المص فان الام لما ألقمت حلمة الثدى لطفل الصغير ألهمه ذلك العمل المخصوص والا لما حصل بتخليق ذلك اللبن فى الثدى فائدة والى غير ذلك من غرائب الحكم ودقائق الفضل والرحمة فسبحان من شهد جميع ذرات الاعلى والاسفل بكمال قدرته وبدائع حكمته له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ﴿ قوله والسكر مصدر ﴾ سكر يسكر سكرا وسكرا سمى به الخمر تسمية للشئ باسم مسببه * فان قيل الخمر محرمة فكيف ذكرها الله تعالى فى معرض الانعام اجيب عنه بان هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل فى سورة المائدة وهى مدنية فكان نزول هذه الآية قبل كونها محرمة وقيل السكر هو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابى حنيفة قدس الله روحه الى حد السكر واحتج عليه بان هذه الآية تدل على ان السكر حلال لانه تعالى ذكره فى معرض الانعام والمنقورة بقوله عليه الصلاة والسلام « الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب حرام » باخبار جمة * قيل ان ابا على الجبائى صنف كتابا فى تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه تقوى فابى فقيل له قد صنفت فى تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج بالمروءة اى صحبه اصحاب الدعارة وهى الخبث والفجور فقبح فى المروءة التشبه بهم يقال رجل داعر اى خبيث فاجر وفيه دعارة والكلام على حذف المضاف اى تناوله اصحاب الدعارة ﴿ قوله والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها ﴾ بطريق التعريض حيث عطف قوله ورزقا حسنا على السكر وما يكون مقابلا للرزق الحسن لاجرم يكون قبيحا ومكروها ﴿ قوله والا ﴾ اى وان كانت نازلة بعد تحريمها تكون جامعة بين العتاب والمنة اذ قوله رزقا حسنا بطريق المنة كانه تعالى ويخبرهم على الجمع بين السكر والرزق الحسن ﴿ قوله وقيل الطعم ﴾ اى قيل السكر الطعام واحتج عليه بقوله * جعلت اعراض الكرام سكرا * اى جعلت ذمهم وغيبتهم طعاما وتنقلا النقل بالضم ما يتنقل به على الشراب وقيل هذا بالخمر اشبه منه بالطعام والمعنى جعلت تتخمر باعراض الكرام بجعل شغفه بغيبتهم وتمزيق اعراضهم جاريا مجرى شرب الخمر وقيل السكر سد الجوع من السكر بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر اسكره اذا سددته ﴿ قوله يستعملون عقولهم ﴾ يعنى ان قوله يعقلون لم يقصد تعديته الى المفعول بل هو منزل منزلة اللازم ﴿ قوله ألهمها وقذف فى قلوبها ﴾ اى سخرها وقرر فى نفوسها هذه الاعمال التى يعجز عنها العقلاء من البشر وان كانوا فى غاية الذكاء والكياسة وقوله وقذف عطف تفسير لقوله ألهمها فان الهام البهائم ان يسخرها الله تعالى ويبعثها على طبائع يصدر عنها ما يصدر من الاحوال الغريبة من غير ان يعلمها احد كسباحة الاوز وطيران الطير فى الهواء بطبعهما من غير تعلم ومعنى كون الفعل طبيعيا ان لا مدخل للاختيار فيه لا كون الطبيعة مؤثرة فيه اذ لا مؤثر الا الله تعالى قال القرطبى الالهام هو ما يخلقه الله تعالى فى القلب ابتداء من غير سبب ظاهر قال تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ومن ذلك البهائم وما يخلقه الله تعالى فيها من ادراك منافعها واجتناب مضارها وتدبير معايشها الا ترى حذاقة النحل فى صنعتها وبنائها البيوت المسدسة من اضلاع متساوية لا تزيد بعضها على بعض فانها لو كانت مربعة بقيت منها فرج ضائعة عند دخولها فيها ولو كانت مستديرة بقيت الفرج التى بين البيوت ضائعة والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل هذه البيوت الا بآلات وادوات مثل المسطرة والبركار وبالجملة لو كانت تلك البيوت مشكلة بما عدا الشكل المسدس من الاشكال لبقى فى داخلها او فيما بينها فرج خالية ضائعة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الصنعة المشتمل على الحكمة اللطيفة واخراج العسل منه فى ذلك من غير تفكر وسابق تدبير دليل على ان احدا القى فى قلوبها كما يلقى الشيطان وسوسته ويلهم الملك بنى آدم اشياء من غير ان يعلم ان احدا دعاهم الى ذلك او القى فى قلوبهم لانها لما وقعت فى قلوبها من غير ان يسبق منها فكر وتدبير علم ان هناك ملقيا واخراج العسل المصفى من لعابه دليل قاطع وبرهان ساطع على ان لهذا العالم الها قادرا عليما حكيما يفعل ما يشاء ﴿ قوله ولعل ذكره ﴾ ذكر اولا ان البيت هنا مستعار لمحل النحل تشبيها له بما يبنيه الانسان ويبيت فيه من الابنية فى اشتماله على حسن الصنعة وصحة القسمة ثم قال لعل النكتة فى سلوك الاستعارة التنبيه على ما فى محل العسل من الصنائع العجيبة التى لا يقدر عليها المهندسون الا بالآلات والانظار الدقيقة ﴿ قوله من كل ثمرة تشتهيها ﴾ اشارة الى ان الاستغراق المدلول عليه بقوله من كل الثمرات المراد به الاستغراق العرفى كما فى قوله تعالى

(ومن ثمرات النخيل والاعناب) متعلق بمحذوف اى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرهما وقوله (تتخذون منه سكرا) استئناف لبيان الاسقاء او تتخذون ومنه تكرير الظرف تأكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذى هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمى به الخمر (ورزقا حسنا) كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال * جعلت اعراض الكرام سكرا * اى تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه (ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل فى الآيات (واوحى ربك الى النحل) ألهمها وقذف فى قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين (ان اتخذى) بان اتخذى ويجوز ان تكون ان مفسرة لان فى الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبنى فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا فى كل مكان منها وانما سمى ما تبنيه لتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التى لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء لمناسبة الياء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء

واوتيت من كل شئ" فان بلقيس لم تؤت جميع مايطلق عليه اسم الشئ" بل المراد انها اوتيت من كل شئ" اوتى الملوك اياه
فقوله تعالى ان اتخذى من الجبال بيوتا ثم قوله كلى من كل الثمرات فيه طباق وهو الجمع بين معنيين متقابلين فى الجملة
لانه اورد فى الاول من التبعيضية وفى الثانى كلمة كل وفيه ارشاد لها الى وجوه العمل وترتيبه حيث سخرها الله
تعالى لان تسوى البيت ثم تأخذ من كل ثمرة جزأ الجرس لعسل ﴿ قوله فاسلكى ما اكلت فى مسالكه ﴾ اى التى
هى اجوافك وعروقك على ان قوله فاسلكى امر من سلكت الشئ" فى الشئ" فاسلك اى ادخلته فيه فدخل
وهو متعد ولهذا قدر قوله ما اكلت ليكون مفعولا والسبل مجاز من مسالك الغذاء وهى الاجواف والعروق
فقوله من اجوافك بيان لمسالك وقوله او فاسلكى الطرق على ان قوله فاسلكى لازم من السلوك والسبل مجاز
والمراد سبل عمل العسل وقوله فاسلكى راجعة على ان فاسلكى لازم والسبل حقيقة والمراد سبل الرجوع
الى البيوت فهذه ثلاثة اوجه اى اذا اكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى سبل ربك راجعة الى
بيوتك والجرس اكل النحل وهو فى الاصل صوت النحل عند الاكل سمى اكلها جرسا لانها تصوت عند الاكل
وزاد صاحب الكشاف احتمالا رابعا وهو ان يكون المراد بالسبل سبل الذهاب الى طلب الثمار ويكون المعنى
ثم اقصدى اكل الثمار فاسلكى فى طلبها ومظانها سبل ربك ولعل الوجه فى عدم التفات المصنف اليه كونه
مستلزما لان يكون قوله ثم كلى بمعنى ثم اقصدى اكل الثمار والفاء فى فاسلكى على ماهو الوجه الاول لعطف
والتعقيب وعلى الوجوه الاخر جواب شرط محذوف اى اذا اكلتها فاسلكى ﴿ قوله وانث ذللا ﴾ جمع الجرع
ان المبتدأ مفرد لان الخطاب فى قوله تعالى فاسلكى سبل ربك لجنس النحل بدليل قوله تعالى واوحى ربك الى النحل
وقد اشار المصنف اليه بقوله وتأنيث الضمير على المعنى يعنى ان الجنس فى معنى الجماعة ﴿ قوله عدل به
عن خطاب النحل ﴾ على طريق الامر التكليفى اظهارا لكمال قدرته ووحدانيته وتخلص منه الى خطاب الناس
وامتنانه بما انعم عليهم بخلق النحل والهامه لاجل انتفاعهم والظاهر ان توجه الامر والتكليف الى البهائم كما فى هذه
الآية وفى قوله تعالى ياايها النمل ادخلوا مساكنكم على طريق التمثيل شبه خلق الله تعالى اياها على غرائز وطبائع
توجب ما اسند اليها من الاحوال بامرها وتكليفها فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به وان كان لايبعد ان يكون
لهذه الحيوانات عقول تصلح بها لان يتوجه اليها من الله تعالى امر ونهى ثم ان كانت النحل نوعين احدهما مايسكن
الجبال والغياض جمع غيضة ولايكون تحت تصرف احد من الناس وثانيهما مايسكن فى بيوت الناس
ومايعرشونه اى يبنونه ويرفعونه من سقوف البيت ويكون فى تصرفهم فالاول هو المراد بقوله تعالى اتخذى
من الجبال بيوتا ومن الشجر والثانى هو المراد بقوله تعالى ومما يعرشون اى يعرشه الناس والعرش سرير الملك
وعرش البيت سقفه والعرش والعريش مايستظل به وعرش يعرش عرشا اى بنى بيتا من خشب والمراد
بما يعرشه الناس ههنا اما مايبنونه لانفسهم من البيوت ويؤمر النحل بان تتخذ بعضا منها بيوتا تعسل فيها واما مايبنونه
للنحل من الاماكن وهى خلايا النحل ﴿ قوله واحتج به ﴾ اى بقوله تعالى يخرج من بطونها اعلم
انهم اختلفوا فى كيفية حصول العسل فالمشهور ان النحل تأكل من الازهار والاوراق العطرة فما اكلته ينقلب
فى جوفها وداخل بدنها عسلا ثم تقئ" ادخارا للشتاء وذلك هو العسل ومنهم من يقول يحدث فى الهواء طل لطيف
فى الليالى فيقع على اوراق الاشجار والازهار وقد يكون كثيرا يجتمع منه اجزاء محسوسة كالترنجبيل وقد تكون الاجزاء
الطلية صغيرة لطيفة فالنحل تلتقط تلك الذرات اللطيفة من الازهار والاوراق بافواهها وتتغذى بها
فاذا شبعت التقطت شيأ آخر من تلك الذرات وذهبت بها الى بيوتها كانها تدخر بها غذاءها للشتاء فاذا اجتمع
فى بيوتها شئ" كثير من تلك الاجزاء الطلية ينعقد عسلا ومال الامام الى هذا المذهب وقال انه اقرب الى العقل
والاستقراء ومال المصنف الى ماهو المختار عند المحققين من الحكماء حيث قال اولا فاسلكى اى أدخلى ما اكلت
فى اجوافك التى تحيل النور المر عسلا وهو تصريح بان ما اكلته النحل انما ينقلب عسلا فى اجوافها ومنافذها كلها
لافى خلاياها ومعاسلها ثم قال ومن ذهب الى المذهب الآخر فقد احتاج الى تفسير البطون بالافواه ويدل على
ضعف هذا المذهب ايضا قوله تعالى ثم كلى فانه يدل على ان لمعدة النحل تأثيرا فى تكون العسل ومن جعل العسل
نابتا محضا فسر البطون بالافواه فليت شعرى ماذا يصنع بقوله تعالى ثم كلى ﴿ قوله امابنفسه او مع غيره ﴾
اشارة الى جواب مايقال من ان تعريف الناس يفيد العموم فدلت الآية على ان العسل شفاء من كل داء مع انه

(ثم كلى من كل الثمرات) من كل ثمرة تشتهيها
مرها وحلوها (فاسلكى) ما اكلت (سبل
ربك) فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته
النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكى
الطرق التى ألهمك فى عمل العسل او فاسلكى
راجعة الى بيوتك سبل ربك لاتتوعر عليك
ولاتلتبس (ذللا) جمع ذلول وهى حال
من السبل اى مذللة ذللها الله تعالى وسهلها
لك او من الضمير فى اسلكى اى وانت ذلل
منقادة لما امرت به (يخرج من بطونها) عدل
به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه
محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل
والهامه لاجلهم (شراب) يعنى العسل لانه
مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل
الازهار والاوراق العطرة فتستحيل فى باطنها
عسلا ثم تقئ" ادخارا للشتاء ومن زعم انها
تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة
متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها
فى بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ"
كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه
(مختلف ألوانه) ابيض واصفر واحمر
واسود بحسب اختلاف سن النحل والفصل
(فيه شفاء للناس) امابنفسه كما فى الامراض
البلغمية او مع غيره كما فى سائر الامراض
اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع
ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز
ان يكون للتعظيم

(يضر)

يضر الصفراوى والمحمومين والمحرورين «وتقرير الجواب ان مايكون علاجا للصفراوى ايضا نمايتم ويكمل بالعسل فيكون شفاء من كل داء بهذا الاعتبار ثم اجاب بمنع دلالة الآية على ان العسل شفاء لكل مرض لانه تعالى لم يقل شفاء لكل الناس ولكل داء وفى كل حال بل اشار بتنكير شفاء الى ان فيه بعض الشفاء وان جاز ان يكون التنكير فيه للتعظيم مافيه من الشفاء وماروى عن قتادة رضى الله عنه انما يدل على كونه شفاء فى الجملة لاعلى كونه شفاء لكل داء لجواز ان يكون استطلاق بطن الرجل من فضلة بلغمية فاحتاج الى شرب العسل لانضاجها ودفعها وقوله عليه الصلاة والسلام «وكذب بطن اخيك» معناه ان بطنه لم يأخذ من العسل ماينضج مادته ويصلح مزاجه الا انه لما ذكر قوله صدق الله حسن ان يقال فى جنبه كذب بطن اخيك رعاية للمشاكلة ﴿ قوله فكأنما انشط من عقال ﴾ اى تخلص يقال نشطت الحبل انشطه اى عقدته وانشطته اى حللته وقد يقال كأنما نشط من عقال وليس بصحيح ﴿ قوله وقيل الضمير للقرآن ﴾ تم الامتنان على الناس بخلق النحل والهامه طريق تولد العسل منه عند قوله يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ثم ابتدأ وقال فيه شفاء للناس اى فى هذا القرآن شفاء للناس من آفة الكفر والبدعة ولم يرض المصنف بهذا القول لان الاصل فى الضمير ان يرجع الى اقرب المذكورات قبله وما ذاك الا قوله شراب مختلف الوانه وارجاعه الى مالم يذكر قبله بعيد ولان قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث قتادة «صدق الله وكذب بطن اخيك» يدل على انه عليه الصلاة والسلام جعل ضمير فيه للشراب المذكور قبله فلاوجه لجعله راجعا الى القرآن ثم انه تعالى لما استدل على ان هذا العالم لابدله من اله واجب الوجود لذاته ببعض احوال النبات ثم ببعض عجائب الحيوان اتبعه بذكر اختلاف احوال الناس ومراتبها واختصاص كل مرتبة بحكم يخالف حكم باقى المراتب والعقلاء ضبطوا مراتب اعمار الانسان فى اربع المرتبة الاولى سن النشو والنماء ونهايته الى ثلاثين سنة او الى خمس وثلاثين سنة والمرتبة الثانية سن الوقوف وهو سن الشباب ونهايته الى ان تتم اربعون سنة من عمره والمرتبة الثالثة سن الكهولة وهو سن الانحطاط اليسير الخفى ونهايته الى سبعين سنة والرابعة وهو سن الانحطاط العظيم الظاهر وتمامه عند الاطباء الى مائة وعشرين سنة فاختلاف احوال البدن الحيوانى بالتزايد والوقوف والانحطاط الخفى والجلى مع استواء احوال التربية والتدبير الكائنين من قبل نفسه يدل على انه بتدبير الفاعل المختار قيل الارتداد الى ارذل العمر واراديه محض الكافر لان المسلم لايزداد بسبب طول العمر الا كرامة عندالله تعالى ولايجوز ان يقال فى حقه انه تعالى رده الى ارذل العمر لقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانه صريح فى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لايردون الى اسفل سافلين وعن عكرمة ان من قرأ القرآن لايرد الى ارذل العمر ﴿ قوله ليصير الى حالة ﴾ اللام فى هذه العبارة لام كى المفيدة للتعليل والفعل بعدها منصوب باضمار ان المصدرية ويحتمل ان تكون لام العاقبة والتى فى نظم القرآن لايجوز ان تكون لام كى لان كى بعدها مذكورة صريحا بل هى اما لام العاقبة او اللام التى تكون لمجرد التعليل من غير ان يضمر بعدها ان المصدرية وكى بعدها مصدرية ناصبة بنفسها للفعل بعدها وهى مع منصوبها فى تأويل مصدر مجرور باللام المتعلقة بقوله يرد ولا اشعار لكى بالتعليل فى هذا الموضع قال ابو البقاء شيأ منصوب بالمصدر على قول البصريين وبعلم على قول الكوفيين انتهى يعنى انه من قبيل ماتنازع فيه عاملان لانه قد تقدمه عاملان بعلم وعلم فعلى رأى البصريين وهو المختار يكون منصوبا بعلم وقوله تعالى لكيلا يعلم بعد علم شيأ كناية عن النسيان لان الناسى يلزمه ان يعلم شيأ ثم ينساه فلا يعلمه بعد ما علمه وهذه صفة الاطفال والهرم بكسر الراء الشيخ الفانى ﴿ قوله فمنكم غنى ومنكم فقير ﴾ وليس غنى المكثر من كياسته ووفور عقله وكثرة سعيه واجتهاده ولا فقر المقل من بلادته ونقصان عقله وقلة سعيه فانك ترى اكيس الناس واكثرهم عقلا وفهما يفنى عمره فى طلب القليل فى الدنيا ولاينال ذلك وترى أجهل الناس واخسهم عقلا وفهما ينفتح عليهم ابواب الدنيا ولو كان الغنى منوطا بالسعى وكمال العقل لوجد فى اكمل الناس عقلا واكثرهم سعيا فى تحصيل الدنيا من هو اقل نصيبا منها فلما رأينا الاعقل الافضل اقل نصيبا منها والاخس الاجهل اوفر نصيبا علمنا ان ذلك بسبب قسمة القسام الذى يفعل مايشاء كما قال الله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا روى عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال ومما يدل على ان القضاء والقدر حق بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق وهذا التفاوت غير مختص بالمال بل هو حاصل فى الذكاء

وعن قتادة ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فانفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرئ فكأنما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لابد من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه (والله خلقكم ثم يتوفاكم) بآجال مختلفة (ومنكم من يرد) يعاد (الى ارذل العمر) اخسه يعنى الهرم الذى يشابه الطفولية فى نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية فى النسيان وسوء الفهم (ان الله عليم) بمقادير اعمارهم (قدير) يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفانى وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) فمنكم غنى ومنكم فقير ومنكم موالى يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك (فما الذين فضلوا برادى رزقهم) بمعطى رزقهم (على ماملكت ايمانهم) على مماليكهم فانما يردون عليهم رزقهم الذى جعله الله تعالى فى ايديهم (فهم فيه سواء) فالموالى والمماليك سواء فى ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ماملكت ايمانهم فيستووا فى الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته فى الالوهية ولا يرضون ان تشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه

والبلادة والحسن والقبح والصحة والسقم ونحو ذلك اسند الله تعالى تفاوت ارزاق عباده الى نفسه ويلزم منه كونه تعالى هو الرازق للجميع على وجه فضل بعضهم على بعض فى الرزق ثم فرّع عليه ان المفضلين فى الرزق ليسوا رازقين مماليكهم شيأ من الرزق الكائن من قبلهم بل الرازق للجميع هو الله تعالى وحده لكنه اجرى رزق المماليك على ايدى الموالى فقوله فما الذين فضلوا لازم لما قبله وقوله فهم فيه سوآء اى الجميع فى الرزق من الله سوآء لازم للجملة المنفية متفرّع عليها او مقرّر مؤكد لها ويجوز ان يكون جوابا لنفى المذكور فيلزم ردا على المشركين ﴿قوله وقرأ ابوبكر﴾ اى وقرأ الباقون بياء الغيبة مراعاة لقوله فما الذين فضلوا وقوله فهم فيه سوآء ثم انه تعالى استدل على وجود الاله العليم القادر المختار بنوع آخر من احوال الناس فقال مخاطبا للكل والله جعل لكم اى انه تعالى خلق النساء ليتزوّج بهنّ الذكور وجعل ازواجهم من جنسهم ليستأنسوا بهنّ ومن جعل خطاب الجمع فى قوله جعل لكم من انفسكم ازواجا للتعظيم وحمله على خلق حوّآء من نفس آدم فقد ارتكب خلاف الظاهر من غير ضرورة ﴿قوله فان الحافد هو المسرع فى الخدمة﴾ يعنى ان الحفدة وان كانت اعم من البنات والاعم لادلالة له على الخاص الا ان البنات لكونها اكمل فى الخدمة واسرع فيها يتبادر الذهن من لفظ الحفدة اليها عند الاطلاق قال الواحدى اصل الحفدة من الحفد وهو الخفة فى الخدمة والعمل يقال حفد يحفد حفدا وحفودا اذا اسرع ومنه ما فى دعاء القنوت واليك نسعى ونحفد فالحفدة جمع الحافد وهو كل من يحفد فى خدمتك ويسرع فى العمل بطاعتك فمعنى الحفدة فى اللغة الاعوان والخدم ثم يجب ان يكون المراد من الحفدة الاعوان الذين حصلوا للرجل من قبل المرأة لانه تعالى قال وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة فالاعوان الذين لايكونون من قبل المرأة لايدخلون تحت هذه الآية فلذلك قيل هم الاختان وقيل الربائب وقيل هم الاصهار وقيل ولد الولد والاولى دخول الكل فيه لمابينا من ان اللفظ يحتمل الكل من حيث كونه موضوعا لقدر المشترك بين الكل ثم انه تعالى لما ذكر انعامه على عبيده بالمنكوح ومافيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بطيبات النعم نباتية كانت اوحيوانية فقال ورزقكم من الطيبات ثم قال تعالى افبالباطل يؤمنون والهمزة فيه للانكار والتوبيخ والفاء للدلالة على ان صدور مااسند اليهم من القبائح عنهم بعد تقرّر ماذكر قبلها اشدّ قباحة وضلالة والمراد بالباطل اعتقاد ان الاصنام تنفعهم او اعتقاد ان من الطيبات مايحرم عليهم وكذا الكلام فى قوله تعالى أفبنعمة الله يجحدون والمراد بنعمة الله ماانعم به على جميع عباده من الرزق وسوّى فيه بين الموالى والمماليك وبجحودها اضافة بعضها الى الشركاء وانكار كونها من الله تعالى او ماانعم به عليهم من ايضاح الدلائل الدالة على تفرّده تعالى بالوحيد وتنزّهه عن الشركاء والانداد وبجحودها عدم الالتفات الى تلك الدلائل وترك التأمل فيها بالانهماك فى تقليد الآباء الضالين بين الله تعالى انه هو الرازق لجميع عباده من الموالى والمماليك ثم فرّع عليه توبيخ المشركين على اتخاذهم الشركاء وانكر عليهم بقوله افبنعمة الله يجحدون باضافة بعض مارزقهم الله الى تلك الشركاء وجحود انه من عند الله او اوضح لهم دلائل الحق ثم وبخ عليهم لعدم التفاتهم اليها ورجوعهم بها الى الحق ثم فصل لذلك انه انعم او حالاتها ثم اعاد التوبيخ على المشركين فيما هم عليه من الاعتقاد الباطل والمذهب الزائغ وقدّم المعمول على عامله فى الموضعين ولايصار اليه الالنكتة وهى ههنا اما الاهتمام ووجهه ان الغرض الذى سيق له الكلام فى الاوّل ليس انكار نفس الجحود بل الغرض انكار متعلق الجحود وهو نعمة الله تعالى فكان محل الاهتمام فقدّم المعمول لذلك واما ايهام التخصيص مبالغة فان تقديم المعمول به يفيد الحصر والتخصيص فكأنه قيل فلا يجحدون الابنعمة الله ولايؤمنون الابالباطل ولمالم يستقم ارادة حقيقة التخصيص كفى ان يراد مايفيد التخصيص ولما كان نسبة جحود نعمة الله اليهم كافيا فى توبيخهم كان نسبة تخصيص الجحود بها اليهم ابلغ فى التوبيخ وكذا نسبة الايمان بالباطل لما كان كافيا فى التوبيخ كان نسبة ذلك اليهم بطريق يفيد التخصيص ابلغ فيه ﴿قوله وبنعمة الله هم يكفرون﴾ داخل فى حيز الاستفهام الانكارى ويفهم من تقرير المصنف ان قوله تعالى ويعبدون من دون الله معطوف على قوله يكفرون بيانا وتفسيرا لكفرهم بنعمة الله لقوله فان اتخاذ الشركاء يقتضى ان يضاف اليهم بعض ماانعم الله عليهم ويجحدون انه من عند الله ﴿قوله ورزقا ان جعلته مصدرا فشيأ منصوب به﴾ على معنى لايملك ان يرزق شيأ وان كان بمعنى المرزوق المنتفع به كان شيأ بدلا منه بمعنى لاقليلا ولا كثيرا ومن السماء والارض متعلق بقوله رزقا ان كان مصدرا والمعنى لايملك لهم ان يرزق من جانب السماء المطر ومن جانب

(أفبنعمة الله يجحدون) حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضى ان يضاف اليهم بعض ماانعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله اوحيث انكروا امثال هذه النعم بعد ماانعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين الجحود معنى الكفر وقرأ ابوبكر تجحدون بالتاء لقوله تعالى خلقكم وفضل بعضكم (والله جعل لكم من انفسكم ازواجا) اى من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حوّآء من آدم (وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة) واولاد اولاد وبنات فان الحافد هو المسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين (ورزقكم من الطيبات) من اللذآئذ اومن الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق فى الدنيا انموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) وهو ان الاصنام تنفعهم اوان من الطيبات مايحرم عليهم كالبحائر والسوائب (وبنعمة الله هم يكفرون) حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرّموا ماأحل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام اولايهام التخصيص مبالغة اوللمحافظة على الفواصل (ويعبدون من دون الله مالايملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ) من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيأ منصوب به والا فبدل منه

(ولا يستطيعون) ان يملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في ما لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيأ من ذلك فكيف بالجماد (فلا تضربوا لله الامثال) فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال (ان الله يعلم) فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون (وانتم لا تعلمون) ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبدوه فقال (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون) مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من نكرة موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد (الحمد لله) كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها (بل اكثرهم لا يعلمون) فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها (وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم) ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم (لا يقدر على شيء) من الصنائع والتدابير لنقصان عقله (وهو كل على مولاه) عيال وثقل على من يلي امره (اينما يوجهه) حيث ما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي (لا يأت بخير) بنجح وكفاية مهم (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل) ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل (وهو على صراط مستقيم) وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي

الارض النبات والثمار التي تخرج منها او متعلق بمحذوف هو صفة رزقا ان كان اسما لما يرزق ﴿قوله ولا يستطيعون ان يملكوه﴾ جواب عما يقال من ان قوله لا يستطيعون فعل متعد يستدعي مفعولا تقديره ولا يستطيعونه ومعناه بعينه معنى قوله لا يملك لهم رزقا فهو من عطف الشيء على نفسه وتقرير الجواب انا لا نسلم ان لا يستطيعون يستدعي تقدير ضمير يرجع الى الرزق بل اجري مجرى اللازم كقولك فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع فالمعنى انهم لا يملكون رزقا وليس لهم استطاعة اصلا وان سلمنا انه يستدعي ذلك لكن لا نسلم ان ذلك الضمير يرجع الى الرزق بل هو راجع الى تملك الرزق والمعنى انهم لا يقدرون على تملك الرزق فضلا عن ان يملكوه بالفعل ﴿قوله فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه﴾ يعني ان المقصود نهيهم عن الاشراك تفريعه على قوله ويعبدون من دون الله الخ فانه تعالى لما وصف المشركين بانهم يعبدون ما لا يملك شيأ من الرزق ولا استطاعة لهم اصلا فرع على ذلك نهيهم عن ان يجعلوا له مثلا يشركون به تعالى في الوهيته او يقيسون تعظيمه على تعظيم ذلك المثل بان يقولوا هو مثل له تعالى في استحقاق التعظيم لما ان عبادة عبيد الملك ادخل في تعظيمه من عبادة نفسه بالذات فالمثل على الاول ما يعبدونه من الشركاء وعلى الثاني ما يقيسونه به مما يعظم شانه عندهم ﴿قوله فساد ما تعولون عليه﴾ اي تعتمدون عليه في ان تجعلوا له مثلا ومن القياس بان ما ﴿قوله وجعله قسيما﴾ اي توصيف العبد بانه مملوك لا يقدر على شيء ثم جعله قسيما لقوله ومن رزقناه الخ يدل على ان المملوكية تنافي المالكية فان الفقهاء احتجوا بهذه الآية على ان العبد لا يملك شيأ ووجه دلالتها عليه انه ثبت في اصول الفقه ان الحكم المذكور عقيب الوصف المناسب يدل على كون ذلك الوصف علة لذلك الحكم وكونه عبدا وصف مشعر بالذل والمقهورية وقوله لا يقدر على شيء حكم مذكور عقيبه فهذا يقتضي ان يكون العلة لعدم القدرة على شيء هي كونه عبدا مملوكا فثبت ان العبد لا يملك شيأ وان ملك والآية تدل على ما ذكر من وجه آخر وهو انه تعالى قال بعد ذكر العبد ومن رزقناه منا رزقا حسنا فوجب ان لا يحصل هذا الوصف للعبد حتى يحصل الامتياز بين القسم الثاني والاول فانه لو ملك العبد لكان الله تعالى قد آتاه رزقا حسنا لان الملك الحلال رزق حسن سواء كان قليلا او كثيرا فلا يكون احد القسمين قسيما للآخر ﴿قوله وقيل هو تمثيل للكافر المخذول﴾ فالمعنى على الاول لا يستوي عندكم العبد المملوك العاجز عن التصرف بالحر المالك الذي قد رزقه الله المال فهو يتصرف فيه وينفق كيف يشاء فكيف يستوي من يملك الانفاق والانعام على التوالي والدوام وهو المعبود الحق بمن لا يملك شيأ من ذلك وهو المعبود الباطل وعلى الثاني لا يستوي عندكم العبد والحر المذكوران فكيف يستوي المؤمن الموفق للطاعات والخيرات والاعمال الصالحة التي يجهر بها المؤمن ويخفيها في بيته والكافر المخذول الذي حرمه الله التوفيق فهو لا يحصل منه عمل صالح ولا يوفق لباب من ابواب الطاعات والانفاق قد يعبر به عن العمل الصالح حتى ذهب بعض المفسرين في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الى ان المعنى حتى تعملوا الطاعات فان العامل المطيع ينفق قواه وجوارحه ابتغاء لوجه الله تعالى والانفاق سرا وجهرا اتيان ما يجهر به من الاعمال كالصلوات المفروضة والحج والجهاد والاعمال التي تظهر للناس واتيان ما يخفى من الاعمال كالنوافل التي يصنعها المرء في بيته والاعمال القلبية ثم انه تعالى لما بين امتناع المساواة بين العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء وبين السيد الكريم الغني على الاطلاق عقبه بقوله الحمد لله للدلالة على انه تعالى هو الغني المطلق القادر على الانفاق والافضال وان من يعبد الاصنام التي لا تملك ولا تقدر على شيء البتة في غاية الجهالة والضلال ﴿قوله تعالى اينما يوجه لا يأت بخير﴾ مجزومان على انهما شرط وجزاء وقرئ اينما يوجه بالهاء الواحدة الساكنة وكسر الجيم وفاعله ضمير الابكم فيكون يوجه بمعنى يتوجه يقال وجه يوجه بمعنى توجه يتوجه مثل قدم بمعنى تقدم وقد اشتهر ان المقدمة بمعنى المتقدمة وقوله اينما اوجه الق سعدا مثل يضرب لمن يلقاه الشر اينما يتوجه وكان اصله ان رجلا اسمه اضبط كان سيد قومه فاصابه منهم جفوة فارتحل عنهم الى آخرين فرآهم يصنعون بساداتهم مثل صنع قومه فقال اينما اوجه الق سعدا وسعد كان رجلا شريرا والنجح والنجاح الظفر بالحوائج وفي الكلام حذف ما يقابل قوله احدهما ابكم كانه قيل والآخر ناطق متصرف قادر على الصنائع والتدابير لكمال عقله وسلامة اعضائه وهو خفيف على مولاه ولا يتحمل التعب والمؤونة من قبله اصلا اينما يوجهه يأت بخير ونجح دل عليه قوله هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وقوله ومن يأمر مرفوع

معطوف على الضمير المرفوع فى يستوى وسوّغه الفصل بالضمير المنفصل وقوله وهو على صراط مستقيم اما استئناف او حال ﴿ قوله وانما قابل تلك الصفات ﴾ اى الاربع وهى انه ابكم وانه عاجز لايقدر على شئ وانه كل اى ثقيل على مولاه وان مولاه اينما يرسله لايأت بخير وهى صفات الاصنام فانها لاتسمع ولاتنطق وانها عاجزة لاتقدر على شئ وانها كل على عابديها تحتاج الى ان يحملها وتضعها وتمسح عنها ماوقع عليها من الاذى وتخدمها والى اى مهم وجهها عابدوها لاتأت بخير قابل تعالى تلك الصفات الاربع بهذين الوصفين وهما كونه آمرا بالعدل وكونه فى نفسه على صراط مستقيم لانهما كمال ماقابل تلك الصفات الاربع لان كونه آمرا بالعدل يتضمن كونه ذافهم منطيقا قادرا على كفاية الناس وارشادهم الى مافيه صلاح حالهم فى الدارين بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل وكونه على صراط مستقيم وسيرة صالحة سنية يتضمن كونه بحيث انه الى اى مطلب يتوجه يبلغه ويظفر به باقرب سعى فالرجل الموصوف بتلك الصفات الاربع اذا لم يكن مساويا فى الفضل والشرف لمن اتصف بهذين الوصفين مع استوائهما فى الخلقة والصورة البشرية فلأن يحكم بان الجماد لايكون مساويا لرب العالمين فى المعبودية كان اولى اوفلان لايكون الكافر مساويا للمؤمن كان اولى بين الله تعالى بضرب هذا المثل ان الذى لاينطق بالحق ولايأمر بالعدل ليس كالذى يأمر بالعدل مع كونه فى نفسه متصفا بالعدل متباعدا عن الظلم والجور وبين فى المثل الاوّل ان الذى لايملك الانفاق ليس كالذى يملكه ﴿ قوله يختص به علمه ﴾ وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه مثل نفسه بالذى يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ومعلوم ان احدا لايكون كذلك الا اذا كان كاملا فى العلم والقدرة فبين بقوله ولله غيب السموات والارض كونه كاملا فى العلم وبين كمال قدرته بقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر والساعة هى الوقت الذى تقوم فيه القيامة سميت ساعة لانها تفجأ الانسان فى ساعة فيموت الخلق بصيحة واحدة وقوله او هواقرب ليس المراد منه الشك بل المراد بل هواقرب اضرابا عن تشبيه امر قيام الساعة فى السرعة برجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها ولاشك ان الحدقة مؤلفة من اجزاء لاتتجزأ ولمح البصر عبارة عن مرور الجفن على جملة تلك الاجزاء التى منها تتركب الحدقة فيكون الزمان الذى يحصل فيه لمح البصر مركبا من آنات وازمان متعاقبة والله تعالى قادر على اقامة القيامة فى زمان واحد من تلك الازمان فلذلك اضرب من تشبيه الاوّل الى الحكم بانه اقرب تنبيها على ذلك وقال الزجاج المراد الابهام على المخاطبين انه تعالى يأتى بالساعة فى زمان لمح البصر وفيما هو اقل منه لان المراد من تشبيه امر قيامها بامر لمح البصر تشبيه زمان الاوّل بزمان الثانى وهذا هو الذى اراد المصنف بقوله او التخيير لانه تعالى لما ابهم الامر عليهم فقد خيرهم بين الامرين وعلى الوجهين يكون المقصود تقريب وقوعها وان كان بعيدا بالنسبة الينا ﴿ قوله والهاء مزيدة ﴾ يعنى ان اصل امهاتكم اماتكم الا انه زيدت الهاء فيه كما زيدت فى اهراق اصله اراق وقوله لاتعلمون شيأ حال من مفعول اخرجكم اى اخرجكم غير عالمين وقوله شيأ منصوب اما على المصدرية اى شيأ من العلم او على انه مفعول به والعلم ههنا العرفان فيتعدى الى واحد ﴿ قوله مستصحبين جهل الجمادية ﴾ اى لا الجهل الذى هو عدم العلم عما من شأنه ان يكون عالما لان الجنين فى بطن امه فى حكم الجماد خالية عن العلوم البديهية رأسا فضلا عن العلوم النظرية المكتسبة التى يترتب عليها العلوم البديهية فان النفس فى مبدأ الفطرة كانت خالية عن جميع العلوم الا انه تعالى لما خلق لها قوى وحواس ظاهرة وباطنة توسلت بها الى ان ترسم فيها ماهيات المحسوسات لما بينها وبينها من المشاركات والمباينات وان تنتزع منها صورا كلية بصورة تمكن بترتيبها على وجه خاص من اكتساب المجهولات التصورية وتمكن بادراك النسبة بين بعض تلك التصورية مع بعض من ايقاع تلك النسبة وانتزاعها وادراك انها واقعة وليست بواقعة مثل ادراك ان الكل اعظم من الجزء ومثل هذه الادراكات علوم تصديقية تمكن للنفس ترتيبها على الوجه الخاص من اكتساب المجهولات التصديقية فظهر ان السبب الاوّل لحدوث العلم فى النفس هو انه تعالى اعطى هذه الحواس واليه اشار بقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ليصير حصولها سببا لانتقال نفوسكم من الجهل الى العلم بالطريق المذكور ٭ فان قيل قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار عطف على قوله اخرجكم ويفهم منه ان يكون جعل لكم السمع والابصار متأخرا عن الاخراج من البطن وليس كذلك ٭ فالجواب ان حرف الواو لايقتضى الترتيب وايضا اذا حملنا السمع على الاستماع والابصار على الرؤية زال السؤال وهذا اذا جعلنا قوله

(وجعل)

والما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ماقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينهما او للمؤمن والكافر (ولله غيب السموات والارض) يختص به علمه لايعلمه غيره وهو ماغاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض (وما امر الساعة) وما امر قيام القيامة فى سرعته وسهولته (الا كلمح البصر) الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها (او هو اقرب) او امرها اقرب منه بان يكون فى زمان نصف تلك الحركة بل فى الآن الذى يبتدأ فيه فانه تعالى يحيى الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان فى آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشئ الذى يقولون فيه هو كلمح البصر اوهو اقرب مبالغة فى استقرابه (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر على ان يحيى الخلائق دفعة كما قدر أن احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال (والله اخرجكم من بطون امهاتكم) وقرأ الكسائى بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها فى اهراق (لاتعلمون شيأ) جهلا مستصحبين جهل الجمادية (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرار الاحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل العلم الكسبية بالنظر فيها (لعلكم تشكرون) كى تعرفوا ما انعم الله عليكم طورا بعد طور فتشكروا

(الم يروا الى الطير) قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة (مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المؤاتية له (في جو السماء) في الهواء المتباعد من الارض (ما يمسكهن) فيه (الا الله) فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها (ان في ذلك لآيات) لتسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها (لقوم يؤمنون) لانهم هم المنتفعون بها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هي القباب المتخذة من الادم ﴿١٩٣﴾ ويجوز ان تتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها (تستخفونها) تجدونها خفيفة تخف عليكم حملها ونقلها (يوم ظعنكم) وقت ترحالكم (ويوم اقامتكم) وضعها او ضربها وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة (ومن اصوافها واوبارها واشعارها) الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها (اثاثا) ما يلبس ويفرش (ومتاعا) ما يتجر به (الى حين) الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم (والله جعل لكم مما خلق) من الشجر والجبل والابنية وغيرها (ظلالا) تتقون بها حر الشمس (وجعل لكم من الجبال اكنانا) مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن (وجعل لكم سرابيل) ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت أهم عندهم (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس (كذلك) كاتمام هذه النعم التي تقدمت (يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) اعرضوا ولم يقبلوا منك (فانما عليك البلاغ المبين) فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب (يعرفون نعمة الله) اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة (واكثرهم الكافرون) الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم السلام (ولا هم يستعتبون) ولا هم يسترضون من العتبى وهي الرضى وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق ﴿٢٥﴾

وجعل معطوفا على اخرجكم فيكون داخلا فيما اخبر به عن المبتدأ ويجوز ان يكون مستأنفا كما قال البغوي تم الكلام عند قوله لا تعلمون شيأ ثم ابتدأ فقال وجعل لكم السمع الآية لان الله تعالى جعل هذه الاشياء لهم قبل الخروج من بطون الامهات ﴿قوله والاسباب المؤاتية له﴾ اي الموافقة للطلب يقال آتيته على ذلك الامر مؤاتاة اذا وافقته وطاوعته والعامة تقول واتيته * قال الامام هذا دليل على كمال قدرته فانه لولا انه تعالى خلق الطير خلقة يمكنه معها الطيران وخلق الجو خلقة يمكنه معها الطيران فيه لما امكن ذلك فانه تعالى اعطى الطير جناحا يبسطه مرة ويكسره اخرى مثل ما يعمل السابح في الماء وخلق الهواء خلقة لطيفة رقيقة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنا ﴿قوله وقرأ الحجازيان﴾ وهما نافع وابن كثير والبصريان وهما ابو عمرو ويعقوب يوم ظعنكم بفتح العين والباقون بسكونها وهما لغتان كالشعر والشعر والنهر والنهر * واعلم ان البيوت التي يسكن الانسان فيها على قسمين احدهما البيوت المتخذة من الخشب والطين والحجر والآلات التي بها يمكن تسقيف البيوت واليها الاشارة بقوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا اي ما تسكنون فيه والجعل بمعنى الخلق فيتعدى الى واحد وهو سكنا ومن بيوتكم متعلق بمحذوف على انه حال من سكنا اقدم عليه لكونه نكرة ويجوز ان يكون بمعنى التصيير فيكون سكنا مفعوله الثاني والقسم الثاني من البيوت القباب والخيام والفساطيط واليه الاشارة بقوله تعالى وجعل لكم من جلود الخ اي بيوتا يمكن نقلها وتحويلها من مكان الى مكان والظعن في الاصل سير البادية لنجعة او حضور ماء والنجعة بالضم طلب الكلأ في موضعه وقد يطلق على طلب كل ما يتغذى به من الطعام او طلب مربع وقد يطلق الظاعن على كل خارج لسفر والسكن المسكن وانشد الفراء

* جاء الشتاء ولم اعدد له سكنا * يا ويح نفسي من حفر القرامص *

والبيت ما يأوي الانسان اليه للبيتوتة فهو جعل السكن بعضا من البيوت يدل على ان السكون المعتبر في السكن بمعنى الاقامة التي هي ضد السفر ويؤيده ان المصنف فسر السكن بقوله موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم فكان هذا قرينة على ان المراد بالسكن البيوت المتخذة من الحجر والمدر والخشب قال المفسرون الاثاث انواع متاع البيت من الفرش والالبسة من قولهم شعر اثيث اي كثير واث النبت يئث أثا اذا كثر والتف ولا واحد للاثاث وقيل واحدها اثاثة وعطف المتاع على الاثاث لما اقتضى المغايرة بينهما اشار المصنف الى الفرق بينهما بان حمل المتاع على ما يتجر به والاثاث على ما لا يقصد به التجارة بل يقصد به الخدمة من الاكتساء والتغطي والافتراش وقوله اثاثا الظاهر انه منصوب عطفا على بيوتا اي وجعل لكم من اصوافها اثاثا فيكون قد عطف المجرور على المجرور والمنصوب على المنصوب ﴿قوله والسربال يعم كل ما يلبس﴾ سواء كان لبسه للتوقي عن الحر والبرد او عن الشدة في الحرب ولا يختص بالاول بدليل انه تعالى جعل ما يقي من شدة الطعن والضرب والرمي من قبيل السرابيل ﴿قوله وقرئ تسلمون﴾ بفتح التاء واللام مضارع سلم وهو مناسب لقوله تقيكم بأسكم فان المراد به الدروع الملبوسة في الحروب الا ان المصنف لم يرض بكونه مربوطا به واختار كونه مربوطا بقوله كذلك يتم نعمته عليكم كما انه مرتبط به على قرآءة العامة ﴿قوله وهذا من اقامة السبب مقام المسبب﴾ يعني ان ما هو جواب الشرط حقيقة محذوف وهو فانت معذور ولما كان تبليغه عليه الصلاة والسلام سببا لكونه معذورا غير متضرر بتوليهم اقيم هذا السبب مقام المسبب وجعل جوابا للشرط وقوله تعالى يعرفون نعمة الله استئناف لبيان حالهم في توليهم عن الايمان وذمهم بانهم يعرفون جميع ما انعم الله تعالى عليهم من النعم المذكورة في هذه السورة وغيرها ويعترفون بان جميعها من الله ثم ينكرونها بان يقولوا رزقنا الله اياها بشفاعة آلهتنا فلا يشكرونها والتولي عن الايمان بهذا الطريق لما كان يستلزم مجاهرة الكفار عنادا لجواز ان لا يعلم المتولي المذكور بطلان اعتقاد ان ما انعم الله عليه انما هو بشفاعة الآلهة قال واكثرهم الكافرون ترقيا في ذمهم يعني انهم مع كونهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها كافرون * فان قيل هم كلهم كافرون فما معنى قوله واكثرهم الكافرون * قلنا لانه لا يحمل الكافر على الجاحد المعاند خرج من تولى جاهلا بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه غير معاند ولانه كثيرا ما يراد الجميع بلفظ الاكثر كما في قوله تعالى الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون ثم انه تعالى لما ذكر الذين تولوا عن الايمان ووصفهم بما وصفهم اتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيامة فقال ويوم نبعث اي اذكر يوم نبعث ﴿قوله يمنون﴾ اي يمتنون والجوهري منونه ومنته اذا ابتليته ﴿قوله ولا هم يسترضون﴾ هو من الارضاء لا من الرضى اي لا يطلبون الارضاء على ان الاستعتاب طلب العتبى

وهو اسم بمعنى الاعتاب الذى هو ازالة العتب فقوله تعالى ولاهم يستعتبون معناه لايطلب منهم الاعتاب اى ازالة عتاب ربهم وغضبه بان يتوبوا ويزجروا عماهم عليه من الكفر والمعاصى لان الآخرة ليست بدار تكليف وعمل وانما يطلب ذلك منهم فى الدنيا وفى الصحاح يقال اعتبنى فلان اذا عاد الى مسرتى راجعا عن الاساءة فظهر بما ذكرنا ان تفسير الاستعتاب بالاسترضاء وتفسير الاعتاب بالارضاء تفسير باللازم ﴿ قوله وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا ﴾ يعنى انه ايضا منصوب بمحذوف اى اذا رأوه وقعوا فيه وحيق بهم ماحيق والفاء فى قوله تعالى فلا يخفف عنهم ليست فاء جواب اذا بل هى عاطفة لما بعدها على الجزاء المقدر لان جوابها متى كان مضارعا لايكون مصدرا بالفاء سواء كان موجبا كما فى قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه او منفيا نحو اذا جاء زيد لايكرمك وانما يصدر بالفاء اذا كان جملة اسمية نحو اذا جاءنى زيد فانا اكرمه وتقدير المبتدأ فى الآية بان يجعل تقديرها فهو لايخفف خلاف الظاهر وقوله تعالى الذين ظلموا مظهر وقع موقع المضمر للاشعار بان العذاب لايخفف عنهم ويجب ان يكون دائما وهو المراد من قوله ولاهم ينظرون ﴿ قوله اوثانهم التى دعوها شركاء ﴾ رآها المشركون لان الله تعالى يبعثها لفائدتين الاولى ان يشاهدها المشركون فى غاية الذل والحقارة والثانية ان تكذب تلك الاصنام المشركين فى قولهم انها شركاء الله تعالى فى استحقاق العبادة ومن قال ان المراد بالشركاء الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر انما ذهب الى هذا القول لانه تعالى حكى عن اولئك الشركاء انهم ألقوا الى الذين اشركوا انكم لكاذبون والاصنام جمادات فلا يصح منهم هذا القول فوجب ان يكون المراد من الشركاء الشياطين حتى يصح منهم هذا القول ودليل هذا ضعيف لانه تعالى قادر على ان يخلق الحياة والعقل والنطق فى تلك الاصنام فحينئذ يصح منها هذا القول ﴿ قوله وهو اعتراف ﴾ جواب عما يقال ما الفائدة فى قول المشركين ربنا هؤلاء شركاؤنا مع ان فائدة الخبر ولازمه كلاهما معلومان لله تعالى * وتقرير الجواب الاول ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الاصنام مع انه لاذنب لها واعترافا بانهم كانوا مخطئين فى عبادتها * وتقرير الثانى ان المشركين انما قالوا ذلك احالة لهذا الذنب على تلك الاصنام وظنوا ان ذلك ينجيهم من عذاب الله او ينقص من عذابهم بأن يحمل شطر منه على الاصنام فعند هذا تكذبهم تلك الاصنام وهو قوله تعالى فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون فى قولكم فى حقنا انهم شركاء الله فى المعبودية او فى استحقاق العبادة او فى انهم حملوا المشركين على الكفر وقوله تعالى الذين كفروا مبتدأ وزدناهم خبره لما ذكر الله تعالى وعيد الذين كفروا اتبعه بوعيد من ضم الى الكفر صد الغير عن سبيل الله فان رؤساء الكفر وقادتهم وسادتهم ضلوا بانفسهم وأضلوا اتباعهم فلهم العذاب الاليم بكفرهم بانفسهم وزيادة العذاب باضلالهم غيرهم ثم انه تعالى ذكر نوعا آخر من التهديدات المانعة للمكلفين عن المعاصى فقال ويوم نبعث اى اذكر يامحمد يوم نبعث فى كل جماعة نبيا يشهد على من كذب وعصى لانه لماثبت فى كل امة رسولا وبلغهم الرسول رسالة الله فلم يبق للمكلف فى ارتكاب المعصية عذر قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وقوله تعالى وجئنا بك شهيدا تخصيص بعد التعميم كقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ﴿ قوله بيانا بليغا ﴾ اشارة الى ان التبيان اسم فى معنى البيان كالتلقاء فى معنى اللقاء كما نقل عن الزجاج الا انه روى ثعلب عن الكوفيين والمبرد عن البصريين انهم قالوا لم يأت من المصادر على تفعال الا حرفان تبيان وتلقاء فعلى هذا يجب ان تكون المصادر التى تكون على تفعال كلها مفتوحة التاء كالتسيار والتذكار والتكرار والتهدار والتلعاب وان يكون ماهو مكسور التاء غير التبيان والتلقاء اسماء نحو التمساح والتمثال وقوله بليغا اشارة الى ان صيغة تفعال سواء كانت مفتوحة التاء او مكسورتها اذا كانت مصدرا او اسما بمعنى المصدر تكون من ابنية المبالغة وتكرير الفعل فالتكرار والتذكار والتلعاب بمعنى كثرة الكر والذكر واللعب قال المفسرون القرآن تبيان لكل شئ يحتاج اليه من الامر والنهى والحلال والحرام والحدود والاحكام وقال نفاة القياس دلت هذه الآية على ان القرآن تبيان لكل شئ اى لكل شئ من العلوم الدينية لان غير ذلك ليس مما يجب الالتفات اليه وعلوم الدين اما اصول واما فروع فاما علم الاصول فهو بتمامه موجود فى القرآن واما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الا ما ورد على سبيل التفصيل فى هذا الكتاب وذلك يدل على انه لاتكليف من الله تعالى الا ما ورد فى هذا واذا كان كذلك كان القول بالقياس باطلا وكان القرآن وافيا ببيان كل الاحكام واما الفقهاء فانهم قالوا القرآن انما كان تبيانا لكل شئ لانه دل على ان الاجماع

وكذا قوله (واذا رأى الذين ظلموا العذاب) عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) اى العذاب (ولاهم ينظرون) يمهلون (واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم) اوثانهم التى دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر بالحمل عليه (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين فى ذلك او التماس بان يشطر عذابهم (فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون) اى اجابوهم بالتكذيب فى انهم شركاء الله وانهم ماعبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او فى انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى (والقوا) والقى الذين ظلموا (الى الله يومئذ السلم) الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا (وضل عنهم) وضاع عنهم وبطل (ما كانوا يفترون) من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرأوا منهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر (زدناهم عذابا) لصدهم (فوق العذاب) المستحق بكفرهم (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين بصدهم (ويوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم) يعنى نبيهم فان نبى كل امة بعث منهم (وجئنا بك) يامحمد (شهيدا على هؤلاء) على امتك (ونزلنا عليك الكتاب) استئناف او حال باضمار قد (تبيانا) بيانا بليغا (لكل شئ) من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس (وهدى ورحمة) للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه (وبشرى للمسلمين) خاصة

حجة وكذا كل واحد من القياس وخبر الواحد فضلا عن السنة المتواترة واذا ثبت حكم من الاحكام باحد هذه الاصول كان ذلك الحكم ثابتا بالقرآن روى عن علي رضي الله عنه انه قال كل شئ علمه في القرآن الا ان الرجال تعجز عنه فبعضه مبين فيه بان نص عليه صريحا و بعضه مبين على وجه الاجمال بالاحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي صلى الله عليه وسلم او اجماع المسلمين او القياس على ما نص عليه للاشتراك في علة الحكم ثم انه تعالى لما استقصى في شرح الوعد والوعيد والترغيب والترهيب اتبعه بقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وهي اجمع آية لوجوه ارشاد المكلفين وهدايتهم الى ما فيه صلاح حالهم في الدارين امر الله تعالى في هذه الآية بثلاثة اشياء وهي العدل والاحسان وايتاء ذي القربى ونهى عن ثلاثة وهي الفحشاء والمنكر والبغي اما العدل فهو عبارة عن الامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط ورعاية العدل واجبة في جميع الاشياء لاسيما فيما يتعلق بالاعتقاد وفيما يتعلق بافعال الجوارح وفيما يتعلق بالاخلاق النفسانية واجل وجوه العدل اعتقادا الاعتقاد بوحدة الاله فان نفي الاله تعطيل محض واثبات اكثر من اله تشريك وتشبيه وهما مذمومان والعدل هو اثبات اله واحد واعتقاد انه لا اله الا الله وايضا الاعتقاد بان العبد ليس له قدرة ولا اختيار جبر محض والاعتقاد بانه مستقل بافعاله قدر محض وهما مذمومان والعدل ان يقال ان العبد يفعل الفعل بواسطة انه تعالى يخلق فيه قدرة كاسبة تدعوه الى الفعل والقدرة المؤثرة ليست الا له تعالى والعدل فيما يتعلق بافعال الجوارح كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب فان قوما من اهل البطالة ونفاة التكاليف يقولون الاحتراز عن شئ من المعاصي ليس لله عليه تكليف اصلا وقال قوم من المانوية انه يجب على الانسان ان يجتنب عن كل اكل الطيبات وان يبالغ في تعذيب نفسه وان يحترز عن كل ما يميل الطبع اليه حتى انهم يخصون انفسهم ويحترزون عن التزوج وعن اكل الطعام الطيب وانهم يحرقون انفسهم ويرمون انفسهم من شاهق الجبل فهذان الطريقان مذمومان والعدل الوسط هو هذا الشرع الذي جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان الزيادة على العدل في باب العمل بحسب الكمية قد تكون احسانا الى نفسه اذا كانت على الوجه الذي استحسنه الشرع وندب اليه كالتطوع بعد اداء الواجبات وقد تكون اساءة على خلاف الوجه المشروع وكذا الزيادة بحسب الكيفية وبالجملة فالمبالغة في اداء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية هو الاحسان والاحسان بهذا المعنى يدخل فيه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ومن الظاهر ان الشفقة على خلق الله اقسام كثيرة اشرفها واجلها صلة الرحم فقوله وايتاء ذي القربى من قبيل التخصيص بعد التعميم ايذانا بشرف الخاص ومبالغة في الحث عليه ﴿قوله عن الافراط في متابعة القوة الشهوية﴾ البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية والثلاث الاول هي المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها بخلاف القوة الرابعة اعني القوة العقلية الملكية فان الشيطان لا يغوي الانسان من قبلها اذ لا مناسبة بينها وبين الشرور الشيطانية فلا وجه لان يتوسل الشيطان بها الى اغواء بني آدم بخلاف القوى الثلاث الاول فانها مبدأ الشرور والقبائح وداعية اليها فان الفحشاء اثر القوة الشهوية والمنكر اثر الغضب والبغي اثر القوة الوهمية فان القوة الشهوية انما ترغب في تحصيل اللذات الشهوية والتي خرجت منها عن الحد المأذون فيه شرعا فهي المسماة بالفحشاء واما القوة الغضبية السبعية فهي ابدا تسعى في ايصال الشر والبلاء والايذاء الى سائر الناس ولاشك ان الناس ينكرون تلك الحالة فالمنكر عبارة عن الافراط الحاصل من اثارة القوة الغضبية فقول المصنف والمنكر ما ينكر على متعاطيه من اثارة القوة الغضبية معناه ان المنكر من اثارة القوة الغضبية هو الحد الخارج عما يقبله الناس من اثارة الغضبية وتهيجها واما القوة الوهمية الشيطانية فهي ابدا تسعى في الاستعلاء على الناس والترفع واظهار الرياسة والتقدم وذلك هو المراد من البغي فانه لا معنى للبغي الا التطاول على الناس والترفع عليهم فظهر بما ذكر ان هذه الالفاظ الثلاثة منطبقة على احوال هذه القوى الثلاث ﴿قوله وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون﴾ روى عن ابن عباس ان عثمان بن مظعون قال ما اسلمت اولا الا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتقرر الاسلام في قلبي فحضرته عليه الصلاة والسلام ذات يوم فبينما هو يحدثني اذ رأيت بصره شخص الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته فقال بينا انا احدثك اذا جبريل عليه الصلاة والسلام نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يأمر بالعدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان القيام بالفرائض وايتاء ذي القربى

(ان الله يأمر بالعدل) بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير (والاحسان) احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (وايتاء ذي القربى) واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة (وينهى عن الفحشاء) عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنى فانه اقبح احوال الانسان واشنعها (والمنكر) ما ينكر على متعاطيه من اثارة القوة الغضبية (والبغي) والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان ابن مظعون رضي الله تعالى عنه ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شئ وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه

اى صلة الرحم وينهى عن الفحشاء الزنى والمنكر مالايعرف فى شريعة ولاسنة والبغى الاستطالة قال عثمان فوقع الايمان فى قلبى واتيت ابا طالب فاخبرته فقال يامعشر قريش اتبعوا ابن اخى ولئن كان صادقا او كاذبا فانه مايأمركم الا بمكارم الاخلاق فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمه اللين قال ياعماه اتأمر الناس ان يتبعونى وتدع نفسك فنزل انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء روى ان بنى امية كانوا يسبون امير المؤمنين علىّ بن ابى طالب فى الخطبة رضى الله عنه الى ان ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة فترك ذلك وكتب الى العمال فى الآفاق بترك ذلك وكان سبب محبته عليا انه قال كنت بالمدينة اتعلم العلم وكنت الزم عبدالله بن عبد الله بن عتبة فبلغه شئ من ذلك فأتيته يوما وهو يصلى فاطال الصلاة فقعدت انتظر فراغه فلما فرغ التفت الىّ وقال متى علمت ان الله تعالى غضب على اهل بدر وبيعة الرضوان بعدان رضى الله عنهم قلت لم اسمع بذلك قال فما الذى بلغنى عنك فى علىّ قلت ماهو قال يابنى انك تمضى فى خطبتك فاذا اتيت الى ذكره عرف منك تقصيرا وخطبت كذلك قلت ثم قال يابنى ان الذين حولنا لو يعلمون من علىّ مانعلم لما تفرقوا عنا فى اولاده فلما ولى الخلافة لم يكن عنده من الرغبة فى الدنيا ما يرتكب بسببها هذا الامر العظيم فترك ذلك وكتب بتركه وقرأ عوضه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية فحل هذا الفعل عند الناس محلا عظيما واكثروا مدحه بذلك ﴿قوله تعالى يعظكم﴾ الظاهر انه مستأنف فى قوة التعليل للامر بما تقدم اى انه وعظ بسبب ما تقدم من الامر والنهى المذكورين ويبعد جعله حالا من فاعل ينهى اذ لا وجه لتخصيص الحال بهذا الفاعل دون فاعل يأمر فان الوعظ يكون بكل واحد من الاوامر والنواهى ولاخصوصية له بالنهى ثم انه تعالى لما جمع جميع المأمورات والمنهيات فى هذه الآية على سبيل الاجمال ذكر بعدها بعض تلك الاقسام على سبيل التفصيل فبدأ بالوفاء بعهد الله فقال واوفوا بعهد الله وهو معطوف من حيث المعنى على قوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية عطف الخاص على العام اهتماما بوفاء العهد والثبات عليه واستشهد المصنف بقوله تعالى ان الذين يبايعونك على ان عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد الله واحد ولم يرد ان هذه الآية واردة فى تلك البيعة اعنى بيعة الرضوان لان هذه السورة مكية نزلت حين كان المسلمون مستضعفين فيما بين قريش وانما هذه البيعة هى البيعة الاولى وكل من دخل فى الاسلام فقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه البيعة ﴿قوله وقيل كل امر يجب الوفاء به﴾ اى العمل بمقتضاه فعهد الله تعالى يتناول الادلة العقلية والسمعية عند هذا القائل وان لم يكونا من العهود التى يلتزمها الانسان باختيار نفسه لانهما اوكد فى لزوم الوفاء بما يدلان على وجوبه بالنسبة الى اليمين وسائر العهود ولذلك لايصح فى هذين الدليلين التغير والاختلاف ويصح فى غيرهما ذلك وربما ندب فيه ترك الوفاء فان اليمين انما يجب الوفاء به اذا لم يكن الصلاح فى خلافه لقوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت بالذى هو خير ثم ليكفر عن يمينه ولم يرض المصنف بهذا القول وقال لايلائمه قوله اذا عاهدتم لانه يدل على ان المراد بعهد الله مايلتزمه الانسان باختياره ومعنى الوفاء به الثبات عليه كأنه قيل اثبتوا على ماعاهدتم الله عليه وبايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تؤكد تلك البيعة بالايمان التى يحلفون بها على الثبات عليها والتوكيد مصدر وكد يوكد بالواو وفيه لغة اخرى اكد يؤكد بالهمزة ونظيره قولهم ورخت الكتاب وارخته قال الراغب وكدت القول والعهد واكدته بمعنى احكمته وكل واحدة منهما لغة اصلية وليست الهمزة بدلا من الواو لانهما متساويتان فى الاستعمال فليس ادعاء كون احداهما اصلا والاخرى منقولة منها اولى من عكسه وذهب المصنف الى ان الكلمة واوية وان الهمزة مبدلة من الواو على ماهو مذهب الزجاج وتوكيدها مصدر مضاف الى مفعوله وقوله وقد جعلتم حال اما من فاعل تنقضوا واما من فاعل المصدر وان كان محذوفا وقوله تعالى ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدها عام دخله التخصيص لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت بالذى هو خير وليكفر عن يمينه ﴿قوله شاهدا بتلك البيعة﴾ وما يترتب عليها من الثبات عليها والعمل بمقتضاها ومن نقضها والعمل بما ينافيها فان من حلف بالله تعالى على امر فقد منع نفسه عن اتيان مايخالفه احترازا عن هتك حرمة اسمه تعالى وما يترتب عليه من تهديد اليم عذابه فصار بذلك كأنه جعل الله تعالى شاهدا عليه يراقب انه هل يحنث فى يمينه او يحفظه ويبر فيه والشاهد بهذا المعنى لما شابه الكفيل من حيث ان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه عبر عن الشاهد بالكفيل فقوله كفيلا من قبيل التشبيه البليغ

(يعظكم) بالامر والنهى والميز بين الخير والشر (لعلكم تذكرون) تتعظون (واوفوا بعهد الله) يعنى البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله (اذا عاهدتم) وقيل النذر وقيل الايمان بالله (ولا تنقضوا الايمان) ايمان البيعة او مطلق الايمان (بعد توكيدها) بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه اكد بقلب الواو همزة (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه (ان الله يعلم ماتفعلون) فى نقض الايمان والعهود (ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها) ما غزلته مصدر بمعنى المفعول (من بعد قوة) متعلق بنقضت اى نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام (انكاثا) طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثانى لنقضت فانه بمعنى صيرت

ثم انه تعالى مثل نقض العهد بنقض الغزل بعد ابرامه واحكامه تأكيدا لوجوب الوفاء وتحريم النقض فقال ولاتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا والنكث بالكسر مصدر قولك نكثت الحبل اذا نقضت فتله والانكاث هنا جمع نكث بمعنى منكوث اى منقوض ﴿ قوله والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه ﴾ كائنا من كان لاتشبيهه لشخص معين يفعل ذلك وهو امرأة اسمها ريطة وذلك لان المقصود من الامثال صرف المكلف عن الفعل اذا كان قبيحا والدعاء اليه اذا كان حسنا وذلك يتم بدون التعيين وان تحقق فى الخارج من اتصف به ﴿ قوله تعالى دخلا ﴾ مفعول ثان لتتخذون ويحتمل ان يكون مفعولا من اجله والدخل الفساد والدخل وهو الغش والخيانة وقيل هو ان تظهر الوفاء وتبطن الغدر والنقض وقيل الدخل الداخل فى الشئ وليس منه وقيل ما ادخل فى الشئ على فساد وقال الجوهرى دخلا بينكم اى مكرا وخديعة وهم دخل فى بنى فلان اذا انتسبوا اليهم وليسوا منهم هذه كلمات القوم فى بيان مفهوم لفظ الدخل والمصنف اختار منها كونه موضعا للنقض والابرام والافساد فيكون جعل ماعقد للافساد عين الفساد للمبالغة فى النهى والتقبيح وقوله تعالى ان تكون اى بسبب ان تكون متعلق بقوله تتخذون وقوله تكون يجوز ان تكون تامة وامة فاعلها وان تكون ناقصة وامة اسمها وقوله هى على التقدير بن مبتدأ واربى خبره والجملة فى محل النصب على الحال على الوجه الاول وعلى انها خبر كان على الثانى وجعل الامام قوله تعالى تتخذون ايمانكم استفهاما على سبيل الانكار والمعنى اتتخذون ايمانكم دخلا بينكم بسبب ان تكون امة ازيد فى القوة والكثرة من امة اخرى ولم يلتفت المصنف اليه لان ارتكاب تقدير الهمزة مع صحة المعنى وانتظامه ليس باولى من غير ارتكاب التقدير بلا دليل ﴿ قوله تصريح النهى عنه بعد التضمين ﴾ فان قوله تعالى ولاتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم مفسدة وموضع الدخل والمكر والخديعة يتضمن النهى عن اتخاذ الايمان دخلا من حيث ان موضعه النهى عن مشابهة تلك المرأة حال اتخاذ الايمان دخلا وقد تقرر ان النهى عن المقيد يرجع الى قيده فيكون النهى عنه حقيقة هو القيد فيكون قوله ولاتتخذوا معطوفا على قوله ولاتكونوا مع قيده وقوله انما يبلوكم الله به وليبينن لكم تعليلا لقوله تعالى ولاتكونوا وقوله ولو شاء الله معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه تأكيدا لمعنى الابتلاء وانه تعالى ينصر قليل العدد والعدد بحكم الآلهية على ذى القوة والشوكة والمال كما انه بحكم الآلهية يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقوله ولتسألن معطوفا على قوله يبلوكم وقوله تعالى فتزل منصوب باضمار ان فى جواب النهى ﴿ قوله بصدودكم ﴾ على ان مامصدرية وان صددتم لازم من الصدود وهو الاعراض وقوله او صدكم غيركم على انه متعد من الصد وهو المنع ومفعوله محذوف ثم انه تعالى اكد هذا اليمين والتحذير فقال ولاتشتروا بعهد الله ثمنا اى لاتنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عرضا قليلا من الدنيا ولكن اوفوا بعهدها فان ماعند الله من الثواب هو خير لكم ثم ذكر دليلا قاطعا على ان ماعند الله خير فقال ماعندكم ينفد اى يذهب ويفنى ﴿ قوله بما ترجح فعله ﴾ اشارة الى جواب مايقال من ان كلمة مامصدرية واحسن افعل تفضيل فيكون المعنى لنجزينهم اجرهم بمقابلة احسن اعمالهم ويفهم منه ان لايجازى المرء بمقابلة اعماله الحسنة وهو خلاف مايدل عليه قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وتقرير الجواب ان صيغة احسن هنا ليست للتفضيل بل هى صيغة بمعنى الحسن الذى يترجح فعله على تركه من الواجبات والمندوبات فان المؤمن يثاب بكل واحدة منهما بخلاف المباحات التى لايترجح احد طرفيها على الآخر فان المؤمن لايثاب بها ولابتركها سلمنا انها للتفضيل لكن لانسلم ان الموصوف باحسن هو العمل بل الموصوف به هو الجزاء المقدر واضافة احسن بمعنى من ثم انه تعالى لمابالغ فى النهى من نقض العهود والايمان وبيان مايترتب عليه من عذاب الدنيا والآخرة عقبه بالترغيب فى الصبر على مشاق التكاليف مع فقرهم وقلة عددهم وكثرة الكفرة وعلى بيعة الاسلام والوفاء بعهد الله الذى هو البيعة لرسول الله والكفرة اربى منهم عددا وشوكة ومالا او على مشاق التكاليف الشرعية مطلقا التى من جملتها الوفاء بالعهد ببيان انه تعالى يجازيه على اعماله الحسنة واجبة كانت اومندوبة او ببيان انه تعالى يجازيه بجزاء هو احسن من اعماله ثم ان كان المراد بالصبر الصبر على مشاق الاحتراز عن نقض ايمان البيعة يكون قوله تعالى من عمل صالحا الآية ترغيبا فى اتيان كل ما كان من شرائع الاسلام بان وعد على اتباعه سعادة الدنيا والآخرة وان كان المراد به الصبر على مشاق

والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل هى ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) حال من الضمير فى ولاتكونوا او فى الجار الواقع موقع الخبر اى ولاتكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذى ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل مايدخل الشئ ولم يكن منه (ان تكون امة هى اربى من امة) بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لاتغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة فى اعادى حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم (انما يبلوكم الله به) الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونكم اربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفاء (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن يضل من يشاء) بالخذلان (ويهدى من يشاء) بالتوفيق (ولتسألن عما كنتم تعملون) سؤال تبكيت ومجازاة (ولاتتخذوا ايمانكم دخلا بينكم) تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة فى قبح المنهى (فتزل قدم) اى عن محجة الاسلام (بعد ثبوتها) عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) العذاب فى الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة (ولاتشتروا بعهد الله) ولاتستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد (ان ماعند الله) من النصر والتغنيم فى الدنيا والثواب فى الآخرة (هو خير لكم) مما يعدونكم (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من اهل العلم والتمييز (ماعندكم) من اعراض الدنيا (ينفد) ينقضى (وماعند الله) من خزائن رحمته (باق) لاينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق (ولنجزين الذين صبروا اجرهم) على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون (باحسن ما كانوا يعملون) بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم

التكاليف يعني توطئة النفس على رعاية حق الربوبية وتحقيق مقتضى العبودية وقهر النفس الامّارة بالسوء
بمخالفة مقتضياتها وحظوظها الطبيعية يكون قوله من عمل صالحا الآية ترغيبا في الاعمال القاهرة البدنية
بعد الترغيب في الاخلاق النفسانية والفضائل القلبية وتصريحا بان كون الاعمال الصالحة مؤدّية الى الحياة الطيبة
وثواب الآخرة مشروط بالايمان * فان قيل كيف يكون مشروطا به مع ان قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرّة
خيرا يره يدل على ان العمل الصالح يفيد الاجر مطلقا * قلنا لانسلم ذلك فان رؤيته لاتستلزم كون العامل مثابا بعمله
لجواز ان يكون فائدة عمله تخفيف العقاب فانه لايتوقف على الايمان واليه اشار المصنف بقوله وانما المتوقع عليها
تخفيف العقاب ﴿قوله بينه بالمؤمنين﴾ جواب عما يقال من ان كلة من تفيد العموم فما الفائدة في ذكر الذكر
والانثى * وتقرير الجواب ان لفظ من صح اطلاقه على المؤمنين ﴿قوله وقيل في الآخرة﴾ لعل وجه ضعفه
انه تعالى عقبه بقوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ماكانوا يعملون ولاشبهة في ان المراد به مايكون في الآخرة
فينبغى ان تحمل الحياة الطيبة على مايكون في الدنيا وايضا لو حمل الحياة الطيبة على مايكون في الآخرة
لزم ان لايعذب المؤمن الذي عمل عملا واحدا من الاعمال الصالحة بعذاب الآخرة اصلا لان من عذب
بقدر ذنوبه كيف يصح ان يقال في حقه انه تعالى احياه حياة طيبة في الآخرة فان قوله من عمل صالحا يصدق
على من اتى بعمل واحد مما يكفي في اجراء حكم الاسلام عليه وذلك لايستلزم ان لايعذب اصلا بل امره
منوط بمشيئة الله تعالى ان شاء عذبه بقدر ذنوبه وان شاء عفا عنه فان مصيره على التقديرين الى الجنة
بخلاف مالو حملت على مايكون في الدنيا فان من عمل عملا واحدا مما يصح ان يجرى عليه حكم الاسلام
بسببه يكون حياته في الدنيا طيبة يسلم في نفسه وماله ويستقل في اموره وادنى مراتب طيب حياته في الدنيا
ان يسلم في نفسه ثم انه يجزى في الآخرة بعمله ذلك قيل الحياة الطيبة في الدنيا عبادة الله تعالى مع اكل الحلال
وقيل القناعة لانه لايطيب في الدنيا الاعيش القانع واما الحريص فانه يكون ابدا في الكدّ والعناء ولاشك
ان عيش المؤمن في الدنيا اطيب من عيش الكافر لان المؤمن يعرف ان رزقه انما حصل بتدبير الله تعالى ويعرف
انه محسن كريم لايفعل الا الصواب فيكون راضيا بكل ماقضاه وقدره لعلمه بان مصلحته في ذلك والكافر
لايعرف هذه الاصول فكان ابدا في الحزن والعناء وايضا المؤمن يعلم ان خيرات الدنيا واجبة التغير سريعة التقلب
فلولا تغيرها وانقلابها لم تصل من غيره اليه فلاجرم لايعظم فرحه بوجدانها ولاغمه بفقدانها ثم انه تعالى
لما ذكر انه يجازى على الاعمال الصالحة اتبعه بالارشاد الى طريق تخلص به الاعمال عن وساوس الشيطان
وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم والقائه الوساوس في كل قلب خص قرآءة القرآن بالذكر
من بين الاعمال الصالحة لانها داعية الى كل عمل صالح من الاعمال القلبية والقالبية فكانت بذلك رأس الاعمال الصالحة
ولما كانت الفاء في قوله فاستعذ بالله للتعقيب دل ظاهر الآية على ان تكون الاستعاذة بعد قرآءة القرآن
كما ذهب اليه جماعة من الصحابة والتابعين وقالوا انه لولم يأت بالاستعاذة بعد القرآءة ربما يوسوس اليه الشيطان
انك قد اتيت من العمل الصالح مايمحو الله تعالى به ذنوب كذا وكذا سنة فيعتمد على عمله فيضيع ثواب قرآءته
واما اذا استعاذ بعد القرآءة فحينئذ تندفع الوساوس ويبقى الثواب الموعود مصونا عن الخلل الاان الاكثر من علماء الصحابة
والتابعين قد اتفقوا على ان الاستعاذة متقدمة على القرآءة وقالوا معنى الآية اذا اردت ان تقرأ القرآن
فاستعذ بالله وليس معناه استعذ بعد القرآءة ونظيره قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وقولك اذا اكلت
فقل بسم الله واذا سافرت فتأهب وقد روى أئمة القرآءة مسندا عن نافع عن جبير بن مطعم انه عليه الصلاة والسلام
كان يقول قبل القرآءة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وعن معقل بن يسار انه عليه الصلاة والسلام قال * من قال
حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر
وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسى * وفي شرح الشاطبية اجمع القرآء وجمهور الفقهاء على
ان الاستعاذة حال الشروع في القرآن ودل الحديث على ان التقديم هو السنة وبقى سببية القرآءة لها والفاء في فاستعذ
لما دلت على السببية قدّرت الارادة ليصح معنى السببية ﴿قوله اقرأنيه جبريل عن القلم من اللوح المحفوظ﴾
هكذا رواه القرآء في كتب القرآءة وينبغى ان لايكون المراد بالقلم القلم الاعلى لانه متقدم في الرتبة على اللوح بالنص
وانما يراد به القلم الذي نسخ به من اللوح ونزل به جبريل عليه الصلاة والسلام الى سماء الدنيا ﴿قوله

(من عمل صالحا من ذكر او انثى) بينه بالمؤمنين
دفعا للتخصيص (وهو مؤمن) اذ لا اعتداد
باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما
المتوقع عليها تخفيف العقاب (فلنحيينه حياة
طيبة) في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان
موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب
عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر
العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان
معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص
وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه وقيل
في الآخرة (ولنجزينهم اجرهم باحسن
ماكانوا يعملون) من الطاعة (فاذا قرأت
القرآن) اذا اردت قرآءته كقوله تعالى اذا قمتم
الى الصلاة (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)
فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك
في القرآءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه
دليل على ان المصلى يستعيذ في كل ركعة لان
الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا
وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه
ايذان بان الاستعاذة عند القرآءة من هذا القبيل
وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم
من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن
القلم عن اللوح المحفوظ (انه ليس له سلطان)
تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم
يتوكلون) على اولياء الله تعالى المؤمنين
والمتوكلين عليه فانهم لايطيعون اوامره
ولايقبلون وساوسه الافيما يحتقرون على
ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر
السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه
ان له سلطانا

لئلا يتوهم منه ان له سلطانا ﴾ فان قارئ القرآن لما امر بان يسأل الله تعالى ان يعيذه من وسواسه توهم منه ان له تسلطا وولاية على اغواء بني آدم كلهم فنفى الله تعالى انه لاتسلط له على المؤمنين بالله والمتوكلين عليه بعصمة الله تعالى اياهم من طاعته وقبول وسوسته فقوله تعالى انه ليس له سلطان الآية في معرض التعليل للامر بالاستعاذة واشارة الى ان الاستعاذة المأمور بها ليست عبارة عن مجرد القول الفارغ من الابتهال الى عصمة الله تعالى وتفويض الامر اليه معتقدا بانه لاحول عن معصية الله تعالى الا بعصمته ولا قوة على طاعته الا بتوفيقه وهذا الالتجاء والاعتقاد انما يكون بالايمان به اولا والتوكل عليه ثانيا فمن جمع بين الامرين لا يكون للشيطان عليه سبيل البتة ﴿ قوله يحبونه ويطيعونه ﴾ يقال توليته اذا واليته واطعته ومنه قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ويقال ايضا توليت عنه بمعنى اعرضت عنه يتعدى بنفسه اذا كان بمعنى الاطاعة والموالاة وبكلمة عن اذا كان بمعنى الاعراض ﴿ قوله بالله او بسبب الشيطان ﴾ يعني ان ضميره يحتمل ان يرجع الى ربهم ويكون الباء صلة مشركون محذوفا اى هم مشركون بالله من اجل الشيطان او بسبب حمله اياهم على الشرك والعصيان ﴿ قوله لفظا او حكما ﴾ يعني ان تبديل الآية مكان الآية قد يكون بان ينسخ تلاوة آية وينزل آية اخرى تلي بدلها وقد يكون بان ينسخ حكم آية من غير ان ينسخ تلاوة لفظها ويشرع مكانه حكم آخر والتبديل رفع الشئ مع وضع غيره مكانه والمراد به ههنا النسخ واعلم انه تعالى شرع ههنا في حكاية شبهات منكرى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال كان المشركون اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية اخرى تنسخها الى اخف منها يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا انما هو مفتر يتقوله من تلقاء نفسه فانزل الله تعالى هذه الآية والظاهر ان قوله تعالى والله اعلم بما ينزل اعتراض بين الشرط وجوابه جيء به توبيخا للكفار على قولهم انما انت مفتر اى اذا كان هو اعلم بما ينزل من المصالح فالهم ينسبون محمدا الى الافتراء بناء على تبديله آية مكان آية ونسخ بعضها ببعض مع ان ذلك مقتضى الحكمة البالغة والمصلحة اللائقة بكل وقت وزمان ويحتمل ان تكون جملة حالية من فاعل بدلنا اى بدلناها عالمين بما في التبديل من الحكمة والمصلحة وانما عدل عن التكلم الى الغيبة للاشارة الى علة العلم والمشركون نسبوه عليه الصلاة والسلام الى الافتراء بانواع من المبالغات وهى تصدير الجملة باداة الحصر على طريق قصر الموصوف على الصفة والخطاب والجملة الاسمية الدالة على الثبوت والاستمرار وحذف مفعول لايعلمون للعلم به اى لايعلمون حكمة الاحكام وما في تبديلها من المصالح والحكم ﴿ قوله كقولهم حاتم الجود ﴾ يعني حاتم جواد او صاحب جود وكذا روح القدس بمعنى روح مقدس او صاحب قدس اضيف الموصوف الى صفته للاشعار باختصاصه بها وانه ليس شأن سوى الاتصاف بها ﴿ قوله وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح بما يقتضي التبديل ﴾ يعني ان بناء فعل هنا يحمل التكرر في مهلة اى لوجود اصله شيأ فشيأ كدرجته الى كذا اذا بلغته اليه درجة درجة فتنزيل القرآن توزيع نزوله الى الاوقات بانزاله مدرجا على حسب المصالح وذلك يقتضي ان ينسخ حكم آية ويبدل مكانه آخر وذلك لان المصالح تختلف باختلاف الاوقات فلا جرم يكون انزاله متدرجا على حسب اختلاف المصالح مستلزما للنسخ والتبديل ومقتضيا اياه لما بين المشركون قولهم انما انت مفتر على اشتمال القرآن على النسخ والتبديل كان قوله قل نزله روح القدس واردا لبيان فساد سندهم لان ايثار اللفظ الدال على تدرج النزول للتنبيه على حقية النسخ والتبديل اشارة الى ما يقتضيهما والمعنى ان جبريل نزل بالقرآن من كلام ربك ملتبسا بالحق اى الامر الصحيح الثابت ليثبت الذين آمنوا بما فيه من الحجج والآيات فيزدادوا تصديقا ويقينا وقرئ ليثبت مخففا من اثبت ﴿ قوله وفيه تعريض الخ ﴾ اى وفي اثبات التثبيت والهدى والبشارة للمؤمنين تعريض بحصول اضدادها للمشركين وذلك لان قوله قل نزله روح القدس الآية جواب عن قول المشركين انما انت مفتر لما ارادوا بقولهم انما انت مفتر ان هذا ليس من كلام الله تعالى لان الله تعالى لايسخر من احد بان يأمره اليوم بشئ وينهاه غدا عنه بل هو من تلقاء نفسك واجيبوا بان هذا من الله تعالى وزيد في التصوير بان قيل نزله روح القدس ثم زيد قوله بالحق دفعا لطعنهم بالطف الوجوه اى تنزيلا ملتبسا بالحق والحكمة ومصالح الخلق ثم شنع على قبح افعالهم بان قيل ليثبت الذين آمنوا الخ تعريضا بان اضداد هذه الخصال حاصلة فيهم وانهم متزلزلون ضالون موبخون

(انما سلطانه على الذين يتولونه) يحبونه ويطيعونه (والذين هم به) بالله او بسبب الشيطان (مشركون واذا بدلنا آية مكان آية) بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما (والله اعلم بما ينزل) من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف (قالوا) اى الكفرة (انما انت مفتر) متقول على الله تأمر بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا (بل اكثرهم لايعلمون) حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب (قل نزله روح القدس) يعني جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح بما يقتضي التبديل (من ربك بالحق) ملتبسا بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) على الايمان بانه كلامه وانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم (وهدى وبشرى للمسلمين) المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف (ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر) يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي (لسان الذي يلحدون اليه اعجمي) لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي غير بين

متذرون بالخزى والنكال والمحن فى الدنيا والآخرة ليزيد فى غيظهم وضيقتهم وما احسن هذا البيان ثم انه تعالى
حكى شبهة اخرى من طاعنى نبوته عليه الصلاة والسلام بانه يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم يظهرها من نفسه ويزعم
انه انما عرفها بالوحى وهو كاذب فيه ثم انه تعالى اجاب عنه بان قال لسان الذى يلحدون اليه اعجمى الآية
واللسان وان كان اسما لجارحة التكلم الا ان العرب يطلقونه على اللغة والالحاد فى اللغة الميل يقال لحد اليه
وألحد اذا مال عن القصد ومنه يقال للعادل عن الحق ملحد وقرأ حمزة والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء
اى يميلون وقرأ الباقون بضم الياء وكسر الحاء والالحاد قد يكون بمعنى الامالة * قال صاحب الكشاف يقال
ألحد القبر ولحده فهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستواء والاستقامة فحفر فى شق منه ثم استعير لكل
امالة عن الاستقامة فقيل ألحد فلان فى قوله وألحد فى دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان
كلها فعلى هذا يكون كل واحد من ألحد ولحد متعديا وفسر هذه الآية بالقولين قال الفرآء يميلون اليه القرآن
او يميلون قولهم عن الاستقامة اليه وكون اللغة عبارة العجمية عبارة عن كونها مبهمة لا يتضح المراد منها
والاعجم الذى لا يفصح مراده ولا يبين كلامه وان كان عربيا واشار المصنف اليه بقوله لغة الرجل الذى
ذكروه لسان اعجمى غير بين ﴿ قوله ماتلقفه ﴾ اى اخذه وتناوله بسرعة يقال لقفت الشئ القفه لقفا
وتلقفته اذا تناولته بسرعة بين المصنف بطلان مازعمه المشركون من انه عليه الصلاة والسلام تعلم القرآن
من بشر ثم ادعى انه اوحى اليه بواسطة الملك بوجهين الاول ان القرآن المبين كيف يكون مأخوذا من لسانه اعجمى
غير بين ومن المعلوم ان المعانى المبينة الواضحة لا تؤخذ ممن لا تعرف لغته ولسانه والثانى انا سلمنا انه اخذ تلك المعانى
باستماع الكلام الاعجمى الذى لا يفهمه هو ولا اثم لكن لا نسلم انه اخذ منه لفظ القرآن ايضا لان لفظه لكونه
فى اعلى درجات الفصاحة والبلاغة يمتنع ان يكون كلام البشر ثم اشار الى بطلان ذلك بوجوه اخر الاول ان تعلم
مافى القرآن من العلوم الكثيرة والمعانى الدقيقة لا يتأتى ان يحصل فى بعض اوقات مرور المتعلم على المعلم بل يحتاج
الى ملازمته مدة متطاولة ولو كان الامر كذلك لاشتهر فيما بين الخلق انه عليه الصلاة والسلام تعلم من فلان وفلان
ولم يتفوه بذلك احد سواهم والثانى ان تعلم تلك العلوم الكثيرة المتعلقة باحوال جميع المكلفين فى السنين لا يتصور
الامن معلم بلغ فى غاية الفضل والتحقيق الى حيث يكون مشارا اليه بالبنان وتخضع له اهل الدنيا باجمعهم فكيف
يذهب الوهم الى تعلمها من غلام سوقى يدعى بعبد فلان باستماع كلمات اعجمية تعلمها لم يعرف معناها ﴿ قوله
واولئك اشارة الى الذين كفروا ﴾ لانهم المذكورون بقوله الذين لا يؤمنون او الى قريش لان سياق الكلام فيهم
لانهم هم الذين قالوا انما انت مفتر وقالوا انما يعلمه بشر والمشار اليه على الاول وان كان متناولا لقريش وغيرهم
الا انهم يدخلون فيه دخولا اوليا ولما ورد ان يقال انه تعالى اثبت افترآء الكذب للذين لا يؤمنون حيث قال انما
يفترى الكذب الذين لا يؤمنون فما فائدة قوله بعد ذلك واولئك هم الكاذبون اليس هو مستدركا خاليا عن
الفائدة * نبه بهذا الكلام على وجه يندفع به الاستدراك ووجه الدفاع على تقدير ان تكون الاشارة الى قريش
ظاهر لانهم لما نسبوا الكذب والافترآء اليه عليه الصلاة والسلام بقولهم انما انت مفتر قلب الله تعالى ذلك الامر
عليهم وجعل قوله انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون مقدمة كلية يتفرع عليها المقصود كانه قيل انهم
لا يؤمنون بآيات الله وكل من لا يؤمن بها فهم الذين يفترون الكذب فقريش هم المفترون الكاذبون لا انت فلا
استدراك ووجه الدفاع على تقدير ان تكون الاشارة الى قوله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله لعنادهم
ومكابرتهم انهم كانوا يعاندون بآيات الله ويكابرونها ويكذبون مع علمهم انها آيات الله لان مضمون الجملة الاولى
عاما ويحتمل ان يكون فى قوم علم الله انهم لا يؤمنون بآيات الله ويموتون عليه فى علم الله منه ذلك لا يهديه
اذافترآء الكذب لا يصدر الا من الذين لا يؤمنون بآيات الله ولا يصدر عمن آمن بها لان خوف العقاب اذا
ردعه عنه ومضمون الثانية خص الجماعة الذين يعرفهم المخاطب بانهم الكاذبون من الذين كفروا بآيات الله
على ان يكون تعريف الكاذبين للعهد الخارجى واشار المصنف اليه بقوله هم الكاذبون على الحقيقة وان كان
التعريف الذى فيه تعريف الجنس والحقيقة بان يكون الكاذبون اشارة الى مايعرفه كل احد من حقيقة الكاذبين
وخصوصياتهم يكون مضمون الثانية خص تلك الحقيقة بهم مبالغة كما فى قولك عمرو الشجاع اى الكامل
فى الشجاعة تبرز الكلام فى صورة توهم ان الشجاعة منحصرة فيه لا تتجاوز الى غيره لعدم الاعتداد بشجاعة غيره

(وهذا) القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمى لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربى تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ماتلقفه منه وثانيهما هب انه يفهم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذاك اعجمى وهذا عربى والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التى فى القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق فى تلك العلوم مدة متطاولة فكيف يتعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم فى القرآن باشال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) لا يصدقون انها من عند الله (لا يهديهم الله) الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعدما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه (واولئك) اشارة الى الذين كفروا او الى قريش (هم الكاذبون) اى الكاذبون على الحقيقة او الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون فى قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر

(لتصوها)

لقصورها عن رتبة الكمال وكذا الحال في قوله تعالى واولئك هم الكاذبون واليه اشار بقوله او الكاملون في الكذب وعلى التقدير ين تقيد الجملة الثانية غير ماتقيده الاولى فلا استدراك وكذا ان اريد بالثانية اولئك الذين عادتهم الكذب واستمروا عليه بناء على انه عبر عن المسند في الجملة الاولى بلفظ الفعل الدال على الحدوث وعدم الدوام وفي الثانية عدل الى الجملة الدالة على الاستمرار والوجه الرابع لاندفاع الاستدراك ان ماثبت للذين كفروا في الجملة الاولى هو مطلق الكذب وماثبت لهم في الثانية هو الكذب الخصوصي الواقع في قولهم انما انت مفتر وانما يعلمه بشر وفي الآية دليل على ان الكذب من اكبر الكبائر وافحش الفواحش لان كلة انما للحصر فدلت على ان الكذب والفرية لايقدم عليه الامن كان كافرا بآيات الله وهذا تهديد عظيم روى الامام محيي الدين والسنة في تفسيره ان عبدالله بن جراد قال قلت يارسول الله المؤمن يزني قال «قديكون ذلك» قلت المؤمن يسرق قال «قديكون ذلك» قلت المؤمن يكذب قال «لا» قال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله ﴿قوله بدل من الذين لايؤمنون﴾ فان قلت كيف يكون بدلا منه مع ان قوله تعالى انما يفترى الكذب رد لقول قريش انما انت مفتر وهم ماكفروا بعد الايمان «اجيب عنه بان قوله تعالى من بعد ايمانه المراد منه من بعد تمكنه من الايمان كقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اذلاهدى لهم بل تمكنهم من الهدى والاعراض عن الايمان بعد التمكن منه على سبيل العناد والتمرد ابلغ في ابطال مقالتهم كأنه قيل انما يفترى الكذب من كفر بالله عنادا بعد تمكنه من الايمان الصحيح المستند الى الدليل القاطع والبرهان الساطع واستثنى منه المكره فلم يدخل تحت من افترى الكذب ﴿قوله او مبتدأ خبره محذوف﴾ تقديره فعليه غضب حذف لدلالة مابعد من الثانية عليه وكذا ان كانت من شرطية حذف جوابها اعتمادا على دلالة مابعد من فان جواب من شرح يدل عليه تقديره فعليهم غضب الامن اكره لكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب اى فتح صدره ووسعه لقبول الكفر وطابت به نفسه واصل الشرح بسط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحت الكلام المشكل اى بسطته واظهرت معانيه ومنه شرح الصدر وصدرا منصوب على التمييز والاصل شرح صدره فاسند الفعل الى المضاف اليه وانتصب صدرا على التمييز وقال الامام انتصب صدرا على انه مفعول لشرح والتقدير ولكن من شرح بالكفر صدره وحذف الضمير لانه لايشكل بصدر غيره اذالبشر لايقدر على شرح صدر غيره فهو نكرة ويراد به المعرفة ﴿قوله استثناء متصل﴾ لان من اكره على كلة الكفر داخل في جنس من كفر لان الكفر لغة يعم القول والعقد ﴿قوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان﴾ جملة حالية اى الامن اكره في هذه الحالة ووجه الاستدراك في قوله ولكن من شرح بالكفر دفع توهم ان من اكره من غير اعتقاد له او مع اعتقاد والعياذ بالله مستثنى من استحقاق الغضب والعذاب العظيم وقوله وقلبه مطمئن لايبقى ذلك الوهم فاحتيج الى الاستدراك لدفع ذلك الوهم روى عن مجاهد انه قال اول من اظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وسمية رضوان الله عليهم اجمعين اما الرسول فنعه ابوطالب واما ابوبكر فنعه قومه واخذوا الآخرين والبسوهم ادرع الحديد ثم اجلسوهم في الشمس فبلغ منهم الجهد بحر الحديد والشمس واتاهم ابوجهل يشتمهم ويوبخهم وشتم سمية ثم طعن بالحربة في فرجها وقال الآخرون ماقالوا الهم غير بلال فانهم جعلوا يعذبونه ويقول احد احد حتى ملوه فتركوه قال عمار كنا تكلم بالذى ارادوا غير بلال هانت عليه نفسه فتركوه وقال خباب لقد اوقدوا الى نارا ما اطفاها الاودك ظهرى قال الامام قوله تعالى فعليهم غضب معناه انه تعالى حكم عليهم بالعذاب ثم وصف ذلك العذاب فقال ولهم عذاب عظيم اذلا اعظم من جرمه لان الغضب لكونه من الكيفيات النفسانية المستحيلة في حقه تعالى يراد غايته وهى العذاب فيكون فائدة قوله ولهم عذاب عظيم توصيف ذلك بالعظم ﴿قوله اى الكافرين في علمه﴾ فالمعنى انه تعالى لايهدى الى مايوجب ثبات الايمان ولايعصم من الزيغ والميل عن الحق من علم الله انه يختار الكفر وان يموت عليه واذا كان كل واحد من ايثار الامور الدنيوية وعدم هدايتهم الى مايوجب الثبات على الحق سببا للكفر بعد تبين الحق وقبوله يكون سببا لما يترتب عليه من العذاب العظيم ثم انه تعالى بين طريق عدم هدايتهم الى مايوجب الثبات على الحق بقوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اى خلق في قلوبهم ومشاعرهم لاطبع عليها حقيقة فان القلوب والمشاعر لاتقبل حقيقة الطبع ثم وصفهم بكمال الغفلة حيث حصر حقيقة الغفلة فيهم بحيث لاتتجاوزهم الى غيرهم وذلك اما لكونهم كاملين في الغفلة

(من كفر بالله من بعد ايمانه) بدل من الذين لايؤمنون ومابينهما اعتراض او من اولئك اومن الكاذبون اومبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوزان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب (الامن اكره) على الافتراء اوكلة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان (وقلبه مطمئن بالايمان) لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) اعتقده وطاب به نفسا (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) اذلا اعظم من جرمه روى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ماارادوا مكرها فقيل يارسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فقال مالك ان عادوا لك فعدلهم بماقلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يجتنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لماروى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ماتقول في محمد قال رسول الله قال فماذا تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ماتقول في محمد قال رسول الله قال فماتقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاله (ذلك) اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد (بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) بسبب انهم آثروها عليها (وان الله لايهدى القوم الكافرين) اى الكافرين في علمه الى مايوجب ثبات الايمان ولايعصمهم من الزيغ (اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم) فأبت عن ادراك الحق والتأمل فيه (واولئك هم الغافلون) الكاملون في الغفلة عمايراد بهم اذاغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب (لاجرم انهم في الآخرة هم الخاسرون) اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد

بحيث لاتعد غفلة غيرهم فى جنب غفلتهم فان من اتصف بما ذكر من الاستحقاق لغضب الله تعالى وعذابه العظيم وايثار الحياة الدنيا على الحياة الآخرة والحرمان من هداية الله تعالى وكونه مطبوعا على قلبه ومشاعره ثم غفل عما يراد به من العذاب الشديد الدائم فى الآخرة تكون غفلته اشد واكمل ويكون عن الطاعات وتحصيل اسباب السعادات الابدية ابعد فلاجرم يكون فى الآخرة اخسر ثم انه تعالى لما ذكر حال من كفر بالله بعد ايمانه وحال من اكره على الكفر فاظهر الكفر حذرا من الهلاك ذكر بعده حال من اظهر الكفر مكرها اذا هاجروا وجاهدوا وصبروا وحال من آذى المسلمين واكرههم وحملهم على الارتداد على القرآءتين فى قوله من بعد مافتنوا فقال ثم ان ربك للذين هاجروا الآية ﴿قوله بالولاية والنصر﴾ اشارة الى ان قوله تعالى للذين هاجروا خبر ان كما تقول انا زيدا لك اى هو لك لاعليك بمعنى هو ناصر لك لاخاذل لك ﴿قوله تجادل من ذاتها﴾ اشارة الى ان النفس الثانية عبارة عن ذات الشخص وعينه وحقيقته والنفس الاولى من جسد الشخص وجثته فليس النفس نفس اخرى تضاف احداهما الى الاخرى روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار خوفنا قال يا امير المؤمنين والذى نفسى بيده لو وافيت فى القيامة بعمل سبعين نبيا لاتت عليك امارات وانت لاتهمك الانفسك وان لجهنم زفرة مايبقى ملك مقرب ولانبى مرسل الاوقع جاثيا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا اسألك الانفسى وان تصديق ذلك قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها والسعى فى خلاصها ﴿قوله اى وجعلها﴾ اشارة الى ان ضرب عدى الى مفعولين اولهما القرية الموصوفة وثانيهما مثلا لتضمين ضرب معنى جعل فان ضرب المثل اعتماله ووضعه من ضرب اللبن والخاتم فلا يتعدى الا الى مفعول واحد فلما عدى ههنا الى مفعولين احتيج الى اعتبار التضمين والمراد بالقرية اهلها بقرينة ما اسند اليها من كفران النعم والجوع والخوف وقوله بما كانوا يصنعون لما هدد الله تعالى الكفار بالوعيد الشديد الواقع فى الآخرة هددهم ايضا بآفات الدنيا وهى الوقوع فى الجوع والخوف ، واعلم ان المثل قد يضرب بشئ موصوف بصفة معينة سوآء كان الشئ موجودا اولم يكن لان المثل انما يضرب لترغيب المكلف فى الاتصاف بتلك الصفة او لتنفيره عنها ولامدخل فى ذلك الترغيب والترهيب لتحقق تلك الصفة فى شئ بعينه كما فى قوله ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها وقد يضرب بشئ معين فالمقصود ضرب القرية الموصوفة مثلا سوآء كان ترهيب كل قوم انعم الله عليهم فكفروا فانزل الله تعالى بهم نقمته او ترهيب كفار مكة بخصوصهم ولايلزم ان تكون القرية الموصوفة الممثل بها قرية من قرى الاولين بل قرية كانت حالها كذلك فضربها الله مثلا لاهل مكة او لكل قوم شأنهم كشأن اهل مكة وان لايكون موجودا فى قرى الاولين مثلها بل بقدر قرية على هذه الصفة فيضرب بها المثل ثم ان اهل مكة قدابتلاهم الله تعالى بما ذكر من المحن فانهم كانوا آمنين لاتغار عليهم العرب بل كانوا يحترمونهم ويخصونهم بالتعظيم والتكريم لكونهم اهل حرم الله مع انهم كانوا يغير بعضهم على بعض وكانوا مطمئنين فى بلدهم من حيث ان ذلك البلد كان ملائما لامزجتهم فاطمأنوا اليه واستقروا فيه من غير اضطراب وانزعاج وكان يأتيهم رزقهم رغدا من كل مكان وهذه النعم الثلاث جمعها من قال ثلاثة ليس لها نهاية ، الامن والصحة والكفاية ، فقوله تعالى آمنة اشارة الى الامن وقوله مطمئنة اشارة الى الصحة وقوله يأتيها رزقها اشارة الى الكفاية والمفهوم من كلام المصنف ان يكون الاطمئنان اثر الامن ولازمه من حيث ان الخوف يوجب الانزعاج وينافى الاطمئنان ثم انه تعالى زاد على هذه النعم المذكورة فى حق اهل مكة حيث بعث فيهم رسولا من انفسهم ينذرهم عما يوجب العذاب الاليم ويدعوهم الى النعيم المقيم فكفروا به وبالغوا فى ايذآئه فسلط الله عليهم البلاء وابتلاهم بالجوع سبع سنين وقطعت عنهم العرب الميرة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا واكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعلهز وهو الوبر الذى يعجن بالدم وابتلاهم الله تعالى بالخوف حيث كان عليه الصلاة والسلام يبعث اليهم السرايا فيغيرون عليهم ﴿قوله استعار الذوق﴾ لما كان فى الآية اشكال من حيث ان الله تعالى اوقع الاذاقة على اللباس مع ان اللباس ليس مما يدرك بالذوق ثم اضاف اللباس الى الجوع والخوف وليس لهما لباس فكيف صحت اضافة اللباس اليهما اشار المصنف الى دفع الاشكال المذكور بان جعل الذوق مستعارا لادراك اثر الضرر بان شبه ادراك الانسان اثر مايضره باحساس طعم الشئ المر بالفم الذى هو الذوق فاطلق على المشبه الذى هو امر عقلى اسم المشبه به وهو الذوق وجعل اللباس مستعارا لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف بان شبه مايغشى الانسان

(ويلتبس)

(ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا) اى عذبوا كعمار رضى الله تعالى عنه بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء من حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اى بعد ماعذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا (ثم جاهدوا وصبروا) على الجهاد وما اصابهم من المشاق (ان ربك من بعدها) من بعد الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لمافعلوا قبل (رحيم) منعم عليهم مجازاة على ماصنعوا بعد (يوم تأتى كل نفس) منصوب برحيم او باذكر (تجادل عن نفسها) تجادل عن ذاتها وتسعى فى خلاصها لايهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى (وتوفى كل نفس ماعملت) جزآء ماعملت (وهم لايظلمون) لاينقصون اجورهم (وضرب الله مثلا قرية) اى وجعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم النقمة او لمكة (كانت آمنة مطمئنة) لايزعج اهلها خوف (يأتيها رزقها) اقواتها (رغدا) واسعا (من كل مكان) من نواحيها (فكفرت بانعم الله) بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف

ويلتبس به من اثر الجوع والخوف باللباس الحقيقى والجامع بينهما كونهما مشتملين على الانسان وغاشيين له ثم اطلق اسم اللباس على مايغشى الانسان من اثرهما وجعل اضافته اليها قرينة صارفة عن ارادة المعنى الحقيقى فكل واحد من الاذاقة واللباس استعارة مغايرة لاستعارة الآخر ثم اوقعت الاذاقة المستعارة على اللباس المستعار بان جعل اللباس مفعولا للاذاقة بالنظر الى المستعار له يعنى ان الاذاقة بمعنى الاصابة والايصال وان لم تكن ملائمة للمعنى الذى استعير منه اللباس لكنها ملائمة للمعنى الذى استعير له اللباس وهو اثر الخوف والجوع الذى يغشى الانسان كما يغشاه اللباس فاوقعت الاذاقة بمعنى الاصابة على اللباس فاطلاق الاذاقة بمعنى الاصابة او الايصال على اللباس بالمعنى المجازى بطريق التجريد لكونها ملائمة لما هو اثر الجوع والخوف فان الاستعارة على ثلاثة اقسام مطلقة ومجرّدة ومرشّحة فالمطلقة مالم تقرن بصفة مما يلائم المستعار له او المستعار منه والاستعارة المجرّدة ماقرنت بما يلائم المستعار له كقوله * غمر الردآء * اى كثير العطايا استعير الردآء للعطاء من حيث انه يصون عرض صاحبه كما يصون الردآء مايلقى عليه ثم وصف الردآء بالغمر الذى يلائم العطاء دون المعنى المستعار منه وهو الردآء الحقيقى تجريد والاستعارة المرشّحة ما قرنت بما يلائم المستعار منه كقوله

* ينازعنى ردآئى عبد عمرو * رويدك يا اخا عمرو بن بكر *
* لى الشطر الذى ملكت يمينى * ودونك فاعتجر منه بشطر *

استعار الرداء للسيف والاعتجار لف العمامة على الرأس من غير ادارة تحت الحنك ثم اوقع الاعتجار على شطر الردآء بالنظر الى المستعار منه لكونه ملائما للردآء الحقيقى ومعنى البيت ينازعنى سيفى عبد عمرو ويريد ان يأخذه منى فقلت له رويدك لى الشطر الاعلى من السيف وهو طرفه الذى فى يمينى وخذ انت الطرف الآخر منه فاعتجر اى لف رأسك ﴿قوله فغلقت لضحكته رقاب المال﴾ اى بقيت رقاب الرهن فى يد المرتهن ولم يتأت للممدوح فكهامنه يقال غلق الرهن اذا استحقه المرتهن وذلك اذا لم يفك فى الوقت المشروط يقول اذا ضحك ضحكة ايقن السائل انه بذلك التبسم استغلق رقاب ماله ويعطى بلا خلاف ﴿قوله بعدما زجرهم عن الكفر﴾ اشارة الى ان الفاء فى قوله تعالى فكلوا للتفريع مابعدها على ماذكر قبلها من التمثيل وما حل بهم من العذاب حال التباسهم بالظلم كانه قيل اذا تبين لكم مضمون التمثيل وتحقق عندكم ان ما حل بهم بسبب التباسهم بالظلم فاتركوا الشرك والظلم حتى تأكلوا وتشكروا وامتنعوا عن صنع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة بعدما علمتم وخامة عاقبتها ﴿قوله عدد عليهم محرّماته ليعلم ان ماعداها حل لهم﴾ اعلم انه تعالى حصر المحرّمات فى هذه الاربعة فى هذه السورة وحصرها ايضا فى هذه الاربعة فى سورة الانعام حيث قال قل لا اجد فيما اوحى الىّ محرّما على طاعم وهاتان السورتان مكيتان وحصرها ايضا فى هذه الاربعة فى سورة البقرة وحصرها ايضا فى هذه الاربعة فى سورة المائدة فانه تعالى قال فى اول تلك السورة احلت لكم بهيمة الانعام الا مايتلى عليكم فاباح الكل الا مايتلى عليهم واجمعوا على ان المراد بقوله الا مايتلى عليكم هو قوله تعالى فى تلك السورة حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فذكر تلك الاربعة المذكورة فى تلك السور الثلاث ثم قال والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وهذه الاشياء داخلة فى الميتة ثم قال وما ذبح على النصب وهو احد الاصناف الداخلة تحت قوله وما اهل لغير الله به فثبت ان السور الاربع دالة على حصر المحرّمات فى هذه الاربعة سورتان مكيتان وسورتان مدنيتان فان سورة البقرة مدنية وسورة المائدة من آخر مانزل بالمدينة فمجموع مانزل فى مكة والمدينة دال على انحصار المحرّمات فيها وما زيد عليها فبدليل شرعى يثبت الحكم به وما ذهب اليه الكفار من زيادة المحرّمات على هذه الاربعة بلا شرع ثابت مقرّر لا يصح القول بزيادته اذ هو قول مزيف فانهم كانوا يحرّمون البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا يقولون مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرّم على ازواجنا فحرّموها ذهابا الى زيادة المحرّمات باهوآئهم وجهالاتهم متجاوزين عن اتباع ماشرعه الله تعالى على لسان انبيائه وزادوا ايضا فى المحللات حيث حللوا الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله فبين الله تعالى ان المحرّمات هى هذه الاربعة واكد هذا البيان بالنهى عن التحريم بمجرّد اهوآئهم فقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴿قوله تعالى حلالا طيبا﴾ قال بعضهم الحلال والطيب واحد كانه قال كلوا ما احل لكم فهو كقوله تعالى فانكحوا ماطاب لكم اى ما حل لكم وقال بعضهم الطيب ما تستطيبه النفس وتتلذذ به لان من الحلال ما لا تتلذذ به النفس بل تكرهه فانه تعالى جعل غذآء

واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير * غمر الردآء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال * فانه استعار الردآء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الردآء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لا وصف الردآء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله

ينازعنى ردآئى عبد عمرو *
رويدك يا اخا عمرو بن بكر *
لى الشطر الذى ملكت يمينى *
ودونك فاعتجر منه بشطر *

استعار الردآء للسيف ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار (بما كانوا يصنعون) بصنيعهم (ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ماذكر مثلهم (فاخذهم العذاب وهم ظالمون) اى حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعدما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة (واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته (انما حرّم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرّماته ليعلم ان ماعداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل باهوآئهم فقال (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) كما قالوا مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية وسياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة الا ما انضم عليه دليل كالسباع والحمر الاهلية

والتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اى ولاتقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لاتقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اى ولاتقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب اى ولاتحرموا ولاتحللوا بمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل و وصف ألسنتهم بالكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة وألسنتهم تصفها وتعرّفها بكلامهم هذا ولذلك عدّ من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجرّ بدلا مما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب (لتفتروا على الله الكذب) تعليل لايتضمن الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون) لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله (متاع قليل) اى مايفترون لاجله او ماهم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب (ولهم عذاب اليم) فى الآخرة

البشر ماهو اطيب والذ وجعل للبهائم والانعام ماهو اخبث واخشن ولاشك ان ماهو اطيب والذ انعم نعمة وادعى الى الشكر وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ اى فمن اضطر الى تناول ماذكر من المحرمات وقيل معناه غير باغ على الوالى ولامتعد على الناس بالخروج لقطع الطريق فعلى هذا لايباح تناول شئ من المحرمات فى سفر المعصية ﴿قوله واتصاب الكذب بلا تقولوا﴾ على انه مفعول به ويحتمل ان يكون مفعولا مطلقا فان القول قد يتعدى وقد لايتعدى فهو مفعول به والا فمفعول مطلق فعلى هذا تكون ما موصولة واللام صلة لقوله لاتقولوا اى لاتقولوا الكذب لما تصفه السنتكم من البهائم وذلك الكذب هو ان تقولوا فى حقها هذا حلال وهذا حرام ومتعلقة بتصف بان يكون مسوقا لبيان الوصف الذى تبينه الالسنة فالفاء فى قول المصنف فتقول كالفاء التى فى قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم فان الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ماقبلها فى الذكر لان مضمون مابعدها واقع عقيب مضمون ماقبلها فى الزمان كقوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين فان ذكر ذم الشئ ومدحه انما يصح بعد جرى ذكره ومن هذا الباب عطف تفصيل المجمل كقوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى فان موضع ذكر التفصيل بعد الاجمال ومنه قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون فان مجيئ البأس تفصيل الاهلاك المجمل وما نحن فيه من هذا القبيل فان قول الالسنة هذا حلال وهذا حرام تفصيل لوصف الذى اسند اليها فكلمة ما ايضا موصولة واللام صلة ولا تقولوا ﴿قوله او مفعول لاتقولوا﴾ عطف على قوله بدل منه وقوله لوصف السنتكم الكذب اشارة الى ان اللام فى قوله لما تصف للتعليل والمعنى لاتقولوا هذا حلال وهذا حرام لاجل وصف السنتكم الكذب اى لاجل قول تنطق به السنتكم من غير حجة * فان قيل حمل الآية على هذا الوجه يؤدى الى التكرار لان قوله لتفتروا على الله الكذب عين قولك لاجل وصف السنتكم الكذب * فالجواب ان قوله لما تصف ألسنتكم ليس فيه بيان انه كذب على الله فاعاد قوله لتفتروا على الله الكذب ليفيد هذا البيان الزائد ونظيره فى القرآن كثير فانه تعالى يذكر كلاما ثم يعيده بعينه مع فائدة زائدة ﴿قوله ووصف السنتهم بالكذب﴾ جواب عما يقال الكذب مصدر لكذب والالف واللام فيه لتعريف الحقيقة والسنتهم لاتصف اى لاتوضح ولاتبين حقيقة الكذب وماهيته بل تتكلم كلاما موصوفا بالكذب فما وجه كون الكذب مفعول تصف * وتقرير الجواب ثم ان مقتضى الظاهر ان يقال بما تصف السنتكم الكلام الكاذب ونظيره الا انه جعل الظاهر التبين بالسنتهم نفس الكذب وحقيقته مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب فان اصل الكلام عما تصف السنتكم الكلام الكاذب ثم عدل عنه فقيل الكلام الكذب مبالغة على طريق رجل عدل ثم حذف الموصوف واقيم الكذب مقامه فقيل لما تصف السنتكم الكذب كما يقال وجهها يصف الجمال * مع ان وجهها انما يظهر الشكل المخصوص الموصوف بالجمال لانفس الجمال وحقيقة الا ان وجهها لما كان فى نهاية الحسن والجمال صار كأنه عين حقيقة الجمال فاذا وصف الشكل الجميل صح ان يقال انه وصف نفس الجمال وكذلك العين لما كانت تشبه الساحر وتصفه كال المشابهة والتوصيف صح ان يقال انها تصف السحر ﴿قوله وقرئ الكذب بالجرّ بدلا من ما﴾ قال ابو البقاء ويقرأ بفتح الكاف وكسر الذال والباء على البدل من جعلها مصدرية او بمعنى الذى انتهى اى ولاتقولوا لوصف السنتكم الكذب او للذى تصف السنتكم الكذب والمراد من كونه بدلا من ما المصدرية كونه بدلا منها مع مافى حيزها اى من المصدر المنسبك منها وهو وصف السنتكم ﴿قوله والكذب﴾ اى وقرئ الكذب بضم الكاف والذال ورفع الباء على انه صفة الالسنة جمع كذوب كصبور وصبر او جمع كاذب كشارف وشرف او جمع كذاب نحو كتاب وكتب وهو مصدر بمعنى الكذب قال والمرتيمعه كذابه * اى كذبه وقرئ الكذب بفتحتين ونصب الباء بتقدير اعنى قصد الذم الالسنة او بمعنى الكلم الكواذب اى ولما تصف السنتكم الكلم الكواذب ﴿قوله تعليل لايتضمن الغرض﴾ يعنى ان اللام فيه لام العاقبة والصيرورة لا التعليل الصريح اذ ليس الافتراء على الله غرضا لهم من التحريم والتحليل من غير حجة بل كانوا ينسبون ذلك التحريم والتحليل اليه تعالى ويقولون انه تعالى امرنا بذلك فكان عاقبة قولهم هذا افتراء على الله تعالى ثم انه تعالى اوعد المفترين فقال ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون ثم بين ان ماهم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال متاع قليل اى ماتمتعون به من نعيم الدنيا شئ قليل فى ذاته ويحسب

مدّة الانتفاع به بل متاع كل الدنيا قليل ثم انه تعالى لما بين ما يحل ويحرم لاهل الاسلام اتبعه ببيان ما خص اليهود بتحريمه فقال وعلى الذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك من قبل اى من قبل تحريمنا على اهل ملتك ما عددناه من المحرّمات ﴿قوله كما يكون للمضرّة﴾ اى لمضرّة ما حرّم بل اكده فان ما حرّم على المسلمين لم يحرّم عليهم الا صونا لهم عن مضرّته بخلاف اليهود فانه حرّم عليهم ما حرّم جزآء لبغيهم وعقوبة على ظلمهم وقال ايضا ذلك جزيناهم ببغيهم ثم انه تعالى لما بالغ فى تهديد المشركين على انواع قبائحهم من انكار البعث والنبوّة وكون القرآن العظيم من عند الله وتحريم ما احل الله وتحليل ما حرّمه ونحو ذلك بين ان امثال تلك القبائح لا تمنعهم من قبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة اذا ندموا على ما فعلوا وآمنوا واطاعوا ولم يختر للجهالة متعلق لتم كل جهالة وكل من يفعل السوء فانما يفعله ملتبسا بالجهالة اما الكفر فلأن احدا لا يرضى به مع العلم بكونه كفرا وانه مالم يعتقد ان ما هو عليه حق لا يختاره ولا يثبت عليه واما المعصية فما لم تصر الشهوة غالبة على العقل والعلم لم تصدر تلك المعصية فثبت ان كل من عمل السوء فانما قدم عليه بسبب الجهالة فلذلك قيل كل من عصى الله فهو جاهل ثم انه تعالى لما زيف فى هذه السورة مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوّة وتحريم ما احله الله تعالى ذكر فى آخر السورة من هو رئيس الموحدين ووصفه باوصاف شريفة وطريقة حسنة مقبولة لذوى العقول ليكون ذكره حاملا لهؤلاء المشركين على الاقرار بالتوحيد والاقتدآء به فى الاتصاف بما له من الفضائل والكمالات فقال ان ابراهيم كان امّة قانتا لله الآية سميت الامّة امّة لكثرة افرادها وفى الحديث «لولا ان الكلاب امّة لامرت بقتلها» جعل الله ابراهيم عليه الصلاة والسلام امّة لتشبيهه بالامّة من حيث اجتماع فضائل لا تكاد توجد الامتفرّقة فى جماعة فان ذلك ليس ببديع من قدرة الله تعالى كما قال الشاعر

۞ وليس من الله بمستنكر ۞ ان يجمع العالم فى واحد ۞

يعنى ان الله تعالى قادر ان يجمع فى واحد ما فى الناس من انواع الفضل والكمال والدامغة اسم الشجة بلغت ام الدماغ وهى الجلدة التى تجمع الدماغ شبه المذاهب الزائفة باشخاص لها رؤس مشتملة على الدماغ وشبه ابطال حجج تلك المذاهب شجها شجة دامغة فاطلق اسم الدمغ على الابطال المذكور ثم اشتق من الدمغ بمعنى الابطال لفظة الدامغة بمعنى المبطلة فجعل هذه الاستعارة التبعية تخييلا لما اضمر من تشبيه المذاهب الزائفة بالاشخاص المذكورة وهذا التشبيه المضمر فى النفس هو الاستعارة بالكناية عند الخطيب الدمشقى ﴿قوله ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين﴾ اى ولاجل كونه عليه الصلاة والسلام رئيس الموحدين جعل الله تعالى ذكره عليه الصلاة والسلام بحيث يعقب التزييف ويخلفه على ان قوله تزييف ثانى مفعول عقب يقال عقبه مخففا يعقبه بمعنى خلفه يخلفه وعاقب كل شئ آخره الذى يخلفه ويكون بعده وبالتضعيف يتعدى الى اثنين وان شئت قلت عقب ذكره تزييف بان يجعل عقب ثلاثيا وذكره مرفوعا على انه فاعل عقب وتزييف منصوبا على المفعولية ﴿قوله او لانه كان وحده مؤمنا﴾ فعيلا لا مفعولا لرحلة بضم الرآء الذى يرحل اليه يقال انتم رحلتى اى الذين ارتحل اليهم والنخبة المنتخب يقال جاءنى نخبة اصحابه اى خيارهم فان كان امّة فعلة بمعنى المفعول يكون اما بمعنى المأموم اى المقصود الذى يؤمّه الناس اى يقصدونه ليأخذوا منه الخير الجوهرى الأم بالفتح القصد يقال امّه يؤمّه اذا قصده واما بمعنى المؤتم به المقتدى به الجوهرى امّت القوم فى الصلاة امامة وائتم به اى اقتدى وصف الله تعالى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بتسع صفات الصفة الاولى انه كان امّة اى كالامّة من حيث اجتماع فضائل لا تكاد توجد الامتفرّقة فى الجماعة والثانية كونه قانتا لله تعالى اى مطيعا له قائما بما امره قال الراغب القنوت لزوم الطاعات مع الخضوع وفسر بكل واحد منهما فى قوله تعالى كل له قانتون قيل خاضعون وقيل طائعون والثالثة كونه حنيفا اى مائلا عن الملل الى ملة الاسلام والرابعة انه لم يكن من المشركين وكيف يكون مشركا وقد كان اكبر همته فى حال صغره وكبره مصروفا الى تقرير دلائل ثبوت الصانع ووحدته حتى قابل ملك زمانه واقام عليه الحجج والبراهين الدالة على وجود الآله القادر على كل شئ مثل قوله ربى الذى يحيى ويميت وقوله فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ثم ابطل عبادة الاصنام والكواكب بقوله لا احب الآفلين ثم كسر تلك الاصنام حتى آل الامر الى ان ألقوه فى النار ثم طلب من الله تعالى ان يريه كيفية احياء الموتى ليحصل له مزيد الطمأنينة ومن وقف على علم القرآن علم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان مستغرقا

(وعلى الذين هادوا حرّمنا ما قصصنا عليك) اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذى ظفر (من قبل) متعلق بحرّمنا او بقصصنا (وما ظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون للمضرّة يكون للعقوبة (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) بسببها او ملتبسين بها لتعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافترآء على الله وغيره (ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على الانابة (ان ابراهيم كان امّة) لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الامتفرّقة فى اشخاص كثيرة كقوله

وليس من الله بمستنكر ۞
ان يجمع العالم فى واحد ۞

وهو عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائفة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوّة وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امّه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمّونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله انى جاعلك للناس اماما (قانتا لله) مطيعا له قائما باوامره (حنيفا) مائلا عن الباطل (ولم يك من المشركين) كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم صلوات الله عليه (شاكرا لانعمه) ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة (اجتباه) للنبوّة (وهداه الى صراط مستقيم) فى الدعوة الى الله (وآتيناه فى الدنيا حسنة) بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة (وانه فى الآخرة لمن الصالحين) لمن اهل الجنة كما سأله بقوله وألحقنى بالصالحين

في بحر التوحيد والخامسة كونه شاكرا لانعامه روى انه عليه الصلاة والسلام كان لا يتغدّى الامع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فأخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله تعالى على انه عافاني مما ابتلاكم فلولا قوة عزمكم على الصبر على ما اصابكم لما ابتلاكم بهذا البلاء والسادسة ما دل عليه قوله اجتباه اى اصطفاه للنبوة واختاره للخلة والسابعة ما دل عليه قوله وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله والترغيب في الدين الحق والترهيب والتنفير عن الدين الباطل والثامنة ما دل عليه قوله وآتيناه في الدنيا حسنة قال قتادة ان الله تعالى حببه الى كل الخلق وكل اهل الاديان يتولونه اى يحبونه ويفتخرون بالانتساب اليه اما المسلمون واليهود والنصارى فظاهر واما كفار قريش وسائر العرب فانه لا فخر لهم الا به وذلك لانه تعالى اجاب دعاءه في قوله واجعل لى لسان صدق في الآخرين حتى قال من يصلى منا كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم والتاسعة قوله وانه في الآخرة لمن الصالحين اجاب الله تعالى دعاءه في قوله رب هب لى حكما وألحقني بالصالحين وكونه من الصالحين لا ينفي كونه في اعلى مقامات الصالحين ثم انه تعالى لما وصفه بهذه المدائح التسع وصفه بفضيلة عاشرة هي اجل واشرف من المدائح السابقة وهي ان يكون سيد الانبياء والمرسلين عليه وعليهم صلوات الله وسلامه اجمعين مأمورا باتباع ملته فكلمة ثم للتنبيه على ان منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى من منزلته عليه الصلاة والسلام وكون نبينا صلى الله عليه وسلم مأمورا باتباع ملته لا ينافي اختصاصه بفضائل اخر يفضل بها على جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام واصل الملة الدين لقوله عليه الصلاة والسلام لا يتوارث اهل ملتين اى اهل دينين ﴿قوله حنيفا في التوحيد﴾ اشارة الى ان قوله حنيفا حال من المضاف اليه وامتناع الحال من المضاف اليه ليس على الاطلاق وانما يمتنع اذا لم يكن بين المضاف والمضاف اليه ملابسة قوية مثل ان يكون المضاف جزأ من المضاف اليه او بمنزلة الجزء منه والملة ههنا بمنزلة الجزء من ابراهيم فلذلك كان انتصاب الحال منه بمنزلة انتصابها من الملة والعامل فيها معنى الاضافة وقوله تعالى انما جعل السبت الآية جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام لما امر بمتابعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فكيف خالفه باختيار يوم الجمعة فان الظاهر ان ابراهيم قد اختار في شرعه تعظيم يوم السبت بشهادة ان قوم موسى عليه الصلاة والسلام يعظمون يوم السبت وروى ذلك على ان تعظيمه شريعة متوارثة من يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال امرهم موسى عليه الصلاة والسلام بالجمعة وقال تفرّغوا لله تعالى في كل سبعة ايام يوما واحدا وهو يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيأ من اعمالكم فابوا ان يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذى فرغ الله تعالى فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم ثم جاءهم عيسى عليه الصلاة والسلام وامرهم ايضا بالجمعة فقالت النصارى لا نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا اليه فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد فقوله تعالى على الذين اختلفوا فيه ليس معناه ان اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لان اليهود متفقون على ذلك بل معناه انهم اختلفوا على نبيهم من حيث انه امرهم باختيار الجمعة وخالفوه باختيارهم يوما آخر ومما يدل عقلا على ان يوم الجمعة سيد الايام واجدر للاختيار ان اهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم في ستة ايام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الاحد واتم في يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم الفراغ فقال اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال فعينوا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدأ الخلق والتكوين يوم الاحد فنجعل هذا اليوم عيدا لنا فهذا وجه الفريقين في اختيار اليومين ونحن نقول يوم الجمعة هو يوم التمام والكمال وتمام النعمة وكمالها هو الموجب لكمال الفرح والسرور والموجب للاشتغال بالشكر والخضوع فكان يوم الجمعة افضل بالنسبة الى سائر الايام من هذا الوجه وفضله عليها من هذا الوجه يصلح ان يكون وجها عقليا للتخصيص بجعله يوم العيد والعبادة الزائدة وقيل معنى اختلافهم في السبت انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرّموه اخرى ولم يتفقوا على كلمة واحدة مع انه تعالى امرهم بتعظيمه والامتناع عن الصيد فيه قال قتادة استحل الصيد فيه بعضهم زمن داود يعنى اهل ايلة فجعل السبت عليهم حيث عوقبوا بترك تحريمه بان لعنوا ومسخوا قردة دون الذين نهوا آباءهم عن ذلك ثم انه تعالى لما امره عليه الصلاة والسلام باتباع ابراهيم عليه السلام بين في اى شئ يتبعه فقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة

(ثم اوحينا اليك) يا محمد وثم اما لتعظيم والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابراهيم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ملته او للتراخي ايامه (ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا) في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه (وما كان من المشركين) بل كان قدوة الموحدين (انما جعل السبت) تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة (على الذين اختلفوا فيه) اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طائفة منهم وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فأحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التى كفرت بانعم الله (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق من الآبين والمطيعين بما يستحقه

﴿ قوله بالمقالة المحكمة ﴾ اشارة الى ان المراد بالحكمة البراهين القطعية المفيدة للعارف الحقيقية والعلوم اليقينية وبالموعظة الحسنة الامارات الظنية والدلائل الاقناعية وبالدلائل الجدلية الدلائل التى يكون المقصود من ذكرها الزام الخصم والخامه ثم ان الجدل على قسمين احدهما هو الدليل المركب من مقدمات مشهورة مسلمة عند الخصم وهذا القسم هو الجدل الواقع على الوجه الاحسن والقسم الثانى مايكون مركبا من مقدمات فاسدة الا ان المستدل يوردها ويجوّزها دفعا لشغب الخصم وسفاهته بسلوك الطريق الفاسدة عند المناظرة وهذا القسم لايليق بالعقلاء وانما اللائق بهم هو القسم الاوّل وذلك هو المراد بقوله تعالى وجادلهم بالتى هى احسن فهو تعالى حصر الحجج والدلائل الصادرة عن العقلاء فى هذه الاقسام المذكورة فى الآية الكريمة والذين يدعون الى الحق بطريق المناظرة ثلاث طوائف القسم الاوّل الكاملون الطالبون للعارف الحقيقية والعلوم اليقينية وهى الحكمة والقسم الثانى الذين يغلب عليهم المشاغبة والمخاصمة لاطلب الحق واليقين والمكالمة اللائقة بهم المجادلة التى تفيد الافحام والالزام فهاتان الطائفتان قسمان الاوّل منهما هم الكاملون فى الاستكمال بحسب القوّة النظرية والثانى هم الناقصون الذين لم يستعدوا للاستكمال بحسب القوّة النظرية والقسم الثالث هم المتوسطون بين الطائفتين حيث لم يبلغوا فى الكمال الى درجة الحكماء المحققين ولا فى النقصان الى حد المشاغبين بل هم اقوام بقوا على الفطرة الاصلية والسلامة الخلقية وما بلغوا الى درجة الاستعداد لفهم الدلائل اليقينية والمعارف الحكمية والمكالمة مع هؤلاء لاتمكن الا بالموعظة الحسنة وهى الدلائل الاقناعية الظنية والتكلم مع المشاغبين بالجدل على الطريق الاحسن ودلت هذه الآية الكريمة على ان الدعوة لابد ان تكون بالدلائل القطعية التى هى الحكمة والاقناعية الدلائل الظنية وهى الموعظة واما الجدل فهو ليس من طرق الدعوة بل المقصود منه غرض آخر وهو الالزام والافحام واليه اشار المصنف بقوله وجادل معانديهم بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة ثم انه تعالى قال ان ربك هو اعلم يعنى معناه انك يامحمد مكلف بالدعوة الى الله بهذه الطرق المذكورة واما حصول الهداية فلايتعلق بك فهو تعالى اعلم بالضالين واعلم بالمهتدين فان جواهر النفوس البشرية مختلفة بالماهية فبعضها نفوس مشرقة صافية قليلة التعلق بالجسمانية كثيرة الانجذاب الى عالم الروحانيات ولما كانت هذه الاستعدادات من لوازم جواهرها لاجرم يمتنع انقلابها وزوالها قال تعالى اشتغل انت بالدعوة ولا تطمع فى حصول الهداية للكل فانه تعالى هو العالم بخصوصيات استعدادات النفوس ولكل نفس فطرة مخصوصة كما قال فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ﴿ قوله لما امره بالدعوة الخ ﴾ بيان لارتباط هذه الآية بماقبلها فان المحقين لما أمروا بالدعوة الى الدين الحق وكانت الدعوة المذكورة تتضمن امر المبطلين بالرجوع عن دين آبائهم واسلافهم والحكم عليهم بانه كفر وضلالة وكان ذلك مما يشوّش قلوبهم وربما يحملهم ذلك على ايذاء الداعى بنحو الشتم والضرب والقتل وكان يؤدى المحقين الى تأديب هؤلاء السفهاء المشاغبين بالضرب والقتل ونحو ذلك ولم يرض المصنف بما قيل من كون الآية نازلة فى قصة حمزة لان تلك القصة لاتعلق لها بما قبل الآية فذلك القول يستلزم القول بجواز ان لايرتبط بعض الآيات ببعض ومارووى من انه عليه الصلاة والسلام ترك العزم على المثلة وكفر عن يمينه بسبب هذه الآية لايقتضى كون الآية نازلة فى تلك القصة لجواز كونها نازلة لحكمة اخرى وتمسكه عليه الصلاة والسلام فى الانتهاء عما عزم عليه من المثلة بهذه الآية من حيث كون حرمة المثلة متفرعة من عموم هذه الآية لاجرم امر الله تعالى المحقين فى هذا المقام برعاية العدل والانصاف وترك الزيادة فقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم وهو تعالى لايرضى بالظلم وفى الآية دلالة على ان الاولى ترك المقاصة فانك اذا قلت لمريض ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح فانه يفهم منه ان الاولى ان لاتأكلها ثم انه تعالى عدل عن طريق التعريض الى التصريح حيث قال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فانه تصريح بان الاولى ترك الانتقام ولما كان الصبر شاقا شديدا ذكر بعده مايفيد سهولته لمن اختار العفو فقال وما صبرك الا بالله ولما كان السبب الحامل على الغضب والانتقام لايخلو عن امرين احدهما فوات نفع كان من الماضى والآخر توقع ضرر يكون فى المستقبل نهى عن الالتفات الى السبب الاوّل بقوله ولاتحزن عليهم اى على الكافرين بسبب اعراضهم عنك واستحقاقهم لعذاب الدائم او على المؤمنين ومن الالتفات

(ادع) من بعثت اليهم (الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة (والموعظة الحسنة) الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم (وجادلهم) وجادل معانديهم (بالتى هى احسن) بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى اشهر فان ذلك انفع فى تسكين لهبهم وتبيين شغبهم (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) اى انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به) لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من شايعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لاتنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح فى دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما رأى حمزة وقد مثل به قال والله لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجانى وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله (ولئن صبرتم لهو) اى لاصبر (خير للصابرين) من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال (واصبر وماصبرك الا بالله) الا بتوفيقه وتثبيته (ولاتحزن عليهم) على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم (ولاتك فى ضيق مما يمكرون) فى ضيق صدر من مكرهم

وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق (ان الله مع الذين اتقوا) المعاصي (والذين هم محسنون) في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

﴿ سورة بني اسرآئيل مكية وقيل الا قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشر آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان الذي اسرى بعبده ليلا) سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع من الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره * سبحان من علقمة الفاخر * وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسرآء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به (من المسجد الحرام) بعينه لما روي انه عليه الصلاة السلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه صلى الله عليه وسلم كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد الحرام واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه

(في مقدار)

﴿ قوله ﴾ الى السبب الثاني بقوله ولا تك في ضيق مما يمكرون اي اثبت على دعوتك ودع ما اصابك منهم من الاذى ﴿ قوله وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر ﴾ اي بكسر الضاد والباقون بفتحها وهما لغتان بمعنى وقيل المفتوح مخفف من ضيق المشدد كميت في ميت اي في امر ضيق امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان يدعو الخلق الى سبيل رب العالمين باحد الطرق الثلاثة كل طائفة بما يليق بها من طرق الدعوة ثم قال ان اثر الدعوة المذكورة الى مناصبة المبطلين لا تزيدوا في الانتقام على قدر اعتدآئهم ورمز في هذه المرتبة الى ان ترك الانتقام هو الاولى ثم عدل عن الرمز الى التصريح حيث قال واصبر ثم ترقى في المرتبة الرابعة الى التهديد على استيفاء الزيادة فقال ان الله مع الذين اتقوا عن المعاصي بالصبر على اذى السفهاء وترك اصل الانتقام منهم ومن تأمل هذه الآية الكريمة وترتيبها عرف ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب ان يكون على هذا الوجه وان القرآن العظيم بحر لا ساحل له قيل لبعض العلماء عند قرب وفاته اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي ولكني اوصيك بخواتيم سورة النحل * والحمد لله على جزيل آلائه تم في اوآئل جمادى الاولى من شهور سنة خمسين وتسعمائة

﴿ سورة بني اسرآئيل مكية وهي مائة واحدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله وقد يستعمل علما ﴾ يعني ان اكثر استعماله على انه اسم مضاف غير علم لان الاعلام لا تضاف الا ان يقع فيها الاشتراك اتفاقا وان استعماله علما شاذ نادر فحينئذ يمنع من الصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين في آخره كعثمان والدليل على ان سبحان علم للتسبيح قول الشاعر

* قد قلت لما جاءني فخره * سبحان من علقمة الفاخر *

فانه لولا انه علم لوجب صرفه لان الالف والنون في غير الصفات انما تمنع مع العلمية والعرب تقول سبحان من كذا اذا تعجبت منه ﴿ قوله سبحان من علقمة الفاخر ﴾ معناه العجب منه اذ فخر واصل السبح السير السريع في الماء او في الهوآء يقال سبح سبحا وسباحة واستعير لمر النجوم في الفلك كل في فلك يسبحون ولجري الفرس والسابحات سبحا ولسرعة الذهاب في العمل وان لك في النهار سبحا طويلا والتسبيح تنزيه الله واصله المر السريع في عبادة الله وسبحان الله معناه التنزيه نصب على المصدر كانه قال ابرئ الله من السوء برآءة وهو في الآية على معنى الاعراي نزهوا الله وبرؤه من قول المشركين ومن العجز عما اراده ومن جملته اسرآء عبده في بعض من الليل من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الى ما شاء الله ﴿ قوله واسرى وسرى بمعنى ﴾ يقال سريت سرى ومسرى واسريت بمعنى سرت ليلا والذي بالالف لغة اهل الحجاز والفعل على اللغتين لازم وعدي في الآية بالباء في بعبده * ولما ورد ان يقال الاسرآء لا يكون الا بالليل فما الفائدة في قوله ليلا * اجاب عنه بقوله وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسرآء يعني ان اسم الجنس اذا استعمل منكرا يكون تنكيره اما لبيان شخصا او نوعا فيكون المعنى اسرى بعبده ليلا واحدا من الليالي او نوعا واحدا من انواعها دفعا لتوهم ان يكون الاسرآء في ليال متعددة كما في قوله سيروا فيها ليالي اي اي ليل دنا فيه العبد الى المحبوب وفاز في مقام الشهود بالمطلوب واما للتكثير او التقليل فكان ليلا المنكر بمنزلة اللفظ المشترك الذي لا يتبين المراد منه الا بالقرينة المعينة للمراد وتصدير السورة بالكلمة الدالة على التعجب البليغ قرينة دالة على ان الوارد بعدها امر خارق للعادة وآية عظيمة لا يقدر عليها الا الله عز وجل فاقيل بعدها ليلا تبين بتلك القرينة ان المراد منه بعض الليل فان التبعيض قريب من التقليل فكانه قيل اسرى بعبده في بعض ليل من مكة الى بيت المقدس مسيرة اربعين ليلة فتعين بهذه القرينة ان المراد تقليل مدة الاسرآء والدلالة على ان الاسرآء وقع في بعض الليل ﴿ قوله ليطابق المبدأ المنتهى ﴾ علة لكون المراد ان المسجد الحرام المحيط به على طريق تسمية احد المتلابسين باسم الآخر فانهم اتفقوا على ان المراد بقوله الى المسجد الاقصى بيت المقدس وكلمة الى فيه لانتهاء الغاية وسمي بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن خلفه مسجد فيكون ابعد المساجد من مكة فمدلول قوله الى المسجد الاقصى انه وصل الى ذلك المسجد فاما كونه دخل ذلك المسجد ام لا فليس في اللفظ دلالة عليه فلما كان المراد بالمنتهى الحد الملتبس بالمسجد الاقصى كان المناسب ان يكون المراد بالمبدأ ايضا الحد الملتبس بالمسجد الحرام ليطابق المبدأ المنتهى ﴿ قوله واستنعته ﴾ اي طلبوا منه عليه الصلاة والسلام ان يبين لهم نعت بيت المقدس والمسجد الاقصى فجلى اي ظهر له في الحال فطفق ينظر اليه وينعته لهم ﴿ قوله ولذلك تعجب قريش واستحالوه ﴾ بناء على ان ارتفاع الجسد من مكة الى بيت المقدس ثم منه الى ما فوق العرش

فى مقدار ثلث الليل مما لا يقبله العقل «قال الامام» ومما يدل على جوازه عقلا انه ثبت فى الهندسة ان قرص الشمس يساوى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم انا نشاهد ان طلوع القرص يحصل فى زمان لطيف سريع وذلك يدل على ان بلوغ الحركة فى السرعة الى الحد المذكور امر ممكن فى نفسه غاية ما فى الباب انه يبقى التعجب الا ان مثل هذا التعجب لا يختص بهذا المقام بل هو حاصل فى جميع المعجزات فمجرد التعجب لا يستلزم الانكار والبطلان وايضا كما يستبعد فى العقل صعود الجسم الكثيف من مركز العالم الى مافوق العرش فكذلك يستبعد نزول الجسم اللطيف الروحانى من فوق العرش الى مركز العالم فان كان القول بمعراج محمد صلى الله عليه وسلم فى ليلة واحدة ممتنعا كان القول بنزول جبريل عليه الصلاة والسلام من العرش الى مكة فى اللحظة الواحدة ممتنعا ولو حكمنا بهذا الامتناع كان ذلك طعنا فى نبوة جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والقول بثبوت المعراج متفرع على تسليم جواز اصل النبوة فثبت ان القائلين بامتناع حصول حركة جسمانية سريعة الى هذا الحد يلزمهم القول بامتناع نزول جبريل عليه الصلاة والسلام فى لحظة واحدة من العرش الى مكة ولما كان ذلك باطلا كان ماذكر ايضا باطلا «فان قالوا نحن لا نقول ان جبريل عليه السلام جسم ينتقل من مكان الى مكان وانما نقول المراد من نزول جبريل عليه الصلاة والسلام هو زوال الحجب الجسمانية عن روح محمد صلى الله عليه وسلم حتى يظهر فى روحه من المكاشفات والمشاهدات بعض ما كان حاضرا متجليا فى ذات جبريل عليه الصلاة والسلام» قلنا تفسير الوحى بهذا الوجه هو قول الحكماء فاما جمهور المسلمين فهم يقرون بان جبريل جسم وان نزوله عبارة عن انتقاله من عالم الافلاك الى مكة واذا كان كذلك كان الالزام المذكور قويا وهذا تقرير ماذهب اليه الاكثرون من طوائف المسلمين وذهب الاقلون الى انه عليه الصلاة والسلام ما اسرى الا بروحه روى عن حذيفة انه كان ذلك رؤيا وانه مافقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسرى بروحه وحكى هذا القول عن عائشة رضى الله عنها وعن معاوية والذى ذهب اليه اهل التحقيق انه تعالى اسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة الى المسجد الاقصى واختلف العلماء فى ان الاسراء والمعراج هل كانا فى ليلة واحدة او كل واحد فى ليلة فمنهم من زعم ان الاسراء وقع فى اليقظة والمعراج فى النوم وذهب آخرون الى ان الاسراء وقع مرتين مرة بروحه مناما ومرة بروحه وجسده يقظة وذهب آخرون الى تعدد الاسراء فى اليقظة وقال انها اربع اسراآت لتعدد الروايات فى الاسراء واختلاف مايذكر فيها فبعضهم يذكر شيأ لم يذكره الآخر وبعضهم يسقط شيأ ذكره الآخر وهذا لا يدل على التعدد لان بعض الرواة قد تحدث ببعض الخبر لعلمه به ونسيانه البعض الآخر او يذكر ما هو الاهم عنده او يبسط تارة فيسوق الحديث كله وتارة يحدث المخاطب بما هو الانفع له ﴿ قوله وصرف الكلام من الغيبة ﴾ يعنى ان الجمهور قرأوا لنريه بنون العظمة على اسلوب قوله باركنا ففيهما التفات من الغيبة فى قوله اسرى بعبده الى التكلم فى باركنا وفى لنريه ثم التفت من التكلم الى الغيبة فى قوله انه هو السميع ففى الكلام التفاتان وقرئ ليريه بياء الغيبة وعلى هذه القراءة يكون فى الآية اربع التفاتات لانه التفت اولا من الغيبة فى قوله الذى اسرى بعبده الى التكلم وقوله وآتينا موسى الكتاب معطوف على الجملة السابقة الدالة على تنزيه الله تعالى على طريق عطف الجملة على الجملة ذكر الله تعالى اكرامه محمدا صلى الله عليه وسلم بانه اسرى به وذكر فى هذه الآية انه اكرم موسى عليه الصلاة والسلام قبله بايتاء الكتاب والضمير المنصوب فى جعلناه يجوز ان يكون للكتاب وهو الظاهر وان يكون لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله على اى لا تتخذوا ﴾ اى على ان يكون ان فيه مفسرة ولا ناهية على طريقة قولك كتبت اليه ان افعل كذا فان ان فيه مفسرة للمفعول المقدر لفظ كتبت اى كتبت اليه شيأ هو افعل كذا فكلمة ان حرف دال على ان افعل كذا يفسر به المقدر لكتبت الدال على معنى القول والمؤدى معناه فكذا ان التى فى الآية مفسرة يعنى اى تفسر ما تضمنه الكتاب من التكاليف فان نهى بنى اسرائيل عن ان يتخذوا من دونه تعالى وكيلا اى ربا يكلون اليه امورهم فى معنى تكليفهم بان يتعبدوا بامتثال جميع ما كلفهم الله تعالى من الاوامر والنواهى ولا يلتفتوا الى ما تدعو اليه نفوسهم وطباعهم ورؤساؤهم الضالون وقرأ ابو عمرو ان لا يتخذوا بياء الغيبة جريا على قوله لبنى اسرائيل والباقون ان لا تتخذوا بتاء الخطاب التفاتا وحكم ان فى قراءة ابى عمرو مصدرية ناصبة للفعل بعدها على حذف الخافض اى لئلا يتخذوا من دونى وكيلا اى ربا يكلون اليه امورهم ﴿ قوله او النداء ﴾ فالمعنى لا تتخذوا

والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان مابين طرفى قرص الشمس ضعف مابين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية وقد برهن فى الكلام ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله عليه وسلم او فى مايحمله والتعجب من لوازم المعجزات (الى المسجد الاقصى) بيت المقدس لانه حينئذ لم يكن وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار (لنريه من آياتنا) كذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء (انه هو السميع) لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم (البصير) بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ان لا تتخذوا) على اى لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وقرأ ابو عمرو بالياء على لئلا يتخذوا (من دونى وكيلا) ربا تكلون اليه اموركم غيرى (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ ان لا تتخذوا بالتاء على النهى يعنى قلنا لهم لا تتخذوا من دونى وكيلا ياذرية من حملنا مع نوح او على انه احد مفعولى لا تتخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا

من دونى وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح فى السفينة وهم مؤمنوا قومه وبنو اسرآئيل من نسل سام بن نوح وبنى
انتصابه على النداء على قرآءة ان لاتتخذوا بتاء الخطاب لان النداء انما يكون للحاضر لا لمن غاب عنهم فلا وجه
لانتصابه على النداء على قرآءة ان لايتخذوا بياء الغيبة كما لاوجه لكونها مصدرية على قرآءة الخطاب
لان بنى اسرآئيل غائبون ويحتمل ان يكون انتصاب ذرية على انه مفعول اول لتتخذوا وقوله وكيلا ثانيهما
قدم على الاول وهو وان كان مفرد اللفظ الا انه فى معنى الجمع والمعنى لاتتخذوا ذرية من حملنا مع نوح وكلاء كقوله
ولايأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهم الصلاة والسلام
﴿ قوله او بدل من واو تتخذوا ﴾ قال ابو البقاء هذا على القرآءة بالياء لانهم غائبون يعنى قوله ذرية لكونه اسما
ظاهرا منزلا منزلة الغائب لايصح ابدالها من ضمير المخاطب قال ابن الحاجب فى الكافية ولايبدل ظاهر من مضمر
بدل الكل الا من ضمير الغائب نحو ضربته زيدا فان الابدال انما يكون لتبيين الذات المرادة وتوضيحها بكون البدل
اوضح تعريفا وابين دلالة عليها وضمير المتكلم والمخاطب لتعين مدلولهما حسا ابين واوضح من الاسم الظاهر
لان مدلوله انما يتعين بحسب العقل فقط فلو ابدل الظاهر من ضمير المتكلم والمخاطب لكان المقصود بالنسبة
اقل تعينا ودلالة على الذات المرادة من غير المقصود وذا لايجوز فلهذا جاز ضربته زيدا ولم يجز مررت بى المسكين زيد
ولاعليك الكريم المعول ﴿ قوله وفيه ايماء ﴾ اشارة الى وجه ارتباط قوله انه كان عبدا شكورا بما قبله يعنى
انه استئناف لبيان علة ما ذكر قبله وحث الذرية على الاقتدآء به ﴿ قوله واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا ﴾
اشارة الى ان القضاء اتمام الشئ على وجه البت والاحكام وضمن ههنا معنى الايحاء لاقتضائه كلمة الى لما ذكر الله
تعالى انعامه على بنى اسرآئيل بانزال التوراة وانه جعل التوراة هدى لهم بين انهم مااهتدوا بهداه بل وقعوا
فى الفساد فقال وقضينا الى بنى اسرآئيل اى اعلمناهم واخبارهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون ومفعول
لتفسدن محذوف اى لتفسدن ما كلفتم بارتكاب المعاصى ومخالفة احكام التوراة ويجوز ان لايقدر له مفعول
اى لتوقعن الفساد ﴿ قوله مرتين افسادتين ﴾ اشارة الى ان مرتين منصوب على المصدرية وكذا علوا الا انه مصدر
ملاقى لعلو ﴿ قوله وقتل شعياء ﴾ قد كان عادة الله تعالى انه اذا ملك الملك على بنى اسرآئيل بعث معه نبيا يسدده
ويرشده ولا ينزل عليهم الكتب وانما يؤمرون باتباع الاحكام التى فى التوراة فملك الله تعالى منهم ملكا يدعى صديقة
فبعث معه شعياء وهو الذى بشر ببعثة عيسى ومحمد بعده عليه الصلاة والسلام وعليهم فملك ذلك الملك بنى اسرآئيل
وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الاحداث فبعث الله تعالى سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة
الف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض فى ساقه قرحة فاوحى الله تعالى الى شعياء النبى
ان ائت ملك بنى اسرآئيل فمره ان يوصى وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من اهل بيته فاتى شعياء
ملك بنى اسرآئيل فاخبره بما اوحى اليه فقال الملك الحمد لله رضينا بقضاء الله فاستقبل القبلة وصلى ودعا وبكى للانابة
والتسليم وطلب الرحمة فى الدنيا وكان عبدا صالحا فاوحى الله تعالى الى شعياء ان تخبر الملك بان ربه قد رحمه
واخر اجله خمس عشرة سنة وانجاه من عدوه سنحاريب فاتاه شعياء فاخبره به فخر الملك ساجدا متضرعا
فشفى الله تعالى قرحته واصبح عسكر العدو كلهم موتى الا سنحاريب وخمسة نفر من كتابة احدهم بخت نصر
فصرخ رجل على باب المدينة يا ملك بنى اسرآئيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنحاريب ومن معه
قد هلكوا فخرج الملك وفتشوا اهل بقى منهم احد فلم يوجد سنحاريب فى الموتى فتفرق طالبوه فوجدوه مع اصحابه
الخمسة فى مغارة فجعلوهم فى الجوامع ثم اتوا بهم ملك بنى اسرآئيل فلما رآهم الملك خر ساجدا من حين طلعت
الشمس الى العصر ثم رفع رأسه فامر امير عسكره ان يقيدهم بالاغلال ويطوف بهم حول بيت المقدس وايلياء
فطاف بهم سبعين يوما مقيدين فاوحى الله تعالى الى شعياء النبى ان قل لملك بنى اسرآئيل يرسل سنحاريب
ومن معه لينذروا من ورآءهم وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل فخرج سنحاريب
ومن معه حتى قدموا بابل فلبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف بخت نصر ابن ابنه ثم قبض الله
تعالى ملك بنى اسرآئيل صديقة فمرج امر بنى اسرآئيل وتنازعوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا ونبيهم شعياء معهم
لايقبلون منه شيأ فجمعهم يوما وقام فيهم خطيبا بامر الله فاحمد الله تعالى خطبة بليغة ووعظهم وامرهم ونهاهم
وحذرهم عقابه تعالى ان اصروا على ما هم عليه فلما فرغ شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته

وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل
من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه
تذكير بانعام الله تعالى عليهم فى انجاء آبائهم
من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام
فى السفينة (انه) ان نوحا عليه السلام
(كان عبدا شكورا) يحمد الله تعالى على
مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه
كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتدآء به
وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام
(وقضينا الى بنى اسرآئيل) واوحينا اليهم
وحيا مقضيا مبتوتا (فى الكتاب)
فى التوراة (لتفسدن فى الارض) جواب
قسم محذوف او قضينا على اجرآء القضاء
المبتوت مجرى القسم (مرتين) افسادتين
اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعياء
وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل
عيسى عليهم السلام (ولتعلن علوا كبيرا)
ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى او لتظلمن
الناس

(تجبرة)

شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه فى وسطها واستخلف الله تعالى على بنى اسرآئيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشيه ابن اموص وبعث لهم ارميا بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون عليه الصلاة والسلام وذكروا انه الخضر واسمه ارميا وسمى خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهى تهتز خضراء فبعث الله ارميا الى ذلك الملك يسدده ويرشده فعظمت الاحداث فى بنى اسرآئيل وركبوا المعاصى واستحلوا المحارم فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ائت قومك من بنى اسرآئيل فاقصص عليهم ماآمرك به وذكرهم نعمتى وعرفهم باحداثهم فقام ارميا فيهم ولم يدر مايقول فالهمه الله عز وجل فى الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله عز وجل وانى حلفت بعزتى لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى الى ارميا انى مهلك بنى اسرآئيل بيافث اهل بابل فسلط الله عليهم بخت نصر فقتل علماءهم وحرق التوراة وخرب المسجد والقى فيه الجيف وسبى سبعين الفا وذهب بهم الى بابل فكانوا بها سبعين سنة ثم لما اراد الله هلاك بخت نصر انبعث فقال لمن بين يديه من بنى اسرآئيل ارأيتم هذا البيت الذى خربت والناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت قالوا هذا بيت الله وهؤلاء اهله كانوا من ذرارى الانبياء فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وقد كان ربهم ورب الخلق اجمعين يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا مافعلوا اهلكهم وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وظن انه بجبروته فعل ذلك بنى اسرآئيل قال فاخبرونى كيف لى ان اطلع الى السماء العليا فاقتل من فيها واتخذها ملكا فانى قد فرغت من فى الارض قالوا مايقدر عليها احد من الخلائق قال لتفعلن او لاقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا الى الله فبعث الله عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت بام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوطأ رأسه على ام دماغه فلما مات شق رأسه فوجد البعوضة عاضة فى ام دماغه ليرى الله تعالى العباد قدرته ونجى الله تعالى من فى يديه من بنى اسرآئيل فردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على احسن ماكانوا عليه ثم انهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى وكانت التوراة قد احرقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع الى الشام يبكى عليها ليله ونهاره وقد خرج من الناس وهو كذلك اذ اقبل اليه رجل وقال ياعزير مايبكيك فقال ابكى على كتاب الله وعهده الذى كان بين اظهرنا الذى لايصلح دنيانا وآخرتنا غيره قال اتحب ان يرد اليك ماذات قال نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم عد الى المكان الذى وعده فجلس فيه فاتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فمثلت التوراة فى صدره فرجع الى بنى اسرآئيل فوضع لهم التوراة فاحبوه حتى لم يحبوا احدا شيأ قط ثم قبضه الله وجعلت بنو اسرآئيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويبعث الله تعالى فيهم الرسل كانوا فريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من انبيائه زكريا ويحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وكانوا من بيت آل داود فمات زكريا وقيل قتلوا زكريا ويحيى وقصدوا قتل عيسى عليه الصلاة والسلام ثم انهم اختلفوا فى العباد الذين بعثهم الله على بنى اسرآئيل حتى تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وسفكوا الدماء الذى هو اول الفسادين من هم فقيل بخت نصر وجنوده وقيل هم جالوت وجنوده سلطه الله تعالى عليهم حتى اهلكهم وقهرهم الى ان رد الله الكرة عليهم بقوة طالوت حين محاربة جالوت فلما التقى العسكران تقدم جالوت وطلب من يقاتله فقتل داود وقيل سنجاريب قال الامام لا تعلق كثير غرض فى معرفة الاقوام باعيانهم بل المقصود من هذه الآيات بيان ان بنى اسرآئيل افسدوا فى الارض بكثرة المعاصى فسلط الله عليهم قوما قهروهم بالقتل والسبى وتخريب الديار ثم رد الله اليهم الدولة وامدهم باموال وبنين ثم افسدوا مرة ثانية فرجع الله اليهم بالقهر وان عادوا الى الافساد عاد الله اليهم بالقهر والتعذيب

﴿ قوله تجاسوا ﴾ الجوس بفتح الجيم وضمها مصدر جاس يجوس اى فتش وطلب الشئ باستقصاء كما يجوس الرجل الاخبار ويطلبها والخلال هو الانفراج بين الشيئين والديار بيت المقدس ثم انه تعالى لما بين افسادهم الاول استمر الى ان بعث الله اليهم قوما اولى بأس شديد فقهروهم بالقتل والاسر ونحوهما بين على طريق الاستئناف ان ضرر افسادهم وعصيانهم لايتعدى الى غيرهم بقوله ان احسنتم فان حقيقة الحال انكم ان احسنتم واطعتم الله تعالى فمنفعة ذلك الاحسان لاترجع الا اليكم وان اسأتم فضررها لايتعدى عنكم الى غيركم روى عن على رضى الله عنه انه

(فاذا جاء وعد اولاهما) وعد عقاب اولاهما (بعثنا عليكم عبادا لنا) بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزرى وقيل سنجاريب من اهل نينوى (اولى بأس شديد) ذوى قوة وبطش فى الحرب شديد (فجاسوا) ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان (خلال الديار) وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد عقابهم لابد ان يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) اى الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم وذلك بان ألقى الله فى قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله (وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو (ان احسنتم احسنتم لانفسكم) لان ثوابه لها (وان اسأتم فلها) فان وبالها عليها واتى باللام ازدواجا

(فاذا جاء وعد الآخرة) وعد عقوبة المرة الآخرة (ليسوؤا وجوهكم) اى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم اى ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائى بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون الخفيفة والثقيلة ولنسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام فى قوله (وليدخلوا المسجد) متعلق بمحذوف هو وبعثناهم (كما دخلوه اول مرة وليتبروا) ليهلكوا (ما علوا) ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم (تتبيرا) وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقونى فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقى احدا منهم فهدأ (عسى ربكم ان يرحمكم) بعد المرة الاخرى (وان عدتم) نوبة اخرى (عدنا) مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم فى الدنيا (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير (ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم) للحالة او الطريقة التى هى اقوم الحالات او الطرق (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا) وقرأ حمزة والكسائى ويبشر بالتخفيف (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما) عطفا على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر

قال ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه ﴿قوله فحذف لدلالة ذكره اولا﴾ اى حذف جواب اذا وهو قوله بعثناكم لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله بعثنا عليكم عبادا لنا وكذا حذف موصوف الآخرة فان التقدير وعد المرة الآخرة بعزه ﴿قوله اى ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها﴾ يعنى ان المساءة وهى الحزن من الاعراض النفسانية القلبية ولا تتعلق بالوجوه الا انها عديت الى الوجوه لكون آثارها بادية فيها فانه اذا حصل الفرح فى القلب ظهرت النضرة والاشراق فى الوجه وان حصل الحزن والخوف فى القلب ظهر الكلوح والغبرة والسواد فى الوجه وذلك ان الانسان اذا قوى فرحه انبسط روح قلبه الى الاطراف فاستبشر وجهه واذا قوى غمه يختنق الروح فى داخل قلبه فلا يسرى اثره الى الوجه فلا جرم يظهر فيه اثر الارضية والغبرة فمساءة الوجه كناية عن الغم الشديد فلهذا عديت المساءة الى الوجه فى هذه الآية ﴿قوله وقرئ لنسوءن﴾ على الاوجه الاربعة بنون العظمة وبنون التأكيد الخفيفة والثقيلة وبياء الغيبة ونون التأكيد واللام مكسورة فى الجميع على انها لام الامر والجملة جواب اذا على انها لام كى لان نون التأكيد لا تدخل على المضارع الا اذا كان فيه معنى الطلب والتمنى والاستفهام والعرض ولكن على حذف الفاء اى فليسوءن لما تقرر فى النحو من ان الجزاء اذا لم يكن ماضيا بغير قد لفظا او معنى ولم يكن المضارع مثبتا ولا منفيا بلا وجب دخول الفاء فى الجزاء سواء كان جملة اسمية كقوله تعالى أفان مت فهم الخالدون او امرا كقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى او نهيا كقوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار او غير ذلك وقرئ لنسوءن على الاوجه الاربعة بفتح اللام على انها لام القسم وهو جواب القسم المقدر لفظا وجواب الشرط معنى فلا حاجة الى تقدير جواب ولا يجوز حينئذ ان يكون قوله وليدخلوا المسجد معطوفا على ليسوؤا بل يتعلق بمحذوف معطوف عليه تقديره وبعثناهم ليدخلوا وانما اتى بالواو ليعلم انه معطوف على جواب الشرط والجملة من جعل اللام الاولى لام كى جعل اللام التى فى قوله وليدخلوا ايضا لام كى معطوفة عليها عطف علة على اخرى ومن جعلها لام امر او لام قسم جعل اللام فى ليدخلوا لام التعليل متعلقة بمحذوف وان جعلت الاولى لام امر يجوز ان تكون الثانية ايضا كذلك وقوله كما دخلوه صفة مصدر محذوف ﴿قوله ما غلبوه﴾ على ان تكون ما موصولة منصوبة المحل على انها مفعول بها اى ليهلكوا الذى علوا وغلبوا عليه وظفروا به وقوله او مدة علوهم على ان تكون ما مصدرية قائمة مقام الوقت كما فى قولك آتيك خفوق النجم اى زمان خفوقه فيكون عدم ذكر المفعول اما لقصد التعميم او لتنزيل الفعل منزلة اللازم نحو هو يعطى ويمنع وقوله تتبيرا مصدر مؤكد كما فى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما اى حقا لا شك فيه ﴿قوله وذلك بان سلط الله﴾ يعنى بعث العباد اولى البأس الشديد عند افسادهم مرة ثانية بقتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم الصلاة والسلام وقع بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى حتى قتلوهم وسبوهم ونفوهم من ديارهم فذلك قوله تعالى ليسوؤا وجوهكم الآية وقوله عسى ربكم من جملة ما قضاه الله تعالى الى بنى اسرائيل فى التوراة والمعنى لعل ربكم يا بنى اسرائيل ان يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم مرة ثانية ثم عاد الله عليهم برحمته حتى كثروا وانتشروا ثم انهم قد عادوا بتكذيب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فعاد الله تعالى عليهم بالتعذيب على ايدى العرب فجرى على بنى النضير وقريظة وبنى قينقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لا ملك لهم ولا سلطان ابدا ﴿قوله محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد﴾ جواب عما يقال ان قوله حصيرا فعيل بمعنى فاعل وقد اجرى على جهنم وهى مؤنث سماعى فينبغى ان يقال حصيرة بالتاء لما تقرر من ان فعيلا بمعنى فاعل يلزم تأنيثه وبمعنى مفعول يجب تذكيره وما جاء شاذا من النوعين بحسب تأويله وتقرير الجواب ان جهنم مؤول بالسجن والحبس وقيل انها فى معنى الفراش والبساط ويجوز ان يقال تأنيث جهنم مجازى فلذلك ذكر صفته ثم انه تعالى لما شرح معاملته مع عباده المخلصين وهو اسراء سيد المرسلين وايتاء التوراة لموسى عليهما الصلاة والسلام وبين ما فعله فى حق العصاة بتسليط من يعيثهم عليهم وبين به ان طاعة الله تعالى توجب كل خير ومعصيته توجب كل بلية وقهر لا جرم اثنى على القرآن فقال ان هذا القرآن يهدى الآية ﴿قوله للتى﴾ صفة لمحذوف اى للطريقة التى هى اقوم الطرق وعدل الى الحذف مع ان الذكر هو الاصل ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يهدى اليه القرآن من وجوه الخير فان ابهام الموصوف وعدم تعيينه بنحو الملة او الطريقة او الحالة او الخصلة يؤدى الى ان ينتقل الذهن اليها والى ما يشاكلها فكانه قيل يهدى لما لا يدخل تحت

(الوصف)

الوصف والحصر بخلاف مالو ذكر واحد من الامور المذكورة فان ذلك يتعين حينئذ وحقيقة اقوم ههنا الزيادة المطلقة كما فى قولنا الله اكبر لان ماهدى اليه القرآن من الملل والشرائع لا يشاركه سائر الاديان والملل فى اصل الاستقامة حتى يقال حصولها فى هذه الملة اكثر واكمل من حصولها فى غيرها وصف الله تعالى القرآن بثلاثة اوصاف اولها انه يهدى للتى هى اقوم وثانيها انه يبشر المؤمنين الذين اهتدوا لما هدى اليه القرآن من الطرق بالاجر الكبير لان من سلك اقوم الطرق لابد ان يفوز باعز المقاصد ولما كان الاجر الكبير مبشرا به وجب ان يكون تقدير قوله تعالى ان لهم اجرا كبيرا بان لهم وحذف حرف الجر من ان وان كثير شائع والصفة الثالثة قوله تعالى وان الذين لا يؤمنون فانه ان كان معطوفا على قوله ان لهم اجرا كان المعنى ويبشر المؤمنين بان لاعدائهم عذابا اليما وان كان معطوفا على يبشر باضمار يخبر يكون المعنى ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين بكذا ويخبر بان الذين لا يؤمنون كذا فان قيل هذه الآية فى شرح احوال اليهود وهم ما كانوا ينكرون الايمان بالآخرة فكيف يليق بهذا الوصف قوله وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما اجيب عنه بوجهين احدهما ان اكثر اليهود ينكرون الثواب والعقاب الجسمانى والثانى انهم يؤمنون بالآخرة على خلاف ما هى عليه كقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات فكل هذا القول ليس ايمانا بحقيقة الآخرة ثم انه تعالى لما بين شأن القرآن وكونه مدارا لمنافع الدارين بين ان الانسان قد يعدل عن التمسك بشرائعه والرجوع الى بيانه ويقدم على مالا فائدة له فيه فقال ويدع الانسان بالشر والباء فى الموضعين متعلقة بالدعاء اى يدعو الله عند غضبه بما يعلم انه شر او بما يحسب انه خير وهو شر له مثل دعائه بما هو خير فى نفسه وفى علمه والقياس ان تثبت واو يدعو لانه فى موضع الرفع الا انه لما وجب سقوطها لفظا لاجتماع الساكنين اسقطت فى الخط ايضا على خلاف القياس ونظيره سندع الزبانية وسوف يؤت الله المؤمنين ﴿قوله صبرا﴾ اى مصبورا يقال قتل فلان صبرا اذا حبس على القتل حتى يقتل ﴿قوله تدلان على القادر الحكيم﴾ لما قال يهدى للتى هى اقوم وكان اقوم الاحوال المتعلقة بالاعتقاد الاعتقاد بان هذا العالم لابد له من صانع قادر حكيم ذكر ما يكون هاديا ودليلا يؤدى الى هذا الاعتقاد ﴿قوله مبصرة﴾ لما كان الابصار عبارة عن ادراك الشئ بحاسة البصر وذلك لا يتصور فى النهار جعل الابصار مجازا من الاضاءة على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب من حيث ان الاضاءة سبب لحصول الابصار ويجوز ان يكون بناء ابصر ه لتعدية بصر يقال بصرت بالشئ اذا علمته قال تعالى بصرت بما لم يبصروا به فلا يكون ابصرت الشئ بمعنى رأيته بل بمعنى بصرت به وعرفته فيكون اسناد الابصار الى النهار من قبيل اسناد الحكم الى سببه ﴿قوله او مبصرا اهله﴾ على ان يكون تركيب ابصر الرجل لاسناد الفعل الى فاعله والمراد اسناده الى من يلابس ذلك الفاعل كما يقال اضعف الرجل اذا ضعفت ماشيته واجبن الرجل اذا كان اهله جبناء فقولك ابصر النهار معناه ابصر اهله وهذا على تقدير ان يكون المعنى وجعلنا نفس الليل والنهار آيتين وقيل ليس المراد بالآيتين نفس الليل والنهار بل ما فيهما من النيرين الشمس والقمر على حذف المضاف اما من الاول فالتقدير وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين واما من الثانى فالتقدير وجعلنا الليل والنهار ذوى آيتين فعلى هذا لا تكون اضافة آية الليل وآية النهار بيانية بل تكون بمعنى اللام وقوله تعالى وكل شئ فصلناه منصوب على الاشتغال ورجح نصبه لتقدم جملة فعلية وكذلك وكل انسان الزمناه وذكر المصدر وهو قوله تفصيلا لاجل تأكيد الكلام وتحقيقه كأنه قيل فصلناه حقا واليه اشار المصنف بقوله بيانا غير ملتبس لما بين الله تعالى من اول السورة الى هنا ان سعادة الانسان دائرة على طاعة الرحمن وشقاوته منوطة بالعصيان وبين ايضا علو شأن القرآن وانحطاط شأن الانسان وان من جملة ما فى القرآن من البيان بيان ان الليل والنهار آيتان اتبعه بقوله وكل شئ فصلناه تفصيلا ثم صرح بان من جملة ما بينه الله تعالى ان كل ما قدره الله تعالى على الانسان وحكم به عليه فى سابق علمه لازم له يجب حصوله له ويمتنع زواله عنه فقال وكل انسان الزمناه طائره اى عمله وسائر ما قدر له من السعادة والشقاوة والرزق والمصائب وكونه طويل العمر اوقصيره سليم الاعضاء او معيبها ونحو ذلك ﴿قوله كأنه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر﴾ اشارة الى ان الطائر مستعار لتعذر حمله على الحقيقة لان القدر لا يطير حقيقة فى وصوله الى الانسان من المقر الاصلى فكما ان الطائر الحقيقى يأتى الى كل ما يأتى اليه منتقلا من عشه ووكره فكذلك الحوادث تنتهى الى الانسان بعد ثبوتها فى علم الله تعالى وعالم الغيب ووكر الطائر ما كان من شجر او جبل

(ويدع الانسان بالشر) ويدعو الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر (دعاءه بالخير) مثل دعائه بالخير (وكان الانسان عجولا) يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روى انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال عليه السلام اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا (وجعلنا الليل والنهار آيتين) تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره (فمحونا آية الليل) اى الآية التى هى الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود (وجعلنا آية النهار مبصرة) مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحو آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتطلبوا فى بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم (ولتعلموا) باختلافهما او بحركتهما (عدد السنين والحساب) وجنس الحساب (وكل شئ) تفتقرون اليه فى امر الدين والدنيا (فصلناه تفصيلا) بيناه بيانا غير ملتبس (وكل انسان الزمناه طائره) عمله وما قدر له كأنه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر

وعش الطائر موضعه الذى يجمعه من دقاق العيدان وغيرها فى افنان الشجر فاذا كان فى جبل او جدار او نحوهما فهو وكر والاضافة فى قوله عش الغيب ووكر القدر بيانية والقضاء هو الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك الارادة بالاشياء فى اوقاتها استعير العش والوكر لعالم الغيب والتقدير العلى ﴿قوله لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون﴾ اى لما جعلوا الطائر سببا للخير والشر واسندوهما اليه باعتبار سنوحه وبروحه استعير الطائر لما كان سببا لهما وهو قدر الله وقضاؤه وعمل العبد فكانا سببى الخير والشر وسنوح الطائر عبارة عن مروره عن مياسر الانسان الى ميامنه وبروحه عبارة عن ضد ذلك كانوا يتيمنون بالاول ويتشاءمون بالثانى شبه المصنف المقدرات من حيث كونها سبب الخير والشر المكتسب والتقدير الازلى بالطائر على زعم العرب وجعل هذا التشبيه طريقا لاطلاق اسم الطائر عليهما بعدما اشار الى تحقق المشابهة بين الاعمال والطائر من وجه آخر وهو المجيء من القرار الاصل ﴿لزوم الطوق فى عنقه﴾ الظاهر ان ليس المراد تقدير متعلق قوله فى عنقه لان اللزوم والالزام لا يتعديان بكلمة فى بل المقصود الايماء الى ان قوله فى عنقه جيء به بعد تمام الكلام بقوله الزمناه طائره للدلالة على كمال الالزام بحيث لا سبيل الى ان ينفك عنه ماقدر له من الخير والشر اصلا فانه اذا قصدت المبالغة فى الزام الشيء لاحد يقال جعلت هذا الشيء فى عنقك اى قلدتك اياه والزمتك حفظه لان من عظمت رغبته فى حفظ الشيء يربطه على عنقه ويجعله فى موضع القلادة قال اهل المعانى انما خص العنق من بين سائر الاعضاء بكونه محل الالزام لان ماعلق عليه يكون الزم بالشخص لان الذى عليه اما خير يزينه او شر يشينه ومايزين يكون كالطوق والحلى ومايشين يكون كالغل وكل واحد منهما مما يلازم صاحبه وانا اقول كان الظاهر ان يقال الزمناه عنقه بالنصب على انه بدل من مفعول الزمناه الا انه جيء بكلمة فى للدلالة على كمال الالزام حتى كان الطائر شيء حال فى عنقه لا امر معلق عليه ﴿قوله ونصبه﴾ اى ونصب كتابا يحتمل ان يكون على انه حال من مفعول به اى تخرج بنون العظمة مضارع اخرج ويحتمل ان يكون على انه حال من المفعول المحذوف والتقدير ونخرجه له كتابا اى نخرج الطائر ويعضده قرآءة ويخرج بضم الياء وفتح الرآء اى يخرج الطائر كتابا قال الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك فى قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة فعلى هذا قوله تعالى ونخرج له يوم القيامة معناه نخرج من قبره ﴿قوله من لقيته كذا﴾ وهو منقول بتضعيف العين من لقيت الشيء فيتعدى الى اثنين قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا ﴿قوله اى كفى نفسك﴾ فعلى هذا ينبغى ان يؤنث الفعل لتأنيث فاعله كما فى قوله وماتأتيهم من آية الا انه ذكر لكونه مسندا الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقى وفى مثله يجوز الامران وقوله لكشف الغطاء هذا على ان يكون المراد بالكتاب المخرج له يوم القيامة نفسه المنتقشة بظاهر اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان كثيرا كان او قليلا قويا كان او ضعيفا فانه تحصل بسببه فى جوهر النفس الانسانية اثر مخصوص فان كان ذلك الاثر اثرا يجذب الروح من حضرة الحق الى الاشتغال بالخلق كان ذلك من موجبات الشقاوة والخذلان وان كان يجذبه الى التبتل والانقطاع اليه تعالى كان موجبا للسعادة والايقان الا ان تلك الآثار تخفى مادام الروح متعلقا بالبدن لان اشتغال الروح بتدبير البدن يمنع من انكشاف هذه الاحوال وظهورها واذا انقطع تعلق الروح عن تدبير البدن وتخلص عن كونه محجوبا بحجاب البدن فحينئذ زال الغطاء وانكشف الحجاب فيخرج من عمق البدن المظلم حال كونه كتابا منتقشا بالاعمال الصادرة فى الدنيا ويكون هذا الكتاب فى هذا الوقت كانه منشور بعد ان كان مطويا مغمورا فى ظلمة البدن وعند ذلك تشاهد القوة العقلية جميع تلك الاشياء مكتوبة بالكتابة الذاتية فى جوهر الروح فيقال له فى تلك الحالة اقرأ كتابك ثم يقال له كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فان كانت تلك الآثار من موجبات الشقاوة حصلت الشقاوة لامحالة واعلم انه تعالى جعل كل مايصدر من العبد باختياره من قول وفعل ولحظة وفكرة ونحو ذلك مما تعلق به الارادة الازلية والعناية الالهية كالطير الذى يطير اليه وذلك لانه تعالى قدر لكل احد فى الازل مقدارا من الخير والشر فذلك الحكم الذى سبق فى علمه الازلى لابد وان يصل اليه هو ذلك الطائر فعند ذلك عرف ان الكفاية الابدية لا تتم الا بالعناية الازلية والارادة السابقة ثم ان كل طائر وصل اليه من عالم الغيب محفوظ فى صحيفة عمله ومنتقش منه اثر فى جوهر روحه يلقى اليه ذلك الكتاب منشورا ويجازى على حسب مافى كتابه ثم انه تعالى بين ان ثواب العمل

لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد (فى عنقه) لزوم الطوق فى عنقه (ونخرج له يوم القيامة كتابا) هى صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث فى النفس احوالا ولذلك يفيد تكررها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قرآءة يعقوب ويخرج من خرج يخرج وقرئ ويخرج اى الله تعالى (يلقاه منشورا) لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا (اقرأ كتابك) على ارادة القول (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) اى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافى فوضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى ماأهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص

الصالح وعقاب العمل السيء يختص بفاعله لايتعدى منه الى غيره فقال من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ثم قرر ذلك بقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الزجاج وزر يزر وزرا فهو وازر ومعناه اثم يأثم عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة قال اتبعونى وانا احمل اوزاركم فقال تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم انه تعالى لما بين انه لايعذب احدا بما يعلم منه من اختياره المعاصى واتباعه الشهوات مالم يعمل به اى لايجعل علمه حجة على من علم منه انه اذا امره عصاه بل يبعث اليه رسولا يهديه الشرآئع فاذا خالف ما امر به من الطاعة وظهر عصيانه للناس فحينئذ يعذبه لانه تعالى الزم عليهم الحجة ببعثة الرسل ولم يبق للناس على الله حجة بعد بعثتهم قال تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى حيث قال ههنا وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يلزمهم الحجة بين طريق تعذيبه من قضى عليه الشقاوة فى الازل وعلم منه اختيار الضلالة فقال واذا اردنا ان نهلك قرية اى قضى الله تعالى باهلاكها لعلمه بان اهلها يختارون الضلالة على الهدى فان الحوادث كلها مسبوقة بقضاء الله تعالى وقدره والقضاء عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص والقدر عبارة عن تعلق تلك الارادة بالاشياء فى اوقاتها لانفاذ القضاء السابق امرنا مترفيها اى عظماءها الذين ابطرتهم النعمة وسعة العيش بطاعة الرسول الذى بعث اليهم حتى اذا عصوه عنادا ومكابرة فعند ذلك يهلكون ولا يهلكون بمجرد علمنا بانهم لايقدمون الا على المعصية ولايختارون الا متابعة الهوى والشهوة فمعنى الآية اذا اردنا امضاء ما سبق من القضاء باهلاك قوم امرنا المتنعمين المغترين الظانين ان اموالهم واولادهم وانصارهم تردعنهم بأسنا بالايمان والعمل بشرآئع دينى على ما بلغهم عنى رسولى ففسقوا اى خرجوا عما امرهم الله تعالى فاستحقوا العذاب فحينئذ يحق عليهم القضاء السابق باهلاكهم لظهور معاصيهم فحينئذ ندمرها والحاصل ان المعنى واذا اردنا ان نهلك قرية بسبب علمنا بانهم لايقدمون الا على المعصية لم نكتف فى تحقيق ذلك الاهلاك بمجرد ذلك العلم بل امرنا مترفيها ففسقوا واذا ظهر منهم ذلك الفسق فحينئذ نوقع العذاب الموعود به وهذا كالتقرير لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا وقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها غافلون فلما حكم الله تعالى فى هذه الآيات انه لايهلك قرية حتى يخالفوا امر الله لاجرم ذكر ههنا انه يأمرهم فاذا خالفوا الامر فعند ذلك استوجبوا العذاب والاهلاك المعبر عنه بقوله فحق عليها القول فدمرناها تدميرا اى اهلكناها هلاك الاستئصال والدمار هلاك الاستئصال فقول المصنف لانفاذ قضائنا السابق اشارة الى دفع ما يقال انه تعالى كيف يريد اهلاك قوم ابتداء اى من غيران يسبق منهم ما يستحقون الاهلاك بسببه مع انه تعالى قال ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقال وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون ثم اشار الى دفعه بوجه آخر وهو ان المراد بارادة اهلاكها دنو وقت هلاكها تشبيها لدنو وقت الشيء بارادته فى كونه كالسبب المؤدى اليه كما يقال اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة واذا اراد التاجر ان يفتقر اتاه الخسران من كل جهة وليس المراد ان المريض يريد ان يموت حقيقة والتاجر يريد ان يفتقر حقيقة بل الارادة مجاز عن دنو الوقت لكونه كالارادة فى التأدى الى الموت والفقر فكذلك الحال ههنا ﴿ قوله ويدل على ذلك ما قبله وما بعده ﴾ يعنى انه تعالى قال امرنا مترفيها ولم يصرح بما ذا يأمرهم فاختلف العلماء فى ان المأمور به ما هو فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد به الطاعة وذهب صاحب الكشاف الى ان المراد به الفسق وان المعنى امرناهم بالفسق ففسقوا وجعل امرهم بالفسق مجازا عن ان يصب عليهم انواع النعمة صبا ويجعلوها ذريعة الى المعاصى واتباع الشهوات فصاروا بذلك كانهم مأمورون بالفسق والا فلا وجه لامرهم بالفسق حقيقة بان يقال لهم افسقوا وشدد النكر على من جعل المعنى امرناهم بالطاعة ففسقوا وقال انه تقدير شيء لادليل عليه مع الاعراض عن تقدير ما دل عليه الدليل فان قوله تعالى امرنا مترفيها ففسقوا فيها دل على ان المعنى امرناهم بالفسق ففسقوا فانه اذا قيل امرته فقام وامرته فقرأ فهم منه ان المأمور به قيام او قراءة فكذا فيما نحن فيه لايفهم الا ان المأمور به هو الفسق لا امر آخر فتقدير الطاعة تقدير شيء لادليل عليه مع العدول عما يقتضيه الدليل ومنع المصنف كونه تقديرا بلا دليل حيث قال ان ما بعده وما قبله يدل على ان المقدر هو الطاعة اما دلالة ما بعده عليه فلان الفسق هو الخروج عن الطاعة الخ واما دلالة ما قبله عليه فلان الرسول انما بعث ليطاع ويعمل بالشرآئع التى بلغها

(من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) لاينجى اهتداؤه غيره ولا يردى ضلاله سواه (ولا تزر وازرة وزر اخرى) ولاتحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) يبين الحجج ويمهد الشرآئع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لاوجوب قبل الشرع (واذا اردنا ان نهلك قرية) واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق اودنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة (امرنا مترفيها) متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد فى العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله

الرسول عن الله تعالى اليهم فيطيعوا ربهم فيما امرهم به فيدل ذلك دلالة ظاهرة على ان المعنى امرنا مترفيها بان
يطيعوا الرسول الذي بعث اليهم ﴿قوله او التسبب له﴾ لامعنى لكلمة او ههنا لان الحمل على الفسق لا محل له
سوى السببية ﴿قوله وقيل معناه كثرنا﴾ قرأ الجمهور امرنا بالتخفيف والقصر وفيه وجهان احدهما انه
من الامر الذي هو ضد النهي وقد مر ما يتعلق بهذا الوجه وثانيهما ان امرنا بمعنى كثرنا قال الواحدي العرب
تقول امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم وآمرهم ايضا بالمد لان امر الثلاثي يستعمل لازما بمعنى كثر
ويستعمل ايضا متعديا بمعنى آمر بالمد اي كثر واستعمل في الآية متعديا فيكون فعل وافعل بمعنى وهو
معنى قول المصنف يقال امرت الشئ وآمرته فامر اذا كثرته واستدل على استعمال الثلاثي متعديا بقوله
عليه الصلاة والسلام «خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة» اي مكثرة كثرها الله ولدها فلولا ان الثلاثي متعد لما بني
منه اسم المفعول وقرئ امرنا بكسر الميم بمعنى امرنا بالفتح روي عن ابي عبيدة امره الله وامره بفتح الميم
وكسرها وقرئ آمرنا بالمد والهمزة فيه للتعدية «حكى الجوهري عن ابي عبيدة آمرته بالمد وامرته لغتان
بمعنى كثرته ومنه الحديث «خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة» اي كثيرة النتاج والنسل وامر هو اي كثر
فخرج على تقدير قولهم عز فلان ذلك واعلمه الا ذلك قال يعقوب ولم يقله احد غيره قال الحسن امر ماله بالكسر
اي كثر وامر القوم اي كثروا وآمر الله ماله بالمد وانما قيل مهرة مأمورة للازدواج والاصل مؤمرة على مفعلة
كما قال عليه الصلاة والسلام للنساء «ارجعن مأزورات غير مأجورات» وانما هو موزورات من الوزر فقيل
مأزورات للازدواج بقوله مأجورات وقرئ ايضا امرنا بالتشديد وفيه وجهان احدهما ان يكون التضعيف
للتعدية عدى الفعل تارة بالهمزة واخرى بتضعيف العين والثاني ان يكون بمعنى جعلناهم امراء في الصحاح امر
فلان وامر ايضا بالضم اي صار اميرا والمصدر الامرة بالكسر والامارة والمهر ولد الفرس والجمع امهار
ومهار والانثى مهرة والجمع مهر ومهرات وفرس ممهر اي ذات مهر والسكة الطريقة المصطفة من النخل وسكة
مأبورة اي ملقحة يقال ابر فلان نخله اي لقحه واصلحه وتأبير النخل تلقيحه ﴿قوله وهو ايضا مجاز من معنى
الطلب﴾ اي كما ان امرناهم بالفسق مجاز من الحمل عليه او التسبب له فكذا امرناهم بمعنى كثرناهم ايضا مجاز
من قبيل اطلاق ما يدل على السبب وارادة المسبب فانك اذا قلت امر الله المهرة وامر الله المترفين واردت معنى
كثرهم فقد استعملت الامر الذي هو ضد النهي في لازم معناه فانه تعالى اذا قال للمهرة كوني كثيرة النتاج او قال
للمترفين كونوا كثيري الاعوان والاموال والعدد تكون كثرتهم لازمة له متفرعة عليه لامحالة
﴿قوله بحلوله او بظهور معاصيهم﴾ الاول على ان يكون قوله فحق عليها القول لتفريع الحكم على السبب المؤدي
اليه والثاني على ان يكون التركيب من قبيل قولك اطعمته فاشبعته وسقيته فارويته فان الاشباع ليس حكما
متفرعا على الاطعام وكذا الارواء ليس امرا مغايرا للسقي فان كلمة الفاء في مثلهما لتفسير ما قبلها وتبيينه فيكون
تحقق كلمة العذاب السابقة عبارة عن ظهور فسقهم ومعاصيهم الثابتة في العلم الازلي والقضاء السابق وهذا على
ان يكون امرنا من الامر الذي هو ضد النهي وان كان بمعنى كثرنا يكون قوله فحق عليها القول بيانا لانهماكهم
في المعاصي لان تكثير المترفين وتسليطهم على الضعفاء وتفريع الفسق عليه يستلزم انهماك الجميع في الفسق ثم انه
تعالى لما بين طريق اهلاك قوم يستحقون الاهلاك على ظهور معصيتهم الثابتة في العلم الازلي بين ان الاهلاك على
الطريق المذكور كان عادته مع الذين فسقوا وتمردوا من القرون الذين كانوا بعد نوح عليه الصلاة والسلام تخويفا
لكفار مكة فقال وكم اهلكنا الآية فقوله كم منصوب باهلكنا ومن القرون تمييز لكم ومن في من بعد نوح لابتداء
الغاية ولما اختلف معناهما جاز اتحاد متعلقهما والقرن مائة وعشرون سنة وبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم في اول قرن آخره يزيد بن معاوية وقيل مائة سنة وقيل ثمانون سنة وقيل اربعون ﴿قوله بذنوب عباده﴾
متعلق بخبيرا قدم على عامله والخبير هو الذي لا تعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت شئ ولا تتحرك
ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبره وهو بمعنى العليم لكن العلم القديم اذا
اضيف الى الخفايا الباطنة سمي خبرا وصاحبه خبيرا كذا في المقصد الاقصى للغزالي رحمه الله ولما كان متعلق
الخبير بواطن الامور ومتعلق البصير ظواهرها قدم الخبير على البصير لكون البواطن مقدمة بالشرف على
الظواهر ﴿قوله مقصورا عليها همه﴾ انما قيده به لقوله تعالى ثم جعلنا له جهنم ومن المعلوم ان من يريد الدنيا

(والآخرة)

(ففسقوا فيها) كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم
منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من
الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم
من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق
ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم
امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت
الشئ وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث
خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة
النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده
قراءة يعقوب آمرنا ورواية امرنا عن ابي عمرو
ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة
اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان
غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر
على الفجور (فحق عليها القول) يعني
كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور
معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي (فدمرناها
تدميرا) اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب
ديارهم (وكم اهلكنا) وكثيرا اهلكنا
(من القرون) بيان لكم وتمييز له (من بعد نوح)
كعاد وثمود (وكفى بربك بذنوب عباده
خبيرا بصيرا) يدرك بواطنها وظواهرها
فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه
(من كان يريد العاجلة) مقصورا عليها همه
(عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) قيد المعجل
والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل
متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه
وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد
بدل من له بدل البعض

والآخرة معا لا يكون حكمه كذلك ومن فى من كان شرطية وجعلنا جوابها وما نشاء مفعوله ولمن نريد بدل بعض من كل من ضميره باعادة العامل تقديره لمن نريد تعجيله له وقوله تعالى ثم جعلنا له جهنم جعل هنا بمعنى صير ومفعولاه له جهنم لانعقاد الجملة منهما وقيل ثانيهما محذوف اى مصيرا او مأوى ويصلاها اى يدخلها حال امامن الضمير فى قوله له واما من جهنم ومذموما حال من فاعل يصلاها ﴿قوله وقيل الآية فى المنافقين﴾ فيكون المعنى من كان يريد العاجلة بعمل الآخرة كالجهاد والصوم والصلاة وهو معطوف من حيث المعنى على قوله مقصورا عليها همه فانه يتناول المنافق والكافر المجاهر والمراد بالعاجلة الدنيا لانها تكون قبل الآخرة قبل هذه الآية مرتبطة بقوله تعالى وكل انسان ألزمناه طائره اى ما قدر له وما طير اليه من عش الغيب بين اولا ان ما قدر له من الاعمال يصدر منه ثم بين ان ذلك العمل محفوظ يلقاه مكشوفا يوم القيامة فهو يجازى على حسب عمله وبين هاهنا ان العامل فى الدنيا قسمان منهم من يريد بعمله الدنيا ويقصر همه عليها فحاله انا نعجل القدر الذى نشاء تعجيله فى الدنيا لا القدر الذى يشاؤه العامل لمن نريد ان نعجل له شيأ فيها الا ان عاقبته جهنم تدخله فيها فيصلى حرها مذموما اى ملوما مدحورا اى منفيا مطرودا من رحمة الله تعالى اشار الله به الى ان عقوبة من قصر همه على الدنيا مضرة مقرونة بالذم الى المضرة العظيمة وقوله مذموما اشارة الى اقترانها بالذم والاهانة وان تلك المضرة دائمة خالية عن شوب المنفعة فقوله ثم جعلنا له جهنم يصلاها اشارة الى المضرة العظيمة وقوله مذموما اشارة الى اقترانها بالذم والاهانة وقوله مدحورا اشارة الى البعد والطرد من رحمة الله تعالى وذلك يستلزم ان تكون تلك المضرة خالية عن شوب النفع والرحمة لكونها دائمة غير مبدلة بالخلاص والراحة ﴿قوله حقها من السعى﴾ اشارة الى ان قوله سعيها مفعول مطلق مبين للنوع وهذا المعنى مستفاد من اضافة السعى الى ضمير الآخرة وعبدة الاوثان وان كانوا يزعمون انهم انما يسعون فيما عملوه طلبا لمنافع الآخرة ويقولون اله العالم اجل واعظم من ان يقدر الواحد منا على اظهار عبوديته وخدمته بل غاية قدرتنا ان نشتغل بعبادة بعض المقربين من عباد الله كالملك والكوكب ونحوهما ثم ان ذلك المقرب يشتغل بعبادة الله تعالى فانهم لا يتقربون الى الله تعالى بهذا الطريق بل هو تقرب بما يخترعون بآرائهم الفاسدة واللام فى لها لام العلة اى سعى لاجل الآخرة وهو يدل على ان الساعى انما يثاب على سعيه اذا كان سعيه مقرونا بالنية والاخلاص وحاصل الآية ان القسم الثانى من العمال تحقق فيه اربعة امور احدها ان يريد الآخرة اى يريد ثوابها ومنافعها ولا يقصر همه على الدنيا وثانيها ان يسعى سعيا يليق بالآخرة وثالثها ان يكون سعيه مقرونا بالنية والاخلاص لا كمن هاجر الى المدينة لاجل ان يتزوج بام قيس ولا كمن هاجر لاجل ان ينال منفعة الدنيا والآخرة ورابعها ان تكون هذه الامور المذكورة مسبوقة بالايمان الصحيح فعند اجتماع هذه الشرائط يكون السعى مشكورا والعمل مبرورا وشكر العبد عبارة عن ان يجعل جوارحه ولسانه مشغولا بالافعال الدالة على تعظيم المنعم وكونه معظما عند ذلك الشاكر كما قيل

أفادتكم النعماء منى ثلاثة ۞ يدى ولسانى والضمير المحجبا

والله تعالى يعامل المطيعين بهذه الامور الثلاثة فانه تعالى عالم بكونهم محسنين فى تلك الاعمال وانه يثنى عليهم بكلامه القديم وانه تعالى يعاملهم بمعاملات دالة على كونهم مطيعين عند الله ولما اتصف الله بهذه الامور الثلاثة بالنسبة الى المؤمن المطيع وصف نفسه تعالى بانه شاكر وجعل المؤمن مشكورا على طاعته من قبل الله تعالى ثم انه تعالى لما بين ان من يريد العاجلة نعجل له فيها القدر الذى شاء الله تعجيله ومن يريد الآخرة يثاب على سعيه وطاعته بين ان كل واحد من الفريقين يعطى ما قسم له من الاموال والاولاد ونحوهما مما ينتفع به فى الدنيا على وجه يكون آلة ومددا لما ساقه ولا يحرم من العاجلة من اراد الآخرة وان كان يحرم من الآخرة من قصر همه على العاجلة فان العطايا الدنيوية لا تمنع عن احد مؤمنا كان او كافرا لان الكل مخلوق فى دار التكليف والعمل فوجب ازاحة العذر وازالة العلة عن الكل بايصال متاع الدنيا الى الكل على القدر الذى تقتضيه الحكمة ثم انه تعالى امره عليه الصلاة والسلام بان ينظر ويرى تفاوت اهل الدنيا فى منافعها ويعلم ان تفاوت درجات الآخرة ودركاتها وتفاوت اهلها فيها اكثر من تفاوت اسباب الدنيا وتفاوت اهلها فيها فان نسبة التفاوت فى درجات منافع الآخرة ودركات عقابها الى التفاوت فى امور الدنيا كنسبة نفس الآخرة الى نفس الدنيا ثم انه تعالى لما بين ان سعادة الآخرة منوطة بارادة الآخرة بان يسعى سعيا موافقا لطلب الآخرة وبان يكون مؤمنا شرع فى تفصيل هذه الامور

وقرئ مايشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله تعالى به ذلك وقيل الآية فى المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم فى الغنائم ونحوها (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) مطرودا من رحمة الله تعالى (ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها) حقها من السعى وهو الاتيان بما امر به والانتهاء عما نهى عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص (وهو مؤمن) ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة (فاولئك) الجامعون للشروط الثلاثة (كان سعيهم مشكورا) من الله تعالى اى مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه (نمد) بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه (هؤلاء وهؤلاء) بدل من كلا (من عطاء ربك) من معطاه متعلق بنمد (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا لا يمنعه فى الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال (وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا) اى التفاوت فى الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها

الجملة فبدأ بشرح حقيقة الايمان وبيان ماهو العمدة فيه وهو التوحيد والتبرى من الشرك فقال لاتجعل مع الله الها آخر ثم ذكر عقيبه سائر الاعمال التى يكون من عمل بها ساعيا لسعى الآخرة ﴿ قوله او لكل احد ﴾ قيل هذا الاحتمال اولى لانه تعالى عطف عليه قوله وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه الى قوله اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما وهذا لايليق بالنبى صلى الله عليه وسلم لان ابويه مابلغا عنده الكبر فعلمنا ان المخاطب بهذا نوع الانسان ﴿ قوله او فتعجز ﴾ يعنى ان قوله فتقعد يجوز ان يكون بمعنى فتصير فتنتصب مابعده على الخبرية وان يكون على اصل معناه ويكون كناية عن ملزومه الذى هو العجز فان القادر المتمكن من تحصيل الخيرات يسعى فى تحصيلها والسعى انما يتأتى بالقيام على الرجل بخلاف العاجز عن تحصيلها فانه لايسعى بل يبقى جالسا قاعدا عن السعى والطلب فلما كان القعود من لوازم العجز والضعف صح ان يكنى به عنه فيكون مذموما منصوبا على الحال وقوله تعالى فتقعد منصوب باضمار ان بعد الفاء جوابا للنهى كقولك لاتنقطع عنا فنجفوك اى لايكن منك انقطاع فحصل ان نجفوك فما بعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة على حرف الفاء التى هى حرف العطف وسماه النحويون جوابا لكونه مشابها للجزاء فى ان الثانى مسبب عن الاول الا ترى ان المعنى ان انقطعت جفوتك فكذلك تقدير الآية ان جعلت مع الله الها آخر صرت مذموما بكل لسان مخذولا من قبله تعالى لانه يكلك الى من اتخذته شريكا له ولا ناصر عنده ولا عون او عجزت عن دفع ماتوجه اليك من المكاره لانه تعالى لاينصرك ومن المعلوم ان الشركاء لايقدرون على النصر والشفاعة ﴿ قوله وامر امرا مقطوعا به ﴾ يعنى ان القضاء فى اصل اللغة اتمام الشئ والفراغ منه وماتم وفرغ منه يلزمه ان يتقرر ولايتغير اى لايقبل النسخ والتغيير فاذا استعمل القضاء فى موضع الامر والالزام كما فى هذه الآية يفهم منه ان الايجاد والتكوين على ذلك الوجه دون الآخر امر متقرر موافق للحكمة كما فى قوله تعالى فقضاهن سبع سموات وقد يطلق القضاء على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث انه يوجد ويطلق ايضا على وجود جميع الموجودات فى اللوح المحفوظ اجمالا والقدر هو تفصيل قضائه السابق بايجادها فى مواد الاحكام الخارجة واحدا بعد واحد ولما ذكر فى الآية ماهو الركن الاعظم فى الايمان والتوحيد اتبعه بذكر ماهو من الشرائع المترتبة عليه وهو انواع النوع الاول تخصيص العبادة لله تعالى والاحتراز عن عبادة غيره ﴿ قوله ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية ﴾ يعنى اى لاتعبدوا لوقوعها بعدماهو بمعنى القول واما ان جعلت مصدرية ناصبة لما بعدها فحينئذ تكون لانافية لان صلة المصدرية لاتكون شيأ مما فيه معنى الطلب على الاصح وان اجاز سيبويه كون صلة المصدرية ذلك فقال يجوز ان يقال فى تقدير امرته ان قم امرته بان قم اى بالقيام واختاره المصنف فى بعض المواضع ﴿ قوله وبان تحسنوا ﴾ على ان الباء فى قوله وبالوالدين متعلقة بقضى ﴿ قوله احسانا ﴾ واقع موقع فعله المحذوف والجملة معطوفة على جملة قوله ان لاتعبدوا على تقدير ان تكون كلمة ان فيها مصدرية عطف الجملة المثبتة على المنفية وقوله او واحسنوا بالوالدين احسانا على ان يكون قوله احسانا واقعا موقع فعل الامر المحذوف ويكون بالوالدين متعلقا بذلك المحذوف على التقديرين وتكون هذه الجملة الامرية معطوفة على ان لاتعبدوا على ان تكون ان فيها مفسرة ولا ناهية عطف الجملة الامرية على النهى ووجه المناسبة بين تخصيص العبادة به تعالى وبين الوالدين ان السبب الحقيق لوجود الانسان هو الله تعالى والسبب الظاهر الابوان فامر بتعظيم السبب الحقيق ثم اتبعه بالامر بتعظيم السبب الظاهرى ﴿ قوله ويدل على قرآءة حمزة والكسائى ﴾ فانهما قرآ ايبلغان بالف التثنية قبل نون التأكيد المشددة المكسورة على ان الالف ضمير الوالدين لتقدم ذكرهما فيكون احدهما بدلا منه بدل البعض من الكل ويكون او كلاهما بدلا منه ايضا لكونه معطوفا على البدل وهو بدل الكل من الكل لان كلاهما مرادف لالف التثنية ولايجوز ان يكون الاول بدلا والثانى تأكيدا معطوفا على البدل لان عطفه على البدل يدل على ان تأكيد التثنية غير مراد والحاصل ان بين ابدال الاول بدل البعض وبين تأكيد البدل منه بكلاهما تدافعا لان فائدة التأكيد دفع توهم ارادة احدهما واما الاعتراض بانه لاتدافع بناء على ان المعنى اما يبلغان احدهما او يبلغان كلاهما فيراد البدل اولا والتأكيد ثانيا فمدفوع بانه اذ ذاك يخرج الكلام عن كون كلاهما معطوفا على احدهما اى عطف الجملة وهو معنى قول المصنف ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف اى ولاجل ان يكون كلاهما معطوفا على البدل الذى هو احدهما على قرآءة يبلغان لم يجز ان يكون كلاهما تأكيدا للالف لان التأكيد يجب ان يكون معمولا لعامل المؤكد فلما ابدل احدهما من المؤكد بدل البعض كان المقصود بالنسبة هو البعض فينافيه تأكيده بالكل

(لاتجعل مع الله الها آخر) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او لكل احد (فتقعد) فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشئ اذا عجز عنه (مذموما مخذولا) جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا (وقضى ربك) وامر امرا مقطوعا به (ان لاتعبدوا) بان لاتعبدوا (الا اياه) لان غاية التعظيم لاتحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعى الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية (وبالوالدين احسانا) وبان تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر لوجود والتعيش ولايجوز ان تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لاتتقدم عليه (اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما) اما هى ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قرآءة حمزة والكسائى من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا فى كنفك وكفالتك

(وان)

وان قدر فعل آخر مسند الى ضمير التثنية وكان كلاهما تأكيدا لذلك الضمير لزم الخروج عن البحث لان المفروض كونه تأكيداً لفاعل الفعل المذكور ﴿ قوله وقيل اسم الفعل الذى هو اتضجر ﴾ عطف على قوله وهو صوت اى قيل انه ليس من قبيل الاصوات بل هو اسم الفعل المضارع وهو قليل فان الاكثر فى باب اسماء الافعال ان يكون اسماء للامر نحو رويد فانه اسم لامهل وبه اسم لدع وقد يكون اسما للفعل الماضى نحو هيهات اسم لبعد ولم يذكر ابن الحاجب ما كان اسما للفعل المضارع حيث قال فى الكافية اسماء الافعال ما كان بمعنى الامر او الماضى نحو رويد زيدا اى امهله وهيهات ذلك اى بعد ﴿ قوله وهو مبنى على الكسر ﴾ لانه لو بنى على السكون لاجتمع ساكنان لان الفاء الاولى ساكنة وفيه سبع قراءآت ثلاث فى المتواتر واربع فى الشاذ قرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين وابن كثير وابن عامر بالفتح دون التنوين كثم والباقون بالكسر دون تنوين ولا خلاف بينهم فى تشديد الفاء وقرأ نافع فى رواية اف بالرفع والتنوين وقرئ بالضم من غير تنوين وبالنصب والتنوين واف بالسكون ﴿ قوله فيا بطريق الاولى ﴾ اى بواسطة القياس الجلى الذى يكون من باب الاستدلال على الاعلى وقيل النهى عنه يدل على المنع من سائر انواع الايذاء دلالة لفظية من حيث ان اهل العرف اذا قالوا لا تقل لفلان اف عنوا به لا تتعرض له بنوع من انواع الاذى كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير فانه يدل بحسب العرف على انه لا يملك شيأ النقير النقرة التى فى ظهر النواة والقطمير القشرة الرقيقة التى تكون على النواة ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون النهى من التأفيف يدل على المنع من سائر انواع الايذاء اما بالاستدلال بحرمة الادنى على حرمة الاعلى او بكونه دالا عليه دلالة لفظية بحسب العرف والشرس والشراسة سوء الخلق يقال رجل شرس اى سيئ الخلق شديد الخلاف ﴿ قوله تذلل لهما وتواضع معهما ﴾ يريد ان خفض الجناح استعارة تمثيلية استعير للتذلل والتواضع لان الطائر اذا قصد الجو بسط جناحه واذا هم بالنزول خفض الجناح فشبه ما يتصور من الانسان فى حال التواضع من الانخفاض بما يشاهد من الطائر عند انحطاطه من الجو ثم كثر استعماله فيه حتى صار عبارة عن التواضع واما الوجه فى اضافة الجناح الى الذل وليس له جناح فكونها دليلا على الاستعارة بالكناية بجعلها كون الذل من جنس الطائر ويسمى اثبات الامر المختص بالمشبه به للمشبه استعارة تخييلية فانه شبه الذل بالطائر تشبيها مضمرا فى النفس ولم يصرح من اركان التشبيه بشئ سوى المشبه وهو الذل ودل على ذلك التشبيه المضمر فى النفس بان اثبت للذل المشبه ما يختص بالمشبه به وهو الجناح من غير ان يتحقق فى الذل شئ يجرى عليه اسم الجناح بل الوهم يخترع له صورة تشبه بالجناح فاثبت تلك الصورة المخترعة ليكون اثباتها قرينة للاستعارة بالكناية ونظيره فى قول لبيد

وغداة ريح قد كشفت وقرة ۞ اذ أصبحت بيد الشمال زمامها

فانه شبه الشمال بالانسان واضاف اليه لازم الانسان وقت اشتغاله بالعمل وهو اليد على سبيل الاستعارة التخييلية وكذلك شبه القرة بالناقة واثبت لها ما به قوام انقيادها وهو الزمام على سبيل التخييل هذا على ان يكون ضمير زمامها للقرة ويحتمل ان يكون للغداة بل هو الظاهر فتكون الاستعارة بالكناية هى تشبيه الغداة بالناقة والقرة والقر البرد يقول كم من غداة تهب الشمال وهى ابرد الرياح وقرة قد ملكت الشمال زمامها فهى فى قبضتها متصرفة على حكم ارادتها قد كشفت والمعنى اذهبت عادية البرد عن الناس باطعام القرى ونحر الجزور لهم وتحرير المعنى كم من برد كشفت عاديته باطعام الناس فعلى هذا يكون اضافة الجناح الى الذل تفيد غاية المبالغة فى التذلل لان خفض الجناح عبارة عن التذلل والتذلل منه غاية التذلل ﴿ قوله او اراد جناحه ﴾ عطف على قوله جعل للذل جناحا فيكون هذا وجها ثانيا لاضافة الجناح الى الذل مع ان الذل لا جناح له وتقريره ان اضافة الجناح الى الذل ليست بمعنى اللام حتى يستبعد ويقال ما معنى اضافة الجناح اليه بل المراد من الجناح جناح المخاطب واضافته الى الذل من قبيل اضافة الموصوف الى صفته كانه قيل واخفض لهما جناحك الذليل كما يقال حاتم الجود وحاتم الجواد ﴿ قوله وقرئ الذل بالكسر ﴾ قيل الذل بالكسر فى الدابة ضد الصعوبة وبالضم للانسان ضد العز ولما كان ما يلحق الانسان اشد واكثر واوقع بالنسبة الى ما يلحق الدابة وهو كونها ذلولا منقادة لصاحبها فرقوا بينهما فاختاروا الضمة التى هى اقوى الحركات لما يلحق الانسان والكسر الضعيف لما يلحق الدابة للاشارة الى ما بينهما من الفرق ﴿ قوله من فرط رحمتك عليهما ﴾ اشارة الى ان كلمة من للتعليل كما فى قوله

(فلا تقل لهما اف) فلا تضجر مما يستقذر منهما ولا تستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذى هو اتضجر وهو مبنى على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه فى قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهى عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو فى صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهى والنهر والنهم اخوات (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا لا شراسة فيه (واخفض لهما جناح الذل) تذلل لهما وتواضع معهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد فى قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرة ۞
اذ أصبحت بيد الشمال زمامها ۞

للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضه مبالغة او اراد جناحه كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول (من الرحمة) من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما بالامس

(وقل رب ارحمهما) وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما (كما ربياني صغيرا) رحمة مثل رحمتهما علىّ وتربيتهما وارشادهما لى فى صغرى وفاء بوعدك للراحمين روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوىّ بلغا من الكبر انى الى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما (ربكم اعلم بما فى نفوسكم) من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكأنه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح (فانه كان للاوابين) للتوابين (غفورا) ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجانى على ابويه اندراجا اوليا لوروده على اثره (وآت ذا القربى حقه) من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم (والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) بصرف المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال او فى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) امثالهم فى الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم فى الاسراف والصرف فى المعاصى روى انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم فى السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق فى القربات (وكان الشيطان لربه كفورا) مبالغا فى الكفر فما ينبغى ان يطاع (واما تعرضن عنهم) وان اعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذى هو قوله تعالى (فقل لهم قولا ميسورا) اى فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله تعالى ورزقنا الله واياكم

تعالى بما خطابهم امر فوالى واخفض جناحك من اجل الرحمة وقوله رحمة مثل رحمتهما علىّ اشارة الى ان الكاف فى محل النصب على انه صفة مصدر محذوف ولم يقل رحمة مثل تربيتهما الىّ مع ان المذكور فى القرآن هو التربية للاشارة الى ان التربية لكونها ناشئة من الرحمة كانها عين الرحمة ﴿قوله وفاء بوعدك﴾ مفعول له لقوله تعالى ارحمهما قال عليه الصلاة والسلام الراحمون يرحمهم الرحمن وقال عليه الصلاة والسلام رضى الله فى رضى الوالد وسخطه فى سخط الوالد وقال لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر ﴿قوله وان كانا كافرين﴾ اشارة الى رد ما قيل من ان الآية منسوخة بقوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين فلا ينبغى للمسلم ان يستغفر لوالديه اذا كانا مشركين ولا يقول لهما رب ارحمهما لانهما وان كانا كافرين فله ان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان ووجه الرد ما ذكره المصنف قال الامام قوله تعالى وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا امر وظاهر كون الامر للوجوب انه لا يقتضى التكرار فيكفى فى العمل بمقتضى هذه الآية ذكر هذا القول فى العمر مرة وسئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه فى اليوم مرة او فى الشهر او فى السنة فقال نرجو ان يجزيه اذا دعا لهما فى اواخر التشهدات كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال تعالى واذكروا الله فى ايام معدودات فهم يكبرون فى ادبار الصلوات ﴿قوله وفيه تشديد عظيم﴾ وكيف لا وقد غفر ما فرط منهم على سبيل البادرة فى حق من كان اوابا وهو صيغة مبالغة فيقتضى الكثرة والمداومة كما روى عن سعيد بن المسيب ان الاواب هو الرجل الذى كلما اذنب بادر بالتوبة وقوله تعالى وآت ذا القربى حقه الذى يدل على ان المراد بذى القربى غير الوالدين كون التوصية نوعا آخر من انواع السعى الموافق لطلب الآخرة المدلول عليه بقوله تعالى وسعى لها سعيها وهو معطوف على قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى هذا الموضع والمعنى المتحد فراغك من بر الوالدين يجب عليك ان تشتغل ببر سائر الاقارب الاقرب فالاقرب ثم باصلاح احوال المساكين وابناء السبيل ٭ وذوو القربى ان كانوا محارم وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا حقهم ان ينفق الرجل عليهم بقدر الحاجة عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى وقال الامام الشافعى لا يجب الانفاق الا على الولد والوالدين محتسبا وان كانوا مياسير ولم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة فى السراء والضراء ونحو ذلك ﴿قوله تعالى واما تعرضن عنهم الآية﴾ قيل انها نزلت فى مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب رضى الله تعالى عنهم وكانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم فى الاحايين ما يحتاجون اليه وقد لا يجد عليه الصلاة والسلام ما يدفعه اليهم فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت يعنى انه عليه الصلاة والسلام لما كان يعرض عنهم بوجهه الكريم ويسكت ولا يجيبهم حياء من التصريح بردهم قال تعالى واما تعرضن عنهم ولما لم يكن لترتيب قوله فقل لهم قولا ميسورا على تحقق الاعراض المترقب منه عليه الصلاة والسلام فى المستقبل وجه لانه فى قوة قولك وان لم تجبهم فاجبهم بقول فيه يسر قال فى توجيه الآية وان اعرضت عنهم اى فيما مضى فاجبهم من بعد بقول ميسور فيكون قوله تعرضن على حكاية الحال الماضية ثم عطف على هذا التأويل قوله ويجوز ان يراد بالاعراض الخ اى ويجوز ان يكون الاعراض كناية عن عدم النفع بدفع ما يحتاجون اليه لعدم الاستطاعة عليه بناء على ان الاعراض بالوجه من لوازم عدم النفع فحينئذ يكون ترتيب الجزاء المذكور عليه ظاهرا ﴿قوله لانتظار رزق من الله﴾ يعنى ان قوله ابتغاء رحمة مفعول له لقوله تعرضن وعلة للاعراض بان يكون الابتغاء بمعنى الانتظار فانه يصلح ان يكون علة حاملة على الاعراض ويجوز ان يكون انتصابه على انه مصدر واقع موقع الحال من فاعل تعرضن او من ضمير عنهم ﴿قوله وقيل معناه لفقد رزق﴾ يعنى ان قوله تعالى ابتغاء متعلق بالشرط منصوب به الا انه لا يجوز اجراء الكلام على ظاهره لان الاعراض عن المحتاج ليس لابتغاء رحمة الله بل هو مجاز عن فقد الرزق لانه سبب لابتغائه فهو من قبيل اطلاق المسبب على السبب ثم قال ويجوز ان يكون الابتغاء متعلقا بالجواب منصوبا به على معنى قل لهم قولا سهلا ابتغاء وهذا الجواز مبنى على قول من يجوّز اعمال ما بعد الفاء الجزائية فيما قبلها وقد ثبت ذلك فى قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر الآية فان اليتيم وما بعده منصوبان بما بعد فاء الجواب ﴿قوله والميسور من يسر الامر﴾ يعنى انه اسم مفعول من يسر كما ان المسعود والمنحوس كذلك يقال سعد الرجل فهو مسعود ونحس فهو منحوس ثم قيل ويحتمل ان يكون الميسور مصدرا بمعنى اليسر ويكون المعنى قل لهم قولا

(يذكر)

يذكر فيه معنى اليسر ويدل على طلب اليسر مثل اغنا كم الله ورزقنا الله واياكم وفي الصحاح المجلود مصدر بمعنى الجلادة كالمحلوف والمعقول يقال عقل يعقل عقلا ومعقولا ويقال حلف اى اقسم يحلف حلفا ومحلوفا وهو احد ماجاء من المصادر على مفعول مثل المجرود والمعقود والمعسور ﴿قوله تمثيلان لمنع الشحيح﴾ اى لامتناع البخيل من انفاق ماله على الحاويج مثل حال من يده مغلولة الى عنقه فلا يقدر على شئ من التصريف وحال من يسرف بحال من يبسط يده كل البسط فلا يبقى شئ في كفه ثم استعمل الفاظ الممثل به في الممثل والمعنى لاتجعل يدك في الانقباض عن الانفاق كالمغلولة الممنوعة من الانبساط ولا تتوسع في الانفاق توسعا بحيث لايبقى في يدك شئ وحاصل الكلام ان الحكماء ذكروا في الكتب الاخلاق وان لكل خلق طرفي افراط وتفريط وهما مذمومان والخلق الفاضل ماهو العدل المتوسط بين الطرفين فالبخل افراط في الامساك والاسراف تفريط والمعتدل وهو الكرم الوسط ﴿قوله نادما اومنقطعابك﴾ الجوهرى حسر الشخص بالكسر يحسر حسرا وحسرة فهو حسير اذا تلهف وتحزن على الشئ الفائت وحسر البعير يحسر حسورا اعيى واستحسر وتحسر مثله وحسرته انا حسرا يتعدى ولايتعدى وقطع بفلان فهو مقطوع به وانقطع به فهو منقطع به اذا عجز عن سفره من نفقة ذهبت او من راحلة عطبت واتاه امر لايقدر بسببه على ان يتحرك ﴿قوله حسره السفر اذا بلغ منه﴾ يقال بلغ منه المرض اذا اثر فيه تأثيرا بليغا ﴿قوله فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا﴾ على هذه الرواية يحتمل ان كلا من متعلقة بمحذوف اى اخر سؤالك من ساعة ليس فيها دروع الى ساعة يظهر لنا فيها درع ودرع المرأة قميصها وهذا القول مبنى على رواية الكشاف وهي هكذا من ساعة الى ساعة فعد الينا وعلى تلك الرواية يحتمل ان يكون من متعلقة بيظهر ﴿قوله ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق﴾ الظاهر انه ليس مقصوده ان الآية نازلة لتسليته عليه الصلاة والسلام بخصوصه عما حصل من الاعسار والاضاقة بل المراد انها نازلة لتسلية المعسرين مطلقا وحصل له عليه الصلاة والسلام التسلى في ضمن هذه التسلية العامة وذلك لان الخاطب في قوله تعالى وآت ذا القربى حقه يعم الكل بقرينة كونه معطوفا على قوله وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه وان قيل انه خطاب له عليه الصلاة والسلام بخصوصه امره الله تعالى ان يؤتى اقاربه الحقوق التى وجبت لهم في مال الفئ والغنيمة واوجب عليه ايضا ان يؤتى حق المساكين وابناء السبيل من هذين المالين كما اشار اليه بقوله وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم ولما كان الخطاب في هذه الآيات يعم الكل وامر الله تعالى الموسرين منهم بالانفاق على المعسرين منهم سلاهم بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق بحسب مشيئته وهي تابعة للحكمة والمصلحة عند المعتزلة وبالعكس عندنا وليس اعسار المعسر لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك لكونه مهانا عند الله ولا لبخل منه تعالى عليه بل هو لكون مصلحته فيه وفي ضمن هذه التسلية العامة تحصل تسليته عليه الصلاة والسلام ايضا فقوله بمشيئته التابعة للحكمة ليس معناه ان افعاله تعالى ومشيئته معللة بالحكمة والمصلحة وان رعاية ماهو الاصلح في حق العبد واجبة عليه بل المراد ان مشيئته تعالى موافقة للحكمة ولاتخلو عنها وانه تعالى منزه عن ان يفعل مالاحكمة فيه ولامصلحة ﴿قوله ويجوز ان يراد الخ﴾ اشارة الى وجهين آخرين لانتظام هذه الآية بما قبلها وعلى كل واحد من الوجهين تكون هذه الآية تعليلا للآية الناطقة بالنهى عن القبض المفرط والبسط المفرط والامر بالاقتصاد تقرير الاول ان القبض المفرط والبسط المفرط كل واحد منهما مختص بالله فاقتصد انت واترك ماهو مختص به تعالى وتقرير الثانى انكم اذا تحققتم وتأملتم فيما بسط الله وقبض واعتبرتم النظر فيه وجدتموه مقتصدا بقبض تارة ويبسط اخرى فاقتصدوا واستنوا بسنته ﴿قوله وان يكون تمهيدا﴾ من حيث انه يدل على انه تعالى متكفل بارزاق العباد على حسب مشيئته المتضمنة للحكم والمصالح فحقيق ان يبنى عليه النهى عن قتل الاولاد خشية الانفاق فان العرب كانوا يقتلون البنات لعجزهن عن الكسب وقدرة البنين عليه بسبب اقدامهم على النهب والغارة وايضا كانوا يخافون ان فقر البنات ينفر اكفاءهن عن الرغبة فيهن فيحتاجون الى انكاحهن من غير الاكفاء وفي ذلك عار شديد ﴿قوله والخطئ﴾ بكسر الخاء وسكون الطاء والهمزة بعدها مصدر خطئ يخطأ بمعنى اثم يأثم وكلاهما من باب علم يعلم علما وهو قرآءة الجمهور وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر خطأ بفتح الخاء والطاء من غير مد وفيه وجهان الاول ان يكون اسم مصدر من اخطأ يخطئ اخطاء اذا اتى بماليس بصواب فهو مغاير الخطأ الذى يقابل العمد والثانى ان يكون لغة في الخطئ بمعنى الاثم كمثل ومثل وحذر وحذر فالمعنى على هذه القرآءة ان قتلهم ليس

(ولاتجعل يدك مغلولة الى عنقك ولاتبسطها كل البسط) تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما آمرا بالاقتصاد بينهما الذى هو الكرم (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير (محسورا) نادما او منقطعا بك لاشئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبى فقال ان امى تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة البالغة فليس مارهقك من الاضاقة الا لمصلحتك (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ماخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا اوانه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولاتقبضوا كل القبض ولاتبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله تعالى (ولاتقتلوا اولادكم خشية املاق) مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال (نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا) ذنبا كبيرا لمافيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطئ الاثم يقال خطئ خطئا كاثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر

وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة فيه اومصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء فى قوله
تخاطأ القناص حتى وجدته *
وخرطومه فى منقع الماء راسب *
وهو مبنى عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا (ولا تقربوا الزنى) بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه (انه كان فاحشة) فعلة ظاهرة القبح زائدة (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدى الى قطع الانساب وتهييج الفتن (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا (ومن قتل مظلوما) غير مستوجب للقتل (فقد جعلنا لوليه) للذى يلى امره بعد وفاته وهو الوارث (سلطانا) تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من قتله او بالقصاص على القاتل فان قوله تعالى مظلوما يدل على ان القتل عمدا عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما (فلا يسرف) اى القاتل (فى القتل) بان يقتل من لا يستحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولى بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قرآءة ابى فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائى فلا تسرف على خطاب احدهما (انه كان منصورا) علة النهى على الاستئناف والضمير اما للمقتول فانه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفى الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذى يقتله الولى اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف (ولا تقربوا مال اليتيم) فضلا عن ان تتصرفوا فيه (الا بالتى هى احسن) الا بالطريقة التى هى احسن بان يحفظه او يثمره (حتى يبلغ اشده) غاية لجواز التصرف الذى دل عليه الاستثناء

بصواب وقرأ ابن كثير خطاء بكسر الخاء وفتح الطاء والمد فيه وجهان ايضا الاول ان يكون لغة فى خطئ والثانى ان يكون مصدر خاطأ يخاطئ خطاء مثل قاتل يقاتل قتالا وخاطأ وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ ومجيئه يدل على وجود خاطأ لان تفاعل مطاوع فاعل كباعدته فتباعد وناولته فتناول فى قول الشاعر

* تخاطأه القناص حتى وجدته * وخرطومه فى منقع الماء راسب *

القناص الصياد ومنقع الماء بالفتح الموضع الذى يحبس فيه الماء اى قصده الصياد فعز منه وخاطأه فعلى هذا معنى الآية ان الذين يقتلون اولادهم كان قتلهم الاولاد خطأ اى عدولا عن الحق والصواب وقرئ خطاء بالفتح والمد وهو اسم مصدر اخطأ كالعطاء اسم الاعطاء وقرئ خطا بفتح الخاء والطاء المنونة اصله خطأ كقرآءة ابن ذكوان الا انه سهل الهمزة بابدالها الفا ثم حذفها لما كنين كعصا وقرئ خطا بكسر الخاء كزنى ﴿قوله الا باحدى ثلاث﴾ اشارة الى ان قوله تعالى بالحق متعلق بلا تقتلوا كانه قيل لا تقتلوا النفس التى عصمها الله تعالى وحقن دمها بالاسلام او بالعهد او بسبب من الاسباب الا بان تستحق القتل بارتكاب شئ مما يوجب قتلها الا ان قوله تعالى الا بالحق مجمل ليس فيه بيان ان ذلك الحق ماهو وان الشئ الذى يستحق المرء بسببه لان يقتل اى شئ هو فبينه عليه الصلاة والسلام بقوله «لا يحل دم امرء مسلم الا لاحد معان ثلاثة كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق» وقوله تعالى انما جزآء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا دل على ان قطع الطريق من جملة الاسباب التى يحل بها دم المرء وقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وقوله اقتلوهم حيث وجدتموهم دل على ان الكفر مع الحرب من جملة الاسباب المبيحة لقتل النفس ومن جملة الاسباب المبيحة لقتل عند الامام الشافعى ترك الصلاة عمدا مجانا معتقدا بفرضيتها وعمل اللواطة وقول الساحر قتلت فلانا بسحرى والقتل بالمثقل فانه يوجب القصاص عنده خلافا لابى حنيفة فى الجميع وبالجملة الاصل فى الدماء الحرمة والحل انما يثبت باسباب عارضة محللة لها بين الشارع كيفيتها وقوله تعالى الا بالحق بين على سبيل الاجمال ان قتل النفس قد يباح بسبب ما وقد فصل بعض تلك الاسباب بنص القرآن وبعضها بالاحاديث المشهورة ﴿قوله تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل﴾ اى بموجبه على من عليه لما جعل ثبوت التسلط لولى القتيل مترتبا على مجرد كون القتيل مقتولا ظلما مع قطع النظر عن كون ذلك القتل عمدا عدوانا موجبا للقصاص او خطأ موجبا للدية جعل الجزآء المترتب على ذلك الشرط ان قتل عمدا ان يثبت لوارث التسلط بالمؤاخذة بمقتضى القتل سوآء كان ذلك المقتضى ثابتا على القاتل وهو ان يقتص منه او ان يعطى دية القتيل فان اولياء المقتول مخيرون بين امرين ان احبوا قتلوا وان احبوا اخذوا الدية من ماله او كان ثابتا على العاقلة ان كان القتل خطأ ثم اشار الى جواز ان يكون المراد بالتسلط المترتب عليه التسلط على القاتل بان يقتص منه ﴿قوله فلا يسرف اى القاتل﴾ اى اذا تقرر انه تعالى جعل لولى المقتول ظلما تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه فلا يسرف القاتل فى القتل بان يقتل من لا يحق قتله فيقتل فيكون قد اسرف فى القتل حيث كان سببا لهلاك نفسه وهلاك غيره وفى الارتداع عنه سلامة نفسه وسلامة نفس الغير فعلى هذا يكون الضمير فى قوله انه كان منصورا للمقتول اى لا يسرف القاتل المبتدى لان من قتل مظلوما كان منصورا فى الدنيا بايجاب القود على قاتله بان يقتص له وليه فان لم يكن له ولى فالسلطان وليه ﴿قوله او الولى بالمثلة او قتل غير القاتل﴾ عطف على قوله القاتل يعنى يحتمل ان يكون المنوى فى قوله فلا يسرف ضمير الولى واسراف الولى يكون على وجهين احدهما ان لا يكتفى بقتل القاتل بل يقتله ثم يمثل به ويقطع اعضاءه وثانيهما ان لا يكتفى بقتل القاتل بل يقتل به جماعة غيره وكل ذلك كان يفعله اهل الجاهلية كانوا يقتلون غير القاتل وكذا كانوا يمثلون بالمقتول فنهى عن كل منهما ﴿قوله والضمير اما للمقتول او اما لوليه﴾ على تقدير ان يكون الحكم المعلل فلا يسرف القاتل ﴿قوله واما للذى يقتله الولى اسرافا﴾ على تقدير ان يكون المعلل فلا يسرف الولى بالمثلة وقتل غير القاتل فان الذى قتله الولى اسرافا منصور بايجاب القصاص على المسرف ان كان اسرافه بالمثلة ثم انه تعالى لما نهى عن اتلاف النفوس اتبعه بالنهى عن اتلاف الاموال فقال ولا تقربوا مال اليتيم الآية وخص مال اليتيم بالذكر لانه لضعفه وكمال عجزه يعظم ضرره باتلاف ماله ونظيره قوله ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا اى مخافة ان يكبروا فيأخذوا اموالهم منكم ومبادرة فى اكله ﴿قوله غاية لجواز التصرف﴾ لا للنهى اذ لا يجوز للوصى ان يتصرف

في مال الصبي بعد بلوغ اشدّه اي بعد بلوغه الى حيث يمكنه بسبب عقله ورشده القيام بمصالح نفسه وعند ذلك لاتبق ولاية غيره عليه وذلك حدّ البلوغ واذا بلغ غير كامل العقل لم تزل الولاية عليه قبل اشدّ الرجل غير اشدّ اليتيم وان كان لفظهما واحدا لان قوله تعالى حتى اذا بلغ اشدّه آتيناه حكما انما هو الاكتهال وذلك ثلاثون سنة واشدّ الغلام ان يشتدّ خلقه وذلك ببلوغه ثماني عشرة سنة ﴿قوله بما عاهدكم الله﴾ على ان العهد بمعنى الوصية والتكليف قال الزجاج كل ما امر الله به ونهى عنه فهو من العهد ﴿قوله او ما عاهدتموه وغيره﴾ على ان يكون العهد بمعنى العقد والالتزام كالنذر والشروع في النوافل والمعاملات الواقعة بين العباد فمقتضى هذه الآية ان كل عقد وعهد يجرى بين انسانين كعقد البيع والشركة والصلح وغيرها فانه يجب عليهما بمقتضى ذلك العقد ﴿قوله يطلب من المعاهد ان لايضيعه﴾ يعني ان قولك سألته الشيء معناه طلبته منه وليس المراد من كون العهد مسؤلا كون ذاته مطلوبا بل المعنى ان عدم تضييع العهد كان مطلوبا من المعاهد وان المعاهد كان مسؤلا مطلوبا بحذف المضاف والمضاف اليه وهما العدم والتضييع وكذا المطلوب منه اعتمادا على دلالة المقام على المراد ﴿قوله او مسؤلا عنه﴾ فان صاحب العهد اذا سئل لم نكثت العهد وما وفيت به يكون العهد مسؤلا عنه بحذف الجار واوصل مسؤلا الى الضمير ﴿قوله او يسأل العهد لم نكثت﴾ بان يكون ضمير مسؤلا راجعا الى العهد ونسب اليه السؤال على طريق الاستعارة التمثيلية بان يشبه العهد بمن نكث عهده وسئل عن نكث عهده واستعمل عبارة المشبه به في المشبه او شبه العهد بمن نكث عهده تشبيها مضمرا في النفس ويجعل نسبة السؤال اليه تخييلا للاستعارة بالكناية والاستشهاد بسؤال الموؤودة باى ذنب قتلت في مجرد السؤال لان سؤالها بعد الاحياء يوم القيامة وهو سؤال على التحقيق وسؤال العهد على التخييل ولاتبكيت في الكلام على الوجه الاول وانما هو في الوجه الثاني والثالث ﴿قوله ولاتتبع﴾ فان قوله تعالى لاتقف مأخوذ من قولهم قفوت اثر فلان اقفوه قفوا وقفوّا اذا اتبعت اثره وسميت قافية الشعر قافية لانها تقفو البيت وسمي القفاقفا لانه مؤخر بدن الانسان كانه شيء يتبعه ويقفوه فمعنى الآية لاتتبع مالاعلم لك به من قول او فعل وحاصله يرجع الى النهي عن الحكم بما لايكون والقافة جمع قائف وهو من يتبع آثار اقدام الناس ويستدل بها على احوال الانسان كحكم المشركين في باب الالهيات والنبوّات بمايعتقدونه بسبب تقليد اسلافهم او اتباع اهوآئهم رجما بالغيب ﴿قوله واحتج به من منع اتباع الظن﴾ اي العمل بالقياس بان قال القياس لايفيد الا الظن والظن يغاير العلم فالحكم في دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم فوجب ان لايجوز بمقتضى هذه الآية ه واجاب عنه بان الظن قد يسمى علما كما في قوله تعالى اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلاترجعوهن الى الكفار ومن المعلوم انه انما يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن وامارات تدل عليه وهو لايفيد الا الظن وقد رأيت انه تعالى سمى هذا الظن علما وقيل انه مخصوص بالعقائد فالنهي عنه هو اتباع الادلة الظنية في الاعتقادات فلاينافي جواز اتباعها في العمليات كيف وقد ثبت ان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قد تكلموا في الحوادث بارآئهم وشاوروا في امرهم وولى ابو بكر وعمر رضى الله عنهما الخلافة باجماع الصحابة بغير نص من الرسول صلى الله عليه وسلم وجعلها عمر شورى ولم يرد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فلايقال انهم فعلوا مافعلوا وقالوا ماقالوا مخالفين لمقتضى هذه الآية تاركين لما دل على ان قوله تعالى ولاتقف ماليس لك به علم ليس فيه الاجتهاد في الاحكام وتشبيه الفروع بالاصول المنصوص عليها لان الائمة قد اجمعوا على ان العمل بالظن جائز في صور كثيرة منها العمل بالفتوى فانه عمل بالظن ومنها العمل بالشهادة فانه عمل بالظن ومنها تقويم قيم المتلفات وارش الجنايات فانه لاسبيل اليه الا بالظن ومنها الصلاة على الميت ودفنه في مقابر المسلمين وتوريث المسلم من ابنه بناء على اسلامه وهو مظنون ومنها اكل الذبيحة بناء على اعتقاد انها ذبيحة مسلم وهو مظنون ه وسند الاجماع في مثل هذه الصورة قوله نحن نحكم بالظاهر وهو يتولى السرآئر وذلك تصريح في ان الظن معتبر في باب العمل فلذلك تخص هذه الآية بالعقائد وقيل انها مخصوصة بالرمي وشهادة الزور ومعناها لاترم ولاتقل ماليس لك به علم ه نقل عن محمد بن الحنفية ان المراد منه شهادة الزور وقال ابن عباس لاتشهد الا بما رأته عيناك وسمعته اذناك ووعاه قلبك ومن هذا القبيل قذف المحصن والمحصنة ورميهما بالاكاذيب فان بعض الناس يذكرون مثالب الناس وعيوبهم ويهجونهم ويبالغون فيه فالمقصود النهي عنه وعن امثاله ويؤيد كون الآية مخصوصة بالرمي قوله عليه الصلاة والسلام ه من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله

(واوفوا بالعهد) بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره (ان العهد كان مسؤلا) مطلوبا يطلب من المعاهد ان لايضيعه ويفي به او مسؤلا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤودة باى ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد صاحب العهد كان مسؤلا (واوفوا الكيل اذا كلتم) ولاتبخسوا فيه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوي وهو رومي معرّب ولايقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي اذا استعمله العرب واجروه مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعرآء (ذلك خير واحسن تأويلا) واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع (ولاتقف) ولاتتبع وقرئ ولاتقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة (ماليس لك به علم) مالم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سوآء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع

وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمى وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج وقول الكميت * ولا ارمى البرئ بغير ذنب * ولا اقفو الحواصن ان قفينا (ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك) اى كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام (كان عنه مسئولا) فى ثلاثتها ضمير كل اى كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير فى عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح (ولا تمش فى الارض مرحا) اى ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت (انك لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا لشدة وطأتك (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل النهى بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس فى التذلل (كل ذلك) اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها المكتوبة فى الواح موسى عليه السلام (كان سيئه) يعنى المنهى عنه فان المذكورة مأمورات ومناهى وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهى عنه خاصة وعلى هذا قوله (عند ربك مكروها) بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن فى كان او فى الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضى لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى (ذلك) اشارة الى الاحكام المتقدمة (مما اوحى اليك ربك من الحكمة) التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل به (ولا تجعل مع الله الها آخر) كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له لا يفيد علمه ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عاية الشرك فى الدنيا وثانيا ما هو نتيجته فى العقبى فقال تعالى (فتلقى فى جهنم ملوما) تلوم نفسك (مدحورا) مبعدا من رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم (انكم لتقولون قولا عظيما) باضافة الاولاد اليه وهى خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف الخلق ادونهم

فى ردغة الخبال والردغة بفتح الدال وسكونها وبالغين المعجمة الماء والطين والوحل الشديد وفى حديث الخبال عصارة اهل النار وهو فى الاصل الفساد وقوله حتى يأتى بالمخرج يريد حتى يرجع عما قال اى حتى يخرج من عهدته وقول الكميت

ولا ارمى البرئ بغير ذنب ○ ولا اقفو الحواصن ان قفينا

الحواصن جمع حاصنة بمعنى محصنة وهى المرأة العفيفة ﴿ قوله فى ثلاثتها ﴾ وهى كان عنه مسئولا ولا يبعد ان يخلق الله الحياة والعقل والنطق فى هذه الاعضاء ثم انه تعالى يوجه السؤال اليها ويسألها عما صرفها صاحبها فى الاقدام فى المعصية ويحتمل ان يكون التقدير ان صاحب السمع والبصر والفؤاد هو المسئول بناء على ان السؤال لا يصح الا عمن يكون عاقلا ناطقا وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم هو الانسان فيقال له لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لا يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه ﴿ قوله اى ذا مرح ﴾ اشارة الى ان المرح بفتح الراء مصدر واقع موقع الحال بتقدير المضاف والمرح شدة الفرح يقال مرح يمرح مرحا فهو مرح المصدر بفتح الراء والنعت بكسرها والمراد من الآية النهى عن ان يمشى الانسان مشيا يدل على الكبرياء والعظمة اى لا تمش فى الارض مختالا فخورا وقديما بكسر الراء وان كان ابلغ فى الدلالة على المعنى المراد وهى نهى المخاطب عن المشى بالكبر والتعظم الا ان المصدر آكد اى اكثر تقريرا للاتصاف بالمرح وفيه بحث لان المصدر انما يكون آكد للاتصاف اذا ترك على حاله كما فى رجل عدل واما اذا اول المصدر بقوله ذا مرح كما فعل المصنف فحينئذ لا يكون فرق بين القراءتين ولما كانت مشية المرح مشتملة على شدة الوطأة والتكبر على الارض بمشيه عليها وعلى التطاول والتعظم قال تعالى فى تعليل النهى عنها انك لن تخرق الارض اى كيف تتكبر على الارض ولن تقدر على ان تجعل فيها خرقا وشقا وكيف تتعظم وتتطاول ولن تبلغ الجبال طولا فانت احقر واضعف من كل واحد من الجمادين فكيف يليق بك التكبر ﴿ قوله يعنى المنهى عنه ﴾ فان الكوفيين وابن عامر لما قرأوا سيئه بضم الهمزة والهاء وتذكير الكلمة من غير تنوين باضافة سيئ الى الضمير الراجع الى قوله كل ذلك مشيرا بقوله ذلك الى جميع ما تقدم وفيه السيئ والحسن حكم على سيئ ما تقدم وهو المنهى بانه كان عند ربك مكروها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب سيئة بفتح الهمزة وتاء التأنيث منصوبة منونة فحينئذ يكون ذلك اشارة الى ما نهى عنه خاصة ويحتمل ان يكون اشارة الى مصدرى قوله تعالى لا تقف ولا تمش وهما قفو ما ليس لك به علم والمشى فى الارض مرحا على طريق قوله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ﴿ قوله والمراد به المبغوض ﴾ جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ان هذه الآية دلت على ان هذه الافعال مكروهة عند الله تعالى والمكروه لا يكون مرادا فهذه الافعال لا تكون مرادة لله تعالى واذا ثبت انها ليست بارادة الله تعالى وجب ان لا تكون مخلوقة لله تعالى لان كونها مخلوقة لله تعالى يستلزم كونها مرادة له ﴿ قوله ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة ﴾ وهى الخصال الخمس والعشرون بعضها نواهى وسماها حكمة لان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير للعمل به والامر بالتوحيد من القسم الاول وباقى التكاليف من القسم الثانى فانها خيرات تعلم لاجل العمل بها ﴿ قوله ورتب عليه ﴾ اى على قوله تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر ما هو غاية الشرك فى الدنيا حيث قال فتقعد مذموما مخذولا والذم والخذلان يحصلان فى الدنيا والقاؤه فى جهنم ملوما مدحورا حيث يحصل يوم القيامة وهذا الكلام لا يتضح الا ببيان الفرق بين المذموم والمخذول وبين الملوم والمدحور فنقول كونه مذموما معناه ان يذكر ان الفعل الذى اقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما واذا ذكر ذلك له يقال له لم فعلت مثل هذا الفعل وما الذى حملك عليه وما استفدت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك فهذا هو اللوم فثبت ان اول الامر هو ان يصير مذموما وآخره ان يصير ملوما واما الفرق بين المخذول وبين المدحور فهو ان المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخاذلت اعضاؤه اى ضعفت واما المدحور الذى هو المطرود فهو عبارة عن الاستخفاف والاهانة قال تعالى ويخلد فيه مهانا فكونه مخذولا عبارة عن ترك اعانته وتفويضه الى نفسه وكونه مدحورا عبارة عن اهانته والاستخفاف به فثبت ان اول الامر ان يصير مخذولا وآخره ان يصير مدحورا ثم انه تعالى لما امر بالتوحيد ونهى عن اثبات الشريك لله تعالى واوعد عليه اتبعه بذكر فساد طريقة من اثبت الولد لله تعالى لا سيما كون ذلك الولد اخس الاولاد فقال أفأصفاكم ربكم بالبنين اى اتزعمون انه تعالى اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه الاخس بان اختصكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا وتقولون

ان الملائكة بنات الله والهمزة فيه للانكار والتوبيخ والتفضيح باختيار مذهب ظاهر الفساد وقوله تعالى واتخذ يجوز ان يكون معطوفا على أفأصفاكم فيكون داخلا في حيز الانكار ويجوز ان يكون الواو فيه للحال وقد مقدرة عند قوم واتخذ يجوز ان يكون متعديا الى اثنين قال ابو البقاء اناثا مفعول اول لاتخذ وثانيهما محذوف اي اولادا واختاره المصنف ايضا حيث قال بناتا لنفسه ومن الملائكة متعلق باتخذ او بمحذوف على انه حال من النكرة بعده وفيما ذهب اليه ابو البقاء نظر لانه يستلزم ان يبتدأ بالنكرة من غير مسوغ لان ماوقع مفعولا اولا في هذا الباب يجب ان يصح وقوعه مبتدأ ومالا يصح ان يكون مبتدأ لا يصح كونه مفعولا اولا والظاهر ان يقال المفعول الثاني هو من الملائكة قدم على الاول كما في قولك في الدار رجل او يقال ان اتخذ ههنا متعدية الى واحد كما في قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا ﴿ قوله كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير ﴾ اشارة الى ان مفعول صرفنا محذوف وهو قوله هذا المعنى والمراد به ابطال اضافتهم البنات الى الله تعالى والمراد من تصريفه صرف تقريره من وجه الى وجه آخر وتلخيصه تكرير تقريره وتبيينه بوجوه مختلفة في مواضع من التنزيل ﴿ قوله ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه تعالى ﴾ بان يطلق القرآن على المعنى بطريق اطلاق اسم الدال على المدلول وحينئذ يقدر لصرفنا مفعول وهو القول ووجه ظرفية هذا المعنى لتصريف القول كونه محلا لتغيير القول وصرفه من اسلوب الى اسلوب آخر ﴿ قوله من الذكر الذي هو بمعنى التذكر ﴾ وهو التفكر والتأمل فان الذكر قد يجيء بهذا المعنى كقوله تعالى خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه والتذكر الاعتبار والاتعاظ قال الواحدي التذكر ههنا اشبه من الذكر لان المراد منه التذكر والتدبر وليس المراد منه الذكر الذي يحصل بعد النسيان ثم ان المقصود من التذكر والاتعاظ ان تطمئن قلوبهم الى هذا المعنى الذي كرر تقريره بوجوه مختلفة بقرينة قوله وما يزيدهم الا نفورا فان النفور مقابل الطمأنينة كانه قيل كررنا القول في هذا المعنى او كررنا هذا المعنى في القرآن المنزل ليتعظوا ويطمئنوا اليه فما يزيدهم الا نفورا وفيه تعكيس بما ينبغي من حيث ان حق هذا التكرير ان يزيدهم اتعاظا وطمأنينة قلب ومع هذا قد زادهم نفورا وعنادا والكاف في قوله تعالى كما تقولون في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي كونا مثل قولكم وقوله تعالى عطف على ما تضمنه المصدر تقديره تنزه وتعالى وعن متعلقة به ﴿ قوله حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ﴾ هذا التعليل مبني على ان قوله تعالى يسبح استعارة تبعية شبه دلالة ما ذكر على تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بالتسبيح واستعمل يسبح مكان يدل كما في قولهم نطق الحال لما ابطل الله تعالى قول الذين قالوا الملائكة بنات الله ونزه ذاته عما نسبوا اليه عقبه بقوله تسبح له السموات السبع دلالة على ان الاكوان باسرها دالة شاهدة بتلك النزاهة ولكن ايها المشركون لا تفهمون دلالتها عليها لاخلالكم بالنظر الصحيح ﴿ قوله ويجوز ان يحمل التسبيح الخ ﴾ عطف على ما سبق من حيث المعنى فان التسبيح الحقيقي وهو ان يقول المسبح بلسانه سبحان الله مثلا لما لم يتصور من الجمادات لتوقفه على الفهم والنطق حمل التسبيح اولا على الدلالة على وحدانية الله تعالى وتنزهه عما لا يليق بالالوهية تشبيها الدلالة الحال بالتسبيح الحقيقي والتسبيح بهذا المعنى المجازي حاصل في جميع الموجودات والحي المكلف كما يسبح الله تعالى بهذا التسبيح المجازي يسبحه ايضا بالقول ثم قال ويجوز ان يحمل التسبيح على عموم المجاز بان يراد مطلق الدلالة سواء كانت دلالة الحال او دلالة اللسان لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ وهو الملائكة والثقلان والى ما لا يتصور منه ذلك وهو السموات والارض ولا يجوز ان يحمل على المعنيين جميعا الا عند من يجوز كون الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز ﴿ قوله وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابو بكر يسبح بالياء ﴾ اي الياء المنقوطة من تحت لاسناد الفعل الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي ولوجود الفصل بين الفعل وفاعله المؤنث والباقون بتاء التأنيث ﴿ قوله حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم ﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يجعل خطاب لا تفقهون للمشركين ولا يخاطب بالحلم والمغفرة الا المؤمنون وتقرير الجواب ان قوله تعالى انه كان حليما استئناف في موضع التعجب كانه قيل ما احلمه واعظم غفرانه حيث يعلم من هؤلاء المعاندين ما هم عليه ثم لا يعاجلهم بالعقوبة ﴿ قوله مستورا ذا ستر ﴾ على ان مستورا من باب النسب كقولهم مكان مهول وجارية مغنوجة اي ذو هول وذات غنج ورجل مرطوب اي ذو رطوبة وكان وعده مأتيا بمعنى ذي اتيان لانه يؤتى اليه وسيل مفعم بفتح العين اي ذو ملء لانه مملوء فان السيل مفعم بكسر العين والوادي مفعم

(ولقد صرفنا) كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير (في هذا القرآن) في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف (ليذكروا) ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر (وما يزيدهم الا نفورا) عن الحق وقلة طمأنينة اليه (قل لو كان معه آلهة كما تقولون) ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفي ما بعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم (اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا) جواب عن قولهم وجزاء لو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة (سبحانه) تنزه تنزيها (وتعالى عما يقولون علوا) تعاليا (كبيرا) متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده) ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابو بكر يسبح بالياء (انه كان حليما) حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم (غفورا) لمن تاب منكم (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا) يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم (مستورا) ذا ستر كقوله تعالى وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون

ولايفقهون انهم لايفقهون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه بالدلالات المنصوبة فى الانفس والآفاق تقريراً له وبياناً لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله (وجعلنا على قلوبهم اكنة) تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله (ان يفقهوه) كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اى منعناهم ان يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يمنعهم عن استماعه استماع تأمل فى لفظه وتدبر فى معناه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لكفرهم ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده او بمعنى واحدا وحده (ولوا على ادبارهم نفورا) هربا من استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود (نحن اعلم بما يستمعون به) بسببه ولاجله من الهزؤ بك وبالقرآن (اذ يستمعون اليك) ظرف لاعلم وكذا (واذ هم نجوى) اى نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجى (اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) مقدر باذكر او بدل من اذهم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم والمسحور هو الذى سحر به فزال عقله وقيل الذى له سحر وهو الرئة اى الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم (انظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون (فضلوا) عن الحق فى جميع ذلك (فلا يستطيعون سبيلا) الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير فى امره لايدرى ما يصنع او الى الرشاد (وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا) وحطاما (أإنا لمبعوثون خلقا جديدا) على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحى ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل فى اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لايعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال (قل) جوابا لهم (كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم) اى مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالى لاتقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشئ اقبل لما عهد (زيد)
فيه مما لم يعهد (فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة) وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحياة (فسينغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء

بفتح العين، الجوهرى الفعم الممتلئ يقال ساعد فعم وافعمت الاناء ملأته وافعم المسك البيت ملأه بريحه والحجاب ليس بمستور بل المستور ما وراءه فلذلك جعل المستور للنسب ويحتمل ان يكون توصيف الحجاب بكونه مستورا عبارة عن كونه غير مرئى على طريق اطلاق الملزوم وارادة لازمه لان ما يكون مستورا يلزمه ان لايرى ﴿قوله او بحجاب آخر﴾ بان يكونوا محجوبين بالحجاب الاول من فهم ما يقرأ عليهم وبالحجاب الثانى حجبوا عن فهم كونهم محجوبين عن فهم ما تلى عليهم وهو قوله لايفقهون ولا يفقهون انهم لايفقهون ﴿قوله نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم﴾ بيان لوجه ارتباط هذه الآية بما قبلها وذلك انه تعالى ابطل مقالة المشركين ونزه نفسه عما نسبوا اليه تعالى ثم قال تسبح له السموات السبع الآية على معنى ان جميع الكائنات تدل على تنزيهه عن جميع لوازم الامكان والحدوث ولكن لاتفقهون الدلالات المنصوبة فى الانفس والآفاق ثم قرر ذلك بقوله واذا قرأت القرآن الآية وقوله تعالى ان يفقهوه اما مفعول له بتقدير المضاف او مفعول به على تقدير ومنعناهم ان يفقهوه لدلالة الجملة على قوله ومنعناهم ﴿قوله واصله يحد وحده﴾ حذف الفعل الذى هو يحد واقيم المصدر مقامه ولو قيل المصدر بمعنى اسم الفاعل كأنه قيل واحدا لكان له وجه ﴿قوله هربا ونفرة او تولية﴾ الاول على ان يكون انتصاب نفورا على انه مفعول له اى تركوا مجلس الذكر هربا عن استماعه والثانى على انه مفعول مطلق من غير لفظ الفعل لان التولى والنفور بمعنى وان كان جمع نافر يكون حالا من فاعل ولوا فالكفار كانوا عند استماع القرآن على حالتين فاذا سمعوا من القرآن ما ليس فيه ذكر الله تعالى بقوا مبهوتين متحيرين لايفهمون منه شيأ واذا سمعوا آيات فيها ذكر الله تعالى وذم المشركين تركوا ذلك المجلس وولوا هاربين ثم ان القوم لما وصفوه عليه الصلاة والسلام بكونه مسحورا فاسد العقل ذكر ما يدل على فساد عقله عليه الصلاة والسلام بحسب زعمهم وهو قولهم انه عليه الصلاة والسلام يدعى ان الانسان بعد ما يصير عظاما ورفاتا يعود حيا طريا كما كان فحكى الله تعالى عنهم ذلك تجهيلا لهم وابطالا لمقالتهم فقال وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا قال الواحدى الرفت كسر الشئ بيدك تقول رفته وارفته على وزن جبرته واجبرته بكسر العين فى المضارع اذا كسرته كما يكسر المدر والعظم البالى والرفات الاجزاء المتفتتة من كل شئ يقال رفت رفتا فهو مرفوت مثل حطم حطما فهو محطوم وزنا ومعنى والحطام اسم بمعنى المحطوم كالجذاذ والرضاض والفتات ﴿قوله وخلقا مصدر﴾ اى على غير لفظ الفعل اى أإنا لمبعوثون بعثا جديدا وحال بمعنى مخلوقين فالقوم لما استبعدوا ان يردوا الى حال الحياة بعد ان صاروا عظاما ورفاتا بجعلها حية عاقلة كما كانت والدليل على صحة ذلك ان تلك الاجسام قابلة للحياة والعقل على خلاف ما زعموا من امتناع العظام المرفوتة عن قبول الحياة لغلبة اليبس عليها اجابهم الله تعالى بما معناه تحولوا وتعادوا بعد الموت الى اى صفة تزعمون انها اشد منافاة للحياة وابعد عن قبولها كصفة الحجرية والحديدية ونحوهما مما هو ابعد من قبول الحياة بالنسبة الى حال كونكم عظاما مرفوتة فى صفة الحياة والعقل والادراك ونحوها مما هو لازم الحياة فانه تعالى يعيد الحياة اليها اذ لو لم تكن قابلة لها لما قبلت اياها فى اول الامر والله العالم عالم بجميع الجزئيات فلا تشتبه عليه اجزاء بدن زيد المطيع باجزاء بدن عمرو العاصى وقادر على الممكنات واذا ثبت ان عود الحياة الى تلك الاجزاء ممكن قطعا سواء صارت عظاما ورفاتا او صارت شيأ ابعد من العظام المرفوتة فى قبول الحياة نحو ان تصير حجارة او حديدا فقوله تعالى كونوا حجارة ليس المراد منه الامر بل المراد انكم لو كنتم كذلك لما اعجزتم الله تعالى عن الاعادة وذلك كقول القائل للرجل أتطمع فى وتغلظ على وانا فلان فيقول كن من شئت كن ابن الخليفة فسأطلب منك حقى فكذا المعنى ههنا كونوا على اى صفة كانت فاعادة الحياة اليكم ممكنة ﴿قوله فسيحركونها﴾ يقال انغض رأسه ينغضه انغاضا اذا حركه انكارا او استبعادا واما نغض ثلاثيا ينغض بفتح الغين وضمها فمعناه تحرك وهو لايتعدى ﴿قوله وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر﴾ اعلم ان عسى يرفع الاسم وينصب الخبر نحو كان كقوله عسى الغوير ابؤسا وعسيت صائما الا ان خبرها فى الاغلب يكون ان مع الفعل نحو عسى زيد ان يخرج فان زيدا فيه مرفوع على انه اسم عسى وان يخرج منصوب المحل على انه خبرها والتقدير عسى زيد الخروج اى ذا الخروج واحتيج الى تقدير المضاف لئلا يلزم كون الحدث خبرا عن الجثة وتستعمل على وجه آخر وهو ان تتم بمرفوعها الذى كان منصوب المحل فى الاستعمال الاول وتستغنى عن خبرها لاشتمال الاسم على المنسوب والمنسوب اليه نحو عسى ان يخرج زيد والآية التى نحن فيها يحتمل ان يكون اسم عسى فيها راجعا الى البعث وتكون كلمة ان مع ما فى حيزها خبر عسى كما فى قوله عسى

زيد ان يخرج والظاهر ان يكون ضميرا لفظ يكون التامة ويكون التقدير عسى البعث ان يقع في زمان قريب وان يكون قوله يوم يدعوكم بدلا من قريبا والمعنى عسى ان يقع البعث يوم يدعوكم وهو يوم النفخة الاخيرة ويحتمل ان يكون منصوبا باذكر جعل قوله تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده مجازا على طريق التمثيل كما في قوله كن فيكون لان حقيقة الدعاء والاجابة غير معقول في حق الاموات فالظاهر انه لادعاء ههنا ولا اجابة ولا خطاب ولا مخاطب شبه حال المكلفين من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى يوم النفخة الاولى ومطاوعة الجميع لارادة الباعث وانبعاثهم انبعاث شخص واحد منقاد لامر الآمر المطاع بالدعوة والاجابة فعبر عن الحالة المشبهة بما عبر به عن المشبه به والاستجابة في الاصل موافقة الداعي فيما دعا اليه وهي الاجابة الا ان الاستجابة تقتضي طلب الموافقة فهو اوكد من الاجابة وقد ورد في الاخبار ان اسرافيل عليه الصلاة والسلام يقوم على صخرة بيت المقدس يدعو اهل القبور في قرن يقول ايتها العظام البالية واللحوم المتفرقة والعروق المتقطعة اخرجوا من قبوركم فيخرجون وظاهره يدل على ان الدعاء القول والاجابة اجابة القول والعمل فلا ينبغي لنا الا ان نقول آمنت بالله وبما جاء من عند الله على مراد الله وآمنت بالله وبرسول الله وبما جاء من عنده على مراده وقوله بحمده حال من فاعل تستجيبون اي تستجيبون ملتبسين بحمده ﴿ قوله وتستقصرون مدة لبثكم في القبور ﴾ ينبغي ان يراد من اللبث في القبور لبثهم فيما بين النفختين الاولى والثانية فانه يزال عنهم العذاب في هذا الوقت كما روي عن ابن عباس انهم لما بعثوا وعاينوا اهوال القيامة استقصروا مدة لبثهم في القبور فيما بين النفختين استقصار من اماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم وانما قلنا هذا لان الكلام مع من ينكر البعث ويقول متى هو فلا جرم ان يكون هو في العذاب الشديد من حين مات فكيف يمكنه ان يستقصر جميع تلك المدة كالذي مرّ على قرية فان من كان مبتلى بالعذاب الشديد في القبر فلا يستقصر مقامه فيه يوم يبعثه الله فيبعث الان بقال يوم البعث والانبعاث يوم ممتد يتناول الزمان الذي قامي فيه شدآئد عذاب النار واهواله فان من عاينها وابتلي بها يصح منه ان يستقصر مدة لبثه في القبر ويستحقر ما ابتلي به فيه بالنسبة الى ما ابتلي به بعد البعث فان من كان في بلاء وشدة اذا انزل به ما هو اشد منه واعظم استقصر ما كان فيه قبل ذلك فكذا المشرك اذا عاين عذاب القيامة واهوالها استقصر ما كان فيه من العذاب في القبر ونسي ذلك ثم انه تعالى لما بين صحة المعاد بقوله قل الذي فطركم اول مرة امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يقول المؤمنين اذا ارادوا ايراد الحجج الدالة على صحة الحشر والمعاد على المخالفين فاذكروا تلك الدلائل والحجج بالطريق الاحسن وهو ان لا يكون ذكرها مخلوطا بالشتم والسب اذ لو اختلط بذكرها شيء من السب لقابلوكم بمثله كما قال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ويزداد الغضب ويتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود بخلاف ما اذا اقتصر على ذكر الحجة بالطريق الاحسن الخالي عن الشتم والايذاء فان ذكرها على هذا الوجه يؤثر في القلب تأثيرا شديدا ﴿ قوله تفسير التي هي احسن ﴾ فيكون المراد بقوله قل لعبادي الذين آمنوا ويكون قوله ربكم اعلم بكم خطابا مع الكفار على انه مقول لقوله يقولوا وقوله التي هي احسن توطئة وتمهيدا له وقوله وما ارسلناك عليهم وكيلا كالتذييل لمجموع مجادلته مع المشركين فامر المؤمنين بها من لدن قوله وقالوا أئذا كنا عظاما الى ههنا ويكون المعنى ايها المشركون ان يشأ ربكم يرحمكم بان يوفقكم للايمان والمعرفة وان يشأ يعذبكم على الكفر فيعذبكم الان تلك المشيئة غائبة عنكم فاجتهدوا انتم في طلب الدين ولا تصروا على الجهل والباطل لئلا تصيروا محرومين من السعادات الابدية وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض بين المفسر والمفسر ثم انه تعالى لما قال ربكم اعلم بكم قال بعده وربك اعلم بمن في السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والكائنات فيعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد فلهذا السبب فضل بعض النبيين على بعض وآتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل وخص كلا منهم بما يقتضيه علمه ومشيئته فيه فلا يبعد ايضا ان يؤتي خاتم النبيين القرآن ويفضله على جميع افراد نوع الانسان وان يخص اصحابه العراة الجوع بشرف صحبته وكل ذلك لاجل انه تعالى لا ينظر الى الصور وظواهر العلائق الجسمانية وانما ينظر الى طهارة الباطن واستعداده للتحلي بالفضائل النفسانية والمعارف الذوقية الربانية والحاصل انه تعالى ردّ أوّلا على المشركين في استبعادهم البعث بقولهم أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم ويجادلهم بالطريق الذي امره به

(ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا) فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون اسم عسى او خبره والاسم مضمر (يوم يدعوكم فتستجيبون) اي يبعثكم فتبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء (بحمده) حال منهم اي حامدين الله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مرّ على قرية او مدة حياتكم لما ترون من الهول (وقل لعبادي) يعني المؤمنين (يقولوا التي هي احسن) الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين (ان الشيطان ينزغ بينهم) يهيج بينهم المرآء والشرّ فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد (ان الشيطان كان للانسان عدوّا مبينا) ظاهر العداوة (ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم) تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرّحوا بانهم من اهل النار فانه يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله

(وما ارسلناك عليهم وكيلا) موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم وامر اصحابك بالاحتمال منهم روى ان المشركين افرطوا فى ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو (وربك اعلم بمن فى السموات والارض) وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية والتبرى من العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب فى الزبور من ان الارض يرثها عبادى الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لانه فى الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس او الفضل او لان المراد وآتينا داود بعض الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام (قل ادعوا الذين زعمتم) انها آلهة (من دونه) كالملائكة والمسيح وعزير (فلا يملكون) فلا يستطيعون (كشف الضر عنكم) كالمرض والفقر والقحط (ولا تحويلا) ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة (ايهم اقرب) بدل من واو يبتغون اى يبتغى من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة

ثم امر المؤمنين بان يجادلوا معهم بالطريقة التى هى احسن ولا يخاشنوهم لئلا يفوت المقصود ثم قال فى آخره كيف تخاشنهم انت والمؤمنون وما ارسلناك تقسرهم على الايمان ثم انه تعالى ردّ على المشركين فى استبعادهم امر النبوة بعد الرد عليهم فى استبعادهم البعث بمثل قولهم كيف يكون يتيم ابى طالب نبيا ويكون العراة الجوع اصحابه فقال وربك اعلم بمن فى السموات والارض على معنى انهم ان كانوا لا يعلمون وجه استحقاقك النبوة واستحقاق اصحابك التقدم فى اتباعك والاهتداء لدينك فاعلم ان ربك اعلم باحوال من فى السموات والارض وبما آتى كل واحد منهم من الفضل والتقدم ولذلك لا تتفاوت مراتب الانبياء فى الاتصاف بالملك وتشييد القصور والبقاع حتى ان داود عليه الصلاة والسلام مع كونه ملكا عظيما لم يذكر الله تعالى ما آتاه من الملك وذكر ما آتاه من الكتاب للتنبيه على ان المراد من تفضيل بعض النبيين على بعض هو التفضيل بالعلم والدين والفضائل النفسانية والتبرى من العلائق الجسمانية لا بالمال والجاه فظهر بما ذكر من التقرير ان ليس المراد منه البعض المطلق والكلام مسوق لتقرير ما اجمل فى قوله وربك اعلم بمن فى السموات والارض فان علمه بمن فيهما عبارة عن انه تعالى انما يفضل منهم من يفضله على حسب علمه بحاله ومشيئته فى حقه وقوله وآتينا داود زبورا انما ذكر فى هذا المقام للتنبيه على ان المراد تفضيل بعض الانبياء على بعض التفضيل بالفضائل النفسانية والعلوم الدينية لا بالملك وسعة المال حتى انه تعالى لم يتعرض لشئ من فضائل داود عليه الصلاة والسلام سوى ما شرفه به من ايتائه الزبور ﴿قوله وقيل هو﴾ اى قوله تعالى ولقد فضلنا الآية اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قيل ان المراد بالبعض المعهود نبينا وذكر هذا المعطوف فى مقام تعيينه وكان الزبور مشتملا على وجه تفضيله وهو انه عليه الصلاة والسلام خاتم الانبياء وان امته عليه الصلاة والسلام خير الامم فان ذلك مكتوب فى زبور داود عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون والمراد بهم نبينا صلى الله عليه وسلم وامته فكان عطفه عليه تنبيها على وجه تفضيله ﴿قوله وتنكيره ههنا﴾ يعنى ان الزبور علم لكتاب داود عليه الصلاة والسلام فكيف عرّف تارة ونكر اخرى والتعريف العلمى يغنى عن التعريف اللامى واجاب عنه اولا بانه ليس من الاعلام المرتجلة بل هو من الاعلام المنقولة فانه منقول من اسم صفة كحاتم وعباس او من اسم معنى كفضل لانه اسم فعول بمعنى مفعول كحلوب او بمعنى المصدر كقبول وبعد ما نقل الى العلمية جاز تعريفه تلميحا واشارة الى اصله وجاز تنكيره اعتبارا لعلميته كعباس والعباس وفضل والفضل وثانيا بانه ليس من الاعلام بل هو اسم جنس بمعنى المزبور وهو المكتوب فاذا اريد به المعهود المعين يحتاج الى تعريفه باللام كما فى قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر وان اريد به فرد من جنس المزبور عظيم الشان كامل فى كونه كتابا يستعمل نكرة كما فى قوله تعالى وآتينا داود زبورا وكذا ان اريد به قطعة من قطع الزبور المعهود بان يكون الزبور اسما مشتركا بين الكل والبعض كما يطلق على الكل يطلق على كل بعض منه كما يطلق على بعض القرآن قرآن فلما قصد به فرد مما يصدق عليه زبور بمعنى قطعة من الزبور نكر كما فى قوله تعالى وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى ﴿قوله انها آلهة﴾ اشارة الى ان كل واحد من مفعولى زعمتم محذوف لدلالة المقام عليه اى زعمتموهم آلهة او زعمتم انها آلهة ﴿قوله كالملائكة والمسيح وعزير﴾ لم يذكر الاصنام لانه تعالى قال فى صفتهم اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة وابتغاء الوسيلة الى الله تعالى لا يليق بالاصنام البتة فينبغى ان تكون الآية نازلة فى قوم عبدت الملائكة من المشركين زاعمين انه ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله تعالى فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله تعالى وهم الملائكة فاتخذوا لملك الذى عبدوه تمثالا وصورة واشتغلوا بعبادة ذلك التمثال على زعم انه تمثال ملك فانزل الله تعالى هذه الآية احتجاجا على بطلان قولهم ووجه الاحتجاج ان الاله المعبود هو القادر على ازالة الضرر وايصال النفع والاشياء التى يعبدونها لا يقدرون على كشف الضر ولا على تحصيل النفع وغاية شأن الملائكة انهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون فوجب القطع بان شيأ منها ليس باله وروى عن ابن عباس ومجاهد انها نزلت فى الذين عبدوا المسيح وعزيرا والملائكة والشمس والقمر والنجوم وفى الوسيط قال المفسرون ان المشركين من قريش واهل مكة اصابهم قحط شديد سبع سنين حتى اكلوا الكلاب والجيف واستغاثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله قل ادعوا الذين زعمتم اى ادعيتم انها آلهة من دون الله ﴿قوله هؤلاء الآلهة يبتغون﴾ اشارة الى ان اولئك مبتدأ يشير الى الذين زعمهم المشركون انهم آلهة من دون الله وقوله الذين يدعون صفة المبتدأ وفاعل

(يدعون)

يدعون ضمير المشركين و عائداً لصلة محذوف والمعنى اولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركون لكشف ضرهم او يدعونهم الآلهة فمعولها او مفعولاها محذوفان و يبتغون خبر المبتدأ و الوسيلة القربة و ايهم موصولة بمعنى الذى حذف صدر صلتها و هى بدل من الضمير فى يدعون و التقدير ماذكره بقوله يبتغى من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة اى التقرب اليه تعالى فكيف بغير الاقرب ﴿ قوله بالموت و الاستئصال ﴾ فان الهلاك قد يستعمل فى الموت كقوله تعالى ان امرؤ هلك اى مات عن قتادة انه قال هذا قضاء من الله تعالى كما سمعت ليس منه بد اما ان يهلكنا بموت كقوله كل نفس ذائقة الموت او يهلكنا بعذاب مستأصل اذا تركوا امره و كذبوا رسله حمل الاهلاك على الامانة من غير تسليط احد على الميت و التعذيب الشديد على الاهلاك بعذاب الاستئصال وقال الزجاج مامن اهل قرية الا و سيهلك اما بموت و اما بعذاب يستأصلهم وقال مقاتل اما المؤمنة الصالحة فبالموت و اما الطالحة فبالعذاب و هذه كلمات متقاربة سكت المصنف عنها لانه تعالى جعل التعذيب قسيما للاهلاك فلا بد ان يكون ادنى حالا من الاهلاك و عليه فلا وجه لحمله على عذاب الاستئصال بخلاف قتل الرؤساء و اصابة انواع البلاء فانه ادنى حالا من اهلاك الاستئصال و الله اعلم لما قال تعالى فى الآية المتقدمة ان عذاب ربك كان محذورا بين ان كل قرية مع اهلها لابد ان يرجع حالها الى احد امرين اما الاهلاك و اما التعذيب وقيل المراد من قوله و ان من قرية قرى الكفار ولابد ان يكون عاقبتها احد الامرين اما الاستئصال بالكلية و هو المراد من الاهلاك و اما العذاب الشديد من قتل كبرائهم و تسليط المسلمين عليهم بالسبى و اغتنام الاموال و اخذ الجزية فتصير القرى كلها فى حكم اهل الاسلام على ماقال بعض اهل التأويل فى قوله تعالى اولم يروا انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها لايزال ينقص اهل الكفر قرية فقرية و بلدة فبلدة حتى تصير الارض كلها لاهل الاسلام وهو ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال « زويت لى الارض فرأيت مشارقها و مغاربها و سيبلغ ملك امتى ما زوى لى منها » فذلك و الله اعلم تأويل قوله تعالى الانحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا اى نهلك اهل الكفر و يحتمل ان يكون المراد من الآية انه يفنى جميع من كان على وجه الارض و يجعل الارض مستوية لابناء فيها و لا ارتفاع حيث قال كل من عليها فان وقال و يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا و لا امتا وقال و بست الجبال بسا فكانت هباء منبثا و نحو ذلك و جميع ذلك يدل على انه لايبقى عليها احد و لا بناء فتصير كلها صفصفا لاترى فيها عوجا و لا امتا فذلك هلاكها و تعذيبها و الله اعلم كذا فى شرح التأويلات ﴿ قوله و استوجبوا الاستئصال ﴾ و ذلك انه تعالى قد انزل ابان رسالة كل رسول من الآيات و الحجج ما لا يحتاج الامة بعدها الى انزال آية اخرى فاذا سألوا شيأ من الآيات بعد ذلك يكون ذلك السؤال سؤال تعنت و عناد لا سؤال استرشاد و استهداء و قد جرت سنة الله تعالى على ان كل من سأل تعنتا و تمردا شيأ من الآيات و اظهر الله تعالى ماسأله و لم يعتبر بها و كفر بعد رؤيتها و لم يؤمن بسببها يحل بهم عذاب الاستئصال الاترى ان قوم عيسى عليه الصلاة و السلام سألوه ان يسأل ربه ان ينزل عليهم مائدة من السماء تكون لهم آية فسأله فاخبره الله تعالى انه ينزلها عليهم ثم اخبر ان من كفر منهم بعد انزالها عليهم فانه يعذبه عذابا لايعذبه احدا من العالمين و ذلك لان سؤالهم كان مبنيا على التمرد و العناد « روى ان اهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعل الله تعالى لهم الصفا ذهبا وان يزيل عنهم الجبال التى حوالى مكة حتى يزرعوا تلك الاراضى فطلب عليه الصلاة و السلام ذلك من الله تعالى فقال تعالى ان شئت فعلت ذلك لكن بشرط ان كفروا اهلكتهم فقال عليه الصلاة و السلام لا اريد ذلك فنزلت هذه الآية » و كانت كفار قريش يقترحون عليه عليه الصلاة و السلام اظهار معجزات قاهرة غير ذلك مثل قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا و قولهم له عليه الصلاة و السلام انك تزعم انه كان قبلك انبياء فمنهم من سخرت له الريح و منهم من كان يحيى الموتى فأتنا بشئ من هذه المعجزات فاجاب الله تعالى عنه بقوله و مامنعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون اى مامنعنا ان نرسل بها الا علمنا بان الآخرين يكذبون بها كما كذبت بها الاولون فيستوجبون بذلك التكذيب عذاب الاستئصال على ماجرت عليه السنة الالهية و قد سبق من وعده انه لايهلك هذه الامة بعذاب الاستئصال رحمة و فضلا و تكريما لنبيهم الذى ارسله رحمة للعالمين بل اخر جزاءهم الى يوم القيامة ﴿ قوله بينة ذات ابصار ﴾ اشارة الى ان مبصرة حال من الناقة و الاسناد مجازى لان الابصار قائم بمن اعتبر بها و استدل و الناقة سبب ابصار الحق و تصديق الرسول فقوله مبصرة بناء النسبة اى بينة ذات ابصار على معنى ان فيها ابصارا لمن تأملها يبصر بسببها الحق او بينة

(وان من قرية الانحن مهلكوها قبل يوم القيامة) بالموت و الاستئصال (او معذبوها عذابا شديدا) بالقتل و انواع البلية (كان ذلك فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا (و مامنعنا ان نرسل بالآيات) و ماصرفنا عن ارسال الآيات التى اقترحتها قريش (الا ان كذب بها الاولون) الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم فى الطبع كعاد و ثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك و استوجبوا الاستئصال على مامضت به سنتنا و قد قضينا ان لانستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال (و آتينا ثمود الناقة) بسؤالهم (مبصرة) بينة ذات ابصار او بصائر

اوجاعلهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح (فظلموا بها) فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها (وما نرسل بالآيات) اى الآيات
المقترحة (الا تخويفا) من نزول العذاب
المستأصل فان لم يخافوا أنزل او بغير المقترحة
كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب
الآخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى
يوم القيامة والباء مزيدة او فى موقع الحال
والمفعول محذوف (واذ قلنا لك) واذكر
اذ اوحينا اليك (ان ربك احاط بالناس) فهم
فى قبضة قدرته او احاط بقريش يعنى اهلكهم
من احاط بهم العدو فهى بشارة بوقعة بدر
والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه
(وما جعلنا الرؤيا التى اريناك) ليلة المعراج
وتعلق به من قال انه كان فى المنام ومن قال انه
كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام
الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه
ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها
حينئذ ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله
اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى انه
لما ورد ماءه قال لكأنى انظر الى مصارع القوم
هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان
فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل
رأى قوما من بنى امية يرقون منبره وينزون
عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا
يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله
(الا فتنة للناس) ما حدث فى ايامهم
(والشجرة الملعونة فى القرآن) عطف على
الرؤيا وهى شجرة الزقوم لما سمع المشركون
ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق
الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا
ان من قدر ان يحمى وبر السمندل من ان تأكله
النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع
الحديد المحماة الحمر التى تبتلعها قدر ان يخلق
فى النار شجرة لا تحرقها ولعنها فى القرآن
لعن طاعميها ووصفت به على المجاز للمبالغة
او وصفها بانها فى اصل الجحيم فانه ابعد
مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية
من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد
اوّلت بالشيطان وابى جهل والحكم بن ابى
العاصى وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر
محذوف اى والشجرة الملعونة فى القرآن
كذلك (ونخوفهم) بانواع التخويف (فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا) الاعتوا متجاوز الحد

ذات بصائر وهو جمع بصيرة بمعنى الحجة الواضحة وتسمى بصيرة على الاسناد المجازى لكونها سببا للابصار والناقة وان كانت شيأ واحدا لكنها مشتملة على آيات كثيرة من ظهورها من الصخرة الصماء وظهور سقيها اعقيب خروجها وعظم ضرعها وكثرة درّها وغير ذلك ﴿ قوله اوجاعلهم ذوى بصائر ﴾ اى جمع وقرئ بالفتح اى بفتح الميم والصاد بمعنى محل ابصار كقوله عليه الصلاة والسلام « الولد مبخلة مجبنة » اجرآء لها مجرى الامكنة على طريق ارض مسبعة ﴿ قوله اى الآيات المقترحة ﴾ فان اصل الآيات يظهرها الله تعالى لان يستدل بها على صدق مدعى النبوة واما الآيات التى اقترحها القوم بعد ظهور ما يكون كافيا فى الدلالة على صدق المدعى فليس ارسالها لاجل ان يهتدى بها القوم لكونهم معاندين غير طالبين لرشاد وانما يرسلها الله تعالى لاجل ان يخافوا من نزول العذاب المستأصل ويعدوها كمقدمة الجيش وطليعته من حيث معاينتهم كمال قدرة الله تعالى حال تعنتهم ومخالفتهم امره ﴿ قوله او بغير المقترحة ﴾ فان قيل المقصود الاعظم من اظهار الآيات ان يستدل بها على صدق المدعى فكيف قيل ليس المقصود من اظهارها الا التخويف « فالجواب ان ظهور الآية الخارقة للعادة انما يؤدى الى التصديق والايمان من حيث دلالتها على انه من لم يتفكر فيها ولم يستدل بها على الصدق يستحق العذاب الشديد فهذا الخوف هو الذى يحمله على التفكر والتأمل فى تلك المعجزة والباء فى قوله بالآيات اما مزيدة فى المفعول او التقدير وما نرسل الرسل ملتبسين بالآيات والمعجزات الا تخويفا وقوله تعالى واذ قلنا لك كأنه جواب عما خطر بباله عليه الصلاة والسلام من ان عدم ارسال ما اقترحه القوم من الآيات يوجب ان يزداد عنادهم الى حيث يمنعه من تبليغ رسالته واظهار دينه كأنه قيل لا تتوهم ذلك واذكر ما اوحى اليك ربك من ان الناس فى قبضة قدرتى انصرك واعصمك منهم على ما انت عليه ﴿ قوله او عام الحديبية ﴾ عطف على قوله ليلة المعراج اى المراد رؤياه التى رآها فى عمرة الحديبية فانه عليه الصلاة والسلام رأى ان يدخل مكة واخبر بذلك اصحابه فلما منع من البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم حتى قال عمر لابى بكر رضى الله تعالى عنهما قد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ندخل البيت ونطوف به فقال ابو بكر انه لم يخبرنا انا نفعل ذلك فى هذه السنة وسنفعل ذلك فى سنة اخرى فلما جاء العام المقبل دخلها فانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وكون الواقعة مدنية لا ينافى كون رؤيتها حاصلة فى مكة كما ان ما رآه ليلة المعراج كان فتنة للناس من حيث انه عليه الصلاة والسلام لما ذكر لهم قصة الاسرآء كذبه وكفر به كثير ممن كان قد آمن به وازداد المخلصون ايمانا ﴿ قوله ولعله رؤيا رآها فى وقعة بدر ﴾ وما قيل من ان تلك الواقعة مدنية والسورة مكية فجوابه ما ذكرنا من ان كونها مدنية لا ينافى ان تقع رؤية ما يتعلق بها فى مكة ﴿ قوله ان من قدر ان يحمى وبر السمندل ﴾ وهو دويبة تكون فى بلاد الترك لا تؤثر فيها النار ويتخذ من وبرها مناديل فاذا اتسخت المناديل القيت فى النار فيذهب الوسخ ويبقى المنديل ﴿ قوله ولعنها فى القرآن ﴾ جواب عما يقال ليس فى القرآن لعن هذه الشجرة فكيف وصفت بانها ملعونة فى القرآن « اجاب عنه اوّلا بان اسناد اللعن الى الشجرة اسناد مجازى من قبيل اسناد وصف طاعمها من الكفرة والظلمة اليها وثانيا بان اللعن فى اللغة التبعيد فلما كانت هذه الشجرة مبعدة من جميع وجوه الخير حيث كان موضع استقرارها اصل الجحيم سميت ملعونة بناء على عرف العرب فانهم يقولون لكل طعام مكروه ضار انه ملعون لكونه ضارا مكروها وهو المراد بكونها ملعونة فى القرآن ﴿ قوله وقد اوّلت بالشيطان ﴾ عطف على قوله وهى شجرة الزقوم وقيل المراد بالشجرة الملعونة فى القرآن الشيطان الخ روى عن ابن عباس ان الشجرة الملعونة فى القرآن المراد بها بنو امية بن الحكم بن ابى العاصى قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ان بنى مروان يتداولون منبره فقص رؤياه على ابى بكر وعمر وقد خلا فى بيته معهما فلما تفرقوا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم يخبر برؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد ذلك عليه واتهم عمر فى افشاء سره ثم ظهر ان الحكم كان يتسمع اليهم والى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواحدى هذه القصة كانت بالمدينة والسورة مكية فيبعد هذا التفسير الا ان يقال هذه الآية مدنية ولم يقل به احد ومما يؤكد هذا التأويل قول عائشة رضى الله عنها لمروان لعن الله اباك وانت فى صلبه فانت بعض من لعنه الله قيل فى وجه ذكر الرؤيا وذكر الشجرة التى جعلها الله تعالى فتنة للناس بهذا القول ان القوم لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتيان بالمعجزات القاهرة واجيبوا بانه لا مصلحة فى اظهارها لانها لو ظهرت ولم يؤمنوا انزل الله عليهم عذاب الاستئصال وقد رفع ذلك عن هذه الامة صار عدم ظهورها شبهة لهم فى انه عليه الصلاة

(والسلام)

والسلام ليس بصادق فى دعوى الرسالة والا لما امتنع من اظهارها وكانت شبهتهم هذه مظنة ان تورث نوع اضطراب فى قلب النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية تسلية له عليه الصلاة والسلام كأنه قيل هذه الشبهة لاتوهن امرك ولاتصير سببا لضعف حالك الاترى ان ذكر تلك الرؤيا صار سببا لوقوع الشبهة العظيمة وكذا ذكر الشجرة الملعونة ثم ان تلك الشبهات ما اوجب ضعفا فى امرك ولافتورا فى اجتماع المحقين عليك فكذلك هذه الشبهة الحاصلة بسبب عدم ظهور هذه المعجزات المقترحة لاتوجب فتورا فى حالك ولاضعفا فى امرك ثم انه تعالى وصفهم بقسوة القلب والتمادى فى الغى والطغيان حيث قال ونخوفهم فما يزيدهم الاطغيانا اشارة الى وجه آخر لعدم اظهار مااقترحوه من الآيات والمعجزات فان من لم يتأثر من التخويف بمخاوف الدنيا والآخرة كيف ينتفع باظهار مااقترحه من الآيات تعنتا وعنادا ﴿ قوله تعالى واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية ﴾ متصل بقوله ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا فانه تعالى بين به انه عدو لهم من قديم الزمان وبين ههنا سبب عداوته وانه من اى وقت كان عدوا لهم ﴿ قوله وفيه ﴾ اى فى قوله طينا سواء كان انتصابه بنزع الخافض او على انه حال من عائد الموصول اومن نفس الموصول ايماء الى ان الانكار المدلول عليه بقوله أاسجد مبنى على كون اصله اشرف من اصل آدم عليه الصلاة والسلام كأنه قال كيف اسجد له وسجود الاشرف للادنى غير معقول ﴿ قوله والمعنى اخبرنى ﴾ اطلق لفظ الاستفهام واريد الامر بجامع الطلب والرؤية التى هى سبب للاخبار المسبب عنها فى لفظ ارأيت تجوز من وجهين ﴿ قوله مع التقرير ﴾ اى مع انه تعالى قرر قوله هذا ولم ينكر عليه فى ذلك القول ﴿ قوله اوتفرسا من خلقه ﴾ فانه عرف انه مركب من قوة بهيمية شهوانية وقوة سبعية غضبية وقوة وهمية شيطانية وقوة عقلية ملكية وعرف ان القوى الثلاث الشهوانية والغضبية والوهمية هى المستولية فى اول الخلقة ثم ان القوة العقلية انما تكمل فى آخر الامر ومتى كان الامر كذلك علم اللعين بالفراسة ان اغواءه يؤثر فيهم ﴿ قوله امض لماقصدته ﴾ يعنى ان قوله تعالى اذهب ليس من الذهاب الذى هو ضد المجيء وانما معناه امض لشأنك الذى اخترته والمقصود التخلية وتفويض الامر اليه ﴿ قوله من قولهم فر لصاحبك ﴾ يعنى ان وفر يستعمل لازما ومتعديا يقال وفر الشيء بنفسه وفورا ويقال وفره غيره وفرا فهو موفور فعدى ﴿ قوله باضمار فعله ﴾ اى تجازون جزاء اوحال موطئة كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا والحال الموطئة اسم جامد فصفته هى الحال فى الحقيقة وذلك الاسم كأنه وطاء وطريق لما هو حال حقيقة لمجيئه قبلها موصوفا بها كقرءانا فى قوله تعالى انا انزلناه قرءانا عربيا ﴿ قوله واستخف ﴾ ولوقال واستخف بفك الادغام لكان اوفق للفسر وهو استفزز يقال استفزه الخوف او الفرح اى استخفه وافززته انا اى افزعته وازعجته وطيرت فؤاده ورجل فز اى خفيف ومن فى من استطعت موصولة فى محل النصب على انها مفعول استفزز اى استفزز الذى استطعت افزازه منهم قال ابن عباس صوت ابليس دعاؤه الى معصية الله تعالى وقيل المراد بصوته الغناء واللهو واللعب ومعنى الامر ههنا التهديد كما يقال اجهد جهدك فسترى ماينزل بك ﴿ قوله من الجلبة وهى الصياح ﴾ وقيل فعل وافعل بمعنى يقال اجلب على العدو اجلابا اذاجمع عليه الخيول والمعنى حينئذ اجمع عليهم كل ماتقدر عليه من مكايدك والباء فى بخيلك مزآدة على هذا القول ﴿ قوله والخيل الخيالة ﴾ اى اصحاب الخيول يعنى ان الخيل تطلق على الفرسان كما فى قوله عليه الصلاة والسلام «ياخيل الله اركبى» اى يااصحاب خيل الله وقدتقع على نفس الافراس كما فى قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها والمراد به ههنا الاول والمراد بخيل ابليس ورجله كل من كان فى معصية من راكب وماش ﴿ قوله ويجوز ان يكون تمثيلا ﴾ اى ان يكون قوله واستفزز من استطعت واجلب عليهم بخيلك ورجلك تمثيلا لحال الشيطان فى تسلطه واغوآئه من غير ان يكون هناك استفزاز وصوت وخيل ورجل بحال مغوار فتقرر فيه هذه الامور المذكورة فاستعمل فى حال الشيطان مااستعمل فى حال المغوار اى كثير الغارات اثبت لابليس اولا صوتا يستفز به العصاة وهو دعاؤه اياهم الى المعصية والفساد واعوانا من الخيالة والرجالة يصيح بهم على العصاة ويحتمل ان يكون لابليس جند من الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل والاقرب ان يكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بان يشبه حال ابليس بحال المغوار الذى يجتهد فى امره بالصوت والاعوان من الخيالة والرجالة «فان قيل كيف امر الله ابليس بهذه الاشياء وهو يقول ان الله لايأمر بالفحشاء» والجواب انه ليس امر تكليف بل هو امر تهديد كقوله اعملوا ماشئتم ويتضمن تعجيز

(واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أاسجد لمن خلقت طينا) لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين اومنه اى أاسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار (قال أرأيتك هذا الذى كرمت على) الكاف لتأكيد الخطاب لامحل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على بامرى بالسجود له لم كرمته على (لئن اخرتن الى يوم القيامة) كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه (لاحتنكن ذريته الاقليلا) اى لاستأصلنهم باغوآء الاقليلا لااقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ماعليها اكلا مأخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب (قال اذهب) امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ماسولت له نفسه (فمن تبعك منهم فان جهنم جزآؤكم) جزآؤك وجزآؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات (جزآء موفورا) مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزآء على المصدر باضمار فعله او بمافى جزآؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا (واستفزز) واستخف (من استطعت منهم) ان تستفزه والفز الخفيف (بصوتك) بدعائك الى الفساد (واجلب عليهم) وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح (بخيلك ورجلك) باعوانك من راجل وراكب والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ياخيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك

(وشاركهم في الاموال) بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على مالا ينبغي (والاولاد) بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة (وعدهم) المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل (ومايعدهم الشيطان الاغرورا) اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب (ان عبادى) يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين تخصصهم (ليس لك عليهم سلطان)

اى على اغوائهم قدرة (وكفى بربك وكيلا) يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة (ربكم الذى يزجى) هو الذى يجرى (لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله) الربح وانواع الامتعة التى لاتكون عندكم (انه كان بكم رحيما) حيث هيأ لكم ماتحتاجون اليه وسهل عليكم ماتعسر من اسبابه (واذا مسكم الضر في البحر) خوف الغرق (ضل من تدعون) ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في حوادثكم (الا اياه) وحده فانكم حينئذ لايخطر ببالكم سواه فلاتدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله (فلما نجاكم) من الغرق (الى البر اعرضتم) عن التوحيد وقيل النعم في كفران النعمة كقول ذى الرمة

عطاء فتى تمكن في المعالى ٭ فاعرض في المكارم واستطالا (وكان الانسان كفورا) كالتعليل للاعراض (أفأمنتم) الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قادر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره (ان يخسف بكم جانب البر) ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفى الاربعة التى بعده وفى ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات في قدرته سواء لامعقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك (او يرسل عليكم حاصبا) ريحا تحصب اى ترمى بالحصباء (ثم لاتجدوا لكم وكيلا) يحفظكم من ذلك فانه لاراد لفعله (ام امنتم ان يعيدكم فيه) في البحر (تارة اخرى) بخلق دواعى تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) لاتمر بشئ الاقصفته اى كسرته (فيغرقكم) وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح (بما كفرتم) بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء (ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف (ولقد كرمنا بنى آدم) بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدى الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على مافى الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى مايعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ماذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده (وحملناهم في البر والبحر) على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له مايركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء (ورزقناهم من الطيبات) المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم

ابليس في تعريفه ان ذلك لايضر الله شيأ ولا ينقص من ملكه شيأ وان سلطان ابليس انما يجرى على الجهال الذين قد اخرجهم الله تعالى من جملة من شرفهم بعبوديته ﴿قوله اعتراض﴾ اى هو كلام وقع في اثناء ماخوطب به ابليس لبيان حال مواعيده وليس من جملة ماخوطب به ابليس والاقيل ماتعدهم انت ﴿قوله والغرور تزيين الخطأ﴾ فان قيل مواعيد الشيطان ليس نفس الغرور فكيف قيل ومايعدهم الاغرورا ٭ فالجواب ان تقدير الكلام مايعدهم الا وعدا ذا غرور او جعل مواعيده نفس الغرور مبالغة كما في رجل عدل ويحتمل ان يكون قوله الاغرورا مفعولا من اجله اى مايعدهم شيأ من الامانى الكاذبة الا لاجل الغرور ثم انه تعالى لما مكن ابليس من ان يأتى باقصى مايقدر عليه في باب الوسوسة وكان ذلك سببا لحصول الخوف الشديد في قلب الانسان قال وكفى بربك وكيلا والمعنى ان الشيطان وان مكنه الله تعالى من ذلك الا ان سلطانه وولايته مقصورة على من استعبده هو واسترقه حيث آثر الحظوظ العاجلة الخسيسة واختار اتباع الشياطين على ابتغاء رضى الرحمن وتولاه كما قال تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه واما من لازم طريق العبودية واستعبده محافظة حق الربوبية واتخذ ربه مفزعا يفزع اليه ومعتمدا يعتمد عليه في جميع اموره فانه تعالى يدفع عنه كيد الشيطان ويعصمه من اضلاله واغوائه ﴿قوله ربكم الذى يزجى﴾ تعليل لكفايته وبيان لقدرته على عصمة من توكل عليه في اموره ورد في الخبر ان الله تعالى لما لعن ابليس وطرده قال يارب اسألك ان تمكننى على بنى آدم قال امكنتك قال يارب زدنى قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم فاستعاذ آدم بالله تعالى وقال انك جعلت بينى وبين ابليس عداوة وقويته على فاعنى عليه يارب فقال اذا عملت حسنة فلك بها عشر وان عملت سيئة فواحدة قال يارب زدنى قال اغفر لمن شئت ولا ابالى فقال آدم حسبى يارب والخطاب في قوله ربكم وفى قوله انه كان بكم رحيما عام في حق الكل والمراد من الرحمة منافع الدنيا والازجاء سوق الشئ حالا بعد حال والمعنى ربكم الذى يسير الفلك على وجه البحر لتبتغوا من فضله ﴿قوله وقيل النعم﴾ على ان يكون اعرضتم من العرض مقابل الطول من قولهم اعرض في الشئ وعرضه اذا جعله عريضا او صار عريضا كما في قوله ٭ فاعرض في المكارم اى صار عريضا فيها واتسع ﴿قوله ان يقلبه الله وانتم عليه﴾ اى ان يقلب الله تعالى جانب البر مصحوبا بكم على ان يكون جانب البر مفعولا به لقوله يخسف كالارض في قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض ويكون بكم حالا من المفعول بتقدير مصحوبا بكم وفاعله مستتر فيه يرجع الى الجلالة وقوله او يقلبه بسببكم على ان تكون الباء سببية متعلقة بيخسف ﴿قوله لامعقل﴾ اى لاملجأ ﴿قوله ريحا تحصب﴾ وفى الصحاح الحاصب الريح الشديدة التى تثير الحصباء وهى الحصى يقال حصبت الرجل احصبه بالكسر اى رميته بالحصباء والقصف الكسر يقال قصفت الريح السفينة وريح قاصف اى شديد ورعد قاصف شديد الصوت ﴿قوله مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف﴾ يعنى ان التبيع من يلازم الغير لمطالبته بالحق اى لاتجدوا لكم من يتبعنا بانكار مانزل بكم وانتقامه منا بسببه ولا من يتبعنا يصرفه عنكم ومنعه ايانا من ازالة بكم ﴿قوله بحسن الصورة﴾ فان صورة الانسان احسن من صور جميع الحيوانات قال تعالى فاحسن صوركم والله تعالى لما ذكر خلق الانسان قال فتبارك الله احسن الخالقين وقال ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم والمزاج الاعدل يدل على انه تعالى جعل ارزاقهم اطيب الارزاق وجعل لغيرهم ماخبث منها ومافضل منهم واعتدال القامة اى بالنسبة الى سائر الحيوانات فان في الانصار مايعانونه من جهة القامة والتميز بالعقل فان الانسان يشارك سائر الحيوانات فيما لها من القوى فان النفس النباتية لها قوى ثلاث قوة الاغتذاء والنماء وتوليد المثل والنفس الحيوانية لها قوتان زيادة على هذه الثلاث وهما القوة الحساسة سواء كانت ظاهرة او باطنة والقوة المحركة بالاختيار فهذه القوى الخمس اعنى قوى الاغتذاء والنماء والتوليد والحس والحركة الاختيارية حاصلة للنفس الانسانية ثم ان النفس الانسانية مختصة بقوة اخرى وهى القوة العاقلة المدركة لحقائق الاشياء كما هى وهى التى يتجلى بها نور معرفة الله تعالى وضوء كبريائه فهذه القوة لانسبة لها في الشرف والفضل الى القوى النباتية والحيوانية والافهام بالنطق فان ماسوى الانسان من الحيوانات عاجز من تفهيم ماحصل في باطنه من لذة او الم تفهيما تاما وافيا بخلاف الانسان فانه يمكنه تفهيم وتعريف غيره كل ماعرفه ووقف عليه واحاط به فكونه قادرا على هذا التعريف هو المراد بكونه ناطقا سواء كان ذلك التعريف باستعمال آلة اللسان او بغيره كما في الانسان الاخرس فانه يمكنه ذلك بطريق الاشارة او بطريق الكتابة ومن كرامات

(الانسان)

الانسان ان آلة الخط و ذلك لان ما استنبطه كل انسان من العلوم قليل فاذا اودع الانسان ما علمه فى الكتاب و جاء انسان آخر واستفاد بذلك الكتاب وضم اليه من عند نفسه اشياء اخر ثم جاء ثالث وفعل كذلك ثم لا يزالون يتعاقبون ويضم كل متأخر مباحث كثيرة الى علم المتقدمين كثرت العلوم و الفضائل و انتهت المباحث العقلية و المطالب الشرعية الى اقصى الغايات و اكمل النهايات ومعلوم ان هذه النعمة المستفادة لاتتأتى الا بواسطة الخط و الكتب ولهذه الفضيلة الثابتة فى الكتب قال تعالى اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم و التسلط على مافى الارض فان الارض بالنسبة الينا كالام الحاضنة تكفلنا احياء وامواتا وينتفع بالماء العذب بالشرب وسقى الاشجار و البساتين و بالبحر ايضا كما قال وسخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا و تستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه وبالهوآء لانه مادة حياتنا ولولاهبوب الرياح لاستولى العفن على هذه العمارة و بالنار اذبها طبخ الاغذية و الاشربة و الاستضاءة بضوئها فى الليالى المظلمة وهى الدافعة لضرر البرد و هذا وجه التقاعد بالبسائط الارضية و اما المركبات من المعادن و الحيوان و النبات فالانسان هو المستولى عليها و المنتفع بها وبالجملة جميع منافع هذا العالم مصروفة الى الانسان و الانسان فيه كالرئيس المخدوم و الملك المطاع وسائر الحيوان بالنسبة اليه كالعبد وكل ذلك يدل على ان الله تعالى خصه من عنده بمزيد التكريم و التفضيل و التكريم جعل الشئ مكرما باعطائه مايكون مكرما بسببه ولا يعتبر فى مفهومه الاضافة الى الغير بخلاف التفضيل

﴿ قوله بالغلبة و الاستيلاء ﴾ فاللازم ان لايكون الانسان مفضلا على الجن و الملك و نحوهما وان اريد بتفضيلهم على الكثير التفضيل بالشرف و الكرامة يكون المراد بالقليل الذى لايكون الانسان مفضلا عليه بالشرف الملائكة بل يكون الملك افضل من الانسان وهذا القول مذهب ابن عباس واختاره الزجاج على مارواه الواحدى فى البسيط ﴿ قوله و المستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ﴾ يعنى ان المخرج بقوله تعالى على كثير ممن خلقنا وهو القليل الذى لايكون الانسان مفضلا عليه اختلف فى تعيينه فقيل انه جنس الملائكة وقيل انه خواصهم كجبريل وميكائيل و اسرافيل وعزرآئيل عليهم الصلاة و السلام قال الامام محيى السنة وفى تفضيل الملائكة على البشر اختلاف قال قوم فضلوا على جميع الخلق و على الملائكة كلهم وقد يوضع الاكثر موضع الكل كما قال الله تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين الى قوله واكثرهم كاذبون اى كلهم وفى حديث عن جابر مرفوعا قال لما خلق الله تعالى آدم و ذريته قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بنى آدم دنيا يأكلون ويشربون و ينكحون و يتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطنا ذلك فى الآخرة فقال وعزتى لااجعل ذرية من خلقته بيدى كمن قلت له كن فكان وقال ابوهريرة المؤمن اكرم على الله من الملائكة الذين عنده كما اورده الواحدى فى البسيط وقال قوم الملك افضل من البشر على الاطلاق تمسكا بهذه الآية وقال الامام الرازى وهو فى الحقيقة تمسك بدليل الخطاب وذهب الحنفية الى ان خواص بنى آدم وهم المرسلون افضل من جملة الملائكة وخواص الملائكة افضل من عوام بنى آدم والاتقياء والزهاد افضل من عوام الملائكة لان تقرير الدليل ان يقال تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان الحال فى القليل بالضد وذلك تمسك بدليل الخطاب وقال الكلبى فضل بنو آدم على الخلائق كلهم الا على طائفة من الملائكة وهو قول المصنف او الخواص منهم وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واشباههم قال الامام محيى السنة والاولى ان يقال عوام المؤمنين افضل من عوام الملائكة وخواص المؤمنين افضل من خواص الملائكة قال الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وروى عن ابى هريرة انه قال المؤمن اكرم على الله من الملائكة * وقال الامام ابو منصور الماتريدى اما الكلام فى تفضيل البشر على الملائكة و الملائكة على البشر فالاسلم فيه عما لم نعلم وليس لنا الى معرفته حاجة فالامر فيه الى الله تعالى ﴿ قوله ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس ﴾ اى جنس بنى آدم يعنى ان مقتضى ان قوله تعالى وفضلناهم على كثير يدل على ان جنس بنى آدم ليسوا مفضلين على جنس الملائكة او على الخواص منهم بناء على ان الكثير لم يعبر به عن الكل فان المراد بالتفضيل الشرف و الكرامة لكن اللازم منه وهو ان لايكون جميع افراد بنى آدم مفضلا على ماذكر لاينافى ان يكون بعض الافراد مفضلا عليه وذلك لان الاضافة الى بنى آدم ليست للعهد الخارجى ولا الذهنى لان الكلام ليس فى تكريم بعض الافراد وتفضيله ولا لتعريف نفس الحقيقة بقرينة ذكر بنى آدم فى مقابلة كثير من الخلق وذكر الحقيقة فى مقابلة الفرد غير معقول فتعين ان تكون اضافة بنى آدم للاستغراق فظهر بذلك وجه قوله ولا يلزم من عدم

(وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف

تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده ثم ذكر الله تعالى لما ذكر ان الشيطان ليس له سلطان على المخلصين من عباد الله تعالى وانه كان فى عصمة من يتوكل عليه واتبعه بذكر مايدل على كمال قدرته من اجراء السفن لهم فى البحر ابتغاء منافع الدنيا وان تكريمه لبنى آدم ليس من جهة تسخير الفلك لهم فقط بل الله تعالى كرمهم من وجوه شتى من جملتها انه حملهم فى البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من المخلوقات حرضهم على الاجتهاد فى اكتساب الخيرات المؤدية الى سعادة الآخرة فقال يوم ندعو كل اناس بامامهم الآية قرأ الجمهور بنون العظمة وقرئ يدعو بياء الغيبة واسناد الفعل الى ضمير الجلالة او الملك وكل اناس على القرآتين منصوب على انه مفعول به وقرئ يدعى مبنيا للمفعول وحينئذ كل مرفوع لقيامه مقام الفاعل وقرئ يدعو بضم الياء وفتح العين بعدها واو ساكنة نقل عن القراء انه قال اهل العربية لايعرفون وجها لهذه القرآءة واهل القارئ قرأ يدعا بفتحة ممزوجة بالضمة فظن الراوى انه قرأ يدعو وذكر لها وجهين الاول ان الاصل يدعا على بناء المفعول الا ان القارئ قلب الالف واوا حال الوقف على لغة قوم يقولون هذه افعو وعصو وحبلو فى الافعى والعصا والحبلا ثم اجرى الوصل مجرى الوقف وكل مرفوع لقيامه مقام الفاعل والوجه الثانى ان الفعل مفرد والاصل يدعا ابدلت الواو من الالف لتدل على ان الفاعل جمع وليست ضمير جمع بل الفعل باق على افراده كما فى قولهم اكلونى البراغيث واعراب الفعل بالحركة التقديرية ومعنى كون الواو علامة الجمع انها حرف جيء به ليدل على ان الفاعل جمع كما يؤتى بالتاء لتدل على ان الفاعل مؤنث فعلى هذا كل مرفوع على انه قائم مقام الفاعل ﴿ قوله او ضميره ﴾ ونون الرفع محذوفة لقلة المبالاة بها فان علامة الرفع قد تكون مقدرة كما فى نحو يرمى ويغزو ويدعا فان رفعها بالحركة التقديرية فعلى هذا الوجه يكون كل مرفوعا على انه بدل من الواو التى هى ضمير الجمع وجعل الواو ضميرا اولى من جعلها علامة الجمع لان جعلها علامة يستلزم ارتكاب حذف الفاعل من غير سبب وذلك غير معهود فى قواعد العربية والباء فى قوله تعالى بامامهم متعلقة بقوله ندعو اى ندعوهم باسم امامهم الذى يأتمون به ويقتدون فيقال يا امة فلان ويا اهل القرآن مثلا ويجوز ان يكون بامامهم فى موضع الحال والباء متعلقة بمحذوف اى ندعوهم ملتبسين بكتابهم والامام من يؤتم به ويقتدى والمراد به نبيهم وقيل كتابهم السماوى الذى انزل عليهم فان كل امة تقتدى بكتابها كما تقتدى بنبيها وقيل رئيسهم الذى كان يدعوهم فى الدنيا الى هدى او الى ضلالة فيقال يا اصحاب يا امام كذا وفاضل كذا ويا اتباع نمرود ويا اتباع فرعون من رؤساء كل قوم فى الدين محقين كانوا او مبطلين وقيل كتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر فيقام الامتياز بحسب الاعمال مقام الامتياز بالانساب وقيل القوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم كالقوة النظرية والعملية والقوة الغضبية والشهوية سوآء كانت شهوة النقود او شهوة الضياع او شهوة الجاه والرياسة والقوة العقلية الداعية الى العفة والشجاعة والكرم والصبر والقناعة ونحو ذلك من الاخلاق الذميمة والحميدة وماتدعو اليها من القوى النفسانية فان كل ذلك بمنزلة الامام وقيل امامهم امهاتهم والمعنى ان كل الناس يدعى يوم القيامة باسماء امهاتهم دون اسماء آبائهم والحكمة فى ذلك ثلاثة امور منها اجلال عيسى عليه الصلاة والسلام اذ لم يكن له اب يدعى باسمه فلاجرم يدعى باسم امه فدعى سائر الناس باسماء امهاتهم اتباعا له عليه الصلاة والسلام واجلالا له وتعظيما ﴿ قوله ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ ﴾ يعنى ان المراد من المظلومية المنفية نقص مايستحقونه من الثواب الموعود بازاء عملهم وان الفتيل مستعار للشئ التافه الحقير وهو فى الاصل اسم للقشرة الرقيقة التى تكون على ظهر النواة وسميت فتيلا لانه اذا اراد الانسان استخراجها انفتلت وقيل الفتيل هو الوسخ الذى يفتله الانسان بين سبابته وابهامه وهو فعيل بمعنى مفعول ﴿ قوله وجمع اسم الاشارة والضمير ﴾ جواب عما يقال اسم الاشارة وضمير يقرأون كتابهم عبارة عما يعبر عنه بضمير قوله كتابه بيمينه فلم افرد الاول وجمع الثانى وتقرير الجواب انه حمل اولا على لفظ من اوتى فافرد الضمير الراجع اليه وحمل ثانيا على معناه فجمع ماهو عبارة عنه ﴿ قوله وتعليق القرآءة بايتاء الكتاب باليمين ﴾ مع ان من اوتى كتابه بشماله يقرأ كتابه ايضا مبنى على ان اصحاب الشمال تثقل ألسنتهم فيعجزون عن القرآءة الكاملة المبينة بسبب ماغشيهم من الخجالة والحيرة حين معاينتهم مافى كتابهم من القبائح بخلاف اصحاب اليمين فان حالهم على عكس ذلك فلاجرم انهم يقرأون كتابهم على احسن الوجوه وابينها ثم انهم لايكتفون بقرآءتهم بانفسهم بل يقولون لاهل المحشر هاؤم اقرأوا كتابيه يدل على حال مقابليهم انهم

(يوم ندعو) نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعو او على ان الواو علامة الجمع كما فى قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما فى يدعى (كل اناس بامامهم) بمن ائتموا به من نبى او مقدم فى الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التى قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اى تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنى (فمن اوتى) من المدعوين (كتابه بيمينه) اى كتاب عمله (فاولئك يقرأون كتابهم) ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتى فى معنى الجمع وتعليق القرآءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتى كتابه بشماله اذا اطلع على مافيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القرآءة ولذلك لم يذكرهم

(لايقدرون)

لايقدرون على قراءة كتابهم على طريق الابتهاج والتبجح فاستغنى عن ذكر حال مقابليهم ﴿قوله اعمى القلب﴾ اى ليس المراد بالعمى فى قوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى عمى البصر بل المراد منه عمى القلب ولا يمكن حمل العمى فى قوله فهو فى الآخرة اعمى على عمى البصر لانهم يعرفون الله تعالى بالضرورة وكان المراد منه العمى عن طريق الجنة والنجاة من النار لما روى انه لما نزلت هذه الآية جاء ابن ام مكتوم وكان ضريرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انا فى الدنيا اعمى أفاكون فى الآخرة اعمى فانزل الله تعالى انها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقيل المراد بالعمى الثانى عمى البصر لقوله تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وهذا العمى من جملة عقوبتهم ﴿قوله لزوال الاستعداد﴾ يعنى انه وان كان فى الدنيا ضالا عن الصراط المستقيم الا ان ضلاله فى الآخرة اشد واقوى بالنسبة الى ضلاله الكائن فى الدنيا لانه يمكنه الاهتداء فى الدنيا بالتوبة عما هو فيه وبالخروج عن جهله وعما هو فيه بالتفكر فى الادلة وتحصيل ما كلف به من الايمان بالغيب والاعمال الصالحة بخلاف ضلاله فى الآخرة فانه لا يمكنه الخروج عنه لزوال الاستعداد للاهتداء الى الحق الذى كلف به ولزوال الآلة والمهلة ﴿قوله وقيل الثانى للتفضيل﴾ يعنى قيل ان لفظ اعمى فى قوله تعالى فهو فى الآخرة اعمى ليس افعل التى للصفة بل هى صيغة التفضيل بمعنى اشد عمى ولذلك عطف عليه قوله تعالى واضل سبيلا واختلف فى تقرير المعنى حينئذ فقيل هذه اشارة الى النعم المذكورة فى الآيات المتقدمة من قوله تعالى الذى يزجى لكم الفلك الى قوله تفضيلا فالمعنى من كان فى هذه النعم التى رآها وعاينها اعمى ولم يعلم كونها نعمة آلهية وصلت اليه بقدرة الله تعالى ورحمته فهو فى الآخرة التى لم يرها ولم يعاينها اشد عمى من معرفة كون النعم المشاهدة بين السماء والارض والبحار والجبال والناس والدواب اثر قدرة الله تعالى والاستدلال بها عليه فهو فى الآخرة اى فى امرها اشد عمى واضل سبيلا وابعد عن تحصيل العلم به وعلى القولين يكون العمى من الامرين حاصلا فى الدنيا والعمى المفضل هو عمى القلب عن معرفة احوال الآخرة والمفضل عليه هو عمى القلب عن معرفة كون العالم وما فيه من النعم من آثار قدرة الفاعل المختار الخلاق لانشاء الفعال لما يريد وقيل هذه اشارة الى الدنيا ايضا والمعنى من كان فى الدنيا ضالا كافرا فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا لانه فى الدنيا تقبل توبته وفى الآخرة لاتقبل توبته وفى الدنيا يهتدى الى التخلص عما يهلكه من المهلكات بازالة عماه وجهله بالتفكر فى الدلائل المنصوبة وفى الآخرة لا يهتدى الى ذلك البتة واضل سبيلا لان ضلاله فى الآخرة لا سبيل له الى الخروج منه بخلاف ضلاله فى الدنيا ﴿قوله ولذلك لم يمله﴾ اى ولكون الثانى للتفضيل قرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر من عاصم من كان فى هذه اعمى بالامالة والكسر فهو فى الآخرة اعمى بالفتح والتفخيم وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر فى رواية بالامالة فيهما لكون الكلمة من ذوات الياء والباقون وهم ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالفتح والتفخيم فيهما لانه الاصل وابو عمرو فرق بينهما فامال الاول لانه ليس افعل تفضيل فألفه متطرفة لفظا وتقديرا والاطراف محل التغيير غالبا فقبل اعتبارا لكون الكلمة من ذوات الياء وايضا آخر الكلمة موضع الوقف والالف تخفى فى الوقف فاذا اميلت جيئ بها نحو الياء فتظهر بخلاف ما اذا كانت فى وسط الكلمة كالف اعمالكم فانه ليس محل الوقف فابقيت الالف فيه على اصل حالها واما الثانى فانه للتفضيل فألفه فى حكم المتوسط لان تمام افعل التفضيل بمن الداخلة على المفضول فهى فى حكم الملفوظ بها لكونها شديدة الاتصال بما قبلها فلما لم تكن الالف واقعة فى الطرف كانت مصونة عن التغيير فبقيت على حالها ورد هذا الوجه بانهم امالوا قوله ولا ادنى من ذلك مع التصريح بمن فلأن يميلوا اعمى مقدرا معه من اولى واحرى ﴿قوله لانعشر ولانحشر ولانجبى فى صلاتنا﴾ اى اشترطوا ان لايؤخذ عشر اموالهم وقيل ارادوا بالعشر الصدقة الواجبة ويجوز ان يسمى آخذ ما يجب على المسلمين من ربع العشر عاشرا لاضافة ما يؤخذ منهم الى العشر ونصف العشر وقد يؤخذ العشر تمامه وهو زكاة ما يسقيه السماء واشترطوا ايضا ان لا يحشروا اى ان لايبعثوا الى الغزو وقتال الكفار والجبية ان يقوم الانسان قيام الراكع وفى حديث ابن مسعود فى ذكر القيامة حين ينفخ فى الصور فيقومون فيجبون جبية رجل واحد قياما لرب العالمين قال ابو عبيدة الجبية تكون فى حالين احدهما ان يضع يديه على ركبتيه وهو قائم والوجه الآخر ان ينكب على وجهه باركا وهو السجود وقولهم ولانجبى يريدون به ولانصلى تسمية للصلاة باسم جزئها والحاصل انهم اشترطوا ان لايكون عليهم

مع ان قوله (ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى) ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لايقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لايبصر رشده كان فى الآخرة اعمى لايرى طريق النجاة (واضل سبيلا) منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقد ان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لاينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسطة فى اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد اما لهما حمزة والكسائى وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما (وان كادوا ليفتنونك) نزلت فى ثقيف قالوا لاندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لانعشر ولانحشر ولانجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى وقيل فى قريش قالوا لانمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هى المخففة واللام هى الفارقة

والمعنى ان الشان قاربوا ببالغتهم ان يوقعوك فى الفتنة بالاستزال (عن الذى اوحينا اليك) من الاحكام (لتفترى علينا غيره) غير ما اوحينا اليك (واذا لاتخذوك خليلا) ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليالهم ربثا من ولايتى (ولولا ان ثبتناك) ولو تثبيتنا اياك (لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا) لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا عن ان تركن اليهم وهو صريح فى انه عليه السلام ماهم باجابتهم مع قوة الداعى اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه (اذا لاذقناك) اى لو قاربت لاذقناك (ضعف الحياة وضعف الممات) اى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف مايعذب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر (ثم لاتجد لك علينا نصيرا) يدفع العذاب عنك (وان كادوا) وان كاد اهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم (من الارض) ارض مكة (ليخرجوك منها واذا لايلبثون خلفك) ولو خرجت لايبقون بعد خروجك (الا قليلا) الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلى بنو النضير بقليل وقرئ لايلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لاعلى خبر كاد فان اذا لاتعمل اذا كان معتمدا مابعدها على ماقبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال الشاعر

عفت الديار خلافهم فكأنما ❊ بسط الشواطب بينهن حصيرا ❊

(سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا) نصب على المصدر اى سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه (ولاتجد لسنتنا تحويلا) اى تغييرا (أقم الصلاة لدلوك الشمس) لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام اتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر وقيل لغروبها (ومن)

زكاة وجهاد وصلاة وان كل ربا يستحقونه على غيرهم فهو لهم وكل ربا يستحقه غيرهم عليهم فهو موضوع عنهم وان تترك لهم الاصنام حولا بشرط ان لايكسروها بايديهم عند رأس الحول وان يقدروا على منع من قصد واديهم المسمى بوج ليعضد شجره ويقلع حشيشه كما حرم حرم مكة فنزلت الآية ﴿قوله ولو اتبعت مرادهم﴾ اشارة الى ان اذا حرف جواب وجزاء فاقام اداة الشرط مقامها دليلا على تضمنها معنى المجازاة وقوله لاتخذوك جواب قسم محذوف تقديره اذن والله لاتخذوك وليس مراد المصنف ان كلمة لو مقدرة فى النظم واذا لاتخذوك جواب لها اذ لاحاجة الى تقديرها وانما المراد تفسير المعنى وهو لاتوجيه الاعراب واصل الفتنة الاختبار يقال فتن الصائغ الذهب اذا ادخله النار واذابه ليميز جيده من رديئه ثم استعمل فى كل من ازال الشئ عن حده وجهته ويقال فتنه اى خدعه وصرفه عما هو عليه فقوله وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك اى يزيلونك ويصرفونك عن الذى اوحينا اليك وهو القرآن اى عن حكمه وذلك لان فى اعطائهم ماارادوا مخالفة لحكم القرآن واللام لام العاقبة فى لتفترى علينا غيره اى بان يقول الله امرنى بذلك ﴿قوله عذاب الدنيا وعذاب الآخرة﴾ اضمر العذاب وجعل الحياة والممات عبارتين عن الدنيا والآخرة لان العذاب يوصف بالضعف كما فى قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا من النار اى عذابا مضاعفا وقوله من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار قال لكل ضعف اى عذاب مضاعف وحاصل المعنى انك لو مكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليه همك لاستحقيت تضعيف العذاب عليك فى الدنيا والآخرة ولصار عذابك مثلى عذاب المشركين فى الدنيا ومثلى عذابهم فى الآخرة والسبب فى تضعيف هذا العذاب ان اقسام نعم الله تعالى فى حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام اكثر فكانت ذنوبهم اعظم فلذلك كانت العقوبة المستحقة عليهم اكثر ونظيره قوله تعالى يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقوله فى حق الاماء فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب لان الرق منقص للنعمة ﴿قوله وان كاد اهل مكة﴾ اى وان الشان قرب اهل مكة ليزعجوك من ارض مكة على ان ان مخففة واللام فارقة والاستفزاز هو الازعاج بسرعة جعل اسم كاد مشركى مكة وحمل الارض على ارض مكة على ماقاله مجاهد وقتادة لان الآية مكية وماقبلها اخبار عن احوال اهل مكة يعنى هم المشركون ان يخرجوه من مكة فكفهم الله تعالى عنه وامره عليه الصلاة والسلام بالهجرة فخرج بنفسه ❊ فان قيل قال الله تعالى وكأين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك يعنى اهلها وهو صريح فى انهم اخرجوه وذكر ههنا وان كادوا ليستفزونك من الارض فكيف الجمع بينهما على قول من قال المراد بالارض ههنا ارض مكة ❊ اجيب بان قوله اخرجتك من قبيل اسناد الحكم الى سببه فانهم هموا باخراجه عليه الصلاة والسلام منها الا انه عليه الصلاة والسلام ماخرج باخراجهم وانما خرج بامر الله تعالى فزال التناقض ﴿قوله لايلبثوا﴾ بحذف النون قرأ الجمهور لايلبثون برفع الفعل واثبات النون بعد اذا ولم يعملوا اذا لكونها متوسطة بين المعطوف والمعطوف عليه فان لايلبثون معطوف على قوله ليستفزونك وهو مرفوع لخلوه من الجازم والناصب على انه خبر كاد والمعطوف على خبر كاد واقع موقع خبر كاد فيكون واقعا موقع الاسم فلا تعمل اذا فيه لاعتماد مابعدها على ماقبلها فيصير الغوا واذا قرئ لايلبثوا بغير النون لايكون معطوفا على خبر كاد فيلزم الغاء اذن بل تكون جملة قوله اذا لايلبثوا معطوفة على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك ﴿قوله عفت الديار خلافهم فكأنما ❊ بسط الشواطب بينهن حصيرا﴾ عفت اى اندرست وخلافهم اى بعدهم والشواطب النساء اللاتى تشقق الجريد ليعمل منه الحصير والشطبة السعفة الخضراء الرطبة والجمع الشطب يقال شطبت المرأة الجريد شطبا اذا شققته لتعمل منه الحصير يصف دروس ديار الاحباب بعدهم بانها غير مسكونة حيث شبه مابقى بعد ترحل الاهل من الديار بالشطب التى تنتشر حال نسج الحصير فقال فكأنما بسط الشواطب بين تلك الديار ماينسج منه الحصير لتنضده لانهن يبسطن نفس الحصير للجلوس عليه فانه لايناسب الاسناد الى الشواطب ثم انه تعالى لما قال له عليه الصلاة والسلام يوم ندعو كل اناس بامامهم الآية امره بالمواظبة على اشرف الطاعات بعد الايمان فقال اقم الصلاة الآية ويجوز ان يرتبط بقوله وان كادوا ليستفزونك من الارض الآية فكأنه قيل لاتبال بسعيهم فى اخراجك من بلدك ولاتلتفت اليهم واشتغل بعبادة الله تعالى والمداومة على اداء الصلاة فانه تعالى يدفع مكرهم وشرهم عنك ويجعل يدك فوق ايديهم ودينك غالبا على اديانهم ونظيره قوله تعالى فى سورة طه فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله فى سورة الحجر فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اختلف اهل اللغة والمفسرون فى معنى دلوك الشمس على قولين احدهما ان دلوكها غروبها روى عن على رضى الله عنه انه قال دلوك الشمس غروبها وروى هذا القول عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم والقول الثانى ان دلوك الشمس هو زوالها من كبد السماء وهو اختيار اكثر الصحابة والتابعين ويدل على صحة هذا القول وجوه الاول ماروى عن جابر انه قال طعم عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين دلكت الشمس والثانى ماروى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اتانى جبريل عليه الصلاة والسلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بى الظهر والثالث قول اهل اللغة معنى الدلوك فى كلام العرب الزوال ولذا قيل للشمس اذا زالت نصف النهار دالكة وقيل لها ايضا اذا افلت دالكة لانها فى الحالتين زائلة هكذا قاله الازهرى وقال القفال اصل الدلوك الميل يقال مالت الشمس للزوال ويقال مالت للغروب قال الازهرى الاولى حمل الدلوك على الزوال فى نصف النهار والمعنى أقم الصلاة اى ادمها من وقت زوال الشمس الى غسق الليل وعلى هذا التقرير يدخل فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم قال وقرآن الفجر فاذا حملنا الدلوك على الزوال دخلت الصلوات الخمس فى هذه الآية فان حملناه على الغروب لم يدخل فيه الا ثلاث صلوات وهى المغرب والعشاء والصبح وحمل كلام الله تعالى على مايكون اكثر فائدة اولى فوجب ان يكون المراد من الدلوك الزوال ﴿ قوله وكذا كل ماركب من الدال واللام ﴾ فان جميع ذلك يتضمن معنى الانتقال كدلج اى مشى بحمله غير منبسط الخطو لثقله عليه ودلج يدلج دلوجا من باب دخل يدخل دخولا وهو بالجيم المعجمة والاول بالحاء المهملة ومعناه اخذ الدلو ومشى بها من رأس البئر الى الحوض حتى يفرغها فيه وذلك الموضع مدلج ومدلجة والدلج بفتح اللام اسم السير من اول الليل ودلع الرجل لسانه فدلع اى خرج يتعدى ولا يتعدى ودلف الشيخ اذا مشى وقارب الخطو والدله التحير وذهاب العقل من الهوى يقال دلهه الحب اى حيره وادهشه ودله هو يدله اى تحير والمصنف فسر دلوك الشمس بزوالها ثم نقل انه يفسر بغروبها ثم اشار الى وجه كل واحد من التفسيرين فقال واصل التركيب الانتقال يعنى ان الدلوك فى اصل اللغة ينبئ عن التغير والانتقال من حال الى حال وهو حاصل فى كل واحد من الغروب والزوال فكان كل واحد منهما من انواع الدلوك فصح اطلاقه على كل واحد منهما اطلاق الكلى على كل واحد من افراده وجزئياته ثم نقل مايرجح ان يكون المراد به الزوال وهو كون الدلوك مشتقا من الدلك والدلوك بهذا المعنى صفة الناظر الى الشمس واضيف الى الشمس لكونها حاملة للناظر اليها على ان يدلك عينه ليدفع تأثيرها من شعاع الشمس وذلك التأثير انما يحصل فيها عند النظر الى الشمس وقت دنوها من الزوال فظهر ان مراده من قوله الدلوك من الدلك بيان ان الدلوك بمعنى الزوال ﴿ قوله وصلاة الصبح ﴾ على معنى واقم صلاة الصبح لان قوله وقرآن الفجر معطوف على قوله الصلاة فيكون المعنى واقم قرآن الفجر اى صلاتها تسمية لها باسم بعض اركانها ﴿ قوله تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار ﴾ يعنى ان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فى صلاة الصبح خلف الامام تنزل عليهم ملائكة النهار وهم فى صلاة الغداة قبل ان تعرج ملائكة الليل القيام شئ من ظلمة الليل بعد فاذا فرغ الامام من صلاته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت قالت يارب انا تركنا عبادك يصلون لك وتقول ملائكة النهار ربنا أتينا عبادك وهم يصلون فيقول الله تعالى لملائكته اشهدوا انى قد غفرت لهم ﴿ قوله او شواهد القدرة ﴾ عطف على قوله ملائكة الليل والمعنى ان قرآن الفجر تشهده دلائل القدرة الباهرة فان الانسان اذا شرع فى اداء صلاة الصبح فى اول وقتها الذى هو وقت بقاء الظلمة يستمر الى الضياء وهو فى اثناء الصلاة بعد والظلمة مناسبة للموت والعدم والضوء مناسب للحياة والوجود فالمصلى يشاهد فى اثناء صلاته انقلاب كلية هذا العالم من الظلمة الى الضياء فكأنما تحولت من العدم الى الوجود ويشهد عقله السليم بان هذا التقليب والتحويل لا يقدر عليه الا الحق سبحانه ويستنير باطنه بنور هذه المعرفة وقوة اليقين ﴿ قوله او كثير من المصلين ﴾ اى يشهده كثير من المصلين فى العادة وقوله او من حقه ان يشهده الجم الغفير فعلى هذا يكون المقصود الترغيب فى ان تؤدى هذه الصلاة بالجماعة ووجه الفرق بينها وبين سائر الصلوات ان تأثير هذه الصلاة فى تصفيته وتنويره اكثر من تأثير سائر الصلوات فاذا حضر جمع من المصلين لاداء هذه الصلاة استنار قلب كل واحد منهم بسبب ذلك الاجتماع لانه ينعكس نور معرفة الله تعالى ونور طاعته فى ذلك الوقت من قلب كل واحد الى قلب

واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر يده وكذا كل ماتركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها لثلاث خلون (الى غسق الليل) الى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الاخيرة (وقرآن الفجر) وصلاة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة فى صلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفى غيرها قياسا (ان قرآن الفجر كان مشهودا) تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذى هو اخ الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلاة الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب

وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق (ومن الليل فتهجد به) وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن (نافلة لك) فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك (عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا) مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق فى كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال هو المقام الذى اشفع فيه لامتى ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اى فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام (وقل رب ادخلنى) اى فى القبر (مدخل صدق) ادخالا مرضيا (واخرجنى) اى منه عند البعث (مخرج صدق) اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله فى كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلنى فادخل دخولا واخرجنى فاخرج خروجا (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرنى على من خالفنى او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم فى الارض (وقل جاء الحق) الاسلام (وزهق الباطل) وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج (ان الباطل كان زهوقا) مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكث بمخصرة فى عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا على ارم به فصعد فرمى به وكسره (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) ما هو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل انها للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف

(وحال)

الآخر فصير او اعمم كالمرآتى المشرقة المتقابلة اذا وقعت عليها انوار الشمس فانه ينعكس النور من كل واحدة من تلك المرآتى الى الاخرى فكذا فى هذه الصورة ولهذا السبب كل من له ذوق سليم اذا ادى هذه الصلاة بالجماعة وجد من قلبه فسحة ونورا ﴿ قوله بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه ﴾ وذلك لان اللام فى قوله لدلوك الشمس للتعقيب وقوله الى غسق الليل متعلق باقم وكلمة الى لانتهاء غاية الاقامة وغسق الليل تراكم ظلمته واشتدادها والظلمة انما تحصل عند غيبوبة الشفق الابيض والحكم الممدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية منتهيا عندها فيكون قوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيانا لمبدأ الوقت ومنتهاه ﴿ قوله ومن الليل ﴾ متعلق بتهجد اى تهجد بالقرآن بعض الليل كما يشعر به قوله وبعض الليل فاترك الهجود والاظهر ان يكون متعلقا بمقدر عطف عليه فتهجد لان الفاء لا تدخلها من معطوف عليه والتقدير وقم من الليل اى فى بعض الليل فتهجد بالقرآن فالمراد منه الصلاة المشتملة على القرآن عبر عنها باسم بعض اركانها والمعروف فى كلام العرب ان الهجود عبارة عن النوم بالليل يقال هجد فلان اذا نام بالليل ثم لما رأينا فى عرف الشرع انه يقال لمن انتبه بالليل من نومه وقام الى الصلاة انه متهجد وجب ان يقال سمى ذلك متهجدا من حيث انه ألقى الهجود من نفسه كما قيل للعابد متحنث لالقائه الحنث وهو الاثم والحوف عن نفسه ونافلة مصدر على وزن العافية منصوب بفعله المقدر اى تنفل نافلة لك والنافلة فى اللغة الزيادة على الاصل ومعناها فى هذه الآية ايضا الزيادة وفى تفسير كونها زيادة قولان مبنيان على ان صلاة الليل أكانت واجبة على النبى صلى الله عليه وسلم ام لا فمنهم من قال انها كانت واجبة عليه بقوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا ثم نسخت فصارت نافلة اى تطوعا وزيادة على الفرائض وقال آخرون ان صلاة الليل كانت واجبة عليه عليه الصلاة والسلام ومعنى كونها نافلة له على التخصيص انها فريضة زائدة له عليه الصلاة والسلام على الصلوات الخمس واختار المصنف هذا القول لان تهجد امر وصيغة الامر للوجوب فوجب ان يكون التهجد واجبا عليه ومن قال ان صلاة الليل ليست بواجبة عليه بل هى تطوع فى حقه كما هى تطوع فى حق امته قال فى وجه قوله نافلة لك بلام الاختصاص انه تعالى غفر للنبى صلى الله عليه وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكل طاعة يأتى بها سوى المكتوبة فانه لا يكون تأثيرها فى كفارة الذنوب البتة بل يكون تأثيرها فى زيادة الدرجات وكثرة الثواب فلما كانت زيادة المثوبات سميت نافلة بمعنى زيادة المثوبات بخلاف الامة فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات فهم يحتاجون الى النوافل لتكفير الذنوب والسيئات لا لمحض زيادة المثوبات وللاشارة الى هذا المعنى جعلت تطوعاته عليه الصلاة والسلام زوائد ونوافل فى مثوبته بخلاف تطوعات امته ﴿ قوله ولاشعاره ﴾ عطف على قوله لما روى فهو وجه ثان لكون المراد بالمقام المحمود مقام الشفاعة وتقرير كون المقام من حيث هو مقام محمودا يشعر بالانعام عليه وذلك الانعام لا يجوز ان يراد به تبليغ الدين والهداية الى الشرع القويم والصراط المستقيم لان ذلك الانعام كان حاصلا الآن وقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يشعر بكون المراد منه مقام الشفاعة واتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله تدخل فيما هو قطعى الوقوع لان لفظ عسى يفيد الاطماع ومن اطمع انسانا فى شئ ثم حرمه كان عارا عليه والله تعالى اكرم من ان يطمع احدا فى شئ ثم لا يعطيه ﴿ قوله اى فى القبر ﴾ قدم هذا الوجه واختاره لكونه مناسب المذكور عقيب قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا والعامة على ضم الميم فى قوله مدخل ومخرج لوقوعهما بعد فعل رباعى وجعلهما المصنف مصدرا ميميا وان جاز ان يكونا اسمى مكان وقرئ بفتح الميم فيهما على ان كل واحد منهما مصدر ميمى من الفعل الثلاثى منصوب بفعل مقدر موافق لهما تقديره فادخل مدخل واخرج مخرج والاضافة فيهما للتعيين مدحا للمضاف كانه سأل الله تعالى ادخالا حسنا واخراجا حسنا لا يرى فيه ما يكرهه وان كان المعنى ادخلنى مكة ظاهرا عليها يكون المأمور به ان يسأل الله تعالى ان يفتح له مكة ويدخل فيها ادخالا مرضيا وان كان المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة تكون الآية مرتبطة بقوله وان كادوا ليستفزونك من الارض والمعنى ان كفار مكة لما ارادوا اخراجه عليه الصلاة والسلام من مكة امره الله تعالى بالهجرة الى المدينة وقال له قل رب ادخلنى مدخل صدق وهو ادخاله المدينة واخرجنى مخرج صدق وهو اخراجه من مكة او ادخاله الغار واخراجه منه ﴿ قوله ومن للبيان ﴾ فان قيل من البيانية لا بد ان يتقدمها ما يحتاج الى البيان لا ان تقدم هى عليه وهاهنا قد تقدمت عليه فكيف تكون بيانية فالجواب ان المبين لا يجب تقدمه لفظا بل يكفى تقدمه رتبة وهو حاصل هاهنا فان قوله من القرآن بيان لمفعول ننزل وهو قوله ما هو شفاء

وحال منه كما ان من الاوثان فى قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان حال من الرجس و بيان له وذو الحال متقدم من حيث الرتبة على الحال وان كانت تبعيضية يكون من القرآن مفعولا به وماهو شفاء بدلا منه شبه المؤمنون بالمرضى من حيث احتياجهم فى تقوية دينهم وعقائدهم واصلاح نفوسهم واخلاقهم الى مايعينهم ويصلح شأنهم فى البابين وشبه القرآن بالدواء الشافى من حيث كونه نافعا ومزيلا لضعف العقائد والاخلاق الذميمة ويصلح شأن المؤمن فى باب العقائد والاعمال والاخلاق فعبر عن المشبه باسم المشبه به فقيل وننزل من القرآن ماهو شفاء ثم بين المراد بهذا اللفظ المستعار بقوله من القرآن وان شئت قلت ذكر طرفى التشبيه البليغ وجعل كون القرآن بمنزلة الشفاء بالنسبة الى المؤمنين تخييلا للاستعارة التى هى تشبيه المؤمنين بالمرضى ثم انه تعالى لما وصف القرآن بانه شفاء ورحمة للمؤمنين وانه لايزيد الظالمين الاخزيا وخسارا بين ان شأن نوع الانسان انه ان فاز بالنعمة والدولة اغتربها ونسى ذكر الله تعالى والاشتغال به ثم اتبع ذلك بقوله قل كل يعمل على شاكلته اى على حسب طريقته المشاكلة لما هو عليه من الهدى والضلال فالكافر يعمل مايشبه طريقته من الاعراض عن الذكر عند الانعام ومن اليأس من رحمة الله عند الشدة والمؤمن يفعل مايشبه طريقته من الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء ويدل على هذا قوله تعالى فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اى المؤمن الذى لايعرض عند النعمة ولاييأس عند المحنة ثم ذكر وجها آخر وهو ان يكون المراد بالشاكلة مايشاكل جوهر روحه والمعنى كل احد يفعل على وفق مايشاكل جوهر نفسه ومقتضى روحه فان كانت نفسه نفسا مشرقة طاهرة علوية صدرت عنه افعال فاضلة كريمة وان كانت نفسه نفسا كدرة خبيثة سفلية ظلمانية صدرت عنه افعال خسيسة قال الامام اختلف العقلاء فى ان النفوس الناطقة البشرية هل هى مختلفة بالماهية اولا فمنهم من قال انها مختلفة بالماهية وان اختلاف افعالها واحوالها لاجل اختلاف جواهرها وماهياتها ومنهم من قال انها متساوية فى الماهية واختلاف افعالها لاجل اختلاف امزجة ابدانها ثم قال والمختار عندى هو القسم الاول والقرآن مشعر بذلك فانه تعالى بين فى الآية المتقدمة ان القرآن بالنسبة الى البعض يفيد الشفاء والرحمة وبالنسبة الى البعض الآخر يفيد الخسار والخزى ثم اتبعه بقوله قل كل يعمل على شاكلته ومعناه ان اللائق بتلك النفوس الطاهرة ان يظهر فيها من القرآن آثار السعادة والكمال وبتلك النفوس الكدرة ان يظهر فيها من القرآن آثار الخزى والضلال كما ان الشمس تعقد الملح وتلين الدهن وتبيض ثوب القصار وهذا الكلام انما يتم المقصود منه اذا كانت الارواح والنفوس مختلفة بماهياتها فبعضها مشرقة صافية يظهر فيها من القرآن آثار السعادة والكمال وتلك النفوس نور على نور وبعضها كدرة ظلمانية فيظهر فيها من القرآن ضلال ونكال على نكال انتهى كلامه والمصنف اشار الى القول الاول بقوله او جوهر روحه والى الثانى بقوله واحواله التابعة لمزاج بدنه من غير تعرض منه لترجيح احد القولين على الآخر ويحتمل ان يكون قوله هذا ترجيحا للقول الاول ويكون عطف قوله واحواله التابعة للاشارة الى ان اختلاف جوهر الروح بالماهية انما يقتضى اختلاف الافعال بواسطة اختلاف تدبيره فى مادة بدنه ﴿ قوله من الابداعيات ﴾ اى من الامور المخترعة لاعلى مثال والسؤال عن الروح وان كان يقع على وجوه كثيرة احدها ان يقال اى شئ ماهية الروح وحقيقته اهو متحيز ام حال فى المتحيز ام موجود غير متحيز ولاحال فى المتحيز وثانيها ان يقال الروح هل هو قديم او حادث وثالثها انه هل يبقى بعد موت الاجسام او يفنى ونحو ذلك من احوالها الا ان الظاهر انهم سألوه عليه الصلاة والسلام عن حقيقة الروح وانه عليه الصلاة والسلام اجابهم بان بين لهم ذات الروح ببعض عوارضه واحواله وهو قوله تعالى قل الروح من امر ربى يعنى انه موجود بامر الله تعالى وتكوينه وانه ليس من عالم الخلق حتى يمكن تعريفه لاهل الظاهر الذين البين انه لايتجاوز ادراكهم عن عالم المحسوسات ومايدركونه من المعانى المعقولة ليس الاصورا منتزعة من الجزئيات المحسوسة على حسب الاستعدادات المختلفة بل هو من عالم الامر اى عالم الابداع الذى هو عالم الذوات المجردة عن الهيولى والجواهر المقدسة عن الشكل واللون والجهة والاين فلا يمكنكم ادراكه ايها المحجوبون بالكون لقصور ادراككم عنه فالجواب المذكور اشارة الى ان الروح مما لايمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به ولذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى عليه الصلاة والسلام فى جواب وما رب العالمين على ذكر بعض صفاته وان ارادوا بسؤالهم عن الروح انه هل هو قديم او حادث يكون الجواب بانه من امر ربى بمعنى انه حادث بتكوينه وموجود بامره اى بقوله كن ولفظ الامر قديجئ بمعنى الفعل كما فى قوله تعالى وما امر فرعون

(ولا يزيد الظالمين الا خسارا) لتكذيبهم وكفرهم به (واذا انعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (اعرض) عن ذكر الله (ونأى بجانبه) لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفى فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض (واذا مسه الشر) من مرض او فقر (كان يؤوسا) شديد اليأس من روح الله (قل كل يعمل على شاكلته) قل كل احد يعمل على طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين (ويسألونك عن الروح) الذى يحيى به بدن الانسان ويدبره (قل الروح من امر ربى) من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه

رشيد اى ومافعله برشيد وقوله فلماجاء امرنا اى فعلنا فقوله تعالى قل الروح من امر ربى اى من فعل ربى وانه حادث حصل بفعل الله وتكوينه وايجاده ﴿قوله وقيل مما استأثره الله بعلمه﴾ الظاهران يقال مما استأثر الله بعلمه بدون الضمير بمعنى استبد وتفرد بعلمه واستعماله متعديا غير معهود فى اللغة ومعنى الجواب حينئذ قل معرفة الروح من شأن الله تعالى لامن شأن غيره على ان يقدر المضاف بعد قوله قل ويكون الامر بمعنى الشأن وهذا التوجيه يطابقه قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولم يرض المصنف بهذا الوجه لان معرفة الروح ليست اعظم شأنا من معرفة الله تعالى واذا كانت معرفته تعالى ممكنة بل حاصلة فاى مانع يمنع من معرفة الروح مع ان مسألة الروح يعرفها اوساط العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين فكيف يليق بالرسول الذى هو اعلم العلماء وافضل الفضلاء ان يقول انا لااعرف هذه المسألة وانما علمها من امر ربى وشأنه فلذلك اختاران يكون السؤال عن حقيقة الروح او عن قدمه وحدوثه وانه عليه الصلاة والسلام اجاب عن ذلك السؤال بان بين لهم ماسألوه فى قوله نزل به الروح الامين على قلبك وفى قوله فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا حيث سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم كيف جبريل فى نفسه وكيف قيامه فى تبليغ الوحى فقال قل الروح من امر ربى اى انه من عالم الامر او موجود بامره وتكوينه او ينزل ويبلغ بامر ربه كما قال جبريل عليه الصلاة والسلام وما نتنزل الا بامر ربك ﴿قوله وقيل خلق﴾ اى قيل ان الروح المسئول عنه فى هذه الآية ملك من ملائكة السموات وهو اعظمهم قدرا وقوة وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا روى عن على رضى الله عنه انه قال انه ملك له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها وما خلق الله تعالى خلقا اعظم من الروح غير العرش ولوشاء ان يبتلع السموات السبع والارضين السبع ومافيهن بلقمة واحدة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم يوم القيامة عن يمين العرش وهو اقرب الخلق الى الله تعالى اليوم بعد الحجب السبعين ويقرب الى الله عزوجل يوم القيامة وهو يشفع لاهل التوحيد ولولا ان بينه وبين الملائكة سترا من نور لاحترق اهل السموات من نوره ﴿قوله وقيل القرآن﴾ اى وقيل المراد بالروح المسئول عنه فى هذه الآية القرآن لانه تعالى سمى القرآن فى كثير من الآيات روحا منها قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقوله ينزل الملائكة بالروح من امره ولان القرآن تحصل به حياة الارواح والعقول اذ به تحصل معرفة الله ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله واحوال الآخرة والارواح انما تحيى بهذه المعارف مع ان اللائق بهذا الموضع القرآن لانه تقدمه قوله تعالى وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين وجاء بعده ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك الى قوله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلما كان ماقبل هذه الآية ومابعدها فى وصف القرآن ناسب ان يكون المراد بالروح المذكور فى هذه الآية ايضا القرآن ولما استعظم القوم امر القرآن وسألوا انه هل هو من جنس الشعر والكهانة اجابهم الله تعالى بانه ليس من جنس كلام الشعر وانما هو كلام ظهر بامر الله تعالى ووحيه وتنزيله فقال قل الروح من امر ربى اى القرآن انما ظهر بامر ربى ووحيه ﴿قوله ولعل اكثر الاشياء لايدركه الحس﴾ جواب عما يقال سلمنا ان علم الانسان مقتصر على مايستفيده بواسطة الحواس لكن كيف يلزم منه ان يكون معلومه شيأ قليلا بالنسبة الى معلومات الله تعالى ومعلومات النفوس المجردة عن الحجب الطبيعية والعوائق الجسمانية واشار بقوله من احساس الجزئيات اى بطريق الاحساس المستفاد من احساس الجزئيات المعرفة النالة الى ان الانسان يجوز له ان يعلم شيأ من الابداعيات على سبيل التشبيه والمقايسة بما شاهده فى عالم الشهادة كما يعلم الملائكة واحوال الآخرة بهذا الطريق ﴿قوله ومحوناه من المصاحف والصدور﴾ اشارة الى جواب من زعم ان هذه الآية تدل على ان القرآن مخلوق لان القديم لايقبل الازالة والاذهاب لماتقرر من ان ماثبت قدمه يمتنع عدمه وتقرير الجواب ان المراد بهذا الاذهاب ازالة العلم به عن القلوب وازالة النقش الدال عليه من المصاحف وذلك لايوجب كون ذلك المعلوم المدلول بهما عليه محدثا روى محيى السنة فى تفسيره عن عبد الله بن مسعود انه قال اقرأوا القرآن قبل ان يرفع فانه لاتقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما فى صدور الناس قال يسرى عليهم ليلا فيرفع مافى صدورهم فيصبحون لايحفظون شيأ ولايجدون فى المصاحف شيأ ثم يفيضون فى الشعر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال لاتقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الرب تعالى مالك فيقول يارب

وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها اوسكت فليس بنبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التوراة وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربى معناه من وحيه (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لايدركه الحس ولاشياء من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لايمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلهذا اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى فى جواب ومارب العالمين بذكر بعض صفاته روى انه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا مااعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان مافى الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ماتسعه الطاقة البشرية بل ماينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التى لانهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير (ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك) اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور

(الى)

انك ولايعمل بى انك ولايعمل بى ﴿ قوله بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به ﴾ يعنى انه على تقدير ان يكون الاستثناء منقطعا يكون استدراكا على قوله ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا وعلى تقدير ان يكون متصلا يكون المستثنى منه قوله وكيلا بناء على ان الرحمة من جنس الوكيل مندرجة فيه كما قال ابو البقاء ﴿ قوله ولولاهى ﴾ اى اللام الموطئة فان القسم مقدر معها لجاز ان يكون قوله لا يأتون جواب الشرط غير مجزوم بناء على ان حرف الشرط الذى لم يعمل فيما هو اقرب منه فلان لايعمل فى الابعد اولى كما فى البيت فانه مرفوع يقول فيه مع انه جواب الشرط لماذكرنا ﴿ قوله ولعله لم يذكر الملائكة الخ ﴾ يعنى ان هذه الآية دلت على وقوع التحدى مع الجن والانس فلما ظهر عجز كل واحد من الفريقين عن اتيان مثله ظهر ان القرآن ليس من نظم هذين الفريقين ولم يلزم منه كونه وحيا الهيا لجواز كونه من نظم الملائكة وانما يظهر ذلك لو ذكر الملائكة ووقع التحدى مع جميع الفرق الثلاث فلم لم يذكر الملائكة اجاب عنه اولا بان المقصود من تحقيق اعجاز القرآن دفع شبهة القوم باحتمال كونه كلام البشر او الجن ولم يذهب احدمنهم الى احتمال كونه تأليف الملائكة فلذلك لم يذكر الملائكة فى مقام التحدى وثانيا بانه لاوجه لذكر الملائكة فى هذا المقام من حيث كونهم وسائط فى اتيانه ونزوله الى البشر ﴿ قوله ويجوز ان تكون الآية تقريرا ﴾ لاثباتا لكونه معجزا بعد الامتنان بتنزيله ثم بابقائه كما يفهم ذلك من التقرير السابق ﴿ قوله كررنا بوجوه مختلفة من كل معنى ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى من كل مثل مفعول صرفنا وكلمة من فيه زآئدة فى المفعول وقد جوزه الكوفيون والاخفش زيادتها فى الاثبات والمعنى ولقد صرفنا تقرير كل معنى من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والمواعظ وتقرير الدلائل الدالة على حقية ماهو الحق فى باب الاعتقاد والعمل وبطلان ماهو الباطل منهما من وجه الى وجه آخر وكررنا تقريره بوجوه مختلفة ليذكروا ويذعنوا الى الحق فابى اكثر اهل مكة الاجحودا للحق واصرارا على الكفر والعناد ﴿ قوله وانما جاز ذلك ﴾ يعنى ان قوله الا كفورا مستثنى مفرغ فى الكلام الموجب وقد تقرر ان عدم ذكر المستثنى منه انما يجوز فى غير الموجب ولايجوز فى الموجب لفساد المعنى فكان القياس ان لايجوز ان يقال ابى اكثر الناس الا كفورا الا انه جاز من حيث ان قوله ابى اكثر الناس فى قوة لم يفعلوا ولم يرضوا الا كفورا وفسر الكفور بالجحود لانه تعالى اثبت نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ببيان كون القرآن معجزا وانه عليه الصلاة والسلام اظهره على وفق دعواه وحينئذ يتم الدليل على كونه نبيا صادقا لان كل من ادعى النبوة واظهر المعجزة على وفق دعواه فهو نبى صادق فصح انه نبى صادق عليه الصلاة والسلام وليس من شرط كونه نبيا صادقا تواتر المعجزات الكثيرة وتواليها لانه يستلزم ان لاينتهى الامر فيه الى حد ينقطع عنده عناد المعاندين لانه كلما اتى الرسول بمعجز اقترحوا عليه معجزا آخر لا الى نهاية فكفار مكة بعد ان اظهر كون القرآن معجزا التمسوا منه عليه الصلاة والسلام ستة انواع من المعجزات فالتماسهم هذا ليس الا تعنتا وجحودا ﴿ قوله وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر ﴾ بفتح التاء وسكون الفاء وضم الجيم خفيفة مضارع فجرت الماء فانفجر بمعنى بجسته فانبجس ويؤيد هذه القراءة كون الينبوع واحدا وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الفاء وكسر الجيم المشددة مضارع فجر للتكثير واتفقوا على ان الثانية بالتشديد لتصريح بمصدرها ﴿ قوله لاينضب ماؤها ﴾ بضم الضاد اى لايغور فى الارض ولاينفصل ونبع الماء ينبع ينبوعا اى خرج واليعبوب الفرس الكثير الجرى والنهر الشديد الجرية وعب الماء اذا زخر وكثر وارتفع يقال زخر الوادى اذا امتلأ وارتفع ماؤه وبحر زاخر والعباب بالضم معظم الماء وكثرته وارتفاعه اقترح القوم وقالوا له عليه الصلاة والسلام ازل عنا جبال مكة وفجر لنا الينبوع ليسهل علينا امر الزراعة والحراثة ثم قالوا فان لم تستطع اظهار الخير فاظهر الشر بان تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا اى قطعا جمع كسفة وهى القطعة مثل قربة وقرب وانتصابه على الحال من السماء ﴿ قوله وحفص فيما عدا الطور ﴾ الظاهر انه معطوف على ابن كثير كما ان قوله وابن عامر وقوله ونافع وابو بكر معطوفان عليه فيكون المعنى وسكنه حفص فيما عدا الطور وهو مخالف لما ذكره الامام الرازى فى تفسيره وهو قوله قرأ ابن عامر كسفا بفتح السين ههنا وفى سائر القرآن بسكونها وقرأ نافع وابو بكر عن عاصم ههنا وفى الروم بفتح السين وفى باقى القرآن بسكونها وقرأ حفص فى سائر القرآن بالفتح الا فى الطور وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى فى الروم بفتح السين وفى سائر القرآن بسكونها هذه عبارة الامام فى الكبير وفى تفسير الامام ابى الليث وحاشية الطيبى وتفسير القراءة هكذا قرأ نافع وعاصم وابن عامر كسفا بفتح السين والباقون باسكانها والله اعلم فمن فتح السين جعله جمع كسفة نحو قلعة وقطع

(ثم لاتجدلك به علينا وكيلا) من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا (الا رحمة من ربك) فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة فى تنزيله (ان فضله كان عليك كبيرا) كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه فى حفظه (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن) فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى (لا يأتون بمثله) وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هى لكان جواب الشرط بلاجزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وان أتاه خليل يوم مسئلة ۞ يقول لاغائب مالى ولاحرم ۞

(ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لايخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط فى اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله ثم لاتجد لك به علينا وكيلا (ولقد صرفنا) كررنا بوجوه مختلفة زيادة فى التقرير والبيان (للناس فى هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته ووقوعه موقعا فى الانفس (فأبى اكثر الناس الا كفورا) الاجحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الازيدا لانه متأول بالنفى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) تعنتا واقتراحا بعدما الزمهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لاينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر (او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا) او يكون لك بستان يشتمل على ذلك (او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب فى جميع القرآن الا فى الروم وابن عامر الا فى هذه السورة وابو بكر ونافع فى غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدرا وفعل بمعنى مفعول كالطحن

(اوتأتي بالله والملائكة قبيلا) كفيلا بما تدعيه او شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله * ومن يك امسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب * او جماعة فيكون حالا من الملائكة (او يكون لك بيت من زخرف) من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة (او ترقى في السماء) في معارجها (ولن نؤمن لرقيك) وحده (حتى تنزل علينا كتابا نقرأه) وكان فيه تصديقك (قل سبحان ربي) تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي اى قال الرسول (هل كنت الا بشرا) كسائر الناس (رسولا) كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى تتخيروها علي هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا (وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) اى وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق (الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا) الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا (قل) جوابا لشبهتهم (لو كان في الارض ملائكة يمشون) كما يمشى بنو آدم (مطمئنين) ساكنين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) على انى رسول اليكم باظهار المعجزة على وفق دعواى او على انى بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه) يهدونه (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) يسحبون عليها او يمشون بها روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم (عميا وبكما وصما) لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفي القوى والحواس (مأواهم جهنم كلما خبت) سكن لهبها بان اكلت (على) جلودهم ولحومهم (زدناهم سعيرا) توقدا بان تبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة فانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالون على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله (ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم

وكسرة وكسر ومن سكنه جعله ايضا جمعا على وزن فعل بفتح العين لكنه سكن عينه تخفيفا كما خففت سدر اصله سدر بفتح الدال جمع سدرة او جعله فعلا بمعنى المفعول كالطحن بمعنى المطحون والكاف في قوله كما زعمت صفة محذوف اى اسقاطا مثل مزعومك على ان ما مصدرية والمصدر بمعنى المفعول والمراد بمزعومه عليه الصلاة والسلام ما حكى عنه تعالى من قوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم اى لا يصدقون انها كسف ساقطة للعذاب فعلم منه ان ما حكى عنهم في هذه السورة من قولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا انما يقولونه عنادا وتمردا لا لتحصيل اليقين ﴿قوله كفيلا او مقابلا او جماعة﴾ فسر القبيل بثلاثة اوجه الاول الكفيل يقال قبل به يقبل ويقبل قبالة والثانى المقابل كالعشير بمعنى المعاشر والثالث الجماعة يكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى كالروم والزنج والعرب والقبيل بهذا المعنى يجمع على قبل ومنه قوله تعالى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا اى قبيلا واذا كان قبيلا بمعنى كفيلا كان التقدير او تأتى بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا واذا كان مقابلا كان التقدير تأتى بالله مقابلا وبالملائكة مقابلين وعلى الوجهين يكون قبيلا حالا من الله وحال الملائكة محذوف لدلالة المذكور عليه كما حذف خبر قيار في قوله

* فمن يك امسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بهما لغريب *

اى فانى لغريب وقيار كذلك وان كان قبيلا بمعنى جماعة يجوز ان يكون حالا من الله والملائكة وان يكون حالا من الملائكة فقط اى فوجا بعد فوج وكل فوج من الجن والانس قبيل ﴿قوله في معارجها﴾ قدر المضاف لان هذا الفعل اذا عدى بكلمة في انما يعدى الى ما هو آلة الارتقاء يقال رقى في السلم وفي الدرجة والرقى الصعود يقال رقى بكسر العين يرقى بالفتح رقيا على وزن فعول اصله رقويا فادغم بعد قلب الواو ياء ﴿قوله ولن نؤمن لاجل رقيك وحده﴾ روى عن عبد الله بن ابى انه قال لن نؤمن لك حتى تضع على السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر اليك حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون ان الامر كما تقول فقال تعالى له عليه الصلاة والسلام قل سبحان ربى ﴿قوله حتى يتخيروها على﴾ اى حتى يتحكمون على باختيارها يقال تخير عليه اى اقترح عليه في اختيار الخير ﴿قوله باظهار المعجزة على وفق دعواى﴾ اذ كان ذلك شهادة منه تعالى على كونه عليه الصلاة والسلام صادقا في دعوى الرسالة ومن شهد الله تعالى على صدقه فهو صادق فكل من قال بعد ذلك يجب ان يكون الرسول ملكا لا انسانا يكون كلامه مهملا لا يلتفت اليه ﴿قوله لا يبصرون ما يقر اعينهم﴾ اشارة الى جواب ما يقال كيف يحشرون عميا وبكما وصما وقد قال تعالى ورأى المجرمون النار وقال سمعوا لها تغيظا وقال دعوا هنالك ثبورا وقال يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وقال حكاية عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فثبت بهذه الآيات انهم يرون ويسمعون وينطقون فكيف قال ههنا عميا وبكما وصما * اجاب عنه المصنف اولا بان المعنى انهم يحشرون على حيث لا يرون شيأ يسرهم صما لا يسمعون شيأ يلذون استماعه بكما لا ينطقون بحجة * ثم اشار الى الجواب ثانيا بقوله ويجوز ان يحشروا الخ يعنى انهم يكونون رائين سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لما قدروا على ان يطالعوا كتبهم ولان يسمعوا الزام حجة الله عليهم الا انهم اذا اخذوا يذهبون من الموقف الى النار يجعلهم الله تعالى عميا وبكما وصما ﴿قوله مؤوفي القوى﴾ من الآفة يقال ايف الزرع على ما لم يسم فاعله اى اصابته آفة فهو مؤوف ﴿قوله توقدا﴾ اشارة الى ان السعير مصدر بمعنى التسعير وهو التوقد والتلهب كالنذير والنكير بمعنى الانذار والانكار ويجوز ان يكون السعير بمعنى النار المسعورة يقال سعرت النار بمعنى هيجتها والهبتها وقد تشدد العين لتكثير المبالغة * فان قيل قال تعالى لا يخفف عنهم العذاب وقوله كلما خبت يدل على ان العذاب يخفف عنهم في ذلك الوقت * اجيب بان قوله كلما خبت معناه كلما ارادت ان تخبو زدناهم تسعرا وتلهبا ﴿قوله تعالى ذلك جزاؤهم﴾ مبتدأ وخبر والباء في قوله بانهم كفروا باء السببية اى ذلك العذاب الموصوف المذكور فيما تقدم جزاؤهم بسبب انهم كفروا بآياتنا الدالة على صدق مدعى النبوة تكبرا وعنادا وعطف على كفرهم بالآيات المذكورة قولهم وقالوا أئذا كنا عظاما الخ يعنى انهم كما انكروا النبوة انكروا البعث والحشر واستبعدوا ان يعود الانسان بعينه بعد ان يصير عظاما ورفاتا واجاب الله تعالى عن هذا الاستبعاد بقوله اولم يروا الخ يعنى ان من خلق السموات والارض كيف يستبعد منه ان يقدر على اعادتهم باعيانهم واراد بخلق مثلهم خلق انفسهم ثانيا فان مثل الشئ لما كان مساويا له في حالته جاز ان يعبر به عن الشئ نفسه الا ترى انه يقال مثلك لا يفعل هذا ويراد انت لا تفعله وقيل المراد انه قادر

على ان يخلق مبدأ آخر بن وحدوثه ويقرّون بكمال حكمته وقدرته ويتركون ذكر الشبهات الفاسدة وما اختاره المصنف انسب بالمقام وتم الجواب عند قوله تعالى قادر على ان يخلق مثلهم ثم عطف قوله وجعل لهم اجلا على جملة الجواب وهى قوله اولم يروا الخ فانه فى قوة قد رأوا فليس هو داخلا فى حيز الانكار بل هو معطوف على جملة برأسها وقوله لاريب فيه صفة لاجلا اى اجلا غير مرتاب فيه فان اريد به اجل الموت فوجه الافراد واضح وان اريد به اجل القيامة يكون المقصود من هذه الجملة بيان ان لوقوعه ودخوله فى الوجود وقتا معلوما عند الله وبان انه فى نفسه امر ممكن الوجود بناء على ان الاعادة امثالهم اهون فى عقولهم من خلق السموات والارض ابتداء ﴿قوله وانتم مرفوع بفعل يفسره مابعده﴾ اى وليس بمرفوع على الابتداء لان كلمة لو للشرط والتعليق والمعلق عليه لابد ان يكون من الاحوال المتغيرة القائمة بالذوات ولا يجوز ان يعلق الحكم بنفس الذوات وكان من حقها ان تختص بالافعال لان الاسم يدل على المعانى والاحوال فلابد ان يليها الفعل ظاهرا او مضمرا ولما وقع الاسم بعدها فى الآية وجب ان يقال ان ذلك الاسم مرفوع بفعل مقدر يفسره هذا الظاهر والاصل لو تملكون فحذف الفعل لدلالة مابعده عليه فانفصل الضمير وهو الواو اذ لايمكن بقاؤه متصلا بعد حذف رافعه ونظيره فى وجوب تقدير الفعل قوله وان احد من المشركين اى وان استجارك احد وقول حاتم * لوذات سوار لطمتنى * اى لو لطمتنى ذات سوار لان لو طالبة للفعل فلما لم يوجد لفظا جعل مقدرا والمعنى لو لطمنى من كان كفؤا لى لهان علىّ ولكن لطمنى من هو غير كفئ وقيل اراد لو لطمنى حرة فكنى بكون اللاطمة ذات سوار عن الحرة لان العرب قلما يلبسون الاماء السوار فالمعنى لو كانت اللاطمة حرة لكان اخف علىّ وذكر للعدول عن الظاهر الى طريق الحذف والتفسير فائدتين الاولى المبالغة فى ترتب الجزاء على الشرط لان تكرار الشرط يتضمن تكرار الجزاء الثانية الدلالة على الاختصاص وهو التعليق وذلك ان انتم وان كان فاعلا للفعل مقدر الا انه لما كان عبارة عن ضمير تملكون المتأخر ومتحدا معه بالذات كان من حيث المعنى فاعلا له قدم عليه وقد تقرر فى علم المعانى ان تقديم الفاعل المعنوى يفيد الاختصاص فقوله تعالى لو انتم تملكون يدل على انهم المختصون بهذه الحالة الخسيسة والشح الكامل فانه من المعلوم ان خزآئن الله تعالى غير متناهية لايتصور نفادها بكثرة الانفاق فمن ملكها واستولى عليها من غير منازع ومزاحم ثم امسكها ولم يقض بها حاجة احد من المحتاجين يكون فى غاية الشح ونهاية البخل ﴿قوله لبخلتم﴾ اشارة الى ان امسكتم لايقدّر له مفعول ويجعل لازما لتضمنه معنى بخلتم ويجوز ان يجعل متعديا ويقدّر له مفعول اى لأمسكتم المال والخيرات التى ملكتموها الا انه لما حصل المقصود بدون التقدير استغنى عنه وخشية الانفاق مفعول له لقوله امسكتم وقيل انه مصدر فى موضع الحال اى لامسكتم خاشين الانفاق وفيه نظر لان المصدر المعرّف لايقع موقع الحال الاسماعا نحو وارسلها العراك ولايقاس عليه والانفاق مصدر انفق اذا اخرج المال وجعله المصنف مصدر انفق بمعنى افتقر ونفد وفى الصحاح نفق الزاد ينفق نفقا اى نفد وانفق الرجل اى افتقر واذهب ماله فعلى هذا خشية الانفاق معناه خشية الفاقة والافتقار ﴿قوله اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يخاطب كافة الانسان خطابا عاما ويصفهم بالبخل المفرط بهذه المبالغة العظيمة مع ان فى الانسان من هو جواد كريم * وتقرير الجواب وصف كافة الانسان بالبخل لان الاصل فيهم البخل من حيث خلق محتاجا الى ماينتفع به احواله والمحتاج لابد وان يحب ماله يدفع حاجته وان يمسكه لنفسه ولايؤثر به غيره وان انفق ان يؤثر به غيره انما يفعل ذلك لطلب عوض يفوق ماانفق مثل ان يحمد ويذكر بالجميل او يخرج من عهدة الواجب او يتقرب به الى الله تعالى وقلما ينفق لاللعوض وفائدة تصل اليه فكان المنفق بهذه الكيفية بهذا الغرض فى الحقيقة بخيلا فان الجود هو العطاء تفضلا من غير داعى يدعو اليه سوى الكرم ودفع حاجة المحتاج ثم اشار الى وجه آخر وهو انه وصف الكل بالبخل على اقامة الاكثر مقام الكل لان البخلاء اغلب فيهم وقيل الخطاب فى قوله تعالى قل لو انتم تملكون خزآئن رحمة ربى الآية ليس للكل بل هو خطاب للذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فانهم لما طلبوا اجرآء الانهار والعيون فى بلدهم لتكثر اموالهم اجابهم الله تعالى بانكم لو تملكون خزآئن رحمة الله لبقيتم على بخلكم وشحكم ولما قدمتم على ايصال النفع الى احد فلا فائدة فى اسعافكم بما طلبتموه وقوله تعالى قتورا اى بخيلا ممسكا يقال قتر على عياله يقتر ويقتر قترا وقتورا اى ضيق عليهم فى الانفاق وقصر وكذلك التقتير والاقتار ثلاث لغات ﴿قوله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل﴾ اذ لو اريد بها

(اولم يروا) اولم يعلموا (ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم) فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء (وجعل لهم اجلا لاريب فيه) هو الموت او القيامة (فأبى الظالمون) مع وضوح الحق (الاكفورا) الاجحودا (قل لو انتم تملكون خزآئن رحمة ربى) خزآئن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره مابعده كقول حاتم * لوذات سوار لطمتنى * وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص (اذن لأمسكتم خشية الانفاق) لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم (وكان الانسان قتورا) بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاث الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لاتشركوا بالله شيأ ولاتسرقوا ولاتزنوا ولاتقتلوا النفس التى حرّم الله الا بالحق ولاتسحروا ولاتأكلوا الربا ولا تمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولاتقذفوا محصنة ولاتفرّوا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا فى السبت فقبّل اليهودى يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة فى كل الشرآئع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها فى الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لاتعدوا حكم مستأنف زآئد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام

الاحكام المتعلقة سوآء كانت عامة او خاصة لما كان الجواب مطابقا للسؤال لان الآيات المذكورة فى الجواب عشر والسؤال من تسع كانه عليه الصلاة والسلام قال اعلموا معاشر اليهود ان الآيات التى اوتيها موسى عليه الصلاة والسلام ولم تنسخها شريعة ونكون نحن وانتم فيها سوآء هذه المذكورات لكن آية اخرى تختص بكم وهى هذه الآية العاشرة قيل فى ارتباط هذه الآية بما قبلها انها جواب عن قولهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بهذه الآيات المعجزات وتقريره انه تعالى قال انا قد آتينا موسى معجزات مساوية لهذه الاشياء التى طلبتموها بل اقوى منها واعظم فلو حصل فى علمنا ان جعلها فى زمانك مصلحة لفعلناها كما فعلنا فى زمان موسى لكن لما علمنا ان جعلها فى زمانك لا مصلحة فيه لم نفعلها وقوله تعالى بينات يجوز ان يكون منصوبا على انه صفة لعدد وان يكون مجرورا على انه صفة للمعدود ﴿ قوله فقلنا له سلهم من فرعون ﴾ على ان يكون قوله تعالى فاسأل خطابا لموسى عليه الصلاة والسلام اذ لو كان الخطاب لنبينا صلى الله عليه وسلم لما احتيج الى تقدير القول فالمسؤل هو فرعون والمسؤل عنه انقاذ بنى اسرآئيل من ايدى القبط فانهم كانوا بمنزلة الاسرى فى يد فرعون والمعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فارسلناه الى فرعون وملئه وقلنا له اذ جاءهم سل بنى اسرآئيل وخلهم وشأنهم فالسؤال بمعنى الطلب من قولهم سألته الشئ لا من قولهم سألته عن الشئ واذ جاءهم متعلق بقلنا المقدر ﴿ قوله او سلهم من حال دينهم ﴾ على ان يكون الخطاب ايضا لموسى عليه الصلاة والسلام بتقدير القول الا ان المسؤل حينئذ بنو اسرآئيل والمسؤل عنه شأن دينهم والمعنى فقلنا لموسى سل بنى اسرآئيل اذ جاءهم عن حال دينهم وقل لهم هل انتم ثابتون على ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام او دخلتم فى دين فرعون واذ متعلقة بقلنا المقدر ايضا ﴿ قوله ويؤيده ﴾ اى يؤيد كون الخطاب لموسى عليه الصلاة والسلام بتقدير القول ووجه التأييد ان تلك القرآءة صريح فى ان السائل هو موسى عليه الصلاة والسلام لان ضمير سال عائد اليه والمعنى فطلب موسى بنى اسرآئيل من فرعون او سألهم عن حال دينهم واذ جاءهم فى هذه القرآءة متعلقة بسال ﴿ قوله او فسل يا محمد ﴾ عطف على قوله فقلنا له سلهم من فرعون اى ويجوز ان يكون السائل سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والمسؤلون بنى اسرآئيل والمسؤل عنه ما جرى بين موسى وفرعون بعد ان اظهر موسى له ما آتاه الله من المعجزات التسع اى سلهم ان فرعون هل قبل آيات موسى وآمن بها او انكرها واصر على الكفر لتسلى نفسك ولا تضطرب من تعنت المشركين او سلهم عن الآيات العامة الغير المنسوخة التى آتاها الله تعالى موسى فانه امر محقق عندهم ثابت فى كتابهم وليس المقصود حقيقة السؤال بيان شئ من العام بل كونهم احق المسؤلين من اهل علمه ولهذا لم يسأل عليه الصلاة والسلام منهم ﴿ قوله وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا ﴾ اى ظرفا له وتكون جملة فاسأل بنى اسرآئيل معترضة بين الظرف وعامله وفائدة الاعتراض ازدياد اليقين فان تظاهر الادلة يوجب طمأنينة القلب او هو من باب التهييج والالهاب وزيادة التثبيت والطمأنينة على اسلوب قوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك والمعنى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات اذ جاء بنى اسرآئيل او فرعون وملأه فاسأل عن ذلك من مسلمى اهل الكتاب يخبروك به كما اخبرت ﴿ قوله او باضمار يخبروك ﴾ الذى هو جواب قوله فاسأل بنى اسرآئيل فلا يكون اذ جاءهم ظرفا ليخبروك اذ لا يتصور وقوع اخبارهم عن حال الآيات التسع لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى زمان مجيئ موسى عليه الصلاة والسلام الى بنى اسرآئيل بل يكون مفعولا به واخبارهم اياه عليه الصلاة والسلام ذلك الزمان عبارة عن اخبارهم اياه ما وقع فى ذلك الزمان من القصة بتمامها والمعنى سل بنى اسرآئيل عن حال الآيات التسع فانهم يخبرونك القصة بتمامها من لدن مجيئ موسى من مدين الى مصر عند اتيانه اليهم وذهابه الى فرعون وطلبه منه ارسال بنى اسرآئيل معه واقامة النبوة واظهار تلك الآيات القاهرة باسرها وعجز فرعون وعناده الا انه يجب ان يكون قوله اذ جاءهم بمعنى اذ جاء آباءهم بتقدير المضاف لان الخطاب لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وبنو اسرآئيل هم الموجودون فى زمانه وموسى عليه الصلاة والسلام ما جاءهم بل جاء آباءهم وان كان اذ جاءهم منصوبا باضمار اذكر على انه مفعول به جاز ان لا يجعل فاسأل اعتراضا بان يجعل اذكر بدلا من اسأل لما سبق من ان المقصود من السؤال بيان كون المسؤلين من اهل علمه والفاء فى قوله فقال له فرعون على هذه الاوجه فصيحة والمعنى اذ جاءهم فذهب الى فرعون فادعى النبوة واظهر المعجزة وكذبه فقال ﴿ قوله وقرأ الكسائى بالضم ﴾ والقرآءة بفتح التاء

(فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم) فقلنا له سلهم من فرعون اى سلهم منه او سلهم عن ايمانهم وحال دينهم ويؤيده قرآءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ المضى بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال على هذه القرآءة او فسل يا محمد بنى اسرئيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستئناف (فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا) سحرت فتخبط عقلك (قال لقد علمت) يا فرعون وقرأ الكسائى بالضم على اخباره عن نفسه (ما انزل هؤلاء) يعنى الآيات (الا رب السموات والارض بصائر) بينات تبصرك صدقى ولكنك تعاند وانتصابه على الحال

(اجود)

(واني لاظنك يافرعون مثبورا) مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ماثبرك عن هذا اى ماصرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان مابين الظنين فان ظن فرعون كذب محض وظن موسى يحوم حوم اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يافرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هى الفارقة (فاراد) فرعون (ان يستفزهم) ان يستخف موسى وقومه وينفيهم (من الارض) ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستئصال (فاغرقناه ومن معه جميعا) فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق (وقلنا من بعده) من بعد فرعون واغراقه (لبنى اسرآئيل اسكنوا الارض) التى اراد ان يستفزكم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) الكرة او الحياة او الساعة او الدار الآخرة يعنى قيام القيامة (جئنا بكم لفيفا) مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) اى وما انزلنا القرآن الاملتبسا بالحق المقتضى لانزاله وما نزل الاملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الامحفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الامحفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفى اعتراء البطلان له اول الامر وآخره (وما ارسلناك الامبشرا) للمطيع بالثواب (ونذيرا) للعاصى من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار (وقرآنا فرقناه) نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما فى قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل فى تضاعيف عشرين سنة (لتقرأه على الناس على مكث) على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون فى الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به اولا تؤمنوا) فان ايمانكم بالقرآن لايزيده كمالا وامتناعكم عنه لايورثه نقصانا وقوله (ان الذين اوتوا العلم من قبله) تعليل له اى ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل اورأوا نعتك وصفة ماانزل اليك فى تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولاتكترث بايمانهم واعراضهم (اذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للاذقان سجدا) يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله وشكرا لانجازه وعده فى تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزاله القرآن عليه (ويقولون سبحان ربنا) عن خلف الوعد (ان كان وعد ربنا لمفعولا) انه كان وعده كائنا لامحالة (ويخرون للاذقان يبكون) كرره لاختلاف الحال او السبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول مايلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به (ويزيدهم) سماع القرآن (خشوعا) لما يزيدهم علما ويقينا بالله

اجود لان احتجاج موسى عليه الصلاة والسلام على فرعون بعلم فرعون اوكد من الاحتجاج بعلم نفسه ﴿قوله فان ظن فرعون كذب محض﴾ فانه وصف موسى بكونه مسحورا اى الاعنه العقل ولاشك انه كذب محض لادليل عليه ولا امارة وموسى وصف فرعون بكونه مثبورا اى مصروفا عن الخير وهالكا وتصدقه الامارات المتظاهرة وهى ان موسى عليه الصلاة والسلام اثبت نبوته بالمعجزات القاهرة التى لايرتاب العاقل فى انها من عند الله تعالى وانه تعالى انما اظهرها على يده تصديقا له فى دعواه وكل من انكرها لايحمله على الانكار الا الحسد والعناد والجهل وحب الدنيا ومن كان كذلك تكون عاقبته الهلاك والثبور ﴿قوله وقرئ وان اخالك﴾ مضارع قولك خلت الشئ خيلا وخيلة ومخيلة اى ظننته وفى المثل من يسمع يخل وهو من باب ظننت وتقول فى مستقبله اخال بكسر الهمزة وهو الافصح وبنو اسد تقول اخال بفتح الهمزة وهو القياس ثم انه تعالى لمابين اعجاز القرآن وكفايته فى الدلالة على صدق مدعى النبوة عاد الى تعظيم القرآن وبيان شأنه فقال وبالحق انزلناه وبالحق نزل اى ما اردنا بانزاله الاتقرير الحق وتبيينه فلما اردنا هذا المعنى بانزاله وقع وحصل نزوله بسبب الحق فعلى هذا يكون بالحق متعلقا بانزلنا والباء سببية وعلى ماذكره المصنف تكون الباء متعلقة بمحذوف والجار والمجرور فى محل النصب على انه حال من مفعول انزلناه اوفاعل نزل والحق الاول عبارة عن الحكمة الداعية لانزاله والحق الثانى هو الثابت الذى لايزول كما ان الباطل هو الزائل الذاهب وكل مااشتمل عليه هذا الكتاب الكريم من دلائل التوحيد وصفات الاكرام وكون الملائكة عبادا لايقبل الزوال ﴿قوله الامحفوظا بالرصد﴾ تفسير لقوله بالحق وبيان لكونه منصوبا على انه حال من المفعول وكل واحد من لفظى الحق على هذا عبارة عن الثابت المقابل للباطل والذى لايكون انزاله ونزوله الاحال كونه ثابتا غير باطل لايكون الامحفوظا بالرصد كذلك الآيات لاتكون فى تينك الحالين الامحفوظة بالرصد وهو جمع راصد كالحرس جمع حارس ثم انه تعالى لمابين اعجاز القرآن بين عظم شأن رسوله فقال وماارسلناك الخ اى فمن آمن بك واتبع دينك بما اظهرته من المعجزات فقد اهتدى ومن جاءك واقترح معجزات اخر فلا عليك من كفرهم شئ لانك ماارسلت الامبشرا ونذيرا البس لك وراء ذلك شئ من اكراههم على الدين اونحو ذلك وقرآنا نصب قرآنا فرقناه بالنصب فان قيل النصب على الاشتغال انما يجوز حيث يجوز فى الاسم المذكور الرفع بالابتداء وقرآنا نكرة لايصلح للابتداء فكيف يجوز فيه النصب على الاشتغال فالجواب ان التنكير فيه للتعظيم فكان فى حكم المخصص بالوصف فكانه قيل وقرآنا اى قرآن يعنى قرآن عظيم فرقناه ﴿قوله تعالى على مكث﴾ متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل لتقرأه ثم انه تعالى خاطب الذين اقترحوا تلك المعجزات العظيمة على وجه التهديد والانكار فقال قل آمنوا به اولا تؤمنوا اى فقد انزل الله تعالى وبلغ الرسول فاختاروا ماتريدون وهو فى معنى الامر بالاعراض عنهم كانه قال له ازكهم ولاتبال بهم والفرق بين كون قوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليلا لقوله آمنوا به اولا تؤمنوا وبين كونه تعليلا لقل هو ان المقصود بقوله تعالى ان الذين اوتوا العلم على الاول هو تحقير اهل مكة وتجهيلهم وماحصل من تسليته عليه الصلاة والسلام بايمان العلماء انما تحصل فى ضمن هذا المقصد والمقصود على الثانى انما هو التسلية وماحصل من تجهيل القوم وعدم المبالاة بهم انما يحصل تبعا وضمنا ﴿قوله وذكر الذقن﴾ جواب عمايقال المقصود من قوله تعالى ويخرون اى يسقطون حكاية الهيئة الحاصلة لهم عند استماع القرآن التى هى هيئة السجود وهى انما تحصل بالسقوط على الجبهة والانف والظاهر ان يقول ويسجدون اى ويخرون على وجوههم او على جباههم وانوفهم فاوجه ذكر الاذقان ههنا واجاب عنه بان الذقن اول مايلقى الارض من وجه الساجد وفيه بحث لان الظاهر ان اول مايلقى الارض من وجه الساجد هو الجبهة والانف دون الذقن الا ان يقال المراد بكون الذقن اول مايلقى الارض كونه اقرب الى الارض واقدم من سائر مايلقى الارض من اجزاء الوجه والقائم الذى بصدد السجود فالاولية بمعنى الاقدمية فعبر عن خرور الساجد بخرور اقرب اجزاء وجهه الى الارض واقدمها ﴿قوله واللام فيه لاختصاص الخرور به﴾ فيه بحث لان اختصاص الخرور بالذقن عبارة عن كون سقوط الساجد مقصورا على الذقن لايتعدى الى سائر الاعضاء على منوال قول صاحب الكشاف فى قوله تعالى له الملك وله الحمد قدم الظرفان ليدل على اختصاص الملك والحمد بالله تعالى ومن المعلوم انه لااختصاص لخرور الساجد بالذقن الذى هو مجمع اللحيين بل هو لايسقط عليه اصلا الا ان يقال ليس المقصود من الآية بيان انهم يسجدون حقيقة اذا تلى عليهم القرآن بل المقصود بيان انهم ينقادون لماسمعوا ويخضعون له كال الانقياد والخضوع فاخرج الكلام على

(قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن) نزل حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد آلهين وهو يدعو الها آخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التوراة فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود المطلق وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب لقوله (اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتأكيد ما في ايا من الابهام والضمير في فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام (ولا تجهر بصلاتك) بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها (ولا تخافت بها) حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين (وابتغ بين ذلك سبيلا) بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روى ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول انا اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك) في الالوهية (ولم يكن له ولي من الذل) ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله (وكبره تكبيرا) وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك * روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سبيل الاستعارة التمثيلية بان شبهت الهيئة الحاصلة من كمال الانقياد والخضوع بهيئة من يخص الخرور بالذقن من حيث ان هيئة الخرور على الوجه اقصى هيئات الخضوع ثم ان الذقن مع كونه ابعد شيء من الارض من اجزاء وجه من خر على وجهه اذا خص الخرور به كان وصول سائر اجزاء الوجه الى الارض اتم واولى فعبر عن الهيئة المشبهة بما يعبر به عن المشبه بها تصويرا لغاية خضوعهم ونظيره في كون الكلام محمولا على التمثيل دون الحقيقة قوله تعالى انقلبتم على اعقابكم وقوله فنبذوه وراء ظهورهم ﴿قوله وهو اجوب﴾ اي كون المراد من الآية انه لا رجحان لاحد الاسمين على الآخر بل هما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود اجوب لما ذكر بعده وذلك لان اعتراض اليهود كان تعييرا للمسلمين على ترجيح احد الاسمين على الآخر واعتراض المشركين كان تعييرا على الجمع بين اللفظين فقوله تعالى اياما تدعوا مطابق للرد على اليهود لان المعنى اي اسم من الاسمين سميتموه به فهو حسن لا رجحان لاحدهما على الآخر في الحسن ولا يظهر كونه ردا على من يقول كيف تعبدون آلهين وتمنعون عنهما ﴿قوله حذف اولهما﴾ اي في الموضعين لان المفعول هو المسمى وهو محذوف فيهما وانما المذكور فيهما هو المفعول الثاني وهو الاسم والتقدير سموا معبودكم الله او سموه الرحمن اي هذين الاسمين تدعوه وتسموه فقوله ايا منصوب بتدعوا على انه مفعول ثان له والظاهر ان قوله واو للتخيير مبني على كون الآية مسوقة للرد على اليهود الذين رجحوا التسمية تعالى باسم الرحمن وطعنوا في المسلمين بتقليلهم ذكر هذا الاسم فان الجواب بالتخيير انما يناسب الرد على من زعم رجحان التسمية باحد الاسمين ولو كانت الآية مسوقة للرد على المشركين الذين حظروا الجمع بين الاسمين لكان المناسب ان يحمل كلمة او على الاباحة فانها وان كانت لاحد الشيئين او الاشياء الا انها اذا وقعت حيث يحصل بالجمع بين الفعلين او الافعال فضيلة وشرف في الغالب يحمل على الاباحة نحو تعلم الفقه او النحو وجالس الحسن او ابن سيرين وان وقعت حيث لا يحصل به ذلك يحمل على التخيير نحو اضرب زيدا او عمرا ولا شك انها اذا وقعت في جواب من منع الجمع بين الاسمين يكون حملها على الاباحة انسب لكون المقام مقام الترغيب في الجمع بينهما ذكر في شرح الرضي ان او اذا كان في الامر فله معنيان التخيير والاباحة فان حصل للامور بالجمع بين الامرين فضيلة وشرف في الغالب فهي للاباحة نحو تعلم الفقه او النحو والا فهي للتخيير نحو اضرب زيدا او عمرا والفرق بينهما ان الاباحة يجوز فيها الجمع بين الفعلين والاقتصار على احدهما وفي التخيير يحتم احدهما ولا يجوز الجمع ﴿قوله بقراءة صلاتك﴾ بتقدير المضاف او على اطلاق اسم الكل وارادة الجزء فان الصلاة عبارة عن مجموع الافعال والاذكار والجهر والمخافتة من عوارض الصوت يقال خفت صوته يخفت خفتا وخفوتا اذا ضعف وسكن وصوت خفيت اي ضعيف خفي روى انه عليه الصلاة والسلام كان يرفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن انزله ومن جاء به فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿قوله وفيه تنبيه﴾ وجه التنبيه انه تعالى امره عليه الصلاة والسلام بان يخص الحمد والثناء بالآله المنزه من جميع صفات النقصان المتفرد بالملك المنعم على الاطلاق ثم امره بان يصفه بصفة الكبرياء المطلق في ذاته وصفاته وافعاله واحكامه ويعتقد انه واجب الوجود لذاته غني عن كل ما سواه ويعتقد ان كل ما كان صفة له فهو من صفات العظمة والجلال والعز والكمال وان كل واحدة من تلك الصفات ازلية قديمة سرمدية منزهة عن التغير والزوال وان كل واحدة منها متعلقة بما لا نهاية له من المتعلقات ويعتقد ان كل ما يجري في ملكه وسلطانه واقع بقضائه وقدره ومشيئته وقالت المعتزلة انا نكبر الله تعالى ونعظمه عن ان يكون فاعلا لهذه القبائح والفواحش بل نعتقد ان حكمته تقتضي التنزه والتقدس عنها وعن ارادتها قال واحد من رؤساء المعتزلة يقال له القاضي عبد الجبار الهمداني حيث رأى الاستاذ ابا اسحق الاسفرايني سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ ابو اسحق سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء ويعتقد انه ملك مطاع وله الامر والنهي والرفع والخفض ولا اعتراض لاحد عليه في شيء من احكامه ثم انه تعالى اكد التكبير المأمور به فقال تكبيرا اي اقصى ما يقدر عليه الانسان الضعيف بان يجتهد ويسعى في تعظيمه وتقديسه حسبما يسعه قدرته ثم يعترف بان عقله وفهمه لا يفي بمعرفة جلال الله تعالى ولسانه لا يفي بشكره وثنائه وجوارحه واعضاءه لا تفي بخدمته فيكبر الله تعالى على قدر طاقته فانه جل عن ان يكبره تكبيرا يليق بعزه ومجده ﴿قوله اذا افصح الغلام﴾ اي فهم ما يقوله في اول ما يتكلم وخلص كلامه عن اللكنة والمراد بهذه الآية قوله تعالى وقل الحمد لله الى آخر السورة عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال قول العبد الله اكبر خير من الدنيا وما فيها قيل افتتحت التوراة بفاتحة سورة الانعام واختتمت

(بخاتمة)

بخاتمة هذه السورة والحمد لله رب العالمين

سورة الكهف وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قوله ورتب استحقاق الحمد﴾ اشارة الى ان ليس تقدير الكلام قولوا الحمد لله بل هو جملة اسمية لا محل لها من الاعراب ناطقة بان حقيقة الحمد لله وجميع افراده مختصة به تعالى وانه المستحق لها لانه الذي وصلت الى كل احد نعمته وان الذي وصلت النعمة على يده طريق لوصولها الى الحامد وذلك الغير وان استحق الحمد ايضا في مقابلة سعيه واجتهاده في قضاء حاجة المحتاج الا ان التمكين والاقدار على ذلك السعي ليس الا منه تعالى وبتوفيقه فما توجه الى ذلك الغير من الحمد فهو بالحقيقة راجع اليه تعالى وانه تعالى مستعمل لذلك الغير في ايصال نعمته الى العبد الا ان الحمد لا يجب ان يكون في مقابلة النعمة البتة بل قد يكون بمقابلة الفضائل الغير المتعدية كما اشار اليه بقوله في آخر السورة السابقة ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات ويدل عليه ايضا انه تعالى ذكر الحمد لنفسه ليدل على كماله ويدل على اثره اما ما يدل على قدرته وسلطانه فكقوله تعالى الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا وقوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض واما ما يدل على انعامه وافضاله فكقوله تعالى الحمد لله رب العالمين وقوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ﴿قوله وهو في المعاني﴾ قال ابن السكيت كل ما ينتصب كالحائط والعود قيل فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في ارض او دين او معاش يقال في دينه عوج كذا في الصحاح ﴿قوله او قيما بمصالح العباد﴾ يقال فلان قيم المسجد اذا كان قائما بمصالح المسجد متقيا شأنه وكذا قيم الاطفال فالقرآن لما كان سببا لهداية الخلق قائما باصلاح الارواح البشرية كان كالقيم المشفق القائم بمصالح الاطفال ﴿قوله او على الكتب﴾ عطف على قوله بمصالح العباد فان بعض اهل التأويل فسر القيم بالشاهد وقال القرآن قيم على الكتب المتقدمة وشاهد عليها في الزيادة والنقصان وفي التغيير والتحريف مبين ما زادوا فيها وما نقصوا وما حرفوا وغيروا والحاصل ان قيما اذا لم يقدر له متعلق كان بمعنى مستقيما فيكون بمعنى غير ذي عوج الا ان من عادة العرب تكرار الكلام واعادته كقوله تعالى محصنات غير مسافحات فانهن اذا كن محصنات لم يكن مسافحات واذا كن مسافحات لم يكن محصنات فهما يؤديان معنى واحدا الا انه كرر بناء على عادة العرب وكذا قوله تعالى لينذر بأسا شديدا فان الشديد هو البأس وكرر للتأكيد هذا اذا لم يقدر لقوله قيما متعلق واما اذا قدر له متعلق فاما ان يقدر على نحو ما في قوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت اي رقيب حفيظ شهيد فيكون تعجبا لقوله ولم يجعل له عوجا لان المعنى حينئذ انه كامل في نفسه مكمل لغيره فيكون بالغا في الاستقامة جدا ويقدر له الباء على نحو قولهم فلان قيم بهذا الامر اي قائم بمصالحه فيكون تكميلا بمعنى انه مستقيم في نفسه قيم بامور غيره ﴿قوله بتقدير وجعله قيما﴾ زيادة بل ايضا اي ولم يجعل له عوجا بل جعله قيما وقوله قيما سواء كان منصوبا بمضمر او على انه حال من الضمير في له يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على جملة الصلة بخلاف ما اذا كان قيما حالا من الكتاب فانه حينئذ لا يكون قوله ولم يجعل له عوجا معطوفا على قوله انزل الكتاب لئلا يلزم الفصل بين الحال وذي الحال باجنبي فان الحال من تمام المعطوف عليه وبعض منه والمعطوف اجنبي فاصل بينهما ولا يجوز الفصل بين الحال وذي الحال باجنبي وعلى تقدير ان يكون قوله ولم يجعل معطوفا على انزل قال بعض اهل التأويل الكلام محمول على التقديم والتأخير اي انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا واحسن الوجوه ان يجعل قيما منصوبا بمضمر لان الظاهر ان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فلو جعل قيما حالا من الكتاب لزم العطف قبل تمام الصلة وحمل الكلام على التقديم والتأخير بعيد جدا وكذلك جعل قوله ولم يجعل حالا من الكتاب كأنه قيل انزله متقيا عنه العوج بعيد خلاف الظاهر * واعلم ان حفصا وقف على تنوين عوجا سكتة لطيفة من غير قطع نفس اشعارا بان قيما ليس متصلا بعوجا وانما هو من صفة الكتاب وغيره لم يعبأ بهذا الوهم فلم يسكت اتكالا على فهم المعنى وفعل حفص في مواضع من القرآن مثل ما فعله ههنا من سكتة لطيفة نافية لوهم الفاسد فمنها انه يقف على مرقدنا ويبتدئ بقوله هذا ما وعد الرحمن ليفهم من الوقف ان كلام الكفار قد انقضى وان ما بعده كلام غيرهم قيل هم الملائكة وقيل المؤمنون ومنها انه يقف على من في قوله كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق ويبتدئ براق لئلا يتوهم انها كلمة واحدة على فعال اسم مبني للمبالغة من مرق يمرق فهو مراق ومنها انه يقف على لام بل في قوله تعالى بل ران

﴿سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وهي مائة واحدى عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب) يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد (ولم يجعل له عوجا) شيأ من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان (قيما) مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره وجعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف كان المعطوف فاصلا بين ابعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ قيما

ويجدى برات لما تقدم ﴿قوله صادرا من عنده﴾ اشارة الى ان من لدن متعلق بمحذوف منصوب على انه نعت لبأسا او حال من الضمير فى شديدا وان لدن بمعنى عند ﴿قوله وقرأ ابو بكر﴾ اى لدنهى باسكان الدال واشمامها شيأ من الضم وبكسر النون والهاء موصولة بياء ووجهه انه سكن الدال تخفيفا كتسكين عين عضد وسبع فالتقى ساكنان فكسر النون لالتقاء الساكنين فكان حقه ان يكسر الاول على القاعدة المعروفة الا انه يلزم منه العود الى مافرّ منه ثم لما كسرت النون كسرت الهاء ايضا اتباعا ووصلها بياء واشمام الدال شيأ من الضم اشارة الى اصلها وقرأ الباقون من لدنه بضم الدال واسكان النون وضم الهاء وابن كثير يصلها بواو ويقرأ من لدنهو نحو منهو وعنهو وغيره لايصلها بشئ ﴿قوله استعظاما لكفرهم﴾ فان الخاص قد يعطف على العام لتنبيه على مرتبة الخاص وتنزيل تلك المرتبة منزلة التباين حكما اذلا يعلم حكم احد المتباينين ببيان حكم المباين الآخر بل لابد من ذكر الآخر بعده والتنصيص على حكمه فكذا يعطف الخاص على العام ويبين حكمه قصدا واصالة بناء على تنزيله منزلة المباين بالنسبة العام المذكور قبله بطريق تنزيل التغاير فى الوصف منزلة التباين فى الذات وقوله تعالى مالهم به من علم لايستدعى تحقق المعلوم فى نفسه لان انتفاء العلم بالشئ قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون لانه فى نفسه محال لايمكن تعلق العلم به وما نحن فيه من قبيل الثانى وهذا معنى قوله يقولونه عن جهل مفرط اى لايحكم به عقولهم ولايؤدى اليه فكرهم البتة لكونه فى غاية الفساد والبطلان بل هو مجرد تلقلقة لسانهم يجرى على ألسنتهم ليس فى قلوبهم من معناه شئ ووصفت الكلمة بالخروج الذى هو من صفات الاجسام بناء على ان الاصوات والحروف والكلمات المركبة منها انما تحدث بسبب خروج النفس من الحلق فوصفت الاعراض المذكورة بوصف مايكون سببا لحدوثها والافالاعراض لايصح عليها الخروج والانتقال ﴿قوله فانهم كانوا يطلقون الاب الخ﴾ لعل هذا الاطلاق كان جائزا فى شريعة من قبلنا كما يجوز فى شريعتنا نسبة الغضب والرحمة ونحوهما اليه تعالى على ارادة غاياتها الا انه لم يجز فى شريعتنا اطلاق الاب عليه تعالى ولا اطلاق الابن على بعض عبيده لايهامه معانى فاسدة ﴿قوله وكلمة نصب على التمييز﴾ لانها ترفع الابهام المستقر عن ذات مقدرة وهى النسبة الملحوظة فى قولك كبرت المقالة او الكلمة فانها مبهمة لان من سمع تلك الجملة يجوز ان يكون المراد ان تلك المقالة كبرت كذبا او جهلا او افتراء فلما اضمر فاعل كبرت فيه حصل الابهام واحتاج الى رفعه بخلاف ما اذا قرئ برفع الكلمة على الفاعلية فانه لايضمر فيه شئ فيكون حينئذ على طريق قولك عظم فلان وعلى تقدير الاضمار يكون ذلك راجعا الى مقالتهم المفهومة من قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا اى كبرت مقالتهم تلك كلمة ومعنى الكلام التعجب اى ما اكبرها كلمة وقوله تخرج من افواههم صفة الكلمة تؤذن باستعظامها لان بعض مايخطر بالبال لايجترئ الانسان على اظهاره باللفظ ﴿قوله وقيل صفة محذوف﴾ يعنى قيل ان كبرت بمعنى بئس وفاعله مضمر مفسر بالنكرة المنصوبة بعده على التمييز كما فى قولك بئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت كلمة الخارجة من افواههم وقرئ كبرت بسكون الباء واشمام الضم وهى لغة تميم ﴿قوله قاتلها﴾ البخع الاهلاك يقال بخع الرجل نفسه بخعا وبخوعا اى اهلكها على وجد والمقصود من الآية تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى لايعظم حزنك وأسفك بسبب كفرهم فانا بعثناك منذرا وبشيرا واما تحصيل الايمان فى قلوبهم فلا قدرة لك عليه والفاء فى قوله فلعلك جواب الشرط وهو قوله ان لم يؤمنوا قدم عليه وحقه التأخير وقال الجمهور جواب الشرط محذوف لدلالة قوله فلعلك قبل كلمة لعل وهذا للاشفاق الذى يقصد به التسلى والحث على ترك الحزن والتأسف ثم قيل الاسف هو النهاية فى الغضب كقوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم قال اهل التأويل المعنى فلما اغضبونا وقيل الاسف هو النهاية فى الحزن كقوله تعالى يااسفا على يوسف اى ياحزنا فانه عليه الصلاة والسلام كادت نفسه الكريمة تهلك حزنا عليهم واشفاقا من ان تتلف انفسهم فى النار بتركهم الايمان وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقاتل الكفرة للقتل والاتلاف وانما قاتلهم ليسلموا ويتخلصوا من الهلاك الابدى فان من كان باخع نفسه اشفاقا عليهم من الهلاك كيف يقاتلهم للاهلاك وقوله تعالى على آثارهم متعلق بقوله باخع اى باخع نفسك من بعد هلاكهم حال بقاء آثارهم وعلاماتهم وعدم اندراسها بالكلية فانه يصح ان يقال مات الثانى فى اثر الاول اى حال بقاء أثره ﴿قوله وقرئ ان باخع﴾ قرأ الجمهور ان لم يؤمنوا بكسر الهمزة على انها شرطية فعلى هذه القراءة يكون باخع للاستقبال فيعمل لان الشرطية للاستقبال كأنه قيل لعلك تبخع نفسك الآن او غدا ان لم يصدر منهم ايمان

(لينذر بأسا شديدا) اى لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه (من لدنه) صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا) هو الجنة (ماكثين فيه) فى الاجر (ابدا) بلا انقطاع (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره (مالهم به من علم) اى بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذى ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه (ولا لآبائهم) الذين تقولوه بمعنى التبنى (كبرت كلمة) عظمت مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه وتخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية (تخرج من افواههم) صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبرهنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام (ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك) قاتلها (على آثارهم) اذا ولوا عن الايمان شبههم لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بهذا القرآن (اسفا) للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلايجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية

(انا جعلنا ماعلى الارض) من الحيوان والنبات والمعادن (زينة لها) ولاهلها (لنبلوهم ايهم احسن عملا) فى تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجى به ايامه وصرفه على ماينبغى وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا) تزهيد فيه والجرز الارض التى قطع نباتها مأخوذ من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ماعليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لانبات فيه (ام حسبت) بل احسبت (ان اصحاب الكهف والرقيم) فى ابقاء حياتهم مدة مديدة (كانوا من آياتنا عجبا) وقصتهم بالاضافة الى خلق ماعلى الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادى الذى فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابى الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا *
وصيدهموا والقوم فى الكهف همدا *

او لوح رصاصى او حجرى رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهليهم فاخذتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال احدهم استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته فى جانب البيت ثم مر بى بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ماشاء الله فرجع الىّ بعد حين شيخا ضعيفا لااعرفه وقال ان لى عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان فىّ فضل واصابت الناس شدة فجاءتنى امرأة فطلبت منى معروفا فقلت والله ماهو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبى له واغيثى عيالك فأتت وسلمت الىّ نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت مالك قالت اخاف الله فقلت لها خفته فى الشدة ولم اخفه فى الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لى ابوان همان وكان لى غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمى فحبسنى ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فأتيت اهلى واخذت محلبى فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علىّ ان اوقظهما فوقفت جالسا ومحلبى على يدى حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير (اذ أوى الفتية الى الكهف) يعنى فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فأبوا وهربوا الى الكهف

وقرئ شاذا بفتح الهمزة على حذف الجار اى لان لم يؤمنوا فعلى هذه القرآءة المناسب ان يكون باخع لمضى لان لم يؤمنوا ماض ولاضرورة تدعو الى صرفه عن معناه فلا يعمل الا اذا جعل حكاية حال ماضية كأنه قيل لعلك بخعت نفسك لاجل ان لم يؤمنوا فجيء باسم الفاعل لتصور تلك الحالة فى ذهن السامع واستحضارها وان لم يحمل على حكاية الحال الماضية لايعمل فيجب اضافته الى مابعده ﴿قوله وفيه تسكين﴾ اى تسكين لوجده واغتمامه على عدم ايمانهم ووجه التسكين ان الآية لما دلت على ان اهل الارض لم يعط لهم ماعليها من الزينة لينتفعوا به مجانا وانما اعطى لهم ذلك ابتلاء واختبارا ليظهر منهم ماعلم الله تعالى انه يكون منهم فيجازى كل واحد ممن آثر الحياة الدنيا وزينتها ومن آثر رضى الرحمن وطاعته على حسب قصده ونيته ظهر له عليه الصلاة والسلام ان شأنه ومايليق به ليس الا بشارة المطيع وانذار العاصى وانه تعالى هو المطلع على اعمالهم ونياتهم ومن يستحق لان يخلق فيه الاهتدآء او الضلالة فيسكن بذلك وجده وغضبه والزهد خلاف الرغبة يقال زهد فى الشئ وعن الشئ بمعنى واحد اى لم يرده ولم يرغب فيه والصعيد التراب وقيل الصعيد المستوى من الارض وقيل هو وجه الارض مطلقا والجرز الذى لانبات فيه ولاماء ﴿قوله بل احسبت﴾ اشارة الى ان ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة وبل هى التى للانتقال لاللابطال ماسبق والهمزة للانكار وذكر الله تعالى اولا من الآيات الكلية تزيين الارض بماخلق فوقها من الاجناس التى لاحصر لها ثم ذكر انه يزيل ذلك كله ويجعله كأن لم يكن ثم اضرب عنه وقال ام حسبت كأنه قيل يتعجب من قصة اصحاب الكهف ولايتفكر فى سائر الآيات فان تزيين الارض بانواع المعادن والحيوان والنبات وازالتها بالكلية بعد ما اخذت الارض زخرفها وازينت اعظم واعجب من قصة اصحاب الكهف والانسان عادته ان يتعجب من شئ قل اشتباهه وان كان الذى بحضرته اعجب منه قال الامام تعجبوا من قصة اصحاب الكهف وسألوا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان فقال الله تعالى ام حسبت انهم كانوا من آياتنا عجبا فقط فلا تحسبن ذلك فان آياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك صعيدا جرزا خاليا من الكل كيف يستبعدون قدرته على حفظ طائفة مدة ثلاثمائة سنة او اكثر فى النوم روى ان قريشا بعثوا الى المدينة رهطا وقالوا لهم سلوا احبار اليهود عن محمد وصفته واخبروهم عن قوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم من العلم ماليس عندنا من علم الانبياء فخرج الرهط حتى قدموا المدينة فسألوا احبار اليهود عن اخبار محمد صلى الله عليه وسلم فقال احبار اليهود سلوه عن ثلاث عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان من امرهم فان حديثهم عجب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأه وسلوه عن الروح ماهو فان اخبركم عن اثنين ولم يخبركم عن الثالث فهو نبى والا فتقول فلما قدم الرهط مكة قالوا قد جئناكم بفصل ما بيننا وبين محمد واخبروا ماقالت اليهود فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه فقال عليه الصلاة والسلام اخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة وشق عليه ذلك حتى ارجف اهل مكة به وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم مضى خمس عشرة ليلة وشق عليه ذلك ثم جاء جبريل من عند الله عز وجل بسورة اصحاب الكهف وفيها معاتبة الله تعالى اياه على جزمه وفيها خبر اولئك الفتية وخبر الرجل الطواف وعجبا فى قوله تعالى كانوا من آياتنا عجبا خبر كان ومن آياتنا حال منه لانه فى الاصل صفته فلما قدم صار حالا قال امية بن ابى الصلت

* وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهموا والقوم فى الكهف همدا *

استشهد على ان الرقيم الكتاب وهذا يدل على ان قصة اصحاب الكهف كانت فى علم العرب وان لم يكونوا عالميها على وجهها * الوصيد فناء البيت وهو مفعول مجاورا والهمد جمع هامد بمعنى الراقد والنائم يعنى ان اصحاب الكهف كانوا رقودا فى الغار وكلبهم مجاورا لوصيدهم كما قال تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ﴿قوله اولوح رصاصى﴾ فيكون الرقيم بمعنى المرقوم وهو المكتوب قال تعالى كتاب مرقوم اى مكتوب ﴿قوله تعالى اذ أوى الفتية﴾ منصوب بعجبا او باذكر المقدر لابقوله ام حسبت لانه كان بين النبى صلى الله عليه وسلم وبينهم مدة طويلة فلايجوز حسبانه عليه الصلاة والسلام فى ذلك الوقت الذى أووا فيه الى الكهف اى صاروا فيه وكانوا فتية اى شبانا متقاربين فى الاسنان من اولاد عظماء الروم آمنوا بربهم وكان ذلك الايمان عبرة

وتفكرا منهم فى عظمة الله تعالى وملكه وقدرته لم يأتهم بذلك وحى ولم يقرأوا كتابا ولم يدركوا زمان نبوة وكانوا فى زمن فترة قبل ان يبعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام ثم بعثه الله تعالى وهم فى الكهف راقدون ولبث فى امته ثلاثا وثلاثين سنة ثم رفعه الله ومضى بعده زمان طويل ثم بعثهم الله تعالى وايقظهم واطلع اهل ذلك العصر على حالهم ليعلموا ان وعد الله بالبعث حق وان الساعة آتية ﴿قوله او اجعل امرنا كله رشدا﴾ على ان تكون كلمة من فى قوله من امرنا رشدا تجريدية اذ هو الامر بعينه مبالغة فى ارشاده ولهذا قال اجعل امرنا كله رشدا والتجريد من المحسنات البديعية المعنوية وهو ان ينتزع من امر ذى صفة امر آخر مماثل لذلك الامر ذى الصفة فى تلك الصفة لاجل المبالغة فى كمال تلك الصفة فى ذلك الامر ذى الصفة حتى كأنه بلغ من الاتصاف بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه موصوف آخر بتلك الصفة فان جعلت كلمة من فى الآية تجريدية يكون مطلوبهم ان يبلغ امرهم فى الرشد والهداية حدا يصح مع ذلك الحد ان يستخلص منه امر آخر مثله فى الرشد وفى الوجه الاول تكون من متعلقة بهيئ ويكون المعنى انهم لما هربوا الى الكهف وفارقوا الناس وطلبوا سلامة الدين سألوا ربهم ان يهيئ لهم الرشد والاستقامة فى مفارقتهم الكفار ﴿قوله يعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات﴾ يعنى ان ضرب الحجاب المانع من ان تصل الاصوات الموقظة الى آذانهم واسماعهم كناية عن الانامة الثقيلة وانما صلح كناية عنها لان الصوت والتنبيه طريق ازالة النوم فسد طريقه يدل على استحكام النوم وثقله وخصت الآذان دون العيون مع ان النوم يتعلق بها دون الآذان لان ضرب الحجاب على العين لا يصلح كناية عن المبالغة فى النوم لان سد الابصار انما يدل على كمال ان لا يكون ما هو طريق الازالة مؤثرا فى زواله ﴿قوله بنى على امرأته﴾ اى بنى عليها القبة عند دخوله عليها فان العرس كان يبنى على اهله حجابا ﴿قوله ظرفان لضربنا﴾ الاول ظرف مكان والثانى ظرف زمان والمعنى انمناهم فيه سنين ذوات عدد وقد بينها الله تعالى بقوله ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ﴿قوله ليتعلق علمنا تعلقا حاليا﴾ لما كان قوله تعالى لنعلم متعلقا بقوله بعثنا ودل الكلام على ان يكون علمه تعالى حادثا مترتبا على ايقاظهم دفع ذلك الاحتمال بما يدل على ان علمه تعالى سرمدى لا يجوز عليه التغير والزوال وانما التغير فى المعلومات وانه تعالى عالم بها فى الازل على ما ستكون عليه فى اوقات حدوثها وبقائها وكلما تجدد لها حال من الاحوال تعلق علمه تعالى بتلك الحال عند تجددها فالتجدد والتغير انما هو فى تعلقات العلم لا فى نفسه وقال هشام انه تعالى لا يعلم الحوادث قبل وقوعها ولا يعلمها الا عند حدوثها واحتج عليه بهذه الآية ﴿قوله المختلفين منهم او من غيرهم﴾ اشارة الى ان اهل التأويل اختلفوا فى الحزبين قال مجاهد رضى الله عنه ان الحزبين من الفتية لان اصحاب الكهف لما انتبهوا اختلفوا فى انهم كم ناموا ويدل عليه قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فاصحاب الكهف كانوا حزبين استقل احدهما مدة لبثهم واستطالها آخرون وهم الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وقال الفراء ان طائفتين من المسلمين اختلفوا فى مدة لبثهم فى الكهف قبل خروجهم منه فبعثهم الله تعالى ولم يبين ذلك بل ابهمه وليس لنا حاجة الى تعيين ما ابهم الله تعالى بيانه ﴿قوله ولما لبثوا حال منه﴾ اى من امدا لانه لو تأخر عنه لكان نعتا له فلما قدم عليه صار حالا والمعنى ضبط امدا كائنا لزمان لبثهم فى الكهف وان كانت اللام لام العلة يكون المعنى حينئذ لنعلم اى الحزبين احصى اى علم كقوله احصاه الله ونسوه السبب الذى لبثوا فيه لاجله ﴿قوله وقيل احصى اسم تفضيل﴾ لم يرض به لان افعل من كذا لا يبنى من باب افعل يفعل وقولهم ما اولاه للخير وما اعطاه للمال فى الشواذ والشاذ النادر لا يقاس عليه والمذلق يروى بالدال والذال وهو رجل من بنى عبد شمس وابوه واجداده يعرفون بالافلاس قال الشاعر فى حقه

فانك ان ترجو تميما ونفعها ۞ كراجى الندا والعرف عند المذلق

وقوله وامدا نصب بفعل دل عليه احصى اى دل احصى الذى هو للتفضيل على ذلك الفعل المضمر من جنسه واحتيج الى الاضمار لان افعل التفضيل لا يعمل فى مظهر واول البيت

ولم ار مثل الحى حيا مصبحا ۞ ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
اكر واحمى للحقيقة منهموا ۞ واضرب منا بالسيوف القوانسا

المصبح المغار عليه وقت الصبح وحقيقة الرجل ما يحق على الرجل ان يحميه والدفاع عنه من اهل بيته والقوانس

(فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو (وهيئ لنا من امرنا) من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشئ (فضربنا على آذانهم) اى ضربنا عليها حجابا يمنع السماع يعنى انمناهم انامة لا تنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف فى قولهم بنى على امرأته (فى الكهف سنين) ظرفان لضربنا (عددا) اى ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده (ثم بعثناهم) ايقظناهم (لنعلم) ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا (اى الحزبين) المختلفين منهم او من غيرهم فى مدة لبثهم (احصى لما لبثوا امدا) ضبط امدا لزمان لبثهم وما فى اى من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه احصى كقوله ۞ واضرب منا بالسيوف القوانسا

جمع قونس وهو اعلى البيضة من الحديد ويطلق على مابين اذنى الفرس ايضا يمدح كلا الفريقين اعدآءه واصحابه يقول لم ارمغارا عليهم مثل الذين صبحناهم ولامغيرين مثلنا يوم لقيناهم وصف المغار عليهم بكمال الشجاعة ليكون ادل على شجاعة من غلب عليهم فالقوانس فى البيت منصوب بفعل مقدر من جنس افعل التفضيل اى يضرب القوانس لابنفس افعل التفضيل لانه لايعمل فى المظهر فكذا فيما نحن بصدده فان قيل انه انما لايعمل فى مظهر فاعل او مفعول به فلايجوز ان يكون امدا منصوبا على التمييز ويعمل فيه احصى كما فى اكثر منه مالا واحسن وجها اجيب بان التمييز فى امثال ذلك انما هو فاعل فى المعنى لان المال هو الذى كثر والوجه هو الذى حسن وليس الامد هو الذى احصى ﴿قوله تعالى آمنوا بربهم﴾ فيه التفات من التكلم الى الغيبة اذلوجاء على نسق قوله نحن نقص عليك لقيل بربك وقوله زدناهم وربطنا التفات من هذه الغيبة الى التكلم ايضا ﴿قوله وقوّيناها بالصبر﴾ يعنى ان قوله تعالى وربطنا على قلوبهم استعارة تبعية شبه تثبيت قلوبهم وتقويتها وحملها على الصبر على الشدآئد التى تحملوها بربط الدابة وشدّها بالرباط وهو الحبل فان ربط الدابة شدّها بالرباط والربط ايضا هو الحبل ومن المجاز ربط الله على قلوبهم لانه يتعدى بنفسه الا انه نزل منزلة اللازم وزيدت كلمة على الاستعلائية للمبالغة والدلالة على كون الربط والتقوية مستوليا على قلوبهم مستقرّا عليها كما فى قوله ويجرح دوما فى عراقيبها نصلى ﴿قوله اذقاموا﴾ منصوب بربطنا والمعنى قوّينا قلوبهم اذقاموا بين يدى ملكهم دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض اقرّوا بربوبية الله تعالى بين يدى ذلك الجبار بتقوية الله تعالى اياهم على مخالفته وعصيانه وقيل انهم كانوا عظماء المدينة فخرجوا منها ذات يوم فاجتمعوا ورآء المدينة من غير ميعاد فقال اكبرهم انى لاجد فى نفسى شيأ وهو ان ربى رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك نجد فى انفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض ﴿قوله والله لقد قلنا قولا ذا شطط﴾ يعنى ان قوله لقد قلنا جواب قسم مضمر وشططا مصدر شطت الدار تشط اى بعدت وشط الرجل اى بعد عن الحق والشطط مجاوزة القدر فى كل شئ اشار اليه بقوله مفرط فى الظلم وانتصابه على انه صفة مصدر محذوف اى قولا ذا شطط لان اذا جواب وجزآء ﴿قوله تعالى لولا يأتون﴾ تحضيض فيه معنى الانكار وقوله عليهم تقديره على عبادتهم وعلى اتخاذهم فحذف المضاف لعلمه ولم يكتفوا بالانكار على اتخاذهم الشركاء وعبادتهم اياها من غير ان يجيبوا برهانا قطعيا على صحته بل قالوا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اى لااحد اظلم منه يعنون ان الحكم بان له تعالى شريكا وولدا مع فقدان مايدل عليهما ظلم وافترآء عليه تعالى ﴿قوله تعالى ومايعبدون﴾ ذكر فيه ثلاثة اوجه الاوّل ان مابمعنى الذى والعائد محذوف اى واعتزلتم الذى يعبدونه اشار اليه بقوله ومعبوديهم وقوله الا الله مستثنى متصل من الذى يعبدونه والثانى ان تكون مامصدرية وان يكون الا الله مستثنى متصلا ايضا بتقدير المضاف اى واذا اعتزلتموهم اى تركتموهم وعبادتهم الا عبادة الله والثالث ان تكون نافية وتكون الجملة من كلام الله تعالى وقعت معترضة بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم والا مستثنى مفرّغ اخبر الله تعالى عن الفتية انهم لايعبدون غيره ﴿قوله من امركم﴾ متعلق بالفعل قبله ومن لابتدآء الغاية او للتبعيض وقيل هى بمعنى بدل كما فى قوله تعالى ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ويجوز ان يكون حالا من مرفقا فيتعلق بمحذوف ﴿قوله تعالى مرفقا﴾ قرأ الجمهور بكسر الميم وفتح الفاء وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء فقيل هما لغتان بمعنى واحد فى الجارحة وفى مايرتفق به اى ينتفع به وقد يستعمل كل واحد منهما فى موضع الآخر وقيل هما لغتان فيما يرتفق به واما الجارحة فبكسر الميم فقط ﴿قوله لنصوع عقيدتهم﴾ اى لخلوص عقيدتهم عن شوب الشك والناصع الخالص من كل شئ ﴿قوله لورأيتهم﴾ يعنى ان قوله تعالى وترى ليس المراد به ان المخاطب يرى هذه الصورة بل المقصود بيان ان باب ذلك الكهف الى جهة الشمال نحو بنات نعش فتكون الشمس طالعة وغاربة لاتدخل عليهم فيؤذيهم حرّها وتغير الوانهم فالمعنى انك لورأيتهم على هذه الصورة ثم اخبر انهم كانوا فى متسع من الكهف ينالهم فيه برد الريح ونسيم الهوآء فقال وهم فى فجوة منه اى من الكهف والفجوة متسع فى مكان قال الراغب فى فجوة اى فى ساحة واسعة ﴿قوله لان الكهف كان جنوبيا﴾ اى كانت ساحة الغار وداخله فى جانب الجنوب وذلك يقتضى ان يكون بابه فى جانب الشمال ﴿قوله او لان الله تعالى زوّرها عنه﴾ يعنى ان للمفسرين فى تفسير الآية قولين الاوّل ان باب ذلك الكهف كان الى جانب الشمال مستقبل بنات نعش لايقع فيه شعاع الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق (انهم فتية) شبان جمع فتى كصبى وصبية (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) بالتثبت (وربطنا على قلوبهم) وقوّيناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجرآءة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار (اذ قاموا) بين يديه (فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا) والله لقد قلنا قولا ذا شطط اى ذا بعد عن الحق مفرط فى الظلم (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبره وهو اخبار فى معنى انكار (لولا يأتون) هلا يأتون (عليهم) على عبادتهم (بسلطان بين) ببرهان ظاهر فان الدين لايؤخذ الا به وفيه دليل على ان مالا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذ اعتزلتموهم) خطاب بعضهم لبعض (ومايعبدون الا الله) عطف على الضمير المنصوب اى واذا اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون مامصدرية على تقدير واذا اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم (فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم) يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم (من رحمته) فى الدارين (ويهيئ لكم من امركم مرفقا) ماترتفقون به اى تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوّة وثوقهم بفضل الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح (وترى الشمس) لورأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد (اذا طلعت تزاور عن كهفهم) تميل عنه ولايقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله تعالى زوّرها عنه

واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين (واذا غربت تقرضهم) تقطعهم وتصرم عنهم (ذات الشمال) يعني يمين الكهف وشماله لقوله (وهم في فجوة منه) اي وهم في متسع من الكهف يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم (ذلك من آيات الله) اي شأنهم او ايواؤهم الى كهف شأنه كذلك او اخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته (من يهد الله) بالتوفيق (فهو المهتد) الذي اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم والتنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها (ومن يضلل) ومن يخذله (فلن تجد له وليا مرشدا) من يليه ويرشده (وتحسبهم ايقاظا) لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم (وهم رقود) نيام (ونقلبهم) في رقدتهم (ذات اليمين وذات الشمال) كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ يقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم (وكلبهم) هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اي وصاحب كلبهم (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل (بالوصيد) بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة (لو اطلعت عليهم) فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو (لوليت منهم فرارا) لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولي والعلة والحال (ولملئت منهم رعبا) خوفا يملأ صدرك لما ألبسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية رضي الله عنه انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك وقد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل (وكذلك بعثناهم) وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم (بعاقبة)

يبين ذلك من حيث ان الشمس اذا طلعت تطلع عن يمين الكهف واذا غربت تغرب عن شماله فضوء الشمس ما كان يصل الى داخل الكهف وكان الهواء الطيب والنسيم الموافق يصل اليهم فلاجرم بقيت اجسامهم مصونة عن العفونة والفساد والقول الثاني ان الله تعالى منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم عند طلوعها وعند غروبها وكان ذلك فعلا خارقا للعادة وكرامة عظيمة خص الله تعالى بها اصحاب الكهف قاله الزجاج واستدل على صحته بقوله ذلك من آيات الله قال ولو كان الامر كما ذكره اصحاب القول الاول لما كان ذلك كرامة عجيبة من آيات الله ﴿قوله واصله تتزاور﴾ وذلك لانه اختار قراءة تزاور بفتح الزاي المشددة واصله تتزاور فاسكنت التاء الثانية فادغمت في الزاي وقرأ الكوفيون تزاور بحذف احدى التاءين للتخفيف وابن عامر ويعقوب تزور بسكون الزاي وتشديد الراء من الازورار وهو العدول عن الشيء والزور بالتحريك الميل يقال زور عنه وازور عنه وتزاور عنه تزاورا كله عدل عنه وانحرف ﴿قوله وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين﴾ اي خلاصة المعنى ان الشمس حين طلوعها تميل عن كهفهم جهة اليمين الا ان ذات اليمين صفة اقيمت مقام الموصوف لما تقرر ان كلمة ذو وذات موضوعة لان يوصف بها النكرة ولعل تعريف الجهة للعهد الذهني فيكون كالنكرة معنى ولو قال جهة ذات اسم اليمين لكان اظهر ﴿قوله والمراد به اما الثناء عليهم﴾ لانهم تفكروا في دلائل وحدانية الله تعالى وعظمته وقدرته من غير ان يأتيهم بذلك وحي الهي ومن غير ان يقرأوا كتابا سماويا وان يجالسوا اهل التوحيد والمعرفة لكونهم في زمان فترة من الرسل قبل ان يبعث الله تعالى عيسى عليه الصلاة والسلام فيكون قوله تعالى من يهد الله فهو المهتدي كالتذييل للكلام السابق من قوله تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف الى ههنا وجيء به عاما في كل من سلك طريق المهتدين ومن آثر الغواية وقلده قلب اسلافه الضالين ليدخل اصحاب الكهف في الاولين دخولا اوليا ويدخل دقيانوس الضال في الآخرين كذلك والتذييل هو ان تقطع الكلام بما يشتمل على معناه تأكيدا ولا محل له من الاعراب ﴿قوله او التنبيه الخ﴾ على ان يكون قوله من يهد الله فهو المهتدي مرتبطا بقوله ذلك من آيات الله وفي التيسير قيل ذلك من آيات الله اي ما اخبرنا من قصتهم آية صدقك في دعوى النبوة فمن هداه الله بها صدقك لذلك فآمنوا بالله تعالى ووحدوه واعتزلوا اهل الشرك والضلال وآثروا المواضع الخالية في الجبال على طيب العيش في الاوطان والاموال طلبا لمرضاة الملك المتعال ﴿قوله تعالى وتحسبهم ايقاظا﴾ قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي بكسر السين ومعناه كما ذكر في قوله وترى الشمس اي فلو رأيتهم لحسبتهم ايقاظا وهو جمع يقظ ويقظ بضم القاف وكسرها وهو اليقظان ورقود جمع راقد كقاعد وقعود ﴿قوله او كلب راع مروا به﴾ اي مروا براع معه غنم فقال لهم اين تذهبون فقالوا نفر من هذا الجبار فقال انا اعني ما انا اخفى عن ربي منكم فترك غنمه ولحق بهم فتبعه كلبه ﴿قوله وقيل الوصيد الباب﴾ قيل الكهف لا يكون له باب ولا عتبة والمراد موضع الباب والعتبة ﴿قوله وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو﴾ وقرأها الجمهور بكسر الواو على ما هو الاصل في التقاء الساكنين وقرئ بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه غزا مع معوية غزوة المضايق نحو الروم فمروا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معوية لو كشف لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث رجالا فقال لهم اذهبوا فادخلوا الكهف فارسل الله عليهم ريحا فاحرقتهم كذا في الوسيط ﴿قوله ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم﴾ فانه يجوز ان حالة غريبة تدل على كمال قدرة الله تعالى فيزدادوا به هدى واستيقانا وفي شرح التأويل اخبر الله تعالى انه انما بعثهم للتساؤل فحينئذ لا تكون اللام لام كي بل هي لام العاقبة لانه لما علم منهم ما يكون عند بعثهم من التساؤل بعثهم لذلك وكذلك جميع ما يخلق ويشاء انما يخلق لما يعلم انه كذا فيظهر ما علم على ما علم وهو كقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ذرأهم لما علم انه يكون منهم وهو ان يعملوا عمل اهل جهنم فيصيروا اليها وعلى هذا قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون معناه ان من علم انه يعبد ويعمل عمل اهل الجنة خلقه كذلك والحاصل ان كل ما يخلقه الله تعالى انما يخلقه لما يعلم انه يكون منه اذ لا يجوز ان يخلق لغير ما يعلم انه يكون منه اذ يجري الفعل لذلك مجرى العجز او الجهل بالعواقب وهو متعال عن ذلك علوا كبيرا او يخرج الفعل لذلك مخرج العجز او الجهل بالعواقب فاذا كان الله تعالى عالما بما كان وما يكون وتعالى عن ان يكون فعله عبثا لم يجز ان يخلق شيأ بغير ما علم انه يكون وهكذا يكون في الشاهد فان من عمل عملا لغير ما علم انه يكون فهو عابث وجاهل

(قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) بناء على غالب ظنهم لان النائم لايحصي مدة لبثه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى (قالوا ربكم اعلم بما لبثتم) ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم لما دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم علموا ان الامر ملتبس لاطريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا (فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة) والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي المتوكلين والمدينة طرسوس (فلينظر ايها) اي اهلها (ازكى طعاما) احل واطيب واكثر وارخص (فليأتكم برزق منه وليتلطف) وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لايغبن او في التخفي حتى لايعرف (ولايشعرن بكم احدا) ولايفعلن مايؤدي الى الشعور (انهم ان يظهروا عليكم) ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها (يرجموكم) يقتلوكم بالرجم (او يعيدوكم في ملتهم) او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا (ولن تفلحوا اذا ابدا) ان دخلتم في ملتهم (وكذلك اعثرنا عليهم) وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم (ليعلموا) ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم (ان وعد الله) بالبعث او الموعود الذي هو البعث (حق) لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث (وان الساعة لاريب فيها) وان القيامة لاريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قادر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها (اذ يتنازعون) ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون (بينهم امرهم) امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر القيامة حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة

بعاقبة عمله وكم في قوله تعالى كم لبثتم استفهامية منصوبة بالفعل الذي بعدها كما في قولك كم يوما صمت لان الفعل الذي بعدها غير مشتغل بضميرها وفي مثله تكون كم معربة على حسب اقتضاء العامل والمميز محذوف تقديره كم يوما لبثتم حذف لدلالة الجواب عليه واو في قوله او بعض يوم للشك منهم لما ذكر من ان جوابهم هذا مبني على غالب الظن قيل انهم دخلوا الكهف اول النهار فناموا وحين استيقظوا فاذا هو آخر النهار فقالوا لبثنا يوما ثم رأوا من الشمس بقية فقالوا او بعض يوم وهم في هذا الجواب وان كانوا مخطئين الا انهم لما بنوا هذا الجواب على غالب الظن وكان الامر عندهم كذلك لم يوصفوا فيه بالكذب ولم يؤاخذوا به ﴿ قوله ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى ﴾ يدل على ان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وان ما بعده بدل منه وعلى الاحتمال الثاني يكون اصحاب الكهف ثلاث فرق قال واحد منهم كم لبثتم واجاب جماعة منهم بان قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وانكر عليهم الآخرون بان قالوا ربكم اعلم بما لبثتم روي ان ابن عباس استدل بهذه الآية على ان الصحيح من الاقوال في عددهم انهم سبعة لان الله تعالى قال في اول الآية قال قائل منهم هذا واحد وقال في جواب قول هذا القائل قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقالوا صيغة جمع اول واقله ثلاثة ثم قال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وهذا قول جمع آخر سواهم خاطب هذا الجمع الاول بان قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فكان المجيبون ستة والسائل واحدا فالمجموع سبعة ﴿ قوله ثم لما علموا ان الامر ملتبس لاطريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم ﴾ بيان لوجه ارتباط قولهم فابعثوا احدكم الآية بما قبله الذي هو تذاكر حديث اللبث مع انه لامناسبة بينهما بحسب الظاهر وتقريره ان الآية من باب اسلوب الحكيم كقوله

اتت تشتكي عندي مزاولة القرى	وقد رأت الضيفان ينحون منزلي
فقلت كأني ما سمعت كلامها	هم الضيف جدي في قراهم وعجلي

وكقول بعضهم للحجاج وقد قال الحجاج له متوعدا لاحملنك على الادهم يعني القيد مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب اي على الفرس الادهم يعني الذي غلب سواده والاشهب الذي غلب بياضه فان المتكلم قد يتلقى المخاطب بغير كلامه لحمله على وجه آخر وقوله وقرأ ابو عمرو الى قوله بالتخفيف اي باسكان الراء وفتح الواو والباقون بكسر الراء وقرأ ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وقرئ بالتخفيف اي باسكان الراء وكسر الواو وبادغام القاف في الكاف وبعدم ادغامها ﴿ قوله وحملهم له ﴾ اي حمل اصحاب الكهف الورق يدل على ان امساك الزاد امر مشروع لاينافي التوكل ﴿ قوله من العود بمعنى الصيرورة ﴾ كما يقال للآخرة معاد فانه من العود بمعنى التحول لامن العود بمعنى الرجوع الى الامر الاول ﴿ قوله اذ دخلتم في ملتهم ﴾ قدره لكون اذا مضافة فان قيل أليس انهم لو اكرهوا على الكفر حتى اظهروه لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تفلحوا اذا ابدا اجيب بانه يحتمل ان يكون المراد انهم خافوا من انهم لو ردوا الى الكفر وبقوا مظهرين لذلك الكفر مدة فربما تميل قلوبهم الى ذلك الكفر ويصيرون كافرين في الحقيقة فلهذا الاحتمال خافوا وقالوا ذلك ﴿ قوله اطلعنا عليهم ﴾ اي على احوالهم غيرهم يقال عثرت على كذا اي علمته واختلفوا في السبب الذي عرف الناس طول مدة اصحاب الكهف على وجهين الاول انه طالت شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وظهرت في بشرة وجوههم آثار عجيبة تدل على ان مدتهم قد طالت طولا خارجا من العادة والثاني ان ذلك الرجل الذي بعثوه الى المدينة لما ذهب الى السوق ليشتري الطعام اخرج الدراهم التي عليها اسم دقيانوس فقال صاحب الطعام هذه الدراهم غير موجودة في هذا اليوم وانما كانت موجودة قبل هذا الوقت بمدة مديدة ودهر داهر فلعلك وجدت كنزا فاجتمع الناس اليه وحملوه الى ملك البلد فقال الملك من اين وجدت هذه الدراهم فقال بعت بها شيئا من التمر وخرجنا فرارا من الملك دقيانوس فعرف ذلك الملك انه ما وجد كنزا بل الله تعالى بعثه بعد موته ﴿ قوله ليعلموا ان وعد الله بالبعث ﴾ على ان الوعد مصدر على حاله اي ليعلموا ان ما اخبرهم الرسل من بعث الاموات ليس اختراعا من عند انفسهم بل كونه وعد الله تعالى وخبرا منه حق فان القوم لما علموا ان الله تعالى انامهم مدة طويلة وابقاهم من غير طعام ولاشراب في تلك المدة على ان الانسان لايبقى من غير طعام ولاشراب في مدة اسبوع فضلا عن مثل تلك المدة علموا ان من قدر على حفظهم من كل ضرر واذى وابقائهم فيها لقادر على البعث والاحياء بعد الموت ولايعجز عن شيء يريد كونه ﴿ قوله حين اماتهم الله تعالى ثانيا ﴾ فان الملك وقومه لما رأوا

او قال طائفة تبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا) وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض امامن الله ردا على

الخائضين فى امرهم من اولئك المتنازعين فى زمانهم او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم او من المتنازعين لمرد الى الله بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حتى ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك فى الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمى عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا (سيقولون) اى الخائضون فى قصتهم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين (ثلاثة رابعهم كلبهم) اى هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم) قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا (رجما بالغيب) يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لامطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ماهو فيه (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم عن جبرائيل عليه السلام وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه قوله (قل ربى اعلم بعدتهم مايعلمهم الاقليل) واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعدما حصر اقوال الطوائف فى الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل يقيه ثم رد الاولين بان اتبعهما رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت

اصحاب الكهف ووقفوا على احوالهم باد القوم الى كهفهم فاماتهم الله تعالى فعند هذا اختلف الناس فقال قوم انهم نيام كالمرة الاولى وقال آخرون بل الآن ماتوا ﴿قوله او قال طائفة تبنى عليهم بنيانا﴾ عطف على قوله فقال وقوله بنيانا يجوز ان يكون مفعولا به جمع بنيانة وان يكون مصدرا ﴿قوله وقيل لما انتهوا الى الكهف﴾ اى وروى ان الملك واهل المدينة لم يدخلوا عليهم وعمى عليهم مكانهم حين دخله الفتى وهو تمليخا وانما علم اهل المدينة حقيقة البعث وحقيقة استدلاله باخبار تمليخا منهم وثبت عندهم صدقه بما شاهدوا من حاله ومامعه ﴿قوله قيل هو قول اليهود﴾ وهذا القول يستدعى ان يكون اطلاع اهل المدينة على حال اصحاب الكهف قبل بعثة موسى عليه الصلاة والسلام لان علم اليهود باحوالهم يستلزم ان تكون احوالهم مذكورة فى التوراة وذكر فى شرح التأويلات انه اختلف فى وقتهم قال بعضهم كان فيما بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه وقال بعضهم كان ذلك قبل بعث موسى عليه الصلاة والسلام وهو قول الحسن وابى بكر وغيرهما وهذا اشبه لانهم انما سألوا عنه اهل التوراة وهم اليهود فلا يحتمل ان يكون بعد عيسى وهم لايؤمنون بعيسى ولا بالانجيل ﴿قوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم﴾ اى امر اصحاب الكهف قيل المراد به الملك المسلم وقيل اولياء اصحاب الكهف وقيل رؤساء البلد لان من له الغلبة فى هذا النزاع لابد ان يكون احد هؤلاء ذكر فى القصة ان الملك جعل على باب الكهف مسجدا وجعل عنده عيدا عظيما وامر ان يؤتى كل سنة وعن الزجاج انه قال هذا يدل على انه لما ظهر امرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور لان المساجد للمؤمنين به ثم ان الله تعالى اخبر انه سيقع نزاع فى عددهم وقد وقع ذلك لما وفد نصارى نجران على النبى صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقالت اليعقوبية منهم كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية منهم كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقالت المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم ولفظ يقولون فى المواضع الثلاثة جيما للاستقبال اما الاول فلكونه مصدرا بسين الاستقبال واما الآخران فلكونهما معطوفين على يقولون الاول فيكونان داخلين فى حكم السين وهو المتبادر من قوله اكتفاء بعطفه على ماهو فيه لان الواو ولما كانت لمطلق الجمع كان معنى يقولون بعد سيقولون انه سيحصل منهم الاقوال الثلاثة فلو قيل سيقولون بعد سيقولون لكان تكرارا لما يدل على الاستقبال وان جعل الاخيران معطوفين على قوله سيقولون يحملان ايضا على الاستقبال لاشتراك لفظ المضارع بين الحال والاستقبال واختصاصه فى هذا الموضع بالاستقبال بقرينة المقام كاختصاص الاول به بواسطة السين ﴿قوله يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لامطلع لهم عليه واتيانا به﴾ اشارة الى ان رجما منصوب بمقدر من لفظه اى يرجمون رجما وان الرجم معناه الرمى واتيان الكلام والتكلم به من غير تدبر وعلم بحقيقة كلامه والمطلع مصدر ميمى بمعنى الاطلاع ويحتمل ان يكون اسم فاعل من باب الافعال ﴿قوله وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة﴾ فان الجملة اذا وقعت صفة للنكرة جاز ان يدخلها الواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف فان الصفة نوع اتصال بالموصوف فاذا اريد تأكيد ذلك الاتصال واللصوق وسط بينهما هذه الواو لتؤذن ان هذه الصفة غير منفكة من الموصوف لازمة له غير مفارقة عنه كما توسط بين الجملة الواقعة حالا وبين ذى الحال تأكيدا لما بينهما من اللصوق والاتصال وتنبيها على اللصوق والاتصال الا ترى ان ماوقع صفة للنكرة اذا تقدم عليها وهى بعينها تصير حالا ولو لم يكونا متحدين معنى لما كان كذلك سواء كان فى الصورة اى فى اعتبار المعرفة والنكرة او فى المعنى ايضا لما ذكرنا فلما توسطت الواو بين الجملة والمعرفة التى قبلها لمجرد الربط وتأكيد الاتصال توسطت بين الجملة والنكرة ايضا لذلك وماقيل من ان دخول الواو بين الصفة والموصوف غير مستقيم لاتحاد الصفة والموصوف ذاتا وحكما وتأكيد اللصوق يقتضى شيئين مبنى على ان تكون الواو فى مثل هذا الموضع عاطفة مقتضية للمغايرة وليست كذلك بل هى تجردت لمحض الجمعية واللصوق فان واو العطف تقتضى المغايرة وتتضمن معنى الجمعية فاذا اريد منها معنى الجمعية دون المغايرة كان من باب اطلاق اسم الكل على الجزء كهمزة الاستفهام فى قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لايؤمنون فان الهمزة فيه مسلوبة الدلالة على معنى الاستفهام متمحضة لمجرد الاستواء كتمحيض النداء فى قولك انا نفعل كذا ايتها العصابة فانه لمجرد الاختصاص ومسلوب عنه معنى طلب الاقبال وقيل انها واو الثمانية فان السبعة عند العرب كانت متميزة عن سائر اسماء العدد من حيث دلالتها

(على)

على الكثرة والمبالغة فى العدد قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرّة على معنى ان تكثر الاستغفار لهم غاية الاكثار فاذا ذكروا سبعة جاؤا بالواو لتدل على ان السبعة دالة على الكثرة والمبالغة فى العدد وان مدخولها ثامن فلما كانت السبعة اصلا فى المبالغة فى العدد عندهم كانوا اذا وصلوا الى الثمانية ذكروا لفظا يدل على الاستئناف فقالوا وثامنهم وكان قريش اذا عدّوا يقولون واحد اثنان ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية تسعة فيدخلون الواو على عقد الثمانية خاصة وكان العقد عندهم سبعة كما انه اليوم عندنا عشرة فاذا جاوز السبعة جاؤا بالواو على الاستئناف ونظيره قوله تعالى التائبون العابدون الى قوله والناهون عن المنكر وقوله تعالى فى حق ازواج النبى صلى الله عليه وسلم عسى ربه ان طلقكنّ ان يبدله ازواجا خيرا منكنّ مسلمات مؤمنات الى قوله وابكارا فان قوله والناهون عن المنكر هو الثامن ومنه قوله تعالى اذا جاؤها وفتحت ابوابها بالواو لان ابواب الجنة ثمانية وابواب النار سبعة وكذا قوله وابكارا ثامن ماتقدم ولم يذكر المصنف هذا الوجه لان هذه الواو لم تثبت فى اللغة وقد انكرها حذاق النحاة ﴿قوله واسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره﴾ وكان الملك يستشير هؤلاء الستة وكانوا ينصرفون فى مهماته والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس قيل اسمه كفيشططيوش وروى عن ابن عباس ان اسماءهم مكشلينا ويمليخا ومرطوش وينبوش وسارينوش ودونوارش وكفيشططيوش قال عبدالله بن عمر اذا وقع الحريق فى موضع فكتبت هذه الاسماء على قطعة ورق وطرحت فى الحريق طفئ باذن الله تعالى ﴿قوله فلا تجادل فى شأن الفتية﴾ فان المراء فى اللغة الجدال يقال مارى يمارى مماراة ومراء اى جادل والمراد يكون الجدال ظاهرا ان لا يتعمق بل يقتصر على ما اوحى اليه فى القرآن وهو انه لايعلم عددهم الا القليل فوجب التوقف وترك قطع النزاع ونظيره قوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن ونقل عن الفراء انه اتاه صلى الله عليه وسلم فريقان من نصارى نجران يعقوبى ونسطورى فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم عن عدد اصحاب الكهف فنهى عنه بقوله تعالى ولا تستفت فيهم منهم احدا ﴿قوله ولم يستثن﴾ اى لم يقل ان شاء الله سمى قولك ان شاء الله كلمة استثناء لانه عبر عنها بقوله الا ان يشاء الله قيل احتبس الوحى بعده خمسة عشر يوما وفى رواية اربعين يوما ثم نزلت هذه الآية جعل قوله الا ان يشاء الله متعلقا بالنهى وذكر لتعلقه به وجهين الاوّل ان يجعل الا ان يشاء الله مستثنى مفرّغا من اعم الاحوال بان يقدّر المضاف بعد الباء المقدرة بعد الا ويحذف مفعول المشيئة وهو الضمير الراجع الى الفعل المدلول عليه بقوله انى فاعل ذلك اى لاتقولنّ انى فاعله غدا فى حال من الاحوال الا فى حال كونك ملتبسا بذكر مشيئة الله والثانى ان يجعل مستثنى مفرّغا من اعم الاوقات اى لاتقولنّ ذلك من تلقاء نفسك فى وقت ما الا فى وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه وفيه وجه ثالث وهو الا ان يشاء الله فى معنى كلمة تأبيد كأنه قيل فلا تقولنّه من تلقاء نفسك ابدا فيحصل الاستثناء على تأكيد النهى والمبالغة على هذا الوجه فهو وجه تعلقه به ﴿قوله ولا يجوز تعليقه بفاعل﴾ لان قوله تعالى الا ان يشاء الله ان كان متصلا بقوله انى فاعل لايخلو اما ان يكون المستثنى اقتران المشيئة بالفعل او اعتراضها قبله ولا وجه لشئ منهما اما الاوّل فلان المشيئة المقترنة بالفعل سواء كانت مشيئة الفعل بالفعل توجب الفعل ولا تنافيه حتى يصح استثناؤه من قوله انى فاعل ذلك بكل حال ومشيئة الله تعالى بترك الفعل لا يمكن اقترانها بفعل العبد حتى يصح استثناؤها منه واما الثانى فلأنه لو كان المراد انى فاعل ذلك غدا بكل حال الا فى حال ان تعترض مشيئة الله تعالى بترك الفعل لا فاد كون هذا القول منهيا عنه ولا وجه لان ينهى العبد عن ان يقول انى فاعل ذلك فيما يستقبل الا ان يشاء الله تعالى منى ترك الفعل لان تمكن العبد من الفعل متوقف على انتفاء مشيئة الترك فكيف ينهى عن تقييد الفعل بانتفائها وتعليقه عليه فلما امتنع تعلقه بقوله انى فاعل تعين تعلقه بالنهى على احد الوجهين نهى الله تعالى عن ان يعد الانسان عدة ولا يستثنى فيها لان العدة اضافة الفعل الى نفسه وهو لا يستقل فى افعاله فلذلك امر بان يلحق الاستثناء بها لئلا يلحقه معرّة الخلف فى الوعد اذا لم يفعل ما وعد فقول الواعد ان شاء الله يدفع عنه حنث خلف الوعد على تقدير عدم وفائه بعهده لان ارادة الله تعالى لايقدر العبد على الغائها فلا يحنث بتركه الا انهم اختلفوا فى ان الاستثناء هل يجب ان يكون متصلا بما قبله فى اللفظ لدفع الحنث او لايجب فذهب ابن عباس ومن تبعه الى انه لايجب ان يكون متصلا به حتى اذا نسى ان يقول ان شاء الله ثم تذكر بعد سنة وقاله كفى

وعن علىّ رضى الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم واسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعى الذى وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم (فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا) فلا تجادل فى شأن الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما فى القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم (ولا تستفت فيهم منهم احدا) ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحى اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسئول عنه وتزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق (ولا تقولنّ لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) نهى تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحى بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهى اى ولا تقولنّ لاجل شئ تعزم عليه انى فاعله فيما يستقبل الا بان يشاء الله اى الا ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهى

فى دفع الحنث واحتج عليه بقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت وذلك لان الظاهر انه كلام متصل بماقبله و التقدير انه اذا نسيت ان تقول ان شاء الله فليذكره اذا تذكر وقوله واذكر غير مختص بوقت معين بل يتناول جميع الاوقات فوجب ان يكون دافعا للحنث فى اى وقت ذكره * واعلم ان استدلال ابن عباس ظاهر فى ان الاستثناء لايجب ان يكون متصلا واما الفقهاء فقالوا انالو جوزنا ذلك لزم ان لايستقر شئ من العهود والايمان * حكى انه بلغ المنصور ان اباحنيفة خالف ابن عباس فى الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له ابوحنيفة هذا يرجع عليك فانك تأخذ البيعة بالايمان كما يقول المبايع ابايعك على السمع والطاعة ثم يؤكدها بالايمان بان يقول والله لااخرج من هذه البيعة فلو جاز انفصال الاستثناء جاز ان يخرج من عندك ويستثنى بان يقول الازمان كذا اولامر كذا اوان يفعل كذا فاستحسن المنصور كلامه ورضى عنه * قال الامام حاصل كلامهم يرجع الى تخصيص النص بالقياس وفيه مافيه وايضا فلو قال ان شاء الله تعالى فى نفسه خفية بلسانه بحيث لم يسمعه احد فهو معتبر ودافع للحنث بالاجماع مع ان المحذور الذى ذكروه حاصل فثبت ان الذى عولوا عليه ليس بقوى والاولى ان يحتج على وجوب كون الاستثناء متصلا بدليل آخر ﴿قوله ولذلك جوز﴾ اى لما ذكر من الآية ولما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ان شاء الله لما نزل قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت ولما روى عن ابن عباس استدل المصنف بهما على جواز تأخير الاستثناء عن القول السابق ثم ذكر دليل عامة الفقهاء على عدم جوازه على سبيل المعارضة لدليل المجوز ثم اجاب من دليل المجوز بقوله وليس فى الآية والخبر * وتقريره ان معنى الآية قل ان شاء الله اذا سبق منك وعد وفرط منك نسيان لذلك ثم تذكره وهو انما يدل على جواز تأخير الاستثناء عن القول السابق ان لوكان الاستثناء المتدارك به من القول السابق ولم يلزم ذلك لانه يجوز ان يكون الاستثناء من مقدر يدل عليه القول السابق مثلا اذا قال اكرمك فيما يستقبل ونسى الاستثناء ثم تذكره بعد زمان فقال ان شاء الله تعالى جاز ان لايتعلق هذا الاستثناء بالوعد السابق بل بمقدر يدل عليه ذلك الوعد وكذا الحال فيما روى من الخبر فان قوله عليه الصلاة والسلام ان شاء الله ليس متعلقا بقوله السابق فى غدا اخبركم بل بمقدر يدل هو عليه ولم يندفع به حنث خلف الوعد الذى هو من قبيل ترك الاولى والافضل ﴿قوله ويجوز ان يكون المعنى﴾ عطف على قوله مشيئة ربك بحسب المعنى وهو جواب آخر من قبل عامة الفقهاء بمنع ان يكون معنى الآية واذكر مشيئة ربك واستثن اذا ذكرته وباحتمال عدم ارتباطها بما قبلها وضبط ماذكره من الوجوه ان قوله واذكر ربك اذا نسيت اما ان يكون متعلقا بما قبله اولا بل يكون كلاما مستأنفا فان تعلقه بماقبله فيه احتمالان الاول ان يكون المعنى اذا نسيت ان تقول ان شاء الله حين وعدت فقله اذا تذكرت والثانى ان يكون المعنى اذا نسيت ذلك فاستغفر الله وتب اليه ويكون المقصود من الامر بالاستغفار المبالغة فى الحث على الاستثناء على سبيل التغليظ والتشديد على تركه بايهام ان تركه من الذنوب التى تجب فيها التوبة وان لم يتعلق بماقبله بل كان كلاما مستأنفا ففيه قولان فعلى القول الاول يقدر مفعول تركت وهو قوله بعض ماامرك به لاعلى الثانى بل يجرى مجرى اللازم فسر قوله اذا نسيت بقوله اذا تركت بعض ماامرك به لان النسيان قد يستعمل فى الترك مجازا بطريق اطلاق المسبب وارادة السبب لان الترك سبب للنسيان فالنسيان المذموم هو ما كان مستندا الى السبب الاختيارى والمعفو من نحو ماروى فى الحديث * رفع عن امتى الخطأ والنسيان * هو مالم يستند الى سبب كذلك وهناك قول ثالث وهو ان يحمل قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها فيكون مفعول نسيت مقدرا هو اداء الصلاة والظاهر هو الاحتمال الاول وان يكون واذكر ربك اذا نسيت متعلقا بماقبله لانه على تقدير ان يكون كلاما مستأنفا يلزم جواز عدم ارتباط بعض الآيات بعضها وهو بعيد ﴿قوله واظهر دلالة﴾ عطف تفسير لقوله اقرب رشدا فسر اقرب باظهر وفسر رشدا بقوله دلالة والرشد مصدر رشد يرشد من باب علم ومعناه ضد الغواية لاالدلالة التى هى ارشاد الغير فتفسيره بالدلالة يستلزم ان يكون الرشد بمعنى سبب الرشد وان يكون تسمية المعجزة بالرشد للمبالغة فى كونها سببا له على تأويل انها ذو رشد وجعل لفظ هذا فى قوله لاقرب من هذا رشدا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف فكان المعنى ايها المشركون انكم قد استعظمتم الاخبار عن حالهم وبيان نبأهم وقصتهم وقد بينت لكم ما اوحى الىّ وانى لاطمع من ربى ان يعطينى من الآيات الدالة على نبوتى ماهو اعظم فى الدلالة عليها ويؤيد هذا التأويل قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فانه جعل القصة بتقليل

(واذكر ربك) مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روى انه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله (اذا نسيت) اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة مالم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس فى الآية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة فى الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ماامرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى (وقل عسى ان يهدين ربى) يدلنى (لاقرب من هذا رشدا) لاقرب رشدا واظهر دلالة على انى نبى من نبأ اصحاب الكهف وقد هدانى لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة فى الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة

شأنها ثم اخبنها بالجماع ماهو اعظم منها واقرب ارشاداً للمسترشدين ﴿ قوله اولاً قرب رشداً وادنى خيراً من المنسى ﴾ فعلى هذا يكون قوله تعالى وقل عسى مرتبطاً بقوله واذكر ربك لا بمجموع القصة بان يكون معطوفاً على ماهو العامل فى قوله تعالى اذأوى الفتية الى الكهف على معنى اذكر اذأوى الفتية وقل عسى ان يهدينى ربى ويكون المعنى على الوجه الثانى واذكر ربك اذا نسيت شيأ واطمع منه ان يهديك لشئ آخر بدل المنسى وقل عسى ان يهدينى ربى لشئ آخر وهو اقرب رشداً وانفع من المنسى فيكون لفظ هذا اشارة الى المنسى ﴿ قوله وهو بيان لما اجمله ﴾ اى بقوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عدداً فانه تعالى اجمل قصتهم بقوله اذأوى الفتية الى قوله نحن نقص عليك نبأهم ثم شرع فى تفصيلها بقوله نحن نقص وساق الكلام فى تفصيلها الى ان عين فى آخر مدة لبثهم فى كهفهم احياء محفوظة اجسادهم ﴿ قوله على وضع الجمع موضع الواحد ﴾ فانه لاوجه لقرآءة الاضافة سوى ان يكون سنين تمييزاً وحق مائة ان يضاف الى مميزه مفرداً ويقال ثلاثمائة سنة كما يقال ثلاثمائة رجل وثلاثمائة درهم قال ابن الحاجب ومميز مائة والف وتثنيتهما وجمعهما مخفوض مفرد فقد ظهر ان الاصل فى الاستعمال افراد مميز مائة لكن وضع الجمع مكانه مبالغة فى الدلالة على الكثرة كما وضع الجمع موضع الواحد فى قوله تعالى بالاخسرين اعمالاً فان الاصل فيه بالاخسرين عملاً لاستقلاله بحصول الفائدة مع كون المفرد اخف لكن اوثر الجمع مبالغة وتنصيصاً على الانواع بان كل نوع كأنه جنس مستقل يكون زيادة خسرانهم هذا هو الوجه العام لوضع الجمع موضع الواحد وسوغه ههنا امران الاول ان مافى لفظ سنين من علامة الجمع ليست متمحضة لكونها علامة الجمع بل هى جبر لما حذف من لفظ سنة فكانت كأنها من تمام بناء الواحد قيل اصل سنة سنهة مثل جبهة لانها من سنهت النخلة وتسنهت اذا اتت عليها السنون وقيل المحذوف منه الواو وتشهد اطلاقات العرب على كل واحد من القولين فانهم يقولون سنهت عنده وتسنيت عنده واستأجرته مساناة ومسانهة وتقول فى التصغير سنية وسنيهة والثانى ان الاصل اى القياس المرفوض فى العدد اضافته الى الجمع لكون المعدود جماعة اى فيما فوق الواحد والاثنين لان العدد المضاف ليس الا ماهو فيما الا انه قد يعدل عنه الى المفرد لغرض فلما اضافه الى الجمع استعمل على الاصل المرفوض وقوله ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث جعله صاحب الكشاف عطف بيان له وهو الظاهر لان جعله بدلا يستلزم ان لايكون تعيين مدة لبثهم مقصوداً وليس كذلك بل المقصود ذلك لانه لما قيل ثلاثمائة لم يعرف انها ايام او شهور او سنون فبين انها سنون وقوله تسعاً مفعول به لقوله ازدادوا على وزن افتعلوا ابدلت تاء افتعل دالاً لوقوعها بعد الزاى وقلبت الياء ألفاً فصار ازدادوا وكان زاد متعدياً الى اثنين نحو زادهم مرضاً وزدناهم هدى فلما نقل الى باب الافتعال عدى الى واحد والاصل ازدادوا تسع سنين لحذف التمييز لدلالة ماتقدم عليه الا تقول عندى ثلاثمائة درهم وتسعة الا وانت تريد تسعة دراهم ولو اردت تسعة ثياب او نحوها لم يجز لانه ليس من جنس ماقبله حتى يدل عليه فلما نزل قوله تعالى ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً قالت نصارى نجران اما الثلاثمائة فقد عرفناها واما التسع فلا علم لنا بها فنزل قوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا اى انه تعالى اعلم بمقدار لبثهم من اهل الكتاب المختلفين فيه لانه المنفرد بعلم ماغاب فى السموات والارض عن العباد وادراكهم فيكون عالماً بمدة لبثهم لامحالة ﴿ قوله ومحله الرفع على الفاعلية ﴾ فان المعنى ما ابصر الله بكل موجود واسمعه لكل مسموع زيدت الباء فى الفاعل اصلاحاً للفظ قال نجم الدين الاسترابادى فى شرح الكافية واما احسن بزيد فعند سيبويه لفظ افعل صورته الامر ومعناه الماضى من افعل اى صار ذا فعل كالحم اى صار ذالحم والباء بعده زائدة فى الفاعل وضعف قوله ان الامر بمعنى الماضى بانه مما لم يعهد بل جاء الماضى بمعنى الامر وبان افعل بمعنى صار ذا كذا قليل وبان زيادة الباء فى الفاعل قليل والمطرد زيادتها فى المفعول ﴿ قوله والنصب ﴾ اى ومحله النصب على المفعولية فان قولك احسن بزيد امر لكل احد بان يجعل زيداً حسناً اى بان يصفه بالحسن فكأنه قيل صفه بالحسن كيف شئت فان فيه كل مايمكن ان يكون فى الشخص وهذا معنى مناسب للتعجب بخلاف تقدير سيبويه وايضاً همزة الجعل اكثر من همزة صار ذا كذا وان لم يكن شئ منهما قياساً مطرداً هذا اصل هذا التركيب فالمعنى الامر والخطاب لكل واحد وصار مقصده انشاء التعجب فهمزة افعل ان كانت للجعل والتعدية فالباء مزيدة فى المفعول وان كانت للصيرورة كانت الباء للتعدية ﴿ قوله وقرأ ابن عامر بالتاء ﴾ اى بتاء الخطاب والجزم عطفاً على قوله ولاتقولن لشئ وقوله واذكر ربك اذا نسيت وقوله وقل عسى اى ولاتشرك انت ايها الانسان

اولاً قرب رشداً وادنى خيراً من المنسى (ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً) يعنى لبثهم فيه احياء مضروباً على آذانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم ثلاثمائة سنين وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائى ثلاثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ومحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل فى العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث (قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض) له ماغاب فيهما وخفى من احوال اهلهما فلا خلق يخفى عليه علماً (أبصر به وأسمع) ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره فى الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شئ ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفى وجلى والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله أبصر اى صار ذابصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له اولزيادة الباء كما فى قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة (مالهم) الضمير لاهل السموات والارض (من دونه من ولى) يتولى امورهم (ولايشرك فى حكمه) فى قضائه (احداً) منهم ولايجعل له فيه مدخلاً وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهى كل احد عن الاشراك

معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال (واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك) من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله (لا مبدل لكلماته) لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملتجأ تعدل اليه ان هممت به (واصبر نفسك) احبسها وثبتها (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) فى مجامع اوقاتهم او فى طرفى النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم فى الاكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير (يريدون وجهه) رضى الله وطاعته (ولا تعد عيناك عنهم) ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا يقال نبت وعلت عنه عينه اقتحمته ولم تتعلق به والغرض فى هذا اعطاء معنيين اى لا تقتحمهم عيناك متجاوزتين الى غيرهم وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهى الرسول ان يزدرى بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زى الاغنياء (تريد زينة الحياة الدنيا) حال من الكاف فى القراءة المشهورة ومن المستكن فى الفعل فى غيرها (ولا تطع من اغفلنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلا (عن ذكرنا) كامية بن خلف فى دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعى له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه فى المحسوسات حتى خفى عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله فى الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اى لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا فى قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكر اولا بقوله (واتبع هواه) وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة (وكان امره فرطا) اى تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره

وقرأ الباقون بالياء التحتانية ورفع الفعل على انه نفى محض مسند الى ضمير البارى تعالى اى لا يشرك الله فى حكمه وقضائه احدا من خلقه فلا يجوز ان يحكم حاكم بغير ما انزل الله وحكم به وليس لاحد ان يحكم من ذات نفسه فيكون شريكا لله تعالى فى حكمه ﴿قوله امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه﴾ فان كفار قريش لما سألوه عليه الصلاة والسلام عن قصة اصحاب الكهف وقالوا له ان اخبرتنا عما سألناك صدقناك واتبعناك واخبرهم بها قالوا له عليه الصلاة والسلام ان اردت ان نجالسك فاطرد عنك هؤلاء الفقراء والسفلة الذين اجتمعوا عندك نتبعك فانزل الله تعالى واتل ما اوحى اليك حتى بلغ انا اعتدنا للظالمين نارا فقام عليه الصلاة والسلام يلتمسهم حتى اصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون الله تعالى فقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى امرنى ان اصبر نفسى مع رجال من امتى معكم المحيا ومعكم الممات * قال الامام من هذه الآيات الى قصة موسى والخضر كلام واحد نزل فى قصة واحدة وهى ان اكابر قريش اجتمعوا وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اردت ان نؤمن بك فاطرد من عندك من هؤلاء الذين آمنوا بك فنهاه الله تعالى عن ذلك ومنعه منه وبين فى جملة هذه الآيات ان الذى اقترحوه والتمسوه مطلوب فاسد ثم قال قوله تعالى واتل ما اوحى الخ يتناول القرآءة ويتناول الاتباع ايضا فيكون المعنى الزم قرآءة الكتاب الذى اوحاه اليك ربك والزم العمل به ﴿قوله لا احد يقدر على تبديلها﴾ اى بطريق من طرق النسخ مع ان النسخ ليس بتبديل فى الحقيقة بل المنسوخ مغيى الى وقت طريان الناسخ فالمنسخ كالغاية له فكيف يكون تبديلا ﴿قوله وفيه ان غدوة علم فى الاكثر﴾ والاعلام لا يدخلها الالف واللام الجوهرى الغد اصله غدو فحذفوا الواو بلا عوض قال لبيد

وما الناس الا كالديار واهلها ⁂ فيوم بها حلوا وغدو بلاقع

فجاء به على اصله والغدوة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس يقال آتيته غدوة غير مصروفة لانها معرفة مثل سحر ﴿قوله وتعديته بعن﴾ جواب عما يقال من ان قوله ولا تعد نهى من عداه اذا جاوزه وهو يتعدى بنفسه كما اشار اليه بقوله ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وكان الظاهر ان يقال ولا تعدهم عيناك فلم جيء بكلمة عن * واجاب عنه بان عدا لما ضمن معنى نبا عدى تعديته يقال نبا الشيء عنه ينبو اى تجافى وتباعد ونبا بصرى عن الشيء اذا اقتحمه ولم يعلق به ويقال اقتحمته عينى اى ازدرته واعتبر التضمين لتحصيل مجموع المعنيين معنى المجاوزة ومعنى الاقتحام ولو قيل ولا تنب عيناك عنهم لفهم معنى الاقتحام ولم يفهم معنى المجاوزة فجمع بين مادة العدو وكلمة عن ليحصل مجموع المعنيين وذلك ابلغ من افادة المعنى الواحد ﴿قوله والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال اليه تعالى﴾ اعلم ان اصحابنا احتجوا بهذه الآية على انه تعالى هو الذى يخلق الجهل والغفلة فى قلوب الجهال لان قوله اغفلنا يدل على هذا المعنى فالمعنى من خلقنا غفلة الكفر فى قلبهم باختيارهم الكفر وقالت المعتزلة ليس المراد بقوله تعالى اغفلنا خلق الغفلة وايجادها فى القلب بل هو من قبيل قول معدى كرب لبنى سليم قاتلناكم فما اجبناكم وسألناكم فما ابخلناكم وهجوناكم فما افحمناكم * اى ما وجدناكم جبناء ولا بخلاء ولا مفحمين فان الهمزة فيه للوجدان فكذا فى الآية ويحتمل ان تكون الهمزة فى هذه الافعال لنسبة الفاعل الى اصل الفعل فكذا فى الآية واحتجوا على ان بناء الاغفال فى الآية ليس للايجاد والتكوين لقوله تعالى بعده واتبع هواه فانه لو كان المعنى اوجدنا الغفلة فى قلبه حقيقة لكان المناسب ان يقال فاتبع هواه ليدل على ان الاغفال سبب فى الاتباع فلذا اسند الاتباع الى شهوتهم لا الى مشيئة الله وقد مر مرارا ان القدرة المؤثرة ليست الا لله تعالى فلذلك قال قل كل من عند الله وان العبد له قدرة كاسبة يصح اسناد افعاله الاختيارية اليه بسببها والعامة قرأوا من اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى المتكلم المعظم نفسه ونصب قلبه على انه مفعول به وقرئ اغفلنا قلبه بفتح اللام ورفع قلبه على الفاعلية على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا دلت الآية على ان اشر احوال الانسان ان يكون قلبه خاليا عن ذكر الحق ويكون مملوأ من الهوى الداعى الى الاشتغال بالخلق ﴿قوله اى تقدما على الحق﴾ يعنى ان اصل الكلمة ينبئ عن العجلة والسبق يقال فرط منه قول قبيح اى سبق وفرس فرط اى سريعة تتقدم الخيل وفى الصحاح فرط عليه اى عجل وعدا ومنه قوله تعالى اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى وفرط عليه سبق وفرطت القوم افرطهم فرطا اى سبقتهم الى الماء فانا فارط والجمع فراط وفراط القطيع من الغنم متقدماتها الى الوادى والماء وافرط فى الامر اى جاوز فيه الحد والاسم منه الفرط بالتسكين

(والفرط)

والفرط بالتحريك الذى يتقدم الواردة ليهيئ لهم الارشية والدلاء ويمدر الحياض ويستقى لهم وهو فعل بمعنى فاعل مثل تبع بمعنى تابع ومنه قيل للطفل الميت اللهم اجعله لنا فرطا اى اجرا يتقدمنا وامر فرط اى مجاوز فيه الحد ومنه قوله تعالى وكان امره فرطا الى هنا كلام الجوهرى فالفرط على قوله فعل بمعنى المفعول والمعنى لاتطع من كان اموره التى يلابسها مجاوزا فيها الحد والحق بحيث كان نابذا لهوى آ خيره ﴿ قوله ومنه الفرط ﴾ يجوز ان تكون الفاء فيه مفتوحة والرآء ساكنة وان تكونا مفتوحتين ﴿ قوله الحق مايكون من جهة الله ﴾ يعنى ان الحق مبتدأ ومن ربك خبره والجملة مقول القول ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لايلتفت الى اولئك الاغنياء الذين قالوا ان طردت الفقرآء من عندك وخليت لنا مجلسك نؤمن بك ونجلس معك امره بعد ذلك بان يقول لهؤلاء الحق مايكون من عند الله لامايقتضيه الهوى فان خالفتم اهوآءكم وقبلتم الحق الذى جاءكم من عند الله اصبتم وعاد نفعه عليكم وان لم تقبلوه عاد ضرره عليكم ولا مدخل فى اصابة الحق والاهتدآء به لكون اهل مجلسكم فقرآء او اغنياء خاملين او مشهورين بالعزة والجاه ثم انه تعالى رتب عليه وعيد من كابر عقله وعاند ربه وترك الحق الصريح ووعد من اذعن للحق وآمن وعمل بمقتضاه بقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وعلل ذلك بقوله انا اعتدنا للظالمين نارا الى آخر الآيات ﴿ قوله ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ﴾ نحو هذا الحق او والذى أتيتكم به الحق كائنا من ربكم والحق هو العامل فى الظرف والمبتدأ المقدر عبارة عما ذكر من اول السورة الى هنا او عما اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واياما كان يكون قوله تعالى وقل الحق من ربكم كالفذلكة لما ذكر من مفتتح السورة او لجميع ماجاء به عليه الصلاة والسلام ثم رتب مابعده عليه بالفاء فالمعنى ماجئتكم به من حديث الكتاب القيم المعرى عن كل الاعوجاج القاهر الاعجاز الكاشف عن الغيبات المحتوى على مكارم الاخلاق المزيح للعلل والاعذار المزيل للريب والشبهات حق كائن من الرب العزيز الحكيم ﴿ قوله وهو لايقتضى استقلال العبد بفعله ﴾ جواب من قول المعتزلة ان قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر صريح فى ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية مفوض الى العبد واختياره فمن انكر ذلك فقد خالف صريح القرآن وتقرير الجواب صريح الآية وصريح العقل ايضا وان دل على ان نحو الايمان والكفر وسائر الافعال الاختيارية يمتنع حصوله بدون مشيئة العبد وقصده اليه واختياره له الا ان تلك المشيئة والقصد ليست بمشيئة اخرى سابقة عليها والا لزم ان يكون كل قصد ومشيئة مسبوقا بقصد آخر الى غير نهاية وهو محال فوجب انتهاء ذلك القصد الى قصد واختيار يخلقه الله تعالى من غير قصد سابق عليه واذا توقف فعل العبد على ذلك القصد الذى لامدخل له فيه فكيف يصح ان يقال ان العبد مستقل فى فعله بل يجب القول بان الكل من عند الله ﴿ قوله شبه به مايحيط بهم من النار ﴾ فتكون الاضافة فى سرادقها بمعنى من كما فى خاتم فضة فان الاغنياء الذين يتفاخرون فى الدنيا تحيط بهم النار من اللباس والطعام والشراب وغير ذلك كما قال سرابيلهم من قطران وقال ليس لهم طعام الا من ضريع وقال فى حق شرابهم يغاثوا بماء كالمهل والله اعلم والحجرة كل مكان محجور عن الغير اى ممنوع عنه من الحجر وهو المنع اثبت الله تعالى للنار شيأ شبيها بما يحيط بهم من جميع الجهات بحيث لامخلص لهم منها ولا فرجة فيها يتفرجون بالنظر الى ماورآءها من النار بل هى محيطة بهم من كل الجوانب وقيل المراد من هذا السرادق الدخان الذى وصفه الله تعالى فى قوله الى ظل ذى ثلاث شعب وقالوا هذه الاحاطة بهم انما تكون قبل دخولهم النار فيغشاهم هذا الدخان ويحيط بهم كالسرادق حول الفسطاط ﴿ قوله وقيل حائط من نار ﴾ روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال سرادق النار اربعة جدر كل جدار مسيرة اربعين سنة والمعنى انهم ورآء هذه الجدر فهى بهم محيطة ﴿ قوله كالجسد المذاب ﴾ يعنى قيل ان المهل كل شئ اذيب من الاجساد السبعة المعدنية كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها وقيل هو دردئ الزيت ﴿ قوله وهو على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم ﴾ يعنى قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وارد على طريق التهكم بهم وتحقيرهم حيث ذكرت الاغاثة بما هو فيه من شدة العطش واريد مايضاد الاغاثة وهو ان يؤتى بماء كالمهل اذا قرب اليه شوى وجهه وسقطت فروة رأسه واذا شرب منه قطع امعاءه حتى تخرج من دبره فالمعنى ان يستغيثوا اى يطلبوا الغوث والمدد مما هم فيه من شدة العطش يؤتوا بماء كالمهل مكان مايغاث به المستغيث من العطش فسمى ايتاء ذلك الماء اغاثة على سبيل التهكم والتحقير كما فى قوله

غضبت تميم ان يقتل عامر ۞ يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

يقال فرس فرط اى متقدم للخيل ومنه الفرط (وقل الحق من ربكم) الحق مايكون من جهة الله لا مايقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) لا ابالى بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو يقتضى استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست الا بمشيئة (انا اعتدنا) هيأنا (للظالمين نارا احاط بهم سرادقها) فسطاطها شبه به مايحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار (وان يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) كالجسد المذاب وقيل كدردئ الزيت وهو على طريقة قوله فأعتبوا بالصيلم (يشوى الوجوه) اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير فى الكاف

(بئس الشراب) المهل (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا) خبر ان

الاولى هى الثانية بما فى حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه فى قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لايحسن اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات اوخبرها (اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار) وما بينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر او خبر ثان (يحلون فيها من اساور من ذهب) من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لأساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار فى جمع سوار (ويلبسون ثيابا خضرا) لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة (من سندس واستبرق) مارق من الديباج وماغلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين (متكئين فيها على الارائك) على السرر كما هو هيئة المتنعمين (نعم الثواب) الجنة ونعيمها (وحسنت) الارائك (مرتفقا) متكأ (واضرب لهم مثلا) للكافر والمؤمن (رجلين) حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بنى اسرائيل كافر اسمه قرطوس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن فى وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بنى مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم (جعلنا لاحدهما جنتين) بستانين (من اعناب) من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بهما كرومهما يقال حفه القوم اذا اطافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به (وجعلنا بينهما) وسطهما (زرعا) ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق (كلتا الجنتين آتت اكلها) ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله (ولم تظلم منه) ولم تنقص من اكلها (شيأ) يعهد فى سائر البساتين فان الثمار تتم فى عام وتنقص فى عام غالبا

والنار بكسر النون ماء لبق عامر والصيلم الداهية والامر العظيم واعتبوا اى ارضوا وازيل غضبهم جعلت الداهية لهم مكان الاعتاب الذى يجرى بين الاحبة تهكما بهم والشوى انضاج اللحم من غير مرقة تكون مع ذلك الشئ المشوى «قوله واصل الارتفاق نصب المرفق» وهو موصل الذراع والعضد فسر المرتفق فى الآية بالمتكأ وهو موضع الاتكاء على مرفق يده بان ينصبه ويجعله دعامة نحره وذلك انما يكون للاستراحة ولا استراحة لاهل النار فلا اتكاء «قوله وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا» يعنى اثبات المرتفق لاهل النار مع انه لاارتفاق لهم مبنى على المشاكلة لقوله تعالى فى حق ارائك اهل الجنة وحسنت مرتفقا فان الآية التالية المقابلة لهذه الآية لما كانت مفصولة بذكر الارتفاق جعلت هذه الآية ايضا مفصولة بذكره لاجل المشاكلة لان اثبات المرتفق للكفار مبنى على التهكم كاثبات الاغاثة لهم فى قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الظالمين اردفه بوعد الصالحين فقال ان الذين آمنوا الآية وقوله تعالى انا لانضيع اجر من احسن عملا يجوز ان يكون خبر ان الذين آمنوا بحذف العائد اى منهم او بتنزيل العموم منزلة العائد كما فى قولك نعم الرجل زيد على قول من يجعل المخصوص مرفوعا بالابتداء وماقبله خبره وهو المختار فان قولك نعم الرجل جملة فعلية والجملة الواقعة خبرا للمبتدأ لابد ان تكون مشتملة على الضمير العائد الى المبتدأ واستغنى عنه فى باب نعم لتنزيل استغراق الرجل وعمومه للمبتدأ ولغيره منزلة العائد واما على قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف ويجعل الكلام مبنيا على تقدير سؤال وهو انه لما قيل نعم الرجل مثلا قيل من هو فقيل زيد اى هو زيد فحينئذ يكون الكلام جملتين ليس فى شئ منهما خبر جملة حتى يحتاج الى العائد او باقامة قوله من احسن عملا مقام الضمير لكونه عبارة عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومتحدا معهم فى المعنى كما فى الجملة الواقعة خبرا عن ضمير الشأن فانها لما كانت عبارة عن الضمير المذكور استغنى فيها عن العائد «قوله اوخبرها اولئك» عطف على قوله هى الثانية بما فى حيزها «قوله او خبر ثان» عطف على قوله استئناف «قوله وهو جمع اسورة» واسورة جمع سوار وهو زينة تلبس فى الزند من اليد وهو من زينة الملوك كانوا يسورون فى ايديهم ويتوجون على رؤسهم وقال ابو عبيدة اساور جمع اسوار على حذف الزيادة اصله اساوير وقوله فى جمع سوار احتراز عن قول من قال ان اساور جمع اسوار بكسر الهمزة او ضمها فى الصحاح وقد يكون اساور جمع اسوار واسوار قال تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب وقال ابو عمرو بن العلاء واحدها سوار قال الشاعر

* والله لولا صبية صغار * كأنما وجوههم اقمار * اخاف ان يصيبهم اقتار * اولاطم ليس له سوار *
* لما رأى ملك جبار *

على كل واحد منهم ثلاث اسورة سوار من ذهب لاجل هذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا اساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله تعالى ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير * فان قيل ما السبب فى انه تعالى قال فى الحلى يحلون على مالم يسم فاعله وقال فى السندس والاستبرق ويلبسون باسناد اللبس اليهم * قلنا يحتمل ان يكون اللبس اشارة الى ما استوجبوه بعملهم بمقتضى الوعد الالهى وان يكون الحلى اشارة الى ماتفضل به عليهم ابتداء تفضلا زائدا على مقدار الوعد ثم انه تعالى لما بين حماقة الظالمين الذين اغتروا بزينة الدنيا وزخارفها وافتخروا بها على فقراء المسلمين وآثروها على ماعند الله تعالى من الثواب الجزيل وبين ايضا حماقة من آمن بالله وبالبعث والجزاء وعمل بمقتضى ايمانه شبه حال الفريقين بحال رجلين موصوفين تصويرا للامر المعقول بصورة المحسوس زيادة الايضاح والبيان فقال واضرب لهم مثلا الآية فتبين به ان كثرة الاموال والاتباع لاتصلح لان يفتخر بها لاحتمال ان يصير الفقير غنيا والغنى فقيرا بل الفخر انما هو بطاعة الله التى هى زينة المؤمنين وقوله تعالى جعلنا لاحدهما جنتين ان كان بيانا وتفسير المثل لايكون له محل من الاعراب وان كان صفة لجنتين يكون فى محل النصب «قوله مؤزرا بها» اى ملتفا وفى الاساس ومن المجاز ازرع يؤازر بعضه بعضا اذا التف وتأزر النبت اى التف وتلاصق «قوله ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه» لاشتماله على الكروم المحفوفة بالنخل وكون كل واحد منهما منتهيا فى احد جوانبه الى الارض المزروعة فيكون بذلك جامعا لما ذكر ومتواصل العمارة وتكون منفعته متواصلة لاتيانه فى كل وقت بمنفعة جديدة وثمرة مرغوبة «قوله وافراد الضمير» فى آتت والظاهر ان يقال آتتا مبنى على رجوعه الى كلتا وهو مفرد اللفظ وان كان مثنى المعنى فاعتبر جانب اللفظ والمعنى اعطت كل واحدة

(وفجرنا خلالهما نهرا) ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف (وكان له ثمر) انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك واحيط بثمره (فقال لصاحبه وهو يحاوره) وهو يراجعه في الكلام من حار اذا رجع (انا اكثر منك مالا واعز نفرا) حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه (ودخل جنته) بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهي ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بعجبه وكفره (قال ما اظن ان تبيد هذه) ان تفنى هذه الجنة (ابدا) لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته (وما اظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت الى ربي) بالبعث كما زعمت (لأجدن خيرا منها) من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين (منقلبا) مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب) لانه اصل مادتك او مادة اصلك (ثم من نطفة) فانها مادتك القريبة (ثم سواك رجلا) ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر على ان يعيده منه (لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا) اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان وكان الادغام وقرأة ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها عن الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من أكفرت كأنه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ ولكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي (ولولا اذ دخلت جنتك قلت) وهلا قلت عند دخولها (ما شاء الله) الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف فاقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها (لا قوة الا بالله) فهلا قلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيأ فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره

من الجنتين اكلها اى ثمرهـا تاما ولم تظلم اى لم تنقص منه شيأ والظلم النقصان يقـال ظلمني حقي اى نقصني ولما وصفهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقصان وصفهما بما هو اصل الخير ومادته وهو امر الشرب فقال وفجرنا خلالهما نهرا والعامة على تشديد الجيم للمبالغة في وفائه شربهما فانه وان كان نهرا واحدا الا انه لما كان يتلئ ويصل الى جوانب كلتا الجنتين ويدوم في كل وقت كان كالانهار وقرئ بالتخفيف على الاصل لانه نهر واحد والعامة على فتح هاء نهر وقرئ بسكونها قرأ عاصم كان له اى صاحب البستان ثمر بفتح الثاء والميم فيه وفي قوله واحيط بثمره وهو جمع ثمرة كشجر وشجرة وقرأ ابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم فيهما والباقون بضم الثاء والميم فيهما ومن ضمهما يقول انه جمع ثمار يقـال ثمار وثمر مخفف ومثقل كالحمار والحمر والكتاب والكتب ويجوز ان يكون ثمر بضمتين جمع الثمر بفتحتين كخشب وخشب وبالسكون كاسد واسد وذكر اهل اللغة انه بالضم انواع المال من الذهب والفضة وغيرهما وبالفتح حمل الشجر وكان ابن عباس يقرأ بالضم ويقول هو انواع المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد ان الثمر هو الذهب والفضة خاصة وقيل هو المال والولد ﴿قوله تعالى فقال له صاحبه﴾ يعني قال صاحب البستان للمؤمن وقوله وهو يحاوره يجوز ان يكون حالا من الفاعل او من المفعول مبينا للهيئة اذ لا يلزم من القول المحاورة وهي مراجعة الكلام من حار اى رجع قال تعالى انه ظن ان لن يحور وقال امرؤ القيس

وما المرء الا كالشهاب وضوئه ∘ يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

والنفر العشيرة الذين يذبون عن الرجل وينفرون معه والمعنى ان الكافر ترفع على المؤمن بجاهه وماله ثم اراد ان يظهر للمؤمن كثرة ماله وصنوف ما يملكه مما يوجب البهجة والسرور فاخذ بيد اخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه بهجتها وحسنها وهو قوله تعالى ودخل جنته الخ ﴿قوله لان المراد ما هو جنته﴾ اى ما يقال له انه جنة فلان على ان التعريف فيه للعهد الذهني والمعهود هو الفرد الملحوظ بالاضافة اليه مع قطع النظر عن كونهما قطعتين بينهما مزارع او بقعة واحدة من غير ان يراد بها ما شاهده وقت الدخول او يراد دخول كل واحدة منهما على حدة او باعتبار كونهما بمنزلة جنة واحدة نظرا الى اتصالهما وخلوهما عن نكتة تقييد بهما احداهما ﴿قوله تعالى وهو ظالم﴾ حال من فاعل دخل ولنفسه مفعول ظالم واللام فيه مزيدة لتقوية العامل لكونه فرعا وقوله قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا الظاهر انه مستأنف جيء به بيانا لسبب ظلمه فانه لما راقه واعجبه حسنها وزهرتها ظن انها لا تفنى ابدا وما اكتفى بهذا الكفر بل ضم اليه قوله وما اظن الساعة قائمة لجمع بين كفرين فان قيل هب انه شك في البعث والقيامة فكيف قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا مع ان الحس يدل على ان ما في الدنيا كلها فان معرض الزوال والفناء اجيب بان مراده انها لا تبيد مدة حياته ﴿قوله وانما اقسم على ذلك﴾ يعني ان الكافر بنى جزمه بذلك على مقدمتين الاولى انه تعالى انما اعطاه الجاه والمال في الدنيا لكونه اهلا مستحقا لذلك والثانية ان الاستحقاق باق بعد الموت والمقدمة الاولى كاذبة لان فتح باب الدنيا على الانسان كثيرا ما يكون للاستدراج ﴿قوله لانه اصل مادتك﴾ نظرا الى ان النطفة تتولد من الدم المتولد من الاغذية النباتية المتولدة من التراب فكان التراب مادة بعيدة للانسان والاغذية الحيوانية لابد ان تنتهي الى الغذاء النباتي المنتهي الى التراب ﴿قوله او مادة اصلك﴾ فان آدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من التراب وخلقه سبب في خلق كل احد ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون منشأ كفره بالبعث شكه في كمال قدرة الله تعالى علل انكاره على كفره بالله تعالى باثبات قدرته تعالى لاثبات وجوده ثم ان المؤمن وبخ الكافر على كفره بان قال له ولولا اذ دخلت لما تقرر من ان حرف التحضيض اذا دخل على الماضي يكون للتوبيخ وكلمة ما ان كانت شرطية تكون في محل النصب على انها مفعول شاء قدمت عليه وجوبا احتج اصحابنا بهذه الآية على ان كل ما اراده الله تعالى واقع وما لم يرده لم يقع فثبت انه تعالى لم يرد ايمان الكافر وطاعة العاصي فكانت حجة لنا على المعتزلة ومعنى الآية هلا قلت عند دخولك جنتك ورؤيتك ما انعم الله تعالى به عليك ما شاء الله من ابقائها وافنائها كائن لا معارض لمشيئته وشكرت على النعامه اليك بدل الاشتغال والافتخار بالنعمة عن المنعم وملاحظة التمتع بها دهرا طويلا بناء على طول الامل وتماديا في الغفلة والاغترار بالمهلة روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من اعطى خيرا من اهل او مال فيقال عند ذلك ما شاء الله لا قوة الا بالله لم ير فيه مكروها كذا في الكواشي

(ان ترن انا اقل منك مالا وولدا) يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تأكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترنى وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد (فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك) في الدنيا او في الآخرة لايمانى وهو جواب الشرط (ويرسل عليها) على جنتك لكفرك (حسبانا من السماء) مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة (فتصبح صعيدا زلقا) ارضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها واشجارها (او يصبح ماؤها غورا) غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق (فلن تستطيع له طلبا) للماء الغائر ترددا في رده (واحيط بثمره) واهلك امواله حسبما توعده صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم (فاصبح يقلب كفيه) ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا (على ما انفق فيها) في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فاصبح يندم او حال اى متحسرا على ما انفق فيها (وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها (ويقول) عطف على يقلب او حال من ضميره (ياليتنى لم اشرك بربي احدا) كأنه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى انه لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه (ولم تكن له فئة) وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه (ينصرونه) يقدرون على نصره بدفع الاهلاك اورد المهلك والاتيان بمثله (من دون الله) فانه القادر على ذلك وحده (وما كان منتصرا) ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه (هنالك) في ذلك المقام وتلك الحال (الولاية لله الحق) النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقرير لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) اى لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي الولاية بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه او لا يعبد غيره كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله ياليتنى لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) اذكر لهم ما تشبه الحياة في الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة (كماء) هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صيره (انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته (فاصبح هشيما) مهشوما مكسورا (تذروه الرياح) تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن (وكان الله على كل شئ) من الانشاء والافناء (مقتدرا) قادرا (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب (والباقيات الصالحات) واعمال الخيرات تبقى له ثمرتها ابد الآباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله

﴿قوله يحتمل ان يكون انا فصلا﴾ هذا الاحتمال على تقدير ان يكون الرؤية علمية لانها ان كانت بصرية تعين ان يكون انا تأكيدا لياء المتكلم لان ضمير الفصل يشترط ان يقع بين المبتدأ والخبر او بين ما اصله المبتدأ والخبر

﴿قوله وهى الصواعق﴾ وقيل الحسبان سهام صغار ترمى في القسي الفارسية سميت حسبانا لكونها سهاما معدودة محسوبة تجمع فترمى بمرة واحدة وقيل الحسبان العذاب الا ان ابا بكر الاصم قال عذابا على حساب ما عملوا ويقال اصاب الارض حسبان اى جراد ولعل اصل الحسبان السهام التى ترمى واطلاقه على الصواعق على سبيل الاستعارة وهى القطع من النار تشبيها للصواعق بها ومن قال انه مصدر كالغفران والبطلان ينبغى ان يحمله بمعنى اسم المفعول اى شيأ مما يعد اى يدخل في الحساب ويعتد به من انواع العذاب المرتبة على الكفر الا ان المتبادر من عبارة المصنف ان يكون المراد بالحساب الحكم الازلى والتقدير الالهى المتعلق بتخريب الجنة وبارساله ووقوع المعلوم المقدر عند تعلق الارادة بوقوعه او يكون الحساب على اصل الاعمال السيئة ومقدارها على ان يكون او عذاب معطوفا على قوله التقدير وقوله حساب الاعمال منصوبا بنزع الخافض اى بحسابها والصعيد وجه الارض والزلق والغور في الاصل مصدران وصف بهما مبالغة والمعنى عسى ان يصبح ماؤها وهو النهر الذى في خلالها غائرا ذاهبا في الارض بحيث لا يبقى له اثر حتى تقدر على ان تطلبه وترده الى موضعه وخلاصة كلام المؤمن ارجو ان ارزق ما هو خير وافضل من جنتك وان تهلك جنتك

﴿قوله ظهر البطن﴾ منصوب على انه مفعول مطلق اى يقلب كفيه تقليبا خاصا بالنادمين المتلهفين فان قوله يقلب كفيه كناية عن الندم لان النادم يفعل ذلك فلما كان قوله يقلب متضمنا لمعنى يندم عدى بعلى

﴿قوله او حال﴾ عطف على قوله متعلق بيقلب والمعنى او متعلق بمحذوف على انه حال من فاعل يقلب اى متحسرا على ما انفق

﴿قوله او حال من ضميره﴾ على اعتبار حذف المبتدأ لتكون الجملة اسمية اى يقلب وهو يقول لما تقرر من ان الجملة الحالية ان كانت جملة فعلية والفعل مضارع مثبت امتنع دخول الواو عليها

﴿قوله كأنه تذكر موعظة اخيه﴾ من قوله انت كافر بالله لكنى مؤمن الى قوله ان ترن انا اقل منك فانما اوقع من صنع الله تعالى ان يقلب ما بى وما بك من الفقر والغنى ويرزقنى لايمانى جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك ما انعم به عليك ويخرب بستانك

﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى بالياء﴾ اى بياء التذكير فى لم يكن لتقدم الفعل ووجود الفصل واقامته مقام علامة التأنيث

﴿قوله النصرة له وحده﴾ يعنى ان الولاية فى وهى بالفتح بمعنى تولى الامر والنصرة والمعنى فى ذلك الموضع وتلك الحال يريد الله تعالى اظهار كرامة اوليائه واذلال اعدائه لا يتولى الامر احد غير الله تعالى ينصر من يشاء اعزازه ويخذل من يشاء اذلاله وقرأ حمزة والكسائى الولاية بكسر الواو والمعنى هنالك السلطان والغلبة له تعالى لا يغلب او لا يعبد غيره بل يلتجئ اليه كل مضطر مغلوب فيه فلذلك قال الكافر ياليتنى لم اشرك بربى احدا جزعا مما ساقه اليه شؤم كفره ولو كان ندمه على الشرك ورغبته فى التوحيد بناء على النظر فى الادلة وامتثالا لامر الله وتصديقا لكتابه ونبيه لكان ايمانا مقبولا عند الله تعالى لكن كان ندمه وتوبته عند مشاهدة البأس مبنيا على اعتقاده انه لو كان موحدا غير مشرك ومتعظا بموعظة اخيه لبقيت عليه جنته فلم يقبل ولم يصر به مؤمنا لكونه لاجل طلب الدنيا لا اخلاصا لوجه الله تعالى فالآية بهذا المعنى تكون نظير قوله تعالى فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين

﴿قوله وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد﴾ فانه يؤكد مضمون الجملة التى لها محتمل غيره نحو زيد ابوك حقا وهنالك فى محل النصب على انه ظرف معمول لما تعلق به خبر الولاية وهو قوله لله

﴿قوله اذكر لهم﴾ اى للمشركين الذين استكبروا على فقراء المسلمين وافتخروا باموالهم واعوانهم يريد انه يجوز ان يجعل اضرب بمعنى اذكر فيتعدى الى واحد فعلى هذا يكون كماء انزلناه خبر مبتدأ محذوف اى هو كماء وان يكون بمعنى صير فيكون كماء مفعولا ثانيا

﴿قوله او نجع فى النبات﴾ اى نفذ فتكون الباء فيه للتعدية لا للسببية لان الماء ح هو الذى ينفذ فى النبات ولا ينفذ النبات فى الماء فكان حق العبارة فاختلط بنبات الارض ونجع فيه يقال نجع فيه الدواء اذا نفعه ونجع الطعام اذا هنئ ورف النبات رفيفا اذا اهتز نضارة وتلألأ

﴿قوله مهشوما﴾ من الهشم وهو كسر الشئ اليابس والهشيم من النبات اليابس المتكسر

﴿قوله من الصلوات الخمس الخ﴾ عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما رضى الله عنهم ان الباقيات الصالحات الصلوات الخمس وهى الحسنات يذهبن السيئات وعن سعيد بن جبير انها الصلوات الخمس والجمعة ورمضان الى رمضان والحج الى الحج

(وعن)

والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب (خير عند ربك) من المال والبنين (ثوابا) عائدة (وخير املا) لان صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يأمل بها في الدنيا (ويوم نسير الجبال) واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اي الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت (وترى الارض بارزة) بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على بناء المفعول (وحشرناهم) وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر او لدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد (فلم نغادر) فلم نترك (منهم احدا) يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء (وعرضوا على ربك) شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم (صفا) مصطفين لا يحجب احد احدا (لقد جئتمونا) على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير (كما خلقناكم اول مرة) عراة لا شيء معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله (بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا) وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى (ووضع الكتاب) صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الذنوب (ويقولون يا ويلتنا) ينادون هلكتهم التي هلكوا بها من بين الهلكات (مال هذا الكتاب) تعجبا من شأنه (لا يغادر صغيرة) هنة صغيرة (ولا كبيرة الا احصاها) الا عدها واحاط بها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) مكتوبا في الصحف (ولا يظلم ربك احدا) فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن (كان من الجن) حال باضمار قد او استئناف للتعليل كأنه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن امر ربه) فخرج عن امره بترك السجود والفاء للسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصى البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة

وعن الضحاك انها القرآن وفي رواية عن ابن عباس انها الكلام الطيب وفي رواية عنه انها جميع الاعمال الحسنة فان جميعها باقيات لبقاء اجرها ونفعها وسميت صالحات لانتفاء الفساد عنها وعن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لجلسائه «خذوا جنتكم» قالوا أحضر عدو قال «جنتكم من النار قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانهن المقدمات وهن المعقبات وهن الباقيات الصالحات» وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان عجزتم عن الليل ان تكابدوه وعن العدو ان تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فقولوها فانهن الباقيات الصالحات» **قوله لا يحجب احد احدا** اشارة الى ان اصطفافهم عبارة عن ظهورهم متميزين بحيث يرى جماعتهم كما يرى كل واحد وقوله تعالى صفا حال من مرفوع عرضوا وهو في الاصل مصدر يقال صف صفا ثم يطلق على جماعة المصطفين واختلف في صفا هنا هل هو مفرد وقع موقع الجمع والمراد صفوف بدليل ما ورد في الحديث الصحيح وهو انه «يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد صفوفا» وفي حديث آخر «اهل الجنة مائة وعشرون صفا انتم منها ثمانون صفا» ونظيره في وقوع المفرد موقع الجمع قوله تعالى ثم نخرجكم طفلا اي اطفالا وقيل بل الخلائق يكونون صفا واحدا وهو ابلغ في القدرة واما الحديثان فيحملان على اختلاف الاحوال يوم القيامة لانه طويل مقداره خمسون الف سنة فتارة يكونون فيه صفا واحدا وتارة صفوفا وقيل صفا هنا معناه قياما لقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها صواف اي قياما **قوله على وجه يكون حالا** اي عرضوا وقد قيل لهم لقد جئتمونا او عاملا في يوم نسير الجبال اي نقول لهم يوم نسير الجبال لقد جئتمونا كما خلقناكم وليس المراد تشبيه حال البعث من القبور بحال النشأة الاولى من كل وجه لانهم خلقوا صغارا لا عقل لهم ولا قدرة بل المراد تقريع المشركين المنكرين للبعث المفتخرين على فقراء المسلمين المؤمنين بالاموال والاعوان بان يقال لهم لقد جئتم حفاة بغير اموال ولا اعوان ولقد بعثتم وشاهدتم ان البعث والقيامة حق واقع كما وقع خلقكم اول مرة **قوله وبل للخروج من قصة الى اخرى** يعني ان الاضراب ههنا ليس لابطال القصة الاولى بل للانتقال الى ما هو اهم منها فانه تعالى لما بين خساسة الدنيا بتمثيل حالها بحال النبات الذي يكون بعد حدوثه اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن اتبعها باحوال القيامة ثم اضرب عن بيانها وانتقل عنه الى تقريع الكفار الذين ينكرون البعث والحساب وان في قوله ان لن نجعل مخففة من الثقيلة اي بل زعمتم ان الشأن ان لن نجعل لكم موعدا للبعث تبعثون فيه وتحاسبون **قوله ينادون هلكتهم التي هلكوا بها** الويلة والويل الهلكة لما رأوا اعمالهم محصاة عليهم في كتابهم وعلموا انهم يجازون بها ومهلكون نادوا بالويل والهلاك فان كل من وقع في مهلكة يدعو بها كما في قوله تعالى يا حسرة على العباد فانه نداء للحسرة عليهم كأنه قيل لها تعالى يا حسرة فان هذه الحال من الاحوال التي حقك ان تحضري فيها الا انهم لما نادوا الويلة المضافة الى انفسهم حيث قالوا يا ويلتنا كان المنادى هلكتهم التي هلكوا بها لا جنس الهلاك **قوله هنة صغيرة** الهنة يكنى بها عن الخصلة السوء يقال في فلان هنات اي خصلات شر ولا يقال ذلك في الخير **قوله قرر ذلك** اي قرر قبح الكبر والافتخار ببيان انه من سنن ابليس فانه لما امتنع من السجود لآدم استكبارا وافتخارا بان اصله نار واصل آدم تراب والنار علوي نوراني لطيف فيكون اشرف من التراب الذي هو سفلي ظلماني كثيف واداه ذلك الكبر الى ان صار ملعونا مخلدا في النار بعد ان كان رئيس الملائكة ومقدمهم ومعلمهم واشدهم اجتهادا في العبادة حتى لم يبق في سبع السموات ولا في سبع الارضين موضع قدر شبر الا وقد سجد اللعين لله تعالى عليه سجدة حتى امتلأت من العجب نفسه حيث لم ير احدا مثله فابى ان يسجد لآدم استكبارا فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فلعنه الله تعالى وطرده والملائكة لما خلقوا من النور الروحاني العلوي كان من طبعهم الانقياد لامر الله تعالى والطاعة والعبودية فلذلك لما امروا بالسجود لآدم لم يمتنعوا عن ذلك وسجدوا طوعا ورغبة امتثالا لامر الله تعالى وانقيادا لحكمه كما قال تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون بخلاف ابليس فانه تعالى لما خلقه للضلالة والغواية والضلال والاغواء خلق من النار التي طبعها الاستعلاء والاستكبار ونظمه الله في سلك الملائكة منذ خلقه وكساه كسوة الملائكة تشبث باعمالهم تقليدا لا تحقيقا حتى عد من جملتهم وذكر في زمرتهم بل زاد عليهم في الاجتهاد بالاعتياد والاعتقاد فاتخذوه رئيسا ومعلما لما رأوا منه من الاشتداد والاستزادة في الاجتهاد بالارادة فلما امتحن بالسجود لآدم في جملة الملائكة ظهر ما تقتضيه

الجبلة وخلع عنه كسوة اهل الرغبة والرهبة ليميز الله الخبيث من الطيب فطاشت تلك القادحات وتلاشت منه تلك العبادات وباد المشوم الى طبعه حين تبين الرشد من اهله فسجدت الملائكة وأبى ابليس واستكبر من غيه وظهر انه كان من الجن كأنه قال ماكان ابليس من الملائكة قط طرفة عين بل كان من الذين تولدوا من الجان وهو ابو الجن واصله واول من عصى ربه كما ان آدم عليه الصلاة والسلام اول الانس وابوهم روى انه تعالى لما خلق الارض خلق الجان من مارج من نار يعنى من لهب من نار لادخان لها فكثر نسله وهم الجن بنو الجان فاسكنهم الارض فعبدوا الله دهرا طويلا فى الارض ثم ظهر فيهم البغى والحسد فاقتتلوا وافسدوا فبعث الله تعالى اليهم جندا من الملائكة فهبطوا الى الارض وحاربوا الجن وهزموهم وطردوهم من وجه الارض الى شعوب الجبال وجزائر البحور وروى ان الملائكة سبوا ابليس من بين الجن ونشأ عند الملائكة وكان مقهورا مغلوبا بالالوف منهم فغلبوا عليه فلما كان ابليس داخلا فيهم بالتغليب تناوله امر الملائكة بالسجود لآدم فكان قوله تعالى فسجدوا الا ابليس استثناء متصلا نظرا الى دخوله فيهم بالتغليب ويجوز ان يكون منقطعا وقيل الاستثناء متصل بناء على انه قد كان ملكا من جملة الملائكة فغير الله تعالى صورته وطبعه وصيره الى صورة الجن وطبعهم وسيرهم بعد ابائه واستكباره وكفره فصار ممسوخا كما مسخ الله تعالى بعض بنى آدم فصاروا قردة وخنازير الا انه لما سأل النظرة الى قيام الساعة بقى وصار له نسل والحال ان سائر الممسوخات لاتبقى بعد ثلاثة ايام ولا يصير لها نسل فعلى هذا يكون قوله كان من الجن بمعنى صار من الجن بان مسخت صورته الى صورة الجن وكذا قوله وكان من الكافرين اى صار من الكافرين وقيل معناه كان فى علمه الازلى انه يكون من الجن وقت عصيانه ربه وابائه السجود وكذا قوله وكان من الكافرين معناه كان فى علم الله تعالى انه سيكون كافرا لان جمهور المحققين ذهبوا الى ان ابليس لم يكن كافرا من اول الامر بل انه كان مؤمنا ثم صار كافرا برده امر الله تعالى واستقباحه كما ان عبدة الاصنام كانوا كفرة وقت عبادتهم ثم صاروا مؤمنين بالتبرى منها الى انه لما كان الاعتبار فى الايمان والكفر بالخواتيم وموافاة الموت قيل ان الذى علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة وان صلى وصام قبله اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهذه المقالات منسوبة الى الشيخ الاشعرى رحمه الله تعالى ﴿قوله أعقيب ماوجد منه تتخذونه﴾ حكى الله تعالى اولا عداوة ابليس وذريته لاولاد آدم ثم انكر على الكفار الذين افتخروا على فقراء المسلمين بشرف الانساب وكثرة الاموال والاتباع فى تركهم الدين الحق بناء على التكبر والترفع فكأنه قال تعالى لهم انكم فى هذا الفعل اقتديتم بابليس فى تكبره على آدم وعلمتم ان ابليس عدو لكم فكيف تقتدون به فى طريقته المذمومة وكل من كان غرضه من اظهار العلم والمناظرة التفاخر والتكبر فهو مقتد بابليس فيدخل فى هذا الانكار والتعجب روى عن الشعبى انه قال كنت جالسا يوما اذ اقبل رجل فقال اخبرنى هل لابليس زوجة فقلت ان ذلك العرس ماشهدته ثم ذكرت قوله تعالى أفتتخذونه وذريته اولياء من دونى فعلمت انه لايكون له ذرية الا من زوجة فقلت نعم وعن قتادة انهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه او ذكره فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين والله اعلم ثم انه تعالى لما قرر ان القول الذى قالوه فى الافتخار على الفقراء والاستكبار عليهم اقتداء بابليس عاد بعده الى تهويل احوال يوم القيامة فقال ويوم يقول اى اذكر لهم يوم يقول عطفا على قوله واذ قلنا للملائكة ليعلموا احوالهم واحوال آلهتهم يوم القيامة اذ يقول الله لهم نادوا شركائى اى ادعوا من زعمتم انهم شركائى حتى اعتقدتموهم لعبادة ﴿قوله فدعوهم للاغاثة﴾ بان قالوا لهم انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار ﴿قوله مهلكا يشتركون فيه﴾ على ان يكون الموبق اسم مكان يعنى ان الله تعالى يدخل هؤلاء المشركين فى موضع الهلاك وهو النار ويجعل آلهتهم فى موضع آخر مثل ان يجعل عيسى عليه الصلاة والسلام فى الجنة ويجعل الملائكة الذين ادعوا انهم شركاء لله فى موضع آخر اراده الله تعالى من دار الكرامة فتكون جهنم موبقا بين هؤلاء الكفار وبين الملائكة وعيسى عليهم السلام ﴿قوله او عداوة هى فى شدتها هلاك﴾ على ان يكون الموبق مصدرا وعبر عن العداوة بالهلاك اما على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة فى استلزامها الهلاك واما على المجاز باعتبار مايؤول اليه كأنه قيل جعلنا بينهم عداوة تجرهم وتؤديهم الى الهلاك والتلف كقوله « ولا بغضك تلفا » اى ولا يكن بغضك بحيث يجر الى التلف والهلاك والكلف من كلفت بهذا الامر اى اولعت به وهو اشد الحب ونهاية الكلف الولوع بالشئ مع شغل قلب ومشقة ومنه قول عمر رضى الله عنه وعثمان كلف باقاربه اى شديد الحب لهم

(أفتتخذونه) اعقيب ماوجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب (وذريته) اولاده او اتباعه وسماهم ذرية مجازا (اولياء من دونى) فتستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى (وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) من الله تعالى ابليس وذريته (ماأشهدتهم خلق السموات والارض ولاخلق انفسهم) نفى احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفى الاعتضاد بهم فى ذلك كما صرح به بقوله (وماكنت متخذ المضلين عضدا) اى اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له فى العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ماأشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لايعرفها غيرهم حتى لو آمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لاينبغى لى ان اعتضد بالمضلين لدينى ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه (ويوم يقول) اى الله تعالى للكافرين وقرأ حمزة بالنون (نادوا شركائى الذين زعمتم) انهم شركائى او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابى واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته (فدعوهم) فنادوهم للاغاثة (فلم يستجيبوا لهم) فلم يغيثوهم (وجعلنا بينهم) بين الكفار وآلهتهم (موبقا) مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هى فى شدتها هلاك كقول عمر رضى الله عنه لايكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك

(قوله)

قوله وقيل البين الوصل فلا يكون ظرفا بل يكون مفعولا اوّلا لجعلنا ويكون موبقا مفعولا ثانيا وان جعل
ظرفا يكون موبقا مفعولا اوّلا لجعل ويكون الظرف المقدّم مفعولا ثانيا له ويجوز ان يكون جعلنا بمعنى خلقنا
فيتعدّى الى واحد وتعلق الظرف حينئذ بالجعل او بمحذوف على انه حال من موبقا **قوله مخالطوها**
فسر المواقعة بالمخالطة لان مخالطة الشئ لغيره اذا كانت قوية تامة يقال لها مواقعة **قوله من كل جنس
يحتاجون اليه** لما كان لفظ المثل فى اصل اللغة بمعنى الشبه وفى عرف الناس بمعنى المثل السائر المشبه مضربه
بمورده ويطلق مجازا على كل حالة غريبة وصفة عجيبة وقصة بديعة تشبيها بالمثل السائر فى الغرابة والمثل الذى
تكرّر تقريره فى القرآن بوجوه مختلفة ليس المثل باحد هذه المعانى بل الذى تكرّر فيه هو تقرير دلائل الوحدانية
والنبوّة وتحقيق احوال البعث والقيامة وبيان الاحكام والوعد والوعيد والقصص والامثال وهذه
الامور ليست من قبيل المثل المفسر باحد التفاسير المذكورة الا انها لما كانت امورا مهمة يحتاج الانسان
الى بيانها اشد الاحتياج صح اطلاق لفظ المثل عليها تشبيها لها بالمثل السائر فلذلك قال المصنف فى تفسير الآية
من كل جنس يحتاجون اليه والظاهر ان مفعول صرّفنا محذوف وقوله تعالى من كل مثل صفة لذلك المحذوف
والمعنى ولقد صرّفنا فى هذا القرآن للناس معنى من كل جنس يحتاجون اليه ويجوز ان يكون من كل
مثل هو المفعول على ان تكون كلة من زائدة على رأى الاخفش والكوفيين وشئ فى قوله تعالى اكثر شئ جدلا
وضع موضع الاشياء التى يتأتى منها الجدل اى افضلها واحدا واحدا والمعنى ان الانسان اكثر شئ جدلا من كل شئ
يجادل والتفضيل مستفاد من اضافة افعل التفضيل الى النكرة فانه اذا اضيف الى النكرة المفردة واريد بيان كون
صاحب افعل زائدا على ما اضيف اليه فى المعنى المدلول عليه بالمصدر الذى اشتق منه افعل التفضيل يجب
ان يكون المفضل داخلا فيمن اضيف اليهم فردا منهم ليحصل المقصود من الشركة والزيادة فاذا اضيف الى النكرة المفردة
نحو زيد افضل رجل واكثر شئ جدلا يجب ان تكون النكرة بمعنى الجنس المتناول للمفضل وامثاله ليكون المفضل
بعضا منهم ومشاركا معهم فى اصل الفعل وزائدا عليهم فيه فاذا قيل زيد افضل رجل وهما افضل رجلين
وهم افضل رجال كان معناه زيد افضل من كل رجل وهما افضل من كل رجلين قيس فضلهما بفضلهما
وذكر فى شرح الرضى فى بحث الاضافة ومذهب سيبويه ان اضافة افعل التفضيل حقيقية مطلقا وذلك انه فى حال
الاضافة على ضربين احدهما ان يكون بعض المضاف اليه فيدخل فيه اى فيما اضيف اليه والمعنى ان صاحبه
مفضل فى المعنى الذى وضع له المصدر المشتق هو منه على كل واحد مما بقى منهم بعده من اجزاء المضاف اليه فان زيدا
فى قولك زيد اظرف الناس مفضل فى الظرافة على كل واحد ممن بقى منهم بعده ولا يلزم منه تفضيل الشئ على
نفسه لانك لم تفضله على جميع اجزاء المضاف اليه بل على ما بقى من المضاف اليه بعد خروج هذا المفضل منه
فالاضافة فى هذا المعنى بتقدير اللام كما فى قولك بعض القوم وكلهم وجزؤهم واحدهم فاذا كانت اضافته بهذا
المعنى كاضافة بعض القوم يكون بتقدير اللام مثله فيكون بعضه بدليل قوله تعالى فتبارك الله احسن الخالقين
وثانيهما ان يكون صاحب افعل مفضلا على جميع افراد نوعه مطلقا ثم تضيفه الى شئ للتخصيص سواء كان
ذلك الشئ مشتملا على امثال المفضل نحو زيد افضل اخوته اولم يكن نحو زيد افضل بغداد اى افضل افراد
نوع الانسان وله اختصاص ببغداد فالاضافة اليه لاجل التخصيص كما فى غلام زيد ومصارع مصر لا لتفضيله على اجزاء
المضاف اليه فهذه الاضافة لاجل التخصيص حقيقية اتفاقا بمعنى اللام ثم تقول افعل بالمعنى الاوّل اما ان تضيفه
الى المعرفة او النكرة فان اضفته الى المعرفة لم يجز ان تكون مفردة نحو افضل الرجل وافضل زيد اذ لا يمكن كونه
بعض المضاف اليه بل اذا كان ذلك الواحد من اسماء الاجناس التى يقع لفظ مفردها على القليل والكثير نحو البرنى
اطيب التمر جاز والرجل ليس جنسا بهذا المعنى فقولك زيد افضل الرجلين اى احدهما المفضل على الآخر وافضل
الرجال اى احدهم المفضل على كل واحد من الباقين واما اذا اضفته الى النكرة فيجوز اضافته الى الواحد والمثنى
والمجموع نحو زيد افضل رجل والزيدان افضل رجلين والزيدون افضل رجال اى احدهم فيطابق صاحب افعل
والمضاف اليه افرادا وتثنية وجمعا وانما جاز اىّ رجل هو واىّ رجلين هما واىّ رجال هم مع ان المجرور فى جميعها
ليس فى الظاهر جملة معينة لكون المضاف بعضا منها لان المراد بكل واحد من هذه المجرورات الجنس المستغرق الجميع
من المسئول ومن امثاله فيكون فى الحقيقة منضما الى المسئول وامثاله فمعنى اىّ رجل اىّ قسم من اقسام الرجال

وقيل البين الوصل اى جعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيامة (ورأى المجرمون النار فظنوا) فأيقنوا (انهم مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) انصرافا او مكانا ينصرفون اليه (ولقد صرّفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل) من كل جنس يحتاجون اليه (وكان الانسان اكثر شئ) يتأتى منه الجدل

(جدلا) خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز (ومامنع الناس ان يؤمنوا) من الايمان (اذجاءهم الهدى) وهو الرسول الداعي والقرآن المبين (ويستغفروا ربهم) ومن الاستغفار من الذنوب (الا ان تأتيهم سنة الاولين) الا طلب او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه (او يأتيهم العذاب) عذاب الآخرة (قبلا) عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب (ومانرسل المرسلين الامبشرين ومنذرين) للمؤمنين والكافرين (ويجادل الذين كفروا بالباطل) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا (ليدحضوا به) ليزيلوا بالجدال (الحق) عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ماانتم الابشر مثلنا ولوشاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك (واتخذوا آياتي) يعني القرآن (وماانذروا) وانذارهم او والذي انذروابه من العقاب (هزوا) استهزاء وقرئ هزأ بالسكون وهو مايستهزأ به على التقديرين (ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن (فاعرض عنها) فلم يتدبرها ولم يتذكربها (ونسي ماقدمت يداه) من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتها (انا جعلنا على قلوبهم اكنة) تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم (ان يفقهوه) كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى (وفي آذانهم وقرا) يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا) تحقيقا ولا تقليدا لانهم لايفقهون ولايسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله مالي لاادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لويؤاخذهم بماكسبوا لعجل لهم العذاب) استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر او يوم القيامة (لن يجدوا من دونه موئلا) منجى ولاملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه (وتلك القرى) يعني قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره (اهلكناهم) اومفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولابد من تقدير مضاف في احدهما ليكون مرجع الضمائر (لما ظلموا) كقريش بالتكذيب والمرآء وانواع المعاصي (وجعلنا لمهلكهم موعدا) لاهلاكهم وقتا معلوما لايستأخرون عنه ساعة ولايستقدمون فليعتبروا بهم ولايغتروا (ارتحل) بتأخير العذاب عنهم وقرأ ابوبكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ماشذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض (واذقال موسى) مقدر باذكر

اذاقسموا رجلا رجلا واي رجلين اي اي قسم من اقسام هذا الجنس اذا قسم رجلين رجلين وكذا يجوز زيد افضل رجل اي افضل اقسام هذا الجنس اذا قسم رجلا رجلا الى هنا كلام الرضي رحمه الله تعالى ﴿ قوله خصومة بالباطل ﴾ فان القرآن الكريم قد كرر الله فيه تقرير جميع مايحتاج اليه الانسان في كل واحدة من الشأنين بوجوه مختلفة واساليب عجيبة يتحير الناظرون فيها بالتأمل والاستبصار من اجل فضل الله تعالى ورحمته لعباده ومع هذا فانهم لايتدبرون دلائله ومافيه من الهدى والبيان لكونهم مجبولين على المجادلة والمخاصمة والعناد وبها يقطعون الطريق على انفسهم فتارة يجادلون مع الانبياء ولايقبلونهم بالنبوة والرسالة ويقاتلونهم وتارة يجادلون في الكتب المنزلة ويقولون ماانزل الله على بشر من شئ وتارة يجادلون في متشابهاتها وتارة في ناسخها ومنسوخها وتارة في قدمها وحدوثها ونحو ذلك ولو تفرغوا من المجادلة الى المعادلة والمجاهدة ومن المنازعة الى التعلم والمطاوعة لامتلأت قلوبهم بنور المعرفة والهداية وتوصلوا بذلك الى عز الدارين وكان الانسان ظلوما جهولا ﴿ قوله من الايمان ﴾ اورد كلمة من لتوضيح المعنى ولا ضرورة الى تقديرها لان منع قد يتعدى الى مفعوله الثاني بنفسه تقول اعطيته مالا ومنعته شرا فان قوله ان يؤمنوا منصوب المحل على انه مفعول ثان لمنع وقوله الا ان تأتيهم مرفوع المحل على الفاعلية واذ ظرف لمنع ﴿ قوله وهو الاستئصال ﴾ اي سنة الله تعالى في المصرين على الكفر والعناد بعد قيام الحجة وظهور الآيات ان يعذبوا بعذاب الاستئصال وذلك لم يتحقق بعد في حقهم حتى يجعل مانعا من ايمانهم فوجب تقدير المضاف اذهم لايجعلون ايمانهم موقوفا على نزول عذاب الاستئصال او عذاب الآخرة لان العاقل لايرضى بحصول هذين الامرين الا انه قيل في حقهم انهم يزعمون ان الايمان متوقف على نزول احد الامرين وقد عدم حصول الموقوف عليه تشبيها لحالهم بحال من يعتقد توقف الايمان على احدهما ويترقب نزوله من عنده ومحصول المعنى لم يمنع الناس من الايمان الا التعنت والعناد لانه قد ظهر لهم من الحجج والآيات مالو لم يعاندوا ولا كابروا الزمهم الايمان بها والتصديق لكن الذي منعهم من الايمان ماذكر من عنادهم وقيل معنى الآية مامنع كفار مكة من الايمان بعد قيام البرهان الا اني قدرت في حقهم ماهو سنتي فيمن قبلهم من المكذبين من التعذيب فتكون الآية نازلة فيمن قتل من المشركين يوم بدر ﴿ قوله وهو لغة فيه ﴾ الجوهري رأيته قبلا وقبلا بالضم اي مقابلة وعيانا ورأيته قبلا بكسر القاف اي عيانا والقبيل الكفيل والجماعة من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب والجمع قبل وقوله تعالى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا قال الاخفش اي قبيلا وقال الحسن عيانا ﴿ قوله استهزاء ﴾ من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة والا فالقرآن وانذارهم العقاب المنذر به ليس شئ منهما استهزاء وانما المستهزئ بهما الجوهري الهزؤ والهزؤ السخرية تقول هزئت منه وهزئت به واستهزأت به والهزأة بالتحريك من يهزأ بالناس ﴿ قوله على تقدير قوله مالي لاادعوهم ﴾ متعلق بقوله وجواب وقوله فان حرصه على اسلامهم بيان لمايدل على المقدر يعني ان الجملة الشرطية جواب لقوله عليه الصلاة والسلام المدلول عليه بماهو عليه من حرصه على اسلامهم فانه عليه الصلاة والسلام لما قيل له انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا فهم منه انه قيل له انهم ماؤفوا القلوب والآذان فاعرض عنهم واترك دعوتهم فنزل لكمال حرصه على اسلامهم منزلة من يسأل ويقول مالي لاادعوهم وقد بعثت للدعوة فاجيب عن هذا السؤال المقدر بانك ان تدعهم الى الهدى فلن يتأثروا بدعوتك اذا اي في تلك الحال وهي كونهم مطبوعا على قلوبهم وآذانهم ولما اشتمل الجواب على الشرط الذي هو سبب كان مابعد اذا جزاء مسببا عنه فصح ان اذا جواب وجزاء ﴿ قوله ولابد من تقدير مضاف في احدهما ﴾ اي اما في تلك او في القرى اي اهل تلك القرى او تلك اصحاب القرى ﴿ قوله لاهلاكهم ﴾ اشارة الى ان المهلك بضم الميم وفتح اللام على وزن اسم المفعول مصدر اهلك ومن قرأه بفتحتين جعله مصدرا جاريا من الثلاثي على القياس ﴿ قوله مقدر باذكر ﴾ عطف على قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اي واذكر يامحمد لهؤلاء المشركين المتكبرين على فقرآء المسلمين قصة موسى عليه الصلاة والسلام وتواضعه الذي ذهب اليه بتعلمه وفيه تقريعهم على تكبرهم ومدح المؤمنين على تواضعهم وفيه ايضا تعريض اهل الكتاب والمشركين ان اخفاء اصحاب الكهف وذي القرنين عن محمد صلى الله عليه وسلم وتأخر الوحي عنه لايدل على انه ليس بنبي فان موسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا اصطفاه الله تعالى بكلامه وبانزال التوراة عليه ثم ذهب يتعلم من العلم ماعند غيره واي بعد في ان يكون العالم الكامل في اكثر العلوم يجهل بعض الاشياء فيحتاج في تعلمها الى من دونه فلذلك

ارتحل موسى عليه الصلاة والسلام الى الخضر وقال له هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا فظهر ان هذه القصة مع كونها قصة مستقلة فى نفسها فهى نافعة فى تقرير المقصود من القصتين المتقدمتين ﴿قوله وقوله حتى ابلغ﴾ مجرور بالعطف على المجرور بالاضافة فى قوله لدلالة حاله وقوله عليه اى على الخبر متعلق بالدلالة وتوضيح المقام ان لا ابرح يجوز ان يكون من الافعال الناقصة المستدعية خبرا منصوبا من قولهم لا ابرح افعل ذلك اى لا ازال افعله من زال يزال وان يكون من الافعال التامة الغير المحتاجة الى الخبر من قولهم برح مكانه اى زال عنه وصار الى البراح وهو المتسع من الارض لازرع فيه ولا شجر من زال يزول زوالا وأزاله غيره فذكر المصنف اوّلا انه من الافعال الناقصة لكن حذف خبره لان الحال والكلام يدلان عليه معا اما الحال فلأنها كانت حال سفر واما الكلام فلأن قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعى ماهى غاية له فلابدّ ان يكون المعنى لا ابرح ولا ازال اسير واسافر حتى ابلغ ثم ذكر وجها آخر لكونه من الافعال الناقصة وهو ان فى الكلام حذف مضاف تقديره لايبرح مسيرى ثم حذف المضاف واقيم به المتكلم مقامه فانقلبت مرفوعة مستترة بعد ان كانت مجرورة المحل بارزة وكذا انقلب الفعل من لفظ الغائب الى لفظ التكلم وبقى حتى ابلغ هو الخبر وفيه بحث وهو ان هذه الجملة خالية عن ضمير ربطها ويعود الى قوله مسيرى فكيف تكون هذه الجملة خبرا عن مسيرى فى الاصل والضمير الذى فيها يعود الى ضمير المتكلم الذى اضيف اليه المسير وذلك لايكتفى به رابطا الا ان يقال العائد محذوف تقديره حتى ابلغ به اى بمسيرى او يقال جعلها خبرا على طريق التوسع والمسامحة اقامة لما هو غاية الخبر مقام الخبر والتقدير لايبرح مسيرى حاصلا او مستمرا حتى ابلغ وفرقه من الوجه الاوّل مع اشتراك الوجهين فى حذف الخبر أنّ حذف الخبر فى الوجه الثانى متفرّع على حذف المضاف من الاسم بخلاف الوجه الاوّل فهما متغايران فى التفريع الصورى وان اتحدا فى الاحتياج الى حذف الخبر ثم ذكر وجها آخر وهو ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول على حذف الصلة اى لا ازول عما انا عليه من السير ولا افارقه ولا اتركه حتى ابلغ وعلى هذا الوجه وان لم يحذف الخبر لكن حذف المفعول الغير الصريح فالحذف لابدّ منه على كل واحد من التقديرين ﴿قوله وعد لقاء الخضر فيه﴾ روى ان موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه اىّ عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولاينسانى قال فاىّ عبادك اقضى قال الذى يقضى ولايتبع الهوى قال فاىّ عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او تردّه عن ردى فقال موسى ان كان فى عبادك من هو اعلم منى فادللنى عليه فقال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان حتى بلغا مجمع بينهما فرقد موسى فاضطرب الحوت عند الصخرة فطفر الى البحر وسار وقيل ان يوشع توضأ فى ذلك المكان من عين تسمى ماء الحياة لايصيب ذلك الماء شيأ الا يحيى فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب فى الماء وقيل انفجر هناك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة وهى فى المكتل فاضطربت وعاشت فوثبت فى البحر والحاصل انه تعالى بين لموسى عليه الصلاة والسلام ان هذا العالم موضعه مجمع البحرين وماعين له موضعا بعينه لكن جعل انقلاب الحوت حيا علامة دالة على مسكنه المعين ﴿قوله والمعنى حتى يقع اما بلوغ الجمع او مضىّ الحقب﴾ حقبا منصوب على الظرفية ﴿قوله او حتى ابلغ الا ان﴾ يعنى ان كلمة او بمعنى الا ان اى لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع البحرين الا ان امضى زمانا اتيقن معه فوات مجمع البحرين ﴿قوله فاعجب بها﴾ اى استحسن تلك الخطبة لبلاغتها واشتمالها على المعارف والعلوم الكثيرة من قولهم اعجبنى هذا الشئ لحسنه ﴿قوله وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر﴾ وهو من اولاد سام بن نوح لقى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فطاف الدنيا والخضر على مقدمته وسدّ يأجوج ومأجوج وبنى الاسكندرية واما ذو القرنين الاصغر فهو اليونانى الذى قتل دارى وسلب ملكه وتزوّج ابنته واجتمع له ملك الروم وفارس وطاف الدنيا وبلغ الظلمات وقال الامام اختلف الناس فى ان ذا القرنين من هو وذكروا اقوالا الاوّل انه هو الاسكندر بن فيلبوس اليونانى قالوا والدليل عليه ان القرآن دل على ان الرجل المسمى بذى القرنين بلغ ملكه الى المغرب بدليل قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة وايضا بلغ ملكه اقصى المشرق وان يأجوج ومأجوج قوم من الترك يسكنون فى اقصى الشمال بدليل ان السدّ المذكور فى القرآن يقال فى كتب التاريخ انه مبنى فى اقصى

(لفتاه) يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده (لا ابرح) اى لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله (حتى ابلغ مجمع البحرين) من حيث انها تستدعى ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لايبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلايستدعى الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع (او امضى حقبا) او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضىّ الحقب او حتى ابلغ الا ان امضى زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روى ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى ايام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه اىّ عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولاينسانى قال فاىّ عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولايتبع الهوى قال فاىّ عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او تردّه عن ردى فقال ان كان فى عبادك اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرنى فذهبا يمشيان

(فلما بلغا مجمع بينهما) اى مجمع البحرين
وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع
او بمعنى الوصل (نسيا حوتهما) نسى
موسى ان يطلبه ويتعرّف حاله ويوشع ان
يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه فى البحر
روى ان موسى رقد فاضطرب الحوت
المشوى ووثب فى البحر معجزة لموسى
او الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة
فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء وقيل
نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على
الظفر بالمطلوب (فاتخذ سبيله فى البحر سربا)
فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا من قوله
وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء
على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه
على المفعول الثانى وفى البحر حال منه او من
السبيل ويجوز تعلقه باتخذ (فلما جاوزا)
مجمع البحرين

الشمال فهذا المسمى بذى القرنين قد دل القرآن على ان ملكه بلغ اقصى المشرق والمغرب والشمال وهذا هو تمام القدر المعمور من الارض ومثل هذا الملك البسيط لاشك انه على خلاف العادات وما كان كذلك وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الدهر وان لايبقى مستترا والملك الذى اشتهر فى كتب التواريخ انه بلغ ملكه الى هذا الحد ليس الا الاسكندر وذلك انه لما مات ابوه فيلبوس جمع ملوك الروم بعد ان كانوا طغاة ثم جمع ملوك المغرب وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بنى اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح فى مذبحهم ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه الى دارى بن دارى وهزمه مرات الى ان قتله صاحب حرسه فاستولى الاسكندر على ممالك الفرس ثم قصد الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدائن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها فلما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية او ما يقرب منها وثبت بعلم التواريخ ان الذى هذا شأنه ما كان الا الاسكندر وجب القطع بان المراد بذى القرنين هو الاسكندر بن فيلبوس اليونانى * ثم قال الامام الا ان فيه اشكالا قويا وهو انه كان تلميذ ارسطاطاليس الحكيم وهو على مذهبه فتعظيم الله تعالى اياه يوجب الحكم بان مذهب ارسطاطاليس حق وصدق وذلك مما لاسبيل اليه * واجيب عنه بما روى من ان الخضر كان على مقدمة ذى القرنين فدعاه الخضر عليه السلام الى الاسلام فاسلم وكان على ملة الخليل عليه الصلاة والسلام وقد استوزره فلم يقبل منه وانقطع بسببه وبهذا يندفع الاشكال المذكور ان صح والله اعلم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كان الخضر ابن ملك من الملوك فاراد ابوه ان يستخلفه من بعده فلم يقبل وهرب منه ولحق بجزائر البحر فطلبه ابوه فلم يقدر عليه ﴿قوله اى مجمع البحرين﴾ يعنى ان ضمير بينهما البحرين وان حق الاجتماع ان يضاف الى البحرين لا الى البين وانما اضيف الى البين توسعا قال الامام اجمع المفسرون على ان المعنى انطلقا الى ان بلغا مجمع البحرين بارجاع ضمير بينهما الى البحرين ويحتمل ان يرجع الى موسى والخضر عليهما السلام ويكون المعنى ولما بلغا الموضع الذى هو مجمع موسى وصاحبه الذى كان يقصده لان ذلك الموضع الذى وقع فيه نسيان الحوت هو الموضع الذى كان الخضر يسكن فيه او يسكن بقربه والظاهر ان لفظ البحرين على هذا الاحتمال باق على اصل معناه لا كما قيل من ان البحرين موسى والخضر عليهما السلام ﴿قوله نسى موسى ان يطلبه ويتعرّف حاله﴾ قيل النسيان فعل يوشع وحده والكلام على حذف المضاف اى نسى احدهما كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمصنف لم يرض به بل جعل النسيان مسندا اليهما على معنى نسيا امر الحوت نسى موسى ان يتعرّف حاله ونسى يوشع ان يذكر لموسى ما شاهد من الحوت وهو اضطرابه ووثبته فى البحر ذاهبا فيه وقدّر المضاف ومن المعلوم انه ليس المراد من نسيان الحوت نسيان ذاته بل نسيان حاله قيل انهما خرجا من الشام وذهبا نحو أرمينية فانتهيا الى الصخرة التى قيل لموسى انك تجد عندها العبد الصالح الذى تطلبه فلما انتهيا اليها وضع موسى عليه الصلاة والسلام رأسه فنام فاضطرب الحوت ووثب فى البحر وشاهده يوشع ورآه ولم يره موسى ونسى يوشع ان يذكر امره لموسى وتوضيح الفرق بين قوله نسى موسى ان يطلبه وبين قوله وقيل نسيا تفقد امره الخ يتوقف على بيان مقدمة وهى انه تعالى بين لموسى عليه الصلاة والسلام ان موضع الخضر بمجمع البحرين ثم ان ذلك المجمع لما كان متسعا عريضا لايتعين ان موضع ملاقاة الخضر من ذلك المكان المتسع اىّ موضع هو جعل فقدان الحوت المشوىّ علامة دالة على الظفر بالمطلوب وتعيين مكانه من بين ذلك المكان المتسع الذى عبر عنه بمجمع البحرين فلما بلغا ذلك المجمع الذى يتعين به مكان الخضر بنوع تعين كان على موسى عليه الصلاة والسلام ان يطلب ما به يتعين خصوص مسكنه ويتعرّف حاله هل هو باق فى المكتل او مفقود ذاهب وكان على يوشع ان يذكر له ما رأى من حاله فنسى كل واحد منهما ما هو اللائق بحاله وارتحلا من ذلك الموضع من غير ان يطلب موسى عليه الصلاة والسلام الحوت ويتعرّف حاله ومن غير ان يذكر يوشع ما رأى من حياة الحوت ودخوله البحر وهذا ما اختاره المصنف وذكره بقوله نسى موسى ان يطلبه الخ ولم يرض بقول من قال ان ما نسيه كل واحد منهما امر واحد وهو تفقد ما يكون امارة على الظفر بالمطلوب من احوال الحوت لان هذا هو الذى نسيه موسى واما يوشع فقد شاهد من الحوت هذه الامارة والثانى ان يذكرها لموسى ﴿قوله مسلكا﴾ على ان السرب مصدر كالطلب اريد به الموضع والمذهب يسرب فيه اى يسلك ويذهب فيه من قولهم سرب اى ذهب على

(قال لفتاه آتنا غداءنا) ماتتغدى به (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغداة الى الظهر ألقي عليه الجوع والنصب وقيل لم يعي موسى في سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة (قال أرأيت اذ أوينا) أرأيت ما دهاني اذ أوينا (الى الصخرة) يعني الصخرة التي رقد عندها موسى وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت (فاني نسيت الحوت) فقدته او نسيت ذكره بما رأيت منه (وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره) اي وما انساني ذكره الا الشيطان فان أن أذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكره وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لاينسى مثلها لكنه لما ضري بمشاهدة امثالها عند موسى وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لأن عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان صاحبها (واتخذ سبيله في البحر عجبا) سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثاني هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اي قال في آخر كلامه او موسى في جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اي اتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجبا (قال ذلك) اي امر الحوت (ما كنا نبغ) نطلب لانه امارة المطلوب (فارتدا على آثارهما) فرجعا في الطريق الذي جاآ فيه (قصصا) يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى أتيا الصخرة (فوجدا عبدا من عبادنا) والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس (آتيناه رحمة من عندنا) هي الوحي والنبوة (وعلمناه من لدنا علما) مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب (قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن) على شرط ان تعلمني وهو في موضع الحال من الكاف (مما علمت رشدا) علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمني ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذي له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره مالم يكن شرطا في ابواب الدين فان الرسول ينبغي ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لامطلقا وقد راعى في ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه (قال انك لن تستطيع معي صبرا) نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنه مما لايصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله (وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) اي وكيف تصبر وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره (قال ستجدني ان شاء الله صابرا) معك غير منكر عليك (ولا اعصي لك امرا) عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد بلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى

وجهه في الارض والسرب ايضا بيت في الارض لامنفذ له واذا كان له منفذ يقال له نفق والجوهري النفق سرب في الارض له مخلص الى مكان قيل ومنه السرب في الآية روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال معنى جعل سبيله في البحر سربا انه دخل في البحر كما يدخل في السرب كأن الماء ارتفع بعضه فصار كالطاق والكوة فذهب الحوت فيه فصار الماء على الحوت كالطاق وصار الحوت في البحر كأنه في السرب ﴿ قوله ماتتغدى به ﴾ الغداء مايعد للاكل غدوة والعشاء مايعد للاكل عشية ﴿ قوله قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد ﴾ فيكون حكمة هذا الاشارة الى سيرهما بعد المجاوزة وكان هذا السير اتعب لهما مما سبق لان رجاء المطلوب يقرب البعيد والخيبة تبعد القريب ولهذا ورد في الحديث ان موسى عليه الصلاة والسلام لم ينصب الا منذ جاوز الموضع الذي حده الله تعالى ﴿ قوله أرأيت ما دهاني اذ أوينا ﴾ يعني ان قوله ارأيت بمعنى اخبرني حذف مفعوله الذي هو المستخبر عنه وهو المظروف لقوله اذ أوينا وهو ظرف قوله فاني نسيت الحوت وحذف لدلالة مقام الحيرة عليه ونهر الزيت علم لنهر هناك سمي نهر الزيت لكثرة اشجار الزيت على شاطئه ﴿ قوله تعالى وما انسانيه الا الشيطان ﴾ قرأ حفص بضم الهاء فيه وفي قوله في سورة الفتح عليه في الوصل والباقون بكسرها فيهما وان اذكره في محل النصب على انه بدل من هاء انسانيه بدل اشتمال اي انساني ذكره ﴿ قوله سبيلا عجبا ﴾ على ان يكون فاعل اتخذ ضمير الحوت وسبيله اول مفعولي اتخذ وفي البحر يجوز ان يتعلق بقوله اتخذ وان يتعلق بمحذوف على انه حال من المفعول الاول او الثاني وعجبا صفة لمحذوف هو ثاني المفعولين ﴿ قوله او اتخاذا عجبا ﴾ على ان عجبا صفة محذوف هو مفعول مطلق لاتخذ وفي البحر هو المفعول الثاني ﴿ قوله او موسى في جوابه ﴾ عطف على المستتر في قال لقيام الفصل مقام التأكيد اي قال فتى موسى في آخر كلامه عجبا اي عجبت عجبا فحكى الله تعالى ذلك او قال موسى ذلك في جواب فتاه فحكى الله تعالى ذلك عنه وهذا الاحتمال الاخير ليس مما يعول عليه لان موسى عليه الصلاة والسلام لما قال ليوشع آتنا غداءنا اجابه بقوله ارأيت اذ أوينا الى الصخرة وهي كلمة تعجب وقال واتخذ سبيله في البحر اي تعجب فتى موسى من ذلك فحكى الله تعالى تعجبه والارتياب في نفسه بعيد من بلاغة التنزيل بل ينبغي ان يكون عجبا مقول فتى موسى ﴿ قوله يقصان قصصا ﴾ على ان قصصا مصدر منصوب بفعل مقدر من لفظه او مصدر لقوله فارتدا على آثارهما لان معناه اقتصا على آثارهما ﴿ قوله او مقتصين ﴾ على انه مصدر بمعنى اسم الفاعل فنصبه على الحال ﴿ قوله تعالى علما ﴾ مفعول ثان لعلمناه ولو كان مفعولا مطلقا لقيل تعليما وقوله من لدنا يجوز ان يتعلق بالفعل قبله او بمحذوف على انه حال من علما ﴿ قوله وهو في موضع الحال من الكاف ﴾ في اتبعك اي اتبعك باذلا لي علمك ﴿ قوله او مصدرا باضمار فعله ﴾ اي على ان تعلمني وترشدني رشدا او مما علمت وارشدت رشدا ﴿ قوله فاستجهل نفسه ﴾ فان قوله على ان تعلمني اقرار منه على نفسه بالجهل وعلى استاذه بالعلم وقوله مما علمت كلمة من فيه للتبعيض فطلب تعليم بعض ماعلم كأنه يقول لااطلب منك ان تجعلني مساويا لك في العلم بل اطلب منك ان تعطيني بعض ما علمت روي انه لما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال له الخضر كفى بالتوراة علما وبني اسرائيل شغلا فقال له موسى ان الله امرني بهذا فحينئذ قال له انك لن تستطيع معي صبرا وانما قال ذلك لانه علم انه يرى امورا كثيرة منكرة بحسب الظاهر ولايجوز للانبياء ان يصبروا على المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا وخبرا تمييز لقوله لم تحط وهو منقول من الفاعلية اذ الاصل بما لم يحط به خبرك اي علمك ويجوز ان يكون مفعولا مطلقا من غير لفظ الفعل لان قوله لم تحط به بمعنى لم تخبره خبرا الجوهري من اين خبرت هذا الامر اي من اين علمت والاسم الخبر بالضم وهو العلم بالشيء وقولهم لاخبرن خبرك اي لاعلمن خبر علمك ﴿ قوله وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى ﴾ فان الصبر في مقام التوقف واجب مأمور به فلو كان جميع ما امر الله به واوجبه على العبد قد اراده الله تعالى لما كان لتعليق صبره بمشيئة الله فائدة فان كلمة ان تفيد الشك فقوله ستجدني ان شاء الله معناه ستجدني صابرا ان شاء الله كوني صابرا وهذا يقتضي وقوع الشك في ان الله تعالى هل يريد كونه صابرا اولا وكونه مشكوكا فيه يدل على انه تعالى قد لايريد من العبد ما اوجبه عليه وانه تعالى قد يأمر بالشيء مع انه لايريده لا كما زعمت المعتزلة من ان الامر يستلزم الارادة ولما كان تحقق مشيئة الله تعالى غيبا لايعلم حصولها الا اذا علم حصول متعلقها كان تعليق ما التزمه من الصبر بحصولها موهما لكونه غير

(قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ) فلا تفاتحنى بالسؤال عن شئ انكرته منى ولم تعلم وجه صحته (حتى احدث لك منه ذكرا) حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألنى بالنون الثقيلة (فانطلقا) على الساحل يطلبان السفينة (حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها) اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من ألواحها (قال أخرقتها لتغرق اهلها) فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضى الى غرق اهلها وقرئ لتغرّق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائى ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل (لقد جئت شيأ امرا) أتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم (قال ألم اقل انك لن تستطيع معى صبرا) تذكير لما ذكره قبل (قال لا تؤاخذنى بما نسيت) بالذى نسيته اوبشئ نسيته يعنى وصيته بان لا يعترض عليه او بنسيانى اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه فى معرض النهى عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شئ آخر نسيه (ولا ترهقنى من امرى عسرا) ولا تغشنى عسرا من امرى بالمضايقة والمؤاخذة على المنسى فان ذلك يعسر علىّ متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين (فانطلقا) اى بعدما خرجا من السفينة (حتى اذا لقيا غلاما فقتله) قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه قتله من غير تروّ واستكشاف حال ولذلك (قال أقتلت نفسا زاكية بغير نفس) اى طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التى لم تذنب قط والزكية التى اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم اوانه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضى قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه السلام مستأنفا وفى الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله (لقد جئت شيأ نكرا) اى منكرا وقرأ نافع فى رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر بضمتين (قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا) زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد فى الاستنكار ثانى مرة (قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى) اى وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبنى اى فلا تجعلنى صاحبك (قد بلغت من لدنى عذرا) قد وجدت عذرا من قبلى لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى موسى استحيى فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع من لدنى بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله * قدنى من نصر الخبيبين قدى * وابو بكر لدنى بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد (فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية) قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل ارمينية (استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما) وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال (فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض) يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال * يريد الرمح صدر ابى براء * ويعدل عن دماء بنى عقيل * وقال آخر * ان دهرا يلف شملى بجمل * لزمان يهم بالاحسان * وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا (فاقامه) بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه (قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا) تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به

عازم عليه ومعلوم انه عازم على الصبر فيكون تعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعله بصعوبة الامر لا لكونه غير عازم على الصبر كتعليق من قال انت طالق ان شاء الله فانه لا يقع الطلاق ولا يكون الزوج عازما على الطلاق بهذا القول والمقصود من هذا الكلام دفع ما يقال من ان ما حكاه الله تعالى عن الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام يستلزم صدور الكذب من احدهما فان الخضر قال لموسى انك لن تستطيع معى صبرا وقال موسى ستجدنى ان شاء الله صابرا وكل واحد من هذين القولين يكذب الآخر فيلزم الحاق الكذب باحدهما وصدور الكذب من احدهما ينافى عصمة الانبياء * وتقرير الجواب انه لم يحصل صدور الكذب من واحد منهما اما من الخضر فلتحقق عدم الصبر من موسى باستخباره عما رأى من الخضر وانكره نظرا الى ظاهره واما من موسى فانه قد استثنى فى جوابه وقال ستجدنى ان شاء الله صابرا فان التعليق بالمشيئة يدفع الحنث وينافى الكذب وقيل انه من معاريض الكلام بان لا يكون النسيان بمعنى الترك بل اراد به ما يقابل الذكر الا انه لا يراد به نسيان وصيته بل النسيان فى الجملة اذ الانسان لا يخلو عن نسيان لما روى عن ابن عباس انه سمى انسانا لانه عهد اليه فنسى والتعريض خلاف التصريح وذلك يكون بان تصرّح بذكر شئ وتميل كلامك الى عرض وناحية لم تذكر كقولك ما اقبح البخل تعرّض بالمخاطب انه بخيل فعلى الاول قد كان موسى نسى وصية الخضر حقيقة ونهاه عن المؤاخذة معتذرا بالنسيان المانع عنها وعلى الثانى لم ينس فى نفس الامر بل نهاه عن اخذه بالنسيان موهما من قبيل المعاريض او حمل النسيان على الترك لان المؤاخذة بالنسيان حقيقة مما لا يصدر من النبى فلا يحتاج الى النهى عنها وجعل صورة النهى فى الوجه الاول طريقا الى الاعتذار بالنسيان الناشئ عن قلة التحفظ ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فصله بقوله لقد جئت شيأ نكرا فان النكر اعظم من الامر فى القبح لان ما يشتد ويعظم من الامور لا يلزم ان يكون منكرا والشئ انما يكون نكرا اذا انكرته العقول ونفرت عنه الطباع والنفوس ﴿قوله قدنى من نصر الخبيبين قدى﴾ اكتفى بتحريك الدال من قدى من نون الوقاية والخبيبان عبد الله بن الزبير وابنه خبيب وقيل هو واخوه مصعب ومن روى الخبيبين على الجمع اراد انه لا تتم وقرأ ابو بكر لدنى بضم الدال وتشديد النون وعن الزجاج قال اجود القراآت تشديد النون لان اصل لدن الاسكان فاذا اضفته الى نفسك زدت نونا ليسلم سكون النون الاصلية فتقول من لدنى كما تقول منى وعنى ومن قال لدنى لم يجز له ان يقول منى وعنى بترك نون الوقاية لان لدن اسم غير متمكن فلا ضير فى تحريك آخره بخلاف من وعن فانهما حرفان والدليل على ان الاسماء يجوز فيها حذف النون قولهم قدى فى قدنى فان قد اسم غير متمكن * قال الجوهرى بعد ما ذكر ان كلمة قد حرف لا تدخل الا على الافعال واما قولهم قدك بمعنى حسبك فهو اسم وتقول قدى وقدنى ايضا بالنون على غير القياس لان هذه النون انما تزاد فى الافعال وقاية لها عن صورة الجرّ مثل ضربنى وشتمنى ﴿قوله تعالى استطعما اهلها﴾ اى سألاهم الطعام فان آخر كسب الجائع الاقدام على المسألة والاستطعام وهو امر مباح فى كل الشرائع وربما يجب ذلك عند خوف التلف والضرر الشديد عن ابى بن كعب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كانوا اهل قرية لئاما * قال الامام رأيت فى كتب الحكايات ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل من الذهب وقالوا يا رسول الله نشترى بهذا الذهب ان تجعل الباء تاء حتى تصير القراءة هكذا فأتوا أن يضيفوهما اى اتوا لان يضيفوهما اى اتيان اهل تلك القرية اليهما لاجل الضيافة وقالوا غرضنا منه ان يدفع عنا هذا اللوم فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان تغيير هذه النقطة يوجب دخول الكذب فى كلام الله وذلك يوجب القدح فى الالهية فعلنا به ان تغيير هذه النقطة الواحدة يوجب بطلان الربوبية والعبودية ﴿قوله فاستعيرت الارادة﴾ فانها لكونها من صفات الاحياء لا يوصف الجدار بها حقيقة فشبه مشارفة الجدار الى الانقضاض بالارادة بجامع الميلان بينهما فاستعيرت لها فهى استعارة تبعية ﴿قوله يلف شملى﴾ اى يجمع ما تشتت من امرى وجمل اسم محبوبته يقول ان دهرا يجمع بينى وبين محبوبتى دهر حميد الاحسان لا الاساءة فشبه مساعدة الزمان لاجتماعه مع محبوبته بالهم فاستعيرلها ﴿قوله وقرئ ان ينقض﴾ على بناء المفعول من النقض بمعنى الهدم يقال نقض البناء ينقضه اذا هدمه وان ينقاص من قاصه يقيصه اى كسره وتقول العرب انقاصت السنّ اذا انشقت طولا ﴿قوله لينتعشا﴾ اى ليتقويا ويرتفعا عن انحطاط الضرورة يقال نعشه الله اى رفعه وانتعش

العاز اذا فهض من عزته نق عنه مشبئة اتخاذ الاجر على عمله تحريضا له على اخذه كأنه قال لم تشأ ذلك وقد علمت حالنا وحالهم ﴿ قوله او تعريضا بانه ﴾ اى بان الاشتغال باصلاح الجدار فضول اى فعل زآئد لايعنالائك لاتفعله لاخذ الاجر وليس لنا فى نفس اقامة الجدار فائدة فهى من فضول العمل ﴿ قوله واتخذ افتعل من تخذ ﴾ على وزن علم والظاهر انه افتعل من اخذ اصله ائتخذ ابدلت الهمزة يا ثم ابدلت الياء تاء وادغمت فى التاء وذلك لان مادة تخذ لم يذكرها الجوهرى بل قال الاتخاذ افتعال من الاخذ الا انه ادغم بعد تليين الهمزة وابدال الياء تاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء اصلية فبنوا منه فعل يفعل وقالوا تخذ يتخذ وقرئ لتخذت عليه اجرا وقولهم اخت كذا يبدلون الذال تاء فيدغمونها فى التاء هذا كلامه الا ان البصريين يجعلونه من الاخذ بناء على انه لما جاء فى بعض القراآت تخذت دل على ان هذه اللغة واقعة فى كلام العرب وكانت التاء الاولى فى اتخذ دآئرة بين الاصالة والانقلاب عن الهمزة ولاشك ان الاولى يحمل على الاصالة فلهذا قطعوا بانه ليس من الاخذ ﴿ قوله الاشارة الى الفراق الموعود ﴾ فان المشار اليه لايجب ان يكون موجودا حاضرا وقت الاشارة بل يكفى ان يكون موجودا ذهنا ويدل عليه قوله تعالى تلك الدار الآخرة وهى معدومة وقت نزول القرآن والموعود موسى عليه الصلاة والسلام انه ان حدثت منه مسألة ثالثة فارقه ولايلح عليه فى المصاحبة فلما وقع منه الاعتراض على ترك الاجر وحل ميعاد الفراق الموعود تصور الخضر عليه السلام ذلك الفراق الموعود فاشار اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه على طريق قولك هذا اخوك فان لفظ هذا لايشار به الى غير الاخ فكذا فى الآية وخص الاعتراض الثالث بكونه سبب الفراق دون الاولين لان موسى عليه الصلاة والسلام فى السؤالين الاولين عذرا وهو كون الظاهر كان منكرا بخلاف الاعتراض الثالث فانه غير مبنى على امر منكر وانما بناه على طمعه الذى هو منكر فى نفسه فان الطمع اردى الخصال فانطلق موسى عليه الصلاة والسلام بما ينبئ عن الطمع قال له الخضر هذا فراق بينى وبينك وجعله سببا للفراق واصله هذا فراق بينى وبينك فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به ﴿ قوله سأنبئك بالخبر الباطن الخ ﴾ اى بالحكمة التى تخفى عليك فيما توليته من الامور سميت تأويلا لكونها مرجعا ومصيرا لتلك الامور من قولهم آل الامر الى كذا اى صار اليه وتلك الحكمة خفيت على موسى لان احكام الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبنية على الظواهر كما قال عليه الصلاة والسلام «نحن نحكم بالظواهر والله يتولى السرآئر» اى من يتولى سرآئر الامور وظواهرها هو الله تعالى والظاهر فى اموال الناس ونفوسهم ان لايكون لغيرهم ولاية التصرف فيها من غير سبب والخضر لما تصرف فى اموال الناس ونفوسهم من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف كان ذلك التصرف منكرا فى حكم الشرع الا انه تعالى لما آتى الخضر قوة عقلية قدر بها ان يطلع على بواطن الامور ويقف على الاسرار الالهية التى هى اسباب معتبرة فى نفس الامر لما ذكر من التصرفات فعل ما فعل لتلك الاسرار الخفية والحكم الالهية فظهر بهذا تفاوت مابين موسى والخضر عليهما السلام فى باب العلم وان مرتبة الخضر كانت فوق مرتبة موسى فيه * فان قيل ظهر مما ذكر انه تعالى خص الخضر بما علمه من العلوم اللدنية فكانت مرتبته فوق مرتبة موسى باختصاصه بتلك العلوم والاطلاع على بواطن الاشياء وحقائقها وموسى لايعلم هذا النوع من العلوم الالهية فكان من الواجب على الخضر ان يظهر له علما يمكنه تعلمه وهذه المسائل الثلاث علوم لايمكن تعلمها فما الفائدة فى ذكرها واظهارها * فالجواب ان العلم بالاسرار الالهية وان كان لايمكن تعلمه بنفسه من البشر الا انه يمكن ان يعلم طريق حصوله بتصفية الباطن وتجريد النفس وتطهير القلب من العلائق البدنية ثم ان موسى عليه السلام لما استكمل بمعرفة الشرآئع الظاهرة بعثه الله تعالى الى هذا العالم ليعلم ان كمال الانسان بان ينتقل من علوم الشريعة المبنية على الظواهر الى علوم البواطن والحقائق المبنية على التنزه عما يشغل سره عن الحق والتوجه الى جناب القدس وعالم الغيب ﴿ قوله قدامهم او خلفهم ﴾ اى ان لفظ ورآء من الاضداد يطلق على كل واحد من جهتى الامام والخلف قال تعالى من ورآئهم جهنم اى امامهم وقال ويذرون ورآءهم يوما ثقيلا وذلك ان ورآء وان كان ظرف مكان الا انه مأخوذ من التوارى وهو التستر والاختفاء يقال واريت الشئ اى اخفيته وتوارى هو اى تستر وكل ماغاب عنك فهو متوارى عنك وانت متوارى عنه فيصح ان يقال لكل ماغاب عنك انه ورآءك وما كان امام الشئ او قدامه اذا كان غائبا عنه لايبعد ان يطلق عليه لفظة ورآء ولكون الورآء بمعنى القدام احتج بوروده فى القرآن بذلك المعنى وبقرآءة ابن عباس وكان امامهم ملك وان كان الملك الغاصب فى جهة خلفهم لابد ان يكون

او تعريضا بانه فضول لما فى لو من النفى كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لايعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت اى لأخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون (قال هذا فراق بينى وبينك) الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبنى او الى الاعتراض الثالث او الوقت اى هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر (اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر) لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيأ اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر (فاردت ان اعيبها) اجعلها ذات عيب (وكان ورآءهم ملك) قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار بن جلندى الازدى (يأخذ كل سفينة غصبا) من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان ورآءهم ملك لان ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب

وانما قدم للعناية اولان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزءين وأدناهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها (واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما) ان يغشاهما (طغيانا وكفرا) لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالأته على طغيانه وكفره حبا له وانما خشى ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان نجدة الحرورى كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اى فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى (فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه) ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه (زكاة) طهارة من الذنوب والاخلاق الردية (واقرب رحما) رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبى فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم قرأ نافع وابو عمرو ويبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة (واما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة) قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول حيسون (وكان تحته كنز لهما) من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والذم على كنزهما فى قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدى زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وكان ابوهما صالحا) تنبيه على ان سعيه فى ذلك كان لصلاحه وقيل كان بينهما وبين الاب الذى حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح (فاراد ربك ان يبلغا اشدهما) اى الحلم وكمال الرأى (ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) مرحومين من ربك ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف وتقديره فعلت مافعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له فى بلوغ الغلامين اولان الاول فى نفسه شر والثالث خير والثانى ممتزج اولاختلاف حال العارف فى الالتفات الى الوسائط (وما فعلته) وما فعلت ما رأيته (عن امرى) عن رأيى وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو اصل ممهد غير ان الشرائع فى تفاصيله مختلفة (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) اى ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوآئد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لم يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعى الادب فى المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه (ويسألونك عن ذى القرنين) يعنى اسكندر الرومى ملك فارس والروم

(وناصح)

مرجع السفينة عليه حتى يكون خرقها فائدة وقوله تعالى غصبا يحتمل ان يكون مصدرا فى موضع الحال وان يكون مفعولا مطلقا لبيان نوع الاخذ نحو رجع القهقرى ﴿ قوله وانما قدم للعناية ﴾ يعنى قدم السبب الذى هو ارادة التعييب على السبب وهو خوف الغصب مع ان حق المسبب ان يترتب على السبب ويتأخر عنه لوجهين احدهما العناية بتقديمه ووجه العناية ان موسى عليه الصلاة والسلام بنى انكاره على خرق السفينة على كون خرقها مؤديا الى اغراق اهلها فى خرقها فانما يريد اغراق اهلها فكان الاهم بالنسبة الى المجيب ان يدفع مبنى انكاره فدفعه بان خرقها لارادة تعييبها لا لاجل الاغراق وثانيهما ان السبب ليس مجرد خوف غصب السفينة الصحيحة بل كون السفينة للمساكين جزء سبب التعييب وذكر الجزء الآخر عقيبه على سبيل التقييد لانه حال من فاعل اردت باضمار قد ﴿ قوله او يقرن بايمانهما ﴾ عطف على قوله فيلحقهما شرا يعنى ان اثبات الطغيان واغشاء اياهما يحتمل ان يكون المراد به ان يؤذيهما ويلحقهما شرا بسبب عقوقه او ان يجمع بين كفره وايمانهما فى بيت واحد يقال قرنت الشئ بالشئ اى وصلته به ويقال غشيه غشيانا اذا جاءه واغشاه اياه غيره كذا فى الصحاح ﴿ قوله او يعديهما بعلته ﴾ عطف على ماقبله ايضا وهو من العدوى يعنى تجاوز نحو الجرب عن صاحبه الى غيره يقال اعدى فلان فلانا من خلقه او من علة به او جرب اى يحتمل ان يكون المراد باغشائه الطغيان اياهما ان يحملهما حبه على ان يتابعاه على دينه او يرتدا باضلاله والممالأة المساعدة يقال مالأته على الامر ممالأة اى ساعدته عليه وشايعته ﴿ قوله اى فكره كراهة من خاف ﴾ على ان يكون قوله فخاف استعارة تبعية متفرعة على المجاز المرسل حيث اطلق اسم السبب وهو خوف سوء العاقبة على المسبب الذى هو الكراهة واسندت الكراهة المبنية على الخوف اليه تعالى تشبيها لكراهيته تعالى بكراهة الخائف ﴿ قوله ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى ﴾ عطف على قوله وانما خشى ذلك والمعنى ان الله تعالى اعلمه بحال الغلام واطلعه على سره وقال له اقتل الغلام لانا نكره كراهة من يخاف سوء العاقبة ان يغشى الغلام والديه طغيانا وكفرا ولما قال الخضر واما الغلام فكان ابواه مؤمنين درج قول الله تعالى فخشينا فى اثناء كلامه ولم يقل فخشيت ايماء الى اضمحلال ارادته فى ارادة الله تعالى واعلاما بان علمه مقتبس من المشكاة القدسية ولا شوب فيه لرأيه وتحقيقا لقوله تعالى وآتيناه من لدنا كما قال جبريل عليه السلام لمريم لاهب لك غلاما والواهب هو الله تعالى وهو مبلغ لكلام الله تعالى اياها ﴿ قوله وبين الاب الذى حفظا فيه ﴾ اى روعى جانبهما لاجله وكرامته وفى المغرب الحفظ خلاف النسيان وقد يجعل عبارة عن الصون وترك الابتذال ﴿ قوله ومبنى ذلك ﴾ اى مبنى ما فعله الخضر فى المسائل الثلاث تحمل ادنى الضررين لدفع اعلاهما اما المسئلة الاولى فلان الخضر علم انه لولم يعب تلك السفينة بالخرق لغصبها ذلك الملك وفاتت منافعها على ملاكها بالكلية وان خرقها ينقص بعض ماليتها وهو اهون بالنسبة الى الضرر الاول فوجب تحمله دفعا لما هو اعظم منه فكذا المسئلة الثالثة لان المشقة الحاصلة بسبب الاقدام على اقامة ذلك الجدار لو سقط لضاع اولئك الايتام وفيه ضرر شديد قيل وقال الخضر لموسى عليه الصلاة والسلام حين قال له اخرقتها لتغرق اهلها قد القتك امك فى اليم فلم تغرق فلم خفت الغرق عليهم مع حفظ الله تعالى ولما قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس قال انك قتلت القبطى بالوكزة فلم تعاتبنى بهذا ولما قال له لو شئت لتخذت عليه اجرا قال انك سقيت لابنتى شعيب فلم تطلب لذلك اجرا فلم تأمرنى بذلك فكان له وجوه تنبيه فى هذه القصة قال وهب ثم انطلق موسى والخضر حتى قعدا على الصخرة فاقبل طائر فغمس منقاره فى البحر ثم اخرجه فقعد على جناحيه فقال الخضر انه يقول ما علم الخلق فى علم الله الاقدر ما حملت بمنقارى وقال موسى للخضر حين اراد ان يفارقه اوصنى قال لا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئ بخطيئته وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم لغد وروى ايضا ان موسى لما اراد ان يفارقه قال اوصنى قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به ﴿ قوله يعنى اسكندر الرومى ﴾ فيه نظر لان الاسكندر الرومى هو ذو القرنين الاول كان مؤمنا عبدا صالحا وقيل كان نبيا وقد اسلم على يدى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان وزيره الخضر وهو اول التابعة وكانت مدة ملكه الف سنة لانه كان فى دين الخليل الى ان ادركه سيل العرم وما بعده وكانت امه رومية وكان يقال لها فيلسوف لعقلها وذو القرنين الثانى كان فيلسوفا حكيما مشركا كافرا وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف كذا نقل من تاريخ ابن كثير وفى تفسير الكواشى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا احب الله فاحبه الله

وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين اولانه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان اى ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركوا مكة (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) خطاب للسائلين والهاء لذى القرنين وقيل لله (انا مكنا له في الارض) اى مكنا له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول (وآتيناه من كل شئ) اراده وتوجه اليه (سببا) وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة (فاتبع سببا) اى فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) ذات حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر حامية اى حارة ولاتنافي بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ماقبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة (ووجد عندها) عند تلك العين (قوما) قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم مالفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله (قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب) اى بالقتل على كفرهم (واما ان تتخذ فيهم حسنا) بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله (قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) اى فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره او استمر على ظلمه الذى هو الشرك فنعذبه انا ومن معى في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله

وناصح الله فناصحه الله واسمه عبدالله او الاسكندر من القرون الاول من ولد يونان بن يافث بن نوح او كان بعد ثمود قالوا وعاش الفا وستمائة سنة ﴿قوله قرنان من الناس﴾ الجوهري القرن من الناس اهل زمان واحد ويطلق القرن ايضا على ثمانين سنة وقيل على ثلاثين سنة وعلى مايماثلك في السن تقول هو على قرني اى على سني وعلى جانب الرأس ايضا قيل ومنه سمي ذو القرنين ذكر في اول هذه السورة ان اليهود امروا المشركين ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذى القرنين وعن الروح فالمراد من قوله ويسألونك عن ذى القرنين هو ذلك السؤال عن عقبة بن عامر قال ان نفرا من اهل الكتاب جاؤا بالصحف او الكتب فقالوا استأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لندخل عليه فانصرفت اليه فاخبرته فقال عليه الصلاة والسلام مالهم يسألونني عما لا اعلم انما انا عبد لا اعلم الا ماعلمني ربي ثم قال ابغني وضوأ فتوضأ به ثم قام الى مسجد في بيته وركع ركعتين فما انصرف حتى بدا السرور في وجهه ثم قال اذهب فادخلهم ومن وجدت بالباب من اصحابي فادخلهم فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ان شئتم اخبرتكم بما اردتم ان تسألوني عنه وان شئتم غير ذلك فافعلوا فهذا ان ثبت يدل على انه اتاه نبأ ذى القرنين وخبره قبل ان يسألوا عنه واما اهل التأويل فانهم قالوا جميعا انه سئل قبل ان ينزل عليه خبره ثم نزل ذلك بعد السؤال ﴿قوله وصلة﴾ اى مايتوصل به كالقربة بمعنى مايتقرب به قالوا السبب في اصل اللغة عبارة عن الحبل ثم استعير لكل مايتوصل به الى المقصود فهو يتناول العلم والقدرة والآلة فالمعنى واعطيناه من كل شئ مقاصده واغراضه والامور التي يتوصل بها الى تحصيل ذلك الشئ فانه تعالى اعطاه من كل شئ يحتاج اليه في فتح الممالك وضبطها وتدبير امرها مايتوصل به الى اسباب تحصيل ذلك المراد فاى مقصود اراده هيأ الله له مايوصله اليه فيتبعه قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فاتبع سببا بوصل الهمزة وتشديد التاء وكذلك ثم اتبع اى سلك وسار وقرأ الكوفيون وابن عامر فأتبع ثم أتبع في الثلاثة بقطع الهمزة وتخفيف التاء فقيل هما بمعنى واحد فيتعديان الى مفعول واحد وقيل أتبع بالقطع متعد الى اثنين حذف احدهما تقديره فاتبع سببا سببا ﴿قوله او حمية﴾ عطف على قوله حارة اى يجوز ان يكون حامية بالالف بدون الهمزة بمعنى حارة من قولهم حمى النهار بالكسر وحمى التنور جميعا اذا اشتد حره ويجوز ان يكون بمعنى حمئة الهمزة من غير الف اى ذات حمأة وهى الطين الاسود على ان تكون ياء حامية مقلوبة عن الهمزة فتكون قرآءة حمئة وحامية بمعنى واحد ﴿قوله ولعله بلغ﴾ جواب سؤال مقدر وهو ان يقال قد تقرر ان الشمس في السماء الرابعة ولها فلك خاص يدور بها في السماء فكيف يكون غروبها في عين حمئة وتقرير الجواب انه تعالى لم يخبر بان غروبها في الحقيقة في عين حمئة وانما اخبر بان ذا القرنين يجدها ويظن انها تغرب فيها حيث قال وجدها تغرب في عين حمئة فانه لما بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شئ من العمارات وجد الشمس كانها تغرب في هذه العين المظلمة وان لم يكن كذلك في الحقيقة اذ تغيب وراء البحر ولاشك ان البحار الغربية قوية السخونة فهى حامية وهى ايضا حمئة لكثرة مافيها من الماء ومن الحمأة السوداء فقوله تغرب في عين حمئة اشارة الى ان الجانب الغربي من الارض قد احاط البحر به وهو موضع شديد السخونة قال اهل الاخبار في صفة ذلك الموضع اشياء عجيبة قال ابن جريج هناك مدينة لها اثنا عشر الف باب لولا اصوات اهلها لسمع الناس صوت الشمس حين تجب اى حين تغيب وفي رواية لسمعوا صوت مرها في السماء كصوت المنشار في الخشب وروى ان الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب اسم الشرقية جابلق والغربية جابلص وهما اللتان يقول لهما الناس جابلقا وجابلصا وعلى كل مدينة منهما عشرة آلاف باب بين كل بابين مسيرة فرسخ يبيت كل ليلة على كل باب من هذه الابواب عشرة آلاف رجل لايعودون بعد النوبة ابدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لولا كثرة اصوات اهل هاتين المدينتين وضجتهم لسمع اهل الدنيا سقطة الشمس حين تسقط وحين تطلع ومن وراء هاتين المدينتين اربع امم تاسك ومنسك وهاتل ورائل ومن دونها يأجوج ومأجوج وقد انطلق بي جبريل ليلة اسري بي فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله فأبوا ان يجيبوني فهم في النار مع من عصى من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق بي الى اهل المدينتين فدعوتهم الى الله فأجابوني فهم اخواننا في الدين من احسن منهم فهو مع محسنكم ومن اساء منهم فهو مع مسيئكم ﴿قوله فالهام﴾ اى من غير واسطة وذلك يدل على انه كان غير نبي وحمل هذا اللفظ على ان المراد انه تعالى خاطبه على لسان بعض الانبياء عدول عن الظاهر والقول بان القول بمعنى الالهام لايخلو عن بعد فنقل الامام

(واما من آمن وعمل صالحا) وهو ما يقتضيه الايمان (فله) فى الدارين (جزاء الحسنى) فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص جزاءً منوّنا منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اى يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منوّن على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنوّنا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اى ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصرّ على الكفر والثانى لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فوحى وان كان غيره فبالهام او على لسان نبى (وسنقول له من امرنا) مما نأمر به (يسرا) سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين (ثم اتبع سببا) ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) يعنى الموضع الذى تطلع الشمس عليه اوّلا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكان مطلع الشمس فانه مصدر (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية (كذلك) اى امر ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكانة وبسطة الملك او امره فيهم كامره فى اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم (وقد احطنا بما لديه) من الجنود والآلات والعدد والاسباب (خبرا) علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير (ثم اتبع سببا) يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال (حتى اذا بلغ بين السدّين) بين الجبلين المبنى بينهما سدّه وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان فى اواخر الشمال فى منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر ويعقوب بين السدّين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر سمى به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة (وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائى يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه (قالوا يا ذا القرنين) اى قال مترجموهم وفى مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم (ان يأجوج ومأجوج) قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من أجّ الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم ومنع الصرف للتعريف والتأنيث (مفسدون فى الارض) اى فى ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون فى الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس (فهل نجعل لك خرجا) جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائى خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر (على ان تجعل بيننا وبينهم سدّا) يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدّين غير حمزة والكسائى (قال ما مكنّى فيه ربى خير) ما جعلنى فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج ولا حاجة بى اليه وقرأ ابن كثير مكننى على الاصل (فاعينونى بقوة) اى بقوة فعلة او بما اتقوّى به من الآلات (اجعل بينكم وبينهم ردما) حاجزا حصينا وهو اكبر من السدّ من قولهم ثوب مردّم اذا كان فيه رقاع فوق رقاع (آتونى زبر الحديد) قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافى ردّ الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابى بكر ردما ائتونى بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئونى بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها فى امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل (حتى اذا ساوى بين الصدفين) بين جانبى الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل (قال انفخوا) اى قال للعملة انفخوا فى الاكوار والحديد (حتى اذا جعله) جعل المنفوخ فيه (نارا) كالنار بالاحماء (قال آتونى افرغ عليه قطرا)

الواحدى من الانبارى انه قال ان كان ذو القرنين نبيا فان الله تعالى قال له كما يقول للانبياء اما بتكليم او بوحى اى لا بالهام ﴿ قوله فعلته الحسنى ﴾ اختار قراءة من عدا حفصا وحمزة والكسائى وهى رفع جزاء من غير تنوين باضافته الى الحسنى وهى الايمان والعمل الصالح ﴿ قوله وتقديره ذا يسر ﴾ يعنى ان يسرا صفة مصدر محذوف اى قولا ذا يسر وتقييده بقوله من امرنا للدلالة على انه من قول الله كما هو كذلك على تقدير ان يكون حكاية قول جبريل ثم ان ذا القرنين لما وصل الى قرب الاماكن المسكونة من مغرب الشمس انصرف وقصد قرب الاماكن المسكونة من مطلع الشمس فاتبع طريقا يوصله اليه والعامة على كسر اللام من مطلع وهو اسم مكان بحسب استعمال العرب ومن فتح اللام لا يريد المكان لانه خلاف ما تواطأ عليه اهل اللغة بل يريد المصدر فيصح الكلام حينئذ على اضمار المضاف الا ان عبارة ابى البقاء تشير الى انه لا فرق بين فتح اللام وكسرها فى جواز حمل الكلمة على المعنيين حيث قال مطلع الشمس ﴿ قوله لغرابة لغتهم ﴾ اى لكونهم لا يعرفون غير لغة انفسهم فما كانوا يفقهون اللسان الذى يتكلم به ذو القرنين وقوله تعالى من دونهما يعنى امام السدّين ﴿ قوله اى قال مترجموهم ﴾ لما وصفهم الله تعالى بانهم لا يفقهون قولا ولا يفقهون غيرهم احتاج اى ذو القرنين فى فهم كلامهم وتفهيم كلامه اياهم الى من يترجم بينه وبينهم ووجود ذلك المترجم من جملة الاسباب التى آتاها الله تعالى اياه ﴿ قوله تعالى حتى اذا ساوى ﴾ فيه اضمار اى فأتوه بها فنضدها اى وضع تلك الزبر بعضها على بعض حتى صارت بحيث سدّت ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ عليها فنفخ فيها حتى صارت كالنار ثم صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فالتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا بين جانبى الجبلين سمى كل جانب للجبلين صدفا لكونه مصادفا ومقابلا للآخر من قولك صادفت الرجل اى لاقيته وقابلته وصارت الزبر المنضودة مساوية لهما كالحشو فيما بينهما والاعلان هذا معجز قاهر لان هذه الزبر الكثيرة اذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر الحيوان على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن الا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة من ابدان اولئك النافخين عليها قيل كان بعد ما بين السدّين مائة فرسخ وحفر له الاساس حتى بلغ الماء وجعل عرضه خمسين ذراعا وارتفاعه مائتى ذراع وجعل حشو الاساس الصخور وطينه النحاس يذاب فيصب عليها فصار كأنه عرق من جبل تحت الارض فلما ملأ حشو الاساس بهذا الوجه وبلغ وجه الارض جعل بناء السدّ من زبر الحديد بينها الحطب والفحم تنضد الزبر صفا ووضع عليها الحطب والفحم صفا ثم تنضد الزبر صفا آخر وتنضد فوقها الحطب والفحم وهكذا الى ان بلغ ارتفاع السدّ مائتى ذراع فصار السدّ فى ارتفاعه مساويا للجبلين ثم قال للعملة انفخوا على الزبر المبنية بالكير ففعلوا فصارت كالنار فان الحديد اذا احمى يصير كالنار فاكلت النار ما فى خلال الحديد من الفحم والحطب وصب عليه القطر وهو النحاس المذاب الصالح لان يقطر كالماء فصار النحاس مكان الحطب وتخلل خلال الحديد والصق كل واحد منهما بالآخر وامتزجا بحيث صار المجموع جبلا صلدا ملسا ﴿ قوله وبه تمسك البصريون الخ ﴾ فانهم يقولون المختار اعمال ثانى المتنازعين مع تجويز اعمال الاول ايضا والكوفيون يختارون اعمال الاول مع تجويز اعمال الثانى ثم انهم اتفقوا على انه ان اعمل الاول واقتضى الثانى المفعول اضمر ذلك المفعول لعدم استلزامه الاضمار قبل الذكر مع انه يندفع به التباس المفعول بغيره وان جاز الحذف ايضا كسائر الفاعيل فوجه استدلال البصريين على مذهبهم بهذه الآية انه لو اعمل الاول لقيل آتونى افرغه بالضمير الراجع الى قطرا بناء على ان المختار ان لا يحذف ضمير المفعول فى الثانى لانه يؤدى الى اللبس وحذف المفعول وان جاز لكن لا يليق بفصاحة القرآن حمله على خلاف المختار ﴿ قوله تعالى قال هذا رحمة من ربى الآية ﴾ يعلم منه ان الله تعالى من كمال حكمته وقدرته ورأفته يجعل لوجود كل سبب من اسباب السموات والارض ولبلوغ كل احد الى مقام من مقامات الدنيا والآخرة والى قربة من قربات الحضرة الالهية سببا مناسبا له فاذا اراد بلوغ احد الى مقام او قربه او رفعة بسبب ذلك وفقه لاتباع ذلك السبب كما آتى ذا القرنين من كل شئ سببا ووفقه لاتباع السبب فاتبع سببا حتى بلغ به مشرق الارض ومغربها وجوانبها كلها وسخر الخلق له وحصل مقاصد الملك والسياسة باتباع اسبابها كذلك آتى كل رسول ونبى وولى ومؤمن ومسلم وفاسق ومنافق وكافر اسباب بلوغه الى الرسالة والنبوة والولاية والايمان والاسلام والفسق والنفاق والكفر ووفقهم لاتباع الاسباب التى آتاهم اياها الى مقاماتهم ودرجاتهم ودركاتهم حتى يبلغ كل مقام قربه من الجنة او النار ﴿ قوله تعالى ونفخ فى الصور ﴾ لما كان اندكاك السدّ

اى آتونى قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا لحذف الاوّل لدلالة الثانى عليه و به تمسك البصريون على ان اعمال الثانى من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتونى لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة و ابو بكر قال ائتونى موصولة الالف (فما اسطاعوا) بحذف التاء حذرا من تلاقى متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا (ان يظهروه) ان يعلوه بالصعود لارتفاعه و انملاسه (و ما استطاعوا له نقبا) لثخنه و صلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء و جعله من الصخر و النحاس المذاب و البنيان من زبر الحديد بينها الحطب و الفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صار كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط و التصق بعضه ببعض و صار جبلا صلدا و قيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد و نحاس مذاب فى تجاويفها (قال هذا) هذا السدّ او الاقدار على تسويته (رحمة ﴿٢٧٥﴾ من ربى) على عباده (فاذا جاء وعد ربى) وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيامة (جعله دكا) مدكوكا مبسوطا مسوّى بالارض مصدر بمعنى المفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اى ارضا مستوية (وكان وعد ربى حقا) كائنا لامحالة وهو آخر حكاية ذى القرنين (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السدّ يموجون بعضهم فى بعض مزدحمين فى البلاد او يموج بعض الخلائق فى بعض ويضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده (ونفخ فى الصور) لقيام الساعة (فجمعناهم جمعا) للحساب والجزآء (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وابرزناها واظهرناها لهم (الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى) عن آياتى التى ينظر اليها فأذكر بالتوحيد والتعظيم (وكانوا لايستطيعون سمعا) استماعا لذكرى وكلامى لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصميت مسامعهم بالكلية (أفحسب الذين كفروا) أفظنوا والاستفهام للانكار (ان يتخذوا عبادى) اتخاذهم الملائكة والمسيح (من دونى اولياء) معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثانى كما يحذف الخبر للقرينة او سدّ ان يتخذوا مسدّ مفعوليه وقرئ أفحسب الذين كفروا اى أفكافيهم فى النجاة وان بما فى حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل او خبر له (انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه (قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا) نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوّع اعمالهم (الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا) ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كرهبانية فانهم خسروا دنياهم وآخرتهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجرّ على البدل او النصب على الذم (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق (اولئك الذين كفروا بآيات ربهم) بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوّة (ولقائه) بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه (فحبطت اعمالهم) بكفرهم فلا يثابون عليها (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فنزدرى بهم ولا نجعل لهم مقدارا و اعتبارا او لانضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها (ذلك) اى الامر ذلك وقوله (جزآؤهم جهنم) جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اى جزآؤهم به او جزآؤهم بدله وجهنم خبره او جزآؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر (بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) اى بسبب ذلك (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذى يجمع الكرم والنخل (خالدين فيها) حال مقدرة (لايبغون عنها حولا) تحوّلا اذ لايجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تأكيد الخلود (قل لو كان البحر مدادا) ما يكتب به وهو اسم ما يمدّ به الشئ كالحبر للدواة والسليط للسراج

وخروج يأجوج ومأجوج من علامات قيام الساعة ذكر الله تعالى بعده النفخ فى الصور لقيام الساعة قيل الصور قرن من نور يجعل فيه الارواح يقال ان فيه من الثقب على عدد ارواح الخلائق عن مجاهد انه كالبوق ذكره البخارى فاذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل روح الى جسده فاذاهم من الاجداث الى ربهم ينسلون اى من القبور يخرجون سراعا وقد روى ان الله خلق الصور حين فرغ من السموات والارض وان عظم كل دائرة فيه كغلظ السموات والارض وفى حديث ابى هريرة والذى نفسى بيده ان عظم كل دائرة فيه كعرض السموات والارض وروى انه رأسين رأس بالمشرق ورأس بالمغرب والله اعلم واختلف فى عدد النفخات فقيل ثلاث نفخة الفزع لقوله تعالى ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ونفخة الصعق ونفخة البعث لقوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون وهذا اختيار ابن العربى وقيل هما نفختان ونفخة الفزع هى نفخة الصعق لان الامرين متلازمان فانهم اذا فزعوا فزعا ماتوا قيل اتفقت الروايات على ان بين النفختين اربعين سنة وذلك بعد ان يجمع الله ما تفرق من الاجساد فى بطون السباع وحيوانات الماء وبطن الارض وما اصاب النيران منها بالحرق والمياه بالغرق وما ابلته الشمس وذرته الرياح فاذا جمعها واكمل كل بدن منها ولم يبق الا الارواح جمع الارواح فى الصور وامر اسرافيل عليه الصلاة والسلام فارسلها بنفخة من ثقب الصور فرجع كل روح الى جسده باذن الله تعالى وقد انكر بعض اهل الزيغ ان يكون الصور قرنا قال ابو الهيثم من انكر ان يكون الصور قرنا فهو كمن ينكر العرش والميزان ويطلب لهما تأويلات ﴿قوله عن آياتى التى ينظر اليها فأذكر﴾ يعنى ان نظر الآيات الدالة على الالوهية والمصنوعات الدالة على القدرة الباهرة كان سببا لذكر الله تعالى عند مشاهدتها كما يقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فأطلق السبب واريد المسبب وانما احتيج الى حمل الآية على المجاز المرسل لان المقصود وصف الكافرين بالعمى والصمم كما فهم من قوله الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى اذ الذكر لايقال فيه اعينهم فى غطاء عنه بل انما يناسبه الصمم ﴿قوله كأنهم اصميت مسامعهم﴾ اى ابطلت وازيلت قواهم السامعة من قولهم اصميت الصيد اذا رميته فقتلته وانت تراه وفى بعض النسخ اصمتت اى جعلت مصمتة لاجوف لها ﴿قوله اتخاذهم الملائكة والمسيح﴾ يعنى ان قوله ان يتخذوا فى محل النصب على انه اوّل مفعولى حسب وثانيهما محذوف واراد بقوله عبادى الملائكة وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقال ابن عباس يعنى الشياطين تولوهم واطاعوهم من دون الله وقال مقاتل يعنى الاصنام سماها عبادا كما فى قوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم ﴿قوله وقرئ أفحسب﴾ بسكون السين ورفع الباء على انه مبتدأ وان مع ما فى حيزها خبره فحسب مبتدأ مضاف الى الذين كفروا وان يتخذوا خبره ويجوز ان يكون حسب بمعنى المحسب الكافى وان يتخذوا فاعله بناء على اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل ﴿قوله وجمع لانه من اسماء الفاعلين﴾ يعنى ان اسم الجنس وان كان يتناول آحاد مدلوله الا انه لايدل على اختلاف فاعله ولا على تنوّع مدلوله فجمع العمل ليدل على احد الامرين ﴿قوله الامر ذلك﴾ على ان يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف والمعنى الامر ذلك الذى ذكرت من حبوط اعمالهم وخساسة اقدارهم ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ مشارا به الى ما ذكر من اعمالهم الباطلة وجزآؤهم مبتدأ ثانيا وجهنم خبره وهو مع خبره خبر الاوّل والعائد محذوف اى جزآؤهم به كذا ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ اشارة به الى الجزآء الحاضر فى الذهن ويكون جزآؤهم بدلا منه وجهنم خبره لما بين الله تعالى سوء صنيعهم بقوله اولئك الى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا انتقل الذهن الى معنى الجزآء المشير اليه بقوله ذلك وجعل خبره او جعل بدل الجزآء وجعل جهنم خبره او عطف بيان للخبر ثم انه تعالى لما بين وعيد الكفار وان جهنم نزل لهم اتبعه بوعد المؤمنين وبيان ان جنة الفردوس نزل لهم واضافة جنات الى الفردوس اضافة لتعيين عن قتادة الفردوس وسط الجنة وافضلها وعن كعب ليس فى الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة مائتى درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس من فوقها فاذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجرت انهار الجنة قال بعضهم انه تعالى جعل الجنة بكليتها نزلا للمؤمنين والكريم اذا اعطى النزل اوّلا فلابد وان يتبعه بالخلعة والكرامة الزآئدة وما بعد الجنة الا رؤيته تعالى وكذلك فى الآية الاولى لما جعل الله تعالى جهنم نزلا للكافرين لم يبق عذاب آخر بعد جهنم

(لكلمات ربى) لكلمات علمه وحكمته (لنفد البحر) لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه (قبل ان تنفد كلمات ربى) فانها غير متناهية لاتنفد كعلمه (ولو جئنا بمثله) بمثل البحر الموجود (مددا) زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع مايدخل فى الوجود من الاجسام لايكون الامتناهيا للدلائل القاطعة على تناهى الابعاد والمتناهى ينفد قبل ان ينفد غير المتناهى لامحالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهو مايستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وتقرأون وما اوتيتم من العلم الا قليلا (قل انما انا بشر مثلكم) لاادعى الاحاطة على كلماته (يوحى الى انما الهكم اله واحد) وانما تميزت منكم بذلك (فمن كان يرجو لقاء ربه) يأمل حسن لقائه (فليعمل عملا صالحا) يرتضيه الله (ولا يشرك بعبادة ربه احدا) بان يرائيه او يطلب منه اجرا روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لايقبل ماشورك فيه ونزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتى العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص فى الطاعة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ خاتمة الكهف عند مضجعه كان له نور فى مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نور يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿ سورة مريم مكية الا آية السجدة ﴾

﴿ وهى ثمان او تسع وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كهيعص) امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجى ياآت

الا كونهم محجوبين عن رؤية الله تعالى كما قال كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴿ قوله وهو اسم مايمد به الشئ ﴾ اى يزاد يقال امددت الجيش بمدد والاستمداد طلب المدد والحبر اسم خاص لما يوضع فى المحبرة ويكتب به والمداد يطلق على كل مايمد به غيره كالحبر للدواة والزيت للسراج قال ابن الانبارى سمى الحبر مدادا لامداد الكاتب واصله من الزيادة ومجئ الشئ بعد الشئ ويقال للزيت الذى يوقد به السراج مداد لكونه ممدا لما فنى منه بالاشتعال والمعنى لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب كلمات الله وحكمته لنفد البحر قبل ان تنفد تلك الكلمات فان كلماته تعالى غير متناهية والبحر كيف ما فرض فى الاتساع والعظمة متناه والمتناهى لايفى البتة بغير المتناهى قيل فى سبب نزول هذه الآية انهم لما سألوا عن الروح وعن كذا وكذا ونزل فى جواب الروح فى آخر الآية وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود انه يقول انا قد اوتينا الحكمة ثم يقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا مع قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الآية اى وان كانت الحكمة وهى القرآن خيرا كثيرا وقد آتاه الله تعالى ولكنه قطرة من بحر كلمات الله فانه كما لانهاية لذات الله تعالى ولصفات كماله فى علمه وحكمته فكذا لانهاية للكلمات الدالة عليها ﴿ قوله وقرئ بالياء ﴾ يعنى ان حمزة والكسائى قرآ ينفد بالياء من تحت لكون تأنيث الكلمات غير حقيقى والباقون بالتاء من فوق لتأنيث اللفظ والعامة على قراءة مددا بفتح الميم وقرئ بكسر الميم ونصب الكلمة على التمييز على انها جمع مدة وهى اسم ما يستمد به من المداد على القلم وجواب ولو جئنا محذوف لعلم به تقديره لنفد ﴿ قوله يأمل حسن لقائه ﴾ الحسن قيد مستفاد من قوله يرجو لان الرجاء ظن المنافع الواصلة اليه كما ان الخوف ظن المضار الواصلة اليه ﴿ قوله فقال ان الله لايقبل ماشورك فيه ﴾ وروى انه عليه الصلاة والسلام قال فى جواب جندب ولك اجران اجر السر واجر العلانية فالرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد به الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدى به كما هو دأب الكاملين روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم الى ستة ايام تكون وان خرج الدجال عصم منه » وقد تمت سورة الكهف بحمد الله تعالى وعونه

﴿ سورة مريم عليها السلام وهى مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله امال ابو عمرو الهاء ﴾ امالة الالف ضد تفخيمها واشباعها وهى ان ينحو بالالف نحو الياء وبالفتحة نحو الكسرة ليتجانس الصوت فان سبب ذلك ان يقع بقرب الالف كسرة سواء كانت الكسرة متقدمة على الالف كما فى عماد او متأخرة كما فى عالم وكذا تمال الالف اذا كانت الالف منقلبة عن حرف مكسور كما فى خاف او عن ياء كما فى هاب وباع ورمى وكذا اذا كانت صائرة موضع ياء كما فى دعوى فان الفها تصير ياء فى دعويان وكما فى حبلى كقولك حبليان ولا خلاف فى الاسماء الثلاثة وهى كاف وعين وصاد فانها لاتمال بالاتفاق وذلك لان اسماء حروف التهجى على نوعين ثنائى وثلاثى وجرت عادة العرب على ان ينطقوا بالثنائيات مقطوعة عما بعدها فيقولون باياطاها وكذلك امثالها وعلى ان ينطقوا بالثلاثيات التى وسطها الالف باشباع فتحها فيقولون دال ذال كاف صاد وكذلك امثالها واما الزاى فقد اختلفوا فى التلفظ به فمنهم من اظهر الياء بعد الالف وجعله ثلاثيا فهو لايميله ومنهم من لم يظهر الياء وجعله ثنائيا فهو يميله والاصل فى جميع هذه المواضع اشباع الفتحة والامالة فرع عليه وعلى هذا يجوز اشباع كل ممال ولا يجوز امالة كل مشبع من المفتوحات والعامة على تسكين اواخر اسماء هذه الحروف حتى ان بعضا من القراء يقف على كل واحد منها وقفة يسيرة ويفصل بعضها من بعض بادنى سكتة مبالغة فى تمييز بعضها عن بعض ثم انهم اختلفوا فى امالة ياء وهاء وتفخيمهما مع كونهما ثنائيين فاختار ابو عمرو امالة هاء وتفخيم ياء بناء على ان اشباع الفتحة اصل والامالة وان كانت فرعا الا انه فرع مشهور كثير الاستعمال فاشبع احد الاسمين وامال الآخر ليكون القارئ جامعا بين مراعاة الاصل والفرع المشهور وهو احسن من مراعاة احدهما وتضييع الآخر وخصوا ها بالامالة فرقا بينها وبين ها التى للتنبيه فانها لاتمال قط وقول المصنف لان الفات اسماء التهجى ياآت محل بحث لان هذه الاسماء لا اشتقاق لها حتى يحكم بان الفاتها ياآت فى الاصل وان هذا التعليل يستدعى امالة كلمة يا ايضا فلابد من الفرق بين كلتى ها ويا حتى يخص الاول بالامالة دون الثانى لذلك الا ان يقال لما لم يكن لها اصل حملوها على المنقلبة من الواو تارة فلا يميلوها وحملوا المنقلبة من

الياء اخرى فاما لوها لجوزوا الامرين دفعا للتحكم وخصوا الاعتبار المؤدى الى الامالة بكلمة هافرقا بينها وبين هاء التنبيه ﴿قوله وابن عامر وحمزة الياء﴾ يعنى انهما امالا الياء وفخما الهاء جمعا بين مراعاة الاصل والفرع المشهور وخصا الياء بالفرع لان الكسرة من جنس الياء فامالة حركة الياء الى ما يجانسها وهو الكسرة اولى من امالة حركة الهاء ومن اما لهما جميعا نظر الى الوجه الذى اعتبره ابو عمرو وابن عامر وحمزة فى ياء وهاء ومن اشبع فتحتهما فقد تمسك بالاصل ﴿قوله ونافع بين بين﴾ يعنى انه امال الالف بجعلها بين مخرج الالف ومخرج الياء على السواء لابان جعل امالتها نحو الياء اكثر ثم ان نافعا وابن كثير وعاصما يظهرون دال صاد قبل ذال ذكر لانه الاصل وادغمها فيها الباقون ﴿قوله لانه مشتمل عليه﴾ اى ان ما قبله وهو كهيعص سواء اول بالسورة او بالقرآن مشتمل على ذكر رحمة الله عبده زكريا فيصح ان يحكم على كهيعص بانه الذكر يعنى انه ذاكر ومبين لها او ذو الذكر والبيان وهو كانه جواب عن قول ابى البقاء من ان قول الفراء ان قوله تعالى ذكر رحمة ربك خبر الحروف المقطعة بعيد لان الخبر هو المبتدأ فى المعنى وليس فى الحروف المقطعة ذكر رحمة ولا فى ذكر الرحمة معناها وذكر مصدر مضاف قيل الى مفعوله وهو الرحمة والرحمة فى نفسها مصدر ايضا مضاف الى فاعله وعبده مفعول رحمة وفاعل الذكر غير مذكور لفظا وتقديره ذكر الله رحمته عبده زكريا وقيل بل ذكر مضاف الى فاعله على الاتساع ويكون عبده منصوبا بنفس الذكر والتقدير ذكرت الرحمة عبده فجعلت الرحمة ذاكرة له مجازا وزكريا بدل او عطف بيان او منصوب باضمار اعنى هذا على قراءة ذكر بصيغة المصدر وفيه قراءة اخرى وهى ان يقرأ على صيغة الماضى بتخفيف الكاف وتشديدها وان يقرأ على صيغة الامر من باب التفعيل الا ان لفظ رحمة على قراءة التشديد مفعول ثان قدم على الاول وهو عبده والفاعل اما ضمير القرآن او ضمير البارى تعالى والتقدير ذكر القرآن المتلو او ذكر الله عبده رحمته اى جعل العبد يذكر رحمته ويجوز على المجاز المتقدم ان يكون رحمة ربك هو المفعول الاول والمعنى ان الله جعل الرحمة ذاكرة للعبد وعلى قراءة التخفيف يكون رحمة منصوبا على انه مفعول به وعبده مرفوعا على انه فاعل الفعل قبله وزكريا مرفوعا على انه بدل او بيان او على انه خبر مبتدأ محذوف وعلى قراءة ذكر بلفظ الامر الظاهر ان يكون مفعوله الاول محذوفا ورحمة منصوبا على المفعول الثانى وعبده منصوبا على انه مفعول رحمة اى ذكر امتك رحمة ربك عبده زكريا ويكون كهيعص كلاما تاما والمراد بالرحمة اجابة الله تعالى دعاءه حين سأل الولد فى ابان الكبر ووقته وابان الشئ بالكسر والتشديد وقته يقال كل الفاكهة فى ابانها اى فى وقتها ﴿قوله اولان ضعف الهرم اخفى صوته﴾ عطف على قوله لان الاخفاء والجهر يعنى انه اتى باقصى ما قدر عليه من رفع الصوت الا ان ذلك الصوت كان خفيا فى الواقع لنهاية ضعفه بسبب الكبر فعلى هذا يكون قوله نادى ربه باقيا على ظاهره فان النداء هو طلب الاقبال بالجهر ورفع الصوت * قال الجوهرى ناداه مناداة ونداء اى صاح به وما كان من زكريا كان صيحة ونداء نظرا الى قصده فعبر عنه بالنداء لذلك ووصف بكونه خفيا فى الواقع * واما ان قيل ان زكريا قصد اخفاء دعائه مع قوله لئلا يلام على طلب الولد فى زمان الكبر او من مواليه الذين خافهم فلا وجه لتسمية ذلك الدعاء نداء مع انه لاجهر فيه * قلنا الجهر لايشترط فى نداء الله تعالى بل هو مشروط فى نداء المخلوق الذى يحتاج فى الاطلاع على ضمير من يطلب اقباله الى ان يسمع منه صوتا دالا على مافى ضميره واليه اشار المصنف بقوله لان الاخفاء والجهر عند الله سيان ﴿قوله تفسير للنداء﴾ يعنى لم يعطف على ماقبله لكمال اتصاله به من حيث كونه تفسيرا او بيانا له ﴿قوله ولانه اصلب ما فيه﴾ الفرق بين الوجهين مع اشتراكهما فى ان كل واحد منهما كناية عن وهن جميع البدن وضعفه ان الوجه الاول يستلزم ضعف جميع البدن من حيث كون العظم عماد جميع البدن واصل بنائه والوجه الثانى يستلزمه من حيث كونه اصلب ما فى البدن مع قطع النظر عن كونه عماده واصل بنائه ولما كان كل واحد من كون العظم عماد البدن وكونه اشد ما فيه واصلبه ينتقل منه الى ضعف جميع البدن من غير ملاحظة الآخر كان كل واحد منهما دليلا مستقلا لتخصيص العظم بالذكر وقيل فى الفرق بينهما ان الاول كناية مترتبة على تشبيه البدن بالبيت وتشبيه العظم بالعمود كما يشعر به قوله لانه دعامة البدن واصل بنائه والثانى ليس كذلك ورد بان العظم عمود البدن واصل لبنائه وقد ذكره علماء التشريح لاسيما عظام الصلب فليس الوجه الاول مبنيا على التشبيه ﴿قوله وتوحيده لان المراد به الجنس﴾ واذا كان العظم الذى هو عمود البدن قد اصابه الوهن او الذى تقوم به الاعضاء او الذى هو اصلب الاجزاء كان اصابته لسائر

وابن عامر وحمزة الياء والكسائى وابو بكر كليهما ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها (ذكر رحمة ربك) خبر ماقبله ان اول بالسورة او بالقرآن فانه مشتمل عليه او خبر محذوف اى هذا المتلو ذكر رحمة ربك او مبتدأ حذف خبره اى فيما يتلى عليكم ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضى وذكر على الامر (عبده) مفعول الرحمة او الذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرنى جود زيد (زكريا) بدل منه او عطف بيان له (اذ نادى ربه نداء خفيا) لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا او لئلا يلام على طلب الولد فى ابان الكبر او لئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم اولان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف فى سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون وقيل تسع وتسعون (قال رب انى وهن العظم منى) تفسير للنداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب ما فيه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلاث

الاجزآء والاعضاء اولى ولا دخل لجمع العظام فى افادة هذا المعنى ولو جمع لكان الغرض المسوق له الكلام حينئذ العدد لا الجنس ولا مدخل لاعتبار العدد فى هذا المقام ﴿قوله شبه الشيب﴾ اى تشبيها مضمرا فى النفس بشواظ النار اى بلهبها الخالص من الدخان واقتصر من طرفى التشبيه على ذكر المشبه وهو الشيب كما اقتصر على ذكر المشبه فى انشبت المنية اظفارها ودل على هذا التشبيه باثبات الاشتعال للشيب كما دل على تشبيه المنية بالسبع باثبات الاظفار لها فتشبيه الشيب بالشواظ استعارة بالكناية واثبات الاشتعال له استعارة تخييلية وشبه انتشار الشيب فى شعر الرأس باشتعال النار ودل عليه باثبات لازم المشبه به حيث اقتصر واخرج التشبيه الثانى مخرج الاستعارة التصريحية التبعية حيث اطلق اسم المشبه به وهو الاشتعال على هذا المعنى المجازى واشتق منه لفظ اشتعل فكان استعارة تصريحية تبعية وكانت هذه قرينة للاستعارة بالكناية * فان قيل اللفظ المستعار فى الاستعارة التخييلية يجب ان لا يتحقق معناه لا حسا ولا عقلا بل يكون معناه صورة وهمية محضة كلفظ الاظفار فان الوهم اخترع للمنية صورة شبيهة بصورة الاظفار المحققة ثم عبر عن تلك الصورة الشبيهة باسم المشبه به وهو الاظفار فمعناه صورة وهمية لا تحقق لها حسا ولا عقلا والمعنى الذى عبر بلفظ اشتعل ليس صورة وهمية بل هو امر ثابت للشيب فالجواب ان الاشتعال بمعنى الانتشار والشيوع امر محقق ثابت للشيب حسا الا ان الاشتعال الحقيقى الذى هو من لوازم المشبه وهو الشواظ انما اثبت له باختراع الوهم وهذا القدر كاف فى كونها استعارة تخييلية وقرينة للاستعارة بالكناية وكونها صورة وهمية لا تحقق لها حسا ولا عقلا ﴿قوله واسند الاشتعال الى الرأس﴾ يعنى ان الاشتعال بمعنى الانتشار والشيوع حقه ان يسند الى الشيب لانه من الصفات القائمة به لكنه اسند الى مكان الشعر الذى هو محل الشيب للمبالغة فى الدلالة على شمول اشتعال الشيب * واعلم ان اصل الكلام المتعارف الاوساط فى هذا المقام ان يقال انى شخت فعدل عنه الى ما هو ابلغ منه وهو شاب رأسى لانه كناية عن الشيخوخة والكناية ابلغ من التصريح ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ وهو اشتعل شيب رأسى فانه ابلغ من شاب رأسى اذ ليس فيه تعريض لانتشار الشيب ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ وهو اشتعل رأسى شيبا فانه ابلغ من قولك اشتعل شيب رأسى من جهات احدها اسناد الاشتعال الى الرأس لافادة شمول الاشتعال اذ وزن اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا وزن اشتعل النار فى بيتى واشتعل بيتى نارا والفرق بين وثانيها ما فى التمييز من التفصيل بعد الاجمال وثالثها تنكير شيبا لافادة التكثير ثم عدل عنه الى ما هو ابلغ وهو اشتعل الرأس شيبا لما فيه من مزيد التقرير لان التعويل فيه على شهادة العقل دون اللفظ فلما اشتمل الكلام على هذه اللطائف ترقى الى اعلى درجات البلاغة ﴿قوله ايضاحا للمقصود﴾ فان شيبا تمييز منقول من الفاعلية اذ الاصل اشتعل شيب الرأس فلما قصد سلوك طريق التفصيل بعد الاجمال ابهم ما هو المشتعل حقيقة ثم ميز بقوله شيبا لتعين ان المشتعل هو الشيب ﴿قوله بل كلما دعوتك﴾ اشارة الى ان قوله بدعائك من اضافة المصدر الى مفعوله اى بدعائى اياك وقوله شقيا اى خائبا فان العرب تقول سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقى بها اذا خاب ولم ينلها ﴿قوله يعنى بنى عمه﴾ بناء على ان تعريف الموالى للعهد الخارجى وان المولى وان كان يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب الا ان المراد فى الآية ابن العم قال الشاعر

مهلا بنى عمنا موالينا * لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

وقوله وانى خفت الموالى وان خرج على لفظ الماضى لكنه يفيد انه فى المستقبل ايضا كقولك انى خفت وخشيت ان يكون كذا تريد المخافة بعد لانه لم يزل الخوف منى وكذا قوله وكانت امرأتى عاقرا ﴿قوله وعن ابن كثير﴾ قرأ الجمهور ورآئى بالمد اى بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة وعن ابن كثير روايتان احداهما بالمد كالجمهور والاخرى بالقصر اى بدون الهمزة وفتح الياء فى كل واحد من قرآءتى المد والقصر ﴿قوله وهو متعلق بمحذوف﴾ يريد بالتعلق تعلق الظرفية لا تعلق المفعولية لان خفت اخذ مفعوله وهو الموالى وليس ظرفا لخفت لفساد المعنى وهو كون خوفه من الموالى الكائنين فى الحال واقعا بعد موته لان معنى من ورآئى بعد موتى وعلى ان يكون ظرفا لمعنى الولاية يكون المعنى خفت الذين يلون الامر بعد موتى ﴿قوله وقرئ خفت الموالى﴾ بفتح الخاء والفاء المشددة من الخفة بمعنى القلة او بمعنى قدامى ويقال درج القوم اذا انقرضوا والدرج بمعنى الطى استعير للموت والموالى فى هذه القرآءة مرفوع على انه فاعل خفت وفى قرآءة العامة منصوب على انه مفعول به وقوله تعالى من لدنك يجوز ان يتعلق بهب ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه

(واشتعل الرأس شيبا) شبه الشيب فى بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه فى الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الذى هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة لدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغنى عن التقييد (ولم اكن بدعائك رب شقيا) بل كلما دعوتك استجبت لى وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوّده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه (وانى خفت الموالى) يعنى بنى عمه وكانوا اشرار بنى اسرآئيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم (من ورآئى) بعد موتى وعن ابن كثير المدّ والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف او بمعنى الموالى اى خفت فعل الموالى من ورآئى او الذين يلون الامر من ورآئى وقرئ خفت الموالى من ورآئى اى قلوا وعجزوا عن اقامة الدين بعدى او خفوا ودرجوا قدامى فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت (وكانت امرأتى عاقرا) لا تلد

(حال)

حال من وليا لانه في الاصل صفة لنكرة تقدم عليها ﴿قوله وليا من صلبي﴾ قال بعض المفسرين طلب زكريا من يلي امر الدين ويقوم مقامه في رعاية امره ولدا كان او غيره وقال الاكثرون انه طلب ولدا من صلبه استشهادا بقوله تعالى في سورة آل عمران حكاية عنه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء واحتج ذلك البعض بعموم لفظة الولي وبانه لما بشر بالولد استعظمه وقال أنى يكون لي غلام ولو كان دعاؤه لان يهبه الله تعالى ولدا لما استعظم ذلك حين بشر به والظاهر ان هذا الدليل لايعارض دليل الاكثرين لانه ليس استعظاما بل سؤال عن جهة حصول الولد كأنه قيل هل يهب لي من امرأتي ونحن على حالنا من الهرم والضعف او بان يحولنا شابين او يهب لي من امرأة غيرها فحصول دعائه هب لي ولدا وارثا مني ومن آل يعقوب فيه صلاح وتقع في الدين وذلك يتناول النبوة والعلم والسيرة الحسنة والمنصب النافع في الدين والمال الصالح ومن جزم الفعلين قصد السببية على معنى ان تهب يرث ومن رفعهما لم يقصدها وجعلهما صفة لوليا فعلى هذا يكون يرث من جملة المطلوب فلهذا لم يرض به صاحب المفتاح وجعله استئنافا لان الانبياء مستجابوا الدعوة فلو دعا زكريا ربه ان يهبه وليا يرثه لاجاب الله دعاءه ووهب له ذلك ولم يوهب وليا كذلك لهلاك يحيى قبل زكريا عليهما الصلاة والسلام ولو جعل يرث مستأنفا لايكون من جملة المطلوب بل يكون بيانا للغرض وغرض الانبياء يجوز ان لايحصل وجعله صاحب الكشاف صفة لان الثابت عنده هلاك زكريا قبل يحيى ذكره في سورة بني اسرآئيل في قوله لتفسدن في الارض مرتين حيث قال اولاهما قتل زكريا والاخرة قتل يحيى بن زكريا وقيل قتل عيسى بن مريم عليهم السلام وقيل لاتقتضيه ان يستجاب للنبي بعض ماسأل دون بعض فانه روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « سألت الله تعالى ثلاثا فاعطاني اثنين منها ومنعني واحدة » ﴿قوله وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام﴾ قال الامام اكثر المفسرين على ان يعقوب ههنا هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام لان زوجة زكريا عليه السلام هي ايشاع اخت مريم بنت عمران بن ماثان وكانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهوذا بن يعقوب بن اسحق وكان بين عمران بن ماثان وعمران بن يصهر الف وثمانمائة سنة صرح به المصنف في اول سورة آل عمران وكانت النبوة في سبط يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام وقال بعض المفسرين ليس المراد من يعقوب ههنا ولد اسحق بل هو اخو عمران بن ماثان وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا لما ان ام يحيى هي بنت عمران بن ماثان فتكون قرابة آل يعقوب ليحيى من قبل امه فيكونون اخواله وعلى تقدير ان يكون يعقوب اخا زكريا يكون آل يعقوب اعماما ليحيى قال الكلبي كان بنوا ماثان رؤس بني اسرآئيل وملوكهم وكان زكريا رأس الاحبار يومئذ فاراد ان يرث ولده منه حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم ﴿قوله واويرث﴾ هو تصغير وارث والاصل وويرث بواوين وجب قلب الاولى همزة لاجتماعهما متحركتين في اول الكلمة كما في اويصل اصله وويصل تصغير واصل والواو الثانية بدل من الف فاعل ﴿قوله وهذا يسمى التجريد﴾ اى هذا الصنيع وهو ان ينتزع من امر ذي صفة آخر مثله فيها اذا نالكمالها فيه نحو ان يجرد من الولي وهو الوارث نفسه وارثا آخر ابدالة الكمال الوارثية فيه وقد يكون التجريد بكلمة في كما في قوله تعالى في صفة جهنم لهم فيها دار الخلد واعلم ان زكريا عليه الصلاة والسلام قدم على سؤال الولد امورا ثلاثة احدها استيلاء الضعف عليه وعلى امرأته وذلك مما يزيد الدعاء تأكيدا لما فيه من الاتكال على حول الله وقوته والتبري من الاسباب الظاهرة وثانيها انه تعالى عوده بالاجابة ولم يرد دعاءه قط والكريم اذا عود احدا بالاحسان لايقطعه بالآخرة لاسيما في زمان كونه احوج اليه وثالثها كون المطلوب منتفعا به في امر الدين وهو قوله واني خفت الموالي وفرع سؤال الولد على هذه الامور الثلاثة وقوله تعالى يا زكريا فيه اختصار اى فاستجبنا دعاءه وقلنا يا زكريا فعلى هذا كان النداء من الله تعالى كما ذهب اليه اكثر المفسرين لانه ذكر قبل هذه الآية ان زكريا نادى ربه نداء خفيا وسأله الولد وذكر بعدها انه عليه الصلاة والسلام قال رب أنى يكون لي غلام ولما كان ماقبل هذه الآية ومابعدها خطابا مع الله تعالى وجب ان يكون نداء زكريا من الله تعالى والا لفسد النظم « وقيل هو نداء الملك لقوله تعالى في سورة آل عمران فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى » والجواب ان حصول النداء من الملائكة وهو قائم لاينافي حصوله من الله تعالى وقوله وهو شاهد اى مدح يحيى بانه لم يكن له سمي قبل شاهد بان التسمية بالاسامي النادرة الغريبة تنويه اى رفع لقدر المسمى يقال ناه الشئ ينوه اى ارتفع ونوهته تنويها اذا رفعته ونوهت باسمه اذا رفعت ذكره ﴿قوله كقوله تعالى هل تعلم له سميا﴾ اى مثلا وشبيها

(فهب لي من لدنك) فان مثله لايرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامرأتي لانصلح للولادة (وليا) من صلبي (يرثني ويرث من آل يعقوب) صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لايورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا او كان اخا عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين واويرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد من المذكور اولا مع انه المراد (واجعله رب رضيا) ترضاه قولا وعملا (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى) جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له (لم نجعل له من قبل سميا) لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله تعالى هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم

فى صفات الجلال والجمال فان اول الآية فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ومعلوم ان مجرد تفرده بالاسم
لا يوجب عبادته ٭ فان قيل لو كان السمى فى الآية بمعنى المثل لزم تفضيل يحيى على الانبياء الذين قبله كآدم ونوح وابراهيم
وموسى عليهم الصلاة والسلام وذلك باطل ٭ اجيب بان المراد هل تعلم له شبيها فيما خص به من الاوصاف وهو ان كل
الناس انما سماهم آباؤهم وامهاتهم بعد دخولهم فى الوجود واما يحيى عليه الصلاة والسلام فان الله تعالى هو الذى
سماه قبل دخوله فى الوجود فكان ذلك من خواصه ولم يكن له شبيه فى هذه الخاصية وانه ولد بين شيخ فان وعجوز
عاقر وانه كان حصورا لا يقرب النساء حصرا لنفسه اى منعها من الشهوات ولا يقرب اللعب واللهو ﴿ قوله
لانه حيى به رحم امه ﴾ وزال عقرها الذى هو بمنزلة الموت للرحم وقيل سمى يحيى لان الله تعالى احيى قلبه بالايمان
والطاعة فانه تعالى سمى المطيع حيا والعاصى ميتا بقوله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه قيل ان يحيى اول من آمن
بعيسى فصار قلبه حيا بذلك وذلك ان ام يحيى كانت حاملا به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها ام يحيى
يا مريم أحامل انت فقالت مريم لماذا تقولين كذا فقالت انى ارى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك وقيل احياه الله
تعالى بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ٭ ما من احد الا وقد عصى او هم بمعصية الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعملها ﴿ قوله تعالى وقد بلغت
من الكبر عتيا ﴾ حال من ياء المتكلم فى قوله أنى يكون لى غلام معطوفة على قوله وكانت امرأتى وقد مقدرة فيها
والمعنى أنى يكون لى غلام حين بلوغى فيما مع ان العقر صفة قديمة لامرأتى لم يولد لى منها غلام حال شبابى وحال كهولتى
لكون امرأتى عاقرا من ابتداء انشائها فكيف تلد حال شيخوختى مع قدم عقرها وتمكن هذه الصفة فيها وضعف
بدنى ونحو قوتى ﴿ قوله جساوة ﴾ اى يبسا وانجمادا يقال جسا الشيخ جسوا اى بلغ غاية السن وفحل الشئ
فحولا اى يبس وفحل الشيخ المفاصل جلده على عظمه ﴿ قوله ثم قلبت الثانية وادغمت ﴾ فصار عتيا بضم العين
وكسر التاء وهى قراءة غير حمزة والكسائى وحفص فانهم قرأوا عتيا وصليا وجثيا بكسر اوائلها للاتباع وقرأ حمزة
والكسائى بكسر العين والباقون بضم اول ذلك كله ﴿ قوله وانما استعجب الولد الخ ﴾ جواب عما يقال الظاهر
ان الاستفهام فى قوله تعالى أنى يكون لى والدليل استفهام انكار بل هو استفهام تعجب وما وجهه مع انه هو الذى طلب
الولد فى حال كبره وعقر امرأته وطلبه ذلك يستلزم علمه بكونه تعالى قادرا على هبة الولد لهما فما وجه تعجبه حال
ما بشر به مع علمه بقدرة الله تعالى عليه ٭ وتقرير الجواب ان علمه بامكان حصول الولد من صلبهما لكونه تعالى قادرا
على كل الممكنات لا ينافى ان يتعجب ويستعظم كمال قدرة الله تعالى على تكوين الاشياء من غير توسط الاسباب
والوسائط ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون قول زكريا عليه الصلاة والسلام أنى يكون لى غلام اعترافا بكمال
قدرة الله وبان تأثيرها لا يتوقف على الاسباب بان قال كذلك على ان محل الكاف رفع على انه خبر مبتدأ محذوف
والتقدير الامر كذلك وقوله قال ربك ابتداء كلامهم استونف به جوابا لما يقال فماذا قال الله تعالى بعد تصديقه
زكريا فاجيب قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ وقد تقرر ان الكاف الذى بمعنى مثل فى كذلك
تكون مقحمة لتأكيد لامر ان لفظ المثل فى قولهم مثلك لا يبخل بمعنى انت لا تبخل فالمعنى فى الآية انه تعالى
قال مثل ذلك الكلام هو على هين فيكون الكاف بمعنى مثل وذا فى الآية اشارة الى ما سبق ذكره وهو قول
زكريا رب أنى يكون لى غلام الخ او ما وعده الله تعالى اياه بقوله يا زكريا انا نبشرك بغلام ﴿ قوله ويؤيد الاول ﴾
وهو ان يكون كذلك خبر مبتدأ محذوف وتكون الجملة مقول قال الاول على قراءة من قرأ وهو على هين
بالواو فان تخلل الواو فيه بين الجملة وذلك يمنع من كون ذلك اشارة الى مبهم وكون الجملة تفسيرا لان المفسر
يتعين ان يكون محله هو على هين وان جعلت الكاف منصوبة بقال الثانية تكون قال الثانية مع ما فى حيزها مقول
قال الاولى وانصار القول الثانى على قراءة الواو تكرارا ﴿ قوله اوكما وعدت ﴾ لا فائدة يعتد بها فيه غير ان
الاول بفتح التاء والموعود له هو ان يحصل له الغلام المبشر به فى المستقبل فيكون هين بمعنى يهون حصوله على
والثانى بضم التاء والذى وعده الله تعالى بالنسبة اليه تعالى هين ازلا وابدا وان كان بالنسبة الى زكريا لا يهون عليه
﴿ قوله بل كنت معدوما ﴾ ومن قدر على الخلق والايجاد من العدم الصرف كان قادرا على تبديل صفات الشيخ
الضعيف والشيخة العاقر بان يعيد اليهما القوة التى منها يتولد الماآن اللذان يخلق من اجتماعهما الولد والمعدوم ليس
بشئ عند اهل السنة وبعض المعتزلة خلافا لبعضهم ومنهم من قال المعدوم شئ ﴿ قوله علامة اعلم بها

والاظهر انه اعجمى وان كان عربيا فمنقول من
فعل كيعيش ويعمر قيل سمى به لانه حيى به
رحم امه او لان دين الله حيى بدعوته (قال
رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا
وقد بلغت من الكبر عتيا) جساوة وقحولا
فى المفاصل واصله عتو وكقعود فاستثقلوا
توالى الضمتين والواوين فكسروا التاء
فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية
وادغمت وقرأ حمزة والكسائى عتيا بالكسر
وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر
اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته فان الوسائط
عند التحقيق ملغاة ولذلك (قال) اى الله او
الملك المبلغ للبشارة تصديقا له (كذلك)
الامر كذلك ويجوز ان تكون الكاف منصوبة
بقال فى (قال ربك) وذلك اشارة الى مبهم
تفسيره (هو على هين) ويؤيد الاول قراءة
من قرأ وهو على هين اى الامر كما قلت او كما
وعدت وهو على هين لا احتاج فيما اريد ان
افعله الى الاسباب ومفعول قال الثانى محذوف
اى افعل ذلك وهو على هين (وقد خلقتك من
قبل ولم تك شيأ) بل كنت معدوما صرفا وفيه
دليل على ان المعدوم ليس بشئ وقرأ حمزة
والكسائى وقد خلقناك (قال رب اجعل لى
آية) علامة اعلم بها وقوع ما بشرتنى به (قال
آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) سوى
الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر
الليالى ههنا والايام فى آل عمران للدلالة على انه
استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر
والشكر ثلاثة ايام ولياليهن

وقوع ما بشرتني به فان البشارة بالولد وقعت مطلقة فلا يعرف وقتها بمجرد البشارة فطلب آية يعلم بها وقت وقوع ذلك الغلام في رحم امرأته ليزداد في الشكر ودعاء السلامة واتفقوا على ان تلك الآية هي تعذر الكلام عليه فان مجرد السكوت مع القدرة على الكلام لا يكون معجزا ثم اختلفوا على قولين احدهما انه اعتقل لسانه اصلا والثاني انه امتنع عليه الكلام مع القوم على وجه المخاطبة مع انه كان متمكنا من ذكر الله تعالى ومن قرآءة التوراة واختار المصنف هذا القول حيث قال والتجرد للذكر والشكر وقوله تعالى سويا حال من فاعل تكلم اى لا تكلم الناس في هذه المدة حال كونك صحيحا سويا والمحراب يطلق على المسجد وعلى الغرفة وقوله ان سبحوا يجوز ان يكون تفسيرا لأوحى وان يكون بمعنى المصدر المنصوب على انه مفعول اوحى وبكرة وعشيا ظرفان للتسبيح ﴿قوله وقيل كتب لهم على الارض﴾ لم يرتض به لقوله تعالى في سورة آل عمران آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا والرمز لا يطلق على الكتابة وروى عن ابى العالية ان البكرة صلاة الفجر والعشى صلاة المغرب فيحتمل ان يكون المعنى انهم يصلون معه في محرابه هاتين الصلاتين بان يخرج اليهم فيأذن لهم بلسانه في دخول محرابه فلما اعتقل لسانه خرج اليهم على عادته فاذن لهم بالاشارة بدل الكلام وفيه دلالة على ان الصلاة كانت في الامم الماضية في ختم الليل والنهار ﴿قوله على تقدير القول﴾ اى فوهبنا له يحيى وقلنا له بعد ولادته في حال طفوليته يا يحيى وصف الله تعالى اياه بهذه الصفات التسع كرامة له الصفة الاولى كونه مخاطبا من الله بقوله خذ الكتاب فدل ذلك على انه تعالى بلغ يحيى المبلغ الذى يجوز ان يخاطب فيه بذلك والصفة الثانية قوله وآتيناه الحكم صبيا فان صيرورة الصبى في صغره عاقلا قوى القلب بحيث يقدر على قرآءة التوراة بالفهم والاستبصار وتجرى كلمات الحكمة على لسانه كما تجرى على السنة الحكماء ليس ابعد من انشقاق القمر وانفلاق البحر والصفة الثالثة قوله تعالى وحنانا من لدنا وزكاة وهو معطوف على الحكم اى وآتيناه تحننا والحنان الرحمة واللين وحنين الناقة صوتها اذا اشتاقت الى ولدها والصفة الرابعة قوله تعالى وزكاة اى وآتيناه زكاة اى عملا صالحا زاكيا او كونه متصدقا به على ابويه والصفة الخامسة قوله تعالى وكان تقيا اى يتقى عما نهى الله عنه ويجتنبه واولى الناس بهذا الوصف من لم يعص الله تعالى والصفة السادسة قوله وبرا بوالديه ولا عبادة بعد تعظيم الله تعالى مثل تعظيم الوالدين ولهذا قال تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا والصفة السابعة قوله ولم يكن جبارا والمراد وصفه بالتواضع ولين الجانب والصفة الثامنة قوله عصيا وهو ابلغ من العاصى كما ان العليم ابلغ من العالم والصفة التاسعة قوله وسلام عليه اى امان من الله تعالى له وسلامة وهو عطف على آتيناه قيل اوحش ما يكون الخلق فيه ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى ما لم يشاهده قط ويوم يبعث حيا فيرى محشرا عظيما فاكرم الله تعالى يحيى عليه الصلاة والسلام فخصه بالسلامة والسلام عليه في هذه المواطن الثلاثة ثم انه تعالى لما ذكر ولادة يحيى عليه الصلاة والسلام من شيخ فان وعجوز عاقر ذكر ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام من غير اب وقدم القصة الاولى على الثانية على طريق الترقى مما هو اقرب الى العقل والعادة الى ما هو ابعد عنهما فقال واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت وذكر لكلمة اذ اربعة اوجه الاول كونها بدل اشتمال من المحذوف المضاف الى مريم والثانى كونها بدل كل منه بناء على ان يراد بالظرف ما وقع فيه والثالث ان يكون ظرفا لمضاف المقدر اى اذكر قصة مريم او خبرها او نبأها اذ انتبذت والرابع ان يكون بمعنى ان المصدرية فيكون بدل اشتمال اى واذكر مريم انتباذها وتقدير المثال لا اكرمك لان لم تكرمنى اى لعدم اكرامك ولا يجوز ان يكون ظرفا لاذكر لان الذكر ليس في ذلك الوقت والنبذ اصله الطرح والالقاء والانتباذ افتعال منه وانتبذت اى اعتزلت وتباعدت وانفردت على سرعة الى مكان هى ناحية الشرق من بيت المقدس او من دارها ثم انها لم تقتصر على ذلك بل اتخذت من دون اهلها حجابا اى حائلا يحول بينها وبينهم ثم لا بد في احتجابها من ان يكون لغرض صحيح وليس بمذكور في القرآن واختلف المفسرون فيه على وجوه فقيل انها لما رأت الحيض تباعدت من مكانها المعتاد للعبادة تنتظر الطهر لتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل قعدت في المشرقة وهو موضع قعود في الشمس وضم الراء وفتحها لغة فيه وفيه لغتان اخريان مشراق وشرقة بفتح الشين وسكون الراء احتجبت عن اهلها لتخلى للعبادة ولا تشتغل عنها وقيل كان لها في منزل زكريا محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها الباب فتمنت خلوة في الجبل لتفلى رأسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل عطشت فخرجت الى

(فخرج على قومه من المحراب) من المصلى او من الغرفة (فاوحى اليهم) فاومأ اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض (ان سبحوا) صلوا او نزهوا ربكم (بكرة وعشيا) طرفى النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة (يا يحيى) على تقدير القول (خذ الكتاب) التوراة (بقوة) بجد واستظهار بالتوفيق (وآتيناه الحكم صبيا) يعنى الحكمة وفهم التوراة وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنبأه (وحنانا من لدنا) ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم (وزكاة) وطهارة من الذنوب او صدقة اى تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس (وكان تقيا) مطيعا متجنبا عن المعاصى (وبرا بوالديه) وبارا بهما (ولم يكن جبارا عصيا) عاقا او عاصى ربه (وسلام عليه) من الله (يوم ولد) من ان يناله الشيطان بما ينال به بنى آدم (ويوم يموت) من عذاب القبر (ويوم يبعث حيا) من عذاب النار وهول القيامة (واذكر في الكتاب) في القرآن (مريم) يعنى قصتها (اذ انتبذت) اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمك اذ لم تكرمنى فتكون بدلا لا محالة (من اهلها مكانا شرقيا) شرقى بيت المقدس او شرقى دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انتبذت متضمن معنى اتت (فاتخذت من دونهم حجابا) سترا (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) قيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشئ يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت

المغارة لسبق والله اعلم ﴿قوله لتستأنس بكلامه﴾ فانه لو ظهر فى صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه ﴿قوله ولعله﴾ اى ولعل تمثله فى تلك الصورة البهية تهيج شهوتها اطلق الروح على جبريل عليه الصلاة والسلام تشبيها له بالروح فى انه سبب لحياة الدين كما ان الروح سبب لحياة البدن وهذه استعارة فى مجرد الروح ثم اضيف الروح الى ضمير المتكلم ليعلم ان المراد منه ليس روح البدن فهو قرينة الاستعارة ﴿قوله وتحتفل﴾ اى تتصرف وتذهب يقال حفلته فاحتفل اى جلوته عن مكانه فانجلى ﴿قوله ويجوز ان يكون للمبالغة﴾ اى فى عوذها بالرحمن عطف على ماقبله من حيث المعنى فان محصول ماقبله ان قوله ان كنت تقيا لتقييد الحكم المدلول عليه بما قدر جزاء ثم قال ويجوز ان لايكون المقصود منه تقييد الحكم بل يكون للمبالغة فى عوذها بالرحمن كأنها قالت انى عائذة منك ان كنت تقيا فكيف ان لم تتق كقوله عليه السلام نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فان الشرط فيه للمبالغة فى نفى العصيان على انه لو لم يخف منه تعالى لم يعصه فكيف اذا خاف منه ثم ان جبريل عليه الصلاة والسلام لما علم خوفها قال انما انا رسول ربك على طريق قصر الموصوف على الصفة ليزول عنها ذلك الخوف اى لست فى ما تخافين منى لاجله وانما شأنى الرسالة من قبل ربك فى هبة الغلام واسند الهبة الى نفسه لكونه سببا فى هبته من حيث انه تعالى وهب الغلام لمريم بواسطة نفخ الملك فى درعها ويجوز ان يكون ضمير أهب لله تعالى على ان يكون الملك حاكيا لها كلام ربها بقول مضمر كأنه قال انما انا رسول ربك لابلغ اليك ماقاله الله تعالى فى حقك وهو قوله لاهب لك غلاما ﴿قوله ولم يباشرنى رجل بالحلال﴾ جواب عما يقال قولها ولم يمسسنى بشر كاف فى مقصودها وهو ان تقول انما يكون بمس البشر وليس فى ذلك فلم قالت بعده ولم اك بغيا وتقرير الجواب انها جعلت المس على المس المشروع وهو مايكون مسبوقا بالنكاح فلذلك احتاجت الى ان تقول ولم اك بغيا كأنها قالت الولد لايكون الا بنكاح او سفاح ولم يتحقق شئ منهما عندى ونحو المس والمباشرة والقربان مما يكنى به عن الغشيان المشروع وان كان بحسب المفهوم المشروع وغيره الا ان المؤمن انما يطلق مثل هذه الكنايات على الوطئ المشروع ولا يكنى عن الزنى الا بما فيه تعيير وتقبيح نحو خبث بها وفجر ﴿قوله ولذلك لم تلحقه التاء﴾ اى ولكونه فعولا بمعنى الفاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال بغى للذكر الفاجر والمرأة التى تبغى الرجال لم تلحقه التاء وانما يفرق بينهما بالتاء اذا كان بمعنى المفعول فيقال ناقة حلوبة مثلا وان جعل البغى فعيلا بمعنى فاعل ينبغى ان يكون بتاء التأنيث نحو امرأة بصيرة وقديرة الا انه لم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسب كذا قاله ابو البقاء وتبعه المصنف ووجه التعليل بهما ان التاء انما تلحق اسماء الفاعلين حملا لها على الفعل وانما تحمل عليه اذا كانت جارية عليه وموافقة له لفظا ومعنى بان تكون للحال او الاستقبال والفاعل الذى يكون للمبالغة والنسب يكون للدوام والثبوت لا للحال ولا للاستقبال فلم يجر على الفعل لفظا ولا معنى لم تلحقه التاء فرقا بينه وبين مايجرى عليه لفظا ومعنى وكذا لاتلحق التاء ماكان للنسب مما هو على فاعل نحو تامر ولابن وحائض اذا اريد بها ذات تمر وذات لبن وذات حيض فكذا بغى اذا كان بمعنى ذات بغى وتعليل الاستواء بكون الصفة للمبالغة مطلقا لاوجه له لانهم صرحوا بان ابنية المبالغة من الثلاثى ثلاثة اقسام الاول مايفرق فيه بين المذكر والمؤنث مطلقا اى سواء كان جاريا على الموصوف اولا يكون كصبار وصديق وامير فجعلوا نحو امير مما يلحقه التاء مطلقا والثانى مايستويان فيه مع الموصوف ويفترقان بدونه كمعطار ومسكين وفعول الذى لايكون بمعنى مفعول كناقة ركوبة والثالث مايستويان فيه مطلقا كضحكة وعلامة ﴿قوله ونفعل ذلك لنجعله﴾ يعنى ان قوله ولنجعله علة لمعلل محذوف وجملة التعليل مع المعلل معطوفة على قوله هو على هين ﴿قوله او لنبين به قدرتنا ولنجعله﴾ على ان يكون معطوفا على علة مضمرة عطف مفرد على مفرد وحمل الكلام على اضمار المعلل اولى لان اضماره يغنى عن اضمار العلة بخلاف اضمار العلة فانه لايغنى عن اضمار المعلل الذى يذكر قبل العلة المضمرة مايصح تعليله بها الا لايصح ان يقال هو على هين لنبين به قدرتنا بل لابد ان يجعل التقدير هو على هين وفعلنا ذلك لنبين به قدرتنا والظاهر ان الضمير فى قوله هو على هين راجع الى خلق ذلك الغلام بغير ذكر وكذا ضمير ولنجعله آية فان ذلك الخلق آية على كمال قدرة الله تعالى لانه قد تقرر انه تعالى لما خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وخلق حواء من ذكر بلا انثى ظهر انه تعالى قادر على انواع الخلق يخلق كيف يشاء وانه على كل شئ قدير الا ان عطف قوله ورحمة منا على قوله آية يستدعى ان يكون ضمير ولنجعله للغلام لان من كان رحمة للعباد هو الغلام فانه النعمة لمن تبعه فى دنياه وآخرته

(قوله)

فبينا هى فى مغتسلها اتاها جبرائيل متمثلا بصورة شاب امرد سوى الخلق لتستأنس بكلامه ولعله لتهيج شهوتها به فتنحدر نطفتها الى رحمها (قالت انى اعوذ بالرحمن منك) من غاية عفافها (ان كنت تقيا) تتقى الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ماقبله اى فانى عائذة منك او فتتعظ بتعويذى او فلا تتعرض لى ويجوز ان يكون للمبالغة اى ان كنت تقيا متورعا فانى اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك (قال انما انا رسول ربك) الذى استعذت به (لاهب لك غلاما) اى لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقوله سبحانه ويؤيده قراءة ابى عمرو وابن كثير من نافع ويعقوب بالياء (زكيا) طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح (قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر) ولم يباشرنى رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنى فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله (ولم اك بغيا) عليه وهو فعول من البغى قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسبة كطالق (قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله) اى ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لاهب على طريقة الالتفات (آية للناس) علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا (ورحمة منا) على العباد يهتدون بارشاده

﴿قوله اى تعلق به قضاء الله﴾ اى حكمه قال تعالى وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه وماحكم الله بوقوعه يجب وقوعه لانه لو لم يقع لانقلب علم الله جهلا وهو محال ﴿قوله اوقدر وسطر فى اللوح﴾ على ان يكون القضاء بمعنى التقدير ومنه القضاء والقدر ﴿قوله اوكان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل﴾ على ان يكون القضاء بمعنى الصنع والفراغ يقال قضيت حاجتى وقال تعالى فقضاهن سبع سموات ولما كان نفس خلقه وايجاده رحمة للعباد وكان خلقه على هذا الوجه علامة دالة على كمال قدرة الله تعالى كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل فصار بذلك كانه امر مقضى ومفعول فلذلك قيل فى حقه قبل ان يولد انه كان امرا مقضيا ﴿قوله بان نفخ فى درعها﴾ قيل ان جبريل عليه الصلاة والسلام رفع درعها فنفخ فى جيبه فحملت حين لبسته وقيل نفخ جبريل عليه السلام من بعد فوصل الريح اليها فحملت بعيسى فى الحال وقيل فدجيب درعها باصبعه ثم نفخ فى الجيب حتى وصلت النفخة الى الرحم وقيل نفخ فى ذيلها قال السدى اخذ بكميها فنفخ فى جيب درعها فدخلت النفخة صدرها فحملت فجاءتها اختها امرأة زكريا وهى حامل بيحيى تزورها فلما التزمتها عرفت انها حبلى وذكرت مريم حالها فقالت امرأة زكريا انى وجدت مافى بطنى سجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى فى حق يحيى عليه الصلاة والسلام مصدقا بكلمة من الله وقيل ان النفخة كانت فى فيها فوصلت الى بطنها فحملت فى الحال وعلى التقادير ظهر ان فى الكلام حذفا وهو وكان امرا مقضيا فنفخ فيها فحملته اى حملت عيسى فى بطنها ﴿قوله وهو فى بطنها﴾ يريد ان الباء فى به للملابسة وان الجار والمجرور فى محل النصب على انه حال من فاعل انتبذت كقوله تنبت بالدهن اى تنبت والدهن فيها كما ان بنا فى قول المتنبى حال من فاعل تدوس اى تدوس الجماجم ونحن عليها والدوس الوطء بالارجل واول البيت

كأن خيولنا كانت قديما ۞ تسقى فى قحوفهم الحليبا ۞
فمرت غير نافرة عليهم ۞ تدوس بنا الجماجم والتريبا ۞

القحوف جمع قحف وهو العظم الذى فوق الدماغ والحليب اللبن والضمير فى قحوفهم للاعداء والجماجم جمع جمجمة وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ والتريب عظم الصدر والعرب تسقى اللبن كرام خيولها يقول كأن خيلنا كانت تسقى اللبن فى القحف رؤس الاعداء فألفت بها فكانت خيولنا تمر عليهم وتدوس اى تطأ بأرجلها جماجمهم وترائبهم ونحن عليها ولم تنفر عنهم ﴿فان قلت لم لم تجعل الباء فى قوله فانتبذت به للتعدية ﴾ قلت الجواب ان المفعول الذى يتعدى الفعل اليه بالباء يجب ان يكون بحيث لا يستلزم صدور الفعل من الفاعل المتعلق به كما فى قولك ذهبت بزيد وصدور الانتباذ من الفاعل يستلزم انتباذ مافى بطنها من الجنين فلا فائدة فى ايراد حرف التعدية والقصى البعيد يقال مكان قاص وقصى مثل عاص وعصى واختلف فى علة الانتباذ على وجوه احدها ماروا الثعلبى عن وهب انه قال ان مريم لما حملت بعيسى عليه الصلاة والسلام كان لها ابن عم يسمى يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون فكان مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من اهل زمانهما احد أشد اجتهادا وعبادة منهما واول من عرف بامر مريم يوسف فتحير فى امرها فكلما اراد ان يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وانها لم تغب عنه ساعة قط واذا اراد ان يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل فاول ماتكلم ان قال لها انه قد وقع فى نفسى شئ من امرك وقد حرصت على كتمانه فغلبنى ذلك فرأيت ان الكلام فيه اشفى لصدرى فقالت قل قولا جميلا فقال اخبرينى يامريم هل ينبت زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلم ان الله انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر وهذا البذر انما حصل من الزرع الذى انبته الله تعالى من غير بذر أو لم تعلم ان الله انبت الشجر بغير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ماخلق كل واحد منهما على حدة او لم تعلم ان الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زالت التهمة عن قلب يوسف فكان ينوب عنها فى خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل وتضيق القلب فلما دنا نفاسها اوحى الله تعالى اليها ان اخرجى من ارض قومك لئلا يقتلوا ولدك فاحتملها يوسف الى ارض مصر على حمار له فلما بلغت تلك البلاد وادركها النفاس الجأها المخاض الى اصل نخلة وذلك فى زمان برد فاحتضنتها فوضعت عندها وثانيها انها استحيت من زكريا فذهبت الى مكان بعيد لئلا يعلم بها زكريا عليه الصلاة والسلام وثالثها انها لما كانت فى نهاية الشهرة استحيت من هذه الواقعة ورابعها انها خافت على ولدها لو ولدته فيما بين اظهرهم ۞ واعلم ان هذه الوجوه كلها محتملة وليس فى القرآن مايدل على شئ منها

(وكان امرا مقضيا) اى تعلق به قضاء الله فى الازل اوقدر وسطر فى اللوح اوكان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة (فحملته) بان نفخ فى درعها فدخلت النفخة فى جوفها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين (فانتبذت به) فاعتزلت وهو فى بطنها كقوله ۞ تدوس بنا الجماجم والتريبا ۞ والجار والمجرور فى موضع الحال (مكانا قصيا) بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار

فالاولى السكوت عنها ﴿قوله كالمتعالم﴾ مفعول من تعالمه الجميع اى علموه ﴿قوله من تحتها عيسى﴾ عليه الصلاة والسلام وقدم هذا الاحتمال لان من تحتها بفتح الميم انما يستعمل اذا كان قد علم قبل ذلك ان تحتها احدا والذى علم كونه تحتها هو عيسى عليه الصلاة والسلام فوجب ان يكون هو المراد به ولان ذلك الموضع موضع اللوث والنظر الى العورة فلا يليق بالملك ان يكون فى ذلك الموضع بمنزلة القابلة فالمعنى انه تعالى انطقه لها حين وضعته تطييبا لقلبها وازالة للوحشة عنها حتى تشاهد فى اول الامر ما بشرها تطييبا لقلبها من علو شأن ذلك الولد ومن قال المنادى هو جبريل عليه الصلاة والسلام قال انه ارسل اليها ليناديها بهذه الكلمات كما ارسل اليها فى اول الامر تذكيرا للبشارات المتقدمة وكان المراد بالنداء هذا الخطاب لا الصيحة برفع الصوت كما فى قوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا ولما كان هذا الكلام مبنيا على ان يكون المعنى من تحت مريم عطف عليه احتمال ان يكون المعنى من تحت مكانها بان يكون المنادى فى مكان اسفل من مكانها وفيه وجهان الاول ان يكونا معا فى مكان مستو ويكون هناك مبدأ معين لتلك النخلة فكل من كان اقرب منها كان فوق وكل من كان ابعد كان تحت وعلى هذا الوجه قال بعضهم انه ناداها من اقصى الوادى والثانى ان يكون موضع احدهما اعلى من موضع الآخر فيكون صاحب العلو فوق صاحب السفل وعلى هذا الوجه روى عن عكرمة انها كانت حين ولدت على دامة وجبريل عليه السلام كان اسفل منها والدامة الاكمة المرتفعة من الارض ﴿قوله ان لا تحزنى اى لا تحزنى﴾ على ان تكون ان مفسرة لتقدمها ما هو بمعنى القول وكلمة لا على هذا ناهية وحذف نون تحزنى للجزم وقوله او بان لا تحزنى على ان تكون ان مصدرية ولا نافية وحذف النون للنصب ﴿قوله هكذا روى مرفوعا﴾ اى انه عليه الصلاة والسلام سئل عن السرى فقال هو الجدول وهو النهر الصغير وسمى سريا لان الماء يسرى فيه ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى فكلى واشربى فان تفريعه على ذكر السرى وتساقط الرطب الجنى انما يحسن بان يراد بالسرى الجدول حتى يجمع فى تسليتها بين الماء والرطب فتؤمر بان يقال فكلى واشربى وقال صاحب الكشاف فان قلت ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسرى والرطب قلت لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قذفوها به بمعزل وان لها امورا خارجة من العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شأنها ﴿قوله وقيل سيدا من السرو﴾ يقال سرا يسرو سروا من باب نصر وسرى يسرى سرى من باب علم وسرو يسرو سراوة من باب حسن والجميع بمعنى صار سريا اى سيدا وجمع السرى سراة وجمع السراة سروات والمراد بالسرى ههنا عيسى عليه الصلاة والسلام ويؤيد هذا القول ان النهر لا يكون تحت الانسان بل يكون الى جنبه ومن قال السرى هو النهر استشهد بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ضرب عيسى او جبريل بعقبه الارض فظهر ماء عذب يجرى النهر وقيل انه كان هناك ماء جار والاول اقرب نقيا لان قوله قد جعل ربك تحتك سريا يشعر بالجدول فى ذلك الوقت ولان الله تعالى ذكر ذلك تعظيما لشأنها وذلك لا يثبت الا على الاول ﴿قوله وامليه اليك﴾ اشارة الى ان الهز مضمن معنى الامالة لان الهز بمعنى التحريك لا يتعدى بالى بل يتعدى بنفسه فالباء زائدة فى المفعول كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والتقدير حركى جذع النخلة مميلة ذلك اليك ﴿قوله او افعلى الهز والامالة به﴾ على ان ينزل الفعل المتعدى منزلة اللازم للمبالغة على طريق قولهم فلان يعطى ويمنع ثم يعدى كما يعدى الفعل اللازم فتكون الباء للظرفية فلا تكون زائدة بل تكون للتعدية كما فى قول الشاعر

° فان تعتذر بالمحل عن ذى ضروعها ° الى الضيف يجرح فى عراقيبها نصلى °

فانه جعل الجرح لازما ثم عداه بفى اراد بذى ضروعها اللبن الذى فى الضرع والمحل الجدب وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلا ويجرح جواب الشرط ونصلى فاعله والمراد بالنصل السيف والعراقيب جمع عرقوب وهو العصب الغليظ فوق عقب الحيوان ومعنى البيت اذا اعتذرت الناقة الى الضيف من قلة اللبن بسبب المحل وخلو الارض من الكلا اذبحها للضيفان ﴿قوله او هزى الثمرة بهزه﴾ اى بهز الجذع على ان يكون مفعول الهز محذوفا وتكون الباء للاستعانة كما فى قولك كتبت بالقلم ٭ فان قلت ان الهز والتحريك يقع على الجذع اصالة وعلى الثمر تبعا فتقديم الثمر يستلزم ان يجعل الاصل تبعا والتبع اصلا فلا وجه لارتكابه مع قيام المعنى الصحيح الحاصل بان تجعل الباء صلة لتأكيد التعلق ٭ قلنا هز الثمر وان كان تابعا بحسب الوجود الا انه اصل بالنظر الى ان

(فاجاءها المخاض) فألجأها المخاض وهو فى الاصل منقول من جاء لكنه خص به فى الاستعمال كآتى فى اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج (الى جذع النخلة) لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العذق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة فيها وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى ألهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعها ويطعمها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها (قالت يا ليتنى مت قبل هذا) استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت (وكنت نسيا) ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرأ حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمى به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته (منسيا) منسى الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع (فناداها من تحتها) عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان فى نادى ضمير احدهما وقيل الضمير فى تحتها للنخلة (ان لا تحزنى) اى لا تحزنى او بان لا تحزنى (قد جعل ربك تحتك سريا) جدولا هكذا روى مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى (وهزى اليك بجذع النخلة) وأميليه اليك والباء مزيدة للتأكيد او افعلى الهز والامالة به او هزى الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع (تساقط عليك) تتساقط فادغمت التاء الثانية فى السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تساقط ويسقط وتسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع

المقصود هو الثمر وقوله وحذفها حمزة اى قرأ تساقط بفتح التاء وتخفيف السين وفتح القاف والذى اختارها المصنف يساقط بفتح الياء التحتانية وادغام تاء التفاعل وقرأ حفص تساقط على انه مضارع ساقط بمعنى أسقط ذكره الجوهرى وقرئ تتساقط باظهار التاءين على الاصل وقرئ تسقط ويسقط بضم حرف المضارعة وهى التاء فى الاولى والياء فى الثانية وسكون السين وكسر القاف من اسقط وقرئ تسقط ويسقط بفتح حرف المضارعة التى هى التاء فى الاولى والياء فى الثانية وسكون السين وضم القاف ورفع الرطب بالفاعلية بتأويله بالثمرة على قرآءة التاء فالمجموع تسع قرآآت ﴿قوله لما فيه من المعجزات﴾ اى لمريم على ان يراد بالمعجزة مطلق الامر الخارق للعادة فتتناول الكرامة ويحتمل ان يراد بها معجزات لعيسى عليه الصلاة والسلام على ما قيل انه عليه الصلاة والسلام اعطى النبوة فى حال طفوليته والاظهر ان يكون ذلك ارهاصا لنبوة عيسى وكرامة لأمه لان المعجزة هى الفعل الخارق للعادة الصادر ممن يدعى النبوة على وجه التحدى ولا دعوى ولا تحدى من احد منهما والارهاص ما يظهر على يد الانبياء قبل نبوتهم كاظلال الغمام لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى طريق الشام وارتجاج ايوان كسرى ليلة ولد ﴿قوله او من الرطب وعصيره﴾ على ان يراد بالسرى السيد والاول على ان يراد به الجدول ﴿قوله او من القر﴾ بضم القاف وهو البرد ويطلق على القرار ايضا والسخنة الحرارة ﴿قوله تعالى فاما ترين﴾ دخلت فيه ان الشرطية على ما الزآئدة للتأكيد فادغمت فيها وكتبت النون متصلة بها وترين اصله ترأيين حذفت الهمزة كما فى ترى وقلبت الياء القائم حذفت الالف لاجتماع الساكنين فلما دخلت نون التأكيد سقطت نون الاعراب فاجتمع ساكنان فكسرت ياء الضمير فصار فاما ترين ﴿قوله وقرئ ترئن﴾ بقلب ياء الضمير همزة على لغة من يقول لبأت بالحج اصله لبيت بالحج تلبية اى قلت لبيك اللهم لبيك بنية الحج لجريان التآخى بين الهمزة وحروف اللين فى الابدال حيث قلبت الهمزة حرف لين تارة كما فى راس ولوم وبير وقلب حرف اللين همزة اخرى كما فى آخره وأقتت فلما استحكم التآخى بينهما فى الابدال ابدلت ياء ترين همزة ودخلت فيه ان الشرطية على ما الزآئدة للتأكيد فادغمت النون وكتبت متصلة بها وترين اصله ترأيين حذف الهمزة كما فى ترى وقلبت الياء الفا وحذفت الالف ﴿قوله صمتا او صياما﴾ لاشك ان المعنى فاما ترين من البشر احدا فسألك الكلام بعد فقولى كذا ولا تكلميه فى امر لشبأ فان الامساك عن الكلام مراد من الصوم لامحالة وذلك اما بان يكون الصوم عبارة عن الامساك عن الكلام فقط او يكون عبارة عن الامساك عن المفطرات الثلاث والكلام جميعا وكل واحد من المعنيين محتمل فى الآية فان الصوم فى اللغة هو الامساك عن الطعام والشراب والكلام فيصوم عن الكلام كما يصوم عن الطعام ولا يتكلم حتى يمسى فعلى هذا يكون النذر بالصوم نذرا بالامتناع عن الكلام صريحا وعلى الاول ضمنا ﴿قوله بعد ان اخبرتكم بنذرى﴾ اشارة الى جواب ما يقال لما التزمت الصمت كيف يصح منها ان تقول انى نذرت للرحمن صوما وهذا الكلام منها ترك لما نذرت من الصوم وحاصل الجواب انها كانت مأمورة بهذا الكلام عند رؤيتها اياهم يسألونها عن سبب ولادتها لقوله تعالى فقولى وبه تكون نادرة ويجب السكوت عليها بعد هذا الكلام فهى ليست بمأمورة بان تنذر فى الحال بل هى مأمورة بان تصبر الى ان يأتيها قومها فيتهموها فتقول لهم حينئذ انى نذرت للرحمن صوما وقيل فى الجواب انها ما تكلمت معهم لانها كانت مأمورة بان تأتى بهذا النذر عند رؤيتهم فلو انت بهذا النذر وتكلمت معهم بعد ذلك لكانت تاركة للوفاء بنذرها وما تكلمت بل سكتت واشارت بانها نذرت الصوم فالمراد بالقول فى قوله تعالى فقولى انشاء النذر بالقول لاجواب القوم واعلامهم بنذرها ﴿قوله وانما اكلم الملائكة والاجى ربى﴾ مفهوم قوله لن اكلم اليوم انسيا حيث نفت عن نفسها التكلم المتعلق بالانس ﴿قوله وامرها بذلك﴾ يعنى امرها الله تعالى بان تنذر الصوم ولا تباشر الكلام معهم لوجهين الاول كراهة مجادلة السفهاء فدل ذلك على ان السكوت عن السفيه واجب قيل اذل الناس سفيه لم يجد مسافها والثانى الاكتفاء بكلام عيسى عليه الصلاة والسلام لكون كلامه اقوى فى ازالة التهمة من كلامها ﴿قوله مع ولدها﴾ اشارة الى ان به فى محل النصب على انه حال من فاعل اتت اى أتت مصاحبة به نحو جاء بثيابه اى ملتبسا بها وقوله حاملة اياه يحتمل ان يكون حالا ثانية من فاعل اتت وان يكون حالا من الهاء فى به ﴿قوله بعدما طهرت من النفاس﴾ بناء على ما روى عن ابن عباس ان يوسف النجار احتمل مريم وابنها وانتهى بهما الى غار فادخلهما فيه ومكثوا به اربعين يوما حتى طهرت من النفاس ثم أتت به قومها تحمله فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا اماه أبشرى فانى عبد الله ومسيحه ﴿قوله بديعا﴾ من قولهم

(رطبا جنيا) تمييزا ومفعول روى انها كانت نخلة يابسة لارأس لها ولاثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على برآءة ساحتها فان مثلها لايتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها عليه على ان من قدر ان يثمر النخلة اليابسة فى الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شأنها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال (فكلى واشربى) اى من الرطب وماء السرى او من الرطب وعصيره (وقرى عينا) وطيبى نفسك وارفضى عنها ما احزنك وقرئ وقرى بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه (فاما ترين من البشر احدا) فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين (فقولى انى نذرت للرحمن صوما) صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لايتكلمون فى صيامهم (فلن اكلم اليوم انسيا) بعد ان اخبرتكم بنذرى وانما اكلم الملائكة واناجى ربى وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه كاف فى قطع الطاعن (فأتت به) اى مع ولدها (قومها) راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس (تحمله) حاملة اياه (قالوا يامريم لقد جئت شيأ فريا) بديعا منكرا من فرى الجلد

(ياأخت هرون) يعنون هرون النبي عليه الصلاة والسلام وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به (ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا) تقرير لان ما جاءت به فريّ وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش (فاشارت اليه) الى عيسى ان كلموه ليجيبكم (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) ولم نعهد صبيا في المهد كلمه عاقل وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكنّ فيه او تامة او دائمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار (قال اني عبد الله) انطقه الله تعالى به اولا لانه اول المقامات وللرد على من زعم ربوبيته (آتاني الكتاب) الانجيل (وجعلني نبيا وجعلني مباركا) نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا (اينما كنت) حيث كنت (واوصاني) وامرني (بالصلاة والزكاة) زكاة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل (ما دمت حيا وبرا بوالدتي) وبارًّا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اي وكلفني برًّا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة (ولم يجعلني جبارا شقيا) عند الله من فرط تكبره (والسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرّض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى

فلان يفري الفريّ اي يأتي بالعجب في عمله وظاهر اللفظ يحتمل ان يراد انك قد جئت شيأ عجيبا خارجا عن العادة من غير قصد التعيير والذم الا ان المصنف حمله على الذم حيث ابعد بقوله منكرا لقولهم بعد يا اخت هرون ما كان ابوك امرأ سوء فان ظاهر هذا القول التوبيخ ﴿قوله وكانت من اعقاب من كان معه﴾ اي كانت مريم ممن يعقب هرون النبي عليه الصلاة والسلام في طبقة الاخوة بان تكون مريم من نسل اخت هرون او اخيه وقيل ليست من نسل اخت هرون او اخيه بل كانت من نسل نفسه عليه السلام وانما قيل لها يا اخت هرون يعني يا واحدة من قبيلة هرون بان يراد بهرون القبيلة التي هو ابوها كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وهمدان اسم قبيلة ﴿قوله او لما رأوا قبل من صلاحها﴾ عطف على قوله تهكما يعني انهم شبهوها بالرجل الصالح المسمى بهرون وسموها باسمه على سبيل الاستعارة التهكمية المبنية على تشبيه احد الضدين بالآخر بجامع الضدية تنزيلا للتضادّ منزلة التناسب بواسطة التهكم او على سبيل الاستعارة التحقيقية على معنى كنت عندنا مثله في الصلاح ﴿قوله او شتموها به﴾ عطف على قوله شبهوها به الاول نشر لقوله هو رجل صالح والثاني نشر لقوله او طالح والمعنى انت في الحال مثله والشخص يقال له يا شبيه الفاسق سبٌّ له روي انه كان في بني اسرائيل رجل صالح يسمى هرون نسب اليه كل من عرف بالصلاح وذلك ان هرون الصالح تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمون بهرون تبركا به وباسمه ﴿قوله وصبيا حال﴾ اي وليس بخبر لكان لانها زائدة لا تنصب الخبر والمعنى كيف نكلم من استقرّ في المهد حال كونه صبيا وقيل كان تامة بمعنى وجد فصبيا حال من الضمير فيه وقيل انها دائمة اي ناقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرّض للانقطاع ولذلك يعبر عنها بانها ترادف ما زال ولفظ كان وان كان يفيد تقييد مضمون الجملة بالزمان الماضي مطلقا الا ان المراد منه في الآية الزمان القريب بقرينة المقام والمعنى كيف نكلم من كان بالامس وقريبا من هذا الوقت في المهد وغرضهم من ذلك استمرار حال الصبي به وان عيسى لم يبرح بعد عنه ولو تكلم من هو بالمهد لم يكن فيه اهلية تلك المكالمة من حيث ان حاله كالشاهد على ذلك ﴿قوله او بمعنى صار﴾ اي كيف نكلم من صار في المهد صبيا فصبيا على هذا خبرها وقيل المهد محرابها المروي انها اخذته في خرقة فأتت به قومها فلما رأوها قالوا ما قالوا والمهد يطلق على المقرّ مطلقا كما في قوله تعالى وجعل لكم الارض مهادا وقيل هو مهد الصبيّ اي كيف نكلم صبيا سبيله ان ينام في المهد ومن اهله وان لم يكن في تلك الحال موضوعا فيه * فان قيل كيف عرفت مريم من حال عيسى انه يتكلم * اجيب عنه بان جبريل او عيسى عليهما الصلاة والسلام نادى من تحتها ان لا تحزني وامرها عند رؤية الناس بالسكوت فصار ذلك كالتنبيه لها على ان المجيب هو عيسى او لعلها عرفت ذلك بالوحي الى زكريا او بالوحي اليها على سبيل الكرامة لها ﴿قوله وللرد على من زعم ربوبيته﴾ يعني ان الحاجة في ذلك الوقت وان كانت الى دفع تهمة الزنى عن امه الا ان الله تعالى انطقه اول ما تكلم بان يقرّ على نفسه بالعبودية لله عز وجل لئلا تتخذه النصارى الها لانه تعالى جعل ازالة التهمة عن ذاته المقدسة اولى من ازالة التهمة من مريم فلذلك انطقه اول ما تكلم بقوله اني عبد الله ﴿قوله نفاعا معلما للخير﴾ حيث ينفع اصحاب الآفات بسبب دعائه فانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص وانه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم الى طريق الحق فان ضلوا فمن قبل انفسهم لا من قبل نفسه ﴿قوله وامرني بالصلاة﴾ قيل قوله واوصاني بالصلاة والزكاة لا يدل على انه تعالى اوصاه بادائهما في الحال بل بعد بلوغه حد التكليف وحصول شرائط الوجوب والاداء ولا يفيد ان جعله الله تعالى لما انفصل من امه قويّ التركيب كامل العقل بحيث يمكنه اداء الصلاة والزكاة مع صغر جثته واداء الكتاب وسائر ما خص به من الفضائل ولكن هذا هو الاوفق لقوله ما دمت حيا فانه يفيد أن هذا التكليف متوجه اليه في جميع زمان حياته والآية تدل ايضا على ان تكليفه لم يتغير حين كان في الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل مرة اخرى ﴿قوله ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره﴾ لما كان المقصود من عطف هذه الجملة على ما قبلها تأكيد مضمون ما قبلها كان المعنى وجعلني برًّا خاضعا متواضعا لامي ولم يجعلني جبارا متكبرا مضيعا لحق والدتي التي تأكد حقها لقيامها مقام الوالدين الا انه عليه الصلاة والسلام عبر عن هذا المعنى بما يستلزمه وهو كونه جبارا شقيا في علم الله لكون الكناية ابلغ من التصريح ﴿قوله والتعريف للعهد﴾ والمعهود هو السلام المذكور في قصة يحيى عليه الصلاة والسلام وهو قوله تعالى وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا فالمعنى والسلام الموجه اليه في المواطن الثلاثة موجه اليّ ايضا لكن السلام المعين الذي توجه الى يحيى يستحيل ان يتوجه الى شخص آخر ونهاية

الامر ان يتوجه اليه مثله وهو غير معهود بل ليس ذلك الكلام المتوجه الى يحيى ايضا معهودا بين عيسى وبين قومه اذلم يجر بينهم ذكره ومن حق المشار اليه بلام العهد ان يكون معهودا فكان حمل الكلام على العهد خفيا والاظهر ان يحمل على الجنس والتعريض باللعنة على من اتهم مريم بالزنى ووجه كونه للتعريض ان اللام للجنس فلما قال وجنس السلام علىّ اصالة وعلى اتباعى تبعا فقد عرّض بان ضد ذلك على من عداه وروى عن عيسى عليه الصلاة والسلام انه قال ليحيى انت خير منى سلم الله عليك وسلمت على نفسى واجاب الحسن فقال ان تسليمه على نفسه تسليم الله عليه لانه انما فعله بأذن الله • قال الامام واعلم ان اليهود والنصارى ينكرون ان عيسى عليه الصلاة والسلام تكلم فى المهد وفى زمان الطفولية واحتجوا عليه بان هذا من الوقائع العجيبة التى تتوافر الدواعى الى نقلها فلو وجدت لنقلت بالتواتر ولو كان كذلك لعرفه النصارى لاسيما وهم اشدّ الناس بحثا عن احواله واشدّ الناس غلوّا فيه حتى زعموا كونه الٰها فلما لم يعرفه النصارى مع شدّة الحب وكمال البحث عن احواله علمنا انه لم يوجد ولان اليهود اظهروا عداوته لما اظهر ادعاء النبوّة فلو انه عليه الصلاة والسلام تكلم فى زمان الطفولية وادّعى الرسالة لكانت عداوتهم معه اشدّ ولكان قصدهم قتله اعظم فحيث لم يحصل شئ من ذلك علمنا انه ماتكلم واما المسلمون فقد احتجوا من جهة العقل على انه تكلم بانه لولا كلامه الذى دلهم على براءة امه من الزنى لما تركوا اقامة حدّ الزنى عليها ففى تركهم لذلك دلالة على انه عليه الصلاة والسلام تكلم فى المهد واجابوا عن الشبهة الاولى بانه ربما كان الحاضرون عند كلامه قليلين فلذلك لم يشتهر وعن الثانية بقولهم لعل اليهود ماحضروا هناك وماسمعوا كلامه وانما سمع كلامه اقاربه فلذلك لم يشتغلوا بقصد قتله انتهى كلامه ﴿ قوله وهو تكذيب لهم فيما يصفونه ﴾ من انه ابن الله او هو الله او ثالث ثلاثة ووجه التكذيب انه تعالى اشار اليه عليه الصلاة والسلام بقوله ذلك اى ذلك الموصوف بهذه الصفات المذكورة بقوله انى عبدالله آتانى الكتاب الخ واخبر عنه بانه عيسى بن مريم ونص على انه ولد هذه المرأة وقد ذكر قبل ان امه لما انتبذت به مكانا شرقيا ارسلنا اليها روحنا فوهب لها غلاما زكيا بان نفخ فى جيبها فحملته ووضعته عند جذع النخلة وهذه المذكورات توصيفه عليه الصلاة والسلام باضداد مايصفه النصارى به فهو تكذيب لهم بما يكون برهانا على كذبهم فهو ابلغ من ان يقال لهم كذبتم فيما وصفتموه به ﴿ قوله ثم عكس الحكم ﴾ اى بانهم حكموا بانه عليه الصلاة والسلام هو الله او ابنه فقال تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد حيث صرّح بنفى الولد عنه واحاله اى لايصح له ذلك ولا ينبغى بل يستحيل واكد بقوله سبحانه ثم بين استحالة ذلك بقوله اذا قضى امرا فان قضى هنا بمعنى خلق كما فى قوله فقضاهنّ سبع سموات والمراد انه اذا اراد خلق شئ فانه يكون من غير توقف على سبب وآلة ووجه الدلالة ان من كان شأنه ذلك كان منزّها عن اتخاذ الولد لعدم احتياجه حينئذ الى شئ ﴿ قوله والاضافة للبيان ﴾ اى هى من اضافة الموصوف الى الصفة اى القول الحق كقوله وعد الصدق اى الوعد الصدق والمحكوم عليه بانه القول الحق هو القول بان عيسى عليه الصلاة والسلام ابن مريم او تمام قصة مريم الى هنا ﴿ قوله ومعناه كلمة الله ﴾ اى معنى قوله قول الحق سواء كان صفة عيسى او بدله كلمة الله وسمى عيسى عليه الصلاة والسلام قولا كما سمى كلمة لانه انما تكوّن بكلمة كن ونشأ عنها فسمى المسبب باسم سببه ﴿ قوله على انه مصدر مؤكد ﴾ اى لمضمون الجملة التى لها محتمل غيره اى اقول قول الحق كقولك هذا عبد الحق وقولك رجع القهقرى فان المصدر فى كليهما مؤكد لما يحتمل غيره الا ان المحتمل فى الاوّل جملة وفى الثانى مفرد اعنى مجرّد الفعل عن نسبته الى الفاعل وقولك لا فعله البتة من قبيل الاوّل اى قطعت بالفعل وجزمت به قطعة واحدة اى ليس فيه تردد بحيث جزم به ثم تردد فيه ثم جزم به مرة اخرى فيكون قطعتين او اكثر بل هو قطعة واحدة لايثنى فيها النظر ويحتمل ان يكون منصوبا على المدح ان جعل القول بمعنى الكلمة والحق من اسماء الله • قال صاحب الكشاف ثم انه تعالى بين استحالة اتخاذ الولد على الله تعالى بانه اذا اراد شيأ من الاجناس كلها اوجده بكلمة كن وهو منزه عن شبه الحيوانات المتوالدة والقول ههنا مجاز ومعناه ان ارادته الشئ يتبعها كونه لامحالة من غير توقف على سبب فشبه ذلك بامر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور الممتثل انتهى ﴿ قوله من ﴾ موصولة صلتها اذا اراد الخ وقوله اذا اراد شيأ تفسير لقوله اذا قضى اى اذا اراد قضاءه فالمعنى اذا اراد ايجاد شئ فكما اراده يكون لامحالة ولا يتوقف كونه على اسباب وادوات وقوله تعالى كن عبارة عن نفاذ قدرة الله تعالى ومشيئته فى الممكنات فان تعلق الارادة الازلية

(ذلك عيسى بن مريم) اى الذى تقدم نعته هو عيسى بن مريم لامايصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانى حيث جعله الموصوف باضداد مايصفونه ثم عكس الحكم (قول الحق) خبر محذوف اى هو قول الحق الذى لاريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول (الذى فيه يمترون) فى امره يشكون او يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب (ماكان لله ان يتخذ من ولد سبحانه) تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه (اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) تبكيت لهم بان من اذا اراد شيأ اوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق والحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب على الجواب

بالمراد من حيث كونه موجبا لوقوعه يجري مجرى امر الآمر المطاع ووقوع المراد عقيب تعلق تلك الارادة به يجري مجرى امتثال المأمور المنقاد لاوامر مولاه فعبر الله عن هذا المعنى بهذه العبارة على سبيل الاستعارة التمثيلية ومن الناس من اجرى الآية على ظاهرها وزعم انه تعالى اذا احدث شيأ قال له كن وهذا ضعيف لانه تعالى اما ان يقول له كن قبل حدوثه او حال حدوثه فان كان الاول كان ذلك خطابا مع المعدوم وهو عبث وان كان الثاني فهو حال حدوثه قد وجد بالقدرة والارادة فاي تأثير لقوله كن فيه ومنهم من زعم ان المراد بقوله كن هو التخليق وهو التكوين وذلك لان القدرة على الشئ غير تكوين الشئ فانه تعالى قادر في الازل وغير مكوّن في الازل ولانه الآن قادر على عوالم سوى هذا العالم وغير مكوّن لها فالقادرية غير المكوّنية والتكوين ليس نفس المكوّن لانا نقول المكوّن انما حدث لان الله تعالى كوّنه واوجده فلو كان التكوين نفس المكوّن لكان قولنا المكوّن انما وجد بتكوين الله بمنزلة قولنا المكوّن انما وجد بنفسه وذلك محال فثبت ان التكوين غير المكوّن فقوله كن اشارة الى الصفة المسماة بالتكوين ﴿قوله سبق تفسيره﴾ وهو ان المقصود من هذا الكلام دعوة الخلق الى الحق وهو الاستكمال بحسب القوة النظرية اصلا وبتفرع عليه الامر بالتوحيد فاشار الى الاستكمال بالاعتقاد الحق الذي عمدته الاعتقاد بوجود الاله المستجمع لجميع صفات الجلال والجمال ووحدته فقال ان الله ربي وربكم وفرع عليه الاستكمال بحسب القوة العملية الكائن بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن النواهي فقال فاعبدوه فان قيل ان قائل ان الله ربي وربكم لا يصح ان يكون هو الله تعالى فما قائله قولان الاول ان قائله هو سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم اى قل يا محمد ان الله ربي وربكم بعد ظهور ان عيسى عبد الله المولود من مريم والثاني ان قائله هو عيسى وان الواو في وان الله ربي عطفت مابعدها على قوله اني عبد الله آتاني الكتاب وفيه ضعف لانه يقتضي وقوع قوله ذلك عيسى بن مريم الى قوله كن فيكون وهو كلام الله اعتراضا بين كلامي عيسى والاعتراض انما يكون من كلام المتكلم ومن قرأ وان الله بفتح الهمزة بناها على حذف حرف الجرّ متعلقا بما بعده والتقدير ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله اى ولان المساجد لله فلا تدعوا واللام متعلقة بلا تدعوا والتقدير فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لان المساجد لله فعلى هذا يحمل مابعد الفاء السببية فيما قبلها بخلاف الجزائية وقيل في وجه هذه القرآءة انه معطوف على الصلاة في قول عيسى اى اوصاني بالصلاة وبان الله ربي ويؤيده مافي مصحف ابيّ وبان الله ربي باظهار الباء اقول هذا القول ضعيف لكثرة الفواصل بين المتعاطفين ولا يؤيده ظهور الباء في مصحف ابيّ لان الباء باء السببية والمعنى وبسبب ان الله ربي وربكم فاعبدوه فهي كاللام ومن قرأ وان بكسر الهمزة جعله كلاما مستأنفا ويؤيدها قرآءة ابيّ ان الله بكسر الهمزة بدون الواو وترتيب الامر بالعبادة على وصف الربوبية في قوله تعالى هو ربي وربكم فاعبدوه يدل على انه انما يلزمنا عبادة الله تعالى لكونه ربا لنا ومنعما علينا بانواع النعم لما تقرر من ان ترتيب الحكم على الوصف المشتق مشعر بالعلية لاسيما اذا كان الترتيب بالفاء السببية وسمى القول بالتوحيد ونفي الولد والصاحبة صراطا مستقيما تشبيها له بالطريق من حيث انه يؤدي الى الجنة ﴿قوله اليهود والنصارى﴾ قالت اليهود انه ساحر كذاب ولد لغير رشدة وانه ابن يوسف النجار والنصارى يختلفون فيما بينهم في شأنه عليه الصلاة والسلام قال قتادة بنوا اسرآئيل بعدما رفع عيسى عليه الصلاة والسلام الى السماء افترقوا اربع فرق فاخرج كل قوم عالمهم فاختلفوا في شأنه فقال احدهم هو الله هبط الارض فاحيى من احيى وامات من امات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة له كذبت ثم قال اثنان للثالث قل فيه فقال هو ابن الله اظهره ماشاء ثم رفعه الى السماء وهم النسطورية فقال له الاثنان كذبت ثم قال احد الاثنين منهم للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله اله وامه اله وهو نفسه الثالث وهم الاسرآئيلية ملوك النصارى وقال الرابع هو عبد الله ورسوله وكلمته وهو المسلم الموحد قال اما تعلمون ان عيسى كان يطعم وينام وان الله تعالى لايجوز ذلك عليه فخاصمهم فقام لكل رجل منهم اتباع على ماقال فاقتتلوا فظهروا على المسلمين منهم ﴿قوله من شهود يوم عظيم هوله﴾ يعني ان مشهد امامن الشهود بمعنى الحضور اومن الشهادة واياما كان فاما ان يكون مصدرا ميميا او اسم مكان او اسم زمان واذا كان من الشهادة فالمراد اما الشهادة عليهم او شهادتهم في حق عيسى عليه الصلاة والسلام فهذه تسعة اوجه واضافة مشهد الى يوم في الجميع بمعنى في كضرب اليوم ﴿قوله او من وقت الشهود او من مكانه﴾ اى من زمان شهودهم هول الحساب في يوم

(وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان ان بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلاة (فاختلف الاحزاب من بينهم) اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية قالوا هو ثالث ثلاثة وموحدون قالوا هو عبد الله ونبيه (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزآؤه وهو يوم القيامة او من وقت الشهود او من مكانه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها

(القيامة)

القيامة او من مكان شهودهم اياه فى ذلك اليوم ﴿ قوله وقيل هو ماشهدوا به ﴾ اى قيل المراد بالمشهد المأخوذ من الشهادة ماشهدوا به فى حق عيسى وامه لاماشهدبه عليهم الملائكة والانبياء وجوارحهم وعلى هذا ان كان المشهد مصدرا ميميا يكون المعنى ويل لهم من عقوبة شهادتهم فى حقهما فى ذلك اليوم ولاوجه لان يكون اسم زمان او مكان حينئذ الاتكلف بعيد وعلى تقدير جعله مصدرا ميميا وان كان يصح المعنى الاان المصنف لم يرض به لان تخصيص المشهود به بماشهدوا به فى حق عيسى وامه لايناسب التعبير عنهم بقوله للذين كفروا فانه يشعر بان استحقاقهم للويل معلل بمطلق الكفر ﴿ قوله تعجب ﴾ فان التعجب له صيغتان احداهما ما افعله والثانية افعل به فقوله تعالى أسمع وقوله وأبصر معناه الظاهر مااسمعهم وماابصرهم والتعجب يجوز عليه الجهل فذكر لتوجيه هذه الصيغة فى هذا المقام ثلاثة اوجه الاول ان يرجع التعجب الى العباد والمعنى ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ماكانوا صما وعميا فى الدنيا والثانى انه ليس المراد التعجب بل المراد التهديد بماسيسمعون ويبصرون يومئذ مما يسوءهم فعلى الوجه الاول متعلق الاسماع والابصار منسى ليعم كل مايصح ان يسمع ويبصر وعلى هذا الوجه منوى وهو مايسوءهم ويصدع قلوبهم والثالث ان هذه الصيغة وان اشتهر استعمالها فى معنى التعجب الاانها فى الاصل لفظ امر وقد استعملت ههنا فى اصل معناها والمأمور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى اسمع الناس وابصرهم مواعيد ذلك اليوم والباء زآئدة فى المفعول كما فى قوله تعالى ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة ﴿ قوله والجار والمجرور على الاول ﴾ اى على ان تكون هذه الصيغة للتعجب على احد الوجهين فى موضع الرفع على الفاعلية وذلك لان اكرم بزيد مثلا اصله اكرم زيد اى صار زيدا ذا كرم كاغدّ البعير بمعنى صار ذاغدة الاانه اخرج لفظ الماضى الذى معناه الخبر على لفظ الامر كما اخرج على لفظ الخبر مامعناه الامر والدعاء كقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن والمراد الامر وقولهم رحمه الله والمراد الدعاء والباء زآئدة لازمة اصلاحا للفظ لانه لولم تزد الباء لكان ماهو على لفظ الامر الحاضر مسندا الى الاسم الظاهر وقد تقرر ان فاعله لايكون الاضميرا مستترا والتنبيه على نقله الى معنى انشاء التعجب فالباء زآئدة فى المرفوع كما فى قوله تعالى وكفى بالله شهيدا فيكون الجار والمجرور فى موضع الرفع على الفاعلية ﴿ قوله وجعل على اغفالهم بانه ضلال بين ﴾ فان لكن استدراك على قوله اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا فالمعنى لكنهم اليوم صم عمى لايسمعون ولايبصرون فعبر عن اغفالهم هذا بالضلال المبين ﴿ قوله يوم يتحسر الناس ﴾ الظاهر ان يوم الحسرة مفعول انذرهم لاظرف الاليس المعنى انذرهم فى هذا اليوم ومايقع فيه ممالاتطيق سماعه الاذان ولاتسع تصوره الاذهان ويوم الحسرة قيل يوم الموت وقيل هو يوم القيامة وقيل هو يوم يذبح فيه الموت وقيل هو حين يخرج آخر فريق من المسلمين من النار ثم لسعة طبقاتها وكل من هذه الايام يصدق عليه انه حين قضى الامر اى اتم وامضى وفرغ منه فان يوم الموت قد صار الامر بحيث لايتدارك ويوم القيامة يستقر كل احد فى مقره الذى هو موضع الخلود وحين يذبح الموت ينقطع مايؤمله الكفار من انتهاء عذابهم بطريان الموت عليهم كما ينتهى عذاب الدنيا بذلك وبذبحه يتم الامر وينقطع الامل وكذا حين اخرج آخر المؤمنين والظاهر ان الموت عرض لايصير جسما حيوانيا والمراد بذبحه تنفير الفريقين اعلامهما انه لاموت بعد ذلك البتة فطريق الاعلام غير معلوم لنا ﴿ قوله ملك ولاملك ﴾ الملك بالضم هو التصرف فى المملكة بالامر والنهى ومنه اشتق الملك على وزن كتد وهو المتصرف بالامر والنهى والملك بالكسر اختصاص رقبة الغير بالانسان بحيث يستقل فى منافعها ويتمكن من التصرف فيها والوراثة الاستقلال بالملك والتصرف خلافة عن الغير وحاصل الوجه الاول ان الارث مجاز من الاختصاص الملكى او ان الملك يبقى مقتصرا على الله تعالى بحيث لم يبق لاحد على الارض ولاعلى من عليها ملك ولاملك كما كان يدعى فى دار التكليف ان لفلان ملكا ولفلان ملكا وحاصل الوجه الثانى انه مجاز من توفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه وعلى الوجهين الظاهر ان تعريف الارض محمول على العموم لاالعهد ﴿ قوله ملازما للصدق كثير التصديق ﴾ يعنى ان الصديق من ابنية المبالغة للصادق وكون الشخص مبالغا فى الصدق يكون بحسب الكم وبحسب الكيف ومن لازم الصدق فى اقواله وافعاله واخلاقه ولم يصدر عنه الامايطابق الحق والواقع وكثر ايضا تصديقه بجميع ماورد من عند الله تعالى قولا وعملا بحيث لم يقع منه توقف ومهلة فى قبول شئ مماظهرله من الحقوق كان مبالغا فى الصدق كما وكيفا فلذلك قال تعالى فى حقه انه كان صديقا وقال ايضا وابراهيم الذى وفى وقال واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والصدق اصل

وقيل هو ماشهدوا به فى عيسى وامه (أسمع بهم وأبصر) تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم (يوم يأتوننا) اى يوم القيامة جدير بان يتعجب منهما بعد ماكانوا صما وعميا فى الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول فى موضع الرفع وعلى الثانى فى موضع النصب (لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال بين (وأنذرهم يوم الحسرة) يوم يتحسر الناس المسئ على اساءته والمحسن على قلة احسانه (اذقضى الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل من اليوم اوظرف للحسرة (وهم فى غفلة وهم لايؤمنون) حال متعلقة بقوله فى ضلال مبين وما بينهما اعتراض او بأنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل (انا نحن نرث الارض ومن عليها) لايبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولاملك او نتوفى الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه (والينا يرجعون) يردون للجزاء (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا) ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ماصدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله (نبيا) استنبأه الله تعالى

(اذ قال) بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا (لابيه يا ابت) التاء معوضة من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتى ويقال يا ابتا وانما يذكر الاستعطاف ولذلك كررها (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خشوعك (ولا يغنى عنك شيئا) فى جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ احتجاج وارشده برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التى تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التى هى غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيى المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغى ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشئ لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملائكة والنبيين لما يراه مثله فى الحاجة والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهى مستقلا بالنظر السوى فقال (يا ابت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا) ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له فى مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه فى الحقيقة عبادة الشيطان من حيث انه الآمر به فقال (يا ابت لا تعبد الشيطان) واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) ومعلوم ان المطاوع للعاصى عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجره اليه فقال (يا ابت انى اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) قرينا فى اللعن او العذاب تليه ويليك او ثابتا على موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته فى الربانية او لانه ملاكها او لانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها (قال اراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم) قابل استعطافه ولطفه فى الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد (بين)
فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بنى واخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كأنها مما لا يرغب عنها عاقل

كل فضيلة وملاك كل كمال وخير ولما كان الصديق اعم من النبى لان كل نبى يجب ان يكون صديقا ولا يجب ان يكون كل صديق نبيا انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا على سبيل التصديق على قوله ملازما الصدق بل جعلهما جميعا تفسيرا للصدق على سبيل الترقى لما كذب الله تعالى النصارى فيما زعموه فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام بين ضلال عبدة الاصنام بالشروع فى قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فانه كان ابا العرب وكانوا مقرين بعلو شأنه وحقية دينه على ما قال تعالى ملة ابيكم ابراهيم فكأنه تعالى قال للعرب ان كنتم من المقلدين لآبائكم كما تقولون انا وجدنا آباءنا على امة فمعلوم ان اشرف آبائكم واجلهم قدرا هو ابراهيم فقلدوه فى ترك عبادة الاوثان وان كنتم من المستدلين فانظروا فيما اقام من الدليل الدال على بطلان الشرك لتعرفوا فساد عبادة الاوثان ﴿قوله ولا يقال يا ابتى﴾ اى لئلا يجمع بين العوض والمعوض عنه ويقال يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء ﴿قوله دعاه الى الهدى واحتج عليه ثم دعاه ثم ثبطه﴾ امور متعاطفة ﴿قوله ابلغ احتجاج﴾ منصوب على انه مفعول مطلق للنوع وقوله وارشده عطف عليه والرشاقة اللطافة يقال رجل رشيق القد اى لطيفه والركون الميل اليسير والعبادة الخضوع لمن هو فى غاية الفضل والافضال وقوله يا ابت لا تعبد الشيطان بمعنى لا تطعه فيما يوسوس اليك ويغويك واشار المصنف اليه بقوله ومعلوم ان المطاوع للعاصى عاص حيث عبر من عبادة الشيطان بمطاوعته لما امر به واشار الى ان قوله عصيا للمبالغة بقوله ان الشيطان مستعص اى بالغ فى العصيان كأنه يطلب من نفسه ان يعصى ربه وعبدة الاوثان وان كانوا يعتذرون فى عبادتها بانها تماثيل الكواكب المدبرة لهذا العالم او انها تماثيل اشخاص معظمة عند الله يتوسلون لان يكونوا شفعاء ونحو ذلك من الاعذار الفاسدة فما ذكره ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى حق التماثيل بانها لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عن عابدها شيئا من الاغناء لا يبطل اعذارهم بحسب الظاهر الا انه عليه الصلاة والسلام احتج عليهم بذلك بناء على انهم يزعمون ان عبادتها تنفعهم وان طريقتهم مقبولة مستحسنة فبين عليه الصلاة والسلام فساد زعمهم ﴿قوله او ثابتا على موالاته﴾ اى على الدخول فى جملة اعوانه واولاده وعدم الخروج عنهم بالدخول فى زمرة اولياء الله فالثبات على موالاة الشيطان عبارة عن ثبات حكم الموالاة الواقعة بينهما فى الدنيا وثباتها بهذا المعنى لا ينافى قوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ﴿قوله فانه اكبر﴾ جواب عما يقال رتب الله تعالى كونه وليا للشيطان على مس العذاب بالفاء السببية وهو ان يكون ولاية الشيطان اسوأ حالا واعظم عقوبة من مس العذاب نفسه حيث جعل هو موصلا اليها وجعلت هى نتيجة له والظاهر ان الامر بالعكس فان الموالاة مؤدية اليه معنى لانه مقابل الرضوان وقد قال الله تعالى فى حق الرضوان انه اكبر من الثواب نفسه فيكون ما يقابلها اسوأ حالا من العقاب نفسه فلذلك رتب ولاية الشيطان على العقاب نفسه بالفاء السببية وجعلها اعظم محذورا واسوأ حالا منه ﴿قوله وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب﴾ جواب عما يقال المقام يقتضى ان يقال اعلم واتيقن لان عذاب المشرك مقطوع به وان المس والتنكير يدلان على تقليل عذاب المشرك مع ان عذابه غليظ واجاب عنه بان ذلك مبنى على المقابلة بالجميل وترك التغليظ او على عدم علمه بان اباه سيموت على الكفر فانه يجوز ان يؤمن فيصير من اهل الثواب وهذا الجواب يمنع القطع فى حقه ﴿قوله ولعل اقتصاره الخ﴾ جواب عما يقال للشيطان وصفان كل واحد منهما يصلح علة للنهى عن عبادته احدهما عصيانه لله تعالى بترك سجوده لآدم استعظاما لامره تعالى اياه بذلك وثانيهما عداوته للانسان قال تعالى فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو فلم اقتصر ابراهيم عليه الصلاة والسلام من هذين الوصفين على ذكر العصيان واجاب عنه بثلاثة اوجه الاول انه عليه الصلاة والسلام لم يلتفت الى معاداته لآدم وذريته فاقتصر من جناياته على ذكر ما يختص منها برب العزة لعلو درجته فى كونه ربانيا اى متألها عارفا بالله وبما يليق بشأنه فلم يرض من عالم تركه الشيطان فى حق الله تعالى جناية والثانى ان عصيانه للرحمن ملاك جناياته كلها واصلها الذى يتفرع عليه غيره فان ملاك الشئ ما يتفرع عليه الشئ ويقوم به والثالث ان عصيانه منبه على معاداته لآدم عليه الصلاة والسلام من حيث انه نشأ من حسده لآدم ومعاداته اياه ﴿قوله وقدم الخبر على المبتدأ﴾ جعل قوله اراغب خبرا مقدما وانت مبتدأ مؤخرا وان جاز ان يكون اراغب مبتدأ لاعتماده على همزة الاستفهام وانت فاعل سد مسد الخبر بل هو الاولى لوجهين احدهما انه ليس فيه تقديم ولا تأخير اذ رتبة الفاعل التأخير عن رافعه والثانى انه لا يلزم منه الفصل

ثم هدده فقال (لئن لم تنته) عن مقالك فيها او الرغبة عنها (لأرجمنك) بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد عني (واهجرني) عطف على ما دل عليه لأرجمنك اي فاحذرني واهجرني (مليا) زمانا طويلا من الملاوة اوملياً بالذهاب عني (قال سلام عليك) توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن (سأستغفر لك ربي) لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة (انه كان بي حفيا) بليغا في البر والالطاف (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) بالمهاجرة بديني (وأدعو ربي) واعبده وحده (عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا) خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء آلهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) بالهجرة الى الشام (وهبنا له اسحق ويعقوب) بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء اولانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد (وكلا جعلنا نبيا) وكلا منهما او منهم (ووهبنا لهم من رحمتنا) النبوة والاموال والاولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه (وكان رسولا نبيا) ارسله الله الى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى (وناديناه من جانب الطور الايمن) من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة (وقربناه) تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته (نجيا) مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روي انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم (ووهبنا له من رحمتنا) من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا (اخاه) معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لي وزيرا من اهلي فانه كان اسن من موسى وهو مفعول او بدل (هرون) عطف بيان له (نبيا) حال منه (واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد) ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين فوفى (وكان رسولا نبيا) يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته (وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة) اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين وأمر اهلك بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء آباء الامم (وكان عند ربه مرضيا) لاستقامته اقواله وافعاله (واذكر في الكتاب ادريس) وهو سبط شيث وجد ابي نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه ثم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روي انه تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب

بين العامل ومعموله بما ليس معمولا للعامل وذلك لان قوله عن آلهتي متعلق بأراغب فاذا جعل انت فاعلا فقد حصل الفصل بما هو كالجزء من العامل بخلاف جعله خبرا واما لو جعل مبتدأ فانه حينئذ يكون اجنبيا غير معمول لأراغب ولعل المصنف اراد بالخبر المحكوم به وبالمبتدأ المحكوم عليه فان أراغب ان جعل مبتدأ لا يكون مسندا اليه بل يكون المسند اليه فاعله ويكون هو محكوما به مفيدا فائدة الخبر والمعنى انت معرض عن آلهتي وعبادتها ﴿قوله زمانا طويلا﴾ على ان مليا منصوب على انه ظرف زمان والملاوة يجوز في ميمها الحركات الثلاث يقال اقمت عنده ملاوة من الدهر اي حينا وبرهة ومضى ملي من النهار اي ساعة طويلة ﴿قوله اومليا بالذهاب عني﴾ اي سليما مطيقا به من قولهم فلان ملي بكذا اي مطيق به قادر عليه فيكون منصوبا على انه حال من فاعل اهجرني اي اتركني حسبما تقدر عليه والا اصبتك بما لا تقدر عليه ﴿قوله واضافته الى الصدق﴾ على طريق اضافة الموصوف الى الصفة فان المراد باللسان ما يوجد به من الاثنية بطريق ذكر السبب وارادة المسبب او ذكر المحل وارادة الحال وتلك الاثنية لكونها صادقة لا كذب فيها توصف بالصدق مبالغة كأنه قيل وجعلنا لهم ثناء صادقا يذكرهم الامم كلها الى قيام الساعة بما لهم من الخصائل المرضية ويصلون على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آل ابراهيم في الصلوات الى قيام الساعة وعلو تلك الاثنية عبارة عن امتدادها وانتقالها الى قيام الساعة فالكلام نشر على ترتيب اللف ﴿قوله ولذلك﴾ اي ولكون الانباء مترتبا على الارسال في الوجود سواء كان الارسال ارسال نفس النبي او ارسال من هو اقدم فان الرسول هو الذي يزل عليه الوحي والكتاب والنبي نبي من غير عكس مع اشتراكهما في ان كل واحد منهما صاحب وحي اي يوحى اليه ﴿قوله وهي التي تلي يمين موسى﴾ يعني ان الايمن صفة للجانب والمراد بالجانب الايمن يمين موسى عليه الصلاة والسلام لان الطور جبل بين مصر ومدين وليس للجبل يمين ولا يسار فوجب ان يكون اليمين راجعا الى يمين الذي يأتيه والمعنى وناديناه من الجانب الذي كان على يمين موسى وهو متوجه الى الطور واضيف الجانب الايمن الى الطور للابسة ﴿قوله شبهه بمن قربه الملك﴾ لما كان الاصل في القرب قرب المكان ولا يتصور القرب المكاني بالنسبة الى الله تعالى شبه تقريبه وتكليمه اياه بان كلمه بما لم يكلم به غيره مناجيا بحيث لم يطلع على ذلك غيرهما بتقريب الملك بعض خواصه لمناجاته فاطلق اسم التقريب عليه استعارة اصلية وسرت الاستعارة الى المشتق ﴿قوله من النجو﴾ الجوهري النجو والنجوة المكان المرتفع الذي تظن انه نجاؤك لانه لا يعلوه السيل ﴿قوله صرير القلم﴾ اي صوته يقال صر القلم والباب يصر صريرا اي صوت وصرير البكرة صوتها عند الاستقاء وكذلك صرير الباب وصرير البعير وفي الكشاف حتى سمع صرير القلم الذي كتب به التوراة والواح التوراة كتبت قبل خلق آدم باربعين سنة على ما في الحديث الصحيح الوارد في شان محاجة آدم موسى عليهما الصلاة والسلام وكتبتها في اللوح المحفوظ اقدم وايضا لعل الكتبة التي سمع موسى صريرها كتبة ثالثة ولا يبعد ﴿قوله فانه كان اسن﴾ علة لتقدير المضاف في قوله معاضدة اخيه لان هرون لما كان اسن من موسى عليهما الصلاة والسلام لزم ان لا يكون نفس هرون موهوبا لموسى لان الموهوب يجب ان يكون اقل سنا من الموهوب له كما في قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب ﴿قوله وعد الصبر على الذبح فوفى﴾ روي عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وروي ان عيسى عليه الصلاة والسلام قال له رجل انتظرني آتك قال عيسى عليه الصلاة والسلام نعم فانطلق الرجل ونسي الميعاد ثم جاء الى ذلك المكان وعيسى هنالك للميعاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد رجلا ونسي ذلك الرجل الميعاد فانتظر من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى اي وقت ينتظر قال ان واعده نهارا فكل النهار وان واعده ليلا فكل الليل ﴿قوله اشتغالا بالاهم﴾ تعليل للابتداء باهله في الامر بالعبادة البدنية والمالية فان المقصود من ذكر الاحكام المقيدة ليس بيان صدور الفعل من فاعله بل مقصود بيان كونه مقيدا بالقيد المذكور فالمقصود بقوله تعالى وكان يأمر اهله بيان انه عليه الصلاة والسلام بدأ بمن هو اقرب الناس اليه في الامر بالعبادة لكون تكميلهم اهم بالنسبة اليه لكثرة حقهم عليه بالنسبة الى حق سائر امته فيكملهم ليجعلهم قدوة لمن سواهم ولم يرض بما قيل من ان المراد باهله جميع امته التي هو خيرهم فانه عليه الصلاة والسلام كان رسولا اليهم لانه خلاف الظاهر ﴿قوله وهو سبط شيث﴾ اي من نسله وولد اولاده فان ادريس هو اخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن

(انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا) يعنى شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة (اولئك) اشارة الى المذكورين فى السورة من زكريا الى ادريس (الذين انعم الله عليهم) بانواع النعم الدينية والدنيوية (من النبيين) بيان للموصول (من ذرية آدم) بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية (وممن حملنا مع نوح) اى ومن ذرية من حملنا خصوصا وهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) الباقون (واسرائيل) عطف على ابراهيم اى ومن ذرية اسرائيل اى يعقوب وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية (وممن هدينا) ومن جملة من هديناه الى الحق (واجتبينا) للنبوة والكرامة (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة فى شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل وعن النبى عليه السلام اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكى جمع باك كالسجود فى جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقى وقرأ حمزة والكسائى بكيا بكسر الباء (فخلف من بعدهم خلف) فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون (اضاعوا الصلاة) تركوها او اخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك فى المعاصى وعن على رضى الله عنه واتبعوا الشهوات من بناء المشيد وركوب المنظور ولبس المشهور (فسوف يلقون غيا) شرا كقوله

* فمن يلق خيرا يحمد الناس امره *
* ومن يغو لا يعدم على الغى لائما *

او جزاء غى كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم تستعيذ منه اوديتها

آدم وينتهى اليه نسب نوح عليه الصلاة والسلام فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ الذى هو ادريس وكان خياطا واول من خاط الثياب فلبسها وكان من قبله يلبسون الجلود واول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار ﴿قوله يعنى شرف النبوة﴾ يعنى قيل المراد بالمكان العلى رفعة المكانة والمنزلة عند الله تعالى وقيل المراد به المكان الرفيع وذلك المكان اما الجنة واما السماء السادسة ومن قال بالاول قال انه اذيق الموت ساعة ثم احيى ثم ادخل الجنة ولم يخرج منها فهو حى هناك لا يموت بعد واختلف الذين قالوا انه فى السماء أهو حى فى السماء ام ميت فقيل هو ميت وقيل حى قيل اربعة من الانبياء احياء اثنان فى الارض الخضر والياس واثنان فى السماء ادريس وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقصة ادريس آخر القصص ثم انه تعالى اثنى على كل من تقدم ذكره من الانبياء بالثناء الشامل لهم بعد ما اثنى على كل واحد منهم بما يخصه من الثناء ﴿قوله بيان للموصول﴾ يعنى ان كلمة من فى من النبيين بيانية لان المنعم عليه يجوز ان يكون نبيا وغير نبى والانبياء كلهم منعم عليهم والخاص يبين العام وحملها على التبعيض باطل لان المنعم عليهم ليس بعض النبيين بل كلهم الا ان المنعم عليهم بعض من ذرية آدم فجاز ان تكون من الثانية للتبعيض كما جاز ان تكون للبيان بدلا من النبيين فى قوله من النبيين فوجب ان يحمل تعريف الموصول على الجنس للمبالغة كما فى قوله ذلك الكتاب وان يقدر مضاف بان يقال اولئك بعض الذين انعم الله عليهم من النبيين وجمعهم فى كونهم من ذرية آدم ثم خص بعضهم بانهم ممن حمله الله تعالى فى السفينة مع نوح فقال وممن حملنا مع نوح والذى اختص بكونه من ذرية آدم من غير ان يكون ممن حمل مع نوح هو ادريس عليهما السلام فانه كان سابقا على نوح لما مر من انه جد أب نوح واسمعيل واسحق ويعقوب من ذرية ابراهيم كما قال ومن ذرية ابراهيم ثم خص بعضهم بانهم من ولد اسرائيل وهو يعقوب عليه الصلاة والسلام وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى من قبل الام كما قال تعالى واسرائيل عطفا على ابراهيم اى ومن ذرية اسرائيل وكلهم من ذرية آدم ولكن جعل من قرب من آدم من ذريته وجعل من بعد منه من ذرية من قرب منه تشريفا لكل واحد بأب يقرب منه فرتب الله احوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب تنبيها بذلك على انهم كما فضلوا باعمالهم فهم فى منزلة الفضل بولادتهم من هؤلاء الانبياء ثم قال وممن هدينا اى الى الحق واجتبينا اى اصطفينا تنبيها بذلك على انهم كما اختصوا بهذه المنازل اختصوا بهداية الله تعالى لهم وانه تعالى اختارهم للرسالة وقوله تعالى وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية والمعنى على الاول انعم الله عليهم من النبيين وممن هدينا واجتبينا وعلى الثانى انعم الله عليهم من النبيين الذين هم بعض ذرية آدم وبعض من حملنا مع نوح وبعض من هدينا واجتبينا ﴿قوله والبكى جمع باك﴾ على خلاف القياس والقياس فى جمع اسم الفاعل من الناقص ان يجمع على فعلة نحو قاض وقضاة ورام ورماة ولم يسمع بكاة فى جمع باك بل المستعمل فى جمعه بكى واصله بكوى مثل شاهد وشهود وقاعد وقعود ومن قال فى بكيا انه مصدر فقد اخطأ لان سجدا جمع ساجد وبكيا معطوف عليه وسجدا حال مقدرة لانهم حال الخرور ليسوا ساجدين والمراد بآيات الله تعالى ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة عليهم مما يتضمن الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والمعنى ان الانبياء المذكورين مع ما انعم الله عليهم من انواع النعم كان شأنهم اذا تتلى عليهم آيات الله وكتبه المنزلة عليهم يخرون سجدا وبكيا خضوعا وخشوعا وخوفا وطمعا ثم انه تعالى لما وصف هؤلاء الانبياء بصفات المدح ترغيبا لنا فى التأسى بطريقهم ذكر بعدهم من هو بالضد منهم فقال فخلف من بعدهم خلف اى جاء من بعد هؤلاء الانبياء خلف من اولادهم يقال خلفه اذا اعقبه ثم قيل فى عقب الخير خلف بفتح اللام وفى عقب الشر خلف بالسكون كما قالوا فى جانب الشر وعيد وفى جانب الخير وعد قال الشاعر

* خلفت خلفا ولم تدع خلفا * ليت بهم كان لا بك التلفا *

﴿قوله كشرب الخمر﴾ عن ابن عباس قال الذين اتبعوا الشهوات هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب ﴿قوله وركوب المنظور﴾ اى الفرس والبغل لا للجهاد بل لاجل ان ينظر اليه ﴿قوله كقوله فمن يلق خيرا﴾ قابل الغى بالخير فدل على انه اراد بالغى الشر وما قبل البيت

* أمن حذر اضحت تنكت واجما * وقد تعترى الاحلام من كان نائما *

يقال نكت فى الارض اذا جعل يخط ويقر باصبعه وهو كناية عن المتهم لان المتهم يفعل ذلك والواجم الحزين يقول أمن اضغاث احلام تصبح حزينا تنكت فى الارض ومن كان نائما تعتريه الاحلام ثم قال

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ۞ ومن يغو لايعدم على الغى لائما

اى ومن يفعل الشر لايعدم من يلومه عليه ومن يغو بالكسر من غوى وبالفتح من غوى يغوى غيا وغواية فهو غاو و قوله الامن تاب وآمن يدل على ان الآية فى الكفرة لانه لايقال آمن الالمن كان كافرا بحسب التغليظ كما روى عن قتادة ان المراد بالخلف المذكور بقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اليهود وعن مجاهد انهم النصارى وقيل هم مشركوا العرب وهم اولاد اسماعيل عليه الصلاة والسلام وقيل الآية نزلت فى حق المسلمين الذين يؤخرون الصلوات عن اوقاتها وعلى قول من حمل الآية على الكفار يكون قوله تعالى الا من تاب وآمن استثناء منقطعا والمعنى الا من رجع عن كفره وآمن على شرطه وعمل صالحا بعد ايمانه وعلى قول من حملها على المسلمين يكون متصلا ويكون المعنى الا من تاب عن ذنوبه ودام على ايمانه فاولئك يدخلون الجنة فان قيل الاستثناء دل على ان التوبة والايمان والعمل الصالح لابد منها جميعا لدخول الجنة والنجاة من النار وهو محل بحث لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة او كانت المرأة حائضا فانه لايجب عليهما الصلاة والزكاة ايضا غير واجبة وكذا الصوم فهما لو ماتا فى ذلك الوقت كانا من اهل النجاة مع انه لم يصدر منهما عمل فما وجه ترتيب النجاة على العمل الصالح اجيب بان هذه الصورة نادرة والاحكام انما تأتى بالاعم الاغلب ﴿قوله ولا يظلمون شيأ من جزآء اعمالهم﴾ لفظ شيأ فى هذا التركيب منصوب على انه مفعول على اقامة المفعول به المنصوب بنزع الخافض مقام الفاعل فان نقص قد يستعمل لازما وقد يستعمل متعديا الى واحد يقال نقص الشئ نقصا ونقصانا ونقصته انا وقد يتعدى الى ثان بواسطة حرف الجر فيقال نقصت من زيد حقه وقد تقرر فى النحو انه اذا وجد المفعول به تعين لقيام مقام الفاعل واذا لم يوجد فالجميع سوآء ويجوز قيام المنصوب بنزع الخافض مع وجود المفعول به بدون حرف الجر مقام الفاعل ذكر فى الرضى مع نيابة المنصوب بسقوط الجار كما فى امرتك الخير والوجه الجواز لالحاقه بالمفعول به الصريح انتهى ﴿قوله ويجوز ان ينتصب شيأ على المصدر﴾ اى شيأ من الظلم وفى قوله شيأ منكرا فى سياق النفى اشارة الى ان اعمال الخير التى فعلوها فى حال الكفر يثيبهم الله تعالى عليها مثل الصدقة وصلة الرحم قال محيى السنة فى شرح السنة اذا اسلم الكافر يثيبه الله تعالى على اعمال الخير التى عملها فى حال الكفر كما يتجاوز عنه ويعفو عما فعل فى حال الكفر من السيئات ﴿قوله وعدن علم﴾ لما جعل جنات بدلا من المعرفة ولا يحسن ابدال النكرة من المعرفة الا موصوفة كما فى قوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وايضا لما وصف جنات بقوله التى وعد الرحمن عباده ولا توصف النكرات بالمعارف احتيج الى تعريف جنات عدن ولا سبيل الى تعريفها الا بتعريف عدن ولفظ عدن ليس فيه شئ من التعريف سوى العلمية وسوى وقوعه مضافا اليه فى العلم فانما كان مضافا اليه فى العلم لانه ان يكون معرفة مثل عبدالله وعبد مناف وعلل علمية عدن اولا بوقوعه مضافا اليه فى العلم وثانيا بكونه علما لعدن بمعنى الاقامة اى حقيقة معنى الاقامة وجنسها فان اعلام الاجناس موضوعة للحقائق الذهنية المتعينة كاسامة فانه علم للحقيقة الذهنية الاسدية وكفطارة فانه اسم للبرة المعرف بلام الجنس وكذا لفظ عدن فانه علم لمعنى العدن المعرف تعريف الجنس ﴿قوله اى وعدها اياهم وهى غائبة عنهم﴾ على ان الباء فى قوله بالغيب للملابسة كما فى كون الغيوب من جنس الغيب وهو حال من المفعول المحذوف لوعد اى وعدها وهى غائبة عنهم او من المفعول الثانى وهو عباده ﴿قوله او وعدهم بايمانهم﴾ على ان الباء فيه للسببية بتقدير المضاف والمعنى وعدها عباده بسبب تصديقهم بالغيب وايمانهم به ﴿قوله وعده الذى هو الجنة﴾ جعل الوعد بمعنى الموعود لئلا يحتاج الى جعل المأتى بمعنى الآتى فانه لو جعل الوعد بمعنى المصدر لاحتيج اليه لان الوعد بمعنى المصدر معناه ان وعد الله آت لامحالة وبمعنى المفعول معناه ان الموعود وهو الجنة مأتى اى يأتونها العباد لامحالة او المأتى اسم مفعول على بابه من اتى اليه احسانا اذا فعله والمعنى ان الرحمن كان وعده لعباده بالجنة مفعولا منجزا لامتناع الخلف فى وعده يقال انجز وعده اذا وفى به فهو تعالى وان وعدهم بامر غائب عنهم فذلك الامر كأنه حاضر حاصل لهم ﴿قوله فضول كلام﴾ وهو الكلام الذى سبيله ان يلغى ويطرح لخلوه عن الفائدة نزه الله تعالى دار التى وعدها عباده عن العيب والنقيصة اذ لاتكليف فيها وجعل الاستثناء اولا منقطعا لان السلام سوآء كان بمعنى التسليم او بمعنى القول الذى لاتطرق اليهم الغير بسببه ليس من جنس اللغو ثم يستثنى منه اصوات العصافير ونحوها من الطيور قال المبرد السلام دعاء الانسان لصاحبه بان يسلم من الآفات فى دينه وبدنه ويخلص

(الا من تاب وامن وعمل صالحا) يدل على ان الآية فى الكفرة (فاولئك يدخلون الجنة) وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل (ولا يظلمون شيأ) ولا ينقصون شيأ من جزآء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيأ على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لايضرهم ولا ينقص اجورهم (جنات عدن) بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها او منصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه فى العلم او علم لعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله (التى وعد الرحمن عباده بالغيب) اى وعدها اياهم وهى غائبة عنهم او وهم غائبون عنها او وعدهم بايمانهم بالغيب (انه) ان الله (كان وعده) الذى هو الجنة (مأتيا) يأتيها اهلها الموعود لهم لامحالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اى مفعولا منجزا (لا يسمعون فيها لغوا) فضول كلام (الا سلاما) ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة او الا تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۞ بهن فلول من قراع الكتائب ۞ او على ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام

من المكر و ثم فشا استعماله فى الاكرام حتى لايفهم منه غيره ولهذا لو تركته لحملت صاحبك على الاهانة ﴿قوله على عادة المتنعمين﴾ جواب من سؤال مقدر وهو ان المقصود من هذه الآيات وصف الجنة باحوال مستعظمة ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور المستعظمة فما الوجه فى مدح الجنة به * واجاب عنه بوجهين الاوّل ماروى عن الحسن من انه تعالى اراد ان رغب كل قوم بما احبوه فى الدنيا فلذلك ذكر اساور الذهب والفضة ولبس الحرير وهى من عادة العجم والارآئك التى هى الحجال المضروبة على الاسرّة وكانت عادة اشراف اليمن ولاشئ كان احب الى العرب من الغدآء والعشاء فوعدهم بذلك والثانى انه كناية عن اعتدال احوال اهل الجنة من حيث المطاعم والمشارب فان اعدل احوال المطاعم وابعدها عن الضرر هو التغدّى والتعشى وهى عادة محمودة متوسطة بين الزهادة من الطعام والتفريط فيه بالاكل فى اليوم والليلة مرّة وبين الرغابة والافراط فيه وهى الاكل متى وجدوه مرّة بعد اخرى ثم نقل جوابا ثالثا وهو ان ذكره البكرة والعشىّ لبيان دوام رزق اهل الجنة لا لبيان ان الرزق انما يحصل لهم فى هذين الوقتين المعلومين كما يقال انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا ويراد دوام الحضور عنده فى كل وقت * فان قيل كيف يتحقق البكرة والعشى بالنسبة الى اهل الجنة ولاصباح ولامساء ولاليل ولانهار بالنسبة اليهم قال تعالى لايرون فيها شمسا ولازمهريرا وقال عليه الصلاة والسلام * لاصباح عند ربك ولامساء بل هم فى نور ابدا * واجيب بان المراد انهم يأكلون مطلقا لا ان فى الجنة غدوة وعشيا الا قيل انهم فيها يعرفون مقدار النهار برفع الحجب ومقدار الليل بارخائها وروى ان بين غدآئهم وعشائهم ست ساعات ﴿قوله نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم﴾ شبه اعمال المتقى بالمورث وشبه ثمرة تلك الاعمال بتركة المورث اذا انقضى بحيث يبقى للوارث ماله كذلك اعمال المتقين تنقضى وتبقى ثمرتها لهم وهو الجنة فعبر عن ابقاء تلك الثمرات لهم بالايراث واشتق منه نورث فصار استعارة تبعية ونكتة العدول الى المجاز التنبيه على ان تمليك تلك الثمرات لهم اقوى وجوه التمليك كأنه قيل تملك الجنة اياهم اقوى تمليك والآية تدل على ان المتقى يدخل الجنة وليس فيها دلالة على ان غير المتقى لايدخلها وايضا صاحب الكبيرة يصدق عليه انه متق لكونه متقيا من الكفر فيدخلها ﴿قوله حكاية قول جبريل عليه السلام﴾ ولاشك ان قوله تعالى تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا كلام الله تعالى فلا وجه لعطف هذه الجملة المحكية عليه بل هى معطوفة على ماتقدّم من اوّل السورة الى هنا عطف القصة على القصة واللازم فى مثله تناسب القصتين المتعاطفتين فى الغرض الذى سيق الكلام لاجله وذلك التناسب موجود ههنا فان المقصود من ذكر أقاصيص الانبياء عليهم الصلاة والسلام تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته وهى المقصودة من هذه الحكاية ايضا فانه تعالى لما فرغ من اقاصيص الانبياء وذنبها ببيان مااحدث الخلف بعدهم وحكم عليهم بانهم سوف يلقون غيا واستثنى اهل الهداية والتوفيق منهم وقال فى حقهم فاولئك يدخلون الجنة عقب ذلك بذكر حكاية نزول جبريل عليه السلام كأنه قال النبى صلى الله عليه وسلم انك وان اشتقت الىّ ولكنى اليك اشوق الا ان امرنا موكول الى الله عز وجل يتصرّف فينا بحسب مشيئته وارادته وحكمته لااعتراض لاحد عليه وليس احتباسى عنك لاجل ان ربك ودّعك وقلاك كما يقول المشركون وما كان ربك نسيا تاركا لك ولاشك ان فى ذكرها زيادة التسلية له عليه الصلاة والسلام ﴿قوله ثم نزل ببيان ذلك﴾ اى ثم نزل جبريل ببيان مايجيب لمن سأل عن قصة اصحاب الكهف وغيرها ونزل حينئذ قوله تعالى وماتتنزّل الا بامر ربك وقوله ولاتقولنّ لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وسورة والضحى ﴿قوله وقيل ان الآية حكاية قول المتقين الخ﴾ القائل له اختاره ليناسب ماقبله ويظهر عطفه عليه والتنزّل هنا من النزول فى المكان اى ماننزلها ونتخذها منازل كما اشار اليه بقوله ننزل الجنة لكنه خلاف الظاهر وايضا مقتضاه بامر ربنا لان خطاب النبى صلى الله عليه وسلم كما فى الوجه الاوّل غير ظاهر الا ان يكون حكاه الله على المعنى لان ربهم وربه واحد ولو حكاه على لفظهم لقال ربنا وانما حكى كذلك ليجعل تمهيدا لما بعده وكذا وما كان ربك نسيا الا انه لم يقل ربهم ومرشده لانه لايوافق سبب النزول واما كون الخطاب من جماعة المتقين لواحد منهم فبعيد وقوله ولطفه اشارة الى ان الامر هنا امر تكريم ولطف كقولك للمسافر انزل هنا ﴿قوله وما كان ربك ناسيا الاعمال العاملين﴾ اشارة الى ان المنفى اصل النسيان لا زيادته حتى يقتضى ثبوت اصله وانما المبالغة باعتبار كثرة من فرض

(ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره (تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا) نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما نبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل فى التمليك والاستحقاق من حيث انها لاتعقب بفسخ ولا استرجاع ولاتبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التى كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة فى كرامتهم وعن يعقوب نورّث بالتشديد (وماتتنزّل الا بامر ربك) حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله عليه الصلاة والسلام لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولم يدر مايجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودّعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزّل النزول على مهل لانه مطاوع نزّل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزّل بمعنى انزل والمعنى وماننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على مقتضى حكمته وقرئ ومايتنزّل بالياء والضمير للوحى (له مابين ايدينا وماخلفنا ومابين ذلك) وهو مانحن فيه من الاماكن والاحايين لاننتقل من مكان الى مكان اولاننزل فى زمان دون زمان الا بامره ومشيئته (وما كان ربك نسيا) تاركا لك اى ماكان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل ان الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وماننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه ومانجده من لطفه وفضله وقوله وماكان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اى وماكان ربك ناسيا لاعمال العاملين وماوعدلهم من الثواب عليها

(تعالقه)

تعلقه به كما فى وما ربك بظلام للعبيد فى احد الوجوه و قوله بيان لامتناع النسيان لان رب هذه المخلوقات العظيمة المدبر لامرها والممسك لها فى كل حال لا يمكن ان يجرى عليه الغفلة والنسيان على ما مر فى قوله لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الارض ﴿ قوله وهو خبر محذوف او بدل من ربك ﴾ فى قوله وما كان ربك نسيا وفى الكشاف هو بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو رب السموات والارض كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم * وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة انتهى وانما لم يجز على البدل ان يكون من كلامهم لانه لا يظهر اذ ذاك ترتب قوله فاعبده الخ عليه لانه من كلام الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الدنيا بلا شك وجعله جواب شرط محذوف على تقدير اذا عرفت احوال اهل الجنة واقوالهم فأقبل على العمل لا يلائم فصاحة التنزيل لعدول عن السبب الظاهر الى الخفى كذا فى الكشف ولم يذكره المصنف لما فيه من التكلف بل جعله من كلام الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم كما مر ﴿ قوله خطاب للرسول الخ ﴾ الترتيب مأخوذ من الفاء وقوله لما عرفت الخ اشارة الى وجه الترتيب وقوله او اعمال بالنصب عطف على مفعول ينساك اشارة الى تفسيره على كونه حكاية قول المتقين وقوله فأقبل لم يقل فاستمر لان الاقبال كان حاصلا قبل لئلا يتكرر مع ما بعده لان معناه الثبات والاستمرار فلا يتوهم ما ذكر كما قيل ﴿ قوله وانما عدى باللام الخ ﴾ اى والمعروف تعديته بعلى لما فيه من معنى الثبوت المتعدى بها كانه قيل اصبر ثابتا على طريق التضمين وجعل العبادة بمنزلة القرن اشارة الى قوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وقيل انه استعارة تبعية ملوّحة الى مكنية بجعل العبادة بمنزلة القرن والصبر والمداومة عليها بمنزلة الثبات له ولو كان تضمينا لم يحتج الى ان العبادة بمنزلة القرن وفيه نظر ﴿ قوله مثلا يستحق ان يسمى الها الخ ﴾ يعنى ان اصل السمى المشارك فى الاسم وذلك يقتضى المماثلة خصوصا فى اسماء الاجناس فاريد بنفى السمى نفى المثل على طريق الكناية ونفى السمى حينئذ يجوز ان يراد به نفى المشاركة فيما يطلق عليه مطلقا كالاله لان الكفرة وان سموا اصنامهم آلهة لكنها تسمية باطلة لا اعتداد بها وان يراد به نفى المشاركة فيما يختص به كالله والرحمن كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما واشار اليه المصنف رحمه الله بقوله او احدا يسمى الله وقوله فان المشركين الخ تعليل للاول او لهما لان الله اصله الاله كما مر فتأمل ﴿ قوله لظهور احديته ﴾ اى احديته الذاتية المقتضية لتفرده باسمائه العلية وتعالى بكسر اللام اسم مصدر مضاف وقوله وهو تقرير للامر اى كونه لا يفعل الا باذنه وامره وقوله ولا يستحق العبادة اى التى هى غاية الخضوع اذ لا تليق بغيره لتعدد الامثال وهذا يعلم من ذكره بعد الامر بعبادته فلا يرد ان التفرد بالتسمية لا يدل على التفرد بالعبادة ﴿ قوله المراد به الجنس بأسره الخ ﴾ لما كان هذا القول لم يصدر الا من الكفار المنكرين للبعث اختلف فى تفسيره فقيل ال فيه للعهد والمراد شخص وهو ابى بن خلف لعنه الله او جماعة معينون وهم هؤلاء الكفرة وقيل انها للجنس وهو حينئذ مجاز اما فى الطرف بان اطلق جنس الانسان واريد بعض افراده كما يطلق الكل على اجزائه او فى الانسان بان يسند الى الكل ما صدر عن البعض كما يقال بنوا فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم ولا منافاة بين كون التعريف للجنس المفيد للعموم وارادة البعض كما توهم وانما الكلام فى انه هل يشترط فى مثله تحققه او حسنه رضى الباقين به او مطاوعتهم ومساعدتهم حتى يعد كانه صدر منهم اولا فان قلنا بالاول ورد عليه الاعتراض بان بقية الناس من المؤمنين لم يرضوه وايضا صرح المصنف رحمه الله باشتراطه فى سورة السجدة فان لم يقل به هنا تناقض كلامه وان وفق بينهما بعض اهل العصر بما لا طائل تحته فيحتاج الى تكلف ما قيل ان الاستغراب مركوز فى طبائع الكل قبل النظر فى الدليل فالرضى حاصل بالنظر الى الطبع والجبلة لكن كلام المصنف لا يساعده كما سنراه والحق عدم اشتراط ذلك وانما يشترط لحسنه نكتة يقتضيها مقام الكلام حتى يعد كانه صدر عن الجميع فقد تكون الرضى وقد تكون المظاهرة وقد تكون عدم الفوت والمدد ولذا اوجب الشرع القسامة والدية وقد تكون غير ذلك فذكر المصنف رحمه الله وجها فى محل لا يقتضى تعينه فكانت النكتة هنا انه لما وقع بينهم اعلان قول لا ينبغى ان يقال مثله واذا قيل لا ينبغى ان يترك قائله بدون منع او قتل جعل ذلك بمنزلة الرضى حثا لهم على انكاره قولا وفعلا فتأمل * واعلم ان ما ذكره لا يختص بالنسبة الاسنادية بل يجرى فى الاضافة كقوله * فسيف بنى عبس وقد ضربوا به * كما فى الكشاف وقوله على الخبر المراد به ما يقابل الانشاء الذى منه الاستفهام ولبعض الناس هنا كلام مختل لا حاجة الى ايراده وقيل ان المراد بكونه على الخبر

وقوله (رب السموات والارض وما بينهما) بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك (فاعبده واصطبر لعبادته) خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب عليه اى لما عرفت ربك بانه لا ينبغى له ان ينساك او اعمال العمال فأقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحى وهزء الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك (هل تعلم له سميا) مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم الها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اى اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها (ويقول الانسان) المراد به الجنس بأسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنوا فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابى بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد الموت (ائذا مامت لسوف اخرج حيا) من الارض او من حال الموت

بحسب الظاهر والا فالهمزة مقدرة فيه وليس بتعين كما ذكره المعرب وقوله من الارض فالخروج حقيق او من حال الموت فهو مجاز عن الانتقال من حال الى اخرى ﴿ قوله لان المنكر كون مابعد الموت وقت الحياة الخ ﴾ يعنى ان تقديم الظرف لان الاخراج الى الحياة ليس بمنكر مطلقا وانما المنكر كونه بعد الموت فقدم الظرف لانه محل الانكار والاصل فى المنكر ان يلى الهمزة ويحتمل انه اريد التكرار وقد بعينه مبالغة لانه يفيد انكاره بطريق برهانى كما ذكره الطيبى ولما كان وقت اخراجه وخروج الروح ليس وقت اخراجه حيا بل بعده زمان طويل قال الرضى ان فيه معطوفا محذوفا لقيام القرينة عليه والمعنى أئذا مامت وصرت رميما ابعث اى مع اجتماع الامرين كقوله أئذا متنا وكنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوث خلقا جديدا فمن قال انه لاحاجة اليه لم يصب الفهم الان يراد بحال الموت زمان ممتد الى اوّل زهوق الروح كما هو المتبادر منه وربما يكون فى كلام المصنف رحمه الله اشارة اليه او يقال انهم اذا احالوه فى تلك الحال مع احالته اذا كانوا رفاتا بالطريق الاول وفى كلام الفاضل المحشى هنا شئ فتأمل ﴿ قوله وانتصابه بفعل دل عليه اخرج ﴾ سواءكان من لفظه او بمعناه كابعث ونحوه وعدّ المانع اللام وحدها دون سوف لانها لاتمنع على الصحيح خلافا لابن عطية قيل ان الرضى ذكر ان كلمة الشرط تدل على لزوم الجزاء للشرط وتحصل هذا الغرض عمل فى اذا جزآؤه مع كونه بعد حرف لايعمل مابعده فيما قبله كالفاء فى فسبح وان فى قوله ان جئتنى فانى مكرم ولام الابتدآء فى قوله أئذا مامت لسوف اخرج حيا انتهى * فان قلت هذا مبناه على ان العامل الجواب والجمهور على انه الشرط كما فى المغنى * قلت ذاك فى اذا الشرطية وهذه ظرفية انتهى ولايخفى ان كلام الرضى ليس بمتفق عليه كما فى كتب العربية واما ماذكره من السؤال والجواب فانه لايصح ان يكون على كلام الرضى فانه مخالف لصريح كلامه من جعلها شرطية ولا من قبل المصنف رحمه الله فانه لايعارض كلام الرضى فلا حاجة لا براد مثله وسياقه يأباه فتدبر ﴿ قوله وهى هنا مخلصة الخ ﴾ هذا بناء على ان اللام اذا دخلت على المضارع خلصته للحال وهو قول النحاة ومن قال انها لاتخلصه يحتج بمثل هذه الآية ولايحتاج الى دعوى تجريدها للتوكيد وقوله كما خلصت بصيغة المجهول وهذا ايضا بناء على ان اصله الاله وال فيه للتعريف والتعويض عن الهمزة المحذوفة فانها اذا اجتمعت مع حرف الندآء جعلت لمحض التعويض لئلا يجتمع معرفان وهذا احد الاقوال المشهورة فيه ايضا ولذا قطعت همزته وقوله فساغ الخ تعليل لما نحن فيه ﴿ قوله مع ان الاصل ان يتقدمها الخ ﴾ تبع فى هذا الزمخشرى حيث قال وسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعنى أيقول ذلك ولايذكر حال النشأة الاولى حتى لاينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب الخ وهو مخالف للمذهبين فى مثله بحسب الظاهر من انها مقدمة من تأخير فاصله والايذكر الخ او داخلة على مقدر واصله ايقول كذا ولا الخ واما كونها مؤخرة من تقديم فزبقوله احد مع انه قيل عليه ان الهمزة ليست من المعطوف لتقدمها عليه ولامن المعطوف عليه لتأخرها عنه وكيف يدخل الانكار على يقول مع تأخر الهمزة عنه وفيه ابطال صدارتها فالاولى ان يقال لايذكر معطوف على يقول مقدر بعد الهمزة لدلالة الاوّل عليه فيرتفع الاشكالان وقيل لايخلو اما ان يعطف لايذكر على يقول المذكور او على المقدر فعلى الاوّل لايستقيم تقريره المعنى بقوله ايقول ذلك ولايذكر لان التقدير حينئذ اولايذكر وعلى الثانى لايصح قوله ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قيل ويمكن ان يجاب باختيار الاوّل وقوله ايقول ذلك ولايذكر بيان لحصل المعنى لالتقدير اللفظ وذلك لان الهمزة افادت انكار الجمع لدخولها على الواو المفيدة له وكأنه قيل اينكر الجمع بين القول وعدم التذكر فصح قوله ايقول ذاك ولايذكر واما السؤال ببطلان صدارة الهمزة فلاوجه له لما ثبت من التوسع فيها خاصة انتهى * اقول فى هذا كله تكلف ما لاحاجة اليه مع خروجه كله عن القانون النحوى اما الاوّل فلان كلامهم غير محتاج لماذكروه كما ستسمعه من كتب واما الثانى فلمخالفته لما ذهب اليه النحاة من المذهبين لانه لم يقل احدانها مؤخرة من تقديم وايضا صدارتها انما هو بالنسبة الى جملتها بالاتفاق وتقدمها على الواو وثم فيه كما صرح به فى المغنى فلا حاجة الى التوسع المذكور كما انه لاحاجة الى ماقيل ان وجوب التصدير انما هو اذا بقيت على معناها الاصلى الاستفهامى اما اذا تولد منها معنى آخر كالانكار والتوبيخ فلايبقى وجوب التصدير ولذا قال المصنف رحمه الله مع ان الاصل الخ اذا عرفت هذا فمعنى كلام الشيخين هنا وهو بيان لمعنى النظم مبنى على القول بعدم التقدير انه لم ادخل حرف الانكار على العاطف فتوسط فى الكلام مع ان القول المذكور منكر كعدم التذكر فاجابوا بانه وان كان اصل المعنى المراد منه هذا ومقتضاه ان يقال ايقول

وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون مابعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لابه فان مابعد اللام لايعمل فيما قبلها وهى ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام فى يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروى عن ابن ذكوان اذامامت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر (أولايذكر الانسان) عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمهما للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه

فانه لوتذكر وتأمل (انا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) بل كان عدما صرفا لم يقل ذلك فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ماكان فيهامن الاعراض وقرأنافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذى راد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل (فوربك لنحشرنهم) اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم (والشياطين) عطف او مفعول معه لما روى ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه فى سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذاحشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم (ثم لنحضرنهم حول جهنم) ليرى السعداء مانجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ماادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم (جثيا) على ركبهم لمايدهمهم من هول المطلع اولانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد فى مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم اولعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جثيا بالكسر (ثم لننزعن من كل شيعة) من كل امة شايعت دينا (ايهم اشد على الرحمن عتيا) من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفى ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن كثير من اهل العصيان ولوخص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم فى النار على الترتيب اويدخل كلا طبقتها التى تليق بهم وايهم مبنى على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامى وخبره اشد

اذا اخ الا انه عدل عنه بدلالته على ان المنكر بالذات عدم التذكر والقول انما نشأ عنه فلاوجه لماقاله المحشى فانه لوتأمل لم يقله ﴿قوله بل كان عدما صرفا اخ﴾ بناء على ان الشئ يختص بالموجود وقدتقدم تفصيله وقوله فانه اى الخلق المفهوم من خلقنا وانما كان اعجب لانه لم يسبق له مثال يحتذى حذوه ولم يجمع له مادة قبل حتى يعاد على احد المذهبين المعروفين فى المعاد كما اشار اليه المصنف رحمه الله وقوله على الاصل اى بدون ادغام فانه خلافه والتفخيم لشأنه صلى الله عليه وسلم من الاضافة فانها للتعظيم كبيت الله وقوله لما روى اخ تأييد للمعية لتصريح بها فى الحديث وقوله مخصوصا بهم اى بالكفرة وقوله ساغ بالغين المعجمة اى جاز ونسبته الى الجنس باسره نسبة مجازية كما مر وقوله فانهم بيان لوجه التجوز فيه وقوله فقد حشروا جميعا معهم بجاز نسبته مجازا لهم وقوله ليرى بيان لحكمة حشرهم معهم والغبطة هنا حسن الحال والمسرة وقوله وشماتتهم عليهم كان الظاهر ان يقول بهم فكانه علقه بمقدر اى متغاظين عليهم وقوله يدهمهم بالدال المهملة اى يفجأهم وهذا بناء على العموم فى الانسان فالمؤمن يجثو اذا قرب منها والكفار مستمرون على الجثى لعدم استطاعة القيام فلا ينافى جمع ضمير نحشرهم ان يراد بالانسان واحد كما تقدم والعدة بضم العين المهملة مايعد لما بعده ﴿قوله اولانه من توابع التواقف﴾ اى من لوازمه والتواقف تفاعل من الوقوف والتقاول تفاعل من القول والمفاعلة فيه حقيقة بخلاف اخواته فانها فيه للمشاكلة يعنى ان الجثى وهو جلوس المستوفز على ركبه شأن من يجئ لمجلس امير وقوله قبل التواصل اخ اى قبل الوصول الى جزاء ماهو سبب له وهذا عام لجميع اهل الموقف كما فى الآية المذكورة على احد تفسيريها لاخاص كما قيل وانما الفرق ان المؤمنين يقومون بعد تلك الحالة والكفار يبقون على هيئاتهم الاولى فليس فى تقريره سوء ترتيب وقوله على المعتاد اى فى الحساب حال من ضمير جاثون او متعلق به وقوله وان كان الظاهر الفاء لانه لف ونشر وقوله فلعلهم عبر به لانه من المغيبات وقوله جثاة اى الهول كما مر على ان جثيا حال مقدرة بخلافه على ماقبله لان قوله لنحضرنهم حول جهنم جثيا يقتضى ان يكونوا فى الاحضار وهو امر ممتد كذلك فان اريد العموم لايكون كذلك لان منهم السعداء وهم يمشون على اقدامهم فاذا وصلوا الى شاطئ النار تجاثوا فان قلت جثيا حال مقدرة بالنسبة الى السعداء وغير مقدرة بالنسبة الى الاشقياء فكيف يصح التقدير وعدمه فى حالة واحدة * قلت ان اريد بالجثى الجثى حول جهنم فهى مقدرة بالنسبة الى الكل ويجوز ان يكون من اسناد ماللبعض الى الكل كما مر وكل منهما مجاز فتأمل والقرآءة بكسر الجيم للاتباع قرأ حمزة والكسائى وحفص جثيا بكسر الجيم اتباعا والباقون بالضم ووقع فى النسخ هنا تحريف ﴿قوله من كل امة شايعت دينا﴾ اى تبعت دينا من الاديان وفى نسخة زيغا فيكون تفسير اللاشد عتيا مقدما عليه كما سيأتى والاولى هى المشهورة وهذا بناء على ابقاء الشيعة على معناها المتبادر منها وهى الفرقة والفئة مطلقا فتشمل المؤمنين كما اشار اليه بقوله ولوخص اخ وقوله تنبيه ولم يفسره بمافى الكشاف بطائفة تبعت غاويا من الغواة لان المقام يقتضى التخصيص وان كان عاما للاتباع بحسب الوضع * لكنه اورد عليه ان قوله اشد عتيا يقتضى اشتراكهم فى العتى بل فى شدته وهو لايناسب المؤمنين * واجيب عنه بانه يكتفى بالتقدير او يجعل من نسبة ماللبعض الى الكل وهذا اظهر ولا بعد فيه من جهة العربية لان التفضيل على طائفة لايقتضى مشاركة كل فرد فرد كما اذا قلت هو اشجع العرب لايلزمه وجود الشجاعة فى جميع افرادهم وقوله اعصى اشارة الى ان العتو على هذا بمعنى العصيان لانه كما فسره الراغب النبو عن الطاعة وبه يهون مامر ووجه التنبيه على هذا انه خص العذاب بالاشد معصية ففيه ايماء الى التجاوز عن كثير منهم فلاوجه لماقيل انه لادلالة له عليه وقوله ويطرحهم اويدخل فيه اشارة الى ان فى النظم حذفا وايجازا وكثيرا منصوب على نزع الخافض وهو عن لا اللام وقوله طبقاتها وفى نسخة طبقتها اى النار ﴿قوله وايهم مبنى على الضم عند سيبويه﴾ أىّ المشددة تكون موصولة واستفهامية وشرطية واختلف فيها وفى اعرابها هنا فذهب سيبويه الى انها موصولة وكان حقها ان تبنى كسائر الموصولات لشبهها الحرف بافتقارها لمابعدها من الصلة لكنها لما لزمت الاضافة الى المفرد لفظا نحو ايهم او تقديرا نحو ايا وهى من خواص الاسماء بعد الشبه فرجعت الى الاصل فى الاسماء وهو الاعراب ولانها اذا اضيفت الى نكرة كانت بمعنى كل نحو اىّ رجل واذا اضيفت الى معرفة كانت بمعنى بعض نحو اىّ الرجلين كما ذكره النحاة فحملت فى الاعراب على ماهى بمعناه كما ذكره المصنف رحمه الله لكنها اذا حذف صدر صلتها عنده ازداد نقصها المعنوى وهو الابهام والافتقار الى الصلة بنقص الصلة التى هى كجزئها فتقوى مشابهتها

الحرف فعادت الى ماهو حق الموصول وهو البناء فهى على هذا منصوبة محلا والجملة بعدها المحذوف المبتدأ لامحل لها من الاعراب والقراءة بالنصب من خلطه تقتضى انها مفعول لننزعن وقد خطئ فى هذا بانه لم يسمع مثله وبانه يقول باعرابها اذا افردت عن الاضافة فكيف اذا اضيفت كما فى المغنى وهو متصل فى محله وقوله ومرفوع معطوف على قوله منصوب المحل ﴿قوله والجملة محكية﴾ اى بالقول الذى هو صلة الموصول المحذوف الذى هو مفعول لننزعن واى استفهامية لاموصولة كما بعده وهذا قول الخليل رحمه الله ولما كان لامعنى لجعل النزع لمن يسأل عنه بهذا الاستفهام اوله بعضهم بانه مجاز عن تقارب احوالهم وتشابهها فى العتو حتى يستحق ان يسأل عنها او المراد الذين يجاب بهم عن هذا السؤال وهو مع تكلفه فيه حذف الموصول مع بعض الصلة وهو تكلف على تكلف ومثله لايقاس وقوله اومعلق عنها فالجملة فى محل نصب والمعنى لننزعن جواب من يسأل عنه بهذا ولما كان التعليق عند الجمهور يختص بافعال القلوب اجاب عنه بانه نزع شئ عن شئ يقتضى افرازه وتمييزه عنه وهو سبب للعلم به فهو لتضمنه معنى يلزمه العلم عومل معاملته والاولى ان يقال انه مستلزم العلم لعلم من يراهم بذلك ومن لايرى التعليق مختصا بافعال القلوب كيونس لايحتاج الى التأويل ﴿قوله اومستأنفة﴾ اى استئنافا نحويا او بيانيا ان كانت اى موصولة كأن قيل من المنزوعون فقيل هم الذين هم اشد واما اذا كانت استئنافية فالظاهر الاول ويجوز الثانى على التأويل السابق وجعل من زائدة على مذهب الاخفش الذى يجوز زيادتها فى الاثبات وكونها مفعولا لتأويلها باسم وهو بعض قيل هو على تقدير تخصيصه بالكفرة وفيه نظر ﴿قوله واما بشيعة﴾ معطوف على قوله بالابتداء وهذا منقول عن المبرد فى الاعراب فمن قال انه لم يقله غير المصنف لم يصب قال ابو البقاء يعنى ان ايهم فاعل لما تضمنه شيعة من معنى الفعل والتقدير لننزعن من كل فريق يشيع ايهم اشد واى موصولة بمعنى الذى فتأمل وقيل اى هنا شرطية ﴿قوله وعلى البيان الخ﴾ يعنى ان الجار والمجرور متعلق بفعل محذوف او بمصدر مبين لان المعنى على من والصلى بماذا كما فى سقيا لهم ورعيا له كأنه قيل على من عتوا فقال عتوا على الرحمن وبماذا يصلون فقيل يصلون بالنار لا بالمصدر المذكور لان معمول المصدر لايتقدم عليه فمن جوزه مطلقا او فى الجار والمجرور للتوسع فيه جوزه هنا وكذا من قال ان عتيا وصليا جمع عات وصال وهو منصوب على الحالية ﴿قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلى الخ﴾ قيل هذا على كون صليا تمييزا عن النسبة التى بين اولى والمجرور ومابعده على انه تمييز عن النسبة التى بين المبتدأ والخبر وقيل ان الاول على تقدير كونه للبيان ومابعده على تعلقه بافعل فتأمل وقوله وقرأ حمزة الخ وقع فى بعض النسخ وقد قرأوا به فى جثيا كما مر وهو اتباع وكذا فى عتيا فالاولى ذكره ايضا وقوله ويجوز وكان المراد اولا الفرق باجمعها ﴿قوله التفات﴾ اى من الغيبة للحضور وهو جار على التفسيرين فى الانسان بالعموم والخصوص وعلى الثانى الورود بين ويجوز ان يكون خطابا للناس دون التفات كما مر كما فى الكشاف وقوله الا واصلها الخ يعنى ان المراد بالورود دخولها حقيقة لكنها لاتحرقهم بل تصير عليهم بردا وسلاما كنار ابراهيم عليه الصلاة والسلام كما ورد فى الحديث وعليه كثير من سلف المفسرين واهل السنة او المراد به الجواز على الصراط او القرب منها او الجثو حولها ورجحه الشيخان كغيرهما لانه بلا تمريض ولان قوله ثم ننجى الذين الخ لان الظاهر منه انه تفصيل وتفريق بعد ما اشتركوا فيه ويقدر فيه مضاف ايضا اى نذر الظالمين فيها حولها بقرينة قوله لنحضرنهم حول جهنم والمراد المرور على الصراط بعده واما على التفسير الاول فلا يحتاج الى تأويله فتأمله وقوله خامدة بالخاء المعجمة والجيم والاول اولى اى ساكنة وتنهار اى تسقط وتقع والمراد انها تحرقهم وتشعل كما يقال وقع فى البلد حريق ﴿قوله واجبا﴾ اى كالواجب فى تحتمه وقوعه والمقصود المبالغة اذ لايجب على الله شئ عند اهل السنة واليه اشار بقوله وقضى الخ هو تفسير مقضيا كما ان ماقبله تفسير حتما ﴿قوله وقيل اقسم عليه﴾ اى معنى كان حتما مقضيا كان قسما لازما والمقصود منه انشاء القسم وقد يقال ان على ربك المقصود منه اليمين كما تقول لله على كذا اذ لامعنى له الا تأكد اللزوم والقسم لايذكر الا لتأكيده وعلى ورد فى كلامهم كثيرا للقسم كقوله

◎ على اذا ماجئت ليلى ازورها ◎ زيارة بيت الله رجلان حافيا ◎

فان صيغة النذر قد يرادبها اليمين كما صرحوا به او المراد بهذه الجملة القسم كقولهم عزمت عليك الا مافعلت كذا وورد فى الحديث لايموت لاحدكم ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم فقال ابو عبيد وتبعه جماعة من المفسرين ان المراد بالقسم فى الحديث قوله وان منكم الا واردها الآية واعترض الازهرى فى التهذيب بانه

والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستأنفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما بشيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء فى قوله (ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا) اى نحن اعلم بالذين هم اولى بالصلى او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص صليا بكسر الصاد (وان منكم) ومامنكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم (الا واردها) الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهى خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها (كان على ربك حتما مقضيا) كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لايمكن خلفه وقيل اقسم عليه

لاقسم فيها فكيف يكون له تحلة وقيل ان هذا اصل معناه ولكن لما كان ماتحلل به يكون امرا قليلا ان اريد به ايقاع شيء من المحلوف عليه كسير قسمه او ذكر مايمنعه من الحنث وهو قوله ان شاء الله عبر به عن القلة كقول كعب وقعهن الارض تحليل * قال ابن هشام في شرح بانت سعاد اللهم الا ان يقال ان قوله تعالى وان منكم الاواردها معطوف على ماأجيب به القسم في قوله فوربك لنحشرنهم الخ وهذا مراد من قال ان الواو للقسم وفيه بعد وقال السبكي هذا عجيب فان القسم مقدر في قوله وان منكم ويدل عليه شيئان احدهما قوله كان على ربك حتما مقضيا قال الحسن وقتادة قسما واجبا وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه والثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم فهم منه القسم كامر الحديث ولك ان تقول انه لاتقدير فيه والمعنى ماقرره كامر او يقال الجملة معطوفة على جواب القسم او حال وحديث البعد غير مسموع لعدم تخلل الفاصل ﴿قوله وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو الخ﴾ وجه الدلالة انه لما ذكر ان الجميع واردوها ثم قسمهم الى ناج والى متروك على حاله في الجثى علم ان مقابله جاث لكنه غير متروك على جثيه بل جاء ماذكر وهو ظاهر والدليل هو قوله ونذر الظالمين الخ وقد بين ايضا ان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين والتركيب يدل على اتحاد المكانين من الورطة التي تبقى الظالمون فيها لتقابل بينهما فدل على ان تلك الورطة هي الجثو حولها والمجيء يشتركان فيها وقد كانا اشتركا في الورود فدل هذا على ان المراد بالورود هو الجثو وهذا انما يأتي بتقدير مضاف في قوله فيها اي في حواليها بقرينة الجثو كما اشار اليه المصنف رحمه الله فمن قال انه لايجرى في كلام المصنف رحمه الله لم يصب لكنه قيل على ان الجثو انما يصلح قرينة ان ثبت انه لايجثو في النار وهو غير معلوم واجيب بان الظالمين لايتركون حولها بل يدخلون النار وردّ بان الجثو حول جهنم علم من الآية السابقة فرد هذا اليها والتفصيل بالمعلوم اولى وليس المراد بالدلالة الدلالة القطعية حتى يخل بها الاحتمال وقوله لايتركون الخ لادليل فيه ولايخفى ان ماادعاه من الاولوية الظاهر خلافه لان جثيا نكرة اعيدت فالظاهر انها غير الاولى لاسيما وقد وقعت فاصلة وهي كالقافية لايحسن تكرارها مع مافيهما من التقدير المخالف للظاهر فتأمل ﴿قوله او بيان الرسول صلى الله عليه وسلم الخ﴾ او هنا لمنع الجمع لان ماهو بين اللفظ والمعنى بنفسه لايكون مبينا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم كالمجمل ونحوه لاسيما ومبينة على الاول بمعنى متبينة بصيغة اسم الفاعل وهنا بمعنى مبينة بصيغة اسم المفعول فلاحاجة الى القول بانها لمنع الخلو حتى يقال ان فيه تغليبا اذا اريد بالآيات جميعها ليخرج المتشابهات وقوله واضحات الاعجاز فهو من بان بمعنى ظهر كالاول فلو قدمه كان اظهر وعلى هذا فالاسناد اليها مجاز او بتقدير مضاف وقوله لاجلهم فاللام للتعليل وقوله او معهم فاللام صلة القول كقلت له كذا اذا خاطبته به وماوقع في بعض النسخ او منهم تحريف ﴿قوله موضع قيام او مكانا﴾ كان الظاهر اي مكانا لان اصل معناه الاول ثم استعمل لمطلق المكان كما في الكشاف وماقيل ان او للتخيير في التعبير والتفسير لايجدي لانهما ليسا مترادفين فالظاهر انه اراد ان المقام محل القيام فان المقام بمعنى المعاش كما ذكره الراغب في قوله قياما للناس فهو على ظاهره وان كان مقابل القعود فهو خاص اريد به عام ففيه زيادة على مافي الكشاف وهو على الاول بمعنى المنزل فتتوافق القراءتان ولاينكر ربعه قوله نديا والنادي مقدمه والندي كالنادي مجتمع لندوة القوم ومحادثتهم ومنزل ان كان بضم الميم بمعنى النزول فهو عطف على اقامة وان كان بفتحها فهو عطف على موضع وكان الظاهر ضمه حينئذ ﴿قوله والمعنى الخ﴾ ناظر الى مامر في تفسير بينات وعلمهم معطوف على الحال وبظاهر متعلق به لابقصور حتى يكون الظاهر ابدال الباء بعن كما قيل وقوله ايضا اي كما رد عليهم انكار الحشر بقوله اولا يذكر الخ والتهديد عاقبه من الاشارة لاهلاكهم والنقض هنا لما استدلوا به من حسن حالهم في الدنيا على حسن حالهم في الآخرة لتخلفه فيمن قبلهم من القرون وهو نقض اجمالي كما بين في آداب البحث وهو بمعناه اللغوي وهو الابطال وكم خبرية او استفهامية وهي على كل حال لها الصدر فلذا قدمت والقرن اهل كل عصر وقد اختلف في مدته وهو من قرن الحيوان سمي به لتقدمه كما اشار اليه ومنه قرن الشمس لاول مايطلع منها ﴿قوله وهم احسن صفة لكم﴾ بناء على انه يجوز وصفها كما ذكره الزمخشري وتبعه ابو البقاء ورده ابو حيان بان النحاة صرحوا بان كم سواء كانت خبرية او استفهامية لاتوصف ولايوصف بها كالضمير وجعله صفة قرن ولايرد عليه كم من رجل قام وكم من قرية هلكت بناء على ان الجار والمجرور يتعين تعلقه بمحذوف هو صفة لكم كما ادعى بعضهم ان الرضي اشار اليه لانه يجوز في الجار والمجرور ان يكون خبر المبتدأ محذوفا والجملة مفسرة لامحل لها فالادعاء غير

(ثم ننجي الذين اتقوا) فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اي هناك (ونذر الظالمين فيها جثيا) منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارة بهم على هيآتهم (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او واضحات الاعجاز (قال الذين كفروا للذين آمنوا) لاجلهم او معهم (اي الفريقين) المؤمنين والكافرين (خير مقاما) موضع قيام او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل (واحسن نديا) مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بمالهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله (وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا) وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعده وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ماجد منه والخرثي مارث منه

مسح عنده والخرثي بضم الخاء المعجمة وسكون الراء المهملة وثاء مثلثة ومثناة تحتية مارث اى قدم وبلي وقيل مالبس وقيل ارذأ المتاع ﴿قوله و ارءى المنظر فعل من الرؤية الخ﴾ يعني انه على هذا فعل بمعنى مفعول واما على القرآءة الاخرى فيحتمل انه منه ايضا لكن ابدلت همزته ياء وادغمت ويحتمل انه لا ابدال فيه وانه من روى من الماء يروى ريا ضدّ عطش ولما كان الرىّ به النضارة والحسن استعمل فيه كما يقال هو ريان من النعيم كما قال ريان من ماء النعيم بلغه ورق الشباب * وقوله على انه من الرى ان كان بفتح الراء فهو ظاهر لان الرى اسم مأخوذ من ذلك المصدر وان كان بالكسر كما ضبط بالقلم في اكثرها فهو مصدر والنعمة بفتح النون ويجوز كسرها التنعم والترفه فاتى بمن الابتدآئية المقتضية لتغايرهما كما في الكشاف مع اتحادهما لفظا ومعنى لان مدخول من معناه الحقيق هو الترفه والمراد به على طريق المجاز او الكناية المنظر الجميل والهيئة الحسنة فاقيل انه نظر الى المغايرة باعتبار كونه مذكورا في النظم ومنقولا عن اهل اللغة او الى ان الثاني مصدر وما في النظم اسم فانه كذلك في القاموس وهذا اولى تكلف بارد وقوله على القلب اى القلب المكاني بتقديم اللام على العين فوزنه فلع كما يقال في رأى رآء ﴿قوله كالطحن﴾ بكسر الطاء وسكون الحاء المهملتين وبنون الحب المطحون والخبء بكسر الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وراء مهملة من خبر الارض اذا زرعها وهو مصدر بمعنى المزارعة وبمعنى ما يزارع عليه اسم كالطحن كما ذكره ابن السيد في مثلثاته ﴿قوله وقرئ ريا بحذف الهمزة﴾ اى والقصر وهى قرآءة ابن عباس رضي الله عنهما وقد قرئ ايضا بالمد ومعناها ما مرّ بعضهم بعضا كما في الدر المصون واما هذه القرآءة فقد خرّجت على وجهين احدهما ان يكون اصلها ريا بتشديد الياء فخففت بحذف احدى الياءين وهي الثانية لانها التي حصلت بها الثقل ولان الآخر محل التغيير والثاني ان يكون اصلها رئيا بياء ساكنة بعدها همزة فنقلت حركة الهمزة الى الياء ثم خففت على القاعدة المعروفة ﴿قوله وزيا من الزى الخ﴾ الزى الثاني بالفتح مصدر زواه بمعنى جمعه لان الزى بمعنى الهيئة ويكون بمعنى الاثاث ايضا كما ذكره المبرد في قول الثقفي

أشاقتك الظعائن يوم بانوا ۞ بذي الزى الجميل من الاثاث

وهو واوى لا يائي كما في القاموس وقوله فانه اى الزى بالكسر ﴿قوله ثم بين الخ﴾ اى بين بعد النقض الجواب عما تمسكوا به وقوله وانما العيار وهو من قولهم عايرت بين المكيال والميزان اذا امتحنته وعدّاه بعلى لتضمنه معنى الدلالة والفضل هنا بمعنى الزيادة ولذا قابله بالنقص ﴿قوله فيمدّه ويمهله بطول العمر﴾ اشارة الى ان معنى المدّ وهو تطويل الحبل ونحوه مرادا به تطويل العمر وقوله وانما اخرجه الخ اشارة الى ان صيغة الامر مستعارة للخبر كما يستعار الخبر للامر وقد اشار اليه بقوله او لانه لانه لكونه كائنا لا محالة كالمأمور به الممتثل ليقطع اعذارهم وتقوم عليهم الحجة كما في الآيتين المذكورتين او هو دعاء بامهالهم وتنفيس مدة حياتهم كما في الكشاف ﴿قوله غاية المد﴾ فيه تسمح لان الغاية اما مجموع الشرط وجوابه ان قلنا ان المجموع هو الكلام او مفهوم الجواب ان قلنا انه هو الكلام والشرط قيدله وعلى القول الثاني فاينهما اعتراض ومرّضه لبعده وصاحب الكشاف اختار هذا وقدمه ﴿قوله تفصيل للموعود﴾ التفصيل مستفاد من اما كما ذكره النحاة ولا كلام فيه وانما الكلام في قوله يوم القيامة * فان قيل ان المد والقول ينقطعان حين الموت وعند معاينة العذاب ولذلك يؤمن عنده كل كافر * فالمراد بالساعة مايشمله ومن مات فقد قامت قيامته ولا يخفى ان ما ذكره من التأويل لتتصل الغاية بالمغيا لا يناسب ما في النظم لان الساعة لا تطلق عليه كيوم القيامة وامر الفاصل سهل لان امور هذه الدار وزوالها لاتعد فاصلة لتقضيها الا ترى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا والمناسب وعيدهم بما يشاهدونه في الدارين لانه الدال على الخزي ﴿قوله والجملة محكية بعد حتى﴾ فهي مستأنفة وحتى ليست جارة ولا عاطفة وهكذا هي حيث دخلت على اذا الشرطية عند الجمهور وهى منصوبة بالشرط او الجزآء على الخلاف المشهور وذهب ابن مالك الى انها جارة كما في المغنى وقوله محكية اشارة الى انها غاية للقول باحد القولين فهو جار عليهما فليس هذا على انه غاية للمد ثم ما بعده صريح فيه ﴿قوله اى فئة وانصار الخ﴾ وجه التقابل فيه ظاهر فالمراد بالندىّ من فيه كما يقال المجلس العالي للتعظيم فلذا عبر به وبالمقام ثمة وعبر هنا بالمكان والجند اشارة الى ان الاوّل فيه مسرة وحبور بخلاف هذا فانه مكان شرّ ومحاربة فتأمل ﴿قوله عطف على الشرطية المحكية بعد القول الخ﴾ في هذه الجملة وجوه فقيل انها مستأنفة لا محل لها وقيل انها معطوفة على جواب

وارءى المنظر فعل من الرؤية فما يرى كالطحن والخبء وقرأ قالون وابن ذكوان ريا على قلب الهمزة وادغامها او على انه من الرى الذى هو النعمة وابو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزى وهو الجمع فانها محاسن مجموعة ثم بين ان تمتعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص مايكون في الآخرة بقوله (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّا) فيمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغي ان يفعله استدراجا وقطعا للمعاذير كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر (حتى اذا رأوا ما يوعدون) غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا اى الفريقين خير حتى اذا رأوا ما يوعدون (اما العذاب واما الساعة) تفصيل للموعود فانه اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال (فسيعلمون من هو شرّ مكانا) من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى (واضعف جندا) اى فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادى باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتعه بالحياة الدنيا ليس لفضله

من وهو قوله فليمدد الخ واختاره في الكشاف * واعترض بانه غير مناسب معنى اذلا يحمد ان يقال من كان في الضلالة زيد الله الذى اهتدوا هدى ولا اعرابا سوآء كان دعاء اوخبرا في صورة الامر لانه في موضع الخبر ان كانت موصولة وفي موضع الجزآء ان كانت شرطية فهو في حكم الجزآء وعلى كلا التقديرين فهي خالية من ضمير يربط الخبر بالمبتدأ والجواب بالشرط * واجيب بان المعنى من كان في الضلالة زيد في ضلالته وزيد في هداية اعدآئه لانه مما يغيظه ومن شرطية لاموصولة واشتراط ضمير يعود من الجزآء على اسم الشرط غير الظرفي ممنوع فانه غير متفق عليه عند النحاة كما في الدر المصون مع انه مقدر كما سمعته وفي كلام المصنف اشارة اليه لكنه لما كان لايخلو من تكلف لم يختره والثالث مااختاره المصنف وهو انه عطف على مجموع الجملة الشرطية ليتم التقابل فانه صلى الله عليه وسلم امر ان يجيبهم فليوث بذكر القسمين اصالة كما في الاوّل وهذا اولى كما في الكشف ﴿قوله اراد ان يبين الخ﴾ ارادة الخير والتعويض من قوله والباقيات الصالحات الخ فهذا بدل من قصور حظوظه الدنيوية التي كانت لغيره للاستدراج وقطع المعاذير وقوله وقيل قد عملت وجد تحريضه وقوله كأنه قيل الخ فلا يلزم عطف الخبر على الانشاء ولاعدم الربط المعنوى واللفظى كما مرّ وانه وضع فيه الظاهر موضع الضمير ﴿قوله الطاعات التي تبقى عائدتها﴾ اى فائدتها فبقاؤها ببقاء ثوابها وقوله ويدخل اشارة الى ان المراد بها ماذكر وان ماوقع في بعض التفاسير المأثورة من تفسيرها بما ذكر على سبيل التمثيل لاالتخصيص والحصر ﴿قوله المذيخة﴾ اى الناقصة وقوله سيما بحذف لاانما اجازه الرضى وقال ابوحيان انه لم يسمع في كلام العرب وقوله كما اشار اليه الخ لان المردّ مارده اليه والمراد به العاقبة وهي بمعنى المآل وقيل انها بمعنى المنفعة من قولهم ليس لهذا الامر مردّ وهو قريب منه ﴿قوله والخير ههنا اما لمجرّد الزيادة الخ﴾ جواب عما قيل كيف فضلوا عليهم في خيرية الثواب والعاقبة والتفضيل يقتضى المشاركة فيه وهم لاثواب لهم وعاقبتهم لاخير فيها وهو ظاهر وقوله ههنا اى في هذه الآية اى في المحلين كما صرّح به بعض ارباب الحواشى لا في قوله خير مردّا فقط لانه لما فسر الثواب بالعائدة الشاملة للفائدة الدنيوية لابالثواب المتعارف لم يحتج الى تأويل الخيرية فيه كما قيل وسترى تفصيله فاجاب اوّلا بان المقصود مجرّد الزيادة بقطع النظر عن مفضل عليه مخصوص يشاركه في ذلك وتحقيقه كما ذكره بعض علماء العربية ان لافعل اربع حالات احداها وهي الاصل ان يدل على ثلاثة امور اتصاف من هوله بالحدث الذى اشتق منه وبهذا كان وصفا ومشاركة مصحوبه في تلك الصفة ومزيد موصوفه على مصحوبه فيها وبالاخيرين فارق غيره من الصفات والثانية ان يخلع عنه ماامتاز به عن الصفات ويتجرّد للمعنى الوصفي والثالثة ان تبقى عليه معانيه الثلاثة ولكن يخلع عنه المعنى الثاني ويخلفه قيد آخر فان الاشتراك مقيد بتلك الصفة التي هي المعنى الاوّل فيصير مقيدا بالثالث وهو الزيادة لكن لافي المعنى المشتق منه كقولهم العسل احلى من الخل فان العسل زيادة في حلاوته وهي اكثر من زيادة الخل في حموضته قال ابن هشام في شرح التسهيل وهو بديع جدّا والرابعة ان يخلع عنه المعنى الثاني وهو المشاركة وقيد المعنى الثالث وهو كون الزيادة على مصاحبه فيكون تدلالة على الاتصاف بالحدث وعلى الزيادة مطلقا لامقيدة وذلك نحو يوسف احسن اخوته انتهى وهذا الاخير هو الذى اراده المصنف رحمه الله بجوابه الاوّل فالمعنى ان ثوابهم ومردّهم متصف بالزيادة في الخيرية على من اتصف بها بقطع النظر عن هؤلاء المفتخرين بدنياهم فلا يلزم مشاركتهم في الخيرية حتى يرد السؤال وثانيا بانه على طريقة قولهم الصيف احرّ من الشتاء يعني ليس المراد تفضيل نفس الباقيات على ماانتفع به الكفرة من حيث المنفعة بل في الكلام حذف واضمار والمعنى ان كل واحد من ثواب المؤمنين وعقاب الكفرة وان كان بالغا الى ماهو غاية الكمال في بابه لكن بلوغ الثواب نهايته ازيد واكثر من بلوغ العقاب نهايته كيف لاوفي الجنة من الضعف والافضال مالايقادر قدره والنار من عدله تعالى لايزيد عقاب العاصى على مقدار معصيته والمقصود من بيان حال ثواب المؤمنين ليس تهديد اضدادهم بل هو في نفسه مقصود بالبيان فلا يرد ان يقال هذا الجواب غير مناسب لمقام التهديد مع انه في حيز المنع ايضا ﴿قوله كان لخباب عليه مال فتقاضاه﴾ اى خباب بن الارت قال كنت في الجاهلية اى في حال الجاهلية فعملت للعاص بن وائل فاجتمع لي عنده مال فاتيته اتقاضاه فقال لي الخ ﴿قوله ولما كانت الرؤية﴾ يعني ان الرؤية مجاز عن الاخبار في الاعلام بجامع التنبيه

اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عزّ وجل اراد به ماهو خير وعوّضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر كأنه قيل من كان في الضلالة يزيد الله في ضلاله ويزيد المقابل له هداية (والباقيات الصالحات) الطاعات التي تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ماقيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولااله الا الله والله اكبر (خير عند ربك ثوابا) عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها سيما ومآ لها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدآئم كما اشار اليه بقوله (وخير مردّا) والخير ههنا اما لمجرّد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احرّ من الشتاء اى ابلغ في حرّه منه في برده (افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) نزلت في العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لاحتى تكفر بمحمد فقال لاوالله لااكفر بمحمد حيا ولاميتا ولاحين بعثت قال فاذا بعثت جئني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل أرأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائى ولدا وهو جمع ولد كأسد في أسد او لغة فيه كالعرب والعرب

(أطلع الغيب) أقد بلغ من عظمة شأنه الى ان ارتقى الى عالم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى فى الآخرة مالا وولدا وتألى عليه (ام اتخذ عند الرحمن عهدا) او اتخذ من علام الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا بأحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه (كلا) ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه (سنكتب مايقول) سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله * اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * اى تبين انى لم تلدنى لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتأخر عن القول لقوله تعالى مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (ونمد له من العذاب مدا) ونطول له من العذاب مايستأهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه واستهزائه على الله ولذلك أكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه (ونرثه) بموته (مايقول) يعنى المال والولد (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده (كلا) ردع وانكار لتعززهم بها (سيكفرون بعبادتهم) ستجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ماعبدتمونا لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين (ويكونون عليهم ضدا) يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز اى ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة فى عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اى يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها

والاستفهام مجاز عن الامر جامع الطلب فكان ارأيت بمعنى اخبر بعد ذلك اى عقيب ذلك من قال أئذا مامت لسوف اخرج حيا انه تعالى حكى اولا قول منكرى الحشر على وجه الانكار عليهم ثم اقام الدليل على صحته ثم قال افرأيت وعطف قصة هذا الكافر على الحكاية السابقة بقوله او لا يذكر الانسان لم هدد المنكرين وساق الكلام الى ههنا فحكى ههنا كلام من قال على سبيل الاستهزاء والطعن فى القول بالبعث لأوتين مالا وولدا ﴿ قوله تعالى اطلع ﴾ بهمزة واحدة مفتوحة لانها هى همزة الاستفهام وهمزة الافتعال محذوفة للوصل ومثله أفترى على الله كذبا ﴿ قوله وتألى عليه ﴾ اى حلف عليه الجوهرى آلى يؤلى ايلاء حلف وتألى وائتلى مثله فان قوله لاوتين جواب قسم محذوف والجملة القسمية فى محل النصب على انها مقول القول ﴿ قوله الا باحد هذين الطريقين ﴾ وهو ان يبلغ المرء من شأنه الى ان يرتقى الى عالم الغيب الذى توحد به الواحد القهار او يتقرب اليه ويأخذ منه عهده بان يؤتيه فى الآخرة مالا وولدا ﴿ قوله فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد ﴾ فمن اتخذ العهد عند الرحمن خالصا لوجهه قبل عهده الرحمن ووعده التوبة والاكرام واعده عنده وسمى العمل الذى عهد الله عامله بالثواب عهدا لكونه سببا لنيل عهد الله ﴿ قوله سنظهر له ﴾ يعنى ان سين التسويف وان دخلت فعل الكتبة التى لا تتأخر عما يصدر من المكلف من القول والعمل كما قال تعالى مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد الا ان المراد بتسويف الكتبة تعريف تبينها وظهورها على طريقة قوله * اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * ولم تجدى من ان تقرى بها بدّاء فان قوله لم تلدنى جواب واذا ظرف لما يستقبل من الزمان وليس المراد عدم الولادة فى المستقبل لان الولادة قد وقعت قبل الانتساب بل المراد ان يتبين ويظهر فى المستقبل انه لم تلده فى الماضى لئيمة وقوله لم تجدى بدّا اى فراقا وخلاصا يقال لابد من كذا اى لافراق منه يقول اذا انتسبنا وعين كل واحد منا من اتصلت نسبته اليه علمت يافلانة انى لست بابن لئيمة وظهر لك ماتضطرى الى الاقرار بذلك اقتصر الشاعر على ذكر الام لان الام اذا كانت من الكرام فالاب اولى ويجوز ان يريد به التعريض بكون ام المخاطبة لئيمة ﴿ قوله او سننتقم منه ﴾ على ان يراد بالكتبة المسوقة التى هى عبارة عن اثبات العمل فى الصحيفة مايؤدى ذلك اليه من المجازاة والانتقام على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب ﴿ قوله ونطول له من العذاب ﴾ على ان يكون المد بمعنى تطويل مدة العذاب والخلود فيه كما يقال مدّ الله فى عمره ومدّه فى عيشه اى امهله وطوّل له فيكون من المدّ لا من المدد واشار بقوله مايستأهله الى ان قوله من العذاب صفة موصوف محذوف اى نطوّل له شيأ من العذاب اى نوعا من العذاب يستحقه هذا الكافر الذى قال لأوتين مالا وولدا ﴿ قوله او نزيد عذابه ﴾ على ان يكون قوله نمد من المدد وتضعيف العذاب كما قال تعالى زدناهم عذابا فوق العذاب فان مدّه وامده يستعملان بمعنى واحد اى زاده وألحق به مايقويه ويقال مددنا الجيش اذا ألحق به المدد ﴿ قوله تعالى ونرثه مايقول ﴾ يجوز ان يكون الضمير فيه فى محل النصب بنزع الخافض فيكون مايقول مفعولا به والتقدير ونرث منه مايقول اى مسمى مايقوله ومدلوله لا نفس قوله ويجوز ان يكون ضمير نرثه مفعولا صريحا ومايقول بدلا منه بدل اشتمال فالمعنى نرث ماعنده من المال والولد باهلاكنا اياه ويأتينا فردا فنسلب منه ماكان له فى الدنيا من علاقة الابوة والمالية وهذا القول انما يقوله مادام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقول ويأتينا فردا غير قائل به ثم انه تعالى لما بالغ فى تحقيق الحشر والنشر والرد على من انكرهما شرع بعده فى الرد على عباد الاصنام فقال واتخذوا من دون الله آلهة والمراد بالفردية الانقطاع عنهما فى العاقبة بالكلية ولاشك ان مثل هذه الفردية لاتحصل الا للكافر والا فالمؤمن والكافر سواء عند البعث فى كونهما منفردين عن المال والولد لقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة ثم يتفاوتون بعد ذلك فالمؤمن يلاقى احبابه واولاده وما اشتهاه والكافر يحال بينه وبين مايشتهيه وينفرد عنه ابدا ﴿ قوله ستجحد الآلهة الى قوله او سينكر الكفرة ﴾ يعنى ان ضمير يكفرون يجوز ان يرجع الى الآلهة لانه اقرب مذكور قيل انه تعالى يحيى الاصنام يوم القيامة حتى يوبخوا عبادهم ويتبرأوا منهم فيكون ذلك اعظم لحسرتهم ويجوز ان يرجع الى المشركين وقوله بعبادتهم مصدر مضاف الى فاعله ان عاد الضمير المجرور فيه الى المشركين العابدين والى المفعول ان عاد الى الآلهة وضمير يكونون يتعين ان يكون للآلهة على تقدير ان يفسر الضد بضد العز وكذا على تقدير ان يفسر بالعون لان مايكون ذلا على المتخذين المشركين ومايكون عونا فى عذابهم هم الآلهة والعاون قد يسمى ضدا لانه يضاد العدو وينافيه باعانته عليه واما ان فسر الضد بالكفر وترك العبادة فضمير يكونون حينئذ يكون للمشركين

ويكون عليهم بمعنى اعدآئهم وضدًّا خبر بعد خبر والمعنى ويكون المشركون اعدآء الآلهة ويكفرون بهم بعد ان كانوا يعبدونها فقول المصنف او جعل الواو للكفرة قسيم لجملة قوله يؤيد الاول اذا فسر الضد الخ ﴿قوله وتوحيده﴾ جواب عما يقال كيف افرد قوله ضدًّا مع انه خبر عن جمع * وتقرير الجواب انهم وان كانوا اضدادا فى نفس الامر الا انهم كشئ واحد من حيث اشتراك الجميع فى المعنى الذى به مضادتهم فلذلك جعلوا ضدًّا واحدا ونظيره انه عليه الصلاة والسلام جعل المؤمنين مع كثرتهم يدا واحدة لاتفاق كلمتهم وفرط تضامهم وموافقتهم بجعلهم كشئ واحد لذلك واول الحديث * المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم * قوله عليه الصلاة والسلام تتكافأ دماؤهم اى يتساوون فى القصاص والديات والكفؤ النظير والمساوى وقوله وهم يد على من سواهم اى هم مجتمعون على اعدآئهم لايسعهم التخاذل بل يعاون بعضهم بعضا على جميع الاديان كأنه جعل ايديهم يدا واحدة وفعلهم فعلا واحدا ونظيره اجعل الفساق يدا يدا اى فرق بينهم فان افردت اليد فى مقام الجمع دل على الاتفاق والاجتماع وان جمعت اريد الشتات والافتراق ﴿قوله وقرئ كلا﴾ بفتح الكاف والتنوين على انها كلا التى للردع والتنوين الذى فيها للترنم وهذا التنوين يلحق آخر الابيات والانصاف المصرعة ويلحق الفعل والاسم المعرف باللام قال

* اقلى اللوم عاذل والعتابن * وقولى ان اصبت لقد اصابن *

الاصل لقد اصابا والعتابا باشباع فتحة الباء للوزن ثم قلب الاشباع نونا وهذا التنوين فى الحقيقة لترك الترنم لانه انما يؤتى به اشعارا بترك الترنم وذلك لان الالف والواو والياء فى القوافى اصلح للترنم لمافيها من المد فيبدل منها التنوين اذا قصد الاشعار بترك الترنم لخلو التنوين من المد فيجوز ان يكون تنوين كلا من التنوين الذى لترك الترنم وان يكون تنوين التنكير ومثل هذا التنوين يسمى التنوين النائب مناب حرف الاطلاق على ان يكون كلا مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف كأنه تعالى لما قال واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا قال تعالى ردا عليهم كل هذا الرأى كلا وتكون هذه الجملة مستأنفة ويكون قوله سيكفرون استئنافا آخر ﴿قوله وكلا﴾ اى وقرئ كلا بضم الكاف والتنوين على انه من باب مااضمر عامله على شريطة التفسير منصوب بفعل يدل عليه سيكفرون مناسب لهذا المفعول لان المراد من سيكفرون انكار الآلهة وكل ماتسبب المشركون اليها من الشفاعة والنصرة والابعاد من النار الدال عليه ليكونوا لهم عزا فلذلك قدر الناصب سيجحدون لكونه مناسبا له ثم انه تعالى لما ذكر حال المشركين مع الاصنام فى الآخرة ذكر بعده حالهم مع الشياطين فى الدنيا وانهم يتولونهم وينقادون فقال الم تر انا ارسلنا الشياطين الآية قيل فى تفسير ارسلناهم سلطناهم اى قيضناهم لهم كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وهما فى المعنى واحد لانه تعالى اذا ارسلهم عليهم وسلطهم فقد اتصلوا بهم واذا اتصلوا بهم قيضوا وقرن بعضهم ببعض * قال الامام احتج الاصحاب بهذه الآية على انه تعالى مريد لجميع الكائنات فقالوا قول القائل ارسلت فلانا على فلان موضوع لافادة انه سلطه عليه لارادة ان يستولى عليه قال عليه افضل الصلاة والسلام قل باسم الله وارسل كلابك عليه فقوله تعالى انا ارسلنا الشياطين على الكافرين يفيد ان الله تعالى سلطهم عليهم لارادة ان يستولوا عليهم وذلك يفيد المقصود ويتأكد هذا بقوله تعالى تؤزهم أزا فان معناه لتؤزهم ازا ويتأكد هذا بقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم ثم قال لايجوز ان يكون المراد بالارسال التخلية لانه تعالى كما خلى بين الشياطين والكفرة فقد خلى بين الصالحين من عباده وبينهم ثم انه تعالى خص الكافر بانه ارسل الشياطين عليه فلابد لتخصيص الكافر بالذكر من فائدة زائدة ههنا ولابد ان يكون من الله تعالى معنى فى الكفار ليس ذلك المعنى فى المؤمنين ومعنى فى المؤمنين ليس ذلك المعنى فى الكفار وهو انه تعالى اذا علم من المؤمنين الرغبة فى الاجابة وفهم لذلك وهداهم واذا علم من الكفار اباءهم لما ذكر سلطهم عليهم والأز والهز والاستفزاز اخوات معناها التهييج وشدة الازعاج ﴿قوله فانه لم يبق لهم﴾ اى لم يبق بينك وبين ماتطلبه من هلاكهم الايام محصورة وانفاس معدودة والعد كناية عن سرعة تقضى آجالهم وقلة ايامهم عدا لان الكثير بما يستقر عده لكثرته ﴿قوله تعالى يوم نحشر﴾ منصوب باضمار اذكر او بقوله ويكونون عليهم ضدًّا او بما بعده من قوله لايملكون الشفاعة قال ابن عباس هم الذين اتقوا بطاعته واجتناب معاصيه وقوله تعالى الى الرحمن اى الى جنته ودار كرامته ويدل عليه ماذكر بعده وهو قوله ونسوق المجرمين الى جهنم لانه مقابله ﴿قوله ولعله لان مساق الكلام فى هذه السورة لتعداد نعمه

وتوحيده لوحدة المعنى الذى به مضادتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله * أقلى اللوم عاذل والعتابن * او على معنى كل هذا الرأى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره مابعده اى سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم (الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين) بان سلطناهم عليهم او قيضنالهم قرناء (تؤزهم أزا) تهزهم وتغريهم على المعاصى بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم فى الغى وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على مانطقت به الآيات المتقدمة (فلاتعجل عليهم) بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم (انما نعد لهم) ايام آجالهم (عدا) والمعنى لاتعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الاايام محصورة وانفاس معدودة (يوم نحشر المتقين) نجمعهم (الى الرحمن) الى ربهم الذى غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة شأن ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها

(وفدا) وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكراماتهم وانعامهم (ونسوق المجرمين) كما يساق البهائم (الى جهنم وردا) عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التى ترد الماء (لا يملكون الشفاعة) الضمير فيه للعباد المدلول عليه بذكر القسمين وهو الناصب ليوم (الا من اتخذ عند الرحمن عهدا) الا من تحلى بما يستعد به ويستأهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اخذ من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اى الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم (لقد جئتم شيأ ادا) على الالتفات للمبالغة فى الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادنى الامر وآدنى اثقلنى وعظم على (تكاد السموات) قرأ نافع والكسائى بالياء (يتفطرن منه) يتشققن مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف (وتنشق الارض وتخر الجبال هدا) تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اى تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتت من شدتها او لان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها

الجسام ﴾ فدل بذكر اسم الرحمن على انه انما اتوها تفضلا ورحمة لعباده وذكره عند شرح احوال الكافرين بها توبيخا لهم بتمكيسهم لما ينبغى فان حق من تفرد بانعام اصول النعم وفروعها ان يختص بغاية التعظيم والاكرام ولا يشكر غيره وهم به كفروا وضيعوا حقوقه وعبدوا غيره ﴿ قوله كما يفد الوفاد على الملوك ﴾ اى ركبانا على هيئة حسنة ومحاسن مجموعة من على رضى الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال لا والله ما على ارجلهم يحشرون ولكن يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحال من ذهب وازمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربون ابواب الجنة ﴿ قوله عطاشا الخ ﴾ الورد جمع وارد وهو الذى يسير الى الماء ولما كان العطش لازما للورود صح ارادة عطاشا اى ظلاء ابالله من لفظ وردا على انه مجاز مرسل بطريق لفظ الملزوم وارادة اللازم ﴿ قوله الضمير فيه للعباد ﴾ اى لاهل الحشر كلهم واختلف فى ان المراد بالشفاعة شفاعتهم لغيرهم او شفاعة الغير لهم والمصنف قدم الاحتمال الاول وقرره على وجهين الاول مبنى على ان يراد بالعهد الايمان وما يترتب عليه من الاعمال التى وعد الله تعالى لصاحبها سعادة الآخرة وكراماتها والمعنى لا يملك احد من اهل الحشر ان ينفع احدا بشفاعته الا ان يكون الشافع ممن قدم اعمالا صالحة خالصة لوجه الله تعالى مسماة بالعهد لكون صاحبها موعودا من قبله تعالى بالكرامات الاخروية التى من جملتها ان يستأهل صاحبها بسببها لان يشفع فى العصاة فقوله على ما وعد الله متعلق بقوله يستعد به ويستأهل والوجه الثانى مبنى على ان يكون العهد بمعنى الامر والاذن والعهد بهذا المعنى يتعدى بالباء وهى محذوفة فى الآية كما فى قوله امرتك الخير ﴿ قوله ومحله الرفع ﴾ اى ومحل قوله تعالى من اتخذ الرفع على انه بدل من ضمير لا يملكون او النصب على احد الوجهين اى على انه بدل من الشفاعة بتقدير المضاف او على انه مستثنى من ضمير لا يملكون او من الشفاعة على تقدير المضاف فان قوله تعالى لا يملكون الشفاعة كلام تام غير موجب وقد تقرر ان المستثنى من مثل هذا الكلام يجوز فيه النصب والبدل كقولك ما جاءنى احد الا زيد والا زيدا ﴿ قوله وقيل الضمير للمجرمين ﴾ عطف على قوله الضمير فيه للعباد فعلى هذا يكون المراد بالشفاعة شفاعة غيرهم لهم لا شفاعتهم لغيرهم لان المجرم لا يستأهل ان يشفع فى مجرم مثله وقوله بالاسلام عطف بيان لقوله به موضح له اشارة الى ان المجرم يستعد ان يشفع له بمجرد ايمانه وان كان من اصحاب الكبائر لا ما قيل المجرمون لا يستحقون ان يشفع لهم غيرهم الا اذا كانوا قد اتخذوا عند الله عهدا فيدخل فيه صاحب الكبيرة لانه باقراره واعتقاده بالتوحيد والرسالة يصدق عليه انه قد اتخذ عند الرحمن عهدا فيستحق ان يشفع له كما يستحق اصحاب الصغائر لذلك فان كل واحد منهما مجرم موكول امره الى مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه تفضلا او بشفاعة الشافعين فان الشفاعة انما تكون فيمن استحق التعذيب فعلى هذا التأويل تكون الآية دليلا على بطلان قول المعتزلة من ان صاحب الكبيرة لا يغفر له وصاحب الصغيرة مغفور له ومن كان مغفور الذنب لا معنى للشفاعة فيه فلم يبق للشفاعة متعلق على مذهبهم ومما يدل على ان المجرم يستحق الشفاعة بمجرد الايمان والاقرار بالشهادتين ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انى اعهد اليك فى هذه الحياة الدنيا انى اشهد انك انت الله لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكلنى الى نفسى طرفة عين فانك ان تكلنى الى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وانى لا اثق الا برحمتك فاجعل لى عندك عهدا تؤديه الى يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد طبع الله عليه طبعا ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة هذه رواية الامام الواحدى فى البسيط والطبع الختم وهو التأثير فى الطين ونحوه يقال طبع الكتاب وعلى الكتاب طبعا اذا ختمه والطابع بفتح الخاتم يريد به انه يختم عليه ويوضع كما يفعله الانسان بما يعز عليه وقال الامام الرازى ظهر بهذا الحديث ان المراد من العهد كلمة الشهادة وظهر وجه دلالة الآية على ثبوت الشفاعة لاهل الكبائر ﴿ قوله الضمير يحتمل الوجهين ﴾ يعنى قالوا يحتمل ان يكون للعباد كلهم وان يكون للمجرمين كما يحتملهما ضمير لا يملكون ثم لما رد الله تعالى على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من اثبت له ولدا كما قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله والكل داخلون فى هذه الآية ﴿ قوله مرة ﴾ اشارة الى ان بناء التفعل للتكثير نحو تبضع الرجل اى خرج بضعه قليلا قليلا والبضع العرق ووجه التكثير فيه انه مطاوع فعل وهو يكون للتكثير نحو غلقت الابواب وموتت البهائم فيكثر ما يطاوعه ضرورة فلذلك كان يتفطرن ابلغ من ينفطرن لان الانفطار مطاوع فطر الثلاثى ولا دلالة فيه على الكثرة والمبالغة ولان بناء التفعل

(ان دعوا للرحمن ولدا) يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدّا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجرّ باضمار اللام او بالابدال من الهاء في منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدّا اى هدّها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين وانما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط بكل مادعى له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذى هو مطاوعه ادّعى الى فلان اذا انتسب اليه (وماينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا) ولا يليق به اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ماعداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى اصولها وفروعها فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به في قوله (ان كل من في السموات والارض) اى مامنهم (الا آتى الرحمن عبدا) الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل (لقد احصاهم) حصرهم واحاط بهم بحيث لايخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته (وعدّهم عدّا) اى عدّ اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شئ عنده بمقدار (وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) منفردا من الاتباع والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّا) سيحدث لهم في القلوب مودّة من غير تعرّض منهم لاسبابها وعن النبى عليه الصلاة والسلام اذا احب الله عبدا يقول لجبرآئيل احببت فلانا فأحبه فيحبه جبرآئيل فينادى في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فأحبوه فيحبه اهل السماء ثم توضع له المحبة في الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود في القيامة حين يعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع مافي صدورهم من الغل (فانما يسرناه بلسانك) بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرنا معنى انزلنا اى انزلناه بلغتك (لتبشر به المتقين) الصائرين الى التقوى (وتنذر به قوما لدّا) اشدّاء الخصومة آخذين في كل لديد اى شق من المرآء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) تخويف للكفرة وتجسير للرسول صلى الله عليه وسلم على انذارهم (هل تحس منهم من احد) هل تشعر باحد منهم وتراه (او تسمع لهم ركزا) وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفى واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدّق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع

﴿ سورة طه مكية وهى مائة واربع وثلاثون آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (طه) فخمهما ابن كثير وابن عامر وحفص وقالون عن نافع ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش عن نافع لاستعلائه وامالهما الباقون وهما من اسماء الحروف

لما كان التكلف دل قوله يتفطرن على ان السموات شققت وتكلفت في حصول التشقق فيهن من شؤم مقالة هؤلاء الكفرة وليس في بناء الانفعال دلالة على هذا المعنى ولاشك ان ماحصل بالجد والاهتمام يكون ابلغ * فان قيل كيف يؤثر القول باثبات الولد لله تعالى في انفطار السموات وسقوطها عليهم وانشقاق الارض وخسفها بهم وخرور الجبال وانطباقها عليهم * اجيب بان الله تعالى يقول كدت افعل بالسموات والارض والجبال هذه الافاعيل عند صدور هذه الكلمة منهم غضبا منى على من تفوّه بها لولا حلمى وانى لا اعجل بالعقوبة ويجوز ان يكون المعنى ان السموات والارض والجبال تكاد تفعل كذلك لو كانت تعقل من فظاعة هذا القول وهدمه لاركان الدين وقواعده وقوله تعالى يتفطرن في محل النصب على انه خبر تكاد وقوله هدّا الظاهر انه مصدر على غير لفظ الفعل لتقاربهما معنى اذ الخرور والسقوط والهدّ الانهدام من قولك هدّ الحائط يهدّ هدّا وقوله اى تكسر تفسير لقوله تعالى تخر وبيان لوجه انتصاب هدّا لالبيان الاحتياج الى تقدير العامل اذ لاحاجة الى تقدير العامل او مصدر من المتعدى واقع موقع الحال اى مهدودة مهدومة يقال هدّ زيد الحائط يهدّه هدّا اى هدمه وضعضعه والثانى ان يكون مفعولا من اجله اى لانها تهدّ والهدّ ليس فعل الجبال اذ ليس بفاعل الا انه فعلها الذاتى للمفعول فصح ان يكون مفعولا له واليه اشار بقوله او لانها تهدّ اى تكسر ﴿ قوله يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدّا على حذف اللام ﴾ اى ويحتمل النصب بنزع الخافض الدال على العلية وليس مفعولا له صريحا لانتفاء شرط النصب وهو اتحاده مع الفعل المعلل وفاعل المفعول له والفرق بين حذف اللام واضمارها هو ان المضمر مقدر فيصير كالملفوظ فلذلك يظهر اثره بخلاف المحذوف فانه متروك بالكلية اى صورة وحكما ﴿ قوله وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى مفعولين ﴾ يقال دعوته زيدا بمعنى سميته زيدا او دعوته بمعنى ناديته وهذا المعنى غير مراد في هذا المقام وهو ظاهر فلابد ان يكون دعوا بمعنى سموا الا انه حذف المفعول الاول ليعم كل من سماه المشركون ولدا للرحمن من عزير وعيسى وغيرهما او بمعنى نسبوا قال الشاعر

دعتنى اخاها بعدما كان بيننا * من الفعل مالايفعل الاخوان *

وقد قرئ فيهما بالياء ﴿ قوله ولا ينطلب له ﴾ اى لايحصل له ولو طلبه فرضا على طريق فرض المحال بمعنى ان ينبغى الشئ مطاوع لقولك بغيت الشئ اى طلبته يقال بغيت الشئ فانبغى كما يقال طلبت الشئ فانطلب ﴿ قوله تعالى ان كل من في السموات والارض ﴾ كلمة من فيه نكرة موصوفة وصفتها الجار بعدها ويجوز ان تكون موصولة واضافة كل اليها لاينافى كونها موصولة لان تعريف الموصولات كما يجوز ان يشار به الى المعهود المتخصص يجوز ايضا ان يراد به العموم والاستغراق فيصح ان يضاف الى الاسم الموصول كما في قوله * وكل الذى حملتنى احمل * والفاء في قوله تعالى فانما يسرناه فصيحة تفصح عن مقدر عطف بها مابعدها عليه والتقدير بلغ هذا المنزل فانما يسرناه على لسانك بانزاله على لغة العرب او فانما انزلناه بلغتك على ان اللسان بمعنى اللغة لتبشر بيشارته المتقين وتنذر اى وتخوّف بانذاره قوما لدّا وهو جمع ألدّ وهو الخصم المجادل بالباطل الآخذ في كل لديد اى جانب من الخصومة واللديد الوادى جانباه ويجوز ان تكون الضمائر في قوله تعالى يسرناه لتبشر به وتنذر به لهذه السورة الكريمة المشتملة على ذكر التوحيد والنبوّة والحشر والردّ على فرق المبطلين بتأويل المنزل وان تكون للقرآن كله وضمير قبلهم لهؤلاء القوم اللدّ وهم اهل مكة هل تحس اى هل تعاين وتشاهد من هؤلاء الهالكين من احد ومنهم حال من احد اذ هو في الاصل صفة له فلما قدم عليه انقلب حالا ومن احد مفعول زيدت فيه من وقرئ تسمع بضم التاء وفتح الميم مبنيا للمفعول والركز الصوت الخفى من حيوان ينطق بفم ويتركب من حروف مثل صوت مار كز في الارض تم هنا ما يتعلق بسورة مريم عليها السلام وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دآئما الى يوم الدين امين

﴿ سورة طه عليه الصلاة والسلام ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله لاستعلائه ﴾ فبابه التفخيم والهاء من المنخفضة فبابها الامالة والاستعلاء ارتفاع اللسان الى الحنك انطبقت او لم تطبق والانخفاض بخلافه والمستعلية سبعة احرف اربعة منها مطبقة الصاد والضاد والطاء والظاء وثلاثة منها غير مطبقة وهى الغين والخاء والقاف ونسبة الاستعلاء الى الحرف مجاز فان الاستعلاء بالحقيقة انما يكون للسان لا للحرف والاطباق ان تطبق على مخرج الحرف من اللسان ماحاذاه من الحنك والانفتاح بخلافه

وقيل معناه يارجل على لغة عك فان صح فلعل اصله ياهذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله
ان السفاهة طاها فى خلائقكم ٭
لاقدس الله اخلاق الملاعين ٭ ضعيف
لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون
وقرئ طه على انه امر للرسول صلى الله
عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان
يقوم فى تهجده على احدى رجليه وان اصله
طأ فقلبت همزته هاء او قلبت من يطأ ألفا
كقوله ٭ لاهناك المرتع ٭ ثم بنى عليه الامر
وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل
ان يكون اصل طه طأها والالف مبدلة
من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد
ذلك كتبهما على صورة الحرف وكذا
التفسير بيا رجل او اكتفى بشطرى الكلمتين
وعبر عنهما باسمهما (ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى) خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه
مأوّل بالسورة او القرآن والقرآن فيه
واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به
ومنادى له ان جعلته ندآء واستئناف ان كانت
جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ او طائفة
من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك
القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر
قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة
وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء
شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض
المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه
للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد
وتكذيب للكفرة فانهم لما رأوا كثرة عبادته
قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن
انزل عليك لتشقى به (الا تذكرة) لكن
تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع
ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى
لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان
الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو
مصدر فى موقع الحال من الكاف او القرآن
او المفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف
هو صفة القرآن اى ما انزلنا عليك القرآن
المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة (لمن يخشى)
لمن فى قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم
الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به

﴿قوله على لغة عك﴾ وهى قبيلة باليمن والجوهرى عك بن عدنان اخو معد وهو اليوم فى اليمن ولم يرض المصنف بهذا القول حيث حكاه بقوله وقيل ثم قال فان صح الخ اى احتاج فى توجيهه الى التكلف البعيد فان ابدال حرف الندآء بلفظ طا والاقتصار على ها التنبيه من هذا بعيد غير معهود فى لسان العرب وان سلم انه معهود فى لغة عك فلا يخلو من البعد فان خطابه تعالى نبيه القرشى بلغة غير قريش بعيد ومعنى البيت ان السفاهة يا هؤلاء فى خلائقكم وهو جمع خليقة بمعنى الطبيعة لاقدس الله اى لا طهر الله طبائعكم فانكم ملاعين فوضع الظاهر موضع الضمير للتعليل ﴿قوله وقرئ طه﴾ اى على وزن هب باسقاط الالف بعد الطاء وبالهاء الساكنة على انه امر له عليه الصلاة والسلام بان يطأ الارض بقدميه معا ولا يقوم قياما يتعب فيه كل التعب لما روى انه عليه الصلاة والسلام لما انزل عليه الوحى اجتهد فى العبادة حتى كان يراوح بين قدميه فى تهجده لطول قيامه فى الصلاة وكان يصلى الليل كله فكان يقوم على احدى رجليه تخفيفا على الاخرى اذا طال القيام ثم قيل انه مأخوذ من يطأ وكان اصله طأ كالخذع من يدع فقلبت همزته هاء كما قالوا هياك فى اياك وهرقت فى ارقت فالهاء فى طه ليست هاء السكت على هذا بل مبدلة من لام الفعل وقيل قلبت الهمزة فى يطأ ألفا كما قلبت فى لاهناك المرتع اصله لاهنأك ولما كان قلب الهمزة المتحركة ألفا نادرا اورد له مثالا فاذا بنى منه الامر يكون طا كما يكون الامر من يرى ر ثم ألحق به هاء السكت فصار طه كما يقال ره ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على الوجه الثانى وهو ان يكون طه بسكون الهاء مأخوذا من يطأ بعد قلب همزته ألفا يحتمل ان يكون اصله بألفين طاها فلما جاز قلب الهمزة المتحركة ألفا فى يطأ كان قلب الساكنة اولى فقلبت فصار طه الآن تشويش الكتابة لما كانت دلائل الالفاظ وجب ان تكون هيئة الخط مشتملة على ما يدل على كل واحد من الحروف الملفوظة وجب ان يكون الرسم حينئذ طاها بألفين مرسومتين سوآء قيل ان اصله طأها او يا هذا وعلى تقدير كون طه من اسماء الحروف كتبت على صورة الحرفين اللذين هما مسمياطا ها لا على صورة اسميهما لمعنى يختص باسامى الحروف وهو ما ذكره صاحب الكشاف فى اول سورة البقرة وهو قوله الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء ويقع فى الكتابة الحروف انفسها حملت على تلك الشاكلة المألوفة فى كتابة هذه الفواتح انتهى كلامه ومن المعلوم ان التلفظ بالاسماء ورسم اسم المسميات امر مخصوص بحروف التهجى لا يجرى فى الكلمات المفيدة ﴿قوله او اكتفى﴾ عطف على قوله على انه امر اى او على انه ليس بامر بل هما من اسماء حروف التهجى كما فى القرآءة المشهورة واصله طاها فاكتفى من الاسم الاول وهو طا بجزئه الاول ومن الاسم الثانى وهو ها بجزئه الاول ايضا فصار طه ثم سكن الهاء لاجل الوقف فصار طه ﴿قوله ومنه اشقى من رائض المهر﴾ اى اتعب ممن يحمل المهر وهو ولد الفرس صالحا للركوب بان يزول عنه الصعوبة ويقاد لصاحبه وفى ذلك العمل مشقة وتعب للرائض ولذلك يضرب به المثل ﴿قوله ولعله عدل اليه﴾ جواب عما يقال الشقاء وان شاع فى معنى التعب الا انه فى الاصل مقابل للسعادة فلو ذكر التعب هنا لتوهم خلاف المراد وهو سعادة الدارين فاختياره هنا دون ذلك لدفع هذا التوهم والظاهر فتأمل اى فلو ذكره هنا لتوهم خلاف المراد بالنكتة فى اختياره ﴿قوله ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين﴾ اى جنسى التذكرة والشقاوة فانهما مختلفان غاية الاختلاف فان احداهما ليست هى عين الاخرى ولا بعضها ولا مشتملة عليها فلا يتصور جعل التذكرة بدل كل ولا بعض ولا اشتمال من الشقاوة ضرورة ان ما يقوم مقام الشئ يجب ان يكون بينهما مجانسة بوجه ما فى مناسبة ما ولو كانت بدلا منها لكانت بدل الغلط وهو لا يصدر عن قصد وروية فلا يوجد فى كلام بليغ فضلا عن ان يوجد فى كلامه تعالى ﴿قوله فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين﴾ فان انزلنا تعدى الى مفعول له وهو لتشقى فلا يتعدى الى آخر من جنسه الا بالبدلية او العطف وفيه بحث وهو ان ما ذكره انما يدل على عدم جواز كونه مفعولا له لنفس انزلنا مع قطع النظر عن كونه معللا بالعلة الاولى ولا يلزم منه ان لا يكون مفعولا له لانزلنا مطلقا لجواز ان يكون الانزال المعلل بالشقاء معللا بالتذكرة بطريق الحصر بالنفى والاستثناء بان لا يكون مجئ اداة النفى لنفى علية التعب للانزال بل انما جئ بها لتفيد ان علة الانزال المعلل بتعب الخاطب ليست الا الموعظة وتذكير الاحكام على طريق قولك ما ضربت غلامى الا لتأديب الاعتذرة الى ربى فلا حاجة الى ان يجعل لتشقى متعلقا بمحذوف كما قيل وليس فيه ايضا تعدية الفعل الواحد الى علتين ذكر لانتصاب تنزيلا اربعة اوجه الاول ان يكون منصوبا باضمار فعله اى نزل تنزيلا والثانى ان يكون مفعولا به لقوله

يخشى اى ازاله لتذكرة لمن يخشى تنزيل الله تعالى و الثالث انتصابه على المدح و الاختصاص و الرابع انتصابه على انه بدل من تذكرة على ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال فيكون تنزيلا مصدرا بمعنى المفعول اى ما انزلناه الا مذكرا منزلا فيكون منزلا بدل الكل من مذكرا لكونهما متحدين ذاتا ﴿ قوله او معنى ﴾ اى على تقدير كونه منصوبا على الاستثناء المنقطع فان جعل تذكرة مفعولا له على احد الوجهين و جعل تنزيلا بدلا منه يكون المعنى ما انزلنا القرآن الا تنزيلا وهو تعليل الشئ بنفسه ان جعل الانزال و التنزيل بمعنى واحد و بنوعه ان جعل التنزيل عبارة عن الانزال على التدريج فانه نوع من مطلق الانزال ﴿ قوله بعرض تعظيم المنزل ﴾ اى باظهار مايدل على تعظيمه * الجوهرى عرضت الشئ فاعرض اى اظهرته فظهر وهو من النوادر قال تعالى و عرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا قال الفراء اى ابرزناها حتى نظر اليها الكفار فعرض القرآن المنزل بذكر مايدل على عظمة منزله ترغيبا فى تدبره و العمل بمدلوله * فان قيل لم عطف الجمع على المفرد فى قوله تعالى ممن خلق الارض و السموات مع ان الاولى رعاية التطابق بين المعطوف و المعطوف عليه * اجيب بان الالف و اللام اذا دخل فى اسم غير علم مفردا كان او جمعا ينصرف التعريف الى الجنس اذا لم يمكن حمله على المعهود و ان امكن فلا و لا وجه لحمل تعريف السموات على الآحاد المعدودة فتعين صرفه الى الجنس فليس فى الكلام عطف الجمع على المفرد بل فيه عطف الجنس على الجنس و فيه رعاية التطابق ﴿ قوله ثم اشار الى وجه احداث الكائنات ﴾ بين وجه ارتباط قوله تعالى الرحمن على العرش استوى بقوله خلق الارض و السموات و جعل قوله الرحمن على العرش استئنافا لبيان طريق خلق ما ذكره و قوله بان قصد العرش متعلق بقوله احداث الكائنات و تدبير امرها على طريق التنازع و هو يشعر بانه حمل العرش على الذى تحمله الملائكة و يحفون حوله و حمل الاستوآء على العرش على القصد اليه الا انه عدى بعلى لتضمينه معنى الاستيلاء و الظهور كما قيل فى قوله تعالى ثم استوى الى السماء معناه ثم قصد و اشار الى وجه تخصيص العرش بالذكر مع ان الاستيلاء حاصل بالنسبة الى جميع الكائنات بقوله بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام و انزل منه الاسباب و القصد المسند الى الله تعالى ليس المراد به حقيقة القصد لانه اسم للارادة باعتبار الحدوث و ارادته تعالى منزهة عنه بل هو استعارة تبعية شبه خلق السماء بعد خلق ما ذكر قبله بمباشرة الخلق فعلا بعد فعل آخر فانهما تكون مسبوقة بالقصد الحادث فعبر عن تعلق الارادة الازلية بخلق السماء بالاستوآء بمعنى القصد فاشتق منه لفظ استوى و فى الصحاح المساواة بين الشيئين المعادلة بينهما تقول سويت الشئ فاستوى اى عدلته فاعتدل و استوى على ظهر دابته اى استعلى و استقر عليه و استوى الى السماء اى قصد و استوى على كذا ظهر قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق ⊙ من غير سيف و دم مهراق

انتهى و قد تمسك المشبهة بهذه الآية فى ان معبودهم جالس مستقر على العرش و هو باطل بالعقل و النقل و اختلف اهل الحق فى تأويل هذه الآية فقال بعضهم انا نقطع بان الله تعالى منزه عن المكان و الجهة و انه تعالى لم يرد من الاستوآء الجلوس و الاستقرار بل مراده به شئ آخر الا انا لا نشتغل بتعيين ذلك المراد خوفا من الخطأ و قال البعض الآخر لما قامت الادلة العقلية على امتناع الاستقرار و دل ظاهر لفظ الاستوآء على معنى الاستقرار لم يمكن العمل بمقتضى الدليلين ضرورة استحالة كون الشئ الواحد منزها عن المكان و حاصلا فيه معا و لا سبيل ايضا الى ترك العمل بهما لانه يستلزم ارتفاع النقيضين معا و هو باطل و لا الى ترجيح النقل على العقل لان العقل اصل للنقل فانه ما لم يثبت بالدلائل العقلية وجود الصانع و علمه و قدرته و بعثه الرسول لم يثبت النقل فالقدح فى العقل لاجل تصحيح النقل يقتضى القدح فى العقل و النقل معا فلم يبق الا ان يقطع بصحة العقل و يشتغل بتأويل النقل ثم انهم اختلفوا فى تأويله فقال بعض العلماء المراد من الاستوآء الاستيلاء و الاقتدار كما فى قول الشاعر قد استوى بشر على العراق * و المراد من العرش هو الذى تحمله الملائكة و قال صاحب الكشاف العرش سرير الملك و الاستيلاء عليه كناية عن الملك لانه من توابع الملك و روادفه فانه يقال استوى فلان على العرش قصدا للاخبار عنه بانه ملك و ان لم يقعد على العرش البتة و التعبير عن الشئ بطريق الكناية ابلغ و اوقع من الايضاح بذكره لانك مع الكناية كمدعى الشئ بالبينة ﴿ قوله ليدل بذلك على كمال قدرته ﴾ فان ما فى السموات من الملك و النجم و غيرهما و ما فى الارض من المعدن و النبات و الحيوان و الانسان و ما بينهما من العناصر و ما تحت الثرى

(تنزيلا) نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا و ان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشئ لا يعلل بنفسه و لا بنوعه (ممن خلق الارض و السموات العلى) مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله و صفاته على الترتيب الذى هو عند العقل فبدأ بخلق الارض و السموات التى هى اصول العالم و قدم الارض لانها اقرب الى الحس و اظهر عنده من السموات العلى و هو جمع العليا تأنيث الاعلى ثم اشار الى وجه احداث الكائنات و تدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام و التقادير و انزل منه الاسباب على ترتيب و مقادير حسبما اقتضته حكمته و تعلقت به مشيئته فقال (الرحمن على العرش استوى له ما فى السموات و ما فى الارض و ما بينهما و ما تحت الثرى) ليدل بذلك على كمال قدرته و ارادته و لما كانت القدرة تابعة للارادة و هى لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور و خفياتها على سوآء فقال

(وان تجهر بالقول فانه يعلم السرّ واخفى) اى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غنىّ عن جهرك فانه يعلم السرّ واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتقرير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرّع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المتجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرّد بها والمتوحد بمقتضاها فقال (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى) ومن فى ممن خلق الارض صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن فى الكلام وتفخيم المنزّل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشان ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به والانقياد له من حيث انه كلام من هذا شانه ويجوز ان يكون انزلناه حكاية كلام جبرائيل والملائكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجرّ صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذلك ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهى آخر طبقاتها والحسنى تانيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء فى الحسن لدلالتها على معان هى اشرف المعانى وافضلها (وهل أتاك حديث موسى) فى تمهيد نبوّته صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ليأتم به فى تحمل اعباء النبوّة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل مانزل (اذرأى نارا) ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا عليه الصلاة والسلام فى الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادى طوى وفيه الطور ولدله ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذرأى من جانب الطور نارا (فقال لاهله امكثوا) اقيموا مكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفى القصص بضم الهاء فى الوصل والباقون بكسرها فيه (انى آنست نارا) ابصرتها ابصارا لاشبهة فيه وقيل الايناس ابصار مايؤنس به (لعلى آتيكم منها بقبس) بشعلة من النار وقيل بجمرة (او اجد على النار هدى) هاديا يدلنى على الطريق او يهدينى ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها فى كل مايعنّ لهم

عما لايعلمه الا الله اذا كان لله خلقا وملكا تحت قدرته وامره لايمتنع شئ منه عن نفاذ قدرته وارادته فيه دل ذلك على كمال قدرته وارادته * فان قيل الثرى هو السطح الاخير من العالم فلا يكون تحته شئ فكيف يكون الله تعالى مالكا له * اجاب الامام عنه بان الثرى فى اللغة التراب الندى فيحتمل ان يكون تحته شئ وهو اما الثور او الحوت او الصخرة او البحر او الهواء على اختلاف الروايات فقوله وماتحت الثرى معناه وماتحت الارض لان ظاهر الارض تراب جاف وماهو اسفل منه فهو تراب مبتل وهو الثرى اى يعلم ماتحت الارض مما بطن فيها كما يعلم ماظهر منها ومابينها وبين السماء ومن السدى ماتحت الثرى هو الصخرة التى تحت الارض السابعة والمفسرون يقولون اراد الثرى الذى تحت الصخرة التى على الثور الذى تحت الارض ولا يعلم ماتحت الثرى الا الله تعالى كما لا يعلم احد مافوق السدرة الا هو قيل السدرة شجرة فى السماء السابعة مما يلى الجنة عروقها تحت الكرسى واغصانها تحت العرش اليها ينتهى علم الخلائق كل ورقة منها تظل امة من الامم تغشاها الملائكة كأنهم فراش من ذهب عليها الملائكة لايعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه الصلاة والسلام فى وسطها ﴿قوله اى وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غنىّ عن جهرك﴾ جواب مايقال ان قوله تعالى فانه يعلم السرّ واخفى جزاء الشرط ومن شرط الجزاء ان يكون مسببا عن الشرط وعلمه تعالى بشئ ما ليس مسببا عن شئ من الممكنات فكيف يكون مسببا عن جهر المخاطب بالقول * وتقرير الجواب ان جزاء الشرط لايكون الا جملة والمشروط المسبب عن الشرط قد يكون نفس مضمون تلك الجملة التى هى وقوع نسبة تلك الجملة او لاوقوعها كما فى قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم وهو ثبوت الاجر لهم عنده تعالى وقد يكون المشروط اعلام المخاطب بمضمون تلك الجملة لا نفس مضمونها كما فى قوله تعالى ومابكم من نعمة فمن الله فان الشرط فيه وهو استقرار النعمة عندنا ليس سببا لنفس كونها من الله تعالى بل هو سبب للاخبار بانها من الله وماتحن فيه من هذا القبيل فان الجهر بالقول ليس سببا لنفس مضمون جملة الجزاء بل هو سبب للاعلام به فعلى هذا الظاهر ان يقول فاعلم انه يعلم السرّ واخفى الا انه عدل عنه الى مااختاره للاشارة الى ان ماهو جزاء حقيقة حذف فى الآية واقيم مقامه مايدل عليه فان علم السرّ والاخفى مستلزم للغنى عن الجهر وتحقق الملزوم دليل على تحقق اللازم فلذلك اطلق الملزوم واريد اللازم ﴿قوله وهو ضمير النفس﴾ اى المراد بالاخفى ماتضمره النفس ولم تظهره لاحد لاسرا ولاجهرا والسرّ ماتسره الى غيرك بالجهر مارفع به صوتك ﴿قوله فى تمهيد نبوّته بقصة موسى﴾ اى اتبع الله تعالى ماذكره تمهيدا لنبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله ماانزلنا عليك القرآن لتشقى الآية بقصة موسى عليه الصلاة والسلام يقال قفوت فلانا اى اتبعته وقفيته بفلان اى اتبعته اياه يريد به ان قوله وهل اتاك حديث الى آخر الآية جملة معطوفة على قوله ماانزلنا عليك القرآن لتشقى على طريق عطف القصة على القصة ليكون بمثاله وحملا على الاقتداء بموسى عليه الصلاة والسلام فى تحمل اعباء النبوّة فان هذه السورة من اوائل مانزل فاحتيج فيها الى ارشاد طريق التبليغ وتقوية قلبه وتسليته عما لاقاه من عناد المعاندين والمعنى انا انزلنا عليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك كما انزلنا على موسى عليه الصلاة والسلام التوراة وقوله تعالى وهل اتاك يحتمل ان يكون اوّل مااخبر الله تعالى به عن امر موسى عليه الصلاة والسلام فيكون الاستفهام فى هل اتاك للانكار اى لم يأتك الى الآن وقد اتاك الآن فتنبه له وهذا قول الكلبى ويحتمل ان يكون قد اتاه ذلك سابقا فيكون الاستفهام تقريرا فكأنه قال أليس قد اتاك ﴿قوله فى ليلة شاتية﴾ اى ذات برد وشتاء يقال شتوت بموضع كذا اى اقمت به الشتاء ﴿قوله مثلجة﴾ اى ذات ثلج وفى الكشاف انه قدح فصلد زنده اى صوّت ولم يخرج نارا يقال صلد الزند يصلد بالكسر صلودا اذا صوّت ولم يخرج نارا قيل كان موسى عليه الصلاة والسلام رجلا غيورا لايصحب الرفقة لئلا ترى امرأته فلذلك اخطأ الطريق ﴿قوله بشعلة من النار﴾ اى بشئ فيه لهب مقتبس من معظم النار وقيل القبس الجمرة الغير المشتعلة يقال قبست منه نارا فى رأس عود او فتيلة او غيرها قال اكثر المفسرين ان الذى رآه موسى عليه الصلاة والسلام لم يكن نارا بل كان نور الرب تعالى ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا فلما دنا منه رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كأنها نار بيضاء فوقف متعجبا من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة

تغير ضوء النار فسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما * قال الامام والصحيح انه رأى نارا ليكون صادقا في خبره اذ الكذب لايجوز على الانبياء ﴿ قوله ولما كان حصولهما ﴾ اى حصول الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين ومتوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع فقال لعلى ولم يقطع بان يقول انى آتيكم لئلا يعد مالم يتيقن الوفاء به والتركيب احترز موسى عن شائبة الكذب قبل نبوته حيث لم يقل آتيكم بل قال لعلى آتيكم وانما قال او اجد على النار هدى لان النار قلما تخلو من اهلها وناس عندها ﴿ قوله كما قال سيبويه في مررت بزيد ﴾ تأكيد لقوله او مستعلون المكان القريب منها فانه جعل الصوق بمكان يقرب من النار بمثابة استعلاء نفس النار ﴿ قوله قيل انه لما نودى قال من المتكلم ﴾ قال وهب لما نودى موسى اجاب سريعا وهو لايدرى من دعاه فقال انى اسمع كلامك ولا ارى مكانك فاين انت قال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لاينبغى الا لربه فايقن بان المنادى هو الله تعالى وايضا لما سمعه من جميع الجهات بحيث لايتفاوت سماعه من بعض الجهات على سماعه من الجهات الاخر علم بذلك انه ليس بكلام المخلوقين وعلم ذلك بسماعه ذلك الكلام وانه لما رأى النار في الشجرة الخضراء بحيث لاتضر خضرة الشجرة ورأى خضرتها بحيث لاتطفئ تلك النار وكل واحد من هذه الامور لايقدر عليه احد الا الله علم بذلك علما استدلاليا ان ما سمعه كلام الله تعالى وقال اصحابنا يجوز ان يخلق الله له علما ضروريا بذلك ومنع المعتزلة ذلك وقالوا لو حصل العلم الضرورى بكون هذا النداء كلام الله تعالى لحصل العلم الضرورى بوجود الصانع لاستحالة ان تكون الصفة معلومة بالضرورة وتكون الذات معلومة بالاستدلال ولو حصل العلم الضرورى بوجود الصانع لخرج موسى عن كونه مكلفا لان حصول العلم الضرورى ينافى التكليف وقد علم قطعا انه عليه الصلاة والسلام لم يخرج من التكليف فعلنا ان الله تعالى عرّفه ذلك بان نصب له من الدلائل ما يدل عليه ﴿ قوله وهو اشارة الى انه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه ﴾ اى كلامه القديم الذى ليس من جنس الحروف والاصوات وذلك الكلام لايتلقف منه تعالى تلقفا حسيا لان الحاسة الجسمانية لاتتلقف الكلام القديم القائم بذات الله تعالى وانما تتلقف تلقفا روحانيا وهو ان يلهم الله تعالى به من خصه بكلامه بشرا كان او ملكا والمعتزلة لما انكروا وجود ذلك الكلام قالوا انه تعالى خلق ذلك النداء في جسم من الاجسام كالشجرة او غيرها لان صريح القرآن دل على ان الله تعالى ناداه بكلامه ولا كلام له سوى ما يتلقف بالحاسة الجسمانية وذلك الكلام حادث فيمتنع ان يقوم بذاته تعالى فلاجرم يكون نداؤه تعالى عبارة عن خلقه اياه في جسم وانه تعالى قادر عليه يفعله متى شاء واهل السنة لما اثبتوا الكلام النفسى الازلى قالوا انه تعالى اسمعه ذلك الكلام اسماعا روحانيا معنويا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما قال عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء دل على ان ذلك الكلام تمثل لبدنه ﴿ قوله وقيل معناه فرّغ قلبك ﴾ يعنى مال اهل الاشارة الى ان النعل في النوم يعبر بالزوجة فيكون قوله فاخلع نعليك اشارة الى ان لايلتفت بخاطره الى اهله وماله وان لايبقى مشغول القلب بامرهما ﴿ قوله والقدس يحتمل المعنيين ﴾ وهما طهارة القلب عن العلائق وطهارة القلب عما ينافى التواضع والادب يعنى ان قوله تعالى انك بالواد المقدس يصلح ان يكون تعليلا لقوله تعالى فاخلع نعليك على كل واحد من الاحتمالات المذكورة في وجه الامر ﴿ قوله بتأويل المكان ﴾ فان طوى يكون منصرفا على تقدير ان يأوّل بالمكان اذ ليس فيه حينئذ سوى العلمية وان اوّل بالبقعة كان غير منصرف للتأنيث والعلمية فلا يدخله التنوين حينئذ فابن عامر والكوفيون قرأوا طوى بضم الطاء والتنوين والباقون بضمها من غير تنوين وقرئ بكسر الطاء منونا وبكسرها غير منون فان كان اسما فهو نظير عنب وان كان صفة فهو نظير عدى وسوى وعن الحسن البصرى انه بمعنى الثنى بالكسر والقصر والثنى المكرر مرتين فيكون المعنى على هذه القراءة انه طهر مرتين فيكون منصوبا بلفظ المقدس لانه بمعناه كانه قيل المقدس مرتين من التقديس او منصوبا بلفظ نودى * الجوهرى قال بعضهم طوى بالضم مثل طوى بالكسر وهو الشئ المثنى وقالوا في قوله تعالى بالواد المقدس طوى اى قدس مرتين ﴿ قوله تعالى وانا اخترتك ﴾ عطف على قوله انى انا ربك اى نودى وقيل انى انا ربك وانا اخترتك وقرأ حمزة وانا اخترناك بفتح الهمزة وبضمير المتكلم المعظم نفسه عطفا على قوله انى انا ربك فان قوله انى هنا بالهمزة مفتوحة على تقدير الباء اى بانى لان النداء يوصل بها تقول ناديته بكذا

ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم بان ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه (فلما أتاها) اى النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء (نودى يا موسى انى انا ربك) فتحه ابن كثير وابو عمرو اى بانى وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودى قال من المتكلم قال انى انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام الشيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه فانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة (فاخلع نعليك) امر بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرّغ قلبك من الاهل والمال (انك بالواد المقدس) تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين (طوى) عطف بيان للوادى ونوّنه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطى مصدر لنودى او المقدس اى نودى نداءين او قدس مرتين (وانا اخترتك) اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك (فاستمع لما يوحى) للذى يوحى اليك او للوحى

واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين (اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى) بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة التى هى كمال العمل (واقم الصلاة لذكرى) خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التى اناط بها اقامتها وهى تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكرى لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها اولان اذكرك بالثناء اولذكرى خاصة لاترآئى بها ولا تشوبها بذكر غيرى وقيل لاوقات ذكرى وهومواقيت الصلاة اولذكر صلاتى لماروى انه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة اونسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلاة لذكرى (ان الساعة آتية) كائنة لامحالة (اكاد اخفيها) اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا مافى الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القرآءة بالفتح من خفاه اذا اظهره (لتجزى كل نفس بما تسعى) متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير (فلا يصدنك عنها) عن تصديق الساعة اوعن الصلاة (من لايؤمن بها) نهى الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لاارينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغى ان يكون راسخا فى دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه

لفتحت همزة ماعطف عليه ايضا وجوز ابو البقاء ان يكون الفتح على تقدير ولانا اخترناك فاستمع فعلقه باستمع قال الواحدى ويجوز وانا اخترناك بالكسر ولم يقرأ به وقال شهاب الدين وقرأ السلمى والاعمش وابن هرمز وانا اخترناك بكسر الهمزة ﴿قوله واللام يحتمل التعلق بكل من الفعلين﴾ بان يكون الكلام من باب التنازع بين اخترتك وبين استمع كأنه قيل اخترتك لما يوحى واستمع لما يوحى والظاهر تعلقه باستمع واللام مزيدة فى المفعول كافى ردف لكم ﴿قوله دال على انه﴾ اى انما يوحى مقصور على تقرير التوحيد والامر بالعبادة ووجه الدلالة ان البدل هو المقصود بالنسبة وانه كالتفسير والبيان للمبدل منه ﴿قوله وهى تذكر المعبود﴾ فقوله لذكرى من اضافة المصدر الى مفعوله اى لاجل ان تذكرنى وتكون ذاكرا لى فان ذكر الله تعالى عبارة عن الاشتغال بعبادته باللسان والجنان والاركان فكأنه قيل اقم الصلاة لتكون بملابستها ذاكرا لى ويكون من قبيل اضافة المصدر الى فاعله على تقدير ان يكون المعنى لانى ذكرتها فى كل كتاب ولم اخل منها شريعة وامرت بها كل امة وكذا على تقدير ان يكون المعنى لان اذكرك بالمدح والثناء كما قيل فى تفسير قوله تعالى ولذكر الله اكبر اى ذكر الله العبد اكبر من ذكر العبد اياه والفرق بينهما ان المذكور على الاول هو الصلاة وعلى الثانى هو العبد ﴿قوله لاوقات ذكرى﴾ على ان تكون اللام فى قوله تعالى لذكرى لام التاريخ بمعنى فى كما فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى اى قدمت الخيرات او الطاعات فى اوقات حياتى فى الدنيا ولام التاريخ لاتدخل الا على الوقت ظاهرا او مقدرا فلذلك قال لاوقات ذكرى اى صلاتى ﴿قوله اولذكر صلاتى﴾ اما على تقدير المضاف او على ان يكون المضاف ذكر الله مجازا عن ذكر الصلاة على طريق اطلاق اسم المسبب وارادة السبب فان ذكر الصلاة سبب لذكر الله تعالى فيكون المعنى اقم الصلاة اذا ذكرتها بعد نسيانها اى ان نسيت صلاة فاقضها اذا ذكرتها وقد نقل هذا التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الواحدى اقم الصلاة لذكرى معناه اقم الصلاة متى ذكرت ان عليك صلاة كنت فى وقتها اولم تكن وهذا قول عامة المفسرين وروى ذلك مرفوعا وذكر باسناد عن انس بن مالك رضى الله عنه ان النبى عليه الصلاة والسلام قال من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها غيره وقرأ اقم الصلاة لذكرى رواه مسلم قال الخطابى هذا الحديث يحتمل وجهين احدهما انه لايكفرها غير قضائها والآخر انه لايلزمه فى نسيانها غرامة ولا كفارة كما تلزم الكفارة فى ترك صوم رمضان من غير عذر وكما تلزم المحرم اذا ترك شيأ من نسكه فدية من دم او طعام وليس عليه الا ان يصلى ماترك فقط قال ابو حنيفة من فاته صلوات يجب الترتيب فى قضائها مالم تزد على صلاة يوم وليلة واحتج عليه بقوله تعالى اقم الصلاة لذكرى اى لتذكرها واللام بمعنى عند كما فى قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس اى عند دلوكها فمعنى الآية اقم الصلاة المتذكرة عند تذكرها وذلك يقتضى رعاية الترتيب كذا ذكره الامام وقوله تعالى ان الساعة آتية كالتعليل للامر بالعبادة واقامة الصلوات واعلام بان القيامة التى هى موعد جزآء الاعمال آتية وان كل امرئ مجزى بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ﴿قوله اريد اخفاء وقتها﴾ كاد وان كان موضوعا لمقاربة الاتى ان من الله تعالى للتحقيق والوجوب والمعنى انا اخفى وقتها من الخلق ليكونوا على حذر منها كل وقت كما ان عسى فى قوله تعالى قل عسى ان يكون قريبا للقطع بقربه اى هو قريب وقيل المراد اخفاء نفس وقوعها والمعنى اكاد اخفيها فلا اقول هى آتية لفرط ارادتى اخفاءها ولولا مافى الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من الله تعالى للعباد لما اخبرت به وقيل المعنى اكاد اخفى الساعة واتيانها واخفى احوال الجنة ونعيمها واحوال النار وعذاب جحيمها لئلا تكون عبادتى مشوبة بطمع الجنة وخوف النار بل تكون خالصة لوجهى كما قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقوله اكاد اخفيها على ان تكون همزة اخفيها للازالة والسلب اى ازيل خفاءها نحو اعجمت الكتاب اى ازلت عجمته واشكيته اى ازلت شكواه والمعنى انها تتحقق وقوعها وقربها اكاد اظهرها واقرب اظهارها كما قال تعالى اقتربت الساعة وان اقتضت الحكمة تأخرها برهة من الزمان وقرئ اخفيها بفتح الهمزة من خفاه يخفيه اذا اظهره ﴿قوله عن تصديق الساعة﴾ على ان ضمير عنها للساعة والمراد التصديق باتيانها فيكون ضمير من لايؤمن بها ايضا للساعة وعلى تقدير ان يكون ضمير عنها للصلاة يكون ضمير بها للساعة والمعنى لايصدنك عن الصلاة من لايؤمن بالساعة والاول اولى لان الاصل فى الضمير ان يرجع الى اقرب مذكور وهو الساعة ومن جعل ضمير عنها للصلاة نظر الى انها هى المقصودة بالذكر وقوله تعالى ان الساعة آتية انما ذكر على وجه التعليل للامر بها ﴿قوله فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه﴾ اى فى دينه علة لكون نظم الآية مبنيا على انه ينبغى

ان يكون ثابتا قويا فى دينه يعنى ان ضعف الرجل فى دينه لما كان سببا لصد الكافر اياه عن دينه كأنه نهى الكافر عن الصد المسبب من الضعف تنبيها و دليلا على نهى الرجل من الضعف الذى هو سبب لصد الكافر فكأنه قيل لاتكونن رخوا ضعيفا فى امر دينك فيصدك عنه الكافر فالآية من قبيل قولهم لاارينك ههنا فان المتكلم نهى نفسه عن ان يرى المخاطب واراد النهى عن ان يحضر عنده ويكون بمرءاه فذكر المسبب الذى هو ان يرى المخاطب واراد السبب وهو ان يحضر المخاطب عنده واشار الى ان النكتة فى العدول الى المجاز التنبيه على انه لايصده عن الحق بنفسه وان سلامة فطرته تحمله على ترجيح الحق واختياره وان موضع الاحتياط ليس الا ماياتيه من الصد الخارجى ﴿قوله استفهام يتضمن استيقاظا﴾ يعنى ان حقيقة الاستفهام ممتنعة فى حقه تعالى فوجب ان يكون الاستفهام الواقع فى كلامه تعالى لحكمة وهى ههنا ايقاظ السامع وتنبيهه على معظم مايخترعه ويبتدعه فى الخشبة اليابسة فانه عليه الصلاة والسلام لما سئل وماتلك بيمينك اجاب عنها بانها قطعة خشبة يابسة لاتصلح الا لما يصلح له امثالها فتقرر شأنها وحقارتها فاذا اظهر الله تعالى منها تلك الآيات العظيمة كانقلابها حية عظيمة ونحوها ظهر كمال قدرة الله تعالى بتقدير المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه وتقرر فى قلبه بمشاهدة هذه المعجزة الباهرة انه تعالى ينصره ولا يخذله بين يدى الاعداء وما فى قوله تعالى وماتلك بيمينك استفهامية مبتدأ وتلك خبرها وبيمينك متعلق بمحذوف منصوب على انه حال عامله معنى الاشارة فى تلك كقوله هذا بعلى شيخا والتقدير ماهى قارة او مأخوذة بيمينك وجوز الزمخشرى ان تكون تلك موصولة بمعنى التى وبيمينك صلتها اى ماالتى التبست بيمينك وهذا ليس مذهب البصريين فانهم لم يجعلوا شيأ من اسماء الاشارة موصولا الا كلمة ذا واما الكوفيون فيجوزون ذلك فى جميعها ولم يقل بيدك لاحتمال ان يكون فى يده اليسار شئ من الخاتم ونحوه فلو اجمل اليد تحير فى الجواب ﴿قوله على لغة هذيل﴾ فانهم ارادوا كسر ماقبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه لمكان الالف فقلبوها الى الياء لكونها اخت الكسرة وادغموها فى ياء المتكلم فقالوا عصىّ وياشرىّ والتوكؤ على العصا الاتكاء عليها سواء كان حال المشى او حال الوقوف على رأس الماشية ويقال هش الورق اذا خبطه اى ضربه بالعصا ليسقط والهشاشة الارتياح والخفة للمعروف وشئ هش وهشيش اى رخو لين وهش الخبز يهش بكسر الهاء اى صار هشا ﴿قوله وقرئ اهش﴾ اى بكسر الهاء قيل هو بمعنى اهش بالضم والمفعول محذوف اى اهش الورق او الشجر اى اضرب بها اوراق الشجر او اغصانها ليسقط ورقها على غنمى فتأكله وقرئ اهس بضم الهاء والسين المهملة وهو السوق والزجر ﴿قوله انحى﴾ يقال انحى عليه بالسوط اذا رفعه موهما ضربه والمراد مايفعله الرعاة لاغنامهم ﴿قوله فعلق بها ادواته﴾ الادوات جمع اداة وهى الآلة كالقوس والكنانة والحلاب ونحوها وفى اكثر النسخ اداوته وهى المطهرة وتجمع على اداوى على وزن مطايا ﴿قوله وعرض الزندين﴾ اى وضعهما على شعبتى العصا عرضا من قولهم عرضت العود على الاناء والزند العود الذى تقدح به النار وهو الاعلى والزندة السفلى وفيها ثقب فاذا اجتمعا قيل زندان ولم يقل زندتان وفى المثل فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كذا فى الصحاح والعرض والالقاء ماربة واحدة للاستظلال * روى عن وهب انه قال كانت عصا موسى عليه الصلاة والسلام ذات شعبتين ومحجن فاذا طالت الشجرة حناها بالمحجن واذا حاول شيأ لواه بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق فيها ادواته من القوس والكنانة والحلاب واذا كان فى البرية ركزها وألقى كساءه عليها فكان ظلا وفيها من المعجزات انه كان يستقى بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فأورقت وتغصنت واثمرت وكانت تحمل زاده وسقاءه فماشيه وركزها فينبع الماء من تحتها فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام وقوله وكأنه عليه الصلاة والسلام فهم الخ جواب عما يقال لما قال هى عصاى تم الجواب لانه سئل بما تلك عن حقيقة مافى يده وماهيته الموجودة فلما قال هى عصاى تم الجواب فلم ذكر منافعها مفصلا ومجملا وتقرير الجواب انه عليه الصلاة والسلام فهم ان هذا السؤال لا للاستفهام لانه تعالى منزه عن ذلك بل المقصود منه ان يذكر ويستحضر حقيقتها ومايعلم من منافعها وقوله علم ان تلك آيات باهرة جواب اذا فى قوله حتى اذا رآها وقوله فذكر حقيقتها عطف على قوله فهم ان المقصود وقوله قيل لما ألقاها جواب عما يقال كيف ذكر الذى انقلب اليه العصا بالفاظ مختلفة وهى الحية والثعبان والجان فان الحية وان كان اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير الا ان الجان والثعبان متباينان فان الثعبان اكبر مايكون من الحيات والجان الحية الصغيرة الخفيفة

(واتبع هواه) ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها (فتردى) فتهلك بالانصداد بصده (وماتلك) استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب (بيمينك) حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك (ياموسى) تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه (قال هى عصاى) وقرئ عصىّ على لغة هذيل (اتوكأ عليها) اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع (واهش بها على غنمى) واخبط الورق بها على رؤس غنمى وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اى انحى عليها زاجرا لها (ولى فيها مآرب اخرى) حاجات اخر مثل ان كان اذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكأنه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان تشتعل شعبتاها بالليل كالشمع وتصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصى تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذى فهمه (قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى) قيل لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذى يعم الحالين وقيل كانت فى ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان (قال خذها ولا تخف) فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها

السريعة الحركة والسعي المشي بسرعة و خفة حركة قيل انه لما القاها فاذا هي اعظم ثعبان نظر اليه الناظرون تمشي بسرعة ولها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون ذراعا صارت شعبتاها شدقين لها و المحجن عنقاها وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتبتلعها وتطعن بانيابها في اصل الشجرة العظيمة فتقلعها و تهتز فيسمع لها صرير عظيم فلما رأى موسى ذلك اخذه من الفزع ما يأخذ البشر عند الاهوال والمخاوف فهرب فمار ضدها فناداه ربه فقال ما انتهى من ربك كلمك و تهرب فرجع و لعل الحكمة في قلب العصا حية في ذلك الزمان وهو اول زمان الوحي و تحمل الرسالة ان يشاهد انقلابها اولا و يزول ما يطرأ لطبيعة البشرية من الخوف و الفزع الحاصل بمعاينة مثل ذلك حتى لا يطرأ عليه الخوف بمشاهدة ذلك عند فرعون ﴿ قوله تجوز بها الطريقة ﴾ يعني ان بناء السيرة في الاصل لنوع من السير ثم اتسع فيها فعبر بها من المذهب و الهيئة مطلقا و ذكر اولا ان سيرتها منصوب على انه مفعول به غير صريح اي سنعيدها الى سيرتها الاولى وثانيا انه مفعول به صريح على انه مفعول ثان لقوله نعيد لان عاد لما كان متعديا الى واحد عدى بالهمزة الى ثان وثالثا انه ظرف اي سنعيدها في الهيئة التي كانت عليها قبل ورابعا انه مفعول مطلق لفعله المقدر فعلى هذا الوجه يكون انقلاب الحية عصا مفهوما من مجرد قوله سنعيدها لان المعنى حينئذ سنعيد العصا بعد ما ذهبت وبطلت صورة العصا فيها بانقلابها الى صورة الحية وقوله تسير سيرتها الاولى له معنى زائد على انقلاب الحية عصا وهو ان تعود المنافع الفائتة بانقلاب العصا حية بخلاف الوجوه الاخر فان انقلاب الحية عصا فهم من مجموع قوله سنعيدها سيرتها الاولى اي على ثلاث الوجوه ﴿ قوله قبل لما قال له ربه ذلك ﴾ اي لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه و طمأنينة نفسه الى ان ادخل يده في فم الحية و اخذ بلحييها فاذا هي عصا كما كانت و يده في شعبتيها في الموضع الذي يضعها فيه اذا اتكأ و اعلم ان ادخاله يده في فم الحية و اخذه بلحييها من غير ان تضره به معجزة و انقلاب العصا حية معجزة اخرى ففيها توالي معجزات مع المآرب التي تقدمت ﴿ قوله لانه يجنحهما ﴾ اي يميلهما كما قال الله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها ﴿ قوله كأنها مشعة ﴾ اي ذات شعاع و اعلم ان معنى ضم اليد الى الجناح ما قال في آية اخرى وأدخل يدك في جيبك وروى انه عليه الصلاة و السلام كان شديد الادمة فكان اذا ادخل يده اليمنى في جيبه و ادخلها تحت ابطه الايسر و اخرجها كان ليده نور ساطع يضيء بالليل و النهار كضوء الشمس و القمر او اشد ضوأ ثم اذا ردها الى جيبه صارت الى لونها الاول بلا نور و برق و اتفق المفسرون على ان السوء كان كناية عن البرص فانه ابغض شيء الى العرب ولهم منه نفرة عظيمة و اسماعهم لاسمه ماجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا يصرح باسمه وقوله من غير سوء يجوز ان يتعلق ببيضاء لكونها صفة مشبهة فيها معنى الفعل كأنه قال تبيض من غير سوء ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من الضمير في بيضاء ﴿ قوله اي دللنا بها او فعلنا ذلك ﴾ نشر على ترتيب قوله او بما دل عليه الآية او القصة اي خذ هذه الآية بعد الآية التي هي قلب العصا حية او دللنا بها او فعلنا ما فعلنا بك من ندائك و استماع كلامي اياك واختيارك للنبوة و اظهار المعجزة القاهرة لك لنريك بعض آياتنا الكبرى او لنريك الآية الكبرى حال كونها من آياتنا على ان يكون الكبرى مفعولا ثانيا لنريك و من آياتنا حال منها وعلى الاول يكون المفعول الثاني وهو ضعيف لانه ليس في اليد الا تغير اللون اما العصا ففيها تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة و القدرة و الاعضاء المختلفة و ابتلاع الشجر و الحجر ثم عودها بعد ذلك عصا كما كانت فهي اعظم قطعا فلا بد ان يكون المعنى خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك فلا دلالة على كون اليد كبرى بالنسبة الى العصا ثم انه تعالى لما اظهر له هذه الآيات عقبها بان امره بالذهاب الى فرعون و بين العلة في ذلك بانه طغى اي جاوز حد العبودية بدعوى الربوبية ثم جاوز اللعين الحد في تلك المجاوزة حيث لم يقنع بدعوى المشاركة فيها حتى قال انا ربكم الاعلى روى عن وهب انه قال قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة و السلام استمع لما يوحى من كلامي و احفظ وصيتي و انطلق برسالتي و انك بعيني و سمعي و ان معك يدي و بصري واني البستك جبة سلطاني تستكمل بها القوة في امري ابعثك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي و امن مكري و غرته الدنيا حتى جحد حقي و انكر ربوبيتي اقسم بعزتي لولا الحجة و العهد الذي وضعت بيني و بين خلقي لبطشت به بطشة جبار و لكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي و ادعه الى عبادتي و حذره من نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا ناصيته بيدي و لا يطرف و لا يتنفس

(سنعيدها سيرتها الاولى) هيئتها و حالتها المتقدمة وهي فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة و انتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اي سنعيدها في طريقتها او على تقدير فعلها اي ستعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده في فمها واخذ بلحييها (واضمم يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر استعارة من جناحي الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران (تخرج بيضاء) كأنها مشعة (من غير سوء) من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه (آية اخرى) معجزة ثانية وهي حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ أو دونك (لنريك من آياتنا الكبرى) متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه الآية او القصة اي دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك و الكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك و من آياتنا حال منها (اذهب الى فرعون) بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة (انه طغى) عصى و تكبر (قال رب اشرح لي صدري و يسر لي امري) لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره

ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقي لما ينزل عليه ويسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لي

ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تأكيد او مبالغة (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فأخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها في فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنه واختلف في زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لساني يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل (واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي) يعينني على ما كلفتني به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلجأ اليه في اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الأزر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها في موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولي صلة او حال او لي وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا ومن اهلي ولي تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخي على الوجوه بدل من هرون او مبتدأ خبره (اشدد به ازري واشركه في امري) على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر (كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا) فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدي الى تكاثر الخير وتزايده (انك كنت بنا بصيرا) عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لي فيما امرتني به (قال قد اوتيت سؤلك يا موسى) اي مسؤلك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول (ولقد مننا عليك مرة اخرى) اي انعمنا عليك في وقت آخر (اذ اوحينا

في (٤٠) الى امك) بالهام او في منام او على لسان نبي في وقتها او ملك لا على وجه النبوة كما اوحى الى مريم

الاعلى فكلمه كلاما طويلا قال فسكت موسى عليه الصلاة والسلام سبعة ايام ثم جاءه ملك فقال اجب ربك فيما امرك فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري الآية ﴿قوله ويفسح قلبه﴾ اشارة الى ان المراد بالصدر القلب كما في قوله أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وان كان قد يراد به العضو الذي فيه القلب كما في قوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وان المراد بشرح القلب توسيعه حتى لا يضيق بسفاهة المعاندين ولجاجهم ولا يخاف من شوكتهم وكثرتهم ويجترئ على مخاطبة فرعون ومحاجته فانه تعالى اذا وسع قلبه وعلم ان احدا لا يقدر على مضرته الا باذن الله تعالى لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده وايضا سأل الله تعالى ان يوسع قلبه ليفهم ما ينزل عليه من الوحي كأنه قال رب اشرح لي صدري فأفهم عنك ما انزلت علي من الوحي ﴿قوله وفائدة لي﴾ جواب عما يقال ما فائدة لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري مع ان الكلام يستقيم بدونه وتقرير الجواب انه ابهم الكلام اولا فقال اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكر المشروح والميسر وهما الصدر والامر فكان الرفع بعد الابهام ما كد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على التصريح بالمراد ابتداء لان الرفع بعد الابهام تكرار للمعنى الواحد من طريق الاجمال والتفصيل ﴿قوله ولعل تبييض يده كان لذلك﴾ اي لكونها سببا لخلاص موسى من ان يقتله فرعون او لكونها آلة لاخذ لحية فرعون ونتفها ﴿قوله كقلبها في موازر﴾ اصله مؤازر قلبت همزته واوا لانضمام ما قبلها فصار موازر وقلبت في الازير ايضا وان لم ينضم ما قبلها حملا للنظير على النظير فانهما اخوان في المعنى فيكون كل واحد منهما نظيرا للآخر من حيث المعنى وحملا على المضارع وهو يوازر ﴿قوله ومفعولا اجعل﴾ مبتدأ اضيف فيه التثنية الى لفظ اجعل وقوله وزيرا وهرون خبره ووجه العناية بالمفعول الثاني ان المقصود الاهم طلب الوزير ﴿قوله ولي صلة﴾ اي يجوز ان يكون قوله لي صلة لفعل الجعل متعلقا به ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من وزيرا لانه في الاصل صفة لوزير فلما قدم عليه انتصب حالا ﴿قوله او لي وزيرا﴾ عطف على قوله وزيرا وهرون اي يجوز ان يكون مفعولا اجعل قوله لي وزيرا فيكون الثاني مقدما على المفعول الاول وهو وزيرا ومن اهلي يجوز ان يكون صفة لوزيرا وان يتعلق باجعل ﴿قوله وهرون عطف بيان للوزير﴾ فيه ان عطف البيان يشترط فيه التوافق بينه وبين متبوعه تعريفا وتنكيرا وقوله وزيرا نكرة فكيف يكون هرون عطف بيان له والظاهر ان يجعل هرون بدلا من وزيرا ﴿قوله او وزيرا ومن اهلي﴾ اي يجوز ان يكون مفعولاه وزيرا من اهلي فيكون وزيرا مفعولا اولا ومن اهلي مفعولا ثانيا وفيه ان شرط المفعولين في باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية منهما وانت لو ابتدأت بوزيرا واخبرت عنه بقولك من اهلي لم يجز اذ لا مسوغ للابتداء به ﴿قوله وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر﴾ فانه قرأ اشدد بفتح الهمزة واشركه بضمها على معنى الخبر عن نفسه اي انا افعل ذلك وجزم كل واحد من الفعلين على انهما جواب الامر وان قرئ اشدد على لفظ الامر يكون المعنى قوّ به ظهري واجعله شريكا لي في امر الرسالة ﴿قوله اي انعمنا عليك﴾ يعني انه من قولهم منّ عليه منا بمعنى انعم عليه لا من قولهم منّ عليه منة بمعنى امتنّ عليه لان المنة تهدم الصنيعة والمقام مقام التلطف بناء على انه تعالى راعى مصلحته قبل من غير ان يسألها موسى فكيف لا يعطيه مراده بعد السؤال والمعنى مننا عليك الآن باتيانك سؤلك وقد سلفت لنا منن عليك اخرى ﴿قوله في وقت آخر﴾ اشارة الى ان مرة ظرف مننا اي مننا عليك في وقت آخر ذي مرة والمرة واحدة المر الذي هو مصدر قوله مر يمر مرا ومرورا اي ذهب فان قيل لم قال مرة اخرى مع انه تعالى ذكر مننا كثيرة اجيب بانه ليس المراد مرة واحدة من المنن لان ذلك قد يقال في القليل والكثير والمنن المذكورة ههنا ثمان الاولى قوله اذ أوحينا الى امك ما يوحى والثانية قوله وألقيت عليك محبة والثالثة قوله لتصنع على عيني والرابعة قوله اذ تمشي اختك والخامسة قوله تعالى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم والسادسة قوله وفتناك فتونا والسابعة قوله فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى والثامنة قوله واصطنعتك لنفسي ﴿قوله بالهام او في منام﴾ يعني ان المراد من هذا الوحي ليس هو الوحي الواصل الى الانبياء لان ام موسى ما كانت من الانبياء فان المرأة لا تصلح للامارة والقضاء فكيف تصلح للنبوة ويدل عليه قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فلذلك اختلف في المراد من هذا الوحي على وجوه احدها ان ام موسى رأت رؤيا تأويلها وضع موسى عليه الصلاة والسلام في التابوت وقذفه في البحر وان الله رده اليها وثانيها ان المراد بالوحي الالهام بان اوقع الله تعالى في قلبها

عزيمة جازمة على ان تلقيه فى التابوت ثم تقذف التابوت فى اليم وهو نيل مصر فى قول جميع المفسرين فان اليم يقع
على البحر و النهر العظيم وثالثها ان المراد بالوحى اليها انه تعالى اوحى ذلك الى بعض الانبياء المبعوث فى ذلك الزمان
كشعيب عليه الصلاة و السلام او غيره ثم ان ذلك النبى عرّفها ما اوحى اليه اما مشافهة او مراسلة ورابعها لعله
تعالى بعث اليها ملكا لا على وجه النبوّة بل على طريق بعثه جبريل الى مريم فى قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا
فتمثل لها بشرا سويا وبلغ ذلك الملك اليها ما اوحى اليه ﴿ قوله ولا يخل به ﴾ بضم الياء وفتح الخاء من اخل الفارس
بمركبه اذا ترك موضعه الذى عينه له الامير وقوله لعظم شأنه تعليل لقوله لا يعلم الا بالوحى ﴿ قوله وفرط الاهتمام
به ﴾ تعليل لقوله ينبغى ان يوحى على طريق اللف و النشر المرتب وان فى قوله ان اقذفيه يحتمل ان تكون مصدرية
ومفسرة و المراد بقذفه فى التابوت جعله فيه كما فى قوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب ﴿ قوله غلام رماه الله
بالحسن يافعا ﴾ تمامه له سيماء لا تشق على البصر فقوله غلام اى هو غلام ورماه الله صفة غلام اى هو غلام حصل
الله فيه الحسن ووضعه فيه و يافعا اى شابا و اليافع من اليفاع وهو ما ارتفع من الارض وايفع الغلام اى ارتفع
فهو يافع ولا يقال موفع وهو من النوادر و السيماء العلامة و المراد بها ههنا الحسن وقوله لا يشق على البصر اى يفرح
به من ينظر اليه ولا يمل من تكرار النظر اليه لكونه فى غاية الحسن ﴿ قوله لما كان القاء البحر اياه الى الساحل ﴾
جواب عما يقال جعل الله البحر مأمورا بامتثال امره مع ان الامر لا يكون الا لمميز العاقل و البحر ليس كذلك * وتقرير
الجواب ان قوله فليلقه اليم وان كان امرا صورة الا ان معناه الخبر اى ان تفعل ما امرت به بلقه اليم بالساحل لتعلق
ارادتى بذلك واخرج الكلام على سبيل الاستعارة المكنية و التخييلية حيث شبه اليم فى النفس بمأمور ذى تمييز
امره آمر مطاع بالالقاء من حيث كون القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول كحصول المأمور به من
المأمور المطيع وجعل امر اليم بقوله فليلقه اليم قرينة التشبيه المضمر وفائدة اخراج الكلام على هذه الصورة
التأكيد و المبالغة فى حصول الالقاء ﴿ قوله والاولى ان يجعل الضمائر كلها لموسى عليه الصلاة و السلام ﴾
لانه لو جعل ضمير ان اقذفيه و يأخذه وعدوّ له لموسى وضمير فاقذفيه و فليلقه اليم للتابوت لزم تفكيك الضمائر
وتنافر النظم * فان قيل المقذوف فى البحر وكذا الملقى الى الساحل هو التابوت * قلنا نعم ان المقذوف بالذات و الملقى
بالذات هو التابوت الا ان موسى عليه الصلاة و السلام مقذوف وملقى بالتبع لكونه فى جوف التابوت فينبغى
ان يجعل ضمير فاقذفيه و فليلقه اليم ايضا لموسى حتى لا تفترق الضمائر ولما كان فليلقه اليم امرا من حيث اللفظ
انجزم جوابه فى قوله يأخذه ﴿ قوله او لان الاول ﴾ وهو كون فرعون عدوّا لله تعالى حال اخذه
موسى لكفره بالله تعالى وعتوه امر واقع حينئذ وكونه عدوّا لموسى عليه الصلاة و السلام حينئذ غير واقع
لان موسى فى ذلك الوقت لم يكن بحيث يعاديه احد بل هو بحيث يؤول امره الى المعاداة معه ولو قيل يأخذه
عدوّ لى وله لفهم ان عداوته لموسى من قبل عداوته لله تعالى ﴿ قوله ثم قربه ﴾ اى طلاه بالقير وهو الزفت
﴿ قوله وكان يشرع ﴾ اى يدخل من اليم يقال شرعت الدواب فى الماء شرعا وشروعا اى دخلت
﴿ قوله اصبح الناس ﴾ اى اكثرهم صباحة اى جمالة يقال صبح بالضم صباحة فهو صبيح اى جميل حسن
﴿ قوله اى محبة كائنة منى ﴾ على ان منى ظرف مستقر متعلق بمحذوف هو صفة لمحبة اى محبة حاصلة منى
وعلى الثانى يكون ظرفا لغوا متعلقا بالقيت وعلى التقديرين كلمة من ابتدائية و الفرق بين الاحتمالين ان الملقى
على الاحتمال الاوّل محبة الناس اياه لكن لما كانت المحبة حاصلة واقعة بتخليق الله تعالى من حيث انه تعالى ركزها
فى القلوب وصفها بقوله كائنة منى فلذلك احبه عدو الله فرعون وكل من ابصره وعلى الاحتمال الثانى يكون
الملقى بالذات هو محبة الله تعالى واما محبة الخلق اياه فانها نشأت وتفرعت عن محبة الله تعالى اياه واليه اشار بقوله
اى احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب وقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا احب الله العبد نادى جبريل ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول فى الارض
﴿ قوله وظاهر اللفظ ﴾ جواب عما يقال ان ما قيل مخالف لما يفهم من ظاهر لفظ القرآن فان ظاهره يدل على
ان اليم ألقاه بساحله وان موسى عليه الصلاة و السلام التقط من الساحل لا من البركة و ان ما قيل يدل على ان أم
موسى ألقته فى اليم فدفعه اليم الى النهر المتشعب منه الشارع الى بستان فرعون فأداه النهر الى بركة فى البستان
فأخذ من البركة لا من الساحل واشار الى وجه التوفيق بينهما بان حمل لفظ القرآن على ان معناه ألقاه اليم بساحل

(ما يوحى) ما لا يعلم الا بالوحى او مما ينبغى
ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط
الاهتمام به (أن اقذفيه فى التابوت) بان
اقذفيه او اى اقذفيه لان الوحى بمعنى القول
(فاقذفيه فى اليمّ) القذف يقال للالقاء
وللوضع كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم
الرعب وكذلك الرمى كقوله غلام رماه الله
بالحسن يافعا (فليلقه اليمّ بالساحل) لما كان
القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب
الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه
ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب
مخرج الامر والاولى ان يجعل الضمائر كلها
لموسى مراعاة للنظم والمقذوف فى البحر
والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات
فموسى بالعرض (يأخذه عدوّ لى وعدوّ له)
جواب فليلقه وتكرير عدوّ للمبالغة او لان
الاوّل باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع
قيل انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته
فيه ثم قيّرته وألقته فى اليمّ وكان يشرع منه
الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فأداه
الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا
على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم
فأمر به فأخرج ففتح فاذا هو صبىّ اصبح
الناس وجها فأحبه حبا شديدا كما قال
(وألقيت عليك محبة منى) اى محبة كائنة
منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لا يكاد يصبر
عنك من رآك فلذلك أحبك فرعون ويجوز
ان يتعلق منى بألقيت اى احببتك ومن
احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ
ان اليمّ ألقاه بساحله وهو شاطئه

فيه فوهة نهر فرعون يجري منه الى البركة ﴿قوله لان الماء دحله﴾ تعليل لما دل عليه المعنى كأنه قال سمى الشاطئ ساحلا لان الماء يسحله اى يقشره و ينزع عنه ما هو بمنزلة القشر على ظاهره فان السحل فى اللغة القشر يقال قشرت العود وغيره اقشره قشرا اى نزعت عنه قشره والمطرة القاشرة هى التى على وجه الارض ﴿قوله ولتربى ويحسن اليك و انا راعيك و راقبك﴾ فسر قوله لتصنع بقوله لتربى ويحسن اليك من قولهم صنع اليه معروفا اذا احسن اليه و فسر قوله على عينى بقوله و انا راعيك اشارة الى انه حال من الضمير المستتر فى لتصنع لا صلة له و قوله لتصنع منصوب باضمار ان بعد لام كى وهذه العلة معطوفة على علة مقدرة قبلها و الفعل المعلل هو قوله تعالى وألقيت اى ألقيت عليك المحبة اى ليتعطف عليك و لتصنع ويجوز ان تكون هذه اللام متعلقة بمعلل محذوف وجملة المعلل مع علته معطوفة على الجملة السابقة اى ألقيت عليك محبة منى و لتصنع على عينى فعلت ذلك و العين مجاز عن الرعاية و الحراسة بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان الناظر الى الشئ يحرسه مما لا يريد فى حقه و يراعيه بحسب ما يريد فيه ﴿قوله وقرئ و لتصنع بكسر اللام و سكونها﴾ على انها ليست لام كى بل هى لام امر الغائب و الاصل فيها ان تكون مكسورة ويجوز سكونها بعد الواو و الفاء تخفيفا و ذلك فى القرآن كثير نحو وليوفوا نذورهم وليطوفوا و قرأ العامة بكسر اللام و ضم التاء وفتح النون على البناء للمفعول و نصب الفعل باضمار ان بعد لام كى وقرئ و لتصنع بالنصب وفتح التاء ﴿قوله ظرف لألقيت او لتصنع﴾ و المعنى على الاول و ألقيت عليك محبة منى وقت مشى اختك و على الثانى لتربى ويحسن اليك فى هذا الوقت و كونه ظرفا لتصنع اولى لان تقييد التربية بزمان مشى اخته صحيح لان التربية انما وقعت زمان مشى اخته ورده الى امه بخلاف القاء المحبة عليه فانه وقع قبل ذلك من اول ما التقطه فرعون فلا وجه لكونه ظرفا لألقيت الا باعتبار الاتساع فى زمان المشى ﴿قوله او بدل من اذ أوحينا﴾ و المعنى ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ أوحينا الى امك اذ تمشى اختك ﴿قوله على ان المراد بها وقت متسع﴾ جواب لما يقال كيف يكون اذ تمشى اختك بدلا من اذ أوحينا مع ان احد الزمانين غير متحد مع الآخر صدقا بل هما مختلفان متباعدان وليس احدهما بعضا من الآخر و لا مشتملا عليه ايضا و اذا اريد بكلمة اذ وقت يسع كل واحد من الفعلين يتحد الزمانان و لا يختلفان الا باعتبار اختلاف الفعل الواقع فيهما فيصح ابدال احدهما من الآخر و معنى يكفله يضمه اليه و يحضنه و يربيه و تذكير الضمير فى يكفله نظرا الى لفظ من و ان كان عبارة عن المؤنث و لما التقطه آل فرعون و أحبوه و عزموا على تربيته عندهم طلبوا امرأة ترضعه و تربيه فلم يقبل ثدى امرأة منهن لان الله تعالى قد حرم عليه المراضع غير امه و جعل ذلك طريقا لرده الى امه فاضطروا الى الاستقصاء فى تتبع النساء و بذلك فشا الخبر بمصر ان آل فرعون اخذوا غلاما من النيل و انه لا يقبل ثدى كل امرأة يؤتى اليه بها فلما علمت ذلك اخت موسى جاءت اليهم متنكرة فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم ﴿قوله ثم قتله﴾ فانه عليه الصلاة و السلام لما قتل القبطى خطأ بان وكزه اى ضربه بجمع يده على ذقنه حين استغاثه الاسرائيلى عليه حصل له الغم من جهتين احدهما من عذاب الدنيا و هو اقتصاص فرعون منه على ما حكاه الله تعالى عنه بقوله فأصبح فى المدينة خائفا يترقب و الآخر من عقاب الله تعالى حيث قتله لا بامر الله فنجاه الله تعالى من الغمين امن من فرعون بأن وفقه الله تعالى للهاجرة الى مدين و امن من عقاب الآخرة بأن غفر الله تعالى له باستغفاره حين قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له ﴿قوله و ابتليناك ابتلاء﴾ على ان فتونا مصدر كالعكوف و الجلوس جئ به تأكيدا لفعله كأنه قيل وفتناك حقا و الفتنة الامتحان و الاختبار تقول فتنت الذهب اذا ادخلته النار لتنظر ما جودته كذا فى الصحاح قال صاحب الكواشى و فتناك فتونا اى اختبرناك اختبارا بايقاعك فى المحن و تخليصك منها و قال صاحب الكشاف الفتنة المحنة و كل ما يشق على الانسان و كل ما يبتلى الله به عباده فتنة قال تعالى و نبلوكم بالشر و الخير فتنة سأل سعيد بن جبير ابن عباس عن قوله و فتناك فتونا فقال خلصناك من محنة بعد محنة اولها ان امه حملته فى السنة التى كان فرعون يقتل فيها الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير ثم ألقته امه فى البحر و هو فى التابوت ثم منعه الرضاع الا من ثدى امه ثم اخذ بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناول الجمرة بدل الدرة ثم قتل قبطيا و خرج الى مدين هاربا خائفا بلا زاد و لا دليل و اجر نفسه عشر سنين مهر الصفورا ابنة شعيب و ضل الطريق و تفرق غنمه فى ليلة مظلمة وكان ابن عباس يقول عند ذكر كل واحدة من هذه المحن فهذه فتنة يا ابن جبير فعلى هذا معنى فتناك خلصناك من تلك المحن كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبث و لا بد فى قوله تعالى و فتناك فتونا من ملاحظة

لان الماء سحله اى التقط منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره (و لتصنع على عينى) و لتربى و يحسن اليك و انا راعيك و راقبك و العطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ و لتصنع بكسر اللام و بسكونها و الجزم على الامر و لتصنع بالنصب وفتح التاء اى وليكون عملك على عين منى لئلا تخالف به عن امرى (اذ تمشى اختك) ظرف لألقيت او لتصنع او بدل من اذ أوحينا على ان المراد بها وقت متسع (فتقول هل ادلكم على من يكفله) و ذلك انه كان لا يقبل ثدى المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها (فرجعناك الى امك) وفاء بقولنا انا رادوه اليك (كى تقر عينها) بلقائك (و لا تحزن) هى بفراقك او انت بفراقها وفقد اشفاقها (و قتلت نفسا) نفس القبطى الذى استغاثه عليه الاسرائيلى (فنجيناك من الغم) غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى و اقتصاص فرعون بالمغفرة و الامن منه بالهجرة الى مدين (و فتناك فتونا) و ابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز و بدور فى حجرة و بدرة فخلصناك مرة بعد اخرى و هو اجمال لما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن و مفارقة الآلاف و المشى راجلا على حذر و فقد الزاد و اجر نفسه الى غير ذلك اوله و لما سبق ذكره

التخليص من المحنة اما بان يجعل فتناك بمعنى خلصناك من قولهم فتنت الذهب اذا اردت تخليصه اوبان يكون فتناك بمعنى اختبرناك ولم يذكر صلته والتقدير اختبرناك اختبارا بايقاعك فى المحن وتخليصك منها وذلك لانه تعالى قال له عليه الصلاة والسلام ولقد مننا عليك مرة اخرى ثم عدّ المنن وذكر منها قوله وفتناك فتونا والفتنة بمعنى المحنة ليست من قبيل الانعام الا ان يقال انها لكونها موجبة للثواب من قبيل النعم والمصنف جعل قوله تعالى وفتناك فتونا اجمالا لما ناله فى سفر هجرته من مصر الى مدين ثم جوّز ان يكون اجمالا له ولما سبق ذكره من وضع امه اياه فى التابوت وقذفه فى اليم الى غير ذلك وقدم الاحتمال الاول لان عدّ ما نال الطفل فتنة فى حقه لا يخلو من بعد ﴿ قوله قضاء لأوفى الاجلين ﴾ اى الذى خيره شعيب عليهما الصلاة والسلام فى قضاء احدهما اشاء مهرا فى تزويج بنته اياه قال تعالى حكاية عنه انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج فان اتممت عشرا فمن عندك فقضى موسى عليه الصلاة والسلام اوفاهما وهذا صريح فى ان موسى لما قضى الاجل المشروط سار باهله الى مصر ولم يمكث فى اهل مدين بعد قضائه ويدل عليه قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله وهو الاجل المشروط عليه فى تزوجه صفوراء بنت شعيب وروى عن وهب انه قال لبث موسى عند شعيب ثمانى وعشرين سنة منها عشر سنين مهر امرأته والباقى ليستكمل الوقت الذى يوحى فيه الى الانبياء بناء على انه جاء مدين وهو ابن ثنتى عشرة سنة فمكث فيه ثمانى وعشرين سنة ليبلغ سنة اربعين سنة وتقدير الآية وفتناك فتونا فخرجت هاربا الى اهل مدين فلبثت سنين فيهم ثم جئت من عندهم مستقرا او كائنا على قدر معين فقوله على قدر متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من فاعل جئت ﴿ قوله على قدر او على مقدار من السن ﴾ اشارة الى ان قوله على قدر لابد فيه من تقدير مضاف اليه لان القدر لا يكون الالامر من الامور اى على قدرى الذى قدرته لان اكلمك او على مقدار سن فالقدر على الاول عبارة عن تعلق الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص بالاشياء فى اوقات حدوثها وتلك الارادة الازلية هى المسماة بالقضاء وعلى الثانى القدر بمعنى المقدار قال عليه الصلاة والسلام مابعث الله نبيا الا على رأس اربعين سنة ﴿ قوله واصطنعتك لنفسى ﴾ اى اخترتك لنفسى لتتصرف على ارادتى وتشتغل بما امرتك به من اقامة حجتى وتبليغ رسالتى وان تكون فى حركاتك وسكناتك لوجهى لالنفسك ولا لغيرك والاصطناع افتعال من الصنع بالضم وهو مصدر قولك صنع اليه معروفا واصطناع فلان لفلان اتخاذه صنيعا محسنا اليه بتقريب منزلته وتخصيصه بالتكريم والاجلال عن القفال قال اصطنعتك اصله من قولهم اصطنع فلان فلانا اذا احسن اليه حتى يضاف اليه فيقال هذا صنيع فلان كما يقال هذا جريح فلان ﴿ قوله مثله فيما خوله ﴾ اى اعطاه جواب عما يقال كيف قال لنفسى مع انه تعالى غنى عنه فلا يجوز حمل الكلام على ظاهره فلذلك حمله على الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال موسى فيما خوله الله تعالى من التقريب والتكليم والتكريم بحال من قربه الملك واستخلصه لنفسه ووجه الشبه منتزع من عدة امور فكانت الاستعارة تمثيلية ﴿ قوله ولا تنيا ﴾ يعنى انه ونى يني ونيا بمعنى فتر يفتر فتورا والحكمة فى هذا التكليف ان من ذكر جلال الله تعالى وعظمته استحقر غيره فلا يخاف احدا غيره ويتقوى روحه بذلك الذكر فلا يضعف فى مقصود ﴿ قوله وقيل فى تبليغ ذكرى ﴾ على ان يكون المراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع فى كل العبادات وتبليغ الرسالة من اعظمها قدرا فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روى انه تعالى لما نادى موسى عليه الصلاة والسلام بالواد المقدس واعطاه سؤله وارسله الى فرعون انطلق من ذلك الموضع الى فرعون وشيعته الملائكة يصافحونه وخلف اهله فى الموضع الذى تركهم فيه فلم يزالوا مقيمين به حتى مر بهم راع من اهل مدين فعرفهم فحملهم الى شعيب فمكثوا عنده حتى بلغهم خبر موسى بعدما جاوز بنى اسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه فبعثهم شعيب الى موسى بمصر ولما انطلق موسى من الطور الى جانب مصر كان لا علم له بالطريق وليس له زاد ولا حمولة ولا صحبة شئ الا العصا يظل صائما ويبيت طاويا يصيب من ثمار الارض ومن الصيد شيأ قليلا حتى ورد ارض مصر الى تمام الامر ﴿ قوله قيل اوحى الى هرون ﴾ جواب عما يقال كيف اجتمع مع هرون حتى خاطبهما بقوله اذهبا الى فرعون روى انه تعالى اوحى الى هرون انه قد استنبأ موسى وارسله الى فرعون وقومه وانه جعلك وزيرا وشريكا له فى رسالته فاذا كان يوم السبت لغرة ذى الحجة فاخرج قبل طلوع الشمس الى شط النيل فانها الساعة التى تلتقى انت واخوك فيها فاقبل موسى فى ذلك الوقت وخرج هرون من عسكر بنى اسرائيل حتى التقيا على شط

(فلبثت سنين فى اهل مدين) لبثت فيهم عشر سنين قضاء لأوفى الاجلين ومدين على ثمانى مراحل من مصر (ثم جئت على قدر) قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر او على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء (ياموسى) كرره عقيب ماهو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك (واصطنعتك لنفسى) واصطفيتك لمحبتى مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه (اذهب انت واخوك بآياتى) بمعجزاتى (ولا تنيا) ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء (فى ذكرى) لا تنسيانى حيثما تقلبتما وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء الى (اذهبا الى فرعون انه طغى) امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله

النيل ﴿ قوله وقيل عداه ﴾ هو تثنية امر الحاضر من وعد يعد يعني قيل المراد بالقول اللين ان موسى اتاه ووعده على قبول الايمان شبابا لايهرم وملكا لاينزع منه الا بالموت وان تبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لايقطع امرا دون هامان وكان غائبا حينئذ فلما قدم اخبره بالذي دعاه اليه موسى وقال اردت ان اقبل منه فقال له هامان كنت ارى لك عقلا ورأيا انت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد وتريد ان تعبد فقلبه عن رأيه وحكى عن عمرو بن دينار انه قال بلغني ان فرعون عمر اربعمائة سنة وتسع سنين فقال له موسى ان اطعتني عمرت مثل ما عمرت فاذا مت دخلت الجنة ﴿ قوله على رجائكما وطمعكما ﴾ يعني لعل للترجي الا انه بالنسبة الى المرسل وهو موسى وهرون اى اذهبا وقولا مترجيين وطامعين فلاحد دون اليأس منه ويستحيل ان يكون ذلك الترجي بالنسبة الى الله تعالى انه هو عالم بعواقب الامور ﴿ قوله فان الراجي مجتهد ﴾ علة لكون الذهاب والقول اللين مقيدين بكونهما في حال الرجاء دون اليأس يعني انهما تكلفا بالتبليغ على هذا الوجه لانه ابلغ لهما في دعائه الى الحق فان الرسل انما يبعثون لان يدعوا وهم يرجون ويطمعون ان يقبل منهم ﴿ قوله والتذكر للتحقق ﴾ اى للتيقن بالحق والجوهري حققت الامر واحققته ايضا اذا تحققته وصرت منه على يقين وحققت قوله وظنه تحقيقا اى صدقت والمعنى قولا له ذلك راجيين ان يترك الاصرار على انكار الحق وتكذيبه اما بان يتذكر اى يتعظ ويقبل الحق قلبا وقالبا او بان يتوهم انه حق فيخشى بذلك من ان يصر على الانكار ويبقى مترددا ومتوقفا بين الامرين وذلك خير بالنسبة الى الانكار والاصرار عليه ﴿ قوله ان يعجل علينا بالعقوبة ولايصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة ﴾ فيتعطل المطلوب من الارسال اليه * فان قيل كيف يخاف موسى وقد آتاه الله تعالى سؤله وشرح صدره وشرح الصدر ينافي حصول الخوف * قلنا لانسلم ذلك لانه قد مر ان السؤال ان يوسع الله قلبه ليتحمل أعباء دعوة فرعون الى عبادة الله تعالى والصبر على مشاقه وتلقي مايوحى اليه على وجه لايتطرق اليه السهو والتحريف وحصول الشرح بهذا المعنى لاينافي حصول الخوف من استعجال فرعون في عقوبتهما قبل اتمام الدعوة واظهار المعجزة وان تفوت الفائدة المطلوبة من ارسالهما اليه من الزام الحجة وقطع المعذرة ونحو ذلك ﴿ قوله واطلاقه ﴾ اى عدم تقييد قوله او ان يطغى بذكر متعلقه بان يقال او ان يطغى عليك كما ذكر متعلق يفرط وهو علينا في قوله ان يفرط علينا لان تجريده من القيد من حسن الادب والتحاشي عن النطق بالقبيح فان المعنى او ان يطغى بالتخطي الى ان يقول فيك مالاينبغي بجرأته عليك ﴿ قوله تعالى لاتخافا ﴾ ليس المراد منه النهي عن الخوف لانه من حيث كونه امرا طبيعيا لامدخل للاختيار فيه لايدخل تحت التكليف ثبوتا وانتفاء بل المراد التسلي بوعد الحفظ والنصرة فانه ليس المراد من المعية المعية المكانية بل المراد منها مايلزمها من الحفظ والنصرة كانه قيل انني حافظكما وناصركما ﴿ قوله أسمع وارى مايجري بينكما وبينه ﴾ يعني ان قوله تعالى اسمع وارى فعلان متعديان لم يذكر مفعولهما وليسا منزلين منزلة اللازم بل قصد تعلقهما بالمفعول الغير المذكور فوجب تقديره على حسب تعيين القرينة ان عاما فعام وان خاصا فخاص والقرينة تقتضي تقدير العام اى أسمع وارى جميع مايجري بينكما وبينه من قول وفعل الخ وذلك لان قوله تعالى اسمع وارى ذكر تأكيدا لقوله انني معكما اخبر اولا بانه حافظهما وناصرهما ثم اخبر بانه يسمع ويرى للدلالة على انه يفعل بهما مايوجب حفظهما ونصرتهما على اتم الوجوه واكملها والحفظ والنصرة انما يتمان ويكملان اذا كان الحافظ والناصر عالما بجميع ماينال من اراد حفظه وهذا يقتضي ان يقدر المفعول عاما بان يقال اسمع وارى جميع مايجري بينكما وبينه ليتم الحفظ ويكمل ويزول خوفهما بالكلية فحذف المفعول قصدا للتعميم مع الاختصار ﴿ قوله ويجوز ان لايقدر شئ ﴾ بان ينزل الفعلان منزلة اللازم ولايقصد تعلقهما بالمفعول فضلا عن عمومه وخصوصه وان يكون القصد الى شأن الحفظ والنصرة والى ماتأتيان بسببه من السمع والبصر مع قطع النظر عن تعلقهما بالمسموع والمبصر لانهما انما ذكرا تتميما لقوله انني معكما لكونهما ممايتم به الحفظ والنصرة ولامدخل في ذلك الاعتبار تعلقهما بالمفعول والتتميم ان يؤتى في كلام لايوهم خلاف المقصود بفضلة مثل مفعول او حال او نحوهما ممالبس بجملة مستقلة ولاركن كلام لنكتة وهي التفصيل في الكلام وان اوتي بها في كلام يوهم خلاف المقصود ليدفع ذلك الايهام سمي اتيانها تكميلا كقوله

فسقى ديارك غير مفسدها ۞ صوب الربيع وديمة تهمي

(فقولا له قولا لينا) مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومشورة حذرا ان يحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احترازا عما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لايهرم بعده وملكا لايزول الا بالموت (لعله يتذكر او يخشى) متعلق باذهبا او قولا اى باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولايخيب سعيكما فان الراجي مجتهد والآيس متكلف والفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لايؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة واظهار ماحدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للتحقق والخشية للتوهم ولذلك قدم الاول اى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى (قالا ربنا انا نخاف ان يفرط علينا) ان يعجل علينا بالعقوبة ولايصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اى نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسي او جني على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية (او ان يطغى) ان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك مالا ينبغي بجرأته وقساوته واطلاقه من حسن الادب (قال لاتخافا انني معكما) بالحفظ والنصرة (اسمع وارى) مايجري بينكما وبينه من قول وفعل فأحدث في كل حال مايصرف شره عنكما ويوجب نصرتي لكما ويجوز ان لايقدر شئ على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ

(فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل) اطلقهم (ولا تعذبهم) بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في ايدي

القبط يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور أولادهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة (قد جئناك بآية من ربك) جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية او لو جئتك بشئ مبين (والسلام على من اتبع الهدى) سلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم (انا قد اوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى) ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر أهم وانجع وبالواقع أليق (قال فمن ربكما ياموسى) اى بعدما أتياه وقالاله ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال عليه فان المطيع اذا امر بشئ فعله لامحالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه او لانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد أن يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين (قال ربنا الذي اعطى كل شئ) من الانواع (خلقه) صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به وقدم المفعول الثاني لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثاني محذوفا اى اعطى كل مخلوق ما يصلحه (ثم هدى) ثم عرّفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات بأسرها على مراتبها ودلالته على ان الغني القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ما عداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذي كفر وأفحم عن الدخل عليه فلم ير الا صرف الكلام عن

اى تسيل والديمة المطر الذي يدوم يوما وليلة فان قوله غير مفسدها منصوب على انه حال من فاعل سقى وهو صوب الربيع اى مطره جئ بها ليدفع ما يوهمه قوله فسقى ديارك امطار الربيع والديم من كونها مخربة للديار فان المطر قد يؤول الى خرابها وعلى هذا الوجه يكون قوله اسمع وارى حالين من المستكن في قوله تعالى معكما فلذلك قال على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا ﴿قوله من دعوى الرسالة﴾ بيان للكلام السابق والمراد بما تضمنه الكلام السابق هو المجئ بالآية فان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التي هي اظهار المعجزة وكانت دعوى الرسالة متضمنة لدعوى بينتها ﴿قوله لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها﴾ يعني ان المراد بقوله بآية جنس ما يكون برهانا لدعوى الرسالة مع قطع النظر عن وحدته وتعدده فلذلك وحدها وقوله سلام الملائكة جعل السلام بمعنى التحية من الملائكة وخزنة الجنة للمهتدين فيكون المقصود من الكلام ترغيب المخاطبين في الاهتداء بتصديق الرسول واتباع ما جاء به من التكاليف والاحكام وبشارة المهتدين بكونهم من اهل الجنة ثم جوّز ان يكون السلام بمعنى السلامة كالرضاع والرضاعة قال بعض المفسرين قوله والسلام على من اتبع الهدى قول الله تعالى لهما كأنه قال فقولا انا رسولا ربك وقولا له السلام على من اتبع الهدى وقال آخرون بل كلام الله تعالى تم عند قوله قد جئناك بآية من ربك وقوله بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى وعد من قبلهما لمن آمن وصدق بالسلامة من عقوبات الدنيا والآخرة فتكون الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ويكون على بمعنى اللام اى والسلام لمن اتبع الهدى كما ان اللام تكون بمعنى على كما في قوله تعالى ولهم اللعنة ولهم سوء الدار اى عليهم اللعنة وقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها ويكون قوله انا قد اوحي الينا استئنافا للتعليل كأنه قيل السلامة من العذاب للمهتدين لانه اوحي الينا ان العذاب على المكذبين للرسل ﴿قوله ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل﴾ يعني ان تعريف العذاب في قوله تعالى ان العذاب للعهد والمعهود هو العذاب المختص بالمشركين وهو عذاب الخلد في النار وما وجد في اكثر النسخ وهو ان عذاب المنزلين اى القبر والنار لا يليق ان ينسب الى المصنف ﴿قوله ولعل تغيير النظم﴾ يعني هذه الجملة ذكرت في مقابلة قوله والسلام على من اتبع الهدى وكان الظاهر ان تذكر على اسلوب تلك الجملة بان يقال والعذاب على من كذب وتولى بل بأن يقال وعدم السلام عليه لانه هو المقابل للسلامة لكنه صرح بالوعيد وصدرت الجملة بانّ وجعل مضمون الجملة مما اوحي اليهما لكون التخلية عن الرذائل في اول الامر أهم بالنسبة الى التحلية بالفضائل كما ان همة من يعالج البدن مصروفة في اول الامر الى تنقية البدن من فضول الاخلاط ثم الى تقويته بالاغذية الصالحة وهكذا الحال فيمن يعالج النفوس فان اللائق لشأنه الاهتمام بالتخلية اوّلا ﴿قوله اعطى كل شئ من الانواع﴾ على ان كل شئ مفعول اوّل لاعطى وخلقه بمعنى مخلوقه ثانيهما وضمير خلقه لكل شئ والمعنى اعطى كل شئ من انواع المخلوقات مخلوقه الذي هو صورته وشكله المطابق لكماله المودع فيه فالمراد بمخلوق كل شئ المخلوق الذي يختص بذلك الشئ ويناسبه ويليق به ويتم به الغرض الذي خلق لاجله بدل عليه اضافة الخلق الى الشئ ﴿قوله او اعطى خليقته﴾ على ان خلقه اوّل المفعولين وكل شئ ثانيهما قدم على الاوّل لان الغرض منوط بذكر اعطاء كل شئ فلذلك صار المفعول الثاني اهم فقدم على الاوّل والخليقة الخلائق يقال هم خليقة الله وهم خلق الله ايضا فالخلق ايضا بمعنى المخلوق الا ان ضمير خلقه يرجع الى الذي وهو الرب تعالى وحينئذ يجب ان يختص كل شئ بما يحتاج اليه المخلوقات وينتفعون به فان الارتفاق هو الانتفاع ﴿قوله وقيل اعطى كل حيوان نظيره﴾ على ان كل شئ مفعول اوّل الا انه خص بالحيوان وخلقه بمعنى مخلوقه هو الثاني وضميره لكل شئ ويراد بمخلوق كل حيوان زوجه ومعنى الاختصاص المستفاد من الاضافة كونه نظيرا له في الخلقة ﴿قوله وقرئ خلقه﴾ اى بفتح اللام فعلا ماضيا وهذه الجملة يحتمل ان تكون في محل النصب على انها صفة كل او في محل الجر على انها صفة شئ وعلى هذه القراءة يكون المفعول الثاني محذوفا اما على وجه الاختصار اعتمادا على دلالة المقام عليه والمعنى اعطى كل شئ خلقه ما يحتاج اليه واما على وجه الاقتصار والمعنى ان كل شئ خلقه الله لم يخله من اعطائه وانعامه واقتصر الامام الواحدي في البسيط على هذا الوجه ولم يتعرض للاوّل كما اقتصر المصنف على الاوّل ولم يتعرض للثاني ﴿قوله ولذلك بهت الذي كفر﴾ لاتفاق العقلاء على ان العاقل لا يجوز ان يعتقد في نفسه انه خالق هذه السموات والارضين والشمس والقمر وانه خالق نفسه لانه يعلم بالضرورة عجزه عنها ويعلم بالضرورة انها كانت موجودة قبله فلذلك افحم فرعون ولم يتأت له ان يتعرض للدليل الذي اقامه

(موسى)

موسى عليه الصلاة والسلام على وجود الصانع القادر على كل شئ ويدل على كون هذه القضية مسلمة معلومة بالضرورة قول موسى ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى فان كلمة الذى تقتضى وصف المعرفة بجملة معلومة الانتساب اليها فلابد وان يكون مضمون الصلة معلوما مسلما عند فرعون الا انه كان يظهر الانكار تكبرا وزورا وبهتانا ويحتمل ان يكون جاهلا بربه بناء على كونه دهريا قائلا لاصانع سوى الدهر اصلا ويكون ادعاؤه الربوبية لنفسه بمعنى انه يجب عليهم طاعته والانقياد له والاعراض عن طاعة غيره ثم ان موسى لما ذكر دليلا ظاهرا وبرهانا باهرا على وجود الاله العليم القادر على كل شئ والحم فرعون من الدخل عليه قال معترضا على موسى فما بال القرون الاولى كقوم نوح وعاد وثمود فان اكثرهم لم يقروا بالله وبما دعوا اليه وانما عبدوا الاوثان فلو كان ماذكرته من الدليل حقا لوجب على اهل القرون الماضية ان لايغفلوا عنه فعارض الحجة بالتقليد وقال معترضا على موسى هكذا وهو اعتراض فاسد مبنى على التقليد المحض غير مستند الى حجة ودليل فلذلك لم يلتفت موسى الى قوله وقال علمها عند ربى ولم يتعلق غرضى باحوالهم ثم عاد الى تقوية كلامه الاول وابراز سائر الدلائل فقال الذى جعل لكم الارض الآية ﴿قوله علمها عند ربى﴾ جملة اسمية وقوله فى كتاب متعلق بمحذوف على انه خبر ثان اى علمها مستقر عند ربى مثبت فى اللوح المحفوظ اثبته فيه ليكون ما كتب فيه ظاهرا للملائكة فيكون ذلك زيادة لهم فى الاستدلال على انه تعالى عالم بكل المعلومات منزه عن السهو والغفلة * فان قيل علم الله تعالى صفة قائمة بذاته فكيف يكون مثبتا فى كتاب والصفة القائمة بالشئ لاتكون مثبتة فى غيره * فالجواب ان المراد باثباته اثبات متعلقاته التى هى الاحكام المعلومة به واشار المصنف الى جوابه بقوله ويجوز ان يكون تمثيلا اى يجوز ان لايكون المعنى ان علمها مثبت فى الكتاب حقيقة بل يكون قوله انه مثبت فى الكتاب استعارة تمثيلية شبه تمكن بال القرون الماضية فى علمه ببقاء المكتوب فى الكتاب فكأنه قيل ان بالها فى استقرار علمه عندالله بحيث لايزول شئ منها عن علمه تعالى كالشئ الذى استحفظه العالم وقيده بالكتبة فيكون المقصود بقوله فى كتاب تأكيد قوله علمها عند ربى ﴿قوله ويؤيده لايضل ربى ولاينسى﴾ فان الظاهر انه استئناف لامحل له من الاعراب جيئ به تعليلا لما سبق من استقرار حال القرون الاولى عنده تعالى استقرار الشئ المكتوب فى الكتاب ووجه التعليل انه عليه الصلاة والسلام لم يذكر مفعول لايضل ولاينسى ليعم الاشياء كلها فلما كان تعالى بحيث لايضل ولايخطئ شيأ من الاشياء بحيث لايهتدى اليه بل كانت بأسرها حاضرة عنده بذواتها لايغيب عنه شئ منها وماعلم من ذلك لاينساه ابدا ثبت بذلك ان علم احوال القرون الاولى مستقر عنده كأنه فى كتاب فيكون انتظام الكلام هكذا ان فرعون طلب بقوله فما بال القرون الاولى تفصيل ماسبق من قوله والسلام على من اتبع الهدى وان العذاب على من كذب وتولى فأجابه موسى بقوله علمها عند ربى وانهاهم ذلك مثبتة فى اللوح المحفوظ ايضا لحكمة لايعلمها الاهو او بقوله علمها عند ربى كأنها فى كتاب ثم علل احاطة علمه تعالى بها بقوله لايضل ربى اى لايخطئ ربى شيأ من الاشياء بمعنى انه عالم بكل المعلومات وماعلم منها لم ينسه ابدا بل يبقى ذلك العلم ابد الآباد وهذا على تقدير كون قوله لايضل ربى ولاينسى مستأنفا لامحل له من الاعراب ويحتمل ان يكون فى محل الجر على انه صفة لكتاب والعائد محذوف والتقدير فى كتاب لايضله ربى بحيث لايهتدى اليه اى لايخطئ ذلك الكتاب ربى ولاينساه اى لاينسى مافيه يقال ضلت الشئ اضله من باب ضرب وضللت الشئ اضله من باب علم وكلاهما لغتان مشهورتان واللغة الاولى اشهر ﴿قوله ويجوز ان يكون سؤاله دخلا﴾ عطف على قوله فلم ير الاصرف الكلام عنه اى عن السؤال عن ربهما من هو الى ان يسأل عن تفصيل حال الامم الماضية فانه لما سأل عن الاله بقوله فمن ربكما وكان سبيل الجواب عنه الاستدلال على وجوده بمادل عليه من الآثار التى لايقدر عليها الامن كان واجب الوجود لذاته مستجمعا لجميع صفات الاجلال والاكرام منزها عن سمات الحدوث والامكان واجاب عليه الصلاة والسلام بالاستدلال عليه بهت الكافر والحم عن الدخل على ماأقامه من الدليل وصرف الكلام الى وجه آخر على كونه متحيرا غير قادر على الدخل وقيل مابال القرون الاولى ليس مبنيا على كونه متحيرا عن الدخل بل اورده على طريق الدخل على قوله عليه الصلاة والسلام ربنا الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وتقرير الدخل ظاهر من تقرير المصنف ﴿قوله اى كالمهد تمهدونها﴾ التعريف فيه للعهد الذهنى فلذلك وصف بالجملة كما فى قوله ولقد أمر على اللئيم يسبنى * وصفه بها تنبيها على ان المهد وان كان بمعنى الممهود وهو المفروش المبسوط الا

(قال فما بال القرون الاولى) فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة (قال علمها عند ربى) اى انه غيب لايعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لااعلم منه الاما اخبرنى به (فى كتاب) مثبت فى اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه فى علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده (لايضل ربى ولاينسى) والضلال ان تخطئ الشئ فى مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لايخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعى علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادى مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم وباحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لايضل ولاينسى (الذى جعل لكم الارض مهدا) مرفوع صفة لربى او خبر لمحذوف اومنصوب على المدح قرأ الكوفيون مهدا اى كالمهد تمهدونها وهو مصدر سمى به والباقون مهادا وهو اسم مايمهد كالفراش او جمع مهد

انه مخصوص بما بسطه العباد ليقعدوا او يناموا عليه فلذلك كان قوله جعل لكم الارض مهدا من باب التشبيه البليغ والمهد والمهاد واحد من حيث ان المراد بكل واحد منهما مايمهد ويفرش ولافرق بينهما الا ان المهد في الاصل مصدر بمعنى الفرش والبسط سمى به الممهود والمهاد اسم في الاصل ويجوز ان يكون جمع مهد مثل كعب وكعاب وفرخ وفراخ ﴿ قوله وجعل لكم فيها ﴾ فان السلك ادخال الشئ في الشئ فالمعنى ادخل في الارض لاجلكم طرقا تسلكونها لتبلغوا الى مقاصدكم ﴿ قوله عدل به من لفظ الغيبة ﴾ يعني ان قوله فاخرجنا به من كلام موسى لكونه معطوفا على ماقبله بالفاء وماقبله من كلام موسى عليه الصلاة والسلام فيجب ان يكون ماعطف عليه من كلامه فلما كان من كلامه كان ينبغي ان يكون جاريا على اسلوب ماقبله بأن يقال فأخرج به الا انه عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم بناء على ان موسى سمع هذه الكلمات من الله تعالى بعينها فأدرجها في كلامه فحكاها كما هي على طريق الاقتباس ونكتة العدول عن مقتضى الظاهر الى طريق حكاية كلام الله بعينه كون هذا العدول ادل على كمال القدرة والحكمة بالنسبة الى ان يقال فأخرج به وايضا لما كان هذا العدول مشتملا على وضع ضمير الجمع موضع المفرد كما هو عادة الملوك في التعبير عن انفسهم وعلى وصف النبات الخارج به بالاختلاف والتشتت دل الكلام على انه ملك مطاع تنقاد المخلوقات على اختلافها وتفرقها لارادته ولما عدل موسى الى طريق الحكاية لكلام الله تعالى حكى الله تعالى كلامه لنبيه صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي ورد من موسى ﴿ قوله وعلى هذا نظائره ﴾ اى وعلى كون العدول من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم للتنبيه والايذان المذكورين قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها وقوله فأنبتنا به حدائق بلفظ التكلم بعد التعبير بلفظ الغيبة وان لم يكن العدول الى التكلم فيها على وجه الحكاية لكلام الله والوجه في كون العدول الى التكلم في مثل هذا المقام دالا على كمال القدرة والحكمة ان من اشتهر بالقدرة الفائقة والحذاقة القاهرة اذا قال من يفعل كذا فهم منه ان اثر القدرة الباهرة لايقدر عليه غير المتكلم والامر كذلك ههنا فان الماء واحد والارض واحدة والخرج مختلف ألوانها فلا يكون ذلك الايجاد قادر مختار لايمتنع شئ من ارادته ومشيئته ﴿ قوله فانه من حيث انه مصدر ﴾ جواب مايقال شتى جمع شتيت فكيف يصح ان يكون صفة لنبات ، وتقرير الجواب ان النبت والنبات وان سمى بكل واحد منهما النابت الا ان كل واحد منهما مصدر في الاصل الخ ﴿ قوله لذوى العقول ﴾ اشارة الى ان النهى جمع نهية كغرفة وغرف وفي الصحاح النهية بالضم واحدة النهى وهي العقول لانها تنهى عن القبيح ﴿ قوله واول مواد ابدانكم ﴾ فان بني آدم انما يتولدون من النطفة ودم الطمث وهما يتولدان من الاغذية والغذاء اما حيواني او نباتي والحيوان ينتهى الى النبات والنبات انما يحدث من امتزاج الماء والتراب فصح انه تعالى خلقنا منها وذلك لاينافي كوننا مخلوقين من النطفة ﴿ قوله بصرناه اياها او عرفناه صحتها ﴾ يعني يجوز ان يكون ارينا من الرؤية بمعنى الابصار وان يكون من الرؤية بمعنى المعرفة وعلى التقديرين اذا نقل الى باب الافعال تعدى الى مفعولين لكن الزم على الوجه الثاني حذف المضاف حيث قال عرفناه صحتها اى صحتها او صحة وجه الدلالة فيها ولاضرورة الى ارتكاب الحذف اذ لو قيل عرفناه آياتنا لاستقام المعنى ولايجوز ان يكون ارينا من الرؤية بمعنى العلم والا لزم حذف المفعول الثالث من باب اعلمت وهو غير جائز والآيات تتناول مايدل على الوحدانية ومايدل على النبوة فالذي يدل على التوحيد ماذكر في هذه السورة من قوله ربنا الذي اعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقوله الذي جعل لكم الارض مهدا الى قوله وفي سورة الشعراء قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض ومابينهما والذي يدل على صدق مدعى النبوة هي الآيات التسع المختصة بموسى عليه الصلاة والسلام وهي العصا واليد وفلق البحر والحجر والقمل والجراد والضفادع والدم ونتق الجبل واضاف تعالى ارادة الآيات الى نفسه مع ان المظهر لها هو موسى بناء على انه تعالى هو الذي اجراها على يده كما اضاف نفخ الروح الى نفسه حيث قال فنفخنا فيه من روحنا مع ان النفخ كان من جبريل عليه السلام ﴿ قوله كلها تأكيد لشمول الانواع ﴾ فان الجمع المضاف يفيد الشمول والاستغراق وكلها تأكيد لذلك الشمول والآيات انواع منها ايجاد المعدوم كايجاد الضوء من اليد ومنها اعدام الموجود كاعدام حبال السحرة ومنها تغيير الموجود كقلب العصا حية واعادتها عصاة ولما ورد ان يقال ان قوله كلها يفيد العموم والله تعالى ماأراه جميع الآيات لان من الآيات ما اظهرها على يد الانبياء الذين كانوا قبل موسى والذين كانوا بعده اجاب عنه اولا بان التعريف الحاصل باضافة الآيات للعهد والمعهود الآيات التسع المختصة بموسى

(وسلك لكم فيها سبلا) وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبرارى تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها (وانزل من السماء ماء) مطرا (فاخرجنا به) عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور مافيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أمّن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق (ازواجا) اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض (من نبات) بيان وصفة لازواجا وكذلك (شتى) ويحتمل ان يكون صفة لنبات فانه من حيث انه مصدر في الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اى متفرقات في الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال (كلوا وارعوا انعامكم) وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اى فاخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معدّيها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه (ان في ذلك لآيات لاولى النهى) لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية (منها خلقناكم) فان التراب اصل خلقة اول آبائكم واول مواد ابدانكم (وفيها نعيدكم) بالموت وتفكيك الاجزاء (ومنها نخرجكم تارة اخرى) بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها (ولقد أريناه آياتنا) بصرناه اياها او عرفناه صحتها (كلها) تأكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد بآياتنا آيات معهودة هي الآيات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام اراه آياته وعدّد عليه ما اوتى غيره من المعجزات

عليه الصلاة والسلام فتكون كلها شمول تلك الآيات وثانيا بانه عليه الصلاة والسلام اراه الآيات المختصة به واخبره بآيات غيره من الانبياء اجمالا وتفصيلا وما اخبره به فكأنه اراه لانه نبي صادق لافرق بين ماخبر عنه وبين ماراه عيانا وفيه بعد لان الاخبار بالشئ لايسمى اراءة الا بمجاز بعيد الا ان تجعل الاراءة بمعنى التعريف ﴿ قوله فكذب موسى وابى الايمان والطاعة ﴾ حذف مفعول كل واحد من كذب وابى اختصارا لكونه معلوما بدلالة المقام عليه ﴿ قوله فان الاخلاف لايلائم الزمان ﴾ علة لتفسير الموعد بالمصدر يعنى ان الموعد اما زمان او مكان او مصدر والاولان باطلان فتعين الثالث اما بطلانهما فلان قوله لانخلفه صفة لموعدا فلو كان اسم زمان او مكان لزم ان تعلق الاخلاف بالزمان او المكان والاخلاف انما تعلق بالوعد لابالزمان والمكان يقال اخلف وعده ولايقال اخلف زمانه او مكانه والجعل ههنا بمعنى التصيير وموعدا مفعول اوّل والظرف هو الثانى والجملة التى هى لانخلفه نحن ولا انت صفة لموعدا ونحن تأكيد مصحح لعطف على الضمير المرفوع المستتر فى نخلفه ومكانا منصوب بفعل دل عليه المصدر كانه قيل اجعل بيننا وبينك وعدا ثم قيل عدنا مكانه ﴿ قوله لانه ﴾ اى لايجوز انتصاب مكانا بنفس المصدر لانه وصف قبل العمل بقوله لانخلفه والمصدر اذا وصف قبل العمل لايعمل عند الجمهور لان معمول المصدر من تتمته ولايوصف الشئ الا بعد تمامه ﴿ قوله وعلى هذا ﴾ اى على تقدير ان ينتصب مكانا سوى بكونه بدلا من موعدا بان يقدر مكان مضاف الى موعدا يكون سؤال فرعون بقوله اجعل بيننا وبينك موعدا طباق جواب موسى بقوله موعدكم يوم الزينة * ولما ورد ان يقال انه ليس بطابق لسئول فرعون لان الموعد المذكور فى الجواب بمعنى زمان الوعد والا لما صح ان يخبر عنه بقوله يوم الزينة فقوله زمان وعدكم يوم الزينة كيف يطابق قول فرعون اجعل بيننا وبينك مكان وعده ذكر المصنف فى وجه صحة المطابقة احتمالين الاوّل ان الجواب وان لم يطابق السؤال لفظا الا انه يطابقه من حيث المعنى لانه عليه الصلاة والسلام لما اجابه بتعيين زمان الوعد بانه يوم الزينة فقد اجابه بتعيين مكانه ايضا لانهم لابد لهم ان يجتمعوا يوم الزينة فى مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه فى ذلك اليوم فالجواب بتعيين زمان الوعد بيان لمكانه ايضا كما اذا قلت لصاحبك اين اراك فقال يوم عرفة فقد اجابك بتعيين مكان الرؤية من حيث المعنى فكانه قال ترانى فى عرفات والاحتمال الثانى ان يقدر مضاف فى الجواب كما يقدر فى السؤال فكان فرعون لما قال اجعل بيننا مكان موعد اجاب بقوله مكان موعدكم مكان يوم الزينة وقدر المكان فى الخبر ايضا ليصح الاخبار عن مكان الوعد بانه يوم الزينة ﴿ قوله كما هو على الاوّل ﴾ اى كان انطباق الجواب على تقدير الاوّل باضمار والمراد بالوجه الاوّل ان يراد بقوله اجعل موعدا المصدر ولايقدر مكان مضاف بل ينتصب مكانا سوى بفعل دل عليه موعدا اى عدنا مكانا سوى فيكون مسئول فرعون على هذا الوجه ايضا مكان الوعد وايضا بجواب موسى بقوله موعدكم يوم الزينة لاينطبق على مسئوله الا باعتبار الاضمار ثم ان نظر الى قول فرعون عدنا مكانا فالطباق بان يقدر مكان موعدكم مكان يوم الزينة وان نظر الى قوله فاجعل بيننا وبينك موعدا فالطباق بان يقدر وعدكم وعد يوم الزينة وهذا اولى فليتأمل ﴿ قوله وهو ظاهر فى ان المراد بهما المصدر ﴾ اذ لو كان الموعد زمانا او مكانا لكان المعنى زمان وعدكم او مكانه واقع يوم الزينة فيلزم حصول الزمان او المكان فى الزمان وهو محال فتعين انه مصدر وحينئذ لابد من ان يقدر المضاف قبل موعدكم اذ ليس المراد ان نفس وعدكم واقع يوم الزينة لانه واقع قبل ذلك بل المراد ان انجاز موعدكم واقع يوم الزينة فيكون الجواب بالزمان والمطابقة من حيث المعنى لان المسئول عنه تعيين المكان من حيث ان قوله مكانا سوى منصوب بالفعل المدلول عليه بالمصدر ﴿ قوله وهو فى النعت ﴾ وفى الصحاح العدى بكسر العين الاعداء وهو جمع لانظير له قال ابن السكيت ولم يأت فعل فى النعوت الاحرف واحد يقال هؤلاء قوم عدى وقوم عدى اى اعداء مثل سوى وسوى بكسر العين وضمها ﴿ قوله عطف على اليوم او على الزينة ﴾ فعلى الاوّل يكون فى محل الرفع ويكون التقدير موعدكم يوم كذا وموعدكم ان يحشر الناس اى حشرهم وعلى الثانى يكون فى محل الجر اى موعدكم يوم الزينة ويوم ان يحشر الناس اى حشرهم وضحى منصوب على انه ظرف يحشر ﴿ قوله تعالى فتولى فرعون ﴾ اى اعرض عن قبول الحق وقيل ترك ما كان فيه من الشئون الا هذا الامر ويجوز ان يكون المعنى رجع من المكان الذى وقع فيه المواعدة ﴿ قوله بأن تدعوا ﴾ اى لسميوا آياته ومعجزاته سحرا فان من سماها سحرا فقد جعل الله تعالى ساحرا فيكون هذا افتراء على الله تعالى

(فكذب) موسى من فرط عناده (وابى) الايمان والطاعة لعتوه (قال أجئتنا لتخرجنا من ارضنا) ارض مصر (بسحرك ياموسى) هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لايقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه (فلنأتينك بسحر مثله) مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك موعدا) وعدا لقوله (لانخلفه نحن ولا انت) فان الاخلاف لايلائم الزمان والمكان وانتصاب (مكانا سوى) بفعل دل عليه المصدر لا به لانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب فى قوله (قال موعدكم يوم الزينة) من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه فى ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاوّل او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر فى ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافته الينا واليك وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم فى كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فى الاقطار (وان يحشر الناس ضحى) عطف على اليوم او على الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه (فتولى فرعون فجمع كيده) مايكاد به يعنى السحرة وآلاتهم (ثم اتى) بالموعد (قال لهم موسى ويلكم لاتفتروا على الله كذبا) بان تدعوا آياته سحرا (فيسحتكم بعذاب)

بان فعل السحر وانه ساحر تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ﴿ قوله فيهلككم ويستأصلكم ﴾ يقال سحته الله سحتا من باب فتح واسحته الله اسحاتا اذا اهلكه واستأصله واصل هذه المادة الدالة على الاستقصاء والنفاد ومنه سحت الحالق الشعر اى استقصاه ولم يترك منه شيأ ويستعمل فى الاهلاك والاذهاب ﴿ قوله حين سمعوا كلامه ﴾ وهو قوله لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى * واسرار السحرة نجواهم اخفاؤهم ما تناجوا بينهم عن فرعون قيل نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل هو قولهم ان كان موسى ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء كما قال فله الامر وقيل هو قولهم ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم والنجوى المناجاة والمكالمة سرا ﴿ قوله وقيل الضمير لفرعون وقومه ﴾ اى من السحرة وغيرهم وهو عطف على قوله اى تنازعت السحرة * وتلفيق الحديث ضم كلماته الى بعضها اختراعا من عند انفسهم من غير قصد الى حكاية ما فى الواقع واظهاره وبناء التفعيل فيه للتكلف يقال لفقت الثوب ألفقه اذا ضممت شقة منه الى اخرى فخطتهما واحاديث ملفقة اى اكاذيب مزخرفة ﴿ قوله على لغة بلحارث ﴾ بفتح الباء وسكون اللام اصله بنى الحارث حذف النون للتخفيف واوصل الباء بالحارث * واعلم ان القراء اختلفوا فى قراءة قوله تعالى ان هذان لساحران فقرأ ابن كثير وحده ان هذان بتخفيف ان وتشديد النون من هذانّ وحفص كذلك الا انه خفف نون هذان وقرأ ابو عمرو انّ بالتشديد وهذين بالياء وتخفيف نون هذين والباقون كذلك الا انهم قرأوا هذان بالالف فاما القراءة الاولى وهى قراءة ابن كثير وحفص فاصح معنى ولفظا وخطا وذلك انهما جعلا ان المخففة من الثقيلة فاهملت على ماهو الاصح لانها لا تعمل الا لمشابهة الفعل من وجوه ولما خففت زال الشبه اللفظى فلا تعمل فلا اشكال فى رفع هذان ولما اهملت كما هو الافصح من وجهيها خيف التباسها بالنافية فجيء باللام فارقة فى الخبر فهذان مبتدأ ولساحران خبره ووافقت خط المصحف فان رسم هذن بدون الالف قال ابو عبيدة رأيتها فى مصحف الامام عثمان هذن ليس فيها الف وهكذا رأيت رفع الاثنين فى ذلك المصحف باسقاط الالف واذا كتبوا النصب والجر كتبوه بالياء ولا يسقطونها وتشديد نون هذانّ من ابن كثير للفرق بين الاسماء المتمكنة وغير المتمكنة واما الكوفيون فعلى ان ان هنا نافية بمعنى ما هذان الا ساحران واللام بمعنى الا وهو خلاف مشهور وقد وافق تخريجهم هنا قراءة بعضهم ما هذان الا ساحران واما قراءة ابى عمرو فواضحة من حيث الاعراب والمعنى اما الاعراب فهذين اسم انّ المشددة وعلامة نصبه الياء ولساحران خبرها ودخلت اللام تأكيدا واما من حيث المعنى فانهم اثبتوا لهما السحر بالطاق اداة التأكيد لكل واحد من طرفى الجملة لكن فيها اشكال من حيث الخط وذلك انه رسم هذن بدون الف ولا ياء فاثباته بالياء زيادة على خط المصحف واما قراءة الباقين ان هذان فقد ذكر المصنف لها وجوها الاول ان هذان اسم انّ ولساحران خبرها وعلى هذا كان الظاهر ان يقرأ هذين كقراءة ابى عمرو الا انه قرئ بالالف على لغة بنى الحارث فانهم يجعلون الاسم المثنى كالمقصور فيثبتون ألفه فى جميع الاحوال ويقدرون اعرابه بالحركات ويقولون رأيت رجلان واشتريت ثوبان ويقلبون كل ياء ينفتح ماقبلها ألفا قال شاعرهم

* ان اباها وابا اباها * قد بلغا فى المجد غايتاها *

اى غايتيها وقيل انهم يفعلون ذلك فرارا الى الالف التى هى اخف حروف المد ويقولون كسرت يداه وركبت علاه يعنى يديه وعليه والوجه الثانى ان قوله هذان ليس اسم ان بل اسمها ضمير الشأن المحذوف وقوله هذان لساحران جملة اسمية فى محل الرفع على انها خبر ان اى انّ الشأن هذان لساحران وفيه ضعف من حيث انه يؤدى الى دخول لام الابتداء على خبر المبتدأ من غير ان يؤكد مضمون الجملة بان المكسورة ومثله لا يقع الا فى الضرورة كقوله

* ام الحليس لعجوز شهر به * ترضى من اللحم بعظم الرقبه *

والوجه الثالث أن انّ هنا ليست هى التى تنصب الاسم بل هى بمعنى نعم وهذان مبتدأ ولساحران خبره ومن ورود ان بمعنى نعم قوله

* بكر العواذل فى المشيـــب يلمننى والومهنه *
* ويقلن شيب قد علا * ك وقد كبرت فقلت انه *

اى فقلت نعم والهاء للسكت وروى ان اعرابيا اتى ابن الزبير يستجديه فلم يعطه شيأ فقال الاعرابى لعن الله ناقة حملتنى اليك فقال ابن الزبير انّ وراكبها اى نعم وراكبها وهذا مروى عن المبرد ﴿ قوله

فيهلككم ويستأصلكم وقرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز (وقد خاب من افترى) كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه (فتنازعوا امرهم بينهم) اى تنازعت السحرة فى امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم هذا ليس من كلام السحرة (وأسرّوا النجوى) بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا فى السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله (قالوا ان هذان لساحران) تفسير لاسروا النجوى كأنهم تشاوروا فى تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم ومابعدها مبتدأ وخبر

وفيهما ﴾ اى وفى الوجه الثانى والثالث ان لام الابتدآء لاتدخل خبر المبتدأ وانما تدخل على المبتدأ لكونها موضوعة لتأكيد موصوفية المبتدأ بالخبر وتلك الموصوفية لما كانت من احوال المبتدأ وجب ان تختص مايدل عليها بالمبتدأ لان العلة الموجبة للحكم فى محل لابد ان تكون مختصة بذلك المحل فوجب ان تختص لام الابتدآء بالمبتدأ ولاتدخل على الخبر ولا يرد ان يقال هذا الدليل يستلزم ان لاتدخل اللام على الخبر فيما اذا دخلت ان على المبتدأ لان ذلك لاجل الضرورة وهى امتناع اجتماع حرفى التأكيد على المبتدأ ولا ضرورة فيما اذا لم تدخل انّ على المبتدأ ﴿ قوله وقيل اصله ﴾ اى قيل فى جواب ماورد على الوجهين الاخيرين ان اللام ليست داخلة على خبر المبتدأ بل هى داخلة على المبتدأ المقدر وتقدير الكلام على الوجه الثانى ان الشأن هذان لهما ساحران وعلى الوجه الثالث نعم هذان لهما ساحران وتقدير قوله ام الحليس لعجوز ام الحليس لهى عجوز ورد المصنف هذا الجواب بان المؤكد بلام الابتدآء لايليق به الحذف لان الحذف ينافى الغرض المطلوب من التأكيد ﴿ قوله بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب ﴾ يعنى ان المثلى تأنيث الامثل وهو افضل الاشبه بالحق وان المراد بالطريقة المذهب الذى يسلكونه ويتدينون به وسموه بالطريقة المثلى والسنة الفضلى بناء على زعمهم فان كل حزب بما لديهم فرحون والزجاج جعل الآية من باب حذف المضاف اى ويذهبا بأهل طريقتكم المثلى وبجعلاهم اتباعا لانفسهما وقال الفرآء الطريقة الرجال الاشراف الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه ومنه قوله تعالى كنا طرآئق قددا اى كنا فرقا مختلفة الاهوآء والجوهرى القدد ايضا الطريقة والفرقة من الناس اذا كان هوى كل واحد على حدة والمقصود على التقديرين ان يغروا قومهم عن موسى وهرون بانهما يريدان ان يذهبا باشراف قومكم واكابركم وهم بنو اسرآئيل واخذوا هذا من قول موسى عليه الصلاة والسلام ارسل معنا بنى اسرآئيل وسموا بنى اسرآئيل بذلك لانهم كانوا اكثر القوم يومئذ علما وعددا واموالا وعلى التقادير الباء فى قوله بطريقتكم للتعدية واعلم انه تعالى لما ذكر ماأسروه من النجوى حكى عنهم ما اظهروه ومجموعه يدل على التنفير عن موسى ومتابعة دينه من وجوه احدها قولهم هذان لساحران وهذا طعن منهم فى معجزة موسى مبالغة فى التنفير عنه لان كل طبع سليم ينفر عن السحر ويستكره رؤية الساحر من حيث ان الانسان يعلم ان السحر تمويه وتلبيس لابقاء له ومن كان السحر مبنى امره يأبى كل احد عن اتباعه وثانيها قولهم يريدان أن يخرجاكم من ارضكم وهو يفيد نفرة عظيمة لان مفارقة المولد والمنشأ شديدة على القلوب وهذا هو الذى حكاه الله تعالى عن فرعون بقوله أجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ياموسى فكأن السحرة تلقفوا هذه الشبهة من فرعون ثم اعادوها على قومهم وثالثها قولهم ويذهبا بطريقتكم المثلى وهذا ايضا له تأثير شديد فى تنفير القلوب فان العدو اذا جاء واستولى على جميع ماتعززبه القوم من المذهب واشرافهم ومايرغبون فيه يكون ذلك فى نهاية المشقة على القلب ﴿ قوله فأزمعوه ﴾ اى فاعزموا عليه فان كل واحد من العزم والاجماع يتعدى بعلى يقال عزمت على كذا عزما وعزما بالضم والفتح وعزمة وعزيما اذا اردت فعله وقطعت عليه الا انه حذف صلة أجمعوا فى نظم التنزيل كما حذف صلة العزم فى قوله تعالى ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح فلذلك حذفها المصنف فى قوله فأزمعوه اى اعزموه وامان قرئ فاجمعوا بوصل الهمزة وفتح الميم من الجمع بمعنى لاتدعوا شيأ من كيدكم الاجئتم به فحينئذ لاحاجة الى اعتبار حذف الصلة فان جمع يتعدى بنفسه ﴿ قوله مصطفين ﴾ فيكون من قبيل تسمية المحل باسم الحال ﴿ قوله وهو اعتراض ﴾ يعنى ان قوله قد افلح اليوم من كلام الله تعالى جيء به بين كلامهم ومقولهم فهو اعتراض باعتبار كونه اجنبيا وقع بين كلامهم وفيه بحث لان الظاهر انه من كلامهم قالوا ذلك تحريضا لقومهم على الاجماع والاتفاق على كيدهم بالجد والاهتمام فلا اعتراض حينئذ ﴿ قوله تعالى قالوا ياموسى ﴾ استئناف جيء به لبيان ماادى اليه تواصيهم بالاجماع على كيدهم واتيان مكان الوعد ذوى صف اى فأتوا المكان وقالوا اما ان تلقى مامعك قبلنا واما ان نلقى مامعنا قبلك وهذا التخيير مع تقديمه عليه الصلاة والسلام فى الذكر حسن ادب منهم فلاجرم رزقهم الله تعالى الايمان ببركته ثم انه عليه الصلاة والسلام قابل ادبهم بأدب فقال بل ألقوا والظاهر انه عليه الصلاة والسلام امرهم بذلك ليظهر الفرق بين السحر وبين المعجزة الالهية كانه قال ألقوا انتم ماتلقون بالذى معكم وأن الله سيبطله وينصر رسوله ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه ﴿ قوله وتغيير النظم ﴾ مجرور بالعطف على قوله بذكر الاول فان مافى شقهم من الكلام ابلغ مما فى شقه عليه الصلاة والسلام من حيث ان زيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى

وفيهما ان اللام لاتدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لايليق به الحذف وقرأ ابو عمرو انّ هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هى المخففة واللام هى الفارقة او النافية واللام بمعنى الا (يريدان ان يخرجاكم من ارضكم) بالاستيلاء عليها (ويذهبا بطريقتكم المثلى) بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله انى اخاف ان يبدل دينكم وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرآئيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بنى اسرآئيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم (فأجمعوا كيدكم) فأزمعوه واجعلوه مجمعا عليه لايتخلف عنه واحد منكم وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير فى قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض (ثم ائتوا صفا) مصطفين لانه اهيب فى صدور الرآئين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة (وقد افلح اليوم من استعلى) فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض (قالوا ياموسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من ألقى) اى بعدما اتوا مراعاة للادب وأن بمابعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبر محذوف اى اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا (قال بل ألقوا) مقابلة أدب بأدب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول فى شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ

ولان يبرز واماهم ويستفدوا اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) اى فألقوا فاذا حبالهم وهى للمفاجأة والتحقيق انها ظرفية تستدعى متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك بانهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصى وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) فأضمر فيها خوفا من مفاجأته على ماهو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه (قلنا لا تخف) ماتوهمت (انك انت الاعلى) تعليل للنهى وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة القاهرة وصيغة التفضيل (وألق ما فى يمينك) ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اى لاتبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويدة التى فى يدك او تعظيما لها اى لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان فى يمينك ماهو اعظم منها اثرا فألقه (تلقف ما صنعوا) تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التأنيث والخطاب على اسناد الفعل الى المسبب وقرأ ابن عامر بالرفع على الحال او الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفه بمعنى تلقفه (ان ما صنعوا) ان الذى زوّروا وافتعلوا (كيد ساحر) وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائى سحر بمعنى ذى سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال (ولا يفلح الساحر) اى هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج

يوم ترى النفوس ما اعدّت * فى سعى دنيا طالما قد مدّت * كأنه قيل ان ما صنعوا كيد سحرى

قال المصنف قوله عليه الصلاة والسلام بل ألقوا بارىع على والاسعاف بالحاجة قضاؤها ﴿قوله ويستفدوا﴾ اى ويستفرغوا من نفد الشئ بالكسر نفادا اى فنى ﴿قوله فيدمغه﴾ تخييل لتشبيه الباطل بالخصم المتعصب فى مقام المجادلة يقال دمغه دمغا اذا شجه حتى بلغت الشجة الدماغ واسمها الدامغة ﴿قوله اى فألقوا فاذا حبالهم﴾ يعنى ان الفاء فى قوله تعالى فاذا حبالهم عطف بها عامل الظرف على جملة محذوفة دل عليها سوق الكلام فهى فاء فصيحة وقوله فألقوا معطوف على قوله قال بل ألقوا ﴿قوله والتحقيق انها ظرفية﴾ اى ان اذا المفاجأة كاذا الظرفية ظرف بمعنى الوقت لكنها خصت باسم آخر لاختصاصها بكون عاملها فعل المفاجأة فاضافة اذا الى المفاجأة لملابسة بينها وبين المفاجأة يقال فاجأه الموت اى اخذه بغتة وفاجأه السبع اى اتاه بغتة والجملة التى يضاف اليها اذا المفاجأة ابتدائية اى اسمية فانه لايقع بعدها الا المبتدأ والخبر فقوله حبالهم وعصيهم مبتدأ ويخيل خبره وانها تسعى مفعول يخيل اقيم مقام الفاعل اى يخيل اليه سعيها فان قرآءة الجمهور يخيل بضم الياء الاولى وفتح الثانية مبنيا للمفعول وقوله حبالهم وعصيهم يخيل لما اضيف اليه كلمة اذا صار فى حكم المفرد وهو تخيل حبالهم وعصيهم وكذا قوله انها تسعى لما كان مفعول يخيل صار فى معنى سعيها فاذا قدر فاجأ قبل كلمة اذا ما ملاقيها صار التقدير فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل حبالهم وعصيهم سعيها الا ان المصنف قال فى تقدير المعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخيل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم فأضاف تخيل الى مفعوله ولم يذكر فاعله واضاف السعى الى لفظ حبالهم وعصيهم بدل اضافته الى ضمير سعيها وهذا التصوير لاعراب نظم الآية والمعنى على تخيل مفاجأة موسى بالحبال والعصى مخيلة سعيها وعلق فعل المفاجأة فى تصوير المصنف بظرفه تعلقه بالمفعول به اتساعا فى التعلق مثل الاتساع فى اضافة اسم الفاعل الى الظرف فى قوله تعالى مالك يوم الدين اى انه تعالى مالك الامور كلها فى يوم الدين ﴿قوله وقرأ ابن عامر﴾ اى برواية ابن ذكوان تخيل بضم التاء الفوقانية على معنى تخيل الحبال والعصى وانها تسعى بدل اشتمال من المستكن فى تخيل وقرئ نخيل بنون العظمة على ان الله تعالى هو المخيل لاجل الامتحان والابتلاء وتخيل بفتح التاء والياء اصله تتخيل فحذف احدى التاءين كما فى قوله تعالى تنزل الملائكة اسند الفعل الى ضمير الحبال وانث لتأنيث جماعة الحبال والعصى وقوله انها تسعى بدل اشتمال من ذلك الضمير كما فى قرآءة تخيل بضم التاء وفتح الياء ﴿قوله مؤكدا بالاستئناف﴾ كأنه لما قيل له لاتخف سأل كيف لااخاف والحال يقتضى استشعار الخوف فاجيب انك انت الاعلى ووجه دلالة الاستئناف على التأكيد انه يدل على الاهتمام بشأن المستأنف منه ووجه دلالة تعريف الخبر عليه ان اللام لتعريف الجنس وقد دخلت على الخبر فافادت ان حقيقة العلو والغلبة مختصة بك لاتتعدى الى غيرك ﴿قوله تحقيرا لها﴾ كأنها لحقارتها لم يوضع لها اسم بل اكتفى فى التعبير عنها بلفظ اسم الجنس او النوع ووجه دلالة الابهام على التعظيم انه يدل على ان العصا بلغت فى الكمال وعظم الشأن الى الغاية التى تعجز العبارة عن بيان ماهيتها المخصوصة فلا يتأتى ان يعبر عنها الشئ من عوارضها العامة ﴿قوله تلقف﴾ قرآءة العامة بفتح اللام وتشديد القاف وجزم الفاء على انه جواب الامر وقرآءة حفص بسكون اللام وتخفيف القاف وقرئ تلقف بالرفع اما على الحال او الاستئناف وانث الفعل فى تلقف حملا على معنى ما لان معناها العصا ويحتمل ان يكون تلقف صيغة المفرد المذكر المخاطب ويكون المستتر فيه موسى ويسند اليه التلقف باعتبار كونه سببا له بالقاء العصا ﴿قوله على ان ما كافة﴾ تكفها وتمنع الحروف المشبهة من العمل وتصحح دخولها على الفعل فانها مادامت عاملة لاتدخل على الفعل ويحتمل ان تكون ما مصدرية والتقدير ان صنعهم كيد ساحر وذكر لقرآءة كيد ساحر ثلاثة اوجه الاول تقدير المضاف اى كيد ذى سحر والثانى تسمية الساحر سحرا على المبالغة فانه لكثرة ملابسته السحر وتوغله فيه صار كأنه نفس السحر والثالث انه من قبيل اضافة المبهم الى مميزه نحو مائة درهم وألف دينار او اضافة الجنس الى نوعه للبيان نحو علم فقه وعلم نحو فان الكيد وهو الحيلة تكون سحرا وغيره فأضيف الى السحر للبيان فكأنه قيل كيد هو سحر ﴿قوله وتنكير الاول﴾ مع ان القصد فيه ايضا الى الجنس وهو يقتضى تعريفه الا انه لو عرف لصار المضاف ايضا معرفة والمقصود تنكيره لان المراد به نوع من الكيد وهو السحر فنكر ليتوسل بتنكيره الى تنكير المضاف وتنكيره لاينافى ان يراد به الجنس كما نكر دنيا فى قوله فى سعى دنيا مع ان المراد بها المعلوم المعين لتنكير السعى اذ لو عرف الدنيا لصار السعى معرفة والمراد تنكيره اذ المعنى فى سعى ما دنيوى واوّله

الحمد لله الذى استقلت * باذنه السماء واطمأنت * باذنه الارض وماتعنت * اوحى لها القرار فاستقرت

(وشدها)

﴿ وشدها بالراسيات الثبت ﴾ ﴿ والجاعل الغيث غياث المسنت ﴾ ﴿ والجامع الناس ليوم الوقت ﴾
﴿ بعد الممات وهو محيي الموت ﴾ ﴿ يوم ترى النفوس ما اعدت ﴾ ﴿ من نزل اذا الامور غبت ﴾
﴿ في سعي دنيا طالما قد مدت ﴾

فقوله ماتعنت اى ماتعبت الارض بالمخالفة لله تعالى بل اطاعته حيث اوحى لها القرار يقال عنى بالكسر يعنى عناء اى تعب ونصب وعنته اناالعنية فعنى ويبعد ان يكون من تعنت وتصلب بمعنى قابل غيره طالبا زلته وقوله وما اعدت اى ماجعلته عدة وقوله من نزل بيان مااعدت وغبت الامور اى بلغت نهايتها وآخرها والمعنى اذا الامور بلغت اواخرها وقوله في سعي دنيا ظرف غبت اوظرف طال ان كانت ما في طالما مصدرية اى مدت في سعي دنيا يقول يوم القيامة ترى النفوس ماجعلته عدة من نزل يوم القيامة * حين تبلغ الامور اوآخرها وقد مدت * اى امهلت في جمعها وتهيئة اسبابها ﴿ قوله حيث كان واين اقبل ﴾ فان الذهاب والاتيان يعبر بهما عن الكون والاقبال يقال اينما ذهبت واتيت فانت كذا اى اينما كنت واقبلت ﴿ قوله فالقاهم ذلك ﴾ اى تحقق ان ما اظهره موسى عليه الصلاة والسلام ليس بسحر بل هو معجزة آلهية والاعتاب الرجوع عما كان عليه من الاساءة الى الاسترضاء والاطاعة * والروى آخر الحروف من فواصل الآية قيل لما القى موسى عصاه فاذاهى اعظم من حبالهم ثم اخذت تزداد عظما حتى ملأت الوادى ثم صعدت حتى علقت ذنبها اطراف القبة وكانت ضربت لفرعون قبة يجلس فيها وينظر اليهم وكان طول القبة سبعين ذراعا ثم هبطت فأكلت كل ماعملوا من الكيد والناس ينظرون اليها لايحسبون الا انها سحر ثم اقبلت نحو فرعون لتبتلعه فاتحة فاها ثمانين ذراعا فصاح فرعون بموسى فاخذها فاذاهى عصا كما كانت ونظر السحرة فاذاهى لم تدع من حبالهم وعصيهم شيأ الا اكلته فعرفوا بذلك انه ليس بسحر وقالوا لوكانت سحرا لبقيت الاشياء واستدلوا بتغير احوال الاجسام على وجود الصانع العالم القادر فان كل عاقل يعلم بالضرورة انه لايقدر على ايجاد الحيوان من الجماد وتعظيم جثتها بجملة واحدة ثم تصغيرها وتصييرها كما كانت بجملة واحدة الا الاله القادر على كل شئ واستدلوا بظهورها على يد موسى على كونه رسولا صادقا من عنده تعالى فلاجرم تابوا وآمنوا وأتوا بما هو النهاية في الخضوع وهو السجود قال الزمخشرى ما اعجب امرهم ألقوا حبالهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود ولما خاف فرعون ان يصير ذلك سببا لاقتداء سائر الناس بهم في الايمان بالله ورسوله ألقى لهم في الحال شبهتين الشبهة الاولى قوله لهم آمنتم له قبل ان آذن لكم يعنى انكم اعتقدتم في الايمان به والاتباع له على اول خاطر خطر بالكم من غير بحث ومناظرة وامعان مرة بعد اخرى في امره فلم يكن ايمانكم عن بصيرة والشبهة الثانية انه لكبيركم في هذا السحر فتواطئتم على ان تظهروا العجز عن معارضته ترويجا لامره وتعظيما لشأنه ثم هددهم صرفا لهم عن الايمان وتنفيرا لغيرهم عن الاقتداء بهم فقال لاقطعن ايديكم الآية وبناء التقطيع والتصليب لتكثير المفعول ﴿ قوله كأن القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو ﴾ فان القطع لما ابتدئ من العضو الذى هو موضع الخلاف صار كأنه قد ابتدئ من نفس الخلاف لما بين الخلاف وموضعه من الملابسة ﴿ قوله بالتخفيف ﴾ اى تخفيف عين الفعل على انه ثلاثى لابتثقيله للتكثير ﴿ قوله شبه تمكن المصلوب بالجذوع ﴾ اى في الجذوع جواب عما يقال ان فعل الصلب يتعدى الى المفعول الثانى بعلى فلم عدى ههنا بكلمة في وتقرير الجواب ان الكلام ههنا من قبيل الاستعارة التبعية شبه متعلق كلمة على وهو التمكن بطريق الاستعلاء بمتعلق كلمة في وهو التمكن بطريق الظرفية ثم استعير التمكن المشبه به للتمكن المشبه استعارة اصلية فاستعمل في التمكن المشبه كلمة في الموضوعة لدلالة على تمكن الظرفية الذى هو المشبه به فجرت الاستعارة اولا واصالة في تمكن الظرفية وتبعية في كلمة في الدالة عليه ﴿ قوله لقوله آمنتم له ﴾ يعنى انه يدل على ان المراد من قوله اينا اشد نفسه الخبيثة وموسى عليه الصلاة والسلام لان معنى آمنتم له اى لاجله وبسببه لانكم خفتم على انفسكم ان يعذبكم ان لم تؤمنوا له ﴿ قوله وقيل رب موسى ﴾ اى قيل يريد نفسه ورب موسى فالمعنى وتعلمن ايها السحرة اينا اقدر على ايمانكم رب موسى او رب موسى على تركتكم الايمان به اشد عذابا لكم وأدوم * فان قيل كيف يعقل من فرعون ان يهدد السحرة ويبالغ في وعيدهم الى هذا الحد ويستهزئ بموسى ويقول اينا اشد عذابا مع قرب عهده بمشاهدة انقلاب العصا حية وماتهاهى الآثار الهائلة حتى انها قصدت ابتلاع قبة فرعون واضطر هو الى ان استغاث بموسى من شر ذلك الثعبان فمع قرب عهده بذلك يبعد منه ان يتجاسر على ما ذكر من التهور واجيب بانه يجوز ان يكون اشد الخوف في قلبه ومع ذلك كان يظهر

(حيث اتى) حيث كان واين اقبل (فالقى السحرة سجدا) اى فالقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما رأوا (قالوا آمنا برب هرون وموسى) قدم هرون لكبر سنه اولروى الآية اولان فرعون ربى موسى في صغره فلوا قتصر على موسى اوقدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روى انهم رأوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها (قال آمنتم له) اى لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع (قبل ان آذن لكم) في الايمان له (انه لكبيركم) لعظيمكم في فنكم واعلمكم به اولأستاذكم (الذى علمكم السحر) وانتم تواطأتم على ما فعلتم (فلأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف) اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها في موضع النصب على الحال اى لأقطعنها مختلفات وقرئ لأقطعن ولأصلبن بالتخفيف (ولأصلبنكم في جذوع النخل) شبه تمكن المصلوب بالجذوع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب (ولتعلمن اينا) يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزؤ به فانه لم يكن من التعذيب في شئ وقيل رب موسى الذى آمنوا به (اشد عذابا وابقى) وأدوم عذابا

(قالوا لن نؤثرك) لن نختارك (على ماجاءنا) موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيما (من البينات) المعجزات الواضحات (والذى فطرنا) عطف على ماجاءنا او قسم (فاقض ماانت قاض) ماانت قاضيه اى صانعه او حاكم به (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) انما تصنع ماتهواه او تحكم بماتراه فى هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لماقبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة كقولك صيم يوم الجمعة (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) من الكفر والمعاصى (وما اكرهتنا عليه من السحر) فى معارضة المعجز روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ماهذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا ان يعارضوه (والله خير وابقى) جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا (انه) ان الامر (من يأت ربه مجرما) بان يموت على كفره وعصيانه (فان له جهنم لايموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة مهناة (ومن يأته مؤمنا قدعمل الصالحات) فى الدنيا (فاولئك لهم الدرجات العلى) المنازل الرفيعة (جنات عدن) بدل من الدرجات (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها) حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار (وذلك جزآء من تزكى) تطهر من ادناس الكفر والمعاصى والآيات الثلاث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون ابتدآء كلام الله (ولقد اوحينا الى موسى ان أسر بعبادى) اى من مصر (فاضرب لهم طريقا) فاجعل لهم من قولهم ضرب له فى ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله (فى البحر يبسا) يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتى جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله

كأن قتود رحلى حين ضمت ＊ حوالب غرزا ومعى جياعا

او لتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا (لاتخاف دركا) حال من المأمور اى آمنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لاتخف على انه جواب الامر (ولا تخشى) استئناف اى وانت لاتخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لاتخشى الغرق

﴿ قوله لن نختارك ﴾ اى لن نختار طاعتك والايمان بك وهذا يدل على ان فرعون طلب منهم الرجوع عن الايمان والافعل بهم ماأوعدهم به فأجابوه بمايدل على حصول اليقين التام والبصيرة الكاملة فى اصول الدين وانهم لايؤثرون رضى المخلوق المستوجب معصية الخالق و عقابه الدآئم لامضار الدنيا لاتصد العاقل عن الثبات على مايؤدى الى سعادة الآخرة ﴿ قوله وقرئ تقضى ﴾ على البناء للمفعول ورفع الحياة ووجهها ان الحياة فى القرآءة المشهورة لما انتصب على القرآءة التى فى الظرف باجرآئه مجرى المفعول به كقولك فى صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة لماعلم السحرة انهم متى أصروا على الايمان اوقع بهم فرعون ماأوعدهم به قالوا اقض ماانت قاض لاعلى وجه الامر لكن اظهروا به ان ذلك الوعيد لايصدهم عن الايمان البتة ثم بينوا ما لاجله يسهل عليهم احتمال ذلك فقالوا انما تقضى هذه الحياة الدنيا اى قضاؤك و حكمك انما يكون فى هذه الحياة الدنيا وهى فانية تزول عن قريب ومطلوبنا سعادة الآخرة وهى باقية والعقل يقتضى تحمل الضرر الفانى للتوصل الى السعادة الباقية ﴿ قوله وما اكرهتنا عليه من السحر فى معارضة المعجزة ﴾ يعنى انهم وان كانوا سحرة يعلمون السحر باختيارهم الا انهم كانوا مكرهين فى الحضور واظهار السحر على طريق معارضة المعجزة بدليل قوله وابعث فى المدآئن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فانه يدل على انهم حضروا وفعلوا مافعلوا بالحشر والاكراه وايضا انهم لما رأوا ان العصا تحفظه وهو نائم أبوا أن يعارضوه وقالوا ماهذا سحر فحملهم فرعون كرها على ان يعارضوه ﴿ قوله حياة مهناة ﴾ اى حياة تعد نعمة فيهنأ بها ﴿ قوله قدعمل الصالحات ﴾ يدل على ان الجزآء الموعود انما يكون ان كان آتيا بكل الصالحات وذلك غير معتبر بالاتفاق ولا ممكن فينبغى ان يحمل ذلك على ادآء الواجبات ﴿ قوله والآيات الثلاث ﴾ وهى قوله تعالى انه من يأت ربه مجرما الى قوله تزكى يحتمل ان تكون من تمام قول السحرة ختموا كلامهم بشرح احوال المجرمين واحوال المؤمنين فى عرصة القيامة والهاء فى انه ضمير الشأن والجملة الشرطية خبرها ومجرما حال من فاعل يأت وقوله لايموت يجوز ان يكون حالا من الهاء فى له وان يكون حالا من جهنم لاشتماله على ضمير كل واحد منهما ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لمابالغ فى دعوة فرعون وأراه الآيات التابعة التى اظهرها الله تعالى على يده فلم يزد الاعتوا وعنادا اوحى الله اليه ان أخرج بنى اسرآئيل ليلا فان السرى سير الليل والاسرآء مثله ﴿ قوله فاجعل لهم ﴾ يعنى ان طريقا منصوب على انه مفعول به لقوله فاضرب بناء على انه بمعنى اجعل او اتخذ والمعنى اجعل لاجل عبورهم طريقا فى البحر يبسا ليس فيه ماء ولاطين ولا ندوة ﴿ قوله وصف به الواحد مبالغة ﴾ جعل الطريق لفرط يبسها كاشياء يابسة كما جعل المعى لفرط جوعه كجماعة جياع او لان المراد بقوله طريقا الجنس وهو فى حكم الجمع لتعدده معنى لاصيغة على ماروى ان البحر انفلق فصار فيه اثناعشر طريقا لكل سبط طريق ﴿ قوله كأن قتود رحلى حين ضمت ＊ حوالب غرزا ومعى جياعا ﴾ وبعده قوله

على وحشية خذلت خلوج ＊ وكان لها طلا طفل فضاعا
فكرت تبتغيه فصادفته ＊ على دمه ومصرعه السباعا

القتود جمع قتد على خلاف القياس والقتد خشب الرحل والحوالب عروق الضرع وهما حالبان اى عرقان مكتنفان بالسرة وضمت بفتح الضاد اى ضربت يقال ضمه بالعصا اذا ضربه بها وحوالب مفعول ضمت وغرزا صفة حوالب بتقدير المضاف اى ضربت ذات حوالب والغرز بتقديم المهملة على المعجمة جمع غارزة وهى من النوق القليلة اللبن والغزيرة بتقديم المعجمة هى التى كثر لبنها وعلى وحشية خبر كأن وخذلت اى تأخرت قال الاصمعى اذا تخلف الظبى عن القطيع قيل خذل والخلوج من النوق التى اختلج عنها ولدها فقل لذلك لبنها والطلا الولد من ذوات الظلف والسباع منصوب بمضمر يفسره قوله صادفته شبه حالة قتود رحله حين وضعت على ناقته الموصوفة بالضمور بحالة وضعها على وحشية فقدت ولدها على طريق تشبيه الهيئة بالهيئة ﴿ قوله حال من المأمور ﴾ اى من فاعل اضرب اى اضرب غير خائف او صفة ثانية لطريقا والعائد محذوف اى لاتخاف فيه والدرك والدرك اسمان من ادرك اى لايدركك فرعون وجنوده ومن قرأ لاتخاف مرفوعا جعل قوله ولاتخشى باثبات الالف معطوفا عليه اى لاتخاف ادراك فرعون ولاتخشى الغرق واما من قرأ لاتخف مجزوما فانه لم يقرأ قوله ولاتخشى الا باثبات الالف فذكر المصنف فى توجيه اثباتها ثلاثة اوجه الاول انه كلام مستأنف منقطع عماقبله اخبر الله تعالى

به انه لا يحصل له خوف والواو استئنافية والثاني انه مجزوم بالعطف على المجزوم قبله وعلامة جزمه سقوط لام الفعل المعتلة وهذه الالف ليست لام الكلمة وانما هي الف اشباع اتى بها موافقة للفواصل ورؤوس الآي فهي كالالف فى قوله الرسولا والسبيلا والظنونا والثالث انه حال من فاعل لاتخف على حذف المبتدأ اى وانت لاتخشى الغرق وانما احتيج الى تأويل الجملة الحالية بالاسمية لان المضارع المنفى بلا كالمثبت فى عدم مباشرة الواو له ﴿قوله والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه﴾ على ان أتبع متعد الى اثنين حذف ماهو الثانى فى الذكر والباء فى قوله بجنوده للابسة والمصاحبة وهى مع المجرور فى محل النصب على انه حال من المفعول المحذوف وقرئ فاتبعهم بتشديد التاء فيتعدى بنفسه الى واحد ويتعدى بالباء الى آخر وقيل الباء زائدة فى المفعول الثانى والتقدير فأتبعهم فرعون جنوده كما فى قوله لاتأخذ بلحيتى وقوله أسرى بعبده ﴿قوله وذادهم خلفهم﴾ اى ساق جنوده خلف موسى وقومه فان الذود السوق يقال ذدت الابل اى سقتها ﴿قوله وفيه﴾ اى فى ابهام فاعل غشيهم مبالغة وتعظيم لما اصابهم وسترهم من اليم مع وجازة اللفظ واختصاره ومن فى قوله من اليم للتبعيض ولا ينافيه تعظيم ماغشيهم وقيل بل المعنى علاهم وسترهم من ماء البحر قدر ماغرقهم فيكون الابهام للتحقير ﴿قوله والفاعل هو الله او فرعون﴾ وعلى هذين التقديرين يكون ماغشاهم مفعولا ثانيا ﴿قوله وهو تهكم به﴾ التهكم ان يؤتى بعبارة والمقصود عكس معناها فقوله تعالى وماهدى اى ماهدى قومه يدل على كونه مهتديا عالما بطريق الهداية الا ان هدايته لم تتعلق بقومه وفرعون مع كونه رئيس الضالين كيف يتوهم كونه مهتديا عالما بطريق الهداية فيكون مايدل على ذلك تهكما فى حقه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما امر الله تعالى موسى ان يقطع بقومه البحر وكان بنو اسرآئيل استعاروا من قوم فرعون الحلى والدواب لعيد يخرجون اليه فخرج بهم ليلا وهم ستمائة الف وثلاثة آلاف ونيف ليس فيهم ابن ستين ولا عشرين وقد كان يوسف عليه الصلاة والسلام عهد اليهم عند موته ان يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عجوز على موضع العظام فأخذوها وقال موسى عليه الصلاة والسلام للعجوز احتكمى فقالت اكون معك فى الجنة فلما خرجوا تبعهم فرعون وعلى مقدمته ألف الف وخمسمائة ألف سوى الجناحين والقلب فلما انتهى موسى الى البحر قال هنا امرت فأوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فقال لهم موسى ادخلوا فيه فقالوا كيف وهى طرق رطبة فدعا ربه فهبت الصبا فجفت فقالوا نخاف الغرق فى بعضنا فجعل بينهم كوى حتى يرى بعضهم بعضا ثم دخلوا حتى جاوزوا واقبل فرعون الى تلك الطرق فقال قومه له ان موسى قد سحر البحر فصار البحر كما ترى وكان على فرس حصان واقبل جبريل عليه الصلاة والسلام بين يدى فرعون على فرس حجر وهى الانثى من الخيل فابصر الحصان الحجر فاقتحم بفرعون على اثرها وصاحت الملائكة فى الناس الحقوا فرعون حتى اذا دخل آخرهم وكاد اولهم يخرج التقى البحر عليهم فغرقوا فسمع بنو اسرآئيل خفقة البحر عليهم فقالوا ماهذا ياموسى قال اغرق الله فرعون وقومه فرجعوا حتى ينظروا اليهم وقالوا ياموسى ادع الله حتى يخرجهم لنا فننظر اليهم فدعا فلفظهم البحر الى الساحل واصابوا من سلاحهم وروى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما ضرب بعصاه البحر حصل اثنا عشر طريقا يابسا وبقى الماء قائما بين كل طريقين كالطود العظيم وهو الجبل فأخذ كل سبط من بنى اسرآئيل فى طريق من هذه الطرق كما قال تعالى فصار كل فرق كالطود العظيم ومنهم من قال انما حصل طريق واحدة لقوله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا ويمكن حمله على الجنس وقوله الايمن منصوب على انه نعت للجانب وجانب مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اى اتيان جانبه الذى هو على يمين السالك من مصر الى الشام قال المفسرون ليس للجبل يمين ولا يسار بل المراد ان طور سينا عن يمين من انطلق من مصر الى الشام وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب او على انه نعت للطور ووصف بذلك لما فيه من اليمن ﴿قوله للاينة﴾ اى للابنة المواعدة بهم من حيث انه تعالى وعد موسى وحده او وعده مع النقباء السبعين ان يأتوا جانب الطور الايمن فيكلم موسى ويعطيه التوراة لاجل بنى اسرآئيل وبيان دينهم وشرح شريعتهم لما انعم الله تعالى على قوم موسى بانواع النعم ذكرهم تلك النعم وحثهم على شكرها وقدم منها ازالة المضرة لكون النافع لاينتفع بها مع المضرة فقال قد انجيناكم من عدوكم ثم ثنى بذكر المنفعة الدينية وهو قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن ثم ثلث بذكر المنفعة الدنيوية وهى قوله وانزلنا عليكم المن والسلوى ثم زجرهم عن العصيان بقوله ولا تطغوا فيه ثم بين ان من عصى ثم تاب كان مقبولا عند الله ﴿قوله لذآئذه﴾ يعنى المراد بالطيبات امامايستطيبه الطبع من لذآئذ الاطعمة كالمن والسلوى

(فأتبعهم فرعون بجنوده) وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فأخبر فرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فأتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثانى وقيل فأتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القرآءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فأتبعهم جنوده وذادهم خلفهم (فغشيهم من اليم ماغشيهم) الضمير لجنوده اوله ولهم وفيه مبالغة ووجازة اى غشيهم ماسمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ماغشاهم اى غطاهم ماغطاهم والفاعل هو الله تعالى او ماغشاهم او فرعون لانه الذى ورطهم للهلاك (واضل فرعون قومه وماهدى) اى اضلهم فى الدين وماهداهم وهو تهكم به فى قوله وماهديكم الا سبيل الرشاد او أضلهم فى البحر وما نجا (يابنى اسرآئيل) خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم بمافعل بآبائهم (قد انجيناكم من عدوكم) فرعون وقومه (وواعدناكم جانب الطور الايمن) لمناجاة موسى وانزال التوراة عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهى لموسى اوله وللسبعين المختارين للابنة (وانزلنا عليكم المن والسلوى) يعنى فى التيه (كلوا من طيبات مارزقناكم) لذآئذه او حلاله وقرأ حمزة والكسائى انجيتكم وواعدتكم مارزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر

(ولا تطغوا فيه) فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حدّه الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق (فيحل عليكم غضبي) فيلزمكم عذابي ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) فقد تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل (واني لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن) بما يجب الايمان به (وعمل صالحا ثم اهتدى) ثم استقام على الهدى المذكور (وما اعجلك عن قومك ياموسى) سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة في نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم (قال هم اولاء على اثرى) ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم الرفقة بها بعضهم بعضا (وعجلت اليك رب لترضى) فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك (قال فانا قد فتنا قومك من بعدك) ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر ألفا (واضلهم السامري) باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اي اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا فان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها بأيامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس في الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشيء ان يكون في علمه ومقتضى مشيئته والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرآئيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى الى قومه) بعدما استوفى الاربعين واخذ التوراة (غضبان) عليهم (اسفا) حزينا بما فعلوا (قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور (أفطال عليكم العهد) اي الزمان يعني زمان مفارقته لهم (ام اردتم ان يحل عليكم) يجب عليكم (غضب من ربكم) بعبادة ما هو مثل في الغباوة (فاخلفتم موعدى) وعدكم اياى بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا وجدت الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذي يليه ولا جوابهم له

(الاحتمال)

او يستطيبه الشرع كالحلالات التي من جملتها المنّ والسلوى فانهما مما انزلهما الله تعالى عليهم ولم تمسهما ايدى الآدميين ﴿قوله فيلزمكم عذابي﴾ هذا المعنى على ان يقرأ يحل بكسر الحاء فان قرآءة العامة بكسر الحاء في الاول وكسر اللام الاولى في الثانية على انهما من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن قرأهما بالضم جعلهما من حل بمعنى نزل وقوله تعالى وما اعجلك عن قومك ياموسى متصل بقوله وواعدناكم جانب الطور الايمن واضمر ههنا فتعجل موسى وقال الله وما اعجلك دلت الآية على انه تعالى امره بحضور الميقات مع قوم مخصوصين فقال المفسرون هم السبعون الذين اختارهم الله تعالى من جملة بني اسرآئيل يذهبون معه الى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم موسى عليه الصلاة والسلام ثم تعجل من بينهم شوقا الى مناجاة ربه وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه الى الجبل فالمراد بقوله القوم السبعون وهو عليه الصلاة والسلام لم يكن ممنوعا عن التقدم عليهم وما وجد نص يدل على المنع عن ذلك ولا على الاجتماع معهم في المجئ ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه بناء على اجتهاده ان ذلك اقرب الى رضى الله تعالى فاخطأ في ذلك الاجتهاد من حيث ان العجلة نقيصة في نفسها وقد انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فاستوجب العتاب لذلك فقال اعجلك اي اي شيء اعجلك اذا تركته على ذكر ما لتو لماورد ان يقال قوله وما اعجلك عن قومك سؤال عن سبب العجلة فكان المطابق في الجواب ان يقال عجلت اليك طلبا لزيادة رضاك او شوقا الى كلامك او مسارعة الى تنجيز موعودك الذي هو اتيان الجانب الايمن من الطور ونحو ذلك والجواب بقولهم اولاء على اثرى لا يطابقه ظاهرا اشار الى الجواب عنه بقوله سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها يعني انه لما تضمن الانكار قدم الذب عما انكر عليه فابتدأ به لكون الاعتذار عنه اهم بالنسبة الى بيان السبب ﴿قوله ابتليناهم بعبادة العجل﴾ يعني ان المراد بالفتنة المحنة التي فيها شدة وبلاء والمعنى ألقينا قومك الذين خلفتهم مع هرون في محنة وفتنة بعبادة العجل وخلقنا فيهم الكفر والضلال لسوء اختيارهم وميلهم الى جانب التقليد والهوى وعدم اتباعهم الدلائل القاطعة التي اقامها صاحب المعجزات القاهرة واسند الاضلال الى السامري لانه كان سبب ضلالهم حيث اتخذ لهم العجل ودعاهم الى عبادته وقال هذا الهكم واله موسى والا لم يملك احد اضلال احد واسند الفتن الى نفسه لانه خالق الاعيان والاعراض بأسرها والسامري انما باشر ما يؤدي الى تكوّن العجل من الذهب والحلى والله تعالى هو الذي جعله جسدا ملتبسا بلحم ودم ونفخ فيه الروح وجعل له خوارا فلذلك وجه اضافة الفتن اليه تعالى وقرأ العامة واضلهم السامري على انه فعل ماض مسند الى السامري وقرئ اضلهم مرفوعا بالابتداء وهو افعل تفضيل بمعنى اشدهم ضلالا والسامري خبره ﴿قوله اذ ليس في الآية ما يدل عليه﴾ تعليل لعدم القطع بصحة ما ذكر من الامرين الذين اولهما انهم اقاموا على الدين الذي تركهم موسى عليه الصلاة والسلام عليه حين انطلاقه الى الجبل عشرين ليلة ثم ارتدوا بعبادة العجل وثانيهما كون خطاب قد فتنا قومك متوجها اليه عند قدومه الى الطور قبل وقوع الفتن به ثم قال ان صح هذان الامران وكان خطاب قد فتنا قومك بلفظ الماضي واقعا قبل وقوع الفتن بعشرين ليلة كان وجه التوفيق بينهما انه تعالى اخبر عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته كقوله ونادى اصحاب الجنة ﴿قوله وكان منافقا﴾ اي آمن بموسى ظاهرا وكان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر راسخا في نفسه والظاهر ان كلمة ام في قوله تعالى ام اردتم متصلة معادلة لهمزة الاستفهام والمعنى أفطال عليكم زمان مفارقتي فنسيتم ما امرتكم به ووعدتم اياي من الثبات على ديني الى ان ارجع اليكم من الطور بسبب طول الزمان ام تعمدتم فعل ما يكون سببا لمعصية ربكم اي لعقابه فاخلفتم لذلك موعدكم اياي فكأنه قيل انسيتم ذلك الوعد ام تعمدتم المعصية المؤدية الى غضب ربكم وقوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم لا يمكن اجراؤه على الظاهر لان احدا لا يريد ذلك ولكن المعصية لما كانت توجب ذلك ومريد السبب مريد للمسبب بالعرض صح هذا الكلام والمصنف جعل الوعد في قوله فاخلفتم موعدى مصدرا مضافا الى مفعوله ولم يرض باحتمال كونه مضافا الى فاعله على معنى فوجدتم الخلف في وعدي لكم بالعود بعد الاربعين ذي القعدة بتمامه وعشر ذي الحجة ملتبسا بكتاب منزل من ربكم فيه شرح دينكم وبيان الشرآئع والاحكام بناء على ان هذا الاحتمال لا يناسب ترتيب قوله فاخلفتم موعدى على ما ذكره من الترديد لطالب سبب وقوعهم في الفتنة فلو جعل المصدر مضافا الى فاعله لما كان في الترديد لطلب سبب وقوعهم في الفتنة وجه وايضا ذلك الاحتمال لا يناسب قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فان تعمدهم المعصية لا يصلح سببا لكونه عليه الصلاة والسلام مخلف وعده اياهم بالعود بعد الاربعين وايضا ذلك

(قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا) بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسوّل لنا السامرى لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائى بالضم وثلاثها فى الاصل لغات فى مصدر ملكت الشئ (ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم) حملنا احمالا من حلىّ القبطى التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردّوا عند الخروج مخافة ان يعلموا به وقيل هى ما ألقاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فأخذوه ولعلهم سموها اوزارا لانها 《 ٣٢٩ 》 آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربى (فقذفناها) اى فى النار (فكذلك ألقى السامرى) اى ما كان معه منها روى انهم لما حسبوا ان العدّة قد كملت قال لهم السامرى انما اخلف موسى ميعادكم لما معكم من حلىّ القوم وهو حرام عليكم فالرأى ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر وروح حملنا بالفتح والتخفيف (فأخرج لهم عجلا جسدا) من تلك الحلىّ المذابة (له خوار) صوت العجل (فقالوا) يعنى السامرى ومن افتتن به اوّل ما رأوه (هذا الهكم واله موسى فنسى) اى فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسى السامرى اى ترك ما كان عليه من اظهار الايمان (أفلا يرون) أفلا يعلمون (ان لا يرجع اليهم قولا) انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يردّ عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان أن الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين (ولا يملك لهم ضرّا ولا نفعا) ولا يقدر على انفاعهم واضرارهم (ولقد قال لهم هرون من قبل) من قبل رجوع موسى او قول السامرى كأنه اوّل ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم (ياقوم انما فتنتم به) بالعجل (وان ربكم الرحمن) لا غير (فاتبعونى واطيعوا امرى) فى الثبات على الدين (قالوا لن نبرح عليه) على العجل وعبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع الينا موسى) وهذا الجواب يؤيد الوجه الاوّل (قال ياهرون) اى قال له موسى لما رجع (ما منعك اذ رأيتهم ضلوا) بعبادة العجل (أن لا تتبعن) ان تتبعنى فى الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به او ان تأتى عقبى وتلحقنى ولا مزيدة كما فى قوله ما منعك ان لا تسجد (أفعصيت امرى) بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه (قال يابن امّ) خص الأم استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا من اب وام (لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) اى بشعر رأسى قبض عليهما يجرّه اليه من شدّة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه الصلاة والسلام احديدا خشنا متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل (انى خشيت ان تقول فرّقت بين بنى اسرآئيل) لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض (ولم ترقب قولى) حين قلت اخلفنى فى قومى واصلح فان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برأيك

الاحتمال لا يناسب جوابهم بقولهم ما اخلفنا موعدك بملكنا فانه اعتذار عن خلفهم فيما وعدوا اياه عليه الصلاة والسلام لا عن وجدانهم الخلف فى وعده لهم بالعود بعدار بعين 《 قوله حملنا احمالا 》 الظاهر ان المصنف اختار قرآءة من قرأ حملنا بفتح الحاء والميم الخفيفة حيث تعرّض لكون انفسهم حاملين ومستقرّين ولم يتعرّض لن يعينهم على الاستعارة والحمل فان نافعا وابن كثير وابن عامر وحفصا قرأوا حملنا بضم الحاء وكسر الميم شديدة والباقون بفتحهما مع تخفيف الميم ونسبة الفعل الى انفسهم وعلى القرآءة الاولى نسبوا الفعل الى غيرهم فقيل ذلك الغير هو موسى عليه الصلاة والسلام حيث امرهم باستعارة الحلىّ والخروج بها فكأنه ألزمهم بذلك والاوزار الاحمال والاثقال وسموا الحلىّ التى استعاروها من القبط اوزارا لانها آثام من حيث انها تلبس للفخر والخيلاء والترفع على الفقرآء ولانها مادام اصحابها احياء وتصرّفوا فيها باذن اصحابها حل لهم الانتفاع بها فلما هلك اصحابها صار حكمها حكم الغنيمة ولم يحل لهم الانتفاع بالغنائم بعد فأثموا بسببها لان بنى اسرآئيل كانوا مستأمنين بالنسبة الى القبط وليس للمستأمن ان يأخذ مال الحربى اى ليس له ان يأخذه الا باذنه حتى لو اخذ ماله بطريق الرباحل عند ابى حنيفة وان جرى ذلك بينه وبين مسلم اسلم هناك كما يجوز لمسلم المستأمن اخذه من الحربى برضاه وقوله من زينة يجوز ان يتعلق بحملنا وان يتعلق بمحذوف على انه صفة لاوزارا وقوله فكذلك نعت لمصدر محذوف اى فالقى السامرىّ ما كان معه من الحلىّ او من التراب الذى اخذه من حافر فرس جبريل حين عبر البحر وذلك انه رأى ما تحت حافره مخضرّا فعلم ان له شأنا فاخذ منه شيأ فجعله فى عمامته فألقاه فى الحلىّ المقذوف فى النار القاء مثل القاء بنى اسرآئيل ما معهم من الحلىّ المقذوف فى النار * قال الامام قولهم فى حق ذلك العجل الجسد هذا الهكم فيه اشكال لان القوم ان كانوا فى الجهالة بحيث اعتقدوا ان ذلك العجل المعمول فى تلك الساعة هو الخالق للسموات والارض فهم مجانين وليسوا مكلفين ولان مثل هذه السفاهة على مثل ذلك الجمع العظيم محال وان لم يعتقدوا ذلك فكيف قالوا هذا الهكم واله موسى واجاب بان القوم لعلهم كانوا من الحلولية الذين يجوّزون حلول الاله او حلول صفة من صفاته فى ذلك الجسم وان كان ذلك ايضا فى غاية البعد لان ظهور الخوار لا يناسب الالهية لكن لعل القوم كانوا فى نهاية البلادة كيف لا وانهم قالوا لنبيهم بعد ما رأوا الآيات العظام اجعل لنا الها كما لهم آلهة قالوا ذلك والحال ان اقدامهم ما جفت من ماء البحر 《 قوله فنسيه موسى 》 فيكون هذا من كلام السامرىّ وان كان ضمير فنسى للسامرى يكون هذا من كلام الله تعالى ويكون النسيان مجازا عن لازمه الذى هو الترك كأنه تعالى اخبر عن السامرى انه ترك ما كان عليه من اظهار الايمان او انه استدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل فى شئ ولا يحل فيه شئ ثم بين ما يستدل به على ذلك بقوله أفلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا اى استدل على انه لا يصلح ان يكون الها بأن من لا يتكلم ولا ينفع ولا يبصر كيف يكون الها والحال ان الاله ينبغى ان يكون سامعا بدعاء عابده نافعا له دافعا عنه المضارّ مثيبا ومعاقبا كما قال تعالى حكاية عن ابرهيم عليه الصلاة والسلام لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ وقرأ العامة ان لا يرجع برفع يرجع على ان كلمة ان هى المخففة من الثقيلة ويدل على ذلك وقوع اصلها وهى الثقيلة فى قوله ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا روى عن الزجاج انه قال الاختيار الرفع بمعنى انه لا يرجع كقوله وحسبوا ان لا تكون فتنة بمعنى انه لا تكون ولا وجه لكون الرؤية ههنا بصرية لان عدم ردّه عليهم جوابا ليس مما يبصر وأن الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين لانها تجعل الجملة فى تأويل المفرد فيلزم الاقتصار على احد المفعولين وهو غير جائز فى هذه الافعال 《 قوله يؤيد الوجه الاوّل 》 وهو ان يكون هرون عليه الصلاة والسلام قال لهم ذلك بعد ما شاهد منهم افتتانهم بعبادة العجل قبل مجئ موسى عليه الصلاة والسلام بعد ما قال السامرىّ ما قال ووجه التأييد ان جوابهم بان قالوا لن نبرح مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع الينا موسى انما يلائم الوجه الاوّل دون الثانى 《 قوله ان تتبعنى فى الغضب 》 يعنى ان المراد باتباع هرون اياه اما الاتباع فى اخلاق اخيه وسيرته او اللحوق به وترك المقام بين اظهر المرتدين * والمحاماة المناصرة والمخالفة بقتال حيث عليه بالكسر اذا غضبت * واعلم ان المصنف حمل الامر فى قول موسى عليه الصلاة والسلام لاخيه أفعصيت امرى على امره اياه بالصلابة فى الدين واظهار البغض والخصومة مع المخالفين وحمل القول فى قول هرون له ولم ترقب قولى على قول موسى له اخلفنى فى قومى واصلح لئلا يرد ما يقال قول موسى له افعصيت أمرى يدل على انه امره بشئ وان اخاه لم يمتثل امره فكيف يحسن ان يقول اخوه

(قال فما خطبك يا سامرى) اى ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اى ماطلبك له اوما الذى حملك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه (قال بصرت بما لم يبصروا به) وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب اى علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو أن الرسول الذى جاءك روحانى محض لايمس اثره شيئاً الااحياه اورأيت مالم تروه وهو أن جبرآئيل جاءك على فرس الحياة وقيل انما عرفه لان امه ألقته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبرآئيل يغذوه حتى استقل (فقبضت قبضة من اثر الرسول) من تربة موطئه والقبضة المرة من القبض فاطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول الاخذ بجميع الكف والثانى الاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبرآئيل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه لانه لم يعرف انه جبرآئيل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور (فنبذتها) فى الحلى المذاب اوفى جوف العجل حتى حيى (وكذلك سولت لى نفسى) زينته وحسنته لى (قال فاذهب فان لك فى الحياة) عقوبة على مافعلت (ان تقول لامساس) خوفا من ان يمسك احد فتأخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشى النافر وقرئ لامساس كفجار وهو علم للمسة (وان لك موعدا) فى الآخرة (لن تخلفه) لن يخلفكه الله وينجزه لك فى الآخرة بعد ماعاقبك فى الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اى لن تخلف الواعد اياه وستأتيه لامحالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله

فى جوابه انما لم امتثل قولك خوفا من ان تقول لم ترقب قولى فهل يصدر مثله من العاقل وعلى تفسير المصنف يكون حاصل الجواب خالفت امرك اياى بالصلابة فى الدين والمقاتلة عليه خوفا من ان تقول لم ترقب قولى ولم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى واصلح ولامحذور فى هذا الجواب غاية مافى الباب ان هرون قيد امر موسى اياه بالصلابة فى الدين بان لاتكون تلك الصلابة مؤدية الى تفرقة الدهماء بين بنى اسرآئيل واختلال انتظامهم ﴿قوله اى ماطلبك له﴾ اى اى شئ طلبك له فهو استفهام انكار والمعنى على انكار الطلب واستقباحه وقوله بما لم يبصروا به ان قرئ بالتاء المعجمة من فوق يكون الخطاب لموسى وقومه اوله وحده على طريق التعظيم كما فى قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء وان قرئ بياء الغيبة يكون مسندا الى بنى اسرآئيل يقال بصر بالشئ اى علمه وابصره اى نظر اليه وقيل بصر بالشئ وابصره بمعنى علمه والعامة على ضم الصاد فى الماضى ومضارعه وقرئ بكسر الصاد فى الماضى وفتحها فى المضارع وهى لغة وقرئ كل واحد من الماضى والمضارع على بناء المفعول اى اعلمت بما لم يعلموا به وذهب عامة المفسرين الى ان المراد بالرسول جبريل عليه الصلاة والسلام وبأثره التراب الذى اخذه من حافر فرسه والتقدير من اثر حافر فرس الرسول ثم اختلفوا فى انه متى رآه فقال الاكثرون انه رآه يوم فلق البحر وقيل ان جبريل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور ابصره السامرى من بين الناس ولعله لم يسمه جبريل اوروح القدس اونحوها من الالفاظ الدالة عليه بخصوصه بناء على انه لم يعرف انه جبريل انما عرفه بانه رسول روحانى فلاجرم يكون للتراب الذى اصابه حافر فرسه خاصة احياء مالصق به فلذلك قال فى جواب موسى قبضت قبضة من اثر فرس المرسل اليك حين حل ميقات الذهاب الى الطور والعامة على فتح القاف من قبضة وهى المرة من القبض فهى مصدر سمى به المقبوض على طريق تسمية المفعول بالمصدر وقرئ قبضة بضم القاف وهى اسم لما يقبض وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة وهو الاخذ باطراف الاصابع والاول بجميع الكف ونحوهما الخضم والقضم فان القضم الاكل باطراف الاسنان والخضم الاكل بجميع الفم ﴿قوله وقيل انما عرفه﴾ عطف على ماقبله من حيث المعنى فانه دل على انه انما عرفه بالامر العرضى الذى يعمه وغيره وهو انه رسول روحانى جاءه ليذهب به الى حيث امره الله تعالى روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان السامرى اختص برؤية جبريل ومعرفته من بين الناس بناء على انه رآه فى صغره بسبب ان فرعون كان قدامر بذبح اولاد بنى اسرآئيل فكانت المرأة تلد وتطرح ولدها بحيث لايشعر به آل فرعون فتأخذ الملائكة الولدان ويربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامرى ممن اخذه جبريل وجعل كف نفسه فى فيه فارتضع مثل العسل واللبن ولم يزل يختلف اليه وهو يعرفه فلذلك عرفه حين رآه راكب حيزوم وقد ارسله الله تعالى اليه ليربيه لماقضى على يديه من الفتنة ﴿قوله يغذوه حتى استقل﴾ اى يربيه حتى استغنى عن تربية الغير والغذآء مايغتذى به من الطعام والشراب والموطئ موضع القدم من وطئت الشئ برجلى ﴿قوله ان تقول لامساس﴾ اى لايمس بعضنا بعضا فكان بعد ذلك يعيش فى البرية مع السباع والوحوش لايمس ولايمس وان اتفق ان يمس احدا رجلا كان اوامرأة حم الماس والممسوس فتحامى الناس وتحاموه فصار فى الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية فان من لزمه القتل فى الحل فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له عند ابى حنيفة الا انه لايطعم ولايسقى ولايباح حتى يضطر الى الخروج فيقتل هنالك فاذا اراد احد ان يمسه يصيح فالا لامساس اى لاامس ولاامس خوفا من الحمى ثم قيل المراد من المماسة المنفية المس الحقيق وقيل مايعم جميع انواع المعاملة من المكالمة والمواكلة ونحوهما قرأ العامة لامساس بكسر الميم وفتح السين الاخيرة وهو مصدر فاعل كالقتال مصدر قاتل وقرئ بفتح الميم وكسر السين وهو علم للمسة وهى المرة الواحدة من المس كالفجار علم للفجرة فان فعال على اربعة اقسام اسم كنزال وصفة المؤنث كفساق بمعنى فاسقة وعلم للاعيان المؤنثة كقطام وعلم للمصدر كفجار وعباب واباب فانها اعلام الفجرة والعبة والابة ثم قال موسى عليه الصلاة والسلام للسامرى ان لك مع هذا النوع من عذاب الدنيا عذابا وعده الله لك فى الآخرة لن تخلفه بضم التاء وفتح اللام وهى قرآءة الجمهور اسند الفعل الى المفعول الاول وترك الثانى على حاله اى لن يخلفك الله الوعد وينجزه لك على شركك وفسادك وقرئ لن تخلفه بكسر اللام وذكر المصنف لها وجهين الاول ان لايكون الاخلاف على اصل معناه ويكون المفعول الاول محذوفا فكما ان الواعد يجوز ان يخلف الموعود له وعده فكذا يجوز ان يخلف الموعود له الواعد وعده بان لايجئ اليه ويتخلص منه بالهرب والفرار والثانى ان تكون همزة

الخلف الوجدان بمعنى لن تجد فيه خلفا وقرئ لن نخلفه بضم نون العظمة وكسر اللام على اسناد الفعل الى الله تعالى وحذف المفعول الاول اي لن نخلفكه موسى انما يقول ذلك على حكاية قول الله تعالى عنه كما في قول جبريل لاهب لك ﴿قوله ظلت على عبادته﴾ اي امضيت نهارك انت واصحابك مقيمين على عبادته يقال ظلت اعمل كذا اذا عملته بالنهار دون الليل قرأ العامة بحذف احدى اللامين للتخفيف وابقاء الظاء مفتوحة على حالها وقوله لنحرقنه جواب قسم محذوف اي والله لنحرقنه والعامة على ضم النون وكسر الراء مشددة من حرّقه يحرّقه بالتشديد بمعنى احرقه بالنار وشدد للكثرة والمبالغة او برده بالمبرد على ان يكون من حرق الشئ يحرقه ويحرقه بضم الراء وكسرها اذا برده بالمبرد ويؤيد الاحتمال الاول قراءة لنحرقنه بضم النون وسكون الحاء وكسر الراء من الاحراق ويعضد الثاني قراءة لنحرقنه بفتح النون وكسر الراء وضمها خفيفة اي لنبردنه ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من ابطال ما ذهب اليه السامري عاد الى بيان الدين الحق فقال انما الهكم الله ﴿قوله فلما عدى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا﴾ اي صار ما هو فاعل في المعنى مفعولا لان من شأن التعدية ان يصير الفاعل مفعولا كما اذا قلت في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا بتصيير الفاعل مفعولا وعلى القراءة المشهورة كان تمييزا من نسبة وسع الى الضمير المستتر وهو في المعنى فاعل فصار مفعولا بنقل الفعل الى باب التفعيل ﴿قوله مثل ذلك الاقتصاص﴾ اشارة الى ان محل الكاف نصب على انه نعت لمصدر محذوف ﴿قوله من انباء﴾ صفة المحذوف الذي هو مفعول نقص والتقدير نقص عليك شيأ من انباء ما قد سبق قصصا مثل اقتصاص قصة موسى فرعون اولا ثم مع السامري ثانيا ﴿قوله تبصرة لك الخ﴾ بيان لفائدة ذكر الاقاصيص في القرآن الكريم فان اشتماله على ما فيه من الاقاصيص كما هي عليه من جملة وجوه كونه معجزا الى غير ذلك من الفوائد ﴿قوله كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص﴾ اشارة الى ان القرآن يسمى ذكرا على طريق تسمية الذات بالمصدر للمبالغة في اتصافها به فان القرآن العظيم كما انه معجز بنظمه الفائق معجز باشتماله على ذكر اقاصيص الاولين على الوجه المطابق لما ذكر في الكتب الالهية المتقدمة مع انه عليه السلام ما سمعها من احد ولا قرأها في كتاب وعلى ذكر جميع ما يحتاج اليه الناس من امور دينهم ودنياهم وايضا سمي ذكرا لكونه حقيقا بالذكر والتذكر والايقاظ والتفكر والاعتبار قال تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه وقال يا ايها الذي نزل عليه الذكر ثم نقل ان يكون المراد بالذكر الذكر الجميل والصيت العظيم وفي الصحاح الصيت الذكر الجميل الذي ينتشر في الناس دون القبيح يقال ذهب صيته في الناس قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك ﴿قوله سماها وزرا﴾ يعني استعير لها الحمل الثقيل وينقض ظهر حامله ﴿قوله والجمع فيه﴾ اي جمع ضمير خالدين وتوحيد ضمير اعرض مع انهما عبارتان عما عبر عنه بكلمة من لحمل الاول على معنى من والثاني على لفظه ﴿قوله اي بئس لهم﴾ يعني ان ساء هذه هي التي بمعنى بئس لا التي بمعنى احزن ومن شرط افعال المدح والذم ان يكون فاعلها معرفا باللام او مضافا الى المعرف به او مضمرا مفسرا بنكرة منصوبة وان يذكر بعد ذلك المخصوص وههنا لم يذكر فاعل ساء فلا بد ان يكون مستترا فيه مميزا بقوله حملا فيكون المستتر فيه مبهما عبارة عن مميزه ولم يذكر المخصوص ايضا فوجب ان يكون محذوفا وتقديره ساء الحمل حملا وزرهم ﴿قوله اشكل امر اللام﴾ اذ لا يقال احزن لهم بل يقال احزنهم ويقال ساءه يسوءه سوأ ومساءة بفتح الميم نقيض سرّه واشكل ايضا نصب حملا كما في قولك احزن لهم الوزر حملا اذ لا وجه لكون حملا تمييزا للوزر وغير التمييز لا وجه له ايضا قيل يمكن ان يقال اللام للبيان كما اذا كان ساء بمعنى بئس وحملا تمييز من النسبة والمعنى احزنهم حمل الوزر وثقله ﴿قوله تعالى يوم ينفخ في الصور﴾ بدل من يوم القيامة او بيان له او منصوب بيتخافتون او باضمار اذكر قرأ الجمهور ينفخ بضم الياء وفتح الفاء على بناء المفعول والقائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور بعده وقرئ ننفخ بفتح نون العظمة على بناء الفاعل على طريق اسناد الفعل الى الآمر وهو الباري تعالى والعدول عن المباشر للنفخ وهو اسرافيل مجاز والنكتة في المجاز اما تعظيم الآمر بأن لا يجري في ملكه الا ما يشاء ولا يحدث حادث الا بامره وتكوينه او تعظيم النافخ بانه ملك مقرب مكرم عند الله بلغ في قربه منه تعالى ومكانته لديه الى حيث يصح ان يسند ما يصدر عنه من العمل الى ذاته تعالى قرأ الجمهور في الصور بسكون الواو فقيل انه قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للحشر وقيل انه جمع صورة والنفخ نفخ الروح فيه ويؤيده قراءة من قرأ الصور بفتح الواو والاول اولى لقوله تعالى فاذا نقر في الناقور والله تعالى يعرّف الناس احوال الآخرة بامثال ما شوهد في الدنيا فان عادة الناس النفخ في البوق عند ارادة الاجتماع في الاسفار او في العساكر والمراد من هذا النفخ هو النفخة الثانية

(وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا) ظلت على عبادته مقيما فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها (لنحرقنه) اي بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه (ثم لننسفنه) ثم لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين (في اليم نسفا) فلا يصادف منه شئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر (انما الهكم) المستحق لعبادتكم (الله الذي لا اله الا هو) اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة (وسع كل شئ علما) وسع علمه كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وسّع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدي الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا (كذلك) مثل ذلك الاقتصاص يعني اقتصاص قصة موسى (نقص عليك من انباء ما قد سبق) من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس (من اعرض عنه) عن الذكر الذي هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله تعالى (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما (خالدين فيه) في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ (وساء لهم يوم القيامة حملا) اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذي فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى (يوم ينفخ في الصور) وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك

لقوله بعد ذلك ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فانه يدل على ان النفخ فى الصور كالسبب لحشرهم فهو كقوله تعالى يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا ﴿قوله اسود الكبد﴾ كأنه لشدة عداوته احرق كبده والسبال جمع سبلة وهى الشارب والصهبة حمرة يعلوها سواد وهى من الالوان المختصة بالشعر يقال رجل اصهب والمرأة صهباء ويقال زرقت عينه بالكسر وازرقت ازرقاقا وازراقت ازريقاقا ولكون الزرقة من العيوب بنى منها باب الافعلال فان كان الازرق بمعنى زرق العيون يكون مجازا عن قباحة الصورة لان زرقة عيونهم مستلزمة لكون صورتهم منكرة فاطلق الملزوم واريد اللازم فكأنه قيل نحشرهم على اقبح الصورة وان كان بمعنى العمى يكون كناية لان الزرقة من لوازم العمى ﴿قوله اى فى الدنيا او فى القبر﴾ يؤيد الاول قوله تعالى قال كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم ويؤيد الثانى قوله ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث فان اللبث المضاف الى يوم البعث هو لبثهم فى القبور لا لبثهم فى الدنيا ﴿قوله يستقصرون مدة لبثهم فيها﴾ اى فى الدنيا فانهم عالمون بمقدار عمرهم فيها لكنهم قالوا ذلك استقلالا لمدة لبثهم فيها اما لزوالها والزآئل وان طالت مدته قصير بالانتهاء والزوال واما لانهم لما قابلوا اعمارهم فى الدنيا بأعمار الآخرة وجدوها فى نهاية القلة فقال بعضهم مالبثنا فى الدنيا الا عشرة ايام فقال اعقلهم مالبثنا الا يوما واحدا اى قدر لبثنا فى الدنيا بالقياس الى لبثنا فى الآخرة كعشرة ايام بل كاليوم الواحد بل كالعدم وانما خص العشرة والواحد بالذكر لان القليل فى امثال هذه المواضع لايعبر عنه الا بالعشرة والواحد واما لانهم لما عاينوا الشدآئد وتذكروا ايام النعمة والسرور وتأسفوا عليها وصفوها بالقصر لان ايام السرور قصار قال الشاعر

تمتع بأيام السرور فانها ۞ قصار وايام الهموم طوال ۞

﴿قوله اشد تقالا﴾ اى استقلالا وهو تفاعل من تقال بمعنى استقل اى عده قليلا رجح الله تعالى قول من بالغ فى التقليل لابتنائه على الحكم المذكور ثم انه تعالى لما وصف امر يوم القيامة وبين عظم مآل المجرمين من الحيرة التى تخافتوا بها مثل هذا الجنس من المقال حكى سؤال من لايؤمن بالحشر فقال ويسألونك عن الجبال روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فنزلت والنسف القلع ومنه نسف البعير النبت اذا اقتلعه بفيه من اصله والنسف ايضا التذرية ومنه قوله تعالى ثم لننسفنه فى اليم نسفا قال الخليل يقلعها وقال ابو عبيدة يستأصلها ويطيرها كما قال وبست الجبال بسا ﴿قوله فالاولان﴾ وهما كون مقرها قاعا وصفصفا فان الاستوآء المدلول عليه بهما استوآء بحكم الاحساس بخلاف الاستوآء المدلول عليه بقوله لاترى فيها عوجا ولا امتا فانه استوآء حقيقى تام لايحصل بالمراجعة الى الحس وانما يحصل برأى المهندس وعرضه على المقاييس الهندسية ولما كان العوج المنفى بقوله لاترى فيها عوجا العوج الخفى الذى لايدرك بالاحساس الحقيق بالمعانى فلذلك عبر عنه بالعوج بالكسر والا لكان الظاهر ان يقال عوجا بالفتح لان الارض من قبيل الاعيان ومافيها من الاعوجاج من الكيفيات المحسوسة فقوله لاترى فيها عوجا بالكسر ابلغ فى وصف الارض بالاستوآء بالنسبة الى ان يقال عوجا بالفتح وهذا التوجيه يخدشه قوله تعالى لاترى فان الظاهر منه رؤية العين وهى لاتتعلق بالعوج بالكسر وجعلها من رؤية القلب لايناسب عموم الخطاب لان كل واحد لايعلم الهندسة حتى يتأتى منه مثل ذلك ﴿قوله وهو النتوء﴾ اى الارتفاع يقال فى تفسير الكعب هو العظم الناتئ ﴿قوله على اضافة اليوم﴾ ذكر لانتصاب قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعى وجهين الاول ان يكون ظرفا ليتبعون والتقدير يوم اذ نسفت الجبال يتبعون والثانى ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة فى قوله تعالى ونسألهم يوم القيامة جعلا البدل الاول يوم ينفخ والثانى يومئذ وحينئذ يكون العامل فيه نسألهم لانه هو العامل فى المبدل منه والتقدير نسألهم حملا يوم اذ نسفت الجبال ولم يجعل بدلا من يوم ينفخ لان البدل لايكون له بدل لانه يفضى الى ان يكون البدل مقصودا وغير مقصود معا الا ان هذا الوجه لايخلو عن بعد للفصل الكثير ولاستلزامه ان يكون يتبعون غير مرتبط بما قبله وقيل انه اوجه فيجئ قوله يومئذ لاتنفع الشفاعة بدلا ثالثا على الترتيب اى نسألهم حملا يوم اذ يتبعون الداعى «فان قلت اضافة يوم الى اذ اضافة زمان الى زمان فيلزم ان يكون للزمان زمان وانه محال «اجيب بان المراد بالزمان المضاف المسمى وبالزمان المضاف اليه الاسم كما فى شهر

(ونحشر المجرمين يومئذ) وقرئ يحشر المجرمون (زرقا) زرق العين وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اعدى اعدآئهم وهم زرق العين ولذلك قالوا فى صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزراق (يتخافتون بينهم) يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه (ان لبثتم الا عشرا) اى فى الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدآئد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها فى قضاء الاوطار واتباع الشهوات او فى القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات (نحن اعلم بما يقولون) وهو مدة لبثهم (اذ يقول امثلهم طريقة) اعدلهم رأيا او عملا (ان لبثتم الا يوما) استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم (ويسألونك عن الجبال) عن مآل امرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف (فقل ينسفها ربى نسفا) يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها (فيذرها) فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ماترك على ظهرها من دابة (قاعا) خاليا (صفصفا) مستويا كأن اجزآءها على صف واحد (لاترى فيها عوجا ولا امتا) اعوجاجا ولا نتوأ ان تأملت فيها بالقياس الهندسى وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يختص بالمعانى والامت وهو النتوء اليسير وقيل لاترى استئناف مبين للحالين (يومئذ) اى يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة

(يتبعون الداعي) داعي الله الى المحشر قيل هو اسرافيل يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه (لاعوج له) لايعوج له مدعو ولايعدل عنه (وخشعت الاصوات للرحمن) خفضت لهيبته (فلا تسمع الا همسا) صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر (يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن) الاستثناء من الشفاعة اى الاشفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اى الا من اذن في ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثاني منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن او من الاذن (ورضي له قولا) اى ورضي لمكانه عند الله قوله في الشفاعة او رضي لاجله قول الشافع في شأنه او قوله لاجله وفي شأنه (يعلم ما بين ايديهم) ما تقدمهم من الاحوال (وما خلفهم) وما بعدهم مما يستقبلونه (ولا يحيطون به علما) ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه (وعنت الوجوه للحي القيوم) ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى في يد الملك القهار وظاهرها يقتضي العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون اللام بدل الاضافة ويؤيده (وقد خاب من حمل ظلما) وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم (ومن يعمل من الصالحات) بعض الطاعات (وهو مؤمن) لان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الخيرات (فلا يخاف ظلما) منع ثواب مستحق بالوعد (ولا هضما) ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهي (وكذلك) عطف على كذلك نقص اى مثل ذلك الانزال او مثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد (انزلناه قرآنا عربيا) كله على هذه الوتيرة (وصرفنا فيه من الوعيد) مكررين فيه آيات الوعيد (لعلهم يتقون) المعاصي فتصير التقوى لهم ملكة (او يحدث لهم ذكرا) عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن (فتعالى الله) في ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما يماثل ذاته ذاتهم (الملك) النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده (الحق) في ملكوته يستحقه لذاته او الثابت في ذاته وصفاته (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه) نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي من جبريل ومساوقته في القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد

رمضان ويوم الخميس وذات يوم وذات ليلة وذات اليمين وذات الشمال والظاهر انه من اضافة العام الى الخاص كما في شجر الاراك ﴿قوله يدعو الناس قائما﴾ فيقول ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء فيقبلون من كل اوب الى صوبه وصوته لا يعدلون ﴿قوله لا يعوج له﴾ اى لدعائه اى يستوون اليه من غير انحراف ﴿قوله او من اعم المفاعيل﴾ اى لا تنفع الشفاعة احدا الا من اذن في ان يشفع له فمن على هذا عبارة عن المشفوع وعلى الاول عن الشافع ﴿قوله بخفق اقدامهم﴾ اى بضربها على الارض ضربا خفيفا وكل ضرب بشئ عريض خفيف ﴿قوله اى ورضي لمكانه﴾ على تقدير ان يكون الاستثناء من الشفاعة فلام اذن له صلة اذن ولام رضي له للتعليل وقوله او رضي لاجله على تقدير ان يكون الاستثناء من اعم المفاعيل وان تكون اللام في رضي له متعلقة برضي وعلى الثاني تكون متعلقة بقوله قولا والمعنى الا من اذن له الرحمن في ان يشفع له ورضي قول الشافع لاجله وفي شأنه ﴿قوله ما تقدمهم من الاحوال﴾ اى ما تقدمهم من احوال الذين يتبعون الداعي ولو فسر قوله ما بين ايديهم بما يستقبلونه من الاحوال وقوله وما خلفهم بما مضى منها لكان اقرب الى الشائع ﴿قوله ولا يحيط علمهم بمعلوماته﴾ اشارة الى ان التمييز محول من الفاعلية وان قوله به فيه مضاف مقدر ليكون قوله ولا يحيطون به علما مقابلا لقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لانه اذا لم يقدر المضاف وقيل المعنى ولا يحيطون بذاته لم يصح التقابل وقيل في اظهار التقابل من غير تقدير المضاف في به ان الضمير في به يرجع الى ما في ايديهم وما خلفهم بتقدير احدهما لا على التعيين او بمجموعهما فيؤول المعنى الى ان الخلق لا يحيطون بمعلوم الله علما الا بما شاء الله . والعناة جمع عان وهو الاسير ويسمى الاسير عانيا لخضوعه وذلته لمن هو في يده ﴿قوله وظاهرها يقتضي العموم﴾ وذلك لانه تعالى لما أجاب من سأل من قال كيف تكون الجبال يوم القيامة شرح احوال ذلك اليوم في حق عامة الخلائق فقال اولا يومئذ يتبعون وقال ثانيا وخشعت الاصوات للرحمن وقال ثالثا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن وقال رابعا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم وقال خامسا وعنت الوجوه فالظاهر ان المراد ذوات المكلفين واقسم ذكر الوجوه واريد اصحاب الوجوه لان قوله عنت من صفات المكلفين لا من صفات الوجوه كما في قوله وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية وخص الوجوه بالذكر لان اثر الخضوع والذلة يظهر فيها او يتبين بها فالظاهر ان جملة قوله وقد خاب من حمل ظلما حال من الوجوه بحذف العائد اي من حمل ظلما منهم وان خص الوجوه بوجوه المجرمين وجعلت تلك الجملة حالا منهم يكون قوله من حمل ظلما قائما مقام العائد لكونه عبارة عنهم وقوله فلا يخاف في موضع الجزم على انه موضع جواب الشرط والتقدير فهو لا يخاف والخيبة اليأس من كل خير ﴿قوله اى مثل ذلك الانزال﴾ المشتمل على بيان الغيوب مما كان وما يكون انزلناه يعني الكتاب قرآنا عربيا بلسان العرب ولغتهم وصرفنا فيه من الوعيد من كل ما حل بالقرون الماضية وما سيقع بالامم المكذبة للانبياء والكتب النازلة لعلهم يتقون اى لكي يحذروا ما يوجب سخط الله تعالى ﴿قوله مكررين فيه آيات الوعيد﴾ يدل على انه جعل قوله وصرفنا فيه من الوعيد حالا وقيدا للانزال وهذا لان كون انزال القرآن كله على ما ذكر فيه من الآيات متضمنا للوعيد انما هو باعتبار تكرر آيات الوعيد فيه لا مطلقا ولان قوله لعلهم يتقون متعلق بالانزال المقيد بالتصريف لا مطلقا ولا بالتصريف كذلك فلابد من التقييد ﴿قوله ولهذه النكتة﴾ وهي كون المراد بالاتقاء الاستمرار على التقوى الحاصل قبل تكرر آيات الوعيد وهو جواب عما يقال لم اضيف الذكر الى القرآن ولم تضف التقوى اليه ومحصل الجواب انه لما كان المقصود ان يقال انزلناه كذلك ليستمر المتقون على تقواهم وان لم يوجد المتقي فلا اقل من ان يحدث لهم القرآن عظة واعتبارا حين سمعوه وجب ان يضاف التقوى اليهم والاحداث الى القرآن المنزل حال تكرر آيات الوعيد فيه ﴿قوله الحق في ملكوته﴾ اى الثابت في ملكيته يستحق تلك الملكية لذاته وذكر ضمير الملكوت لكونه مصدرا مقدرا بان مع الفعل ﴿قوله نهي عن الاستعجال في تلقي الوحي﴾ روي انه عليه الصلاة والسلام كان يعجل ويبادر جبريل عليه الصلاة والسلام بالقراءة عند تبليغ القرآن خيفة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك وقال لا تعجل بالقرآن ﴿قوله ومساوقته﴾ اى متابعته يقال فلان في ساقة العسكر اى في آخره وهو جمع سائق وهو يساوقه اى يتابعه وتساوقت الابل اى تتابعت والمساوقة المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا ﴿قوله على سبيل الاستطراد﴾ جعل النهي المذكور استطرادا لكونه اجنبيا بالنسبة الى ما سبق له الكلام فان الكلام مسوق لبيان ان اصلاح بني آدم يتوقف على ذكر مرة بعد اخرى

وقيل نهى عن تبليغ ماكان مجملا قبل ان يأتي بيانه (وقل رب زدني علما) اى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحى اليك تناله لامحالة (ولقد عهدنا الى آدم) ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان (من قبل) من قبل هذا الزمان (فنسي) العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ماوصى به من الاحتراز عن الشجرة (ولم نجد له عزما) تصميم رأى وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان في بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمده ولم نجد ان كان من الوجود الذي بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود الناقض المعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) مقدر باذكر اى اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك انه نسي ولم يكن من اولى العزيمة والثبات (فسجدوا الا ابليس) قد سبق فيه القول (أبى) جملة مستأنفة لبيان مامنعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له مفعول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى اظهر الاباء عن المطاوعة (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما) فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما (من الجنة فتشقى) افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما في الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها والمحافظة على الفواصل اولان المراد بالشقاء التعب في طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله (ان لك ان لاتجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) فانه بيان وتذكير لما له في الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التي هي الشبع والري والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعي في تحصيل اموامش ماعسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها (قوله)

بتكرير آيات الوعيد وتجديد مايدعوه الى اجابة الرب المجيد كما قال وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد الخ ولاشك ان النهي اجنبي بالنسبة الى هذا المقصود وذكر في اثنائه لتأدية ذكر شأن القرآن الى تذكره ولم يجعله اعتراضا لانه ليس له فائدة ترجع الى تأكيد مضمون الكلام السابق واللاحق ﴿ قوله وقيل نهى عن تبليغ ماكان مجملا ﴾ لم يرض به لما فيه من تقييد المطلق وهو القرآن في قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن ولانه يأبى عنه قوله من قبل ان يقضى اليك وحيه ﴿ قوله تقدم الملك اليه ﴾ الراغب قدمت اليه بكذا امرته قبل وقت الحاجة الى الفعل اى قبل ان يدهمه الامر او الناس او عزمت عليه في كذا اى قدمت وكذلك وعزت عليه توعيزا وقد تخفف فيقال او عزت عليه وعزا ﴿ قوله وانما عطف قصة آدم قوله وصرفنا فيه ﴾ يعني انها معطوفة على الجملة التي قبلها على طريق عطف القصة على القصة والجملة الثانية وان كانت الثانية والاولى خبرية لكن الانشائية مشتملة على ذيل وقصة في حكم الخبرية فعطفت على الخبرية كما عطف الخبرية على مثلها ووجه المناسبة بين القصتين انه تعالى بين بالجملة الاولى ان الانسان انما يجتنب عن المعاصي والمنكرات بتكرير آيات الوعيد وتجديد التهديدات حيث قال وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا ثم اردفه بقصة آدم كأنه قال ان طاعة بني آدم للشيطان وتركهم التحفظ من وساوس الشيطان امر قديم فانا قد عهدنا الى آدم من قبل هؤلاء الذين صرفنا لهم الوعيد وبالغنا في تنبيهه حيث قلنا له ان هذا عدو لك ولزوجك ثم انه مع ذلك نسي وترك ذلك العهد فظهر ان امر البشر في ترك التحفظ امر قديم ﴿ قوله ولم يعن به ﴾ اى لم يهتم به ولم يعتد به الاعتداد الصادق يقال عنيت بحاجتك بضم او له اعني بها عناية قال عليه الصلاة والسلام من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه اى يهمه ﴿ قوله تصميم رأى ﴾ معنى العزم في اللغة توطين النفس على الفعل فالمعنى لم نجد له رأيا معزوما عليه حيث جرى على ماوسوس اليه ابليس اللعين الذي حسده وابى ان يسجد له وقيل لم نجد له حفظا لما امر به وقيل صبرا عما نهى عنه ﴿ قوله ويذوق شريها واريها ﴾ الشري بفتح الشين وسكون الراء المهملة الحنظل والاري بفتح الهمزة وسكون الراء العسل اى لعله كان ماوقع منه من نسيان العهد وعدم الثبات على الامر قبل ان يذوق مر الامور وحلوها الا من نقصان عقله وقصور حلمه فانه ارجح الناس عقلا واوفرهم حلما لما روى من الحديث وقال الحسن كان عقل آدم مثل عقل جميع ولده ثم قال تعالى ولم نجد له عزما ومعنى هذا انه عليه الصلاة والسلام مع ذلك ارفيه وسوسته فكيف في غيره ﴿ قوله وعلى هذا لايقدر له مفعول ﴾ لان قوله ابى السجود لايصلح جوابا لقول من قال لم لم يسجد بخلاف ابى بمعنى انه فعل الاباء واظهره وانه من اهل الاباء عن طاعة المولى ولافائدة في افادة هذا الغرض لبيان تعلقه بمفعوله فلذلك نزل منزلة اللازم ثم انه تعالى اشار بقوله فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك الى علة اخرى لعصيانه وهو حسده الذي هو سبب عداوته لهما فان اللعين كان حسودا فلما رأى آثار نعم الله في حق آدم حسده فصار عدوا له فكيف يقدم على ان يسجد له مع عداوته اياه وفيه اشارة الى ان كل من حسد احدا يكون عدوا له ويريد هلاكه ويسعى في افساد حاله ثم لما كان المخرج من الجنة حقيقة هو الله تعالى كان قوله فلا يخرجنكما من الجنة من قبيل اسناد الفعل الى السبب فان اللعين بوسوسته يكون سببا لخروجهما من الجنة ثم ان ظاهر الآية وان كان نهي الشيطان عن ان يكون سببا لاخراجهما الا ان المراد نهيهما عن ان يكون فيهما مايكون سببا لطمع الشيطان في ان يغويهما ويسعى فيما يؤدي الى خروجهما من الجنة كأنه قيل كونا شديدي الشكيمة قويي العزيمة في رعاية ما كلفتما به والاحتراز عما نهيتما عنه بحيث يكون الشيطان خائبا من ان يطمع في زلتكما ويقدم على اغوائكما وقوله تعالى فتشقى منصوب باضمار ان في جواب النهي اى لاتباشرا اسباب الخروج فيحصل الشقاء وهو الكد والتعب الدنيوي خاصة مثل الحرث والزرع والطحن والعجن والخبز ونحو ذلك مما لايخلو الناس عنه في امر معيشتهم ﴿ قوله تعالى ان لك ان لاتجوع فيها ﴾ اسم ان خبر ان وان لاتجوع في محل النصب على انه اسم ان والتقدير ان لك عدم الجوع والعري وهو تجرد الجلد عما يستره يقال عري يعرى عريا ﴿ قوله ولا تضحى ﴾ اى وان لايصيبك حر الشمس اذ ليس فيها شمس يقال ضحى الرجل للشمس اذا برز وتعرض لها الجوهري ضحيت للشمس بالكسر ضحاء بالمد اذا برزت لها وضحيت بالفتح مثله والمستقبل اضحى في اللغتين جميعا والكن السترة الحائلة من الشمس والجمع اكنان قال تعالى وجعل لكم من الجبال اكنانا فهو تعالى لما ذكر ماله في الجنة من الاقطاب التي يدور عليها كفاف الانسان بذكر نقائضها كان ذكرها على هذا الوجه كأنه تفسير الشقاء المذكور في قوله فتشقى

والعاطف وان ناب عن انّ لكنه من حيث انه عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمتنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه وقرأ نافع وابو بكر وانك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها (فوسوس اليه الشيطان) فأنهى اليه وسوسته (قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد) الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه (وملك لا يبلى) لا يزول ولا يضعف (فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين (وعصى آدم ربه) باكل الشجرة (فغوى) فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغترّ بقول العدوّ وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم الزلة وزجر بليغ لاولاده عنها (ثم اجتباه ربه) اصطفاه وقرّبه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جبى الى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع (فتاب عليه) فقبل توبته لما تاب (وهدى) الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة (قال اهبطا منها جميعا) الخطاب لآدم وحوّآء اوله ولابليس ولما كانا اصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال (بعضكم لبعض عدوّ) لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الاوّل قوله (فاما يأتينكم مني هدى) كتاب ورسول (فمن اتبع هداي فلا يضل) في الدنيا (ولا يشقى) في الآخرة (ومن اعرض عن ذكري) عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي (فان له معيشة ضنكا) ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر (ونحشره) قرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط (يوم القيامة اعمى) اعمى البصر او القلب ويؤيد الاوّل (قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا) وقد امالهما حمزة والكسائي لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاوّل رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير

﴿قوله والعاطف وان ناب عن انّ﴾ اي المكسورة جواب عما يقال انّ المكسورة لا تدخل على انّ المفتوحة كراهة اجتماع الحرفين بمعنى واحد وهو التحقيق وكراهة اجتماع عاملين يعملان عملا واحدا فلا يقال انّ انّ زيدا منطلق والواو نائبة عن انّ المكسورة وقائمة مقامها كما في قولك انّ زيدا في الدار وعمرا فاذا دخلت عليها في قوله تعالى وانك لا تظمأ فيها * وتقرير الجواب ان الواو ليست موضوعة للتحقيق حتى يجتمع حرفان بمعنى واحد والمفتوحة مع ما في حيزها لما كانت في تأويل المفرد جاز اجتماعها مع الواو النائبة عن العامل ﴿قوله او عن المأمور به﴾ وهو التباعد عن الشجرة فانه مأمور به في ضمن قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة والظاهران يقال فغوى وضل عن الانتهاء عما نهى عنه بقوله ولا تقربا الا ان النهي عن الشيء لما تضمن الامر بضدّه عند الشافعية وكان معنى قوله لا تقربا هذه الشجرة ابعدا عنها قال او عن المأمور به قرأ الجمهور فغوى بفتح الواو بعدها الف بمعنى ضل وقرئ بكسر الواو وفتح الياء بمعنى بشم ﴿قوله وفي النعي عليه بالعصيان﴾ اي وفي تشهيره به يقال نعى فلان على فلان ذنوبه اي اظهر ذنوبه وشهره بها والعصيان ترك الامر وارتكاب المنهي عنه فان كان عمدا يسمى ذنبا وان كان خطأ يسمى زلة والآية دالة على انه عليه الصلاة والسلام صدر عنه عمدا لمعصية والمصنف سماها زلة بناء على انه عليه الصلاة والسلام انما ترك الانتهاء عن اكل الشجرة اجتهادا لا بان تعمد المعصية ووجه الاجتهاد انه عليه الصلاة والسلام حمل النهي على التنزيه دون التحريم او حمل قوله تعالى هذه الشجرة على شجرة بعينها دون جنسها ومع ذلك الظاهر انّ هذه الواقعة انما كانت قبل نبوّته عليه الصلاة والسلام ثم اجتباه ربه اي اختاره واصطفاه وتاب عليه بالعفو عنه وهداه الى التوبة حين قال ربنا ظلمنا انفسنا روي عن النبي عليه الصلاة والسلام انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود عليه الصلاة والسلام لكان بكاؤه اكثر ولو جمع ذلك الى بكاء نوح عليه الصلاة والسلام لكان بكاء نوح اكثر وانما سمي نوحا لنوحه على نفسه ولو جمع ذلك كله الى بكاء آدم عليه الصلاة والسلام على خطيئته لكان بكاء آدم اكثر قال وهب انه لما كثر بكاؤه امره الله تعالى بان يقول لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين فقالها آدم ثم قال قل لا اله الا انت عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني وانت ارحم الراحمين فقالها آدم ثم قال له قل سبحانك لا اله الا انت عملت سوأ وظلمت نفسي فتب عليّ انك انت التواب الرحيم قال ابن عباس هنّ الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ﴿قوله ولما كانا اصلي الذرية خاطبهما مخاطبتهم﴾ جواب عما يقال خطاب اهبطا للتثنية وهما آدم وحوّآء او آدم وابليس وما بعده من الخطاب للجمع فكيف جاز ان يخاطب شخصان بما يخاطب به الجماعة * وتقرير الجواب انهما وان كانا شخصين معينين في انفسهما الا انهما لما كانا اصلي ما تفرّع منهما من الذرية جعلا بمنزلة الجماعة فخوطبا بما يخاطب به الجماعة فقال بعضكم لبعض عدوّ فانّ ذرية آدم وحوّآء يتعادون لامر المعاش وكذا ذرية آدم وابليس يتعادون لاختلال حال كل واحد من نوعي البشر والشياطين بواسطة الآخر فان نوع البشر اخرجوا من النعيم المقيم بسبب وسوسة ابليس وان ابليس طرد من بين المقدّسين ومقام العليين بسبب ابائه عن السجود لآدم وهذا معنى اختلال كل من النوعين بواسطة الآخر ﴿قوله ويؤيد الاوّل﴾ وهو ان يكون الخطاب لآدم وحوّآء لا له ولابليس ووجه التأييد ان خطاب يأتينكم لا يدخل فيه ابليس وذريته لانهم آيسون من رحمة الله وملعونون الى يوم القيامة ﴿قوله مصدر وصف به﴾ مبالغة او بتقدير ذات ضنك يقال ضنك عيشه يضنك ضنكا وضناكة وضنكا من باب نصر ينصر وخلاصة المعنى ان من اتبع كتاب الله تعالى ومواعظ رسوله هداه الله تعالى فلا يضل في امر دينه ما دام حيا ووقاه يوم القيامة سوء الحساب ومن اعرض عنه ضاق عيشه في الدنيا لانه لا يجد الخلف في الانفاق في الدنيا ولا المثوبة في العقبى فلا جرم يضيق الانفاق ويلازم الشح فيكون محروما من الخلف في الدنيا والمثوبة في الآخرة بخلاف من اتبع الهدى فانه يتسع قلبه في ذلك رجاء الخلف والاجر وتطيب نفسه بالقناعة التي هي كنز لا يفنى فيكون في سعة الدنيا والآخرة فيكون المراد بضيق معيشة المعرض ضيق قلبه في شأن اعراض الدنيا وان كثر ما في يده منها مع انه يضيق على الكافر ويوسع على المؤمن قال الله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء وقيل المراد بالمعيشة الضنك عذاب الآخرة في جهنم فان طعام اهلها الضريع والزقوم وشرابهم الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون وقيل المراد بها عذاب القبر روي عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * ان المؤمن

فى قبره فى روضة خضراء و يرحب له قبره سبعين ذراعا و ينور له قبره كالقمر ليلة البدر ثم قال « أتدرون فيم انزلت هذه الآية فان له معيشة ضنكا و أتدرون ما المعيشة الضنك » قالوا الله و رسوله اعلم قال « عذاب الكافر فى قبره و الذى نفسى بيده ليسلط عليه تسعة و تسعون تنينا ينفخون فى جسده و يلدغونه و يلسعونه و يخدشونه الى يوم القيامة » قرآءة العامة و نحشره بالنون و رفع الفعل على الاستئناف تخفيفا و قوله اعمى منصوب على الحال و الظاهر ان المراد بالعمى عمى البصر كما فى قوله تعالى و نحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا و بكما و صما و كما فسر الزرق بالعمى و قيل المعنى نحشره اعمى عن الحجة بمعنى انه لا حجة له يهتدى بها الى ما كان عليه من الضلالة قال الفراء انه يبعث بصيرا ثم يعمى اذا حشر الى جهنم و قيل يكون ذلك بعد ما حوسب و قرأ الكتاب ﴿ قوله اى مثل ذلك فعلت ﴾ على ان الكاف فى محل النصب على انه مفعول به اى مثل ذلك الفعل الذى فعلنا بك فعلت انت بنفسك ﴿ قوله من ضنك العيش ﴾ ان كان المراد بالمفضل الحشر على العمى الذى لا يزول ابدا يكون المفضل عليه ضنك العيش فانه يزول و ينقضى و ان كان المراد بالمفضل عذاب النار يكون المفضل عليه ضنك العيش و الحشر على العمى جميعا فان عذاب النار اشد من كل واحد منهما اما من ضنك العيش فظاهر و اما من العمى فلقوله و لعله اذا دخل النار زال عماه و يحتمل ان يكون المعنى و تركنا اياه فى العمى او فى عذاب النار اشد و ابقى من تركه لآياتنا ثم انه تعالى لما بين ان من اعرض عن ذكره كيف يحشر يوم القيامة اتبعه بما يعتبر به المكلف من الاحوال الواقعة فى الدنيا بمن كذب الرسل فقال افلم يهد لهم اى افلم يبين لهم و ان كان قوله يهد مسندا الى ضمير الله تعالى او ضمير الرسول عليه الصلاة و السلام يكون كم اهلكنا سادا مسد مفعوليه لان كم الاستفهامية معلقة له فلا يعمل فيها و التعليق و ان كان من خصائص افعال القلوب و فعل الهداية ليس منها الا انه جار مجرى باب علمت لان الهداية و هى الدلالة على ما يوصل الى المطلوب فيها معنى الاعلام و التبيين و معنى الاستفهام فيه التقرير اى يبين الله تعالى لكفار مكة كثرة اهلاكه القرون للاعتبار او يبين الرسول كثرة اهلاكنا و لو اعملت فعل الهداية و اظهرت مفاعيله الثلاثة لقلت افلم يعلمهم كثيرا من القرون مهلكا ﴿ قوله او ما دل عليه كم اهلكنا ﴾ قال ابو البقاء و يحتمل ان يكون الفاعل ما دل عليه اهلكنا اى اهلاكنا و الجملة مفسرة له انتهى فيكون مفعوله محذوفا و المعنى افلم يبين لهم اهلاكنا القرون المكذبين طريق الاعتبار و الاتعاظ و لا يكون كم فى كم اهلكنا فاعلا و لا مفعولا لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله بل هو منصوب باهلكنا و هو مفعول مقدم اى و كثيرا من القرون اهلكنا ﴿ قوله او الجملة بمضمونها ﴾ اى و يحتمل ان يكون فاعله هذا الكلام الذى بعده و هو كم اهلكنا الخ بناء على ان المراد لفظه الدال على معناه كما اريد بآمنوا فى قوله تعالى و اذا قيل لهم آمنوا اللفظ الدال على معناه لا مجرد لفظه بل باعتبار دلالته على معناه و هو كثرة ما اهلك من القرون جعله هاديا لهم كما جعل واعظا و زاجرا و يمشون فى موضع الحال من الضمير فى لهم و الضمير فيه لكفار مكة و المعنى انهم يمشون فى مساكن الهالكين من القرون المكذبين فى متاجرهم الى الشام ذاهبين و راجعين و يشاهدون كون منازلهم خرابا بلقعا فينبغى ان يعتبروا بهم و يجتنبوا عما اداهم الى عذاب الاستئصال لئلا يحل بهم ما حل بهؤلاء و قرئ يمشون بالتشديد لكثرة ما مشوا فى مساكنهم ﴿ قوله تعالى ان فى ذلك ﴾ اى فى اهلاكهم بسبب كفرهم بالانبياء ﴿ قوله لكان مثل ما نزل بعاد ﴾ يريد ان اسم كان فى قوله لكان لزاما ضمير راجع الى الاهلاك المدلول عليه بقوله اهلكنا على حذف المضاف اى لكان مثل اهلاكنا اياهم لازما لهؤلاء الكفرة اما على ان لزاما مصدر لازم وصف به او اسم آلة على انه فعال بمعنى مفعل سمى به اللازم تشبيها له بآلة اللزوم فى فرط اللزوم فان اللازم لا ينفك عن الملزوم كما ان الآلة لا تنفك عما جعلت آلة له و كون فعال بمعنى مفعل و اطلاقه على الفاعل مثل قولهم فلان لزاز خصم اى ملح شديد الخصومة يقال لزه يلزه لزا و لزازا اى شده و الصقه و رجل ملز اى شديد الخصومة لزوم لما طلب و لزازه اى لاصقه ﴿ قوله عطف على كلمة ﴾ فيكون الكلام على التقديم و التأخير و اشار اليه بقوله لولا العدة بتأخير العذاب و اجل مسمى الخ لكان العذاب لزاما ثم بين نكتة الفصل بين المعطوف و المعطوف عليه بتوسط جواب لولا بقوله و الفصل للدلالة الخ ثم انه لا شك فى ان الكلمة اخبار الله تعالى ملائكته و كتبه فى اللوح المحفوظ ان امة محمد و ان كذبوا فسيؤخرون و لا يفعل بهم ما يفعل بغيرهم من الاستئصال و اختلفوا فيما لاجله لم يفعل ذلك بامة محمد عليه الصلاة و السلام فقال بعضهم لانه علم ان فيهم من يؤمن و قال آخرون علم ان فى نسلهم من يؤمن و لو نزل بهم العذاب لعمهم الهلاك و قال آخرون المصلحة فيه خفية لا يعلمها

(قال كذلك) اى مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال (أتتك آياتنا) واضحة نيرة (فنسيتها) فعميت عنها و تركتها غير منظور اليها (و كذلك) و مثل تركك اياها (اليوم تنسى) تترك فى العمى و العذاب (و كذلك نجزى من اسرف) بالانهماك فى الشهوات و الاعراض عن الآيات (و لم يؤمن بآيات ربه) بل كذبها و خالفها (و لعذاب الآخرة) و هو الحشر على العمى و قيل عذاب النار اى و النار بعد ذلك (اشد و ابقى) من ضنك العيش او منه و من العمى و لعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله و حاله او مما فعله من ترك الآيات و الكفر بها (أفلم يهد لهم) مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه (كم اهلكنا قبلهم من القرون) اى اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها و الفعل على الاولين معلق مجرى اعلم و يدل عليه القرآءة بالنون (يمشون فى مساكنهم) و يشاهدون آثار اهلاكهم (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) لذوى العقول الناهية عن التغافل و التعامى (و لولا كلمة سبقت من ربك) و هى العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة (لكان لزاما) لكان مثل ما نزل بعاد و ثمود لازما لهؤلاء الكفرة و هو مصدر وصف به او اسم آلة سمى به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم (و اجل مسمى) عطف على كلمة اى و لولا العدة بتأخير العذاب و اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم و هو يوم القيامة او بدر لكان العذاب لزاما و الفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفى لزوم العذاب

الا الله تعالى وقال اهل السنة له تعالى بحكم المالكية ان يخص من يشاء بفضله ومن يشاء بقهره وعذابه من غير علة تقتضى ذلك ﴿قوله ويجوز عطفه﴾ اى عطف قوله واجل مسمى على ضمير المستتر فى كان العائد على الاخذ العاجل المدلول عليه بالسياق فيكون الفصل بالخبر للاهتمام ببيان لزوم الاخذ العاجل لانتفاء العدة بتأخير عذاب هذه الامة والمعنى ولولا عدة سبقت من ربك بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لعذابهم الاجل لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود واضرابهما ولم يفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل الا ان هذا الاحتمال انما يكون على تقدير كون قوله لزاما مصدرا وصف به لان المصدر لايثنى ولايجمع بل يفرد على كل حال بخلاف ما اذا كان اسم آلة بمعنى مزم فانه حينئذ كان ينبغى ان يطابق فى التثنية فيقال لزامين وجوز ابو البقاء ان يكون لزاما جمع لازم كقيام جمع قائم ثم انه تعالى لما اخبر نبيه عليه الصلاة والسلام بانه لايهلك احدا قبل استيفاء اجله امره بالصبر على مايقولون مما يغمه ويؤذيه مثل تكذيبهم اياه فيما يدعيه من النبوة فقال فاصبر على مايقولون اى على ماتسمع منهم مما يؤذيك الى ان يحكم الله فيهم وهذه الآية منسوخة بآية القتال ثم امره بالتسبيح عقيب امره بالصبر لان التسبيح سواء كان بمعنى التنزيه والاجلال او بمعنى الصلاة بطريق اطلاق الجزء على الكل من قبيل ذكر الله تعالى وذكره يفيد السلوة والراحة وينسى جميع ما اصاب من الغموم والاحزان ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴿قوله معترفا بانه مولى النعم كلها﴾ الاعتراف به مستفاد من لفظ الحمد لان الحمد الاصطلاحى انما يكون فى مقابلة النعم وتأكيدا لنعم بقوله كلها مستفاد من اطلاق الحمد حيث لم يقيد بكونه فى مقابلة شئ من النعم ﴿قوله ومن ساعاته﴾ اى فسبح بعض ساعاته والآناء جمع انى كمعى وقيل جمع أنى كرمى يقال أنى يأنى أنيا اى حان ﴿قوله وانما قدم زمان الليل﴾ اى الزمان الذى هو الليل يعنى قدم قوله ومن آناء الليل على عامله واخره عنه قوله قبل طلوع الشمس وقبل غروبها اهتماما بشأن الليل حيث ان ما كان بالليل من العبادة افضل مما كان بالنهار لان الشواغل الداعية الى تفريق الخواطر تقل بالليل فيكون ماوقع فيه من العبادة مقرونا بحضور القلب وموافقة القلب اللسان فيكون أدخل فى استحقاق الاجر والفضل وايضا النفس فيه اميل الى الاستراحة فان العبادة الناشئة اى الحادثة فى الليل اشد وطئا اى كلفة او ثبات قدم واقوم قيلا اى أشد قراءة لانتفاء الشواغل ﴿قوله ومجيئه بلفظ الجمع﴾ جواب عما يقال النهار له طرفان فكيف قيل واطراف النهار والظاهر ايراد لفظ التثنية كما قال واقم الصلاة طرفى النهار وتقرير الجواب انه ذكر لفظ الجمع فى موضع ذكر لفظ التثنية لعدم التباس المراد فانه لايلتبس على احد ان النهار له طرفان لاغير وذكر لفظ التثنية فى آية اخرى للتنصيص على المراد وزيادة البيان كما عبر الشاعر عن الامرين تارة بلفظ التثنية واخرى بلفظ الجمع فى قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين ۞ لذلك وقبله ومهمهين فدفدين مرتين ۞ وبعده جبتهما بالنعت لابالنعتين ۞ المهمه المفازة البعيدة والفدفد الارض المستوية والمرت بسكون الراء المفازة التى لانبات بها ولاماء وجبتهما اى قطعتهما ولم يحتسال الامرة واحدة بنعت واحد لابنعتين ليخبر كل واحد من المهمهين عن الآخر يصف الشاعر نفسه بالفطانة والخبرة فى سلوك المفاوز وبالجرآءة والاقدام على المهالك وانما قال ظهور الترسين كراهة الجمع بين التثنيتين احداهما فى المضاف وثانيتهما فى المضاف اليه كقوله تعالى فقد صغت قلوبكما ﴿قوله او امر بصلاة الظهر﴾ عطف على قوله تعالى تكرير لصلاتى الصبح والمغرب فان قوله واطراف النهار منصوب بالعطف على محل قوله ومن آناء الليل كانه قيل وسبح اطراف النهار التى هى مابعد الزوال وماقبله وعبر بلفظ اطراف باعتبار انه ذو حظ من طرفى النهار ولابد مع هذا الاعتبار من الذهاب الى قول من قال اقل الجمع اثنان ﴿قوله فانها نهاية النصف الاول﴾ اى فانها تصلى عند الزوال الذى هو نهاية النصف الاول الخ ﴿قوله او لان النهار جنس﴾ يتناول كل فرد من افراد النهار فلما كانت صلاة الظهر تتكرر فى كل نهار جمع وقته لتعدد الظهر التى اضيف هو اليها لا لتعدده فى نفسه ﴿قوله او بالتطوع فى اجزاء النهار﴾ عطف على قوله بصلاة الظهر فى قوله او امر بصلاة الظهر فقوله تعالى واطراف النهار فيه ثلاثة اوجه ﴿قوله اى نظر عينيك﴾ ومد النظر تطويله وان لايكاد يرده استحسانا للمنظور وتمنيا ان يكون له مثله وفيه دليل على ان النظر الغير الممدود معفو عنه لانه لايمكن الاحتراز عنه ولما كان النظر الى الزخارف كالمركوز فى الطباع وان من ابصر منها شيأ احب ان يمد اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل له عليه السلام ولاتمدن عينيك اى لاتفعل ماعليه جبلت البشر ولقد شدد المتقون فى وجوب غض

ويجوز عطفه على المستكن فى كان اى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم (فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك) وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر مايضيفون اليه من النقائص حامدا له على ماميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها (قبل طلوع الشمس) يعنى الفجر (وقبل غروبها) يعنى الظهر والعصر لانهما من آخر النهار او العصر وحده (ومن آناء الليل) ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وأناء بالفتح والمد (فسبح) يعنى المغرب والعشاء وانما قدم زمان الليل فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هى اشد وطئا واقوم قيلا (واطراف النهار) تكرير لصلاتى الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانها نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع فى اجزاء النهار (لعلك ترضى) متعلق بسبح اى سبح فى هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائى وابو بكر بالبناء للمفعول اى يرضيك ربك (ولاتمدن عينيك) اى نظر عينيك (الى مامتعنا به) استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله (ازواجا منهم) اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير فى به والمفعول منهم اى الى الذى متعنا به وهو اصناف بعضهم او ناسا منهم

(زهرة الحياة الدنيا) منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهى الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهى لغة كالجهرة فى الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ماعليه المؤمنون الزهاد (لنفتنهم فيه) لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم فى الآخرة بسببه (ورزق ربك) وما ادخر لك فى الآخرة او مارزقك من الهدى والنبوة (خير) مما منحهم فى الدنيا (وابقى) فانه لاينقطع (وأمر اهلك بالصلاة) امره بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلاة بعدما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولايهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة (واصطبر عليها) وداوم عليها (لانسألك رزقا) ان ترزق نفسك ولا اهلك (نحن نرزقك) واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة (والعاقبة) المحمودة (للتقوى) لذوى التقوى روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اصاب اهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه) بآية تدل على صدقه فى ادعاء النبوة او بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فألزمهم باتيانه بالقرآن الذى هو ام المعجزات واعظمها واتقنها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعى النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولاشك ان العلم اصل العمل وأعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال (اولم تأتهم بينة مافى الصحف الاولى) من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة مافيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتى بها امى لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هى مفتقرة الى مايشهد على صحتها قرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) من قبل محمد او البينة والتذكير لانها فى معنى البرهان او المراد بها القرآن (لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل) بالقتل والسبى فى الدنيا (ونخزى) بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما (قل كل) اى كل واحد مناومنكم (متربص) منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم (فتربصوا) وقرئ فتمتعوا (فستعلمون من اصحاب الصراط السوى) المستقيم وقرئ السواء اى الوسط الجيد والسوى والسوء اى الشر والسوى وهو تصغيره (ومن اهتدى) من الضلالة ومن فى الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبى عليه الصلاة والسلام * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ طه اعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار

البصر عن ابهة الظلمة واختيال الفسقة فى اللباس والمركب وغير ذلك لانهم اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظار والناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها روى عن ابى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثنى الى يهودى فقال قل له ان رسول الله يقول لك بعنى كذا وكذا من الدقيق او اسلفنى الى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال لا والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال * والله لو باعنى او اسلفنى لقضيته وانى لأمين فى السماء وامين فى الارض اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الآية تسلية له عن الدنيا قال ابو الدرداء الدنيا دار من لادار له ومال من لامال له ولها يجمع من لاعقل له وعن الحسن لولا حمق الناس لخربت الدنيا وعن عيسى بن مريم لاتتخذوا الدنيا دارا فتتخذكم عبيدا وأزواجا منصوب على انه مفعول متعنا او على انه حال من الهاء به روعى لفظ مافى به فأفرد الراجع اليها ومعناها اخرى فجمع ما كانت عبارة عنه ومنهم مفعول متعنا على ان من فيه للتبعيض اى بعضهم اوناسا منهم وذكر لانتصاب زهرة ستة اوجه الاول ان يكون منصوبا بفعل مضمر دل عليه متعنا تقديره جعلنا لهم زهرة والثانى ان يكون مفعولا ثانيا لمتعنا على تضمينه معنى اعطينا وازواجا مفعوله الاول وزهرة هو الثانى والثالث ان ينتصب على انه بدل من محل به والرابع والخامس ان يكون بدلا من ازواجا على حذف المضاف اى ذوى زهرة او من غير حذفه بان يجعل اصناف الكفرة نفس الزهرة على المبالغة والسادس ان يكون منصوبا على الذم وهو النصب على الاختصاص بتقدير اعنى والمذموم الموصول او ضميره ذمهم لكونهم زينة الدنيا لا الآخرة وعلى تقدير ان تكون زهرة بفتح الهاء جمع زاهر كفاجر وفجرة وبار وبررة تكون صفة ازواجا اى اصنافا زاهرى الدنيا اى مشرقى الوجوه متلألئى الالوان والهيئات يقال زهرت النار زهورا اى اضاءت وازهرتها انا والازهر النير ورجل ازهر اى نيرابيض مشرق الوجه والمرأة زهراء وصف المتنعمين بانهم زاهروا هذه الحياة الدنيا لصفاء ألوانهم وتهلل وجوههم بخلاف ماعليه الصلحاء من تغير الالوان والتبلغ بالقوت والاكتفاء بالمرقعات من الثياب ﴿قوله او لنعذبهم﴾ يؤيده قوله تعالى ولاتعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا ﴿قوله على خصاصتهم﴾ قال فى النهاية الخصاصة الجوع والضعف واصلها الفقر والحاجة الى الشئ ﴿قوله انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا﴾ يعنى ان قول الكفار هلا يأتينا محمد عليه الصلاة والسلام بآية يجوز ان يكون طلبا لآية تدل على صدقه فأية آية كانت انكارا لما جاء به مما يدل عليه وان يكون طلبا لآية مقترحة مثل العصا والناقة مع اعتدادهم بما جاء به تعنتا وعنادا ويحتمل ان يكون قوله تعالى فاصبر على مايقولون توطئة لحكاية هذه المقالة من الكفرة ويكون المراد بمايقولون مقالتهم هذه قرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بتأنيث الفعل لتأنيث فاعله والباقون بالياء من تحت لكون التأنيث غير حقيقى وقرأ العامة بينة ما باضافة بينة الى ما مرفوعة وهى واضحة وقرئ بتنوين بينة مرفوعة فعلى هذه القراءة تكون ما بدلا من بينة بدل كل من كل او خبر مبتدأ محذوف اى هى مافى الصحف الاولى كالتوراة والانجيل من البشارة بنبينا محمد برسالة نبيا عربيا موصوفا بما فيه من النعوت الكريمة ﴿قوله تعالى ولو أنا اهلكناهم بعذاب الآية﴾ بيان انه لاعذر لهم فى ترك الشرائع وسلوك طريق الضلال بوجه ما ثم انه تعالى ختم السورة بضرب من الوعيد ونوع من الزجر والتهديد فقال قل كل متربص الآية قرأ العامة السوى على وزن فعيل بمعنى الدين المستوى المستقيم وقرئ السواء بفتح السين والمد بمعنى الوسط الجيد وقرئ السوءى نقيض الحسنى لان الصراط لكونه بمعنى السبيل يجوز تأنيثه وقرئ الصراط السوء بفتح السين وسكون الواو بمعنى الشر وقرئ السوى بضم السين وفتح الواو وتشديد الياء تصغير سوء والمعنى على القراآت الثلاث الاخيرة فستعلمون من اصحاب الطريق المعوج والدين الباطل ﴿قوله ومحلها الرفع على الابتداء﴾ ومابعدها الخبر والجملة فى محل النصب سادة مسد المفعولين ومن لما كانت استفهامية بمعنى اى لم يعمل فيها فستعلمون ﴿قوله على ان العلم بمعنى المعرفة﴾ اذلو كان على بابه لاحتيج الى تقدير مفعول ثان لعدم جواز الاقتصار على احد مفعوليه وعلى تقدير ان تكون من الثانية موصولة تكون فى حيز مفعول فستعلمون على معنى فستعلمون الذى اهتدى او فى حيز خبر من الاستفهامية على معنى اينا اصحاب الصراط السوى والذى اهتدى او فى حيز المجرور باضافة اصحاب اليه على معنى اينا اصحاب الصراط السوى واصحاب الذى اهتدى على ان المراد بالذى اهتدى النبى عليه الصلاة والسلام

﴿ سورة الانبياء مكية وهى مائة واثنا عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله بالاضافة الى ماضى ﴾ جواب عما يقال كيف وصف وقت الحساب بالاقتراب مع انه قد عدّ من بعد نزول هذا القول اكثر من تسعمائة سنة يقال قرب الشئ واقترب اذا دنا والحساب بمعنى المحاسبة وهو اظهار ماللعبد وماعليه ليجازى على ذلك قيل المراد به وقت حسابهم وهو يوم القيامة كما قال اقتربت الساعة فسمى يوم القيامة بيوم الحساب تسمية للزمان باعظم ماوقع فيه واشده وقعا فى القلوب فان الحساب هو الكاشف عن حال المرء ففى تسميته به تخويف عظيم للكلفين ﴿ قوله واللام صلة لاقترب ﴾ الفرق بين كونها صلة وكونها تأكيدا للاضافة ان اللام الجارة اذا كانت صلة لاقترب كان المقترب له اى المدنوّ منه مذكورا وكان المعنى دنا من الناس حسابهم واذا كانت تأكيدا للاضافة لم يكن المقترب له اى المدنوّ منه مذكورا المعلم به فيصير المعنى كما قيل اقترب حساب الناس اى الحساب الذى للناس فلما كانت اللام لتأكيد الاختصاص المستفاد من الاضافة كان اصل المعنى اقترب حساب الناس لان المقصود بيان دنو وقت حسابهم وهو يحصل من هذا التركيب ثم قدّم المضاف اليه وادخل عليه اللام الجارة المفيدة لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بالاضافة وعرف الحساب تعريف الجنس فصار اقترب للناس الحساب على ان للناس ظرف مستقر قدم على الحساب لكون العناية مصروفة الى ذكر المقترب له وبيان ان الحساب لهم لالغيرهم وفى التقديم والتصريح باللام وتعريف الحساب مبالغات ليست فى قولك اقترب حساب الناس ثم حذف لام التعريف من الحساب واضيف الى ضمير الناس تأكيدا لاختصاص الحساب بهم المدلول عليه بلام الاختصاص * فان قيل اذا كان اقترب للناس مقدما فى الاعتبار على ان يقال اقترب للناس حسابهم لم يكن اللام تأكيدا للاضافة بل يكون الامر بالعكس * فالجواب انه اذا كان احدهما تأكيدا للآخر كان كل واحد منهما مؤكدا بالآخر فصح جعل اللام تأكيدا للاضافة ومعنى التأكيد ان كل واحد من اللام الجارة والاضافة مغنية عن الاخرى فاذا جمع بينهما كانت احداهما تأكيدا للاخرى ﴿ قوله معرضون عن التفكر فيه ﴾ فان العقول السليمة مما تحكم بانه لابدّ من الحساب والجزآء والا لزم التسوية بين المطيع والعاصى والمتقين والفجار وهى بعيدة عن مقتضى الحكمة والعدالة ﴿ قوله محدث تنزيله ﴾ يعنى ان المراد بالذكر كلام الله تعالى الذى يذكرهم مالهم وماعليهم وهو صفة ازلية قديمة الا انه تعالى انزله بالتفاريق واحدث تنزيله فى كل وقت على حسب المصالح وقدر الحاجة فذات المنزل ازلى قديم والمحدث انما هو تنزيله فظهر الجواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على ان القرآن محدث قائلين ان القرآن ذكر لقوله تعالى فى صفة القرآن ان هو الاذكر للعالمين والذكر محدث بهذه الآية فالقرآن محدث * واجيب عنه ايضا بان الموصوف بالاتيان وبانه ذكر هو المركب من الحروف والاصوات وحدوثه مما لانزاع فيه وانما النزاع فى قدم كلام الله تعالى عزوجل بمعنى آخر فقوله تعالى مايأتيهم من ذكر الآية بيان لكونهم معرضين وذلك لان الله تعالى يجدّد لهم الذكر كل وقت ويظهر لهم الآية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم الموعظة ليتعظوا فمازادهم ذلك الا استهزاء قرأ العامة محدث بالجرّ على انه صفة الذكر محمول على لفظه وقرئ مرفوعا حملا على محله لان من مزيدة فيه كما فى ماجاءنى من احد ﴿ قوله لاهية قلوبهم ﴾ اى متشاغلة عن التأمل فيه من لهيت عن الشئ الهى لهيا ولهيانا بالضم من باب علم اذا غفلت عنه قدم ذكر اللعب على اللهو كما فى قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو تنبيها على ان اشتغالهم باللعب الذى معناه السخرية والاستهزآء معلل باللهو الذى معناه الذهول والغفلة فانهم انما اقدموا على اللعب لذهولهم عن الحق ﴿ قوله اى استمعوه جامعين ﴾ على تقدير ان يكونا حالين مترادفين من واو استمعوه وان كان لاهية حالا من واو يلعبون يكون من قبيل الاحوال المتداخلة لكون الحال الاولى عاملة فى الثانية ﴿ قوله بالغوا فى اخفائها ﴾ جواب عما يقال من ان النجوى اسم من التناجى فلاتكون الاخفية فما معنى قوله تعالى واسرّوا النجوى فاجاب عنه اولا بان معناه بالغوا فى اخفائها وثانيا بان المعنى جعلوها بحيث لايفطن احد لتناجيهم ولايعلم انهم متناجون ﴿ قوله بدل من واو أسرّوا ﴾ فيكون واو أسرّوا ضميرا عائدا الى ماعاد اليه سائر الضمائر المذكورة ويكون المقصود من ابدال قوله الذين ظلموا من الواو الاعلام بانهم البالغون فى الظلم وذلك لانه جعل الذين ظلموا مفسرا لهم بهذا الابدال وان كان الذين ظلموا فاعلا يكون واو أسرّوا حرفا جئ به للدلالة على ان الفاعل جمع كما يؤتى بالتاء للدلالة

﴿ سورة الانبياء مكية وهى مائة ﴾
﴿ واثنا عشرة آية ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقترب للناس حسابهم) بالاضافة الى مامضى اولعند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مماتعدون اولان كل ماهوآت قريب وانما البعيد ماانقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تأكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله (وهم فى غفلة معرضون) اى فى غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن فى معرضون (مايأتيهم من ذكر) ينبههم من سنة الغفلة والجهالة (من ربهم) صفة الذكر او صلة ليأتيهم (محدث) تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كى يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل (الا استمعوه وهم يلعبون) يستهزؤن به ويستسخرون منه لتناهى غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر فى الامور والتفكر فى العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك (لاهية قلوبهم) اى استمعوه جامعين بين الاستهزآء به والتلهى والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت بالرفع على انه خبر آخر للضمير (وأسرّوا النجوى) بالغوا فى اخفائها او جعلوها بحيث خفى تناجيهم بها (الذين ظلموا) بدل من واو أسرّوا للايماء بانهم ظالمون فيما اسرّوا به اوفاعل له والواو لعلامة الجمع اومبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسرّوا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم اومنصوب على الذم

(هل هذا الا بشر مثلكم أفتأتون السحر وانتم تبصرون) بأسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر كأنهم

استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لايكون الاملكا واستلزموا منه ان ماجاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا في استنباط مايهدم امره ويظهر فساده للناس عامة (قل ربي يعلم القول في السماء والارض) جهرا كان اوسرا فضلا عما أسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله وأسروا النجوى في المبالغة وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول (وهو السميع العليم) فلايخفى عليه مايسرون ولا ما يضمرون (بل قالوا أضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر) اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وماظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعرى يخيل الى السامع معاني لاحقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لأقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه مايناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لايكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة وماسمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق (فليأتنا بآية كما ارسل الاولون) اى كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية (ما آمنت قبلهم من قرية) من اهل قرية (اهلكناها) باقتراح الآيات لما جاءتهم (أفهم يؤمنون) لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذلو أتي به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم (الآية)

على ان الفاعل مؤنث ﴿قوله وانما اسروا به تشاورا﴾ لما كان هذا الحديث منهم على طريق التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى هدم امره لاجرم اسروا به لان عادة المتشاورين ان يجتهدوا في كتمان سرهم عن اعدائهم ﴿قوله جهرا كان اوسرا﴾ اشارة الى جواب مايقال هلا قيل يعلم السر حتى يطابق قوله واسروا النجوى وتقريره ان القول عام يشمل السر والجهر فكان العلم بالقول العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على نجواهم من ان يقول يعلم السر الواقع كما ان قوله يعلم السر آكد من قوله يعلم سرهم مع انه مطابق لقوله واسروا النجوى لان النجوى هو القول الواقع بطريق المسارة والمطلق مطابق لكل واحد مما تحته ﴿قوله ولا ما يضمرون﴾ اشارة الى ان متعلق قوله العليم هو ما اضمروه في نفوسهم من غير ان يتكلموا به لاسرا ولاجهرا لقوله تعالى يعلم السر واخفى وقال الامام قدم السمع على العلم لانه لابد من سماع الكلام اولا ثم حصول العلم بمعناه ولايخفى ان هذا التوجيه لايصح فيما اسند اليه تعالى من السماع ﴿قوله اضراب لهم﴾ يعني ان الاضرابات المذكورة في هذه الآية واقعة في كلام الذين ظلموا حكاها الله تعالى عنهم كما وقعت في كلامهم للدلالة على كونهم متحيرين خابطين خبط عشواء لايميزون بين مضرب عنه ومضرب منه لايدرون مايقولون ولايجدون متمسكا ينفعهم في هدم امره واظهار فساد ما ادعاه من الرسالة ولما كان هذا التوجيه مشكلا من حيث ان الاضرابات المذكورة لو كانت واقعة في كلام الكفرة وانه تعالى حكاها عنهم كما وقعت لوجب ان يكون قالوا مقدما على بل بأن يقال قالوا بل اضغاث احلام ليفيد الكلام حكاية اضرابهم وتقديم بل على قالوا لايفيد ذلك قال المصنف والاظهر ان تكون بل الاولى اضرابا منه تعالى عن حكاية قولهم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون الى حكاية قولهم في حق القرآن انه اضغاث احلام اويكون اضرابا عن محكي اى عن التحاور في شأنه عليه الصلاة والسلام وفي شأن ماجاء به من الخوارق الى التقاول في امر القرآن وان تكون بل الثانية والثالثة من كلام الكفرة اضربوا بهما عن قولهم في امر القرآن انه اضغاث احلام الى انه مفترى الى انه كلام شعري ثم جوز ان تكون كلها بل من كلام الله تعالى لاحكاية عن الكفرة لان الكلام المحكي مايقع بعد القول فيفيد الكلام ان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث من الثاني والرابع من الثالث ووجه افادة بل هذا المعنى ان الاضراب قد يكون لابطال الكلام الاول وقد يكون للانتقال منه الى خبر آخر أهم من الاول والاضراب الواقع في كلام الله تعالى لايحمل على الاول لانه يستلزم ان يكون الاول باطلا في نفسه او غلطا والله تعالى منزه عن ذلك فلابد ان يكون الاضراب الواقع فيه للانتقال الى الاهم والاهم في مقام بطلان مقالة القوم بيان ما هو افسد بالنسبة الى الاول فيكون مابعد بل في مثل هذا المقام افسد بالنسبة الى ماقبلها ﴿قوله وليس فيه مايناسب قول الشعراء﴾ لان الشعر تخيلات ملفقة وتمويهات مزخرفة يدعو الى الهوى والشيطان والقرآن يدعو الى الهدى وطاعة الرحمن وما علمناه الشعر وماينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وقولهم انه كلام مفترى من عند نفسه مع كونه باطلا في نفسه لان القوة البشرية وان استفرغت طوقها لاتطيق اتيان مثله فهو ابعد من قولهم انه اضغاث احلام مع كونه فاسدا في نفسه من حيث ان الكتاب الذي احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير كيف يتصور كونه من تخاليط الاحلام فهو اشد فسادا بالنسبة الى قولهم انه سحر لان تشبيه النظم المعجز الفائق بالسحر اقرب من جعله من تخليط الاحلام لقوله عليه الصلاة والسلام ان من البيان لسحرا والاضغاث الحزم من النبات ونحوه فاستعير للتخاليط والاباطيل شبهت تخاليط الاحلام واباطيلها بحزم من اخلاط النبات في كونها مخلوطة من اشياء غير متناسبة ثم استعملت في الاباطيل بقرينة اضافتها الى الاخلاط والحلم بضم الحاء وسكون اللام هو الرؤيا وضم اللام ايضا لغة فيه فالاحلام بمعنى المنامات سواء كانت باطلة او حقة واضيف الاضغاث بمعنى الاباطيل اليها على طريق اضافة الخاص الى العام اضافة بمعنى من وقد تخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما في قوله عليه الصلاة والسلام الرؤيا من الله تعالى والحلم من الشيطان ﴿قوله وصحة التشبيه﴾ جواب عما يقال محل الكاف في قوله كما ارسل الاولون اما جر على انه صفة آية او نصب على انه صفة مصدر محذوف فالتقدير على الاول بآية مثل ارسال الاولين وعلى الثاني اتيانا مثل ارسال الاولين وما مصدرية على الوجهين ولاوجه لتشبيه الآية ولا لتشبيه اتيانها بارسال الاولين وتقرير الجواب ان الارسال يتضمن اتيان الآية ويستلزمه فذكر الارسال الذي هو ملزوم لاتيان

الآية واريد لازمه مجازا فكأنه قيل بآية مثل آية الاولين او اتيانا مثل اتيان الاولين واشار المصنف بقوله كما ارسل الاولون الى جواب آخر وهو ان كلمة ما في قوله تعالى كما ارسل الاولون موصولة وعائدها محذوف والمعنى بآية مثل الآية التى ارسل بها الاولون وتشبيه الآية بالآية تشبيه واضح لاخفاء فيه ثم ان مشركي مكة لما اقترحوا آية شبيهة بآية الاولين في انها لايتطرق اليها احتمال انها اضغاث احلام او كلام مفترى او قول شاعر اجابهم الله تعالى بان الامم التى اهلكناهم باصرارهم على التكذيب بعد ما اتيهم الآيات التى اقترحوها لم يؤمنوا بآياتها فلو أتاهم ما اقترحوه لما آمنوا ايضا لكونهم اعتى منهم فاستوجبوا عذاب الاستئصال مثلهم لان الحكمة الالهية قد اقتضت ان من كذبوا بعد الاجابة الى ما اقترحوه لابد ان ينزل بهم عذاب الاستئصال وقد سبق وعده في حق هذه الامة ان يؤخر عذابهم الى يوم القيامة فلذلك لم يجابوا الى ما اقترحوه للابقاء عليهم اى الترحم بهم يقال ابق على فلان اذا رحمه ﴿ قوله والاحالة اليهم ﴾ اى احالة المشركين الى اليهود والنصارى في استعلام ان البشرية لاتنافي الرسالة اما للالزام والاسكات لالاثبات الحكم المتعلق بالاعتقادات بما تقول الكفرة فان اليهود والنصارى وان انكروا نبوة رسول الله عليه الصلاة والسلام الا انهم لاينكرون ان الرسل كانوا بشرا ثم انهم لما كانوا يوافقون المشركين في معاداته عليه الصلاة والسلام كان المشركون لايكذبونهم فيما قالوا في حق الرسل واما لانه لافرق بين المؤمنين والكفار في حصول العلم بخبرهم اذا بلغ حد التواتر ﴿ قوله وقرأ حفص نوحي بالنون ﴾ اى بنون العظمة مبنيا للفاعل اى نوحي نحن والباقون بالياء وفتح الحاء مبنيا للمفعول وهذه الجملة في محل النصب على انها صفة رجالا ﴿ قوله نفى لما اعتقدوا انها ﴾ انث العائد الى ما لكونها عبارة عن الخاصة فان عدم الاحتياج الى الطعام والخلود بمعنى عدم طريان الموت من خواص الملائكة نفاها عن الرسل تحقيقا لكونهم ابشارا جمع بشر مثلهم وابطالا لزعم ان البشرية تنافي الرسالة فان نفي الخاصة اللازمة للملكية يستلزم نفي الملزوم فيتحقق كونهم ابشارا مثلهم ﴿ قوله وقيل جواب ﴾ عطف على قوله نفى لما اعتقدوا وتوضيح هذا القول ان الكفرة كانوا يطعنون في الرسالة باشياء منها قولهم أبعث الله بشرا رسولا وقولهم هل هذا الابشر مثلكم فألزمهم الله تعالى بان الرسل الذين صدقهم آباؤهم وآمنوا بهم كانوا من البشر وان رسالتهم صحت بما اظهر الله تعالى على ايديهم من الخوارق والمعجزات فاذا صحت رسالتهم بذلك فقد صحت رسالة سيد المرسلين بما يظهره الله تعالى على يديه من الآيات الباهرة فلا يعاب عليه بكونه بشرا ومنها قولهم ان الذى يدعى الرسالة يأكل الطعام ويشرب وينكح ويمشي في الاسواق كغيره من الناس كما اخبر الله تعالى عنهم ذلك بقوله مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ونحوه فألزمهم واخبرهم ان الرسل الذين كانوا من قبل كانوا يأكلون الطعام ويشربون ويمشون في الاسواق ويقضون حوائجهم فقال وماجعلناهم جسدا لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين اى في الدنيا وقال في آية اخرى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فعلى ذلك هذا الرسول المبعوث اليكم كسائر الرسل الذين كانوا من قبل ممن كان يأكل ويشرب وينكح وانه بشر وهو رسول كسائر الرسل ولم يرض المصنف بهذا التأويل لان جعل الكلام اجنبيا عما سيق له الكلام مع امكان ربطه بالمقام لايخلو عن بعد ﴿ قوله وتوحيد الجسد ﴾ جواب عما يرد من ان جعل في الآية الظاهر بمعنى صير فيتعدى الى مفعولين ثانيهما جسدا ومفعوله الاول وهو هم جمع فكيف يصح ان يخبر عن الجمع بالمفرد وايضا الظاهر ان قوله لايأكلون في محل النصب على انه صفة لجسد فكيف يصح ان يرجع اليه ضمير الجمع وان جعل تقدير الكلام وماجعلناهم ذوي جسد غير طاعمين او وماجعلنا كل واحد منهم جسدا كقوله ثم نخرجكم طفلا اى نخرج كل واحد منكم طفلا سقط الايراد وفي الصحاح الجسد البدن والجسم والجسد ايضا الزعفران او نحوه من الصبغ وهو الدم ايضا والجسد ايضا مصدر قولك جسد به يجسد اذا لصق فهو جاسد وجسيد ويقال الجسد لما اشبع صبغه من الثياب ويقال للزعفران الجساد ﴿ قوله اى في الوعد ﴾ يعني ان صدق يتعدى الى مفعولين الى ثانيهما بحرف الجر وقد يحذف ويقال صدقتك الحديث اى في الحديث كما في قوله تعالى واختار موسى قومه اى من قومه وضمير صدقناهم للرسل وقد وعدهم الله تعالى بانجائهم وانجاء من صدقهم وآمن بهم واهلاك من كذبهم ويدل عليه قوله تعالى فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين اى بعذاب الاستئصال وليس المراد عذاب الآخرة لانه اخبار بما مضى = والصيت الذكر الجميل الذى ينشر في الناس دون القبيح يقال له ذكر في الناس اى صيت

(وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم بأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة اليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي عليه السلام ويثقون بقولهم او لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون (وماجعلناهم جسدا لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين) نفى لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا ابشارا مثلهم وقيل جواب لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدى الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لايطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشئ واشتداده (ثم صدقناهم الوعد) اى في الوعد (فانجيناهم ومن نشاء) يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او احد من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال (واهلكنا المسرفين) في الكفر والمعاصي (لقد انزلنا اليكم) يا قريش (كتابا) يعني القرآن (فيه ذكركم) صيتكم لقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق (أفلا تعقلون) فتؤمنون به

(وكم قصمنا من قرية) واردة من غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم (كانت ظالمة) صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه (وانشأنا بعدها) بعد اهلاك اهلها (قوما آخرين) مكانهم (فلما أحسوا بأسنا) فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك الشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف (اذاهم منها يركضون) يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم (لا تركضوا) على ارادة القول اى قيل لهم استهزاء لا تركضوا امابلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثمة من المؤمنين (وارجعوا الى ما اترفتم فيه) من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة (ومساكنكم) التى كانت لكم (لعلكم تسألون) غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور فى المهام والنوازل (قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين) لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبى فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يالثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك (فما زالت تلك دعواهم) فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كأنه يدعو الويل ويقول ياويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع (خامدين) ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين) وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوى الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد فى المعاش والمعاد فينبغى ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال

وشرف وفى القرآن صيت لقريش لانه بلسانهم ولغتهم منزل على نبى منهم يشتهرون بشهرته ويشرفون بشرفه لانهم حملته والمرجوع اليهم فى حل معاقده وقد يكون الذكر بمعنى التذكرة والموعظة بالوعد والوعيد فيكون من قبيل قوله تعالى كلا انها تذكرة وقوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ويجوز ان يراد بالذكر ما يكون سببا لذكر الجميل من مكارم الاخلاق التى من تخلق بها نشر صيته فى الناس وقوله تعالى فيه ذكركم معناه فى علمه والعمل بما فيه جميع ما تحتاجون اليه فى امر دينكم ودنياكم من حسن الجوار وصلة الرحم وتعظيم امر الله والشفقة على عباده وصدق الحديث واداء الامانة والوفاء بالعهد وغير ذلك فذكر الذكر واريد به مكارم الاخلاق الموجبة لثناء الحسن فيكون من باب ذكر المسبب وارادة السبب ثم اعلم ان قوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على قوله وما ارسلنا قبلك اى قد ارسلنا قبلك رسلا يوحى اليهم ايشارا مثلك ثم صدقناهم الوعد محمد عليه الصلاة والسلام نبى كسائر الانبياء بشر مثلهم ولابد ان يصدقه الله تعالى فى وعده فاحذروا يا قريش سوء العاقبة ونزول البلاء على تكذيبه ثم قال تعالى لقد انزلنا واجاب عن قولهم فليأتنا بآية بقوله ما آمنت ثم اجاب عن قولهم هل هذا الا بشر مثلكم بقوله وما ارسلنا وادرج فيه التهديد ايضا بقوله ثم صدقناهم الوعد ثم بين انه قد آتاكم ما يكفيكم ويغنيكم عن اقتراح الآيات ووجب اعمالكم به وهو الكتاب الذى فيه ذكركم أفلا تعقلون فتؤمنون به وترتدعون عن اقتراح الآيات وعن القدح فيه بما لا يليق به وتقضى بداهة العقول ببطلانه ﴿قوله فلما ادركوا الخ﴾ لما لم يجب ان يكون ما اصاب المهلكين من الناس محسوسا باحدى الحواس الظاهرة جعل قوله تعالى أحسوا استعارة تبعية بان شبه ادراكهم البأس بادراك المحسوس فاطلق عليه اسم الاحساس واشتق منه قوله أحسوا ﴿قوله راكضين دوابهم او مشبهين بهم﴾ يعنى ان الركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك ويجوز ان يكونوا ركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا فى سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين الراكضين لدوابهم ﴿قوله تعالى الى ما اترفتم فيه﴾ اى الى نعمكم التى خولتموها وتوسعتم فيها حتى بطرتم بها فكفرتم واعرضتم عن من جعلها لكم اى عن حمده وشكره قال الخليل المترف الموسع عليه عيشه القليل فيه همه والمعنى ارجعوا الى نعمكم والى مساكنكم التى تسكنونها لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او ارجعوا اليها واجلسوا كما كنتم فى مجالسكم وترتبوا فى مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم ومن ينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا ترسمون كعادة المخدومين اولعل الناس تسألكم عما فى ايديكم ويستشيرونكم فى المهمات والنوازل او ارجعوا الى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم وعلى اموالكم ومساكنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة ﴿قوله يالثارات الانبياء﴾ اللام فيه للاستغاثة والثأر الانتقام من القاتل بقتله مكان المقتول يقال ثأر القتيل بالقتل اى قتل قاتله وبابه قطع والمقصود من نداء الثارات الاخبار عن موجب دعائهم على انفسهم بالويل حيث قالوا ياويلنا وبينوا وجه استحقاقهم به بان قالوا انا كنا ظالمين على انفسنا بتكذيب الرسل قال تعالى فما زالت تلك الكلمة وهى ياويلنا دعواهم اى دعاءهم فتلك مرفوع وعلى انه اسم ما زالت ان جعلت الدعوى منصوبة المحل على الخبرية او منصوب على انه خبر وان الدعوى اسم وكل واحد من الوجهين جيد لانهما معرفتان وحصيدا من باب التشبيه البليغ اى مثل ذلك الزرع المحصود والفعيل بمعنى المفعول يستوى فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿قوله وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثانى﴾ وليس كل واحد منهما مفعولا على حدة لان جعل لا يتعدى الى ثلاثة مفاعل فانه قد تعدى الى مفعوله الاول وهو ضمير الجمع فلا يتعدى به الى مفعولين آخرين فلذلك جعل حصيدا خامدين بمنزلة مفعول واحد كما اذا قلت جعلته حلوا حامضا فانه فى معنى جعلته جامعا للطعمين وكذلك ما نحن فيه فان معناه جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود ﴿قوله او صفة له﴾ عطف على قوله بمنزلة المفعول الثانى اى يجوز ان يكون خامدين صفة لحصيدا فانه مفرد فى معنى الجمع وان يكون حالا من الضمير المستكن فى حصيدا وقوله خامدين استعارة تبعية شبه الموت بخمود النار وانطفائها فاطلق عليه اسم الخمود ثم اشتق منه خامدين ﴿قوله فينبغى ان يتسلقوا بها﴾ اى ان يطلعوا ويصعدوا بسببها فان تسلق مطاوع لقولك سلقته سلقا اذا ألقيته على ظهره وربما قال سلقيته سلقاء بزيادة الياء واشار المصنف به الى وجه تعلق هذه الآية بما قبلها وهو انه تعالى لما بين اهلاك القرى لاجل تكذيبهم اتبعه بما يدل على انه فعل ذلك عدلا منه ومجازاة على ما فعلوه وهو انهم ضيعوا ما خلقه الله تعالى لفوائد دينية ودنيوية اما الدينية فهى ان يتفكر المكلفون

فيها ويستدلوا بها على عظمة الله وكبريائه وكمال قدرته وحكمته واما الدنيوية فهى ما يتعلق بها من المنافع التى لاتعد ولاتحصى فى اغتر بزخارفها ولم يشتغل بها الى الاستكمال بالكمالات العلمية والعملية يجدر بان يهلك ويجعل نكالا وعبرة لغيره ثم انه تعالى لما ذكر انه لم يخلق هذا السقف المرفوع والمهاد المبسوط وما بينهما من بدآئع الموجودات وغرآئب المصنوعات لان يتلهى به ويلعب بين انه لم يتخذ ما يتلهى به ويلعب من حيث ان الحكمة صارفة عنه لامن جهة عدم القدرة على اتخاذه فقال لو اردنا ان نتخذ لهوا اى ما يتلهى به على انه مصدر بمعنى المفعول يقال لهوت بالشئ بالفتح ألهو لهوا اذا لعبت به لاتخذناه من جهة قدرتنا عليه لكنا لم نتخذه لعدم ارادتنا اتخاذه ومن فسر اللهو بالولد والمرأة فقد اخرج الكلام عن الالتئام بما قبله قال الامام الواحدى اللهو طلب الترويح للنفس ثم المرأة تسمى لهوا وكذا الولد لانه يتروح بكل واحد منهما ولهذا يقال لامرأة الرجل وولده ريحانتاه والمعنى لو اردنا ان نتخذ امرأة ذات لهو وولدا ذا لهو لاتخذناه من لدنا اى مما نصطفيه ونختاره مما نشاء من خلقنا كقوله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء وقال المفسرون اى من الحور العين وهذا رد لقول اليهود فى عزير وقول النصارى فى المسيح وانه من كونهما ولدا وصاحبة ومعنى من لدنا من عندنا اى بحيث لايجرى لاحد فيه تصرف لان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لاعند غيره انتهى ﴿قوله ويدل على جوابه﴾ يعنى ان كلمة ان فى الآية شرطية وجواب الشرطية محذوف لدلالة جواب لو عليه والتقدير ان كنا فاعلين اتخذناه ولكنا لم نفعله لانه لايليق بالربوبية وفائدة تكرير كلمة الشرط ان الاولى لتعلق الاتخاذ بالارادة والثانية لتعلق الاتخاذ المرتب على الارادة بكونه ممن يفعل ذلك وتقتضيه حكمته ﴿قوله والجملة كالنتيجة للشرطية﴾ كأنه قيل لو اردنا لفعلناه ولكن لم نرده فما كنا فاعلين ثم انه تعالى اضرب عن حديث تعليق اتخاذ ما يتلهى به على تعلق ارادته بذلك وعلى كونه ممن يجوز له ان يفعل ذلك وجعله كالمسكوت عنه الى بيان ما هو اهم بالنسبة الى ما قبله وهو ان شأنه تعالى ان يسلط الحق ويورده على الباطل حتى يذهبه فيهلكه ﴿قوله وانما استعار لذلك﴾ اى استعار القذف للتغليب والتسليط واستعار الدمغ لمحق والمحو بان شبه الحق بالجرم الصلب الثقيل وشبه الباطل بالجرم الرخو الاجوف فقذف بذلك الجرم الثقيل عليه فدمغه على طريق تشبيه المعقول بالمحسوس فان كل واحد من الحق والباطل من قبيل المعقول والجرم الصلب والرخو من قبيل المحسوس وعبر عن هذه الصورة المعقولة بما يدل على الهيئة المحسوسة لتمكن تلك الهيئة المعقولة فى ذهن السامع فضل تمكن قال صاحب المفتاح اصل استعمال القذف والدمغ فى الاجسام ثم استعير القذف لايراد الحق على الباطل والدمغ لاذهاب الباطل ومحوه فالمستعار منه حسى والمستعار له عقلى وقرآءة فيدمغه بالنصب ضعيفة لما تقرر فى النحو من ان ما بعد الفاء انما ينصب باضمار ان فى جواب الاشياء الستة الامر والنهى والنفى والاستفهام والتمنى والعرض وقوله فيدمغه لم يقع بعد احد هذه الاشياء ولعل من نصبه نظر الى ان المضارع فيه شبه النفى ولهذا قيل انه فى الآية اضعف مما فى البيت لان المضارع فيها للاستمرار وقيل فى توجيه النصب ان المضارع كالتمنى والترجى فى كونهما مترقبين وانما شرطوا فى نصب ما بعد الفاء السببية كون ما قبلها احد الاشياء المذكورة لان الفاء السببية تقتضى ان يكون ما قبلها سببا لما بعدها والسببية لاتتحقق الا عند تحقق احد هذه الامور ولذا لم يجز النصب فى الموجب الا فى ضرورة الشعر كما فى البيت المذكور وذلك لان الاشياء الستة مأولة بالمصادر فيكون ما قبل الفاء كالشرط المحقق الوقوع ويكون ما بعد الفاء كجزآئه المسبب عنه ولما كان المضارع المنصوب بان مفردا وما قبل الفاء المذكورة جملة ولايجوز عطف المفرد على الجملة جعلوا ما بعد الفاء بتقدير مصدر معطوف على مصدر الفعل المقدم فتقدير زرنى فاكرمك ليكن منك زيارة فاكرام منى وكذا المنصوب بعد الواو فانه ايضا معطوف على المصدر المقدر من الفعل قبله فتقدير قولك زرنى وازورك ليكن منك زيارة وزيارة منى فاذا تقرر هذا ظهر ان مراد المصنف بقوله ووجهه مع بعده ان وجه انتصاب فيدمغه مع كون النصب بعيدا لعدم وقوع الفاء بعد احد الاشياء المذكورة ان تجعل الجملة التى قبل الفاء فى تأويل المفرد كالتى بعدها فانها فى تأويل المفرد بأن المضمرة فاذا اول ما قبل الفاء ايضا بالمفرد تطابق المعطوفان فى الافراد فتأويل الكلام بل نريد قذف الحق على الباطل فدمغه بعطف قوله فدمغه على القذف المتحصل من الجملة قبله وجعله ابو البقاء معطوفا على الحق اى بل نقذف بالحق والدمغ وكذا تأويل البيت واراد اللحوق بالحجاز فالاستراحة ﴿قوله وذكره﴾

(لو اردنا ان نتخذ لهوا) ما يتلهى به ويلعب (لاتخذناه من لدنا) من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لامن الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم فى رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الرد على النصارى (ان كنا فاعلين) ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية (بل نقذف بالحق على الباطل) اضراب من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب اى بل من شأننا ان نغلب الحق الذى من جملته الجد على الباطل الذى من عداده اللهو (فيدمغه) فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمى البعيد المستلزم لصلابة المرمى والدمغ الذى هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدى الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله * سأترك منزلى لبنى تميم * والحق بالحجاز فاستريحا * ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق (فاذا هو زاهق) هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز

لترشيح المجاز ﴾ فان قوله فيدمغه استعير من الشجة التى بلغت الدماغ للمحو و البطلان وقرنت الاستعارة بما يلائم المستعار منه فان ذهاب الروح مما يلائم المعنى الاصلى للدمغ فان الدماغ مجمع الحواس فاذا بلغت الشجة اليه يموت الحيوان ﴿ قوله وهو فى موضع الحال ﴾ اى قوله مما تصفون حال من الويل و العامل الاستقرار الذى تعلق به الخبر اى استقر لكم الويل واقعا مما تصفون اى مما تصفون الله تعالى به مما لا يليق به من الصاحبة و الولد و تصفون كلامه بانه سحر و أضغاث احلام و نحو ذلك من الاباطيل ثم انه تعالى لما حكى كلام الطاعنين فى النبوات و تعنتهم باقتراح الآيات و اجاب عن شبههم بانواع التهديدات بين انه منزه عن طاعتهم لانه هو المالك لجميع المحدثات والمخلوقات والملائكة المقربون مع كرامتهم و علو قدرهم عند الله اذا كانوا خاضعين له تعالى خائفين منه تعالى فالبشر مع ضعفه اولى ان يطيعوه فقال وله من فى السموات والارض ﴿ قوله يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم الخ ﴾ يعنى ان المراد من العندية عندية الشرف لا عندية المكان والجهة و عند و ان كان من الظروف المكانية الا انه شبه قرب الشرف والمنزلة بقرب المكان و المسافة فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به ﴿ قوله وافراده للتعظيم ﴾ يعنى ان قوله ومن عنده معطوف على من فى السموات والمراد به الملائكة باجماع المفسرين فيكون عطفه على من فى السموات من قبيل عطف الخاص على العام تنبيها على شرفه لان من فى السموات يتناول من عنده لا محالة وقوله لا يستكبرون حال من قوله من فى السموات وما عطف عليه ان جعل مرفوعا على انه فاعل الظرف على رأى الاخفش وان جعل مرفوعا على الابتداء وله خبره فحينئذ لا ينتصب الحال الا على رأى من يجوّز مجيء الحال من المبتدأ لا عند غيره فيكون اما من الضمير المستكن فى عنده الواقع صلة او من الضمير المستكن فى له الواقع خبرا و يحتمل ان يكون من عنده مبتدأ و لا يستكبرون خبره و تكون هذه الجملة معطوفة على الجملة التى قبلها ﴿ قوله او لانه أعم منه من وجه ﴾ فان قوله من عنده بمعنى المكرّم عنده و فى منزلة منه كما يتناول ملائكة السموات و الارض يتناول الملائكة الذين لا يتبوّأون فى المكان فان ملائكة السموات عنصريون مخلوقون مما خلق منه السموات ومن الملائكة نوع متعال عن التبوّء فى السماء والارض لتجردهم من المواد العنصرية فلا يكون من عنده اخص مطلقا بالنسبة الى من فى السموات و الارض بل يكون اخص منه من وجه و يجوز ان يكون مباينا له بان يراد به النوع المتعالى عن التبوّء ﴿ قوله وانما جيء بالاستحسار ﴾ جواب عما يقال المناسب لمقام توصيف الملائكة بالاجتهاد فى العبادة و مواظبتهم عليها ان يقال لا يحسرون بمعنى انهم لا يطرأ عليهم شيء من الاعياء و الفتور و لا يستحسرون لا يفيد هذا المعنى لانه يدل على انه لا يطرأ عليهم نهاية الحسور واقصاه وهذا المعنى لا يلائم المقام يقال حسر البعير يحسر حسورا اذا اعيى واحسر مثله و استحسر ابلغ منهما وقد يكون استفعل بمعنى فعل نحو قرّ واستقرّ فلا سؤال ولا جواب و التسبيح بالنسبة الى الملائكة كالتنفس بالنسبة الينا فكما ان قيامنا و قعودنا وتكلمنا و غير ذلك من افعالنا لا يشغلنا عن التنفس فكذلك الملائكة لا يشغلهم عن التسبيح شيء من افعالهم ولا تخللهم فترة الفراغ منه ﴿ قوله بل أتخذوا ﴾ اشارة الى ان أم هذه منقطعة مقدرة ببل و الهمزة حكى الله تعالى عنهم اوّلا قولهم هل هذا الا بشر مثلكم و ثانيا قولهم بل قالوا اضغاث احلام الى قوله كما ارسل الاوّلون ثم اجاب عن كل واحد منهما بضرب من التهديد و الوعيد وساق الكلام الى هنا ثم اضرب عن الحكاية المذكورة و جوابها الى انكار فعلهم الذى هو اشنع من قولهم فقال ام اتخذوا آلهة و قوله من الارض يجوز ان يتعلق بمحذوف هو صفة الالهة اى عملوا و صنعوا آلهة كائنة من الارض و منسوبة اليها كما يقال فلان من مكة بمعنى انه منسوب اليها و معنى نسبتها الى الارض كونها مستقرّة عليها و معبودة وهى عليها و يجوز ان يتعلق باتخذوا بمعنى ابتدأوا اتخاذها من الارض بان صنعوها و نحتوها من بعض الحجارة او من بعض جواهرها كالفضة و الصفر والمقصود منه على التقدير تحقير المتخذ دون تخصيصه لان المنكر حينئذ يكون عدم اتخاذهم الالهة السماوية اى المستقرّة عليها و المعمولة من اجزائها و لا وجه له و قوله هم ينشرون جملة منصوبة المحل على انها صفة آلهة اى آلهة لا يقدر على احياء الموتى الاهم وحدهم قرأ العامة ينشرون بضم الياء وكسر الشين وقرئ بفتح الياء وضم الشين ونشر يكون لازما و متعديا يقال انشر الله الميت اى احياه فنشر نشورا و نشر متعديا بمعنى انشره انشارا و الانكار عليهم باتخاذهم الالهة التى تتفرد باحياء الموتى يدل على انهم يعتقدون ان آلهتهم تحيي الموتى بل تستقل فى ذلك وهم لا يعتقدون ذلك كيف وانهم ينكرون البعث رأسا فضلا عن ان تكون الاصنام قادرة عليه

(ولكم الويل مما تصفون) مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو فى موضع الحال وما مصدرية اوموصولة اوموصوفة (وله من فى السموات والارض) خلقا وملكا (ومن عنده) يعنى الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقرّبين عند الملوك وهو معطوف على من فى السموات وافراده للتعظيم اولانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوّء فى السماء والارض اومبتدأ خبره (لا يستكبرون عن عبادته) لا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذى هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون (يسبحون الليل والنهار) ينزهونه ويعظمونه دائما (لا يفترون) حال من الواو فى يسبحون اوهو استئناف اوحال من ضمير قبله (ام اتخذوا آلهة) بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم وقوله (من الارض) صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص (هم ينشرون) الموتى وهم وان لم يصرّحوا به لكن لزم من ادعائهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم والمبالغة فى ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم

(مستقلة)

مستقلة عليه الا ان ادعاءهم الالوهية في حقها لما استلزم اعتقادهم بذلك صح ان ينكر عليهم بذلك اللازم على طريق التجهيل والتهكم ثم انه تعالى لما انكر عليهم اتخاذهم الآلهة استدل على بطلانه بقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا اى لو فرض ذلك وقدر كاقدر المستحيلات لفسد ماخلقناه بالحق كما قال وما خلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين قال اهل النحو في قوله تعالى الا الله لفسدتا الا ههنا بمعنى غير صفة لنكرة قبلها الا انه لما تعذر الاعراب فيها جعل مااستحقته من الرفع على مابعدها والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذى فطرهما لفسدتا ولايجوز ان تكون الا للاستثناء لانا لو حملناها على الاستثناء لكان المعنى لو كان فيهما آلهة مستثنى منهم الله لفسدتا وهذا يوجب بطريق المفهوم انه لو كان فيهما آلهة معهم الله لا يحصل الفساد وذلك باطل لانه لو كان فيهما آلهة سواء كان الله معهم او لم يكن معهم فالفساد لازم ولما بطل حملها على الاستثناء ثبت ماذكرنا وهو ان المعنى لو كان في السماء والارض آلهة غير الله لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الآلهة فان كل امر صدر عن اثنين فصاعدا لايبقى على نظام واحد وانتفاء الفساد اللازم للتعدد دليل على انتفاء الملزوم وهو التعدد لكن في هذه الملازمة وفي انتفاء التالى نوع خفاء لانه ان اريد بالفساد الفساد بالفعل اى خروجهما بالفعل عن هذا النمط المشاهد فهذا لايلزم من مجرد التعدد بل يلزم من تحقق التغالب والتمانع ومجرد التعدد لايقتضى التمانع لجواز التوافق وان اريد امكان الفساد فالملازمة مسلمة ضرورة ان اجتماع القادرين على معلول واحد يستلزم امكان تمانعهما المستلزم لامكان فساد المعلول لكن لانسلم بطلان التالى اذ لادليل على امتناع الفساد بل النصوص شاهدة على وقوعه كقوله تعالى اذا السماء انشقت واذا النجوم انكدرت ويوم تبدل الارض غير الارض فظهر ان حجة الآية اقناعية والملازمة عادية على ماهو اللائق بالخطابيات فان العادة جارية بتحقق التغالب والتمانع عند تعدد الحكام والملوك على ماشير اليه بقوله ولعلا بعضهم على بعض واشار المصنف الى ان المراد بالفساد الفساد بالفعل وجعل الملازمة مبنية على امتناع التوافق بناء على انه يستلزم اجتماع قدرتين مستقلتين على مقدور واحد وقد بين استحالته في الكلام ﴿ **قوله** لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ماقبلها لما بعدها ﴾ فان ماقبلها جمع منكر والجمع اذا كان نكرة لايستثنى منه عند جماعة من المحققين اذ لاعموم له بحيث يدخل فيه المستثنى لولا الاستثناء ثم استدل على تعذر الاستثناء بانه يدل على خلاف المراد وبانه الاستثناء قيد الحكم المتعلق بالمستثنى منه فيكون الشرط كون آلة فيهما مقيدا بان لاتكون معه تعالى فيكون الفساد لازما لكون الآلهة فيهما دونه تعالى ﴿ **قوله** حلالها ﴾ علة لقوله وصف بالا يعنى ان الاصل في الاستثناء وفي غير الصفة وقد يحمل كل واحد منهما على الآخر ﴿ **قوله** لانه متفرع على الاستثناء ﴾ اى لان البدل فيما بعد الا مشروط بصحة الاستثناء وقد ثبت تعذر الاستثناء ولانه قد تقرر ان الواقع بعد الا غير الصفة اذا وقع في كلام موجب يجب نصبه وان البدل انما يجوز في كلام غير موجب وكلمة لو اذا دخلت في الكلام الموجب لاتجعله منفيا كما لاتجعله كلمة ان منفيا من حيث ان كل واحدة منهما لمجرد الملازمة فالم يكن الكلام غير منفى بدخول لو عليه لم يجز البدل فيما بعد الا الواقع فيه والسر فيه ان مابعد الا لو جعل بدلا في الكلام لكان الاستثناء من اعم العام في طرف الاثبات وهو يمتنع فيه ولا يمتنع في طرف النفى فانه يصح ان يقال مافي الدار الا زيد ولايصح ان يقال كان في الدار الا زيد لانه يستلزم ان يكون في الدار جميع الاشياء الا زيد وهو ممتنع فلو حمل مابعد الا في هذه الآية على البدل لرجع المعنى الى قولنا لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لان البدل منه في حكم المطروح فيقع الاستثناء من اعم العام في طرف الاثبات ثم انه تعالى لما اقام الدليل الدال على وحدانيته فرع عليه كونه منزها عما يصفه المشركون فقال فسبحان الله واندرج تحته بعهم في زعم كون الجماد الذى لايعقل ولايحس شريكا في الالهية رب العرش العظيم ولمن هو القاهر فوق عباده ﴿ **قوله** لايسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه ﴾ وكون افعاله مبنية على القدرة الكاملة والحكمة البالغة فلامساغ لسائل ان يقول له لم فعلت هذا على طريق طلب حكمة فعله وذلك لانه تعالى حكيم بذاته لايخرج فعله عن الحكمة وانما يسأل عن حكمة فعله من يحتمل فعله السفه واما من لايحتمل فعله الا الحكمة فانه لايمكن ان يسأل لم فعلت وقيل معناه لايسأل عما يفعل على وجه الاحتجاج عليه وان جاز ان يسأل على وجه استكشاف الحكمة كقوله تعالى رب لم حشرتنى اعمى واستدل اهل السنة على انه تعالى لايسأل عما يفعل بانه تعالى فاعل كل شيء ولا علة لفعله لانه لو فعل لغرض لايخلو اما ان يكون وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه على السواء او لايكون

(لو كان فيهما آلهة الا الله) غير الله وصفت بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ماقبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثنى بغير حملا عليها ولايجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب (لفسدتا) لبطلتا لمايكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه (فسبحان الله رب العرش) المحيط بجميع الاجسام الذى هو محل التدابير ومنشأ التقادير (عما يصفون) من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد (لايسأل عما يفعل) لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية (وهم يسألون) لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد (ام اتخذوا من دونه آلهة) كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما لانكار مايكون لهم سندا من النقل الى انكار مايكون لهم دليلا من العقل على معنى او وجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما دل على فساده عقلا وعلى الثانى ما دل على فساده نقلا

(قل هاتوا برهانكم) على ذلك اما من العقل او من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا (هذا ذكر من معى وذكر من قبل) من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معى امته ومن قبلى الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما وبعدهما (بل اكثرهم لا يعلمون الحق) ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب (فهم معرضون) عن التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلى من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة قرأ حفص وحمزة والكسائى نوحى بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت فى خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه عن ذلك (بل عباد) بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد (مكرمون) مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد (لا يسبقونه بالقول) لا يقولون شيأ حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجافيا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه (وهم بامره يعملون) لا يعملون قط ما لم يأمرهم به (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) ان يشفع له مهابة منه

فان كان على السوآء احتمال ان يكون غرضا وان لم يكن على السوآء لزم كونه تعالى ناقصا فى ذاته وكاملا بغيره وذلك محال * فان قلت وجود ذلك الغرض وعدمه وان كان بالنسبة اليه على السوآء الا ان وجوده اولى من عدمه بالنسبة الى العباد * فالجواب ان تحصيل ما هو الاولى فى حق العباد ان كان مساويا لعدم تحصيله بالنسبة اليه لا يكون غرضا له وان كان تحصيله اولى يكون مستكملا بالغير وهو محال ﴿ قوله من الكتب السماوية ﴾ حال من قوله تعالى ذكر من معى وذكر من قبلى والعامل فيه معنى التنبيه او الاشارة المدلول عليهما بقوله هذا واراد به الاشارة الى الموجود بين اظهرهم من الكتب الثلاثة القرآن والتوراة والانجيل والقرآن ذكر وعظة لمن اتبعه عليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة والتوراة والانجيل ذكر للامم المتقدمة استدل بهذه الكتب على صحة التوحيد وهى انما توقف على وجود الآلهة فلا دور ﴿ قوله وقرئ بالتنوين والاعمال ﴾ العامة على اضافة ذكر الى من الموصولة اضافة المصدر الى مفعوله كقوله بسؤال نعجتك وقرئ ذكر بالتنوين فيهما ومن بفتح الميم وسكون النون منصوب بانه مفعول له بالمصدر كقوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما وقرئ ذكر بالتنوين فيهما ومن بكسر الميم وهو قول المصنف وبه وبمن الجارة على ان مع اسم بمعنى عندى ومن قبلى اى جئت به كما جاء به الانبياء من قبلى ﴿ قوله وبعدهما ﴾ اى وقرئ هذا ذكر معى وذكر قبلى بالتنوين فيهما بدون من ﴿ قوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون الحق ﴾ اى رأسا اضراب من قوله قل هاتوا برهانكم لكونه داخلا فى تضليلهم فان من انتفى عنه العلم رأسا وكان بحيث لا يميز بين الحق والباطل مطلقا لا يقبل الا اوهامه فقاله لا يصح القول بما لا دليل عليه فان من يبرهن يدل على صحة مذهبه والا فلا يعتمد حول ذلك ﴿ قوله وسط للتأكيد ﴾ يعنى ان قوله هو الحق جملة معترضة وسطت بين السبب الذى هو الجهل والمسبب الذى هو الاعراض تأكيدا للسببية الاول للثانى والحكم بالسببية مستفاد من الفاء فى قوله فهم معرضون كانه حكم اولا بان اعراضهم بسبب الجهل ثم قال الحكم بان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل والعامة على نصب الحق على انه مفعول به للفعل الذى قبله ويجوز ان يكون انتصابه على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التى قبله كما تقول هذا عبد الله الحق وعلى قرآءة الرفع يكون قوله لا يعلمون مطلقا غير مقيد بالمتعلق على طريق قولك فلان يعطى ويمنع فاذا وقف على قوله لا يعلمون كان جائزا من حيث اللفظ واذا وقف على معرضون كان الوقف تاما من حيث المعنى لان السبب والمسبب كالشئ الواحد وقرأ حمزة والكسائى وحفص نوحى بالنون وكسر الحاء على التعظيم على وفق قوله ارسلنا وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على البناء للمفعول وهذه الآية مقررة لما سبق من آيات التوحيد لكونهما من قبيل التعميم بعد التخصيص ﴿ قوله الملائكة بنات الله ﴾ واضافوا الى ذلك انه تعالى صاهر سروات الجن فولدت له الملائكة ﴿ قوله على مدحض القوم ﴾ اى على موضع زلة من زعم انهم بنات الله فانهم لما رأوهم مكرمين مقربين لهم صفات فاضلة ليست لغيرهم زلقت ارجلهم من هذا الموضع وزعموا انهم اولاد الله وغفلوا عن كونهم عبادا مقربين منقادين لله تعالى وانه تعالى منزه عن اتخاذ الصاحبة والولد كما انه منزه عن ان يكون له شريك فى ملكه والوهيته ﴿ قوله تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين ﴾ وجه التعريض انه تعالى لما قال لا يسبقونه بالقول فهم منه بقرينة السياق والمقام ان هناك من صدر عنه السبق بالقول وهم الذين قالوا على الله ما لم يقله احد له اذنى علم وعقل من ان له تعالى شريكا وولدا ونحو ذلك ونسب السبق الذى اليه تعالى واليهم تنبيها على ان السبق المثبت المعرض به وان كان سبق قولهم قوله الا انه بمنزلة سبق انفسهم عليه تعالى فى الهجنة والقباحة والذى يدل على هذا التهجين ان يقال لا يسبقونه بقولهم الا انه انيب اللام عن الاضافة اختصارا فى المعنى بترك التعرض للمضاف اليه وقرئ لا يسبقونه بضم الباء على انه مضارع سبقه اى غلبه فى السبق ومضارع فعل المبالغة مضموم العين مطلقا يقال سابقه فسبقه يسبقه فالسبق الذى على هذه القرآءة هو السبق على طريق المبالغة على معنى ان تكلفوا بان يغلبوه فى السبق بالقول لا تساعدهم فيه نفوسهم وتأبى عنه عقولهم لما ركز فى قلوبهم من الخشية المسببة عن معرفة جلال الله وعظمته ثم انه تعالى بعد ما بين ان قولهم تابع لقوله وانه لا يسبق قولهم قوله بين ان عملهم ايضا تابع لامره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به ومن كانوا فى نهاية الخضوع وكمال العبودية بهذا الحد كيف يكونون آلهة واولادا وكذا الخشية والاشفاق المذكور ان يعدان من صفات العبيد فلا يكون الموصوف بهما الها واحدا ﴿ قوله وهو كالعلة لما قبله ﴾ يعنى انه استئناف لبيان ما دعاهم الى ما ذكر من كمال الخضوع بحيث يكون قولهم تابعا لقوله

(وعلمهم)

وعملهم تابعا لامره والمعنى انهم لما علموا كونه تعالى عالما بجميع المعلومات يجازى كل نفس حسب عملها علموا كونه تعالى عالما بظواهرهم وبواطنهم فكان ذلك داعيا لهم الى ماذكر من كمال الخضوع ومراقبة الاقوال والاعمال وهو ايضا كالتمهيد لقوله تعالى ولا يشفعون الالمن ارتضى لان علمهم بذلك يقتضى كمال التأدب وقوله يعلم مابين ايديهم اى ماقدموه من اعمالهم وماخلفهم اى وماهم عاملون اياه بعد وقيل على العكس ﴿قوله تعالى وهم من خشيته﴾ اى من خشيتهم منه فاضيف المصدر الى مفعوله مشفقون وجلون خائفون فلايقصرون فى عبادة الله تعالى والمؤمنون يخافون الله تعالى من كثرة ذنوبهم روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله تعالى والخشية والاشفاق متقاربان فى المعنى والفرق بينهما ان المنظور اليه فى الخشية جانب المخشى منه وهو عظمته ومهابته وفى الاشفاق جانب الخائف وهو الاعتناء بشأنه وعدم الامن من ان يصيبه مكروه ثم ان الاشفاق يتعدى بكل واحد من كلمتى من وعلى يقال اشفق عليه وهو مشفق منه اى حذر فان عدى بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر من معنى الاعتناء وان عدى بعلى يكون معنى الاعتناء اظهر من معنى الخوف ﴿قوله اولم يعلموا﴾ يعنى ان الرؤية قلبية وان مع مافى حيزها سادة مسد المفعولين وليست بصرية لانهم مارأوها كذلك البتة قال تعالى ماشهدتهم خلق السموات والارض اورد الله تعالى ههنا ستة انواع من الدلائل الدالة على كمال قدرته وباهر حكمته تأكيدا للدليل وحدانيته وتقريرا لبرهان تنزهه عن الشركاء والانداد فان من قدر على تحصيل هذا الترتيب العجيب فى هذا العالم كيف يصح ان يكون له شريك فى الوهيته وملكه • والرتق مصدر بمعنى الضم والالتحام فقوله السموات والارض رتق من قبيل رجل عدل ولذلك قال ذات رتق اومرتوقتين ولم يقل كانتا رتقين لان المصدر لايثنى ولايجمع كقوله وماجعلناهم جسدا لايأكلون الطعام واختلف المفسرون فى وجه فتقهما بعد الالتحام • روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المعنى كانتا شيأ واحدا ملتزقة احداهما بالاخرى ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء الى حيث هى واقر الارض واشار المصنف اليه بقوله كانتا بحيث لافرجة بينهما ففرج وهو ماقيل انه تعالى خلق الارض فى موضع بيت المقدس على هيئة الفهر عليها دخان لازق بها فاصعد الدخان وخلق منه السموات واسكن الفهر فى موضعه وخلق منه الارض وبسطها قال كعب خلق الله السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطهما ففتقهما به وقيل المعنى كانت السموات طبقة واحدة ففتقها بالتحريكات المختلفة فجعلها سبع سموات وكذلك كانت الارض طبقة واحدة ففتقها باختلاف كيفياتها واحوالها فجعلها سبع ارضين وقيل المعنى كانت شيأ واحدا وحقيقة متحدة ففتقها بالهيئة كما جاء فى الحديث المشهور • اول ماخلق الله جوهرة فنظر اليها نظر الرحمة ارتعدت فجمد نصفها فخلق منه العرش فاضطرب فكتب عليه لااله الاالله محمد رسول الله فسكن العرش وترك الماء يرتعد على حاله الى يوم القيامة وذلك قوله وكان عرشه على الماء ثم حصل من تلاطم الماء ادخنة متراكمة بعضها على بعض وزبد فخلق منه السموات والارض طباقا وكانتا رتقا فخلق الريح ففتق بين طباق السموات وطباق الارض ثم جمد ذلك الزبد على وجه الماء ودحى فصار ارضا بقدرته • وقيل المعنى ان السموات كانت رتقا مستوية صلبة لاتمطر وكذا الارض كانت رتقا لاتنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات ففتق السماء وهى اشد الاشياء واصلبها بألين الاشياء وهو الماء وكذلك فتق الارض بألين الاشياء وهو النبات مع شدتها وصلابتها فالآية على هذا القول نظير قوله تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع ورجح هذا القول بقوله تعالى بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شئ حى وذلك لايليق الااذا كان للماء تعلق بما تقدم ولايكون كذلك الااذا كان المراد بالرتق والفتق ماذكرنا • فان قيل هذا الوجه مرجوح لان المطر لاينزل من السموات بل من سماء واحدة وهى سماء الدنيا • اجيب بانه اطلق لفظ الجمع على سماء الدنيا لان كل قطعة منها سماء كما يقال ثوب اخلاق وبرمة اعشار ويجوز ان يراد بلفظ الجمع السموات بأسرها وجعلها مفتوحة مفتوقة بالمطر مبنى على ان لها مدخلا فى الامطار ففتق السموات والارض بعدما كانتا رتقا على اى معنى كان هو الدليل الاول من الدلائل الستة المذكورة فى هذه الآية ﴿قوله فان الفتق عارض﴾ لانه من جملة الممكنات والممكنات بأسرها حادثة مفتقرة الى مخصص يخصص احد طرفيها بالوقوع ﴿قوله وانما قال كانتا﴾ يعنى ثنى الضمير الراجع الى الجمع باعتبار ان المرجوع اليه جماعتان ﴿قوله وقرئ رتقا بالفتح﴾ اى بفتح التاء فان كان مصدرا على وزن طلب فوجه الاخبار به عن الاثنين ظاهر واختار المصنف انه فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى المقبوض والنقض بمعنى المنقوض فكان ينبغى

(وهم من خشيته) عظمته ومهابته (مشفقون) مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدى بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدى بعلى فبالعكس (ومن يقل منهم) من الملائكة او من الخلائق (انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم) يريد به نفى النبوة وادعاء ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعى الربوبية (كذلك نجزى الظالمين) من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية (اولم ير الذين كفروا) اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو (ان السموات والارض كانتا رتقا) ذات رتق اومرتوقتين وهو الضم والالتحام اى كانتا شيأ واحدا وحقيقة متحدة (ففتقناهما) بالتنويع والتمييز اوكانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لافرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لاتمطر ولاتنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات بأسرها على ان لها مدخلا ما فى الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيأ رتقا اى مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض

ان يطابق الخبر عنه في التثنية الا انه افرد بناء على انه صفة موصوف محذوف مفرد في اللفظ و التقدير كانت اشياء رتقا و قوله تعالى وجعلنا يحتمل ان يكون بمعنى خلقنا فيتعدى الى واحد وهو كل شئ و حى صفة شئ ومن ابتدائية متعلقة بالفعل المذكور قبلها فان اريد بالماء النطفة يكون جعلها مبدأ خلق الحيوان ظاهرا كما في قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء وان اريد بالماء حقيقة الماء الذى هو احد العناصر يكون جعلها مبدأ مجازا كما في قوله تعالى خلق الانسان من عجل بان شبه جعل الله تعالى كل حيوان مفرط الاحتياج الى الماء بحياله قليل الصبر عنه بخلقه اياه من الماء ثم قيل جعلناه و انشأناه منه بمعنى جعلناه شديد الاحتياج اليه بحيث لايعيش بدونه فيكون جعلنا استعارة تصريحية تبعية و يحتمل ان يكون بمعنى صيرنا فيتعدى الى اثنين ثانيهما من الماء فعلى هذا كلمة من اتصالية والمعنى صيرنا كل حى متصلا بالماء ملابساله كما في قوله تعالى المنافقون و المنافقات بعضهم من بعض اى مشتبك بعض متصل به لاينفك عنه و انما جعلت اتصالية لان من الماء اذا جعل مفعولا ثانيا لجعل وجب ان يكون مفعوله الاول متصلا بالثانى و لايتأتى ذلك الا بكونها اتصالية يقال هذا بسبب منه اى ملابسه و مخالطه لاينفك عنه ولكون الشئ بسبب الغير يستلزم الملابسة و الاتصال القوى بينهما فسر المصنف قوله تعالى من الماء بقوله بسبب من الماء الان من في كلامه بيانية لااتصالية و كذا يحتمل الامرين على تقدير ان يكون حيا منصوبا على انه صفة كل وان نصب على انه مفعول ثان يتعين كونه بمعنى صيرنا و كون الشئ مخصوصا بالحيوان سواء اريد به الجسم الحساس المتحرك بالارادة او مايعم النبات لانه يصير ناميا ذا رطوبة و خضرة و نور و ثمر بسبب الماء و يدل عليه قوله تعالى كيف يحيي الارض بعد موتها و هذا هو الدليل الثانى من الدلائل المذكورة في هذه الآية أخبر الله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا ففتق منهما ارزاقهم ثم ذكر انه جعل بالماء حياتهم ثم ذكر انه جعل لهم الارض بحيث تقر باهلها و تسكن بهم بان اثبت عليها الجبال الراسيات ثم ذكر انه جعل لهم فيها سبلا فجاجا ليهتدوا بها الى مصالحهم التى جعلت لهم في البلاد النائية و ذكر ايضا نعمته في رفع السماء بلا عمد و حفظها من ان تسقط عليهم و ذكر ايضا نعمته فيما جعل لهم من الليل و النهار و الشمس و القمر و مافيها من المنافع الراجعة اليهم ليتذكروا ان من قدر على هذه الامور العظيمة وأنعم عليهم بأتم النعم البديعة منزه عن الشريك و الولد و انه اله واحد و سلطان عزيز حميد ﴿ قوله كراهة ان تميل ﴾ يعنى ان قوله ان تميد مفعول له اما بتقدير المضاف او بحذف لام العلة ولا النافية بحذف ماحذف لعدم الالتباس قال ابن عباس ان الارض بسطت على وجه الماء فكانت تميد باهلها كما تميد السفينة على الماء فأرساها الله تعالى بالجبال الثوابت كما ترسى السفينة بالمرساة ﴿ قوله مسالك واسعة ﴾ يعنى ان اصل التركيب و جعلنا فيها سبلا فجاجا على ان سبلا هو المفعول و فجاجا صفة فلما قدم عليها نصب حالا ليدل على انه تعالى حين خلق السبل فيها خلقها واسعة وذلك لان الحال يدل على هيئة ذى الحال حين تعلق العامل به ﴿ قوله او ليبدل منها ﴾ اى و يجوز ان يكون فجاجا هو المفعول و سبلا بدلا منه تفسيرا للفجاج و بيانا لكونها نافذة مسلوكة فان الفج قد يكون غير نافذ مع مافى البدل من التأكيد و السابقة ابانة السبيل المختلفة في الطرقات ﴿ قوله بيان لبعض تلك الآيات ﴾ فان خلق الليل و النهار متعاقبين و خلق الشمس و القمر و النجوم و مسيرها و طلوعها و غروبها على الحساب القويم و الترتيب العجيب آيات باهرة دالة على وجود الصانع المدبر الحكيم ﴿ قوله و المراد بالفلك الجنس ﴾ جواب عما يقال كيف يصح ان يقال كل واحد الشمس و القمر يسبح في فلك مع ان لكل واحد منهما فلكا على حدة فان قولنا كلهم في دار مثلا وان احتمل ان يكون المراد منه كل واحد منهم في دار على حدة الا انه خلاف المتبادر و المتبادر ان يكونوا مجتمعين في دار واحدة و تبادر هذا المعنى الى الفهم امارة لكون اللفظ حقيقة فيه و تقرير الجواب كون كل واحد منهما في فلك على حدة لما كان ثابتا بالرصد كان ذلك قرينة صارفة عن حمل الفلك في فلك على الواحد بالشخص فتعين حمله على الواحد بالجنس كما يحمل عليه اللفظ حالة بقرينة امتناع ان يكسى الجماعة حلة واحدة بالشخص و قوله يسبحون استعارة تبعية تشبيها لاسراع كل واحد منهما على سطح الفلك باسراع السابح على سطح الماء و ضمير الجمع فيه لكل واحد منهما وان كان واحدا بالشخص الا انه اعيد اليه ضمير الجمع لتعدده باعتبار المطالع و احتج ابو على بن سينا على كون الكواكب احياء ناطقة بقوله تعالى يسبحون و بقوله انى رأيت احد عشر كوكبا و الشمس و القمر رأيتهم لى ساجدين قال الجمع بالواو و النون لايكون الاللاحياء العقلاء العالمين و الجواب عنه ما اشار اليه المصنف من انه لما اسند اليهم ماهو من افعال العقلاء عبر عنهم بضمير العقلاء

(وجعلنا من الماء كل شئ حى) وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله و الله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده في التركيب او لفرط احتياجه اليه و انتفاعه به بعينه او صيرنا كل شئ حى بسبب من الماء لايحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان و الظرف لغو و الشئ مخصوص بالحيوان (أفلا يؤمنون) مع ظهور الآيات (وجعلنا في الارض رواسى) ثابتات من رسا الشئ اذا ثبت (ان تميد بهم) كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لاتميد فحذف لا لأمن الالباس (وجعلنا فيها) في الارض او الرواسى (فجاجا سبلا) مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع مايكون فيه من التوكيد (لعلهم يهتدون) الى مصالحهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) من الوقوع بقدرته او الفساد و الانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب (وهم عن آياتها) احوالها الدالة على وجود الصانع و وحدته وكمال قدرته وتناهى حكمته التى يحس ببعضها و يبحث عن بعضها في علمى الطبيعة و الهيئة (معرضون) غير متفكرين (وهو الذى خلق الليل و النهار والشمس و القمر) بيان لبعض تلك الآيات (كل في فلك) اى كل واحد منهما و التنوين بدل من المضاف اليه و المراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة (يسبحون) يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل و الجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بالعدم اللبس و الضمير لهما و انما جمع باعتبار المطالع و جعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم

(وهو)

وهو السباحة و المقصود تنزلهن منزلة العقلاء فعبر عنهن بضمير العقلاء * ولما جعل يسبحون خبر كل و جعل جملة كل في فلك يسبحون حالا من الشمس و القمر ورد ان يقال كيف جاز ان يختص المعطوف بكونه ذا حال مع ان الحال قيد في متعلق العامل في ذي الحال و العامل كما تعلق بالشمس و القمر تعلق بالليل و النهار ايضا فينبغي ان يكون مضمون الجملة الحالية قيدا في المتعلق بالجميع * فأجاب عنه بقوله وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس لظهور ان السباحة في الفلك انما تكون للشمس و القمر دون الليل و النهار كما تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة اي مظهرة زينتها و اختلف الناس في حركات الكواكب و الوجوه الممكنة فيها ثلاثة لانه اما ان يكون الفلك ساكنا و الكواكب تتحرك فيه كحركة السمك في الماء الراكد و اما ان يكون الفلك متحركا و الكواكب تتحرك فيه ايضا اما مخالفة لجهة حركته او موافقة لها و اما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة و البطء او مخالفة و اما ان يكون الفلك متحركا و الكواكب ساكنة قالت الفلاسفة الرأي الاول باطل لانه يوجب خرق الفلك وهو محال و كذا الرأي الثاني فانه ايضا باطل لعين ما ذكر فلم يبق الا الاحتمال الثالث وهو ان يكون الكوكب مغروزا في الفلك واقفا فيه و الفلك يتحرك فيتحرك الكوكب تبعا لحركة الفلك * قال الامام واعلم ان مدار هذا الكلام على امتناع الخرق وهو باطل بل الحق ان الاحتمالات كلها ممكنة و الله تعالى قادر على كل الممكنات و الذي يدل عليه لفظ القرآن ان تكون الافلاك واقفة و الكواكب جارية فيها كما يسبح السمك في الماء ﴿ قوله قالوا نتربص به ريب المنون ﴾ الريب ما رابك من المكاره و المنون الموت و المعنى ننتظر به ان تصيبه مكاره و حوادث تؤدي به الى الموت فريب المنون الحوادث المهلكة من حوادث الدهر و الشماتة الفرح ببلية العدو و لما كانوا يشمتون بموته عليه الصلاة و السلام ابطل الله تعالى شماتتهم بهذه الآية اي قضى الله ان لا يخلد بشرا في الدنيا فكل من فيها عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك فان مت اتبقى هؤلاء فالهمزة في المعنى دخلت على الخلود لانه هو المنكر بعد تقرر ذلك اي ان مت أفهم الخالدون فجيء بالهمزة لانكار هذا المعنى و اكد الله تعالى هذا الانكار بقوله كل نفس ذائقة الموت و اشار المصنف الى ان المراد بالنفس النفس الناطقة التي هي الروح الانساني و ان موتها عبارة عن مفارقتها جسدها و ذوق المرارة المستعارة لما يصيب النفس من ألم المفارقة تشبيها له بالكيفية المطعومة و جعل الذوق ترشيحا للاستعارة فلا يرد ما ذكره الامام من ان عموم كل نفس لا بد ان يراد منه الخصوص فان له تعالى نفسا كما قال تعلم ما في نفسي و لا اعلم ما في نفسك مع ان الموت لا يجوز عليه و كذا الجمادات لها نفوس وهي لا تموت فانه انما يتجه ان لو كان النفس بمعنى الذات و ليس كذلك روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت استأذن ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد مات و سجي عليه الثوب فكشف عن وجهه و وضع فمه بين عينيه و وضع يده على صدغيه و قال وا نبياه وا خليلاه وا صفياه صدق الله و رسوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ثم خرج الى الناس فخطب و قال في خطبته من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات و من كان يعبد رب محمد فان رب محمد حي لا يموت ثم قرأ و ما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الآية ثم انه تعالى قرر القضاء بتسوية الامر بين الخلق و بين وجه الحكمة فيه بان المقصود من هذه الدنيا الابتلاء بالمكاره التي تسمى شرا وهي المضار الدنيوية من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس و الثمرات و الشهوات العاجلة التي تسمى خيرا كالنساء و البنين و القناطير المقنطرة من الذهب و الفضة و الخيل المسومة و الانعام و الحرث ليظهر ما في عبده من شكر الشاكرين على المنح و صبر الصابرين على المحن و غيرهما من اضدادهما و يجازي كل احد على حسب ما وجد منه من الصبر و الشكر و يعاقب على ما قصر فيه بترك ما وجب عليه منهما و هذه المجازاة لما لم تسعها دار التكليف فلا بد من دار اخرى لا يصار اليها الا بالموت و النشور فلا بد لكل نفس ان تموت ثم تبعث فقال و نبلوكم بالشر و الخير فتنة و الينا ترجعون ثم انه تعالى رجع الى تقبيحهم و تقبيح حالهم التي هي استهزاؤهم بمن بعث صارفا عن الغواية و العذاب الاليم داعيا الى الهدى و النعيم المقيم مع انهم مستحقون لان يهزأ بهم فقال و اذا رآك الذين كفروا الخ و ان في قوله ان يتخذونك نافية و هي مع ما في حيزها جواب اذا الشرطية و هزؤا مصدر وقع موقع اسم المفعول اي مهزوا به و الهزؤ السخرية و الجملة الاستفهامية بعده محكية بقول مضمر معطوف على جواب الشرط اي و يقولون أهذا الذي يذكر ﴿ قوله لدلالة الحال ﴾ فانه يقال فلان يذكر الناس و يراد انه يغتابهم و يذكرهم بالعيوب و يقال فلان يذكر الله و يراد انه يصف الله تعالى بالعظمة و الجلال و يثني عليه بما هو اهله و يطلقون فعل الذكر اعتمادا على دلالة الحال و المقام و جملة قوله و هم بذكر الرحمن هم كافرون

(و ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون و في معناه قوله * فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا * و الفاء لتعلق الشرط بما قبله و الهمزة لانكار بعد ما تقرر ذلك (كل نفس ذائقة الموت) ذائقة مرارة مفارقتها جسدها و هو برهان على ما انكره * (و نبلوكم) و نعاملكم معاملة المختبر (بالشر و الخير) بالبلايا و النعم (فتنة) ابتلاء مصدر من غير لفظه (و الينا ترجعون) فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر و الشكر و فيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء و التعريض للثواب و العقاب تقريرا لما سبق (و اذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزؤا) ما يتخذونك الا هزؤا مهزوا به و يقولون (أهذا الذي يذكر آلهتكم) اي بسوء و انما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء (و هم بذكر الرحمن) بالتوحيد او بارشاده الخلق ببعث الرسل و انزال الكتب رحمة عليهم او بالقرآن (هم كافرون) منكرون فهم احق بان يهزأ بهم و تكرير الضمير للتأكيد و التخصيص و لحيلولة الصلة بينه و بين الخبر

فى موضع النصب على انها حال من فاعل القول المقدر او من فاعل يتخذونك اى يقولون ذلك وهم على هذه الحالة او يتخذونك هزؤا وهم على حال هى اصل الهزؤ والسخرية وهى الكفر بالله الموجب للهزؤ والسخرية والمصنف اختار الثانى حيث قال فهم احق بان يهزأ بهم وهم الاول مبتدأ وكافرون خبره وبذكر متعلق بالخبر والتقدير وهم كافرون منكرون لذكر الرحمن وهم الثانية تأكيد لفظى للاول ليفيد الاختصاص ووقوع الفصل بين المبتدأ والخبر بمعمول الخبر واضافة الذكر الى الرحمن امامن قبيل اضافة المصدر الى مفعوله اى وهم بان يذكروا الرحمن بما يجب من الوحدانية والتنزه من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد ونحو ذلك واما من قبيل اضافته الى الفاعل اى بان يذكر الرحمن عباده بارشادهم الى الصراط المستقيم ببعث الرسل وانزال الكتب ويحتمل ان يكون المراد بالذكر القرآن المنزل الذى هو ذكر للعالمين وموعظة لهم ﴿قوله ولذلك﴾ اى وللاحتياج الى التأويل فى جعل العجل مبدأ خلق الانسان قيل انه على القلب والمعنى خلق العجل من الانسان كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى تعرض النار عليهم وهو بعيد لانه لما امكن حمل الكلام على معنى صحيح وهو على ترتيبه لا وجه لان يقال انه مقلوب روى عن ابن عباس انه قال نزلت الآية فى النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية ﴿قوله والنهى عما جبلت عليه نفوسهم﴾ جواب عما يقال كيف نهى عن الاستعجال الذى جبل عليه الانسان والامور الجبلية لا تنفك عن الانسان فالنهى عنها من قبيل تكليف ما لا يطاق وهو لا يقع بالنص وتقرير الجواب ان الامور الجبلية انما تكون من لوازم الانسان اذا خلى الانسان ونفسه وهو لا ينافى ان يكون تركها مقدورا له بان يتهم نفسه الامارة بالسوء ويخالف هواها ويتبع الادلة العقلية والسمعية الا ترى انه تعالى ركب فيه الشهوة وامر ان يغلبها بما اعطاه من القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة ونحوهما من الامور الجبلية وانه تعالى جعل فى وسعه رياضة نفسه حتى يصير صبورا حليما بالرياضة وهو كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا الآية اخبر انه تعالى خلقه جزوعا منوعا شحيحا ثم قال الا المصلين فان استثناء المصلين منهم يدل على ان الانسان يتحول بالرياضة عن الحالة التى خلقه الله تعالى عليها الى حالة اخرى ﴿قوله وقت وعد العذاب﴾ اى وقت العذاب الموعود على ان الوقت المقدر مبتدأ ومتى خبره قدم عليه فانهم كانوا يستعجلون العذاب الموعود لمن اصر على الكفر والتكذيب ويقولون متى هذا الوعد فاراد الله تعالى نهيهم عن الاستعجال وبيان انه نازل بهم فى الوقت المقدر له فجعل ذم الانسان على افراط العجلة وبيان انه مطبوع عليها ذريعة الى نهيه وزجره من الاستعجال فقولهم متى هذا الوعد هو الاستعجال المذموم الذى اريد نهيهم عنه ﴿قوله تحيط بهم النار من كل جانب﴾ اشارة الى ان قوله عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم عبارة عن جميع الجوانب كأنه قيل من قدامهم وخلفهم وقوله لما استعجلوا جواب لو المقدر وحسن حذفه لان ما تقدم يدل عليه والمعنى لكنهم استعجلوا لجهلهم بهول ذلك الحين وما فيه من العذاب المهين ﴿قوله ويجوز ان يترك مفعول يعلم﴾ اى مفعول لفظ يعلم الذى هو اسم علم ليعلم الذى هو اللفظ الدال على معنى فى نفسه مقترن باحد الازمنة الثلاثة لانه لو اريد به مسمى لفظ يعلم لما وقع مضافا اليه لان الاضافة من خواص الاسم وقد نص المحققون على ان كل لفظ وضع بازاء معنى اسما كان او فعلا او حرفا فله اسم علم هو نفس ذلك اللفظ من حيث دلالته على اللفظ الذى يصدق عليه حد الاسم او الفعل او الحرف الا ترى انك تقول ضرب فعل ومن حرف فتجعل كل واحد من ضرب ومن محكوما عليه مع استحالة كون الفعل والحرف مخبرا عنه فليتأمل ويجوز ان ينزل يعلم منزلة اللازم مبالغة فى تجهيل المستعجلين على معنى لو كانوا من اولى العلم لما استعجلوا لكنهم استعجلوا لفرط جهلهم وعظم الجهل مستفاد من تنزيل يعلم منزلة اللازم فانه يدل على انهم لا يعلمون شيأ فعلى هذا الوجه يكون حين منصوبا بفعل مضمر اى حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا مبطلين فى استعجالهم وينتفى عنهم هذا الجهل العظيم فتكون هذه الجملة كلاما مستأنفا فانه لما نفى عنهم العلم رأسا بان قال لو يعلم الذين كفروا توجه ان يقال متى يعلمون ويزول عنهم هذا الجهل العظيم فاجيب بقوله حين لا يكفون فكان العامل فى حين ما دل عليه قول القائل متى يعلمون ﴿قوله بل تأتيهم العدة﴾ على ان يكون الضمير المؤنث فى تأتيهم للوعد لكونه فى معنى العدة او للنار او للحين لانه فى معنى الساعة وانتصاب بغتة اما على المصدرية لان البغت نوع من الاتيان او الحالية من فاعل تأتيهم اى باغتة يقال بغته اى فجأه ولقيته بغتة اى فجأة والمباغتة المفاجأة وقوله تعالى بل تأتيهم اضراب

(خلق الانسان من عجل) كأنه منه خلق لفرط استعجاله وقلة تأنيه كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة فى لزومه له ولذلك قيل انه على القلب ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روى انها نزلت فى النضر بن الحارث حين استعجل العذاب (سأريكم آياتى) نقماتى فى الدنيا كوقعة بدر وفى الآخرة عذاب النار (فلا تستعجلون) بالاتيان بها والنهى عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها (ويقولون متى هذا الوعد) وقت وعد العذاب او القيامة (ان كنتم صادقين) يعنون النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولاهم ينصرون) محذوف الجواب وحين مفعول به ليعلم اى لو لا يعلمون الوقت الذى يستعجلون منه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ما اوجب لهم ذلك (بل تأتيهم) العدة او النار او الساعة (بغتة) فجأة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين (فتبهتهم) فتغلبهم او تحيرهم وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا فى قوله (فلا يستطيعون ردها) لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان يكون للنار او للبغتة (ولاهم ينظرون) يمهلون وفيه تذكير بامهالهم لهم فى الدنيا

انتقال حكى الله تعالى انهم يستعجلون العذاب الموعود ويقولون متى هذا الوعد وبين ان سبب ذلك الاستعجال هو عدم علمهم بهول وقت وقوعه وماقيه من العذاب الشديد ثم اضرب وانتقل من بيان السبب الى بيان كيفية وقوع الموعود فقال بل تأتيهم بغتة ولما كان استعجالهم ذلك بطريق الاستهزآء وكان عليه الصلاة والسلام يتأذى ويتحرج من استهزائهم نزل قوله تعالى ولقد استهزئ الآية تسلية له عليه الصلاة والسلام وقوله اولا ولو يعلم الذين كفروا الآية لايخلو ايضا عن التسلية ودفع الحزن من قلبه المنير فان بيان مالصاحب هذا الاستهزآء من العذاب الشديد يفيد تسلية المهزوء به وازالة حزنه لامحالة ﴿ قوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن ﴾ اى جزآء ما كانوا فكأنه قيل سيصيبهم جزآء استهزآئهم كما اصاب جزآء استهزآء من قبلهم بانبيائهم فلاتبال باستهزآئهم وكن متسليا فارغ البال ثم انه تعالى لمابين استحقاقهم لما اصاب الاولين وانه سيصيبهم لامحالة مثل مااصاب الاولين وان عدم اصابة ذلك اياهم عاجلا انما هو بحفظه وكلاءته حيث امهلهم مدة يقتضي رحمته العامة ومشيئته وحكمته الباهرة امره عليه الصلاة والسلام ان يسألهم عن الكالئ ليقرّوا وينبهوا على أنهم فى قبضة قدرة الله تعالى محضرون لحكمته ومشيئته لينتهوا عن الاستهزآء والتكذيب ويتمسكوا بحبل الطاعة والتصديق ثم اضرب عن ذلك الامر بقوله بل هم عن ذكر ربهم معرضون اى دعهم عن هذا السؤال لانهم لايصلحون له لاعراضهم عن ذكر الله تعالى فلا يخطرونه ببالهم حتى يخافوا بأسه ثم اذا رزقوا الكلاءة من عذابه عرفوا ان الحافظ هو الله تعالى وحده وصلحوا للسؤال عنه ثم اضرب عن امر التسجيل عليهم بانهم لايصلحون للسؤال الى ماهو أهم وهو الانكار عليهم فيما زعموا ان لهم آلهة تنصرهم وتمنعهم عما استحقوا من العذاب منعا يتجاوز منعنا وحفظنا على ان قوله تعالى من دوننا صفة مصدر محذوف والذى اضيف اليه دون ايضا محذوف وتقدير الكلام تمنعهم منعا كائنا من دون منعنا اى من غير منعنا ويحتمل ان يكون من دوننا بمعنى من عندنا فيكون صفة لمحذوف يتعلق بقوله تمنعهم والتقدير تمنعهم من عذاب يكون من عندنا كأنه قيل دعهم عن هذا السؤال لاغفلتهم واعراضهم من ذكر ربهم بل لاعتقادهم ان لهم آلهة تستقل فى حفظهم والنظر الى من اعرضوا من ذكر ربهم اليها فان هذا غريب واغرب لان من لايقدر على نصر نفسه ولايصحبه نصر من الله عزوجل كيف ينصر غيره ثم اضرب عما توهموه من ان ماهم فيه من الكلاءة من جهة ان لهم آلهة تمنعهم من تطرق البأس اليهم فقال بل متعنا هؤلاء وآباءهم الآية كأنه قيل دع مازعموا من كونهم محفوظين بكلاءة آلهتهم بل ماهم فيه من الحفظ انما هو منا لامن غيرنا حفظناهم من البأساء ومتعناهم بانواع السرآء لكونهم من اهل الاستدراج والانهماك فيما يؤديهم الى العذاب العظيم والعقاب الاليم ويحتمل ان يكون اضرابا عن الاستئناف السابق كأنه قيل دع مابين بطلان مااعتقدوه من ان يكون لهم آلهة تمنعهم واعلم انهم انما وقعوا فى ورطة ذلك التوهم الباطل بسبب انه تعالى متعهم بمايشتهون فحسبوا ان ذلك يدوم عليهم فاغترّوا واعرضوا عن التأمل فى قول الرسول المبلغ من الله واتبعوا ماسوّلت لهم انفسهم من الاوهام الباطلة لقساوة قلوبهم وخباثة طباعهم والافقد اتضح الحق من الباطل وتبين الرشد من الغيّ فلم يبق الا ان ينتقم منهم على سبيل التدريج بان يعاجلهم بمكاره الدنيا ثم يضطرهم الى عذاب النار فى العقبى واشار الى هذا المعنى بقوله عزمن قائل أفلايرون اى أغفلوا وعموا فلايرون كيف شرعنا فى ذلك بان ننقص دار الكفر من جوانبها ونفتح البلاد والقرى من حوالى مكة وندخلها فى ملك نبينا محمد عليه الصلاة والسلام وننقص مافيها من المشركين واحدا بعد واحد بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها بحيث لايقدرون على دفعهم عن انفسهم وديارهم أفهم الغالبون ام المغلوبون فالفاء فى أفلايرون لعطف الجملة على المقدر واللام فى قوله افهم الغالبون لعطفها على الملفوظ والعبارة الظاهرة فى تأدية هذا المعنى ان يقال أفلايرون ان عساكر الموحدين المطيعين يأتون ارض المشركين وينقصونها من اطرافها الاانه تعالى اسند فعل المسلمين الى ذاته تنبيها على ان المجازى والمنتقم والمخرّب هو الله تعالى حقيقة وان ظهر ذلك بتسلط المسلمين وتمكينهم من التخريب والاهلاك والذى ورد عليه نظم التنزيل تصوير للامر على ماهو عليه فى نفس الامر ثم انه تعالى لمابالغ فى تهديد الكفرة المستهزئين المستعجلين وانذارهم بانواع العذاب قرّر ذلك واكده بقوله قل انما انذركم بالوحى اى من القرآن الكريم ﴿ قوله وقرأ ابن عامر ولاتسمع ﴾ اى بضم تاء الخطاب وكسر الميم ونصب الصم الدعاء على انهما المفعولان وقرأ الحسن على قرآءة ابن عامر الا انه بضم ياء الغيبة على ان فيه ضميره عليه الصلاة والسلام وقرأ باقى السبعة بفتح ياء الغيبة والميم ورفع الصم

(ولقد استهزئ برسل من قبلك) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) وعدله بأن مايفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء مافعلوا يعنى جزآءه (قل) يامحمد للمستهزئين (من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) من بأسه ان اراد بكم وفى لفظة الرحمن تنبيه على ان لاكالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بمهلته (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) لايخطرونه ببالهم فضلا عن ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه (ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا) بل ألهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضرابان عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعروض الغافل عن الشئ بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد (لايستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون) استئناف بابطال مااعتقدوه فان مالا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره (بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر) اضراب عما توهموا ببيان ماهو الداعى الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بماقدّر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لايزالوا كذلك وانه بسبب ماهم عليه ولذلك عقبه بمايدل على انه امل كاذب فقال (أفلايرون انا نأتى الارض) ارض الكفرة (ننقصها من اطرافها) بتسليط المسلمين عليها وهو تصوير لمايجريه الله تعالى على ايدى المسلمين (أفهم الغالبون) رسول الله والمؤمنين (قل انما انذركم بالوحى) بماأوحى الىّ (ولايسمع الصم الدعاء) وقرأ ابن عامر ولاتسمع الصم على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على ان فيه ضميره

وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون (اذا ما ينذرون) منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام فى الانذار اوللمبالغة فى تصامهم وتجاسرهم (ولئن مستهم نفحة) ادنى شئ وفيه مبالغات ذكر المس وما فى النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشئ والبناء الدال على المرة (من عذاب ربك) من الذى ينذرون به (ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين) لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم (ونضع الموازين القسط) العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة (ليوم القيامة) لجزاء يوم القيامة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر (فلا تظلم نفس شيأ) من حقه او من الظلم (وان كان مثقال حبة من خردل) اى وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة (أتينا بها) احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من أعطينا او من المؤاتاة فانهم أتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء والتأنيث والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة (وكفى بنا حاسبين) اذ لامزيد على علمنا وعدلنا (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) اى الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به فى ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان (الذين يخشون ربهم) صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع (بالغيب) حال من الفاعل او المفعول (وهم من الساعة مشفقون) خائفون وفى تصدير الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض (وهذا ذكر) يعنى القرآن (مبارك) كثير خيره (انزلناه) على محمد (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ (ولقد آتينا ابراهيم رشده) الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة

وتصب الدعاء ﴿ قوله للدلالة على تصامهم ﴾ وجه الدلالة ان تعريف الصم للعهد والمعهود هؤلاء المنذرون وهم ليسوا بصم حقيقة فلما سموا صما دل على انهم شبهوا بالصم لتصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون ثم انه تعالى بين ان حالهم ستصير الى ان يبصروا بحيث اذا شاهدوا اليسير مما انذروا به كمس ريح الشئ يعدون مس جميعه فعند ذلك يسمعون ويعتذرون ويعترفون على انفسهم بالظلم حيث لا ينتفعون فقال ولئن مستهم نفحة اى ادنى شئ مما انذروا به بسبب شركهم وتكذيبهم الرسول واصل النفح هبوب الريح يقال نفحت الريح اى هبت هبوبا لينا ونفحه بنائل اى بشئ يسير من العطاء ﴿ قوله توزن بها صحائف الاعمال ﴾ يعنى ان الله تعالى يضع الموازين الحقيقية ويزنها الاعمال وقد روى ان الميزان له كفتان ولسان وهو بيد جبريل عليه الصلاة والسلام * فان قيل كيف توزن الاعمال وانما هى اعراض لاتوصف بالخفة والثقل المختصين بالجواهر * اجيب بان فى كيفية وزنها وجهين الاول ان توزن صحائف الاعمال والثانى انه تعالى يعطيها صور الجواهر فيضع فى كفة الحسنات جواهر بيضاء مشرقة وفى كفة السيئات جواهر سوداء مظلمة والمعتزلة عن آخرهم انكروا وضع الموازين الحقيقية وقالوا يجب ان يحمل ما ورد فى القرآن من الوزن والميزان على رعاية العدل والانصاف بحيث لايقع فيه تفاوت اصلا فوضع الموازين عندهم عبارة عن اعداد المحاسبات الشرية والخيرية على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال ذرة فكل ذلك وضع الموازين الحقيقية لتوزن بها الموزونات للعدل وتسوية الحقوق وعامة اهل السنة على انه تعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها صحف الاعمال وجمع الموازين مع ان الميزان الموضوع واحد نظرا الى تعدد ما يوزن فيه او لتعظيم شأنه فمن احاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه بمعنى ان حسناته تذهب سيئاته ومن احاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه اى اذهبت حسناته سيئاته كذا روى عن ابن عباس وهو اوفق لما ذهب اليه المعتزلة ﴿ قوله لجزاء يوم القيامة ﴾ يعنى ان اللام فيه اما للتعليل على حذف المضاف او هى لام التوقيت بمعنى فى كما فى قولك جئت لخمس خلون اى مضين وذهب صاحب الكشاف الى انها لام الاختصاص ومعنى المثال اختصاص المجئ بذلك الزمان ومعنى الآية اختصاص وضع الميزان بيوم القيامة ﴿ قوله شيأ من حقه او من الظلم ﴾ الاول على ان يكون شيأ مفعولا ثانيا لتظلم لانه بمعنى لاتنقص ونقص يتعدى الى مفعولين يقال نقصه حقه وقال تعالى لم ينقصوكم شيأ والثانى على ان يكون مفعولا مطلقا وقرأ العامة أتينا بها بقصر الهمزة من الاتيان بمعنى احضرنا وقرئ بمد الهمزة فيحتمل ان يكون وزنه افعلنا من آتى يؤتى ايتاء او فاعلنا ويؤيده قوله بها لان ما هو بوزن افعلنا يتعدى الى مفعوليه بنفسه قال تعالى وآتينا ثمود الناقة ثم انه تعالى شرع فى قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام تقوية لقلبه عليه الصلاة والسلام على اداء الرسالة وتسلية له بانه ليس اول من بعث الدعوة المستكبرين ووجه ربط قصة موسى بما قبلها انه تعالى لما امر رسوله عليه الصلاة والسلام ان يقول انما انذركم بالوحى اتبعه بان ذلك عادة الله تعالى فى الانبياء قبله فقال ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وهو مصدر وصف به الكتاب الالهى لكونه فارقا بين الحق والباطل وما بعده معطوف عليه على طريق عطف الصفات والمراد بالجميع شئ واحد هو التوراة فالمعنى ولقد آتيناهما الكتاب الجامع لهذه الاوصاف وقيل المراد بالفرقان النصر على الاعداء كما فى قوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يعنى يوم بدر حين فرق بين الحق والباطل ﴿ قوله حال من الفاعل ﴾ يعنى يخشون ربهم او عذاب ربهم وهم غائبون عنه لم يروه فيأتمرون باوامره وينتهون عن نواهيه او وهم غائبون عن الآخرة لم يروا ما فيها من الاهوال او وهم غائبون عن الناس لا كالذين يجتنبون المعاصى بحضر الناس ويرتكبونها فى الخلوات او من المفعول بمعنى يخشون عذاب ربهم وهو غائب لم يشاهد بعد او يخشون ربهم وهو غائب عن الحس لاتدركه الابصار وانما يؤمنون به ايمانا غيبيا استدلاليا ﴿ قوله مبالغة وتعريض ﴾ من حيث انه يفيد حصر الخوف من الساعة فى المتقين والحصر ليس اصل الخوف بل هو الخوف الكامل والحكم بانحصاره فيهم يتضمن الحكم بانتفائه عن غيرهم وهو وجه التعريض بغيرهم ﴿ قوله استفهام توبيخ ﴾ عير الله اهل مكة بان القرآن مع اشتماله على جميع ما اشتمل عليه التوراة من الاوصاف مشتمل على امر زائد على ما فيها وهو كونه معجزا لاشتماله على الامور الغيبية والبلاغة البديعة وعلى الادلة العقلية وبيان الشرائع الحكمية فكل هذا الكتاب لايجاسر على انكاره من له ادنى تمييز ﴿ قوله وقرئ رشده ﴾ بفتح الراء والشين والعامة على ضم الراء وسكون الشين وهما لغتان كالعدم

والعدم يقال رشد بالفتح يرشد رشدا ورشد بالكسر يرشد رشدا كلاهما بمعنى والاضافة فيه بمعنى اللام والاختصاص والمعنى ولقد آتينا بجلالنا وعظم شأننا ابراهيم رشدا يليق بمثله ومحال من انتصب للرسالة وخلة الرحمن ولو قيل الرشد او ترك اللام وضمير الجماعة لما افاد الكلام هذا التفخيم فان الرشد وان كان خلاف الغى الآن بين رشد المؤمنين والرشد الذى اوتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام بونا بعيدا ﴿قوله علما انه اهل لما آتيناه﴾ اى من الرشد المفسر بالاهتداء لوجوه الصلاح فى امور الدين والدنيا فيكون تعليلا لما قبله وعلى الثانى يكون تأكيدا له لان ايتاء الاهتداء المذكور والعلم بكونه جامعا لمحاسن الاوصاف والخصال بمعنى واحد ومثل هذا التركيب يستعمل فى المعنى الثانى فانك اذا قلت فى حق احد من الفضلاء انا عالم بفلان فقولك هذا فى الدلالة على كونه جامعا لوجوه الفضل اشد واقوى مما اذا فصلت صفات كماله ﴿قوله فان التمثال﴾ يعنى انه اسم للشئ المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى واصله من مثلت الشئ بالشئ اذا شبهته به واسم ذلك الممثل التمثال فنبه عليه الصلاة والسلام لهم باب هذا الكلام الدال على تحقير اصنامهم لينظروا فيما يوردونه من شبهة فيبطلها عليهم ﴿قوله ويجوز ان يؤول﴾ اى ويجوز ان لا ينزل عاكفون منزلة اللازم ويجعل اللام للتعدية باحد الوجهين ﴿قوله جواب عما لزم الاستفهام﴾ اى جواب عما قال انه عليه الصلاة والسلام سألهم عن حقيقة التماثيل المعكوف عليها وهم اجابوه ببيان ما حملهم على عبادتها فلا انطباق بين السؤال والجواب * وتقرير الجواب انه ليس جوابا لنفس الاستفهام بل عما لزمه من السؤال عن المقتضى لعبادتها وذلك السؤال اللازم هو اى شئ حملكم على عبادتها مع ان شأنها من الحقارة ما رأيتموه والقوم لما لم يجدوا فى جوابه الا طريقة التقليد فاجابوه بان آباءهم سلكوا قبلهم هذا الطريق فاقتدوا به لاجرم اجابهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين فبين ان الباطل لا يصير حقا بكثرة المتمسكين به ﴿قوله وهن السموات﴾ فانه ليس من الضمائر المختصة بالمؤنثات العاقلات بل هو لفظ مشترك بين العاقلات وغيرها قال تعالى منها اربعة حرم ثم قال فلا تظلموا فيهن انفسكم لما سمع ابراهيم عليه الصلاة والسلام مقالة القوم وعلم ان استفهامهم ذلك مبنى على انهم حسبوا انه عليه الصلاة والسلام انما انكر عليهم دينهم القديم مع كثرتهم وشوكتهم على وجه المزاح واللعب قال بل ربكم رب السموات الآية كأنه قال ما قلته لكم انما قلته على سبيل الجد واظهار الحق ولى برهان على ذلك كانه ليس المراد من الشهادة فى قوله وانا على ذلكم من الشاهدين حقيقة الشهادة لانه لا شهادة من المدعى بل استعيرت الشهادة لتحقق الدعوى بالحجة والبرهان اى لست من اللاعبين فى الدعاوى بل من المحتجين عليها بالبراهين القاطعة بمنزلة الشاهد الذى تقطع به الدعاوى ﴿قوله من المتحققين﴾ اى من المتيقنين له يقال تحققت الشئ اذا صرت منه على يقين والشاهد من تحقق الشئ وحققه فقوله من الشاهدين من باب التشبيه البليغ اظهر عليه الصلاة والسلام كونه صادقا جادا فيما خاطبهم به فى حق اصنامهم اولا بقوله بل ربكم رب السموات والارض فدل بذلك على ان من خلقهما على هذا الوجه البديع لمنافع العباد هو الذى يحسن ان يعبد لان من يقدر على ذلك يقدر على ان يضر وينفع فى الدار الآخرة بالعقاب والثواب واظهره ثانيا بالطريقة الفعلية المدلول عليها بقوله وتالله لاكيدن اصنامكم * فان قيل لماذا قال لاكيدن اصنامكم والكيد هو الاحتيال على الغير فى ضرر لا يشعر به والاصنام جمادات لا تتضرر بالكسر ونحوه وايضا ليست هى مما يحتال فى ايقاع الكسر عليها لان الاحتيال انما يكون فى حق من له شعور * اجيب بان ذلك من قبيل التوسع فى الكلام فان القوم كانوا يزعمون ان الاصنام لهن شعور ويجوز عليهن التضرر فقال ذلك بناء على زعمهم وقيل المراد لاكيدنكم فى اصنامكم لانه بذلك الفعل قد انزل بهم الغم قرأ العامة تالله بالتاء المثناة من فوق وقرئ بالباء الموحدة والاصل فى حروف القسم الباء لان تلك الحروف انما تدخل على المقسم به لان تعلق فعل القسم بالمقسم به والاصل فى تأدية معنى الالصاق هو الباء وابدلت الواو من الباء لتناسب بينهما من حيث كونهما شفويتين ومن حيث ان الواو تفيد معنى الجمعية القريبة من معنى الالصاق والتاء بدل من الواو كما فى وراث وفى التاء معنى زائد ليس فى اختيها وهو التعجب وذلك لان المقسم عليه بالتاء يجب ان يكون امرا نادر الوقوع وان الشئ المتعجب لا يكثر وقوعه والا لم يكن معجبا ومن ثمة قيل استعمال التاء لا يكون الا مع اسم الله تعالى فكأنه عليه الصلاة والسلام تعجب من تسهيل الكيد على يده وتأتيه منه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته لاسيما فى زمن نمرود مع عتوه وقوة سلطانه وبعد منصوب بلا كيدن ومدبرين حال مؤكدة

(من قبل) من قبل موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال انى وجهت (وكنا به عالمين) علمنا انه اهل لما آتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات (اذ قال لابيه وقومه) متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اى اذكر من اوقات رشده وقت قوله (ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون) تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها (قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين) منخرطون فى سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد وان جاز فانما يجوز لمن علم فى الجملة انه على حق (قالوا أجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين) كأنهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا أبجد تقوله ام تلعب به (قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن) اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل فى تضليلهم والزام الحجة عليهم (وانا على ذلكم) المذكور من التوحيد (من الشاهدين) من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشئ وحققه (وتالله) وقرئ بالباء وهى الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب (لاكيدن اصنامكم) لاجتهدن فى كسرها ولفظ الكيد وما فى التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل (بعد ان تولوا) عنها (مدبرين) الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا

لان التولى والادبار بمعنى واحد قرأ العامة تولوا بضم التاء واللام مضارع ولى مشددا وقرئ تولوا بفتحهما مضارع تولى واصله تتولوا فحذف احدى التاءين ويؤيد قرآءة الجمع فتولوا عنه مدبرين والمعنى بعد غيبتكم عنى وذهابكم الى عيدكم قال السدى كان لهم فى كل سنة عيد يجتمعون فيه وكانوا اذا اجتمعوا فيه ورجعوا منه دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم يعادوا الى منازلهم فلما كان هذا الوقت قال آزر لابنه ابراهيم عليه الصلاة والسلام لو خرجت معنا الى عيدنا لاعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجلى فلما مضوا وبقى ضعفاء الناس نادى فى آخرهم وقال تالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين اى الى عيدكم فسمعوها منه واحتج هذا القائل عليه بقوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقال الكلبى كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام من اهل بيت ينظرون فى النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما هم ابراهيم عليه الصلاة والسلام بكسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء وقال لاصحابه ارانى اشتكى غدا وهو قوله فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم واصبح فى الغد معصوبا رأسه فخرج القوم الى عيدهم ولم يتخلف احد غيره وانما قال ذلك فى جماعة فلذلك قال تعالى سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ثم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام دخل بيت الاصنام وكانت فى بيت بهى عظيم وهو بيت المقدس امام البيوت فوجد فيه سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسرها كلها بفأس فى يده حتى لم يبق الا الكبير ثم علق الفأس فى عنقه ولم يكسره فقوله الا كبيرا لهم استثناء من مفعول قوله فجعلهم ولهم صفة للكبير وضمير اليه يرجع الى ابراهيم والمعنى انه فعل ذلك ثم قال فى نفسه لعلهم يرجعون الىّ فى هذه الحادثة فابكتهم بان اقول لهم بل فعله كبيرهم هذا ويجوز ان يرجع الى الكبير والمعنى لعلهم يرجعون الى الكبير قائلين ما لهؤلاء مكسورة وما لك صحيحا والفأس فى عنقك وانما قال ذلك بناء على كثرة جهالاتهم او لعلهم كانوا يعتقدون فيها انها تجيب وتتكلم ويحتمل انه عليه الصلاة والسلام قال ذلك مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم ومن فى قوله تعالى من فعل هذا بآلهتنا يحتمل ان تكون استفهامية وهو الظاهر فعلى هذا يكون قوله انه لمن الظالمين استئنافا لا محل له من الاعراب ويحتمل ان تكون موصولة بمعنى الذى وعلى هذا يكون قوله انه لمن الظالمين فى محل الرفع على انه خبر للموصول ﴿ قوله ويذكر ثانى مفعولى سمع ﴾ لان سمع انما يتعدى الى واحد اذا تعلق بالكيفية المسموعة كقولك سمعت قرآءته واما اذا تعلق بالاعيان التى لا يتعلق بها السماع فحينئذ يتعدى الى اثنين فيكون فتى مفعولا اولا ويذكرهم فى محل النصب على انه مفعول ثان فانه لا يجوز لك ان تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما سمع وجعله صفة لفتى ابلغ فى نسبة الذكر اليه لاستوآء الوجهين والاشتمال على نسبة الفعل الى الفاعل واختصاص الوجه الثانى بنسبة الوصفية فيكون قوله يقال له ابراهيم صفة ثانية لفتى الا ان المفعول الثانى لا بد منه لسمع لما مر من انك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيأ مما سمعت ﴿ قوله هو ابراهيم ﴾ على ان يكون ارتفاع ابراهيم على انه خبر محذوف ثم جوز ان يكون نائب فاعل ما لم يسم فاعله بمعنى يقال له ويطلق عليه الاسم ولو اريد به المسمى لم يجز قيامه مقام الفاعل لان مفعول القول لا يكون الا جملة بخلاف ما اذا اريد لفظ ابراهيم فانه حينئذ يجوز ان يقوم مقام الفاعل لان اللفظ فى حكم الجملة فى جواز كونه مقول القول فيؤدى لكون القول حينئذ بمعنى التسمية كانه قيل يسمى ابراهيم واختلف النحاة فى جواز تسلط القول على المفرد الذى لا يؤدى معنى جملة ولا هو مقتطع من جملة ولا هو مصدر لقال ولا صفة لمصدر نحو قلت زيدا اى قلت هذا اللفظ فأجازه جماعة منهم الزمخشرى ومنعه آخرون واما اذا كان المفرد مؤديا معنى جملة كقولك قلت خطبة او قصيدة او شعرا او اقتطع من جملة كقوله

اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة ۞ معتقة مما يجيء به التجر ۞

او كان مصدرا نحو قلت قولا او صفة له نحو قلت حقا او باطلا فانه يتسلط عليه القول اجماعا ﴿ قوله براى منهم ﴾ يعنى ان قوله على اعين الناس فى محل النصب على انه حال من الهاء فى به اى أتوا به وجيئوا به ظاهرا مكشوفا برأى منهم ومنظر واورد حرف الاستعلاء بناء على طريق التشبيه اى تشبيه تمثل صورته فى اعينهم باستعلاء الراكب على مركبه وتوضيح المقام ان المعنى فأتوا به مستقرا على اعين الناس مستعليا عليها وذلك بان شبه انطباع صورة المرئى فى القوة الباصرة باستعلاء الراكب على المركب ثم ذكر كلمة على واريد الاستعلاء فهو استعارة تبعية وقرينتها

(فجعلهم جذاذا) قطعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائى بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة (الا كبيرا لهم) للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه (لعلهم اليه يرجعون) لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيبكتهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شأن المعبود ان يرجع اليه فى حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اى يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم (قالوا) حين رجعوا (من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه فى حطمها او بتوريط نفسه للهلاك (قالوا سمعنا فتى يذكرهم) يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثانى مفعولى سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ فى نسبة الذكر اليه (يقال له ابراهيم) هو ابراهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم (قالوا فأتوا به على اعين الناس) برأى منهم بحيث تتمكن صورته فى اعينهم تمكن الراكب على المركوب (لعلهم يشهدون) بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له

اعين الناس فالمراد بالاتيان اتيان مثاله لماسمع بعض القوم قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام وتالله لأ كيدنّ اصنامكم وسمعوا سبه لآ لهتهم غلب على ظنهم انه الفاعل لذلك فلذلك قالوا سمعنافتى يذكرهم اى يعيبهم ويسبهم يقال له ابراهيم فهو الذى يظنّ انه الذى فعل هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار واشراف قومه فقالوا فيما بينهم فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون عليه انه الذى فعل قيل كرهوا ان يأخذوه بغيربينة وقيل انه ليس من الشهادة بل هو من الشهود وهو الحضور والمعنى لعلهم يحضرون عقوبتنا اياه ﴿قوله حين احضروه﴾ اشارة الى ان فى الكلام حذفا والتقدير فأتوا به فلما شاهدوه قالوا منكرين عليه فعله موبخين له ءانت فعلت هذا وفى قوله ءانت وجهان الاوّل انه فاعل فعل مقدّر يفسره الظاهر بعده والتقدير أفعلت هذا بآلهتنا فلما حذف الفعل انفصل الضمير فعلى هذا لامحل للفعل الملفوظ به لانها مفسرة والثانى انه مبتدأ والجملة التى بعده فى محل الرفع على الخبرية وبين الوجهين فرق من حيث المعنى وهو أن اداة الاستفهام اذا دخلت على الفعل يكون الشك فى انه هل وقع اولا ولا شك فى فاعله واذا دخلت على الاسم لايكون الشك فى وقوع الفعل بل يكون وقوعه مقطوعا به ويكون المشكوك فيه هو الاسم الذى دخلت عليه اداة الاستفهام ويشك فى انه هل هو الفاعل او غيره فاذا قلت أقام زيد كان الشك فى قيامه واذا قلت أزيد قام وجعلته مبتدأ كان الشك فى ان الفعل هل صدر منه او من غيره والوجه الاوّل هو المختار عند النحاة لان الفعل تقدّم مايطلبه وهو اداة الاستفهام ﴿قوله اسند الفعل اليه﴾ جواب عما يقال كيف اسند الفعل الى كبيرهم وانه كذب لايليق بالنبى المعصوم * فاجاب عنه اوّلا بان اسناد الفعل اليه من قبيل اسناده الى السبب الحامل فانه عليه الصلاة والسلام لما رأى الاصنام مصطفة مزينة يعظمها المشركون ورأى على الكبير مايدل على زيادة تعظيمهم له وتخصيصهم اياه بمزيد التواضع والخضوع اشتدّ بغضه وغيظه له فحمله ذلك البغض على مافعل بتلك الاصنام فلذلك اسند الفعل الى الكبير لالانه هو المباشر للفعل الالانه اى الكبير مع انه هو السبب الحامل له على استهانة الاصنام وكسرها فيورد عليهم هذا القول الموهم لكون الاسناد اليه حقيقيا ليظهر جهلهم فى عبادة الاصنام وثانيا بانه عليه الصلاة والسلام لم يقصد باسناد الفعل الى الكبير ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم الكبير بل قصد به تقرير الفعل لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضى مع الاستهزآء بالكبير لان اثبات الفعل الدائر بين شخصين لمن هو العاجز منهما استهزآء بالعاجز واثبات للقادر منهما كما اذا اجبت من قال لك انت كتبت هذا وانت شهير بحسن الخط وهو امى لايحسن الخط ولايقدر الاعلى الخر مشة الفاسدة بل كتبته انت فان قصدك بهذا الجواب تقرير الكتبة لك مع الاستهزآء بالامى لانفيه عنك واثباته للامى وثالثا بانه لم يسند الفعل اليه اعتقادا بل اسنده حكاية لمايلزم من مذهبهم جوازه كانه قال كيف تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على هذا الفعل وعلى ماهو اعظم منه ويؤيد هذا الجواب ماحكى انه قال لهم بل فعله كبيرهم بناء على انه غضب من ان تعبد معه هذه الصغار وهو اكبرمنها هيئة واشرف جوهرا فانه لاوجه لهذا القول الابان يكون على سبيل الحكاية لمايلزم من مذهبهم ورابعا بان اسناد الفعل الى الكبير مشروط بقوله ان كانوا ينطقون جعل النطق شرطا للفعل واراد به انهم ان قدروا على النطق قدروا على الفعل فلما ظهر عجزهم من النطق تبين عجزهم عن الفعل ايضا وقوله فاسألوهم اعتراض بين الشرط والجزآء وهذا الجواب يتضمن تجهيل القوم واسناد الفعل الى نفسه ولم يرض المصنف بحمل جوابه عليه الصلاة والسلام على هذا المعنى لكونه تعسفا ومخالفا لظاهر النظم وخامسا بان الكذب انمايلزم على تقدير ان يكون الفعل مسندا الى كبيرهم ولانسلم ذلك لم لايجوز ان يكون مسندا الى ضمير فتى او ابراهيم * ولما ظهر بهذه الاجوبة ان قوله بل فعله كبيرهم ليس بكذب ورد ان يقال فكيف اثبت عليه صلوات الله وسلامه لابراهيم ثلاث كذبات وهى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارّة هى اختى * فاجاب المصنف عنه بانه عليه الصلاة والسلام سماها كذبات تشبيها لها بالكذبات لكونها على صورة الكذبات ولماقال لهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام الزاما للحجة عليهم فاسألوهم ان كانوا ينطقون فرجعوا الى انفسهم اى تفكروا بقلوبهم وراجعوا عقولهم قال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال تسألون هذا الرجل وآلهتكم حضور فاتركوا مسألته واسألوا آلهتكم التى بحضرتكم وقرأ الجمهور نكسوا مبنيا للمفعول مخفف الكاف وقوله على رؤسهم حال اى كائنين على رؤسهم ويجوز ان يتعلق بالفعل المذكور قبله والنكس والتنكس لغتان بمعنى وهو قلب الشئ ورد آخره على اوّله وقرئ نكسوا بالتشديد وليس

(قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم) حين احضروه (قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون) اسند الفعل اليه تجوّزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزآء والتبكيت على اسلوب تعريضى كما لو قال لك من لايحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق ءأنت كتبته فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه فى المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وماتبينهما اعتراض اوالى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله ومارُوى انه عليه الصلاة والسلام قال لم يكذب ابراهيم الاثلاث كذبات تسمية للمعاريض كذبا لماشابهت صورتها صورته (فرجعوا الى انفسهم) وراجعوا عقولهم (فقالوا) فقال بعضهم لبعض (انكم انتم الظالمون) بهذا السؤال او بعبادة مالاينطق ولايضرّ ولاينفع لامن ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين

التشديد فيه للتعدية و لا للتكثير بل هو لغة بمعنى الخفف وقرئ نكسوا مخففا مبنيا للفاعل و على هذا يكون المفعول محذوفا تقديره نكسوا انفسهم على رؤسهم قال المفسرون اجرى الله الحق على ألسنتهم فى القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة فردوا الى الكفر بعدان اقروا على انفسهم بالظلم شبه انقلابهم الى الكفر و المجادلة بالباطل بعداذعان الحق بصيرورة اسفل الشئ مستعليا الى اعلاه فعبر عنه بالنكس ثم اشتق منه نكسوا فهو استعارة تبعية وقيل المعنى انهم قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا و انكسارا مما بهتهم به ابراهيم عليه الصلاة و السلام فما اجابوه الا بما هو حجة عليهم حيث قالوا فى جواب قوله فاسألوهم ان كانوا ينطقون ولقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تأمرنا بسؤالهم فاقروا بهذه الحيرة التى لحقتهم وجملة قوله لقد علمت جواب قسم محذوف والقسم وجوابه معمولان لقول مضمر وذلك القول المضمر حال من مرفوع نكسوا اى نكسوا قائلين والله لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قيل كيفية القصة انه لما اجتمع نمرود و قومه لاحراق ابراهيم عليه الصلاة و السلام حبسوه فى بيت و بنوا بنيانا كالحظيرة وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم ثم جمعوا الحطب الكثير حتى ان المرأة لو مرضت قالت ان عافانى الله تعالى لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى الحطب بغزلها فتوقد فى ذلك البنيان احتسابا فى دينها قيل جمعوا له الحطب من اصناف الخشب على ظهر الدواب اربعين يوما ثم اوقدوها فلما اشتعلت النار صار الهواء بحيث لو مر الطير فى اقصى الجو لاحترق من شدة وهجها وروى انهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها لعدم تأتى القرب فجاء ابليس و علمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد وكان اول من صنع المنجنيق فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه الصلاة و السلام فوضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة الا الثقلين صيحة واحدة اى ربنا مافى ارضك احد يعبدك غير ابراهيم وانه يحرق فيك فأذن لنا فى نصرته فقال تعالى ان استغاث باحد منكم فلينصره فقد اذنت له فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا اعلم به وانا وليه فخلوا بينى وبينه فانه خليلى ليس له خليل غيرى وانا الهه ليس له اله غيرى فلما ارادوا القاءه فى النار أتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار فى الهواء وأتاه خازن المياه فقال ان شئت اخمدت النار فقال ابراهيم لا حاجة لى اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم انت الواحد فى السماء وانا الواحد فى الارض ليس فى الارض من يعبدك غيرى حسبى الله ونعم الوكيل وحين ألقى فى النار قال لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم وضعوه فى المنجنيق ورموه به الى النار فأتاه جبريل فقال له يا ابراهيم ألك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فقال الله تعالى يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قيل فبردت نار الدنيا كلها يومئذ ولم ينتفع بها احد من اهلها ولو لم يقل على ابراهيم لبقيت ذات برد ابدا ولو لم يقل وسلاما بعد قوله بردا لمات ابراهيم من بردها وقيل جعل كل شئ يطفئ عنه النار الا الوزغة فانها كانت تنفخ النار وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه امر بقتل الوزغة وقال كانت تنفخ النار على ابراهيم قيل ان ابراهيم عليه الصلاة و السلام لما ألقى فى النار كان فيها اربعين يوما او خمسين يوما وقال ما كنت اطيب عيشا زمانا من الايام التى كنت فيها فى النار قيل لما رموه فى النار اخذت الملائكة باضبعى ابراهيم واقعدوه فى الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه قال ابن اسحق فبعث الله ملك الظل فى صورة ابراهيم فجاء فقعد جنب ابراهيم يؤنسه وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال يا ابراهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر أحبائى ثم نظر نمرود من صرح له واشرف على ابراهيم فرآه جالسا فى روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه وحوله نار تحرق الحطب فناداه نمرود يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشى حتى خرج منها قال نمرود من الرجل الذى رأيته معك فى صورتك قال ذلك ملك الظل ارسله ربى ليؤنسنى فيها فقال له نمرود انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك وانى ذابح له اربعة آلاف بقرة فقال ابراهيم عليه الصلاة و السلام لا يقبل الله منك ما كنت على دينك هذا قال نمرود لا استطيع ترك ملكى ولكن سوف اذبحها له ثم ذبحها وكف عن ابراهيم وروى انهم لما رأوه سالما لم يحترق منه غير وثاقه قال هاران ابو لوط عليه الصلاة و السلام ان النار لا تحرقه لانه سحر النار لكن اجعلوه على شئ واوقدوا تحته فان الدخان يقتله فجعلوه فوق بئر واوقدوا تحته فطارت شرارة فى لحية ابى لوط فأحرقته وروى ان ابراهيم عليه الصلاة و السلام ألقى

(ثم نكسوا على رؤسهم) انقلبوا الى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشئ مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اى نكسوا انفسهم (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف تأمر بسؤالها وهو على ارادة القول (قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيأ ولا يضركم) انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافى الالوهية (أف لكم ولما تعبدون من دون الله) تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين وأف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له (أفلا تعقلون) قبح صنيعكم (قالوا) اخذوا فى المضارة لما عجزوا عن المحاجة (حرقوه) فان النار اهول مايعاقب به (وانصروا آلهتكم) بالانتقام لها (ان كنتم فاعلين) ان كنتم ناصريها نصرا مؤزرا والقائل منهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون خسف به الارض وقيل نمرود

(قلنا يا نار كوني بردا وسلاما) ذات برد وسلام اى ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلمنا سلاما عليه روى انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه فى المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فجعل الله ببركته قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منه الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال انى مقرّب الى آلهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبا ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذا من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى فى السمندل ويشعر به قوله (على ابراهيم واردوا به كيدا) مكرا فى اضراره (فجعلناهم الاخسرين) اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب (ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين) اى من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى العالمين شرائعهم التى هى مبادى الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) عطية فهى حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص يعقوب ولا بأس به للقرينة (وكلا) يعنى الاربعة (جعلنا صالحين) بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم (يهدون) الناس الى الحق (بأمرنا) لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين (واوحينا اليهم فعل الخيرات) ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات

فى النار وهو ابن ست عشرة سنة وقيل فى تفسير قوله تعالى قلنا يا نار كونى بردا المعنى انه سبحانه وتعالى جعل النار باردة لاتضرّ ببردها من غير ان يكون هناك قول وخطاب كقوله تعالى انما قولنا له كن فيكون اى نكوّنه وذهب اكثر المفسرين الى ان ذلك القول قد وجد والقائل اما جبريل عليه الصلاة والسلام قاله بامر الله تعالى او القائل هو الله تعالى والمصنف مال الى القول الاوّل حيث قال وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة اى فى ورود التنزيل على هذا النظم مبالغات فى اظهار عظمة الله تعالى وكمال قدرته ونفاذ مشيئته وارادته حيث عبر عن تأثير قدرته فى تدبير النار بما يدل على جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة مع انه ليس هناك امر وامتثال بل ليس هناك الا تسخيرها بالقدرة والارادة لان اثر القدرة هو كون النار باردة لا كونها نفس كيفية البرد والعبارة الدالة على هذا المعنى ان يقال ابردى الا انه اقيم كونى ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للمبالغة فى الدلالة على زوال كيفية الحرارة والاحراق من النار بحيث تكون ذاتها كانها برد وسلام كما فى قوله

* ترتع ما رتعت حتى اذا ادّكرت * فانما هى اقبال وادبار *

اى ذات اقبال وادبار ﴿قوله وقيل كانت النار بحالها﴾ الا انه تعالى خلق فى جسم ابراهيم عليه الصلاة والسلام كيفية مانعة من وصول اذى النار اليه كما يفعل بخزنة جهنم فى الآخرة وكما انه ركب بنية النعامة بحيث لايضرّها ابتلاع الحديدة المحماة وبدن السمندل بحيث لايضرّه المكث فى النار ولم يرض به لان ظاهر قوله تعالى يا نار كونى بردا يقتضى ان نفس النار صارت باردة حتى سلم ابراهيم من تأثيرها لا ان النار بقيت بحالها ﴿قوله من العراق الى الشام﴾ قيل كانت واقعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع نمرود بكوثى فى حدود بابل من ارض العراق فنجاه الله تعالى من تلك البقعة الى الارض المباركة ثم قيل انها مكة وقيل هى ارض الشام لقوله تعالى الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له الى اين فقال الى بلد يملأ فيها الجراب بدرهم وقد كان لوط النبى عليه الصلاة والسلام آمن بابراهيم بن تارخ عليهما الصلاة والسلام كما قال تعالى فآمن له لوط وكان ابن اخيه هاران بن تارخ ويقال بالحاء وهو لوط بن هاران بن تارخ بن ناحور وآزر لقب تارخ ابى ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهاران فكان هاران وابرهيم اخوين وآمنت به ايضا سارة بنت عم ابراهيم وهى سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم فخرج من كوثى مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة يلتمس الفرار بدينه والتخلص الى عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله تعالى ثم ارتحل منها ونزل بفلسطين وهى برية الشام ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر وعاد الى ارض الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وبعثه الله نبيا الى اهلها روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزمهم مهاجرا ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام والمقصود ترغيب الناس فى المقام بها ﴿قوله عطية﴾ قال الجوهرى النفل والنافلة عطية التطوّع من حيث لايجب ومنه نافلة الصلاة والنافلة ايضا ولد الولد والنوافل العطايا والنوفل الرجل الكثير العطاء فالنافلة المذكورة فى الآية يجوز ان تحمل على العطية الواقعة تفضلا من غير ان تكون جزاء مستحقا مترتبا على ما يدعو اليه فتكون حالا من المفعول وما عطف عليه جميعا اى وهبناهما حال كون كل واحد منهما عطية متبرّعا بها وقيل انه منصوب على انه مصدر ووهبناله من غير لفظه بمعنى وهبناله هبة مبتدأة ويجوز ان تحمل على ولد الولد لان يعقوب ولد اسحق عليهما الصلاة والسلام وعلى الزيادة على ما سأل كما فى قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اى زيادة على الفرائض فانه عليه الصلاة والسلام سأل الله ولدا حيث قال رب هب لى من الصالحين وهو سؤال الولد فاجاب الله تعالى دعاءه ووهب له اسحق ولدا ليستأنس به من وحشة الغربة واعطاه يعقوب من اسحق من غير دعائه فكان ذلك نافلة كالشئ المتطوّع به وزيادة على الولد لكونه ولد الولد فعلى هذين الوجهين يكون حالا من المعطوف عليه فقط كامر فى قوله تعالى كل فى فلك يسبحون من انه حال من الشمس والقمر فقط لعدم اللبس ﴿قوله ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم﴾ تعليل لما ذكر ثالثا فى وجوه مدحهم فانه تعالى مدحهم اوّلا بصلاحهم فى انفسهم وكونهم كاملين بطاعة الله تعالى ثم باصلاحهم غيرهم بامر ربهم وارساله اياهم لتكميل عباده ثم بان علمهم واوحى اليهم ان تفعل الخيرات وتقام الصلاة وتؤتى الزكاة ليتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم فالظاهر ان

يقول بدل قوله ليحثوا عليه ليكون صلاحهم واصلاحهم مبنيا على العلم الان ترتب العلم على الايحاء لما كان ظاهرا مكشوفا لم يتعرض له بل جعل فائدة الايحاء اليهم حث الامة على فعلها فان معظم مايوحى الى الانبياء هو التكاليف المتعلقة بالامة فلذلك جعل فعل الخيرات مصدرا من المبنى للمفعول فانه لو جعل من المبنى للفاعل وكان مضافا من حيث المعنى الى ضمير الموحى اليهم وكان التقدير فعلهم الخيرات واقامتهم الصلاة وايتاءهم الزكاة لفهم ان يكون هذه المذكورات من الاحكام المختصة بالموحى اليهم وليس كذلك بل هى من التكاليف العامة التى يشترك فيها الانبياء والامم فالاصل ان يقال واوحينا اليهم ان تفعل الخيرات وتقام الصلاة وتؤتى الزكاة ثم فعلا الخيرات لانه فى معنى الاول لان ان مع الفعل فى معنى المصدر ثم فعل الخيرات اى صيغ ذلك الحرف المصدرى مع مابعده مصدرا منونا ناصبا لمابعده ثم اضيف ذلك المصدر الى مفعوله ثم خص من بين الخيرات اقامة الصلاة وايتاء الزكاة تنبيها على مزيد فضلهما وشرفهما بالنسبة الى سائر الخيرات ﴿ قوله وحذف تاء الاقامة المعوضة عن احدى الالفين ﴾ احداهما الف الافعال والاخرى الالف المبدلة من واو اقوام يعنى ان مصدر افعل يجيئ على افعال فان كان صحيح العين جاء تاما كالاكرام وان كان معتل العين حذف منه احدى الالفين وعوض عنها تاء التأنيث فما قيل فى نظم التنزيل واقام الصلاة بدون التاء اعتذر من حذفها بقيام المضاف اليه مقامها وقد ورد اثباتها ايضا مع الاضافة قال تعالى يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ثم انه تعالى لمابين اصناف مااتم عليهم وفاء بعهد الربوبية بين اشتغالهم بالطاعة والعبادة وفاء بعهد العبودية فقال وكانوا لنا عابدين ﴿ قوله ولوطا آتيناه ﴾ منصوب على شريطة التفسير اى وآتينا لوطا آتيناه حكما والجملة معطوفة على قوله ووهبنا له جمع ابراهيم ولوطا عليهما الصلاة والسلام فى قوله ونجيناه ولوطا ثم بين ماانعم به على كل واحد منهما فقال ووهبنا له اسحق ثم قال ولوطا آتيناه فذكر الله تعالى مما آتاه من النعم اربعة امور احدها الحكم وثانيها العلم وثالثها انجاؤه مما يعمل الخبائث ورابعها ادخاله فى رحمته او جنته وان فسر الحكم بالحكمة رادبها هنا اتيان مايجب فعله وتقتضيه الادلة القاطعة والعقل المميز لا مااشتهر بين القوم من انها العلم الذى تحصل به العمل بما يناسبه فان عطف قوله وعلما عليها يأبى حملها على ذلك المعنى ووجه تفسير الحكم بالنبوة كونها سببا لتقييد الحكم على الامة * وسدوم اعظم القرى بالمؤتفكة وهى قرى قوم لوط التى قلبها الله تعالى وجعل عاليها سافلها ﴿ قوله تعالى ونوحا ﴾ منصوب على العطف على لوطا فيكون مشتركا معه فى عامله الذى هو آتينا المفسر بآتيناه الظاهر وكذلك داود وسليمان والتقدير ونوحا آتيناه حكما وعلما وداود وسليمان آتيناهما وعلى هذا يكون اذ بدلا من نوحا ومن داود وسليمان بدل اشتمال ويجوز ان يكون نوحا منصوبا باضمار اذكر اى اذكر نوحا وداود وسليمان اى اذكر خبرهم وقصتهم وعلى هذا تكون اذ منصوبة بنفس المضاف المقدر اى خبرهم الواقع فى وقت كذا وكذا ﴿ قوله ونصرناه مطاوعه انتصر ﴾ يعنى ان نصرناه هنا بمعنى منعنا الذى يطاوعه انتصر بمعنى امتنع قال الله تعالى هل ينصرونكم او ينتصرون اى هل يمنعونكم او يمتنعون والحاصل ان نصر ههنا بمعنى منع لا بمعنى اعان ويدل عليه تعديته بمن فان نصر بمعنى اعان يتعدى بعلى يقال نصره الله على عدوه فما قيل ههنا ونصرناه من القوم علم ان المعنى ومنعناه ونجيناه منهم ومنه قوله تعالى فمن ينصرنا من بأس الله اى يعصمنا من عذابه والانتصار كما يكون بمعنى الامتناع يكون بمعنى الانتقام ايضا ﴿ قوله رعته ليلا ﴾ النفش ان تنتشر الغنم ليلا وترعى بلا راع من باب دخل وضرب جميعا وانفشها صاحبها اذا تركها ترعى كذلك قال الشاعر * فالها ابلة من النافش * قال المفسرون دخل رجلان على داود عليه الصلاة والسلام وعنده ابنه سليمان احدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحرث ان هذا انفلتت غنمه فوقعت فى حرثى فلم تبق منه شيأ فقال لك رقاب الغنم فقال سليمان غير هذا ارفق بهما ينطلق اصحاب الحرث بالغنم فيصيبون من البانها ومنافعها وتقوم اصحاب الغنم على الحرث حتى اذا كان كليلة نفشت فيه دفع هؤلاء الى هؤلاء غنمهم ودفع هؤلاء الى هؤلاء حرثهم فقال داود القضاء ماقضيت وحكم بذلك واكثر المفسرين على ان الحرث كان كرما قد تدلت عناقيده وقال قتادة كان زرعا كذا فى البسيط وجمع الضمير فى حكمهم لكونه عبارة عن الحاكمين والمتحاكمين وهو يستلزم اضافة المصدر الى فاعله ومفعوله دفعة واحدة وهو انما يضاف الى احدهما فقط لان اضافته الى الفاعل على سبيل القيام به واضافته الى المفعول على سبيل الوقوع عليه فهما معنوان مختلفان فلا يكون اللفظ الواحد مستعملا فيهما معا وايضا انه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لان اضافته الى الفاعل حقيقة

(وال)

وكذلك قوله (واقام الصلاة وايتاء الزكاة) وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة عن احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها (وكانوا لنا عابدين) موحدين مخلصين فى العبادة ولذلك قدم الصلة (ولوطا آتيناه حكما) حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم (وعلما) بما ينبغى علمه للانبياء (ونجيناه من القرية) قرية سدوم (التى كانت تعمل الخبائث) يعنى اللواطة وصفها بصفة اهلها او اسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) فانه كالتعليل له (وادخلناه فى رحمتنا) فى اهل رحمتنا او فى جنتنا (انه من الصالحين) الذين سبقت لهم منا الحسنى (ونوحا اذ نادى) اذ دعا الله على قومه بالهلاك (من قبل) من قبل المذكورين (فاستجبنا له) دعاءه (فنجيناه واهله من الكرب العظيم) من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد (ونصرناه) مطاوعه انتصر اى جعلناه منتصرا (من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين) لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك فى الشر ولم يجتمعا فى قوم الا واهلكهم الله (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث) فى الزرع وقيل فى كرم تدلت عناقيده (اذ نفشت فيه غنم القوم) رعته ليلا (وكنا لحكمهم شاهدين) لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما عالمين (ففهمناها سليمان) الضمير للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها روى ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فأمر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ماكان ثم يترادان

والى المفعول مجاز فالجواب ان هذه الاضافة لمجرد الاختصاص مع قطع النظر عن كون المضاف اليه فاعلا او مفعولا على طريق عموم المجاز كأنه قيل كنا شاهدين للقضية الواقعة بينهم من اصابة احد الحاكمين وخطأ الآخر واستيفاء كل واحد من المتحاكمين حقه على النهج المستقيم ﴿ قوله ولعلهما قالا اجتهادا ﴾ فان بعض العلماء قال بجواز الاجتهاد للانبياء ليدركوا ثواب المجتهدين لعموم قوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار والانبياء ائمة اولى الابصار وافضلهم فكيف لا يجوز لهم الاعتبار مع ان الاستنباط ارفع درجات العلماء فوجب ان يكون للانبياء نصيب منه والا لكان كل واحد من المجتهدين افضل منهم في هذا الباب ويدل عليه ايضا قوله عليه الصلاة والسلام «العلماء ورثة الانبياء» فيستلزم ان تكون درجة الاجتهاد ثابتة للانبياء ليرث العلماء عنهم ذلك ومنهم من لا يجوز لهم الحكم بالاجتهاد ويقول انهم مستغنون عنه بالوحي فان الاجتهاد انما يصار اليه عند فقد النص والنص ليس بمفقود في حق الانبياء فلا يجوز لهم الاجتهاد عند اكثر العلماء بخلاف اهل السنة فانهم يجوزون لهم الحكم بالاجتهاد فجاز ان يجتهدوا ويكون اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فيرجع ابوه داود الى اجتهاده قبل الحكم باجتهاد نفسه لان الحكم الواقع بالاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر ويجوز ان يكون الثاني وحيا وحينئذ ينقض الحكم بالاجتهاد وقيل حكما جميعا بالوحي الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان واختار المصنف انهما حكما بالاجتهاد لا بالوحي لانهما لو حكما بالوحي لما اختص سليمان بقوله تعالى ففهمناها سليمان بخلاف ما اذا قالا بالاجتهاد وكان اجتهاد سليمان صوابا او اصوب فانه يجوز ان يقال في حقه ففهمناها سليمان ولما كان الاجتهاد في نفسه مفتقرا الى العلم ولا يصح بدونه قيل وكلا آتينا حكما وعلما وقيل لو كانا بالاجتهاد لما نقض حكم سليمان حكم داود لان الاجتهاد لا ينقض الاجتهاد فتعين انهما كانا بالوحي والجواب ما مر من انهما اجتهدا وكان اجتهاد سليمان اشبه بالصواب فرجع داود الى اجتهاده قبل الحكم باجتهاد نفسه فقد روى في الاخبار الكثيرة ان داود لم يكن بين الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ان غير ذلك اولى وروى ان داود ناشده وقال له بحق النبوة والابوة الا اخبرتني بالذي هو اوفق بالفريقين فقال ادفع الغنم الى صاحب الحرث الخ ﴿ قوله والاول ﴾ اى حكم داود بالغنم لصاحب الحرث نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني انه اذا جنى على النفس يدفعه المولى الى ولي الجناية او يعطي ارش الجناية فان موجب جناية العبد عنده صيرورة العبد جزاء جنايته قلت الجناية او كثرت وللولي ان يختار الفداء بالارش فكذا الحال في حادثة الحرث فان الغنم فيه بمنزلة العبد الجاني فكانت نفس الغنم جزاء لجنايتها وقال سليمان لا يزال ملك المالك عن الغنم بل يحال بينه وبين ملكه بان يدفع الغنم الى اهل الحرث لينتفعوا بها بازاء ما فات عنهم من الانتفاع بالحرث الى ان يزول ما طرأ على الحرث من النقص والضرر ويصير كما كان ونظيره قول الامام الشافعي فيمن غصب عبدا فأبق من يده فانه يوجب على الغاصب غرم الحيلولة ويقول انه يضمن قيمة العبد ويحال بينه وبين القيمة لينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر العبد رد لبقاء ملك كل واحد منهما فيما فات عنه وحيل بينه وبينه ﴿ قوله الا ان يكون معها حافظ ﴾ اى الا ان يكون مع البهيمة سائقها او قائدها فانه يضمن ما اتلفته وهو سائقها او قائدها والذي اتلفته بعد انتهاء سوقها او قودها فلا يضمنه لقوله عليه الصلاة والسلام «جرح العجماء جبار» اى هدر والامام الشافعي يوجب ضمان ما اتلفته ليلا لما روى في الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ان ناقة لرجل ضارية دخلت حائط رجل فأفسدت ما فيه فكلم النبي عليه الصلاة والسلام فيها فقضى ان حفظ الحوائط بالنهار على اهلها وان حفظ المواشي بالليل على اهلها وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل وقد روى ايضا انه عليه الصلاة والسلام قال ما اصابت الماشية بالليل فعلى اهلها وما اصابت بالنهار فليس على اهلها منه شيء ولعل ابا حنيفة يجعله منسوخا بقوله «جرح العجماء جبار» ﴿ قوله دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه ﴾ اى لا يجعله آثما من حيث انه تعالى وان اثنى على سليمان باصابته حيث قال ففهمناها سليمان لكنه تعالى اثنى على المخطئ ايضا بعلمه المؤدي الى الاجتهاد ولم يأثم بخطائه حيث اثنى عليه بقوله وكلا آتينا حكما وعلما فان العلم المؤدي الى الاثم والعقاب لا يكون سببا للامتنان عليه والمدح بسببه اختار المصنف قول من ذهب الى ان المجتهد يخطئ ويصيب وان داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام قالا بالاجتهاد الا ان داود اخطأ واصاب سليمان وانه يجوز الخطأ على الانبياء الا انهم لا يقرون واما العلماء فلهم الاجتهاد في الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب او سنة فاذا اخطأوا فلا اثم عليهم روى انه عليه الصلاة والسلام قال «اذا حكم الحاكم واجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم واجتهد فاخطأ فله اجر» يعني انه يؤجر على اجتهاده

ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار (وكلا آتينا حكما وعلما) دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه

في الحق لان الاجتهاد عبادة لانه يؤجر على الخطأ الا ان الاثم في الخطأ مرفوع عنه اذا بذل جهده في اصابة الحق والحاصل ان في كل حادثة حكما معينا عند الله تعالى وعليه دليل قطعي او ظني فمن وجده اصاب ومن فقده اخطأ ولم يأثم ، فان قيل لو تعين الحكم فالمخالف له لم يحكم بما انزل الله فيفسق او يكفر لقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله الآية فالجواب انه لما امر بالحكم بما ظنه وان اخطأ فقد حكم بما انزل الله وقوله تعالى وكلا آتينا حكما وعلما لا ينافي ان يكون البعض منهم مخطئا لان خطأ المجتهد لا يوجب ان لا يكون له علم وحكم فان كل مجتهد لابد ان يكون عالما قادرا على استنباط الاحكام من النصوص اذ لو لم يكن عالما بالغا الى مرتبة الاجتهاد لم يجز له ان يجتهد ويحكم بالاجتهاد

﴿قوله وقيل على ان كل مجتهد مصيب﴾ فيما عليه من الاجتهاد في الحادثة كما ذهب اليه ابو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى ، قال صاحب الكشاف وفي قوله ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع سليمان وفي قوله وكلا آتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا على الصواب ووجه الاستدلال انه لو كان المصيب واحدا منهما وكان مخالفه مخطئا لما صح ان يقال وكلا آتينا حكما وعلما وفيه انه انما يكون دليلا على كونهما من اهل الاجتهاد ولا يدل على كون كل واحد منهما مصيبا وانما يدل عليه ان لو قيل وكلا آتينا حكما وعلما بما حكم الله تعالى به في تلك الحادثة وليس نظم التنزيل هكذا فيجوز ان يكون المراد به آتيناه علما بوجوه الاجتهاد وطرق الاحكام وهو لا يستلزم كونه مصيبا للدليل الذي اقامه الله تعالى ليدل على ما حكم به في تلك الحادثة وايضا القول بان كل مجتهد مصيب مخالف لما يفهم من قوله تعالى ففهمناها سليمان فانه يدل بطريق المفهوم على ان داود لم يفهم الحكم الذي هو الحكم عند الله وانه تعالى لم يفهمه ذلك فكيف يكون مصيبا في حكمه واجتهاده المؤدي اليه ثم اشار بقوله ولولا النقل الى جواب ما يقال لا نسلم ان القول المذكور مخالف لمفهوم قوله ففهمناها سليمان وانما يخالفه ان لو كان داود وسليمان قد اختلفا في الحكم وليس كذلك لما روى عن ابي بكر الاصم انه قال انهما لم يختلفا في الحكم البتة بناء على انه تعالى بين لهما الحكم على لسان سليمان واتفقا على ذلك الحكم ، ولما ورد ان يقال لو اتفقا في الحكم بتفهيم الله تعالى اياهما ذلك لكان الظاهر ان يقال ففهمناها اياهما ولا يخص سليمان بالذكر ، اشار الى دفعه بقوله على ان قوله ففهمنا اياهما الا ان سليمان عليه الصلاة والسلام لما اختص بصغر السن والفهم منه اقرب خص بالذكر اظهارا لما تفضل به عليه في صغره ، وتقرير ما اشار اليه بقوله ولولا النقل لاحتمل توافقهما ان احتمال التوافق بناء على ان تخصيص سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره وهذا التخصيص لاجل اظهار ما تفضل عليه في صغره ينفيه ما نقل انهما قد اختلفا في القول والحكومة فان الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قد اتفقوا على ان داود قال لصاحب الحرث اذهب فان الغنم لك فلما خرج الخصمان من عنده ومرّا على سليمان قال كيف قضى بينكما فاخبراه بما قضى به فقال عليه الصلاة والسلام لو كنت انا القاضي لقضيت بغير هذا وروى انه عليه الصلاة والسلام قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبرا داود بذلك فدعاه فقال كيف كنت تقضي بينهما وعلى الرواية الثانية انه دعا سليمان فقال بحق النبوة والابوة الا ما اخبرتني بالذي هو ارفق بالفريقين فقال ان تسلم الغنم الى صاحب الحرث حتى يرتفق بمنافعها وان يعمل صاحب الغنم في اصلاح الحرث حتى يصير كما كان ثم ترد الغنم الى صاحبها والحرث الى صاحبه ولا يخفى ان اجماع الصحابة في بيان كيفية القصة على الوجه المذكور ينفي احتمال توافقهما في الحكم لما بين الله تعالى ما آتاه داود وسليمان عليهما السلام ذكر ما خص به داود فقال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن وهو العامل في مع وهو نظير قوله تعالى يا جبال اوّبي معه ويسبحن حال من الجبال والطير معطوف على الجبال وقيل الواو فيه بمعنى مع كذا اعرب ابو البقاء وان جعل يسبحن استئنافا جوابا لمن قال كيف سخرهن يكون قوله مع داود حالا من الجبال اي سخرنا الجبال كائنة مع داود والمراد بكونها معه اما تسبيحها مع تسبيحه واما سيرها مع سيره على ان يكون يسبحن المشدد بمعنى يسبحن الثلاثي من السبح الذي هو السباحة نقل الى باب التفعيل للتكثير ولو لم يقصد الكثرة لقيل يسبحن وان كان من التسبيح بمعنى التقديس فالمراد بتسبيح الجبال معه تسبيح دلالة فانهن يسبحن الله تعالى ويذكرنه بدلالة الحال قال تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الا ان التسبيح بهذا المعنى لا يختص بكونها مع داود ولعل وجه التخصيص انه عليه الصلاة والسلام كان يفهم تسبيح الجبال وما فيهما من الاحجار والاشجار فيزداد يقينا وتعظيما ونشاطا في التسبيح والتقديس واشتياقا اليه ويدل عليه ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر مع ان تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عداه ويحتمل ان يكون

وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف
مفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل
توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار
ما تفضل عليه في صغره

المراد بتسبيح الجبال بعد ان يمثل له صوت التسبيح من جهتها على طريق انعكاس الصدى من الاجرام الصقيلة العالية كما روى عن ابن وهب انه قال كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح ويجوز ان يكون تسبيح الجبال بان يخلق الله تعالى فيها الكلام فان المتكلم والمسبح عند اهل السنة من يقوم به الكلام والتسبيح ويكون محلا لهما لامن يوجدهما بخلاف المعتزلة فان المتكلم عندهم من يوجد الكلام والجبال جمادات لايصح منها الفعل ولايصح اسناد التكلم اليها بان يخلق الله تعالى فيها الكلام لان المتكلم هو الله تعالى لا الجبال على زعمهم ﴿ قوله وقيل يسرن معه ﴾ عطف على قوله يقدسن ﴿ قوله وقرئ بالرفع ﴾ اى برفع الطير على انه مبتدأ حذف خبره اى والطير مسخرات ايضا او على انه معطوف على الضمير المرفوع المتصل فى يسبحن وهو ضعيف لانه لم يؤكد ولم يفصل بينهما واجاز الكوفيون مثله من غير استقباح ويجوزه البصريون ايضا لكن على قبح ﴿ قوله فى الاصل اللباس ﴾ اى يطلق على مايلبس درعا كان او غيره حتى استعمل فى البيت فيما هو شبيه باللباس الحقيق وقوله البس بكسر الهمزة وفتح الباء من لبست الثوب لبسا بضم اللام من باب علم لامن قولك لبست عليه الامر لبسا بفتح اللام من باب ضرب بمعنى خلطت وتمام البيت * اما نعيمها واما بوسها * اى البس فى كل حالة مايلائمها ويصلح لها وليس المراد لبس ماهو ثوب حقيقة بل المراد عد لكل زمان مايليق به وكانت الدرع قبل داود صفائح اى قطع حديد عراضا فاول من سردها وحلقها داود عليه الصلاة والسلام فجمعت بين الخفة والتحصين ووجه المعجزة فيه انه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك من غير استعانة باداة وآلة من نحو الكير والنار والمطرقة كما قال تعالى وألنا له الحديد ﴿ قوله بدل منه ﴾ اى ان لام كى فى قوله لتحصنكم متعلقة بعلمنا كما تعلقت به اللام التى فى لكم * فان ورد ان يقال كيف يجوز ان يتعلق حرفا جر متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد * اجاب عنه بانه بدل منه كما فى قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وهو بدل اشتمال لان لتحصنكم فى تأويل لاحصانكم وبين الاحصان وضمير لكم ملابسة الاشتمال وقرأ نافع وابن كثير وحمزة والكسائى وابو عمرو ليحصنكم بالياء من تحت وباسناد الفعل الى داود او اللبوس وقرأ حفص وابن عامر بالتاء من فوق على اسناده الى الصنعة او اللبوس على تأويله بالدرع وقرأ ابو بكر ورويس بنون العظمة جريا على طريقة علمناه والبأس ههنا الحرب وان وقع على السوء كله والمعنى ليمنعكم ويحرسكم من مكاره بأسكم كالقتل والجرح بنحو السيف والسهم والرمح * الجوهرى البأس العذاب والبأس الشدة فى الحرب تقول منه بؤس الرجل يبؤس بأسا اذا كان شديد البأس والخطاب المدلول عليه بقوله تعالى لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم لهذه الامة من اهل مكة ومن بعدهم الى يوم القيامة اخبر الله تعالى ان اول من عمل الدرع داود ثم تعلم الناس منه فتوارثها الناس فعمت النعمة بها كل المحاربين من الخلق الى آخر الدهر فلزمهم شكر الله تعالى على هذه النعمة فلذلك اوجب عليهم الشكر فقال فهل انتم شاكرون اى اشكروا الله تعالى على مايسر الله عليكم هذه الصنعة وحرسكم بها من مضار البأس والحرب قال محيى السنة يقول لداود واهل بيته وقيل يقول لاهل مكة فهل انتم شاكرون نعمى بطاعة الرسول انتهى كلامه يريد ان الخطاب المذكور يجوز ان يكون لداود واهل بيته بتقدير القول اى فقلنا لهم بعد ما انعمنا عليهم بهذه النعم هل انتم شاكرون ما اعطى من النعم التى ذكرت من تسخير الجبال والطير والانة الحديد وعلم صنعة اللبوس ﴿ قوله امر اخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ﴾ فان تقريع الاستفهام عن مباشرة الفعل بعد بيان مايوجب مباشرته ابلغ فى ايجابه من الايجاب بصورة الامر لتضمنه التقريع على تركه بعد تحقق مايوجبه ومثله كثير ومنه قوله تعالى فهل انتم منتهون قيل ان داود عليه الصلاة والسلام خرج يوما متنكرا طالبا من يسأله عن سيرته فى مملكته فاستقبله جبريل عليه الصلاة والسلام على صورة آدمى ولم يعرفه داود عليه الصلاة والسلام فقال له كيف ترى سيرة داود فى مملكته فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام نعم الرجل هو لولا ان فيه خصلة واحدة قال وماهى قال بلغنى انه يأكل من بيت المال وليس شئ افضل من ان يأكل الرجل من كد يده فرجع داود عليه الصلاة والسلام وسأل الله تعالى ان يجعل رزقه من كد يده فالان له الحديد وكان يتخذ الدرع من الحديد ويبيعها ويأكل من ذلك فذلك قوله تعالى وعلمناه اى الهمناه وقال علمناه بالوحى صنعة لبوس ثم انه تعالى لما ذكر النعم التى خص بها داود ذكر بعدها النعم التى خص سليمان بها فانه تعالى ورث سليمان من داود ملكه ونبوته وزاد عليه امرين سخر له الريح والشياطين فقال ولسليمان الريح والعامة على نصب الريح بعامل مقدر اى وسخرنا الريح لسليمان وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر الجار قبله وعاصفة حال من مفعول سخرنا المقدر

(وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة به او بسخرنا (والطير) عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف (وكنا فاعلين) لأمثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم (وعلمناه صنعة لبوس) عمل الدرع وهو فى الاصل اللباس قال

البس لكل حالة لبوسها * قيل كانت صفائح فحلقها وسردها * (لكم) متعلق بعلم او صفة للبوس (لتحصنكم من بأسكم) بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود او اللبوس وفى قرآءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او اللبوس على تأويل الدرع وفى قرآءة ابى بكر ورويس بالنون لله عز وجل (فهل انتم شاكرون) ذلك امر أخرجه فى صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع (ولسليمان الريح) وسخرنا له الريح

على قرآءة من نصب او من فاعل الاستقرار الذى تعلق به الخبر على قرآءة من رفع والعاصفة الشديدة الهبوب والرخاء اللينة ﴿قوله ولعل اللام فيه دون الاول﴾ جواب عما قال ما الفائدة فى تخصيص داود بلفظ مع وسليمان بلفظ اللام حيث قال فى حق داود وسخرنا مع داود الجبال وقال فى حق سليمان وسخرنا لسليمان الريح وراعى هذا الاسلوب ايضا فى قوله ياجبال اوّبى معه وقال وسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء وتقرير الجواب ان ما كان خارقا فى حق كل واحد منهما وان كان معجزا تشرف به صاحبه الا ان سليمان لما كان مستقدما لما هو معجز له استخدام المالك لمملوكه نسب اليه باللام دون داود فانه تشرف به من حيث موافقته له عند تسبيحه وليس نسبة معجزه اليه كنسبة المملوك الى مالكه فنسب معجز سليمان اليه بلام التمليك ولم ينسب معجز داود اليه بتلك اللام ﴿قوله تعد بكرسيه﴾ الباء فيه للتعدية يعنى انها تحمل على الريح العاصفة مع كونها لينة فى نفسها فان منزله عليه الصلاة والسلام كان بالشام وكانت الريح تحمله من نواحى الارض اليها فى مدة يسيرة بعد ما سارت به منها بكرة وكانت تذهب به غدوة من الشام الى اىّ ناحية من نواحى الارض بينها وبين الشام مسيرة شهر الى وقت الزوال ثم ترجع منها بعد الزوال الى الشام عند الغروب كما قال تعالى غدوّها شهر ورواحها شهر والرواح نقيض الصباح وهو اسم الوقت من زوال الشمس الى الليل وقد يكون مصدر قولك راح يروح رواحا وهو نقيض قولك غدا يغدو غدوّا قال الحسن لما شغلت الخيل نبىّ الله سليمان حتى فاتته صلاة العصر غضب فعقر الخيل فطفق مسحا بالسوق والاعناق فأبدله الله مكانها خيرا منها واسرع وهو الريح تجرى بأمره حيث شاء وكان يغدو من ايليا فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيبيت بارض الشام قال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ من ذهب فى ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب فى وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجنّ والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لاتقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الغروب وكان عليه الصلاة والسلام امرأة لايقعد عن الغزو ولا يسمع فى ناحية من الارض ملكا الا اتاه ودعاه الى الحق ﴿قوله ومن عطف﴾ يعنى ان من فى قوله من يغوصون سوآء كانت موصولة او نكرة موصوفة يجوز ان تكون فى محل النصب بالعطف على الريح اى وسخرنا له من يغوصون ويدخلون تحت البحر وان تكون فى محل الرفع على الابتدآء والخبر الجار والمجرور قبله وجمع الضمير العائد اليه حملا على معناه وحسن ذلك تقدم الجمع فى قوله الشياطين وقوله دون ذلك صفة عملا والمراد بحفظ الشياطين حفظهم من ان يعصوا ويتمردوا عليه كما قال ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير وقيل المراد حفظهم من ان يفسدوا ما عملوا روى ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اجعله مشغولا بعمل آخر لئلا يفسد ما عمله وكان من عادة الشياطين انهم اذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خرّبوا ما عملوه وافسدوه ٭ قال الامام الرازى فى تفسيره ان الجبائى سأل نفسه وقال كيف تهيأ لهم هذه الاعمال واجسامهم رقيقة لطيفة لايقدرون على عمل الثقيل وانما يمكنهم الوسوسة واجاب عنه بانه سبحانه كثف اجسامهم وقوّاهم وزاد فى عظمهم ليكون ذلك معجزة لسليمان عليه الصلاة والسلام فلما مات سليمان ردّهم الله تعالى الى الخلقة الاولى لانه لاتقتضى الحكمة الداعية الى تغيير خلقتهم ثم قال الامام الرازى واعلم ان هذا الكلام ساقط من وجوه احدها لم قلتم ان الجنّ من الاجسام ولم لايجوز وجود محدث ليس بمتحيز ولاقائم بالمتحيز وتكون الجنّ منهم فان قلت لو كان الامر كذلك لكان مثلا للبارى تعالى ولو جب ان يكون البارى عنهم بمايزة عنهم فيلزم ترك الواجب قلت هذا ضعيف لان الاشتراك فى اللوازم الثبوتية لايدل على اشتراك الملزومات فكيف فى اللوازم السلبية سلمنا انه جسم لكن لم لايجوز حصول القوّة على هذه الاعمال الشاقة فى الجسم اللطيف وكلامه مبنى على ان البنية تشترط فيه وليس فى يده الا الاستقرآء الضعيف سلمنا انه لابدّ من تكثيف اجسامهم لكن لم قلت بانه لابدّ من ردّها الى الخلقة الاولى بعد موت سليمان فان زعمت ان ابقائهم على الخلقة الثانية يفضى الى التلبيس اى تلبيس النبى على الخلق بان يدّعى النبوّة ويجعل ذلك معجزة لنفسه قلت كيف يفضى الى التلبيس وللخلق ان يقولوا لم لايجوز ان يكونوا مخلوقين كذلك او تكون قوّة اجسامهم معجزة لنبىّ آخر ومع قيام هذا الاحتمال لايمكن النبى من الاستدلال به على نبوّته ﴿قوله تعالى واوب اذ نادى ربه﴾ كقوله ونوحا وما بعده فى الوجهين المذكورين اى وكذلك آتينا ايوب حكما وعلما او اذكر ايوب اى اذكر خبره اذ نادى وقد كان تعالى قد اصطفى ايوب

ولعل اللام فيه دون الاوّل لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفى الاوّل امر يظهر فى الجبال والطير مع داود بالاضافة اليه (عاصفة) شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه فى مدة يسيرة كما قال غدوّها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء فى نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته (تجرى بامره) بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها (الى الارض التى باركنا فيها) الى الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة (وكنا بكل شئ عالمين) فنجريه على ما تقتضيه الحكمة (ومن الشياطين من يغوصون له) فى البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهى نكرة موصوفة (ويعملون عملا دون ذلك) ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل (وكنا لهم حافظين) ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم (وايوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر)

(واستنباء)

واستنباه وبسط له اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير والبساتين ولم يكن في اهل عصره افضل منه في كثرة الاموال والاهل والاولاد من الرجال والنساء وكان رحيما بالمساكين يكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وعرفوا فضله وكان احدهم من اليمن اسمه النقن ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما بلدد وللآخر صافر وكانوا كهولا فابتلاه الله تعالى باهلاك ماله من الابل مع رعاتها بان اصابها من تحت الارض اعصار من نار لا يدنو منه احد الا احترق فأحرق الابل ورعاتها حتى اتى على آخرها فجاء ابليس عليه اللعنة في زي بعض الرعاة الى ايوب فوجده قائما يصلي فلما فرغ من الصلاة قال يا ايوب هل تدري ما صنع ربك الذي اخترته احرق ابلك ورعاتها فقال ايوب انها ماله اعارنيه فهو اولى به اذا شاء نزعه قال ابليس صار الناس مبهوتين متعجبين منها فمنهم من يقول ما كان ايوب يعبد شيأ وما كان في غرور ومنهم من يقول لو كان اله ايوب يقدر على شئ لمنع من وليه ومنهم من يقول هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه فقال ايوب الحمد لله حين اعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن امي وعريانا اكون في التراب وعريانا احشر الى الله عز وجل ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لقبض روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا واجارني منك ولكنه علم منك شرا فأخرك ثم ابتلاه الله تعالى باهلاك ماله من الغنم ورعاتها بان سلط عليها من صاح صيحة فماتت جميعا ومات رعاتها ثم جاء ابليس متمثلا بصورة قهرمان الرعاة الى ايوب فقال له مثل قوله الاول ورد عليه ايوب مثل الاول فرجع ابليس صاغرا ذليلا ثم ابتلاه الله تعالى باهلاك سائر امواله من الخيل والحمير والبقر والبساتين وحراسها ومن يقوم عليها حتى اهلك اهله واولاده جميعا قيل كان له سبعة بنين وثلاث بنات وقيل سبعة بنين وسبع بنات وكلما اهلك صنف منها جاء ابليس الى ايوب عليه الصلاة والسلام واخبر بذلك واجتهد في ترقيق قلبه وحمله على الجزع والشكوى وترك الصبر فصبر ولم يجزع واسترجع وفوض الامر الى مالك الملك وقيل لما سمع بهلاك اهله واولاده رق قلبه وبكى وقبض قبضة من التراب ووضعها على رأسه وقال ليت امي لم تلدني فتدارك الامر من ساعته فندم على ما فعل واستغفر وتاب ثم ابتلاه الله تعالى بالمرض في بدنه حتى خرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها فكان يحك باظفاره حتى سقطت اظفاره كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى اذا لم يجد منها شيأ حكها بالفخار والحجارة الخشنة ثم تقطع لحمه وتغير وأنتن فأخرجه اهل القرية منها وجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا هنالك ورفضه الناس كلهم خوفا من العدوى الا امرأته فهي التي كانت تصلح اموره وتختلف اليه بما يحبه ويحتاج اليه قيل ان ابليس لما رأى ان ايوب عليه الصلاة والسلام كلما اشتد عليه انواع المكاره والبلايا لم يزدد بذلك الا صبرا وحمدا لله انطلق حتى اتى امرأته فتمثل لها في صورة رجل فقال اين بعلك يا امة الله قالت هو ذاك المقروح الذي تتردد الديدان في جسده فلما سمع منها هذه الكلمة طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كان لها من النعيم والمال وذكرها جمال زوجها ايوب وشبابه فصرخت فلما صرخت علم ان قد جزعت واتاها بسخلة فقال ليذبح هذه ايوب لي فيبرأ فجاءت الى ايوب تصرخ فقالت يا ايوب الى متى يعذبك ربك ألا يرحمك اين المال اين الماشية اين الولد اين الصديق اين اللون الحسن اين جسمك الذي قد بلي وصار مثل الرماد وتردد فيه الديدان اذبح هذه السخلة لابليس واسترح قال ايوب عليه الصلاة والسلام اتاك عدو الله ونفخ فيك فاجبته ترين ما ابتلينا به من البلايا ولا تذكرين ما كنا فيه من الرخاء فكم متعنا الله تعالى بنعمائه قالت ثمانين سنة قال فكم مدة ابتلائنا بهذا البلاء قالت سبع سنين واشهرا قال ويلك ما انصفت ربك ألا صبرت في البلايا ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة امرتني ان اذبح لغير الله وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيأ من طعامك وشرابك الذي تأتينني به فطردها فذهبت فلما نظر ايوب في شأنه وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق وقد ذهبت امرأته خر ساجدا وقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقال الله عز وجل يا ايوب تضرعك على وسبقت رحمتي غضبي ارفع رأسك فقد استجبت لك ورددت لك مالك وولدك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وقدوة للصابرين اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء لك وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة ولا جراحة الا سقطت منه وبرئ ثم ضرب برجله مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وقام صحيحا وعاد اليه شبابه وجماله حتى صار

بأني مسني الضر" وقرئ" بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر" بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال (وانت ارحم الراحمين) وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنباه الله وكثر أهله وماله فابتلاه بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روى ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي

احسن ما كان عليه ثم كسي حلة فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان له من الاهل والمال الا وقد ضعفه الله تعالى حتى ذكر ان الماء الذي اغتسل منه تطاير على صورة جراد من ذهب فجعل يضمه بيده الى نفسه فأوحى الله تعالى اليه يا ايوب الم اغنك عما تضمه قال بلى ولكنه لا يشبع من نعمك فخرج من ذلك الموضع حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت هب انه قد طردني أفأتركه حتى يموت جوعا وتأكله السباع لأرجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحالة التي كانت ورأت الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وكان ذلك بعين ايوب وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأل منه فأرسل اليها ايوب ودعاها فقال لها ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ايوب ما كان منك ذلك المبتلى فبكت وقالت بعلي فقال أتعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على احد يعله الذي كان في خدمته ثمانين سنة فتبسم ايوب وقال انا هو فعرفته بضحكه فاعتنقته ثم قال لها انك امرتني ان اذبح سخلة لابليس واني اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد على ما ترين وفي هذه القصة روايات كثيرة والله اعلم بما هو الاصح منها قالت العلماء قول ايوب اني مسني الضر لم يكن جزعا من ايوب لانه تعالى وصفه بالصبر حيث قال انا وجدناه صابرا بل هو دعاء منه الا ترى الى قوله تعالى فاستجبنا له اي اجبناه واليه اشار المصنف بقوله واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال قيل لبعض العلماء الراضي بالله هل يسأل ربه قال يعرض بمعنى يسأل حاجته بالكناية قيل له مثل ايش قال مثل قول ايوب رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين على ان الجزع انما هو الشكوى الى الخلق واما من شكا الى الله فليس بجازع الا ترى الى قول يعقوب عليه الصلاة والسلام انما اشكو بثي وحزني الى الله قال ابن مسعود وقتادة والحسن في قوله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم انه تعالى احيى اولاده الذين هلكوا في بلائه واوتي مثلهم في الدنيا وعن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وآتيناه اهله ومثلهم معهم فقال يا ابن عباس رد الله امرأته وزاد في شبابها حتى ولدت ستة وعشرين ذكرا واهبط الله تعالى اليه ملكا فقال يا ايوب ان الله يقرئك السلام بصبرك على البلاء فاخرج الى اندرك فبعث الله سحابة حمراء فهبطت اليه بجراد الذهب والملك قائم معه وكانت الجرادة تذهب من الاندر فيتبعها حتى يردها الى اندره فقال الملك يا ايوب اما تشبع من الداخل حتى تتبع الخارج فقال ان هذه بركة من بركات ربي ولست اشبع منها ﴿قوله رحمة على ايوب وتذكرة لغيره﴾ فلا يكون رحمة وذكرى متنازعين في العابدين بل يكون متعلق الرحمة محذوفا وهو ايوب لعلمه لان الكلام فيه وعلى الثاني يتوجه كل واحد منهما الى العابدين على سبيل التنازع ولا يخفى ان عدم تخصيص الرحمة بايوب وجعلها متوجهة الى عامة العابدين لدخول ايوب فيهم دخولا اوليا اوفق بالواقع وأنسب للمقام من تخصيص الرحمة بايوب والذكرى بغيره والذكرى على الاول بمعنى التذكرة وعلى الثاني بمعنى الذكر ولعل الوجه في اظهار اللام في الوجه الثاني مع تحقق شرائط نصب المفعول له في كل واحد من الوجهين الاشارة الى ترجيحه فان تصريح لام التخصيص مع صحة تعدية الفعل الى العلة بدونها يشعر بان تلك العلة لها مزيد اختصاص باستدعاء الفعل ﴿قوله او تكفل منه﴾ اي او لانه كان ذا كفالة متصلة به تعالى من حيث كون المكفول به مما يتقي به وجه الله تعالى كما قيل انه رجل كفل مائة من الانبياء اي ضمهم الى نفسه حتى نجاهم من القتل وقيل انه رجل تكفل ان يصلي بالليل ولا يفتر وان يصوم بالنهار ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب ووفى به فشكر الله تعالى له وجعله نبيا وقيل انه زكريا سمي به لكفالته مريم وبالجملة ان كان الكفل بمعنى الكفالة فالمراد بذي الكفل رجل كان ذا تكفل منه تعالى وان كان بمعنى النصيب او الضعف فالمراد به من كان ذا نصيب من فضل الله وثوابه او من كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم لما ذكر الله تعالى صبر ايوب وانقطاعه اليه اتبعه بذكر هؤلاء لانهم ايضا كانوا من الصابرين على طاعة الله وعن معاصيه فان اسمعيل صبر على الانقياد للذبح وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء وصبر في بناء البيت على ما فيه من المشاق فلا جرم اكرمه الله تعالى واخرج من صلبه خاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم اجمعين وكذا الآخران ﴿قوله وصاحب الحوت﴾ يعني ان ذا بمعنى صاحب والنون الحوت والمراد بذي النون يونس عليه الصلاة والسلام سمي بذلك لانه ابتلعه الحوت قيل خمسة من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد عليهم الصلاة والسلام ﴿قوله لما برم﴾ اي مل لطول دعوتهم على قول من يقول انه

(فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) بالشفاء من مرضه (وآتيناه اهله ومثلهم معهم) بان ولد له ضعف ما كان او أحيى ولده وولد له منهم نوافل (رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم (واسماعيل وادريس وذا الكفل) يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل منه او له ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف (كل) كل هؤلاء (من الصابرين) على مشاق التكاليف وشدائد النوائب (وادخلناهم في رحمتنا) يعني النبوة او نعمة الآخرة (انهم من الصالحين) الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد (وذا النون) وصاحب الحوت يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر

عليه الصلاة والسلام وقع فى بطن الحوت بعد اشتغاله بأداء الرسالة وقيل انه وقع فى بطن الحوت قبل اشتغاله
بأداء الرسالة بناء على ماروى عن ابن عباس انه قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك وسبى منهم
تسعة اسباط ونصفا وبقى سبطان ونصف فاوحى الله تعالى الى شعيب النبى عليه الصلاة والسلام ان اذهب
الى حزقيل الملك وقل له وجه نبيا قويا امينا حتى يلقى فى قلوب اولئك ان يرسلوا بنى اسرآئيل فقال له الملك فمن ترى
وكان فى مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس بن متى فانه قوى امين فدعاه الملك وامره ان يخرج فقال يونس
هل امرك الله تعالى باخراجى قال لا قال فهل سمانى لك قال لا فقال يونس وههنا انبياء غيرى فألحوا عليه فخرج
مغاضبا للملك ولقومه فأتى بحر الروم فوجد قوما هيئوا سفينة فركب معهم فلما لججت السفينة تكفأت بهم فكادوا
يغرقون فقال الملاحون هنا رجل عاص او عبد آبق لان السفينة لا تفعل هذا الا وفيها رجل عاص ومن رسمنا
اذا ابتلينا بهذا البلاء ان نقترع فمن وقعت عليه القرعة القيناه فى البحر ولأن يغرق واحد خير من ان تغرق السفينة
فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة فيها كلها على يونس عليه الصلاة والسلام فقال انا الرجل العاصى والعبد
الآبق فألقى نفسه فى البحر فجاء حوت وابتلعه فاوحى الله تعالى الى الحوت أن لا تؤذ منه شعرة فانى جعلت بطنك
سجنا له ولم اجعله طعاما لك ثم لما انجاه الله تعالى من بطن الحوت ونبذه بالعرآء كالفرخ المنتوف ليس به شعر ولا جلد
انبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى اشتد فيبست فحزن عليها يونس عليه الصلاة
والسلام فقيل له أتحزن على شجرة ولم تحزن على مائة الف او يزيدون حيث لم تذهب اليهم ولم تطلب راحتهم
ثم اوحى تعالى اليه وامره ان يذهب اليهم فتوجه اليهم حتى دخل ارضهم وهم منه غير بعيد فأتاهم يونس
وقال لملكهم ان الله تعالى ارسلنى اليك فارسل معى بنى اسرآئيل قالوا مانعرف ماتقول ولو علمنا انك صادق لفعلنا
وقد أتيناكم فى دياركم وسبيناكم فلو كان الامر كما تقول لمنعنا الله عنكم فطاف بهم ثلاثة ايام يدعوهم الى ذلك فأبوا
عليه فاوحى الله تعالى اليه قل لهم ان لم يؤمنوا جاءهم العذاب فأبلغهم فأبوا فخرج من عندهم فلما فقدوه ندموا
على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه ثم ذكروا امرهم وامر يونس للعلماء الذين عندهم فقالوا انظروا
واطلبوه فى المدينة فان كان فيها فليس مما ذكر من نزول العذاب شئ وان كان قد خرج فهو كما قال فطلبوه فقيل
لهم انه خرج العشية فلما ايسوا اغلقوا ابواب مدينتهم فلم يدخلها دوابهم ولا غنمهم وعزلوا كل والدة عن ولدها وكذا
الصبيان والامهات ثم قاموا ينتظرون الصبح فلما انشق الصبح رأوا العذاب نزل من السماء فشقوا جيوبهم ووضعت
الحوامل مافى بطونها وصاح الصبيان وثغت الاغنام والبقر فرفع الله العذاب عنهم فبعثوا الى يونس فآمنوا به
وبعثوا معه بنى اسرآئيل فعلى هذه الرواية كانت رسالة يونس بعد نبذ الحوت ودليل هذا القول قوله تعالى
فى سورة والصافات فنبذناه بالعرآء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون واكثر
العلماء على ان قصة الحوت وذهاب يونس مغاضبا انما وقعت بعد ان ارسله الله اليهم وبعد ان رفع العذاب عنهم بسبب
توبتهم واخلاصهم فى الدعاء وذكر المصنف فى سبب خروجه وغضبه امرين الاول انه غضب عليهم لطول مذاكرتهم
واقاموا على كفرهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وأنفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان عليه
ان يصبر وينتظر الاذن من الله تعالى فى المهاجرة عنهم فابتلى ببطن الحوت والثانى انه لما اخبر قومه ان الله تعالى
ينزل العذاب بهم لأجل معلوم وفارقهم ثم بلغه بعد مضى الاجل انه تعالى لم يعذبهم ولم يعلم لأى سبب لم يعذبهم
فخشى ان ينسب الى الكذب ويعير به فقال لا ارجع الى قومى كذابا فذهب مغاضبا للرجوع اليهم كارها له
والغضب والكراهة وان كان من قبله خاصة الا انه اخرج على بناء المفاعلة للدلالة على كمال غضبه والمبالغة فيه
لان اكثر استعمال بناء المفاعلة فى المبالغة ولاشك ان ماصدر بطريق المبالغة يكون اتم ويحتمل
ان يكون البناء على بابه من باب المشاركة من حيث انه اغضب قومه حين لم يؤمنوا بدعوته وأصروا على الكفر مدة
وأغضبوه اياه حين خرج من بينهم لخوفهم لحوق العذاب بهم عند خروجه من بينهم ﴿ قوله لن نضيق عليه ﴾
فان قدر قد يكون بمعنى ضيق يقال قدر على عياله قدرا قال تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق ومن قدر
عليه رزقه اى ومن ضيق وقد يكون بمعنى قضى يقال قدر الله الشئ وقدره اى قضاه فالمعنى فظن ان لن نقدر عليه
بشدة وعقوبة روى ان ابن عباس مر على معوية يوما فقال له معوية لقد ضربتنى امواج القرآن البارحة فغرقت
فيها ولم اجد لنفسى خلاصا الا بك فقال وما هى يامعوية فقرأ هذه الآية وقال او يظن نبى الله ان لا نقدر عليه

وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم
بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم
وغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة
اولانه أغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق
العذاب عندها وقرئ مغضبا (فظن ان
لن نقدر عليه) لن نضيق عليه او لن نقضى
عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ
مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل
لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه فى مراغمته
قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة
شيطانية سبقت الى وهمه فسمى ظنا للمبالغة
وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول
وقرئ به مثقلا (فنادى فى الظلمات) فى الظلمة
الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت
والبحر والليل (ان لا اله الا انت) بانه
لا اله الا انت (سبحانك) من ان يعجزك شئ
(انى كنت من الظالمين) لنفسى بالمبادرة
الى المهاجرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم
مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له

تعالى فقال ابن عباس هذا من القدر لامن القدرة وقوله اولن نعمل فيه قدرتنا على ان يكون نقدر من القدرة التى هى مجاز عن اعمال القدرة ومباشرة الفعل بها على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب فان بين القدرة والفعل علاقة السببية فلا يبعد جعل احدهما مجازا عن الآخر ويحتمل ان يكون قوله فظن ان لن نقدر استعارة تبعية واردة على طريق الاستعارة التمثيلية بان يشبه حاله فى خروجه عن قومه من غير انتظار لامر الله تعالى بحال من ظن انه تعالى لايقدر عليه والمراغمة المغاضبة يقال راغم فلان قومه اذا نابذهم وخرج عنهم وأن فى قوله ان لن نقدر عليه مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المحذوف ولن نقدر هو الخبر والعامة على نقدر بنون العظمة مفتوحة وتخفيف الدال وقرئ نقدّر بضم النون وتشديد الدال يقال قدر الشئ تقديرا وقدره يقدر قدرا بمعنى واحد وقرئ بفتح الياء التحتانية وكسر الدال الخفيفة وبضم الياء وفتح الدال الخفيفة على بناء المفعول واسمها ضمير شان محذوف والجملة المنفية بعدها خبرها ويجوز ان تكون مفسرة لورودها بعدما هو بمعنى القول نزّه عليه الصلاة والسلام ربه عن كل النقائص التى من جلتها العجز مثل ان يفعل ما فعله ظلما او عن شهوة الانتقام وان يعجز عن تخليص المكروب او عن مؤاخذة الجانى ولعل قوله ان يعجزك شئ مبنى على انه اختار من محتملات معنى نقدر الاحتمال الاخير وهو ان يكون المراد بالظن الخطرة الوهمية وان يكون هذا التسبيح استغفارا منه عن توهم العجز به تعالى ﴿قوله تعالى وكذلك﴾ اى وكما انجينا يونس من كرب الحبس فى بطن الحوت اذ دعانا ننجى المؤمنين من كربهم اذا استغاثوا بنا فالكاف فيه صفة مصدر محذوف ﴿قوله وفى الامام نجى﴾ لايدل الا على ان هذه الكلمة رسمت بنون واحدة ولادلالة فيه على ان القرآءة بتشديد النون وجعله وجها لاخفاء جماعة القرآء النون الثانية من ننجى بضم النون الاولى وسكون الثانية من انجى واخفاء الحروف حالة بين اظهارها وادغامها وهو لايكون الا بسكونها وقد يطلق الاخفاء على اختلاس حركة الحرف وهو عدم اتمام الحركة كما اخفى فى قوله تعالى مالك لاتأمنا على يوسف حركة النون الاولى والمراد بالاخفاء ههنا نقط النون الثانية على حالة شبيهة بادغامها فى الجيم ثم ذكر ان ابن عامر وابابكر قرآ نجى بنون واحدة وتشديد الجيم وسكون الياء وقال الزجاج هذه القرآءة لحن لاوجه لها وقال بعضهم راوى هذه الرواية غلط فى الرواية فانها ننجى بنونين كما هى قرآءة العامة لكن النون الثانية من ننجى تخفى مع الجيم ولايجوز تبيينها فالتبس على السامع الاخفاء بالادغام فظن انه ادغام فذكر المصنف ان اصلها ننجى بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد الجيم فاستثقل توالى المثلين فحذفت الثانية كما فى قوله تعالى ماتنزل الملائكة وكما حذفت فى قوله تذكرون وتظاهرون ونحوهما ولكن ابو البقاء استضعف هذا التوجيه بوجهين الاول ان النون الثانية اصل لانها فاء الكلمة فحذفها بعيد جدا والثانى ان حركتها غير حركة النون الاولى فلايستثقل الجمع بينهما بخلاف تظاهرون الاترى انك لو قلت تتحامى المظالم لم يسغ حذف التاء الثانية والمصنف اجاب عن كل واحد مما ذكره فى وجه الاستضعاف وهو حذف احد المثلين عند اختلاف الحركة فى نحو تتحامى المظالم وتقرير الجواب ظاهر ﴿قوله وقيل﴾ اى وقيل فى توجيه قرآءة نجى انه فعل ماض مبنى للمفعول وانما سكنت لامه تخفيفا كما سكنت فى ما بقى من الربا فى القرآءة الشاذة واسند هذا الفعل الى ضمير المصدر مع وجود المفعول به الصريح كما فى قرآءة من قرأ ليجزى قوما بما كانوا يكسبون وقد ذهب الى جوازه الكوفيون والاخفش قال ابو البقاء وهو ضعيف من وجهين احدهما تسكين آخر الفعل الماضى والآخر اقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول به الصريح فان الفعل المبنى للمفعول ينبغى ان يسند الى المفعول به كما يسند الفعل المبنى للفاعل الى الفاعل وانما يسند الى غيره اذا لم يذكر المفعول به ﴿قوله لاتذرنى﴾ وان كان على صورة النهى الا ان مثل هذه العبارة اذا كان من العبد للسيد يكون تضرعا وتوددا ودعاء ولما بلغ عمر زكريا عليه الصلاة والسلام مائة سنة وبلغ عمر زوجته تسعا وتسعين ولم يرزق لهما ولد أحب ان يرزقه الله تعالى من يؤنسه ويقويه على امر دينه ودنياه ويكون قائما مقامه بعد موته فدعا ربه بان لايتركه وحيدا بلا ولد وهو كقوله فهب لى من لدنك وليا يرثنى ثم رد الامر الى مولاه مستسلما منقادا لمشيئته فقال وانت خير الوارثين اى ان لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى به والمراد باصلاح زوجه اما جعلها صالحة للولادة بازالة عقرها قال الكلبى كانت عقيما فولدت وهى بنت تسع وتسعين سنة واما تحسين خلقها وكانت حردة اى غضبانة سيئة الخلق فمعنى قوله واصلحناه على الوجه الاول اصلحناها للولادة لاجل دعاء زكريا وعلى الثانى

(فاستجبناله ونجيناه من الغم) بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فى بطنه وقيل ثلاثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة (وكذلك ننجى المؤمنين) من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفى الامام نجى فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجى فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء فى تظاهرون وهى وان كانت فاء فحذفها اوقع من حروف المضارعة التى لمعنى ولايقدح فيه اختلاف حركتى النونين فان الداعى الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف فى تتحامى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن آخره تخفيفا ورد بانه لايسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضى لايسكن آخره (وزكريا اذنادى ربه رب لاتذرنى فردا) وحيدا بلا ولد يرثنى (وانت خير الوارثين) فان لم ترزقنى من يرثنى فلا أبالى (فاستجبناله ووهبناله يحيى واصلحناله زوجه) اى اصلحناها للولادة بعد عقرها اولزكريا بتحسين خلقها وكانت حردة (انهم) يعنى المتوالدين او المذكورين من الانبياء عليهم السلام (كانوا يسارعون فى الخيرات) يبادرون الى ابواب الخيرات

(اصلحناها)

اصطفاها لصحبة زكريا وحسن المعاشرة ويجوز ان يراد باصلاحها جعلها ذات هيئة حسنة ومنظر بهي بحيث يرغب فيها زوجها لان النساء اذا بلغن سن زوجة زكريا يكن من القواعد اللاتى لا يرغب فيهن احد ﴿ قوله يعنى المتوالدين ﴾ بلفظ الجمع ليتناول زكريا وامرأته ويحيى عليه الصلاة والسلام علل استجابة دعاء زكريا واصلاح زوجته ومايترتب عليهما من هبة المولود الصالح بقوله انهم كانوا يسارعون الآية وذكر فى التعليل ثلاثة شروط احدها المسارعة فى الخيرات لان الوسيلة متقدمة على المطلب وثانيها ان يكون الداعى بين الخوف والرجاء يخاف تقصيره ولا يعتمد على عمله لان العمل بالخواتم ويرجو مع ذلك رحمة الله الواسعة وثالثها ان يكون مخلصا لامر آتيا كما قال ابراهيم النخعى الخشوع ان يرى الله تعالى من العبد الاخلاص اذا ارخى العبد ستره واغلق بابه فالخشوع انما يكون بالقلب لا بالجوارح بان يأكل العبد خشنا ويلبس خشنا ويطأطئ رأسه ولا يرائى ويتصنع وان كان المراد بقوله انهم المذكورين سابقا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام يكون المقصود تعليل استجابة جميعهم مثل ايتان موسى وهرون الفرقان وتبريد النار واطفائها لابراهيم وانجائه وهجرة لوط من العراق الى الشام ثم انجائه مما نزل بقومه وانجاء نوح ومن كان معه فى السفينة من كرب الطوفان وغير ذلك مما تفضل به على الانبياء المذكورين والمراد بمسارعتهم فى الخيرات مبادرتهم الى طاعة الله مراعين لحدود الشرع وهى محمودة والعجلة المذمومة المباشرة من غير محافظة الحدود والآداب وقرأ العامة رغبا ورهبا بفتح الغين والهاء وهما اما مصدران على وزن طلب وقعا موقع الحال من فاعل يدعون بتقدير المضاف اى يدعون ذوى رغب ورهب واما جمعان لراغب وراهب مثل خادم وخدم اى راجين وخائفين ﴿ قوله مخبتين ﴾ اى متواضعين قال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم للقلب ﴿ قوله تعالى والتى احصنت فرجها ﴾ يجوز ان ينتصب بالعطف على ماقبله وان ينتصب باضمار اذكر وان يرتفع بالابتداء والخبر محذوف اى وفيما يتلى عليكم التى احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام كما قالت ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا ولما كان نفخ الروح فى الجسد عبارة عن احيائه كما فى قوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى اى احييته كان المفهوم من قوله تعالى فنفخنا فيها من روحنا احييناها وليس المراد احياء مريم فلذلك جعل تقدير الكلام فنفخنا الروح فى عيسى فيها والمعنى واحيينا عيسى فى جوفها فيكون قوله فيها حالا من المفعول المحذوف وهو عيسى فانه مفعول من جهة ان المعنى احيينا عيسى كائنا فى جوف مريم فالمراد بالروح روح الانسان الذى هو من امر الله وحده والمراد بالنفخ فى عيسى ادخاله فى بدنه تشبيها لايراد الروح فى البدن بنفخ النافخ فى الشئ يكون نفخنا استعارة تبعية ﴿ قوله وقيل ﴾ اى ويجوز ان يراد فعلنا النفخ فى مريم من جهة روحنا الذى هو جبريل عليه الصلاة والسلام فلا يكون المراد بالنفخ ايراد الروح فى البدن بل يكون المراد به معناه الحقيق وينزل نفخنا منزلة اللازم ويكون اسناد النفخ الى البارى تعالى من قبيل اسناد الفعل الى السبب الآمر فان جبريل هو الذى نفخ فى درع مريم بامر الله تعالى فوصل اثر النفخ الى جوف مريم فحملت بعيسى عليهما الصلاة والسلام ثم انه تعالى لما فرغ من قصص الانبياء تقوية لقلبه عليه الصلاة والسلام على تبليغ الرسالة وتسلية له بانه ليس اول من بعث لدعوة المعاندين خاطب الناس كافة فقال ان هذه امتكم امة واحدة والامة الملة واصلها القوم الذين يجتمعون على دين واحد ثم اتسع فيها فاطلقت على ما اجتمعوا عليه من الدين والملة واشتقاقها من أم بمعنى قصد فالقوم هم الجماعة القاصدة وما اجتمعوا عليه هو الملة المقصودة قال تعالى انا وجدنا آباءنا على امة اى على دين وملة قرأ الجمهور امتكم مرفوعا على انه خبر ان وامة واحدة منصوب على انه حال من الامة الاولى اى اشير اليها امة واحدة غير مختلف فيها والمعنى لا دين سوى دينى ولا رب غيرى فانا المستحق للعبادة فلا تعبدوا غيرى ﴿ قوله صرفه الى الغيبة ﴾ يعنى ان اصل الكلام وتقطعتم وتفرقتم الا انه صرف الكلام الى طريق الغيبة على الالتفات كأنه ينعى عليهم ماافسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم الاترون الى عظيم ماارتكب هؤلاء حيث جعلوا امر دينهم فيمابينهم قطعا فاصاب كل جماعة قطعة من الدين فصاروا يتقطع دينهم كأنهم قطع شئ يقل بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض ثم انه تعالى توعد هؤلاء الفرق المختلفة بانهم اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال تفرقت بنوا اسرآئيل على احدى وسبعين فرقة فهلك سبعون وخلصت فرقة وان امتى ستفرق على اثنين وسبعين فرقة تهلك احدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة قالوا يارسول الله من تلك الفرقة

(ويدعوننا رغبا ورهبا) ذوى رغب اوراغبين فى الثواب راجين للاجابة اوفى الطاعة وخائفين من العقاب او المعصية (وكانوا لنا خاشعين) مخبتين او دائمى الوجل والمعنى انهم نالوا من الله مانالوا بهذه الخصال (والتى احصنت فرجها) من الحلال والحرام يعنى مريم (فنفخنا فيها) فى عيسى فيها اى احييناه فى جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها (من روحنا) من الروح الذى هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبرآئيل (وجعلناها وابنها) اى قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله (آية للعالمين) فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى (ان هذه امتكم) ان ملة التوحيد او الاسلام ملتكم التى يجب عليكم ان تكونوا عليها فكونوا عليها (امة واحدة) غير مختلفة فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها فى صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل من هذه وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران (وانا ربكم) لا اله لكم غيرى (فاعبدون) لا غير (وتقطعوا امرهم بينهم) صرفه الى الغيبة التفاتا لينعى على الذين تفرقوا فى الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم (كل) من الفرق المتحزبة (الينا راجعون) فنجازيهم

قال الجماعة اى الجماعة المعهودة المتمسكة بما بينه الله تعالى ورسوله من غير ان يشوبوا ذلك شيأ من الهوى وطعن بعضهم فى صحة هذا الخبر بان قال ان اراد بالثنتين والسبعين فرقة اصول الاديان فهى لم تبلغ هذا القدر قال الامام فى الجواب عنه المراد ستفرق امتى فى حال ما وليس فيه دلالة على ان افتراقها فى سائر الاحوال لايجوز ان يزيد وينقص ﴿ قوله استعير لمنع الثواب ﴾ يعنى ان الكفران مصدر بمعنى الكفر الذى هو الجحود والانكار كما ان الشكر عبارة عن تعظيم المنعم والاقرار بفضله وافضاله شبه قبول العمل واعطاء الثواب بمقابلته بشكر المنعم عليه للمنعم فاطلق عليه الشكر مجازا فقيل لله تعالى انه شكور بهذا المعنى قال تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا اى مقبولا مثابا عليه وكذا شبه ردّ العمل ومنع الثواب بالكفر والجحود فاطلق عليه الكفران كما فى قوله تعالى وماتفعلوا من خير فلن تكفروه اى لن تحرموا ثوابه ولن تمنعوه ﴿ قوله ونفى نفى الجنس ﴾ يعنى ان مجازاة المكلفين واثابتهم على اعمالهم وحرمانهم من الثواب لايتولى على شئ من ذلك سوى الله فانه مالك يوم الدين فكان الظاهر ان يقال فلا نكفر سعيه الا انه نفى جنس الكفر ان للمبالغة لان نفى الماهية يستلزم نفى جميع افرادها فالتعبير من النفى المراد بنفى الجنس بمنزلة اثبات المطلوب بالبينة ﴿ قوله وممتنع على اهلها ﴾ جعل الحرام مستعارا لممتنع الوجود بجامع ان كل واحد منهما غير مرجوّ الحصول لتعذر حمله على معناه الحقيق وهو فعل مقدور للمكلف منع الشارع تناوله بالنص القاطع ورجوع من قضى الله باهلاكه الى التوبة وكذا رجوع من جعله الله تعالى هالكا الى الحياة الدنيوية ليس حراما بهذا المعنى هذا على تقدير ان تكون كلمة لافى قوله تعالى لا يرجعون زائدة كما فى قوله تعالى مامنعك ان لاتسجد وكذا ان لم تكن صلة وكان المعنى حرام على الكفرة المهلكين عدم رجوعهم الى دار الجزآء فالمقصود ابطال قول من ينكر البعث فان عدم الرجوع اليها ليس حراما حقيقة وانما هو حرام بمعنى انه ممتنع الوجود ﴿ قوله وقرئ حرم ﴾ اى بكسر الحاء وسكون الرآء وهما لغتان كالحل والحلال ﴿ قوله وهو مبتدأ ﴾ يعنى ان قوله انهم لا يرجعون مبتدأ خبره حرام على معنى رجوعهم او عدم رجوعهم ممتنع الوجود ويجوز ان يكون حرام مبتدأ لا خبر له لفظا ولا تقديرا لكونه صفة مشبهة تجيان رافعة للظاهر بعدها على الفاعلية وذلك الظاهر قائم مقام خبره وهو قول المصنف او فاعل له سادّ مسدّ خبره وفيه بحث فان الصفة انما ترفع الظاهر الذى بعدها على الفاعلية بشرط اعتماد لايوجد الاعلى رأى الاخفش فانه لايشترط ذلك ﴿ قوله او دليل عليه ﴾ اى ويجوز ان يكون حرام مبتدأ وما بعده خبر له دليل على الفاعل كأنه قيل حرام عليهم توبتهم او حياتهم على ان تكون لاصلة او عدم بعثهم على ان لا تكون صلة ﴿ قوله او لانهم لا يرجعون ولا يتوبون ﴾ عطف على قوله رجوعهم الى التوبة الخ ويجوز ان يكون قوله وحرام خبر مبتدأ محذوف اى ذلك الذى ذكر من العمل الصالح المقرون بالايمان حرام عليهم وما بعده علة له بحذف لام التعليل مع انهم ويؤيده قرآءة انهم بكسر الهمزة فان كسرها يقتضى ان يتم الكلام قبله ولابدّ لتمامه من تقدير المحذوف ﴿ قوله وقيل حرام عزم ﴾ اى معزوم يعنى قيل الحرام هنا بمعنى الموجب فانه قد يستعمل بمعنى الواجب كما فى قوله تعالى أتل ماحرّم ربكم عليكم ان تشركوا فان ترك الشرك واجب ويدل عليه ايضا قول الخنساء

◦ وانّ حراما لا ارى الدهر باكيا ◦ على شجوه الا بكيت على صخر ◦

اى وان واجبا وايضا كثيرا مايطلق احد الضدّين على الآخر مجازا ﴿ قوله اى يستمرّ الامتناع الى قيام الساعة ﴾ على ان تكون حتى غاية لقوله حرام والمعنى ويمتنع على قوم قدّرنا اهلاكهم رجوعهم الى التوبة الى ان تقوم القيامة فحينئذ يرجعون ويقولون ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا الآية او يمتنع على الذين اهلكناهم حقيقة رجوعهم الى ان تقوم القيامة فحينئذ يبعثون ويحاسبون ﴿ قوله او الهلاك ﴾ على ان تكون حتى غاية لمحذوف كأنه قيل حرام على الهالكين رجوعهم الى الحياة بل يستمرّ بهم الهلاك الى قيام الساعة ﴿ قوله او عدم الرجوع ﴾ على ان تكون حتى غاية لقوله لا يرجعون وذلك بان يكون حرام خبر مبتدأ محذوف ويكون المعنى وذلك المذكور من العمل الصالح ممتنع على من قدّرنا اهلاكهم لانهم لا يرجعون من الكفر الى قيام الساعة فكيف لايمتنع عليهم ذلك العمل والمراد بفتح يأجوج ومأجوج فتح سدّهما فحذف المضاف كما حذف المضاف الى القرية

(فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن) بالله ورسوله (فلا كفران لسعيه) فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفى نفى الجنس للمبالغة (وانا له لسعيه (كاتبون) مثبتون فى صحيفة عمله لاتضيع بوجه ما (وحرام على قرية) وممتنع على اهلها غير متصوّر منهم وقرئ حرم (اهلكناها) حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة (انهم لا يرجعون) رجوعهم الى التوبة او الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزآء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له سادّ مسدّ خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا يتوبون وحرام خبر محذوف اى وحرام عليها ذاك وهو المذكور فى الآية ويؤيده القرآءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اى يستمرّ الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سدّ يأجوج ومأجوج

(فى قوله)

فى قوله وحرام على قرية اى على اهلها ﴿قوله وحق هى التى﴾ مبتدأ وخبر قال اكثر المفسرين الضمير فى قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون ليأجوج ومأجوج فانه قد روى ان يأجوج ومأجوج لابد وان يسيروا فى الارض ويغلبوا اهل الناس من كل موضع مرتفع والحدب النشز وهو المكان المرتفع ﴿قوله تسد مسد الفاء الجزائية﴾ فان الجملة الاسمية اذا وقعت جواب شرط يجب دخول الفاء عليها لتدل على انها جواب وجزاء الا اذا صدرت باذا المفاجأة فانها تسد مسد الفاء فاذا جاءت الفاء معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد ما بينهما من الاتصال ﴿قوله و الضمير للقصة﴾ يعنى ان لفظ هى ضمير القصة وشاخصة خبر مقدم وابصار مبتدأ مؤخر والجملة خبر ضمير القصة لانه لا يفسر الا بجملة بعدها و يحتمل ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار كما فسر ضمير أسروا بقوله الذين ظلموا فى قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا اذهو بدل من واو اسروا تفسيرا وعطف اقتراب الوعد الحق على فتح سد يأجوج يدل على ان قيام الساعة لا يتأخر عن خروج يأجوج ومأجوج كما روى عن حذيفة انه قال لو ان رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة والفلو المهر اى ولد الفرس * فان قيل الشرط هو مجموع فتح سد يأجوج ومأجوج واقتراب الموعود الحق وهذا المجموع انما يحصل فى آخر ايام الدنيا والجزاء وهو شخوص ابصار الذين كفروا وارتفاعها من شدة الاهوال بحيث لا تكاد تطرف انما يحصل يوم القيامة والشرط والجزاء لابد ان يكونا متقارنين * فالجواب ان التفاوت القليل يجرى مجرى العدم ﴿قوله يحتمل الاوثان﴾ اى يعمها اذ ما ادعى ان ما يعم العقلاء وغيرهم واستدل عليه بانه عليه الصلاة والسلام لم يرد على ابن الزبعرى فى تعميمه ما تعبدون للعقلاء بل سلم له ذلك واجابه بوجه آخر الا ان جوابه محل تأمل لانه لا ينفى كون اليهود واخوانهم عبدوا هؤلاء المكرمين وانما يدل على انهم عبدوا الشياطين باطاعتهم الشيطان فيما امرهم به من عبادة هؤلاء المكرمين فكيف صلح جوابا عن قول ابن الزبعرى ويمكن ان يقال من عبد من غير ان يستحق العبادة لذاته ومن غير ان يأمر بها ويحب ويرضى ان يعبد لا يكون معبودا فى الحقيقة وانما يكون معبودا صورة ومجازا ويكون المعبود فى الحقيقة من امر بذلك لان العبادة عبارة عن الطاعة والانقياد وليس ذلك الا لمن امر بها فلذلك نفى عليه الصلاة والسلام دخول هؤلاء المكرمين تحت قوله وما تعبدون فقال بل هم عبدوا الشياطين ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على تقدير ان يحمل ما تعبدون من دون الله على ما يعم الاوثان وغيرها يكون الخطاب فى قوله تعالى انكم وما تعبدون متناولا للمشركين وغيرهم كاليهود والنصارى وبنى مليح وهم بطن من خزاعة قالوا اصاهر الله تعالى سروات الجن فولدت له الملائكة بخلاف ما اذا حمل ما تعبدون على الاصنام خاصة فان الخطاب يختص المشركين ﴿قوله أليس اليهود عبدوا عزيرا﴾ لا وجه لسؤال ابن الزبعرى لان كلمة ما لا تتناول من يعقل فقوله تعالى وما تعبدون لا يتناول الملائكة فان الملائكة من العقلاء بل يقتصر على الاصنام لكنه عليه الصلاة والسلام جاراه وألزمه بوجه آخر تنبيها على ان لدفع شبهته طرقا متعددة ﴿قوله بيان التجوز او التخصيص تأخر عن الخطاب﴾ الاول على تقدير ان يكون المقصود من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى بيان تناول الحكم لغير اهل الحسنى من العقلاء والثانى على تقدير ان يكون المقصود تخصيص ما تعبدون بغير اهل الحسنى مع كونه فى نفسه يعم اهل الحسنى وغيرهم وعلى التقديرين يكون قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى من قبيل بيان التفسير ومثل هذا البيان لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة الى العمل بالاتفاق لانه تكليف ما لا يطاق واما جواز تأخيره عن وقت الخطاب فهو مختلف فيه بين الحنفية والشافعية جوزه الشافعية استدلالا بهذه الآية ووجه الاستدلال ما اشار به المصنف من انه تعالى انزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون اى تحصبون فيها وترمون وتأخر عنه نزول قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وهو بيان لما نزل قبله بيان تجوز او بيان تخصيص حتى جرى بين ابن الزبعرى وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى واجاب الحنفية عن هذا الاستدلال بان قوله وما تعبدون لم يتناول عيسى عليه الصلاة والسلام وعزيرا والملائكة حقيقة لان ما لغير العقلاء الا ترى ما روى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام انه قال له ما اجهلك بلغة قومك يا غلام اما علمت ان ما لما لا يعقل فيكون قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى على هذا بيان تقرير وبيان التقرير يصح متراخيا وسؤال ابن الزبعرى وارد على طريق التعنت بناء على انه جعل ما مستعملة بمعنى من مجازا او حمله على التغليب فسأل بناء على ظنه الفاسد ثم انه عليه الصلاة والسلام اجابه بقوله ما اجهلك فقدرة عليه بان ما لما

وحق هى التى يحكى الكلام بعدها والمحكى هى الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد (وهم) يعنى يأجوج ومأجوج او الناس كلهم (من كل حدب) نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر (ينسلون) يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين (واقترب الوعد الحق) وهو القيامة (فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا) جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار (يا ويلنا) مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول (قد كنا فى غفلة من هذا) لم نعلم انه حق (بل كنا ظالمين) لانفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد بالنذر (انكم وما تعبدون من دون الله) يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم فى حكم عبدتهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعرى قد خصمتك ورب الكعبة أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التى امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مأولا بمن او بما يعم ويدل عليه ما روى ان ابن الزبعرى قال هذا شئ لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص تأخر عن الخطاب

(حصب جهنم) ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر (انتم لها واردون) استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة عن على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها (وكل فيها خالدون) لا خلاص لهم عنها (لهم فيها زفير) انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام (وهم فيها لا يسمعون) من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) الخصلة الحسنى وهي السعادة او التوفيق لطاعة او البشرى بالجنة (اولئك عنها مبعدون) لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول (لا يسمعون حسيسها) وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به (وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون) دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به (لا يحزنهم الفزع الاكبر) النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت على صورة كبش املح (وتتلقاهم الملائكة) تستقبلهم مهنئين (هذا يومكم) يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول (الذي كنتم توعدون) في الدنيا (يوم نطوي السماء) مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء والتاء والبناء للمفعول (كطي السجل للكتاب) طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه (كما بدأنا اول خلق نعيده) اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء

لا يعقل فلا يرد ما اوردته على الآية من النقض بالملائكة ونحوهم وان صح انه عليه الصلاة والسلام اجاب بان قال انهم ما عبدوا ما ذكرته من اهل الحسنى وانما عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فهو جواب بطريق التسليم اي لو سلم ان قوله تعالى ما تعبدون يتناول العقلاء الفضلاء لكن لا نسلم انهم عبدوا اولئك المكرمين في الحقيقة بل عبدوا الشياطين الذين امروا بذلك والتعبير عنهم بلفظ ما ليس مبنيا على حمله على المعنى المجازي بل مبني على عدهم اي على عد الشياطين في عداد الاصنام الجامدة التي تبعد بمراحل عن العقل والتمييز وكذا قوله عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ان صح ذلك عنه مبني على التسليم ايضا والحاصل ان المراد بقوله ما تعبدون الشياطين وعلى التقديرين لم يكن قوله وما تعبدون مستعملا في العقلاء مجازا ولا متناولا لاهل الحسنى حتى يقال قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى بيان للتجوز او التخصيص تأخر عن الخطاب كما قاله الشافعية بل ليس ذلك الا بيان تقرر بصحح متراخيا عن الخطاب فليس في الآية ما يدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب على جميع الروايات فليتأمل فان المقام محل الالتفات ﴿قوله ما يرمى به﴾ يعني ان الحصب بفتح الحاء والصاد اسم لما يحصب اي يرمى في النار ولا يقال له حصب الا وهو في النار فاما قبل ذلك فيقال له حطب وشجر وخشب ونحو ذلك ﴿قوله او بدل من حصب جهنم﴾ ويجوز ابدال الجملة من المفرد اذا كانا بمعنى واحد والتقدير انكم انتم لها واردون والحصب بسكون الصاد مصدر بمعنى الرمي ﴿قوله لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها﴾ هذا الكلام بالشياطين أليق لان المؤاخذة لا تليق بالاصنام الا ان يقال عباد الاصنام في الحقيقة عباد الشياطين الذين امروا بعبادتها فكأنهم اتخذوا الشياطين آلهة والضمير في قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون قيل يرجع الى المعبودين اي لا يسمعون صراخهم وشكواهم ومعناه انهم لا يغيثونهم ولا ينفعونهم كما يقال سمع الله لمن حمده اي اجاب الله دعاءه وقيل يرجع الى الكفار والمعنى انهم لا يسمعون شيأ اصلا من حيث انهم يحشرون صما عميا زيادة في عذابهم او انهم لا يسمعون ما ينفعهم لانهم انما يسمعون اصوات المعذبين او كلام من يتولى تعذيبهم من الملائكة ثم انه تعالى لما شرح عقاب الكفار اردفه بشرح ثواب الابرار فقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فهي عامة في حق كل المؤمنين وشرح من احوال ثوابهم خمسة امور احدها قوله اولئك عنها مبعدون وثانيها قوله لا يسمعون حسيسها والمراد به تأكيد بعدهم عنها لان من لم يدخلها وقرب منها قد يسمع حسيسها وثالثها قوله وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون ورابعها قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وفسره المصنف باربعة اوجه الاول انها النفخة الاخيرة والثاني ان يؤمر بالعبد الى النار والثالث اطباق جهنم على اهلها اي وضع الطبق عليها بعدما اخرج منها من اخرج فيفزع اهلها حينئذ فزعا شديدا لم يفزعوا فزعا اشد منه والرابع ذبح الموت بين الفريقين والنداء يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت وخامسها قوله وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم ملائكة الرحمة عند خروجهم من القبور او عند باب الجنة ﴿قوله او تتلقاهم﴾ فان قيل تلقي الملائكة عند باب الجنة وطي السماء متقدم عليه بزمان كثير فكيف يكونان في يوم واحد والجواب ان اسم يوم الطي يطلق على الزمان الممتد الذي مبدأه زمان الطي ومنتهاه زمان دخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار ﴿قوله او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون﴾ اي توعدون ذلك اليوم مقدرا كونه يوم نطوي السماء طيا مثل طي الرجل ما في يده من الطومار لاجل الكتابة لان الكتاب مصدر كالكتابة وما فيه من اللام للتعليل فان قلت نشر الطومار شرط لاجل الكتابة فكيف يصح طيه علة لها قلت انه يطوى اولا ويحفظ مطويا لاجل ان ينشر ويكتب فيه وقت الحاجة فالمراد من طيه هذا الطي السابق ﴿قوله او لما يكتب او كتب فيه﴾ على ان الكتاب بمعنى المكتوب ﴿قوله السجل ملك يطوي كتب الاعمال﴾ اي كتب بني آدم اذا رفعت اليه قال السدي السجل ملك موكل بالصحف فاذا مات الانسان رفع اليه كتابه فيطويه فعلى هذا الكتاب والكتب على اختلاف القراآت بمعنى الصحائف واللام فيه زائدة كما في قوله ردف لكم ﴿قوله او كاتب كان لرسول الله عليه الصلاة والسلام﴾ وهو بعيد لان كتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام كانوا رجالا معروفين وليس فيهم من سمي بهذا الاسم ﴿قوله في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء﴾ ذكر الامام انهم اختلفوا في كيفية الاعادة فمنهم من قال ان الله تعالى يفرق اجزاء الاجسام ولا يعدمها ثم انه يعيد تركيبها فذلك هو الاعادة ومنهم من قال انه تعالى يعدمها بالكلية ثم انه يوجدها بعينها مرة اخرى وهذه الآية تدل على هذا الوجه لانه تعالى شبه الاعادة بالابتداء ولما كان الابتداء ليس عبارة عن تركيب الاجزاء المتفرقة بل عن الايجاد

(بعد)

بعد العدم وجب ان تكون الاعادة كذلك واحتج القائلون بالمذهب الاول بقوله تعالى والسموات مطويات بيمينه فانه يدل على ان السموات حال كونها مطوية تكون موجودة وبقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض فهذا يدل على ان اجزآء الارض باقية لكنها جعلت غير هذه الارض ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما وصف يوم القيامة بانه يوم تطوى فيه السماء كطي السجل وصفه ايضا بانه يعاد فيه الاشياء الهالكة من السماء والارض واهلهما ﴿ قوله وما كافة ﴾ تكف الكاف عن العمل وتصحح دخولها على الفعل فانها على تقدير كونها زائدة قد تكون كافة عن العمل نحو انما زيد منطلق وغير كافة كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم فان الباء فيه لو كانت مكفوفة لما كان لفظ الرحمة مجرورا بها فلما لم تكن الباء مكفوفة كان مجرورها مفعولا به والمفعول به لابد له من عامل فعلا كان او معناه فلابد ان يكون للباء ماتعلق هي به بخلاف الكاف المكفوفة هنا فانها لاتستدعي ماتعلق هي به لان مجرورها لم يكن مفعولا به حتى تستدعي ماينصبه من فعل او مافي معناه والفرق بين كون ما كافة وبين كونها مصدرية انها على تقدير كونها كافة يكون قوله اول خلق نعيده كلاما تاما ويكون قوله كما بدأنا جملة منقطعة عن ذلك على معنى تحقق الاعادة مثل تحقق البدء وليس المعنى على اعادة مثل البدء ومحل الكاف في مثله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿ قوله واول مفعول لبدأنا ﴾ ظاهر نظم التنزيل وان كان يساعد هذا الاحتمال الا انه محل تأمل لان الظاهر ان ليس المراد باول الخلق من سبق وجوده وجود الآخرين في نشأة الدنيا لان الكلام ليس في اعادتهم وابدآئهم خاصة بل الكلام في ابدآء مجموع المكونات واعادتها فان هذا المجموع اذا اعدمت ثم تعلقت الاعادة به يوصف بالاولية بالنسبة الى ماتعلق به من الايجاد ثانيا فهذا المجموع الموصوف بالاولية كيف يكون مفعول بدأنا مع ان ايقاع البدء عليه متفرع على اعادته لانه قبل تعلق الاعادة به لايوصف بالاولية اصلا فالظاهر ان يكون الكاف في محل النصب على انه من قبيل مااضمر عامله على شريطة التفسير والتقدير نعيد اول الخلق اي الخلائق الاولين نعيد ويتم الكلام هنا ان جعلت ما كافة وان جعلت مصدرية يكون التقدير نعيد اول الخلق اعادة مثل بدئنا اياه نعيده وكذا ان كانت موصولة تكون الكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده بخلاف ما اذا جعلت مصدرية فان مفعول نعيد حينئذ اول خلق لا الكاف ﴿ قوله تأكيدا لنعيده ﴾ يعني انه مصدر وقع مؤكدا مضمون جملة لامحتمل لها غير الوعد فهو من المصدر الذي يسمى تأكيدا لنفسه وناصبه مضمر اي وعد ذلك وعدا او هو منصوب بقوله نعيد لكونه في معنى الوعد ﴿ قوله وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة ﴾ فقوله ولقد كتبنا في الزبور معناه ولقد بينا في التوراة والانجيل وسائر كتب الانبياء عليهم الصلاة والسلام من بعد الذكر اي من بعد ما كتبنا وبينا في اللوح المحفوظ وهو ام الكتاب وكتب فيه كل مايكون ليعتبر الملائكة ويعلموا ان الله تعالى احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا ﴿ قوله او الذين كانوا يستضعفون ﴾ فسر مرتب على قوله او الارض المقدسة واراد بمشارق الارض ومغاربها ارض الشام وجهاتها الشرقية والغربية قال الامام المراد من الارض ارض الجنة وقيل هي الارض المقدسة يرثها الصالحون ودليله قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها ثم بالآخرة يرثها امة محمد عند نزول عيسى عليهما الصلاة والسلام ﴿ قوله لان مابعثت به سبب لاسعادهم ﴾ لو تدبروا فيه واتبعوا احكامه لفازوا بسعادة الدارين ومن اعرض عنه واستكبر فانما وقع في المحنة من قبل نفسه وهو اشارة الى جواب مايقال كيف كان رحمة للعالمين وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال وورد في الخبر انه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فهل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم اصابني من هذه الرحمة اني كنت اخشى عاقبة الامر فأمنت بك لما اثنى الله تعالى علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ثم انه تعالى لما ذكر انه عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين بين معظم اسباب كونه رحمة لهم وهو كونه داعيا الى التوحيد والطاعة فانه بعث والناس في جاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا في حيرة في امر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم بحيث لم يكن الطالب الحق سبيل اليه ﴿ قوله فالاولى لقصر الحكم على الشيء ﴾ يعني ان كلمة انما سوآء كانت مفتوحة الهمزة او مكسورتها قد تكون لقصر الحكم على الشيء نحو انما يقوم زيد وقد تكون لقصر الشيء على الحكم نحو انما زيد قائم فقوله تعالى انما يوحى الي الآية من قبيل قصر الحكم على الشيء حيث يدل على ان حكم مايوحى اليه عليه الصلاة والسلام منحصر في مضمون قوله تعالى

وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف (وعدا) مقدر بفعله تأكيدا لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة (علينا) اي علينا انجازه (انا كنا فاعلين) ذلك لامحالة (ولقد كتبنا في الزبور) كتاب داود (من بعد الذكر) اي التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ (ان الارض) ارض الجنة او الارض المقدسة (يرثها عبادي الصالحون) يعني عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وامة محمد صلى الله عليه وسلم (ان في هذا) فيما ذكرنا من الاخبار والمواعظ والمواعد (لبلاغا) لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية (لقوم عابدين) همهم العبادة دون العادة (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) لان مابعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال (قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد) اي ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلي من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشيء والثانية على العكس

(فهل انتم مسلمون) مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحى المصدّق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع (فان تولوا) عن التوحيد (فقل آذنتكم) اعلمتكم ما امرت به او حربى لكم (على سوآء) مستوين فى الاعلام به او مستوين انا واياكم فى العلم بما اعلمتكم به او فى المعاداة او ايذانا على سوآء وقيل اعلمتكم انى على سوآء اى عدل واستقامة رأى بالبرهان النير (وان ادرى) وما ادرى (أقريب ام بعيد ما توعدون) من غلبة المسلمين او من الحشر لكنه كائن لا محالة (انه يعلم الجهر من القول) ما تجاهرون به من الطعن فى الاسلام (ويعلم ما تكتمون) من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه (وان ادرى لعله فتنة لكم) وما ادرى لعل تأخير عذابكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته (قل رب احكم بالحق) اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم ورب أحكم على بناء التفضيل وأحكم من الاحكام (وربنا الرحمن) كثير الرحمة على خلقه (المستعان) المطلوب منه المعونة (على ما تصفون) من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ايامًا ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فأجاب الله دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب امانيهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم وقرئ بالياء وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن

﴿ سورة الحج مكية الا ست آيات من ﴾

﴿ هذا خصمان الى صراط الحميد ﴾

﴿ وهى ثمان وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم

انما الهكم اله واحد فانه فى محل الرفع على انه قائم مقام فاعل الفعل السابق اذ التقدير انما يوحى الىّ وحدانية الله تعالى وان قوله انما يوحى الىّ مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد اى يقوم زيد لا غيره فكأنه قيل لم يوح الىّ شئ الا التوحيد * ولما ورد ان يقال كيف يصح هذا الحصر مع انه قد اوحى اليه اشياء غير التوحيد * اشار المصنف الى دفعه بقوله وذلك لان المقصود الاصلى يعنى ان ما ذكر انما يرد على تقدير ان يكون الحكم المقصود ما اوحى اليه مطلقا وليس كذلك بل المراد ما اوحى اليه مقصودا بالقصد الاصلى الاولى * وقوله تعالى انما الهكم اله واحد من قبيل قصر الشئ على الحكم بمنزلة انما زيد قائم اى لا يفعل زيد سوى القيام * فان قلت هذا الحصر يستلزم ان لا يكون الله تعالى موصوفا بغير الوحدانية مع ان له تعالى من صفات الجلال والجمال ما لا يحصى * فالجواب ان الحصر ليس حقيقيا اذ المقصود نفى ما يصفه المشركون ﴿ قوله وقد عرفت ان التوحيد الخ ﴾ اشارة الى ما ذكره فى تفسير قوله تعالى فى هذه السورة هذا ذكر من معى وذكر من قبلى اذ التوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ووجه الفاء فى قوله تعالى فهل انتم مسلمون ان مثل هذا الكلام انما يذكر اذا تقدم ما يوجب المسارعة والاقدام على شئ من الامور فيؤتى به للتحريض عليه والتوبيخ على تركه وههنا لما بولغ فى امر التوحيد بما سبق من الحصر بن عقبه به للمبالغة فى ايجاب المسارعة الى التوحيد فلذلك اخرج الامر على صورة الاستفهام وكون التوحيد مما يصح اثباته بالسمع وان اشتهر بين المتكلمين الا انه لا يخلو عن اشكال وهو ان حجية السمع موقوفة على ثبوت الرسالة وثبوت الرسالة موقوف على كون المرسل واجب الوجود وهو موقوف على ثبوت كونه واحدا اذ التعدد يستلزم الامكان كما بين فى موضعه فظهر ان حجية السمع موقوفة على الوحدانية ولو توقفت الوحدانية ايضا على السمع لزم الدور فالاحكام التى يستدل عليها بالنص هى التى لا يتوقف النص على ثبوتها فالتوحيد ليس من تلك الاحكام التى يستدل عليها بالنص فلا يستدل بالنص على ثبوته ﴿ قوله مستوين فى الاعلام به ﴾ على ان يكون قوله على سوآء فى محل النصب على انه حال من مفعول آذنتكم ﴿ قوله او مستوين انا واياكم ﴾ على انه حال من الفاعل والمفعول معا وعلى التقديرين يكون آذنتكم منقولا من اذن بمعنى علم وعلى قوله او حربى لكم وان كان منقولا منه ايضا وان المراد بالايذان ايذان الحق الا ان ايذان الحرب مستفاد من استعماله فى مقام الانذار والتهديد كأنه قيل قد بلغت وسعيى الى الآن فى اعلام الحق وارشادكم اليه فاذا لم تقبلوه ولم تلتفتوا اليه فتهيئوا لجزاء عنادكم ﴿ قوله او ايذانا على سوآء ﴾ على انه صفة مصدر محذوف ﴿ قوله وقيل اعلمتكم انى على سوآء ﴾ على انه خبر ان المحذوف مع اسمها والجملة استئنافية ﴿ قوله أقريب ام بعيد ما توعدون ﴾ فى محل النصب بادرى لانه علق ادرى باداة الاستفهام واصل الكلام اقريب ما توعدون ام بعيد الا انه أخر المستفهم عنه لرعاية الآى وقوله ما توعدون يجوز ان يكون مبتدأ وما قبله مع ما عطف عليه خبره ويجوز ان يكون فاعل قريب لاعتماده على الف الاستفهام والمقصود من قوله تعالى انه يعلم الجهر من القول الآية تعليل الامر المدلول عليه بقوله فهل انتم مسلمون والنهى عن الطعن فى الاسلام جهرا وعن اضمار الاحن والاحقاد للمسلمين وبيان ان تأخير العذاب عنهم ليس لخفاء ما اسروا به وما اعلنوا بل لحكمة اقتضت ذلك ثم قال لعل وجه الحكمة فى التأخير الاستدراج وزيادة الاستحقاق لعقوبة العذاب ولما كان الاستدراج سبب الفتنة والعذاب اطلق عليه لفظ الفتنة مجازا مرسلا وقوله او امتحان اى معاملة شبيهة بالامتحان على سبيل الاستعارة التمثيلية وقرأ العامة رب احكم بكسر الباء وحذف ياء الاضافة اكتفاء بالكسرة وقرئ بضم الباء على انه منادى مفرد معرفة امر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بان يدعو باستعجال العذاب على قومه ويقول رب اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل فان العدل فى حقهم ان يعجل العذاب عليهم ولا يمهلهم فلا جرم حكم الله تعالى عليهم يوم بدر وقرئ ربى بسكون الياء وأحكم على بناء افعل التفضيل وهما مبتدأ وخبر وقرئ احكم بفتح الهمزة والميم على انه فعل ماض من الاحكام مرفوع المحل على انه خبر ربى ايضا تمت سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة الحج مستعينا بالله تعالى

﴿ سورة الحج سبعون واربع آيات مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال المعنى يا اهل مكة احذروا

(عقاب)

عقاب ربكم بطاعته فان التقوى المأمور بها انما تتحقق بالاتقاء عن جميع المحرّمات و بالاتقاء عن ترك شئ من الواجبات وبالجملة المراد بالتقوى على هذا القول الاتقاء عن كل مايؤثم من فعل او ترك وهذا المعنى هو المراد باسم التقوى فى عرف الشرع الا ان الملائم لتخصيص الخطاب باهل مكة ان يراد بالتقوى المرتبة الاولى منه وهو التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى من الشرك كما هو المراد بقوله تعالى فألزمهم كلمة التقوى فانه تعالى امر الناس بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة و وصفها باهول صفة والمعنى ان بالتقوى يندفع هذا الضرر العظيم عن النفس ودفع الضرر عن النفس معلوم الوجوب فثبت به وجوب التقوى والزلزلة تضعيف ازلة يقال زلت قدمه اذا زالت عن مكانها بسرعة ويقال زلت بفلان تزل زللا اذا زل فى طين او منطق ويصير متعديا بالتضعيف يقال زلزل الله تعالى الارض زلزالا فتزلزلت هى وقد يستعمل لازما بمعنى تزلزل فقوله تعالى ان زلزلة الساعة معناه ان تزلزل الساعة ولهذا فسرها الكواشى رحمه الله تعالى بقوله اى حركتها الشديدة بازعاج فيكون المصدر مضافا الى فاعله وفسرها المصنف رحمه الله تعالى بالتحريك وجعلها اوّلا من اضافة المصدر الى فاعله المجازى على طريق اسناد الفعل الى زمانه وثانيا من اضافة المصدر الى ظرفه بتقدير فى وثالثا من غير تقدير والفرق بين الوجهين الاخيرين ان المضاف اليه فى كل واحد من الاحتمالين وان كان ظرفا للمضاف حقيقة الا انه قد توسع فيه واجرى مجرى المفعول به واضيف المصدر اليه على طريق اضافته الى المفعول به من غير تقدير كلمة فى كما فى قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وقول من قال ياسارق الليلة اهل الدار فى احد الاحتمالين بخلاف الاحتمال الآخر فان الظرف لم يتوسع فيه وكانت الاضافة اليه بتقدير فى كما فى ضرب اليوم واضافة المصدر معنوية سوآء اضيف الى ظرفه او الى فاعله لانه ليس بصفة والاضافة انما تكون لفظية بان يكون المضاف صفة مضافة الى معمولها اى الى مرفوعها او منصوبها ﴿ قوله وقيل هى زلزلة الخ ﴾ عطف من حيث المعنى فان ماذكر ثانيا يدل على ان الساعة اما فاعل مجازى لهذه الزلزلة او زمان لها وعلى التقدير فى هذه الزلزلة يوم القيامة وهو ظاهر ﴿ قوله فيبقوا على انفسهم ﴾ اى يترحموا عليها يقال ابقيت على فلان اى ارعيت عليه ورحمته وفى الصحاح تقول ارعيت عليه اذا ابقيت عليه ورحمته ﴿ قوله اذا دهشت ﴾ اى اذا ادهشت الزلزلة التى ألقمت الرضيع ثديها حمل لفظ المرضعة على التى تلابس الارضاع بالفعل استدلالا بلحوق التاء اياه فان الاصل فى الصفات المختصة بالمؤنث ان لا تلحقها تاء التأنيث اذا قصد بها التى من شأنها ان تلابس الفعل فاما اذا قصد بها الدلالة على الملابسة بالفعل فحينئذ يجب ان تلحقها التاء فيقال حائضة وطالقة ومرضعة وطامثة فلما قيل فى الآية مرضعة بالتاء علم ان المراد بها التى باشرت الارضاع بالفعل وألقمت ثديها الصبى ﴿ قوله وما موصولة ﴾ فلابد من تقدير العائد اى عن الذى ارضعته وهو الطفل وان كانت مصدرية فلا حاجة الى التقدير اى عن ارضاعها ﴿ قوله جنينها ﴾ مبنى على ان الحمل بالفتح ماكان فى البطن او على رأس الشجرة وبالكسر ماكان على الظهر واستدل به من قال ان هذه الزلزلة تكون فى الدنيا لانه لامرضعة ولا حامل يوم القيامة ومن قال انها تكون يوم القيامة يقول هذا على جهة التمثيل اى لو كان مثلها فى الدنيا لذهلت المرضعة عما ارضعت ولوضع الحامل حملها من غير تمام من شدة دهشها ﴿ قوله فأرهقهم هوله ﴾ والمعنى ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله تعالى هو الذى اذهب عقولهم يقال رهقه بكسر الهاء اى غشيه وارهقه طغيانا اى اغشاه اياه والهول مصدر هاله الشئ اى افزعه ولاشك انه تعالى اذا ابسط بساطه اى بساط عزته وسلطان جبروته وسرادق كبريائه بحيث الجأ النبيين الى ان قالوا نفسى نفسى يحصل هوله وافزاعه بحيث يغشى اهل الموقف بأسرهم مما شاهدوه من امارات مايكون من ذلك الموقف قرأ العامة رحمهم الله عليهم وترى الناس بفتح التاء من ترى ونصب الناس على صيغة خطاب الواحد بمعنى تعلم والناس اوّل مفعوليه وسكارى ثانيهما وقرئ بضم التاء وكسر الرآء على بناء الفاعل وهو ضمير الزلزلة او الساعة فلا بد حينئذ من تقدير المفعول الاوّل ليتم به المعنى اى وترى الزلزلة او الساعة اهل الموقف الناس سكارى فهو مفعول ثالث ويؤيد هذه القرآءة قرآءة من قرأ وترى الناس بضم التاء وفتح الرآء على مالم يسم فاعله ونصب الناس مضارع مبنى من المتعدى الى ثلاثة مفاعيل الاوّل قائم مقام الفاعل وهو ضمير الخطاب والناس سكارى هما المفعولان الباقيان وهذا معنى قول المصنف رحمة الله عليه وقرئ ترى من اريتك قائما والاصل وترى الزلزلة او الساعة اياك الناس سكارى ويجوز ان يكون مضارع رأيت المتعدى الى اثنين والمعنى

ان زلزلة الساعة) تحريكها للاشياء على الاسناد المجازى او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير فى او اضافة المصدر الى الظرف على اجرآئه مجرى المفعول به وقيل هى زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها (شئ عظيم) هائل علل امرهم بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوّروها بعقولهم ويعلموا انه لايؤمنهم منها سوى التدرّع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويقوها بملازمة التقوى (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت)تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل و تذهل مجهولا ومعلوما اى تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التى ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه وما موصولة او مصدرية (وتضع كل ذات حمل حملها) جنينها (وترى الناس سكارى) كأنهم سكارى (وماهم بسكارى) على الحقيقة (ولكن عذاب الله شديد) فأرهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم

وترى أيها الرسول قوما سكارى فبنى للمفعول واسند الى مفعوله الاوّل وترك الثانى منصوبا على حاله وهو معنى قوله رحمه الله عليه او رأيتك قائما وقوله بنصب الناس ورفعه على ترتيب اللف ولما ورد ان يقال لما اسند الفعل الى الناس كان ينبغى ان يقال ويرى بالياء التحتانية اجاب عنه بقوله وتأنيثه على تأويل الجماعة ﴿ قوله وافراده بعد جمعه ﴾ افراد الفعل وجمعه عبارة عن اسناده الى ضمير الواحد والجمع يعنى افراد فاعل الرؤية فى ترى الناس وجمعه فى يوم ترونها مبنى على ان الرؤية فى يوم ترونها الزلزلة او الساعة وفى قوله وترى الناس جميع الناس رأوا الزلزلة لكونها امرا مغايرا للناس بخلاف الحالة القائمة فان كل احد لا يرى الا ما قام بغيره ولا يرى الجميع ما قام بالجميع والازم ان يرى كل احد ما قام بنفسه وفيه بحث ظاهر وهو ان اسناد الفعل الى الجميع انما يقتضى قيامه بالجميع ولا يقتضى وقوع ما قام به من الجميع وما ذكره مبنى على ان يكون الخطاب فى قوله تعالى وترى الناس لكل من يصلح ان يكون مخاطبا على سبيل البدل ولو كان الخطاب لواحد بعينه وهو النبى صلى الله عليه وسلم لما قيل يراها الجميع اى يرى كل احد ما قام بغيره ﴿ قوله سكرى كعطشى ﴾ ووجه الشبه كون كل واحد منهما جمعا على فعلى مع كون واحده على وزن فعلان ولو قال كجرحى وقتلى ومرضى لصح التشبيه من حيث ان كل واحد منهما جمع على وزن فعلى الا ان المشابهة بين سكرى وعطشى أتم لما ذكرناه يقال رجل عطشان وقوم عطشى كما يقال جوعان وجوعى وكسلان وكسلى والقياس انما يجمع على فعلى اذا كان مأخذه من قبيل العلل والادواء نقل عن الفرآء رحمه الله تعالى انه قال والعرب تجعل فعلى جمعا لكل ذى زمانة وضرر وهلاك ولا يبالون أكان واحده فاعلا او فعيلا او فعلان ﴿ قوله وهى نعمه واضرابه ﴾ حال من فاعل نزلت لما امر الله تعالى مشركى اهل مكة بالاتقاء عن عقابه بملازمة طاعته خص من بينهم من هو متوغل فى المخالفة والعصيان ووصفه بالمخاصمة فى دين الله تعالى ووحدانيته وفيما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى بمجرد زعمه الفاسد وظنه الباطل من غير سند يسوقه اليه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما المريد المتمرد على الله تعالى يقال مرد الشئ اذا جاوز حد مثله واصله العرى يقال غلام امرد وغصن امرد اذا عرى عن الشعر والورق ﴿ قوله كتب عليه على الشيطان ﴾ صفة للشيطان والمعنى والله تبارك وتعالى اعلم ويتبع كل شيطان مريد كتب عليه ان من يقبل منه فهو ضال والكتبة والكتاب الحكم والقدر ويكون بمعنى الرقم والاثبات فالمعنى قضى عليه اورقم فأثبت فى ام الكتاب وهو اللوح اى قد قضى الله تعالى على كل شيطان من الجن والانس انه من يتبعه ويتولاه فانه يضله عن الصراط المستقيم والدين القويم فاما الشيطان الجنى فبالوسواس والتسويلات والقاء الشبهات واما الشيطان الانسى فباتباعه فى مذاهب اهل الهوى والبدع كالفلاسفة والزنادقة المنكرين للبعث والحساب ويموهون عليهما البراهين المموهة المشوبة بشوائب الوهم والخيال وظلمة الطبيعة فاتباعه تقبل منه تلك الشبهات الزائغة والدلائل الباطلة فيعتقدون بعقائده ويصيرون من جملته ويدخلون فى زمرته كما قال تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم قال صاحب الكشاف والكتبة عليه مثل اى كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك فى حاله جعل الكتبة بمعنى الرقم والاملاء ولما تعذر حمله على الحقيقة حمله على التشبيه وجعل وجه الشبه ظهور ذلك الاضلال عليه ظهور المكتوب على ما كتب عليه واليه اشار المصنف بقوله والمعنى كتب عليه اى اثبت عليه ورقم فصار كان الاضلال شئ اثبت عليه ورقم ﴿ قوله على تقدير فشأنه انه يضله ﴾ يعنى فتح الهمزة فى قوله تعالى فانه يضله مبنى انه خبر مبتدأ محذوف اى فشأنه وحاله انه يضله قال صاحب الكشاف عفا الله تبارك وتعالى عنه وقرئ انه بفتح الهمزة وكسرها فمن فتح جعل الاولى نائب فاعل كتب والثانية عطفا عليها ولم يرض المصنف به حيث قال لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام يعنى ان كلمة ان الاولى لو كانت مرفوعة المحل على انها قائمة مقام فاعل كتب وكانت الثانية ايضا فى محل الرفع على كونها معطوفة على الاولى مؤكدة لها لزم عطف جملة تامة على كلام غير تام لان قوله من تولاه مبتدأ لم يستوف خبره بعد لان كلمة من فيه ان قدرتها موصولة فلا خبر لها وان جعلتها شرطية فلا جواب لها ولا يجوز العطف قبل التمام فى عطف الجمل فاعراب الآية ان كتب مبنى للمفعول على قرآءة العامة وانه فى الموضعين مفتوح الهمزة اما الاولى فلكونها مع ما فى حيزها فى محل الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف وكلمة من فى قوله تعالى من تولاه يجوز ان تكون شرطية والفاء فى جوابها وان تكون موصولة والفاء زائدة فى الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط ﴿ قوله على حكاية المكتوب ﴾ فان كلمة ان الواقعة فى الكلام المحكى

وقرئ ترى من ارتك قائما او رأيتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائى سكرى كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم) نزلت فى النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاوّلين ولا بعث بعد الموت وهى نعمه واضرابه (ويتبع) فى المجادلة او فى عامة احواله (كل شيطان مريد) متجرد للفساد واصله العرى (كتب عليه) على الشيطان (انه من تولاه) تبعه والضمير للشان (فانه يضله) خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من تولاه لانه جبل عليه وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد تمام الكلام وقرئ بالكسر فى الموضعين على حكاية المكتوب

(مكسورة)

مكسورة لكونها واقعة فى ابتدآء الكلام ولابد فى الحكاية ان تحفظ صورة الكلام المحكى ولاتغير عماهى عليه من هيئتها ﴿قوله او اضمار القول﴾ فيكون عليه فى موضع الرفع على انه قائم مقام الفاعل لقيل المقدر ثم انه تعالى لما حكى عنهم انهم يجادلون فى الله بغير علم وكان من جملة ماجادلوا فيه نفى صحة حقية البعث والحشر اورد مايدل على صحته بقوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث الآية قيل تحريك الوسط فى كل ما كان فيه العين من حروف الحلق قياس مطرد كالشعر والنهر وقيل ليس بقياس بل هما لغتان بمعنى كالجلب والجلب والطرد والطرد فيتوقف على السماع ثم انه تعالى ذكر فى مراتب النشأة الاولى ومباديها سبعة امور الاوّل التراب فانه مبدأ لجميع الافراد الانسانية امابواسطة كونه مبدأ لاصلهم آدم عليه الصلاة والسلام اوبواسطة الغذآء وكونه مبدأ للمنى ودم الطمث فانه اماحيوانى او نباتى وغذآء الحيوانات ينتهى الى النبات قطعا للتسلسل والنبات انما يتولد من الارض والماء فصح قوله فانا خلقناكم من تراب على كل واحد من الاعتبارين فقوله فانظروا فى بدء خلقكم الخ اشارة الى ان قوله تعالى فانا خلقناكم ليس جزآء فى الحقيقة لكنه اقيم مقام الجزآء من حيث كون الاخبار به سببا مؤديا الى النظر فى مضمونه الذى هو مزيل لريبهم والمرتبة الثانية النطفة وهى ماء الفحل فان قلب التراب اليابس ماء رطبا لطيفا مبنى على قدرة باهرة لايبعد عنها اعادة الموتى والمرتبة الثالثة العلقة وهى قطعة الدم الجامدة ولاشك ان بين الماء وبين الدم الجامد مباينة شديدة والمرتبة الرابعة المضغة وهى اللحمة الصغيرة قدر مايمضغ والمرتبة الخامسة ماذكره بقوله ثم نخرجكم طفلا والسادسة ماذكره بقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم والسابعة ماذكره بقوله ومنكم من يتوفى وقسم المضغة الى المخلقة وغير المخلقة اى الى المسوّاة الملساء المنزهة عن العيب يقال صخرة خلقاء اى ملساء لاعيب فيها وخلقت السواك اى سوّيته وملسته وقيل المخلقة هى التى تم وكمل خلقها بنفخ الروح فيها وهو الذى يولد لتمام مدة الحمل حيا وغير المخلقة ماتسقطه المرأة غير حى ولم يكمل خلقه بنفخ الروح فيه وقيل المخلقة مابدا خلقه وصورته وغير المخلقة مالم يصوّر بل تسقطه المرأة نطفة بيضاء او علقة او مضغة لم يبن خلقه وقدم الوجه الاوّل لانه اوفق لبناء التفعيل الدال على تكثير الخلق فان الانسان ذو اعضاء متباينة وقوى متفاوتة فاذا كمل فيه جميع مايتم به خلقة النوع فقد كثر فيه الخلق واللام فى قوله تعالى لنبين متعلقة بمحذوف اى نقلناكم من حال ومن خلق الى خلق لنبين لكم بهذا التدريج من فعلنا وقدرتنا مالايسعه الذكر ولايحيط به الوصف واشير الى هذا التعميم بحذف المفعول وقوله تعالى ونقر فى الارحام مرفوع على الاستئناف وليس علة ماقبله حتى ينصب عطفا على العلة المتقدمة روى عن الزجاج رحمة الله تعالى عليه انه قال قوله تعالى ونقر فى الارحام لايجوز فيه الا الرفع ولايجوز ان يكون المعنى فعلنا ذلك لنقر فى الارحام لان الله تعالى لم يخلق الانام ليقروا فى الارحام وانما خلقهم ليدلهم على رشدهم وصلاحهم ونقل المصنف رحمة الله تعالى عليه قرآءة النصب فيه وفى قوله تعالى ثم نخرجكم طفلا واشار الى دفع ماذكره الزجاج رحمة الله تعالى عليه بقوله ونقرهم فى الارحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف يعنى ليس الاقرار فى الارحام وحده علة الخلق المذكور حتى يرد ماذكر بل العلة هى مجموع الاقرار فى الرحم الى تمام مدة الولادة والتولد طفلا والانشاء والبلوغ الى حد التكليف والعلة فى الحقيقة هى الاخير يعنى بلوغ حد التكليف اى حتى يكلفوا بمعرفة الله تعالى وتوحيده وطاعته فينالوا سعادة الآخرة لكن لما كان الاقرار فى الرحم ومابعده من مقدمات البلوغ ادخل فى التعليل فقدر لام العلة ايذانا بذلك وخص قوله لتبلغوا باعادة اللام للتنبيه على ان المقصود اوّلا وبالذات هو الثانى لا الاوّل من بين اجزآء الغرض وهو الجزء الثانى الاخير الذى هو البلوغ المذكور لانه اوان التكليف فقوله تعالى ثم لتبلغوا على هذه القرآءة معطوف على قوله تعالى ثم نخرجكم وقد اشار اليه المصنف بقوله حتى يولدوا وينشأوا وعلى قرآءة الرفع معطوف على قوله تعالى لنبين لكم * فان قلت مامعنى ثم فى الموضعين * فالجواب انه يحتمل ان يكون التراخى فى الرتبة وهو الاظهر الانسب بالمقام ويحتمل ان يكون التراخى فى الزمان فان بلوغ الاشد متراخ عن الاخراج طفلا وهو غير الاقرار فى الارحام ولو باعتبار ابتدآء الاقرار فى الارحام ﴿قوله وقرئا بالياء﴾ اى وقرئ قوله تعالى لنبين ونقر بالياء التحتانية فيهما باسناد كل واحد من الفعلين اليه تعالى كما فى قرآءة النون وقرئ ونقر بفتح الياء من تحت وكسر القاف ونصب الراء اى ويقر الله تعالى وهو من قرّ الماء اذا صبه وقرأ يعقوب فى رواية ونقر بفتح النون وضم القاف ورفع الراء من قر الماء يقره

او اضمار القول او تضمين الكتب معناه (ويهديه الى عذاب السعير) بالحمل على مايؤدى اليه (يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث) من امكانه وكونه مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب (فانا خلقناكم) اى فانظروا فى بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم (من تراب) اذ خلق آدم منه والاغذية التى يتكون منها المنى (ثم من نطفة) منى من النطف وهو الصب (ثم من علقة) قطعة من الدم جامدة (ثم من مضغة) قطعة من اللحم وهى فى الاصل قدر مايمضغ (مخلقة وغير مخلقة) مسوّاة لانقص فيها ولاعيب وغير مسوّاة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصوّرة (لنبين لكم) بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ماقبل التغيير والفساد والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اوّلا قدر على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته مالايحيط به الذكر (ونقر فى الارحام مانشاء) ان نقره (الى اجل مسمى) هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله (ثم نخرجكم طفلا) عطفا على نبين كان خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم فى الارحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تأويل كل واحد او الدلالة على الجنس او لانه فى الاصل مصدر (ثم لتبلغوا اشدكم) كمال لكم فى القوة والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة فى الامور (ومنكم من يتوفى) عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى اى يتوفاه الله (ومنكم من يرد الى ارذل العمر) الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم

(لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه والآية استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره (وترى الارض هامدة) ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا (فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت) تحركت بالنبات (وربت) وانتفخت وقرئ ربأت اي ارتفعت (وانبتت من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة (ذلك) اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره (بان الله هو الحق) اي بسبب انه الثابت في نفسه الذي به تتحقق الاشياء (وانه يحيي الموتى) وانه يقدر على احيائها والا لما احيى النطفة والارض الميتة (وانه على كل شئ قدير) لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها (وان الساعة آتية لاريب فيها) فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه (وان الله يبعث من في القبور) بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله (ولا هدى ولا كتاب منير) على انه لا سند له من استدلال او وحي او الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه (ثاني عطفه) متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اي مانع تعطفه (ليضل عن سبيل الله) علة للجدال وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له (له في الدنيا خزي) وهو ما اصابه يوم بدر (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) المحرق وهو النار (ذلك بما قدمت يداك) على الالتفات او ارادة القول اي يقال له يوم القيامة ذلك الخزي والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي (وان الله ليس بظلام للعبيد) وانما هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد (ومن الناس من يعبد الله على حرف) على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر (فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه) روي انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت (خسر الدنيا والآخرة) بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف (ذلك هو الخسران المبين) اذ لا خسر مثله (يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه) يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع (ذلك هو الضلال البعيد) عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا

(من)

اذا صبه وقوله كالكمّ في القوة والعقل يعني ان الاشد كمال القوة في الحواس والقوى والجوارح كلها وهو فيما بين الثلاثين والاربعين وقيل من ثماني عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى ست وثلاثين سنة ﴿قوله تعالى لكيلا يعلم﴾ متعلق بقوله يرد * فان قيل كيف قال لكيلا يعلم من بعد علم شيئا مع انه يعلم بعض الاشياء كالطفل * اجيب بان المراد انه يزول عقله فيصير كأنه لا يعلم شيئا فان مثل ذلك قد يذكر في مقام نفي العقل للمبالغة ﴿قوله تحركت بالنبات﴾ الاهتزاز الحركة الواقعة على البهجة والسرور فلا يقال اهتز فلان لكيت وكيت الا اذا كان ذلك الامر من المحاسن والمنافع قيل الاصل اهتز وربا نباتها فحذف المضاف واسند كل واحد من الفعلين الى نفس الارض فمن قرأ ربت فمعناه الزيادة من اي جهة كانت ومن قرأ بالهمزة فسره بقوله ارتفعت وزادت من جهة العلو وقوله تعالى وان الساعة يحتمل ان يكون معطوفا على المجرور بالباء وان يكون خبر مبتدأ محذوف حذف لدلالة المقام عليه والتقدير والامر ان الساعة آتية ولا ريب فيها يحتمل ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا ﴿قوله تكرير للتأكيد﴾ يعني ان هذه الآية نزلت ايضا في النضر بن الحارث وفائدة التكرير المبالغة في الذم وليزيد عليه انه لا سند له في مجادلته من دليل عقلي ولا وحي سماوي كما لا سند في مجادلته من العلم الضروري والنظري كأنه قيل انه يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية وهو قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير وقيل الآية الاولى واردة في التابعين المقلدين وهذه الآية في المتبوعين المقلدين فان كل واحد من الفريقين يصدق عليه انه يجادل من غير علم وان كان احدهما تابعا والآخر متبوعا ويؤيد هذا القول قوله تعالى ليضل عن سبيل الله بغير علم فان المضل هو المقلد المتبوع لا التابع * والثني اللي والعطف بكسر العين الجانب الذي يعطفه الانسان ويلويه ويميله عند الاعراض عن الشئ وهو عبارة عن الكبر والخيلاء والعطف بفتح العين التعطف والبر ﴿قوله على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه﴾ متعلق بقراءة من قرأ ليضل بفتح الياء فانه لما ورد على هذه القراءة ان يقال المجادل ما كان مهتديا حتى يخرج بالجدال من الهدى الى الضلال اجاب عنه بانه لما كان متمكنا من الاهتداء بان يتذكر فيما نصب من الدلائل والآيات فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال وورد ايضا ان يقال ما كان غرضه من الجدال ان يضل عن الهدى او يضل غيره عنه فكيف قيل ليضل فاجاب عنه بان الضلال لما كان عاقبته مترتبة على جداله شبه بالغرض المطلوب منه فأدخل عليه لام العلة لذلك ﴿قوله وهو ما اصابه يوم بدر﴾ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث فانه قتل يوم بدر ومن قال انها نزلت في [illegible] حمل خزي الدنيا على ذم المؤمنين ولعنهم وقهرهم اياهم فان الخزي هو الهوان والفضيحة لا يلزم ان يكون بالقتل وقوله عذاب الحريق يجوز ان يكون من باب اضافة الموصوف الى الصفة والاصل العذاب الحريق اي المحرق كالسميع بمعنى المسمع وجعله المصنف رحمه الله تعالى عليه من اضافة المسبب الى سببه وجعل الحريق عبارة عن النار ﴿قوله والمبالغة لكثرة العبيد﴾ جواب عما يقال الظاهر ان يقال انه تعالى ليس بظالم للعبيد ليفيد نفي اصل الظلم ونفي كونه مبالغا مفرطا في الظلم لا يفيد نفي اصله * وتقرير الجواب ان المراد نفي اصل الظلم وذكر لفظ المبالغة مبني على كثرة العبيد ثم انه تعالى لما وصف حال المظهرين للشرك المجادلين فيه عقبه بذكر حال المتزلزلين المذبذبين فقال تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف فقوله على حرف حال من فاعل يعبد والحرف والناحية والوسط والطرف من صفات الاجسام وصف به الدين على سبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال من يعبد الله تعالى حال كونه على قلق في دينه من عدم ثبات وطمأنينة قلب بحال من يكون على طرف من العسكر ونحوه فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن والا فر ﴿قوله تعالى وان اصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ المراد بها ههنا ما يستكرهه الطبع ويثقل على النفس كالجدب والمرض وسائر المحن والا لما صح ان يجعل مقابلا للخير لانه ايضا فتنة وامتحان قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وجعل وان اصابه شر مع انه هو المقابل للخير لان ما يتضرر عنه الطبع ليس شرا في نفسه بل هو سبب القربة ورفع الدرجة بشرط التسليم والرضى بالقضاء ﴿قوله مهرا سريا﴾ اي خطيرا كريما ﴿قوله ووضع الظاهر﴾ بالجر عطفا على قوله والفاعلية فان الظاهر ان يكون قوله انقلب مسندا الى ضمير مستتر راجع الى من في قوله تعالى ومن الناس من مثل ضمير قوله تعالى اطمأن به فلما جعل خاسر الدنيا مرفوعا على انه فاعل انقلب فقد وضع الظاهر موضع الضمير المستتر في انقلب تنصيصا على خسران المنقلب ﴿قوله مستعار من ضلال من ابعد في التيه﴾ اي شبه ضلال

من عبد من دون الله تعالى مالا يضرّه ان لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده عن سوآء السبيل وهو التوحيد والطاعة وما هو الحق اعتقادا او عملا بضلال من ابعد فى التيه ضالا فوصف الضلال المشبه بما هو من خواص الضلال المشبه به وهو البعد فان القرب والبعد من عوارض المسافة الحسية فكان اثبات البعد له استعارة تخييلية قرينة للاستعارة بالكناية والظاهر انه شبه العدول عن الحق المشبه بالمسافة الحسية والصراط المسلوك فيها حسا بالضلالة عن الصراط المستقيم وشبه التوغل فى ذلك العدول بالبعد عن المسلك الحسى فعبر عن التوغل فى العدول عن الحق باسم الضلال البعيد على سبيل الاستعارة التصريحية ثم لا بدّ مع اعتبار هذه الاستعارة من تقدير مضاف فى البعيد اى البعيد مسافته واضافة المسافة الى الضلال لادنى الملابسة فان الضلال واقع فى تلك المسافة ﴿ قوله لمن ضرّه بكونه معبودا ﴾ اشارة الى دفع ما يقال كيف نفى النفع والضرّ عن الاصنام فى قوله تعالى يدعو من دون الله مالا يضرّه ومالا ينفعه واثبتهما لها فى قوله تعالى لمن ضرّه اقرب من نفعه وتقرير الدفع ان معنى الآية الاولى ان الكافر لنهاية جهله وحماقته يعبد جمادا لا يضرّ ولا ينفع بنفسه والضرر المثبت للاوثان فى الآية الثانية ليس ضررها بانفسها ليلزم التناقض بل المراد من ضررها كون عبادتها سببا للضرر وذلك يكفى فى اضافة الضرر اليها كقوله تعالى انهنّ اضللن كثيرا من الناس واضافة الاضلال اليهنّ من حيث كونهنّ اسبابا للضلال فكذا ههنا نفى الضرر عنهنّ اوّلا بمعنى كونهنّ فاعلة له واضاف الضرر اليهنّ فى هذه الآية بمعنى كون عبادتهنّ سببا للضرر وكذا النفع المضاف اليهنّ ليس نفعها فى نفسها بل هو النفع فى زعم العابدين وتوهمهم ﴿ قوله والزعم قول مع اعتقاد ﴾ جواب عما يقال كيف يكون يدعو معلقا بلام الابتدآء وليس هو من افعال القلوب وكذا الزعم والتعليق من خصائص افعال القلوب وفيه اشارة الى جواب آخر عن سؤال التناقض وتقريره ان نفى الضرّ والنفع عن الاصنام حكم من الله تعالى حكم به على الكافر المنقلب على وجهه انه يدعو ويعبد من دون الله تعالى مالا يضرّه ولا ينفعه بنفسه ثم حكى عنه انه يزعم اى يقول ويعتقد يوم القيامة حين استضراره بسبب عبادة الاصنام لمن ضرّه اقرب من نفعه لبئس المولى وباختلاف الحاكم يندفع التناقض بجملة لمن ضرّه فى حيز مفعول يدعو الا انه علق الفعل بلام الابتدآء ﴿ قوله اجرآء له مجرى يقول ﴾ يعنى ان المقام مقام حكاية قول الكافر الا انه وضع يدعو موضع يقول ليدل على قول فيه صراخ ودعاء فلما كان يدعو الثانى بمعنى يقول مضمنا معنى الدعاء والصراخ كان النافى للضرر والنفع عن الاصنام هو الله تعالى والمثبت لهما هو الكافر فاندفع التناقض بهذا الوجه ايضا ﴿ قوله او مستأنفة ﴾ عطف على قوله واللام معلقة كانه قيل جملة قوله لمن ضرّه فى محل النصب على انها فى حيز مفعول يدعو او مستأنفة لا محل لها من الاعراب فيكون يدعو الثانى تكريرا للاوّل وتأكيدا له فلا معمول له لفظا ولا تقديرا كانه قيل يدعو من دون الله الذى لا يضرّه ولا ينفعه فعلى هذا يكون قوله ذلك هو الضلال البعيد جملة معترضة بين المؤكد والمؤكد لان فيها تشديدا وتأكيدا للكلام ويكون قوله تعالى لمن ضرّه كلاما مستأنفا واللام فيه للابتدآء ومن موصولة وضرّه مبتدأ واقرب خبره والجملة صلة من ولبئس جواب قسم مقدر والقسم المقدر مع جوابه خبر المبتدأ الذى هو الموصول ثم انه تعالى لما ذكر المشركين المجادلين بالباطل الذين يعبدون الله على حرف وبين مآل امرهم ذكر المؤمنين المتمكنين على الايمان والاعمال الصالحة وبين ثوابهم فى الآخرة ثم قال ان الله يفعل ما يريد باهل طاعته من اهل الكرامة واهل معصيته من اهل الهوان والفضيحة ﴿ قوله كلام فيه اختصار ﴾ فان قوله تعالى من كان يظنّ ان لن ينصره الله فى الدنيا باعلاء كلمته واظهار دينه وفى الآخرة باعلاء درجته والانتقام ممن كذبه يستدعى كلاما يذكر فيه ان الله ينصر رسوله فى الدنيا والآخرة ومنكرا لذلك حسدا وعداوة وطمع انه تعالى لا يفعل ذلك ويغيظه حتى يكون هذا الكلام ردا له واقناطا وترهيبا وقهرا ﴿ قوله وقيل المراد بالنصر الرزق ﴾ على ان يكون ضمير ينصره راجعا الى من فى قوله تعالى من كان يظنّ بناء على ان من حق الضمير ان يرجع الى المذكور اذا امكن ذلك ومن ذهب الى انه يرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجر ذكره فى هذه الآية قال قد ذكر فيها ما يدل عليه عليه الصلاة والسلام وهو ان الايمان لا يتم الا بالله ورسوله فعلى تقدير ان يكون النصر بمعنى الرزق يكون المعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته ولا بدّ للعبد من الرضى بقسمته فان من لم يرض برزق الله تعالى وليس به صبر واستسلام لما قسم الله تعالى له فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يغلب القسمة * والسبب الحبل والسماء قيل المراد بها سقف البيت بناء على ان كل ما علاك فهو سماء

(يدعو لمن ضرّه) بكونه معبودا لانه يوجب القتل فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (اقرب من نفعه) الذى يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مفعولا اجرآء له مجرى يقول اى يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستأنفة على ان يدعو تكرير للاوّل ومن مبتدأ وخبره (لبئس المولى) الناصر (ولبئس العشير) الصاحب (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد) من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع (من كان يظنّ ان لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة) كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله فى الدنيا والآخرة فمن كان يظنّ خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن (فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع) فليستقص فى ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضبا او المبالغ جزعا حتى يمدّ حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى السماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد فى دفع نصره او تحصيل رزقه وقرأ ورش وابو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام

(فلينظر) فليتصور فى نفسه (هل يذهبن كيده) فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى مايقدر عليه (مايغيظ) غيظه او الذى يغيظه من نصر الله وقيل نزلت فى قوم من المسلمين استبطأوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين (وكذلك) ومثل ذلك الانزال (انزلناه) انزلنا القرءآن كله (آيات بينات) واضحات (وان الله يهدى) ولان الله يهدى به او يثبت على الهدى (من يريد) هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازى كلا مايليق به ويدخله المحل المعدّ له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفى الجملة لمزيد التأكيد (ان الله على كل شئ شهيد) عالم به مراقب لاحواله (ألم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض) يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره او يدل بذلته على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولى العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله (والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين (وكثير من الناس) عطف عليها ان جوّز اعمال اللفظ الواحد فى كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة (وكثير حق عليه العذاب) بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة فى تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله (ومن يهن الله) بالشقاوة (فماله من مكرم) يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام (ان الله يفعل مايشاء) من الاكرام والاهانة

وقيل المراد بها سماء الدنيا والمعنى فليمدد الذى يغيظه نصر الله تعالى ورسوله او يحزه فقد رزقه بحبل الى السماء المظلة ثم ليقطع بالمسافة الخ وعنان السماء جانبها الذى يعترض لك من اقطارها ومن فى قوله تعالى من كان يظن يجوز ان تكون شرطية وهو الظاهر وان تكون موصولة وفليمدد اما جزاء الشرط او خبر الموصول والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وهل يذهبن فى محل النصب على اسقاط الخافض اى فى انه هل يذهبن ﴿ قوله فليتصور فى نفسه ﴾ لما دل ظاهر نظم الآية على ان الامر بالنظر بعد الاختناق لايصح ان يحمل على النظر والتأمل صرف الكلام عن ظاهره وجعل النظر المأمور به عبارة عن ان يتصور انه ان فعل ذلك هل يذهب الذى يغيظه من نصر الله تعالى وهو سابق على الاختناق كانه قيل فليتأمل انه ان فعل ذلك هل يذهب كيده ومايغيظه والفاء فى فلينظر محمول على التراخى الرتبى ثم انه تعالى لما قال وان الله يهدى من يريد اتبعه بيان من يهديه ومن لايهديه فقال تعالى ان الذين آمنوا الآية وانّ الثانية مع اسمها وخبرها فى محل الرفع على انه خبر انّ الاولى كما فى قولك ان زيدا ان الخير عنده لكثير والصابئون من صبأ الرجل عن دينه اذا خرج منه الى دين آخر وهم قوم كانوا يعبدون النجوم ويعظمونها وقال قتادة هم قوم كانوا يعبدون الملائكة وقال مجاهد هم قبيلة بين اليهود والمجوس قيل كانوا يعبدون النار وقيل يعبدون الشمس والقمر وقيل اعتزلوا النصارى ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيأ ومن دين اليهود شيأ وهم القائلون بان للعالم الهين نورا وظلمة ﴿ قوله بالحكومة بينهم او الجزاء ﴾ يعنى ان المراد بالفصل اما الفصل بالحكم بان هذا محق وذلك مبطل او الفصل بالجزاء بان لايجمع الجميع فى موطن واحد بل يجازى كل واحد بمايليق به ويدخله الدار المعدّة له ﴿ قوله يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره ﴾ لما دخل كفرة الانس ومردة الجنّ والشياطين وسائر الحيوانات والجمادات فى عمومه اى فى عموم قوله من فى السموات وليس فيهم من يسجد سجود طاعة وعبادة وهو وضع الجبهة على الارض خضوعا لله تعالى حمل السجود على معنى مجازى يتصوّر فى كل موجود ممكن وهو كونه منقادا مسخرا لقدرته ومشيئته تعالى غير متأب عن شئ مما يحدث فيه من افعاله وتدبيره تشبيها لهذا الانقياد والمطاوعة بالسجود الحقيقى الصادر عن المكلف واطلاقا لاسم السجود المشبه به على المشبه على طريق الاستعارة التصريحية الاصلية ثم اشتق من هذا السجود بهذا المعنى لفظ يسجد فسرت الاستعارة التبعية والمعنى تنقاد له المكونات باسرها ﴿ قوله او يدل بذلته على عظمة مدبره ﴾ عطف على قوله يتسخر يعنى ان السجود فى الآية مجاز اما عن المسخرية والانقياد او عن الدلالة على عظمة الملك المدبر فان السجود الحقيقى انما يكون على طريق الخضوع والتعظيم فيدل لامحالة على العظمة والكبرياء فكذا جميع هذه المذكورات تدل عليها فشبه دلالتها عليها بالسجود الحقيقى فاطلق عليها اسم السجود ﴿ قوله وقرئ والدواب بالتخفيف ﴾ اى بتخفيف الباء بحذف الباء الاولى كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين ﴿ قوله عطف عليها ان جوّز الخ ﴾ جواب عما يقال السجود بمعنى المسخرية للقدرة والارادة او بمعنى الدلالة على عظمة المدبر عام فى حق الناس جميعا فاسناده الى كثير منهم يكون تخصيصا من غير فائدة وتخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المسند الى الكثير السجود الحقيقى وذلك يستلزم ان يكون لفظ يسجد مستعملا فى المعنيين باطلاق واحد وتقرير الجواب ان من جوّز اعمال اللفظ الواحد فى كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احد مفهوميه الى امر وباعتبار مفهومه الآخر الى امر آخر فلاشك ان المسند الى كثير من الناس هو السجود الحقيقى والى الآحاد الباقية وسائر المذكورات السجود بالمعنى المجازى والسجود بهذا المعنى وان صح اسناده الى كثير من الناس ايضا الا ان تخصيص الكثير بالذكر يدل على ان المسند اليهم سجود مخصوص مغاير لسجود المسند الى الافراد الباقية ومن لم يجوّز ذلك لايجعل قوله وكثير من الناس معطوفا على ماقبله بل يجعله مبتدأ محذوف الخبر او فاعل فعل مضمر وتقدير الآية ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الاوّل بمعنى الانقياد والثانى بمعنى العبادة والطاعة ﴿ قوله وان يعطف به ﴾ اى ويجوز ان يكون قوله وكثير حق عليه العذاب موصوفا وصفة عطف به على ماقبله ويكون العامل فى جميع المعطوفات السجود بالمعنى العام وماذكر من ان تخصيص الكثير بالذكر يكون لغوا حينئذ فالجواب عنه ان ذكر الكثير ليس لتخصيص الحكم بهم وتفيه عما عداهم حتى يكون لغوا باطلا بل المراد بذكره تفصيل الناس الى من هو ساجد بذاته وبظاهره والى من هو ساجد بذاته متمرد بظاهره وبيان ان الكل ساجد له تعالى بالمعنى العام ﴿ قوله وقرئ حق بالضم ﴾ فان حق يستعمل لازما

(هذان خصمان) اى فوجان مختصمان ولذلك قال (اختصموا) حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون (فى ربهم) فى دينه او فى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبيا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت (فالذين كفروا) فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت لهم) قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف (ثياب من نار) نيران تحيط بهم احاطة الثياب (يصب من فوق رؤسهم الحميم) حال من الضمير فى لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار (يصهر به ما فى بطونهم والجلود) اى يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم تأثيره فى ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير (ولهم مقامع من حديد) سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اى يكف بعنف (كلما ارادوا ان يخرجوا منها) من النار (من غم) من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار (اعيدوا فيها) اى فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها (و ذوقوا) اى وقيل لهم ذوقوا (عذاب الحريق) النار البالغة فى الاحراق (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار) غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بان احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم (يحلون فيها) من حليت المرأة اذا البستها الحلى وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد (من أساور) صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهى جمع سوار (من ذهب) بيان له (ولؤلؤ) عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك ابو بكر والسوسى عن ابى عمرو الهمزة الاولى وقرئ لؤلو بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلبت الثانية ياء ولوليا بقلبهما ياءين ولول كادل (ولباسهم فيها حرير) غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل (وهدوا الى الطيب من القول) وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده او كلمة التوحيد (وهدوا الى صراط الحميد) المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطى ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضى

ومتعديا يقال حققت الشئ بمعنى اثبته وحق الشئ اى ثبت ثم انه تعالى بين ان الناس قسمان منهم من يسجد ومنهم من حق عليه العذاب ولا شك ان طريق الفريقين يستلزم بيان الاختصام بينهما فذكر الله تعالى كيفية اختصامهما فقال هذان خصمان ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون الخصم صفة لموصوف مفرد اللفظ مجموع المعنى كالفوج والفريق وكان قوله خصمان فى معنى فوجان مختصمان وكان كل فوج جماعة متكثرة صح اسناد اختصموا الى ضمير الجمع كما فى قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فثنى قوله هذان اعتبارا للفظه ولو عكس جاز كما جاز اعتبار المعنى فقط بان قيل هؤلاء خصمان اختصموا واعتبار اللفظ بان قيل هذان خصمان اختصما ﴿ قوله نيران تحيط بهم احاطة الثياب ﴾ يعنى ان قوله تعالى ثياب مستعار للنيران التى يقطعها الله تعالى ويلبسها لهم على مقادير جثثهم تشبيها لها بالثياب الملبوسة فى احاطة البدن ﴿ قوله تعالى يصهر به ﴾ اى يذاب يقال صهرت الشئ فانصهر اى اذبته فذاب فهو صهير اذا ذاب روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لو سقطت قطرة من الحميم الذى يصب على رؤس اهل النار على جبال الدنيا لاذابتها وعن الحسن رضى الله تعالى عنه قال ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى اعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وفى الحديث الشريف « لو وضعت مقمعة منها فى الارض فاجتمع الثقلان ما اقلوها » ﴿ قوله النار البالغة فى الاحراق ﴾ اشارة الى ان الحريق بمعنى المحرق كالسميع بمعنى المسمع والعدول الى صيغة الفعيل للدلالة على المبالغة ﴿ قوله غير الاسلوب ﴾ فانه من تمام فصل الخصومة مقابل لقوله تعالى فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار فالاسلوب المناسب له ان يقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات اعدت لهم جنات ﴿ قوله صفة مفعول محذوف ﴾ اى يحلون فيها حليا كائنا من اساور او ملبوسا كائنا من اساور وقيد بحث لان حليت وحليت مشددا ومخففا بمعنى واحد لا يتعدى شئ منهما الا الى مفعول واحد يقال حليت المرأة احليها حليا وحليتها تحلية اذا جعلت لها حليا فكيف يقدر ليحلون مفعول منصوب الا ان يجعل يحلون بمعنى يلبسون والظاهر ان يجعل من ابتدائية متعلقة بيحلون ﴿ قوله الا ان يراد المرصعة ﴾ على ان يكون المعنى ان الاساور قد تكون متخذة من الذهب وحده ومن اللؤلؤ وحده الا ان اتخاذ السوار من اللؤلؤ وحده غير معهود وانما يجوز عطفه على ذهب على ان يكون المعنى من اساور منهما بان يرصع اللؤلؤ فى الذهب وظاهر ان السوار قد يتخذ من اللؤلؤ وحده وينضم بعضه الى بعض غاية ما فى الباب انه لا يكون ذلك معهودا فى زمان المفسرين وقرأ نافع وعاصم بنصب لؤلؤا والباقون بجره وقد ذكر المصنف رحمه الله عليه وجه كل واحد منهما واختلف فى رسم هذه اللفظة فى الامام فنقل الاصمعى رحمه الله تعالى عليه انها فى الامام لؤلؤ بغير الف بعد الواو ونقل الجحدرى انها ثابتة فى الامام بعد الواو وقرأ حفص عن عاصم لؤلؤ بهمزتين وروى ابو بكر عنه ايضا لؤلو بقلب الهمزة الثانية واوا وقرئ لوليا بالواو اولا وبالياء آخرا والاصل لؤلؤا بهمزتين ابدلت كل واحدة منهما واوا فصار آخر الاسم المتمكن واوا قبلها ضمة وهو غير معهود فى كلام العرب الا فى كلمة هو فتعمل فيها ما فعل بادل جمع دلو بان قلبت الواو ياء والضمة كسرة وفعل هذا من قرأ ايضا ليليا بياءين ثم اتبع الواو الاولى للثانية فى القلب وقرئ ولول بالجر عطفا على المجرور قبله والاصل لؤلؤ ابدلت الهمزتان واوين ثم اعل اعلال ادل بان قلبت ضمة اللام كسرة والواو ياء ثم اعل اعلال قاض ﴿ قوله غير اسلوب الكلام ﴾ يعنى الظاهر ان يقال ولؤلؤا وحريرا بجر اللفظين او نصبهما على طريق عطف المفرد على المفرد الا انه عدل عنه الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والثبات ﴿ قوله او للمحافظة على هيئة الفواصل ﴾ فانه لو قيل وحريرا بالنصب لم تكن هيئة الكلمة على هيئة الحديد والحريق والحميد حال الوقف بخلاف ما لو قيل وحرير بالجر فانه لا تفوت محافظة هيئة الفواصل حينئذ فهذا التعليل انما يتم ان لو قرئ وحريرا بالنصب دون الجر ﴿ قوله وهو الجنة ﴾ اى المحمود نفسه الجنة والمحمود عاقبته الحق كانه قيل وهدوا الى صراط الجنة التى هى المحمودة نفسها او الى صراط الحق المحمود عاقبته او الى صراط الله تعالى المستحق لذات الحمد ثم انه تعالى لما فصل الخصومة بين المؤمنين والكفار ذكر عظم حرمة البيت وعظم كفر هؤلاء فقال تعالى ان الذين كفروا قيل نزلت فى ابى سفيان واصحابه حين صدوه عليه الصلاة والسلام عام الحديبية عن البيت فكره صلى الله عليه وسلم قتالهم وهو محرم ثم صالحوه على ان يعود فى العام القابل ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكون قوله يصدون لا يقصد به الدلالة على زمان معين من حال او استقبال وانما يراد به مجرد الاستمرار فكانه قيل ان الذين كفروا من شأنهم الصد عن سبيل الله ومثله قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب

حسن عطفه على الماضي ﴿ قوله وقيل هو حال من فاعل كفروا ﴾ لم يرض به لان الجملة الحالية اذا كانت فعلية وكان الفعل مضارعا مثبتا امتنع دخول الواو عليه قال تعالى ولا تمنن تستكثر اى لاتعط حال كونك تعدّ ماتعطيه كثيرا ورد منه على قلة كقول بعض العرب قمت واصك وجهه * وقول من قال فلما خشيت اظافيرهم * اى اسلحتهم * نجوت وارهنهم مالكاه * مؤوّل بحمل الكلام على حذف المبتدأ اى وانا اصك وانا ارهنهم فلا يحمل عليه القرآن العظيم وعلى القولين خبران محذوف لدلالة آخر الآية عليه فظاهر كلام المصنف رحمه الله عليه يدل على ان موضع تقديره بعد قوله عن سبيل الله وتقدير الخبر قبل تمام الاسم بمتعلقاته لايخلو عن بعد وقد قدره صاحب الكشاف بعد قوله تعالى والمسجد الحرام وقيل انه يستلزم الفصل بين الصفة والموصوف باجنبيّ وهو خبر انّ لان قوله الذي جعلناه صفة المسجد الحرام فيصير نظم التركيب هكذا ان الذين كفروا ويصدّون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب اليم الذي جعلناه للناس فالظاهر ان موضع التقدير بعد قوله تعالى والباد ولم يختر الزمخشري عفا الله تبارك وتعالى عنه ان يجيب عما يتوجه اليه من الاعتراض بان يقول لانسلم ان قوله الذي جعلناه صفة المسجد حتى يلزم ما ذكر بل هو مقطوع عنه منصوب بتقدير اعنى او مرفوع بتقدير هو ﴿ قوله وأوّله الحنفية بمكة ﴾ وقالوا المراد من المسجد الحرام الحرم كله كما في قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وقد اسرى به من بيت ام هانى واستدلوا على ان اراضي مكة لاتملك بهذه الآية وقالوا انها لو ملكت لما استوى العاكف فيها والبادي فلما استويا ثبت ان سبيلها سبيل المسجد واستدلوا عليه ايضا بقوله عليه الصلاة والسلام مكة مناخ لمن سبق اليها وقال الامام الشافعي رحمه الله عليه يجوز بيع دور مكة واجارتها وقال قوله سواء العاكف فيه والباد المراد به استوآؤهما في تعظيم حرمته وقضاء النسك فيه واليه اشار المصنف بقوله وهو مع ضعفه ووجه الضعف انه لايلزم ان يكون المراد بقوله سواء التساوي في الانتفاع بمنازل مكة ودورها لجواز ان يراد به الاستوآء في تعظيمه والعبادة فيه بمعنى انه ليس للمقيم ان يمنع من العبادة فيه البادي وبالعكس ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام * يابني عبد المطلب من ولي منكم من امور الناس شيأ فلا يمنعنّ احدا طاف بهذا البيت او صلى فيه ساعة من ليل او نهار * واحتج الامام الشافعي رحمه الله تعالى عليه على من لا يرخص في كرآء دور مكة وبيعها بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم فقال اضاف الديار الى مالكها او الى غير مالكها وبقوله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة * من اغلق بابه فهو آمن * وقال اشترى عمر بن الخطاب دار السجن اترى انه اشتراها من مالكها او من غير مالكها قرأ الجمهور سوآء بالرفع وقرأ حفص عن عاصم بالنصب ووجه الرفع كونه خبرا مقدما والعاكف والبادي مبتدأ مؤخرا وانما وحد الخبر وان كان المبتدأ شيئين لان سوآء في الاصل مصدر وصف به والجملة الاسمية في محل النصب على انها مفعول ثان لجعلنا بمعنى صيرنا وقوله تعالى للناس متعلق بمحذوف على انه حال من مفعول جعلنا اى جعلناه حال كونه معبدا للناس سوآء العاكف فيه ﴿ قوله والا ﴾ اى وان يكن للناس حالا من العائد جعل مفعولا ثانيا لجعلناه ويكون جملة سوآء العاكف حالا منه اى من عائد الموصول والوجه في انتصاب سوآء كونه مفعولا ثانيا او حالا من هاء جعلناه وللناس هو المفعول الثاني وعلى التقديرين فالعاكف مرفوع به على الفاعلية لانه مصدر وصف به وهو في حكم اسم الفاعل المشتق تقديره جعلناه مستويا فيه العاكف ﴿ قوله مما ترك مفعوله ﴾ والتقدير ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم وقوله وقرئ بالفتح اى بفتح الياء اى من اتى فيه بالحاد ظلما على ان الباء للتعدية ﴿ قوله واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة ﴾ المباءة اسم مكان من باء بمعنى رجع واصل التبوّء جعل المكان مباءة ومقرا ومعناه ههنا جعله لابراهيم عليه الصلاة والسلام مكان البيت مباءة اى مرجعا يرجع اليه للعبادة والعمارة وعن الزجاج رحمه الله عليه بوّأناه ههنا اى بيّناه ههنا مكان البيت ليبنيه ويكون مباءة ولعقبه يرجعون اليه ويحجونه لانه رفع زمان الطوفان فبعث الله تعالى بان ارسل ريحا جوبيا فكشفت الاساس القديم الا انه لما كان المقصود من التبيين والتعيين ان يتخذه مقرا ومباءة اتبعه المصنف رحمه الله تعالى عليه قوله وجعلناه له مباءة ولما كان منقولا من باء بمعنى رجع لقصد التعدية كان الظاهر ان يقال واذ بوّأنا ابرهيم بدون اللام واشار المصنف رحمه الله عليه بقوله وجعلناه له مباءة الى ان مكان البيت مفعول به لبوّأنا وان ايراد اللام مبني على تضمين بوّأنا معنى جعلنا ولم يرض المصنف رحمه الله عليه بقول من قال اللام زآئدة في المفعول به ومكان البيت ظرف لما تقرّر من ان اللام انما تزاد اذا تقدّم

(المعمول)

وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبران محذوف دل عليه آخر الآية اى معذبون (والمسجد الحرام) عطف على اسم الله واوّله الحنفية بمكة واستشهدوا بقوله (الذي جعلناه للناس سوآء العاكف فيه والباد) اى المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشرآء عمر دار السجن فيها من غير نكير وسوآء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والا فحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس (ومن يرد فيه) مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود (بالحاد) عدول عن القصد (بظلم) بغير حق وهما حالان مترادفان او الثاني بدل من الاوّل باعادة الجار وصلة له اى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام (نذقه من عذاب اليم) جواب لمن (واذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت) اى واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زآئدة ومكان ظرف اى واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان فأعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه القديم

المعمول وكان العامل فرعا وشئ منهما غير متحقق ههنا ولان مكان البيت ظرف فحقه ان يتعدى الفعل اليه بكلمة فى * روى ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة اياها قبل آدم وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت الى السماء ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام روى انه تعالى لما امر ابراهيم ببناء البيت لم يدر اين يبنى فارسل الله تعالى اليه السكينة وهى ريح خجوج فطوقت موضع البيت كالحجفة فكشفت البيت اى ماحول البيت واظهرت الاساس القديم فبناها عليه الصلاة والسلام على اسها القديم والمرة الثالثة بناء قريش فى الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء وكان عليه الصلاة والسلام يومئذ رجلا شابا فلما ارادوا ان يرفعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فارادت كل قبيلة ان تتولى رفعه ثم توافقوا على ان يحكم بينهم اول رجل يخرج من هذه السكة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من خرج فقضى بينهم ان يجعلوه فى مرط ثم يرفعه جميع القبائل كلهم فرفعوه ثم ارتقى عليه الصلاة والسلام فرفعوه اليه فوضعه فى مكانه وكانوا يدعونه الامين قيل بناء الكعبة قبل المبعث بخمس عشرة سنة والمرة الرابعة بناء عبدالله بن الزبير والخامسة بناء الحجاج وهو البناء الموجود اليوم ﴿ قوله من حيث انه تضمن معنى تعبدنا ﴾ جواب عما يقال كيف يكون النهى عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا لبوّأنا وليس فيه معنى القول * وتقرير الجواب ان فيه معنى القول من حيث انه لايقصد الامر اجل العبادة فكأنه قيل تعبدنا ابراهيم فقلنا له لاتشرك بى شيأ والتعبد فيه معنى القول لان تعبد الشخص عبارة عن تصييره كالعبد له فى التكليف بالامر والنهى فكأنه قيل كلفنا ابراهيم ان لاتشرك بى شيأ الخ ﴿ قوله او مصدرية ﴾ ولايجوز ان تكون مخففة من الثقيلة لان صلة المخففة لاتكون امرا ولانهيا ولاغيرهما مما فيه معنى الطلب اجماعا وكذا صلة المصدرية على الاشهر واجاز سيبويه رحمة الله عليه ان يكون صلة المصدرية ذلك نحو امرته ان اقرأ وامرته ان قم اى بان قم على معنى بالقيام فالمصدرية التى تنصب المضارع توصل بالفعل الماضى والمضارع والامر والنهى عنده فكلمة ان فى الآية الكريمة يجوز ان تكون مصدرية موصولة بالنهى مجرورة المحل بلام علة مقدرة متعلقة بمحذوف والمعنى فعلنا ذلك لئلا تشرك كما كان قولك امرته أن قم بمعنى امرته بان يقوم الا ان الظاهر على هذا الوجه ان يقال ان لايشرك بياء الغيبة وقد قرئ به ووجه قرآءة العامة بالتاء ان يكون الكلام من قبيل الالتفات من الغيبة الى الخطاب فظهر مما ذكرنا انه يجوز ان تكون كلمة ان فى الآية مصدرية ناصبة مع كون لاتشرك مجزوما بلا الناهية وكان المعنى بوّأنا له مكان البيت وفعلنا ذلك لئلا يجعل لى شريكا فى العبادة ﴿ قوله ولعله عبر عن الصلاة باركانها ﴾ وهى القيام والقرآءة والركوع والسجود واختار ان القائمين هم المصلون لان المصلى لابد ان يكون فى صلاته جامعا بين القيام والركوع والسجود وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال المراد بالقائمين المقيمون بالبيت فيكون المراد بالطائفين من يطوف به وهو آفاقى غير مقيم هناك ﴿ قوله وقرئ آذن ﴾ اى بالمد وتخفيف الذال بمعنى اعلم ويبعده قوله فى الناس اذ كان ينبغى حينئذ ان يقال آذن الناس بدون فى لانه يتعدى بنفسه وذهب اكثر المفسرين الى ان المأمور بالنداء هو ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقالوا انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء البيت قال له الله تعالى اذن فى الناس بالحج قال يارب ومايبلغ صوتى قال الله تعالى عليك الاذان وعلىّ البلاغ فصعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام على الصفا وفى رواية على جبل ابى قبيس وفى اخرى على المقام فارتفع حتى صار كطول الجبال فادخل اصبعه فى اذنيه واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس الا ان ربكم قد بنى لكم بيتا وكتب عليكم الحج اليه فأجيبوا ربكم وحجوا بيته الحرام ليثيبكم به الجنة ويجيركم من النار فسمعه اهل مابين السماء والارض فمابقى شئ سمع صوته الا اقبل يلبى ويقول لبيك اللهم لبيك فقيل اول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وقال مجاهد رضى الله تعالى عنه من اجاب مرة حج مرة ومن اجاب مرتين حج مرتين او اكثر على وفق ذلك المقدار ﴿ قوله تعالى رجالا ﴾ نصب على الحال وعلى كل ضامر عطف عليها كأنه قيل رجالا وركبانا والضمر الهزال يقال ضمر يضمر ضمورا وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول * ان للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعين حسنة وللحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم * قيل وما حسنات الحرم قال صلى الله عليه وسلم الحسنة بمائة الف حسنة * وقال مجاهد رضى الله عنه حج ابراهيم واسمعيل ماشيين وكانا اذا قربا من الحرم خلعا نعالهما

(أن لاتشرك بى شيأ وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) ان مفسرة لبوّأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهى اى فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتى وتطهير بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعله عبر عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء (وأذن فى الناس) ناد فيهم وقرئ آذن (بالحج) بدعوة الحج والامر به روى انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا أيها الناس حجوا بيت ربكم فأسمعه الله من فى اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك فى حجة الوداع (يأتوك رجالا) مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى (وعلى كل ضامر) اى وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله

والكاف في يأتوك ضمير ابراهيم عليه الصلاة والسلام فان من اتى الى الكعبة حاجا فانه قد اتى ابراهيم عليه الصلاة والسلام لانه يجيب نداءه وتون يأتين ضمير كل ضامر لانه في معنى الجمع اذالمعنى على ضوامر من جماعة الابل ﴿ قوله او استئناف ﴾ عطف على قوله صفة لضامر لماقال او لا واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا استأنف فقال يأتين من كل فج عميق وقوله تعالى ليشهدوا يجوز ان تعلق بقوله واذن وان تعلق بقوله يأتوك رجالا واختلفوا في المنافع فحملها بعضهم على منافع الدنيا وهو ان يتجروا في ايام الحج وحملها بعضهم على منافع الآخرة وهو العفو والمغفرة وبعضهم حملها على الامرين جميعا وهو الاول ﴿ قوله وقيل كنى بالذكر من النحر ﴾ لكون الذكر من لوازم نحر المسلمين وهو معطوف على ماقبله من حيث المعنى فانه اختار ان قوله ويذكروا اسم الله لم يذكر لينتقل منه الى اللزوم واعاذكر ليدل على ايجاب الذكر عند اعداد الهدايا والضحايا وحمل الذكر على التسمية على الذبائح مع ان غيرذى الحجة يكثر فيها ذكر الله تعالى بالتلبية والتكبير لانه ذكر بعده على مارزقهم من بهيمة الانعام والذكر على الانعام هو التسمية على نحرها قال الحسن رضى الله تعالى عنه وقتادة ومجاهد الايام المعلومات هى ايام العشر من ذى الحجة قيل لها معلومات للحرص على علمها بحسابها لكون الحج في آخرها والايام المعدودات هى ايام التشريق وهو اختيار الامام الشافعى رضى الله عنه وابى حنيفة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في رواية عنه ان الايام المعلومات هى ايام الحج وهى يوم عرفة ويوم النحر وايام التشريق وقيل هى ايام النحر وهو قول ابى يوسف ومحمد رضى الله عنهما تصريحا بماذكر بعده وهو قوله تعالى على مارزقهم من بهيمة الانعام والذكر على الانعام يدل على التسمية على الذبائح والجواب من هذا لمن قال بالاول ان اليوم العاشر منها من ايام النحر وهو افضلها وكلة في لمطلق الظرفية فلا تقتضى الاستغراق والبهيمة اسم لكل ذات اربع في البر والبحر فبهيمة الانعام هى الابل والبقر والضأن والمعز لان الهدى والذبيحة لايكونان من غيرها ﴿ قوله وازاحة لماعليه اهل الجاهلية ﴾ فانهم ماكانوا يأكلون من ذبائحهم ترفعا على الفقرآء فاعلم الله تعالى ان ذلك جائز ان شاء اكل وان شاء لم يأكل وقيل امر ندب لمافيه من مخالفة الكفار ومواساة الفقرآء واستعمال التواضع والبائس هو الذى اصابه بؤس اى شدة والفقير الذى اضعفه الاعسار وهو مأخوذ من فقار الظهر وقيل البائس الشديد الفقر والفقير المحتاج الذى ليس له غنى وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما البائس الذى ظهر بأسه في ثيابه وفى وجهه والفقير الذى لايكون كذلك بل تكون ثيابه نقية ووجهه وجه غنى واتفق العلماء على ان الهدى ان كان تطوعا كان للمهدى ان يأكل منه وكذلك اضحية التطوع لماروى انه عليه الصلاة والسلام ساق في حجة الوداع مائة بدنة فنحر منها ثلاثا وستين بدنة بنفسه ونحر على رضى الله عنه مابقى ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر ففعل ذلك وطبخت فأكل من لحمها وحسا مرقها وكان هدى تطوع واختلفوا في الهدى الواجب مثل دم التمتع والقران والنذور والكفارات والدماء الواقعة جبرا للنقصان والذى وجب بافساد الحج وفواته وجزآء الصيد هل يجوز للمهدى ان يأكل شيأ منها فذهب قوم الى انه لايجوز للمهدى ان يأكل شيأ منها ومنهم الامام الشافعى رحمة الله عليه وذهب الائمة الحنفية الى ان يأكل من دم التمتع والقران لكونهما دم الشكر لادم الجناية ولايأكل من واجب سواهما ﴿ قوله ثم ليزيلوا وسخهم ﴾ يريد ان التفث هو الوسخ يقال للرجل ماتفثك وماد رنك اى ماوسخك وان قضاءه ازالته واذهابه فان الحاج اشعث اغبر وكل مايستقذر من الشعث من طول الشعر والظفر ونحوهما تفث فيزيل جميع ذلك عند مبدأ الاحلال والخروج من الاحرام فيحلق رأسه ويقص شاربه ويقلم اظفاره وينتف ابطه ويحلق عانته ويدهن رأسه والمراد بنذورهم ماينذرونه من اعمال البر في الحج فانه اذا حج او اعتمر فقد اوجب على نفسه من الهدى وغيره مالولا ايجابه لم يكن الحج يقتضيه وقيل المراد بها ماوجب الدخول في الاحرام من انواع المناسك التى تجب بالدخول في الحج وسميت نذورا تشبيها للايجاب بطريق الفعل بالايجاب قولا وان كان على الرجل نذور مطلقة فالافضل ان تصدق بها على اهل مكة ﴿ قوله طواف الركن ﴾ اعلم ان طواف الحج ثلاثة الاول طواف القدوم وهو ان من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى ان ينتهى اليه ويمشى اربعا وهذا الطواف سنة لاشئ على تاركه والثانى طواف الافاضة يوم النحر بعد الرمى والحلق ويسمى ايضا طواف الزيارة وهو ركن لايحصل التحلل من الاحرام مالم يأت به وعن عائشة رضى الله عنها

(يأتين) صفة لضامر محمولة على معناه او استئناف فيكون الضمير للناس وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان (من كل فج) طريق (عميق) بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق بمعنى (ليشهدوا) ليحضروا (منافع لهم) دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة (ويذكروا اسم الله) عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لاينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله (في ايام معلومات) هى عشر ذى الحجة وقيل ايام النحر (على مارزقهم من بهيمة الانعام) علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر (فكلوا منها) من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لماعليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقرآء ومساواتهم وهذا في المتطوع به دون الواجب (واطعموا البائس) الذى اصابه بؤس اى شدة (الفقير) المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به في الاول (ثم ليقضوا تفثهم) ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال (وليوفوا نذورهم) ماينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرأ ابو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء (وليطوفوا) طواف الركن الذى به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع (بالبيت العتيق) القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه

قالت حاضت حفصة يوم النفر فقالت ما اراني الا حابستكم فاخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أطافت يوم النحر فقيل نعم فقال فلتنفروا فثبت بهذا انها ان لم تطف يوم النحر طواف الافاضة فلا يجوز لها ان تنفر والطواف الثالث لا رخصة لمن اراد مفارقة مكة الى مسافة القصر في ان يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعا فمن تركه فعليه دم الا المرأة الحائضة فانه يجوز لها ترك طواف الوداع ثم ان الرمل يختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الافاضة والوداع ﴿قوله اى الامر ذلك﴾ اى الذى ذكر من قوله تعالى واذ بوّأنا لابراهيم مكان البيت الى قوله تعالى وليطوّفوا بالبيت العتيق فان هذه الآيات مشتملة على الاحكام المأمور بها والمنهى عنها ﴿قوله احكامه﴾ اى احكام الله تعالى المتعلقة بافعال المكلفين بالايجاب والتحريم ونحوهما وسائر ما لا يحل هتكه من نحو البيت الحرام والمسجد الحرام ونفس الحرم والاحرام والهتك خرق الستر عما وراءه والحرمة بهذا المعنى تم جميع ما لا يحل هتكه وقد تخص بالحرم وجميع التكاليف المتعلقة بالحج وقد تخص بالحرمات الخمس التى من جملتها الحرم حتى يحل والحرمة بهذا المعنى وان كانت اخص من الحرمة بالمعنى الاوّل الا انها اعم من الحرمة بالمعنى الثالث وهو ما ليس من قبيل التكاليف المذكورة ﴿قوله عند ربه﴾ يدل على الثواب المؤخر لانه لا يقال عند ربه فيما حصل من الخيرات ﴿قوله الا المتلوّ عليكم تحريمه﴾ اشارة الى ان ما موصولة وان ما يسند اليه يتلى محذوف وان الاستثناء متصل لكون المستثنى منه عبارة عما حرّم من الانعام ولاشك فى دخوله فى المستثنى منه قبل الاستثناء قال الله تعالى فى سورة المائدة حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وقال تعالى فى اوّلها احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ولما جاز ان يذهب الوهم الى ان الاحرام اذا حرّم الصيد المباح قبله فانه يحرّم الانعام ايضا بين الله تعالى ان الاحرام لا يحرّم الانعام فهى محللة للمحرم كما تحل لغيره ثم استثنى منه ما حرم لعارض وفرّع الامر باجتناب الاوثان وقول الزور على قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله مع كون الاجتناب عنهما داخلا فى تعظيم حرماته للتنبيه على ان التوحيد وصدق القول من اعظم الحرمات وجمع الشرك وقول الزور فى سلك واحد لان الشرك من باب الزور بل هو رأس الزور فان المشرك زعم ان الوثن يحق له العبادة وكان اهل الجاهلية يقولون فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا لك تملكه وما ملكه فكأنه قيل فاجتنبوا عبادة الاوثان التى هى رأس الزور واجتنبوا قول الزور كله ولا تقربوا شيأ منه فانك بشئ من قبيل عبادة الاوثان واشار المصنف رحمه الله تعالى عليه الى وجه ارتباط قوله تعالى واحلت لكم الانعام وقوله فاجتنبوا الى قول الزور بقوله كأنه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه قوله واحلت لكم الانعام ردّا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب واتبعه بقوله ايضا فاجتنبوا الرجس من الاوثان واتبعه بقوله تعالى واجتنبوا قول الزور ردّا لافترائهم على الله تعالى بانه حكم بذلك ﴿قوله وقيل شهادة الزور﴾ عطف على قوله تعميم بعد تخصيص فانه يدل على ان المراد بالقول الزور ما يعم كل قول منحرف مصروف عن الواقع سواء كان من قبيل الشهادة او لا روى انه صلى الله عليه وسلم صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل بوجهه الكريم وقال الزور الاشراك بالله ثلاث مرات وتلا صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿قوله طوّح به﴾ اى جعله تائها يرمى به ههنا وههنا قال الجوهرى طوّحه اى توهه وذهب به ههنا وههنا وتطوّح فى البلاد اى رمى بنفسه ههنا وههنا ﴿قوله ويجوز ان يكون من التشبيهات﴾ عطف على ما قبله من حيث المعنى فان معنى ما ذكره اوّلا يدل على انه من قبيل التشبيه المفرق حيث اشار الى ان كل واحد من طرفى المشبه والمشبه به امور متعددة شبه كل واحد مما فى طرف المشبه بكل واحد مما فى طرف المشبه به فالذى فى طرف المشبه هو الايمان والشرك والاهواء والشيطان والذى فى طرف المشبه به السماء والساقط من السماء والطير المختطفة والريح شبه الايمان فى علوه بالسماء وشبه المشرك المتمكن من الايمان والقادر عليه بفطرته الاصلية بالذى صعد الى السماء وسقط منها وشبه الاهواء التى توزع افكاره بالطير المختطفة وشبه الشيطان الذى توّهه فى اودية الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة ثم جوّز ان يكون من التشبيهات المركبة ومعنى كون التشبيه مركبا ان يقصد الى عدة اشياء مختلفة فينتزع منها هيئة منتزعة ويجعلها مشبها او مشبها به ولهذا صرح صاحب المفتاح فى تشبيه المركب بالمركب بان كلا من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة كما فى الآية

(ذلك) خبر محذوف اى الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين (ومن يعظم حرمات الله) احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم (فهو خير له) فالتعظيم خير له (عند ربه) ثوابا (واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم) الا المتلوّ عليكم تحريمه وهو ما حرّم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرّموا منها غير ما حرّمه الله كالبحيرة والسائبة (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة فى النهى عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها (واجتنبوا قول الزور) تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك ردّا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع (حنفاء لله) مخلصين له (غير مشركين به) وهما حالان من الواو (ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء) لانه سقط من أوج الايمان الى حضيض الكفر (فتخطفه الطير) فان الاهواء الردية توزع افكاره وقرأ نافع بفتح الخاء وتشديد الطاء (او تهوى به الريح فى مكان سحيق) بعيد فان الشيطان قد طوّح به فى الضلالة وأو للتخيير كما فى قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين

ان كان من قبيل التشبيه المركب بان جعل المشبه المشرك بالله تعالى والمشبه به من خرّ من السماء فهلك اختطفته الطير وعصفت به الريح في مكان سحيق فكلا طرفي التشبيه مركب اما المشبه به فظاهر واما المشبه فلأن المشرك من ترك الايمان بالله تعالى واشرك به ه فان قلت ينبغى ان تكون السماء والطير والريح استعارة للاكتفاء فيها بذكر المشبه به ه قلت قد دخلت اداة التشبيه في مجموع قوله خرّ من السماء والاستعارة انما تكون اذا كان الكلام خاليا عن اداة التشبيه ﴿قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ اى الامر والشان ماذكر من ان تعظيم حرمات الله تعالى خير وان الاجتناب عما ذكر من الاشراك وقول الزور امر حتم لامحيص عنه واعراب ذلك هنا كاعراب ذلك المتقدم والشعائر جمع شعيرة وهى العلامة من الاشعار وهو الاعلام والشعور العلم واختلف في شعائر الله قال بعضهم يدخل فيه كل عبادة يتقرب بها الى الله تعالى كصيام ودعاء وذبيحة وطواف ورمى لان كل ذلك من اعلام دينه تعالى ويؤيد هذا القول قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله بمن التبعيضية وقيل المراد به العبادة المتعلقة بالحج ومواضع نسكه فان كل ذلك اعلام الحج وقيل المراد به الهدى خاصة وتسمى البدن شعيرة من حيث انها تشعر بان تطعن في سنامها من الجانب الايمن والايسر حتى يسيل الدم فيعلم انها هدى فلا يتعرض لها احد فهى من جملة معالم الحج بل من اشهرها واشهرها علامة وهذا القول اوفق لظاهر قوله تعالى لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق فان ظاهره يدل على ان الهدى ان ينتفع بهديه الى وقت النحر بان يركبها اذا احتاج اليها ويشرب لبنها ويأخذ وبرها وان امكن ان يكون المعنى لكم فيها منافع الى اجل ينقطع التكاليف عنده والبرة الحلقة التى تكون في انف البعير والنجيبة الناقة الكريمة ه روى ان عمر رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيع تلك النجيبة ويشترى بثمنها بدنة فنهاه عن ذلك فقال بل اهدها وكان ابن عمر يسوق البدنة مجللة بالقباطى اى بالثياب القبطية وهى ثياب بيض رقاق من كتان تجلب من مصر فيتصدق بجلالها والقبط اهل مصر ﴿قوله فحذفت هذه المضافات والعائد الى من﴾ هذه العبارة تقتضى ان يكون التقدير فان تعظيمها منه من افعال ذوى تقوى القلوب بزيادة كلمة منه ولم اجد تلك فيما عندى من النسخ ولعلها سقطت من الناسخين اذلابد منها بناء على ان الجملة الجزائية لابد من اشتمالها على مايربطها باسم الشرط وقيل عموم ذوى تقوى القلوب يغنى غناء الضمير فهو المراد بقوله والعائد الى من غاية مافى الباب انه تعرض لحذفه بهذه العبارة مع دخوله في جملة المضافات المحذوفة لتنبيه على انه احتاج الى تقديره لفائدتين احداهما فائدة الربط والاخرى فائدة تعيين اصحاب الافعال فان المقام يقتضى تقدير كل واحد من المضافات المقدرة مع قطع النظر عن فائدة الربط اما الحاجة الى تقدير التعظيم المضاف الى ضمير الشعائر فلأن المقصود من ايجاد الجملة الشرطية الحث على تعظيم الشعائر والتحريض عليه واما الحاجة الى تقدير المضافين الاخيرين فلأن المعنى ان تعظيمها بعض افعال ذوى التقوى فان التقوى في عرف الشرع عبارة عن التوقى عن كل مايؤثم من ارتكاب المحرمات وترك الواجبات ولم يتوق عن شئ منها لايكون متقيا عرفا ضرورة ان الكل ينتفى بانتفاء الجزء اى جزء كان وليس المعنى ان تعظيمها صادر وناشئ من تقوى القلوب حتى يرد مايقال وماذكر من تقدير المضافات انما يحتاج اليه على تقدير ان يحمل كلمة من على التبعيض فانها ان جعلت للابتداء لم يحتج الى تقدير الالفاظ المذكورة اذ المعنى فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب اى من تقوى قلوبهم على ان اللام بدل من المضاف اليه على ماذهب اليه الكوفيون فلما كان الالف واللام بدلا من الضمير حصل الربط وتم المعنى ﴿قوله لكم فيها﴾ اى في الشعائر التى هى الهدايا المشعرة لتعرف انها هدى منافع دنيوية الى ان تنحر عند الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه فانه جوّز للمهدى ان ينتفع بلبن الهدى وصوفه ووبره وركوب ظهره الى ان تنحره وذهب اكثر المفسرين الى ان المهدى انما يجوز له ذلك قبل ان يسميها هديا ويقلدها فاذا سماها هديا انقطعت المنافع بعد ذلك وهو قوله تعالى الى اجل مسمى فان المهدى لو ملك منافع الهدى لجوّز له ان يؤجرها للركوب وليس له ذلك اتفاقا وفيه ان مولى ام الولد يملك الانتفاع بها وليس له ان يبيعها فلم لايجوز ان يكون المهدى كذلك لايملك المهدى بعدم اجارته ويملك ان ينتفع به ﴿قوله ثم وقت نحرها منتهية الى البيت﴾ اشارة الى ان المحل اسم زمان بتقدير المضاف بمعنى وقت نحرها اى وقت حلول نحرها ووجوبه لان المحل مشتق من حل الدين اذا وجب ومحلها معطوف على قوله منافع والى ان قوله تعالى الى البيت حال من ضمير فيها والعامل في الحال الاستقرار الذى تعلق به كلمة في

(ذلك ومن يعظم شعائر الله) دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر مابعده وتعظيمها ان يختار حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه عليه الصلاة والسلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان عمر رضى الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار (فانها من تقوى القلوب) فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما (لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق) اى لكم فيها منافع درّها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت نحرها منتهية الى البيت اى مايليه من الحرم

وثم يحتمل التراخي فى الوقت والتراخي فى الرتبة اى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على الاوّلين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاوّل لكم فيها منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق الذى ترفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثانى لكم فيها منافع التجارات فى الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة (ولكل امة) ولكل اهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا اوقربانا يتقربون به الى الله وقرأ حمزة والكسائى بالكسر اى موضع نسك (ليذكروا اسم الله) دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على ان المقصود من المناسك تذكر المعبود (على مارزقهم من بهيمة الانعام) عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما (فالهكم اله واحد فله اسلموا) اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك (وبشر المخبتين) المتواضعين او المخلصين فان الاخبات صفتهم (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) هيبة منه لاشراق اشعة جلاله عليها (والصابرين على ما اصابهم) من الكلف والمصائب (والمقيمى الصلاة) فى اوقاتها وقرئ المقيمين الصلاة على الاصل (ومما رزقناهم ينفقون) فى وجوه الخير (والبدن) جمع بدنة كخشب وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها فى اجزائها عن سبعة بقوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره (جعلناها لكم) ومن رفع جعله مبتدأ (من شعائر الله) من اعلام دينه التى شرعها الله (لكم فيها خير) منافع دينية ودنيوية (فاذكروا اسم الله عليها) بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك (صواف) قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها وتقوم على ثلاث وصوافيا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافى اى خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء مطلقا كقولهم أعط القوس باريها (فاذا وجبت جنوبها) سقطت على الارض وهو كناية عن الموت

والمعنى ثم بعد تلك المنافع هذه المنفعة العظمى وهى وقت نحرها حال كونهـا منتهية الى البيت العتيق اى الى الحرم الذى فى حكم البيت فان المراد به الحرم كله كما فى قوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا اذ الحرم فى حكم البيت كله فان البيت وما حوله من مكة تنزه عن اراقة دم الهدايا وجعل منى منحرا ولا شك ان الفائدة التى هى اعظم المنافع الدينية فى الشعائر هى نحرها خالصا لله تعالى وجعل وقت وجوب نحرها فائدة عظيمة مبالغة فى ذلك فان وقت الفعل اذا كان فائدة جليلة فما ظنك بنفس الفعل ﴿ قوله وهو على الاوّلين ﴾ اى قوله تعالى لكم فيها منافع الآية على ان يكون المراد بشعائر الله جميع ما يتقرب به الى الله تعالى من معالم الدين وعلى ان يراد به فرائض الحج ومواضع النسك المعلمة بعلامات يستدل بها على الاعمال الواقعة فيها ﴿ قوله متعبدا اوقربانا ﴾ مصدر ان بمعنى التعبد والتقرب اى جعلنا لكل امة نوعا اى ضربا من التعبد والتقرب والمراد به اراقة الدماء لوجه الله تعالى والمعنى شرعنا لكل امة مؤمنة ان ينسكوا لله تعالى يقال نسك ينسك نسكا ونسوكا ومنسكة ومنسكا بفتح السين اذا ذبح القربان وقرئ بكسر السين وهما لغتان فى المصدر والفتح اكثر فيه ويجوز ان يكون بالكسر موضع النسك او وقته ﴿ قوله وفيه تنبيه ﴾ اى وفى تبيين البهيمة باضافتها الى الانعام تنبيه على ان البهائم التى ليست من الانعام كالخيل والبغال والحمير لا يجوز ذبحها فى القرابين ﴿ قوله فان الاخبات صفتهم ﴾ علة لتفسير المخبتين باحد التفسيرين يعنى ان الخبت هو الموضع المطمئن من الارض وحقيقة المخبت من صار فى خبت من الارض تقول اخبت الرجل اذا صار فى الخبت ولما كان الاخبات من لوازم التواضع والاخلاص صح ان يجعل كناية عنهما ﴿ قوله وقرئ المقيمين الصلاة ﴾ باثبات النون ونصب الصلاة على الاصل فان الاصل فى جمع اسماء الفاعلين ثبوت النون ونصب مفعولها وسقوط النون حال اضافتها الى مفعولها لايثار الخفة الا ان قرآءة العامة اسقاط نون المقيمين باضافتها اليها وقرئ بحذف النون ونصب الصلاة بجعل النون مقدرة وكون حذفها لمجرد التخفيف ودفع الثقل الحاصل بسبب طول الصلة وجرّ لفظ الصلاة مع الموصول لا لموجب من اضافة ونحوها كما حذفها الشاعر فى قوله

* الحافظوا عورة العشيرة لا * يأتيهم من ورآئهم نطف *

اى تلطخ عيب والعامة على نصب البدن على الاشتغال ورجح النصب لتقدم جملة فعلية على جملة الاشتغال وتسكين الدال وقرئ بضمها ايضا واختار المصنف رحمه الله تعالى عليه ان الضم هو الاصل وان التسكين تخفيف من المضموم ويحتمل ان يكون السكون ايضا اصلا على ان يكون البدن جمع بادن كبازل والبدنة اسم يقع على الابل والبقر عند ابى حنيفة واصحابه رضى الله عنهم لاشتمالها على البدانة وقيل البدنة فى اللغة اسم للابل خاصة وانما صارت فى الشريعة متناولة للابل والبقر لانه عليه الصلاة والسلام ألحق البقر بالابل فى الاجزآء عن سبعة فلما اخذت البقر حكم الابل اطلق اسم البدنة عليها فى الشريعة لا لكون اللفظ حقيقة لغوية فى كل واحد من الجنسين والمصنف رحمه الله تعالى جعل قوله عليه الصلاة والسلام البدنة عن سبعة دليلا على ان اسم البدنة مختص بالابل ويدل عليه الآية ايضا وقوله تعالى فاذا وجبت جنوبها فان هذا الوصف مختص بالابل لان البقر يضجع ويذبح كالغنم والتى تنحر قائمة هى الابل ﴿ قوله ومن رفع ﴾ اى وقرئ البدن مرفوعا على الابتداء فتكون الجملة التى بعدها فى محل الرفع على الخبرية وقوله تعالى من شعائر الله فى محل النصب على انه مفعول ثان للجعل بمعنى التصيير واضيف الشعائر الى اسم الله تعالى تعظيما لها كبيت الله وقوله تعالى لكم فيها خير حال من مفعول جعلناها ﴿ قوله اللهم منك واليك ﴾ اى عطاء منك وتقرب بها اليك وقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها قيل فيه حذف اى اذكروا اسم الله على نحرها وذبحها ﴿ قوله قائمات ﴾ يعنى ان قوله صواف كناية عن كونها قائمات لان قيام الابل يستلزم ان تصف ايديها وارجلها ﴿ قوله وقرئ صوافن ﴾ الصوافن انما يستعمل فى الخيل لقوله تعالى الصافنات الجياد فيكون استعمالها فى الابل استعارة ﴿ قوله وصوافيا ﴾ بالتنوين اصله صوافيا بالالف فلو وقفت عليه قلت صوافيا وقد تحذف تلك الالف ويعوض عنها التنوين كما فى قوله * اقل اللوم عاذل والعتابن * اصله والعتابا وهذا التنوين يسمى تنوين الترنم وصواف بالكسر والتنوين اصله صوافى فاسكنت الياء على لغة من يسكن الياء مطلقا ثم حذفت اكتفاء بالكسرة مع ثقل الجمع ثم عوض التنوين عنها كما فى جوار رفعا وجرّا ﴿ قوله سقطت على الارض ﴾ يقال وجب الحائط يجب وجبة اذا سقط والمعنى اذا ماتت حل لكم الاكل منها والاطعام وقدمر

(فكلوا منها وأطعموا القانع) الراضى بما عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له فى السؤال (والمعتر) المعترض بالسؤال وقرئ والمعترى يقال عرّه وعراه واعترّه واعتراه (كذلك) مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) مع عظمها وقوتها حتى تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون فى لباتها (لعلكم تشكرون) انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص (لن ينال الله) لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول (لحومها) المتصدق بها (ولا دماؤها) المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهمّ به المسلمون فنزلت (كذلك سخرها لكم) كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله (لتكبروا الله) اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح (على ما هداكم) ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما يحتمل المصدرية والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر (وبشر المحسنين) المخلصين فيما يأتونه ويذرونه (ان الله يدفع عن الذين آمنوا) غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اى يبالغ فى الدفع مبالغة من يغالب فيه (ان الله لا يحب كل خوان) فى امانة الله (كفور) لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضى فعلهم ولا ينصرهم (اذن) رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى على البناء للفاعل وهو الله (للذين يقاتلون) المشركين والمأذون فيه وهو القتال محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اى للذين يقاتلهم المشركون (بأنهم ظلموا) بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهى اول آية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية (وان الله على نصرهم لقدير) وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم (الذين اخرجوا من ديارهم) يعنى مكة (بغير حق) بغير موجب استحقوا به (الا ان يقولوا ربنا الله) على طريقة قول النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * وقيل منقطع

ان هذه التوسعة تختص بهدى التطوع والشكر دون الجناية والكفارة والقانع الذى يقنع بما تيسر ويجلس فى بيته ولا يسأل من القناعة والمعتر الذى يعتريك ويسألك وقيل كلاهما الذى لا يسأل والقانع الذى يرضى بما عنده من الشئ اليسير ولا يسأل والمعتر الذى يتعرض لك او يأتيك بالسلام ويريك وجهه ولا يسألك ﴿قوله او السائل﴾ عطف على قوله الراضى بما عنده وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال القانع السائل الذى يسأل ومصدره قنوع من باب فتح قال الشاعر

العبد حر ان قنع ° والحر عبد ان قنع
فاقنع ولا تقنع فما ° شئ يشين سوى الطمع

﴿قوله قرئ القنع﴾ اى بغير الالف قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه القنع هو الراضى لا غير يعنى ان القنع هو الراضى بما عنده من القناعة لا من القنوع بخلاف القانع فانه مشترك بين المعنيين والكاف فى قوله تعالى كذلك صفة مصدر محذوف اى سخرناها لكم مع عظمها وقدرتها وقوتها تسخيرا مثل ما وصفنا من حالها وقت النحر من كونها صواف او صوافنا يعنى من الله تعالى على عباده بذلك التسخير وطلب الشكر منهم عليه حيث قال لعلكم تشكرون ثم لما بين الله تعالى ان البدن المشعرة والمقلدة من جملة شعائر الدين وامر بذكر اسم الله تعالى على نحرها صواف وبالاكل منها واطعامها بين ان المعتبر فى نحرها ليس مجرد اراقة دمائها واطعام لحومها بل المعتبر ما يصحب ذلك من التقوى التى تدعو الى تعظيم الله تعالى والتقرب اليه والاخلاص له فقد قال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الآية وهذا وجه انتظام الآية بما قبلها وقيل فى وجه انتظامها كان اهل الجاهلية الخ ﴿قوله وقيل هو التكبير الخ﴾ وقيل المراد بالتكبير ههنا الشكر على ما انعم الله تعالى عليهم من الهداية لدينه ومعالم حجه ونسكه والمعنى لتشكروا الله بان تكبروا وتهللوا عند الاحلال او الذبح فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته بعلى وختم الله تعالى افعال الحج بقوله وبشر المحسنين وهم الذين يعبدون الله تعالى كانهم يرونه ويبتغون بذلك فضله ورضوانه لا يحملهم على ما يأتونه ويذرونه الا هذا الابتغاء وامارة ذلك ان لا يستثقل ولا يتبرم بشئ مما فعله او تركه والمقصود منه الحث والتحريض على استصحاب معنى الاحسان فى جميع افعال الحج ونحوه ﴿قوله تعالى ان الله يدفع عن الذين آمنوا﴾ متصل بقوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام لما اوعد الكفرة الذين يصدون عن الجهاد والهجرة والمسجد الحرام وفرع عليه بيان اعمال الحج ومناسكه وما فيه من منافع الدنيا والآخرة انتقل ايضا الى ذكر حال المؤمنين مع الكفرة الذين يصدونهم عن طاعة الله تعالى فقال وبشر المؤمنين باعلائهم على الكفرة واخباره بدفع عنهم غائلة المشركين وعلل ذلك بان الكفار خوانون فى امانة الله تعالى حيث اهلكوا انفسهم بانهم كفروا بالله ورسوله فاى خيانة اعظم منه فان ذكر غير اسم الله تعالى والتقرب الى الاصنام بذبحه لا يكون الا كفرا للنعمة فكيف ينصرهم او يتركهم على ما كانوا عليه من اذى المؤمنين ومن قرأ ان الله يدافع ولولا دفاع الله الناس اختار صيغة المفاعلة لدلالة على المبالغة فى الدفع كما بالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يكون اقوى وابلغ وقوله تعالى اذن للذين اشارة الى ان قتال الكفار بغير اذن الله تعالى لا يجوز ولهذا لما وكز موسى عليه الصلاة والسلام القبطى الكافر وقتله قال هذا من عمل الشيطان لانه عليه الصلاة والسلام ما كان مأذونا من الله تعالى فى ذلك والباء فى قوله تعالى بانهم ظلموا متعلقة بقوله اذن لما بين انهم انما اذنوا فى القتال لانهم ظلموا فسر ذلك الظلم بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق اى اخراجا بغير موجب استحقوا الخروج به فالحق مصدر قولك حق الشئ يحق بالكسر اى وجب واستحققته اى استوجبته وانتفاء الوجوب لما كان بانتفاء الموجب قال المصنف رحمه الله تعالى عليه بغير موجب ﴿قوله فى نيف وسبعين﴾ النيف الزيادة يخفف ويشدد يقال عشرة ونيف ومائة ونيف وكل ما زاد على العقد فهو نيف حتى يبلغ العقد الثانى قيل نسخت هذه الآية سبعين آية امر عليه الصلاة والسلام فيها بالصبر والصفح لانها اول آية نزلت فى الاذن بالقتال وقوله تعالى الذين اخرجوا فى موضع الجر على انه بدل او صفة لقوله تعالى الذين يقاتلون ويجوز ان يكون فى موضع النصب على المدح وفى موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف ﴿قوله وقيل منقطع﴾ والمعنى لكن قولهم ربنا الله وحده وهذا يوجب تعظيمهم وتقريرهم فى ديارهم دون الاخراج والتنفير فان الاستثناء المنقطع يكون بمعنى لكن

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين (لهدّمت) لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرأ نافع دفاع ولهدمت بالتخفيف
(صوامع) صوامع الرهبانية (وبيع) وبيع النصارى (وصلوات) وكنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل
اصلها صلوثا بالعبرانية فعربت (ومساجد)
ومساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا)
صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا
(ولينصرن الله من ينصره) من ينصر دينه
وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار
على صناديد العرب واكاسرة العجم
وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم
(ان الله لقوى) على نصرهم (عزيز)
لا يمانعه شئ (الذين ان مكناهم فى الارض
اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر) وصف للذين اخرجوا
وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر
الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم
من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره (ولله
عاقبة الامور) فان مرجعها الى حكمه وفيه
تأكيد لما وعده (وان يكذبوك فقد كذبت
قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم
وقوم لوط واصحاب مدين) تسلية له عليه
الصلاة والسلام بان قومه ان كذبوه فهو
ليس باوحدى فى التكذيب فان هؤلاء
قد كذبوا رسلهم قبل قومه (وكذب موسى)
غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه
بنوا اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط
ولان تكذيبه كان اشنع وآياته كانت اعظم
واشيع (فأمليت للكافرين) فأمهلتهم حتى
انصرمت آجالهم المقدرة (ثم اخذتهم
فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم بتغيير
النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا
(فكأين من قرية اهلكناها) باهلاك
اهلها وقرأ البصريان اهلكتها بغير لفظ
التعظيم (وهى ظالمة) اى اهلها (فهى
خاوية على عروشها) ساقطة حيطانها
على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها
ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف
او خالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون
الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا
بعد خبر اى هى خالية وهى على عروشها
اى مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان
مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على
اهلكناها لا على وهى ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال خوائها فلا محل لها ان نصبت كأين بمقدر يفسره اهلكنا وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع

ثم انه تعالى بعد ما بين سبب الاذن بقوله بانهم ظلموا اشار الى علة اخرى للاذن فقال تعالى ولولا دفع الله الناس
اى ولولا ان الله اذن للمجاهدين فى قتال اعداء الدين لانقطعت العبادات وخربت المتعبدات فانه سبحانه وتعالى
على المؤمنين بدفع غائلة المشركين عنهم وبين ان عادته ان يحفظ دينه بان يأذن لاهل دينه فى مجاهدة الكفار وانه
لولا ذلك لاستولى المشركون على اهل الملل المختلفة فى ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى
بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات اى كنائس ولا للمسلمين مساجد ولغلب المشركون فى زمان امة محمد
صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين فى زمنهم فهدموا متعبدات الفريقين والصوامع جمع
صومعة وهى موضع يتعبد فيه الرهبان وينفردون فيه لاجل العبادة والبيع جمع بيعة وهى كنائس النصارى التى
يبنونها فى البلدان ليجتمعوا فيها لاجل العبادة والصوامع لهم ايضا الا انهم يبنونها فى المواضع الخالية كالجبال
والصحارى للتجرد للعبادة والصلوات لليهود ولا بد من تقدير مضاف ليصح تسلط الهدم عليها اى موضع صلوات
او من تضمين هدمت معنى عطلت وقيل هى كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا بالثاء المثلثة وهى فى لغتهم بمعنى
المصلى ولا حاجة الى تقدير المضاف وقدم ماسوى المساجد عليها فى الذكر لكونه اقدم فى الوجود بالنسبة اليها
﴿ قوله وهو ثناء قبل بلاء ﴾ اى قبل وقوع الصنيع الحسن الذى هو البلاء الحسن قال الجوهرى رحمه الله تعالى
عليه البلاء الاختبار يكون فى الخير والشر يقال بلاه الله بلاء حسنا وابلاه قال زهير

جزى الله بالاحسان مافعلا بكم ۞ وابلاهما خير البلاء الذى يبلو

اى خير الصنيع الذى يختبر به عباده ﴿ قوله وفيه دليل ﴾ اى وفى ثناء المهاجرين قبل ان يحدثوا من الخير
ما احدثوا ووجه الاستدلال بهذه الآية على امامة الائمة الاربعة رضى الله تعالى عنهم انه تعالى وصف المهاجرين
بانهم ان مكنهم فى الارض واعطاهم السلطنة ونفاذ القول على الخلق اتوا بالامور الاربعة وهى اقامة الصلاة
وايتاء الزكاة والامر بكل معروف والنهى عن كل منكر وقد ثبت ان الله تعالى مكن الائمة الاربعة فى الارض
واعطاهم السلطنة عليها فوجب كونهم آتين بهذه الاربعة والازم الخلف فى مقاله تبارك وتعالى واذا كانوا آتين
بكل معروف وناهين عن كل منكر وجب ان يكونوا على الحق فمن هذا الوجه دلت هذه الآية على امامتهم ﴿ قوله
تسلية له ﴾ فانه تعالى لما ذكر ما يدل على ايذاء المشركين اياه بان كذبوه وحملوه مع من آمن على ان يخرجوا من ديارهم بغير
حق ثم بين انه اذن للمظلومين فى مقاتلتهم وضمن له عليه الصلاة والسلام النصرة عليهم واكد ذلك بقوله ولله عاقبة
الامور فلذلك كان المقام مقام التسلية فسلاه بقوله تعالى فقد كذب قوم نوح نبيهم نوحا وعاد هودا وثمود صالحا
وقوم ابراهيم وقوم لوط نبيهما ابراهيم ولوطا واصحاب مدين شعيبا عليهم الصلاة والسلام ثم قال فقد اعطيت هؤلاء
الانبياء جميع ما وعدتهم من النصرة على اعدائهم والتمكين لهم فى الارض فاخذت كل واحدة من المكذبين بعقوبة
مختصة بهم فكيف كان نكير اى انكارى وهذا استفهام معناه التقرير يقول كيف نكرت عليهم بما فعلوا من التكذيب
ثم انه تعالى اجمل بعد التفصيل فى الاخبار عن اهلاك كثير من الامم المكذبة فقال تعالى وكأين من قرية فقوله
وكأين يجوز ان يكون فى محل النصب على الاشتغال بفعل مقدر يفسره اهلكناها اى وكثيرا من اهل القرى الذين كذبوا
انبياءهم سوى المكذبين المذكورين فى الآية المتقدمة اهلكنا اهلكناها وان يكون فى محل الرفع على الابتداء
والخبر اهلكناها اى وكثير اهلكناها ﴿ قوله وقرأ البصريان ﴾ يعنى ابا عمرو ويعقوب فانهما قرأ اهلكتها
على وفق قوله فأمليت للكافرين ثم اخذتهم وقرأ الباقون اهلكناها بالنون على وفق قوله ان مكناهم فى الارض
﴿ قوله ساقطة حيطانها على سقوفها ﴾ يعنى ان الخاوى الساقط من خوى النجم اذا سقط والعروش السقوف لان
كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او ظلة او كرم فهو عرش والمراد بضمير القرية حيطانها ﴿ قوله او خالية ﴾
على ان يكون الخاوى بمعنى الخالى من خوى المنزل اذا خلا من اهله فحينئذ يكون على عروشها ظرفا مستقرا فى موضع
النصب على انه حال من ضمير خاوية ومتعلقا بخاوية تعلق الحال بعامله لا تعلق الجار والمجرور بعامله فانه انما يكون ذلك
اذا كان خاوية بمعنى ساقطة ﴿ قوله ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر ﴾ عطف على قوله متعلق بخاوية فانه اذا كان
خبرا بعد خبر لا يكون له تعلق بخاوية بل يكون متعلقا بمطلة وهى بالطاء المهملة بمعنى مشرفة مائلة يقال اطل عليه
اذا كان داخلا فى ظل طاله اى شخصه ﴿ قوله فلا محل لها ﴾ اى على تقدير ان تكون جملة فهى خاوية معطوفة
على اهلكناها لا يكون لها محل من الاعراب ان جعل اهلكناها مفسرا لناصب كأين لان الفعل المفسر لا محل له من

بئر معطلة) عطف على قرية اى وكم بئر عامرة فى البوادى تركت لايستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله (وقصر مشيد) مرفوع او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوّى ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بئر بئر على سفح جبل بحضرموت وقصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما (أفلم يسيروا فى الارض) حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) مايجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال (او آذان يسمعون بها) مايجب ان يسمع من الوحى والتذكير بحال من يشاهد آثارهم (فانها) الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليها والظاهر اقيم مقامه (لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) عن الاعتبار اى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى التقليد وذكر الصدور للتأكيد ونفى التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيق ليس المتعارف الذى يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان فى هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يارسول الله انا فى الدنيا اعمى أفأكون فى الآخرة اعمى فنزلت (ويستعجلونك بالعذاب) المتوعد به (ولن يخلف الله وعده) لامتناع الخلف فى خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لايعجل بالعقوبة (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) بيان لتناهى صبره وتأنيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادى عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى يعدون بالياء (وكأين من قرية) وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة فى التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه فى حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لامحالة وان تأخر لعادته تعالى (أمليت لها) كما امهلتكم (وهى ظالمة) مثلكم (ثم اخذتها) بالعذاب (والى المصير) والى حكمى مرجع الجميع (قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين) اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة فى غيظهم

﴿قوله اى وكم بئر عامرة﴾ يعنى ان معنى المعطلة انها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستقاء الا انها عطلت اى تركت لايستقى منها لهلاك اهلها وفى المشيد قولان احدهما انه المجصص لان اهل المدينة يسمون الجص شيدا والثانى المرفوع المطوّل وتوصيف البئر بالمعطلة والقصر بالمشيد يؤيد ان يكون على بمعنى مع فى قوله على عروشها فان كون كل واحد منهما موصوفا بالوصف المذكور ادخل فى الاعتبار روى ان هذه البئر نزل عليها صالح النبى عليه السلام مع اربعة آلاف ممن آمن به ونجاهم الله تعالى وهى بحضرموت وانما سميت به لان صالحا حين حضرها مات وثمة بلدة عند البئر اسمها حضرموت بناها قوم صالح وامروا عليهم جلس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما فأرسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فى السوق فاهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرّب قصورهم الى ان قوله وخرّب قصورهم ينافى قول المصنف رحمة الله تعالى عليه اخليناه عن ساكنيه الا ان يراد بتخريبها اخلاؤها من ساكنيها ﴿قوله حث لهم على ان يسافروا ليروا﴾ يحتمل انهم ماسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله تعالى بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا ويحتمل ان يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فنزلوا منزلة من لم يسافر ولم ير لخلوّ سفرهم الحاصل عن المقصود فلذلك قيل فى حقهم على سبيل الانكار افلم يسيروا فى الارض وقوله فتكون منصوب على جواب الاستفهام اى أفلم يسيروا فيعقلوا بقلوبهم حال الامم المكذبة مافعلوا وما فعل بهم او يسمعوا بآذانهم اخبارهم ﴿قوله او مبهم يفسره الابصار﴾ اى ويجوز ان يكون ضميرا انها ضميرا مبهما يفسره الابصار لا على كون الابصار تمييزا كما فى نحو ربه رجلا والا لوجب ان يكون نكرة منصوبة كما هو الحق فى التمييز بل المراد انه يعلم به المراد من الضمير بناء على ان الابصار ليس فاعل تعمى والا لما كان مفسرا لمبهم بل هو خبر مبتدأ محذوف وفاعل تعمى ضمير مستتر فيه راجع الى ما يرجع اليه ضمير انها فكأنه لما قيل فانها لاتعمى سئل ماهى فاجيب الابصار اى هى الابصار ثم انه تعالى لما ذكر من قبائح المشركين صدهم عن سبيل الله تعالى والمسجد الحرام وعظيم ماهم عليه من التكذيب اتبعه بذكر قبيحة اخرى من قبائحهم وهى استعجالهم بالعذاب قيل نزلت فى النضر بن الحارث حيث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وهذا يدل على انه عليه الصلاة والسلام كان يخوّفهم بالعذاب ان استمرّوا على كفرهم ولهذا قال الله تعالى ولن يخلف الله وعده فأنجز ذلك يوم بدر وانكر الله تعالى عليهم ذلك الاستعجال وبين وجه الانكار بان الاستعجال انما يكون لخوف الفوت وما اوعده الله تعالى لايفوت بل يصيبهم لامحالة ولو بعد حين وقوله ولو بعد حين مستفاد من كلمة لن فى قوله تعالى لن يخلف الله وعده لانها لتأكيد نفى الاستفهام وهذا النفى لما تضمن كونه تعالى صبورا بين تناهى صبره بقوله تعالى وان يوما عند ربك واشار بتشبيه المدة القصيرة عنده بالمدة الطويلة عند المخاطبين الى ان من لايجرى عليه الزمان بل هو المجرى للزمان يتساوى عنده الزمان ويكون وجود الايام والزمان وعدمهما وقلتهما وكثرتهما سواء اذ ليس عنده صباح ولامساء ولايوم ولاليلة فقوله تعالى وان يوما على هذا متعلق بقوله ولن يخلف الله متمم لما يقصد منه وعلى قوله او لتمادى عذابه الخ يكون متعلقا بقوله ويستعجلونك بالعذاب وبيانا مستقلا لوجه الانكار عليهم فى استعجال عذاب يكون يوم واحد من ايام عذابه كألف سنة عندهم كأنه قيل يستعجلون بعذاب يوم واحد من ايام عذابه فى طول الف سنة من سنيكم امامن حيث طول ايام عذابه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة ﴿قوله فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام﴾ يعنى ان مقتضى الظاهر ان يكون لفظ القرية مجرورا بالاضافة لا عين وان يرجع الضمائر الى الاهل لا اليها وان يجعل متعلق الاملاء والظلم والاخذ بالاهل لابها الا ان القرية لما اقيمت مقام الاهل لفظا اقامت مقامه فى جميع ماذكر من الامور ﴿قوله لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير﴾ فان قوله تعالى فأمليت للكافرين لما كان مرتبا على جواب الشرط فى الوقوع كان حقه ان يعطف عليه بالفاء وكان قوله فكيف كان نكير استفهاما واردا للتعجيب والتهويل من اخذهم المتراخى عن وقت التكذيب فكان حقه ايضا ان يعطف عليه بالفاء لكنه قيل ثم اخذتهم فانكرت عليهم ابلغ انكار فان حق التعجيب من الشئ ان يذكر عقيب ذلك الشئ ولما كان قوله فكأين من قرية فى حكم قوله فكيف كان نكير فى كونه مرتبا على قوله فأمليت للكافرين ثم اخذتهم كان بدلا منه لكونه اوفى منه فى تأدية المراد لما فيه من التفصيل بالنسبة الى الاوّل فاعيد فيه الفاء العاطفة الدالة على التعقيب

(فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) لما تمر منهم (ورزق كريم) هي الجنة والكرم من كل نوع مايجمع فضائله (والذين سعوا فى آياتنا) بالرد والابطال (معاجزين) مسابقين مشاقين لساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجزه وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على انها حال مقدرة (اولئك اصحاب الجحيم) النار الموقدة وقيل اسم دركة (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى) الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبى يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بنى اسرآئيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبى عليه السلام علماء امته بهم فان النبى اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة ألف واربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسول منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبى غير الرسول وهو من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحى والنبى يقال له ولمن يوحى اليه فى المنام (الا اذا تمنى) اذا زور فى نفسه مايهواه (ألقى الشيطان فى امنيته) فى تشهيه مايوجب اشتغاله بالدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم وانه ليغان على قلبى فأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة (فينسخ الله مايلقى الشيطان) فيبطله ويذهب به بعصمته من الركون اليه والارشاد الى مايزيحه (ثم يحكم الله آياته) ثم يثبت آياته الداعية الى الاستغراق فى امر الآخرة (والله عليم) باحوال الناس (حكيم) فيما يفعله بهم قيل حدثت نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان فى ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فأخذ يقرأها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد فى آخرها بحيث لم يبق فى المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبرآئيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان من المتزلزل فيه

كما يدل باعادة الجار كثيرا بخلاف قوله وكأن من قربة فانه فى حكم الجملتين المتعاطفتين بالواو فى كونه تعليلا لانكار الاستعجال فلذلك عطف عليها بالواو الجامعة ﴿قوله بالرد والابطال﴾ السعى وان كان عبارة عن مطلق الجد والاهتمام سوآء كان لتحقيق الاتمام او الرد والابطال الا ان الثانى متعين هنا بقرينة المقام لان من ذكر فى مقابلة الذين آمنوا لايكون سعيهم فى شأن القرآن الا بالرد ﴿قوله على انها حال مقدرة﴾ لان الاعجاز والتعجيز ليسا مقارنين لسعيهم فى ابطال الآيات بل متأخران عنه كما اشار اليه بقوله من عاجزه فاعجزه وعجزه بخلاف معاجزين فانه حال مقارنة لان المعاجزة تكون حال السعى ﴿قوله انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام﴾ قيل هذا الحديث رواه ابو ذر رضى الله عنه وهو من الآحاد والاولى ان لايتعرض لعدد الانبياء عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك ولايؤمن فى ذكر العدد ان يخرج منهم من هو فيهم او يدخل فيهم من ليس منهم وقوله عليه الصلاة والسلام جما غفيرا ابتدآء كلام اى كانوا جماعة كثيرة ﴿قوله وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا﴾ قاله صاحب الكشاف عفا الله عنه ولعل المصنف رحمه الله تعالى عليه لم يرض به بناء على ان عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام اكثر من عدد الكتب لان عدد الكتب مائة واربعة ويلزم على هذا القول وعلى القول الذى اختاره المصنف رحمه الله تعالى عليه ان لايكون اسحق ويعقوب وايوب ويونس وهرون وسليمان عليهم الصلاة والسلام رسلا لانهم ماجاؤا بشريعة مجددة وكتاب ناسخ ﴿قوله ليغان على قلبى﴾ اى ليغطى عليه يقال غان على كذا اى غطى عليه ﴿قوله فيبطله﴾ اى يزيل تأثيره وهو اشارة الى ان المراد بالنسخ النسخ اللغوى لا النسخ الشرعى المستعمل فى الكتاب ولما بين الله تعالى تطرق الوسوسة الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام بين كيفية ازالتها فقال فينسخ الله الى آخره ﴿قوله تلك الغرانيق﴾ جمع غرنوق او غرنيق بكسر الغين وفتح النون فيهما او غرنوق بالضم وهو الشاب الناعم ويجمع على غرانق بالفتح وغرانيق وغرانقة ويطلق الجميع على السادات ﴿قوله وهو مردود عند المحققين﴾ يعنى ان جماعة من المفسرين وان قالوا ان هذه الآية نزلت تسلية له عليه الصلاة والسلام فى اغتمامه بما سبق به لسانه سهوا من حديث الغرانيق الا ان رؤساء اهل السنة والجماعة ردوا هذا القول وقالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن العظيم والسنة والمعقول اما القرآن فمنه قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ومنه ايضا قوله تعالى قل مايكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ان اتبع الا مايوحى الى ومنه قوله تعالى وماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى فلو انه عليه الصلاة والسلام قرأ عقيب هذه الآية قوله تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهر كذب الله تعالى فى جميع ذلك وذلك لايقول به مسلم واما السنة فهو انه روى عن محمد بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتابا وقال الامام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقى هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل وان رواة هذه القصة مطعونون وايضا فقد روى البخارى فى صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد وسجد المسلمون والمشركون والانس والجن ولم يذكر حديث الغرانيق واما المعقول فما ذكره الامام النسفى فى تيسيره بقوله والصحيح المعتمد عليه ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتكلم بها فانا لو توهمنا انه صلى الله عليه وسلم تكلم بها فلا يخلو الامر من احد ثلاثة اوجه اما ان يجرى ذلك على لسانه عمدا باختياره وهذا لايجوز لانه كفر وهو صلى الله عليه وسلم جاء داعيا الى الايمان ناهيا عن الكفر طاعنا فى الاصنام فكيف يمدحها ويعظمها باختياره واما ان يجرى الشيطان ذلك على لسانه صلى الله عليه وسلم جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهذا ايضا لايجوز لان الشيطان لايقدر على ذلك فى حق غيره صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وقوله تعالى حكاية عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فكيف يقدر على ذلك فى حقه صلى الله عليه وسلم واما ان يقع ذلك على لسانه صلى الله عليه وسلم سهوا وغفلة من غير قصد وهو ايضا مردود لانه صلى الله عليه وسلم كان اعقل الخلق واعلمهم فكيف تجوز عليه هذه الغفلة خصوصا فى حالة تبليغ الوحى ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله والثقة به لقيام احتمال الغلط والخطأ فى كل واحد من الاحكام والشرآئع فلما بطلت هذه الوجوه كلها لم يبق الا احتمال واحد وهو انه عليه الصلاة والسلام وقف وسكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى والشيطان حاضر عنده فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلة بقرآئته صلى الله عليه وسلم

وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله • تمنى كتاب الله اوّل ليله • تمنى داود الزبور على رسل • فامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قرآءة النبيّ صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم (ليجعل ما يلقى الشيطان) علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملق امر ظاهر عرفه المحق والمبطل (فتنة للذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية قلوبهم) المشركين (وان الظالمين) يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم (لفي شقاق بعيد) عن الحق او عن الرسول والمؤمنين (وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك) ان القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم (فيؤمنوا به) بالقرآن او بالله (فتخبت له قلوبهم) بالانقياد والخشية (وان الله لهادى الذين آمنوا) فيما اشكل عليهم (الى صراط مستقيم) هو نظر صحيح يوصلهم الى ماهو الحق (ولا يزال الذين كفروا في مرية) في شك (منه) من القرآن او الرسول او مما ألقى الشيطان في امنيته يقولون مابالة ذكرها بخير ثم ارتد عنه (حتى تأتيهم الساعة) القيامة او الموت او اشراطها (بغتة) فجاءة (او يأتيهم عذاب يوم عقيم) يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمى به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لاخير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا او لانه لامثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيامة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل (الملك يومئذ) التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية اى يوم تزول مريتهم (لله يحكم بينهم) بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين) وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاوّل تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكفار مسبب من اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا) في الجهاد (او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) الجنة ونعيمها وانما سوّى بين من قتل في الجهاد ومن مات حتف انفه في الوعد لاستوآئهما في القصد واصل العمل روى ان بعض الصحابة قالوا يانبيّ الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا مااعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فمالنا ان متنا فنزلت (وان الله لهو خير الرازقين) فانه يرزق بغير حساب (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) هو الجنة فيها مايحبونه (وان الله لعليم) باحوالهم واحوال معاديهم (حليم) لايعاجل في العقوبة (الثالث)

فوقع عند بعضهم انه صلى الله عليه وسلم هو الذي تكلم بها لتكون القاء في قرآءة النبي صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان يتكلم في زمن الوحي كما ذكر انه ظهر في صورة شيخ نجدى على المشركين الذين اجتمعوا في دار الندوة على قصد المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم وتكلم في شوراهم واستصوب رأى بعضهم وخطأ آخرين وذكر ايضا انه نادى يوم احد الا ان محمدا قد قتل وقال يوم بدر لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وهذا الاحتمال غير مستحيل عقلا وشرعا فتنة من الله تعالى وابتلاء لعباده لكنه انما يجوز في غير مقام تبليغ الوحي واداء الرسالة لانا لو جوزنا ذلك لارتفع الاطمئنان الى شرعه ولجوزنا ان كل مابلغه الينا عن الله تعالى ينضم اليه غيره مما يخلط الشيطان فظهر بما ذكرنا ان هذه القصة موضوعة غاية مافي الباب ان جمعا من المفسرين رحمهم الله تعالى عليهم ذكروها لكنهم مابلغوا في الكثرة حد التواتر وخبر الواحد لايعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة فلذلك قال المصنف في تفسير الآية ألقى الشيطان في تشهيه مايوجب اشتغاله بالدنيا ولم يقل مايوافق تشهيه من الكلام ثم قال وان صح فابتلاء والظاهر ان مبنى الصحة ان يتكلم به الشيطان عند سكوته عليه الصلاة والسلام بعد قوله ومناة الثالثة الاخرى فانه اقرب الاحتمالات المذكورة الى الصحة فيكون المعنى مامن رسول ولا نبيّ قبلك الا مكنا الشيطان ان يلقى في قرآءتهم مثل ماالقى في قرآءتك عند ماتمنيت فلا تهتم لذلك فانا نجعل ذلك لاضلال قوم وهداية آخرين لنميز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه ﴿ قوله وقيل تمنى بمعنى قرأ ﴾ عطف على قوله تمنى زوّر فان التمني جاء في اللغة بمعنيين تمنى القلب والقرآءة قال الله تعالى ومنهم اميون لايعلمون الكتاب الا اماني اى الا قرآءة لان الامىّ لايعلم القرآن من المصحف وانما يعلمه قرآءة وقال رواة اللغة الامنية القرآءة واحتجوا عليه ببيت حسان رضي الله تعالى عنه وهو تمنى كتاب الله اوّل ليله وقيل الاولى في تأويل الآية ان يقال التمني بمعنى القرآءة فقوله تعالى ألقى الشيطان في امنيته اى عند تلاوته القرآن ألقى في قلوب الكفرة مايجادلون به الرسول ويحاجونه ويوقعون به شبهة في قلوب اتباعه ليخدعوهم من اتباعه كقولهم عند سماع قول الرسول حرمت عليكم الميتة انه يحل ذبيحة نفسه ويحرم ذبيحة الله تعالى فينسخ الله تعالى مايلقى الشيطان في قلوب الكفرة بانزال قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وكلوا مما ذكر اسم الله عليه فيبين به انه انما حل هذا بذكر اسم الله عليه وحرم الآخر بعدم ذكر اسم الله عليه وكقولهم عند سماع انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ان عيسى عليه الصلاة والسلام عبد من دون الله تعالى والملائكة ايضا عبدوا من دون الله مع انه تعالى لايعذبهم يوم القيامة فنسخ قولهم هذا بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فبين الله تعالى استثناء عيسى والملائكة من قوله ماتعبدون من دون الله بان المراد بما الاصنام فقط ﴿ قوله علة لتمكين الشيطان ﴾ اى المدلول عليه بقوله القى الشيطان فتكون لام كى في قوله تعالى ليجعل متعلقة بألقى الشيطان باعتبار مادل عليه من التمكين والظاهر ان هذه اللام لام العاقبة وتسميتها لام العلة باعتبار انها في الاصل للعلة والمعنى مكنه الله تعالى من الالقاء ليجعل مايلقيه الشيطان سببا لتغرير المنافقين والمشركين ولتثبيت المؤمنين على ماهم عليه من العلم بالتوحيد وبان القرآن هو الحق النازل من عند الله تعالى وقوله تعالى فيؤمنوا عطف على قوله ليعلم ولما كان الايمان بالقرآن متفرعا على العلم بانه هو الحق النازل من عند الله تعالى عطفه عليه بالفاء وكذا الايمان بالله تعالى متفرع على العلم بان التمكين حق صادر من الله تعالى ثم انه تعالى بين ان هذا الايمان والاخبات انما هو بلطف الله تعالى وهدايته اياهم فقال تعالى وان الله لهادى الذين آمنوا ﴿ قوله فيصرن كالعقم ﴾ اى كأنهن لم يلدنهم فالعقم صفة النساء الا انه اسند الى يوم القيامة اى الى اليوم الذي يعقمن فيه على طريق صام نهاره والعقم على الوجه الثاني صفة الحرب من حيث ان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا بقى الحرب بلا ولد والظاهر ان يجعل الحرب مجازا لانه جعل عقيما تشبيها للقتل اولاده بعقمه ثم اسند العقم بهذا المعنى الى يوم الحرب مجازا ففي التركيب على هذا الوجه مجازان احدهما في المسند والثاني في الاسناد وحاصل الوجه الرابع ان كل يوم له مثل الا يوم بدر فانه عقيم لامثل له فلما لم يعقبه مثل جعل عقيما كما جعل يوم القيامة الا لا يوم بعده ﴿ قوله او يوم القيامة ﴾ عطف على قوله يوم حرب • ولما ورد ان يقال كيف يصح ان يفسر اليوم العقيم بيوم القيامة وهو معطوف على الساعة • اجاب عنه بوجهين الاوّل ان المراد بالساعة اشراطها ومقدماتها والثاني ان التقدير او يأتيهم عذابها الا انه وضع الظاهر موضع الضمير لتهويل ﴿ قوله تعالى والذين هاجروا ﴾ لما ذكر ان

الملك لله يوم القيامة وانه يحكم بينهم ويدخل المؤمنين الجنات انبعه بذكر الوعد الكريم للمهاجرين منهم واختلف في المهاجر فقيل المراد من هاجر الى المدينة طلبا لنصرة الرسول وتقربا الى الله تعالى وقال آخرون بل المراد من جاهد فخرج مع الرسول او سراياه لنصرة الدين ولذلك ذكر القتل بعده ومنهم من حمله على الامرين ثم انه تعالى وصف رزق المهاجرين ومسكنهم اما الرزق فبقوله ليرزقنهم الله رزقا حسنا واما المسكن فبقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه على ان يكون ليدخلنهم جملة مستأنفة ويجوز ان يكون بدلا من ليرزقنهم الله رزقا حسنا وتقرير المصنف رحمه الله تعالى عليه اوفق لهذا الاحتمال الذي ذكرناه وقد بين انجاز الوعد للمهاجرين الذين قتلوا وماتوا بعد مابين انه تعالى يحكم بين الذين آمنوا والذين كفروا وقوله تعالى ثم قتلوا او ماتوا يدل على ان حال المقتول في الجهاد والميت في فراشه سوآء اذا استويا في القصد والتقرب الى الله تعالى ونصرة رسوله وفي اصل العمل وهو الهجرة من حيث انه تعالى جمع بينهما في الوعد ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام المقتول في سبيل الله والمتوفى في سبيل الله بغير قتل هما في الاجر شريكان ولفظ الشركة يشعر بالتسوية والا فلا يبقى لتخصيصهما بالذكر فائدة ﴿ قوله الامر ذلك ﴾ يعني ان ذلك خبر مبتدأ محذوف وما بعده مستأنف ومن عاقب مبتدأ خبره لينصرنه الله والعقوبة اسم لما يعاقب به ويعقب الجرم من الجزآء وسمي المكروه الذي اوقع ابتدآء عقوبة حيث قيل بمثل ما عوقب به مع انه ليس جزآء لعقوبة الجريمة اما للمشاكلة واما على سبيل المجاز المرسل فان ما وقع ابتدآء سبب لما وقع جزآء وعقوبة فسمي السبب باسم المسبب قيل معنى الآية ان من قاتل من كان يقاتله ابتدآء ثم كان القاتل مبغيا عليه بان اضطر الى الهجرة ومفارقة الوطن او ابتدئ بالقتال لينصرنه الله ووجه تعلق هذه الآية بما قبلها انه تعالى وصف رزق المهاجرين ومسكنهم اولا ثم قال في هذه الآية انى مع اكرامي لهم في الآخرة بهذا الوعد لا ادع نصرتهم في الدنيا على من بغى عليهم ﴿ قوله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه ﴾ اشارة الى وجه تعليله تعالى نصرته المعاقب بكونه عفوا غفورا مع ان العفو والغفران يقتضيان سابقة الجناية من المعفو عنه ولا جناية من المعاقب في الانتصار لانه استوفى به حقه ولم يظلم احدا وحاصله ان العفو وان اقتضى سابقة الجناية لكن الجناية لا يلزم ان تكون بارتكاب المحرم بل قد تكون لترك ما ندب اليه وتسمى جناية على سبيل الزجر والتغليظ ﴿ قوله وفيه ﴾ اى وفي تعليل نصرته تعالى المعاقب بكونه عفوا تعريض بالحث على العفو وتنبيه على انه تعالى قادر على عقوبة البادي ﴿ قوله بسبب ان الله تعالى قادر ﴾ بيان لوجه كون ايلاج كل واحد من الملوين في الآخر سببا للنصر الموعود في حق المعاقب وحاصله ان السبب الحقيقي هو قدرته تعالى على جميع الممكنات الا انه تعالى وضع دليل القدرة مقام نفسها ﴿ قوله بان يزيد فيه ﴾ اى في الآخر متعلق بقوله ايلاج احد الملوين فانه لما ورد ان يقال كيف يعقل ايلاج الليل المظلم في النهار المضيء حقيقة وكذا عكسه مع ان ذلك يقتضي اجتماع الظلمة والنور في زمان واحد دفعه بان معنى الايلاج المذكور ليس ادخال الزمان المظلم في الزمان المضيء ليلزم ما ذكر بل معناه ادخال ما نقص من ساعات احد الزمانين في الزمان الآخر فاللازم تفاوت الزمانين بحسب الزيادة والنقصان لا اجتماع الضدين في زمان واحد وانما يلزم ذلك ان لو كانت الظلمة والضياء مما تقتضيهما ذوات تلك الساعات الزآئدة والناقصة وليس كذلك بل هما مستندان الى طلوع النير وغروبه ثم جوز ان يكون معنى ايلاج الليل والنهار تحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار الخ روى الامام رحمه الله تعالى عليه عن مقاتل رضي الله تعالى عنه انه قال نزل قوله تعالى ومن عاقب بمثل ما عوقب به الآية في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان اصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون بان يكفوا عن قتالهم لحرمة الشهر فأبوا وقاتلوهم فذلك بغيهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم فوقع في نفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام شيء فانزل الله تعالى هذه الآية وعفا عنهم وغفر لهم فعلى هذه الرواية يكون وجه تعليل قوله تعالى لينصرنه الله بقوله تعالى ان الله لعفو غفور ظاهرا لا احتياج فيه الى ان يقال حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله تعالى اليه ﴿ قوله ولا شيء اعلى منه الخ ﴾ بيان لمعنى الحصر المستفاد من توسط ضمير الفصل بين اسم ان وخبرها المحلى بالالف واللام قال الامام الشافعي رحمه الله عليه من احرق احرقناه ومن اغرق اغرقناه اى يعاقب وفق الجناية وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى بل يقتل بالسيف واحتج الامام الشافعي رحمه الله تعالى على ما ذهب اليه بهذه الآية فقال ان الله تعالى جوز للمظلوم ان يعاقب بمثل

(ذلك) الامر ذلك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) ولم يزد في الاقتصاص وانما سمي الابتدآء بالعقاب الذي هو الجزآء للازدواج او لانه سببه (ثم بغي عليه) بالمعاودة الى العقوبة (لينصرنه الله) لا محالة (ان الله لعفو غفور) للمنتصر حيث اتبع هواه في الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالي شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده (ذلك) اى ذلك النصر (بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين في الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها (وان الله سميع) يسمع قول المعاقب والمعاقب (بصير) يرى افعالهما فلا يهملهما (ذلك) الوصف بكمال القدرة والعلم (بان الله هو الحق) الثابت في نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سوآء يا الا ذاته وما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا يا الا (وان ما يدعون من دونه) الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه في معنى الآلهة (هو الباطل) المعدوم في حد ذاته او باطل الالوهية (وان الله هو العلي) على الاشياء (الكبير) من ان يكون له شريك ولا شيء اعلى منه شأنا واكبر منه سلطانا

ماعوقب به ووعده النصرة عليه ثم انه تعالى لما دل على قدرته بما ذكره من ولوج الليل فى النهار وبالعكس اتبعه بانواع اخر من دلائل قدرته تعالى وهى ستة اولها قوله تعالى الم تر اى الم تعلم فان الماء النازل وان كان مرئيا بالبصر الا ان كونه تعالى منزلا له من السماء غير مرئى به فوجب ان يحمل الرؤية على العلم الذى هو المقصود من الرؤية فان الرؤية اذا لم يقترن العلم بها صارت كأنها لم تحصل ﴿قوله ولذلك رفع فتصبح﴾ يعنى ان قوله تعالى فتصبح وان وقع بعد لفظ الاستفهام فكان الظاهر ان ينصب على جواب الاستفهام الا ان الاستفهام هنا لما كان استفهام تقرير بمعنى الخبر اى بمعنى قد رأيت لم يكن له جواب فلذلك رفع المضارع بعده عطفا على انزل وقوله اذلو نصب جوابا علة لقوله استفهام تقرير ولذلك رفع المضارع بعده عطف على انزل اى اذلو كان الاستفهام بمعناه ونصب ما بعده جوابا له لافاد الكلام عكس المقصود الذى هو اثبات الاخضرار اذلو نصب الفعل بعده لانقلب المعنى الى نفى الاخضرار كما اذا قلت الم تر انى انعمت عليك فتشكر ان رفعت فتشكر فقد اثبت شكر المخاطب وان نصبت فقد نفيت شكره وشكوت من تفريطه فيه فان اداة الاستفهام فى مثله تثبت ما تدخل عليه وان كان منفيا تنفى الجواب فيلزم من هذا اثبات الرؤية وانتفاء الاخضرار وهو خلاف المقصود وايضا جواب الاستفهام ينعقد منه مع معنى الاستفهام السابق شرط وجزآء كقوله الم تسأل فتخبرك الرسوم * والمعنى ان تسأل تخبرك الرسوم لان ما بعد الفاء انما ينتصب اذا كان المستفهم عنه سببا له وفيما نحن فيه لا يصح ان يجعل تقدير الكلام ان تر انزال المطر تصبح الارض مخضرة لان رؤية المخاطب ليست سببا لاخضرار الارض وان اخضرارها ليس مرتبا على رؤية المخاطب ذلك بل هو مرتب على نفس الانزال ولما كان انتصاب المضارع بعد الفاء فى جواب الاشياء الستة مبنيا على صحة تقدير ان فعلت فعلت ولم يصح هذا التقدير فى الآية لم يجز نصب قوله فتصبح الارض مخضرة ﴿قوله يصل علمه او لطفه﴾ الاول مبنى على ما قيل اللطيف العالم ببواطن الاشياء والثانى على ما قيل انه الرفيق فى افعاله وقيل اللطيف من يدق حكمته فيما يفعل ويحكم والخبير العالم بمصالح الخلق ومنافعهم فيفعل على قدر ذلك من غير زيادة ولا نقصان ﴿قوله لهو الغنى فى ذاته من كل شئ﴾ والمعنى انه تعالى خلق ذلك منقادا له غير ممتنع من التصرف فيه واختص جميع ذلك به خلقا وملكا لا لاحتياجه الى شئ منه فانه كامل لذاته غنى عن كل ما عداه فى كل الامور لكنه لما خلق الناس ليعرفوه ويخصوه بالتعظيم والاجلال ويستعدوا بذلك للسعادة الابدية واقتضت الحكمة احتياجهم فى تعيشهم الى بركات السموات والارض خلق هذه الاشياء رحمة لهم وانعاما عليهم لا لمنفعة تعود اليه فلا جرم كان جديرا مستحقا للحمد فظهر بذلك كمال قدرته وعلو شانه وكبريائه وعظم رحمته واحسانه تبارك الله رب العالمين ﴿قوله حال منها﴾ اى من الفلك على تقدير كونها عطفا على ما او قوله او خبر على تقدير كون الفلك عطفا على اسم ان او مرفوعا على الابتدآء وجريان الفلك وان كان مستندا الى كون الماء والريح على الحالة الملائمة لجريانها الا ان تلك الحالة لما ثبتت لها بامره تعالى وتكوينه نسب جريها الى امره تعالى فان ذلك انسب لعظمته وكمال قدرته ﴿قوله من ان تقع او كراهة ان تقع﴾ فيكون ان تقع على الاول فى محل النصب بنزع الخافض او فى محل الجر على ارادته وعلى الثانى يكون فى محل النصب على انه المفعول من اجله فالبصريون يقدرون كراهة ان تقع والكوفيون يقدرون لئلا تقع وهذا الخلاف مبنى على مسألة كلامية وهى ان الارادات والكراهات هل تتعلق بالعدم اولا فمن منع ذلك ذهب الى ان التأويل الثانى هو الصحيح ومن جوزه ذهب الى الاول والظاهر ان قوله الا باذنه استثناء مفرغ من اعم الاحوال وهو لا يقع فى الكلام الموجب الا ان قوله ويمسك السماء ان تقع على الارض فى قوة النفى فلذلك جاز فيه التفريغ اذ التقدير لا يتركها تقع فى حال من الاحوال الا فى حال كونها ملتبسة بامره ﴿قوله متعبدا﴾ اى مألفا يألفونه اما مكانا معينا او زمانا معينا لادآء الطاعات او شريعة او منهجا كلفوا بها وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان المنسك شريعة لهم او شريعة يعملون بها ويؤيده قوله تعالى ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وروى عنه ايضا انه قال عيدا يذبحون فيه وقيل قربانا يذبحونه وقيل موضع عبادة قيل القول بان المنسك هو الشريعة اولى لانه مأخوذ من النسك وهو العبادة واذا وقع الاسم على كل عبادة فلا وجه لتخصيص بعضها ولا وجه لحمله على موضع العبادة ووقتها لان قوله ناسكوه أليق بالعبادة فيه بالوقت والمكان لان المنسك لو لم يكن مصدرا بل كان اسم مكان او زمان لقيل هم ناسكون فيه لان الفعل لا يتعدى الى ضمير الظرف الا بكلمة فى غالبا الا ان يتسع فى الظرف

(الم تر ان الله انزل من السماء ماء) استفهام تقرير ولذلك رفع (فتصبح الارض مخضرة) عطف على انزل اذلو نصب جوابا لدل على نفى الاخضرار كما فى قولك الم تر انى جئتك فتكرمنى و المقصود اثباته و انما عدل به عن صيغة الماضى للدلالة على بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان (ان الله لطيف) يصل علمه او لطفه الى كل ما جل ودق (خبير) بالتدابير الظاهرة والباطنة (له ما فى السموات وما فى الارض) خلقا وملكا (وان الله لهو الغنى) فى ذاته عن كل شئ (الحميد) المستوجب للحمد بصفاته و افعاله (الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض) جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم (و الفلك) عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتدآء (تجرى فى البحر بامره) حال منها او خبر (ويمسك السماء ان تقع على الارض) من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صور متداعية الى الاستمساك (الا باذنه) الا بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها (ان الله بالناس لرؤف رحيم) حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضار (وهو الذى احياكم) بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا (ثم يميتكم) اذا جاء اجلكم (ثم يحييكم) فى الآخرة (ان الانسان لكفور) لجحود للنعم مع ظهورها (لكل امة) اهل دين (جعلنا منسكا) متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا (هم ناسكوه) ينسكونه

فيجرى مجرى المفعول به فيتعدّى الفعل الى ضميره بنفسه كقوله « ويوم شهدناه سليما وعامرا » اى شهدنا فيه وقوله ومشرب اشربه اى اشرب فيه « فان قيل لم جاء نظير هذه الآية معطوفة بالواو فيما تقدم وهذه بغير واو « وقلنا لان تلك وقعت بعد ما ناسبها وبدانيها من الآى الواردة فى امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع الاباعد اى بعد الآى المتباعدة عن معناها فلم تجد ما تعطف هى عليه فانه تعالى ذكر ثواب المهاجرين فى الآخرة ثم بين انه مع ذلك ينصرهم فى الدنيا ايضا على من بغى عليهم ثم بين قدرته على ذلك بالدلائل المذكورة وختم بذلك ما يتعلق بقوله الملك يومئذ لله الذى يحكم بينهم ثم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالجد فى الدعاء الى الدين وعرّفه وجه المعاملة معهم والاحتجاج عليهم فقال تعالى لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه اى شرعنا لكل امة خلت حزبا من العبادة هم عاملوه وناسبون عليه فلا ينازعنك اى فليس لاحد من بقايا تلك الامم منازعتك فى الامر اى فيما تأمر به امتك من الشرائع اذ كانت لهم شرائع يخالف بعضها بعضا فكذا هذه الشريعة وان خالفت تلك الشرائع فليس لهم منازعتك فيها ﴿قوله او النسائك﴾ هو جمع نسيكة وهى الذبيحة وهو مبنى على ان تكون الآية نازلة فى كفار خزاعة الذين نازعوه صلى الله عليه وسلم فى حرمة اكل الميتة التى قتلها الله تعالى ﴿قوله وقيل المراد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام﴾ عطف على قوله فلا ينازعنك سائر ارباب الملل من حيث المعنى وقيل كناية عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن الالتفات الى قولهم لانه يؤدى الى منازعتهم ويستلزمها فيكون من قبيل ذكر اللازم وارادة الملزوم على اسلوب لاريتك ههنا وقيل هو كناية عن نهيه عليه الصلاة والسلام عن المنازعة معهم لان المنازعة تكون بين اثنين فنهى احد الشريكين عنها يستلزم نهى الآخر فيصلح احد النهيين كناية عن الآخر ﴿قوله وهذا انما يجوز﴾ اى كون نهى احد الفاعلين كناية عن نهى الآخر انما يجوز فى افعال المغالبة لان التلازم انما يتحقق فيها ولا يجوز ان يكون قولك لايضربنك زيد مثلا كناية عن قولك لاتضرب انت اياه لعدم التلازم بين النهيين وقوله انما يجوز بالحصر محل تأمل لان مثل قوله تعالى لايغرّنكم بالله الغرور ويجوز ان يكون كناية عن لاتغترّوا مع ان الغرور ليس من افعال المغالبة وقد مرّ فى سورة طه ان قوله تعالى فلا يصدّنك عنها من لايؤمن بها وان كان نهيا للكافر عن ان يصدّ موسى عنها فالمراد نهيه عليه الصلاة والسلام عن ان يصدّ عنها مع ان هذا الفعل ايضا ليس من افعال المغالبة ﴿قوله وقرئ فلا ينزعنك﴾ من النزع بمعنى الجذب يقال نزعت الشئ من مكانه واذا قلعته عنه اى اثبت فى دينك ثباتا لايطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه ولما ورد ان يقال كيف يكون نهى الكفار عن نزعه عليه الصلاة والسلام عن دينه كناية عن امره بالثبات على دينه مع ان النزع ليس من افعال المغالبة دفعه بانه ليس من النزع الصادر من الواحد بل من النزع المستند الى الغالب من المتنازعين يقال نازعته فنزعته انزعه اى غلبته فى النزع فمعنى الآية لايغلبنك فى المنازعة الا ان كسر عين المضارعة فى باب المغالبة غريب لم يذهب اليه غير صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه فانه قال بضم عين المضارعة فى باب المغالبة مطلقا اذا لم يكن عينه او لامه حرف حلق واما اذا كان احدهما حرف حلق فان الفعل حينئذ يترك على قاعدة الاستعمال ﴿قوله تعالى وادع الى ربك﴾ لم يذكر مفعول ادع للتعميم والمعنى انك مبعوث الى الناس كافة وكلهم مأمورون باتباعك والتدين بشرعك ودينك فادعهم الى دين ربك ولاتخص امة دون امة بالدعوة اليه فكل الناس امتك ثم انه تعالى لما امر الرسول صلى الله عليه بان يحذر المجادلين بعد لزوم الحجة ووضوحها من حكم يوم القيامة اتبعه بما يعلم انه تعالى عالم بما يستحقه كل واحد وانه يحكم بينهم بالعدل لابالجور فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام ألم تعلم ان الله يعلم مافى السماء والارض وان ما يفعله الكفار المجادلون محفوظ عند الله تعالى لايضل عنه ولاينسى فان كل مايحدثه الله تعالى فى السموات والارض فقد كتبه فى اللوح المحفوظ « فان قيل ان ذلك يوهم ان علمه تعالى مستفاد من الكتاب وايضا فما فائدة ذلك الكتاب « اجيب من الاول بان كتبه تلك الاشياء فى ذلك الكتاب قبل حدوثها على الوجه المطابق للموجودات من ادل الدلائل على انه تعالى غنى فى علمه عن ذلك الكتاب ومن الثانى بان الملائكة ينظرون فيه ثم اذا اراد جعل الحوادث داخلة فى الوجود على وفقه صار ذلك دليلا لهم زائدا على كونه تعالى عالما بكل المعلومات ثم انه تعالى بين ماعليه الكفرة من الشرك والعصيان مع ظهور دلائل وحدانيته وعلو شأنه وكبريائه وسبوغ آلائه ونعمائه فقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اى لم ينزل لجواز عبادته حجة سماوية ولا علما حاصلا لهم بضرورة عقولهم او بالاستدلال فلا حجة لهم

(فلا ينازعنك) سائر ارباب الملل (فى الامر) فى امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد اولان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لايضاربنك زيد وهذا انما يجوز فى افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت فى كفار خزاعة قالوا للمسلمين مالكم تأكلون ماقتلتم ولاتأكلون ماقتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة فى تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته (وادع الى ربك) الى توحيده وعبادته (انك لعلى هدى مستقيم) طريق الى الحق سوى (وان جادلوك) وقد ظهر الحق ولزمت الحجة (فقل الله اعلم بما تعملون) من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق (الله يحكم بينكم) يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب (يوم القيامة) كما فصل فى الدنيا بالحجج والآيات (فيما كنتم فيه تختلفون) من امر الدين (الم تعلم ان الله يعلم مافى السماء والارض) فلا يخفى عليه شئ (ان ذلك فى كتاب) هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له (ان ذلك) ان الاحاطة به واثباته فى اللوح المحفوظ او الحكم بينكم (على الله يسير) لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا) حجة تدل على جواز عبادته (وما ليس لهم به علم) حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله (وما للظالمين) وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم (من نصير) يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم

(واذا تتلى عليهم آياتنا) من القرآن (بينات) واضحات الدلالة على العقائد * الحقة والاحكام الالهية (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لا باطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة والاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر (يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) يثبون ويبطشون بهم (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم) من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ماتلوا عليكم (النار) اى هو النار كأنه جواب سائل قال ماهو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره (وعدها الله الذين كفروا) وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها (وبئس المصير) النار (يا ايها الناس ضرب مثل) بين لكم حال مستغربة او قصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اى مثل فى استحقاق العبادة (فاستمعوا له) للمثل او لبيانه استماع تدبر وتفكر (ان الذين تدعون من دون الله) يعنى الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين (لن يخلقوا ذبابا) لايقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفى دالة على منافاة مابين المنفى والمنفى عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان (ولو اجتمعوا له) بجوابه المقدر فى موضع حال جيئ به للمبالغة اى لايقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين (وان يسلبهم الذباب شيأ لايستنقذوه منه) جهلهم غاية التجهيل بان أشركوا الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات بأسرها تماثيل هى اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لاتقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لاتقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ مايختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله (ضعف الطالب والمطلوب) عابد الصنم ومعبوده

اذا فى عبادتها اصلا وانما يعبدونها عن محض الجهل ثم وبخهم بانهم مع جهلهم المفرط اذا تليت عليهم الآيات البينات الدالة على المنهج القويم والصراط المستقيم تعرف فى وجوههم المنكر اى اثر الانكار لما يتلى عليهم او الامر المنكر اى مايدل عليه وهو قصد الشر بمن تلا عليهم تلك الآيات وقوله تعالى يكادون يسطون حال اما من المضاف اليه وهو الموصول وجاز انتصاب الحال منه لكون المضاف جزأه واما من المضاف وهو الوجوه بناء على ان المراد اصحابها كما فى قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وضمن يسطون معنى يبطشون فعدى تعديته والا فهو متعد بعلى يقال سطا عليه واشار الى هذا بقوله ويبطشون بهم واما قوله يثبون فهو تفسير لاصل معناه فان السطو معناه الوثوب والحمل والمعنى واذا تتلى عليهم آياتنا تعرف فى وجوههم ذلك فى حال كونهم يقربون من ان يثبوا ويبطشوا بالذين تلوا عليهم القرآن وهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم من شدة الغيظ على التالين الذى لحقهم بسبب سماعه فأمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بان يخاطبهم بالوعيد فقال قل لهم أفأنبئكم الآية ﴿ قوله ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله ﴾ فهذه الجملة الاسمية لامحل لها لكونها مفسرة للجملة المتقدمة كأنه قيل مابشر من ذلكم فقيل النار وعدها الله وان قرئ النار مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف او منصوبا بتقدير اعنى او مجرورا على انه بدل من بشر تكون جملة وعدها الله مستأنفة لامحل لها ويجوز ان تكون حالا من النار على تقدير كونه منصوبا او مجرورا لا على تقدير كونه مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف لانه ليس فى جملة هو النار مايصح ان يعمل فى الحال بخلاف ما اذا كان منصوبا او مجرورا قال ابو البقاء قوله تعالى النار يقرأ بالرفع وفيه وجهان احدهما انه مبتدأ ووعدها الخبر والثانى انه خبر مبتدأ محذوف اى هو النار ووعدها على هذا مستأنف اذ ليس فى الجملة مايصح ان يعمل فى الحال واشار المصنف رحمه الله تعالى عليه الى هذا بقوله او حالا منها فانه معطوف على قوله استئنافا وقد فرع احتمال كونها مستأنفة على قرآءة النصب والجر فيكون احتمال الحالية ايضا متفرعا عليهما ﴿ قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل ﴾ متصل بقوله تعالى ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا بين اولا انهم يعبدون من دون الله مالم يتمسكوا فى صحة عبادته ببرهان سماوى من جهة الوحى ولا الجأهم اليه علم ضرورى ولا حملهم عليه دليل عقلى ثم ذكر بهذه الآية مايدل على بطلان حالهم وفساد عقلهم وفعلهم وقولهم وعبر عن دعواهم بان الله تعالى شريكا بالمثل تشبيها لها بالمثل السائر فى الغرابة فان لفظ المثل حقيقة عرفية فى القول السائر واستعارة فى الحال المستغربة والقصة العجيبة نادى الله المشركين ليلقى اليهم حالة غريبة او قصة رائعة متلقاة بالاستحسان والقبول وهى انهم اتخذوا العجز خلق الله تعالى والهم شركاءه فى الالوهية واستحقاق العبادة جل عن ذلك وتعالى وعبر عن هذه الحالة الغريبة بلفظ الماضى وهو ضرب المستدعى لتحقق الضرب والبيان فيما مضى مع انه تعالى هو المتكلم بهذا الكلام ابتداء بناء على ان مايورد من تلك الحالة الغريبة لغاية وضوحها بمنزلة امر تقدم بيانه ثم انه تعالى بين ما اجمله والمبهم بقوله ضرب مثل بان قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله الآية ولاشك ان اتخاذ من لايقدر على خلق احقر خلق الله قدرا وجثة الها معبودا حالة غريبة شبيهة بالمثل السائر واغرب منها انه لايقوى على مقاومة هذا المخلوق الاحقر الادنى ويعجز عن ذبه عن نفسه ﴿ قوله او جعل لله مثل ﴾ روى ان الاخفش قال ان قيل فأين المثل الذى ذكره الله تعالى فى قوله ضرب مثل قيل ليس ههنا مثل يضرب من الامثال وانما معناه شبه بى الاوثان وجعلت لى امثالا وشركاء ولايخفى ان القول بان ضرب بمعنى جعل لايخلو عن بعد ﴿ قوله لايقدرون على خلقه ﴾ تصوير لمعنى تأكيد النفى المستفاد من كلمة لن لان نفى القدرة على الفعل آكد من نفى نفس الفعل لكون نفيها نفيا للفعل بدليل بخلاف نفى اصل الفعل فانه نفى مجرد ﴿ قوله لان لن بما فيها من تأكيد النفى ﴾ علة لتصوير معنى تأكيد النفى بنفى القدرة على الخلق فان تحقق المنافاة بين المنفى والمنفى عنه انما يكون بعدم القدرة على الفعل المنفى ﴿ قوله وجمعه اذبة وذبان ﴾ يعنى ان الذباب اسم جنس وجمعه القليل اذبة ويجمع فى الكثرة على ذبان بكسر الذال وضمها والمذبة مايطرد بها الذباب ﴿ قوله بجوابه المقدر فى موضع حال ﴾ قد تقرر ان الواو فى مثل هذا التركيب عاطفة لهذه الجملة الحالية على حال محذوفة اى انتفى خلقهم الذباب على كل حال ولو كانت فيهم هذه الحالة المقتضية لخلقه لخلقوه وكأنه تعالى قال ان هذه الاصنام ان اجتمعت لاتقدر على خلق ذبابة على حقارتها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا وشريكا لخالق السموات والارض ﴿ قوله عابد الصنم ومعبوده ﴾ فان عابده يطلب منه

او الذباب يطلب مايسلب من الصنم من الطيب و الصنم يطلب منه الذباب السلب او الصنم و الذباب كأنه يطلبه ليستنقذ منه ماسلبه ولو حققت وجدت الصنم اضعف بدرجات (ماقدروا الله حق قدره) ماعرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ماهو ابعد الاشياء عنه مناسبة (ان الله لقوى) على خلق الممكنات بأسرها (عزيز) لايغلبه شئ وآلهتهم التي يدعونها عجزة عن اقلها مقهورة من اذلها (الله يصطفى من الملائكة رسلا) يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحى (ومن الناس) يدعون سائرهم الى الحق ويبلغون اليهم مانزل عليهم كأنه لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى ان يشاركه غيره فى صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله سبحانه وتعالى وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك (ان الله سميع بصير) مدرك للاشياء كلها (يعلم مابين ايديهم وماخلفهم) عالم بواقعها ومترقبها (والى الله ترجع الامور) واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لايسأل عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون (ياايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) فى صلاتكم امرهم بهما لانهم ماكانوا يفعلونهما اول الاسلام اوصلوا وعبر عن الصلاة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا (واعبدوا ربكم) بسائر ماتعبدكم به (وافعلوا الخير) وتحروا ماهو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام ومكارم الاخلاق (لعلكم تفلحون) اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر مافيها من الامر بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقرأهما (وجاهدوا فى الله) اى لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر (حق جهاده) اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا اولانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن اجله (هو اجتباكم) اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه وفى قوله (وماجعل عليكم فى الدين من حرج) اى ضيق بتكليف مايشتد القيام به عليكم اشارة الى انه لامانع لهم عنه ولاعذر لهم فى تركه اوالى الرخصة فى اغفال بعض ماامرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم بشئ فأتوا منه مااستطعتم وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد

بعبادته اياه ان ينفعه ويشفع له فالطالب هو العابد والمطلوب هو الثواب والنفع والمطلوب منه هو الصنم الا انه اطلق المطلوب على الصنم على طريق الحذف والايصال ﴿ قوله او الذباب يطلب مايسلب من الصنم من الطيب ﴾ فعلى هذا الطالب هو الذباب والمطلوب هو الطيب المسلوب والمطلوب منه هو الصنم واطلق عليه المطلوب على طريق الحذف والايصال ايضا ﴿ قوله او الصنم و الذباب ﴾ فعلى هذا الطالب هو الصنم والمطلوب هو الاستنقاذ والمطلوب منه هو الذباب الا انه سمى مطلوبا على طريق الحذف ايضا و الايصال ﴿ قوله تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم ﴾ هو علة لقوله بين ان له عبادا مصطفين مختارين قرر النبوة باصطفائه بعض الناس للرسالة وزيف طريق من عبد غير الله تعالى من الملائكة بقوله تعالى الله يصطفى من الملائكة رسلا بعد ماابطل قول من عبد الاوثان فى الآية المتقدمة فالمقصود من هذه الآية ابطال قول عبدة الملائكة وبيان ان علو درجتهم ليس من حيث كونهم آلهة يستحقون العبادة بل من حيث انهم عباد مكرمون اصطفى منهم رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء عليهم السلام قيل ويحتمل ان يكون المراد باصطفاء الملائكة انه تعالى يختار من الملائكة رسلا الى الملائكة فى بعض ماكلفهم به من انواع العبادات والطاعات فيبعث منهم اليهم رسلا يبلغ ذلك كما اختار من الانس رسلا اليهم يبعثهم فيما كلفهم به وفى الآية الشريفة دلالة على انه تعالى انما اصطفاهم للرسالة لانهم يستوجبون به ذلك ولكن كان ذلك افضالا منه وانعاما لهم حيث قال تعالى يصطفى لا كما قالت المعتزلة من انه تعالى لايختار للرسالة الا من كان فيه مايستحق به ذلك وقوله تعالى يعلم مابين ايديهم اى من امر الدنيا وماخلفهم اى من امر الآخرة اشارة الى العلم التام وقوله تعالى والى الله ترجع الامور اشارة الى القدرة التامة والتفرد بالالهية والحكم ومجموعهما يتضمن نهاية الزجر عن الاقدام على المعصية ثم انه تعالى لما قدم ذكر مايتعلق بالالهيات ثم ذكر مايتعلق بالثواب اتبعه بذكر مايتعلق بالشرآئع والاحكام وكلفهم اولا بما هو اجل العبادات وهو الصلاة او الجمع بين الركوع والسجود فيها كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان الناس كانوا فى اول الاسلام يركعون ولايسجدون حتى نزلت هذه الآية فقال تعالى ياايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ثم كلفهم بما يتناول الصلاة وغيرها من انواع العبادات التى يقصدبها التعظيم لامر الله فقال تعالى واعبدوا ربكم ثم كلفهم بما يتناول خدمة المعبود وتعظيم امره ويتناول الاحسان الى خلقه الذى هو عبارة عن الشفقة على خلق الله تعالى من افعال الخير كصلة الرحم ومكارم الاخلاق فكأنه تعالى قال كلفتكم بالصلاة ثم كلفتكم بما هو اعم منها وهو العبادة ثم كلفتكم بما هو اعم منها وهو الخيرات والفلاح الظفر بنعيم الآخرة وذكر ما الله تعالى بكلمة الترجى لان الانسان قلما يخلو فى ادآء ماكلف به من التقصير فليس هو على يقين فى خروجه من عهدة ماكلف به حتى يتيقن بترتب الثواب الموعود لمن اتى به ثم كلفهم رابعا بان يجاهدوا فى الله حق الجهاد اى جهادا فيه ولاجله وانتصابه على المصدر فحذفت كلمة فى واضيفت كلمة الجهاد الى الضمير على طريق الاتساع كما فى قوله • ويوم شهدناه سليما • من حيث ان الاضافة يكفى فيها ادنى ملابسة واختصاص وقد تحقق كونه حقا باستغراق الطاقة فيه • واصل المعنى جاهدوا فى الله تعالى من اجله جهادا حقا وتوصيف الجهاد بالحق يفيد ان هناك جهادا واجبا والمطلوب منهم الاتيان بذلك فاذا عكس واضيف الصفة الى الموصوف بعد اضافته الى الله تعالى افاد اثبات جهاد مختص بالله تعالى وان المطلوب القيام بواجبه وشرآئطه على وجه التمام والكمال بقدر الوسع والطاقة وهو معنى قوله واضيف الحق الى الجهاد مبالغة فانه تضاف الصفة الى الموصوف لتدل على ان المراد به ماهو الكامل فى شأنه ﴿ قوله وفيه تنبيه ﴾ يعنى ان قوله تعالى هو اجتباكم استئناف لبيان علة الامر بالجهاد فان نصرة الدين انما تكون بجهاد اعدآئه ﴿ قوله فى اغفال بعض ماامرهم به ﴾ اى فى تركه مع ذكره كما يترك المسافر الصوم فى السفر ويترك اتمام الاربع بالقصر ويترك المتوضئ غسل رجليه ويمسح على الخفين ومن لم يستطع ان يصلى قائما يترك القيام فيها ويصلى قاعدا ومن لم يستطع ذلك يصلى مومئا وعن عمر رضى الله عنه انه قال من جاءته رخصة فرغب عنها كلفه الله يوم القيامة ان يحمل مثل ثبير حتى يقضى بين الناس وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اجتمع امران فاحبهما الى الله تعالى ايسرهما • وقيل معنى قوله تعالى ماكان عليكم فى الدين من حرج ماجعل الله عليكم من حرج ان المؤمن لايبتلى من الذنوب بشئ الاجعل الله تعالى له مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم وبالقصاص وارش الجناية والديات وبعضها بالكفارات وليس فى دين الاسلام ذنب الا ويجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من العذاب به

(ملة ابيكم ابراهيم) منصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ماقبلها بحذف المضاف اى وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغرآء او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة اولان اكثر العرب كانوا من ذريته فغلبوا على غيرهم (هو سماكم المسلمين من قبل) من قبل القرآن فى الكتب القديمة (وفى هذا) وفى القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم اولابراهيم وتسميتهم مسلمين فى القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل فى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفى هذا تقديره وفى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين (ليكون الرسول) يوم القيامة متعلق بسماكم (شهيدا عليكم) بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى (وتكونوا شهدآء على الناس) بتبليغ الرسل اليهم (فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بانواع الفضل والشرف (واعتصموا بالله) وثقوا به فى مجامع اموركم ولاتطلبوا الاعانة والنصرة الامنه (هو مولاكم) ناصركم ومتولى اموركم (فنعم المولى ونعم النصير) هو اذ لا مثل له سبحانه فى الولاية والنصرة بل لامولى ولا ناصر سواه فى الحقيقة * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى

﴿سورة المؤمنين مكية وهى مائة﴾
﴿وتسع عشرة آية عند البصريين﴾
﴿وثمانى عشرة عند الكوفيين﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قد افلح المؤمنون) قد فازوا بامانيهم وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخلت الماضى ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ افلحوا على لغة اكلونى البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزآء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم

﴿قوله بفعل دل عليه مضمون ماقبلها﴾ فان نفى الحرج وهو حال الضيق يدل على التوسعة فهو مصدر فعل دل عليه مضمون قوله وماجعل عليكم فى الدين من حرج لكن لابد من تقدير المضاف ويجوز ان يكون منصوبا على الاغرآء اى الزموا ملة ابيكم واتبعوها ﴿قوله كان بسبب تسميته من قبل﴾ اى لما كان تسمية الله تعالى هذه الامة مسلمين بسبب انه تعالى استجاب دعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام بقوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وجعلها هذه الامة صار ابراهيم عليه الصلاة والسلام لكونه سببا لتسميتهم بذلك فى القرآن كانه سماهم مسلمين فى القرآن ﴿قوله شهيدا عليكم بانه بلغكم﴾ الظاهر انه ليس المراد بشهادته انه عليه الصلاة والسلام يشهد على المكذبين من امته بانه بلغهم لان الكلام مع المؤمنين لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اركعوا ولقوله تعالى سماكم المسلمين بل المراد بكونه شهيدا عليكم انه بلغكم تبليغا يترتب عليه تصديقكم اياه وقبولكم ماجاء به ليظهر به اسلامكم وعدالتكم بحيث تقبل الله شهادتكم على منكرى تبليغ المرسلين رسالتهم الا ان هذه الشهادة فى الحقيقة تعديل منه وتزكية لهم وليست شهادة لنفسه حتى يرد ان يقال شهادته عليه الصلاة والسلام على امته بانه بلغهم شهادة لنفسه فكيف تقبل فاجاب بانها تقبل لكونه معصوما ويمكن ان يقال تعديله عليه الصلاة والسلام لامته لماتوقف على تبليغه اياهم ولم يثبت ذلك الابشهادته كان ذلك التعديل فى الحقيقة شهادة لنفسه ومع ذلك قبلت لعصمته ولما كانت شهادته عليه الصلاة والسلام فى حق امته المؤمنين بمعنى التعديل كان الظاهر ان يقال شهيدا لكم بدل عليكم الا انه لما كان الرسول عليه الصلاة والسلام كالرقيب المهيمن على امته عديت بكلمة على فانها قد تستعمل بمعنى اللام كما فى قوله تعالى وماذبح على النصب وقال المصنف رحمه الله تعالى عليه فى سورة البقرة روى ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله تعالى ببينة التبليغ وهو اعلم بهم واتماما واقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقولون الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيشهد بعد التهم ﴿قوله لما خصكم﴾ اى الله بهذا الفضل والشرف اشارة الى ان تفريع قوله تعالى فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة بالفاء على قوله تعالى هو اجتباكم وقوله تعالى هو سماكم المسلمين يشعر بعلية ماذكر سابقا لوجوب التقرب اليه تعالى عليهم بانواع الطاعات وان تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر لكون الاول اشرف الاعمال البدنية والثانية اشرف الاعمال المالية * تم مايتعلق بسورة الحج والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة المؤمنين وهى مكية

﴿سورة المؤمنين مائة وثمانى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله وقد تثبت المتوقع﴾ كلمة قد سوآء دخلت على الماضى او المضارع تفيد التحقيق ويضاف اليه كونه متوقعا لمن يخاطبه واذا دخلت على الماضى يضاف الى هذين المعنيين التقريب من الحال نحو قد ركب الامير لمن يتوقع ركوبه اى حقا قد حصل عن قريب ما كنت تتوقعه من ركوب الامير واذا دخلت على المضارع يضاف اليهما فى الاغلب معنى التقليل نحو ان الكذوب قد يصدق اى حقا قد يقع منه الصدق وان كان قليلا وقال البغوى رحمه الله تعالى عليه قد حرف تأكيد وقال المحققون قد تقرب الماضى من الحال فتدل على ان الفلاح قد حصل لهم وانهم عليه فى الحال وهو معنى قول المصنف رحمه الله تعالى عليه وتدل على ثباته اى على تقرره وعدم انتفائه بعد الثبوت وهو الدليل على انها لتقريب الماضى من الحال ﴿قوله على لغة اكلونى البراغيث﴾ اى على ان يكون الواو حرفا دالا على ان الفاعل جمع كما ان تاء فعلت دالة على انه مؤنث وليست ضمير الفاعل او على ان يكون ضميرا مبهما يفسره المؤمنون ﴿قوله وافلح﴾ اى بفتح الهمزة واللام وضم الحاء بغير واو اكتفاء بالضمة عن الواو ﴿قوله وافلح على البناء للمفعول﴾ يعنى بمعنى ادخلوا فى الفلاح فيكون من افلح متعديا يقال افلحه اى اصاره الى الفلاح فيستعمل افلح لازما ومتعديا * واعلم انه تعالى اشار الى ان الفلاح الحقيقى لايحصل بمطلق الايمان بل انما يحصل بالايمان الحقيقى المقيد بجميع الشرآئط التى هى مذكورة فى هذه الآية منها كون العبد مؤديا للصلاة حال كونه ملابسا للخشوع والخضوع واختلف فى الخشوع فمنهم من جعله من افعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من

(جعله)

جمله من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات ومنهم من جمع بين الامرين وهو الاولى والخاشع في صلاته لابد ان تحصل له مما يتعلق بالقلب والقالب وجمع مايدل على ظاهره وباطنه نهاية الخضوع والتذلل للمعبود اما خشوع الظاهر والقالب فما يكون بالرأس تنكيسه ومايكون بالعين تعاميه عن الالتفات ومايكون بالاذن تذلله للاستماع ومايكون باللسان القرآءة بالحضور ومايكون باليدين وضع اليمين على الشمال بالتعظيم كالعبيد ومايكون بالظهر انحناؤه في الركوع مستويا ومايكون بالفرج لايظهر فيه اثر من آثار الخواطر الشهوانية ومايكون بالقدمين ثباتهما على الموضع وسكونهما عن الحركة التي لاتكون من افعال الصلاة واما خشوع الباطن فخشوع النفس بسكونها عن الخواطر والهواجس وخشوع القلب بملازمة الذكر ودوام الخضوع وخشوع السر بمراقبة المذكور وترك الخطاب الى المكونات وخشوع الروح باستغراقه في بحر المحبة وفنائه عند تجلي الجمال والجلال قال الامام رحمه الله تعالى عليه فان قيل هل ذلك واجب في الصلاة قلنا انه واجب عندنا ويدل عليه امور احدها قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها والتدبر لايتصور بدون الوقوف على المعنى وقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا معناه والله تبارك وتعالى اعلم انكم قفوا على عجائبه ومعانيه وثانيها قوله واقم الصلاة لذكرى فظاهر الامر للوجوب والغفلة تضاد الذكر لمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما الصلاة بذكره تعالى وثالثها قوله تعالى ولاتكن من الغافلين فظاهره التحريم وقوله تعالى حتى تعلموا ماتقولون تعليل لنهي السكران عن قربان الصلاة وهو مطرد في الغافل المستغرق المهتم بالدنيا ورابعها قوله صلى الله عليه وسلم « انما الصلاة تمسكن وتواضع » فكلمة انما للحصر وقوله صلى الله عليه وسلم « من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله تعالى الا بعدا » فصلاة الغافل لاتمنع عن الفحشاء وقال صلى الله عليه وسلم « كم من قائم حظه من قيامه التعب والنصب » وما اراد به الا الغافل « وقيل اجمعت العلماء رضي الله تعالى عنهم على انه ليس للعبد من صلاته الا ماعقل منها روى انه صلى الله عليه وسلم قال « ان العبد ليصلي الصلاة لايكتب منها له سدسها ولاعشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ماعقل منها » يعني لايقبل من صلاته الا ماعقل منها والصلاة وان لم تقبل تجزي جوازا وفسادا الا انها تقبل لتجزي قبولا وبين الامرين فرق ومن بشر الحافي انه قال من لم يخشع فسدت صلاته وعن الحسن رضي الله عنه كل صلاة لايحضر فيها القلب فهي الى العقوبة اسرع وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له قال الغزالي المصلي يناجي ربه كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة له لانها لاتتحقق الا اذا كان اللسان معبرا عما في القلب من التضرعات ولاشك ان المقصود من القرآن والاذكار والحمد والثناء والتضرع والدعاء خطاب والمخاطب هو الله تعالى فاذا كان القلب محجوبا بحجاب الغفلة وكان غافلا عن جلال الله تعالى وكبريائه ثم ان لسانه يتحرك بحكم العادة فانه بعيد عن القبول وكذا المقصود من الركوع والسجود ليس الا التعظيم تعالى والامتثال لامره تعالى وايقاع هذه الافعال لقصد التعظيم والامتثال لايمكن مع غفلة القلب عن المعبود والمقصود تعظيمه ولو جاز ان تكون هذه الافعال تعظيما لله تعالى مع ان القلب غافل عنه جاز ان تكون تعظيما لصنم بجنبه وهو غافل عنه ومما يدل على ان الصلاة لابد فيها من الخشوع والحضور ان الفقهاء اختلفوا فيماينويه المصلي بالسلام عند الجماعة والانفراد هل ينوي الحضورا والغيب والحضور معا فاذا احتيج الى التدبر في معنى السلام الذي هو آخر الصلاة احتيج الى التدبر في معنى التكبير والتسبيح والقرآءة الواقعة في اثنا الصلاة ثم قال الحضور عندنا ليس شرط الاجزآء بل هو شرط القبول والمراد من الاجزاء ان لايجب القضاء والمراد من القبول حكم الثواب والفقهاء انما يبحثون عن حكم الاجزآء لاعن حكم الثواب وغرضنا في هذا المقام هذا ثم قال هب ان الفقهاء حكموا بامرهم بجوازه أليس الاصوليون واهل الورع ضيقوا فيه الامر فهلا اخذت بالاحتياط فان بعض العلماء اختار الامامة فقيل له في ذلك فقال اخاف ان تركت الفاتحة ان يعاتبني الشافعي رحمه الله تعالى عليه وان قرأتها مع الامام يعاتبني ابو حنيفة رضي الله عنه فاخترت الامامة طالبا الخلاص من هذا الاختلاف ﴿ قوله والزكاة تقع على المعنى والعين ﴾ اي تقع على معنى التزكية والعين اي القدر الذي يخرجه صاحب النصاب منه ويدفعه الى الفقير فان اريد بها العين في الآية الشريفة فلابد من تقدير المضاف اي والذين هم لاداء الزكاة فاعلون واللام في قوله للزكاة مزيدة في المفعول لتقدمه على عامله ولكون العامل فرعا ﴿ قوله لايبذلونها ﴾ يعني ان قوله حافظون

روى انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه (والذين هم عن اللغو) عما لايعنيهم من قول وفعل (معرضون) لما بهم من الجد مايشغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لايلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله (والذين هم للزكاة فاعلون) وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ماتوجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف (والذين هم لفروجهم حافظون) لايبذلونها

(الاعلى ازواجهم اوماملكت ايمانهم) زوجاتهم اوسرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي اوحال اى حفظوها فى كافة الاحوال الا فى حال التزوج او التسرى اوبفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهى الى النفس واعظمها خطرا (فانهم غير ملومين) الضمير لحافظون اولمن دل عليه الاستثناء اى فان بذلوها لازواجهم اواماءهم فانهم غير ملومين على ذلك (فمن ابتغى وراء ذلك) المستثنى (فأولئك هم العادون) الكاملون فى العدوان (والذين هم لاماناتهم وعهدهم) لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق اوالخلق (راعون) قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفى المعارج لامانتهم على الافراد لأمن الالباس اولانها فى الاصل مصدر (والذين هم على صلواتهم يحافظون) يواظبون عليها ويؤدونها فى اوقاتها ولفظ الفعل فيه لما فى الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائى وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع فى الصلاة غير المحافظة عليها وفى تصدير الاوصاف وختمها بأمر الصلاة تعظيم لشأنها (اولئك) الجامعون لهذه الصفات (هم الوارثون) الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم (الذين يرثون الفردوس) بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهى مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار (هم فيها خالدون) انث الضمير لانه اسم للجنة اولطبقتها العليا (ولقد خلقنا الانسان من سلالة) من خلاصة سلت من بين الكدر (من طين) متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة اومن بيانية او بمعنى سلالة لانها فى معنى مسلولة فتكون من ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين

وان كان اثباتا صورة الا انه فى معنى النفى لان الحفظ عبارة عن الصون وترك الابتذال يقال فلان يحفظ نفسه ولسانه اى لا يبذلهما فيما لا يعنيه والمعنى والذين هم لفروجهم لا يبذلون الا على ازواجهم وانما احتيج الى اعتبار تضمين معنى النفى على تقدير ان تكون على صلة لحافظين لان قوله تعالى الا على ازواجهم استثناء مفرغ وذا لا يكون الا بعد النفى او مافى معناه وفعل الحفظ يتعدى بعلى باعتبار تضمينه معنى الامساك والقصر فان كلا منهما يتعدى بعلى قال الله تعالى أمسك عليك زوجك ويقال احفظ على عنان فرسي بتضمينه معنى أمسك ولولا اعتبار التضمين لما عدى بعلى فكون كلة على صلة حافظون يتوقف على اعتبار التضمين وجواز الاستثناء المفرغ فى الاثبات يتوقف على كونه فى معنى النفى ﴿ قوله اوسرياتهم ﴾ جمع سرية بضم السين وتشديد الراء والياء جميعا فعلية من السر وهو الجماع وهى جارية يطأها المولى للتناسل والتسرى وطئ الجارية تسررا اى وطئا مسرا والاصل التسرر قلبت الراء الاخيرة ياء كما فى تقضى البازى ﴿ قوله وانما قال ما ﴾ اى ولم يقل اومن ملكت مع ان الاماء من اقل اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن وعلمهن وامتهانهن فى الاعمال الخسيسة كسائر الحيوانات والبهائم فمن ابتغى اى طلب سوى الزوجات والسرارى فأولئك هم الكاملون فى العدوان حيث لم يقنعوا بما وسع الله تعالى عليهم من تزويج الاربع من الحرائر والتسرى بما شاء من الجوارى والعدوان الظلم او مجاوزة ما حده الله تعالى وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول العلماء رضى الله تعالى عنهم قال عطاء سمعت ان قوما يحشرون وايديهم حبالى فأظن انهم هؤلاء وروى انه تعالى عذب امة كانوا يعبثون بمذاكيرهم ﴿ قوله لما يؤتمنون عليه ﴾ فان الامانة والعهد مصدران فى الاصل ثم سمى الشئ المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا تسمية بالمصدر قال تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى الاعيان لا المعانى والمؤتمن عليه لا الامانة نفسها ﴿ قوله جمعه غير حمزة والكسائى ﴾ فانهما قرأا على صلاتهم بالتوحيد والباقون صلواتهم بالجمع قالوا وحدت اولا لافادة الخشوع فى جنس الصلاة اى صلاة كانت وجمعت آخرا لافادة المحافظة على اعدادها وهى الصلوات الخمس والوتر والسنن المرتبة والنوافل المروية ﴿ قوله الجامعون لهذه الصفات ﴾ اشارة الى ان قوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون وما بعده من المعطوفات من قبيل عطف الصفة على الصفة مع وحدة الذات ومعنى الجمع مستفاد من توسط الواو العاطفة بينها والحصر المستفاد من قوله تعالى فأولئك هم الوارثون من قبيل حصر الكمال واشار اليه بقوله الاحقاء بان يسموا وراثا والوارث هو الباقى بعد فناء المورث والقائم مقامه فى الاستعداد بما يستحقه مورثه فالجامعون لهذه العبارات والاوصاف المذكورة من حيث بقاؤهم بعد فناء اعمالهم التى هى من قبيل الاعراض بمنزلة الورثات الباقين بعد فناء مورثهم من حيث ان تلك الاعمال اورثتهم ما وعدهم الله تعالى بازائها من الثواب الجزيل ﴿ قوله وقيل انهم يرثون من الكفار ﴾ روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامنكم من احد الا له منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فان مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله» وذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال «خلق الله تعالى ثلاثة اشياء خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتى وجلالى لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث» قالوا يارسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث قال صلى الله عليه وسلم «هو الذى يقر السوء لاهله» ﴿ قوله من خلاصة ﴾ يعنى ان السلالة ما سل من الشئ اى نزع واستخرج على وجه التصفية والتخليص من كدره قال صاحب الديوان فعالة اسم لما يبقى بعد المصدر فالسلالة ما يبقى بعد السل كالنخالة والبراية لما بقيا بعد النخل والبرى وفيها دلالة على القلة فاذا قبضت على الطين بكفك فخرج من بين اصابعك صرفه وخالصه فهى سلالة وقال ابو عبيدة السلالة الخالص من كل شئ وقيل سمى التراب الذى خلق منه آدم سلالة لانه سل من كل تربة وسمى الولد سلالة لان اصله وهو الماء سل من تحت كل شعرة فقول صاحب الديوان رضى الله تعالى عنه مخالف لقول غيره واختار المصنف قول غيره رحمه الله تعالى عليهم ومن الاولى ابتدائية متعلقة بخلقنا والثانية تبعيضية متعلقة بمحذوف وهو صفة لسلالة اى خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان تكون الثانية لبيان الجنس كما فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان على تقدير ان تكون السلالة هو الطين ﴿ قوله او بمعنى سلالة ﴾ عطف على قوله بمحذوف اى اومن الثانية متعلقة بمعنى السلالة اى من صفوة مسلولة من طين فتكون ابتدائية كالاولى واختلف اهل التفسير فى الانسان فقال ابن عباس وعكرمة

(وقتادة)

و قتادة رضى الله تعالى عنهم المراد آدم عليه الصلاة و السلام فانه خلق من طين انسل من كل تربة و خلقت ذريته من ماء مهين فقوله تعالى ثم جعلناه مبنى على حذف المضاف اى ثم جعلنا نسله و يحتمل ان يكون ضمير جعلناه للانسان الذى هو آدم على طريق الاستخدام فان لفظ الانسان اسم شامل لآدم عليه الصلاة و السلام و لولده فيراد بالانسان نفس آدم و بضميره ولد آدم ومثله يسمى استخداما فى عرف اهل البديع ﴿ **قوله** او الجنس فانهم خلقوا من سلالات ﴾ اى من صفوات مسلولة من الماء و الطين وهى الاغذية النباتية التى سل منها الفم و الاسنان ثم المعدة ثم الكبد ثم الدماغ وهو اشارة الى ماذكره الامام بقوله الانسان انما يتولد من النطفة وهى انما تتولد من فضل الهضم الرابع وذلك انما يتولد من الاغذية وهى اما حيوانية او نباتية والحيوانية تنتهى الى النباتية و النباتية انما تتولد من صفوة الارض والماء فان الانسان بالحقيقة يكون متولدا من سلالة من طين ثم ان تلك السلالة بعد ان تواردت عليها اطوار الخلقة و ادوار الفطرة صارت منيا قال وهذا التأويل مطابق للفظ و لا يحتاج فيه الى التكلفات ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى امر بالعبادات فى الآية المتقدمة و من المعلوم ان الاشتغال بعبادة الله تعالى لايصح الابعد معرفته تعالى فلذلك عقبه بذكر مايدل على وجوده و اتصافه بصفات الجلال و الوحدانية و ذكر من الدلائل انواعا النوع الاول تقلب الانسان فى اطوار الخلقة وهى تسعة اطوار اولها كونه سلالة من طين و آخرها ماذكره الله تعالى بقوله ثم انكم يوم القيامة تبعثون وهذه الجملة اعنى قوله تعالى و لقد خلقنا الانسان جواب قسم محذوف اى والله لقد خلقنا الانسان ﴿ **قوله** بان خلقناه منها ﴾ لما كان جعل الانسان نطفة غير معقول اذ المعقول ان تجعل النطفة انسانا لم يحمل قوله تعالى جعلناه على معنى صيرناه بل حمله على معنى خلقناه وجعل انتصاب نطفة بنزع الخافض ﴿ **قوله** او ثم جعلنا السلالة نطفة ﴾ اى ثم صيرنا الاغذية المسلولة من الطين نطفة وقوله تعالى فى قرار متعلق بمحذوف على انه صفة لنطفة و يجوز ان تعلق بجعلناه على ان يكون المراد بالقرار صلب الرجل و يكون ضمير جعلناه للسلالة و يكون الجعل بمعنى التصيير فان جنس الانسان يخلق من المسلول من طين و ذلك المسلول لايصير نطفة فى الصلب الابعد زمان و المراد بالقرار موضع القرار و هو المستقر الذى اريد به الرحم سمى بالمصدر ثم وصف الرحم بالمكانة التى هى صفة للمستقر فيه لأحد معنيين اما على المجاز كطريق سائر و انما السائر من فيه و اما لمكانتها فى نفسها لانها تمكنت فى نفسها و جعلت مكينة حصينة محكمة محفوظة و ضمن خلق فى قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة و مابعده معنى جعل بمعنى التصيير فعدى الى اثنين كما ضمن جعل معنى خلق فعدى الى واحد نحو قوله تعالى جعل الظلمات و النور ﴿ **قوله** لتفاوت الاستحالات ﴾ فان خلق نسل آدم من النطفة متراخ رتبة و زمانا عن خلق نفسه من سلالة من طين و كذا تصيير السلالة متراخ رتبة عن خلق الانسان من تلك السلالة و كذا الحال فى تحويل النطفة علقة بالنسبة الى خلق نسل آدم من النطفة بخلاف التحويلات الباقية فانها امور متعاقبة ﴿ **قوله** و الجمع ﴾ اى و جمع العظام فى الموضعين و هو قرآءة العامة مع ان لفظ العظم لكونه اسم جنس مغن عن الجمع لدلالة على مابين افرادها من الاختلاف فى الهيئة و الصلابة ﴿ **قوله** تعالى احسن الخالقين ﴾ نعت الجلالة و يجوز ان يكون بدلا من لفظ الجلالة و الاول اولى لان البدل بالمشتق قليل و يجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو أحسن و الاصل عدم الحذف ومنع ابو البقاء كونه صفة قال لانه نكرة ان اضيف الى المعرفة لان المضاف اليه عوض من كلمة من و هكذا جميع باب افعل من و هذا المنع مبنى على احد القولين فى افعل التفضيل اذا اضيف هل اضافته محضة او لا و الصحيح الاول قالت المعتزلة لولا ان يكون غير الله تعالى قد يكون خالقا لما جاز القول بانه احسن الخالقين كما انه لو لم يكن فى عباده من يحكم و يرحم لم يجز ان يقال فى حقه انه احكم الحاكمين و ارحم الراحمين و المصنف رحمه الله تعالى عليه اشار الى جوابهم بتفسير الخالقين بالمقدرين فان الخلق هو التقدير قال زهير

٭ ولأنت تفرى ماخلقت وبعض القوم يخلق ثم لايفرى ٭

اى ولأنت تقدر امرا فتمضيه و بعض القوم يقدر و لايمضى و الآية انما تكون حجة للمعتزلة اذا كان التقدير مستلزما للايجاد و ليس كذلك و المعنى احسنهم خلقا و تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه فى قوله تعالى اذن للذين يقاتلون و هو القتال لدلالة يقاتلون عليه ﴿ **قوله** و لذلك ﴾ اى و لكون المصير الى الموت امرا ثابتا لامحالة ذكر النعت الذى هو الثبوت و هو الصفة المشبهة و لم يذكر ماهو للحدوث و هو اسم الفاعل و هذه الاطوار التى يتقلب الانسان فيها لايقدر عليها غيره تعالى فهى دليل على وجوده و كمال قدرته

او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد أدوار و قيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه و السلالة نطفته (ثم جعلناه) ثم جعلنا نسله فحذف المضاف (نطفة) بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة و تذكير الضمير على تأويل الجوهر او المسلول او الماء (فى قرار مكين) مستقر حصين يعنى الرحم وهو فى الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار (ثم خلقنا النطفة علقة) بان أحلنا النطفة البيضاء علقة حمراء (فخلقنا العلقة مضغة) فصيرناها قطعة لحم (فخلقنا المضغة عظاما) بان صلبناها (فكسونا العظام لحما) مما بقى من المضغة او مما أنبتنا عليها مما يصل اليها و اختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات و الجمع لاختلافها فى الهيئة و الصلابة و قرأ ابن عامر و ابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع و قرئ بافراد احدهما و جمع الآخر (ثم انشأناه خلقا آخر) هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت و احتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فأفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر (فتبارك الله) فتعالى شأنه فى قدرته و حكمته (احسن الخالقين) المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه (ثم انكم بعد ذلك لميتون) لصائرون الى الموت لامحالة ولذلك ذكر النعت الذى للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) للمحاسبة و المجازاة (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرآئق) سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل مافوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها (وما كنا عن الخلق) عن ذلك المخلوق الذى هو السموات او عن جميع المخلوقات (غافلين)

معطلين امرها بل نحفظها من الزوال والاختلال وندبر أمرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة (وانزلنا من السماء ماء بقدر) بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم (فأسكناه) فجعلناه ثابتا مستقرا (فى الارض وانا على ذهاب به) على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه (لقادرون) كما كنا قادرين على انزاله وفى تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة فى الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين (فأنشأنا لكم به) بالماء (جنات من نخيل واعناب لكم فيها) فى الجنات (فواكه كثيرة) تتفكهون بها (ومنها) ومن الجنات ثمارها وزروعها (تأكلون) تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضمير ان للنخيل والاعناب اى لكم فى ثمرتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه (وشجرة) عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اى ومما انشئ لكم به شجرة (تخرج من طور سيناء) جبل موسى بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامى ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس فى كلامهم وقرئ بالكسر والقصر (تنبت بالدهن) اى تنبت ملتبسة بالدهن ومستصحبة له ويجوز ان يكون الباء صلة معدية لتنبت كما فى قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب فى رواية تنبت وهى اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير

رأيت ذوى الحاجات عند بيوتهم ٭ قطينا لهم حتى اذا انبت البقل ٭

او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان (وصبغ للآكلين) معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفى الشئ على الآخر اى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اى يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ فى دبغ

(خرج)

و علمه وحكمته ثم انه تعالى استدل على ذلك بخلقه السموات بقوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق اى سبع طبقات متطارق بعضها فوق بعض ﴿ قوله معطلين امرها ﴾ اشارة الى ان المراد بالخلق السموات السبع واللام فيه للعهد وانه بمعنى المخلوق بين الله تعالى بذلك كمال علمه وحكمته بعدما بين قدرته بخلق نفسها كأنه قيل خلقناها فوقكم وما كنا عما تحدث وما تجرى فيها او عن حفظها وامساكها ان تقع عليكم غافلين ويحتمل ان يكون المراد بالخلق الناس وسائر الحيوانات والمقصود بيان الحكمة فى خلقها كأنه قيل انما خلقناها فوقهم لتفتح لهم ابواب الرزق والبركات عليهم منها وينتفعوا بمنافعها فنحن لسنا غافلين عنهم وعما يصلحهم ثم انه تعالى استدل على ذلك بنزول المطر وكيفية تأثيره فى النبات فقال تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر اى انزلناه انزالا ملتبسا بتقدير يكثر نفع ذلك التقدير ويقل ضرره فقوله بقدر صفة مصدر محذوف واما ان كان القدر بمعنى المقدار فحينئذ يكون صفة لقوله ماء والتقدير لا يقتضى مقيسا عليه بخلاف المقدار فلذلك اضاف المقدار الى المقيس عليه ولم يضف التقدير اليه واختلف المفسرون رحمهم الله تعالى عليهم فى ان المراد بالسماء ما هو فذهب اكثر المفسرين الى ان المراد بها المظلة الخضراء وان مياه الارض كلها نازلة منها وجعل الله تعالى منافع الارض متصلة بمنافع السماء مع بعد ما بينهما وبين ذلك بان منشئهما ومدبرهما واحد عالم بذاته وذهب الآخرون الى ان المراد بها السحاب وسماه سماء لسموه وارتفاعه والمعنى انه تعالى اصعد الاجزاء المائية من البحار الى السماء حتى صارت عذبة صافية ثم انزل تلك المياه لتفرقها فى قعر الارض والله تبارك وتعالى اعلم بحقيقة الحال ثم انه تعالى امتن علينا بابقاء الماء الذى هو قوام مصالح الدنيا والدين قال تعالى وانا على ذهاب به اى بالماء لقادرون وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى انزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل عليه السلام واستودعها الجبال فأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى اصناف معاشهم وذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج ارسل الله تعالى جبريل عليه الصلاة والسلام ورفع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد فقد اهلها خيرى الدنيا والدين ثم اعلم ان الماء نعمة فى نفسه وهو مع ذلك سبب لحصول نعم اخرى فلا جرم امتن الله تعالى اولا بانزاله واتبعه بذكر ما يحصل به من النعم فقال تعالى فأنشأنا لكم به جنات الآية ﴿ قوله او ترزقون ﴾ تفسير ثان لقوله تعالى تأكلون فان الاكل حقيقة فى ابتلاع المطعوم والتغذى به ويطلق ايضا على تحصيل ما يتمتع به الانسان فى تعيشه من المأكل والملبس ونحوهما مجازا مرسلا بطريق التعبير عن الشئ باسم معظم ما يقصد منه ﴿ قوله ومنع صرفه ﴾ اى منع صرف سيناء بكسر السين والمد وهى قراءة نافع وابن كثير وابى عمرو بخلاف عاصم وحمزة والكسائى وابن عامر ويعقوب فانهم قرأوا سيناء بفتح السين والمد والاعمش بالكسر والقصر وليس فى كلامهم فعلاء بكسر الاول وهمزته للتأنيث بل هى للالحاق بسرداح وقرطاس كما فى علباء فتكون الهمزة فيها منقلبة عن ياء او واو لان الالحاق لا يكون الا بهما فلما وقع حرف العلة متطرفا بعد الف زائدة قلب همزة كما فى رداء وكساء ﴿ قوله اى تنبت ملتبسة بالدهن ﴾ اى وفيها الدهن على ان يكون بالدهن حالا من فاعل تنبت وجوز كونه مفعولا به غير صريح لتنبت ومن قرأ تنبت بضم التاء وكسر الباء جعل انبت بمعنى نبت كما فى بيت زهير

٭ رأيت ذوى الحاجات عند بيوتهم ٭ قطينا لهم حتى اذا انبت البقل ٭

قوله رأيت على لفظ الخطاب والقطين الخدم والاتباع جمع قاطن اى رأيت الفقراء والمساكين مقيمين حول بيوتهم لقضاء حوائجهم حتى اذا نبت البقل وظهر الخصب فحينئذ يتفرقون وينقطعون من حولها ويجوز ان يكون انبت متعديا حذف مفعوله اى تنبت زيتونها وفيه الزيت فقوله تعالى بالدهن على الوجهين فى موضع الحال وفيه وجه ثالث لم يتعرض له المصنف رحمه الله تعالى عليه وهو ان تكون الباء فيه زائدة فى المفعول كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقرئ تنبت بالدهن بضم التاء وفتح الباء على بناء المفعول من انبته الله تعالى وبالدهن حال من المفعول القائم مقام الفاعل اى ملتبسة بالدهن وفى حرف تثمر بالدهن وقرئ تخرج بالدهن مضارع

(وان لكم فى الانعام لعبرة) تعتبرون بحالها وتستدلون بها (نسقيكم مما فى بطونها) من الالبان اومن العلف فان اللبن يتكون منه فمن
للتبعيض اوللابتداء (ولكم فيها منافع كثيرة)
فى ظهورها واصوافها وشعورها (ومنها
تأكلون) فتنتفعون باعيانها (وعليها) وعلى
الانعام فان منها مايحمل عليه كالابل والبقر
وقيل المراد الابل لانها هى المحمول عليها
عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال
ذوالرمة سفينة برّ تحت خدى زمامها فيكون
الضمير فيها كالضمير فى وبعولتهن احق بردهن
(وعلى الفلك تحملون) فى البر والبحر
(ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم
اعبدوا الله) الى آخر القصص مسوق لبيان
كفران الناس ماعدد عليهم من النعم المتلاحقة
وماحاقهم من زوالها (مالكم من اله غيره)
استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائى
غيره بالجر على اللفظ (أفلا تتقون) أفلا تخافون
ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم
برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم
نعمه التى لاتحصونها (فقال الملأ) الاشراف
(الذين كفروا من قومه) لعوامهم (ماهذا
الابشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم) اى
يطلب الفضل عليكم ويسودكم (ولوشاء الله)
ان يرسل رسولا (لانزل ملائكة) رسلا
(ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين) يعنون نوحا
اى ماسمعنا انه نبى او ماكلمهم به من الحث على
عبادة الله ونفى اله غيره او من دعوى النبوة
وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا فى
فترة متطاولة (ان هو الارجل به جنة) اى
جنون ولاجله يقول ذلك (فتربصوا به)
فاحتملوه واننظروا (حتى حين) لعله يفيق
من جنونه (قال) بعدما أيس من ايمانهم (رب
انصرنى) باهلاكهم او بانجاز ماوعدتهم من
العذاب (بما كذبون) بدل تكذيبهم اياى او
بسببه (فأوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا)
بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك
مفسد (ووحينا) وامرنا وتعليمنا كيف تصنع
(فاذا جاء امرنا) بالركوب او نزول العذاب
(وفار التنور) روى انه قيل لنوح اذا فار الماء
من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه
اخبرته امرأته فركب ومحله فى مسجد الكوفة
عن يمين الداخل ممايلى باب كندة وقيل عين
وردة بالشام وفيه وجوه اخر ذكرتها فى هود (فاسلك فيها) فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ماسلككم فى سقر
(من كل زوجين اثنين) من كل امتى الذكر والانثى واحدين مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين اى من كل نوع زوجين واثنين تأكيد

يخرج وتخرج الدهن مضارع اخرج وتنبت بالدهان وهو جمع دهن كرمح ورماح والصبغ والصباغ مايصبغ به
اى يؤتدم سمى الادام صبغا لان الخبز يلون به ان غمس فيه ونحوهما الدبغ والدباغ لمايدبغ به ثم انه تعالى لما استدل
على وجوده وكمال علمه وقدرته وحكمته بانزال الماء واخراج انواع النبات به استدل عليه بأنواع الحيوانات
ايضا فقال تعالى وان لكم فى الانعام لعبرة ثم فصل مافيها من وجوه الاعتبار وذكر منها اربعة اوجه الاول قوله
نسقيكم مما فى بطونها والمراد جميع وجوه الانتفاع بألبانها ووجه الاعتبار فيها أنها تجمع فى الضروع وتخلص
من بين الفرث والدم باذن الله تعالى فتستحيل الى طهارة والى لون وطعم موافق للشهوة وتصير غذاء فمن استدل
بذلك على قدرته تعالى وحكمته تكون هذه النعمة فى حقه من النعم الدينية ومن انتفع به فى امر معاشه تكون
فى حقه من النعم الدنيوية والثانى قوله تعالى ولكم فيها منافع كثيرة والثالث قوله تعالى تأكلون افرد منفعة الاكل
بالذكر لكونها انتفاعا مغايرا لما سبق من حيث كونها انتفاعا بأعيانها بعد ذبحها بخلاف المنافع السابقة فانها
انتفاع بمنافعها الخارجة عن ذواتها وهى حية باقية باعيانها ورابعها قوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون
﴿ قوله فيكون الضمير فيها كالضمير الخ ﴾ اى على تقدير ان يراد بالضمير الابل خاصة يكون الضمير فيها كالضمير
فى قوله تعالى وبعولتهن بعد قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء فى كونه راجعا الى بعض مدلول المذكور فان
ضمير بعولتهن يرجع الى بعض المطلقات وهو المطلقات طلاقا رجعيا فكذا ضمير عليها ان اريد به الابل خاصة ثم انه
تعالى لمابين دلائل التوحيد اردفها بالقصص كما هو العادة فى سائر السور الكريمة وابتدأ بقصة نوح عليه
الصلاة والسلام قيل الحكمة فى تكرير القصص ان فى كل قصة كررها الفاظا وفوائد ونكتا ماليس فى الاخرى
وفى تكريرها تأكيد الحجة وتجديد العظة ارسله الله تعالى ليدعو الناس الى عبادة الله تعالى وحده فلما دعاهم
الى ذلك ولم ينفع فيهم الدعاء واستمروا على عبادة غيرالله حذرهم بقوله افلا تتقون لينصرفوا عماهم عليه ثم انه تعالى
حكى عنهم خمس شبه الشبهة الاولى قوله تعالى حكاية عنهم ماهذا الابشر مثلكم يشارككم فيمابكم من الاوصاف
ولوكان رسولا من الله تعالى لكان معظما عنده ومميزا عن سائر الخلق بمزيد الدرجة والعزة فلما لم يكن كذلك
علمنا انه ليس رسول الا انه ادعى الرسالة ليتفضل عليكم اى يطلب الفضل عليكم بدعوى الرسالة وليس كذلك وبناء
التفعل لتكلف ماليس فى الانسان من الصفة وهو يريد ان يتصف به كالتفقه والتكرم وبناء التفاعل لتكلف ماليس
فى الانسان من الصفة التى لايريد كونها فيه كالتعامى والتعارج والتجاهل والشبهة الثانية قوله تعالى حكاية عنهم
ايضا ولوشاء الله لانزل ملائكة لان انزالهم اشدّ افضاء الى المقصود بالنسبة الى ارسال البشر لان الملائكة اعلى شأنهم
وشدة سطوتهم وكثرة علومهم ينقاد الخلق اليهم ولايشكون فى رسالتهم فلما لم يفعل ذلك علمنا انه تعالى لم يرسل رسولا
بشرا والشبهة الثالثة قوله تعالى حكاية عنهم ماسمعنا بهذا اى بنوح وبماتكلم به من الحث على عبادة الله تعالى او من
دعوى الرسالة وهو بشر فى آبائنا الاولين لانهم كانوا لايعولون فى شئ من مذاهبهم الاعلى التقليد والرجوع الى الآباء
فلذلك لم يسلكوا الطريقة بالنظر ولم يبنوا الاعلى التقليد والشبهة الرابعة قوله تعالى حكاية عنهم ايضا قولهم لعوام
ان هو الارجل به جنة فانه عليه الصلاة والسلام كان يفعل افعالا على خلاف عاداتهم فكان الرؤساء يقولون لعوامهم انه
مجنون فكيف يجوز ان يكون رسولا والشبهة الخامسة قوله تعالى حكاية عنهم ايضا فتربصوا به حتى حين لعله يفيق
فيرجع عن قوله او يموت على جنونه فتستريح منه ﴿ قوله تحفظنا ﴾ يعنى ان لفظ الاعين استعير للحفظ تشبيها
لحفظ الله تعالى اياه بمحافظة الحفاظ بكلاءته بعيونهم ويسمون اعينا لكون العين اعظم مايتوسلون به الى الحفظ
فصاروا بذلك كأنهم عيون بانفسهم وكذا الجاسوس يسمى عينا لذلك ﴿ قوله وقيل عين وردة ﴾ اى قيل ان محل
التنور الذى نبع منه الماء موضع بالشام يقال له عين وردة قال المصنف رحمة الله عليه فى سورة هود وردة من ارض
الجزيرة وقيل التنور وجه الارض واشرف موضع فيها انتهى كلامه والمشهور ان ارض الجزيرة فى ناحية ديار بكر
والله تبارك وتعالى اعلم ﴿ قوله يقال سلك فيه ﴾ اى دخله بنفسه وسلكه غيره ومنه الآية ويفرق
بينهما بالمصدر يقال سلكه فيه سلكا وسلك فيه سلوكا قرأ العامة من كل زوجين اثنين بالاضافة وقرأ عاصم فى رواية
حفص رحمهما الله تعالى بالتنوين فان قرئ بالاضافة يكون قوله اثنين مفعول اسلك اى اسلك فيها اثنين واسلك فيها
ايضا اهلك فوجب ان يقدر مضاف آخر بين المضاف والمضاف اليه ويكون التقدير من كل امتى زوجين اذلو لم يقدر
هذا المضاف لم يستقم المعنى لانه لوحمل الكلام على ظاهره لزم ان يحمل الزوجان جميعا لان الكلام حينئذ بمنزلة

ان يقال احمل من كل زوجين زوجين واحمل من كل اثنين اثنين والاثنان المحمولان لا يكونان من اثنين بل هما كل نفس الاثنين فلا يستقيم المعنى الا بتقدير المضاف الا يكون المعنى حينئذ احمل من كل صنف الذكر والانثى فردين من زوجين لئلا ينقطع نسل ذلك الصنف من الحيوان روى انه عليه الصلاة والسلام لم يحمل في السفينة الا ما يلد ويبيض واما نحو البق والذباب والدود فلم يحمل منها لانها انما تخرج من الطين ولا ينقطع نسلها بان لا يحمل ﴿ قوله تعالى واهلك ﴾ عطف على قوله اثنين على قرآءة الاضافة وعلى قوله زوجين اثنين على قرآءة التنوين والمراد باهله اهل بيته وهو امرأته وبنوه ونساؤهم واستثنى منه ابنه كنعان وامه واعلمه فانهم كانوا كافرين فقال الا من سبق عليه القول منهم قال تعالى في سورة هود قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل ولم يذكر في هذه الآية من آمن اكتفاء بدلالة الاستثناء لمن سبق عليه القول من اهل بيته فانه يدل على انه تعالى امر بادخال جميع من آمن به وان لم يكن من اهل بيته وجوز المصنف رحمه الله تعالى عليه ان يكون المراد بقوله واهلك جميع من آمن به سوآء اتصل به نسبا او لم يتصل فيكون قوله الا من سبق عليه القول استثناء منقطعا ولا يخلو عن بعد وقوله تعالى انهم مغرقون استئناف لبيان علة نهيه عليه الصلاة والسلام عن الدعاء للذين ظلموا بالانجاء فانه تعالى لما حكم عليهم بالاغراق واخبر بذلك وجب ان ينهاه عنه اى عن دعاء الانجاء في حق بعضهم لانه تعالى ان اجابه اليه فقد صير خبره الصدق كذبا وان لم يجبه اليه كان ذلك تحقيرا لشأنه عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك ﴾ اى اذا تمكنت فيها معتدلا متمكنا تمكن المستوى على الشئ فاحمد الله تعالى على نعمة الانجاء فحمد الله تعالى بان استوآهم على السفينة بسبب انجائهم من الغرق واهلاك الظالمين الذين حرموا من الدخول فيها فامره بان يحمده على هذه النعمة ثم انه تعالى بعد ان امره بالحمد على النعمة المذكورة امره بان يدعو لنفسه بان يقول عند النزول في السفينة او من السفينة الى الارض رب انزلني منزلا مباركا والاحتمال الاول اظهر لانه امر بهذا الدعاء حال استقراره في السفينة فيكون هي المنزل دون غيرها ﴿ قوله وقرئ منزلا ﴾ اى بضم الميم وفتح الزاى وهي قرآءة من عدا ابا بكر واما هو فقد قرأ بفتح الميم وكسر الزاى وهو يحتمل ان يكون اسم المكان النزول وان يكون مصدرا ميميا بمعنى النزول على اقامة مصدر الثلاثي مقام مصدر الرباعي كما في قوله تعالى أنبتكم من الارض نباتا والمنزل بضم الميم ايضا يحتمل ان يكون اسم مكان الانزال وقوله تعالى وانت خير المنزلين ثناء على الله تعالى بعد دعائه وامره الله تعالى بان يشفع الدعاء المذكور به مبالغة فيه لان ثناء المحتاج على الغنى الكريم يغني غناء السؤال ويقوم مقامه واذا شفع السؤال به يؤكده ويقويه ﴿ قوله وانما افرده بالامر ﴾ اى حيث قال تعالى فقل الحمد لله ولم يقل فقولوا مع انه المناسب لقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك على الفلك لان معناه فاذا استويتم ﴿ قوله اظهارا لفضله ﴾ لان الامر خطاب من الآمر مع المأمور ولا شك ان كون العبد مخاطبا لله تعالى خطاب الارشاد والتعليم غاية الشرف والفضل له ولا يليق به الا ملك مقرب او نبي مكرم فلذلك افرد نوح عليه الصلاة والسلام بالامر اظهارا لفضله وايضا لما كان نبيا لهم واماما وكانوا اتباعا له داخلين في حكمه كان قوله في حكم قولهم ودعاؤه في حكم دعائهم فكان افراده بالامر اشعارا بذلك من حيث كونه متولي امورهم وان ولايته محيطة بهم ﴿ قوله وان هي المخففة ﴾ اى من الثقيلة والمعنى وان الشان والقصة كنا مبتلين اى مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او مختبرين ممتحنين عبادنا بهذه الآيات ليظهر من يعتبر ويذكر ونظيره قوله تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ﴿ قوله هم عاد ﴾ اى قوم هود ويشهد لهم مجئ قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وهود والشعرآء وما اخبر الله تعالى به من قوله لقومه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وقيل هم قوم صالح استدلالا بما يعقبه من ذكر الصيحة التي ذكرت في قصة ثمود فان قوم هود اهلكوا بالريح العقيم لقوله تعالى واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية ﴿ قوله وانما جعل القرن موضع الارسال ﴾ اشارة الى ان كلمة في في قوله تعالى فارسلنا فيهم رسولا ليست صلة للارسال لانه يتعدى بالى بل هي للظرفية وبيان ان القرن في موضع الارسال قطع ارسلنا عن صلته وجعله مطلقا عن التعلق بالمرسل اليه على طريق تعلق الفعل بالمعمول به ثم عدى الفعل اليه على مبالغة وجعل ظرفا للفعل كقوله تعالى واصلح لي في ذريتي فان قوله ذريتي انقطع عن كونه مفعولا به وذهب به الى كونه ظرفا لاصلح اى اجعل ذريتي موضعا للصلاح وكذا قوله يجرح في عراقيبها نصلي ﴿ قوله لعله ذكر بالواو ﴾ اى ذكر قول الملأ في جواب هذا الرسول بالواو وذكر في جواب نوح عليه الصلاة والسلام بالفاء لعل الوجه فيه

(واهلك) واهل بيتك او ومن آمن معك (الا من سبق عليه القول منهم) اى القول من الله بهلاكه لكفره وانما جيء بعلى لان السابق ضار كما جيء باللام حيث كان نافعا في قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) بالدعاء لهم بالانجاء (انهم مغرقون) لا محالة لظلمهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف وقد امر بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله (فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (وقل رب انزلني) في السفينة او في الارض (منزلا مباركا) يتسبب لمزيد الخير في الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال (وانت خير المنزلين) ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان في دعائه مندوحة عن دعائهم فانه محيط بهم (ان في ذلك) فيما فعل بنوح وقومه (لآيات) يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار والاعتبار (وان كنا لمبتلين) لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الآيات وان هي المخففة واللام هي الفارقة (ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين) هم عاد او ثمود (فارسلنا فيهم رسولا منهم) هو هود او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحى اليه وهو بين اظهرهم (ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره) تفسير لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله (أفلا تتقون) عذاب الله (وقال الملأ من قومه الذين كفروا) لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح

وحيث استؤنف به فعل تقدير سؤال (وكذبوا بلقاء الآخرة) بلقاء مافيها من الثواب والعقاب او بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث (واترفناهم) ونعمناهم (في الحياة الدنيا) بكثرة الاموال والاولاد (ماهذا الابشر مثلكم) في الصفة والحال (يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) تقرير للمماثلة وماخبرية والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ماقبله عليه (ولئن أطعتم بشرا مثلكم) فيما يأمركم (انكم اذا لخاسرون) حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه (أيعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما) مجردة عن اللحوم والاعصاب (انكم مخرجون) من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول أكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اى انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثاني عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة (هيهات هيهات) بعد التصديق او الصحة (لما توعدون) او بعد ما توعدون واللام للبيان كما في هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء (ان هي الا حياتنا الدنيا) اصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاول لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرير واشعارا بان تعينها مغن عن التصريح بها كقوله

هي النفس ماحملتها تتحمل * ومعناه لا حياة الا هذه الحياة الدنيا لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي مابعدها نفي الجنس (نموت ونحيى) يموت بعضنا ويولد بعض (ومانحن بمبعوثين) بعد الموت (ان هو) ماهو (الا رجل افترى على الله كذبا) فيما يدعيه من ارساله له او فيما يعدنا من البعث (ومانحن له بمؤمنين) بمصدقين (قال رب انصرني) عليهم وانتقم لي منهم (بما كذبون) بسبب تكذيبهم اياي (قال عما قليل) عن زمان قليل وما صلة لتأكيد معنى القلة او نكرة موصوفة (ليصبحن نادمين) على التكذيب اذا عاينوا العذاب

ان كلام الملأ الثاني لم يتصل بكلام الرسول اى لم يقع عقيب كلامه حتى يعطف عليه بفاء التعقيب بل اجتمع في الحصول قولهم الباطل وكلامه الحق فعطف عليه بالواو للدلالة على اجتماعهما في الوجود ﴿ قوله وحيث استؤنف به ﴾ جواب عما يقال ذكر الله تعالى جواب قوم هود له في سورة الاعراف وفي سورة هود بغير واو وهو قوله قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وقوله قالوا ما نراك الا بشرا مثلنا وذكره ههنا بالواو فأي فرق بينهما وتقرير الجواب ظاهر ﴿ قوله وماخبرية ﴾ اى موصولة والعائد في قوله ماتشربون اما منصوب والتقدير تشربونه او مجرور اى تشربون منه ﴿ قوله او انكم مخرجون مبتدأ ﴾ مؤول بمصدر مرفوع على الابتداء والظرف المقدم خبره والجملة خبر انكم الاول والتقدير أيعدكم انكم اخراجكم كائن او مستقر وقت موتكم ﴿ قوله او فاعل ﴾ عطف على قوله مبتدأ اى ويحتمل ان يكون قوله تعالى انكم مخرجون مؤولا بمصدر مرفوع على انه فاعل فعل مقدر وذلك الفعل المقدر جواب اذا الشرطية واذا الشرطية وجوابها المقدر خبر لانكم الاول والتقدير أيعدكم انكم اذا متم وقع اخراجكم فكلمة اذا على الوجهين الاولين ظرفية وعلى هذا الوجه شرطية ﴿ قوله ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا ﴾ والتقدير أيعدكم انكم اذا متم مخرجون وهذا المقدر هو العامل في الظرف وان الثانية وما في حيزها بدل من الاول ﴿ قوله لا ان يكون الظرف ﴾ اى لا يجوز ان يكون خبر الاول للظرف لان اسم الاول جثة والظرف لا يكون خبرا من الجثة وانما يكون خبرا عن الحدث والاظهر هو الوجه الاول وهو ان يكون خبر ان الاول هو مخرجون وهو العامل في اذا وكررت الثانية تأكيدا لما طال الفصل * فان قيل ما في حيز ان لا يعمل فيما قبلها فكيف تقول ان عامل الظرف في الوجه الاول هو مخرجون * قلنا مخرجون ليس في حيز ان الثانية بل في حيز الاول والثانية انما جيء بها لمحض التأكيد ولا يجوز ان يكون العامل في اذا متم لانه مضاف اليه فلا يعمل في المضاف ﴿ قوله بعد التصديق ﴾ يعني ان هيهات اسم للفعل لازم وهو بعد فلا بد له من فاعل مرفوع واشار المصنف رحمه الله عليه الى ان فاعله مضمر تعلق به قوله لما توعدون اى هيهات الصحة والتصديق لما توعدون وكرر هيهات للتأكيد ﴿ قوله او بعد ما توعدون واللام ﴾ اى بيان المستبعد وهو بيان لحاصل المعنى لان ماتوعدون المذكور لا يكون فاعل هيهات على تقدير كون اللام للبيان بل يكون فاعله ضميرا مبهما مفسرا بقوله ماتوعدون كما في ربه رجلا ﴿ قوله وقيل هيهات بمعنى البعد ﴾ فان قيل اذا لم يكن هيهات اسم فعل وانما وقع بعد كيف يكون مبنيا على الفتح * قلنا انه في الاصل اسم فعل وان استعمل ههنا بمعنى المصدر وهذا القدر كاف في بنائه وقيل الذي اوجب بناءه شبهه بالاصوات ﴿ قوله وقرئ بالفتح منونا للتنكير ﴾ والفرق بين المنون وغير المنون على تقدير كونه اسم فعل كالفرق بين قولك صه وصه ومه ومه في ان تقديرهما في الاول افعل السكوت والكف وفي الثاني افعل سكوتا وكفا وروى عن الزجاج رضي الله تعالى عنه انه قال في تفسير هيهات البعد لما توعدون فمن لم ينون وبعد لما توعدون فمن ينون فنزل منزلة المصدر معرفة ومنكرا قيل هيهات بالفتح لفظ مفرد وتاؤها للتأنيث مثلها في طلحة وعرفة ولذلك يقلبها الواقف هاء فيقول هيهاه والفها منقلبة عن ياء لان اصلها هيهية كزلزلة واما المكسورة فجمع المفتوحة واصلها هيهيات فحذفت اللام التي هي الياء الثانية والوقف عليها بالتاء كمسلمات وقيل من نون اعتقد تنكيرها وتصور معنى المصدر النكرة كأنه قيل بعدا بعدا ومن لم ينون اعتقد تعريفها وتصور معنى المصدر المعرفة كأنه قيل البعد البعد فجعل التنوين دليل التنكير وعدمه دليل التعريف ولا يوجد تنوين التنكير الا في نوعين اسماء الافعال واسماء الاصوات وليس بقياسي يعني انه ليس لك ان تنون منها ماشئت بل ماسمع تنوينه اعتقد تنكيره وقيل من فتح في القراءة المتقدمة فخففة ومن كسر فعلى اصل التقاء الساكنين ومن ضم فشبهه بقبل وبعد ومن سكن فلان اصل البناء السكون ومن وقف بالهاء فاتباعا للرسم ومن وقف بالتاء فعلى الاصل سواء كسرت التاء او فتحت لان الظاهر انهما سواء وانما ذلك من تغير اللغات ﴿ قوله يموت بعضنا ويولد بعض ﴾ اى ليس المراد موت شخص واحد وحياته لانه يستلزم القول بالاعادة والبعث وهم بصدد انكاره ثم انهم لما فرغوا من الطعن في صحة الحشر بنوا عليه الطعن في نبوته عليه الصلاة والسلام فجعلوه مفتريا على الله تعالى فيما يدعيه من الرسالة وفيما يعدهم من الحشر والحساب فقالوا ان هو الا رجل افترى على الله كذبا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما يئس من ايمانهم دعا الله تعالى فقال رب انصرني الآية ﴿ قوله وما صلة ﴾ ذكر في كلمة ما وجهين احدهما انها مزيدة بين الجار والمجرور كما زيدت بعد الباء في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم وبعد من في قوله

(فاخذتهم الصيحة) صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح (بالحق) بالوجه الثابت الذى لادافع له او بالعدل من الله كقولك فلان يقضى بالحق او بالوعد الصدق (فجعلناهم غثاء) شبههم فى دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادى لمن هلك (فبعدا للقوم الظالمين) يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التى تنصب بافعال لايستعمل اظهارها واللام لبيان من دعى عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل (ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين) يعنى قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم (ماتسبق من امة اجلها) الوقت الذى حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق (ومايستأخرون) الاجل (ثم ارسلنا رسلنا تترى) متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتوراة وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا (كلما جاء امة رسولها كذبوه) اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذى هو مبدأ الامر منه والمجيء الذى هو منتهاه اليهم (فاتبعنا بعضهم بعضا) فى الاهلاك (وجعلناهم احاديث) لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهى مايتحدث به تلهيا (فبعدا لقوم لايؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا) بالآيات التسع (وسلطان مبين) وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ماافكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها بها وحراستها وصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ماادعاه النبى (الى فرعون وملئه فاستكبروا) عن الايمان والمتابعة (وكانوا قوما عالين) متكبرين (فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا) ثنى البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه فى حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة فى الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت فى اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى فى جانب النقصان اغبياء لايعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون فى طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر فى اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون مالايدرك غيرهم ويعلمون مالاينتهى اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد (وقومهما) يعنى بنى اسرائيل (لنا عابدون) خادمون منقادون كالعباد (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) بالغرق فى بحر قلزم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (لعلهم) لعل بنى اسرائيل ولايجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم (يهتدون) الى المعارف والاحكام (وجعلنا ابن مريم وامه آية) بولادتها اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم فى المهد وظهر منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها (وآويناهما الى ربوة) ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر (ذات قرار) مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها

تعالى عما خطاياهم وأن قليل صفة لمحذوف اى زمان قليل وما بينهما ابهام اغير زائدة بل هى نكرة بمعنى شىء او زمان وقليل صفتها والجار متعلق بقوله ليصبحن اى ليصبحن عن زمان قليل نادمين على قول من يجوز تقديم معمول مابعد لام القسم عليها ومن لم يجوز ذلك يقول انه متعلق بمحذوف تقديره تنصرك عما قليل حذف لدلالة ماقبله عليه وهو قوله رب انصرنى فالفراء يجوز تقديم معمول مابعد لام القسم عليها مطلقا وجمهور البصريين يمنع ذلك مطلقا وذهب بعض النحاة الى التفصيل بين الظرف وعديله وبين غيرهما فجوزه فيهما للاتساع ومنع فى غيرهما فلايجوز فى والله لأضربن زيدا ان يقال زيدا لأضربن لانه غير الظرف وعديله ﴿ قوله واستدل به على ان القرن قوم صالح ﴾ فان المشهور فى قصتهم ان جبريل عليه الصلاة والسلام صاح بهم صيحة عظيمة فماتوا جميعا واما عاد قوم هود فقد قال الله تعالى فى حقهم فاهلكوا بريح صرصر عاتية وان كان المراد بالقرن قوم هود كما قيل فقد روى فى قصة عاد انهم لما خرجوا مع شداد عازمين على دخول ارم ذات العماد التى بناها وبلغوا منها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى من كان معه من قومه صيحة من السماء فاهلكتهم اجمعين رواه سفين عن منصور عن ابى وائل عن كعب رضى الله تعالى عنهم وقيل المراد بالصيحة العذاب المستأصل وهو الريح العقيم ههنا قال الشاعر

صاح الزمان بآل برمك صيحة ۞ خروا لشدتها على الاذقان

﴿ قوله شبههم فى دمارهم بغثاء السيل ﴾ فان اخس اوصاف الغثاء ان يذهب به السيل فلاينتفع به ابدا فشبهوا به تشبيها بليغا فى ذلك والجعل ههنا بمعنى التصيير وغثاء مفعوله الثانى ﴿ قوله متواترين ﴾ اشارة الى ان تترى منصوب على انه حال من ارسلنا اى واحدا بعد واحد او متتابعين على حسب الاختلاف فى معناه فعن الاصمعى ان معناه واحدا بعد واحد بينهما مهلة وقال غيره هى من المواترة وهى التتابع من غير مهلة وقال الراغب التواتر تتابع الشىء وترا فرادى وقيل انه مصدر واقع موقع الحال والفه للتأنيث كالف دعوى لان الرسل جماعة ﴿ قوله كتوراة وتيقور ﴾ اصلهما ووراة وويقور على فيعول التوراة كناس الوحش الذى يلج فيه والتاء مبدلة من الواو وهو فوعل لانك لاتجد فى الكلام تفعل اسما وفوعل كثير والتيقور بمعنى الوقار والتاء مبدلة من الواو ﴿ قوله لان الارسال منه والمجىء اليهم ﴾ يعنى ان الاضافة وان كانت للملابسة وان الرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا الا انه روعيت ملابسة المرسل مع فعل الارسال وملابسة المرسل اليهم مع فعل المجىء لكون الارسال منه والمجىء اليهم ﴿ قوله تعالى وجعلناهم احاديث ﴾ اى اخبارا يسمر بها ويتعجب منها اى بلغ اهلاكهم مبلغا صاروا بعده اخبارا ولم يبق منهم عين ولا اثر ولم يبق منهم الا الحديث الذى يذكر ويعتبر به ﴿ قوله لانه فى حكم المصدر ﴾ حيث يوصف به الواحد والجمع والاثنان والمذكر والمؤنث كثيرا قال تعالى انكم اذا مثلهم وقال من الارض مثلهن فأتوا بسورة من مثله ﴿ قوله لايعود عليهم الفكر برادة ﴾ اى بفائدة يقال هذا الامر لا رادة له اى لا فائدة ولا عائدة وفى بعض النسخ بزيادة وهو قريب من الاول ﴿ قوله بولادتها اياه من غير مسيس ﴾ يعنى انه تعالى جعل عيسى عليه الصلاة والسلام آية بان خلقه من غير ذكر وانطقه فى المهد الصغر واجرى على يديه ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وجعل مريم ايضا آية بان حملته من غير ذكر وقال الحسن رضى الله تعالى عنه تكلمت مريم فى صغرها حيث قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ولم تلتقم ثديا قط وذلك اما معجزة لزكريا عليه الصلاة والسلام او كرامة لمريم او ارهاص لعيسى عليه الصلاة والسلام الا انه تعالى افرد آية ولم يقل آيتين لانه لم يرد ان كل واحد منهما آية على حدة بل المراد بيان انهما آية واحدة من جهة الولادة لانه عليه الصلاة والسلام ولد من غير ذكر وولدته امه من غير ان يمسها ذكر فاشتركا جميعا فى هذا الامر العجيب الناقض للعادة فهو امر واحد مضاف اليهما فلذلك افرد آية ﴿ قوله تعالى وآويناهما ﴾ اى جعلناهما يأويان الى ربوة ويتخذانها مأوى لهما والربوة المكان المرتفع بالحركات الثلاث فى الراء ومثلها الرباوة بالكسر والضم قيل هى ارض بيت المقدس وهى اقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا ﴿ قوله مستقر من ارض منبسطة ﴾ فسر القرار بالمستقر وهو موضع الاستقرار ثم بين المستقر بقوله من ارض منبسطة اى مستوية تصلح لاستقرار المستقرين فيها ثم قيل ان المراد بكون الربوة ذات قرار انها ذات ثمار وماء فعلى هذا تكون كناية لان كون الموضع ذا ثمار وماء يستلزم كونه مستقرا للمستقرين فاطلق اللازم وهو كونها ذات قرار اى ذات مستقر واريد الملزوم وهو كونها ذات ثمار وماء فعلى هذين الوجهين القرار بمعنى المستقر ولكن

(ومعين) وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في المشي اومن الماعون وهو المنفعة لانه نفاع اومفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان (ياايها الرسل كلوا من الطيبات) نداء وخطاب لجميع الانبياء لاعلى انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا فيكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول مارزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات مايستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال مالا يعصى الله فيه والصافي مالا ينسى الله فيه والقوام مايمسك النفس ويحفظ العقل (واعملوا صالحا) فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم (اني بما تعملون عليم) فاجازيكم عليه (وان هذه) اى ولان هذه والمعلل به فاتقون او اعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ماتعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف (امتكم امة واحدة) ملتكم ملة واحدة اى متحدة في العقائد واصول الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحال (وانا ربكم فاتقون) في شق العصا ومخالفة الكلمة (فتقطعوا امرهم بينهم) فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها اولها (زبرا) قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل (كل حزب) من المتحزبين (بما لديهم) من الدين (فرحون) معجبون معتقدون انهم على الحق (فذرهم في غمرتهم) في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم (حتى حين) الى ان يقتلوا او يموتوا

الوجه الثاني بطريق الكناية والوجه الاول بطريق التصريح اى من غير كناية ﴿قوله فعيل من معن الماء او مفعول من عانه﴾ يعني اختلف في ان ميم معين هل هي زائدة واصله معيون اى مبصر بالعين فاعل اعلال مبيع يقال عانه اذا ادركه بعينه كما يقال رأسه اذا اصاب رأسه وكبده اذا ضرب كبده ومعين في الآية الكريمة صفة موصوف محذوف اى وماء معين مدح الربوة بان ماءها جار ظاهر على وجه الارض بحيث يدرك بالعيون وقيل ميمه اصلية ووزنه فعيل مشتق من المعن وهو الجري مع الاسراع والابعاد يقال معن الفرس اذا تباعد في عدوه وامعن بمعنى فلان اذا ذهب به ورجل معين في حاجته اى مسرع في طلبها فكله راجع الى معنى الجري والسرعة وقيل انه مشتق من الماعون الذي يتعاونه الناس في العادة كالفأس والقدر الجوهري الماعون اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما ويسمى الماء ماعونا قال الشاعر * يمج صبيره الماعون صبا * اى الماء والصبير السحابة البيضاء والماعون في الجاهلية كل منفعة وعطية وفي الاسلام الطاعة والزكاة والمنفعة موضع النفع وهو ماينتفع به كالمأسدة والمسبعة فانهما اسمان لموضع الاسد والسبع وقيل المعن السهل الذي ينقاد ولا يتعاصى والماعون مايسهل على معطيه قبل سبب ايوائهما الى ربوة انها فرت بابنها عيسى عليه الصلاة والسلام الى الربوة وبقيت بها اثنى عشرة سنة وانما ذهب بها ابن عمها يوسف ثم رجعت الى اهلها بعد ماما مات ملكهم وههنا آخر القصص ولما ختمها ببيان ان الله تعالى هيأ لعيسى عليه السلام اسباب التنعم بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان اباحة الطيبات لم تكن في حقه عليه الصلاة والسلام خاصة بل هي شرع قديم نودي وخوطب بها كل نبي في زمانه ليعلم السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه وليس ياايها الرسل خطابا مع كل الرسل دفعة لان ذلك غير ممكن بناء على انهم ارسلوا في ازمنة مختلفة فلا يمكن توجيه الخطاب اليهم جميعا دفعة ﴿قوله او حكاية لما ذكر لعيسى عليه الصلاة والسلام وامه﴾ عطف على قوله بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه من حيث المعنى فان المراد منه ان هذا الكلام القي على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا على وجه الحكاية وانما القي عليه ابتداء تنبيها له عليه الصلاة والسلام على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة ثم جوز ان يكون ذلك على وجه الحكاية كانه قيل وآويناهما الى ربوة واعلمناهما انا نادينا كل رسول في زمانه وخاطبناه ﴿قوله اى ولان هذه﴾ قرأ ابن عامر وحده وان هذه بفتح الهمزة وتخفيف النون والكوفيون بكسرها وتثقيلها والباقون بفتحها والتثقيل وذكر المصنف رحمه الله تعالى في توجيه قراءة الباقين ثلاثة اوجه الاول انها مبنية على حذف لام التعليل اى ولان هذه والثاني ان في الكلام حذفا تقديره واعلموا ان هذه امتكم والثالث انها معطوفة على قوله ماتعملون اى انى عليم بما تعملون وبان هذه امتكم وعلى قراءة ابن عامر ان هي المخففة من الثقيلة ولابد من التوجيه باحد الوجوه الثلاثة المذكورة في توجيه ان المثقلة ﴿قوله اى متحدة في العقائد واصول الشرائع﴾ جواب عما يقال اذا كانت شرائعهم مختلفة فكيف تكون ملتهم واحدة ﴿قوله في شق العصا﴾ اى مفارقة الجماعة يقال شق فلان العصا اى فارق الجماعة ﴿قوله وجعلوه اديانا﴾ كاليهودية والنصرانية ونحوهما وبناء تفعل قد يكون متعديا نحو تقدمه ومنه تقطع ولذلك فسره الجوهري رحمه الله تعالى عليه بقوله اى قطعوه ثم جوز ان يكون لازما بمعنى تفرقوا وتحزبوا فيكون امرهم منصوبا بنزع الخافض او التمييز وضمير تقطعوا للارباب الامر وازبر بضم الباء جمع زبور بمعنى الفرقة والطائفة وقيل بمعنى المكتوب من زبره بمعنى كتبه والمعنى جعلوا دينهم الحق الذي هو دين واحد وهو الاسلام اديانا فدان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذي دان به الآخر واراد بالكتب ما كتبوه بايديهم لا ماهو المنزل من السماء لانه غير مجعول بجعلهم والزبر بفتح الباء جمع زبرة وهي القطعة من الشئ المتخذ من المعدنيات المتجسدة كالفضة والحديد قال تعالى آتوني زبر الحديد استعيرت لامر الدين تشبيها له بها في التعدد والاختلاف ثم ان المفرقين دينهم لما كانوا في نعم عظيمة في الدنيا جاز ان يظنوا ان تلك النعم كالثواب المعجل لهم على اديانهم فبين الله تعالى ان الامر على خلاف ذلك فقال تعالى أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين الى آخره وحق ماهذه ان تكتب مفصولة من أن لانها اسمية الا انها كتبت موصولة بها متابعة لمصحف الامام لان المتابعة له سنة في باب الكتابة فان ما موصولة بمعنى الذي وهي اسم ان ونمدهم به صلتها وبانها ومن مال حال من الموصول او بيان له فيتعلق بمحذوف ونسارع خبر ان والعائد من هذه الجملة الى الاسم محذوف تقديره ونسارع لهم به او فيه ولا يجوز ان يكون الخبر من مال لان ما اعطاهم الله تعالى

(أيحسبون انما نمدهم به) ان مانعطيهم ونجعله مددا لهم (من مال وبنين) بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره (نسارع لهم فى الخيرات) والراجع ضمير محذوف والمعنى أيحسبون ان الذى نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم (بل لايشعرون) بل هم كالبهائم لافطنة بهم ولا شعور ليتأملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة فى الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول (ان الذين هم من خشية ربهم) من خوف عذابه (مشفقون) حذرون (والذين هم بآيات ربهم) المنصوبة والمنزلة (يؤمنون) بتصديق مدلولها (والذين هم بربهم لايشركون) شركا جليا ولا خفيا (والذين يؤتون ماآتوا) يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ماأتوا اى يفعلون مافعلوه من الطاعات (وقلوبهم وجلة) اى خائفة ان لايقبل منهم وان لايقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به (انهم الى ربهم راجعون) لان مرجعهم اليه اومن ان مرجعهم اليه وهو يعلم مايخفى عليهم (اولئك يسارعون فى الخيرات) يرغبون فى الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها او يسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم مانفى عن اضدادهم (وهم لها سابقون) لاجلها فاعلون السبق او سابقون الناس الى الطاعة او الثواب او الجنة او سابقونها اى ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا كقوله هم لها عاملون (ولا نكلف نفسا الا وسعها) قدر طاقتها يريد به التحريض على ماوصف به الصالحين وتسهيله على النفوس (ولدينا كتاب) يعنى اللوح او صحيفة الاعمال (ينطق بالحق) بالصدق لايوجد فيه مايخالف الواقع (وهم لايظلمون) بزيادة عقاب او نقصان ثواب (بل قلوبهم) قلوب الكفرة (فى غمرة) فى غفلة غامرة لها (من هذا) من الذى وصف به هؤلاء او من كتاب الحفظة (ولهم اعمال) خبيثة (من دون ذلك) متجاوزة لما وصفوا به او متخطية عما هم عليه من الشرك (هم لها عاملون) معتادون فعلها

وجعله مددا لهم كان من مال فلا يعاب عليهم حسبان ذلك وقوله تعالى بل لايشعرون اضراب عن الحسبان المستفهم عنه استفهام تقريع وهو اضراب انتقال والمعنى ماذكر المصنف رحمه الله تعالى عليه من انهم أشباه البهائم لاشعور لهم حتى يتفكروا فى ذلك الامداد أهو استدراج ام مسارعة فى الخير روى عن يزيد بن ميسرة رضى الله تعالى عنهما قال اوحى الله تعالى الى نبى من الانبياء أيفرح عبدى ان ابسط له الدنيا وهو ابعد له منى ويجزع ان اقبض عنه الدنيا وهو اقرب له منى ثم تلا قوله تعالى أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات ﴿قوله وقرئ يمدهم على الغيبة﴾ وباسناد الفعل الى ضمير البارى تعالى وقياسه ان يقرأ يسارع بياء الغيبة ايضا ومن قرأ نمدهم بالنون ويسارع بالياء احتمل ان يجعله مسندا الى ضمير البارى تعالى والى ضمير ما الموصولة وقرئ نسرع بالنون من اسرع وبالياء ايضا ثم انه تعالى بين صفات من يسارع فى الخيرات وذكر لهم اربع صفات فقال ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون اى من خوف عذابه حذرون والخوف اسم جنس والخشية اخص منه وهى الخوف لعظمة المخوف منه ولهذا كان استعمال الخشية من الله تعالى اكثر كما ان استعمال الخوف فى حق العباد اكثر واغلب والشفقة ايضا اخص من الخوف فانها عبارة عن الخوف مع الرقة والرحمة فى حق المخوف عليه كشفقة الام على ولدها فانه لايقال خافت الام او خشيت على ولدها بل يقال اشفقت ويبنى عن هذه التفاسير قول من قال

⊙ اخشى من الفقر يوما ان يلم بها ⊙ فيكشف الستر عن لحم على وضم ⊙
⊙ تهوى حياتى واهوى موتها شفقا ⊙ والموت اكرم نزال على الحرم ⊙

والمصنف رحمه الله تعالى فسر هذا التركيب فى سورة الانبياء اى قوله تعالى وهم من خشيته مشفقون بقوله وهم من عظمته ومهابته مرتعدون ثم قال واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فاذا عدى بمن تحقق معنى الخوف فيه وظهر وان عدى بعلى فبالعكس وحمل الخشية ثمة على مجرد عظمة المخوف منه وحمل الاشفاق منه على كمال الخشية المستلزم لارتعاد الفرائص وماذكره فى هذه الآية اوفق للمعنى الاصلى حيث اشار الى عظمة المخوف منه باضافته الى الله تعالى والى الرحمة والاعتناء بشأن المخوف بقوله حذرون فان من كان خائفا من عذاب الله تعالى العظيم وعقابه الاليم كان ملازما لطاعته مجدا فى طلب رضاه والاحتراز من معصيته المؤدية الى سخطه وعقابه رحمة على نفسه واعتناء بشأنها ﴿قوله بتصديق مدلولها﴾ لان التصديق بوجود الآيات المنصوبة وهى الموجودات الدالة على وجود الصانع لايوجب ان يمدح صاحبه وكذا التصديق بوجود الآيات المنزلة باعتبار التصديق بمدلولها ﴿قوله وجلة اى خائفة﴾ الوجل ايضا اخص من الخوف لانه خوف يمازجه طمع اى والحال ان قلوبهم بين خوف الرد ورجاء القبول ثم انه تعالى بين علة ذلك الوجل بقوله انهم الى ربهم راجعون وقوله اولئك يسارعون فى الخيرات اى خيرات الذين هم من خشيته والمراد بالخيرات اما طاعتهم واعمالهم الصالحة واما المثوبات الموعودة بادائها والمعنى على الاول انهم يبادرون الى الطاعات لشدة رغبتهم فيها وعلى الثانى انهم يسارعون فى نيل ماوعدلهم من المثوبات بمقابلة اعمالهم الصالحة وانما جعلوا مسارعين اليها لانهم اذا سورعو بها لهم فقد سارعوا فى نيلها واشار بقوله فيكون اثباتا لهم مانفى عن اضدادهم الى ان الوجه الثانى اوفق لما سبق من قوله تعالى أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين فانه تعالى نفى فى تلك الآية ان يسارع الكفار الى ان يعجل لهم من ثواب اعمالهم ماهو خير لهم واثبت ذلك لاضدادهم وهم المؤمنون الذين ذكرت صفاتهم ﴿قوله لاجلها فاعلون السبق﴾ على ان يكون ضمير لها الخيرات واللام للتعليل وان لايقدر للسبق مفعول وانما الغرض الاعلام بوقوع السبق منهم مع قطع النظر الى من سبقوه بخلاف الوجه الثانى فانه يقدر للسبق مفعول فى ذلك الوجه واللام ايضا للتعليل اى وهم سابقون الناس لاجلها ﴿قوله او سابقونها﴾ على ان لها مفعول سابقون واللام مزيدة فى المفعول لتقوية العمل وحسن زيادتها شأن لو انفرد كل واحد منهما لاقتضى الجواز كون العامل فرعا وتقدم معموله عليه كما فى قوله هم لها عاملون اى عاملون اياها وكقولك هو لزيد ضارب اى ضارب زيدا ثم اشار الى ان جميع ماوصف به السابقون من الخصال الاربع داخل فى وسع الانسان وطوقه غير خارج عنه وكذا كل ماكلف به عباده وان اعمال العباد كلها مثبتة فى الكتاب فلا يضيع لعامل جزاء عمله ثم انه تعالى عاد الى ذكر الكفار بقوله قلوبهم فى غمرة من هذا الذى وصف به المؤمنون السابقون الى الخيرات ولهم اعمال من دون

(حتى اذا اخذنا مترفيهم) متنعميهم (بالعذاب) يعنى القتل يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة (اذاهم يجأرون) فاجأوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب (لاتجأروا اليوم) فانه مقدر بالقول اى قيل لهم لاتجأروا (انكم منا لاتنصرون) تعليل للنهى اى لاتجأروا فانه لاينفعكم اذلا تمنعون منا او لايلحقكم نصر ومعونة من جهتنا (قد كانت آياتى تتلى عليكم) يعنى القرآن (فكنتم على اعقابكم تنكصون) تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى (مستكبرين به) الضمير للتكذيب او البيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوّامه اغنى عن سبق ذكره او لآياتى فانها بمعنى كتابى والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين اولان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه او بقوله (سامرا) اى تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعاقبة وقرئ سمرا جمع سامر وسمارا (تهجرون) من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة او الهذيان اى تعرضون عن القرآن او تهذون فى شأنه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثانى قراءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة (أفلم يدبروا القول) اى القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله (ام جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين) من الرسول والكتاب او من الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف آباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فآمنوا به وكتبه ورسله واطاعوه (ام لم يعرفوا رسولهم) بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء (فهم له منكرون) دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه له غيرها فان انكار الشئ قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد (ام يقولون به جنة) فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون انه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا (بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون) لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم فكرته لالكراهة الحق (ولو اتبع الحق اهواءهم) بان كان فى الواقع آلهة شتى

ذلك الذى ذكر من اعمال المؤمنين وقيل غفلتهم وجهلهم وقيل المراد اعمالهم التى هم عليها فى الحال وقيل بل هو اخبار من الله تعالى عما سيعملونه من اعمالهم الخبيثة التى كتب عليهم لابد ان يعملوها وحتى فى قوله تعالى حتى اذا اخذنا مترفيهم غاية لعمرتهم واعمالهم التى يعملونها وبعدها جملة شرطية جزاؤها اذاهم يجأرون واذا الثانية تنوب عن الفاء اى فهم يجأرون والمعنى الاخبار بانهم لايتناهون عن حالهم المذكورة الى ان يأخذالله متنعميهم ورؤساءهم بالعذاب والجؤار رفع الصوت بالاستغاثة والصراخ لشدة مانالهم والسنين جمع السنة وهى الجدب ﴿قوله اذلا تمنعون منا﴾ اى لايمنعكم الجؤار والاستغاثة ولا يخلصكم منا اى من عذابنا على ان تكون كلمة من صلة النصر المتضمن معنى المنع والخلاص وعلى الثانى تكون ابتدائية ثم انه تعالى بين السبب فى ان لاينفعهم ذلك بقوله تعالى قد كانت آياتى تتلى عليكم ﴿قوله فانها بمعنى كتابى﴾ ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم به استكبارا فضمن الاستكبار معنى التكذيب فعدّى تعديته وهو معنى قوله والباء متعلقة بمستكبرين الخ ثم جوّز ان لاتكون الباء للتعدية بل تكون سببية ويكون المعنى مستكبرين على المسلمين بسبب القرآن واستماعه واصل السمر ظل القمر لسمرته لانهم يجلسون فيه بالليل فيتحدثون ويجوز ان تكون الباء فى به متعلقة بقوله سامرا اى يسمرون بذكر القرآن وبالطعن فيه وكان سمرهم بالليل عند البيت ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك وسب النبى صلى الله عليه وسلم ﴿قوله وهو فى الاصل مصدر﴾ كانه بيان لوجه افراده سامرا مع انه حال من ضمير مستكبرين قال صاحب الكشاف عفا الله تعالى عنه السامر نحو الحاضر فى الاطلاق على الجمع وقال الزجاج السامر الجماعة الذين يتحدثون ليلا على تقدير ان يتعلق به بقوله سامرا قدم عليه لانه لما كانت عادة سمرهم بذكره صاروا كانهم لايسمرون الابه * وقرأ العامة تهجرون بفتح التاء وضم الجيم من الهجر بفتح الهاء وقد يكون بمعنى الهجران والترك والقطع اى تهجرون آيات الله ورسوله وتزهدون فيهما ولاتصلونهما وقد يكون بمعنى الهذيان يقال هجر المريض هجرا اذا هذى والهجر بضم الهاء اسم بمعنى القول القبيح يقال هجر يهجر هجرا بالفتح وهجر واهجر فى منطقه اذا قال قولا قبيحا والاسم منه الهجر بالضم وقرئ بهنّ جميعا اى قرئ تهجرون وتهجرون ثم انه تعالى لما وصف حال الكفرة الذين فرقوا دينهم ردّ عليهم بان بين ان اقدامهم على هذه الجهالة والضلالة لابدان يكون لاحد امور اربعة احدها ان لايتأملوا فى دليل نبوته وهو القرآن المعجز الذى يستلزم التدبر فيه معرفة الصانع ووحدانيته وجميع مايجب على المكلف فى باب الاعتقاد والعمل فلم لايتدبرون فيه ليتركوا الباطل ويرجعوا الى الحق وثانيها ان يعتقدوا ان بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم امر غريب لم يسمع ولم يرو عن الامم السالفة وليس كذلك لانهم قد عرفوا بالتواتر ان الرسل كانت ترسل الى الامم على سبيل التتابع ويثبت كل واحد منهم ماادعاه من الرسالة باظهار المعجزات وكانت الامم بين مصدّق ناج ومكذب هالك بعذاب الاستئصال وانما دعاهم الى ذلك عدم تصديق الرسل عليهم الصلاة والسلام وثالثها ان لايكونوا عالمين بامانة مدعى الرسالة وصدقه قبل ادعائه النبوة وليس كذلك فانهم عرفوا منه عليه الصلاة والسلام قبل ادعائه الرسالة كونه فى نهاية الامانة والصدق والتنزه عن الكذب والاخلاق الذميمة فكيف كذبوه بعد ان اتفقت كلمتهم على تسميته بالامين الصادق ورابعها ان يعتقدوا فيه الجنون فيقولون انه حمله على ادعائه الرسالة جنونه وهذا ايضا ظاهر الفساد لانهم كانوا يعلمون بالضرورة انه اعقل الناس والمجنون كيف يمكنه ان يأتى بمثل ماأتى به من الدلائل القاطعة والشرائع الكاملة ثم انه تعالى لما ذكر مبنى ضلالتهم وبين فساده قال بل جاءهم الحق اى ليست ضلالتهم مبنية على شئ من هذه الامور بل انه عليه الصلاة والسلام جاء بالحق وهو القرآن فلم يوافق اهواءهم وماتشأوا عليه من التقليد واتباع الشهوات فلذلك كرهوه ولم يقبلوه وقول المصنف رحمة الله تعالى عليه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع ناظر الى قوله تعالى ام جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين وقوله او الشخص ناظر الى قوله تعالى ام لم يعرفوا رسولهم وقوله او بحث عما يدل عليه ناظر الى قوله تعالى افلم يدبروا القول اى افلم يدبروا ماجاءهم من القول وهو القرآن العظيم ﴿قوله لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا عن توبيخ قومه﴾ ان يقولوا ترك دين آبائه لا كراهة للحق كما حكى عن ابى طالب فانه لم يقبل الحق ولم يتدين به مع انه يعرف بقلبه حقيته ويقر بلسانه لكنه لم يقبل ذلك لمانع على زعمه ويدل عليه قوله حين اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ۞ حتى اوسد فى التراب دفينا

(لفسدت السموات والارض ومن فيهن) كما سبق تقريره فى قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهوآءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اهوآءهم وانقلب الحق شركا لجاء الله بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهوآءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصى لخرج عن الالوهية ولم يقدر أن يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة (بل اتيناهم بذكرهم) بالكتاب الذى هو ذكرهم اى وعظهم او صيتهم او الذكر الذى تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم (فهم عن ذكرهم معرضون) لا يلتفتون اليه (ام تسألهم) قيل انه قسيم قوله ام به جنة (خرجا) اجرا على اداء الرسالة (فخراج ربك) رزقه فى الدنيا او ثوابه فى العقبى (خير) لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب فى الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائى خراجا فخراج للمزاوجة (وهو خير الرازقين) تقرير لخيرية خراجه (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلة فى هذه الآيات بان حصر اقسام ما يؤدى الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) عن الصراط السوى (لناكبون) لعادلون عنه فان خوف الآخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر) يعنى القحط (للجوا) لثبتوا واللجاج التمادى فى الشئ (فى طغيانهم) افراطهم فى الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين (يعمهون) عن الهدى روى انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم ألست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت (ولقد أخذناهم بالعذاب) يعنى القتل يوم بدر (فما استكانوا لربهم وما يتضرعون) بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله (حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) يعنى الجوع فانه اشد من الاسر والقتل (اذا هم فيه مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك (ساعة)

◎ فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ◎	وابشر بذاك وقر منه عيونا ◎
◎ ودعوتنى وزعمت انك ناصحى ◎	ولقد صدقت وكنت ثم امينا ◎
◎ وعرضت دينا لا محالة انه ◎	من خير اديان البرية دينا ◎
◎ لولا الملامة او حذار مسبة ◎	لوجدتنى سمحا بذاك مبينا ◎

وقد اقر ابو طالب بانه عليه الصلاة والسلام خير فتيان قريش فى الفضائل الانسانية فى الخطبة التى خطبها فى تزويج خديجة رضى الله تعالى عنها وقد حضر معه بنوا هاشم ورؤساء مضر وهى قوله الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل واصطفانا من عنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسوّاس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى من قريش الا رجح عليه فان كان فى المال قل فالمال ظل زائل ولهو حائل ومحمد من عرفتم له قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وذكر لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالى وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل كذا ذكره صاحب الكشاف فى اواخر سورة آل عمران ﴿قوله كما سبق تقريره﴾ وهو قوله انها لو اتفقت فى المراد لتواردت علل مستقلة على معلول واحد وان تخالفت فيه لتفاوتت منه ﴿قوله وهو على اصل المعتزلة﴾ اى القول بانه تعالى لو اتبع اهواءهم لخرج عن الالوهية مبنى على اصل من يقول الحاكم بحسن الاشياء وقبحها هو العقل وان ما استحسنه العقل يجب عليه تعالى فعله وان ما استقبحه يجب عليه تركه والمتابعة لما يشتهيه الكفرة تنافى الالوهية على زعمهم ﴿قوله تعالى بل اتيناهم بذكرهم﴾ متصل بقوله واكثرهم للحق كارهون اذ ليس فيما جاءهم به ما يكرهونه بل هو ذكرهم اى وعظهم او صيتهم اى شرفهم وفخرهم كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك اى شرف لك ولقومك لكونه بلسانكم ولغتكم ثم انه تعالى وبخ الكفرة بوجه آخر على عدم اجابتهم الى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وانكر عليهم اولا بقوله تعالى افلم يدبروا القول وهو استفهام بطريق الانكار اى لم لم يتذكروا ليعلموا انه حق فيؤمنوا به فتحصل لهم سعادة الدارين ثم اضرب عن هذا الاستفهام الانكارى الى استفهام انكارى آخر فقال تعالى ام جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين اى بل أتركوا الايمان به لما جاءهم ما لم يسمعوا شيأ من نوعه فأنكروا ذلك واستبعدوه ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أتركوا الايمان به لانهم لم يعرفوه بالامانة والصدق قبل دعوى الرسالة ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أتركوا ذلك لزعمهم فى حقه كونه مجنونا ثم اضرب عن ذلك الى ان قال بل أتركوا ذلك لكونه يسألهم على تبليغ الوحى جعلا يعطونه اياه فيثقل عليهم قبوله وليس الامر كذلك لان ما يعطيك الله تعالى من الاجر والمثوبة فى الدنيا والآخرة خير من اجرهم وفيه مندوحة لك عن عطائهم فلا عذر لهم فى الاباء عن قبول قولك البتة ﴿قوله فى الضريبة على الارض﴾ وهى ما يضربه الامام على الارض ويضعه بمنزلة الاجرة المضروبة عليها والوجه فى كون الخراج مشعرا بالكثرة كثرة الضرب بكثرة الاراضى واما وجه كونه مشعرا باللزوم فايجاب الشارع اياه على اصحاب الاراضى الخراجية ثم انه تعالى لما زيف طريقة القوم اتبعه صحة ما دعاهم اليه الرسول واشار الى علة تنكب من عدل عنه فقال تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم ونكره للتعظيم ثم عرفه تعريف العهد فى قوله تعالى عن الصراط لناكبون اى لعادلون التنكب عنه لعدم ايمانهم بالآخرة والتنكب من باب دخل ﴿قوله انشدك الله تعالى والرحم﴾ اى اسألك بالله تعالى وبالرحم وهو قسم استعطاف واسترحام والعلهز طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير فى سنى المجاعة وقيل هو القراد مع الصوف كانوا يدقونهما ممزوجين ﴿قوله قتلت الآباء بالسيف﴾ المراد به ما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم حيث قتل منهم سبعون واسر من صناديدهم سبعون وهو جمع صنديد وهو السيد الشجاع وهذه الرواية تدل على ان هذه الآيات مدنية وان ما اصاب قريشا من القحط سبع سنين من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم كان بعد الهجرة وقد ذهب المفسرون الى ان هذه السورة مكية الا ان يقال هذه الآيات مدنية وجعلت السورة مكية اعتبارا للاغلب والمعنى لو كشف الله تعالى عنهم هذا الضر برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولذهب عنهم هذا الانكسار والقلق بين يديه يسترحمونه واستشهد على مفهوم هذه الشرطية بانا اخذناهم بعذاب يوم بدر فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذى هو اشد من الاسر والقتل فانكسروا

ساعة ولا لخضعت رقابهم فارسلوا اليك انشدهم شكية في العناد يستعطفك واستكان استفعل من الكون ومعناه تحول من كون الى كون كاستحال بمعنى تحول من حال الى حال اى ماتحولوا عن الحال السيئة التي هم عليها الى الحال الحسنة فان باب الاستفعال قد يكون للتحول نحو استحال الحجر ويجوز ان يكون افتعل من السكون اصله استكنوا فأشبعت الكاف فتولدت منها الالف اى ماسكنوا وما ذلوا وماخضعوا لربهم وماتضرعوا بل مضوا على تمردهم وحتى غاية لنفي الاستكانة والتضرع ثم انه تعالى ذكرهم نعمه التي انعم بها عليهم ليؤدوا بذلك الشكر له عليها لكنه ذكر امهات النعم التي هي السمع والبصر والفؤاد التي بهما يتوصل الى معرفة كل نافع وضار وكل طيب وخبيث فاخبرالله تعالى انه اعطاهم مايعرفون به النافع من الضار والطيب من الخبيث مشاهدة وسماعا وما به يميزون بعض الاشياء ويختارون ماهو المختار عندهم ليتأدى بذلك شكره وشكر كل نعمة استعمالها في طاعة المنعم وعبودته كاستعمال الحواس في استعمال مانصب من الآيات واشتغال القلب في تفكر تلك الآيات والاستدلال بها على مايجب عليهم من الاستكمال والتحلي بالكمالات العلمية والعملية وادرج فيه توبيخ العباد بان الشكر منهم قليل كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور فقال تعالى وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون وقليلا منصوب على انه صفة مصدر محذوف وما مزيدة للتأكيد اى حقا انكم تشكرون شكرا قليلا وقيل ليس المراد ان لهم شكرا قليلا بل هو من قبيل قولك للكفور الجاحد للنعمة ما اقل شكر فلان النعمة ثم بين كمال قدرته وقوة سلطنته بقوله تعالى وهو الذي ذرأكم في الارض وعطف عليه انه لم يخلقهم عبثا وانما خلقهم للبعث بعد الموت والحشر اليه فان خلق الخلائق وتكليفهم بالاوامر والنواهي لمجرد ان ينتهي حالهم الى الموت والفناء من غيران يميز بين المطيع والعاصي عبث ولعب تبارك الله وتعالى شأنه عن امثاله علوا كبيرا ثم فصل دلائل قدرته على البعث بقوله تعالى وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار فان من ملك وقدر على احياء الموتى واماتة الاحياء لقادر على البعث والاعادة فان من قدر على انشاء الليل بعدما ذهب اثر النهار وانشاء النهار بعدما ذهب اثر الليل لقادر على البعث والاحياء بعد الموت ثم قال أفلا تعقلون أنّ من قدر على ذلك لقادر على البعث والجزاء بعدما صرتم ترابا وعظاما فكيف تشركون غيره في عبادتكم اياه وتصرفون الشكر الى غيره فيما انعم عليكم ثم قال تعالى بل قالوا مثل ماقال الاولون اى لم يعقلوا ذلك ولم يتدبروا فيه ليعلموا ان من قدر على هذه الاشياء قدر على بعث الموتى فلا يستبعد ذلك بل قالوا مثل ماقال اسلافهم أئذا متنا وصرنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون وهذا محال

قوله لانه يستعمل فيما يتلهى به — علة لكونه جمع اسطورة بالضم ووجه الاستدلال ان بناء افعولة يجيء لمافيه التلهي والسخرية نحو اضحوكة واعجوبة واحدوثة والكفار كانوا يقولون ذلك بطريق التلهي والطعن في القرآن فيكون الانسب لهذا المقام جعله جمع اسطورة ثم امر الله تعالى رسوله ان يسألهم مايلزمهم الاقرار والاعتراف بما كانوا ينكرون فقال تعالى قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون فأجيبوني عما اقول لكم ثم اخبر عن جوابهم بقوله تعالى سيقولون لله قل أفلا تذكرون اى أفلا تعقلون بعد هذا الاعتراف فتعلمون ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا كان قادرا على اعادة الخلق حقيقا بان لايشرك به بعض خلقه في الربوبية واستحقاق العبادة لان المستحق لهما هو الرب الخالق دون الرب المربوب المخلوق الذي لايضر ولاينفع فقوله تعالى أفلا تذكرون معناه الترغيب في التدبر ليعلموا بطلان ماهم عليه قال تعالى اوّلا أفلا تذكرون ثم قال تعالى بعده أفلا تتقون لانهم بتذكرهم يصلون الى المعرفة وبعد ان يعرفوه يعلمون انه يجب عليهم اتقاء مخالفته ووجوب طاعته وفي قوله تعالى سيقولون لله اشارة الى انهم لايجدون بدا من ان يقولوا لله ويعترفوا به لانهم لو انكروا ذلك جهلهم النبي صلى الله عليه وسلم فيظهر جهلهم عند كل الخلائق فلما اضطروا الى الاعتراف بذلك توجه عليهم الالزام بان يقال لهم فاذا عرفتم بان ذلك كله لله تعالى وهو خالقكم فكيف تركتم طاعته وخالفتم امره وانا لا ادعوكم الا الى ان توحدوه وتخلصوا العبادة له تعالى وعلى هذا الاسلوب قوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله اى لابدّ لهم من ان يقرّوا بذلك فقل لهم اذا عرفتم ذلك واقررتم به افلا تتقون مخالفته وامر نقمته وكذلك قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شيء الآية ذكر اوّلا الارض ومن فيها ثم ترقى الى ذكر ماهو اعظم من ذلك وهو السموات السبع والعرش العظيم ثم ذكر مايعم الموجودات بأسرها واختصاصه بملكوته والملكوت الملك

(وهو الذي انشألكم السمع والابصار) لتحسوا بهامانصب من الآيات (والافئدة) لتتفكروا فيها وتستدلوا بهاالى غيرذلك من المنافع الدينيةوالدنيوية (قليلا ماتشكرون) تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيماخلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وماصلة للتأكيد (وهو الذي ذرأكم في الارض) خلقكم وبثكم فيهابالتناسل (واليه تحشرون) تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم (وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار) ويختص به تعاقبهما لايقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته الى الشمس حقيقة اومجازا اولامره وقضائه تعاقبهما وانتقاص احدهما وازدياد الآخر (أفلا تعقلون) بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين (بل قالوا) اى كفار مكة (مثل ماقال الاولون) آباؤهم ومن دان بدينهم (قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون) استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين) الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) ان كنتم من اهل العلم اومن العالمين بذلك فيكون استهانة لهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لايمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال (سيقولون لله) لان العقل الصريح قداضطرهم بادني نظرالى الاقرار بانه خالقها (قل) اى بعدما قالوه (أفلا تذكرون) فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدأ الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم) فانها اعظم من ذلك

(سيقولون لله) وقرأ أبو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما تقتضيه لفظ السؤال (قل أفلا تتقون) عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته (قل من بيده ملكوت كل شئ) ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه (وهو يجير) يغيث من يشاء ويحرسه (ولا يجار عليه) ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة (ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون) فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة (بل أتيناهم بالحق) من التوحيد والوعد بالنشور (وانهم لكاذبون) حيث انكروا ذلك (ما اتخذ الله من ولد) لتقدسه عن مماثلة احد (وما كان معه من اله) يساهمه في الالوهية (اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) جواب محاجتهم وجزاء الشرط حذف لدلالة ما قبله عليه اى لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شئ واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد (سبحان الله عما يصفون) من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده (عالم الغيب والشهادة) خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل آخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه (فتعالى عما يشركون) بالفاء (قل رب اما تريني) ان كان لا بد من ان تريني لان ما والنون للتأكيد (ما يوعدون) من العذاب في الدنيا والآخرة (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس اولان شؤم الظلمة قد يحيق بما وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن ان الله تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فأمره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار (وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون) لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون اولانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستعجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة (ادفع بالتي هي احسن السيئة) وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل (نحن اعلم بما يصفون) اى بما يصفونك به او بوصفهم اياك بخلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم (وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين) وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه (واعوذ بك رب ان يحضرون) ويحوموا حولي في شئ من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه (حتى اذا جاء احدهم الموت) متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتأكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون (قال) تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر (رب ارجعون) ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا واطرقا (لعلي اعمل صالحا فيما تركت) في الايمان الذي تركته اى لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا أنرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون (كلا) ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها (فأآدى)

زيدت التاء فيه للمبالغة فيتناول الملك والملك وقيل المعنى خزائن كل شئ وقيل ملكوت كل شئ روحه الذى هو من عالم الملكوت وذلك الشئ قائم به يسبح الله تعالى كما قال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وروح ذلك الشئ بيد الله تعالى ﴿قوله تعالى سيقولون لله﴾ ذكر في هذا الموضع ثلاث مرات اما الاولى فباللام باتفاق القراء جميعهم واما الثانية والثالثة فقد قرئتا بوجهين سيقولون لله والله فمن قرأ الله فعلى لفظ السؤال لانك لو قلت من رب الدار يقال جوابه زيد ومن قرأ لله فقد حمل الجواب على معنى السؤال لان قولك من رب الدار معناه لمن الدار قال الشاعر

اذا قيل من رب البستان بموقف ۞ ورب الجياد الجرد قيل لخالد

وفي الكواشي الثاني والثالث في جميع المصاحف بغير الف كالاول الا في مصحف البصريين فانهما وجدا بالالف فيه ﴿قوله تعالى وهو يجير﴾ اى يؤمن من يشاء من الخائفين ويمنعه من السوء ولا يجار عليه اى لا يؤمن من اخاف الله تعالى ولا يمنع منه من اراده بسوء وقوله تعالى سيقولون لله لا يناقض قوله اولا ان كنتم تعلمون لانه تعالى انما قال ذلك اولا استهانة لهم ويجوز في حقهم ان يجهلوا مثل هذا الظاهر لفرط جهالتهم بالديانات وذلك يستلزم انتفاء علمهم بذلك ﴿قوله فمن اين تخدعون﴾ يعني ان قوله فأنى بمعنى فمن اين وقوله تعالى تسحرون استعارة تبعية بمعنى تخدعون شبه الانخداع بالمسحورية في الدلالة على اختلال العقل فاستعير له اسم المسحورية والخادع هو الشيطان والهوى ثم قال تعالى بل أتيناهم بالحق اى ليس انخداعهم لقصور البيان من قبلنا بل أتيناهم بالحق وما تبين به الرشد من الغي وانهم لكاذبون فيما يدعونه من الشرك والولد وانكار البعث ونحو ذلك مما يخالف ما أتيناهم به من الحق ثم صرح في جملة ما كذبوا بابادة قول بعض الكفار الملائكة بنات الله تعالى وزعم آخرين ان الاصنام آلهة وكذبهم فيهما بقوله ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ولما ورد ان يقال كلمة اذن لا تدخل الا على كلام هو خبر او جواب فكيف دخلت على قوله لذهب كل اله بما خلق ولم يتقدمها شرط ولا سؤال سائل حتى تقع جزاء الشرط او جوابا للسؤال اشار الى دفعه بقوله جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد وان كان دليلا على بطلان الملزوم الذى هو ان يكون معه آلهة الا ان المصنف رحمه الله تعالى جعله دليلا على بطلان اللازم وهو ان يستبد كل اله بما خلق وان يقع بينهم التحارب والتغالب بناء على ان ما دل على بطلان الملزوم يدل على بطلان اللازم وذكر الله تعالى امرين احدهما قوله تعالى ما اتخذ الله من ولد وثانيهما وما كان معه من اله واستدل عليهما بدليل واحد لان انتفاء تعدد الالهة يستلزم انتفاء الولد لانه تعالى لو اتخذ ولدا لكان ذلك الولد الها لان الولد من جنس الوالد ومن جوهره واذا كان الها لذهب اذا كل اله بما خلق اى لانفرد واستبد بخلقه وبطلان اللازم يستلزم بطلان الملزوم ﴿قوله واصل الهمز النخس﴾ اى الطعن يقال نخسه بعود اى طعنه اذ النخس هو الطعن والهمز والمهماز حديدة تكون في مؤخر خف الرائض ورائض الفرس الصعب من ألانها وازال صعوبتها ﴿قوله والجمع للمرات﴾ يعني ان الهمزات جمع همزة لا جمع همز حتى يقال انه مصدر فكيف يجمع ويجوز ان يكون الجمع لقصد الانواع من الوساوس او لتعدد المضاف اليه فان الهمز الواقع من جماعة الشياطين يمتنع ان يكون همزا واحدا ﴿قوله متعلق بيصفون﴾ يعني ان حتى غاية لقوله بما يصفون او لقوله وانهم لكاذبون اى لا يزالون على سوء الذكر والكذب الى هذا الوقت وهو وقت حضور الموت للكافر ولم يقل او بكاذبون لانه لا يصح ان يكون متعلقا لحتى لعدم دلالته على الاستمرار بخلاف الجملة الاسمية فانها تدل عليه كما يدل عليه يكذبون ويصفون ﴿قوله والواو﴾ اى في قوله ارجعون مع ان الخطاب للواحد وهو الرب تعالى لتعظيم المخاطب كما في قوله

فان شئت حرمت النساء سواكوا ۞ وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا ۞

وقال المازني في قوله ألقيا في جهنم كل كفار عنيد معناه ألق ألق ثنى الضمير للدلالة على تكثير الفعل اى تكريره مرتين فيكون جمعه ههنا للدلالة على تكريره ثلاث مرات فاخبر الله تعالى ان هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة الى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا الآية ﴿قوله وقيل في المال او في الدنيا﴾ فالمعنى على الاول لعلي اعمل صالحا فيما تركت

(انها كلمة) يعنى قوله رب ارجعون الى آخره و الكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض (هو قائلها) لامحالة لتسلط الحسرة عليه (و من ورآئهم) امامهم و الضمير للجماعة (برزخ) حائل بينهم و بين الرجعة (الى يوم يبعثون) يوم القيامة و هو اقناط كلى عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا و انما الرجوع فيه الى حياة تكون فى الآخرة (فاذا نفخ فى الصور) لقيام الساعة و القرآءة بفتح الواو و به و بكسر الصاد تؤيد ان الصور ايضا جمع الصورة (فلا أنساب بينهم) تنفعهم لزوال التعاطف و التراحم من فرط الحيرة و استيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه و امه و ابيه و صاحبته و بنيه او يفتخرون بها (يومئذ) كما يفعلون اليوم (و لا يتساءلون) و لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه و هو لا يناقض قوله و أقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة و ذلك بعد المحاسبة و دخول اهل الجنة الجنة و اهل النار النار (فمن ثقلت موازينه) موزونات عقائده و اعماله اى و من كانت له عقائد و اعمال صالحة يكون لها وزن عند الله و قدر (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة و الدرجات (و من خفت موازينه) اى و من لم يكن له ما يكون له وزن و هم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا (فأولئك الذين خسروا انفسهم) غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها و ابطلوا استعدادها لنيل كمالها (فى جهنم خالدون) بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك (تلفح وجوههم النار) تحرقها و اللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا (و هم فيها كالحون) من شدة الاحتراق و الكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان و قرئ كلحون (ألم تكن آياتى تتلى عليكم) على اضمار القول اى يقال لهم ألم تكن (فكنتم بها تكذبون) تأنيب و تذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) ملكتنا بحيث صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة و قرأ حمزة و الكسائى شقاوتنا بالفتح كالسعادة و قرئ بالكسر كالكتابة (و كنا قوما ضالين) عن الحق (ربنا أخرجنا منها) من النار (فان عدنا) الى التكذيب (فانا ظالمون) لانفسنا (قال اخسؤا فيها) اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ (و لا تكلمون) فى رفع العذاب او لا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون ألف سنة ربنا ابصرنا و سمعنا فيجابون حق القول منى فيقولون ألفا ربنا أمتنا اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعى الله وحده فيقولون ألفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ما كثون فيقولون ألفا ربنا أخرنا الى اجل قريب فيجابون اولم تكونوا اقسمتم فيقولون ألفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون ألفا رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها ثم لا يكون لهم فيها الا زفير و شهيق و عواء (انه) ان الشان و قرئ بالفتح اى لانه (كان فريق من عبادى) يعنى المؤمنين و قيل الصحابة و قيل اهل الصفة (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا و ارحمنا و انت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) هزؤا و قرأ نافع و حمزة و الكسائى هنا و فى ص بالضم و هما مصدر اسخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة و عند الكوفيين المكسور بمعنى الهزؤ و المضموم من السخرة بمعنى الانقياد و العبودية (حتى انسوكم ذكرى) من فرط تشاغلكم بالاستهزآء بهم فلم تخافونى فى اوليائى (و كنتم منهم تضحكون) استهزآء بهم (انى جزيتهم اليوم بما صبروا) على اذاكم (انهم هم الفائزون) فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به و هو ثانى مفعولى جزيتهم و قرأ حمزة و الكسائى بالكسر استئنافا (قال) اى الله او الملك المأمور بسؤالهم و قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى على الامر للملك او لبعض رؤساء اهل النار (كم لبثتم فى الارض) احياء او امواتا فى القبور (عدد سنين) تمييز لكم (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) استقصارا لمدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار او لانها كانت ايام سرورهم و ايام السرور قصار او لانها منقضية و المنقضى فى حكم المعدوم (فاسأل العادين) الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها و احصائها او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس و يحصون اعمالهم و قرئ العادين بالتخفيف اى الظلمة فانهم يقولون ما نقول و العاديين اى القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون (قال) و فى قرآءة الكوفيين قل

فأدى حقوق الله تعالى فيه و التقرب به الى الله كما قال لولا اخرتنى الى اجل قريب فأصدق و على الثانى فى الموضع الذى تركته و هو الدنيا يقول اى تركت فيها التوحيد و الطاعة فردونى اليها اعمل الطاعة و التوحيد فيها ﴿قوله و اما الكافر فيقول رب ارجعون﴾ يدل على ان خطاب ارجعون للملائكة لوقوعه فى جواب قولهم أرجعك الى الدنيا فيكون ذكر الرب للقسم فكأنهم قالوا عند معاينة الموت بحق الرب ارجعون و قال الامام النسفى رحمة الله عليه يستغيث اولا بالله تعالى فيقول رب ثم يقول للملائكة الذين حضروه ليقبضوا الروح ارجعون اى ردونى الى الدنيا ﴿قوله و الكلمة الطائفة من الكلام المنتظم﴾ كقوله صلى الله عليه و سلم اصدق كلمة قالها لبيد

ألا كل شئ ما خلا الله باطل ۞ و كل نعيم لامحالة زآئل

و قوله تعالى هو قائلها صفة لكلمة اى انها كلمة لا يسكت هو عنها البتة لاستيلاء الحسرة و الندم عليه و هو قائلها بلسانه لا تنفعه و لا يجاب اليها و ذلك لان التركيب من باب المعارف فان اعتبر ان هو مبتدأ و قائلها هو الخبر فهو من باب تقوى الحكم فيكون المعنى هو قائلها وحده لا يجاب اليها و لا تسمع منه ﴿قوله أمامهم﴾ يعنى ان لفظ ورآء مشتق من توارت عنك اذا استترت و اختفيت عنه فكل ما توارى عنك سوآء كان امامك او خلفك فهو ورآءك و البرزخ فى الاصل الحاجز بين الشيئين و منه قوله تعالى و جعل بينهما برزخا و المراد به ما يحول بينهم و بين الرجعة و القبر فانه مانع من الرجوع الى الدنيا ﴿قوله و الضمير للجماعة﴾ يعنى جمع الضمير فى ورآئهم بعد التوحيد لشيوع هذا النهى فى جنس الكفار و جماعتهم ﴿قوله و هو اقناط كلى﴾ دفع لما يتوهم من ان ظاهر قوله تعالى الى يوم يبعثون يدل على انهم يرجعون الى الدنيا بعد يوم البعث بناء على ان حكم ما بعد كلمة الغاية مغاير لحكم ما قبلها فما قبل امامهم برزخ يصدهم عن الرجوع الى يوم يبعثون و فهم منه انهم يرجعون الى الدنيا بعده دفعه بان الكلام يدل على انهم لا يرجعون الى الدنيا ما قبل يوم البعث فلصريح النص و ما بعده فلما علم انه لا رجوع بعد يوم البعث الا الى احد المنزلين الجنة او النار ثم انه تعالى لما قال و من ورآئهم برزخ الى يوم يبعثون ذكر احوال ذلك اليوم فقال فاذا نفخ فى الصور و المعنى فاذا بعث الناس قيل الصور آلة اذا نفخ فيها يظهر صوت عظيم جعله الله تعالى علامة لخراب الدنيا و لاعادة الاموات و قد روى عنه عليه الصلاة و السلام انه قرن ينفخ فيه و قيل الصور جمع صورة و المعنى فاذا نفخ فى الصور كلها ارواحها و هو قول الحسن رضى الله تعالى عنه و كان يقرأ بفتح الواو و ضم الصاد و كسرها و قوله بينهم ليس منصوبا بقوله فلا أنساب لان اسم لا اذا بنى لا يعمل بل منصوب بعامل محذوف و ذلك المحذوف هو العامل ايضا فى يومئذ و قوله تنفعهم او يفتخرون بها اشارة الى ان نسب الانسان لا ينقطع يومئذ انما المنقطع فيه الانتفاع به و التفاخر ﴿قوله لانه عند النفخة﴾ يعنى ان عدم التساؤل عند النفخة فان اهل البعث فى يوم القيامة مشغولون بانفسهم عن التساؤل و قيل يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة ففيه ازمنة و احوال مختلفة فيتعارفون و يتساءلون فى بعضها و يتحيرون فى بعضها لشدة الفزع و قيل التناكر يكون عند النفخة الاولى فاذا كانت الثانية قاموا و تعارفوا و تساءلوا و قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن ﴿قوله و اللفح كالنفح﴾ اى فى الدلالة على معنى الهبوب و الضرب يقال نفحت الريح اى هبت قال الاصمعى رحمة الله تعالى عليه و رضى عنه ما كان من الرياح نفحا فهو برد و ما كان لفحا فهو حر ﴿قوله و الكلوح تقلص الشفتين﴾ قيل تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه و تسترخى شفته السفلى حتى تبلغ صدره ﴿قوله و هما مصدرا سخر﴾ تقول سخرت منه و به اسخر من باب علم سخرا و سخرا و سخريا اذا هزئت به و الذى يدل على ان المراد منه الهزؤ قوله تعالى و كنتم منهم تضحكون و الضحك انما يلائم السخرية و الهزؤ فظهر انهما لغتان بمعنى واحد ﴿قوله تعالى حتى أنسوكم ذكرى و كنتم منهم تضحكون﴾ اى أنسيتموه باشتغالكم بالاستهزآء بهم فنسب الانساء الى عباده المؤمنين و ان لم يفعلوا ذلك لكونهم سببا فى ذلك كقوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس لكون الاصنام سببا للاضلال ﴿قوله على الامر﴾ يعنى انهم قرأوا قل كم لبثتم على معنى انه امر للملك او لبعض رؤساء اهل النار ان يسأل اهل النار و يقول كم لبثتم فى الارض احياء و امواتا فى القبور الى ان بعثتم و كم فى موضع النصب على ظرف الزمان اى كم لهم سنة و عدد بدل من كم قاله ابو البقاء و الصحيح ان عدد سنين هو التمييز و المقصود من هذا السؤال هو التبكيت و الالزام لانهم كانوا ينكرون اللبث فى الآخرة رأسا و يقولون لا لبث الا فى دار الدنيا و يظنون ان بعد الموت

(ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون) تصديق لهم فى تقالهم (أفحسبتم انما خلقناكم عبثا) توبيخ على تغافلهم وعبثا حال بمعنى عابثين او مفعول له اى الم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث (وانكم الينا لا ترجعون) معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم (فتعالى الله الملك الحق) الذى يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفى حال دون حال (لا اله الا هو) فان ماعداه عبيد (رب العرش الكريم) الذى يحيط بالاجرام وتنزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب (ومن يدع مع الله الها آخر) يعبده افرادا او اشراكا (لا برهان له به) صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لا برهان به جيئ بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك (فانما حسابه عند ربه) فهو مجاز له مقدار ما يستحقه (انه لا يفلح الكافرون) ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اى حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفى الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال (وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين) ءعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه انه قال لقد انزلت على عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان اولها وآخرها من كنوز الجنة ومن عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وافلح والله اعلم

﴿سورة النور مدنية وهى ثنتان او اربع وستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سورة) اى هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة (انزلناها) صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك او نحوه (وفرضناها) وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة فى ايجابها (وانزلنا فيها آيات بينات) واضحات الدلالة (لعلكم تذكرون) فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال (الزانية والزانى) اى فيما (الى) فرضنا او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذى وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر والزان بلا ياء

بدوام الفناء ولا بعث بعده ولما حصلوا فى النار وايقنوا دوامها وخلودهم فيها سئلوا كم لبثتم فى الارض تذكيرا لهم ان ماظنوه دائما طويلا فهو قليل يسير بالاضافة الى ما انكروه فحينئذ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه فى الدنيا ويتيقنون خلافه فان قيل كيف يصح ان يقولوا فى الجواب لبثنا يوما او بعض يوم ولا يقع الكذب فى الآخرة فالمصنف رحمه الله تعالى عليه اشار الى جوابه بقوله استقصارا المدة لبثهم فيها الى آخره وقيل انهم نسوا قدر لبثهم فى الارض لكثرة ماهم فيه من الاهوال وعظم ماهم بصدده من العذاب ويدل عليه قولهم فاسأل العادين او لان المنقضى ليس له قدر فى مقابلة الباقى فهو اقل من كل قليل ولهذا صدقهم الله تعالى فى استقلالهم تلك المدة حيث قال ان لبثتم الا قليلا اى زمانا قليلا او لبثا قليلا وجواب لو مقدر اى لو انكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لما اجبتم بهذه المدة كذا قاله ابو البقاء رحمه الله تعالى عليه يعنى انه تعالى صدقهم فى اصل الاستقلال وجهلهم فى تعيين المدة ثم انه تعالى لما بكتهم فى انكارهم البعث ولبث الآخرة وبخهم على تماديهم فى الغفلة وتركهم النظر الصحيح فيما يدل على حقية البعث والقيامة فانه لولا القيامة لما تميز المطيع من العاصى والصديق من الزنديق فيكون خلق العالم عبثا فقال تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا ثم نزه نفسه عن العبث بقوله فتعالى الله الملك الحق والمراد من الرجوع الى الله تعالى الرجوع الى حيث لا مالك ولا حاكم فيه سواه لا الرجوع من مكان الى مكان فيه الله تعالى وذلك ظاهر والله تعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿سورة النور مدنية وهى ستون وآيتان او اربع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

روى الامام الواحدى عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضى الله تعالى عنهم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ء لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور ء يعنى النساء ﴿قوله اى هذه سورة﴾ على ان سورة خبر مبتدأ محذوف وعلى الثانى هى مبتدأ والخبر محذوف وانزلناها على التقديرين صفة سورة للمدح والتأكيد بناء على ان الانزال يفهم منها اى السورة لانها اسم لطائفة من القرآن المنزل علم ابتداؤها وانقطاعها بالتوقيف ءفان قلت ما فائدة هذا الحمل مع ان كل واحدة من فائدتى الخبر ولازمها منتف فيها ءفالجواب ان احدى الفائدتين انما تطلب من الكلام الذى يقصد به افادة المخاطب ويكون المتكلم فى صدد الاخبار والاعلام واما الكلام الذى يقصد به الامتنان والمدح والترغيب فلا يجب فيه شئ منهما ﴿قوله وفرضنا ما فيها﴾ على طريق ذكر المحل وارادة الحال وقال ابو على اى فرضنا فريضتها المذكورة فيها فحذف المضاف ﴿قوله فتتقون المحارم﴾ اشارة الى ان قوله تعالى تذكرون من تذكر ما علم قبل لا من التذكر بمعنى الاتعاظ كأنه قيل انزلنا فيها آيات بينات تعلموها وتذكروها وقت الحاجة اليها ءقال الامام رحمه الله تعالى عليه فى اول هذه السورة انواع من الاحكام والحدود وفى آخرها دلائل التوحيد فقوله تعالى وفرضناها اشارة الى الاحكام التى بينها اولا ثم قال تعالى وانزلنا فيها آيات بينات اشارة الى ما بين فيها من دلائل التوحيد والذى يؤكد هذا التأويل قوله تعالى لعلكم تذكرون فان الاحكام والشرائع ما كانت معلومة لهم ليؤمروا بتذكرها انتهى كلامه وجعل دلائل التوحيد فى قوة المعلوم لمسارعة العقول السليمة الى قبولها واشتمالها على مقدمات مسلمة مركوزة فى القلوب ﴿قوله اى فيما فرضنا﴾ على ان قوله الزانية والزانى مبتدأ حذف خبره ثم بين حكمهما بقوله فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الآية والفاء فيه لعطف تفصيل المجمل على المجمل كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى فان الفاء العاطفة للمجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ما قبلها فى الذكر لا ان مضمون ما بعدها واقع عقيب مضمون ما قبلها فى الزمان ﴿قوله وقرئ بالنصب﴾ اى على الاضمار على شريطة التفسير والتقدير اجلدوا الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما ودخلت الفاء فى اول الفعل المفسر ايذانا بانه واقع فى موقع جزاء لشرط محذوف والاصل ان اردتم معرفة حكم الزانية والزانى فاجلدوهما اجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فحذف الشرط اعتمادا على دلالة سياق الكلام عليه وحذف الفعل الاول ثم فسر لكون التفسير بعد الابهام اوقع فى النفس فصار فالزانية والزانى اجلدوا كل واحد منهما ثم قدم المفعول على الفاء ليصير عوضا عن الشرط المحذوف كما رى ﴿قوله لاجل الامر﴾ فان الفعل الواقع بعد ما اضمر عامله على شريطة التفسير اذا كان امرا او نهيا يختار نصبه حتى تكون الجملة الطلبية فعلية وهى اولى ان امكن اختصاص الطلب بالفعل الا يرى

الى اختصاص حروف الطلب بالفعل كحرف الاستفهام والعرض والتحضيض فلو رفع الزانية على الابتداء لكان فعل الامر خبرا والامر لا يقع خبرا الا بتأويل وقوله والزان بلا ياء اى وقرئ والزان بلا ياء اكتفاء بالكسرة عنها كما فى قوله يوم يدع الداع **﴿ قوله والجلد ضرب الجلد ﴾** كما يقال رأسه وبطنه اذا ضرب رأسه وبطنه فكذا يقال جلده اذا ضرب جلده والزنى عبارة عن ايلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرم قطعا **﴿ قوله وهو حكم يخص من ليس بمحصن ﴾** يعنى ان الآية تتناول جميع الزناة والزوانى من المحصن وغيره الا ان ما نقل الينا بطريق التواتر من انه صلى الله عليه وسلم رجم من زنى محصنا خص الآية بغير المحصن فان تخصيص القرآن بالخبر المتواتر يجوز اتفاقا قال الامام رحمه الله تعالى عليه واحتج الجمهور من المجتهدين على وجوب رجم المحصن بما ثبت بالتواتر من انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وقال عمر رضى الله عنه اذا طال الزمان على الناس ربما يقول قائل لا نجد الرجم فى كتاب الله تعالى فيضل بترك فريضة انزلها الله تعالى وقد قرأنا الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخبران الذى فرضه الله تعالى هو الرجم **﴿ قوله وزاد الامام الشافعى عليه الخ ﴾** وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى عليه يجلد اما التغريب فمفوض الى رأى القاضى وهو الامام واحتج ابو حنيفة على نفى وجوب التغريب بوجوه منها ان ايجاب التغريب يقتضى نسخ الآية ونسخ القرآن بخبر الواحد لا يجوز وقرر النسخ من ثلاثة اوجه الاول انه سبحانه وتعالى رتب الجلد على فعل الزنى بالفاء وحرف الفاء للجزاء وقد صرح ائمة العقر رحمة الله تعالى عليهم بذكر الشرط والجزاء وفسروا الشرط بالذى دخلت عليه كلمة ان والجزاء بالذى دخل عليه حرف الفاء والثانى ان الجزاء اسم لما تقع به الكفاية مأخوذ من قولهم جزاء اى كفاه وقال صلى الله عليه وسلم يجزيك ولا يجزى بعدك احدا اى يكفيك ومنه قول القائل اجزيت الابل بالعشب عن الماء وانما تقع الكفاية بالجلد اذا لم يجب معه شئ فيقتضى نسخ كونه كافيا والثالث ان المذكور فى الآية لما كان هو الجلد كان ذلك هو كال الحد فلو جعلنا التغريب معتبرا مع الجلد كان الجلد بعض الحد لا كل الحد فيفضى الى نسخ كونه كل الحد واجاب عنه المصنف رحمه الله تعالى عليه بانه ليس فى الآية ما يفيد دفع وجوب التغريب اذ ليس فيها الا ادخال حرف الفاء على الامر بالجلد واما كون مدخولها جزاء كافيا فى العقوبة فليس من كلام الله تعالى ولا من كلام رسوله عليه الصلاة والسلام بل هو قول بعض الادباء فلا يكون حجة وليس فى الآية الشريفة الا وجوب الجلد وليس فيها ما يدفع شيأ آخر بوجه والنسخ المقبول نسخ الكتاب بالسنة المتواترة والمردود منه نسخه بالآحاد فانه مردود عند الحنفية رضى الله تعالى عنهم **﴿ قوله وله فى العبد ثلاثة اقوال ﴾** احدها تغريب سنة كما فى الحر لان التغريب الايحاش وذلك معنى يرجع الى الطبع فيستوى فيه الحر والعبد كمدة الايلاء والعنة وثانيها تغريب نصف سنة لقوله تعالى فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب والتغريب يقبل التنصيف فينصف كما ينصف الجلد فانه يجلد نصف جلد الاحرار وثالثها انه لا يغرب كما قال ابو حنيفة رضى الله عنه لقوله صلى الله عليه وسلم « اذا زنت امة احدكم فليجلدها الحد كما وجب عليها » ولم يؤمر بالتغريب لان منافعه للسيد فى تغريبه اضرار بالسيد « واعلم ان كون الزنى موجبا للرجم تارة وللجلد اخرى مشروط بالعقل والبلوغ بل هما معتبران فى العقوبات كلها اما كونه موجبا للرجم فلا بد فيه مع العقل والبلوغ من شروط اخر الشرط الاول الحرية واجمعوا على ان الرقيق لا يجب عليه الرجم البتة كما اجمعوا على ان الامة تجلد خمسين جلدة وكذا العبد عند الجمهور وقال اهل الظاهر يجلد العبد مائة جلدة كالحر عملا بعموم قوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما الآية الشرط الثانى التزوج بنكاح صحيح فلا يحصل الاحصان بالاصابة بملك اليمين ووطئ الشبهة وبالنكاح الفاسد الشرط الثالث الدخول ولا بد منه لقوله صلى الله عليه وسلم « الثيب بالثيب » وانما تصير ثيبا بالوطئ وشرط ابو حنيفة رحمه الله تعالى عليه ان تكون الاصابة بالنكاح الصحيح بعد البلوغ والحرية والعقل لانه شرط اكمل الاصابات وهو ان تكون بنكاح صحيح وشرط ان تكون الاصابة فى حال الكمال والاسلام ليس شرطا فى كون الزنى موجبا للرجم عند الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وابى يوسف ايضا وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه هو شرط ايضا واحتج بان الذمى الذى زنى بعد الاحصان لا يجب عليه القتل فبيان الاول قوله صلى الله عليه وسلم « من اشرك بالله فليس بمحصن » وبيان الثانى ان المسلم الذى لا يكون محصنا لا يجب عليه القتل لقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى معان ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل النفس بغير حق « ولما لم يكن الذمى

وانما قدم الزانية لان الزنى فى الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعى عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس فى الآية ما يدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا او مردودا وله فى العبد ثلاثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة فى نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه السلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذى يقتص له من المسلم

(ولاتأخذكم بهمارأفة) رحمة (فى دين الله) فى طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه ظلذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمدّعلى فعالة (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فان الايمان يقتضى الجدّ فى طاعة الله والاجتهاد فى اقامة احكامه وحدوده وهو من باب التهيج (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنون) زيادة فى التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر ماينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شئ من الطوف واقلها ثلاثة وقيل واحد اواثنان والمراد جمع يحصل به التشهير (الزانى لاينكح الازانية اومشركة والزانية لاينكحها الازان اومشرك) اذ الغالب ان المائل الى الزنى لايرغب فى نكاح الصوالح والمسافحة لايرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق فكان حق المقابلة ان يقال والزانية لاتنكح الامن زان اومشرك لكن المراد بيان احوال الرجال فى الرغبة فيهنّ لان الآية نزلت فى ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوّجوا بغايا يكرين انفسهنّ لينفقن عليهم من اكسابهنّ على عادة الجاهلية ولذلك قدّم الزانى (وحرّم ذلك على المؤمنين) لانه تشبه بالفساق وتعرّض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن فى النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه اومنسوخ بقوله وأنكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه السلام سئل عن ذلك فقال اوّله سفاح وآخره نكاح والحرام لايحرّم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطئ فيؤول الى نهى الزانى عن الزنى الابزانية اوزانية ان يزنى بها الازان وهو فاسد

محصنا لم يجب قتله باقدامه على الزنى واجاب المصنف رحمة الله تعالى عليه عن هذا الاحتجاج بان معنى الحديث الشريف ان من اشرك بالله تعالى فليس بمحصن اى بمحصن الدم فلايقتل قاتله المسلم قصاصا فان القصاص انما يجب بقتل من احصن دمه ابدا والمشرك ليس ممن احصن دمه ابدا فلايقتص من المسلم لاجله واليه ذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه واحتج عليه بقوله صلى الله عليه وسلم « لايقتل مسلم بكافر » ويقتل المسلم بالذمى عندنا لماروى انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ويجب القصاص فى الاطراف بين المسلم والكافر اجماعا واعلم ان عقوبة الزانى كانت فى اوّل الاسلام ان يحبس الى ان يموت فى حق الثيب وان يؤذى بالكلام فى حق البكر قال الله تعالى واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهنّ اربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهنّ فى البيوت حتى يتوفاهنّ الموت او يجعل الله لهنّ سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توّابا رحيما ثم نسخ ذلك بجعل حدّ الثيب على الزنى الرجم وحدّ البكر الجلد والتغريب روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال خذوا عنى انه قد جعل الله لهنّ سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة واحتج الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه بهذا الحديث على ماذهب اليه من الجمع بين الجلد والتغريب فى البكر وبين الجلد والرجم فى حق الثيب ﴿ قوله تعالى لاتأخذكم بهما رأفة فى دين الله ﴾ اى لاتدركنكم الرأفة والشفقة عليهما بحيث تؤدّى الى تعطيل حدّ الله تعالى وترك الاقامة او المسامحة فيه فان الايمان يوجب الاتيان بامر الله تعالى والتشديد فيه دون اللين والمسامحة وفى الحديث يؤتى بوال نقص من الحدّ سوطا فيقال لم نقصته فيقول رحمة بعبادك فيقال له انت ارحم واعلم به منى فيؤمر به الى النار ويجوز ان يكون هذا الحديث تفسيرا لقوله صلى الله عليه وسلم « القضاة ثلاثة قاض فى الجنة وقاضيان فى النار » وعن ابى هريرة رضى الله عنه اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة ﴿ قوله وقيل واحد ﴾ احتجاجا بقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقوله او اثنان احتجاجا بقوله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة وكل ثلاثة فرقة والخارج من الثلاثة واحد واثنان والاحتياط بوجوب الاخذ بالاكثر ثم انه تعالى لما بين عقوبة الزنى وحكمه وعقوبة من ارتكبه بين حكما ثانيا فقال تعالى الزانى لاينكح الازانية اومشركة الآية ولما كان ظاهر النظم اخبارا بان الزانى لاينكح المؤمنة العفيفة وان الزانية لاينكحها المؤمن التقى وكان هذا الحصر مرة غير ظاهر الصحة فى حكم هذه الشريعة لان الزانى قد ينكح المؤمنة العفيفة والزانية قد ينكحها المؤمن العفيف وكذا قوله تعالى وحرّم ذلك على المؤمنين فانه ايضا غير ظاهر الصحة فان المؤمن يحل له ان يتزوّج بالمرأة الزانية اشار المصنف رحمه الله تعالى الى جوابه بان حمل الاخبار المذكور على الاعم الاغلب على طريق قولك لايفعل الخير الارجل تقى مع ان بعض من لايكون تقيا قد يفعل خيرا فمراد القائل بيان ان ماوقع من الخير انما يقع غالبا من التقى وهو لاينافى وقوعه من غير التقى على قلة فكذا ههنا او من حمل التحريم على التنزيه قال الامام النسفى واصح الاقاويل فى هذه الآية الشريفة انها تزهيد فى حق نكاح البغايا وتأويل ذلك ان اهل الاسلام والايمان سبيلهم ان لايرغبوا الافى الصالحات العفيفات واما الزانى فهو انما يميل الى من كان على مذهبه فى الزنى او الى من لايعتقد الايمان فضلا عن ان يفكر فى العفة والزانية ايضا انما تميل الى احد الرجلين اما الى زان مثلها او الى مشرك تشركه فيها ﴿ قوله فكان حق المقابلة ﴾ اى فى قوله تعالى الزانى لاينكح اى لايتزوّج انما يقابله قولنا الزانية لاتنكح ولاتتزوّج الامن هو زان الا انه لما كان المقصود بيان احوال الرجال وان طائفة تميل الى العفائف وطائفة تميل الى الفواجر لم يراع حق المقابلة ﴿ قوله والحكم مخصوص بالسبب الذى ورد فيه ﴾ فالمعنى وحرّم نكاح البغايا قصدا للتوسع بمايأخذن فى الزنى كما خطر ببال فقراء المهاجرين حين قدموا المدينة وفيها نساء بغايا يكرين انفسهنّ وهنّ يومئذ اخصب اهل المدينة ان يتزوّجوا بهنّ الى ان يغنيهم الله تعالى عنهنّ فاللام والالف فى قوله تعالى الزانى وفى قوله تعالى على المؤمنين وان كان للعموم ظاهرا لكن المراد به الاقوام الذين نزلت الآية الشريفة فيهم وبسببهم فتقدير الآية والله تبارك وتعالى اعلم اولئك الزناة لاينكحون الا الزانيات وتلك الزانيات لاينكحهنّ الا اولئك الزناة وحرّم نكاحهنّ باعيانهنّ على المؤمنين « والايامى جمع ايم وهو من لازوج له رجلا كان او امرأة وسئل عليه الصلاة والسلام ان من زنى بامرأة هل له ان يتزوّجها فاجاب بقوله صلى الله عليه وسلم « اوّله سفاح وآخره نكاح والحرام لايحرّم الحلال » وشبهه ابن عباس بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن عائشة رضى الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له ان يتزوّجها لهذه الآية الشريفة واذا باشرها كان زانيا ﴿ قوله وهو فاسد ﴾

لان الاشكال باق لانا نرى ان الزانية قد ينكحها الرجل العفيف والزاني قد ينكح العفيفة ويتزوجها ولو قلنا بان المراد ان الزاني لايطأ بطريق الزنى الا الزانية فهنا كلام لافائدة فيه ﴿ قوله لوصف المقذوفات بالاحصان ﴾ بيان للقرينة المعينة لكون المراد بالشئ المقذوف به الزنى فان ظاهر الآية الشريفة لايدل الا على الشئ الذي رمي به المحصنات وذكر الرمي لايدل على الزنى لان المحصنات قد يرمين بالسرقة والكذب ونحوهما فلابد من قرينة تدل على تعيين المراد واتفق العلماء رضي الله تعالى عنهم على ان المراد بالرمي الزنى بقرينة تقدم ذكر الزنى لانه تعالى وصف المقذوفات بالاحصان وهو العفة عن الزنى فدل ذلك على ان المراد وصفهن بعدم العفاف ولقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء اي على صدقهم فيما رموهن به وكون الشهود اربعة انما يشترط في المقذوف بالزنى فان القذف بغير الزنى يكفي فيه شاهدان وان الواجب فيه التعزير دون الحد ثم ان اقر المقذوف على نفسه بالزنى او اقام القاذف اربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف لان الحد وجب لافترآئه على البرئ وقد ثبت صدقه ﴿ قوله ولافرق فيه ﴾ يعني لافرق بين المحصنين والمحصنات في ان قذفهم بالزنى يوجب جلد القاذف ثمانين جلدة الا ان النص ورد في قذف المحصنات فذكره ﴿ قوله لخصوص الواقعة ﴾ على ماقيل من ان هذه الآية نزلت في حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه حين تاب مما قال في حق عائشة رضي الله عنها ﴿ قوله ولايشترط اجتماع الشهود عند الادآء ﴾ لان الاتيان باربعة شهدآء يصدق على الاتيان بهم مجتمعين ومتفرقين قياسا على سائر الاحكام فانها تثبت بشهادة الشهود بها سوآء شهدوا بها مجتمعين او متفرقين فكذا حكم الزنى وقال ابو حنيفة رضي الله عنه اذا شهدوا متفرقين لايثبت الزنى وعليهم حد القذف لان الشاهد الواحد لما شهد فقد قذف المشهود عليه ولم يأت باربعة شهدآء فيجب عليه الحد وتعبير القذف بلفظ الشهادة لايخرجه عن كونه قاذفا ولو أتى القاذف باربعة شهدآء فساق فشهدوا على المقذوف بالزنى قال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه يسقط الحد عن القاذف ولايجب الحد على الشهود وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى عليه في احد قوليه يحدون واحتج ابو حنيفة بانه أتى باربعة شهدآء فلايلزمه الحد والفاسق من اهل الشهادة فقد وجدت شرآئط الشهادة الا انه لم تقبل شهادتهم للتهمة ﴿ قوله لضعف سببه ﴾ اي بالنسبة الى سبب ضرب الزنى فان سبب ضرب القذف هو القذف وهو قول يحتمل الصدق والكذب وسبب ضرب الزنى فعل يثبت بالشهود العدول ولاشك انه اقوى في كونه خبثا بالنسبة الى القول فخفف عقوبة القول الضعيف واحتمال صدق مقال القاذف يقتضي سقوط الحد رأسا الا انه عوقب صيانة لعرض ورد عامن هتكه ﴿ قوله خلافا لابي حنيفة رضي الله تعالى عنه ﴾ فان عدم قبول شهادته متوقف على اقامة الحد عليه عنده حتى اذا تاب قبل اقامة الحد عليه او قبل تمام حده تقبل شهادته عنده معنى الآية والله تبارك وتعالى اعلم عنده ولاتقبلوا لهم شهادة ابدا بعد اقامة الحد عليهم فلاتقبل شهادة المحدود في قذف وان تاب وصار من الاتقياء وقال الامام الشافعي رحمه الله تعالى عليه تقبل شهادته اذا تاب لقوله صلى الله عليه وسلم «التائب من الذنب كمن لاذنب له» ومن لاذنب له تقبل شهادته فيجب ان تقبل شهادة من تاب عن القذف وهذه المسئلة مبنية على ان قوله الا الذين تابوا هل يرجع الى جميع الاحكام المذكورة او يختص بالجملة الاخيرة فعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى عليه الاستثناء المذكور عقب الجمل الكثيرة مختص بالجملة الاخيرة وعند الامام الشافعي رحمه الله تعالى عليه يرجع الى الكل لان الواو للجمع المطلق فقوله تعالى فاجلدوهم ثمانين جلدة ولاتقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون جمل متعاطفة بالواو فصار الجميع كانه ذكر معا لاتقدم لبعض على البعض فلما دخل عليه الاستثناء لم يكن رجوع الاستثناء الى بعضها اولى من رجوعه الى الباقي اذ لم يكن لبعضها تقدم على البعض في المعنى البتة فوجب رجوعه الى الكل ويؤيده انا اجمعنا على انه لو قال عبده حر وامرأته طالق ان شاء الله تعالى فانه يرجع الاستثناء الى الجميع فكذا فيما نحن فيه واحتج اصحاب ابي حنيفة رحمة الله عليهم على ان الاستثناء يختص بالجملة الاخيرة بانه لو رجع الى جميع الجمل المتقدمة لوجب ان لايجلد القاذف اذا تاب وهو باطل بالاجماع فوجب ان يختص بالجملة الاخيرة فقال المصنف رحمه الله تعالى عليه بناء على مذهبه ان الاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو كون قذف المحصنات مقتضيا للجلد ورد الشهادة ابدا والتفسيق والمعنى من قذف محصنة فاجمعوا له الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله تعالى يغفر لهم جناية قذفهم فلايعاقبهم عليها ، ولما ورد ان يقال فعلى هذا يلزم ان القاذف اذا تاب عن القذف قبل ان يجلد يسقط عنه الحد وهو لايسقط بالاجماع ، اشار الى جوابه بقوله ولايلزمه

(والذين يرمون المحصنات) يقذفونهن بالزنى لوصف المقذوفات بالاحصان وذكرهن عقب الزواني واعتبار اربعة شهدآء بقوله (ثم لم يأتوا باربعة شهدآء فاجلدوهم ثمانين جلدة) والقذف بغيره مثل يافاسق وياشارب الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة عن الزنى ولافرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة اولان قذف النساء اغلب واشنع ولايشترط اجتماع الشهود عند الادآء ولايعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة ولكن ضربه اخف من ضربات الزاني لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده (ولاتقبلوا لهم شهادة) اي شهادة كانت لانه مفتر وقيل شهادتهم في القذف ولايتوقف ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول سيان في وقوعهما جوابا بالشرط لاترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف وحاله قبل الحد اسوأ مما بعده (ابدا) مالم يتب وعند ابي حنيفة الى آخر عمره (واولئك هم الفاسقون) المحكوم بفسقهم (الا الذين تابوا من بعد ذلك) عن القذف (واصلحوا) اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد او الاستحلال من المقذوف

سقوط الحد به كما قيل لان من تمام توبته الاستسلام للحد او الاستحلال من المقذوف فان للمقذوف ان يعفو عن موجب القذف قبل ان تشهد الشهود ويثبت القذف واما بعد ان يرفع للقاضي ويثبت القذف باقامة الشهود عليه فليس له ان يعفو بعده لان المقذوف وان استحق على القاذف ان يستوفى منه الحد الا انه لما اجتمع فيه حقان وحق الشرع فيه غالب فليس للمقذوف ان يعفو عن موجب القذف بعد ثبوته ﴿ قوله ومحل المستثنى النصب ﴾ لما تقرر فى النحو من انه يجوز النصب ويختار البدل فيما بعد الا فى كلام غير موجب والمستثنى منه مذكور كقولك ما مررت باحد الا زيد بالجر على البدل من احد والا زيدا بالنصب على الاستثناء ويجب نصبه فى كلام موجب وما فى الآية لما كان راجعا الى اصل الحكم وكان المعنى ومن قذف المحصنات فاجمعوا لهم هذه الامور كان الاستثناء فى كلام موجب فيجب النصب ﴿ قوله وقيل الى النهى ﴾ اى وقيل الاستثناء الواقع فى هذه الآية يرجع الى قوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وهو كلام غير موجب وحق المستثنى ان يكون مجرورا بدلا من هم فى لهم قال صاحب الكشاف والامام الشافعى جعل جزاء الشرط جملتى فاجلدوا ولا تقبلوا وجعل الاستثناء متعلقا بالجملة الثانية منهما لا بمجموع جملتى الامر والنهى لان التوبة لا تسقط حق العبد ولم يرض المصنف رحمة الله تعالى عليه بهذا النقل لكونه مخالفا لما اشتهر عن الامام الشافعى رحمة الله تعالى عليه من كون الاستثناء المذكور عقيب الجمل يرجع الى الكل ﴿ قوله وقيل منقطع ﴾ اى عما قبله والمعنى لكن الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم فقوله الا الذين مبتدأ خبره قوله فان الله غفور رحيم اى غفور لهم فحذف الجار والمجرور لعلمه روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لما نزل قوله والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء قال عاصم بن عدى الانصارى رضى الله تعالى عنه ان دخل رجل منا بيته فرأى رجلا على بطن امرأته فان جاء باربعة رجال يشهدون بذلك فقد قضى الرجل حاجته وخرج وان قتله قتل به وان قال وجدت فلانا مع تلك المرأة ضرب وان سكت سكت على غيظ اللهم افتح وكان لعاصم هذا ابن عم يقال له عويمر وكان له امرأة يقال لها خولة بنت قيس فاتى عويمر عاصما فقال له لقد رأيت شريك بن سحمان على بطن امرأتى خولة فاسترجع عاصم واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله ما اسرع ما ابتليت بهذا فى اهل بيتى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذاك فقال اخبرنى عويمر ابن عمى انه رأى شريك بن سحمان على بطن امرأته خولة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم جميعا فقال لعويمر اتق الله فى زوجتك وابنة عمك ولا تقذفها فقال يا رسول الله لقد رأيت شريكا على بطنها وانى ما قربتها منذ اربعة اشهر وانها حبلى من غيرى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقى الله تعالى ولا تخبرى الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمرا رجل غيور وانه رآنى وشريكا يطيل النظر وتحدث معى فحملته الغيرة على ما قال فانزل الله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات ونزل ايضا قوله تعالى والذين يرمون ازواجهم الآيات وبين به ان حكم قذف الزوجة اللعان بعد ما بين حكم قذف الاجنبيات فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يؤذن الصلاة جامعة وصلى العصر ثم قال لعويمر قم وقل اشهد بالله ان خولة لزانية وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثانية اشهد انى رأيت شريكا على بطنها وانى لمن الصادقين ثم قال فى الثالثة اشهد بالله انها حبلى من غيرى وانى لمن الصادقين ثم قال فى الرابعة اشهد بالله انها زانية وانى ما قربتها منذ اربعة اشهر وانى لمن الصادقين ثم قال فى الخامسة لعنة الله على عويمر يعنى نفسه ان كان من الكاذبين ثم قال اقعد وقال لخولة قومى فقامت وقالت اشهد بالله ما انا زانية وان زوجى لمن الكاذبين وقالت فى الثانية اشهد بالله ما رأى شريكا على بطنى وانه لمن الكاذبين وقالت فى الثالثة اشهد بالله ما انا حبلى الا منه وانه لمن الكاذبين وقالت فى الرابعة اشهد بالله ما رأى على فاحشة وانه لمن الكاذبين وقالت فى الخامسة غضب الله على خولة بنت قيس ان كان عويمر من الصادقين فى قوله ففرق النبى صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لاب ثم قال عليه الصلاة والسلام ان جاءت بولدها على صفة كذا فهو لفلان وان جاءت به على صفة كذا فهو لمن قيل فيه ثم جاءت به غلاما يشبه من نسب اليه فقال لولا الايمان لكان لى ولها شأن وفى هذه الواقعة آيات اخر منها ما اشار اليه المصنف رحمة الله تعالى عليه بقوله نزلت فى هلال بن امية وهو احد الثلاثة الذين تاب الله تعالى عليهم ﴿ قوله واربع نصب على المصدر ﴾ لانه فى حكم المصدر باضافته اليه وناصب هذا المصدر مصدر مثله كما فى قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا ﴿ قوله وثبوت حد الزنى على المرأة ﴾ عطف على قوله سقوط حد القذف عنه واعلم انه اذا قذف الرجل امرأته بالزنى يجب عليه الحد ان كانت محصنة والتعزير ان لم تكن محصنة كما فى قذف

والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزم منه سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهى ومحله الجر على البدل من هم فى لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل بما بعده (فان الله غفور رحيم) علة للاستثناء (والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم) نزلت فى هلال بن امية رأى رجلا على فراشه وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير (فشهادة احدهم اربع شهادات) فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على المصدر وقد رفعه حمزة والكسائى وحفص على انه خبر شهادة (بالله) متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها (انه لمن الصادقين) اى فيما رماها به من الزنى واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تأكيدا (والخامسة) والشهادة الخامسة (ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) فى الرمى وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف فى الموضعين ورفع لعنة هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه السلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابى حنيفة ونفى الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنى على المرأة لقوله (ويدرأ عنها العذاب) اى الحد (ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) فيما رمانى به (والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين) فى ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان غضب الله بكسر الضاد وفتح الباء ورفع الله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم) متروك الجواب للتعظيم اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة

الاجنبي اذا لم يختلف موجبهما غير انهما يختلفان في الخلف فان قذف الاجنبي لا يسقط الحد عن القاذف الا باقرار المقذوف او بينة تقوم على انها زنت وفي قذف الزوج يسقط الحد عن القاذف باحد هذين الامرين وباللعان ايضا وهو قول المصنف رحمه الله تعالى عليه وحكمه سقوط حد القذف عنه ولعان الزوج لما كان بمنزلة الشهادات التي يثبت بها الزنى اوجب عليها حد الزنى في نقل الامام عن الشافعي رحمه الله تعالى عليهما وكلها تثبت بمجرد لعانه ولا يفتقر فيها الى لعانها ولا الى حكم الحاكم فان حكم الحاكم به كان تنفيذا منه لا ايقاعا للفرقة واستدل المصنف رحمه الله تعالى عليه على ثبوت حد الزنى على المرأة بقوله ويدرأ عنها العذاب بناء على انه حمل العذاب على الحد كما في قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وحمله الحنفيون رحمه الله تعالى عليهم على الحبس والحبس على اللعان والمعنى ويدفع عن المرأة انها تجبر وتحبس على ان تلاعن او تصدق زوجها فيجار ما عليه فانها اذا امتنعت عن اللعان حبست واجبرت عليه حقا للزوج ﴿قوله انه عليه افضل الصلاة والسلام استصحبها﴾ وكان صلى الله عليه وسلم اذا اراد ان يسافر اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه فاقرع بين نسوانه في غزوة غزاها قبل غزوة بني المصطلق فخرج فيها اسم عائشة رضي الله تعالى عنها فخرجت معه عليه الصلاة والسلام والجزع الخرز وظفار على وزن قطام مدينة باليمن فقوله من جزع ظفار اي من خرز منسوب اليها والنشد من عرّف الضالة والناشد من يطلبها فالانسب ان يقال كي يرجع اليها ناشد والتعريس نزول القوم في السفر آخر الليل والمراد هنا مطلق النزول ويقال ادلج القوم اذا ساروا من اول الليل والاسم الدلج ويقال ادّلج من الافتعال اذا سار من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنها لما اصبح صفوان عند منزلي رأى سواد انسان نائم فعرفني حين رآني وقد رآني قبل ان يضرب عليّ الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي فوالله ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين اناخ راحلته ووطئ على يدها اي يد راحلته فركبتها فانطلق يقود بي حتى اتينا الجيش في نحو الظهيرة فهلك فيّ من هلك وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي بن سلول وخاضوا في حديثي وافشوه في العسكر وخاض اهل العسكر فيه فجعل يرويه بعضهم عن بعض ويحدث به بعضهم بعضا قالت وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهرا والناس يفيضون في قول اهل الافك ولا اشعر بشيء من ذلك غير انه يريبني في مرضي اني لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي وانما يدخل عليّ فيقول كيف تيكم فيريبني ذلك ولا اشعر بالشر فلما رأيت ذلك قلت يا رسول الله لو اذنت لي فانقلب الى ابويّ يمرضاني فقال لا بأس فانقلبت الى بيت ابويّ وكنت فيه الى ان نقهت من مرضي بعد بضع وعشرين ليلة فخرجت في بعض الليالي ومعي ام مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا وكان عادة اهل المدينة حينئذ انهم لا يتخذون الكنف في بيوتهم انما كانوا يذهبون في فسيح المدينة على عادة العرب الاول في التبرز تأذيا من اتخاذ الكنف في بيوتهم فانطلقت انا وام مسطح وهي بنت ابي رهم وامها بنت صخر ابن عامر خالة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فلما فرغنا من شأننا واقبلنا الى جانب البيت عثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت اولم تسمعي ما قال قلت وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي قلت يا امه ما يتحدث الناس قالت يا بنية هوّني عليك فوالله لقلما كانت امرأة وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها قالت قلت سبحان الله تعالى أو قد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي ودعا النبي صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد وعلي بن ابي طالب حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق اهله فاما علي بن ابي طالب فانه قال لم يضيق الله تعالى عليك في النساء والنساء سواها كثير فاستبدل واما اسامة بن زيد فاشار اليه بالذي يعلم من براءة اهله وبالذي يعلم في نفس النبي صلى الله عليه وسلم من الود فقال يا رسول الله ما علمت منها الا خيرا فلا تعجل وانظر واسأل اهلك قالت فسأل حفصة فقالت حفصة بنت عمر رضي الله تعالى عنهما يا رسول الله ما رأيت عليها سوءا قط وسأل زينب بنت جحش فقالت مثل ذلك وسأل بريرة فقال اي بريرة هل رأيت شيأ يريبك من عائشة قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما رأيت عليها امرا قط اغمصه عليك غير انها او اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فتأتي الداجن فتأكله قالت فقام النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل حتى دخل عليّ وعندي ابواي ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قيل في حقي ما قيل وقد لبث شهرا لا يوحى

(ان الذين جاؤا بالافك) بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضي الله عنها وذلك انه عليه الصلاة والسلام استصحبها في بعض الغزوات فأذن ليلة في القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقدها من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذي كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيتها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمة احدا فجلست كي يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرّس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به (عصبة منكم) جماعة منكم وهي من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابي وزيد ابن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهي خبر ان وقوله (لا تحسبوه شرا لكم) مستأنف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعائشة وصفوان والهاء للافك (بل هو خير لكم) لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثماني عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا

(لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به (والذى تولى كبره) معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه (منهم) من الخائضين وهو ابن ابى فانه بدأ به وأذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوهو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين (له عذاب عظيم) فى الآخرة اوفى الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابى مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر (لولا) هلا (اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا) بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لاينفك عنه ولذلك يتسع فيه مالا يتسع فى غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لايخلوا باوله (وقالوا هذا افك مبين) كما يقول المستيقن المطلع على الحال (لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذلم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون) من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان مالاحجة عليه مكذب عند الله اى فى حكمه ولذلك رتب الحد عليه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة) لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى الدنيا بأنواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الآخرة بالعفو والمغفرة المقدر ان لكم (لمسكم) عاجلا (فيما افضتم فيه) خضتم فيه (عذاب عظيم) يستحقر دونه اللوم والجلد

اليه فى شأنى اشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال اما بعد ياعائشة قد بلغنى عنك كذا وكذا ان كنت بريئة فسيبرئك الله عزوجل وان كنت اسأت بذنب فاستغفرى الله تعالى وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه خلص دمعى حتى ما احتبس منه قطرة فقلت لابى اجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ماادرى ما اقول فقلت وانا جارية حديثة السن لا اقرأ كثيرا من القرآن والله لقد عرفت انكم قد سمعتم هذا حتى استقر فى انفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم انى بريئة لاتصدقونى ولئن اعترفت لكم بامر والله تعالى يعلم انى بريئة منه لتصدقنى به والله ما اجدلى ولكم مثلا الا ماقال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون قالت ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وانا والله حينئذ اعلم انى بريئة وان الله تعالى يعلم براءتى وانى والله ما كنت اظن ان ينزل فى شأنى وحى يتلى ولشأنى كان احقر فى نفسى من ان يتكلم الله تعالى فى بأمر يتلى ولكننى كنت ارجو ان يرى النبى صلى الله عليه وسلم رؤيا يبرئنى الله تعالى بها قالت فوالله ماقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولاخرج من اهل البيت احد حتى انزل الله تعالى جبريل على نبيه واخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحى حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاتى من ثقل القول الذى انزل عليه فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سرى عنه وهو يضحك فكان اول كلمة تكلم بها ان قال أبشرى يا عائشة اما والله لقد برأك الله تعالى فقلت بحمد الله تعالى ولا بحمدك ولا بحمد اصحابك فقالت لى امى قومى اليه فقلت والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله عزوجل قالت فانزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه الى آخر الآيات العشر فى براءتى ولما انزل الله تعالى هذه الآيات قال ابو بكر الصديق وكان ينفق لمسطح او على مسطح لقرابته وفقره والله لا انفق شيأ ابدا بعد الذى قال لعائشة ماقال فانزل الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم الى قوله ألاتحبون ان يغفر الله لكم قال ابو بكر بلى أحب ان يغفر الله لى فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفقها عليه وقال لاانزعها منه ابدا * وعصبة خبر ان ومنكم صفته والمعنى والله تبارك وتعالى اعلم ان الذين اتوا بالكذب فى امر عائشة جماعة كائنة منكم فى كونهم موصوفين بالايمان وعبد الله ايضا كان من جملة من حكم له بالايمان ظاهرا ﴿ قوله فانه بدأ به واذاعه ﴾ قالت عائشة رضى الله عنها ركبت الراحلة وأخذ صفوان بالزمام يقودها فمررنا بملأ من المنافقين فيهم عبد الله بن ابى فقال من هذه قالوا عائشة قال والله مانجت منه ولانجا منها وقال لعن الله امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها قالت وهو الذى تولى كبره منهم فانه لما كان مبدأ لذلك القول فلاجرم حصل له من العقاب مثل ما حصل للكل من قال ذلك قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة * وروى انه لما نزلت آية براءة عائشة رضى الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل ضرب عبد الله بن ابى ومسطحا وحسانا وحمنة حد القذف ﴿ قوله لولا هلا ﴾ يعنى ان لولا هذه تحضيضية بمعنى هلا فان لولا اذا وليت الفعل تكون للتحضيض كقوله تعالى لولا اخرتنى وحرف التحضيض يلزم الفعل لفظا او تقديرا ومعناها اذا دخلت على الماضى التوبيخ واللوم على ترك الفعل واذا دخلت على المضارع فمعناها الحض على الفعل والطلب له فهى فى المضارع بمعنى الامر ولايكون التحضيض فى الماضى لان الطلب لايتصور فيه فمعنى الآية ياايها الذين سمعوا قول القاذف بعائشة بصفوان هلا ظننتم بالذين منكم من المؤمنين والمؤمنات خيرا اذ سمعتم ماقيل فى حقهم وجعل المؤمنين كنفس واحدة كما فى قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم وحق الكلام ان يقال ظننتم وقلتم وعدل عنه الى الغيبة مع التصريح بصفة الايمان تنبيها على ان اللائق بالمؤمن ان لايظن بمؤمن مثله الا الخير وان يبرئه من السوء ومبالغة فى التوبيخ فان اصل التوبيخ وان حصل بان قيل لولا ظننتم بانفسكم خيرا لكنه يزداد بالالتفات الى الغيبة اذ فيه اشارة الى ان شأن الايمان يقتضى ان يظن المؤمن بأخيه خيرا ويذب عنه الطاعنين فيه بقوله هذا افك مبين فمن ترك هذا الظن والذب فقد ترك العمل بمقتضى الايمان وهذه المبالغة لاتحصل الا بالاسلوب الاول ﴿ قوله وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف ﴾ يتضمن السؤال عن شيئين الاول ان حرف التحضيض يجب ان يدخل على الفعل فكيف جاز دخوله على الظرف والثانى ان الظرف ههنا معمول لقوله ظن المؤمنون وقالوا فلم قدم على عامله * اجاب عن الاول بان الظروف شأنا ليس لغيرها وهو تنزيلها من الاشياء منزلة نفسها لوقوعها فيها من غير انفصال عنها * وعن الثانى بان الفائدة فى تقديم الظرف بيان انه كان الواجب عليهم ان يحترزوا عن

(اذ) ظرف لمسكم او افضتم (تلقونه بالسنتكم) والمعنى يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اى تتبعونه (وتقولون بافواهكم) اى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلامساعدة من القلوب (ماليس لكم به علم) لانه ليس تعبيرا من علم به فى قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم (وتحسبونه هينا) سهلا لاتبعة فيه (وهو عندالله عظيم) فى الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقى الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم (ولولا اذ سمعتموه قلتم مايكون لنا) ماينبغى لنا وما يصح (ان نتكلم بهذا) يجوز ان تكون الاشارة الى القول المخصوص وان تكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبحانك) تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله تعالى من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله (هذا بهتان عظيم) لعظمة المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها (يعظكم الله ان تعودوا لمثله) كراهة ان تعودوا لمثله او فى ان تعودوا (ابدا) مادمتم احياء مكلفين (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع (ويبين الله لكم الآيات) الدالة على الشرآئع ومحاسن الآداب كى تتعظوا وتتأدبوا (والله عليم) بالاحوال كلها (حكيم) فى تدابيره ولايجوز الكشخنة على نبيه ولايقرره عليها (ان الذين يحبون) يريدون (ان تشيع) ان تنتشر (الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة) بالحد والسعير الى غير ذلك (والله يعلم) مافى الضمائر (وانتم لاتعلمون) فعاقبوا فى الدنيا على مادل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على مافى القلوب من حب الاشاعة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله (وان الله رؤف رحيم) على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة (يا ايها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان) باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزى وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها (ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) بيان لعلة النهى عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها (مازكا) ماطهر من دنسها (منكم من احد ابدا) آخر الدهر (ولكن الله يزكى من يشاء) بحمله على التوبة وقبولها (والله سميع) لمقالتهم (عليم) بنياتهم (ولا يأتل) ولا يحلف افتعال من الألية او ولا يقصر من الألو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل فى ابى بكر وقد حلف ان لاينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقرآء المهاجرين (اولوا الفضل منكم) فى الدين (والسعة) فى المال وفيه دليل على فضل ابى بكر رضى الله عنه وشرفه (ان يؤتوا) على ان لايؤتوا او فى ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات

الاثم والخوض اول ماسمعوا بالافك بان يظنوا بالمؤمنين خيرا و يقولوا هذا افك مبين و لايتكلموا به و لايذيعوه فلما كان ذكر الوقت اهم وجب تقديمه ﴿قوله يأخذه بعضكم من بعض﴾ يعنى ان تلقى القول اخذه من الغير ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفسر التلقى باخذ بعضهم من بعض لان كل واحد من المتلقى والملقى منه داخل فى هذا الخطاب وصفهم الله تعالى بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها احدها تلقى الافك بألسنتهم وذلك ان الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ماوراءك فيحدثه بحديث الافك حتى شاع واشتهر ولم يبق بيت ولا نادالا ذكر فيه فكأنهم سعوا فى اشاعة الفاحشة وذلك من العظائم وثانيها انهم كانوا يتكلمون بما لاعلم لهم به والاخبار بالشئ يجب ان يكون مستقرا بان تستقر صورته فى القلب اولا ثم يترجم عنه اللسان وهذا الافك ليس الاقولا يجرى على ألسنتهم ويدور فى افواههم من غير ان يستقر العلم به فى قلوبهم وهو حرام لقوله تعالى ولا تقف ماليس لك به علم وثالثها انهم كانوا يستصغرون ذلك وهو جريمة عظيمة عندالله تعالى اى فى حكمه ﴿قوله ماينبغى لنا وما يصح﴾ اشارة الى فائدة زآئدة مع ان الكلام سديد بدونه بان يقال مالنا ان نتكلم بهذا ونظيره قوله تعالى مايكون لى ان اقول ماليس لى بحق فانه بمعنى ماينبغى وما يصح ﴿قوله تعجب ممن يقول ذلك﴾ اى الافك وعظمه او ممن يقول ذلك حيث عصى الله تعالى فى حق هؤلاء الكرام ثم بين وجه استعارة معنى التعجب من كلمة التسبيح فقال واصله اى والاصل فى ذكر هذه الكلمة ان يسبح الله تعالى عند رؤية العجيب من صنائعه تنزيها له من ان يخرج مثله عن قدرته ثم كثر حتى استعمل فى كل متعجب منه ﴿قوله او تنزيه﴾ عطف على قوله تعجب وقوله ينفر عنه اى عن النبى فيفوت ماهو المقصود من ارساله فان الانبياء انما بعثوا الى الكفار ليدعوهم الى الدين والى قبول ماقالوه عن الله تعالى من الاحكام والثواب والعقاب وهذا المقصود لايحصل اذا كان فى الانبياء ماينفر الكفرة عنهم فجاز ان تكون امرأة النبى صلى الله عليه وسلم كافرة لان الكفر ليس مما ينفر عندهم ولايجوز ان تكون فاجرة لان الكشخنة من اعظم المنفرات والكشخان الذى امرأته فاجرة تدعو الرجال الى نفسها وهو يعرف حالها اى زوج الفاجرة والبهتان مصدر بهته اى قال عليه مالم يفعله سمى به المبهوت به ان كانت الاشارة بقوله هذا الى الافك بمعنى القول الكاذب وان كانت الاشارة الى الافك بمعنى الكذب والافترآء يكون البهتان ايضا مصدرا فقوله تعالى هذا بهتان عظيم معناه هذا الافك افترآء عظيم يتحير من عظمه روى ان ام ايوب قالت لابى ايوب الانصارى اما بلغك مايقول الناس فى عائشة فقال ابو ايوب سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله ثم انه تعالى قال يعظكم الله بهذه المواعظ التى بها تعرفون عظم هذا الذنب فان فيه الحد والنكال فى الدنيا والعذاب فى الآخرة كراهة ان تعودوا او يعظكم فى ان تعودوا حتى لاتعودوا الى مثله ابدا ﴿قوله بالحد والسعير الى غير ذلك﴾ فيه اشارة الى ان قوله تعالى ان الذين جاؤا بالافك وان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة ليس معناه مجرد وصفهم بانهم يحبون شيوعها فى حق الذين آمنوا من غير قصد ان يشيعوها ويظهروها فان ذلك القدر لايوجب الحد فى الدنيا بل المعنى ان الذين يشيعون الفاحشة والزنى فى الذين آمنوا كصفوان وعائشة رضى الله تعالى عنهما عن قصد ومحبة لاشاعتها والخطوات جمع خطوة بضم الخاء وهى مابين القدمين وبالفتح مصدر خطوت خطوة للمرة والمراد بها ههنا سيرة الشيطان وطريقته والمعنى لاتسلكوا مسالكه ولاتتبعوا آثاره ووساوسه باشاعة الفاحشة والاصغاء الى الافك والقول به ﴿قوله ويؤيد الاول﴾ وهو كون يأتل يفتعل من الالية لامن الألو انه قرئ ولا يتأل فانه من الالية يقال آلى يؤلى ايلاء والية وائتلى يأتلى ائتلاء وتألى يتألى تأليا كلها بمعنى حلف ﴿قوله وفيه دليل على فضل ابى بكر﴾ وذلك لان الفضل المذكور فى الآية اما فى الدنيا واما فى الدين والاول باطل لانه تعالى ذكره فى معرض المدح والمدح بكثرة الدنيا غير جائز من الله تعالى ولانه لوجاز ذلك لكان قوله والسعة تكريرا لاتأسيسا فتعين ان يكون المراد منه الفضل فى الدين والمنزلة من الله تعالى فلو كان غيره مساويا له فى الدرجة فى الدين لم يكن هو صاحب الفضل لان المساوى لايكون فاضلا فلما اثبت الله تعالى له الفضل غير مقيد بكونه بالنسبة الى شخص دون شخص ثبت كونه افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اتفق المفسرون على ان المراد بقوله اولوا الفضل هو ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ﴿قوله على ان لايؤتوا﴾ باسقاط الخافض وهو كثير شائع وكذا حذف كلمة لا فى اليمين كثير ايضا قال تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا يعنى مخافة ان لاتبروا وقال امرؤ القيس

(اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله) صفات لموصوف واحد اى ناساً جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ فى تعليل المقصود (وليعفوا) لما فرط منهم (وليصفحوا) بالاغضاء عنه (ألا تحبون ان يغفر الله لكم) على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم (والله غفور رحيم) مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روى انه عليه الصلاة والسلام قرأها على ابى بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته (ان الذين يرمون المحصنات) العفائف (الغافلات) عما قذفن به (المؤمنات) بالله ورسوله استباحة لعرضهن وطعنا فى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كابن ابى (لعنوا فى الدنيا والآخرة) كما طعنوا فيهن (ولهم عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل فى افك عائشة (يوم تشهد عليهم) ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائى بالياء للتقدم والفصل (ألسنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون) يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفى ذلك مزيد تهويل للعذاب (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) جزاءهم المستحق (ويعلمون) لمعاينتهم الامر (ان الله هو الحق المبين) الثابت بذاته الظاهر ألوهيته لا يشاركه فى ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اى العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) اى الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله (اولئك) يعنى اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم او الرسول وعائشة وصفوان (مبرأون مما يقولون) اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليها وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير فى يقولون للآفكين اى مبرأون مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اى مبرأون من ان يقولوا مثل قولهم (لهم مغفرة ورزق كريم) يعنى الجنة ولقد برأ الله اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآيات مع هذه المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته (القول)

فقالت يمين الله ابرح قاعدا » اى لا ابرح وهذا التأويل على تقدير ان يكون قوله ولا يأتل اولوا الفضل افتعالا من الالية واما على تقدير كونه افتعالا من الالو فالتأويل ما اشار اليه بقوله او فى ان يؤتوا اى لا يقصر اولوا الفضل فى ان يحسنوا ﴿ قوله فيكون ابلغ فى تعليل المقصود ﴾ بناء على ما اشتهر من ان تعليق الحكم بالمشتق يفيد علية المأخذ وان جعل من قبيل عطف الذوات يكون الكلام ابلغ فى تعليل المقصود وهو نهى الصديق عن حفظ يمينه على ان لا ينفق على مسطح فان جعل الكلام من قبيل عطف الصفات فقد افاد الكلام تعليل المقصود لان كل واحد من الصفات المذكورة اذا كان منهيا عن محافظة اليمين فيكون الشخص الموصوف بتلك الصفات منهيا عنها بطريق الاولى ﴿ قوله تعالى وليعفوا ﴾ اى عن ذنبهم وليصفحوا اى وليعرضوا عن لومهم فان العفو ان يتجاوز عن الجانى والصفح ان يتناسى جرمه وقيل العفو بالفعل والصفح بالقلب ﴿ قوله استباحة لعرضهن ﴾ منصوب على انه مفعول له لقوله تعالى يرمون المحصنات اشار به الى جواب ما يقال هذه الآية تدل على ان قاذف المحصنات كافر لا تقبل توبته اما انه كافر فلقوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وارجلهم وذلك صفة الكفار والمنافقين لقوله ويوم يحشر اعداء الله الى آخر الآيات الثلاث ولقوله ولهم عذاب عظيم هو عذاب الكفر واما انه لا تقبل توبته فلقوله لعنوا فى الدنيا والآخرة ولم يذكر استثناء بان قال الا الذين تابوا فهذا يدل على ان قاذف المحصنات الغافلات ملعون فى الدارين تاب او لم يتب وقد قال فى اول السورة ان الذين يرمون المحصنات ثم قال الا الذين تابوا فجعل لهم توبة فالمصنف رحمه الله تعالى عليه حمل هذه الآية على القذف على وجه يستلزم الكفر والظاهر ان يدفع هذا بان يجعل الوعيد المذكور فيها مشروطا بعدم التوبة لان الذنب سواء كان كفرا او فسقا وحصلت عنه التوبة صار مغفورا بمقتضى الوعد الالهى ﴿ قوله وقيل هو حكم كل قاذف ﴾ عطف على ما قبله من حيث المعنى كأنه قيل هو حكم القاذف استباحة وطعنا وقيل حكم كل قاذف ما لم يتب ولم يرض المصنف رحمه الله تعالى عليه به لان الوعيد المذكور انما يليق بالكفرة ومجرد قذف المحصنة المؤمنة لا يوجب الكفر وقيل لابن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله تعالى فى الدنيا والآخرة قال ذلك لمن قذف عائشة رضى الله تعالى عنها خاصة وجميع المحصنات الغافلات وان اريدت عائشة وحدها لان من قذف واحدة من نساء النبى صلى الله عليه وسلم فقد قذفهن جميع فكأنه قذف النبى صلى الله عليه وسلم وقذفه كفر بالاتفاق وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال هذا الحكم فيمن قذف زوجات النبى صلى الله عليه وسلم اذ ليس له توبة ومن قذف مؤمنة جعل الله له توبة ﴿ قوله لانه موصوف ﴾ والمصدر الموصوف لا يعمل لان اعماله يستلزم الفصل بين المصدر ومعموله باجنبى وذا لا يجوز وصف المصدر باجنبى عنه بمعنى انه ليس معمولا له والوجه فيه ان المصدر عند العمل مؤول بان مع الفعل وان موصول حرفى ومعمول المصدر فى الحقيقة معمول الفعل الذى هو صلة ان ولا يجوز الفصل بين بعض الصلة وبعضها باجنبى ﴿ قوله بانطاق الله تعالى ﴾ فان البنية ليست شرطا للحياة فيجوز ان يخلق الله تعالى فى الجوهر الفرد علما وقدرة وكلاما ففى الجسم المركب منه اولى ويحتمل ان لا تكون شهادة الجوارح عليهم بانطاق الله تعالى اياها بل تكون بظهور آثار ما كانوا يعملون عليها كما تشهد فى الدنيا على المحبة آثارها من صفرة الوجه وتغير اللون ونحافة الجسم وجريان الدمع ﴿ قوله جزاءهم المستحق ﴾ فان الدين يستعمل فى الجزاء كقولهم كما تدين تدان اى كما تفعل تجازى به وانتصاب الحق على انه صفة للدين فان القدر المستحق فى الجزاء موصوف بانه الحق ﴿ قوله الخبائث ﴾ اى الزوانى يتزوجن الخباث اى الزناة وكذا الخبيثون من الرجال يتزوجون الخبائث كما قال تعالى الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك فان قيل فعلى هذا الوجه يلزم ان لا يتزوج الرجل العفيف زانية والجواب ما تقدم فى قوله الزانى لا ينكح الا زانية الخ ولما كان عقد التزوج واتصاليه لا اكفاء خيانة وطيبا يجبر رآة الرسول صلى الله عليه وسلم وعائشة عما قيل فى حقهما وبرآتهما تستلزم برآة صفوان فيكون اول الآية كالدليل على برآة الجميع اذ لو صدق ما قيل فى حقها لكانت خبيثة غير صالحة لكونها زوجة لاطيب الطيبين ويحتمل ان لا يكون الخبائث والطيبات بمعنى الزوانى من النساء والعفائف منهن بل يكون بمعنى الاقوال الخبيثة والطيبة فيكون المعنى الخبيثات من الكلمات تقال او تعد للخبيثين من الرجال وتليق بهم والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلمات وعلى عكسه الطيبات من الكلمات للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الكلمات والمعنى كل كلام انما يحسن فى حق اهله فيضاف سيئ

(يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم) التى تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لايدخلان الاباذن (حتى تستأنسوا) تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشئ اذا ابصره فان المستأذن مستعلم الحال

مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن لكم من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لايؤذن له فاذا اذن استأنس او تعرّفوا هل ثمة انسان من الانس (وتسلموا على اهلها) بان تقولوا له السلام عليكم ءادخل وعنه صلى الله عليه وسلم التسليم ان يقول السلام عليكم ءادخل ثلاث مرّات فان اذن له دخل والا رجع (ذلكم خير لكم) اى الاستئذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته فى لحاف وروى ان رجلا قال للنبى عليه السلام ءأستأذن على امى قال نعم قال لاخادم لها غيرى ءأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن (لعلكم تذكرون) متعلق بمحذوف اى انزل عليكم اوقيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم (فان لم تجدوا فيها احدا) يأذن لكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى يأتى من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ماتخفيه الناس عادة مع ان التصرف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوها (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ولا تلحوا (هو ازكى لكم) الرجوع اطهر لكم مما لايخلو الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة او انفع لدينكم ودنياكم (والله بما تعملون عليم) فيعلم ماتأتون وماتذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة) كالربط والخانات والحوانيت (فيها متاع) استمتاع (لكم) كالاستكنان من الحرّ والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها (والله يعلم ماتبدون وماتكتمون) وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) اى مايكون نحو محرّم

القول الى من يليق به وكذلك الطيب من القول وعائشة رضى لاتليق بها الخبائث من الاقوال فلا يصدق فيها لانها طيبة فيضاف اليها الثناء الحسن ومايليق بها وقال الزجاج رحمه الله تعالى عليه معناه ولايتكلم بالخبائث من القول الا الخبيث من الرجال والنساء ولايتكلم بالطيبات منه الا الطيب من الرجال والمقصود ذم من قذف عائشة رضى الله تعالى عنها ووقع فى حقها بالخبيث ومدح من وصفها بالطهارة ﴿ قوله من آنس الشئ ﴾ يعنى انه استفعال من آنس الشئ اذا ابصره مكشوفا وعلم به قال تعالى فان آنستم منهم رشدا اى اذا علمتم لان الرشد لايبصر ولهذا قيل فى معنى الآية الشريفة حتى تستعلموا وتعرّفوا أيؤذن لكم ام لا وطلب العلم بانه يؤذن لكم ام لا معناه الاستئذان فلذلك فسر الآية بالاستئناس الذى هو ضدّ الاستيحاش فان من يأتى باب غيره لايدرى أيؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا أذن له استأنس ولهذا يقال فى جواب القادم المستأذن مرحبا واهلا وسهلا اى وجدت مكانا واسعا واتيت اهلا لا اجانب واصبت مكانا سهلا لا خشنا ليزول به استيحاشه وتطيب نفسه فيؤول المعنى الى ان يؤذن لكم وهو من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس ردف الاذن وتبعه فوضع موضع الاذن حيث ذكر الاستئناس اللازم واريد الاذن الذى هو الملزوم ﴿ قوله او تعرّفوا هل ثمة انسان ﴾ عطف على قوله تستأذنوا كقوله او يؤذن لكم اى ويجوز ان يكون الاستئناس من الانس وهو ان يتعرّف هل ثمة انسان ومافيل من انه لايلائم المقام اذ يصير المعنى حينئذ لاتدخلوا مالم تعرفوا ان هناك انسانا فاذا عرفتم ان هناك انسانا فادخلوها سواء اذن لكم ام لا وليس المقصود من الآية هذا فليس بشئ لانه انما يكون المعنى ماذكره ان لو اقتصر فى غاية النهى على قوله حتى تستأنسوا وليس كذلك بل عطف عليه قوله تعالى وتسلموا على اهلها ولما جعل غاية النهى مجموع الاستئناس والتسليم بان يقال السلام عليكم ءادخل كيف يكون المعنى ماذكره وهل يقول به عاقل بل يكون المعنى لاتدخلوا حتى تعرّفوا انه هل ثمة انسان ثم تسلموا عليه ثم تستأذنوه فى الدخول وهو كما قيل السلام قبل الكلام ثم انه اذا اذن له فدخل فعند ذلك يسلم على اهله ثانيا لقوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم فانا امرنا بالسلام بعد الدخول عن ابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاث كما رواه المصنف رحمه الله تعالى عليه بالمرّة الاولى يستنصتون وبالثانية يستصلحون وبالثالثة يأذنون او يردون فكان الرجل من اهل الجاهلية اذا دخل بيتا غير بيته صباحا قال حييتم صباحا واذا دخل مساء قال حييتم مساء قال الجوهرى رحمه الله تعالى عليه الحياة ضدّ الموت والحى ضدّ الميت وحياه الله تعالى فحيى وحىّ ايضا والادغام اكثر الى ان قال التحية الملك قال زهير ٭ ولكل مانال الفتى ٭ قد نلته الا التحية

ويقال حياك الله اى ملكك والتحيات لله قال يعقوب اى الملك لله ﴿ قوله فان المانع من الدخول ﴾ وهو الدخول بغير اذن ءاعلم ان السلام من سنة المسلمين وهو تحية اهل الجنة ومجلبة المودّة ونافى الحقد والضغينة روى عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ٭ لما خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد لله فقال الله يرحمك ربك يا آدم اذهب الى هؤلاء الملائكة وهم جلوس فقل السلام عليكم فلما فعل ذلك ورجع الى ربه قال هذه تحيتك وتحية ذرّيتك ٭ وروى عنه صلى الله عليه وسلم قال ٭ حق المسلم على المسلم ست يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه وينصح له بالغيب ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ٭ ثم انه اذا عرض له امر فى داره من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر فحينئذ لايجب الاستئذان والتسليم فان كل ذلك مستثنى بالدليل وهو ماقاله الفقهاء رحمه الله تعالى عليهم من ان مواضع الضرورات مستثنيات من قواعد الشرع لان الضرورات تبيح المحظورات ٭ قال صاحب الكشاف رضى الله تعالى عنه وكم باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك ثم انه تعالى لما ذكر حكم الدور المسكونة ذكر بعده حكم الدور التى هى غير مسكونة فقال تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة اى بغير استئذان قال المفسرون لما نزلت آية الاستئذان قالوا يارسول الله كيف بالبيوت التى بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن من اربابها فنزلت الآية الشريفة ﴿ قوله تعالى فيها متاع لكم ﴾ اى منفعة من اتقاء الحرّ والبرد وحفظ السلع ونحو ذلك من منافع المسافر ﴿ قوله اى مايكون نحو محرّم ﴾ يعنى ان كلمة من للتبعيض والمراد غض البصر وحفظه عن النظر الى مالايحل لهم النظر اليه وان لاينظر الا الى مايحل النظر اليه والغض اطباق

(ويحفظوا فروجهم) الاعلى ازواجهم اوماملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها (ذلك ازكى لهم) انفع لهم واطهر لما فيه من البعد من الريبة (ان الله خبير بما يصنعون) لايخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر حواسهم وتحريك جوارحهم ومايقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن) فلاينظرن الى مالايحل لهن النظر اليه من الرجال (ويحفظن فروجهن) بالتستر او التحفظ عن الزنى وتقديم الغض لان النظر بريد الزنى (ولايبدين زينتهن) كالحلى والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لايحل ان تبدى له (الاماظهر منها) عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان في سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف اومايعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا في الصلاة لا في النظر فان كل بدن الحرة عورة لايحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شئ منها الالضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) سترا لاعناقهن وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وحمزة والكسائى بكسر الجيم (ولايبدين زينتهن) كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لايحل له (الالبعولتهن) فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره (اوآبائهن اوآباء بعولتهن اوابنائهن اوابناء بعولتهن اواخوانهن اوبنى اخوانهن اوبنى اخواتهن) لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن مايبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم في معنى الاخوان اولان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم (اونسائهن) يعنى المؤمنات فان الكافرات لايتحرجن عن وصفهن للرجال اوالنساء كلهن والعلماء في ذلك خلاف

الجفن بحيث يمنع الرؤية ولما كان ماحرم النظر اليه من جملة المبصرات بعض البصر باعتبار بعض متعلقه بجعل ماتعلق بالمحرم بعضا من البصر وامر بغضه قال الاخفش رحمه الله تعالى عليه كلمة من زائدة ههنا فانه يجوز زيادتها في الاثبات خلافا لسيبويه فانه لايجوزها ﴿قوله ولما كان المستثنى منه﴾ اى من الفرج وهو جواب عما قال لم دخلت كلمة من على الابصار دون الفرج مع ان المأمور به حفظ كل واحد منهما عن بعض ماتعلقا به فاجاب عنه بان المستثنى من البصر كثير فان الرجل يحل له النظر الى جميع اعضاء ازواجه وجميع اعضاء ماملكت يمينه وكذا لابأس عليه في النظر الى شعور محارمه وصدورهن وثديهن واعضادهن وسوقهن وارجلهن وكذا من امة الغير حال عرضها للبيع ومن الحرة الاجنبية الى وجهها وكفيها وفي رواية والقدم عند ارادة العقد بخلاف المستثنى من الفرج فانه شئ قليل نادر وهو فرج زوجته وامته فلذلك اطلق حفظ الفرج ولم يعتد بما استثنى منه لقلته وقيد غض البصر بحرف التبعيض وقيل كل مافي القرآن من حفظ الفرج فالمراد به حفظه من الزنى الافي هاتين الآيتين فان المراد فيهما الستر فلذلك اطلق حفظه ولم يقيد بحرف التبعيض لانه وان جاز للرجل ان ينظر الى جميع بدن زوجته وبدن امته التي يحل له الاستمتاع بها حتى الى فرجها الاانه يكره له النظر الى الفرج بالاتفاق حتى الى فرج نفسه لانه روى انه يورث الطمس وقيل لايجوز النظر الى فرجها ﴿قوله تعالى ذلك﴾ اى غض البصر وحفظ الفرج انفع لهم على ان ازكى بمعنى النماء والنفع ﴿قوله بريد الزنى﴾ اى يحمل الناظر على الزنى ويؤدى اليه والبريد البغلة التى تحفظ في الرباط وتهيأ للرسول ليركب عليها وهو تعريب بريده دم ثم سمى به الرسول المحمول عليها ثم سميت به المسافة وزاد الله تعالى في نهى المؤمنات وراء غض الابصار وحفظ الفروج حكما آخر حيث قال تعالى ولايبدين زينتهن الالبعولتهن والزينة ماتزينت به المرأة من حلى اوكحل اوصبغ فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة وهى مالافص فيه من الخاتم والكحل والصبغ فلابأس فيه بابدائه للاجانب بشرط الامن من الشهوة وما خفى منها كالسوار والدملج وهى حلقة تحملها المرأة على عضدها والوشاح والقرط فلا يحل لها ابداؤها الالهؤلاء المذكورات فيما بعد بقوله تعالى ولايبدين زينتهن الالبعولتهن الى آخر الآية ولاشك ان اظهار عين الزينة منفصلة عن بدن المرأة ليس منهيا عنه والنهى عنه اظهارها وهى في مواضعها لان مواضع الزينة الخفية كالذراع والساق والعضد والعنق والرأس والاذن والصدر فلا يحل للاجانب النظر اليها مجردة عن هذه رأسا فعها اولى وانما سومح لها في ابداء الزينة الظاهرة للاجانب حالة الامن من الاشتهاء لما في التصون عن ابداء مواضعها في الاخذ والاعطاء والمشى حالة الخروج وحمل الشهادة عليها من الحرج الذى لايخفى خصوصا في حق الفقيرات منهن وعلى تقدير ان يراد بالزينة مواضعها اومايعم المحاسن الخلقية التى خلق الانسان عليها يكون المراد بقوله تعالى الاماظهر منها الوجه والكفين لانها ليست بعورة ثم قال المصنف رحمه الله تعالى عليه والاظهر الخ اى انها عورة في حق النظر اليها وان لم تكن عورة في الصلاة ﴿قوله كرره﴾ فالاول لتقسيم الزينة الى الظاهرة والخفية ولبيان ان الظاهرة يجوز ابداؤها مطلقا والثانى لبيان من يحل له ابداء الزينة الخفية ومن لايحل له ذلك ﴿قوله تعالى بخمرهن﴾ الخمر جمع خمار وهو ماتغطى به المرأة رأسها وتستره ومالبس بهذه الصفة فليس بخمار والجيب ماجيب من القميص اى قطع لادخال الرأس ويضربن ضمن معنى يلقين فعدى بعلى والمعنى وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقرطهن واعناقهن عن الاجانب قيل ان نساء الجاهلية كن يسبلن خمرهن من خلفهن وان جيوبهن كانت من قدام وكانت تنكشف نحورهن وقلائدهن فأمرن ان يضربن مقانعهن على الجيوب ليغطى بذلك ماكان ينكشف باسبال خمرهن من خلفهن ﴿قوله لانهم في معنى الاخوان﴾ من حيث كون الجد سواء كان اب الاب اواب الام في معنى الاب فيكون ابنهما في معنى الاخ وايضا كل منهما قرابة المحرمية كالاخ فانه محرم فكذا ابنه الاانهما العم والخال فانهما محرمان لا ابناؤهما فالاولى للمرأة ان تستتر من اعمامها واخوالها حذرا من ان يصفوها لابنائهم لان تصور الابناء لها بالوصف بمنزلة نظرهم اليها ﴿قوله لايتحرجن﴾ اى لاتأثمن من الحرج بمعنى الاثم فلما لم يكن وصف مواقع زينة المؤمنات للرجال الاجانب معدودا من جملة الآثام عند الكافرات احتمل ان يصفنها للاجانب فيكون تصور الاجانب اياها بمنزلة نظرهم اليها بخلاف المؤمنات فانهن يحترزن عن وصف مواقع زينة المؤمنات للرجال فجاز لهن ان يبدين زينتهن للمؤمنات دون الكافرات هذا قول اكثر السلف رحمة الله تعالى عليهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما

(او ماملكت ايمانهن) يعم الاماء والعبيد لما روى انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي منها (او التابعين غير اولى الاربة من الرجال) اى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الأهمام والممسوخون وفى المجبوب والخصيّ خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيأ من امور النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال (او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حدّ الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف (ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو ابلغ من النهى عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت (وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون) اذ لا يكاد يخلو احدكم من تفريط سيما فى الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم على الكف عنه كلما تذكر (لعلكم تفلحون) بسعادة الدارين (وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم) لما نهى عما عسى ان يفضى الى السفاح المخل بالنسب المقتضى للالفة وحسن التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بالامر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولى والمولى وايامى مقلوب ايائم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا قال

فان تنكحى انكح وان تتأيمى * وان كنت افتى منكم اتأيم

وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشأنهم اهمّ وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه (ان يكونوا فقرآء يغنهم الله من فضله) ردّ لما عسى ان يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعنّ فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح او وعد من الله بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى فى هذه الآية لكن مشروطة بالمشيئة لقوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء (والله واسع) ذو سعة لا تنفد نعمته اذ لا تنتهى قدرته (عليم) يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته (وليستعفف) وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة (الذين لا يجدون نكاحا) اسبابه ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به او بالوجدان التمكن منه (حتى يغنيهم الله من فضله) فيجدوا ما يتزوجون به

ليس للمسلمة ان تتجرّد بين نساء اهل ذمة ولا تبدى للكافرة الا ما تبدى للاجانب الا ان تكون امة لها لقوله او ماملكت ايمانهنّ وكتب عمر الى ابى عبيدة رضى الله تعالى عنه ان يمنع نساء اهل الكتاب من دخول الحمام مع المؤمنات * قال الامام رحمه الله تعالى عليه قول السلف محمول على الاستحباب والمذهب ان المراد بقوله تعالى او نسائهنّ جميع النساء ﴿قوله وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبيّ منها﴾ خصيا كان او فحلا وهو قول ابى حنيفة وعليه عامة العلماء واحتجوا عليه بقوله عليه الصلاة والسلام * لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تسافر سفرا فوق ثلاثة ايام الا مع ذى محرم * والعبد ليس بذى محرم فلا يجوز له ان يسافر بها واذا لم يجز ان يسافر بها لم يجز له النظر الى مواقع زينتها الخفية وعن سمرة بن جندب رضى الله تعالى عنه انه قال لا يغرّنكم هذه الآيات فانها نزلت فى الاماء وكذا روى هذا القول عن سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنهما * فان قيل ما الفائدة فى تخصيص الاماء بالذكر بعد قوله تعالى او نسائهنّ * فالجواب والله تبارك وتعالى اعلم انه لما قال او نسائهنّ دل ذلك على ان المرأة لا يحل لها ان تبدى زينتها للكافرات سواء كنّ حرآئر او اماء لغيرها او لنفسها فلما قال او ماملكت ايمانهنّ مطلقا اى مؤمنات او مشركات علم انه يحل للامة ان تنظر الى زينة سيدتها مسلمة كانت او كافرة لما فى كشف مواضع الزينة الباطنة لامتها الكافرة فى احوال استخدامها من الضرورة التى لا تخفى ففارقت الحرّة الكافرة بذلك ﴿قوله تعالى او التابعين غير اولى الاربة من الرجال﴾ اى او الرجال الذين هم اتباع اهل البيت ولا حاجة لهم فى النساء والاربة والارب الحاجة وكذلك المأربة وقرئ غير بالخفض نعتا للتابعين وبالنصب على الاستثناء من التابعين او الحال منهم والمعنى يبدين زينتهنّ للتابعين الا ذوى الاربة منهم او حال كونهم غير ذوى اربة بخلاف ما لو كانوا ذوى اربة فانهنّ لا يبدين زينتهنّ لهم والشيخ الهم بكسر الهاء الشيخ الفانى والممسوخ بالخاء المعجمة هو الذى حوّلت قواه واعضاؤه عن سلامتها الاصلية الى الحالة المنافية لها المانعة من ان يكون له حاجة والمجبوب من قطع ذكره وخصيتاه معا من الجب وهو القطع والخصيّ من قطع خصيتاه والمختار ان الخصيّ والمجبوب والعنين ليسوا من التابعين وانهم فى حرمة النظر كغيرهم من الفحولة لانهم يشتهون ويشتهون وقوله وقيل البله عطف على الشيوخ والظهور على الشئ قد يكون بمعنى الاطلاع عليه كما فى قوله تعالى ان يظهروا عليكم اى ان يشعروا بكم وقد يكون بمعنى الغلبة والقدرة عليه كما فى قوله تعالى فاصبحوا ظاهرين قال قتادة كانت المرأة فى الجاهلية تضرب رجلها لتسمع قعقعة الخلخال فنهيت عن ذلك وقيل كانت احداهنّ تضرب باحدى رجليها على الاخرى ليعلم ان لها خلاخيل ﴿قوله وهو ابلغ الخ﴾ وذلك انه لما نهى عن اسماع الصوت الدال على الزينة فلأن ينهى عن اظهار نفس الزينة اولى وفى الآية الكريمة فائدة اخرى وهو انه اذا كان اسماع صوت خلخالها للاجانب حراما فكان رفع صوتها بحيث يسمع الاجانب كلامها حراما بطريق الاولى لان صوت نفسها اقرب الى الفتنة من صوت خلخالها ولذلك كرهوا اذان النساء لانه يحتاج فيه الى رفع الصوت وقد وصى الله تعالى جميع المؤمنين بالتوبة والاستغفار اما لان العبد الضعيف لا ينفك عن تقصير يقع منه وان اجتهد فى رعاية تكاليف الله تعالى قال النبى صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن عمر رضى الله تعالى عنه يا ايها الناس توبوا الى ربكم فانى اتوب الى الله تعالى فى كل يوم مائة مرّة واما لان المراد توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية * فان قيل قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه الآية * اجيب عنه بما قال بعض العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه لزمه كلما ذكر ذلك الذنب ان يجدّد التوبة عنه لانه يلزمه ان يستمرّ على ندمه الى ان يلقى ربه ﴿قوله لما نهى﴾ اى نهى مبالغة فى الزجر عن السفاح بعد الزجر عنه نهى عما عسى ان يفضى الى السفاح المخل بالنسب والنسب لابدّ من اعتباره فى بقاء النوع وصلاح العالم لكونه مقتضيا للالفة الخ ﴿قوله تزويج المولية﴾ وهى التى ينفذ فيها تصرّف الولى فكل من ولى امر واحد فهو وليه وذلك الواحد مولى او مولية ﴿قوله كيتامى﴾ جمع يتيم يقال يتم الصبيّ يتما من باب علم والايامى جمع ايم يقال آم الرجل وآمت المرأة يئم ايمة وايما وايوما واصل ايامى ايائم كما ان اصل يتامى يتائم فقلبا القلب المكان فصار ايامى ويتامى ﴿قوله وان كنت افتى﴾ هو افعل من الفتى اى وان كنت احدث منكم سنا اى فانا مثلكم فى حالتى التزوّج والتأيم وهذه الشرطية معترضة بين الشرط وجزآئه ﴿قوله اسبابه﴾ لما كان الظاهر ان يكون النكاح بمعنى العقد والتزوّج وكان حمله عليه مقتضيا لتقدير المضاف بناء على انه لا معنى لوجدان نفس العقد وعدم وجدانه حمله على معنى العقد اولا وقدر المضاف ثم قال ويجوز ان يراد بالنكاح ما ينكح به على طريق اطلاق اسم

المسبب على السبب كالقوام لما يقام به و اللجام لما يلجم به والحزام لما يحزم به فلا حاجة الى تقدير المضاف وقوله و بالوجدان التمكن منه فانه يقال لمن لم يتمكن من استعمال الماء هو غير واجد للماء وان كان موجودا معانا فيكون النكاح بمعنى العقد من غير حاجة الى تقدير المضاف لان الربط المعنوى وان لم يصح ان يوصف بالوجدان الا انه يصح ان يوصف بالتمكن منه فيكون المعنى الذين لا يتمكنون من النكاح ﴿قوله المكاتبة﴾ يعنى ان الكتاب مصدر كالمكاتبة والعتق والذين يطلبون المكاتبة يقال كاتب فلان عبده كتابا ومكاتبة اذا عاقده على مال منجم يؤديه على نجوم معلومة فيعتق اذا ادى الجميع ومعنى صيغة المفاعلة فى هذا العقد ان المولى يكتب على نفسه ان يعتق المكاتب اذا ادى البدل ويكتب العبد على نفسه ان يؤدى البدل من غير اخلال او ان المولى يكتب على عبده اداء المال والعبد يكتب على مولاه العتق عند الاداء فلهذا سمى هذا العقد كتابة اخذا من الكتاب فان كل واحد من العاقدين يكتب ويفرض على نفسه امرا وايضا بدل هذا العقد مؤجل منجم على المكاتب والمال المؤجل يكتب فيه كتاب على من عليه المال غالبا او من الكتب بمعنى الضم والجمع ومنه الكتيبة للعسكر وسمى العقد بذلك لانه يضم النجوم بعضها الى بعض ويضم مال المكاتب الى نفسه فان عقد الكتابة لا يجوز على اقل من نجمين عند الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى عليه تجوز الكتابة على واحد لان ظاهر قوله تعالى فكاتبوهم ليس فيه تقييد ﴿قوله والامر فيه للندب﴾ يعنى ان قوله تعالى فكاتبوهم امر استحباب عند الفقهاء رحمهم الله تعالى واليه ذهب الامام مالك وابو حنيفة والامام الشافعى رحمه الله تعالى عليهم واحتجوا عليه بقوله صلى الله عليه وسلم «لا يحل مال امرئ مسلم الا بطيب من نفسه» وروى «الا عن طيب نفس منه» وقال بعضهم امر ايجاب فيجب على الرجل ان يكاتب مملوكه اذا سأله ذلك بقيمته او اكثر اذا علم فيه خيرا وان سأله بدون قيمته لم يجب عليه ذلك واحتجوا عليه بظاهر الآية وسبب نزولها انها نزلت فى كلام عبد سأل مولاه ان يكاتبه فأبى عليه فنزلت الآية فكاتبه على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا ﴿قوله واحتجاج الحنفية رحمه الله تعالى عليهم﴾ اى لا تجوز الكتابة الحالة عند الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه وتجوز عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى عليه ووجه قول الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه ان العبد ليس له ملك يؤديه فى الحال واذا عقدت حالة توجهت المطالبة عليه فى الحال فان عجز عن الاداء رد الى الرق فلا يحصل مقصود العقد كما لو اسلم فى شئ لا يوجد فى المحل لا يصح بخلاف ما لو اسلم الى معسر فانه يجوز لانه يتصور ان يكون له ملك فى الباطن فلا يتحقق العجز عن الاداء ووجه قول ابى حنيفة رحمه الله تعالى عليه ان قوله تعالى فكاتبوهم مطلق يتناول الكتابة الحالة والمؤجلة وايضا فانهم أجمعوا على جواز العتق معلقا على مال حال فالكتابة مثله لانه بدل عن العتق فى الحالين الا ان فى احدهما العتق معلق على شرط الاداء وفى الآخر معلق فوجب ان لا يختلف حكمهما ﴿قوله امانة وقدرة على اداء المال﴾ قال الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه اراد بالخير الامانة والقوة على الكسب لان المقصود من الكتابة لا يحصل الا بهما فانه ينبغى ان يكون المكاتب كسوبا يحصل المال ويكون امينا يصرفه فى نجومه ولا يضيعه فاذا فقد الشرطان او احدهما لا يستحب ان يكاتبه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال «ان علمتم لهم حرفة ولا تدعوهم كلا على الناس» وحمل الخير على المال ضعيف اما من جهة اللفظ فانه لو اراد ذلك لقيل ان علمتم لهم خيرا لانه انما يقال لفلان مال ولا يقال فيه مال واما من جهة المعنى فلان العبد لا مال له فان كل ما فى يده حين يكاتب فهو لسيده اكتسبه العبد فى حال ما كانت يد السيد غير مقبوضة عن كسبه فلا يجوز للسيد ان يعوض بعض ماله ببعض واما ما اكتسب العبد بعد عقد الكتابة فانه مال يختص به بدأ ﴿قوله وهو شرط الامر﴾ اى علم الموالى فيهم خيرا شرط لاستحباب العقد المستفاد من قوله تعالى فكاتبوهم فاللازم من انتفائه انتفاء الاستحباب لا انتفاء الجواز ﴿قوله وفى معناه حط شئ من مال الكتابة﴾ يعنى انه تعالى امر الموالى ان يبذلوا للمكاتب شيأ من اموالهم المملوكة لهم الا ان الامام الشافعى رحمه الله تعالى عليه ذهب الى ان معنى الآية حطوا شيأ عنهم من بدل الكتابة ما احببتم ربعا فما دونه بجعل حط ذلك فما دونه فى معنى بذل شئ من ماله ولا يخلو عن بعد لان الايتاء هو الاعطاء والتمليك المطلق فلا يقع على الحط لان بدل الكتابة ليس فى حكم المال المطلق الذى آتاه الله تعالى الموالى وبدل الكتابة ليس بدين صحيح لانه دين له على عبده والمولى لا يثبت له دين صحيح على عبده حتى يكون حطه عنه اعطاء وتمليكا فالظاهر ان يقال انه امر للموالى بان

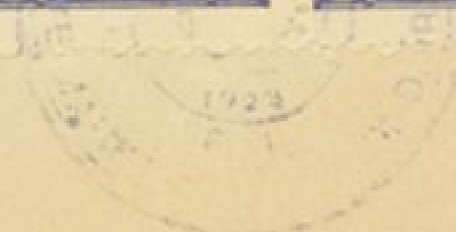
(والذين يبتغون الكتاب) المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب لتأجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى بعض (مما ملكت ايمانكم) عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره (فكاتبوهم) او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء فى الحال يمنع صحتها كما فى السلم فيما لا يوجد عند المحل (ان علمتم فيهم خيرا) امانة وقدرة على اداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين وقيل مالا وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز (وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) امر للموالى كما قبله بان يبذلوا لهم شيأ من اموالهم وفى معناه حط شئ من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى اقل ما يتمول وعن على رضى الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما الثلث وقيل ندب لهم الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة كالدائن والمشترى ويدل عليه قوله عليه السلام فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية

Çal H H Şahit
541

Seyit balasadan hacı
ahmet efendi
29 - 12 - 929 pazar günü
çal H mahkemesine
geliniz




26 - 12 - 929



وبيان الفرق بين القضاء والقدر

قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض اي كجدب وعاهة ولا في انفسكم

كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوبة في اللوح مثبتة في علم الله

من قبل ان نبرأها نخلقها مؤيد هذا ونقل عن الزجاج انه

تعالى لما قال سابقوا الى مغفرة بين ان المؤدي الى الجنة او النار

مما صدر من بني آدم لا يكون الا بقضاء الله وقدره فان جميع

الموجودات مثبتة في اللوح المحفوظ اجمالا ثم انه تعالى يفصل

قضائه السابق بايجادها الى الموادّ الخارجية واحدا بعد واحد

فالاول هو المسمى بالقضاء والثاني هو المسمى بالقدر

صحيفه جلد قاضي محمد شيخ زاده
454 4

يدفعوا اليهم شيأ مما اخذوه منهم او هو امر لعامة المسلمين بان يعطوهم سهمهم الذى جعله الله تعالى لهم من الصدقات فى قوله تعالى وفى الرقاب نقل الامام عن الامام الشافعى رحمهما الله تعالى انه قال يجب على المولى ايتاء المكاتب وهو ان يحط عنه جزأ من مال الكتابة او يدفع اليه جزأ مما اخذ منه وقال الامام مالك وابو حنيفة واصحابه رحمهم الله تعالى انه مندوب اليه وليس بواجب ﴿ قوله شرط للاكراه ﴾ يعنى ان ارادة التحصن شرط للاكراه لان الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فانهن لو لم يردن التحصن لكان زناهن بالطبع لا بالاكراه وان جعلت الارادة المذكورة شرط النهى يتوهم انه اذا انتفت الارادة ارتفع النهى وارتفاعه يستلزم جواز الاكراه وليس كذلك لان ارتفاع النهى انما يستلزم جواز الاكراه ان لو كان الاكراه متصورا حال انتفاء الارادة ولا شك انه لا يتصور اكراه القائمة على الزنى فثبت ان عدم الارادة لا يستلزم جواز الاكراه والحاصل ان اكراههن على الزنى حرام حال ارادتهن التحصن ويمتنع حال ارادتهن الفجور وقوله تعالى ان اردن تحصنا ليس المقصود منه تقييد النهى بل المقصود منه تعيير المخاطبين وتوبيخهم بان الاماء اذا رغبن فى التحصن فانتم احق بذلك مع ما فيه من الاشارة الى تقبيح حالهن ايضا بكونهن راغبات فى الزنى مائلات الى البغاء حيث اتى بكلمة ان دون اذا ﴿ قوله ولذلك حرم على المكره القتل ﴾ وفى الهداية وان اكره بقتل على قتل غيره لم يسعه ان يقدم عليه ويصبر حتى يقتل فان قتله كان آثما لان قتل المسلم لا يستباح لضرورة ما فكذا لهذه الضرورة والقصاص على المكره عند ابى حنيفة ومحمد وقال الامام الشافعى رحمه الله تعالى يجب عليهما اى المكره والمكره وقال زفر يجب على المكره ثم ان الاكراه انما يحصل متى حصل التخويف بما يقتضى تلف النفس فاما باليسير من التخويف فلا تصير به مكرهة ﴿ قوله واوضحت فيها الاحكام ﴾ لما كان المبين حكايات هذه السورة ووصفت نفس آياتها بكونها مبينات اشار الى ان اصل الاحكام مبين فيها فاتسع فى الظرف بان حذف حرف الجر واجرى المجرور مجرى المفعول به وقوله تعالى ومثلا عطف على آيات اى وانزلنا مثلا من امثال الذين مضوا من قبلكم اى قصة عجيبة من جنس قصصهم فان قصة عائشة رضى الله تعالى عنها كقصة يوسف ومريم عليهما السلام فى الغرابة فان قصتهما ذكر فيها تهمة من برئ مما اتهم به فيوسف عليه الصلاة والسلام اتهمته زليخا ومريم اتهمها اليهود مع براءتهما وقيل المراد بالآيات القرآن قال الامام رحمه الله تعالى عليه انه تعالى لما ذكر فى هذه السورة هذه الاحكام وختم الكلام فى الاحكام بهذه الآية وصف القرآن بصفات ثلاث احداها قوله تعالى ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات اى مفصلات وثانيتها قوله تعالى ومثلا من الذين خلوا من قبلكم وروى عن الضحاك انه قال يريد بالمثل ما ذكر فى التوراة والانجيل من اقامة الحدود فانزل فى القرآن مثله وروى عن مقاتل رضى الله تعالى عنه انه قال قوله تعالى ومثلا اى شبها من حالهم بحالكم فى تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام يعنى بينا لكم ما احللنا بهم من العقاب لتمردهم على الله تعالى فجعلنا ذلك مثلا لكم لتعلموا انكم اذا شاركتموهم فى المعصية كنتم مثلهم فى استحقاق العقاب وثالثها قوله تعالى وموعظة للمتقين والمراد به الوعيد والتحذير من فعل المعاصى ثم انه تعالى لما وصف نفسه بانه انزل آيات مبينات واقام دلائل واضحات وقصة عجيبة من جنس قصص من قبلنا متضمنة لموعظة يتنفع بها المتقون عقبه بقوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة اى مظهرهما من العدم الى الوجود فان معنى النور فى اللغة هو الذى يبين الاشياء ويظهرها للابصار ثم اعلم ان النور على اربعة اوجه اولها نور يظهر الاشياء للابصار وهو لا يراها كنور الشمس وامثالها فانه يظهر الاشياء الخفية ولا يراها وثانيها نور البصر وهو لا يظهر الاشياء للابصار ولكنه يراها وهذا النور اشرف من الاول وثالثها نور العقل وهو يظهر الاشياء المعقولة الخفية فى ظلمة الجهل للبصائر وهو يدركها ويراها ورابعها نور الحق تعالى وهو يظهر الاشياء المعدومة الخفية فى العدم للابصار من الملك والملكوت وهو يراها فى الوجود كما كان يراها فى العدم بانها موجودة فى علم الله تعالى وان كانت معدومة فى ذواتها فما يتغير علم الله تعالى ورؤيته باظهارها فى الوجود بل كان التغيير راجعا الى ذوات الاشياء وصفاتها عند الايجاد والتكوين فقوله تعالى الله نور السموات والارض معناه والله تبارك وتعالى اعلم انه مظهرهما وموجدهما من العدم بكمال القدرة الازلية كما حققه المصنف رحمه الله تعالى عليه بقوله فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره الخ وذكر وجوها اخر فى تأويل الآية الشريفة وعلى كل تأويل تكون هذه الآية الشريفة كالتعليل لما قبلها ﴿ قوله وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى ﴾ ضرورة ان حدوث الاجسام بامرها يستلزم حدوث الكيفيات

(ولا تكرهوا فتياتكم) اماءكم (على البغاء) على الزنى كانت لعبد الله بن ابى ست جوار يكرههن على الزنى وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (ان اردن تحصنا) تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) اى لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص (ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات) يعنى الآيات التى بينت فى هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص فى هذا وفى الطلاق بالكسر لانها واضحات يصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى تبين او لانها بينت الاحكام والحدود (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) اى ومثلا من امثال من قبلكم اى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم (وموعظة للمتقين) يعنى ما وعظ به فى تلك الآيات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن والصفات المذكورة صفاته (الله نور السموات والارض) النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض

والاعراض القائمة بها فكيف يصح اطلاق الكيفية عليه تعالى والقول بكونه تعالى حالا فى الاجسام مما يحكم بداهة العقل باستحالته فان القائم بالغير يحتاج اليه والمحتاج الى الغير كيف يكون الها ولما ثبت فى الشرع اطلاق اسم النور عليه تعالى وانه من جملة اسمائه الشريفة الحسنى خاض النحارير من فضلاء العلماء فى توجيه اطلاقه عليه تعالى وجاء كل واحد منهم بما فى وسعه وطاقته واشار المصنف رحمه الله عليه الى ما ذكروه من الوجوه لحصول الجميع انه تعالى ليس فى ذاته نورا بل انما يطلق عليه اسم النور اما بتقدير المضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوّز وذكر فيه وجوه اخر فاندفع به ما يقال من ان قوله تعالى الله نور السموات والارض يقتضى ظاهرا انه تعالى فى ذاته نور وقوله مثل نوره يقتضى ان لا يكون هو فى ذاته نورا بل يكون هو امرا مغايرا له مضافا اليه وبينهما تناقض فقوله تعالى الله نور السموات والارض بمعنى صاحب النور او من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة على معنى انه منوّر لكل مستنير بحيث كأنه عين نوره ومعنى تنويره انه تعالى نوّر العالم بالانوار الفائضة من الكواكب او انه تعالى نوّر العالم العلوى بالملائكة والعالم السفلى بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بناء على تشبيه الملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام بالنور بمعنى الكيفية المدركة اوّلا فى كونهما سبب الادراك فان الكيفية المذكورة انما اختصت بالفضيلة والشرف بسبب كون المرئيات ظاهرة منجلية بسببها ويشاركها فى هذه الفضيلة اشياء اخر منها البصر وهو العين الباصرة المدركة للاضواء والالوان ومنها البصيرة وهى القوة العاقلة التى تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات ولما كان كل واحدة من القوة الحساسة والعاقلة مشابهة للكيفية المذكورة فى كونها سبب الادراك صح اطلاق اسم النور عليه مجازا ومنها القرآن العظيم والملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام فان القوة العاقلة قد يعتريها الزيغ والخلل فى العلوم النظرية فلا بدّ لها من هاد ومرشد ولا مرشد فوق كلام الله تعالى وفوق ارشاد الانبياء فالآيات القرآنية بالنسبة الى عين القلب بمنزلة نور الشمس الى الباصرة فلذلك سمى القرآن نورا فى قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى انزلنا وقوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا ونفوس الانبياء عليهم الصلاة والسلام ايضا بمنزلة نور الشمس فكما ان الشمس فى عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبى يفيد الانوار العقلية لسائر النفوس البشرية ولا يستفيد النور العقلى من كل شئ من الانفس البشرية فلذلك وصف الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بانه سراج منير وقد ثبت ان الانوار الحاصلة فى ارواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام مقتبسة من الانوار الحاصلة فى ارواح الملائكة عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال تعالى ان هو الا وحى يوحى وهو لا يكون الا بواسطة الملائكة فلما كان ارواح الملائكة كالمعادن لانوار عقول الانبياء كانت ارواحهم بمنزلة الانوار ايضا واقوى من عقول الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهذا هو وجه قول المصنف رحمه الله تعالى عليه انه تعالى منوّر السموات والارض بالملائكة والانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴿ قوله او مدبرهما ﴾ بان شبه التدبير الحسن بالنور فى كون كل واحد منهما سبب الاهتداء الى المصالح فاطلق اسم النور على التدبير الحسن على سبيل الاستعارة التصريحية واطلق النور بهذا المعنى عليه تعالى على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة ﴿ قوله او موجدهما ﴾ على ان يكون قوله الله نورهما من باب التشبيه البليغ اى كالنور بالنسبة اليهما من حيث كونه مظهرا لهما اى موجدا فان اصل النور هو الظهور من ظلمة العدم وانما يظهر بتأثير قدرته تعالى ﴿ قوله او الذى به تدرك ﴾ على ان يكون المراد منه انه تعالى نور بالنسبة الى نفس السموات والارض وقوله او يدرك اهلها على ان يكون تقدير الكلام الله نور اهل السموات واهل الارض وعلى التقديرين يكون الكلام من باب التشبيه البليغ ايضا حيث شبه تعالى بالنور بمعنى الكيفية من حيث انه تعالى سبب لادراك السموات والارض بالباصرة ولادراك ما فيها من وجود الدلالات على وجود الصانع ذى الجلال والاكرام بالبصيرة وذلك لان هذه الادراكات ليست مقتضى ذات البصيرة والا لما فارقتها بل هى مستندة الى سبب خارج عن ذاتها يفيض تلك الادراكات عليها وهو الله سبحانه وتعالى فهو الذى به تدرك او به يدرك اهلها فشابه النور بمعنى الكيفية فلذلك قيل على سبيل التشبيه البليغ الله نور ﴿ قوله من حيث انه يطلق على الباصرة الخ ﴾ استشهاد على اطلاق النور على ما يكون سبب الادراك كالبصيرة والباصرة وان جاز ان يكون اطلاق النور على الباصرة لكونها متعلقة بالنور ومدركة اوّلا وبالذات ثم انما

وقد قرئ به ذاته تعالى نوّرهما بالكواكب وما يفيض عنهما من الانوار او بالملائكة والانبياء اومدبرهما من قولهم للرئيس الفائق فى التدبير نور القوم لانهم يهتدون به فى الامور اوموجدهما فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه او الذى به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له فى توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص فى بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهى اذا من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا

بين ان الباصرة تشارك النور فى توقف الادراك على كل واحد منهما بين ان ادراك المرتب على البصيرة اقوى الادراك المرتب على الباصرة فلما كان وجه الشبه بينهما وبين النور اقوى كان اطلاق لفظ النور عليها اقرب واولى فان القوة الباصرة لاتدرك نفسها ولاتدرك ادراكها ولاتدرك آلتها ايضا اما انها لاتدرك نفسها ولا ادراكها فلانهما ليسا من الامور المبصرة بالعين واما انها لاتدرك آلتها التى هى العين فظاهر والبصيرة تدرك نفسها وتدرك ادراكها وتدرك آلتها وهى القلب والدماغ وايضا القوة العاقلة تدرك الكليات والجزئيات الموجودة والمعدومة والقوة الباصرة لاتدرك الا الجزئيات الموجودة وايضا القوة العاقلة تدرك ظواهر الاشياء وبواطنها بخلاف القوة الحسية فانها لاتدرك من الانسان مثلا الا السطح الظاهر من جسده والالوان القائمة بذلك السطح بالاتفاق وليس الانسان عبارة عن مجرد السطح واللون فالقوة الباصرة وان كانت بالنسبة الى الظاهر نورا الا انها بالنسبة الى البواطن ظلمة فكانت القوة العاقلة اشرف من الباصرة من هذا الوجه وايضا القوة العاقلة تتصرف فى بواطن مدركاتها بالتركيب والتحليل فانها تضم الجنس الى الفصل فتحدث منهما طبيعة نوعية مركبة منهما وتحلل تلك الطبيعة الواحدة المقومة الى مقوماتها والى عوارضها اللازمة والمفارقة ثم تحلل مقوماتها الى الجنس وجنس الجنس والفصل وفصل الفصل وجنس الفصل وفصل الجنس الى غيرذلك والقوة الباصرة عاجزة عن النفوذ فى بواطن الماهية وحقائقها ﴿قوله ويقرب منه﴾ اى من قوله الله نور السموات والارض قول ابن عباس معناه الخ فانه الذى يدرك السموات لانه لما كان معنى قوله تعالى الله نور السموات والارض انه تعالى به تدرك او يدرك اهلها على معنى انه تعالى يجعل المكلفين من المعارف والعلوم مايهتدون به ويتخلصون به من ظلمات الكفر والضلالات وورطات الزيغ والجهالات بوحى ينزله وبنى يبلغه وهو قريب من قول حبر الامة رضى الله تعالى عنه معنى كونه تعالى نور السموات والارض انه هادى من فيهما فهم بنوره مهتدون قال المصنف ويقرب منه الخ فعلى هذا شبهت الهداية بالنور فى كونها سببا للوصول الى المطلوب فاطلق اسم النور عليها على سبيل الاستعارة ثم اطلق النور بمعنى الهداية عليه تعالى على طريق رجل عدل ﴿قوله واضافته اليهما﴾ مع ان كونه تعالى نورا بأى معنى كان ليس بالاضافة اليهما فقط فانه تعالى صاحب النور جميع المستنيرات ومنورها ومدبر أمرها وموجدها ﴿قوله لم يكن على ظاهره﴾ وهو انه تعالى فى ذاته نور بل هو مؤول باحد التأويلات المذكورة ﴿قوله كصفة مشكاة﴾ اشارة الى ان ثمة مضافا محذوفا اى كمثل مشكاة وهو خبر لقوله مثل نوره وهذه الجملة تفسير لما قبلها فلا محل لها وقوله فيها مصباح صفة لمشكاة ﴿قوله درى﴾ قرأ ابو عمرو والكسائى درئ بكسر الدال وياء بعدها همزة وقرأ حمزة وابو بكر عن عاصم رحمهما الله تعالى بضم الدال وياء بعدها همزة والباقون بضم الدال وتشديد الياء من غير همزة والمعنى انه يشبه الدر لصفائه ولمعانه ويحتمل ان لايكون منسوبا بل تكون الياء الاخيرة مقلوبة من الهمزة الاصلية ويكون اصله درئ على وزن فعيل كمريق وهو حب العصفر وهو القرطم ﴿قوله وقد قرئ به مقلوبا﴾ اى وقد قرئ بكسر الدال وقلب الهمزة ياء ﴿قوله تعالى توقد﴾ على وزن تفعل فعلا ماضيا مسندا الى ضمير عائد على المصباح ولايعود على الكوكب لفساد المعنى وهى قرأءة ابن كثير وابى عمرو والتقوب التوقد والاشتعال ومن فى قوله من شجرة لابتداء الغاية وثمة مضاف محذوف اى من زيت شجرة والذبالة بضم الذال الفتيلة وقوله زيتونة بدل من شجرة ﴿قوله وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء﴾ اى يوقد بضم الياء من تحت وفتح القاف على بناء المفعول من اوقد والضمير المستتر فيه يعود على المصباح وقرأ باقى السبعة كذلك الا انه بالتاء من فوق والضمير المستتر فيه القائم مقام الفاعل يعود على الزجاجة بحذف المضاف اى يوقد مصباح الزجاجة وقرئ توقد بفتح التاء من فوق وضم الدال مضارع توقد اصله تتوقد بتاءين فحذفت احداهما والضمير ايضا للزجاجة ﴿قوله وقرئ يوقد﴾ اى بالياء من تحت وضم الدال مضارع توقد اصله يتوقد بياء من تحت وتاء من فوق فحذفت التاء من فوق وهذا الحذف شاذ غريب الذى يتوالى مثلان ولم يبق فى اللفظ مايدل على المحذوف بخلاف نحو تنزل وتلقى فان فيه تاءين والباقى منهما يدل على ماحذف ﴿قوله تعالى لاشرقية﴾ صفة لشجرة دخلت عليها لا لتفيد النفى وقرئ لاشرقية بالرفع على اضمار مبتدأ اى لاشرقية هى والجملة ايضا فى محل الجر على انها صفة لشجرة وكذا قوله يكاد زيتها يضيئ وجواب قوله ولولم تمسسه نار محذوف اى لأضاء حذف لدلالة ماقبله عليه والجملة حالية جيئ بها لاستقصاء الاحوال حتى فى هذه الحالة ﴿قوله فى مقنأة﴾ المقنأة والمقنؤة المكان الذى لاتطلع

ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادى من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما (مثل نوره) صفة نوره العجيبة الشأن واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره (كمشكاة) كصفة مشكاة وهى الكوة غير النافذة (فيها مصباح) سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة فى وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة (المصباح فى زجاجة) فى قنديل من الزجاج (الزجاجة كأنها كوكب درى) مضيئ متلألئ كالزهرة فى صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قرأءة حمزة وابى بكر على الاصل وقرأءة ابى عمرو والكسائى درئ كشريب وقد قرئ به مقلوبا (توقد من شجرة مباركة زيتونة) اى ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفى ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة منها تفخيم لشأنها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائى وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرأ ابن كثير وابو عمرو توقد بمعنى تتوقد وقرئ يوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب (لاشرقية ولاغربية) تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لانابتة فى شرق المعمورة وغربها بل فى وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا فى مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او فى مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفى الحديث لاخير فى شجرة ولا فى نبات فى مقنأة ولا خير فيهما فى مضحى

الشمس عليه هذا قول ابي عمرو وقال غيره مضاة ومضوة بغير همزة نقيض المضحاة يقال ضحيت الشمس بكسر الحاء ضحاء بالمد اذا برزت لها وضحيت بالفتح والمستقبل اضحى في اللغتين جميعا قال تعالى انك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴿قوله نور على نور﴾ اي فكان زيتها نورا على نور بمعنى نور المصباح على نور الزجاجة او نور النار ونور المصباح او نور الزجاجة وقوله نور على نور خبر مبتدأ محذوف اي النور الذي شبه به نور الله تعالى هو نور على نور واعلم ان الامور التي اعتبرها الله تعالى في هذه الامثال مما يوجب كمال الضوء فاولها ان المصباح اذا لم يكن في المشكاة تفرقت اشعته واذا وضع في المشكاة اجتمعت اشعته فكان اشد انارة والذي يحقق ذلك ان المصباح اذا كان في المشكاة او كان في بيت صغير فانه يظهر من ضوئه اكثر مما اذا كان في البيت الكبير وثانيها ان المصباح اذا كان في زجاجة صافية والاشعة المنفصلة عن المصباح تنعكس من بعض جوانب الزجاجة الى بعض كان اكمل في الضوء والنور من غيره لما في الزجاجة من الصفاء والشفافة والذي يحقق ذلك ان شعاع الشمس اذا وقع على الزجاجة الصافية قوي حتى انه يظهر فيما يقابله مثل ذلك الضوء فاذا انعكست تلك الاشعة من كل واحد من جوانب الزجاجة الى الجانب الآخر كثرت الانوار والاضواء وبلغت النهاية الممكنة وثالثها ان ضوء المصباح يختلف بحسب اختلاف ما يتقد به فاذا كان ذلك الدهن صافيا خالصا كان حاله بخلاف حاله اذا كان كدرا ورابعها ان هذا الزيت يختلف بحسب اختلاف شجرته فاذا كانت لا شرقية ولا غربية بمعنى انها بارزة للشمس في كل حالة كان ثمرها اشد نضجا فيكون زيته اكثر صفاء فاذا اجتمعت هذه الاربعة وتعاونت صار ذلك الضوء خالصا كاملا فيصلح ان يجعل مثلا لنور الله تعالى ﴿قوله الاول انه تمثيل للهدى﴾ اعلم انه لابد في التشبيه من امرين المشبه والمشبه به واختلف اهل التفسير في ان المشبه ههنا اي شيء هو وذكروا وجوها احدها وهو قول جمهور المتكلمين ان المراد به الهدى الذي هو الآيات البينات والمعنى ان هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء الى اقصى الغايات وصارت بذلك بمنزلة مشكاة يكون فيها زجاجة صافية وفي الزجاجة مصباح يتقد بزيت بلغ النهاية في الصفاء او ان هداية الله تعالى من حيث انها في غاية الظهور والجلاء وانها محفوفة بظلمات اوهام الناس بمنزلة المصباح الموصوف بانه مع كونه في غاية الجلاء محفوف بظلمة المشكاة فان قيل لم شبه بذلك وقد علموا ان ضوء الشمس ابلغ من ذلك بكثير فاجيب بانه سبحانه وتعالى اراد ان يصف الضوء الكامل الذي يلوح وسط الظلمة لان الغالب على اوهام الخلق وخيالاتهم انما هو الشبهات التي هي كالظلمات وهداية الله تعالى فيما بينها كالضوء الكامل الذي يظهر فيما بين الظلمات وهذا المقصود لا يحصل من تشبيهه بضوء الشمس لان ضوأها اذا ظهر امتلأ العالم من النور الخالص واذا غاب امتلأ العالم من الظلمة الخالصة فلا جرم كان ذلك المثل ههنا أليق واوفق ﴿قوله واما ولي الكاف المشكاة﴾ بمنزلة دخولها على المصباح ولهذا قال بعض المفسرين ان هذه الآية من المقلوب والتقدير مثل نوره كمصباح في مشكاة لان المشبه به نوره تعالى هو الذي يكون معدنا للنور ومنبعا له وذلك هو المصباح لا المشكاة ﴿قوله او تمثيل لما نور الله تعالى به قلب المؤمن﴾ وهو نور الايمان والعلوم المتعلقة بمعاني آيات كتاب الله تعالى ومعرفة المبدأ والمعاد والشرائع وهذا النور وان كان محله قلب المؤمن الا انه نور الله تعالى من حيث انه تعالى هو الذي نوّر قلبه والمقصود من التمثيل بيان ان ايمان المؤمن وما في قلبه من العلوم والمعارف قد بلغ في الصفاء عن الشبهات والامتياز عن ظلمات الضلالات مبلغ نور المشكاة المنعوتة ﴿قوله او تمثيل لما منح الله تعالى به عباده من القوى الدراكة الخمس المرتبة﴾ ذكر الامام الغزالي نفعنا الله به آمين ان القوى الدراكة انوار من حيث انه يظهر بها اصناف الموجودات وان مراتب القوى المدركة الانسانية خمس احداها القوة الحساسة وهي التي تتلقى ما تدركه الحواس الخمس وتسمى الحس المشترك وثانيتها القوة الخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية التي هي فوقها عند الحاجة اليه وثالثتها القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية ورابعتها القوة المفكرة وهي التي تأخذ المعارف فتؤلفها تأليفا فتستنتج من تأليفها ايها علما بالمجهول وخامستها القوة القدسية التي يختص بها الانبياء وبعض الاولياء وتتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملك والملكوت واليه الاشارة بقوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وهذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالامور التي ذكرها الله تعالى وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فشبه الله تعالى القوة الحساسة بالمشكاة من حيث ان محلها اي مأخذ ما ارتسم فيها كالكوى فان الحس

(يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار) اي يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه (نور على نور) نور متضاعف فان نور المصباح زاد في انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعته وقد ذكر في معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات البينات في جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابي مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المرتبة التي منوط بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التي تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم يعلم

(المشترك)

والقوة القدسية التى يتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة فى الآية وهى المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لاتدرك ماوراءها واضاءتها بالمعقولات لابالذات والخيالية كالزجاجة فى قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليه من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لانهاية لها والزيتونة المثمرة للزيت الذى هو مادة المصابيح التى لاتكون شرقية ولاغربية لتجردها عن اللواحق الجسمية اولوقوعها بين الصور والمعانى متصرفة فى القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضىء بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم اوتمثيل للقوة العقلية فى مراتبها بذلك فانها فى بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالذى يكاد زيتها يضىء لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحى والالهام الذى مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور (يهدى الله لنوره) لهذا النور الثاقب (من يشاء) فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها (ويضرب الله الامثال للناس) ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا (والله بكل شىء عليم) معقولا كان اومحسوسا ظاهرا كان اوخفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها

المشترك انما يأخذ مدركاته من عدة ثقب كالعينين والاذنين والمنخرين والفم وكل واحد من تلك الثقب تشبه كوة غير نافذة وهى المشكاة ﴿قوله ووجهها الى الظاهر﴾ اى القوة الحساسة وجهها الى الظاهر لاتدرك ماوراء نفسها وانما تدرك ماقدامها كالكوة لاتنظر الى ماوراءها لكونها غير نافذة وايضا اضاءتها ليست بنفس ذاتها بل بما ارتسم فيها من الصور المدركة كالمشكاة التى لاتضىء بالذات بل بواسطة ماوضع فيها من المصباح وشبه القوة الخيالية بالزجاجة من حيث انها تقبل صور المدركات من جوانب البدن كما تقبل الزجاجة الانوار الحسية من الجوانب ومن حيث انها تضبط الانوار العقلية وتحفظها كما تحفظ الزجاجة الانوار الحسية عن الانمحاء والزوال ومن حيث انها تستنير بما تشتمل عليه من المعقولات كما تستنير الزجاجة بما فيها من المصباح وشبه القوة العقلية بالمصباح لاضاءتها بالادراك والمعارف كما يضىء المصباح بالانوار الحسية وشبه القوة الفكرية بالشجرة المباركة من حيث انها تؤدى الى نتائج كثيرة وهى بمنزلة الثمرة فان الفكرة تنتج نتائج هى ثمراتها ثم تعود فتجعل تلك الثمرات مدونة ثم تعود لامثالها حتى تؤدى الى ثمرات لانهاية لها فبالحرى ان يكون مثلها فى هذا العالم هى الشجرة المباركة الكثيرة النفع والزيتونة المثمرة عطف على قوله كالشجرة المباركة الاول توضيح لكون الفكرة كالشجرة المباركة والثانى توضيح لكونها كزيتونة فان شجرة الزيتون لها فضيلة على سائر الاشجار من حيث ان لب ثمرتها هو الزيت الذى له منافع كثيرة ومن جملتها انه مادة المصابيح والانوار الحسية وله من بين سائر الادهان زيادة الاشراق مع قلة الدخان فلذلك اذا ابدال قوله زيتونة من قوله شجرة مباركة تفخيم شأن الشجرة ﴿قوله التى لاتكون شرقية ولاغربية﴾ صفة لقوله والفكرة ولما اعتبر فى جانب المشبه بها كونها لاشرقية ولاغربية تعرض لكونها معتبرة فى جانب المشبه ايضا لكون المشابهة من هذا الوجه فان القوة المفكرة لما كانت مجردة عن اللواحق الجسمية لم تكن شرقية ولاغربية فلذلك شبهت بشجرة لاشرقية ولاغربية ﴿قوله اولوقوعها بين الصور والمعانى﴾ علة لكون المفكرة لاشرقية ولاغربية ولما لم يكن انتفاعها مختصا بجانب الصور ولا بجانب المعانى شبهت بشجرة لاشرقية ولاغربية فالموجودات الخارجية لما كانت محققة بالاصالة وكانت المعانى بحسب الاغلب منتزعة منها باعاضة الفاعل المختار اياها على النفس الناطقة على حسب مناسبات مختلفة واستعدادات شتى كان جانب الصور اشبه بكونه شرقيا وجانب المعنى بكونه غربيا وشبهت القوة القدسية بالزيت الذى يكاد يضىء من غيران تمسسه نار فان القوة القدسية لكمال صفائها وشدة استعدادها لاتحتاج الى تعليم وتنبيه فى الاستنارة بالعلوم والمعارف ولما كانت هذه القوى مرتبة حيث كان الحس كالمقدمة للخيال والخيال كالمقدمة للعقل ناسب ان تجعل المشكاة كالظرف للزجاجة التى هى كالظرف للمصباح ﴿قوله او تمثيل للقوة العقلية فى مراتبها﴾ كما ذهب اليه ابو على ابن سينا فان النفس الناطقة بحسب استكمالها بالمطالب النظرية لها مراتب مختلفة الاولى مرتبة الاستعداد لحصول الكمال والثانية مرتبة حصول نفس الكمال ثم ان الاستعداد على ثلاث مراتب اضعفها الاستعداد المحض والنفس فى هذه المرتبة تسمى عقلا هيولانيا والاستعداد المتوسط يحصل عند حصول المعقولات الاول وتمكن النفس من ترتيبها والانتقال منها الى المطالب النظرية والنفس فى هذه المرتبة تسمى عقلا بالملكة والاستعداد القوى هو استعداد استحضار المطالب بعد حصولها والذهول عنها من غير تجشم كسب جديد وتسمى النفس فى هذه المرتبة بالعقل بالفعل وتسمى فى مرتبة الكمال وهى مرتبة حصول المطالب ومشاهدتها بالعقل المستفاد وقد تطلق هذه الاسامى على انفس هذه المراتب ايضا ثم حصول المطالب من المبادى الاول ان كان ترتيبها والانتقال من بعضها الى بعض بطريق الحركة فى الكيف يسمى تحصيلها بهذه الطريق فكرا وان لم يكن بطريق الترتيب والانتقال من بعضها الى بعض يسمى حدسا وهذه المراتب يصح اطلاق اسم النور عليها لكونها وسائل الى ظهور المدركات والقوة العقلية فى مرتبة العقل الهيولانى تشبه بالمشكاة الخالية فى بدء الامر عن الانوار الحسية المستعدة للاستنارة بها وفى مرتبة العقل بالملكة تشبه بالزجاجة المتلألئة فى نفسها الشبيهة بالكوكب الدرى القابلة للانوار الفائضة عليها من النير الخارجى وقد مر ان القوة العقلية فى مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات قد يكون تمكنها منه بطريق الحركة الفكرية وقد يكون بطريق الحدس وشبه تمكنها من تحصيل النظر منه بالطريق الاول بتمكن الزجاجة من التوقد من شجرة الزيتونة فان توقد الزجاجة من تلك الشجرة يحتاج الى تكلف واعمال مثل ان يعصر زيتونها ويستخرج زيتها وروى

الفتيلة زيتها فكذلك الاستحصال من المطالب بطريق الفكر فان النفس تحتاج فيه الى مزاولة الفكر والاعمال فكان قوله تعالى توقد من شجرة مباركة زيتونة اشارة الى تشبيه مرتبة التمكن من الاستحصال بطريق الفكر بتوقد الزجاجة من شجرة الزيتونة وقوله تعالى يكاد زيتها اشارة الى تشبيه تمكنها بطريق الحدس بتوقد الزجاجة من الزيت ثم ان القوة النفسانية المتمكنة من الاستحصال اذا بلغت وقويت فى صفائها عن الكدورات الطبيعية الى غاية اللطافة يكون استفاضتها من عالم الغيب فى غاية الكمال والقوة حتى تكاد تعلم وان لم تحصل بها الوحى والالهام فكان قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اشارة الى تشبيه تمكنها من تحصيل النظريات بقوة قدسية بالزجاجة التى لا تحتاج فى توقدها الى ان تمس النار زيتها بل تشتعل بمجرد صفاء الزيت الحاصل فيها فظهر بما قررناه ان القوة العقلية فى مرتبة تمكنها من تحصيل النظريات ثلاثة اعتبارات تمكنها منه بطريق الفكر وبطريق الحدس وبالقوة القدسية وشبهت بالاعتبار الاول بالزجاجة المتوقدة من الشجر وبالاعتبار الثانى بالزجاجة المتوقدة بالزيت الذى مسته النار وبالاعتبار الثالث بالزجاجة التى لا تحتاج فى توقدها الى ان تصل زيتها بالنار ثم انها شبهت فى مرتبة العقل بالفعل بالمصباح الذى اشتعلت فتيلته المشبعة بالزيت بمماسة النار اياها فان المدركات النظرية فى هذه المرتبة وان لم تكن بحيث تشاهدها النفس بالفعل الا انها حاصلة عندها مخزونة فيها بحيث لا تحتاج فى استحضارها الى تجشم كسب جديد فصح تشبيهها فى هذه المرتبة بالمصباح المذكور وشبهت فى مرتبة العقل المستفاد بالنور المتضاعف فان العاقلة اذا استحضرت العلوم الضرورية والنظرية بالفعل وصارت مشاهدة اياهما حصل لها نور على نور اعنى نور مشاهدة النظريات على نور مشاهدة الضروريات ونور ملكة الانتقال عنها الى النظريات ونور حصولها بالفعل وحاصل الكلام انه تعالى مثل نوره الذى اعطاه الانسان المكرم اعنى النور المعنوى الذى هو مراتب النفس الانسانية من بداية الاستكمال الى نهايته وقواها الفائضة عليه وهى القوة الفكرية والحدسية والقدسية بما ذكره من المشكاة والزجاجة والشجرة والزيتونة والزيت الذى مسته النار والزيت الذى يكاد يضيء من غير ان تمسه النار والمصباح ونور على نور فظهر بما ذكرنا وجه الترتيب المذكور فى الآية

﴿ قوله متعلق بما قبله ﴾ اى صفة المشكاة او متعلق بمحذوف او متعلق بقوله توقد ولما ورد ان يقال ان المقصود من التمثيل تعظيم شأنه اى شأن نور الله تعالى من حيث الوضوح والجلاء وتشبيهه بما هو فى غاية الانارة والجلاء فلا بد ان يكون لكل واحد من القيود المعتبرة فى المشبه به مدخل فى ذلك ولا مدخل لكون المشكاة المنعوتة فى المساجد ولا لكون المصباح الكائن فيها يوقد فى المساجد فى زيادة المصباح المذكور انارة واضاءة فأى فائدة فى اعتباره فى جانب المشبه به اشار الى دفعه بقوله فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان اصل التحبير قد حصل بباقى القيود المذكورة وباعتبار كونها فى المساجد تحصيل المبالغة فى التحبير وفى الصحاح تحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه وقوله او تمثيلا عطف على قوله تحبيرا وهو مبنى على ان يكون المشبه نور المؤمن فانه لما اعتبر فى جانب المشبه به كون المشكاة التى فيها المصباح واقعة فى المساجد لزم ان يعتبر فى جانب المشبه ايضا كون القلب المنور واقعا فيما يشبه المساجد وهو اما صلاته او بدنه فان كل واحد من الصلاة والبدن لما كان محلا لانواع العبادات شابه المسجد كأنه قيل مثل ما نور الله تعالى به قلب المؤمن وهو فى الصلاة او قلبه الموضوع فى بدنه كمثل المشكاة المنعوتة فيكون التشبيه مفردا شبه قلبه بالمشكاة وما فيه من النور بنور المصباح الموصوف وصلاته وبدنه بالمسجد ﴿ قوله ولا ينافى جمع البيوت وحدة المشكاة ﴾ جواب عما يقال كيف يجوز ان يكون قوله فى بيوت صفة مشكاة وهى واحدة والمشكاة الواحدة لا تكون فى بيوت وحاصل الجواب ان التنكير فى قوله تعالى كمشكاة وفى قوله تعالى فيها مصباح وفى قوله تعالى فى زجاجة وفى قوله تعالى كأنها كوكب درى للنوعية لا للفردية ﴿ قوله وفيها تكرير ﴾ جواب عما يقال لا وجه لكون قوله تعالى فى بيوت متعلقا بالفعل المذكور بعده وهو يسبح لانه يصير المعنى حينئذ فى بيوت اذن الله تعالى يسبح له فيها فيكون قوله فيها تكرارا بلا فائدة فأجاب عنه بان التكرير لاجل التأكيد كثير ﴿ قوله او بمحذوف مثل سبحوا فى بيوت ﴾ وهذه الجملة مرتبة على قوله تعالى الله نور السموات والارض اى الله نور السموات فسبحوه فى بيوت الا انه ترك الفاء لعلم به كما يقال قم يدعوك والمراد قم فانه يدعوك ﴿ قوله والمراد بها المساجد ﴾ اى لا مطلق البيوت لان المراد بالاذن الامر وفى البيوت ما لم يأمر الله تعالى بان يرفع سواء كان الرفع بمعنى البناء كما فى قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت او بمعنى التعظيم

(فى بيوت) متعلق بما قبله اى كمشكاة فى بعض بيوت او توقد فى بعض بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلاة المؤمنين او ابدانهم بالمساجد ولا ينافى جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبله او بمحذوف مثل سبحوا فى بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلاثة والتنكير للتعظيم (اذن الله ان ترفع) بالبناء او التعظيم (ويذكر فيها اسمه) عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة فى افعاله والمباحثة فى احكامه (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) ينزهونه اى يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل

وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما دل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو (لاتلهيهم تجارة) لاتشغلهم معاملة رابحة (ولا بيع عن ذكر الله) مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهم من قسمى التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبدأها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر فى كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار (واقام الصلاة) عوض فيه الاضافة عن التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله

* واخلفوك عد الامر الذى وعدوا *

(وايتاء الزكاة) ما يجب اخراجه من المال للمستحقين (يخافون يوما) مع ما هم عليه من الذكر والطاعة (تتقلب فيه القلوب والابصار) تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك والابصار من اى ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم (ليجزيهم الله) متعلق بيسبح او لاتلهيهم او يخافون (احسن ما عملوا) احسن جزاء ما عملوا الموعود لهم من الجنة (ويزيدهم من فضله) اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم (والله يرزق من يشاء بغير حساب) تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة) والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة فى العاقبة كالسراب وهو ما يرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة (يحسبه الظمآن ماء) اى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة عند مسيس الحاجة (حتى اذا جاءه) جاء ما توهمه ماء او موضعه (لم يجده شيأ) مما ظنه (ووجد الله عنده) عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه (فوفاه حسابه) استعراضا او مجازاة (والله سريع الحساب) لايشغله حساب عن حساب روى انها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية تعبد فى الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر (او كظلمات) عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لامنفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات فى الدنيا والسراب فى الآخرة (فى بحر لجى) ذى لج اى عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء (يغشاه) يغشى البحر (موج من فوقه موج) اى امواج مترادفة متراكمة (من فوقه) من فوق الموج الثانى (سحاب) غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر (ظلمات) اى هذه ظلمات (بعضها فوق بعض) وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها فى رواية البزى (اذا اخرج يده) وهى اقرب ما يرى اليه (لم يكد يراها) لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله * اذا غير النأى المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح *

ورفع القدر وايضا فيها مالم يأمر الله تعالى بان يذكر فيه اسمه فهذه الاوصاف انما تليق بالمساجد اى مسجد كان وتخصيصها بالمساجد الثلاثة المسجد الحرام الذى بناه ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام ومسجد بيت المقدس الذى بناه داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ومسجد المدينة الذى بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتناول المسجد الذى فيه الروضة المنورة ومسجد قبا الذى اسس على التقوى تخصيص بلا دليل والغدو مصدر يقال غدا يغدو غدوا اذا دخل فى وقت الغدو وهو ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والمصدر لايقع فيه الفعل فلابد من تقدير الزمان معه ليقع الفعل فيه فقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو من قبيل آتيك طلوع الشمس اى وقت طلوعها من حيث انه عبر عن الوقت بالمصدر واما الآصال فانه اسم للوقت لانه جمع اصيل وهو الوقت بعد العصر الى المغرب كشريف واشراف ويجمع الاصيل ايضا على اصل واصائل ﴿ قوله وقرأ ابن عامر وعاصم ﴾ اى برواية ابى بكر فانه يقرأ على رواية حفص عنه يسبح بفتح الباء كباقى السبعة فيكون الفعل مسندا الى احد الظروف الثلاثة اعنى له فيها بالغدو ويكون رجال مرفوعا بفعل مضمر يدل عليه يسبح الظاهر لانه لما قيل يسبح له فيها فكأنه قيل من يسبحه فقيل رجال اى يسبحه رجال كما فى قوله * ليبك يزيد ضارع لخصومة * كأنه قيل من يبكيه فقيل يبكيه ضارع وقرئ تسبح بالتاء وكسر الباء لان رجال يعامل معاملة المؤنث فى بعض الاحكام وهذا منها وقرئ بالتاء وفتح الباء على اسناد الفعل الى الاوقات المذكورة بعده وكون الباء زائدة والاصل تسبح الغدو والآصال بمعنى تسبح الاوقات التى يعبر عنها بالغدو والآصال جعل الاوقات مسبحة على طريق صام نهاره والمراد يسبح رب هذه الاوقات فيها ﴿ قوله وفيه ايماء بانهم تجار ﴾ الا انهم مع ذلك لايشغلهم عن ذكر الله تعالى شئ من ضروب المعاملات وقيل ان الآية نزلت فى الذين لايشتغلون بالتجارة والبيع بل كانوا فرغوا انفسهم لذكر الله تعالى وطاعته كاصحاب الصفة واشار المصنف رحمه الله تعالى عليه الى ضعف هذا القول بقوله وفيه ايماء الى ما ذكره هذا القائل لايتبادر اليه الاذهان قال الحسن رضى الله تعالى عنه اما والله انهم كانوا يتجرون ولكن اذا جاءت فرائض الله لم يلههم عنها شئ فقاموا بالصلاة والزكاة ﴿ قوله واقام الصلاة ﴾ اى باتمامها برعاية جميع ما اعتبره الشرع فيها من الاركان والشرائط والسنن والآداب فمن تساهل فى شئ منها لايكون مقيما لها واصله اقوام قلبت الواو ألفا فاجتمع ألفان فحذفت احداهما لالتقاء الساكنين فبقى اقام ثم ادخلت الهاء عوضا عن الالف المحذوفة فقيل اقامة ثم حذفت تلك الهاء حال الاضافة وجعلت الاضافة قائمة مقام الهاء المحذوفة فى كونها عوضا قيل المراد بذكر الله تعالى الثناء على الله تعالى والدعوات والظاهر ان المراد به جميع ما يتضمن ذكره تعالى وتخصيص اقامة الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر بعد التعميم لتعظيم شأنهما لكونهما أهم اقسام ذكره تعالى وقوله تعالى يخافون يوما يجوز ان يكون نعتا ثانيا لرجال وان يكون حالا من مفعول لاتلهيهم ويوما مفعول به لاظرف على الاظهر وتتقلب صفة ليوما ﴿ قوله وتخصيصه ﴾ يعنى تخصيص الظمآن بالذكر مع ان جميع من ينظر اليه سواء كان ظمآن ام لايظنه ماء جاريا لان من ليس بظمآن اذا جاءه ولم يجده ماء لم يحصل له خيبة عما احتاج اليه بخلاف العطشان فانه يصير خائبا عما اشتد احتياجه اليه فكذلك الكافر فانه ان كان ما اتى به من اعمال البر فى الدنيا كصلة الرحم واقراء الضيف واعتاق الرقاب واراقة الدماء ونحو ذلك مما يعتقدانه ثوابا عليه فهو لايستحق عليه ثوابا وان كان من اعمال الاثم فهو يستحق عليه عقابا مع انه يعتقد انه يستحق عليه ثوابا فحينما كان تعتقدان له ثوابا عند الله تعالى فاذا اتى عرصة القيامة ولم يجد الثواب الذى يحتاج اليه بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه فتشبه حاله حال الظمآن الذى تشتد حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب من بعيد يتعلق قلبه به ويرجو النجاة مما هو فيه ويقوى طمعه فاذا جاءه ولم يجده شيأ مما حسبه وهو الماء فحينئذ يعظم عليه ذلك فيزداد خيبة وحسرة وهذا المثال فى غاية الحسن ﴿ قوله لم يجده شيأ مما ظنه ﴾ اشارة الى جواب ما يقال من ان قوله حتى اذا جاءه يدل على كونه شيأ وقوله لم يجده شيأ ينفى ما اثبته وهو تناقض ﴿ قوله استعراضا ﴾ اى يوفيه الله تعالى حسابه بان يقول له اعرض على ما عملته وما ادخرته ليومك هذا من قولهم استعرضت فلانا اذا قلت له اعرض على ما عندك وقوله او مجازاة على عمله بان يوفيه الله تعالى جزاءه المستحق بعمله فاحسبه خيرا يعود عليه شرا وما طمع فيه ثوابا اعطيه الله عقابا لانه تعالى ابطله بكفره ﴿ قوله رسيس الهوى ﴾ فعيل بمعنى فاعل من رس الحب فى الفؤاد اذا ثبت فالرسيس الشئ الثابت

والضمائر للواقع في البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه (ومن لم يجعل الله له نورا) ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها (فما له من نور) بخلاف الموفق الذي له نور على نور (ألم تر) ألم تعلم علما يشبه المشاهدة في اليقين والوثاقة بالوحي او الاستدلال (أن الله يسبح له من في السموات والارض) ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال او دلالة حال (والطير) على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله (صافات) فان اعطاء الاجرام الثقيلة ما به تقوى على الوقوف في الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره (كل) كل واحد مما ذكر او من الطير (قد علم صلاته وتسبيحه) اي قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله تعالى (والله عليم بما يفعلون) او علم كل على تشبيه حاله في الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لا يبعدان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما ألهمها علوما دقيقة في اسباب تعيشها لا يكاد يهتدي اليها العقلاء (ولله ملك السموات والارض) فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب (والى الله المصير) واليه مرجع الجميع (ألم تر ان الله يزجي سحابا) يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد (ثم يؤلف بينه) بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه وقرأ نافع برواية ورش يولف غير مهموز (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ من خلله (وينزل من السماء) من الغمام وكل ما علاك فهو سماء (من جبال فيها) من قطع عظام تشبه الجبال في عظمها او جمودها (من برد) بيان للجبال والمفعول محذوف اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول

الذي لا ينفك عما فيه وبالجملة ما يصدر من الكافر من العقائد والاقوال والاعمال لكونها خالية عن نور هداية الله تعالى وتوفيقه وعن نور دلائل الحق وبراهينه العقلية والنقلية وعن تقليد اهل الحق كانت تلك العقائد والاعمال والاقوال كلها كالظلمات المتراكمة فان الكافر لا يهتدي بقلبه ولا بسمعه ولا ببصره الى ما هو الحق المقبول عند الله تعالى فلا يدري الحق ولا يدري انه لا يدري ويعتقد انه يدري فيشتد اصراره على ما هو عليه من الكفر وانواع الضلالات والجهالات فيكون كالواقع في قعر البحر ذي اللجة اي التي هي معظم الماء الغمر البعيد القعر الذي يغشاه اي يعلو ذلك البحر اللجي موج من فوق ذلك الموج موج آخر من فوق الموج الاعلى سحاب فمن كان في هذه الظلمات يكون حاله خلاف من احاط به نور توفيق الله تعالى وهدايته ونور الدلائل العقلية والنقلية من الكتاب والسنة والاتباع لسيرة العلماء والصالحين فكانوا في نور على نور ﴿قوله الم تعلم﴾ يعني ان المراد بالرؤية رؤية القلب لان تسبيح المسبحين لا يتعلق به رؤية البصر والكلام وان كان على صورة الاستفهام الا ان المراد التقرير اي قد علمت وتيقنت بالوحي والاستدلال وعبر عن الرؤية بالعلم للدلالة على ان المقصود تقرير العلم النازل منزلة المشاهدة والعيان في الوثاقة والايقان وحمل من في السموات والارض على اهلهما مطلقا من العقلاء وغيرهم باعتبار التغليب ومن المعلوم ان اهلهما مطلقا لا ينطقون بالتسبيح ولا يتكلمون به بل المراد بتسبيحهم الدلالة على كونه تعالى منزها عن النقائص بلسان القال او الحال وقوله او الملائكة عطف على اهل السموات وقوله بما يدل متعلق بينزه ذاته وتخصيص الطير بالذكر على ان تكون كلمة من تم العقلاء وغيرهم لكونه اظهر دلالة على تنزيه الصانع وعلى كمال قدرته ﴿قوله اي قد علم الله﴾ على ان يكون علم مسندا الى ضمير اسم الله تعالى ويكون ضميرا صلاته وتسبيحه راجعين الى الكل ويكون المعنى كل جنس من المذكورين قد علم الله صلاته اي دعاءه وتسبيحه له فيما يحتاج اليه اي يعلم صلاته كيف يصلي وتسبيحه كيف يسبح ويؤيد هذا المعنى اسناد العلم اليه تعالى في قوله والله عليم بما يفعلون اي بما يفعل الحيوان اختيارا والجماد طبعا من الصلاة والتسبيح وغيرهما ﴿قوله او علم كل﴾ على ان يكون الضمائر كلها راجعة الى كل والمعنى كل قد علم صلاة نفسه وتسبيحها على معنى انهم يعلمون ما يجب عليهم من الصلاة والتسبيح على ان يكون قوله علم استعارة تبعية بان شبه دلالة كل واحد من المذكورين على الحق بلسان الحال او المقال وميل كل واحد منهم الى النفع اختيارا او طبعا بحال من يعلم التسبيح والصلاة فيطلق على كل واحد من تلك الدلالة والميل اسم العلم على سبيل الاستعارة واشتق منه لفظ علم وههنا احتمال ثالث لم يذكره المصنف رحمه الله تعالى عليه وهو عكس الاحتمال الاول بان يكون ضمير علم راجعا الى كل وضمير صلاته وتسبيحه راجعين اليه تعالى والمعنى كل من هذه الاجناس قد علم صلاة الله وتسبيحه روى عن ابي ثابت رضي الله تعالى عنه انه قال كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر فقال رضي الله عنه أتدري ماذا تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قلت لا قال فانهن يقدسن ربهن ويسألنه قوت يومهن واستبعد المتكلمون ذلك فقالوا الطير لو كانت عارفة بالله لكانت كالعقلاء الذين يفقهون ويعلمون ويفهمون وشاركتنا لكنها ليست كذلك فانا نعلم بالضرورة انها اشد نقصانا من الصبي الذي لا يعرف هذه الامور فبأن يمتنع ذلك منها اولى واذا ثبت انها لا تعرف الله تعالى استحال كونها مسبحة له بالنطق فثبت انها لا تسبح الله تعالى الا بلسان الحال وقال بعض اهل العلم رحمه الله تعالى عليهم انا نشاهد ان الله سبحانه وتعالى ألهم الطيور وسائر الحشرات اعمالا لطيفة يعجز عنها اكثر العقلاء واذا كان الامر كذلك فلم لا يجوز ان يلهمها معرفته ودعاءه وتسبيحه وان كانت غير عارفة لسائر الامور التي يعرفها الناس فالمصنف رحمه الله تعالى عليه اختار ما ذهب اليه المتكلمون ثم اشار الى قول هذا البعض بقوله مع انه لا يبعد ان يلهم الله تعالى الطير الخ ﴿قوله فانه الخالق لهما الخ مع قوله واليه مرجع الجميع﴾ اشارة الى ان هذه الآية الكريمة مع وجازة نظمها تدل على انه تعالى مبدئ جميع الكائنات ومعيدها وكفى بهذه معرفة وموعظة ﴿قوله بان يكون قزعا﴾ وهو بفتحتين جمع قزعة وهي قطعة من السحاب رقيقة والمقصود الاشارة الى دفع ما يقال من ان لفظ بين لا يقع الا مضافا الى متعدد وههنا قد اضيف الى ضمير سحاب وهو شيء واحد * وحاصل الجواب ان لفظ السحاب اسم جنس يصح اطلاقه على سحابة واحدة وعلى ما فوقها والمراد هنا قطع السحاب بقرينة اضافة بين الى ضميره والركم جعلك شيأ فوق شيء حتى تجعله مركوما مجتمعا ﴿قوله اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد﴾ على ان تكون من الاولى لابتداء الغاية وهي كذلك بالاتفاق وكذلك الثانية بناء على انها مع مجرورها بدل من الاولى

بدل اشتمال باعادة العامل ولا تستقيم البدلية الا بتوافقهما فى المعنى فلو قلت خرجت من مصر من محلة كذا لاتكون الاولى والثانية الا لابتدآء الغاية وبين الجبال بقوله من برد اى ينزل جبال فى السماء هى برد وقدرت ينزل لان البدل فى حكم تكرار العامل فعلى هذا الوجه وجب ان يكون مفعول ينزل محذوفا وهو برد لان المنزل من الجبال وهى البرد برد وان جعلت الثانية للتبعيض والثالثة للبيان يكون من جبال مفعول ينزل والمعنى وينزل من السماء بعض الجبال التى هى البرد فالمنزل برد لان بعض البرد برد وان جعلت الاوليان للابتدآء والثالثة للتبعيض يكون المفعول من برد والتقدير وينزل بعض برد من السماء من جبال فيها اى قطع عظام كائنة فى السحاب تشبه الجبال فى عظمها وفى جمودها وصلابتها فان الجسم الشديد المتحجر يقال له جبل لتحجره وجموده ﴿ قوله وقد يبرد الهوآء ﴾ يعنى ان ماذكر من السحاب والمطر والثلج والبرد يتكون فى الاغلب من تكاثف البخار وقد يتكون من تكاثف الهوآء اما الاول فان البخار الصاعد ان كان قليلا وكان فى الهوآء من الحرارة ما يحلل ذلك البخار حينئذ يتحلل وينقلب هوآء وان كان البخار كثيرا ولم يكن فى الهوآء من الحرارة ما يحلله فتلك الابخرة المتصاعدة اما ان تبلغ فى صعودها الى الطبقة الباردة من الهوآء او لاتبلغ فان بلغت فاما ان يكون البرد قويا اولا فان لم يكن البرد هناك قويا تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع فالبخار المجتمع هو السحاب والمتقاطر هو المطر واما ان كان البرد هناك شديدا فلا يخلو اما ان يصل البرد الى الاجزآء البخارية قبل اجتماعها وانعقادها سحابا او بعد صيرورتها كذلك فان كان على الوجه الاول نزل ثلجا وان كان على الوجه الثانى نزل بردا وقد ينعقد السحاب بانقباض الهوآء وذلك عند مايبرد الهوآء بردا مفرطا ﴿ قوله والضمير ﴾ اى ضمير به للبرد اى يصيب الله بذلك البرد من يشاء من الناس فيضره فى زرعه وثمرته وماشيته ويصرفه عمن يشاء من الناس فلا يضره فى شئ منها ﴿ قوله ضوء برقه ﴾ يعنى ان السنا مقصورا بمعنى الضوء يقال سنا يسنو سنا اى اضاء يضئ والمعنى يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدة ضوئه والبرق الذى يكون صفته ذلك لابد ان يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الهوآء والبرد فظهوره فى خلال السحاب يقتضى ظهور الضد من الضد وذلك لايمكن الا بقدرة قادر حكيم ﴿ قوله فيما تقدم ذكره ﴾ اى من عجائب صنعه من قوله يزجى سحابا الى قوله تعالى يقلب الله الليل والنهار ثم اعلم انه تعالى استدل على وحدانيته اولا بقوله تعالى ألم تر ان الله يسبح له من وثانيا بقوله الم تر ان الله يزجى سحابا فالاول استدلال باحوال اهل السماء والارض والثانى استدلال بالآثار العلوية ثم استدل ثالثا باحوال الحيوانات فقال والله خلق كل دابة من ماء واختار المصنف ان تكون كلمة من متعلقة بخلق وانها لابتدآء الغاية والمعنى خلق من ماء كل دابة فورد عليه ان كثيرا من الحيوانات لم يخلق من الماء سوآء فسر الماء بالجنس الذى هو احد العناصر الاربعة او بماء الذكر والانثى وهو النطفة كالملائكة فانهم خلقوا من نور والجن فانهم خلقوا من نار وكآدم فانه خلق من تراب وكعيسى فانه خلق من روح قال تعالى خلقه من تراب وقال فنفخنا فيها من روحنا واشار المصنف بقوله حيوان يدب على الارض الى ان الدابة ليست عبارة عن مطلق مايمشى ويتحرك بل هى اسم للحيوان الذى يدب على الارض ومسكنه هنالك فخرج منها الملائكة والجن واشار الى دفع الانتقاض بآدم وعيسى بان المراد بالماء ماهو احد العناصر وبكونه مبدأ الخلقة كونه جزأ من مادة كل دابة فان اعضاء الحيوان لاتخلو عن رطوبة ما فالظاهر على هذا ان تنوين دابة للافراد وان يكون كل بمعنى الجميع وان يكون تنوين ماء للوحدة الجنسية او النوعية والمعنى خلق جميع افراد الدابة مع اختلاف اشكالها وطبائعها من شئ واحد وهو عنصر الماء او النطفة فلابد ان يكون اختصاص كل واحد منها بما يخصها مستندا الى صانع قادر على كل شئ ثم اشار بقوله وقيل من ماء متعلق بدابة اى متعلق بمحذوف على انه صفة لدابة الى جواب آخر لانه اذا كان المعنى ان كل دابة كائنة من ماء مخلوقة لله تعالى لايرد النقض بشئ مما ذكر ﴿ قوله وانما سمى الزحف مشيا ﴾ يعنى ان المشى هو قطع المسافة والمرور عليها مع قيد كون ذلك المرور على الارجل واطلق فى الآية على المرور مطلقا على سبيل الاستعارة حيث كان الاطلاق المذكور مبنيا على التشبيه ومثل هذا المجاز وهو ان تكون الكلمة موضوعة لحقيقة مع قيد فتستعمل تلك الحقيقة من غير اعتبار ذلك القيد يسميه صاحب المفتاح مجازا مرسلا ويشترط فى الاستعارة ان تكون مفيدة متضمنة للمبالغة فى التشبيه بان ينسى التشبيه ويدعى ان المشبه من عداد المشبه به كاستعمال لفظ الاسد فى الرجل الشجاع مثلا ولا فائدة فى مثل هذا المجاز لكون كل واحد من اللفظين بمنزلة المرادف للآخر عند المصير

وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهوآء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزآء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهوآء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك لابد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله (فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء) والضمير للبرد (يكاد سنا برقه) ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال فى السين وبرقه بضم الرآء وهو جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع (يذهب بالابصار) بأبصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة البآء (يقلب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك (ان فى ذلك) فيما تقدم ذكره (لعبرة لاولى الابصار) لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة ومايفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة (والله خلق كل دابة) حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة (من ماء) هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوانات مايتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحية وانما سمى الزحف مشيا

على الاستعارة او المشاكلة (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانس والطير (ومنهم من يمشي على اربع) كالنعم والوحش ويندرج فيه ماله اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ماهو اعرف في القدرة (يخلق الله مايشاء) مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور في الاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته (ان الله على كل شئ قدير) فيفعل مايشاء (لقد انزلنا آيات مبينات) للحقائق بانواع الدلائل (والله يهدي من يشاء) بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها (الى صراط مستقيم) هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة (ويقولون آمنا بالله وبالرسول) نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي عليه الصلاة والسلام وقيل في مغيرة بن وآئل خاصم عليا رضي الله عنه في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول صلى الله عليه وسلم (واطعنا) اي واطعنا لهما (ثم يتولى) بالامتناع عن قبول حكمه (فريق منهم من بعد ذلك) بعد قولهم هذا (وما اولئك بالمؤمنين) اشارة الى القائلين بأسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق المتولي منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان والثابتون عليه (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) اي ليحكم النبي صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا او المدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله (اذا فريق منهم معرضون) فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لاتحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه (وان يكن لهم الحق) اي الحكم لا عليهم (يأتوا اليه مذعنين) منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص (أفي قلوبهم مرض) كفر او ميل الى الظلم (ام ارتابوا) بان رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك (ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) في الحكومة

الى المراد من اللفظ فان المشي والزحف على البطن كالمترادفين وكذا نحو المرسن والانف فان المرسن موضوع لمعنى الانف مع قيد ان يكون عليه الرسن الا ان المصنف وصاحب الكشاف جعلاه من قبيل الاستعارة لابتنائه على التشبيه ﴿ قوله الاستعارة او المشاكلة ﴾ والنسخة المشهورة على الاستعارة للمشاكلة بجعل قصد المشاكلة علة لايثار قصد طريق الاستعارة وجعلها علة مستقلة لها صحيح ايضا كما وقع في الكشاف ﴿ قوله وتذكير الضمير ﴾ مع ان ظاهر النظم يقتضي تأنيثه لكونه راجعا الى قوله دابة من حيث ان اسم الدابة يقع على العقلاء وغيرهم فغلب العقلاء على غيرهم ولما عبر عن جملة الدواب بلفظ العقلاء وهو ضمير منهم ناسب ان يعبر عن الاصناف المندرجة تحتها ايضا بذلك ليوافق التفصيل الجملة فلذلك عبر عن تلك الاصناف بكلمة من التي حقها ان تطلق على العقلاء ﴿ قوله والترتيب ﴾ اي حيث قدم الزاحف على الماشي على رجلين وهو على الماشي على اربع والاستدلال بها وباختلاف صورها وطبائعها وقواها على وجود الصانع وصفات كماله من حيث ان الآية الكريمة مسوقة لبيان قدرة الله تعالى ومشي من يمشي بغير آلة المشي اثبت لها ثم مشي من يمشي على رجلين اثبت لها بالنسبة الى مشي من يمشي على اربع اذ اختصاص كل واحد من هذه الحيوانات بأشكالها واعضائها وطبائعها ومقادير ابدانها واعمارها لابد وان يكون بتدبير مدبر قاهر قادر على كل مايشاء ﴿ قوله نزلت في بشر المنافق ﴾ عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف وهو منافق يقول ان محمدا يحيف علينا ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي ولم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصمني اليك فقال للمنافق أكذلك فقال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل واخذ سيفه فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل عليه الصلاة والسلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقد مضت قصتهما في سورة النساء وقال الضحاك نزلت في المغيرة بن وآئل كان بينه وبين علي بن ابي طالب ارض فتقاسماها فوقع الى علي ما لا يصيبه الماء الا بمشقة فقال المغيرة بعني ارضك فباعها فتقابضا فقيل للمغيرة اخذت ارضا لاينالها الماء فقال لعلي اقبض ارضك فانما اشتريتها ان رضيتها فلا ينالها الماء فقال علي بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وقد عرفت حالها لا اقبلها منك ودعاه الى ان يخاصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي فنزلت والحيف الجور والظلم ووجه ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى ذكر دلائل الوحدانية والالوهية اولا وجعل ذكرها توطئة لذم قوم اعترفوا بالدين بألسنتهم ولكنهم لم يقبلوه بقلوبهم كما روي عن الحسن البصري انه قال نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر ﴿ قوله ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه ﴾ اي يتولى بذلك عن قوله واطعنا ﴿ قوله وسلب الايمان منهم لتوليهم ﴾ الذي هو من امارات التكذيب فعلى هذا يكون المراد بالقائلين جميع من ادعى الايمان مخلصا كان او منافقا والايمان انما سلب عمن تولى منهم ﴿ قوله او الثابتون عليه ﴾ مبني على ان تكون الاشارة الى الفريق المتولي منهم على طريق اللف والنشر المرتب والحاصل ان الضمير في قوله تعالى ويقولون يجوز ان يكون لقوم منافقين ويكون المراد بالتولي التولي عن الطاعة بعد التزامها بقولهم واطعنا وكلمة ثم يجوز ان تكون للتراخي الزماني وان تكون لاستبعاد التولي عن قولهم آمنا واطعنا فعلى هذا يكون قوله وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين جميعا ويجوز ان يكون الضمير المذكور لقوم مؤمنين ومعنى يتولى ان بعضهم لا يثبتون على الايمان وبعضهم يثبتون عليه فتكون الاشارة الى الفريق المتولي ﴿ قوله اي ليحكم النبي عليه الصلاة والسلام فانه الحاكم ظاهرا ﴾ جواب عما يقال كيف افرد ضمير ليحكم بعد قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله اي الى كتاب الله تعالى وحكم رسوله لانه من المعلوم البين انهم لا يدعون الى نفس ذاته تعالى وكان الظاهر ان يقال ليحكما بينهم * وتقرير الجواب ان الداعي يعلم ان الحاكم حقيقة هو الله تعالى وكتابه لكن ذلك الحكم انما يظهر ويتبين بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم فكان الحاكم المدعو اليه بحسب الظاهر هو الرسول وكان ذكر الله لتعظيمه عليه الصلاة والسلام بالاشعار بمكانته عند الله فان حكمه في الحقيقة حكم الله تعالى ﴿ قوله تعالى أفي قلوبهم مرض ﴾ استفهام تقرير للذم والتوبيخ كما في قوله

ألست من القوم الذين تعاهدوا ۞ على اللؤم والفحشاء في سالف الدهر

(ويقع)

ويقع في مقام المدح والثناء ايضا كما في قوله

ألستم خير من ركب المطايا ۞ وأندى العالمين بطون راح

وكلمة ام في قوله تعالى ام ارتابوا ام يخافون منقطعة مقدرة ببل والهمزة اى بل ارتابوا بل يخافون بين الله تعالى سبب اعراضهم وامتناعهم عن المحاكمة الى الرسول على سبيل الاستفهام التقريري فقال ان ذلك لكفرهم او لميلهم الى ظلم من له الحق عليهم ثم اضرب من ذلك قائلا ان السبب فيه أمر اظلاعهم على ماريبهم في عدله وامانته ثم اضرب عنه الى انه هل هو مجرد خوفهم من ظلمه عليهم من غيران يطلعوا على ماريبهم ثم اضرب عن الاحتمالين الاخيرين بابطالهما ليتعين الاحتمال الاول السببية ويحتمل ان تكون كلمة ام متصلة مؤدية لمساواة الاحتمالات المذكورة في كونها سببا للاعراض عن المحاكمة اليه عليه الصلاة والسلام ويكون الاضراب الاخير ابطالا للاحتمالين الاخيرين ﴿قوله وظلمهم بخلل عقيدتهم﴾ لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والمشرك ظالم لنفسه مبين ثم انه تعالى لما بين احوال المنافقين وعدم موافقة افعالهم لاقوالهم بين ان الواجب على الذين يقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا حين دعوا الى كتاب الله تعالى وحكم رسوله ان يقولوا سمعنا واطعنا اى سمعنا الدعاء واطعنا بالاجابة والقبول والجمهور على نصب قول المؤمنين على انه خبر كان والاسم ان المصدرية مع ما في حيزها وقرئ قول بالرفع على انه اسم كان وخبره ان يقولوا والنصب اقوى لانه متى اجتمع معرفتان فالاولى ان يجعل الاعرف منهما الاسم والآخر خبره وقوله ان يقولوا سمعنا اعرف من قول المؤمنين وذلك لان الفعل المصدر بأن المصدرية في تأويل المصدر المضاف الى الفاعل فاذا كان فاعله معرفة كما في هذا المقام كان في معنى المصدر المضاف الى المعرفة فيكون معرفة ولايمكن تنكيره لان عزل الفعل عن فاعله غير متصور بخلاف قول المؤمنين لانه اذا لم يضف وقيل قول المؤمنين عاد نكرة ولان ان يصلتها تشبه المضمر من حيث انه لايجوز وصفها كما لايجوز وصف المضمر والمضمر من قول المؤمنين الا ان سيبويه لم يفرق في هذه التفرقة بل جوز ان يكون كل واحد من المعرفتين اسما والاخر خبرا وان كان الثاني اوغل في التعريف من الاول ﴿قوله واسناده الى ضمير مصدره﴾ اى ليحكم الحكم بينهم لان ليحكم دال على مصدره فيكون مذكورا معنى فيصح عود الضمير اليه ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا اى لقد وقع التقطع بينكم ﴿قوله وقالون عن نافع بلا ياء﴾ يعني انه قرئ يتقه بكسر القاف والهاء من غير ياء الوصل بعد الهاء وقرأ العامة بياء ملفوظة بعد الهاء وهو الاصل فيما اذا تحرك الحرف قبل الهاء ومارويّ عن نافع مبني على ان الياء المحذوفة قبل الهاء مقدرة منوية فلم تعتبر الحركة التي قبل الهاء فحركت الهاء من غير صلة قال مكي يجب على من اسكن القاف ان يضم الهاء لان هاء الكناية اذا سكن ماقبلها ولم يكن الساكن ياء تضم نحو منه وعنه ولكن لما كان سكون القاف عارضا لم يعتد به وأبقى الهاء على كسرتها التي كانت عليها قبل سكون القاف ﴿قوله ابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء﴾ اى مع كسر القاف وقرأ حفص يتقه ساكنة القاف فان العين تسكن اذا كانت من كلمة واحدة نحو كبد وكتف في كبد وكتف ثم اجري ما اشبه ذلك من المنفصل مجرى المتصل بناء على ان تقه من قولنا يتقه بمنزلة كبد وكتف فسكن وسطه كما سكن وسطهما ومنه قوله ۞ قالت سليمى اشترلنا سويقا ۞ بسكون الراء ﴿قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه﴾ عن مقاتل وغيره قالوا لما بين الله اعراض المنافقين وامتناعهم عن قبول حكمه عليه الصلاة والسلام اتوه فقالوا والله لو امرتنا ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا وان امرتنا بالجهاد لجاهدنا فأنزل الله تعالى قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لجهد ايمانهم منصوب على انه مصدر فعله المحذوف والاصل واقسموا بالله يجهدون ايمانهم جهدا اى يبالغون في اليمين ويبلغون غاية شدتها ووكادتها من قولهم جهد فلان نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها وفي المغرب جهده اى حمله فوق طاقته من باب منع ولما لم يكن لليمين وسع وطاقة حتى يبلغ المنافقون اقصى وسع اليمين ويبلغون غاية شدتها ووكادتها وطاقتها كان قوله يجهدون اليمين استعارة شبه مبالغتهم في اليمين بجهد النفس وتكليفها المشقة وذكر جهد اليمين واريد المبالغة فيها ثم قيل يجهدون ايمانهم جهدا ثم حذف الفعل وقدم المصدر على المفعول واضيف اليه فوضع المصدر المضاف موضع فعله فصار جهد ايمانهم ولما كان الفعل المحذوف مع ما في حيزه في موضع النصب على انه حال من فاعل اقسموا كان المصدر الواقع موقعه في حكم الحال كانه قيل واقسموا بالله مبالغين في تأكيد حلفهم جاهدين ايمانهم ﴿قوله جواب لاقسموا

(بل اولئك هم الظالمون) اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك من غيرهم سيما المدعو الى حكمه (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون) على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم (ومن يطع الله ورسوله) فيما يأمرانه او في الفرائض والسنن (ويخش الله) على ماصدر عنه من الذنوب (ويتقه) فيما بقي من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف الهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق (فاولئك هم الفائزون) بالنعيم المقيم (واقسموا بالله جهد أيمانهم) انكار للامتناع عن حكمه (لئن امرتهم) بالخروج عن ديارهم واموالهم (ليخرجن) جواب لاقسموا على الحكاية (قل لاتقسموا) على الكذب (طاعة معروفة) اى المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة او طاعة معروفة أمثل منها او ليكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة (ان الله خبير بما تعملون) فلا يخفى عليه سرائركم

(قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة فى تبكيتهم (فان تولوا فانما عليه) اى على محمد صلى الله عليه وسلم (ما حمل) من التبليغ (وعليكم ما حملتم) من الامتثال (وان تطيعوه) فى حكمه (تهتدوا) الى الحق (وما على الرسول الا البلاغ المبين) التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادّى وانما بقى ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب للرسول والامة اوله ولمن معه ومن للبيان (ليستخلفنهم فى الارض) ليجعلنهم خلفاء متصرفين فى الارض تصرف الملوك فى مماليكم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد فى تحققه منزل منزلة القسم (كما استخلف الذين من قبلهم) يعنى بنى اسرآئيل استخلفهم فى مصر والشام بعد الجبابرة وقرأ ابو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدأوا كسروا الالف (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت (وليبدلنهم من بعد خوفهم) من الاعدآء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف (أمنا) منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون فيه حتى أنجز الله وعده فأظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة بالاخبار عن الغيب على ما هو به وخلافة الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه فى الآخرة (يعبدوننى) حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضى للاستخلاف والامن (لا يشركون بى شيأ) حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين (ومن كفر) ومن ارتد او كفر هذه النعمة (بعد ذلك) بعد الوعد او حصول الخلافة (فأولئك هم الفاسقون) الكاملون فى فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول) فى سائر ما امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به

لان الموطئة فى قولهم لئن امرتهم جعلت ما يأتى بعد الشرط المذكور جوابا للقسم لا جزآء للشرط وكان جزآء الشرط مضمرا مدلولا عليه بجواب القسم فان جواب القسم وجواب الشرط لما كانا متماثلين اقتصر على جواب القسم واضمر جواب الشرط الا انه جواب على حكاية قول المنافقين حين اقسموا للرسول فانه تعالى لما حكى عنهم قسمهم بقوله واقسموا ذكر القسم عليه ايضا على سبيل الحكاية فقال ليخرجنّ بطريق الغيبة فان نفس كلامهم معه عليه الصلاة والسلام هكذا والله انا نقبل جميع احكامك ونتبعك فى جميع ما تأمرنا لئن امرتنا بالخروج لنخرجنّ معك فغير الكلام الى الغيبة عند الحكاية ﴿قوله امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية﴾ عنه تعالى لانه لو كان قوله اطيعوا الله الى آخر الآية من كلام الرسول خاطب به قومه لكان الظاهر ان يقول واطيعوا الله واطيعونى فان توليتم فانما على ما حملت من تبليغ الرسالة وان تطيعونى تهتدوا وما على الا البلاغ المبين فلما ذكر النبى عليه الصلاة والسلام فى جميع ذلك بلفظ الغيبة ظهر انه كلام الله تعالى وحكاية رسوله اياه وانه تعالى امر رسوله بان يبلغ هذا الخطاب اليهم غاية ما فى الباب انه تعالى لم يقل اطيعونى بل عبر عن ذاته المقدسة بلفظ الغيبة ايماء الى علة وجوب طاعته عليهم ﴿قوله مبالغة فى تبكيتهم﴾ علة لقوله خاطبهم الله به ووجه المبالغة فى التبكيت على تقدير ان يكون الله تعالى هو الذى خاطبهم بذلك ان توجه خطاب الله اليهم وروده عليهم ألزم للحكم واظهر للخصم بالنسبة الى ان يخاطبهم الرسول بذلك ويوجب عليهم طاعة الله تعالى وطاعة نفسه فان فى مخاطبته تعالى اياهم من دهشة المخاطب وعجزه عن التزام الجواب ما ليس فى خطابه عليه السلام بذلك ﴿قوله خطاب للرسول والامة﴾ سوآء كانت الامة امة دعوة او اجابة فتكون كلمة من فى قوله منكم للتبعيض فان الذين تحقق منهم الايمان وقت نزول الآية بعض من الامة مطلقا واما اذا كان خطاب منكم له عليه الصلاة والسلام ولمن معه من المؤمنين فحينئذ يكون من للبيان لا للتبعيض لان الموعودلهم هم المخاطبون لا بعض منهم ﴿قوله بالتقوية والتثبيت﴾ متعلق بقوله وليمكنن يعنى ان المراد بتمكين الدين تقويته واظهاره على الاديان كلها لانه تعالى اذا اعز الاسلام ونصر المسلمين على اعدآء الدين واورثهم ارض الكفرة وديارهم وجعلهم خلفاء اهلها بالتسلط والاستيلاء لا جرم تصير المسلمون متمكنين فى الارض مستولين عليها فيعلو الاسلام على سائر الاديان ويتقوى وقرأ العامة كما استخلف على بناء الفاعل وقرأ ابو بكر وليبدلنهم بفتح الباء وتشديد الدال وقرأ ابن كثير وابو بكر بسكون الباء وتخفيف الدال من ابدله صلاحا بعد فى بمعنى رزقه صلاحا بدل الغى ويقال ابدله الله من الخوف امنا قال ابو العالية فى هذه الآية مكث النبى صلى الله عليه وسلم بعد الوحى بمكة عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احدمنهم سلاحه فقال رجل منهم اما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿قوله بالاخبار عن الغيب على ما هو به﴾ فان الاستخلاف الموعود لاشك انه غيب وقد وجد هذا الموعود على الوجه الموافق للخبر مثل هذا الخبر معجز والمعجز دليل صدق مدعى النبوة ثم انه تعالى وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين وقت نزول الآية بدليل صيغة الماضى فى قوله آمنوا وعملوا وخطاب المشافهة فى قوله منكم ان يستخلفهم استخلافا كاستخلاف بنى اسرآئيل فى مصر والشام بعد الجبابرة وهذا الموعود والموعود عليه الذى هو الايمان والعمل الصالح لم يجتمع لغير الخلفاء الراشدين بالاجماع فهم المستخلفون فى الارض باستخلاف الله اياهم واختياره لهم على غيرهم * فان قلت كيف صح ان يقال المستخلفون هم الخلفاء فقط وسائر المؤمنين كانوا شركاءهم فى ذلك * قلت كانوا هم الاصول والملوك وكان سائر الناس اتباعالهم فى ذلك فكانوا هم المستخلفين لا غير وقد حصل فى ايامهم الفتوحات العظيمة وحصل التمكين وظهر الدين والامن فدلت هذه الآية على صحة خلافتهم قال عليه السلام * الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا * اذ كانت خلافة ابى بكر سنتين وخلافة عمر عشرا وخلافة عثمان التقى عشرة وخلافة على ست سنين ﴿قوله وقيل الخوف من العذاب﴾ عطف على قوله من بعد خوفهم من الاعدآء أمنا منهم ﴿قوله او كفر هذه النعمة﴾ قال المفسرون اول من كفر بهذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله تعالى ما بهم من الامن وأدخل عليهم الخوف الذى رفعه عنهم حتى صاروا يقتتلون بعد ان كانوا اخوانا متحابين ﴿قوله ولا يبعد عطف ذلك﴾ يعنى ان بعد ما بين المتعاطفين بتخلل الفاصل المستطيل بينهما لا يمنع العطف لانه يبتنى على تحقيق المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفاصل يؤكد المغايرة لان

(المجاورة)

المجاورة مظنة الاتصال والاتحاد بخلاف المضاف والمضاف اليه فان شدة اتصالهما مانعة من توسط الفاصل بينهما مع ان الفصل ههنا فائدة جليلة وهى الاشعار بان الجملة المتخللة وهى قوله تعالى وعداللّه الذين آمنوا منكم الآية مما هو مهم بشأنه وانها متصلة بما يتعلق بالمعطوف عليه وهو قوله تعالى فان تولوا كأنه قيل فان توليتم من الطاعة فاضرر تموهم وانما ضررتم انفسكم لانه عليه الصلاة والسلام قد خرج من عهدة ما كلف به واماانتم فعليكم ما كلفتم به من الطاعة والانقياد على تقدير توليكم فيؤاخذكم اللّه تعالى بذلك فى الدنيا والآخرة اما فى الدنيا فبأن يستخلف اهل الايمان والطاعة ويسلطهم على اهل الكفر والعصيان ويعذبهم بايدى المؤمنين بل يستأصلهم بالمرة فكان الفاصل من تتمة المعطوف عليه وقوله ولايبعد يشعر بانه يجوز ان لايكون معطوفا على قوله اطيعوا اللّه ولعل وجهه ان قوله واقيموا الصلاة من باب الالتفات من الغيبة الى الخطاب كأنه قيل يعبدوننى ولا يشركون بى شيأ ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الرسول والذى يحسن هذا الالتفات الخطاب الذى فى قوله قبل ذلك منكم وعطف اقام الصلاة وايتاء الزكاة على قوله يعبدوننى ايذانا بشرفهما ومزيد قدرهما عنداللّه تعالى لانه من باب عطف جبرائيل على الملائكة ﴿ قوله وتعليق الرحمة بها ﴾ على تقدير ان يكون المعنى اطيعوا اللّه واطيعوا الرسول على رجاء الرحمة ﴿ قوله او بالمندرجة هى فيه ﴾ لتعليق الرحمة بمجموع الامور التى اندرجت فيها طاعة الرسول على ان يكون المعنى افعلوا هذه الامور على رجاء الرحمة كما علق الهدى بالطاعة فى قوله وان تطيعوه تهتدوا ﴿ قوله لاتحسبن يا محمد ﴾ قرأ العامة تحسبن بتاء الخطاب ومثل هذا الحسبان وان كان لايتصور منه عليه الصلاة والسلام الا انه نهى عنه مبالغة فى تسليته ولان خطابه فى حكم خطاب امته لكونه رئيسهم وامامهم ومفعولا فعل الحسبان هما الاسم الموصول مع قوله معجزين وفاعله ضمير النبى عليه الصلاة والسلام ويحتمل ان يكون لاتحسبن خطابا عاما لكل من يصح ان يكون مخاطبا وهذه الآية نزلت تسلية للنبى صلى اللّه عليه وسلم عن تكذيب قومه وايذائهم والمعنى لاتحسبنهم يسبقوننا اى يفوتون عذابنا فانه لاحق بهم لامحالة اما عاجلا واما آجلا وذكر على القرآءة بياء الغيبة ثلاثة اوجه الاوّل ان يكون فاعل الحسبان ضمير النبى صلى اللّه عليه وسلم والذين كفروا معجزين مفعوليه والمعنى لايحسبنهم النبى معجزين والثانى ان يكون الفاعل الذين كفروا وفى المفعول حينئذ احتمالان الاوّل ان يكون معجزين فى الارض مفعوليه والمعنى لايحسبن الذين كفروا احدا يعجز اللّه ثابتا فى الارض حتى يطمعوا بذلك فى ان يعجزوا اللّه ويفوتوا عذابه وحسابه على ان معجزين اوّل المفعولين وفى الارض ثانيهما وحق المفعول الاوّل فى باب حسبت ان يكون معرفة وجاز ههنا وقوعه نكرة لكون معجزين صفة موصوف اى احدا يعجز اللّه ولما كان احدا واقعا فى سياق النفى افاد العموم فجاز وصفه بالجمع بذلك الاعتبار والاحتمال الثانى على تقدير ان يكون الذين كفروا هو الفاعل وان يكون معجزين مفعولا ثانيا ويكون مفعوله الاوّل محذوفا والاصل لايحسبن الذين كفروا معجزين اى لايحسبن الكفرة انفسهم معجزين والاقتصار على احد مفعولى باب حسبت وان كان ضعيفا عندالبصريين الا انه سوّغه فى الآية كون الفاعل والمفعولين عبارة عن شئ واحد فاكتفى بذكر اثنين منها عن ذكر الثالث ﴿ قوله عطف عليه ﴾ اى على قوله لايحسبن الذين كفروا وهى جملة انشائية فعلية وهذه الجملة خبرية اسمية فلاوجه لعطف احداهما على الاخرى الا ان الجملة الفعلية الانشائية لما كانت فى حكم الاسمية الخبرية جاز ان تعطف عليها الاسمية وذلك لان دخول فعل الحسبان وعدم دخوله على الجملة الاسمية لايغير المعنى الاصلى فكان قوله لايحسبن الذين كفروا معجزين فى قوة ان يقال الذين كفروا ليسوا معجزين لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز ﴿ قوله والمراد به ﴾ اى بقوله يا ايها الذين آمنوا خطاب الرجال المؤمنين والنساء المؤمنات جميعا وان كان الظاهر كونه خطابا للرجال فقط ووجه الاستدلال بما روى على دخول الفريقين فى الخطاب بطريق التغليب ان الآية لما نزلت بسبب كراهة الانثى دخول الغلام عليها بغير استئذان دل ذلك على عموم الخطاب للفريقين جميعا واعلم ان ظاهر الآية امر المماليك والاطفال بالاستئذان والمقصود امر المؤمنين بان يمنعوا هؤلاء من الدخول عليهم فى هذه الاوقات الا لوكان المقصود المماليك والاطفال بالذات لما كان لتخصيص النداء والخطاب بالمؤمنين وجه واما الوجه فى عدم نداء المماليك والاحرار الصغار وخطابهم بالامر بان يستأذنوا من الموالى والاولياء الاشارة الى انهم لقلة معرفتهم وغلبة الجهل عليهم نازلون عن حيز صلاحية الخطاب وان

فيكون تكريرا للامر بطاعة الرسول صلى اللّه عليه وسلم للتأكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة هى فيه بقوله (لعلكم ترحمون) كما علق به الهدى (لاتحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض) لاتحسبن يا محمد الكفار معجزين اللّه من ادراكهم واهلاكهم وفى الارض صلة معجزين او لايحسبن الكفار فى الارض احدا يعجز اللّه فيكون معجزين فى الارض مفعوليه او لايحسبوهم معجزين فحذف المفعول الاوّل لان الفاعل والمفعولين لشئ واحد فاكتفى بذكر اثنين عن الثالث وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاوّل فى الاحتمالات (ومأواهم النار) عطف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأواهم النار لان المقصود من النهى عن الحسبان تحقيق نفى الاعجاز (ولبئس المصير) المأوى الذى يصيرون اليه (يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم) رجوع الى تتمة الاحكام السالفة بعد الفراغ من الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء غلب فيه الرجال

السادات والاولياء هم الخاطبون بتعليم من هو في عيالهم وتحت ايديهم والقيام بما يحتاجون اليه في امر دينهم ودنياهم والتأديب على ذلك ان ثبت تقوسهم من الامتثال ﴿قوله بنت ابي مرثد﴾ روي بالشين المعجمة في نسخ وروي بالثاء المثلثة قيل هذه الآية احدى الآيات المنزلة بسبب عمر رضي الله عنه الذي روي عنه انه قال وافقني ربي في ثلاث في الاستئذان وفي الحجاب حيث قال الله تعالى فاسألوهن من وراء حجاب وفي الاتخاذ من مقام ابراهيم مصلى وهذه الآية دلت على ان من لم يبلغ الحلم يؤمر بفعل الشرائع وينهى عن ارتكاب القبائح فانه تعالى امرهم بالاستئذان في هذه الاوقات وقال عليه الصلاة والسلام مروهم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم على تركها وهم ابناء عشر وقال ابن مسعود اذا بلغ الصبي عشر سنين كتبت له حسناته ولا تكتب عليه سيئاته حتى يحتلم واعلم انه انما يؤمر بذلك تمرينا له ليعتاد ويسهل عليه بعد البلوغ ﴿قوله تعالى ثلاث مرات﴾ على انه ظرف زمان اي ليستأذنكم ثلاثة اوقات ثم فسر تلك الاوقات بقوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء وقيل انه منصوب على المصدرية اي ثلاث استئذانات لانك اذا قلت ضربت ثلاث مرات لا يفهم منه الا ثلاث ضربات ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام الاستئذان ثلاث وهذا وجه ظاهر لولا القرينة الصارفة عن هذا المعنى وهي التفسير بالاوقات الثلاثة المذكورة والقيلولة النوم في الظهيرة والالتحاف التفعل يقال التحفت بالثوب اي تغطيت به ﴿قوله اي هي ثلاثة اوقات يختل فيها تستركم﴾ يعني ان ثلاث عورات مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف قال اولا ليستأذنكم المماليك والاطفال ثلاث مرات ثم فصل الثلاث بقوله من قبل صلاة الفجر الآية ثم اجمل بعد التفصيل فقال هذه ثلاث عورات لكم تنبيها على علة وجوب الاستئذان عليهم في هذه الاوقات والعورة الخلل الذي يرى فيه ما يراد ستره وسميت الاوقات المذكورة عورات مع انها ليست نفس العورات بل هي اوقات العورات على طريق تسمية الشيء باسم ما يقع فيه مبالغة في كونه محلا لها والمصنف اشار الى هذا المعنى بقوله هي ثلاثة اوقات يختل فيها تستركم حيث لم يجعل الاوقات المذكورة نفس الاختلال بل اوقاتا له ﴿قوله وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان﴾ يعني انه قد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها يدل على ان الاستئذان واجب في كل حال فصار ذلك منسوخا بهذه الآية في غير هذه الاحوال الثلاث فقال المصنف لا منافاة بين ان يستأذن الاحرار البالغون في جميع الاحوال وبين ان لا يستأذن الاطفال ومماليك المدخول عليهم الا في هذه الاحوال الثلاث حتى يصار الى النسخ ﴿قوله وفيه دليل﴾ اي في قوله طوافون عليكم وكذا في الفرق بين هذه الاوقات الثلاثة وبين ما عداها بانها اوقات عورات دون ما عداها دليل على ان الواجب اعتبار العلل في الاحكام الشرعية اذا امكن وان كل حكم شرعي له علة تلك العلة هي الحكمة في مشروعية ذلك الحكم وارتفاع بعضكم اما على الابتداء او على انه فاعل فعل محذوف لدلالة طوافون عليه اي المماليك والاطفال يطوفون عليكم للخدمة وانتم تطوفون عليهم للاستخدام فلو كلفتم الاستئذان في كل طوفة اي في هذه الاوقات الثلاثة وغيرها لضاق الامر عليكم فلذلك رخص لكم في ترك الاستئذان فيما وراء هذه الاوقات الثلاثة ﴿قوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم﴾ اي من الاحرار فليستأذنوا في الدخول استئذانا مثل استئذان الذين بلغوا من قبلهم يعني ان من يتجدد فيه البلوغ يجب ان يستأذن للدخول في كل الاوقات كما يستأذن الكبار الذين تقدم بلوغهم كذلك ووجه الاستدلال بهذه الآية على استئذان العبد على سيدته ان لفظ الاطفال يتناول المماليك والاحرار من الصبيان فيجب الاستئذان على كل واحد من الفريقين اذا بلغ الحلم بحكم هذه الآية كما ذهب اليه الحنفية قال الامام النسفي في تفسير قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن الى قوله او نسائهن ان المراد بنسائهن الحرائر المسلمات وبما ملكت ايمانهن اماؤهن فلا يتناول الغلام والجارية جميعا فلنا قال سمرة بن جندب لا تغرنكم هذه الآية فانها نزلت في الاماء انتهى وقال المصنف في تفسير او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد واستدل عليه بالحديث ثم قال وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبي واجاب ههنا عن الاستدلال المذكور بان تعريف الاطفال للعهد والمعهود الاطفال الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرج المماليك فيهم ﴿قوله تعالى والقواعد﴾ جمع قاعد وهي المرأة التي قعدت عن الحيض والولد لكبر سنها ولم تدخلها تاء التأنيث لاختصاصها بالمرأة قيل واذا اردت القعود بمعنى الجلوس قلت قاعدة قال الامام الاولى ان لا يعتبر قعودهن

لما روي ان غلاما اسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله (ثلاث مرات) في اليوم والليلة مرة (من قبل صلاة الفجر) لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلاث مرات او الرفع خبر المحذوف اي هي من قبل صلاة الفجر (وحين تضعون ثيابكم) اي ثيابكم لليقظة للقيلولة (من الظهيرة) بيان للحين (ومن بعد صلاة العشاء) لانه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف (ثلاث عورات لكم) اي هي ثلاثة اوقات يختل فيها تستركم ويجوز ان يكون مبتدأ وما بعده خبره واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل اعور وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلاث مرات (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين (طوافون عليكم) اي هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلاثة وغيرها بانها عورات (بعضكم على بعض) بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض (كذلك) مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) اي الاحكام (والله عليم) باحوالكم (حكيم) فيما شرع لكم (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم) الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) كرره تأكيدا ومبالغة في الامر بالاستئذان (والقواعد من النساء) العجائز التي قعدن عن الحيض والحمل (اللاتي لا يرجون نكاحا) لا يطمعن فيه لكبرهن

(من)

عن الحيض لان ذلك ينقطع فيهن بآفة دون بلوغهن الى سن لايرغب فيهن الرجال فالمراد قعودهن عن حال التزوج وذلك لايكون الا اذا بلغن في السن بحيث لايرغب فيهن الرجال والقواعد مبتدأ ومن النساء حال من المستكن في القواعد واللاتي صفة القواعد لا النساء وجملة فليس عليهن جناح خبر المبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط لان الف واللام فيه بمعنى اللاتي او لان المبتدأ موصوف بالاسم الموصول ولو كان الموصول مبتدأ لجاز دخول الفاء في خبره فجاز ذلك ايضا اذا كان صفة المبتدأ وغير متبرجات حال من عليهن ﴿ قوله اى الثياب الظاهرة ﴾ خص الثياب بالظاهرة لانه لاشك في انه تعالى لم يأذن لهن في ان يضعن جميع ثيابهن لما فيه من كشف العورة كلها ﴿ قوله من استقذارهم ﴾ اى من استكراه الاصحاء المؤاكلة معهم لان الاعمى ربما سبقت يده الى ماسبقت عين اكيله اليه وهو لايشعر والاعرج يتفسح في مجلسه فيضيق على جليسه والمريض لايخلو من رائحة كريهة او انف يذن او جرح يد يبض اذا اخذ بها يسيل ونحو ذلك ﴿ قوله او اكلهم ﴾ عطف على مؤاكلة الاصحاء وقوله مخافة علة لقوله يتحرجون في اكلهم من بيت من دفع اليهم المفتاح قال سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح بيوتهم ويقولون قد احللنا لكم ان تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتحرجون من بيوتهم ويقولون لاندخلها وهم غيب فنزلت رخصة لهم ﴿ قوله او من اجابة ﴾ عطف ايضا على مؤاكلة الاصحاء يعني ان ضعفاء المؤمنين كانوا يدخلون على بعض اصدقائهم لطلب الطعام فاذا لم يكن عندهم طعام اطعموه يدعونهم ويذهبون بهم الى بيوت آبائهم او اولادهم او اقاربهم فيطعمونهم منها فلما نزل قوله تعالى ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم اى بيعا فعند ذلك امتنع الناس ان يأكل بعضهم من طعام بعض فنزلت هذه الآية وعلل المصنف تحرجهم بقوله كراهة ان يكونوا كلا عليهم والكل بفتح الكاف وتشديد اللام الملال والتعب والثقل والجمع الكلول ولم يجمع ههنا لكونه مصدرا في الاصل ﴿ قوله وهذا ﴾ اى انتفاء الحرج في اجابة من يدعوهم الى البيوت المذكورة ويأخذ الاكل منها يتوقف على رضى صاحب البيت باذنه صريحا او بما هو قرين الاذن وهو دلالة الحال كالقرابة والصداقة ونحو ذلك وقيل جواز الاكل من هذه البيوت بغير اذن مالكيها كان في صدر الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام «لايحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس» ومما يدل على هذا النسخ قوله تعالى لاتدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه وكان في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم من لهن الآباء والاخوال وقد عم النهي عن دخول بيوتهم الا بعد الاذن في الدخول وفي الاكل ﴿ قوله وقيل نفى الحرج عنهم في القعود عن الجهاد ﴾ اى لافيما يتعلق بالاكل والمعنى ليس على هؤلاء حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم في ان تأكلوا من البيوت المذكورة وهذا كلام صحيح في نفي حرجه لاستواء الطائفتين في نفي الحرج عنهم وهذا مثل ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ولا عليك ياحاج في ان تقدم الحلق على النحر ولم يرتض المصنف بهذا التأويل حيث قال وهذا لايلائم ماقبله ولا مابعده فانه قبل اولا فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن وقيل آخر اولا على انفسكم ان تأكلوا فبين فيهما مانفي كونه جناحا ولم يبين ذلك في قوله ليس على الاعمى حرج فينبغي ان يبين بما يلائم ماقبله ومابعده والقعود عن الغزو لايلائم شيأ منهما ﴿ قوله من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم ﴾ اى ليس المعنى ان تأكلوا من البيوت التي تسكنون فيها بانفسكم وفيها طعامكم وسائر اموالكم لان الناس لايتحرجون من اكل طعامهم في بيوت انفسهم فينبغي ان يكون المعنى من بيوت الذين كانوا في حكم انفسكم لشدة الاتصال بينهم وبينكم كالازواج والاولاد ونحوهما فان بيت المرأة كبيت الزوج وكذا بيت الاولاد فلذلك يضيف الزوج بيت زوجته الى نفسه وكذا الاب يضيف بيت ولده الى نفسه ﴿ قوله وقيل بيوت المماليك ﴾ لم يرتض بان يفسر ماملكتم مفاتحه ببيوت المماليك لان بيوتهم داخلة في عموم قوله تعالى ان تأكلوا من بيوتكم فلا وجه لافراده بالذكر وملك المفاتح كناية عن كون المال في يد الرجل وحفظه فالمعنى ليس عليكم جناح ان تأكلوا من اموال لكم يد عليها لكن لا من اعيانها بل من اتباعها وغلاتها كثمرة البستان ولبن الماشية ﴿ قوله والمفاتح جمع مفتح ﴾ والمفاتيح جمع مفتاح وكلاهما آلة الفتح وقيل المفاتح الخزائن كقوله وعنده مفاتح الغيب اى خزائنه واريد بالخزائن مايخزن فيه الطعام المأكول ونحوه من بين البيوت قيل الاول ظاهر الحال على رضى المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج

(فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن) اى الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها (غير متبرجات بزينة) غير مظهرات زينة مما امرن باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار مايخفى من قولهم سفينة بارجة لاغطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لايغيب منه شئ الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال (وان يستعففن خير لهن) من الوضع لانه ابعد من التهمة (والله سميع) لمقالتهن للرجال (عليم) بمقصودهن (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) نفي لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من دفع اليهم المفتاح وبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لايكون ذلك من طيب قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لاتدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفي الحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لايلائم ماقبله ومابعده (ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم) من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب مايأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه (او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ماملكتم مفاتحه) وهو مايكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو مايفتح به وقرئ مفتاحه

(اوصديقكم) او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط فى اموالهم وأسرّ به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن اوقرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط بينهم اوكان فى اوّل الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لاقطع بسرقة مال المحرم (ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا) مجتمعين او متفرقين نزلت فى بنى ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده او فى قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الامعه اوفى قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع فى القزازة والنهمة (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت (فسلموا على انفسكم) على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة (تحية من عند الله) ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان تكون من صلة التحية فانه طلب الحياة وهى من عنده وانتصابها على المصدر لانها بمعنى التسليم (مباركة) لانها ترجى بها زيادة الخير والثواب (طيبة) يطيب بها نفس المستمع وعن انس انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتى فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوّابين (كذلك يبين الله لكم الآيات) كرره ثالثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاوّلين بما هو المقتضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال (لعلكم تعقلون) اى الحق والخير فى الامور (انما المؤمنون) اى الكاملون فى الايمان (الذين آمنوا بالله ورسوله) من صميم قلوبهم (واذا كانوا معه على امر جامع) كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة فى الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) يستأذنوا رسول الله فيأذن لهم واعتباره فى كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه من المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم فى الذهاب عن مجلس الرسول عليه السلام بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال (ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لامحالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) مايعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر

(عليهم)

الاستئذان ونقل كى قدم اليه الطعام فاستأذن صاحبه فى الاكل منه قبل النطلق رجل يدعى بالحارث بن عمرو مغازيا واستخلف مالك بن زيد فى اهله وخزائنه فلم يأكل من ماله شيأ حتى صار مجهودا اى ضعيفا فانزل الله تعالى اوصديقكم ﴿قوله فلا احتجاج للحنفية﴾ اذلا احتجاج بالمنسوخ احتج ابو حنيفة بهذه الآية على ان من سرق من ذى رحم محرم انه لايقطع لان الله تعالى اباح لهم الاكل من بيوتهم بغير اذنهم فلايكون محرزا ولايلزم منه ان لايقطع اذا سرق من صديقه لان من اراد سرقة ماله لايكون صديقاله ﴿قوله لاختلاف الطباع﴾ اى طباع الطاعمين وفى بعض النسخ لاختلاف الناس والنهم بفتحتين افراط الشهوة فى الطعام والقزازة ضده وحاصل المعنى لاختلاف الطباع فى قلة الاكل وكثرته يعنى انهم لما تحرجوا فى الاجتماع على الطعام لاختلاف احوال الأكلة فى الاستقلال والاستكثار من الطعام انزل الله هذه الآية وبين انه لاحرج عليهم فى ان يأكلوا مجتمعين او متفرقين او اشتاتا جمع شت والشت مصدر معناه التفرق فوصف به وشتى جمع شتيت كمرضى ومريض قال الامام النسفى دل قوله تعالى ان تأكلوا جميعا على جواز التناهد فى الاسفار والتناهد اخراج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه ﴿قوله فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت﴾ خص بيوتا المنكر بالبيوت المذكورة سابقا بقرينة المقام وقال قوم هذا فى دخول الرجل بيت نفسه والتسليم على اهله ومن فى بيته وروى مرفوعا اذا دخلت بيتك فسلم على اهل بيتك يكثر خير بيتك وقيل المراد بها كل بيت وقيل هى المساجد جعل الله تعالى اهل البيت من المسلمين انفس الداخلين ايذانا بان المسلمين كالنفس الواحدة كما فى قوله تعالى ولاتقتلوا انفسكم فان لم يكن فى البيت احد ولا فى المسجد فليسلم على نفسه بان يقول السلام علينا من قبل ربنا او بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقد روى ان الملائكة ترد عليه وقيل ان كان فى البيت اهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى ثم قيل يصلى بهذا التسليم قوله تحية من عند الله مباركة طيبة حتى روى عنه عليه الصلاة والسلام انه يصلى صلاة الضحى وهى ان يصلى ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر رمح ثم يصلى اربعا او ستا او ثمانى وهو الذى اراده الله تعالى بقوله يسبحن بالعشى والاشراق وهو ظهور تام نوره بارتفاعها عن موارات البخارات والغبارات ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذى اقسم الله به فقال والضحى والليل اذا سجى وخرج عليه الصلاة والسلام على اصحابه وهم يصلون عند الاشراق فقال الا ان صلاة الاوّابين اذا رمضت الفصال روى عن بعض السلف انه قال اذا دخل المسجد ولا انسان فيه يقول السلام علينا من ربنا تحية من عند الله مباركة طيبة وقيل لايصلى به هذا القول لانه صفة السلام وتحية منصوب على انه مفعول مطلق لمعنى فسلموا على طريق قولك قعدت جلوسا كأنه قيل فحيوا تحية وقوله من عند الله يجوز ان يتعلق بمحذوف صفة تحية اى تحية ثابتة بامره مشروعة من لدنه وان يتعلق بنفس تحية لان التحية والتسليم طلب الحياة والسلامة من الله للمسلم عليه ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن ترجى بها من الله تعالى الاجابة بزيادة الخير وطيب الكمال والجمال ﴿قوله وفصل الاوّلين بما هو المقتضى لذلك﴾ اى التبيين وهو قوله والله عليم حكيم وفصل هذا بما هو المقصود من التبيين وهو التعقل والدراية لاحكام الله من الاوامر والنواهى ﴿قوله ووصف الامر بالجمع للمبالغة﴾ فى كونه سببا لاجتماع القوم فان الامر لكونه مهما عظيم الشان صار كأنه قد جمع الناس فهو من قبيل اسناد الفعل الى السبب وقرئ امر جميع بمعنى جامع او مجموع له قيل نزلت الآية فى حفر الخندق وكان ذلك من اهم الامور حتى تولى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وشغل عن اربع صلوات كما فيه حتى دخلت فى حد القضاء وكان قوم يتسللون من بينهم بغير اذن قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الجمعة واراد الرجل ان يخرج لحاجته لم يخرج حتى يقوم بحيال النبى عليه الصلاة والسلام حتى يراه فيعرف به استئذانه فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد اذن الامام يوم الجمعة ان يصر به ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون عدم الاستئذان نقصا فى كمال الايمان حيث جعل بين الايمانين شرطا ثالثه اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فان جعل المستأذنين هم المؤمنين عكس الاسلوب الاوّل وفيه تأكيد للاوّل بالله ورسوله فيكون مصداقا ودليلا على صحة الايمان وصدقهما قيل المراد بقوله ان الذين يستأذنونك انه استئذان عمر بن الخطاب فى غزوة تبوك فى الرجوع الى اهله فاذن له وقال انطلق فوالله ما انت بمنافق يريدان يسمع المنافقين ذلك الكلام ﴿قوله وفيه﴾ اى فى قوله لبعض شأنهم مبالغة فى الاهتمام بشأن الاستئذان كاعادته على الاسلوب الابلغ حيث لم يطلق الاذن فى شأنهم بل قيد بالبعض تعليقا

(فأذن لمن شئت منهم) تفويض للامر الى رأى الرسول عليه الصلاة والسلام واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رأيه عليه الصلاة والسلام ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا (واستغفر لهم الله) بعد الاذن فان الاستئذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين (ان الله غفور) لفرطات العباد (رحيم) بالتيسير عليهم (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) لاتقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لاتجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يانبى الله ويارسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت اولا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب اولا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) ينسلون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل (لواذا) ملاوذة بان يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كأنه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح (فليحذر الذين يخالفون عن امره) يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له فى الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر (أن تصيبهم فتنة) محنة فى الدنيا (او يصيبهم عذاب اليم) فى الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب (ألا ان لله مافى السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه) ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتأكيد الوعيد (ويوم يرجعون اليه) يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات (فينبئهم بما عملوا) من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه (والله بكل شئ عليم) لايخفى عليه خافية * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى

عليهم امر الذهاب من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مع القدر المبسوط ومامس الحاجة اليه وتعليق الاذن بالمشى مع ذلك العذر ومر ان ذكر الاستغفار للمستأذنين بالاذن دليل على ان الاحسن والافضل ان لايحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا فيه حيث احتاجوا فى خروجهم من الجماعة الى ان يستغفر لهم الرسول وان كان ذلك الخروج بمشيئته ﴿ قوله ومن منع ذلك ﴾ اى منع تفويض بعض الاحكام الى رأيه واجتهاده وقال انه عليه افضل الصلاة والسلام يتبع الوحى فى جميع احكامه قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدق المستأذن فى ان له عذرا شرعيا مرخصا للذين استأذنوا فيه فحينئذ تكون المشيئة مستندة الى الشرع الثابت بالوحى فلا تكون مشيئته واذنه فى ذلك بمجرد رأيه قال المصنف فى اصوله بجوازه عليه الصلاة والسلام ان يجتهد لعموم فاعتبروا ووجوب العمل بالارجح ولانه اسبق وادل على الفطانة فلا يتركه ومنعه ابو على وابنه لقوله تعالى وماينطق عن الهوى فلما هو مأمور به فليس بهوى ﴿ قوله ولاتقيسوا دعاءه اياكم ﴾ الى شئ من الامور فيكون المصدر فيه مضافا الى فاعله كما فى الوجه الثالث والرابع فان الداعى فى الجميع هو الرسول بخلاف الوجه الثانى فان المصدر فيه مضاف الى المفعول والمعنى لاتقولوا عند دعائكم اياه يامحمد ويا ابن عبدالله كما يدعو بعضكم بعضا بل عظموه وشرفوه فى ندائه والمعنى على الوجه الاول لاتجعلوا امره اياكم ودعاءه لكم الى شئ كما يكون من بعضكم الى بعض فان امره كان فرضا لازما ومثله قوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ﴿ قوله يتسللون ﴾ اى يخرجون مستخفين يقال انسل الرجل اى انصرف من الناس وفارقهم بحيث لايعلمون واللواذ والملاوذة ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا ويستر بعضهم بعضا وهو حال من ضمير يتسللون ويقال تدرج اذا استعمل درجة درجة وتدخل اذا دخل قليلا قليلا فان تفعل قد يكون للعمل المتكرر فى مهلة ﴿ قوله وقرئ بالفتح ﴾ اى بفتح اللام على انه مصدر لاذ الثلاثى مثل طاف طوافا ويحتمل ان يكون مصدر لاوذ الا انه يجب فتح الفاء اتباعا لفتحة العين قيل كان المنافقون يثقل عليهم يوم الجمعة قول النبى عليه الصلاة والسلام وخطبته فيلوذون ببعض اصحابه عليه الصلاة والسلام حتى يخرجوا من المسجد مستخفين مستترين بغيرهم من غير استئذان وقيل كانوا يتسللون من صف القتال وقيل كان هذا فى حفر الخندق ﴿ قوله يخالفون امره ﴾ لايريد ان كلا من صلة والا لكان هذا وجها مستقلا من غير ان ينضم اليه قوله وعن لتضمنه معنى الاعراض بل المقصود منه مجرد بيان أن يخالفون يتعدى بنفسه حيث يقال يخالفون امره وانما جيء بكلمة عن لتضمنه معنى الصدود والاعراض وقيل عن ههنا بمعنى بعد كما فى قولك اطعمتهم عن جوع اى بعد جوع ﴿ قوله وحذف المفعول ﴾ والاصل يخالفون المؤمنين عن امر الله وعن امر رسوله على معنى يخالفونهم صادين عن امره فيكون عن امره حالا من فاعل يخالفون كما ان حقيقة قولك خالفه عن الامر خالفه صادا اى معرضا عن الامر فيكون عن الامر حالا من فاعل خالف ومحصول كونه مخالفا له صادا عن الامر دونه وكذا اذا قلت خالفه الى الامر اذا ذهب اليه دونه فيكون حقيقة الكلام خالفه اى ذاهبا الى الامر فيكون الى الامر حالا من فاعل خالف ايضا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اى ذاهبا الى ما انهاكم عنه ﴿ قوله فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر ﴾ يعنى ان مخالفة الامر عبارة عن ترك مقتضاه والاخلال به كما ان موافقة الامر عبارة عن الاتيان بمقتضاه ورعايته ولما امر الله تعالى من خالف الامر وترك مقتضاه بالحذر عن عذابه دل ذلك على حسن الحذر عنه ولايحسن الحذر من العذاب الابعد قيام مايقتضى نزوله فثبت ان ترك مقتضى الامر يقتضى نزول العذاب فلولا ان المأمور به واجب لما كان تاركه مستحقا للعذاب ثم انه تعالى لما هدد من خالف امره باحد العذابين اورده عقيبه ماهو كالدليل على قدرته تعالى عليهما فقال الا ان لله مافى السموات والارض وجعله ذريعة الى تحقيق علمه باحوال عباده من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وأكد علمه بما هم عليه بان ادخل كلمة قد على يعلم وذلك ان قد فى المضارع تفيد التقليل كربما اذا دخلت عليه فكما ان ربما تستعار للتكثير كما فى قول الشاعر

* فان تمس مهجور الفناء فربما * يأتيك من بعد الوفود وفود *

كذلك كلمة قد تستعار له ايضا فتفيد التحقيق والتأكيد وحملت كلمة قد فى الآية على هذا المعنى لاقتضاء الوعيد اياه وفى البيت لاقتضاء مقام المدح اياه ﴿ قوله تعالى ويوم يرجعون اليه ﴾ منصوب على انه مفعول به لاظرف لعطفه

على قوله مااتم عليه اى ويعلم الذى انتم عليه ويعلم يوم يرجعون اليه كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة قرأ العامة يرجعون مبنيا للمفعول وابو عمرو مبنيا للفاعل وعلى كلا القرائتين يجوز وجهان احدهما ان يكون فى الكلام التفات من الخطاب فى قوله ماانتم عليه الى الغيبة فى قوله يرجعون والثانى ان يكون قوله ماانتم عليه خطابا عاما لكل احد ويكون الضمير فى يرجعون للمنافقين خاصة فلا التفات حينئذ والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله ما انتم عليه ايها المكلفون وقوله ويوم يرجع المنافقون اليه والى الاول بقوله ويجوز والله سبحانه وتعالى الموفق الهادى الى الصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة الفرقان مكية غير آية نزلت بالطائف وهى قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تكاثر خيره — قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها اى لاتحصروا اى اجناسها فضلا عن افرادها فعلى هذا المعنى لابد من تقدير المضاف اى تبارك خير الذى ولا حاجة اليه على المعنى الثانى **قوله** او تزايد على كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وافعاله — قال الله تعالى ليس كمثله شئ فالعبد وان كان له حظ فى صفاته وافعاله الا ان ماله من الصفات والافعال لايماثل شيأ مماله تعالى وذلك معلوم ببداهة العقل **قوله** وترتيبه على انزال الفرقان — اى تعليقه به فان تعليق التبارك بوصف الانزال يشعر بعلية ذلك الوصف له وكونه مرتبا عليه وقوله لمافيه من كثرة الخير مبنى على تفسير تبارك بقوله تكاثر خيره وقوله اولدلالته على تعاليه مبنى على تفسيره بقوله او تزايد على كل شئ **قوله** وقيل دام — عطف على قوله تكاثر يعنى قيل الكلمة مأخوذة من بروك البعير وبروك الطير على الماء فدل على البقاء والدوام والمعنى انه تعالى باق فى ذاته ازلا وابدا ممتنع التغير وباق فى صفاته ممتنع التبدل ولم يرتض به لان ترتيبه على انزال الفرقان لايلائم هذا المعنى فان قيل الموصولات موضوعة لان يطلقها المتكلم على مايعتقد ان المخاطب يعرفه بكونه محكوما عليه بحكم حاصل له فلذلك كانت معارف والقوم ماكانوا يعرفون انه تعالى هو الذى نزل الفرقان فكيف حسن ههنا لفظ الذى اجيب بانه لماثبت كونه من عندالله بكونه معجزا بالغا الى اقصى درجات البلاغة والفصاحة نزله الله تعالى منزلة المعلوم للقوم بناء على قوة دلائله وظهوره وهذا توضيح قوله وهذه الجملة وان لم تكن معلومة الخ **قوله** الجن والانس — اى لجميع افراد كل واحد من الجنسين اشار به الى فائدة جمع العالمين مع تعريفه فان العالم اسم للقدر المشترك بين اجناس مايعلم به الخالق مماسوى الله تعالى فيطلق على كل واحد منها وعلى مجموعها لجميع لدلالة على تعدد الاجناس واستغراق كل واحد منها اذلو افرد منكرا لفهم واحد من تلك الاجناس ولو افرد معرفا لتوهم ان القصد الى استغراق جنس واحد او الى الحقيقة التى هى القدر المشترك بين تلك الاجناس ولو جمع منكرا لم يكن نصا فى الاستغراق للاختلاف فى استغراق الجمع المنكر وجمع بالياء والنون لان المقصود استغراق افراد العقلاء من جنسى الجن والانس فان جنس الملائكة وان كانوا من اجناس العالم الا ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن رسولا الى الملائكة فلم يبق من العالمين المكلفين الا الجن والانس فهو عليه الصلاة والسلام رسول لهما جميعا الآية حجة لابى حنيفة فى قوله ليس للجن ثواب اذا اطاعوه سوى النجاة من العقاب اذا عصوا حيث اكتفى بقوله ليكون للعالمين نذيرا ولم يذكر البشارة ودليله قوله تعالى ياقومنا اجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم جعل ثوابهم نجاتهم من العذاب الاليم على تقدير المضاف ولم يذكر لهم ثوابا غيره وذكر لهم عقاب العصيان **قوله** منذرا او انذارا — الاول على تقدير ان يكون ضمير قوله ليكون للعبد والثانى على ان الضمير للفرقان اى لتنزيله المدلول عليه بقوله نزل فكأنه قيل ليكون تنزيله انذارا للعالمين لان الفرقان نفسه لايكون انذارا **قوله** بدل من الاول — فان قيل كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه بقوله ليكون للعالمين نذيرا فالجواب انه مافصل بينهما بشئ اجنبى من الكلام لان المبدل منه صلة نزل وقوله ليكون تعليل له فكان المبدل منه لايتم الابه **قوله** احدثه احداثا مراعى فيه التقدير — يعنى ان الخلق هو الاحداث المفرع على التقدير والتسوية فى علم الصانع فان الصانع اذالم يقدر مصنوعه فى عمله قبل الايجاد يقع فيه بعد الايجاد تفاوت بالزيادة على مابه كماله او بالنقصان عن حد مافيه تمامه ولما كانت الآية مظنة ان يقال قوله فقدره متكررا بناء على ان الخلق

سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده) تكاثر خيره من البركة وهى كثرة الخير او تزايد على كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لمافيه من كثرة الخير اولدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لاتتصرف فيه ولايستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره اوبين المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض فى الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله والمؤمنون كقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية (ليكون) العبد او الفرقان (للعالمين) الجن والانس (نذيرا) منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة (الذى له ملك السموات والارض) بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب (ولم يتخذ ولدا) كزعم النصارى (ولم يكن له شريك فى الملك) كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى مايقوم مقامه ومايقاومه فيه ثم نبه على مايدل عليه فقال (وخلق كل شئ) احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة (فقدره تقديرا) فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك اوفقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شئ فقدره فى ايجاده حتى لايكون متفاوتا

فيه بمعنى التقدير فكأنه قيل وقدر كل شيء فقدره * اشار الى دفعه اولا بقوله فقدره وهيأه لما اراد منه ومحصوله ان التقدير المدلول عليه بقوله خلق غير التقدير المتفرع عليه بالفاء فان الاول عبارة عن تسوية الحدث فى علمه الازلى كما اوجبته الحكمة بتعيين مادته وصورته وما يتعلق به من العوارض المكتنفة به حال وجوده كما يسوى الصانع صورة المصنوع قبل ان يباشر صنعه والتقدير المتفرع على الخلق عبارة عن تهيئته لما يصلح له من المصالح المرتبة على وجوده فلا تكرار فكأنه قيل اوجد كل شيء على تقدير اوجبته الحكمة وقدر له ما يصلحه ويهيئه وما يراد منه من الخصائص والافعال وثانيا بقوله فقدره لبقائه الى اجل مسمى والتقدير بهذا المعنى ايضا متفرع على الخلق بمعنى الاحداث المراعى فيه التقدير والتسوية لما تقتضيه الحكمة لان ابقاء الشيء يكون بعد احداثه كأنه قيل احدثه فجعل لوجوده غاية محدودة وثالثا بقوله وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد فلا يكون قوله فقدره تكرارا وتكون الفاء فيه للترتيب فى الاخبار فكأنه قيل اوجد كل شيء فقدره فى ايجاده ولم يوجده بحيث تحصل التفاوت والتباعد بينه وبين المثال الذى اقتضته الحكمة ﴿قوله لان عبدتهم ينحتونهم﴾ اشارة الى ان فاعل اتخذوا هم عبدة الاصنام ولا يدخل فيه النصارى لانهم لم يتخذوا من دون الله آلهة كثيرة ولان السورة مكية نزلت ردا على المشركين فيما ذهبوا اليه ويجوز ان يدخل فيه النصارى وعبدة الملائكة والاصنام جميعا بناء على ان قوله واتخذوا صيغة جمع وقوله آلهة جمع ايضا واذا قوبل الجمع بالجمع يقابل الفرد بالفرد فلم يكن كون معبود النصارى واحدا مانعا من دخولهم فى فاعل اتخذوا ثم انه تعالى لما رد على الخالقين فى التوحيد شرع فى الرد على المخالفين فى النبوة بقوله وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه اى ما هذا القرآن الا كذب افتراه محمد واختلقه من عند نفسه واعانه عليه اى على افترائه قوم آخرون اى اليهود وقيل جبر مولى عامر ويسار غلام ابن حضرمى وعداس وقيل عائش مولى حويطب بن عبد العزى وهؤلاء الثلاثة عبيد كانوا بمكة من اهل الكتاب وكانوا يقرأون التوراة ويحدثون منها احاديث فلما اسلموا وكان النبى عليه افضل الصلاة والسلام يتعهدهم قال النضر بن الحارث هذا القول فنزلت الآية واجاب عن شبهتهم بقوله فقد جاؤا اى فقد اتوا ظلما وعلوه حيث وضعوا صفة الافك فى غير موضعها ولو امكن ذلك لعارضوه واتوا بمثله حين تحداهم به لانهم مثله عليه الصلاة والسلام فى معرفة اللغة وفى التمكن من الاستعانة ووصف كلامهم هذا بانه زور ايضا لانهم كذبوا فيه بنسبة ما هو برىء منه اليه وقالوا فى حق القرآن ايضا اساطير الاولين كاحاديث رستم واسفنديار والاساطير جمع اسطار جمع سطر او جمع اسطورة كاحدوثة واساطير خبر مبتدأ محذوف اى هذا اساطير وقوله اكتتبها خبر ثان لهذا او حال من اساطير والعامل فيها معنى التنبيه والاشارة كقوله وهذا بعلى شيخا ﴿قوله كتبها لنفسه﴾ اى باعتبار كونه سببا آمرا بكتابتها فان بناء افتعل قد يكون لاتخاذ الفاعل الفعل لنفسه ﴿قوله او استكتبها﴾ على ان يكون اكتتب بمعنى أمر ان يكتب له كما يقال احتجم وافتصد اذا امر بذلك وقوله فهى تملى عليه متفرع على قوله اكتتبها على كل واحد من التفسيرين فان الاملاء عبارة عن القاء الكلام على الغير ليكتبه فان فسر الاكتتاب بالاستكتاب فالامر ظاهر لان املاءها اى القاءها على الكاتب متفرع على طلب ان يكتب له الكاتب الا ان املاءها على من يكتبها له عليه الصلاة والسلام بمنزلة كتابته عليه الصلاة والسلام بنفسه فلذلك جعل الاملاء على الكاتب بمنزلة الاملاء على نفسه وهذا على تقدير ان يحمل الاملاء على حقيقته ويجوز ان يكون قوله تملى استعارة تبعية بان يشبه القاء الكلام على الامى ليحفظه بالقائه الى الكاتب ليكتبه لكون صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب فاطلق الاملاء على الالقاء على الحافظ واشتق منه تملى وكذا ان فسر اكتتبها بكتبها لنفسه واخذها من غيره على الاسناد المجازى وروى الامام عن الحسن البصرى انه قال قوله وهى تملى عليه كلام الله تعالى ذكره جوابا عن قولهم فكأنه تعالى قال ان هذه الآيات تملى عليه بالوحى حالا بعد حال فكيف يقال فى حقها انها اساطير الاولين ثم قال واما جمهور المفسرين فقد اتفقوا على ان ذلك من كلام القوم وارادوا به ان اهل الكتاب املوا عليه فى هذه الاوقات هذه الاشياء ثم قال ولا شك ان هذا القول اقرب لانه تعالى اجاب بعد ذلك من كلامهم بقوله قل انزله الذى يعلم السر ووجه كونه جوابا ان القرآن لكونه معجزا من حيث كونه فى اقصى مراتب الفصاحة والبلاغة ومن حيث اشتماله على الاخبار عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا علام الغيوب يستحيل ان يلقيه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه ولو اخذه

(واتخذوا من دونه آلهة) لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ فى الرد على المخالفين فيهما (لا يخلقون شيأ وهم يخلقون) لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم (ولا يملكون) ولا يستطيعون (لانفسهم ضرا) دفع ضر (ولا نفعا) ولا جلب نفع (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) ولا يملكون اماتة احد ولا احياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء (وقال الذين كفروا ان هذا الا افك) كذب مصروف عن وجهه (افتراه) اختلقه (واعانه عليه قوم آخرون) اى اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق فى قوله انما يعلمه بشر (فقد جاؤا ظلما) بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود (وزورا) بنسبة ما هو برىء منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل ويعديان تعديته (وقالوا اساطير الاولين) ما سطره المتقدمون (اكتتبها) كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امى واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه (فهى تملى عليه بكرة واصيلا) ليحفظها فانه امى لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب (قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض) لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين (انه كان غفورا رحيما) فلذلك لا يعجل فى عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا

(وقالوا مالهذا الرسول) مالهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم (يأكل الطعام) كما نأكل (ويمشي في الاسواق) لطلب المعاش كما نمشي والمعنى ان صح دعواه فماباله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد (لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) ليعلم صدقه بتصديق الملك (او يلقى اليه كنز) فيستظهر به ويستغني عن تحصيل المعاش (او تكون له جنة يأكل منها) هذا على سبيل التنزل اي ان لم يلق اليه كنز فلا اقل من ان يكون له بستان كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون (وقال الظالمون) وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه (ان تتبعون) ما تتبعون (الا رجلا مسحورا) سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر وهو الرئة اي بشرا لاملكا (انظر كيف ضربوا لك الامثال) اي قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة (فضلوا) عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي والمميز بينه وبين المتنبي فخبطوا خبط عشواء (فلا يستطيعون سبيلا) الى القدح في نبوتك او الى الرشد والهدى (تبارك الذي ان شاء جعل لك) في الدنيا (خيرا من ذلك) مما قالوه ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى (جنات تجري من تحتها الانهار) بدل من خيرا (ويجعل لك قصورا) عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو (بل كذبوا بالساعة) فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فطعنوا فيك لفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك في الآخرة

من اساطير الاولين لما زاد على ما في كتبهم فظهر انه من عند من يعلم الغيوب وهو الله تعالى وانه بمعزل عن كونه من اساطير الاولين ثم انه تعالى ذكر شبهة اخرى للمشركين فقال وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ﴿ قوله وفيه ﴾ اي وفي التعبير عنه عليه الصلاة والسلام بلفظ هذا استهانة وتحقير له عليه الصلاة والسلام وفي تسميتهم اياه رسولا مع انهم بصدد انكار رسالته تهكم به عليه الصلاة والسلام ذكروا له عليه الصلاة والسلام خمس صفات وزعموا انها تخل بالرسالة زعما منهم ان فضيلة الرسول على غيره تكون بامور جسمانية وهي غاية الجهالة ونهاية السفاهة فاجاب الله عن هذه الشبهة بوجوه الوجه الاول قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال اي انتحلوا لك الاشباه حيث زعموا انك مسحور محتاج متروك ناقص عاجز عن القيام بالامور ويقولون مرة انه ساحر ومرة شاعر ومرة مجنون ومرة مسحور ونحو ذلك من الاقوال الشاذة والاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص النبي صلى الله عليه وسلم وهي الاختصاص بالكمالات النفسانية والفضائل الروحانية والى المميز بينه وبين المتنبي فان المميز بينهما يكون باظهار المعجزة وما ذكروه من الشبهة لا يقدح بشيء في اظهارها فلا يكون شيء منها قادحا في النبوة كأنه تعالى قال انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الامثال التي لا فائدة فيها لما هم بصدده من القدح في نبوتك واثبات كونك متنبئا والوجه الثاني من وجوه الجواب عن شبهة المنكرين ما ذكره بقوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك اي من الذي ذكروه من نعم الدنيا كالكنز والجنة وفسر ذلك الخير بقوله جنات الخ ونبه بذلك على انه تعالى قادر على ان يعطيه عليه الصلاة والسلام ذلك الذي عيروه بفقده وما هو خير من ذلك بكثير ولكنه تعالى يعطي عباده على حسب المصالح وعلى وفق المشيئة ولا اعتراض لاحد عليه في شيء من افعاله فيفتح على واحد ابواب المعارف والعلوم ويسد عليه ابواب الدنيا وفي حق الآخرة بالعكس من ذلك عن الضحاك قال لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة حزن عليه الصلاة والسلام لذلك فنزلت جبريل معزيا له وقال ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق فبينما جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم يتحدثان اذ فتح باب من السماء لم يكن فتح قبل ذلك فقال جبريل أبشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة قد أتاك بالرضى من ربك فسلم عليه وقال ربك يخيرك بين ان تكون نبيا ملكا وبين ان تكون نبيا عبدا ومعه سفط من نور يتلألأ ثم قال هذه مفاتيح خزائن الدنيا فاقبضها من غير ان ينقصك الله مما ادخرك في الآخرة جناح بعوضة فنظر النبي عليه الصلاة والسلام الى جبريل كالمستشير وهو مأمور بأن تواضع فقال رسول الله بل نبيا عبدا قال فكان عليه الصلاة والسلام لا يأكل بعد ذلك متكئا حتى فارق الدنيا وكان يقول آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد ﴿ قوله وقرئ بالنصب ﴾ اي بنصب يجعل باضمار ان على انه جواب بالواو فانه معطوف على جعل وهو جواب ان شاء قال ابن جني هو كقولك ان تأتني آتك واحسن اليك وهو غريب لان نصب المضارع المعطوف على جواب الشرط بالواو غير مذكور في كتب النحو انما المذكور فيها نصبه بعد الواو اذا كان قبلها احد الاشياء الستة الامر والنهي وغيرهما وقرأ باقي القراء بجزم يجعل وادغام لامه في لام لك عطفا على محل جعل لانه جواب الشرط والقصور جمع قصر والقصر هو المسكن الرفيع والوجه الثالث من وجوه الجواب قوله تعالى بل كذبوا بالساعة والمعنى انهم كذبوك وعيروك بالفقر لانهم كذبوا بالساعة وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فتكون كلمة بل لترك الاول والاخذ فيما هو أهم وكونه اهم بالنسبة الى الجوابين الاولين لانهما يفيدان ما ذكروه في القدح لنبوته وهو لا يصلح قادحا فيها وهذا الجواب يبين العلة الداعية لهم الى انكار النبوة فان من كذب بالساعة لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا فلا يتحمل كلفة النظر والفكر في الدلائل الدالة على ما هو الحق في باب الاعتقاد والعمل فلذلك لا ينتفعون بما ورد عليهم من الدلائل فقوله بل كذبوا بالساعة معطوف على قوله تبارك الذي والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية والحطام والهشيم هو الشيء اليابس المتكسر استعير لاسباب الدنيا لسرعة زوالها وقلة مكثها ﴿ قوله او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن ﴾ فيكون معطوفا على قوله وقالوا مالهذا الرسول ﴿ قوله او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ﴾ وهو قوله تعالى تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا الى قوله ويجعل لك قصورا برفع يجعل على الاستئناف بوعد ما يكون له في الآخرة فيكون معطوفا عليه والفرق بين هذا وبين الاحتمال

الاوّل انه على الاوّل اضراب عنه الى جواب آخر أهمّ من الاوّل على هذا الاحتمال بكون المقصود بيان انهم لايلتفتون الى هذا الجواب لعدم تصديقهم بالآخرة ﴿ قوله او فلا أتعجب الخ ﴾ فيكون معطوفا على جملة ماحكى عنهم ممايدل على تكذيبه والقدح فى نبوّته فان المقصود من حكاية ذلك عنهم التعجب من جهلهم وسفاهتهم وانما كان تكذيبهم الساعة اعجب من تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام من حيث ان تكذيبهم الساعة تكذيب لله تعالى وهو اعجب واقرب من تكذيبهم اياه عليه الصلاة والسلام ﴿ قوله فيكون صرفه باعتبار المكان ﴾ يعنى اذا كان اسما لجهنم لوجب منع صرفه للعلمية والتأنيث الا انه صرف بتأويلها جهنم بالمكان ﴿ قوله اذا رأتهم ﴾ جملة شرطية فى موضع النصب على انها صفة لقوله سعيرا وكذا قوله واذا ألقوا منها مكانا ضيقا الخ ﴿ قوله اذا كانت بمرأى منهم ﴾ يعنى ان السعير سوآء كانت بمعنى النار الملتهبة او جهنم ليست لها عين ولا رؤية ومع ذلك اسندت الرؤية اليها باعتبار كونها مجازا عن المقابلة وكونها بمرأى الناظر فان كون الشئ بمقابلة الناظر ومرءاه لازم للرؤية اذلا تمكن الرؤية بدون ذلك فاطلق الملزوم وهو الرؤية واريد اللازم وهو كون الشئ بحيث يرى والانتقال من الملزوم الى اللازم يكون مجازا لا كناية قال عليه الصلاة والسلام «المؤمن والكافر لاتتراءى ناراهما» اى لاتتقاربا ولاتكون احداهما بمرأى من الاخرى والمقصود النهى عن تقاربهما ويقال دور فلان متناظرة اى متقابلة وهذا التوجيه غير لازم على مذهب اصحابنا لان البنية ليست شرطا فى الحياة عندهم فالنار على ماهى يجوز ان يخلق الله فيها الحياة والعقل والرؤية والنطق ويؤيده ماروى انه عليه الصلاة والسلام قال «من كذب على متعمدا فليتبوّأ بين عينى جهنم مقعده» قالوا اهل لها عينان قال «الم تسمعون قول الله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد» قيل من مسيرة مائة سنة بخلاف المعتزلة فانهم شرطوا البنية فى الحياة فلا يجوز كون السعير ذات عينين عندهم فقوله تعالى فى صفة السعير اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا لايمكن اجراؤه على الظاهر عندهم بل يمكن ذلك عندنا اذلا امتناع من ان تكون النار حية مغتاظة على الكفار واما المعتزلة فانهم لما شرطوا البنية فى الحياة فلا يجوز كون السعير ذات حياة عندهم احتاجوا الى التأويل قال الجبائى ان الله تبارك وتعالى ذكر النار واراد الخزنة الموكلة بتعذيب اهل النار لان الرؤية تصح منهم ولا تصح من النار فهو كقوله تعالى واسأل القرية اى اهلها ﴿ قوله صوت تغيظ ﴾ لما كان التغيظ عبارة عن شدة الغضب وذلك لايكون مسموعا ذكر فى توجيه الكلام ان نفس التغيظ وان لم يسمع الا انه يسمع مايدل عليه من الصوت كما يقال اما رأيت غضب الملك على فلان اذا رأى مايدل عليه فكذا ههنا والمعنى سمعوا لها صوتا يشبه صوت التغيظ ﴿ قوله فى مكان ﴾ يعنى ان مكانا منصوب على الظرفية ومنها فى محل النصب على الحال من مكانا لانه فى الاصل صفة ومقرّنين حال من مفعول ألقوا وثبورا مفعول به لقوله دعوا وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال ان جهنم لتضيق على الكافر كما يضيق الزج على الرمح والزج الحديدة التى فى رأس الرمح وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال «والذى نفسى بيده انهم يكرهون فى النار كما يكره الوتد فى الحائط» ولقد جمع الله على اهل النار انواع البلاء حتى ضم الى العذاب الشديد الضيق الشديد ليكون ذلك لهم عذابا فوق عذابهم ﴿ قوله والاستفهام الخ ﴾ جواب عما يقال كيف يتصوّر الشك فى انهما خير حتى يحسن الاستفهام والترديد وهل يجوز لقائل ان يقول السكر خير ام الصبر واجاب بان ذلك يحسن فى معرض التقريع والتهكم فانه تعالى لما ذكر حال العقاب المعدّ لمن كذب بالساعة اتبعه بما يؤكد حسرته وندامته ويزيد فى تقريعه وتهكمه وجنة الخلد هى الدار التى لاينقطع نعيمها ولايتحول اهلها منها ولما ورد ان الجنة اسم لدار المخلدة فى فائدة فى اضافتها الى الخلد اشار الى جوابه بقوله واضافتها للمدح كما ان الصفة للمدح فكذا الاضافة اولان اسم الجنة لايدل الاعلى البستان الجامع لوجوه البهجة ولايدخل الخلود فى مفهومه فاضيف اليها للدلالة على خلودها ﴿ قوله بالوعد ﴾ اى بالاستحقاق كما ذهب اليه المعتزلة فان الثواب لايجب على الله عندنا خلافا لهم ويدل عليه قوله تعالى وعد المتقون فان الموعود لايكون واجبا على من وعده قبل الوعد وانما يجب عليه انجازه بمقتضى الكرم والمعتزلة احتجوا على انها كانت لهم جزآء بالاستحقاق بوجهين الاوّل ان اسم الجزآء لايتناول الا المستحق واما الموعود بمحض التفضل فانه لايسمى جزآء والثانى انه لو كان المراد من الجزآء الامر الذى يصيرون اليه بمجرد الوعد لما بقى فرق بين قوله جزآء وبين قوله مصيرا فيصير ذلك تكرارا من غير فائدة وقال اصحابنا لانزاع فى كونه جزآء انما النزاع فى كونه جزآء ثبت بالوعد او بالاستحقاق وليس فى الآية مايدل على التعيين وانما قلنا انه ثبت بالوعد للادلة المنفصلة وقوله

او فلا أعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه (واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار المكان (اذا رأتهم) اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام لاتتراءى ناراهما اى لاتتقاربا بحيث تكون احداهما بمرأى من الاخرى على المجاز والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم (من مكان بعيد) وهو اقصى مايمكن ان يرى منه (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف (واذا ألقوا منها مكانا) اى فى مكان ومنها بيان تقدّم فصار حالا (ضيقا) لزيادة العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وقرأ ابن كثير بسكون الياء (مقرّنين) قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل (دعوا هنالك) فى ذلك المكان (ثبورا) هلاكا اى يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون ياثبوراه تعال فهذا حينك (لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا) اى يقال لهم ذلك (وادعوا ثبورا كثيرا) لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب او لانه لاينقطع فهو فى كل وقت ثبور (قل أذلك خير ام جنة الخلد التى وعد المتقون) الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة الجنة الى الخلد للمدح او الدلالة على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا (كانت لهم) فى علم الله او اللوح او لان ماوعده الله فى تحققه كالواقع (جزآء) على اعمالهم بالوعد

كانت بلفظ الماضي مع ان الجنة ستصير لهم جزآء ومصيرا في المستقبل مبني على انه تعالى كتب في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقهم ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم وكان ذلك في عهد الازل ﴿ قوله ولايمنع كونه جزآءلهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم ﴾ جواب عن استدلال المعتزلة على انه تعالى لايعفو من اصحاب الكبائر ولايدخلهم الجنة بهذه الآية بان قالوا الجنة حق المتقين جزآء على اعمالهم لقوله تعالى كانت لهم جزآء واهل الكبائر وان كانوا مؤمنين لكنهم ليسوا بمتقين فلو عفاالله عنهم وادخلهم الجنة التي اختصت بالمتقين وكانت حقالهم لزم ان يعطيهم حق المتقين مع انهم ليسوا بمتقين واعطاء حق الانسان لغيره لايجوز وتوجيه الجواب بين ظاهر ﴿ قوله ولعله يقصر همم كل طائفة ﴾ جواب عما يقال ان اهل الدرجات النازلة اذا شاهدوا الدرجات العالية لابدان يريدوها ويسألوها فان اعطاهم الله تعالى اياها لم يبق بين الناقص والكامل تفاوت في الدرجة وان لم يعطها لهم قدح ذلك في قوله لهم فيها مايشاؤون وفي قوله ماتشتهي الانفس وايضا فالاب اذا كان ولده في دركات النار واشد العذاب اشتهى ان يخلصه الله من ذلك فان فعل الله ذلك قدح في ان عذاب الكافر مخلد وان لم يفعل قدح ذلك في قوله لهم فيها مايشاؤون وفيها ماتشتهيه الانفس وتقرير الجواب ان المراد لهم فيها مايشاؤون مما يليق رتبتهم وانه تعالى لايلقي في خواطرهم ان ينالوا رتبة من هو اشرف منهم رتبة بل يشتغل كل واحد بالالتذاذ بما يليق رتبته ولايلتفت الى حال غيره ﴿ قوله حال من احد ضمائرهم ﴾ والمعنى الذي يشاؤونه حال كونهم خالدين حاصل لهم او الذي يشاؤونه حاصل لهم حال كونهم خالدين ﴿ قوله ومافي على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ﴾ والمعنى كان الذي يشاؤونه موعودا واجبا على ربك انجازه لكونه وعد الكريم الذي يمتنع الخلف في وعده وليس المعنى كما ذكره صاحب الكشاف ان ذلك كان موعودا واجبا على ربك انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لكونه جزآء واجرا مستحقا عليه لان العبد لايستوجب عليه تعالى شيأ بل كل مايصل اليه من الخير فهو تفضل محض ولما ورد ان يقال لو وجب عليه انجاز الموعود وان كان ذلك بناء على كرمه وامتناع الخلف في وعده لزم منه انه تعالى ملجأ الى الانجاز وغير قادر على تركه ومن كان ملجأ الى الفعل وغير قادر على تركه لايكون مستحقا للمدح والثناء بذلك فالله ذو الفضل العظيم يختص برحمته من يشاء اجاب عنه بقوله ولايلزم منه الالجاء الى الانجاز لان وجوب الانجاز انما لزم من الوعد الذي هو الاخبار بالفعل المتوقف على العلم بالفعل وكل واحد من الاخبار بالفعل والعلم به يوجب الفعل فوجب الفعل لانه لو لم يفعله لانقلب خبره الصادق كذبا وعلمه جهلا والوجوب اللازم من الاخبار والعلم لايستلزم كونه تعالى ملجأ الى الفعل غير قادر على الترك لان تعلق الارادة الازلية بالفعل متقدم على الاخبار به والعلم بوقوعه والفعل الواقع بالارادة لايكون صادرا على سبيل الالجاء ويكون تركه مقدورا ويستحق فاعله المدح والثناء ﴿ قوله تعالى ويوم نحشرهم ﴾ اي واذكر يوم نحشر الذين اتخذوا من دون الله آلهة قرأ ابن عامر نحشرهم فنقول بالنون فيهما وابن كثير وحفص بالياء من تحت فيهما والباقون بالنون في الاول وبالياء في الثاني واختار المصنف هذه القرآءة ﴿ قوله وهو على تلوين الخطاب ﴾ اي على الالتفات من التكلم الى الغيبة ﴿ قوله يعم كل معبود سواه ﴾ اي من الملائكة والمسيح وعزير والاوثان بشهادة قوله تعالى من دون الله الا ان جواب المعبودين بقولهم سبحانك ماكان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء يأبى دخول الاصنام فيهم لان هذا الجواب انما يلائم الانبياء والملائكة المعصومين ولما ورد ان يقال كيف يعم كل معبود ولفظ ما لايستعمل في العقلاء دفعه بما يحصوله الا انسلم ان كلمة ما لاتستعمل الا فيما لايعقل فانها كما تستعمل فيما علم انه غير عاقل تستعمل ايضا فيما يتناوله وغيره كما اذا استعملت في الذوات التي يدخل فيها الفريقان مع قطع النظر عن كونها عقلاء او غير عقلاء كما في مانحن فيه ثم انها لاتستعمل فيما علم كونه عاقلا وانما تستعمل فيه كلمة من بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ماهو فاذا قيل لك انه انسان قلت حينئذ من هو ودفعه ثانيا بانه اريد به الوصف فانه قد يطلق على صفات من يعقل ومنه قوله تعالى والسماء ومابناها اي وبانيها وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد اي معبودي وقول فرعون ومارب العالمين اي مربهم وقولك اذا اردت السؤال عن صفة زيد مثلا ما زيد تريد طويلا ام قصيرا فقيها ام طبيبا وثالثا بانه عبر عن مطلق المعبود بكلمة ما تغليبا للاصنام على العقلاء المعبودين تحقيرا لشأنهم لغاية قصورهم عن معنى الربوبية والالوهية وقوله اواعتبارا لغلبة عبادها عطف على تحقيرا ﴿ قوله او يخص الملائكة وعزيرا او المسيح ﴾ عطف على قوله يعم كل معبود وقوله او الاصنام عطف على الملائكة ولما ورد ان يقال الصنم جماد فكيف يخاطبه

(ومصيرا) ينقلبون اليه ولايمنع كونها جزآء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لانهم في مقابلتهم (لهم فيها مايشاؤون) مايشاؤونه من النعيم ولعله يقصر همم كل طائفة على مايليق رتبته اذ الظاهر ان الناقص لايدرك شيأ والكامل بالتشهي وفيه تنبيه على ان كل المرادات لاتحصل الا في الجنة (خالدين) حال من احد ضمائرهم (كان على ربك وعدا مسئولا) الضمير في كان لمايشاؤون والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا حقيقا بان يسأل ويطلب او مسئولا سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن ومافي على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده ولايلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للانجاز (ويوم نحشرهم) للجزآء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء (ومايعبدون من دون الله) يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولايعرف او لانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم او لتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا او المسيح لقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدي والارجل (فيقول) اي للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون

(ءأنتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل) لأخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله ءاضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولى للفعل دونه لانه لاشبهة فيه والالما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة (قالوا سبحانك) تعجبا مما قيل لهم لانهم امأ ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لاتقدر على شئ او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده او تنزيها لله عن الانداد (ماكان ينبغى لنا) يصح لنا (ان نتخذ من دونك من اولياء) للعصمة او لعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ ان نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذى له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثانى من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفى (ولكن متعتهم وآباءهم) بانواع النعم فاستغرقوا فى الشهوات (حتى نسوا الذكر) حتى غفلوا عن ذكرك او التذكر لآلائك والتدبر فى آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناد له الى مافعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ماذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة (وكانوا) فى قضائك (قوما بورا) هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ (فقد كذبوكم) التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون (بما تقولون) فى قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى فى او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اى كذبوكم بقولهم سبحانك ماكان ينبغى لنا (فما يستطيعون) اى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين (صرفا) دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليصرف اى يحتال (ولانصرا) يعينكم عليه (ومن يظلم منكم) ايها المكلفون (نذقه عذابا كبيرا) هى النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا

الله ۞ اجاب عنه اولا بانه تعالى يخلق فيه الحياة ويجعله صالحا لان يسأل ويجيب وثانيا بان ذلك الكلام ليس بلسان المقال بل هو بلسان الحال كما قيل فى تسبيح الدواب وكلام الايدى والارجل ﴿ قوله وهو استفهام تقريع ﴾ جواب عما يقال انه تعالى كان عالما فى الازل بحال المسئول عنه فما فائدة هذا السؤال ۞ وتقرير الجواب ان فائدته تقريع العبدة والزامهم كما قيل لعيسى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله لانهم اذا سئلوا بذلك واجابوا بما هو الحق الواقع تزداد حسرة العبدة وحيرتهم ويبكتون بتكذيب المعبودين اياهم وتبرئهم من امرهم بالشرك وعبادة غير الله فلذلك سألهم بذلك والا فهو اعلم بجميع المعلومات ومستغن عن السؤال ﴿ قوله واصله ءاضللتم ام ضلوا ﴾ لان المعنى ان ضلالهم عن الصراط السوى معلوم الا ان ذلك الضلال هل هو حاصل من قبل انفسهم او باضلالكم اياهم وهذا المعنى يحصل بان يقال ءاضللتم عبادى ام ضلوا بانفسهم من غير ان يزاد انتم وهم الا انه غير النظم بزيادة انتم بين فعل الاضلال والهمزة وزيادتهم بين فعل الضلال وام ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو تعين من تولى الفعل وباشره لااصل الضلال اذ لاشبهة فى تحققه حتى يسأل عنه فان اصل الضلال لو لم يكن مقطوع التحقق لما توجه العتاب وهو اظهار الغضب وقد توجه ذلك لان هذا الاستفهام للتوبيخ والعتاب كانه قيل هؤلاء الضالون لابد لهم من مضل وان ذلك المضل هل هو انتم او هم ضلوا بانفسهم فان الضال من غير ان ينقاد لمضل خارجى هو الذى يضل نفسه لامحالة فزيد لفظا انتم وهم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال ثم انه ذكر فى قوله سبحانك ثلاثة معان الاول انه تعجب مما قيل لهم واسند اليهم من الاضلال مع كونهم معصومين او عاجزين عن الفعل مطلقا فانه كثيرا ما يستعمل فى التعجب والثانى ان قولهم سبحانك كناية عن كونهم مسبحين موسومين بذلك فكيف يليق بهم ان يضلوا عباده والثالث انه يستعمل فى التنزيه كما هو اصله والمراد تنزيهه تعالى عن الانداد ﴿ قوله فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك ﴾ جعل قولهم ماكان ينبغى لنا كناية عن استبعاد ان يدعوا احدا الى اتخاذ ولى دونه تعالى لان نفس قولهم بصريحه لايفيد المقصود وهو نفى مانسب اليهم من اضلال العباد وحملهم على اتخاذ الاولياء من دون الله ﴿ قوله من اتخذ الذى له مفعولان ﴾ اولهما ضمير المتكلمين وثانيهما قوله من اولياء ومن للتبعيض اى ماكان ينبغى لنا ان نتخذ بعض اولياء وقرأ العامة نتخذ مبنيا للفاعل ومن اولياء مفعوله وزيدت من فيه لتأكيد النفى ﴿ قوله فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة ﴾ فانهم قالوا فى هذه الآية دليل بين لقول من يقول ان الله تعالى يضل عباده فى الحقيقة لانه لو كان الامر كذلك لكان الجواب الصحيح ان يقولوا ههنا قسم ثالث غيرهما وهو الحق وهو انك اضللتهم فلما لم يقولوا ذلك بل نسبوا اضلالهم الى انفسهم علم ان الله لايضل احدا من عباده ۞ فان قيل لانسلم ان المعبودين ماتعرضوا لهذا القسم بل ذكروه وقالوا ولكن متعتهم وآباءهم بنعم الدنيا قلنا لو كان الامر كذلك لكان يلزم ان يكون الله محجوجا فى يد اولئك المعبودين ومعلوم ان ليس الغرض ذلك بل الغرض ان يصير الكافر محجوجا مفحما انتهى هذا تمام تقرير كلام المعتزلة فى الآية وتقرير المصنف ظاهر فى عدم انتهاض الآية حجة للمعتزلة علينا فانه لما تضمن كلام المعبودين انا لم نضلهم ولم نحملهم على الضلال حسن الاستدراك بقولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر فهو نسبة الضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واستغراقهم فى الشهوات واسناد له الى مافعل الله بهم فكأنه قيل لكن اضللتهم بان خلقت بهم مايؤثرون به الضلال فخلقت فيهم ذلك اذ لو لم يكن المعنى ذلك لما انطبق الجواب لان السؤال انما هو عمن اضلهم ﴿ قوله التفات الى العبدة ﴾ يعنى انه كلام الله تعالى خاطب به المشركين بعد ما عبر عنهم بلفظ الغيبة فى قوله ويوم نحشرهم واصل الآية فقلنا قد كذبكم المعبودون ايها المشركون فى قولكم انهم آلهة او فى قولكم هؤلاء اضلونا على ان الباء بمعنى فى ويحتمل ان تكون الباء مع المجرور بدلا من ضمير المفعول فى كذبوكم كأنه قيل فقد كذبوا بما تقولون والباء صلة كذبوا كما فى قولك كذب بالحق فان كذب انما يتعدى الى واحد تارة بنفسه وتارة بالباء وقد عدى ههنا الى كم بنفسه فلا جرم ان تكون بدلا منه وان قرئ بما يقولون بياء الغيبة تكون الباء للآلة كما فى قولك كتبت بالقلم اى كذبوكم بقولهم سبحانك ماكان ينبغى لنا ﴿ قوله والشرط وان عم ﴾ جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد العصاة واهل الكبائر بان قالوا قوله تعالى ومن يظلم يعم الكافر والفاسق لان كل واحد منهما ظالم لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ولقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فثبت بهذه الآية ان الفاسق لايعفى عنه بل يعذب ۞ وتقرير الجواب ظاهر والمراد بالاحباط بالطاعة

ان يزيل ذلك الظلم بطاعة هى اعظم من ذلك الظلم فلما كان اقتضاء هذا الشرط الجزآء المذكور مقيدا بان لا يوجد مايزيل ذلك الظلم قيل لم تقولوا انه لم يوجد مايزيله حتى قطعتم بتعذيبه ﴿قوله الا رسلا انهم﴾ يعنى كسرت همزة انهم لوقوعها فى صدر جملة وقعت صفة لموصوف محذوف ه واعلم ان فى الآية حذفين و التقدير و ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا رسلا انهم يأكلون الطعام فحذف احدا واقيمت صفته وهى من المرسلين مقامه و كذا حذف رسلا واقيمت الجملة التى بعده مقامه و جاز استثناء رسلا من احد لانه فى معنى الجمع كما فى قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين و يجوز ان تكون الجملة التى بعد الا حالا من اعم الاحوال والتقدير و ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين فى حال من الاحوال الا وهم يأكلون الا انه اكتفى فيها بالضمير عن الواو ﴿قوله وهو جواب لقولهم﴾ يعنى انه احتجاج عليهم فى قولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام و نقض له بحال الرسل جميعا كأنه قيل لو كان موافقة الرسل المرسل اليهم فى الاحوال منافيا لوجب ان لا يكون احد من المرسلين قبلك رسولا يأكل و هو باطل فاذا لم يكن ذلك منافيا لرسالتهم لم يكن منافيا لرسالتك ايضا فانك لاتكون بدعا منهم و قرئ يمشون بضم الياء وفتح الشين المشددة و لو قرئ يمشون بضم الشين على بناء الفاعل لتكثير المشى لكان له وجه لولا ان الرواية بالفتح يقال نصبت لفلان نصبا اذا عاديته و ناصبته الحرب مناصبة اى شاركته فى المحاربة و المعاداة قيل قوله تعالى و جعلنا بعضكم لبعض فتنة تسلية له عليه السلام على ماقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام مع احتجاجه عليهم بسائر الرسل كأنه قيل لا تتأذ بقولهم فانا جعلنا بعض الناس بلاء لبعض كما ابتلى اشراف الناس بأسافلهم و ذووا السلطان بعوامهم و سلاطينهم و رعاياهم و بالعكس و رؤساء المشركين بفقرآء الصحابة فانه اذا اراد الشريف ان يسلم و رأى الوضيع قد اسلم قبله انف ان يسلم و قال لا اسلم بعده فيكون له على السابقة و الفضل فيقيم على كفره و هو افتتان بعضهم ببعض و دليله قوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه فلا عجب من ان يجلى المرسلون بالمرسل اليهم بأنواع الاذى و ان يجلى المرسل اليهم بالمرسلين حسدا لهم و يأسا من كونهم مكلفين بالخدمة و بذل النفس و المال بعد ان كانوا رؤساء مخدومين ﴿قوله وفيه دليل على القضاء﴾ اى فى قوله تعالى و جعلنا دليل على ان الكائنات كلها واقعة بقضاء الله و قدره فانه لاشك ان المراد منه و حكمنا فى الازل ان يكون بعضكم فتنة لبعض فالذى حكم الله تعالى عليه بذلك و علم ذلك منه و اثبته فى اللوح المحفوظ واطلع عليه الملائكة يجب ان يقع فى اوقات حدوثه على وفق ماتعلق به العلم الازلى و الا لصار العلم جهلا و لصارت الكتابة المثبتة فى اللوح المحفوظ باطلة و لصار اعتقاد الملائكة جهلا و كل ذلك محال و مايستلزم المحال محال فثبت مسألة القضاء و القدر و القضاء هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص و القدر تعلق تلك الارادة بالاشياء فى اوقاتها ﴿قوله علة الجعل﴾ يعنى ان الفتنة بمعنى الابتلاء و الامتحان و الاختبار فجعل البعض فتنة لبعض معناه جعله سببا لامتحان البعض بالبعض الآخر فكان تعلق اتصبرون بقوله فتنة بمنزلة تعلق قوله ايكم احسن عملا فكما ان المعنى ثمة ابتليناكم بالتكليف لنعلم ايكم احسن عملا فكذا المعنى ههنا جعلنا بعضكم فتنة لبعض لنعلم ايكم احسن صبرا فكان خلاصة المعنى فاصبروا ايها المكلفون على ايذآء بعضكم بعضا فصبروا فانزل الله تعالى فيهم انى جزيتهم اليوم بما صبروا ﴿قوله تعالى وكان ربك بصيرا﴾ اى عالما بمن يصبر و بمن يجزع فهو تبشير و انذار للفريقين وقيل عالما بالصواب فيما يبتلى به الخلق و غيره فلا يضيقن صدرك يامحمد ﴿قوله ومنه الرؤية﴾ اى ومن وجوه الوصول الى الشئ و طرقه رؤيته فان معنى اللقاء جنس تحته انواع احد انواعه الرؤية و نوعه الآخر الاتصال و المماسة و اللقاء بهذا المعنى يمتنع ان يتعلق بذاته تعالى فتعين ان يكون المراد الوصول الى جزآئه و رؤية ذاته على تقدير ان يفسر قوله لا يرجون لقاءنا لا يأملون لقاءنا بالخير و هذه الآية اشارة الى شبهة رابعة لمنكرى نبوته و هى قولهم لو كان نبيا لأنزل الله ملائكة يشهدون انه صادق فى دعوى النبوة او نرى ربنا حتى يخبرنا بانه ارسله الينا لان هذا الطريق احسن و اقوى فى الافضاء الى الايمان و تصديقه و لما لم يفعل ذلك علمنا انه تعالى ما اراد تصديقه ﴿قوله ابأنا نابها كليبا﴾ اى قتلنا بمقابلة نابها كليبا و هو رئيس تغلب بن وآئل يقال ابأت فلانا بفلان اذا قتلته به و جعلته كفؤا له و الناب المسنة من النوق و جساس رئيس بكر بن وآئل و جارته امرأة اسمها بسوس يقال انها خالة جساس رأى كليب بن وآئل يوما ناقة تلك المرأة فى حماه و قد كسرت بيض طير كان قد اجاره فرمى ضرعها بسهم فقتلها فشكت بسوس الى جساس فقال جساس لجارته لتقتلن غدا فحلا هو اعظم من ناقتك فبلغ ذلك كليبا فظن انه فحله الذى يسمى عليان فقال كليب دون عليان

(وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق) اى الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وقرئ يمشون اى يمشيهم حوائجهم او الناس (وجعلنا بعضكم) ايها الناس (لبعض فتنة) ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقرآء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ماقالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر (أتصبرون) علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ماافتتنوا به (وكان ربك بصيرا) بمن يصبر اوبالصواب فيما يبتلى به وغيره (وقال الذين لا يرجون) لا يأملون (لقاءنا) بالخير لكفرهم بالبعث او لا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئى والمراد به الوصول الى جزآئه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول (لولا) هلا (انزل علينا الملائكة) فيخبرونا بصدق محمد وقيل فيكونون رسلا الينا (او نرى ربنا) فيأمرنا بتصديقه واتباعه (لقد استكبروا فى انفسهم) اى فى شأنها حتى ارادوا لها مايتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله فى اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم (عتوا كبيرا) بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ماسدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفى الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله ٭ وجارة جساس ابأنا بنابها ٭ كليبا علت ناب كليب بوآؤها ٭

(عرط)

خرط القتاد وكان جساس اراد بالفحل نفس كليب فقتل جساس كليبا بدل تلك الناقة فهاجت بذلك حرب بكر وتغلب بن وآئل اربعين سنة حتى ضرب بها المثل فى الشؤم * وقيل اشأم من بسوس * وسميت تلك الحرب حرب البسوس وضرب المثل فى عزة الشئ وقيل * اعز من حمى كليب * والبو آلكفؤ واستأنف بقوله فقلت نأب كليب بواؤها لقصد التعجب والمعنى ما اقل نأبا بواؤها كليب وكذا معنى الآية ما اشد استكبارهم وما اكثر عتوهم ثم انه تعالى اجاب عن قولهم لولا انزل علينا الملائكة بقوله يوم يرون الملائكة فبين ان الذى طلبوه سيوجد ولكنهم يلقون منه مايكرهون ﴿ قوله ويوم نصب باذكر ﴾ فيكون لابشرى استئنافا او معمولا لقول مضمر اى اذكر يوم يرون الملائكة يقولون لابشرى وجملة القول حال من الملائكة ﴿ قوله او بمادل عليه لابشرى ﴾ ولا يجوز ان يعمل فيه نفس البشرى لوجهين احدهما انه مصدر والمصدر لايعمل فيما قبله والثانى انها منفية بلا ومابعد لا لايعمل فيما قبلها ويومئذ تكرير ليوم يرون اما على انه تأكيد لفظى له واما على انه بدل منه ويحتمل ان يكون يومئذ خبر لابشرى والعامل فيه محذوف ويكون للمجرمين بيانا لقوله لابشرى لما فيه من الابهام او خبرا ثانيا له ﴿ قوله او ظرف ﴾ عطف على قوله تكرير اى ويحتمل ان يكون يومئذ ظرفا لماتعلق به اللام او لبشرى اذا جعلتها غير مبنية فان المبنية لاتعمل ﴿ قوله وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم ﴾ اى حكم الذين لايرجون لقاءنا من طريق البرهان بان يقال ان الذين لايرجون لقاءنا مجرمون والمجرمون لابشرى لهم فالذين لايرجون لقاءنا لابشرى لهم ﴿ قوله ولا يلزم من نفى البشرى لعامة المجرمين حينئذ ﴾ اى حين يرون الملائكة عند الموت او يوم القيامة نفى البشرى بالعفو والشفاعة جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على القطع بوعيد الفساق وعدم العفو والشفاعة وذلك ان قوله لابشرى يومئذ للمجرمين نكرة فى سياق النفى فتعم جميع انواع البشرى فى جميع الاوقات وشفاعة الرسول لهم من اعظم البشرى فوجب ان لايثبت ذلك لأحد من المجرمين ﴿ قوله عطف على المدلول ﴾ اى على الفعل الذى يدل عليه لابشرى وهو يمنعون البشرى بالجنة او يعدمونها وقولهم حجرا محجورا كلمة تقال عند لقاء عدو أو هجوم مكروه ونحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة وحجرا من المصادر التى التزم اضمار ناصبها ولا تصرف فيه نحو معاذ الله وقعدك الله وعمرك اى اعوذ بالله معاذا يقال عذت بفلان واستعذت به اى لجأت اليه وهو عياذى اى ملجئ وقعدك الله وعمرك الله اى عمرك الله تعميرا وقعدك الله تقعيدا حذف زوآئد المصدر واقيم مقام الفعل مضافا الى المفعول وحجرا مصدر حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه ولا يلحقه به والمعنى نسأل الله ان يمنعه منعا ويحجره حجرا والعامة على كسر الحاء وقرئ بضمها وهى لغة فيه وحكى ابو البقاء فيه لغة ثالثة وهى فتح الحاء وقد قرئ به ﴿ قوله واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص ﴾ وهو موضع الانتصاب على المصدرية لفعل مضمر أمن فيه من الالتباس وقوله غير جواب لما اختص ومحجورا صفة مؤكدة لمعنى كقولهم ليل لائل وموت مائت ﴿ قوله وعمدنا الى ماعملوا ﴾ لما لم يجز اسناد حقيقة القدوم اليه تعالى لكون القدوم عبارة عن مجئ المسافر بعد مدة وذلك يكون بالحركة التى هى من خواص الاجسام ومقتضية لحدوث الموصوف بها ولذلك استدل الخليل بافول الكواكب على حدوثها وقد ثبت انه تعالى منزه عن الجسمية والحدوث ولذلك اوّل قوله تعالى وقدمنا بقوله وعمدنا فان القصد هو المؤثر فى القدوم فاطلق اسم المسبب على السبب فيكون المجاز فى المفرد وليت شعرى كيف احتيج الى اعتباره مع جعله من تشبيه الهيئة بالهيئة كما صرح به حيث قال وهو تشبيه حالهم بحال قوم وفى مثله تكون المفردات مستعملة فى معانيها الاصلية وانما التصرف فى المعنى التركيبى والظاهر انه ليس مراد المصنف بقوله اى وعمدنا جعل القدوم مجازا عن العمد بل يريد به ان يعبر عن الهيئة المشبهة التى جعل نظم الآية مجازا عنها ﴿ قوله او مفعول ثالث ﴾ عطف على قوله صفته واراد أن منثورا لما كان بمنزلة خبر ثان كان الخبر مع المفعول الاوّل الذى هو فى الاصل مبتدأ بمنزلة ثلاثة مفاعيل والا فجعل سوآء كان بمعنى خلق او صير لايتعدى الى ثلاثة مفاعيل ثم انه تعالى لمابين حال الكفار فى الخسار الكلى والخيبة التامة شرع وصف اهل الجنة تنبيها على ان الخلل كل الخلل فى طاعة الله فقال مستقر اهل الجنة خير من مستقر اهل النار وكذا مقيلهم خير من مقيلهم * فان قيل كيف يكون مستقر اهل الجنة خيرا من مستقر اهل النار مع انه لاخير فى النار اذ لايقال العسل احلى من الخل * فالجواب انه من قبيل التقريع والتهكم كما فى قوله أذلك خير ام جنة الخلد ولما دلت الآية على ان مستقر اهل الجنة غير مقيلهم فسر المستقر بالمكان الذى يستقر فيه فى اكثر الاوقات

(يوم يرون الملائكة) ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بمادل عليه (لابشرى يومئذ للمجرمين) فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لماتعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لاتعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفى البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفى البشرى بالعفو والشفاعة فى وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها (ويقولون حجرا محجورا) عطف على المدلول اى ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهى مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لاتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت (وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) اى وعمدنا الى ماعملوا فى كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فأحبطناه لفقد ماهو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثر والهباء غبار يرى فى شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهى الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط فى حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه فى انتشاره بحيث لايمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التى كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين (اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) مكانا يستقر فيه فى اكثر الاوقات للتجالس والتحادث (واحسن مقيلا) مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه

اولانه لايخلو من ذلك غالبا الا نوم
فى الجنة (وفى احسن رمز الى مايتزين به
مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين
ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان
اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل
من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة
الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين
فى الدنيا روى انه يفرغ من الحساب فى نصف
ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة فى الجنة واهل
النار فى النار (ويوم تشقق السماء) اصله
تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع
وابن عامر ويعقوب (بالغمام) بسبب طلوع
الغمام منها وهو الغمام المذكور فى قوله
هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل
من الغمام والملائكة (ونزل الملائكة
تنزيلا) فى ذلك الغمام بصحائف اعمال
العباد وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة وقرئ
ونزلت وانزل ونزل ونزل ونزل الملائكة
بحذف نون الكلمة (الملك يومئذ الحق
للرحمن) الثابت له لان كل ملك يبطل
يومئذ ولايبقى الاملكه فهو الخبر وللرحمن
صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق
لانه متأخر او صفة والخبر يومئذ او للرحمن
(وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا
(ويوم يعض الظالم على يديه) من فرط
الحسرة وعض اليدين واكل البنان
وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ
والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم
الجنس وقيل عقبة بن ابى معيط كان يكثر
مجالسة النبى عليه الصلاة والسلام فدعاه
الى ضيافته فابى ان يأكل طعامه حتى
ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابى بن خلف
صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن
ابى ان يأكل من طعامى وهو فى بيتى
فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى
منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق فى وجهه
فوجده ساجدا فى دار الندوة ففعل
ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا ألقاك
خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف
فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن ابيا
بأحد فى المبارزة فرجع الى مكة ومات

والقيل بالمكان الذى يؤوى اليه للتمتع بالازواج ﴿قوله الا نوم فى الجنة﴾ لان اهلها ابدا فى نعيم يعرفونه
كان اهل النار ابدا فى عذاب يعرفونه فلا نوم لواحد منهما ﴿قوله وفى احسن رمز الى مايتزين به مقيلهم من
حسن الصور﴾ اى حسن صور ازواجهم من الحور العين والتحاسين جمع تحسين مصدر حسن سمى به
مايحسن به الشئ من الزخارف كالتصانيف والتضاعيف سمى به تصاريف الزمان واثناء الشئ ﴿قوله
تعالى ويوم تشقق﴾ العامل فى يوم اما اذكر او الفعل المقدر المدلول عليه بقوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن
تقديره تفرد الله بالملك يوم تشقق قرأ الكوفيون وابو عمرو تشقق بتخفيف الشين والباقون بتشديدها واصل
القرآتين تتشقق حذف الاولون احدى التائين للتخفيف والباقون ادغموا تاء التفعل فى الشين لاتحادهما فى المقاربة
وهذه الآية مرتبطة ايضا بما اقترحوه من انزال الملائكة فبين الله تعالى ان ذلك يحصل فى يوم له صفات منها
ان السماء تتشقق فى ذلك اليوم ومنها ماذكره بقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه ﴿قوله بسبب طلوع
الغمام منها﴾ يعنى ان الباء فى قوله بالغمام سببية فان طلوع الغمام منها سبب لانشقاقها كما تقول تشققت الارض
بالنبات لكون طلوع النبات منها سببا لتشققها وليس طلوع الغمام والنبات آلة للانشقاق لان آلة الفعل يتقدم
وجودها على وجود الفعل وليس الطلوع متقدما على الانشقاق فى الوجود حتى يكون آلة له الا انه شبه
بالآلة فى كونه سببا للفعل والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفى الغمام الملائكة عليهم الصلاة والسلام
ينزلون وفى ايديهم صحائف اعمال العباد وقيل الباء فيه للحال اى ملتبسة بالغمام او عليها غمام كما يقال ركب
الامير بسلاحه وخرج بثيابه اى وعليه سلاحه وثيابه وقيل الباء هنا بمعنى عن اى عن الغمام ومعنى انشقت
الارض عن النبات ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه وكذا فى قوله تعالى يوم تشقق الارض عنهم سراعا
فتشقق السماء عن الغمام بان تزول السماء فيبقى الغمام فوق رؤس الخلائق يظلهم قال الامام النسفى الغمام فوق
السموات السبع وهو سحاب ابيض غلظه كغلظ السموات السبع ويمسكه الله تعالى اليوم بقدرته وهو اثقل
من السموات فاذا اراد الله ان يشق السموات ألقى ثقله عليها فانشقت فذلك قوله تعالى تشقق السماء بالغمام اى
بثقل الغمام فيظهر الى هنا كلامه فعلى هذا يحتمل ان يكون قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من
الغمام والملائكة معناه ان يأتيهم بظلل من الغمام فان الباء وفى يتعاقبان كثيرا وروى فى الخبر انه تشقق سماء
الدنيا فتنزل ملائكة سماء الدنيا بمثل من فى الارض من الجن والانس فيقولون لهم الخلق أفيكم ربنا يعنون هل جاء
امر ربنا بالحساب فيقولون لا وسوف يأتى ثم ملائكة السماء الثانية بمثل من فى الارض من الملائكة والانس
والجن ثم تنزل ملائكة كل سماء على هذا التضعيف حتى تنزل ملائكة سبع سموات ثم ينزل الامر بالحساب فذلك
قوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا الا انه قد ثبت ان الارض بالقياس الى سماء الدنيا كحلقة
فى فلاة فكيف بالقياس الى الكرسى والعرش وكيف تسع الارض كل هؤلاء الملائكة والعلم عند الله تعالى
﴿قوله وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة﴾ اى بنونين ثانيتهما ساكنة مضارع انزل من الانزال ونصب
الملائكة على انه مفعول به فكان من حق المصدر فى هذه القرآءة ان يجئ على الانزال الا انه لما كان انزل ونزل
بمعنى واحد اقيم مصدر احدهما مقام مصدر الآخر مثل قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا وقرأ الباقون من السبعة
ونزل بضم النون وكسر الزاى المشددة وفتح اللام ماضيا مبنيا للمفعول ورفع الملائكة لقيامه مقام الفاعل وقرئ
ونزلت بالتشديد مبنيا للمفعول وقرئ وانزل ونزل كل واحد منهما على الفاعل وهو الله تعالى فعدى الفعل تارة
بالهمزة وتارة بالتضعيف وقرئ انزل على بناء المفعول ايضا وقرئ ونزل بالفتحات الثلاث مخففا مبنيا للفاعل
وهو الملائكة وقرئ ونزل الملائكة بضم النون وتشديد الزاى ونصب الملائكة والاصل ننزل بنونين حذفت احداهما
﴿قوله فهو الخبر﴾ يعنى ان الملك مبتدأ ويومئذ ظرف معمول له والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق والمعنى
الملك يوم تشقق السماء هو الملك الثابت للرحمن او متعلق بمحذوف على التبيين فيتم الكلام عند قوله الحق ﴿قوله
او صفة﴾ عطف على الخبر فى قوله فهو الخبر ويحتمل ان يكون الحق صفة المبتدأ وللرحمن خبره ويومئذ من صلة المبتدأ
او من صلة الخبر ولا يجوز ان يكون من صلة الحق لان ما كان فى حيز المصدر لا يتقدم عليه ويحتمل ان يكون الخبر يومئذ والحق
نعت للملك وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين كما مر وعض اليد كناية عن الغيظ وقيل المراد به حقيقة العض
والاكل بمعنى قوله يعض الظالم انه يأكل يديه الى المرفقين ثم تنبتان فلا يزال هكذا كلما نبتت يداه اكلهما ندامة على

ما فعل وقوله تعالى ويوم يعض الظالم على يديه منصوب به ثم ان كان تعريف الظالم للعهد وكان المعهود عقبة بن ابى معيط يكون قوله فلانا كناية عن شخص معين وهو ابى بن خلف وكان يتمنى عقبة يوم القيامة ان لا يتخذ ابيا خليلا فى الدنيا وان كان التعريف فيه للجنس او الاستغراق يكون كناية عن كل من اطاع فى معصية الله تعالى روى الضحاك انه قال لما بزق عقبة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه فى وجهه فاحترق خده فكان اثره فيه حتى الموت ﴿ قوله يقول يا ليتنى ﴾ هذه الجملة حال من فاعل يعض ﴿ قوله طريقا الى النجاة او طريقا واحدا ﴾ يعنى ان التنكير فى قوله سبيلا اما للنوعية او للافراد وهو سبيل الحق ﴿ قوله ولم يتشعب بى ﴾ اى لم يفرق بى يقال شعبت الشئ اذا فرقته ويقال التأم شعب بنى فلان اذا اجتمعوا بعد التفرق والباء فى قوله بى للتعدية ومعنى تفريق طرق الضلال اياه انه لما كان تارة فى هذا الطريق من طرق الضلالة وتارة فى ذلك كان طرق الضلال كانها فرقته ﴿ قوله وقرئ بالياء على الاصل ﴾ فان اصل هذه اللفظة كسر التاء التى بعدها ياء مصير تخفة ابدلت الكسرة فتحة والياء الفا فرارا من اجتماع الكسرة مع الياء ﴿ قوله كما ان هنا كناية عن الاجناس ﴾ يعنى ان كل واحد من لفظى فلان وهن اسم وضع لان يعبر به عن شئ الا ان لفظ فلان يكنى به عن اسم علم شخص من العقلاء ولفظ هن يكنى به عن المسمى الذى يستهجن ذكره بالاسم الموضوع له قصد يقال كانت بينهم هنات ومن المعلوم انه ليس المراد بالهنات الالفاظ وانما يكنى بها عن اشياء قبيحة ولذلك يكنى به عن نفس الفرج لا عن لفظ الفرج ﴿ قوله يعنى الخليل المضل ﴾ يعنى ان خليله يسمى شيطانا لان فعله فعل الشيطان وهو الاضلال وكلام الظالم تم عند قوله بعد اذ جاءنى ثم قال الله وكان الشيطان للانسان خذولا حيث تبرأ فى الآخرة من نصرة من اضله فى الدنيا ويجوز ان يكون هذا الكلام من قول الظالم كالكلام الذى قبله يقوله حين يخذله الشيطان او خليله ولم ينفعه فى الآخرة ثم اخبر الله عن شكوى رسوله قومه اليه بقوله وقال الرسول يا رب وهذه الشكوى وقعت منه عليه الصلاة والسلام فى الدنيا حين اكثروا من الاعتراضات الفاسدة ووجوه التعنت وقيل انه عليه الصلاة والسلام يقوله فى الآخرة شهادة على من كذبه وعصاه وليس المقصود من حكاية هذا القول تخاطب وهو الرسول الاخبار والاعلام لان كل واحد من فائدة الخبر ولازمها معلوم له عليه الصلاة والسلام بل المقصود منها تعظيم شكايته وتخويف لقومه لان الانبياء اذا التجأوا الى الله تعالى وشكوا قومهم حل بهم العذاب ولم يمهلوا ﴿ قوله او هجروا فيه ﴾ اى ويحتمل ان لا يكون قوله مهجورا من الهجر الذى هو ضد الوصل بل يكون من الهجر بالضم بمعنى الهذيان فانه كما يقال هجره هجرا وهجرانا اذا تركه وصد عنه يقال ايضا هجر المريض هجرا اذا هذى فى منطقه ثم انه على تقدير كونه من الهجر بهذا المعنى يحتمل معنيين الاول انهم هجروا ولغوا فيه اذا سمعوه بان يخلطوا هجرهم به ليبقى غير مفهوم على السامعين والثانى انهم زعموا انه هذيان وهجر واساطير الاولين وهذا كما لو نقل اليك كلام فقلت هجر فيه اى هذى قائله فى هذه المقالة وعلى كل واحد من المعنيين يكون اصله مهجورا فيه لان هجر بمعنى هذى لازم لا يجئ منه اسم المفعول ما لم يعد بحرف الجر لان الهجر بمعنى الاهجار هو التكلم بالهجر وهو كلام فاسد لا طائل فيه ولا معنى له فظاهر انه لا يستدعى المفعول ويجوز ان لا يكون المهجور اسم مفعول بل يكون مصدرا بمعنى الهجر اطلق على القرآن على طريق التسمية بالمصدر كالمجلود والمعقول والمردود بمعنى الجلد والعقل والرد والمعنى على هذا جعلوا قراءة القرآن والتكلم به هجرا ثم انه عليه الصلاة والسلام لما شكا اليه تعالى قومه قال الله تعالى تسلية له وكذلك جعلنا اى وكما جعلنا قومك يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبى عدوا وهذا صريح فى ان تلك العداوة كانت بجعل الله وتلك العداوة كفر فثبت به انه تعالى خالق الخير والشر جميعا وليس لعبد حصة من الخلق اصلا ثم انه تعالى حكى عن منكرى النبوة شبهة اخرى وهو قول اهل مكة زعم انك رسول من عند الله هلا تأتينا بالقرآن جملة واحدة كما اتى كل واحد من موسى وعيسى وداود عليهم الصلاة والسلام وقوله جملة حال من القرآن الذى فى معنى مجتمعا ﴿ قوله اى كذلك انزلناه مفرقا ﴾ يريد ان الكاف منصوبة المحل على الحال من مفعول فعل مقدر او على الوصفية لمصدر فعل محذوف ويحتمل ان تكون مرفوعة المحل على الابتداء اى الامر كذلك ويكون قوله لنثبت علة لمحذوف اى لنثبت فعلنا ذلك وهو جواب من شبهتهم ﴿ قوله ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ﴾ فانه لو نزل جملة واحدة ولم يتقدم بعض الآى على بعض فى النزول لم يعلم ايها ناسخ وايها منسوخة واما اذا نزلت منجمة فحينئذ يعلم ان ما تأخر نزوله ناسخ للمتقدم ولانه اذا نزل مفرقا بحسب اسئلتهم والوقائع

وقرئ بالياء على الاصل (ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا) يعنى من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس (لقد اضلنى عن الذكر) عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة (بعد اذ جاءنى) وتمكنت منه (وكان الشيطان) يعنى الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن او انس (للانسان خذولا) يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعولا من الخذلان (وقال الرسول) محمد يومئذ او فى الدنيا بثا الى الله (يا رب ان قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) بان تركوه وصدوا عنه وعنه صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا به ويقول يا رب عبدك هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه او هجروا فيه ولغوا فيه اذا سمعوه او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم حل بهم العذاب (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين) كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع (وكفى بربك هاديا) الى طريق قهرهم (ونصيرا) لك عليهم (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن) اى انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله (جملة واحدة) دفعة واحدة كالكتب الثلاثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او متفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله (كذلك لنثبت به فؤادك) اى كذلك انزلناه مفرقا لنقوى بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله تخالف حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القى اليه جملة لتعنى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص فى المعنى ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبرائيل حالا بعد حال يثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة

الواقعة بهم حصل فائدة جليلة لاتحصل على تقدير نزوله دفعة واحدة فانه لو نزل دفعة واحدة لما حصل الا الدلالات
العقلية وفصاحة الالفاظ الدالة على المدلولات بخلاف ما اذا نزل نجوما فانه ينضم اليهما حينئذ القرآئن
الحالية ورعاية مقتضى كل واقعة وحال ولاشك ان انضمامها اليها يعين على البلاغة وبالجملة انزال القرآن مفرقا
منجما فضيلة خص بها نبينا من بين سائر النبيين فان المقصود من انزاله ان يتخلق قلبه المنير بخلق القرآن ويتقوى
بنوره ويتحلى بحقائقه وعلومه وهذه الفوائد انما تكمل بانزاله منجما حالا بعد اخرى الا ترى ان الماء لو نزل من السماء
جملة واحدة لما كانت تربية الزروع به مثلها اذا نزل مفرقا الى ان يستوى الزرع ﴿ قوله ويحتمل ان يكون
من تمام كلام الكفرة ﴾ كأنهم قالوا لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة كنزول الكتب الثلاثة فيكون قوله لنثبت
متعلقا بمحذوف تقديره انزلناه مفرقا لنثبت كما يتعلق به على تقدير ان يكون من كلام الله تعالى وقوله ورتلناه ترتيلا
معطوف على ذلك المحذوف الذى تعلقت اللام به والترتيل التفريق ومجيء الكلمة بعد الاخرى بسكوت يسير
دون قطع النفس قال ابن عباس ورتلناه ترتيلا اى بيناه بيانا وقال السدى فصلناه تفصيلا وقال ابن الاعرابى
ما اعرف الترتيل الا التحقيق والتبيين وقيل امرناه بالترتيل فى قرآءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا اى
اقرأه بترتيل وتثبت قيل معنى الترتيل حفظ الوقوف وأداء الحروف ومنه حديث عائشة فى صفة قرآءة النبى
صلى الله عليه وسلم لو اراد السامع ان يعد حروفه لعدها وحصول ما ذكره المصنف انزلناه بعضه بعد بعض وعلى
اثر بعض بزمان يسير بينهما ولم ننزله مرة واحدة وهو معنى قوله ونزلناه تنزيلا ثم انه تعالى لما فتح هذه السورة
الكريمة بما يتضمن اثبات التوحيد والنبوة ثم اورد اباطيل المخالفين فيهما وردهم فى كل واحدة من تلك
الشبهات الباطلة والسؤالات الفاسدة ختم الكلام بقوله ولا يأتونك بمثل اى لا يأتونك بشبهة وسؤال من
جنس الشبهات المذكورة الواضحة البطلان كأنها مثل يمثل بها الا جئناك بالحق الذى يدمغ ما جاؤا به من المثل
ويبطله كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق سمى ما يوردونه من الشبه مثلا
وما يدفع به الشبهة حقا وقوله الا جئناك بالحق استثناء مفرغ والجملة فى محل النصب على الحال اى لا يأتونك بمثل
فى حال من الاحوال الا فى حال اتياننا اياك بالحق وبما هو احسن بيانا لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة
﴿ قوله او معنى ﴾ على ان يكون التفسير وهو اظهار المعنى وبيانه مجازا مرسلا من نفس المعنى المبين اطلق اسم
التفسير والبيان على المعنى لما بينهما من العلاقة فان كل واحدة من الشبهات التى اوردوها قدحا فى نبوته لامعنى لها
ولا نفع فيها لهم بصدده وما جاء الله به فى دفعه وجوابه احسن بيانا لما هو الحق والصواب ومقتضى الحكمة اى
احسن معنى واصح جوابا وردا من سؤالهم الذى لا نفع لهم فيه وحاصل الجواب على هذا الوجه انهم كلما سألوا
سؤالا عجيبا اجبنا عنه بجواب هو احسن من سؤالهم مثلا انهم سألوا عن انزاله جملة واحدة لم لم يكن فاجبنا
بانا انزلناه مفرقا لنثبت به فؤادك وهو احسن معنى ومؤدى لما فيه من بيان الحكمة ولا نفع لهم من سؤالهم اصلا
والمعنى على الوجه الثانى كلما يأتونك بصفة عجيبة قائلين لم لم تكن على هذه الصفة مع انها هى المناسبة للنبوة
واظهر فى الدلالة على انك نبى جعلناك على صفة هى اشد مناسبة للنبوة ودلالة على انك نبى حق * فان قيل قد ذكر
اولا ان السؤال مثل فى البطلان فكيف يصح مع هذا ان يقال الجواب احسن منه فان الحسن ليس مشتركا بينهما
فالجواب من وجهين الاول لما كان السؤال حسنا بزعمهم قيل الجواب احسن من السؤال والثانى ان مثل قولهم
الصيف احر من الشتاء يريدون به ان حر الصيف اشد من برد الشتاء فعلى هذا معنى الآية ان الجواب فى باب الحق
والحسن اقوى وادخل من سؤالهم فى باب القبح والبطلان ﴿ قوله اى مقلوبين او مسحوبين اليها ﴾ الفرق
بين الوجهين ان معنى الآية على الاول ان الذين يمشون الى جهنم حال كونهم مقلوبين وجوههم الى القفا وارجلهم
الى فوق وقد روى ذلك عنه عليه افضل الصلاة والسلام فانه قد ورد فى الاخبار ان رجلا قال يا نبى الله كيف
يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذى امشاه على رجليه قادر ان يمشيه على وجهه وعلى الثانى ان
الذين يحشرون اليها حال كونهم مسحوبين اى مجرورين على وجوههم وما ذكر من الحديث يؤيد هذا الوجه وذكر
فى اعراب الذين ثلاثة اوجه على ان يكون منصوبا على الذم بتقدير اعنى ومرفوعا على الذم اى على انه خبر مبتدأ
محذوف اى هم الذين وان يكون مبتدأ وخبره اولئك شر مكانا اى منزلا ومصيرا وأضل سبيلا اى اخطأ دينا
وطريقا ﴿ قوله والمفضل عليه هو الرسول ﴾ اشارة الى ان الآية متصلة بقولهم ولا يأتونك بمثل فان مقصودهم

وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى
انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا انزل
عليه القرآن جملة ويحتمل ان يكون من تمام
كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا
والاشارة الى الكتب السابقة واللام على
الوجهين متعلق بمحذوف (ورتلناه ترتيلا)
وقرأناه عليك شيأ بعد شىء على تؤدة وتمهل
فى عشرين سنة او ثلاث وعشرين سنة واصله
الترتيل فى الاسنان وهو تفليجها (ولا يأتونك
بمثل) سؤال عجيب كأنه مثل فى البطلان
يريدون به القدح فى نبوتك (الا جئناك
بالحق) الدامغ له فى جوابه (واحسن تفسيرا)
وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او
ولا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه
حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك
فى حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له
(الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم)
اى مقلوبين او مسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم
بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه
السلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة
اصناف صنف على الدواب وصنف على
الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم
منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره (اولئك
شر مكانا واضل سبيلا) والمفضل عليه هو
الرسول عليه السلام على طريقة قوله قل هل
أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله
وغضب عليه كأنه قيل ان حاملهم على هذه
الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون
حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا

وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا) يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولاينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران عليه (فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا) يعني فرعون وقومه (بآياتنا فدمرناهم تدميرا) اى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ ودمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة (اغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغراقهم او قصتهم (للناس آية) عبرة (واعتدنا للظالمين عذابا اليما) يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم (وعادا وثمودا) عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تأويل القبيلة (واصحاب الرس) قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت فخسفت بهم وبديارهم وقيل الرس قرية عظيمة بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة ابن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اى دسوه في بئر (وقرونا) واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون (بين ذلك) اشارة الى ما ذكر (كثيرا) لايعلمها الا الله (وكلا ضربنا له الامثال) بيناله القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال (وكلا تبرنا تتبيرا) فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ من الضمير (ولقد أتوا) يعني قريشا مروا مرارا في متاجرهم الى الشام (على القرية التي امطرت مطر السوء) يعني سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة

من اتيان ما هو كالمثل في البطلان تحقير منزلته ومكانه وقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل فاسلوب الآيتين واحد ﴿ قوله وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير ﴾ من حيث ان ذلك في بيان اهل الجنة وحسن حالهم وهذا في صفة اهل النار وسوء مصيرهم ولم يرض به لان قسيم اهل الجنة قد ذكر قبل ذلك ثم انه لما ذكر قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اتبعه بذكر جماعة من الانبياء وعرّفه ما نزل بمن كذبهم من اممهم تسلية له عليه الصلاة والسلام وايعادا لقومه كأنه قيل لست اول نبي كذب بل كذب قبلك انبياء مؤيدين بالآيات ثم دمرنا مكذبيهم فقال ولقد آتينا موسى الكتاب قال الزجاج الوزير في اللغة هو الذي يرجع اليه ويعمل برأيه ويتحصن به والوزر ما يتحصن به ومنه كلا لا وزر اى لا منجى ولا ملجأ قيل ولذلك لا يوصف تعالى بان له وزيرا ولا بأنه وزير لان الالتجاء اليه في المشاورة والرأي على هذا الحد لا يتصور ومما ورد ان يقال كون هرون وزيرا كالمنافي لكونه شريكا له في النبوة لانه اذا صار شريكا له خرج عن كونه وزيرا فاجاب عنه بقوله ولاينافي ذلك مشاركته ﴿ قوله والتعقيب ﴾ جواب عما يقال الفاء في قوله تعالى فدمرناهم للتعقيب والاهلاك لم يحصل عقيب ذهاب موسى وهرون بل بعد مدة مديدة والجواب ان فاء التعقيب محمولة ههنا على الحكم بالاهلاك على الوقوع ﴿ قوله وقرئ ودمرتهم ﴾ يعني ان العامة قرأوا فدمرناهم فعلا ماضيا على بناء المتكلم المعظم نفسه معطوفا على محذوف اى فذهبا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اى اهلكناهم اهلاكا وقرئ فدمراهم امرا لموسى وهرون وقرئ ايضا فدمرانهم كذلك ولكنه مؤكد بالنون الثقيلة وقرئ ايضا فدمرا بهم بزيادة الباء الجارة بعد فعل الامر وهي تشبه القراءة التي قبلها في الخط ﴿ قوله تعالى وقوم نوح ﴾ يجوز ان يكون منصوبا عطفا على مفعول دمرناهم وان يكون منصوبا بفعل مضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم ويترجح هذا بتقدم جملة فعلية قبله ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مقدر لا على سبيل الاشتغال اى اذكر قوم نوح ﴿ قوله ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل ﴾ لان تكذيب الواحد منهم لا يمكن الا بالقدح في المعجز وذلك يقتضي تكذيب الكل ولانهم متفقون في اصول الدين فمن كذب واحدا منهم في شئ من ذلك فقد كذب الكل فيه ﴿ قوله كالبراهمة ﴾ فانهم قوم من الهند منسوبون الى واحد منهم اسمه برهام منكرون لكل الرسل وبعثتهم ﴿ قوله عطف على هم ﴾ لم يتعرض لكونه معطوفا على قوم نوح لظهوره ومن صرف ثمود أوّله بالحي دون القبيلة ومن جعله غير منصرف اوّله بالقبيلة ﴿ قوله مروا مرارا ﴾ تكرار المرور لا يفهم من هذه الآية ولعله اخذ من قوله تعالى في سورة الصافات وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون وفسر الاتيان بالمرور للاشارة الى وجه تعديته اتوا بكلمة على فانه يتعدى بنفسه وبكلمة الى الا انه عدي بعلى لتضمنه معنى مروا وقوله مطر السوء يحتمل ان يكون مصدرا على حذف الزوائد اى امطار السوء وان يكون نعت مصدر محذوف اى امطارا مثل مطر السوء واضيف المطر الى صفته لتدل على اختصاصه بها وان ليس له صفة غيرها ﴿ قوله يعني سدوم ﴾ من الليث انه بالدال المهملة وقيل انه بالذال المعجمة قيل ان ابدا عين القرية وكانت قرى قوم لوط خمسا اهلك الله منها اربعا باهلها وبقيت واحدة اهلك الله اهلها وهي سدوم قال الله تعالى في حقها التي امطرت مطر السوء قيل كان كل حجر منها قدر انسان وقيل ذلك كان في ريح حاصب وهذا العذاب انما نزل بهم عقوبة على عصيان نبيهم لوط وتكذيبهم اياه فكان ينبغي لكفار قريش ان يتعظوا لما رأوا ما حل بهؤلاء فيمتنعوا من مخالفة رسول الله ويلتزموا طاعته فلذلك وبخ الله تعالى عليهم بقوله افلم يكونوا يرونها ثم انتقل منه الى التوبيخ بوجه آخر وهو انهم كفرة لا يرجون البعث بعد الموت وهو عاقبة الموت ولما كان حقيقة الرجاء انتظار الخير وظن حصول ما فيه مسرة وليس النشور خيرا مؤديا الى المسرة في حق الكافر فلا يتصور نسبة رجاء النشور الى الكافر حتى يصح ايقاعها او انتزاعها احتيج الى توجيه قوله لا يرجون نشورا فذكر فيه ثلاثة اوجه الاول ان الرجاء مجاز عن التوقع والتوقع يستعمل في الخير والشر جميعا فامكن ان تتصور النسبة بين الكافر وتوقع النشور فحكم بوقوعها فوضع الرجاء موضع التوقع ونفى عن الكافر لانه انما يتوقع الحياة بعد الموت من يؤمن بالله ورسوله فكأنه قيل بل كانوا لا يتوقعون نشورا فلذلك لم يتعظوا بمن نزل بهم ومروا بقريتهم كاصرارهم وجحالهم والثاني ان يكون الرجاء على حقيقته بان يكون المراد بالنشور نشورا فيه خير وسرور كنشور المسلمين فانه يتصور النسبة بين الكافر وبين مثل هذا النشور فيتصور نفيها فنفيت بان قيل انهم لا يأملون نشورا كما يأمله المسلمون طمعا في الثواب

(أفلم يكونوا يرونها) في مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله (بل كانوا لا يرجون نشورا) بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمرّوا بها كما مرّت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا في الثواب او لا يخافونه على اللغة التهامية (واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا) ما يتخذونك الا موضع هزؤ او مهزوا به (أهذا الذي بعث الله رسولا) محكي بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا الذي زعم انه بعثه الله رسولا (ان كاد) انه كاد (ليضلنا عن آلهتنا) ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات (لولا ان صبرنا عليها) ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا) كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم (أرأيت من اتخذ الهه هواه) بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وانما قدّم المفعول الثاني للعناية به (أفأنت تكون عليه وكيلا) حفيظا تمنعه من الشرك والمعاصي وحاله هذا فالاستفهام الاوّل للتقرير والتعجيب والثاني للانكار (ام تحسب) بل أتحسب (ان اكثرهم يسمعون او يعقلون) فيجدي لهم الآيات او الحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا او خوفا على الرياسة (ان هم الا كالانعام) في عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات (بل هم اضل سبيلا) من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدي الى هيج الفتن وصدّ الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم

فان من لم يؤمن ولم يعمل عمل المؤمنين كيف يأمل مثل املهم والثالث ان الرجاء بمعنى الخوف على لغة تهامة وبتصوّر نسبته الى الكافر وتقيها ﴿**قوله** الا موضع هزؤ﴾ على ان يكون هزؤا مصدرا على تقدير المضاف وان كان فعلا بمعنى مفعول فالتقدير مهزوا به وكلمة ان في قوله ان يتخذونك نافية وفي قوله ان كاد ليضلنا مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما وهزؤا مفعول ثان والجملة النفية جواب اذا الشرطية وقوله هذا الذي في محل النصب بالقول المضمر وذلك القول المضمر في محل النصب على انه حال من فاعل ان يتخذونك اي ما يتخذونك الا هزؤا قائلين ذلك والمعنى لم يقتصروا على ترك الايمان وايراد الشبهات الباطلة بل زادوا عليها الاستهزاء والاستحقار اذا رأوك فان اشارتهم اليه عليه الصلاة والسلام بلفظ هذا استحقار تنزيلا لدنوّ مكانته عليه الصلاة والسلام بزعمهم منزلة دنوّ مكانه بمقتضى جهالتهم وضلالتهم ولما ورد ان يقال مضمون الصلة يجب ان يكون معلوم الانتساب الى ذات الموصول عند المتكلم فكيف جعلوا قولهم بعث الله رسولا صلة مع انهم منكرون بعثته عليه الصلاة والسلام اجاب عنه بانه مبني على التهكم والاستهزاء ﴿**قوله** ولولا في مثله﴾ اي فيما لم يذكر جواب لولا اكتفاء بما تقدم عليها مما يدل على جوابها تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ فان لولا مع ما دخلت هي عليه قيد لجوابها لفظا ان ذكر جوابها لفظا وان لم يذكر لا تكون قيدا له من حيث اللفظ الا انه لما تقدم حكم يدل على جوابها المطلق وهو قوله ان كاد ليضلنا كانت لولا قيدا له من حيث المعنى لكونه في معنى الجزاء وحكمه ﴿**قوله** فانه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له﴾ بيان لكونه كالجواب لقولهم فان قولهم يستلزم ويقتضي كونه عليه الصلاة والسلام ضالا من حيث ان احدا لا يضل غيره الا اذا كان ضالا في نفسه والمعنى سيظهر لهم من الضال غاية الضلال فيفيد نفي ما هو لازم قولهم وفي نفي اللازم نفي الملزوم فيكون كالجواب لقولهم وقوله من اضل سبيلا جملة استفهامية متعلقة بيعلمون فهي سادّة مسدّ مفعوليه ان كان على بابه وان كان بمعنى يعرفون تكون سادّة مسدّ مفعول واحد وفيه وعيد من حيث انه يدل على انه لا محيص لهم من العذاب وان تأخر وقوله ودلالة الخ عطف تفسير وكلمة أرأيت تستعمل تارة للاعلام وتارة للسؤال وههنا استعملت للتعجب من جهل من هذا وصفه ونعته ﴿**قوله** الهه هواه﴾ مفعولا الاتخاذ من غير تقديم ولا تأخير لاستوائهما في التعريف فان مفعولي اتخذ قبل دخوله عليهما مبتدأ وخبر المبتدأ الهه والخبر هواه لان كل واحد منهما معرفة والمعرفتان اذا وقعتا مبتدأ وخبرا فالمقدم هو المبتدأ والمؤخر هو خبره فيكون الهه مفعولا اوّلا وهواه ثانيا من غير تقديم ولا تأخير الا ان المصنف جعل تقدير الكلام أرأيت من اتخذ هواه الهه وقال انما قدم المفعول الثاني للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق نظرا الى اصل المعنى فانه لا يتكرر ان المعرفتين ايهما قدم فهو المبتدأ الا ان النظر الى جانب المعنى وملاحظة اصل المقصود يقتضي ان يكون الهه خبرا في الاصل ويكون المقصود من الكلام التعجب من اتخاذ الهوى الها على التشبيه البليغ كأنه قيل لا تعجب ممن جعل هواه بمنزلة الاله في التزام طاعته وعدم مخالفته اياه ولا معنى لتشبيه الاله بالهوى ولما كان المشبه به ههنا هو الاله والمشبه هو الهوى ومن المعلوم ان حق المشبه به ان يكون متأخرا عن المشبه كان مرتبة قوله الهه التأخر عن الهوى كما في قولك زيد الاسد فلما قدم عليه صار مزالا عن موضعه الاصلي غير قارّ فيه فلهذا جعل من باب تقدم المفعول الثاني على الاوّل ﴿**قوله** والثاني للانكار﴾ اي لست موكلا على حفظه تحفظه من اتباع هواه وعبادة من يهواه من دون الله تعالى ولا تقدر عليه ولا تحسب ايضا ان اكثرهم يسمعون ما تقوله سماع تدبر ويعقلون ما تورده من الحجج والدلائل الدالة على الوحدانية ثم انه تعالى لما تعجب من جهل من اطاع هواه وجعله بمنزلة الاله ذكر انواعا من الدلائل الدالة على وجود الصانع الحكيم المتفرد بالالوهية فاوّلها الاستدلال بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغير احواله وهو قوله تعالى ألم تر الى ربك كيف مدّ الظل كلمة الى مبنية على تضمين الرؤية معنى النظر وكيف منصوبة بمدّ وهي معلقة لقوله ألم تر وهو ان كان من رؤية العين يجب ان يكون المنظور فيه مما يصح ان يتعلق به رؤية العين فكان اصل الكلام ألم تر الى صنع ربك او الى الظل كيف مده ربك وبسطه على وجه الارض حين احدثها الا انه غير النظم الى ما عليه التنزيل للاشعار بان مدلول هذا الكلام وهو كونه تعالى ماذّا للظل كالمشاهد المرئي لوضوح برهانه الذي هو دلالة حدوث الظل وتصرفه على الوجه النافع الدال على كونه فعل الصانع الحكيم المتفرد بالالوهية ثم اشار الى احتمال ان يكون قوله ألم تر من رؤية القلب بمعنى ألم تعلم الا انه عدّي بالى لتضمنه معنى الانتهاء فقال او ألم ينته علمك

(فيكون)

فيكون الكلام على ظاهره لان الظل وان كان من المبصرات الا ان تأثير قدرة الله تعالى في تمديده ليس من المبصرات بالاتفاق لكنه معلوم بما ذكره من البرهان الواضح والظل هو الامر المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو يحدث منبسطا على وجه الارض فيما بين ظهور الفجر الى طلوع الشمس ثم ان الشمس تنسخه وتزيله شيأ فشيأ الى الزوال ثم هو ينسخ ضوء الشمس ويزيله من وقت الزوال الى الغروب ويسمى الظل الآخذ في التزايد الناسخ لضوء الشمس فيئا ووجه الاستدلال به على وجود الصانع ما اشار اليه من ان حدوثه بعد العدم وعدمه بعد الوجود وتغير احواله بالزيادة والنقصان والانبساط والتقلص على الوجه النافع لابد له من صانع قادر مدبر حكيم يقدر على تحريك الاجرام العلوية وتدبير الاجسام الفلكية وترتيبها على الوصف الاحسن والترتيب الاكمل وما هو الا الله عز وجل ﴿ قوله ثابتا من السكنى ﴾ وهو الاستقرار والثبات في مكان يقال سكن الدار سكنى اذا استقر فيها فالمعنى ولو شاء لجعله ثابتا مستقرا لا يذهب من وجه الارض بان لا تطلع الشمس ابدا او المعنى على تقدير كونه من السكون الذي هو عدم الحركة ولو شاء لجعله ساكنا لا يتحرك حركة انقباض ولا انبساط بان تجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ودليل واحد ودليل الشئ ما يكون ظهوره العقل سببا لظهور الشئ فيه فشبهت الشمس بالنسبة الى الظل بالدليل بالنسبة الى المدلول عليه من حيث كون طلوعها سببا لظهور الظل للحس او من حيث كون حركتها سببا لحدوثه وتغير احواله وانما قلنا ان طلوع الشمس سبب لظهور الظل لان الناظر الى الجسم الملون حال قيام الظل عليه لا يظهر له شئ سوى الجسم ولونه لان الظل ليس امرا ثابتا للحس ولا يعرف به ثم اذا طلعت الشمس ووقع ضوؤها على الجسم ظهر ذلك الظل للحس فلولا الشمس ووقع ضوئها على الاجرام لما عرف الظل كما انه لولا الظلمة لما عرف النور فكانه تعالى لما اطلع الشمس ووقع ضوؤها على الارض وزال الظل به فحينئذ ظهر للعقول ان الظل كيفية زائدة على الجسم واللون فلهذا قال الله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اى خلقنا الظل اولا بما فيه من المنافع واللذات ثم انا هدينا العقول الى معرفة وجوده بان اطلعنا الشمس فكانت دليلا على وجوده والقبض جمع المنبسط من الشئ والمراد به ههنا الازالة فقوله تعالى ثم قبضناه الينا معناه ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس ازال الله تعالى ذلك الظل لا دفعة بل جزأ فجزأ يسيرا يسيرا فكلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد نقصان الظل في جانب المغرب فلو قبضه الله تعالى دفعة واحدة لتعطلت منافع الظل والشمس فقبضه يسيرا يسيرا لتبقى منافعهما والمصالح المتعلقة بهما ﴿ قوله وثم في الموضعين لتفاضل الامور ﴾ لا للتراخي الزماني اذ لا يصح جعلها له في هذا المقام اذ ليس المعنى انه تعالى بعد ذلك المد بزمان متراخ جعل الشمس عليه دليلا فوجب حمله على المجاز بان تجعل كلمة ثم استعارة تبعية بان شبه تفاضل الامور وتباعد مراتبها بالبعد الزماني فاستعير لجانب المشبه لفظ ثم الموضوعة للتراخي الزماني ووجه كون الامور متباعدة في الرتبة والفضل ان حدوث الظل ممدودا منبسطا على وجه الارض وان كان في نفسه دالا على وجود الصانع الحكيم الا ان جعل الشمس دليلا عليه لدلالته على امر زآئد مرتب على ذلك افضل منه رتبة وقبض الظل قبضا يسيرا اعظم من الثاني لان الازالة مع التدرج والمهلة بانبساط ضوء الشمس على الاجرام تحصل بها المنافع المرتبة على الشمس مع عدم ارتفاع منافع الظل بالكلية وهي منفعة زآئدة على قبض انبساط الظل وقيام دليل وجوده مع معرفة الساعات والاوقات التي يناط بها اكثر احكام الشرع ولان في التدرج حكما ومصالح اخرى ﴿ قوله وقيل مد الظل ﴾ عطف على قوله لتفاضل الامور اى وقال بعضهم ثم في احد الموضعين مستعملة في اصل معناها وهو التراخي الزماني فان خلق الشمس مسلطة على الظل متراخ زمانا عن انبساط ظل السماء على الارض ثم في قوله ثم جعلنا الشمس عليه للتراخي بخلافها في قوله ثم قبضناه ﴿ قوله ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحالة ﴾ اى لو اراد ابقاء الظل على تلك الحالة ممدودا على وجه الارض لما خلق الشمس ليكون باقيا على امتداده لكن اراد تغييره فخلق الشمس وسلطها على الظل فان الظل تابع للشمس كاتباع المدلول الدليل والمراد بكون الظل تابعا للشمس ان زيادة الظل ونقصانه تابعة لحركة الشمس فعلى هذا الوجه يكون قوله تعالى عليه مفعولا ثانيا لجعلنا وقوله دليلا حالا من الشمس وتكريرا للمفعول الثاني كما مر في قوله تعالى فجعلناه هباء منثورا وكون الشمس دليلا على الظل عبارة عن كونها مستتبعة اياه استتباع دليل العلم لمدلوله واستتباع دليل الطريق لمن يهديه فان الشمس باختلاف احوالها في مسيرها تستلزم اختلاف احوال الظل من كونه ثابتا في مكانه وزآئلا عنه ومنبسطا

(ألم تر الى ربك) ألم تنظر الى صنعه (كيف مد الظل) كيف بسطه أو ألم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئى فكيف بالمحسوس منه او ألم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال وظل ممدود (ولو شاء لجعله ساكنا) ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد (ثم جعلنا الشمس عليه دليلا) فانه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها (ثم قبضناه الينا) اى ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى البسط عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذى هو في معنى الكف (قبضا يسيرا) قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم في الموضعين لتفاضل الامور أو لتفاضل مبادى اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فألقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال

ثم خلق الشمس عليه دليلا اى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه يتفاوت بحركتها وتحوّل تحوّلها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيأ فشيأ الى ان تنتهى غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها (وهو الذى جعل لكم الليل لباسا) شبه ظلامه باللباس فى ستره (والنوم سباتا) راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت (وجعل النهار نشورا) ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعثا من النوم بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر (وهو الذى ارسل الرياح) وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة الجنس (نشرا) ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشير بمعنى مبشر (بين يدى رحمته) يعنى قدام المطر (وانزلنا من السماء ماء طهورا) مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفعول وان غلب فى المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوث بمعنى المضبوث وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغى ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى (لنحيى به بلدة ميتا) بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد (ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا) يعنى اهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة

ومنقبضا ونحو ذلك فيصح ان يستدل بكل حال من احوالها على كل حال من احوال الظل ﴿قوله او دليل الطريق﴾ عطف على فاعل يستتبع وقوله من يهديه عطف على مفعوله اى او كما يستتبع دليل الطريق من يهديه فالشمس على الاول بمنزلة دليل العلم بالنسبة الى مدلوله وعلى الثانى بمنزلة دليل الطريق بالنسبة الى من يهديه ﴿قوله يتفاوت بحركتها وتحوّل بتحوّلها﴾ استئناف لبيان كون الشمس مسلطة عليه مستتبعة اياه والنوع الثانى من دلائل الوحدانية ما ذكره بقوله وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنشور يحتمل ان يكون بمعنى الانتشار والتفرق فى وجوه المصالح ويحتمل ان يكون بمعنى الحياة لانه لما كان فى النوم معنى الوفاة لانقطاع الانسان به عن التصرف والعمل كان فى اليقظة معنى الحياة * فى بعض الكتب * ابن آدم كما تنام تموت وكما تستيقظ تبعث والنوع الثالث منها ما ذكره بقوله وهو الذى ارسل الرياح قرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو نشرا بضم النون والشين وهو جمع نشور كرسل ورسول والمعنى ارسلها ناشرات السحاب فى الجو كما ينشر الشئ المطوى المضبوط وقرأ ابن عامر وابو عمرو فى رواية بضم النون وسكون الشين والمعنى كالاول وقرأ حمزة والكسائى بفتح النون وسكون الشين وقرأ عاصم بالباء المضمومة وسكون الشين من البشارة واختار كون طهورا فى الآية اسما لما يتطهر به كالسحور والوقود استدلالا بقوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وضعف كونه مبالغة الطاهر لخلوه عن بيان منفعته وهى كونه مطهرا للانسان من الحدث والنجاسة ﴿قوله وللاسم كالذنوب﴾ وهو اسم بمعنى الصب ويقال ايضا للدلو الملأى ذنوب ولا يقال لها وهى فارغة ذنوب * فان قيل الطهور مشتق من طهر يطهر طهارة وهو لازم فكيف يجوز تعديته بتطهيره غيره * قلنا انه حينئذ لا يكون من الصفات المشتقة كالغفور والشكور بل يكون من قبيل الاسماء الجامدة * فان قيل كيف يكون لفظ طهور اسما لما يتطهر به وقد قال الله تعالى فى صفة اهل الجنة وسقاهم ربهم شرابا طهورا وقال الشاعر * عذاب الثنايا ريقهن طهور * قلنا كونه اسما له لا ينافى استعماله فى مبالغة طاهر ﴿قوله وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة﴾ جواب عما يقال ما الفائدة فى توصيف الماء المنزل لاحياء الارض وسقى الحيوان بقوله طهورا مع ان الوصف فى مثله يؤذن بكون الوصف شرطا لترتب الحكم على الفعل المعلل كما اذا قلت اعطانى اللباس الفاخر لاتزين به ووصفه بالطهارة لا دخل له فى ترتب الاحياء والسقى على انزال الماء * وتقرير الجواب ان الاحياء والاسقاء المذكورين وان امكنا بدون وصف الطهارة الا انه وصف الماء بها اشعارا بالنعمة فيها فان وصف الطهارة نعمة زائدة على انزال ذات الماء وتتميما للمنة الزائدة المستفادة من قوله لنحيى به ونسقيه فان هذين الاحياءين انما يتمان بذلك لما ذكر من ان الماء الطهور اهنأ وانفع وتنبيها على ان بواطنهم اولى بالتطهير ووجه التنبيه انه تعالى لما امتن علينا بان انزل ماء يطهر ابداننا من الحدث والنجاسات تبين بذلك ان ظواهرنا مما ينبغى ان تطهر ومن المعلوم ان باطن الشئ اولى بالحفظ من التلوث من ظاهره فكان الامتنان بانزال ما يطهر الظاهر تنبيها على ان الباطن اولى به ﴿قوله ولانه غير جار على الفعل﴾ اى لم يقل بلدة ميتة لان الميت ليس على وزن الفعل نحو فعول ومفعال ومفعيل وفعيل بمعنى مفعول وفى مثله يجوز التذكير وان يجرى على المؤنث لانه لما لم يكن على وزن الفعل لم يكن مشابها له فجاز ان لا يطابق موصوفه فى التأنيث فان الفعل يطابق فاعله فى التذكير والتأنيث فكذا ما يشابهه بخلاف ما لم يوازن الفعل من المشتقات فانه اجرى مجرى الجوامد قرأ الجمهور ونسقيه بضم النون وقرأ ابو عمرو وعاصم فى رواية عنهما بفتح النون وسقى واسقى لغتان بمعنى يقال سقاه الله الغيث واسقاه والاسم السقيا بالضم ويقال سقيته اسقيه واسقيت ماشيته وارضه والاسم السقى بالكسر وقوله تعالى مما خلقنا يجوز ان يتعلق بقوله نسقيه اى نسق ذلك الماء بعض خلقنا من الانعام والاناسى وانتصابهما على البدل من محل الجار والمجرور فى قوله مما خلقنا ويجوز ان يتعلق بمحذوف على انه حال من انعاما ولعل قوله يعنى اهل البوادى مبنى على الاول وقوله وتخصيصهم جواب عما يقال كيف خص اهل البوادى بالاسقاء مع ان اهل المدن والقرى يحتاجون الى الشرب ﴿قوله وسائر الحيوانات﴾ اى ما عدا الانعام من الوحوش والطيور وان كانت تعيش بالماء لكنه تعالى خص الانعام بالذكر لان سائرها لا يعوزها الشرب ولا يكون عاجزا عن نيله غالبا يقال اعوزه الشئ اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه ﴿قوله مع ان مساق هذه الآيات﴾ وجه ثان لتخصيص الانعام بالذكر مع استوائها بسائر الحيوانات فى الاحتياج الى الشرب وحاصله انه ليس المقصود مجرد بيان الحكمة فى انزال الماء بل المقصود تعداد ما يكون نعمة فى حق نوع الانسان فلذلك خصت الانعام

(بالذكر)

والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ "نسقيه" بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسى بحذف ياء وهو جمع انسى" او انسان كظرابى فى ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء (ولقد صرفناه بينهم) صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ماشاء وتلا هذه الآية او فى الانهار والمنابع (ليذكروا) ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك ويقوموا بشكره اوليعتبروا بالصرف عنهم واليهم (فأبى اكثر الناس الا كفورا) الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لايرى الامطار الامن الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط اوامارات بجعله تعالى (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا) نبيا ينذر اهلها فتخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشأنك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق (فلا تطع الكافرين) فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين (وجاهدهم به) بالقرآن او بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازاحة باطلهم (جهادا كبيرا) لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف اولان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى (وهو الذى مرج البحرين) خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لايتمازجان من مرج دابته اذا خلاها (هذا عذب فرات) قامع للعطش من فرط عذوبته (وهذا ملح اجاج) بليغ الملوحة وقرئ "ملح" على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد فى بارد

بالذكر لانها قنية الانسان اى يقتنيها ويتخذها للصد لا للتجارة • الجوهرى قنوت الغنم وغيرها قنوة وقنوة وقنيت ايضا قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة وعلية جمع على" بمعنى شريف ورفيع مثل صبية جمع صبى" ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولكون علية ما يتعيشون به هى الانعام قدم سقيها على سقيهم كما قدم على الانعام احياء الارض فان الارض وحياتها سبب لحياة الانعام وتعيشها فانظر الى انه تعالى كيف رتب ذكر ما هو رزق الانسان ورزق رزقه ورزق رزق رزقه فان الانعام رزق الانسان والنبات رزق الانعام والمطر رزق النبات فقد ذكر المطر ورتب عليه ذكر حياة الارض بالنبات ورتب عليه ذكر الانعام ﴿قوله واناسى﴾ عطف على قوله نسقيه اى كما قرئ نسقيه بفتح النون كذلك قرئ" اناسى بحذف ياء اناعيل وذهب سيبويه الى ان اناسى" جمع انسان اصله اناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وادغم فيها الياء التى قبلها كما قيل فى جمع ظربان ظرابى" اصله ظرابين والظربان على وزن قطران دويبة كالهرة منتنة الريح زعم الاعراب انها تفسو فى ثوب احدهم اذا صادفها فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب وفى المثل فسا بينهم الظربان وذلك اذا تقاطع القوم وقال الفراء والمبرد والزجاج انه جمع انسى" وفيه نظر لان فعاليل انما يكون جمعا لما فيه ياء مشددة لاتدل على نسب نحو كراسى" فى جمع كرسى" فلو اريد بياء كرسى النسب لم يجئ جمعه على كراسى ﴿قوله صرفنا هذا القول﴾ يعنى ضمير صرفناه اما ان يرجع الى ماذكره بقوله وهو الذى ارسل الرياح بشرا بين يدى رحمته وانزلنا من السماء ماء طهورا كأنه قيل ولقد صرفنا ذكر انشاء السحاب وانزال المطر بين الناس فى القرآن وفى سائر الكتب ليتفكروا ويعتبروا او يرجع الى نفس الماء الطهور الذى هو المطر ومعنى تصريفه بين الناس ان لاينزله على نسق واحد بل ينزله فى مكان دون مكان وفى وقت دون وقت وعلى صفة دون اخرى فيقسمه بين العباد على هذه الوجوه وروى عن ابن عباس انه قال ماعام باكثر مطرا من عام ولكن الله فرقه فى الارض ثم قرأ هذه الآية وروى عن ابن مسعود عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال مامن عام بأمطر من عام ولكن اذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافى والمراد باختلاف صفة المطر كونه تارة وابلا واخرى طلا ومرة ديمة مثلا والوابل المطر الشديد والطل اضعف المطر والديمة المطر الذى يدوم اياما ﴿قوله او فى الانهار والمنابع﴾ عطف على قوله فى البلدان المختلفة اى ويجوز ان يكون المراد بتصريف المطر بين الناس اجراءه فى الانهار والمنابع لينتفعوا به بوجوه الانتفاع من الشرب وسقى الزرع ونحوهما ﴿قوله بخلاف من يرى انها﴾ اى من يرى ان الله هو الذى خلق الامطار وجعل الانواء دلائل وامارات عليها لايكفر والحاصل ان المراد بالكفور اما كفران النعمة وقلة المبالاة بشأنها فان حقها ان يتفكر فيها ويستدل بها على وجود الصانع وقدرته واحسانه ويشتغل بشكر احسانه ومن اشتغل بها وقصر فى شكر منعمها فقد كفر بحق النعمة واما الكفر بالله بان يقول مطرنا بنوء كذا ويسند مثل هذه النعمة الى الافلاك والكواكب ويجحد كونها صادرة من الله فانه لاشك انه كافر بالله تعالى والانواء النجوم التى يسقط واحد منها فى جانب المغرب وقت طلوع الفجر ويطلع رقيبه فى جانب المشرق من ساعته والعرب كانت تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقيل الى الطالع منها ثم انه تعالى لما بين دلائل وحدانيته وكمال قدرته شرع فى تعظيم رسوله فقال ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا كأنه قيل ولو شئنا لخففنا عنك اعباء الرسالة الى كل العالمين بان نبعث الى كل قرية نذيرا ولكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك ﴿قوله لان مجاهدة السفهاء بالحجج﴾ لم يحمل المجاهدة المأمور بها على المجاهدة بالسيف لان السورة مكية والامر بالقتال انما ورد بعد الهجرة بزمان ﴿قوله فيما بين اظهرهم﴾ خبر قوله اولان مخالفتهم ولاشك ان مخالفة العتاة الغالبين فيما بينهم اكبر المجاهدة ﴿قوله او لانه جهاد مع كل الكفرة﴾ فيكون ضمير به فى قوله وجاهدهم به راجعا الى مادل عليه قوله ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا وهو كونه نذيرا لكافة القرى فانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته بأقصى الوسع فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها ليكبر جهاده من اجل ذلك فلذلك قال له جاهد بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا للمجاهدات ثم انه تعالى انتقل الى النوع الآخر من دلائل التوحيد فقال وهو الذى مرج البحرين كأنه تعالى يقوى به قلبه عليه الصلاة والسلام على امتثال ما امر به من المجاهدة الكبيرة واصل المرج الارسال والتخلية يقال مرجت الدابة اذا ارسلتها ترعى وقوله تعالى هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج مقول قول مضمر تقديره مرج البحرين مقولا فيهما هذا عذب

(وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرته (وحجرا محجورا) وتنافرا بليغا كأن كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ منه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لايتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ مايحول بينهما من الارض فتكون القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة اجزآء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت فى الكيفية (وهو الذى خلق من الماء بشرا) يعنى الذى خمر به طينة آدم اوجعله جزأ من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة (فجعله نسبا وصهرا) اى قسمه قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (وكان ربك قديرا) حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى (ويعبدون من دون الله مالاينفعهم ولايضرهم) يعنى الاصنام اوكل ماعبد من دون الله اذ مامن مخلوق يستقل بالنفع والضر (وكان الكافر على ربه ظهيرا) يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابوجهل وقيل هينا مهينا لاوقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولايكلمهم الله ولاينظر اليهم (وما ارسلناك الامبشرا ونذيرا) للمؤمنين والكافرين (قل ماأسألكم عليه) على تبليغ الرسالة الذى يدل عليه الامبشرا ونذيرا (من اجر الامن شاء) الافعل من شاء (ان يتخذ الى ربه سبيلا) ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص من العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعاتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل

فرات وهذا ملح اجاج كما يقال وجدت الناس اخبر تقله اى مقولا فيهم ذلك ويحتمل ان يكون جملة مستأنفة لامحل لها كأنه قال كيف مرجهما فقيل هذا عذب فرات والفرات فعال من فرت الماء بفرت فروتة فهو فرات اذا كان فى نهاية العذوبة ويقال ملح الماء يملح ملوحة فهو ملح وملح على وزن فعل وفعل وقرئ بهما وقلما يقال مالح والاجاج الشديد الملوحة الذى يحرق الباطن من ملوحته من اجت النار اجيجا اذا اشتد حرها ﴿قوله وتنافرا بليغا﴾ لما كان عطف قوله وحجرا محجورا على قوله برزخا دالا على انه تعالى جعل كل واحد من البحرين بحيث يتعوذ من الآخر ويقول له حجرا محجورا اى حراما محرما ماعليك ان تغلب على وتزيل صفتى وكيفيتى ومن المعلوم ان البحر ليس من شأنه ان يتعوذ ويقول قولا جعل الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية بان شبه تلاصق كل واحد منهما بالآخر مع كمال التنافر بينهما بعدوين يتحزبان فى المعركة يريد كل واحد منهما ان يتقى صاحبه ويتعوذ منه فعبر عن المشبه بلفظ المشبه به فقيل جعل بينهما هذا الكلام بمعنى جعلهما قائلين هذا الكلام ﴿قوله وقيل حدا محدودا﴾ اى وجعل بينهما حدا لايتجاوز كل واحد منهما ذلك الحد وفى الصحاح الحجر ايضا حجر الكعبة وهو ماحواه الحطيم المدار بالبيت بجانب الشمال وكل ماحجرته من حائط فهو حجر ﴿قوله وذلك كدجلة﴾ يعنى ان المراد بالبحر الماء الكثير الواسع سوآء كان عذبا كدجلة والنيل او ملحا فلا يرد ان يقال لاوجود لبحر العذب فكيف ذكره الله ههنا ثم بين انه تعالى كيف جعل بين بحرين متنافرين غاية التنافر حال كونهما متجاورين بحيث لايمتزجان حتى يجعل موضع التعجب فقال كدجلة تدخل البحر ومن قال المراد بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح الاجاج البحر الكبير وبالبرزخ مايحول بينهما من الارض بين وجه الاستدلال على قدرة الصانع بان العذوبة والملوحة ان كانت بسبب طبيعة الارض والماء فلابد من الاستوآء وان لم تكن كذلك فلابد من قادر حكيم يخص كل واحد من الاجسام بصفة معينة ويفصل بين اجزآء الطبيعة الواحدة بالبرزخ الحائل بينهما على حسب مشيئته وارادته مع ان مقتضى طبيعة اجزآء كل عنصر ان تضامت وتلاصقت ﴿قوله وتسلس﴾ اى تلين وتنقاد ذكر فى الماء الذى خلق منه البشر ثلاثة احتمالات الاول انه الماء الذى خمر به طينة آدم عليه الصلاة والسلام والثانى انه الماء الذى جعل جزأ من مادة كل بشر بل مادة كل حيوان كما قال تعالى والله خلق كل دابة من ماء والثالث انه النطفة لقوله تعالى خلق من ماء دافق من ماء مهين ﴿قوله اى قسمه قسمين﴾ اى ليس المراد انه تعالى جعل البشر الواحد ذا نسب تنسب اليه الفروع وذات صهر يصاهر بها فانه محال فان الصهر ابو زوج البنت فما كان من قبل زوج البنت فهم اصهار يتوصل اليهم بسبب البنات فذوات الصهر اى اللاتى يصاهر بهن ليست الا البنات بخلاف ذوى النسب اى الذين ينسب اليهم الاولاد فانهم ذكور لان النسب الى الآباء كما قال الشاعر

لاتزرين امرأ من ان يكون له ۞ ام من الروم او سودآء عجفاء
فانما امهات الناس اوعية ۞ مستودعات وللآباء ابناء

بين الله قدرته اولا ببيان انه خلق من الماء بشرا او اظهر فضله وامتنانه بجعله نسبا وصهرا اما النسب فيه يتعارفون ويتواصلون فيقال فلان ابن فلان وفلانة بنت فلان ولولا النسب لما تعارفوا ولاتواصلوا واما الصهر فلانه من اسباب التواصل والتوالد والتوالد ثم انه تعالى لما شرح دلائل التوحيد عاد الى تهجين سيرة المشركين فى عبادة الاوثان فقال ويعبدون من دون الله الى قوله ظهيرا وهو خبر كان وعلى ربه متعلق به اى وكان الكافر بشركه وعداوته الحق عونا للشياطين على عصيان ربه بحثه على الاصرار عليه ﴿قوله والمراد بالكافر الجنس﴾ فحينئذ يحتمل ان تكون المظاهرة مظاهرة بعض الكفار لبعض لامظاهرة الكافر للشيطان ثم انه تعالى لما بين انه ارسل رسوله الى كافة القرى وقصر الامر عليه اجلالا له بين انه على اى حال ارسله فقال وما ارسلناك الامبشرا ﴿قوله الافعل من شاء﴾ يعنى ان الاستثناء متصل على حذف المضاف واتخاذ السبيل اليه تعالى عبارة عن التقرب اليه بالايمان والطاعة صور فعل من شاء ان يتقرب اليه بذلك بصورة الاجر وسماه باسمه تشبيهاله بالاجر من حيث كونه المقصود من التبليغ واستثناه من الاجر لفوآئد احداها ان يقلع شبهة طمعه فى الاجر من اصله كأنه قيل ان اعطيتم اياى اجرا فاعطونى ذلك الفعل فانى لااسأل غيره وثانيتها اظهار الشفقة البالغة عليهم بانه عد سعيهم لانفسهم ونفعهم لها بالاشتغال بطاعة ربهم والاجتناب عن مخالفته وعصيانه اجرا وافيا مرضيا به

(وثالثتها)

(وتوكل على الحى الذى لايموت) فى استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم (وسبح بحمده) ونزهه من صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابغه (وكفى به بذنوب عباده) ماظهر منها ومابطن (خبيرا) مطلعا فلاعليك ان آمنوا او كفروا (الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش) قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأنى فى الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره فى كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج (الرحمن) خبر للذى ان جعلته مبتدأ او لمحذوف ان جعلته صفة للحى او بدل من المستكن فى استوى وقرئ بالجر صفة للحى (فاسأل به خبيرا) فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبرائيل او من وجده فى الكتب المتقدمة ليصدقوك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه فى كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر مابعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا (أنسجد لما تأمرنا) اى للذى تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده او لأمرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائى يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض (وزادهم) اى الامر بالسجود للرحمن (نفورا) عن الايمان (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا) يعنى البروج الاثنى عشر سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره (وجعل فيها سراجا) يعنى الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائى سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار (وقمرا منيرا) مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اى ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب

وثالثها الاشعار بانهم كانوا يثابون على ذلك الفعل بمباشرتهم له يثاب هو ايضا عليه بسبب دلالته اياهم بحكم ان الدال على الخير كفاعله وعلى تقدير كون الاستثناء منقطعا يكون المعنى لااطلب من اموالكم جعلا لنفسى لكن من شاء انفاقها لوجه الله تعالى فليفعل فانى لا امنعه عنه ﴿قوله فى استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم﴾ يعنى ان الآية متصلة بقوله وكان الكافر على ربه ظهيرا وقوله قل ما اسألكم عليه من اجر فانه تعالى لما بين ان الكفار متظاهرون على ايذائه وامره بان لايطلب منهم اجرا البتة امره بان يتوكل عليه فى دفع جميع المضار وفى جلب جميع المنافع ﴿قوله تعالى وكفى ربك﴾ اى حسبك الحى الذى لايموت خبيرا بذنوب عباده ولايحتاج معه الى الغير لانه خبير باحوالهم قادر على مكافأتهم وذلك وعيد شديد ﴿قوله فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء﴾ اشارة الى ان الباء بمعنى عن كما فى قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وفى قول علقمة

فان تسألونى بالنساء فاننى ۞ خبير بادواء النساء طبيب ۞

وان ضمير به يرجع الى ما ذكر من خلق السماء والارض والاستواء على العرش ﴿قوله لانهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى﴾ على ان يكون قولهم وما الرحمن سؤالا عن المسمى بهذا الاسم ويكون قول المصنف هذا علة لسؤالهم عنه فانهم لما لم يعرفوا كونه سبحانه مسمى بهذا الاسم اتجه لهم ان يسألوا عن مسماه او كانوا يعرفون كونه تعالى مسمى به الا انهم كانوا يزعمون انه قد يراد به غيره تعالى وهو مسيلمة الكذاب باليمامة فانه يقال له رحمن اليمامة وكان المشركون يكذبونه ايضا ولذلك قالوا أنسجد لما تأمرنا اى الذى تأمرناه بتقدير تأمرنا بسجوده فحذف ما حذف منه على التدريج حذف الجار واوصل الفعل كما فى امرتك الخير فقيل تأمرنا سجوده ثم حذف المفعول الذى هو المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار تأمرناه ثم حذف الضمير ايضا فصار لما تأمرنا على ان ما موصولة بمعنى الذى او مصدرية اى لامرك لنا على معنى لاجل امرك لنا من غير عرفان ﴿قوله وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه﴾ عطف على قوله لانهم ما كانوا يطلقونه على الله اى وقيل قولهم وما الرحمن ليس سؤالا عن المسمى بل هو سؤال عن معنى هذا الاسم وشرح مفهومه لانه لم يكن مستعملا فى كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم ثم انه تعالى لما حكى عن الكفار ان امرهم بالسجود للرحمن زادهم نفورا عن الايمان ذكر من عظم شأنه وباهر سلطانه مالو تفكروا فيه لاضطروا الى الايمان به وطاعته فقال تبارك وتعالى تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وهى الاثنا عشر كل برج منزلان وثلث منزل للقمر وهى منازل الكواكب السبعة السيارة وهى ثمانية وعشرون منزلا واسماء البروج الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت فالحمل والعقرب بيتان للمريخ والثور والميزان للزهرة والجوزاء والسنبلة لعطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشترى والدلو والجدى بيتا زحل وهذه البروج مقسومة الى الطبائع الاربع فيكون لكل واحدة منها ثلاثة بروج الحمل والاسد والقوس نارية والثور والسنبلة والجدى ارضية والجوزاء والميزان والدلو هوائية والسرطان والعقرب والحوت مائية وقوله تعالى وجعل فيها اى فى البروج لا فى السماء لان البروج اقرب فعود الضمير اليها اولى وان جاز عوده الى السماء ايضا شبهت الشمس والكواكب الكبار بالسرج والمصابيح كما فى قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فى الانارة والاشراق ﴿قوله ذا قمر﴾ جواب عما يقال القمر مؤنث فينبغى ان يؤنث صفته بان يقال منيرة وانما قلنا القمر مؤنث لانه عبارة عن جماعة الليالى ذوات القمر لانه جمع ليلة قمراء اى ذوات القمر وتقرير الجواب ان اصل الكلام وذوات قمر منير على ان يكون ذا قمر عبارة عن نفس القمر عبر عن القمر بانه ذو قمر اى ذو ليال قمر لان الليلة انما تكون قمراء بالقمر فصار القمر كأنه صاحب تلك الليلة فقيل له انه ذو قمر بمعنى صاحب تلك الليالى القمر ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وهو مؤنث لكونه عبارة عن جماعة الليالى الا انه لما قام مقام المضاف وهو مذكر بقى حكم المضاف فيه فقيل فى صفته منيرا لا منيرة كما بقى فى قول حسان

۞ يسقون من ورد البريص عليهم ۞ بردى يصفق بالرحيق السلسل ۞

يريد ماء بردى وهو نهر بدمشق فحذف المضاف واقيم بردى مقامه وبقى حكم المضاف فيه وهو مؤنث حيث ذكر ضمير يصفق والتصفيق الخلط والمزج ويحتمل ان يكون القمر بمعنى القمر ويؤيده توحيد الصفة بلا تكلف

الحذف ﴿قوله اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر﴾ يعنى ان الخلفة مصدر للنوع فلا يصلح ان يكون مفعولا ثانيا لجعل الليل او حالا من مفعوله فان خلفة لايخلو من ان يكون مفعولا ثانيا او حالا الاول على ان يكون جعل بمعنى صير والثانى على ان يكون بمعنى خلق فلابد من تقدير المضاف على التقديرين اى ذوى خلفة ثم ان خلفة يستعمل بمعنيين بمعنى كان خليفته او بمعنى جاء بعده يقال خلفه فى قومه خلافة ومنه قوله تعالى وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى ويقال ايضا خلفته اذا جئت بعده والخلفة فى الآية يحتمل ان تكون من خلفه بكل واحد من المعنيين وهو قول المصنف يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه اوبان يعتقبا ويؤيد الاول قول ابن عباس انه جعل كل واحد منهما يخلف صاحبه فيما يحتاج ان يعمل فيه فمن فرط فى عمل احدهما بأن فاتت عليه العمل الذى اتخذه وردا قضاه فى الآخر وماروى عن انس بن مالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب وقد فاتته قرآءة القرآن بالليل ياابن الخطاب لقد انزل الله فيك آية وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر اى مافاتك من النوافل بالليل فاقضه فى نهارك وما فاتك فى النهار فاقضه فى ليلتك وان كان المعنى جعلهما ذوى اعتقاب يكون المقصود بيان انه تعالى جعلهما مختلفين يجئ هذا ويذهب ذاك ويجئ ذاك ويذهب هذا ولم يجعل واحدا منهما سرمدا النهار لاليل له ولا ليلا لانهار له ليعلم الناس عدد السنين والحساب وليكون للانتشار فى المعاش وقت معلوم وللاستقرار والاستراحة وقت معلوم فيكون فى الآية تذكير لنعمته وتنبيه على كمال حكمته وقدرته ﴿قوله ان يشكر الله تعالى﴾ يعنى ان الشكور بضم الشين مصدر بمعنى الشكر وبالفتح مبالغة الشاكر فقوله شكر شكورا بمعنى شكر شكرا اى جعلناهما خلفة ليتفكر المتفكرون فى اختلافهما ويشكروا النعمة الله فى ذلك وقوله اوليكونا وقتين عطف على هذا المعنى اى جعلناهما خلفة ليكونا وقتى تدارك للذاكرين والشاكرين قرأ العامة ان يذكر بالتشديد اصله ان يتذكر فادغمت التاء فى الذال وقرأ حمزة بالتخفيف قال الفرآء وجهه ان يذكر ويتذكر يأتيان بمعنى واحد قال الله تعالى واذكروا ما فيه ويجوز ان يكون المعنى ليذكر الله فيهما من اراد ان يذكره ويطيعه بالتسبيح والطاعة ولعل وجه عطف قوله او اراد شكورا بكلمة او دون الواو للتنبيه على استقلال كل واحد منهما بكونه مطلوبا من الجعل المذكور ولو عطف بالواو لتوهم ان المطلوب مجموع الامرين ويحتمل ان يكون المراد بالمعطوف عليه الكافر الذى يريد ان يتفكر فى اختلافهما ويجعلهما موضع الاعتبار على وحدانيته وقدرته فيستدل به على التوحيد واخلاص العبادة وبالمعطوف المؤمن الذى يريد ان يتعظ ويشكر نعم الله فكأنه قيل جعلناهما خلفة ليتفكر الكافر فى اختلافهما ويجعله معتبرا على قدرته وتوحيده او يتعظ المؤمن به ويجعله منشأ التذكر وطاعته ﴿قوله وكذلك ليذكروا﴾ فى قوله تعالى ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فان العامة قرأت بالتشديد وحمزة بالتخفيف والكسائى ايضا ﴿قوله واضافتهم الى الرحمن للتخصيص﴾ اى لان تعبدهم خصوصية وشرفا وتفضلهم على العباد الذين لم يتصفوا بتلك الصفات والا فالخلق كلهم عباد الله ﴿قوله هينين او مشيا هينا﴾ الاول على ان يكون انتصاب هونا على الحالية من فاعل يمشون والثانى على ان يكون صفة مصدر محذوف ﴿قوله تسلما منكم﴾ يعنى ان سلاما منصوب على انه مصدر فعل محذوف والاصل نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسليم فالمعنى اذا خاطبهم السفهاء الخفاف العقول بأذى وكلام قبيح قالوا نتسلم منكم تسلما اى لانجاهلكم ولا نتلبس بشئ من اموركم وهو الجهل ومايبتنى على خفة العقل والمتاركة المواعدة ﴿قوله او سدادا﴾ اى صوابا من القول فعلى هذا الوجه يكون سلاما اشارة الى ماقالوه من حيث المعنى ولايكون سلاما عين عبارتهم ﴿قوله لأن المراد هو الاغضاء عن السفهاء﴾ وهو امر مستحسن فى الادب والمروءة والشريعة واسلم للعرض واوفق للورع فليس بمنسوخ ابدا قال عليه السلام اذا جمع الخلائق يوم القيامة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل فيقولون ماكان من فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيئ الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة نعم اجر العاملين ﴿قوله فى الصلاة﴾ فان كل من ادركه الليل فقد بات نام او لم ينم يقال بات فلان قلقا عن ابن عباس قال من صلى ركعتين او اكثر بعد العشاء فقد بات لله ساجدا وقائما والظاهر انه وصفهم باحياء الليل او اكثره كما قال الله تعالى فى حق المتقين كانوا قليلا من الليل مايهجعون وروى عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبى عليه الصلاة والسلام انه قال

(وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة) اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغى ان يعمل فيه اوبان يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهى للحالة من خلف كالركبة والجلسة (لمن اراد ان يذكر) ان يتذكر آلاء الله ويتفكر فى صنعه فيعلم انه لابد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد (او اراد شكورا) ان يشكر الله على مافيه من النعم اوليكونا وقتين للذاكرين والشاكرين من فاته ورده فى احدهما تداركه فى الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائى فيه (وعباد الرحمن) مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة او (الذين يمشون على الارض) واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل اولأنهم الراسخون فى عبادته على ان عباد جمع عابد كتاجر وتجار (هونا) هينين اومشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) تسلما منكم ومتاركة لكم لاخير بيننا ولا شرا وسدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه آية القتال لتنسخه لان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) فى الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وأبعد من الرياء وتأخير القيام للروى وهو جمع قائم او مصدر أجرى مجراه (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما) لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله فى صرفه عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم وعدم وثوقهم على استمرار احوالهم

(من)

(انها ساءت مستقرا ومقاما) اى بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان او أحزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى او تعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا) لم يجاوزوا حد الكرم (ولم يقتروا) ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق فى المحارم والتقتير منع الواجب قرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء وقرأ نافع وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد (وكان بين ذلك قواما) وسطا وعدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان لكان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه مبنى لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشئ عن نفسه (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله) اى حرمها بمعنى حرم قتلها (الا بالحق) متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون (ولا يزنون) نفى عنهم امهات المعاصى بعدما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال (ومن يفعل ذلك يلق اثاما) جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء وقرئ اياما اى شدائد يقال يوم ذو ايام اى صعب (يضاعف له العذاب يوم القيامة) بدل من يلق لانه فى معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك (ويخلد فيه مهانا) وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع وابو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففا وقرئ مثقلا ويضعف له العذاب

من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر فى جماعة كان كقيام ليلة ﴿قوله اى بئست مستقرا او أحزنت﴾ يعنى ان ساءت يجوز ان تكون من افعال الذم بمعنى بئست وقد تقرر ان فاعلها يجب ان يكون معرفا باللام او مضافا الى المعرف بها او مضمرا مميزا بنكرة منصوبة وهى فى الآية مستقرا ومقاما اى موضع قرار واقامة فالضمير الذى فى بئست لا يعود الى اسم ان ولا الى شئ آخر بعينه بل ضمير مبهم يفسره الظاهر وهو مستقرا ومقاما والمخصوص محذوف والتقدير ساءت مستقرا ومقاما هى وان كان ساءت بمعنى أحزنت تكون من الافعال المتصرفة الناصبة للمفعول وهو ههنا محذوف والتقدير انها يعنى جهنم أحزنت اصحابها ومستقرا يجوز ان يكون تمييزا وان يكون حالا ﴿قوله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء﴾ وقرأ نافع وابن عامر بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرأ باقى السبعة وهم الكوفيون بفتح الياء وضم التاء وقرئ بالتشديد والكل واحد بمعنى ان القتر والاقتار والتقتير لغات بمعنى واحد وهو التضييق الذى هو ضد الاسراف والاسراف هو مجاوزة الحد فى النفقة فليعتمد على هذا التصحيح فان النسخ مختلفة فى هذا المقام ﴿قوله وسطا وعدلا﴾ يعنى ان القوام عبارة عما هو الوسط والعدل بين الشيئين سمى بذلك لاستقامة الطرفين واعتدالهما بحيث لا يترجح احدهما على الآخر بالنسبة اليه لكونه وسطا بينهما كمركز الدائرة فانه يكون نسبة جميع اجزاء الدائرة اليه على السواء ونظير كون القوام من الاستقامة السواء من الاستواء ﴿قوله وهو خبر ثان لكان﴾ واسمه الضمير المستتر فيه العائد الى الانفاق المدلول عليه بقوله انفقوا او بين ذلك خبره وقواما خبر بعد خبر او بين ذلك خبره وقواما حال مؤكدة او قواما هو الخبر وبين ذلك ظرف لغو لكان على رأى من يرى اعمالها فى الظرف قال الفراء وان شئت جعلت بين ذلك اسم كان كما تقول كان دون هذا كافيا بمعنى كان اقل من هذا كافيا فيكون معنى الآية وكان الوسط من طرفى الاسراف والتقتير قواما عدلا وضعف هذا التأويل ظاهر لانه فى قوة ان يقال وكان الوسط وسطا لان القوام هو الوسط ثم انه تعالى ذكر من جملة صفات عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل بغير حق والزنى ثم بين ان من ارتكب هذه الاشياء فعقوبته جزاؤه ويعاقب عليه ثم استثنى منه التائب ﴿قوله بمعنى حرم قتلها﴾ لان الحرمة والحل من صفات الافعال ولا يوصف بهما الاعيان ﴿قوله متعلق بالقتل المحذوف﴾ اى حرم الله قتلها بجميع الاسباب الا بسبب الحق او بلا يقتلون اى لا يقتلون بسبب من الاسباب الا بالحق اى بالسبب الذى يحل به قتل الامرئ المسلم وهو الردة بعد الايمان او الزنى بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة من غير ان يطرأ عليها ما يوجب قتلها فان الاصل فى النفوس البشرية العصمة وحرمة القتل وحقن الدماء وجواز القتل انما يثبت بعارض فمن حل قتله بسبب العارض يدخل فى النفس التى حرم الله قتلها نظرا الى حد نفسها ﴿قوله نفى عنهم امهات المعاصى بعدما اثبت لهم اصول الطاعات الخ﴾ كأنه جواب عما يقال ما الفائدة فى نفى هذه القبائح فان الموصوف بالخصال المرضية السابقة يبعد منهم ارتكاب هذه القبائح فلا وجه لنفيها عنهم لانه انما يحسن نفى صفة عن احد اذا كانت الصفة المنفية مما يتوهم ثبوتها له * وتقرير الجواب ان الاتصاف بالخصال السابقة لا يستلزم الاجتناب عن هذه القبائح فان الموصوف بتلك الصفات قد يتدين بالشرك ويقتل النفس بغير حق ويتلبس بالزنى فبين الله تعالى ان المرء لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن حتى يجتنب الكبائر ايضا الا انه خص من الكبائر امهاتها واشعر بذلك ان الاجر المذكور بقوله اولئك يجزون الغرفة بما صبروا الآية موعود للجامعين بين التحلى بالفضائل والتخلى عن الرذائل وفى هذا النفى ايضا تعريض بما كان عليه الكفار كأنه قيل وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله الها آخر وانتم تدعون ولا يقتلون نفسا بغير حق وانتم تقتلون ولا يزنون وانتم تزنون ويحسن التعريض ههنا وان لم يكن النفى عنه مقتضيا لثبوت النفى له روى عن ابن عباس انه قال ان اناسا من اهل الشرك قتلوا وزنوا فاكثروا ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذى تدعونا اليه لحسن لو تخبرنا بان لما عملنا كفارة فنزلت ﴿قوله جزاء اثم او اثما﴾ يعنى ان الاثام عبارة عن عقوبة الاثم وجزائه وقد يطلق على نفس الاثم فان كان المراد به فى الآية نفس الاثم فلا بد من تقدير المضاف لان الآثم لا يلقى نفس اثمه بل يلقى جزاءه قال ابن مسلم الاثام والاثم واحد والمراد ههنا جزاء الاثم فاطلق اسم الشئ على جزائه وقيل الاثام اسم من اسماء جهنم وقيل اسم واد فى جهنم وقيل بئر فيها ﴿قوله تعالى يضاعف﴾ مجزوم فى قراءة العامة على انه بدل من الجزاء كما ان قوله تلمم بدل من الشرط فى البيت ابدل تلمم من قوله تأتنا لان الالمام وان كان بمعنى النزول الا انه فى معنى الاتيان

والجزل ماعظم من الحطب اليابس والأجيج تلهب النار يقال اجت النار تؤج اجيجا اذا تلهبت قيل الالف في قوله تأججا بدل من نون التأكيد الخفيفة اصله تأججن ودخلت نون التأكيد في تأججن مع خلوه من معنى الطلب لضرورة قال سيبويه يجوز في الضرورة انت تفعلن وقيل تأججا فعل ماض والالف فيه للاشباع وذكر ضمير النار بتأويلها بالشهاب وقيل هو ماض والالف فيه للتثنية وذكر الفعل لتغليب الحطب على النار ﴿ قوله ويدل عليه ﴾ اى على انضمامها الى الكفر وجه الدلالة ان استثناء التائب من الكفر والمعصية جميعا يدل على اجتماعهما في المستثنى منه فان الكافر مخاطب بالفروع على معنى انه اذا ارتكب المعاصى مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصى جميعا فتضاعف عقوبته لمضاعفة المعاقب عليه وهو الكبائر مع الشرك ﴿ قوله الامن تاب ﴾ المشهور بين المفسرين انه استثناء متصل لانه من الجنس وقيل لا يظهر مع الاتصال لان المستثنى منه محكوم عليه بانه يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب غير المضعف فيصير التقدير الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فانه لا يضاعف له العذاب فالاولى ان يكون استثناء منقطعا والمعنى لكن من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واذا كان كذلك فلا يلقى عذابا البتة انتهى ماقيل واجيب عنه بان الظاهر ماقاله جمهور المفسرين وماقاله القائل المذكور غير لازم اذ المقصود الاخبار بان من فعل كذا فانه يحل به ماذكر الا ان يتوب واما اصابة اصل العذاب وعدمها فلا تعرض له في الآية وقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات يحتمل وجهين احدهما انه تعالى يبدل سيئاتهم حسنات في الآخرة لما كان منهم من الحسرة والندامة على كل سيئة كانت منهم في الدنيا كما روى عن ابي هريرة انه قال ليأتين اقوام يوم القيامة ودوا لو انهم استكثروا من السيئات قيل له يا ابا هريرة من هم قال هم الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات واليه اشار المصنف بقوله بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم كانهم لم يعملوا في الدنيا سوى الطاعة والوجه الثانى ان يكون التبديل في الدنيا بان يبدل الله قبائح اعمالهم الواقعة في الشرك بمحاسن الاعمال في الاسلام فيبدل الله لهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنى عفة واحصانا فكانه تعالى يبشرهم بان يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة فيستوجبون بها الثواب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان مشركوا مكة قالوا قبل نزول قوله الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا ومايغنى عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التى حرم الله وأتينا الفواحش فنزلت هذه الآية بمكة وعنه قال قرأنا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم سنتين والذين لا يدعون مع الله الها آخر الى قوله ويخلد فيه مهانا ثم نزلت الآية الامن تاب فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بشئ فرحه بها وبانا فتحنا لك فتحا مبينا ولما توهم اتحاد الشرط والجزاء في قوله ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا لانه في قوة ان يقال من تاب وصلى فانه يصلى صلاة وليس في مثله فائدة ظاهرة اشار المصنف الى توجيه الكلام بوجوه حاصلها ان الجزاء فيه معنى زائد على مافى الشرط وذلك المعنى مستفاد اما من قوله متابا وتنكيره بعد تقييد ناصبه بكونه رجوعا الى الله عزوجل فان الشرط هو التوبة بمعنى الرجوع عن المعاصى بتركها والندم عليها الى الطاعة بان يتدارك بها مافرط او بمعنى مجرد ترك المعاصى والدخول في الطاعة والجزاء هو الرجوع الى الله تقدس وتعالى علوا كبيرا رجوعا مرضيا عندالله مترتبا عليه محو الخطيئات وعقوباتها ورفع الدرجات وانواع الكرامات او مستفاد من لفظ الجلالة في قوله فانه يتوب الى الله متابا فالله تعالى لما كان موصوفا ومعروفا بانه يعرف التائبين ويحبهم ويفعل بهم مايستوجبون كان قوله تعالى يتوب الى الله في قوة ان يقال يتوب الى من يعرف حق التائبين ويحسن اليهم ويتفضل عليهم فكانه قيل من تاب من المعاصى وعاد الى الطاعة في الدنيا فان تلك التوبة منه في الحقيقة توبة الى الله تعالى او مستفاد من لفظ المضارع بان يراد بقوله يتوب الرجوع الى ثوابه في الآخرة بخلاف الوجهين الاولين اذ ليس المراد به فيهما الرجوع في الآخرة بل المعنى فيهما ان ماأتى به من التوبة في الدنيا فهو التوبة الى الله تعالى ﴿ قوله وهذا تعميم بعد تخصيص ﴾ يعنى ان متعلق التوبة في قوله الامن تاب هو امهات المعاصى وههنا مطلق المعاصى ﴿ قوله لا يقيمون الشهادة الباطلة ﴾ على ان يشهدون من الشهادة وان انتصاب الزور على المصدر والاصل لا يشهدون شهادة الزور باضافة العام الى الخاص فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ﴿ قوله او لا يحضرون ﴾ على ان يكون يشهدون من الشهود وهو الحضور ويكون انتصاب الزور على انه مفعول به والاصل لا يشهدون مجالس الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والشهادة الاخبار بصحة الشئ عن

(مشاهدة)

ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر ويدل عليه قوله (الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ماسلف منه او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا (وكان الله غفورا رحيما) فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات (ومن تاب) عن المعاصى بتركها والندم عليها (وعمل صالحا) يتلافى به مافرط اوخرج عن المعاصى ودخل في الطاعة (فانه يتوب الى الله) يرجع الى الله بذلك (متابا) مرضيا عندالله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله الذى يحب التائبين ويصطنع بهم اوفانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص (والذين لا يشهدون الزور) لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا يحضرون محاضر الكذب

فان مشاهدة الباطل شركة فيه (واذا مرّوا باللغو) ما يجب ان يلغى ويطرح (مرّوا كراما) معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم) بالوعظ والقرآءة (لم يخرّوا عليها صمّا وعميانا) لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلما وقيل الهاء للمعاصى المدلول عليها باللغو (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرّيّاتنا قرّة اعين) بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله فى طاعة الله سرّبهم قلبه وقرّبهم عينه لما يرى من مساعدتهم له فى الدين وتوقع لحوقهم به فى الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقوله رأيت منك اسدا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر وذرّيّتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرّة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم (واجعلنا للمتقين اماما) يقتدون بنا فى امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم نخرجكم طفلا او لانه مصدر فى اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم وقيل جمع آمّ كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم (اولئك يجزون الغرفة) اعلى مواضع الجنة وهى اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم فى الغرفات آمنون وقرآءة بها وقيل هى من اسماء الجنة (بما صبروا) بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها تحية وسلاما) دعاء بالتعمير والسلامة اى تحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيى بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر يلقون من لقى (خالدين فيها) لا يموتون ولا يخرجون (حسنت مستقرّا ومقاما) مقابل ساءت مستقرّا معنى ومثله اعرابا

مشاهدة عيان والزور الكذب واصله تمويه الباطل بما يوهم انه حق ﴿قوله فان مشاهدة الباطل شركة فيه﴾ اى من حيث ان الحضور والنظر دليل الرضى به بل هو سبب لوجوده والزيادة فيه لان الذى حمل اهله عليه استحسان النظارة ورغبتهم فى النظر اليه ﴿قوله معرضين﴾ يعنى ان كراما جمع كريم منصوب على الحالية والمعنى مرّوا مرّ الكرماء الذين لا يرضون باللغو ويتنزهون عن الدخول فيه والاختلاط باهله يقال تكرّم فلان عما يشينه اذا تنزه واكرم نفسه عنه قال تعالى فى حقهم واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه ومن وجوه الاعراض عنه ان يذكر ما يستهجن التصريح به بما يكنى به عنه ﴿قوله بالوعظ والقرآءة﴾ متعلق بقوله تعالى ذكروا اى اذا وعظوا بالقرآن او اذا تلى عليهم القرآن لم يقيموا عليها صمّا لم يسمعوها وعميانا لم يبصروها ولكنهم سمعوا وابصروا وانتفعوا واداة النفى وان دخلت على فعل الخرور الا ان المقصود ليس نفى الخرور بل اثبات الخرور ونفى ما جعل قيدا له وهو الصمم والعمى على ما تقرر من ان النفى المقيد يرجع الى نفى قيده والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها واقبلوا على المذكر بها حرصا على استماعها وسمعوها بآذان واعية وابصروها بعيون راعية ﴿قوله بتوفيقهم للطاعة﴾ يعنى ان المراد بالقرّة المسئولة بها تفضيلهم بالفضائل الدينية لا بالمال والجمال ونحوهما فان المتقين هم الذين تقرّ اعينهم بصلاح ازواجهم واولادهم كما قيل ليس شئ اقرّ لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده مطيعين لله واما غير المتقين فانهم يحبون الدنيا وزينتها ولا تقرّ اعينهم الا بما يحبونه وقرّة اعين منصوب على انه مفعول هب وهو مصدر قولك قرّت عينه قرّا وقرورا وصف بها الاعيان الموهوبة على ان تكون كلمة من فى قوله من ازواجنا وذرّيّاتنا تجريدية والمعنى اجعلهم لنا قرّة عين وهو من قبيل رأيت منك اسدا اى انت اسد ويجوز ان تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقرّ به عيوننا من طاعة وصلاح يقال قرّت به عينى وقرِرت به عينا اقرّ قرّا وقرورا فهما اما من القرور اى رضيت به حتى تقرّ عينى فلا تطمح الى ما فوقه او من قولهم قرّ يومنا من القرّ بالضم وهو البرد وقرور العين على هذا يكون كناية عن الفرح والسرور فان للسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة بين الله اوّلا معاملتهم مع الخلق بانهم يمشون على الارض هونا ولا يؤذون احدا واذا آذاهم اهل الجهل والسفه لا يعارضونهم بالاذى ولكن يتحملون ذلك ويتجاوزون عنه ويقولون قولا سدادا ثم بين معاملاتهم مع الحق ودعاءهم بالليل بقوله والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ثم اخبر عن صنعهم فى اموالهم بانهم ينفقون قواما ثم بين انه مع تحليهم بهذه الفضائل التى هى اصول الطاعات يجتنبون عن امهات المعاصى ثم بين معاملتهم مع اهليهم ودعاءهم فى حقهم وفى حق انفسهم فان قولهم واجعلنا يعنون به انفسهم وذرّيّاتهم ومن قرأ ذرّيّتنا على التوحيد نظر الى ان اسم الذرية يطلق على الواحد والجمع ومن قرأه على لفظ الجمع قصد زيادة الكثرة كما يجمع لفظ القوم والرهط لذلك فيقال اقوام وارهاط ﴿قوله وتنكير الاعين﴾ اى مع ان المراد بها اعين القائلين وهى معينة فلاى شئ نكرت والجواب عنه انه لما قصد تنكير القرّة للتعظيم نكر المضاف اليه فانه لا سبيل لك الى تنكير المضاف الا بتنكير المضاف اليه فنكر المضاف لذلك فكأنه قيل هب لنا سرورا لا يكتنه كنهه ﴿قوله وتقليلها﴾ يعنى ان القائلين جم غفير فقللوا اعينهم حيث عبروا عن عيونهم بجمع القلة واجاب عنه بان عيون المتقين قليلة بالاضافة الى الغير وفيه ان التعبير بجمع القلة لا يكفى فيه ان يكون المعبر عنه قليلا بالاضافة الى الغير بل يجب ان يكون عشرة فما دونها والقلة الاضافية لا تستلزم ذلك ﴿قوله وتوحيده﴾ اى مع انه مفعول ثان لقوله واجعلنا فينبغى ان يطابق المفعول الاوّل فى الافراد والجمع بان يقال واجعلنا ائمة ﴿قوله بصبرهم﴾ على ان ما مصدرية ولم يقيد الصبر بالمتعلق بل اطلق ليتسع فى كل مصبور عليه والمضض وجع المصيبة ﴿قوله دعاء بالتعمير والسلامة﴾ يعنى ان التحية هى الدعاء بالتعمير والسلام هو الدعاء بالسلامة ولم يذكر الملقى اياهما وهم فى الغرفات ويمكن ان ذلك هو الله لقوله سلام قولا من رب رحيم وان يكون الملائكة لقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وان يكون بعضهم يحيى بعضا ويسلم عليه ﴿قوله او تبقية دائمة﴾ عطف على قوله دعاء بالتعمير اى ويجوز ان يكون المعنى ويلقون فى تلك الغرفة نفس التبقية الدائمة ونفس السلامة من كل آفة اى يعطيهم الله تعالى البقاء والخلود بأن يقيمهم فى الجنة خالدين سالمين وعلى هذا المعنى يكون التركيب مستعملا فى اصل معناه لان معنى التحية الاحياء والتبقية يقال حياه تحية اى احياه احياء كما يقال بقاه تبقية بمعنى ابقاه ابقاء وعلى المعنى الاوّل يكون مجازا لانه يتزل الدعاء

بالصبة منزلة الصبة فان من دعا بان يبقيه ويخلده كان كمن ابقاه وخلده بناء على انه تعالى وعد باجابة الدعاء حيث قال ادعونى استجب لكم وقوله تعالى خالدين حال من يجزون او يلقون اى مقيمين فيها من غير موت ولا انتقال ثم انه تعالى لما وصف عباده العابدين وعدد خصالهم الحميدة وشرح ثوابهم ووعدهم ما وعدهم لاجل عبادتهم امر رسوله بان يقول للناس صريحا انه ما اناله واعتناء بشأنكم حيث خلق السموات والارض وما بينهما ارادة لانتظام احوالكم وقضاء لحوائجكم ومهماتكم انما هو لتعرفوا حق النعم وتطيعوه فيما كلفكم به من التكليفات ولتفوزوا بالسعادة الابدية والا فهو تعالى غنى عنكم وباى وجه يحتاج اليكم وهو غنى عن العالمين يقال عبأ المتاع يعبأ عبأ فهو عابئ اذا احتاج اليه فهيأه لذلك ﴿ قوله لولا دعاؤكم ﴾ ذكر فيه وجهين احدهما لولا دعاؤه اياكم الى الدين والطاعة فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول وثانيهما كون المصدر مضافا الى فاعله وكونه بمعنى العبادة والتذلل بالوجوه المبينة فى الشرح واختار المصنف ان يكون الخطاب فى قوله تعالى قل ما يعبأ بكم وفى قوله لولا دعاؤكم فقد كذبتم متوجها الى جنس الناس من غير تقييد بنوع من انواع هذا الجنس ثم وجه صحة اسناد العبادة والتكذيب الى الجنس المذكور بانه لما وجد فى صنف من اصناف العبادة وفى صنف آخر من اصناف التكذيب صح اسنادهما اليه وكان تقدير قرآءة فقد كذب الكافرون اى منكم الا ان دخول الصالحين الابرار فى خطاب فقد كذبتم فسوف يكون لزاما بناء على ان يقال فى تأويله فقد كذب صنف منكم لا يخلو عن بعد والظاهر ان يكون الخطاب متوجها الى كفار قريش لان هذه السورة الكريمة نازلة لتقريع كفار قريش على عنادهم وتكذيبهم آيات الله تعالى وتسميتهم القرآن باساطير الاولين وطعنهم فى رسول الله بقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام واما ذكر المؤمنين فتعريض بهم وجواب قوله تعالى لولا دعاؤكم محذوف لدلالة المقام عليه اى لولا دعاؤكم لما خلقكم ولما اعتنى بشأنكم وقوله تعالى فقد كذبتم موضوع موضع ان يقال فقد تركتم عبادتى وخالفتم حكمى على طريق التعبير بالملزوم عن اللازم لان التكذيب مستلزم لترك العبادة والظاهر من تقرير صاحب الكشاف انه جعل قوله فقد كذبتم معطوفا على شرط محذوف ﴿ قوله فسوف ﴾ جزاء لذلك الشرط المحذوف كأنه قيل اذا اعلمتكم انى لا اعبأ بعبادى الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمى فسوف يلزمكم اثم تكذيبكم حتى يكبكم فى النار فانى لا اعتد بمن لا يشتغل بالعبادة وبعد هذا الاعلام تركتم العبادة فسوف يلحقكم العذاب ﴿ قوله تعالى لزاما ﴾ خبر يكون واسمه مضمر والمعنى يكون جزاء التكذيب لازما على ان يكون اللزام مصدرا كالقيام اقيم مقام الفاعل كما يقوم العدل مقام العادل ويحتمل ان يكون الاسم المضمر اثر التكذيب ﴿ قوله حتى يكبكم ﴾ بفتح الياء من كبه لا بضمها من اكب لانه لازم يقال كبه لوجهه اى صرعه فاكب على وجهه وهو من النوادر وقرئ لزاما بفتح اللام بمعنى اللزوم كالثبات بمعنى الثبوت والاول بمعنى الملازمة وكلاهما من قبيل الوصف بالمصدر بمعنى ملازما او لازما * تمت سورة الفرقان والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة الشعرآء مائتان وست او سبع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ﴾

﴿ قوله بالامالة ﴾ اى بامالة فتحة طا والفها لان فواتح السور ليست بحروف بل هى اسماء لما يتهجى به فجازت الامالة فيها وقرأ الباقون بتفخيم الفها على الاصل واظهر حمزة نون سين اى لم يدغمها فى الميم لان حروف الهجاء فى تقدير الانفصال والانقطاع عما بعدها فوجب اظهارها الا انها لما تحقق متصلة بحرف من حروف الفم والادغام لتصل بها لم يوجد شئ يوجب الخفاء ها ظاهرا والباقون يدغمون النون فى الميم نظرا الى اتصالها بحرف الشفة ﴿ قوله والاشارة الى السورة او القرآن ﴾ يعنى ان طسم اسم لهذه السورة او القرآن وتلك اشارة الى المسمى بهذا الاسم واختص فى الاشارة لفظ البعيد مع انه لم يتخلل شئ بين اسم الاشارة والمشار اليه وهو طسم لبعد المشار اليه باعتبار ان الاسم الدال عليه قد تكلم به وانقضى او باعتبار انه قد وصل من المرسل الى المرسل اليه فقوله طسم مبتدأ وتلك مبتدأ ثان وآيات الكتاب المبين خبر المبتدأ الثانى وهذه الجملة خبر المبتدأ الاول وهو طسم بتقدير المضاف ليصح الاخبار عنه بان تلك آيات الكتاب المبين والتقدير آيات طسم بمعنى آيات هذه السورة او آيات جملة القرآن العظيم تلك آيات الكتاب المبين وهو من ابان بمعنى بان وظهر ولهذا فسره بقوله الظاهر اعجازه ومحصول قوله آيات

(قل ما يعبأ بكم ربى) ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم (لولا دعاؤكم) لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سوآء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدرية كأنه قيل اى عبء يعبأ بكم (فقد كذبتم) بما اخبرتكم به حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم فى العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب الكافرون اى الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد فى جنسهم من العبادة والتكذيب (فسوف يكون لزاما) يكون جزآء التكذيب لازما يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم فى النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفرقان لقى الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

﴿ سورة الشعرآء مكية الا قوله ﴾
﴿ والشعرآء يتبعهم الغاوون الى ﴾
﴿ آخرها وآيها مائتان وست او سبع ﴾
﴿ وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم) قرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه فى الاصل منفصل عما بعده (تلك آيات الكتاب المبين) الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر فى اول البقرة

(اماك باخع نفسك) قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل للاشفاق اى أشفق على نفسك ان تقتلها (أن لايكونوا مؤمنين) لئلا يؤمنوا او خيفة ان لايؤمنوا (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه (فظلت اعناقهم لها خاضعين) منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف واكن على فأصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح (وما يأتيهم من ذكر) موعظة او طائفة من القرآن (من الرحمن) بوحيه الى نبيه (محدث) مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير (الا كانوا عنه معرضين) الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا عليه (فقد كذبوا) اى بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا فى تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا فى قوله (فسيأتيهم) اى اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيامة (انباء ما كانوا به يستهزؤن) من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره (أولم يروا الى الارض) أولم ينظروا الى عجائبها (كم أنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون مبينة منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها (ان فى ذلك) ان فى انبات تلك الاصناف او فى كل واحد (لآية) على ان منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة (وما كان اكثرهم مؤمنين) فى علم الله وقضائه فلذلك لاينفعهم امثال هذه الآيات العظام (وان ربك لهو العزيز) الغالب القادر على الانتقام من الكفرة (الرحيم) حيث أمهلهم او العزيز فى انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن (واذ نادى ربك موسى) مقدر باذكر او ظرف لما بعده (ان ائت) اى ائت او بأن ائت (القوم الظالمين) بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح اولادهم

طسم تلك آيات الكتاب المبين ان هذه السورة الكريمة او القرآن العظيم كتاب مبين اى ظاهر الاعجاز وصحيح انه كلام الله تعالى اذ لو لم يكن كذلك لقدروا على الاتيان بمثله ولما عجزوا عن معارضته ﴿قوله ولعل للاشفاق﴾ اى الخوف وهو تعالى منزه عن الخوف والمعنى انه تعالى يأمره ان يخاف على نفسه فلا يفضى تلاتوده به الحسرة الى الهلاك وهو قول المصنف اى أشفق على نفسك ﴿قوله لئلا يؤمنوا﴾ يعنى أن قوله ان لايؤمنوا فى موضع النصب على انه مفعول بحذف لام التعليل من ان كما هو المشهور او بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير خيفة ان لايؤمنوا ولما كانت الخيفة فعلا لفاعل الفعل المعلل وهو البخع من حيث ان كل واحد منهما فعل النبى لم يحتج الى اللام فى تعلق العامل به او انه حذف اللام لما ثبت من ان حذف اللام من ان وان قياس مستمر لا لكونه مفعولا له ﴿قوله تعالى فظلت﴾ معطوف على ننزل والمجئ به ماضيا لتحقق كون اعناقهم خاضعين حينئذ ﴿قوله واصله فظلوا لها خاضعين﴾ جواب عما قال قوله خاضعين مسند الى ضمير الاعناق وهى ليست من قبيل العقلاء فلا يجوز ان يخبر عنها بلفظ الجمع السالم لانه مختص بالعقلاء وتقرير الجواب ان الخضوع صفة اصحاب الاعناق واخبر عن الاعناق بقوله خاضعين بناء على اصل الكلام ولما اقحمت الاعناق لبيان محل الخضوع كان ينبغى ان يغير الكلام الى خاضعة او خاضعات الا انه ترك الخبر على اصله لدلالة عليه ﴿قوله وظلت عطف على ننزل﴾ جواب عما قال كيف عطف الماضى على المستقبل بحرف التعقيب او بالفاء السببية والماضى يمتنع ان يكون عقيب المستقبل وان يكون مسببا عنه وتقرير الجواب ان ننزل وان كان مستقبلا لفظا الا انه فى قوة الماضى لانه لو اورد بدله لفظ الماضى لكان صحيحا كما عطف اكن المجزوم على أصدق المنصوب لكونه فى موضع الجزاء من حيث ان المعنى ان اخرتنى اصدق واكن بين الله ان آيات هذه السورة الكريمة من حيث كونها آيات الكتاب الظاهر الاعجاز كافية فى الدلالة على وجود اله قادر على ما يشاء وعلى صدق مدعى الرسالة فى دعواه فهى كافية فى دخولهم فى الايمان وفى قبولهم جميع ما فيها من الاصول الاعتقادية والفروع العملية فان لم يؤمنوا بسببها فلا تبالغ فى الحزن والاسف على بقائهم على الكفر والضلال واشفق على نفسك ان تقتلها بلا فائدة فصبره الله تعالى وعزاه وعرفه ان غمه وحزنه لاينفع فى ايمان من سبق حكم الله بعدم ايمانه كما ان الكتاب المبين الاعجاز لم ينفع فى ايمانه ثم بين ان الله تعالى قادر على ان ينزل آية ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه الا انه لم يفعل ذلك بناء على انه لا عبرة بالايمان المبنى على القسر والالجاء ثم بين انه من جهة وفور رحمته وفضله واحسانه جدد لهم الانذار والتذكير وقتا بعد وقت وكلما نزل عليهم شيأ من الموعظة والتذكير وطائفة من القرآن النذر أصروا على ما كانوا عليه من الاعراض والتكذيب والاستهزاء المدلول عليه بقوله فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن والفاء فى قوله فقد كذبوا للتعقيب كما اشار اليه بقوله اى فقد كذبوا بالذكر بعد اعراضهم المؤدى الى التكذيب المؤدى الى الاستهزاء بناء على ان ما كذبوه واستهزأوا به هل هو حقيق بالتصديق والتعظيم او بالتكذيب والاستهزاء ثم انه تعالى بعد ما بين انه كلما نزل عليهم ذكرا جديدا وقتا بعد وقت فما زادهم ذلك سوى النفور والاعراض بين ايضا انه اظهر لهم ادلة تحدث فى الارض وقتا بعد وقت تدل على وحدانيته وكمال قدرته ومع ذلك استمر اكثرهم على ما هم عليه من الكفر والعصيان فقال اولم يروا الى الارض ونعى عليهم تركهم نظر الاعتبار ليستدلوا بما فى الارض من العجائب اورأوا الا انهم لم يؤمنوا بسببها وكم فى قوله تعالى كم انبتنا خبرية للتكثير ومنصوبة المحل بالفعل الذى بعدها على المفعولية اى كثيرا من الازواج انبتنا وكل زوج تمييز جئ به لدلالة على ان الكثير الذى انبته الله تعالى ليس من بعض اصناف النبات بل من جميع اصنافه على التفصيل ﴿قوله وهو صفة﴾ يعنى ان الكريم اسم يوصف به كل ما يحمد ويرضى فى بابه وما له من المنافع والكمالات التى لايقدر على ايتائها الا رب العالمين ومنه وجه كريم اى محمود مرضى فى حسنه وجماله وكتاب كريم اى مرضى فى لفظه ومعانيه وفوائده وفارس كريم اى مرضى فى شجاعته وبأسه ووصف الزوج بالكريم يحتمل معنيين الاول انه صفة مقيدة له مخصصة بما هو النافع من نوعى النبات فانه على نوعين نافع وضار فبين الله كثرة ما انبت فى الارض من جميع اصناف النباتات النافع وترك ذكر الضار والثانى ان يكون صفة مادحة لامخصصة فيعم جميع اصناف النبات نافعه وضاره وفى وصف جميعها بالكريم تنبيه على انه تعالى ما انبت شيأ الا وفيه فائدة ومنفعة جلية لان الحكيم لايفعل فعلا الا لمعنى صحيح وحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون ﴿قوله او ظرف لما بعده﴾ اى قال رب انى اخاف

في

ان يكذبون اذ نادى ربك وقيل انه مقدر قبله اى واتل على قومك اذ نادى الله موسى فيما تتلو ويدل عليه قوله تعالى فيما بعد واتل عليهم نبأ ابراهيم وذلك حين رأى موسى الشجرة والنار ﴿قوله ولعل الاقتصار على القوم﴾ يعنى انه لا شك ان موسى كان مبعوثا الى فرعون وقومه من الرؤساء والاتباع الا انه لم يذكر فى بعض الآيات قومه حيث قال اذهبا الى فرعون انه طغى ولم يذكر فى بعضها الاتباع حيث قال الى فرعون وملئه والملأ هم الرؤساء دون الاتباع لان المتبوع ورؤساء القوم لما كانوا اصلا اتبعهم الاتباع فى الايمان كان ذكرهم يغنى عن ذكر الاتباع فلذلك اقتصر تارة على ذكر فرعون وتارة على ذكره وذكر رؤساء قومه واقتصر فى هذه الآية على ذكر قومه من الرؤساء والاتباع لعلمه بان نفس فرعون كان اولى بذلك ﴿قوله ألا يتقون استئناف﴾ لا محل له من الاعراب وهو متعين على قراءة يتقون بياء الغيبة واما على القرآءة بتاء الخطاب فانه يحتمل ان يكون التقدير ائت القوم الظالمين وقل لهم ألا تتقون باضمار القول فلا التفات حينئذ وانما يكون التفاتا على تقدير كونه استئنافا وطريق الالتفات انه تعالى بصدد الشكاية من قوم فرعون وظلمهم لنبيه موسى فلما اشتد غضبه عليهم قطع بث الشكوى الى موسى واقبل عليهم وبخهم بالعنف والغلظة وقال لهم ألا تتقون * ولما ورد كيف يصح الالتفات اليهم وهم غيب والالتفات الى الجانى انما يصح اذا كان الجانى حاضرا فى مجلس الشكاية وهم ليسوا حاضرين فى مجلس خطابه تعالى مع موسى فى وقت المناجاة * اجاب عنه بقوله وهم وان كانوا غيبا حينئذ اى حين مخاطبة الله موسى عليه الصلاة والسلام * وتقرير الجواب انهم وان كانوا غيبا الا انهم حينئذ اجروا مجرى الحاضر وكلام الشخص الذى ارسل اليهم من حيث ان ذلك الشخص لما كان مبلغ ذلك الكلام اليهم وكان استماعه مبدأ استماعهم كان حضور ذلك الشخص مع المتكلم بمنزلة حضورهم معه ولذلك صح الالتفات اليهم فى كلام ذلك الشخص وان كانوا غيبا فى نفس الامر وقت المكالمة معه مع ان فى الالتفات اليهم بهذا الطريق مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده لانه لما وبخ الغائب على ترك التقوى وحث عليه مع عدم استماعه كلام الموبخ بالذات فالحاضر المتدبر يكون له اوفر حظ من الحث عليه ﴿قوله اكتفاء بها عن ياء الاضافة﴾ فان اصله على قرآءة الكسر ألا يتقونى فحذفت احدى النونين تخفيفا واكتفى بكسر النون عن ياء المتكلم فصار ألا يتقون ويحتمل ان تكون قرآءة الكسر مبنية على ان يكون اصل الكلام الا يا ناس اتقون بأن تكون الياء فى يتقون حرف النداء وان يكون المنادى محذوفا كما فى قوله الا يا اسجدوا فان اصله الا يا هؤلاء اسجدوا ويكون اتقون امرا حاضرا حذف منه ياء المتكلم اكتفاء بالكسر وتكون النون فيه نون الوقاية ويكون ارتباط الكلام بما قبله على هذا الوجه بتقدير القول اى ان رأيت القوم الظالمين قل لهم الا يا ناس اتقون * فان قلت هذا التوجيه لا يساعده خط المصحف * فالجواب ان خط المصحف سنة متبعة غير منوطة بالقياس ﴿قوله رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور الثلاثة﴾ مبنى على ان يكون قوله يضيق ولا ينطلق مرفوعين بعطفهما على خبر ان وهو اخاف لانهما اذا كانا منصوبين عطفا على يكذبون يكون استدعاء الضم مرتبا على علة واحدة وهى الخوف من الامور الثلاثة فان المعنى حينئذ اخاف ان يكذبون واخاف ان يضيق صدرى واخاف ان لا ينطلق لسانى وعلى قرآءة الرفع يكون كل واحد من الامور الثلاثة علة مستقلة لاستدعاء الضم غاية ما فى الباب ان يكون بعضها مرتبا على البعض فى الوجود لأن حاصل الكلام حينئذ انه لو لم يشركه هرون فى الامر لاختلت المصلحة المطلوبة من بعثة موسى عليه الصلاة والسلام وذلك من وجهين الاول ان فرعون ربما كذبه والتكذيب سبب لضيق القلب لتعسر الكلام على من يكون فى لسانه حبسة لانه عند ضيق القلب تنقبض الروح والحرارة الغريزية الى باطن القلب واذا انقبضا الى الداخل وخلا منهما الخارج ازدادت الحبسة فى اللسان فالتأدى من التكذيب سبب لضيق القلب وضيق القلب سبب للحبسة فلهذا بدأ عليه الصلاة والسلام بخوف التكذيب ثم ثنى بضيق الصدر ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان ثم قال وهرون افصح لسانا منى وليس فى حقه هذا المعنى فكان ضمه الى وارساله معى لائقا والثانى ان لهم عندى ذنبا فأخاف ان يبادروا الى قتلى وحينئذ لا يحصل المقصود من البعثة واما هرون فليس كذلك فيحصل المقصود من البعثة بضمه الى ﴿قوله وليس ذلك تعللا منه﴾ جواب عما يقال كيف ساغ لموسى عليه الصلاة والسلام ان يأمره الله بامره فلا يقبله بسمع وطاعة ومن حقه ان يسارع فى امتثال المأمور به بلا توقف * وتقرير الجواب انه عليه الصلاة والسلام لم يذكر الامور الثلاثة الاستعفاء من تكليف الرسالة والتعلل

(قوم فرعون) بدل من الاول او عطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك (ألا يتقون) استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين فى كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى ألا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا (قال رب انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون) رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة فى اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوى قلبه وينوب منابه متى يعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا فى تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذر فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبوا فيكونان من جملة ما خاف منه (ولهم علىّ ذنب) اى تبعة ذنب فحذف المضاف او سمى باسمه والمراد قتل القبطى وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى مواضع (فأخاف ان يقتلون) به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذلك استمداد واستظهار فى امر الدعوة

وقوله (قال كلا فاذهبا بآياتنا) اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم بردعه عن الخوف وضم اخيه اليه فى الارسال والخطاب فى فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى دل عليه كلا كأنه قيل ارتدع ياموسى عما تظن فاذهب انت والذى طلبته (انا معكم) يعنى موسى وهرون وفرعون (مستمعون) سامعون لما يجرى بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا له لما يجرى بينهم وترقبا لامداد اوليائه منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك تجوّز بالاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو (فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين) افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون مافهت عندهم

* بسرّ ولا ارسلتهم برسول

ولذلك ثنى تارة وافرد اخرى او لاتحادهما للاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا (ان أرسل معنا بنى اسرآئيل) اى بان ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام (قال) اى فرعون لموسى بعدما أتياه فقالا له ذلك (ألم نربك فينا) فى منزلنا (وليدا) طفلا سمى به لقربه من الولادة (ولبثت فينا من عمرك سنين) قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين ثم بقى بعد الغرق خمسين (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى وبخه به معظما اياه بعد ماعدّد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز (وانت من الكافرين) بنعمتى حتى عمدت الى قتل خواصى او ممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التاءين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالاهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون فى دينهم (قال فعلتها اذا وانا من الضالين) من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهلين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التأديب او الناسين من قوله ان تضل احدهما (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) حكمة (وجعلنى من المرسلين) ردّ اولا بذلك ما وبخه به قدحا فى نبوته ثم كرّ على ما عدّ عليه من النعمة ولم يصرّح بردّه لانه كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على انه كان فى الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال (وتلك نعمة تمنها علىّ ان عبدت بنى اسرآئيل) اى وتلك التربية نعمة تمنّ علىّ بها ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرآئيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانهم السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اى أوتلك نعمة تمنها علىّ وهى ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة

بهابل اراد به تمهيد العذر فى التماسه المعين فهو قد امتثل وقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده بأخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته وتمهيد العذر فى التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف فى امتثال الامر ولا بتعلل فيه واراد بالذنب قتله القبطى بالوكزة دفعا عن السبطى الآخر واراد بكون ذلك القتل عليه أن تبعة ذلك القتل اى موجبه وجزاءه بتمته على زعمهم والتبعة كل حق يجب للمظلوم على الظالم بمقابلة ظلمه عليه ﴿ قوله اجابة له الى الطلبتين ﴾ تثنية طلبة بكسر اللام وهى ماطلبته من شئ طلب موسى امرين الاول ان يدفع عنه شرهم والثانى ان يرسل معه هرون فاجابه الله الى الاول بقوله كلا ومعناه ارتدع ياموسى عما تظنه فانهم لن يقتلوك به فانى لاسلطهم عليك بل اسلطك عليهم واجابه الى الثانى بقوله فاذهبا اى اذهب انت والذى طلبته وهو هرون ﴿ قوله يعنى موسى وهرون وفرعون ﴾ فهو تعالى معهما بالعون والنصر ومع فرعون بالكسر والقهر ﴿ قوله سامعون ﴾ حقيقة الاستماع طلب السمع بالاصغاء والله تعالى سامع غنى عن الاستماع والاصغاء فلذلك جعل المعنى لسمع ماتقولانه وما يجيبو نكمابه وفى الكلام استعارة تمثيلية لكون وجه الشبه هيئة منتزعة من عدة امور ﴿ قوله لانه مصدر وصف به ﴾ مبالغة او بتقدير ذوا رسالة رب العالمين ﴿ قوله بعدما اتياه فقالاله ذلك ﴾ اشارة الى ان فى الكلام حذفا اى فذهبا اليه فدخلا عليه وقالاله ما امرهما الله تعالى به فعند ذلك قال فرعون ماقال روى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأذن لهما فدخلا عليه وأديا الرسالة فعرف موسى عليه الصلاة والسلام فعدد نعمه عليه اولا ثم اساءة موسى عليه الصلاة والسلام اليه والوليد الصبى الصغير وكان عليه الصلاة والسلام ولد فيهم ثم كان فيما بينهم حتى صار رجلا والفعلة بالفتح بناء المرة وكانت وكزة واحدة وبالكسر بناء النوع وتعظيم تلك الفعلة يستفاد من عدم التصريح باسمها الخاص فان تنكير الشئ وابهامه قد يقصد به التعظيم ﴿ قوله او ممن تكفرهم الآن ﴾ اى فعلتها والحال انك فى ذلك الوقت من القوم الذين تزعم الآن انهم كافرون اى كنت قبل الآن منا وعلى ديننا والآن جئت تكفرنا وهذا من غاية جهل اللعين لان الانبياء لم يزالوا على التوحيد والبرآءة من الشرك والله تعالى عاصم من يستنبئه من كل كبيرة فاتلك بالكفر واذا فى قوله فعلتها اذا حرف جواب فقط لان ملاحظة المجازاة ههنا بعيدة فان سيبويه وان نص على انها للجزاء لكن شراح كتابه قد ذهبوا الى انها قد تتمحض للجواب وتتخلف عنها الدلالة على المجازاة ﴿ قوله من الجاهلين ﴾ والحاصل انه عليه الصلاة والسلام لم يرد بالضلال الكفر ان لانه اراد به ردّ قوله وانت من الكافرين بل اراد به اما الجهل والسفه والمعنى وانا من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه من غير اتباع الوحى والدليل واما الخطأ فى الفعل حيث قصد المنع والتأديب فقتل ووقع منه القتل واما الذهول عما يؤول اليه الوكز من القتل واما النسيان كما فى قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى فان الضلال فيه بمعنى النسيان لان التذكر انما يكون بعد النسيان وخلاصة جوابه عليه الصلاة والسلام على جميع التقادير ان ماوبخه به وتمدّه علىّ ذنبا انما فعلته على وجه لايعاتب من فعله على ذلك الوجه فضلا عن ان يعدّ كافرا حقيقة او كافر النعمة فانه كيف يعاتب من فعل فعلا رآه على قصد الاصلاح والتأديب بل يستحق لان يثنى عليه ويستحسن فعله وان ادى الى القتل والاهلاك وقوله لانه كان صدقا لان تربيته له امر ظاهر معلوم لايصح ردّه وانكاره فكان غير قادح فى دعواه لما تقرر فى العقول ان الرسول الى الغير اذا كان معه معجزة وحجة لم يتغير حاله بان يكون المرسل اليه انعم عليه اولم ينعم فلذلك لم يكن قول فرعون ألم نربك فينا وليدا نافعاله ولاضارا لموسى فلذلك لم يصرح بردّه ﴿ قوله وتلك التربية نعمة ﴾ اشارة الى ان تلك مبتدأ اشير به الى التربية المدلول عليها بقوله الم نربك ونعمة خبره وتمنها علىّ صفة نعمة وأن عبدت خبر مبتدأ محذوف اى وهى فى الحقيقة تعبيدك قومى اقرّ عليه الصلاة والسلام بكون تلك التربية فى صورة النعمة والاحسان ثم ابطل كونها نعمة بكونها مسببة عن النقمة التى هى قهره بنى اسرآئيل بذبح ابنائهم فانه لو لم يفعل ذلك لتكفلت امه بتربيته ولما قذفته فى اليم حتى يصل الى فرعون ويربى بتربيته فكيف يمنّ عليه بما كان بلاؤه سببا له يقال عبدت فلانا واعبدته واستعبدته وتعبدته اذا اتخذته عبدا وقهرته وذللته ﴿ قوله او بدل نعمة ﴾ كأنه قيل وتلك نعمة تعبيدك بنى اسرآئيل فيؤول المعنى الى ان تلك التربية تعبيدك بنى اسرآئيل ولاشك فى ان التربية ليست نفس التعبيد الا انها لما وقعت بسبب التعبيد

وخصلة جعلت نفس التعبيد مبالغة في السببية والاستلزام ﴿ قوله او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها ﴾
كما ان محل الضمير البارز في تمنها كذلك فان تمن تعدى بالباء فهي مضمرة والتقدير تمن بها او محذوفة كما في قوله
تعالى واختار موسى قومه وعلى التقديرين يكون أن عبدت بدلا من هاء تمنها ﴿ قوله الى خصلة شنعاء مبهمة ﴾
وصف الخصلة بالشنعاء دلالة على ان القصد بلفظ تلك الدال على بعد المشار اليه تحقيره او تنزيل بعده عن ساحة
الحضور والخطاب وانحطاط درجته منزلة بعد المسافة وجعل المشار اليه مبهما لعدم كونه من الامور
الخارجية المتقدم ذكرها بل هو امر ذهني تصوّره عليه الصلاة والسلام واشار اليه بقوله تلك ثم فسره بما الخبر
عنه فانه عليه الصلاة والسلام تصوّر قوله نعمة تمنها علىّ ان عبدت بني اسرآئيل باتهام من حيث انها نعمة تمنها علىّ
تكون خصلة شنعاء فاشار اليها بتلك وجعلها مبهمة ثم بينها بقوله أن عبدت كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا
اشارة الى غير الاخ فكان المعنى هي تعبيدك بني اسرآئيل فكأن اللعين وان امتن بتربيته اياه الا ان تلك التربية
لما كانت مسببة عن تعبيده بني اسرآئيل كان الامتنان بالتربية امتنانا بتعبيدهم ﴿ قوله لم يرعو ﴾ اي لم يكف
ولم يمتنع وهو من رعا يرعو اي كف عن الامر يقال ارعوى عن القبيح وتقديره ارعوو ووزنه افعل ولم يدغم
لسكون الياء المبدلة من الواو ولوقوعها رابعة في الطرف ﴿ قوله شرع في الاعتراض على دعواه ﴾
لم يذكروا في نظم هذه الآية أن موسى عليه الصلاة والسلام دخل على فرعون وادعى الرسالة وقال انا رسول
رب العالمين الا ان المصنف اشار اليه بقوله قال فرعون لموسى بعد ما اتياه فقالا له ذلك كما ذكرناه هناك وانه تعالى
لما قال لهما فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين استلزم ذلك أتيهما اياه وقالا له ذلك حين دخلا عليه فعند
ذلك قال فرعون وما رب العالمين يسأل به عن حقيقته الخاصة ويقول أي شيء هو مما يطلق عليه اسم الشيء كأنه
يريد به التعريض بانكار الاله ويدل عليه قوله تعالى بعد هذا حكاية عنه لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من
المسجونين فأجابه عليه الصلاة والسلام بما فيه انكار الهيته وان يكون ربا العالمين تعريضا حيث قال رب
السموات والارض وما بينهما كأنه قال انت احقر من ذلك واذل فان رب العالمين رب السموات والارض ومدبر
امرهما وامر اهلهما على التفصيل ثم قال ان كنت انت وهؤلاء البهائم الذين اتخذوك الها وسموك رب العالمين
من الذين يحققون الاشياء بالنظر الصحيح الذي يؤدّيهم الى الايقان علمتم ان العالم عبارة من كل ما يعلم به الخالق من
السموات والارض وما بينهما وان ربها هو الذي خلقها ورزق من فيها ودبر امورها فيجب ان يكون واجبا لذاته
مبدأ لجميع الممكنات وعلمتم ايضا ان ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية فتعجب اللعين من جوابه
فقال لمن حوله الا تستمعون اطلب منه الماهية وهو يجيبني بالفاعلية وزعم ان السموات ممكنة مربوبة وهي
واجبة متحركة لذاتها فثنى عليه الصلاة والسلام بقوله ربكم ورب آبائكم الاوّلين استدل اوّلا بامكان الاجرام
العلوية والسفلية واحتياجها الى مؤثر واجب لذاته على وجود رب يستند اليه جميع الموجودات ثم خص من
جملة الموجودات بأمرها ما هو اقرب بالنسبة الى المستدل وهو نفسه ومن ولده ومن ولد هو منه فان دليل الانفس اقرب
من دليل الآفاق واظهر دلالة على المؤثر القادر الحكيم فعدل اليه اشعارا بغباوتهم وايضا يمكن ان يتوهم كون
السموات والارضين واجبة لذاتها غنية عن الخالق ولا يتوهم ذلك في انفسهم وآبائهم واجدادهم لان المشاهدة
دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته
ووجب ان يكون وجوده مستندا الى مؤثر واجب لذاته فكان التعريف بهذا الاثر اظهر فلهذا عدل موسى عليه
الصلاة والسلام اليه وقوله ويشك منصوب معطوف على ان يتوهم وقوله ويكون مرفوع معطوف على قوله
لا يمكن فعند ذلك اخذ اللعين وغضب ونسبه الى الجنون استكبارا وعنادا قائلا المقصود من سؤالنا طلب
الماهية والحقيقة والتعريف بهذه الآثار الخارجية لا يفيد تلك الخصوصية فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون
لا يفهم المقصود من السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فعاد نبي الله الى تعريف ثالث اوضح من الثاني فقال رب
المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون وذلك لانه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب
غروب الشمس وزوال النهار فظاهر ان التقدير على هذا الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر حكيم وهذا بعينه
طريقة ابراهيم مع نمرود فانه عليه الصلاة والسلام استدل بالاحياء والاماتة حيث قال ربي الذي يحيي ويميت
فلما عارضه نمرود اللعين بقوله انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب

او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل
تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت
عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني اسرآئيل
نعمة تمنها علىّ وانما وحد الخطاب في تمنها
وجمع فيما قبله لان المنة كانت منه وحده
والخوف والفرار منه ومن ملئه (قال فرعون
وما رب العالمين) لما سمع جواب ما طعن
به فيه ورأى انه لم يرعو بذلك شرع
في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار
عن حقيقة المرسل (قال رب السموات
والارض وما بينهما) عرّفه باظهر خواصه
وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر
الخواص والافعال واليه اشار بقوله (ان
كنتم موقنين) اي ان كنتم موقنين الاشياء
محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة
ممكنة لتركيبها وتعددها وتغير احوالها
فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لا بد
وان يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن
ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب
او استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما
محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه
الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف
بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب
في ذاته (قال لمن حوله ألا تستمعون) جوابه
سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او زعم
انه رب السموات وهي واجبة متحركة
لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم
افتقارها الى مؤثر (قال ربكم ورب آبائكم
الاوّلين) عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم
فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصوّر حكيم
ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل
(قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم
لمجنون) اسأله عن شيء ويجيبني عن آخر
وسماه رسولا على السخرية

(فبهت)

(قال رب المشرق و المغرب وما بينهما) تشاهدون كل يوم انه يأتى بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذى قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات (ان كنتم تعقلون) ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم غلظ لما رأى شدة شكيمتهم وخشاتهم عارضهم بمثل مقالتهم (قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين) عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع و هكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه للالوهية و انكاره الصانع و تعجبه بقوله ألا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا او اعتقد ان من ملك قطرا و تولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله و اللام فى المسجونين للعهد اى ممن عرفت حالهم فى سجونى فانه كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا و لذلك جعل ابلغ من لأسجننك (قال أولو جئتك بشئ مبين) اى أتفعل ذلك ولو جئتك بشئ يبين صدق دعواى يعنى المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع و حكمته و الدلالة على صدق مدعى نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل (قال فأت به ان كنت من الصادقين) فى ان لك بينة او فى دعواك فان مدعى النبوة لا بد له من حجة (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) ظاهر ثعبانيته و اشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر (و نزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) روى ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فأخرج يده قال فما هى فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار و يسد الافق (قال للملأ حوله) مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال (ان هذا لساحر عليم) فائق فى علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون) بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم ائتمارهم و تنفيرهم عن موسى و اظهار الاستشعار عن ظهوره و استيلائه على ملكه (قالوا ارجه و اخاه) أخر امرهما وقيل احبسهما (وابعث فى المدائن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة (يأتوك بكل سحار عليم) يفضلون عليه فى هذا الفن وقرئ بكل ساحر (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) لما وقت به من ساعات يوم معين و هو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيل للناس هل انتم مجتمعون) فيه استبطاء لهم فى الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا

هل انت باعث دينار لحاجتنا * او عبد رب اخا عون بن مخراق * اى ابعث احدهما الينا سريعا (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لعلنا نتبعهم فى دينهم ان غلبوا و الترجى باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع و مقصودهم الاصلى ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين) التزم لهم الاجر و القربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذا على ما يقتضيه من الجواب و الجزاء وقرئ نعم بالكسر و هما لغتان (قال لهم موسى ألقوا ما انتم ملقون) اى بعدما قالوا له اما ان تلقى و اما ان نكون نحن الملقين و لم يرد به امرهم بالسحر و التمويه بل الاذن فى تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق (فألقوا حبالهم و عصيهم و قالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون) اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم فى انفسهم او اتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر (فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف) تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف (ما يأفكون) ما يقلبونه من وجهه بتمويههم و تزويرهم فيخيلون حبالهم و عصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة

فبهت الذى كفر فكذا موسى عليه الصلاة و السلام عرف رب العالمين بقوله ربكم و رب آبائكم الاولين فانه بمنزلة الاستدلال بالاحياء و الاماتة ثم عرفه بقوله رب المشرق و المغرب فانه بمنزلة قول الخليل فأت بها من المغرب و اما قوله ان كنتم تعقلون فكأنه عليه الصلاة و السلام قال ان كنت من العقلاء عرفت انه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت لانك طلبت منى تعريف حقيقته و قد ثبت انه لا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا باجزاء حقيقته فلم يبق الا ان اعرفه بالآثار الخارجية و الافعال المختصة به و انى عرفت حقيقته بتلك الآثار فثبت ان كل عاقل يقطع بانه لا جواب عن هذا السؤال الا ما ذكرته ﴿ قوله لاينهم اولا ﴾ جواب عما يقال كيف قال اولا ان كنتم موقنين و آخرا ان كنتم تعقلون فانه معارض لقول فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ﴿ قوله ارجه ﴾ قرأه ابن كثير و هشام هنا و فى سورة الاعراف ارجئه بالهمزة و ضم الهاء يصلها بواو و ابو عمرو بالهمزة و ضم الهاء من غير صلة و ابن ذكوان بالهمزة و كسر الهاء و لا يصلها بياء و قالون بغير همزة و يختلس الكسرة و ورش بغير همزة و يصل الهاء بياء و عاصم و حمزة بغير همز و يسكنان الهاء و الهاء فى الوقف ساكنة بلا خلاف الا فى مذهب من ضمها سواء وصلها او لم يصلها فان الروم و الاشمام جائزان فيها كذا فى تفسير القرآن يقال ارجأت الامر بالهمزة و ارجيته بالياء كلاهما بمعنى اخرته و قرئ و آخرون مرجؤن لامر الله و مرجون الامر الله اى مؤخرون حتى ينزل فيهم ما يريد ﴿ قوله شرطا يحشرون ﴾ اشارة الى ان قوله حاشرين صفة موصوف و هو مفعول ابعث و الشرط جمع شرطة بسكون الراء و فتحها و هى اسم لخيار الجند و هم اول كتيبة يحضرون الحرب * الجوهرى الشرط بالتحريك العلامة و أشرط فلان نفسه لامر كذا اى اعلمها و اعدها قال الاصمعى و منه سمى الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها الواحد شرطة و شرطى و قال ابو عبيدة سموا شرطا لانهم اعدوا ﴿ قوله لما وقت من ساعات يوم معين ﴾ يعنى ان الميقات ههنا الوقت المضروب للفعل و يطلق ايضا على المكان المعين له و منه مواقيت الاحرام يقال هذا ميقات اهل الشام للموضع الذى يحرمون منه و اضيف الميقات الى اليوم على طريقة اضافة الشئ الى زمانه لكون الميقات جزأ من ذلك اليوم و ساعة من ساعاته فبين بالاضافة اليه كأنه قيل الميقات الذى هو فى ذلك اليوم و جزؤ منه و اليوم المعلوم هو يوم الزينة و هو يوم عيد كان لهم فى كل عام و روى عن ابن عباس انه قال وافق يوم السبت فى اول يوم من السنة و هو يوم النيروز و قيل كان ذلك يوم عاشوراء و ميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم موسى عليه الصلاة و السلام من يوم الزينة و ان يحشر الناس ضحى و انما عينه ليظهر الحق و يزهق الباطل على رؤس الاشهاد و يشيع ذلك فى الاقطار و اختاره قوم فرعون ايضا ليظهر فساد قول موسى عليه الصلاة و السلام بمحضر الجمع العظيم و رضى فرعون بما قالوه و عمى عما شاهدوه لان حب الشئ يعمى و يصم و كان هذا ايضا من لطف الله تعالى فى ظهور امر موسى ﴿ قوله او عبد رب ﴾ منصوب بالعطف على محل دينار فانه و ان كان مجرورا لفظا بالاضافة الا انه فى محل النصب على انه مفعول باعث و دينار اسم رجل و كذا عبد رب و اخا عون منادى مضاف اى يا اخا عون و لو اريد بقوله هل انتم مجتمعون حقيقة الاستفهام لجئ بجواب الناس فعلم منه انه استبطاء اريد به الحث على مبادرتهم الى الاجتماع و كذا فى البيت * قال الامام روى ان العصا لما انقلبت حية ارتفعت فى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون و جعلت تقول يا موسى مرنى بما شئت و يقول فرعون اسألك بالذى ارسلك الا اخذتها فأخذها فصارت عصا ثم قال فان قيل كيف قال ههنا ثعبان مبين و فى آية اخرى فاذا هى حية تسعى و فى آية ثالثة كأنها جان و الجان ما يميل الى الصغر و الثعبان الى الكبر فأجاب عنه بقوله اما الحية فهى اسم جنس ثم اذا كبرت صارت ثعبانا و شبهها بالجان لخفتها و سرعة حركتها فصح الكلام اذا و يحتمل انه شبهها بالشيطان لقوله و الجان خلقناه من قبل من نار السموم و يحتمل انها كانت صغيرة كالجان ثم عظمت فصارت ثعبانا و المراد بقوله ثعبان انه بين للناظرين انه ثعبان حقيقة بحركاته و بسائر ما فيه من العلامات و ليس يشبه الثعبان فى مروره فقط كما اظهره السحرة ﴿ قوله و الترجى باعتبار الغلبة ﴾ اى و ترجى الاتباع باعتبار ترجى الغلبة فالمراد انا نرجو ان تكون الغلبة لهم فنتبعهم الا انهم علقوا الترجى باعتبار غلبة السحرة عدولا الى طريق الكناية التى هى ابلغ ﴿ قوله و لم يرد به امرهم بالسحر ﴾ جواب عما يقال كيف جاز لموسى ان يأمر السحرة بالقاء الحبال و العصى و ذلك سحر و تلبيس و كفر و الامر بمثله لا يجوز ﴿ قوله و قرأ حفص تلقف بالتخفيف ﴾ اى باسكان اللام مخففا و الباقون بفتح اللام مشددا و التلقف تناول الشئ بسرعة و اصله تتلقف بتاءين حذفت احداهما

والافك بالكسر الكذب وبالفتح مصدر قولك افكه يأفكه افكا اى قلبه وصرفه عن الشئ ومنه قوله قالوا أجئتنا لتأفكنا و جدنا عليه آباءنا جعل المصنف كلة ما موصولة بحذف العائد ثم جوز كونها مصدرية والافك بالمعنى المصدرى لا يصح ان يتعلق به التلقف سواء جعل بمعنى الاخذ او بمعنى الابتلاع وجعل الافك بمعنى المأفوك وهى الحبال بالافك مبالغة كأنها عين الافك كما فى قولهم هذا ضرب الامير اى مضروبه ﴿ قوله و زويق ﴾ اى تحسين يقال زوقت الكلام والكتاب اذا حسنته ووجه الدلالة على ان منتهى السحر تمويه و تزويق ان حقيقة الشئ لو انقلبت الى حقيقة شئ آخر بالسحر لما عدوا انقلاب العصا حية من قبيل المعجزة الخارجة عن حد السحر ولما خروا ساجدين عند مشاهدتهم سحره ووجه دلالته ان التبحر فى كل فن نافع انه السحرة لو لم يكونوا فى الطبقة العالية من علم السحر ولم يكونوا عالمين ان منتهى السحر انما هو التمويه و التزويق لما تيقنوا ان ما جاء به موسى ليس بسحر و ما كان ذلك التيقن الا ببركة تبحرهم فى علم السحر ﴿ قوله و انما يتبدل الخرور بالالقاء ﴾ يعنى ان المعنى خروا و سقطوا ساجدين لكن عدل الى هذا القول لشاكلة قوله ألقوا ما انتم ملقون فألقوا حبالهم فألقى موسى عصاه وليدل على انهم لم يتمالكوا انفسهم حين ما شاهدوا امرا خارجا عن السحر فخروا بدون الاختيار كأن ملقيا اخذهم وألقاهم على وجوههم فقوله فألقى السحرة استعارة تبعية ﴿ قوله بدل من ألقى ﴾ فلذلك لم يتخلل بينهما عاطف ﴿ قوله ابدال للتوضيح و دفع التوهم ﴾ فان من قال انى اتخذت الهاجرى وتعجب من نسبة الروية الى غيره فقال الاستعمون لا يبعد ان يتوهم ان السحرة ارادوا بقولهم آمنا برب العالمين الايمان بربوبية اللعين فأبدلوا منه رب موسى و هرون ليندفع ذلك الوهم و تشعر اضافته اليهما ان الموجب لايمانهم به ما شاهدوا من اثر قدرته الباهرة وهو ما اجراه على ايديهما لاسمع اللعين انهم باجمعهم آمنوا بالله تعالى وصرفوا وجوههم عنه خاف ان يقول قومه ان هؤلاء السحرة على كثرتهم و بصيرتهم لم يؤمنوا الا عن معرفة بصحة امر موسى فيؤمنوا به كالسحرة فبادر الى ان يلبس على قومه وينفرهم عن موسى واتباعه فقال اولا للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اراد به وصفهم بسرعة الاغترار و سوء التدبير و السفاهة ثم قال انه لكبيركم الذى علمكم السحر تصريحا بما ذكره اولا بطريق الرمز كأنه قال ان استاذكم هذا لم يعلمكم بعض اسرار صنعته ليغلب به عليكم وقت الحاجة فاغتررتم و ظننتم انه غلب عليكم بالمعجز الالهى وليس كذلك فانه انما غلب عليكم بقوة علم السحر لكونكم لم تحيطوا بما احاط به علما ويحتمل ان يكون مراده وصفهم بالخيانة على سلطانهم بعصيانه وتغيير رعيته عنه كأنه قال لم تحتقوا فى اظهار صنعتكم والغلبة على خصمكم لمواطأة بينكم وبينه ليظهر امره ويتم مقصوده والافكيف عجزتم عن ان تفعلوا مثل ما فعله ساحر مثلكم ثم اوعدهم على الاجمال والابهام فقال فلسوف تعلمون ثم فصل ذلك المجمل وبين ذلك المبهم فقال لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى من اجل خلاف ظهر منكم على ان كلة من للتعليل كما فى قوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا و تفسير قطع اليد والرجل من خلاف بقطع اليد اليمنى و الرجل اليسرى كما فى الحدود لا يناسب حال فرعون و لما هو بصدده لانه تخفيف للعقوبة و احتراس من تفويت منفعة البطش والمشى على الجانى و من لم يخطر بباله هذا التأويل قال قوله هذا دليل على جهله حيث اوعدهم فى موضع التغليظ بما وضع للتخفيف وليس فى الآية ما يدل على انه فعل بهم ذلك او لم يفعل والله اعلم بذلك ﴿ قوله لا ضير علينا فى ذلك ﴾ تقدير الخبر المحذوف وليس مرادهم ان ما اوعدهم به ان وقع لا يضرهم اصلا بل المراد ان ذلك ليس ضررا بل نفعا عظيما لنا من حيث كون الصبر عليه مؤديا الى تكفير الخطيئات ورفع الدرجات او من حيث انه من جملة اسباب الانقلاب الى ربنا و انه انفعها و ارجاها فمعنى الاستئناف على هذا ان عدم وقوع ما توعدنا به لا ينجينا من الموت حتى يكون وقوعه ضررا مؤديا اليه فان الانقلاب الى الموت الذى لا حاكم على الانسان بعده سوى الله امر كائن لا محالة باى سبب كان فلا وجه للاحتراز عن خصوص شئ من اسبابه لكونه اضر من غيره كأنه قيل لا ضرر علينا فى ذلك بالنسبة الى سائر اسباب الموت لانا مأتون لا محالة باى سبب كان فحبذا هذا السبب و المعنى الاول لا ضرر علينا بل فيه نفع عظيم لنا من حيث كون الصبر عليه مؤديا الى الكرامة عند الله تعالى ﴿ قوله تعليل لنفى الضير ﴾ هذا ظاهر على تقدير ان يكون خلاصة تعليل الاول انا منقلبون الى الموت بسبب من الاسباب فلا ضير فى بعضه بالنسبة الى الباقى واما على تقدير كون خلاصته انا الى كرامة ربنا منقلبون بذلك فالظاهر كونه تعليلا للعلة المتقدمة ﴿ قوله او على طريقة قول المدل بأمره ﴾ اى الواثق به يقال ادل بالامر اذا وثق به و اعتمد عليه ﴿ قوله

(فألقى السحرة ساجدين) لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على ان منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيأ لا حقيقة له وان التبحر فى كل فن نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما رأوا ما رأوا لم يتمالكوا انفسهم فكأنهم اخذوا وطرحوا على وجوههم وانه تعالى ألقاهم بما خولهم من التوفيق (قالوا آمنا برب العالمين) بدل من ألقى بدل الاشتمال او حال باضمار قد (رب موسى وهرون) ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه على ايديهما (قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيأ دون شئ ولذلك غلبكم او فواعدكم ذلك وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر وروح ءآمنتم بهمزتين (فلسوف تعلمون) وبال ما فعلتم وقوله (لأقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولأصلبنكم اجمعين) بيان له (قالوا لا ضير) لا ضرر علينا فى ذلك (انا الى ربنا منقلبون) بما توعدنا به فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها (انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا) لان كنا (اول المؤمنين) من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة فى المعنى تعليل ثان لنفى الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل بأمره ان احسنت اليك فلا تنس حقى

(واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى) وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الاعتوًا وفسادا وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اى أسربهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم (فأرسل فرعون) حين اخبر بسراهم (فى المدآئن حاشرين) العساكر ليتبعوهم (ان هؤلاء لشرذمة قليلون) على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين ألفا بالاضافة الى جنوده اذروى انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة ألف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلى وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل (وانهم لنا لغائظون) لفاعلون ما يغيظنا (وانا لجميع حذرون) وانا لجميع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعو اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ فى شأنهم حثا عليه واعتذر بذلك الى اهل المدآئن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاوّل للثبات والثانى للتجدد وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اى اقوياء قال

احب الصبى السوء من اجل امه * وابغضه من بغضها وهو حادر *

او تامّوا السلاح فان ذلك يوجب حدارة فى اجسامهم (فأخرجناهم) بأن خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه (من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم) يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية (كذلك) مثل ذلك الاخراج اخرجناهم فهو مصدر أو مثل ذلك المقام الذى كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبرا لمحذوف (واورثناها بنى اسرآئيل فأتبعوهم) وقرئ فاتّبعوهم (مشرقين) داخلين فى وقت شروق الشمس (فلما ترآءى الجمعان) تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر وقرئ ترآءت الفئتان (قال اصحاب موسى انا لمدركون) لملحقون وقرئ لمدّركون من ادّرك الشئ اذا تتابع ففنى اى لمتتابعون فى الهلاك على ايديهم (قال كلا) لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم (ان معى ربى) بالحفظ والنصرة (سيهدين) طريق النجاة منهم روى ان مؤمن آل فرعون كان بين يدى موسى فقال اين أمرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلى اومر بما اصنع (فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر) القلزم او النيل (فانفلق) اى فضرب فانفلق وصار اثنى عشر فرقا بينها مسالك (فكان كل فرق كالطود العظيم) كالجبل المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب (وأزلفنا) وقربنا (ثم الآخرين) فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم (وانجينا موسى ومن معه اجمعين) بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا (ثم اغرقنا الآخرين) باطباقه عليهم (ان فى ذلك لآية) وأية آية (وما كان اكثرهم مؤمنين) وما تنبه عليها اكثرهم اذلم يؤمن بها احد ممن بقى فى مصر من القبط وبنوا اسرآئيل بعدما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة (وان ربك لهو العزيز) المنتقم من اعدآئه (الرحيم) باوليائه

من سرى ﴾ يعنى ان سرى واسرى لغتان بمعنى يقال سرى يسرى بالكسر سرى بالضم وسرى بالفتح واسرى ايضا اى سار ليلا روى انه مات فى تلك الليلة فى كل بيت من بيوت القبط ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى ان اجمع بنى اسرآئيل كل اربعة ابيات فى بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فانى آمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل اولاد القبط واخبزوا فطيرا فانه اسرع لكم والفطير خلاف الخمير اى الذى لا يختمر وكل شئ اعجلته عن ادراكه فهو فطير ثم اسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فيأتيك امرى وموسى لا يشعر به ﴿ قوله لفاعلون ما يغيظنا ﴾ اى ما يغضبنا يقال غاظه واغاظه وغيظه اذا اغضبه والاوّل اشهر واكثر واختلف فى الفعل الذى غاظهم وضاقت به صدورهم فقيل ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا فى هذه الليلة عيدا فاستعاروا حليهم وحللهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال فى الليل الى جانب البحر فمرادهم بالفعل الذى غاظهم ما اخذوه من العوارى وقيل المراد به خروجهم من عبودية فرعون واستقلالهم بانفسهم وقيل المراد به مخالفتهم فى الدين وخروجهم عنه ﴿ قوله المؤدى فى السلاح ﴾ بالهمزة اسم فاعل من آدى الرجل اى قوى من جهة الاداة والسلاح ﴿ قوله بان خلقنا داعية الخروج ﴾ يعنى انهم وان خرجوا باختيارهم الا انه اسند الاخراج اليه تعالى اسنادا مجازيا من حيث انه تعالى خلق فى قلوبهم داعية الخروج فاستلزمت الداعية الفعل وهو الخروج من جنات اى بساتين كانت لهم وعيون اى انهار جارية وكنوز اى الاموال الظاهرة من الذهب والفضة ونحوهما سماها كنوزا لانه مالم يؤدّ منه حق الله تعالى كنز وان كان ظاهرا على وجه الارض وما يؤدّى منه حق الله تعالى ليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين ويعنى بالمقام الكريم المنازل الحسنة من منازل الامرآء والرؤساء التى تحدق بها الاتباع ﴿ قوله مثل ذلك الاخراج ﴾ يعنى ان محل الكاف اما النصب على انه صفة مصدر محذوف واما الجرّ على انه صفة مقام واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقرأ العامة فأتبعوهم بقطع الهمزة من اتبعه بمعنى لحقه فالمعنى لحق فرعون وقومه قوم موسى داخلين فى وقت شروق الشمس اى طلوعها على ان مشرقين حال اما من الفاعل او من المفعول او منهما جميعا لان الدخول فى وقت شروق الشمس قائم بهم جميعا يقال تبعه اذا قفاه أثره وأتبعه اذا لحقه ﴿ قوله وقرئ لمدّركون ﴾ اى بتشديد الدال وكسر الرآء من الادّراك وهو التتابع فى الهلاك يقال ادّرك الشئ اذا تتابع بعضه بعضا ففنى ومنه قوله تعالى بل ادّارك علمهم فى الآخرة اى جهلوا علم الآخرة قيل الادّراك والتتابع من الاسماء الغالبة فى الهلاك كالداهية والبين والسنة والنكبة والقحط وقوله فانفلق عطف على محذوف والانفلاق والانشقاق اى فانشق البحر وتفرق اثنى عشر فرقا اى طريقا لكل سبط منهم طريق وقام الماء عن يمين الطريق وعن يساره كالجبل العظيم كما قال تعالى كل فرق كالطود العظيم والطود الجبل وعظمه لارتفاعه طولا نحو السماء ﴿ قوله وقربنا ﴾ وقيل جمعنا ومنه ليلة المزدلفة اى ليلة الجمع وثم ههنا ظرف مكان بعيد والمراد به ذلك المكان حيث انفلق البحر والآخرين مفعول ازلفنا والمعنى قربناهم من بنى اسرآئيل او قربنا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد أو قدمناهم البحر روى ان جبريل كان بين بنى اسرآئيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى اسرآئيل ليلحق آخركم باوّلكم ويستقبل القبط ويقول رويدكم ليلحق آخركم اوّلكم وروى ان موسى قال عند ذلك يامن كان قبل كل شئ والمكوّن لكل شئ والكائن بعد كل شئ اجعل لنا مخرجا وهذا معجز عظيم من وجوه احدها انفلاق ذلك الماء وثانيها اجتماع ذلك الماء فرقا كل فرق كالجبل العظيم وثالثها انه ثبت فى الخبر انه تعالى أرسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة ما حيرهم فاحتبسوا القدر الذى تكامل فيه عبور بنى اسرآئيل ورابعها ان الله تعالى جعل فى تلك الجدران المائية كوى ينظر منها بعضهم الى بعض وخامسها ان ابقى الله تلك المسالك حتى قرب آل فرعون ان يتخلصوا من البحر كما تخلص موسى عليه الصلاة والسلام فجعل الله ذلك البحر طريقا يبسا لبنى اسرآئيل حتى خرجوا منه سالمين واغرق فرعون ومن معه فانه لما تكامل دخولهم فى البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا اجمعين ﴿ قوله وأية آية ﴾ يعنى ان التنكير فى قوله لآية للتعظيم والتفخيم وفيه تسلية النبى عليه الصلاة والسلام لانه قد يغتم قلبه المنير بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات على يديه فذكر له امثال هذه القصص ليقتدى بمن قبله من الانبياء فى الصبر على عناد قومه والانتظار لمجئ الفرج ﴿ قوله وبنوا اسرآئيل بعدما نجوا ﴾ مبتدأ وسألوا بقرة خبره يعنى بعدما نجوا من الغرق ارتدّ اكثرهم وماداموا على الايمان يريدان ضمير

(واتل عليهم) على مشركى العرب (نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون) سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة (قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين) فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم) يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة (اذ تدعون) عليه وقرئ يسمعونكم اى يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها (او ينفعونكم) على عبادتكم لها (او يضرون) من اعرض عنها (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجأوا الى التقليد (قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون) فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا (فانهم عدو لى) يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغرى بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر فى نفسه تعريضا لهم فانه انفع فى النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه فى الاصل مصدر او بمعنى النسب (الا رب العالمين) استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله (الذى خلقنى فهو يهدين) لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذى قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين

اكثرهم يعود الى من رأى هذه الآية العظيمة واشاع امرها فيما بينهم سواء كان من القبط او من بنى اسرائيل ويجوز ان يكون الضمير فيه راجعا الى القبط خاصة فانه روى انه لم يؤمن من اهل مصر غير امرأة فرعون وحزقيل من آل فرعون ابن عمه ومريم بنت ناموسا التى دلت على عظام يوسف فان موسى عليه الصلاة والسلام لما اسرى بنى اسرائيل من مصر اراد ان يأخذ معه جسد يوسف فلم يجد من يعرف قبره سوى تلك المرأة ﴿ قوله سألهم ﴾ مع انه عليه الصلاة والسلام يعلم انهم عبدة الاصنام فقال اى شئ تعبدون لينبههم على ضلالهم وكان يكفيهم فى الجواب ان يقولوا اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو اى ينفقون العفو الا انهم اطالوا جوابهم بان زادوا قولهم نعبد ولم يقتصروا على زيادته بل زادوا ايضا قولهم فنظل لها عاكفين فانه كان يكفيهم فى الجواب ان يقولوا نعبد اصناما فلم يقتصروا عليه بل عطفوا عليه فنظل لها عاكفين اظهارا لما فى نفوسهم من الابتهاج والافتخار بعبادة الاصنام والتبجح بتقديم الجيم على الحاء الفرح يقال بجحت انا بجحا فبجح اى فرحته ففرح ويقال فلانة ابجحت اهل كذا بالكسر فلو لا انها افلت بالنهار دون الليل والظاهر ان عبادتهم الاصنام لا تختص بالنهار فلذلك قالوا فنظل ههنا بمعنى ندوم ﴿ قوله يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون ﴾ يعنى ان حق يسمعون ان يتعدى الى مفعول واحد من قبيل الاصوات المسموعة نحو سمعت كلامك وسمعت حديث زيد او يتعدى الى مفعولين اولهما من قبيل الجواهر العينية وثانيهما من قبيل الاصوات المسموعة نحو سمعت زيدا يقرأ ولا يجوز سمعت زيدا ولا سمعت زيدا يقوم لان القيام ليس مما يسمع وقوله يسمعونكم من قبيل سمعت زيدا فلا بد ان يحمل على تقدير المضاف او على تقدير المفعول الثانى الذى يكون من قبيل المسموعات ﴿ قوله ومجيئه مضارعا ﴾ جواب عما يقال ان كلمة اذ ظرف لما مضى والزمان الماضى لا يكون ظرفا لما سيكون فالظاهر ان يقال هل سمعوا دعاءكم واسمعوكم الجواب اذ دعوتموهم وتقرير الجواب ان اصل الكلام ما قلتم الا انه عدل الى لفظ المضارع على حكاية الحال الماضية ومعناها استحضروا الاحوال الماضية التى كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا واسمعوا اذ دعوتموهم وتقرير الحجة التى ذكرها ابراهيم لابيه وقومه ان من عبد شيأ لا بد ان يلتجئ اليه فى قضاء حاجته وان المعبود لا بد ان يكون عارفا مراده ويسمع دعاءه ثم يستجيب له فى جلب منفعة او دفع مضرة فقال عليه الصلاة والسلام لهم اذا كان الذى تعبدونه ساقطا عن هذه المنزلة بالكلية كيف تعبدونه فعند قيام هذه الحجة الباهرة لم يجد قومه ما يدفعونه به حجة فتمسكوا بالتقليد فقالوا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اى وجدناهم يفعلون مثل فعلنا على ان كذلك منصوب بيفعلون ويفعلون مفعول ثان لوجدنا ولما كان خلاصة جوابهم انا وافقنا آباءنا فيما ثبت بطلانه بما اقمته من الحجة قال لهم ابراهيم أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فان الباطل لا ينقلب حقا بكثرة فاعليه وكونه دأبا قديما ثم انه عليه الصلاة والسلام ترقى فى تخطئتهم فقال ان ما كنتم تعبدون اعداء لعابديهم فضلا عن ان ينفعوهم او يضروهم فانهم يتبرأون من عبدتهم ويضادونهم كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ﴿ قوله من حيث انهم يتضررون من جهتهم ﴾ جواب عما يقال كيف وصف الاصنام بالعداوة وهى جمادات لا يتصور العداوة منهن يعنى انها شبهت بالعدو من حيث كونها سببا لحوق المضرة بهم فسميت عدوا على سبيل الاستعارة وتقرير الجواب الثانى انها وصفت بالعداوة لكون السبب الحامل على عداوتها اعدى عدو الانسان وهو الشيطان فهو من قبيل الاسناد المجازى حيث اسند وصف السبب الحامل الى مسببه ﴿ قوله استثناء منقطع ﴾ لكونه تعالى غير داخل فيما رجع اليه ضمير انهم وهو ما كان قومه يعبدون والمعنى لكن رب العالمين الذى شأنه كذا وكذا هو المستحق للعبادة ولم يذكر المفعول به الغير الصريح لقوله يهدين ليعم كل ما هداه الله تعالى اليه من امور المعاش والمعاد كما اشار اليه بقوله لانه يهدى كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد وقوله الذى خلقنى يحتمل ان يكون فى محل الرفع على الابتداء فحينئذ يكون مبتدأ ثانيا ويهدين خبره والجملة خبر الاول دخلت الفاء فى خبره لتضمن المبتدأ معنى الشرط وقوله والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ لا يخلو عن بعد لان المقصود ههنا معين ليس بعام كما فى قولك الذى يأتينى فله درهم لان الصلة ليست مما يحتمل صدوره من التعدد فلا تشبه الشرط فالظاهر ان يقال ان جعل الموصول مبتدأ تكون زيادة الفاء فى خبره مبنية على ما ذهب اليه الاخفش من جواز زيادة الفاء فى الخبر مطلقا نحو زيد فاضربه ويحتمل ان يكون فى محل النصب على انه صفة

رب العالمين فيكون الفاء لعطف الجملة الاسمية على خلقنى لتدل على ان هداية الله الى كل ما يحتاج اليه فى امر معاشه ومعاده متعلقة به على سبيل التجدد والاستمرار من حين ان خلقه الله فنفخ فيه الروح الى ابد الآباد والافن هداه الى ان تغذى بالدم فى بطن امه امتصاصا ومن هداه الى خروجه منها منكسا رأسه والى معرفة الثدى عند الارتضاع والى معرفة البكاء عند الحاجة الى الغذآء او عند حدوث الآلام والادوآء الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد ﴿قوله فيكون اختلاف النظم﴾ يعنى قال خلقنى بلفظ الماضى لان خلقه قد وقع على وجه لا يتجدد فى الدنيا بل لما وقع بقى الى الامد المعلوم وقال فهو يهدين بلفظ المستقبل لان الهداية مما يتجدد كل حين ﴿قوله تعالى والذى هو يطعمنى ويسقين﴾ اضاف الاطعام الى ولى الانعام لان الركون الى الاسباب يادة الانعام وليس الاطعام والسقى عبارتين عن مجرد خلق الطعام والشراب له وتمليكهما اياه بل يدخل فيهما اعطاء جميع ما يتوقف الانتفاع بالطعام والشراب عليه كالشهوة وقوة المضغ والابتلاع والهضم والدفع ونحو ذلك واقتصر على ذكر الطعام والشراب من جملة ما يتوقف عليه انتظام حاله فى الدنيا وتبدل كرهما على ما عداهما قيل تقديم كلمة هو فى هذه الصلات دليل على انه لا يهدى ولا يطعم ولا يسقى ولا يمرض ولا يشفى الا الله وحده وذلك انهم كانوا يقولون المرض من الزمان والاغذية والشفاء من الاطباء والادوية فاعلم ابراهيم ان المؤثر فى جميع ذلك ليس الا رب العالمين ﴿قوله ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان المأكول والمشروب﴾ فان البطنة تورث الاسقام والاوجاع والحمية اصل الراحة والسلامة وعليه بنى الشاعر قوله

عدوك من صديقك مستفاد	فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء اكثر ما تراه	يكون من الطعام او الشراب

وقالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب انقطاع آجالكم لقالوا التخم وفى الحكمة ليس لبطنة خير من خمصة تتبعها ﴿قوله وانما لم ينسب المرض اليه﴾ ولم يقل واذا امرضنى مع ان المرض والشفاء كلاهما من الله تعالى لان مقصود ابراهيم تعديد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لا جرم لم يضفه اليه تعالى * ولما ورد على هذا الجواب ان يقال الاماتة اشد من المرض وقد اسندها عليه الصلاة والسلام اليه تعالى حيث قال والذى يميتنى ثم يحيين * اجاب عنه بان لا نسلم انها اشد من المرض بل ليس فيها ضرر اصلا لان الضرر ما يتأذى الانسان باحساسه وحال حصول الموت لا يقع الاحساس به وانما الضرر فى مقدماته وهى عين المرض ثم ترقى فى الجواب وقال بقاء النفوس الزكية والارواح الطاهرة الكاملة فى العلوم والاخلاق المرضية فى هذه الاجساد عين الضرر فى حقهم فخلاصهم منها عين السعادة لهم بخلاف المرض فكان نعمة عظيمة فى حقهم فلذلك اضافه اليه تعالى ﴿قوله ولان المرض﴾ عطف على قوله لان مقصوده تعديد النعم اى لم ينسب المرض اليه تعالى لكونه فى غالب الامر يحدث بتقصير الانسان ولما كان للانسان سببية ظاهرة فى حدوث المرض نسب اليه وان كان الكل من عند الله وايضا لما كان حدوث المرض باستيلاء بعض الاخلاط على بعض من حيث انها كانت مكيفة بكيفيات متضادة كان بينها تنافر طبعا وذلك التنافر يستدعى استيلاء بعضها على بعض المستلزم لبطلان الاعتدال النوعى وسوء المزاج هو المرض فكان حدوث المرض مستندا الى الانسان وتنافر اخلاطه فلذلك اسند اليه بخلاف الصحة فانها انما تحصل عند بقاء الاخلاط على الاجتماع على الوجه الخاص المسمى بالاعتدال النوعى وذلك الاجتماع والاعتدال وكذا عود الاخلاط اليهما بعد طريان سوء المزاج انما يكون بسبب قاهر يقهرها عليهما من حيث انها بطباعها مائلة الى التفرق واستيلاء بعضها على بعض والسبب القاهر هو الله فلذلك اسندت الصحة والشفاء اليه واسند المرض الى العبد ﴿قوله قهرا﴾ منصوب على المصدرية لقوله باستحفاظ لانه نوع من الحفظ والاستحفاظ ابلغ من الحفظ فان استفعل قد يكون بمعنى فعل نحو طاف واستطاف ﴿قوله كمالا فى العلم والعمل﴾ اى زيادة على ما اعطيتنى من الحكمة وهى العلم الذى يفضى الى العمل بمقتضاه فان من يعلم شيأ ولا يأتى بما يناسب علمه لا يقال له حكيم ﴿قوله وحسن صيت﴾ الصيت الذكر الجميل الذى ينتشر فى الناس دون القبيح عبر عن الثناء الحسن والقبول العام فى الامم التى تجيء بعده الى يوم القيامة باللسان لكون اللسان سببا فى ظهوره وانتشاره وبقاء الذكر الجميل على ألسنة العباد الى آخر الدهر دولة عظيمة من حيث كونه دليلا على رضى الله ومحبته لعبده فانه تعالى اذا احب عبدا القى محبته الى اهل السموات والارض فتحبه الخلائق كافة حتى الحيتان فى البحر

فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله (والذى هو يطعمنى ويسقين) على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين لدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم (واذا مرضت فهو يشفين) عطفه على يطعمنى ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض فى الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه انما الضرر فى مقدماته وهى المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التى يستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض فى غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان فى مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافى والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم (والذى يميتنى ثم يحيين) فى الآخرة (والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين) ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامم ان يجتنبوا المعاصى ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفارا لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث انى سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هى اختى ضعيف لانها معاريض وليست خطايا (رب هب لى حكما) كمالا فى العلم والعمل استعد به خلافة الحق ورياسة الخلق (والحقنى بالصالحين) ووفقنى للكمال فى العمل لانتظم به فى عداد الكاملين فى الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) جاها وحسن صيت فى الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه

او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه (واجعلني من ورثة جنة النعيم) في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها (واغفر لابي) بالهداية والتوفيق للايمان (انه كان من الضالين) طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار (ولا تخزني) بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الورّاث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء (يوم يبعثون) الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين (يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم) اي لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب من الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته او لا ينفعان الا مال من هذا شأنه وبنوه حيث انفق ماله في سبيل البر وأرشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اي لا ينفع غنى الاغنياء وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه (وازلفت الجنة للمتقين) بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها (وبرزت الجحيم للغاوين) فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد (وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله) اين آلهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم (هل ينصرونكم) بدفع العذاب عنكم (او ينتصرون) بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال (فكبكبوا فيها هم والغاوون) اي الآلهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من ألقي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها

والطيور في الهواء ﴿قوله او صادقا من ذريتي﴾ فيكون ذكر اللسان من قبيل تسمية الكل باسم جزئه فتكون الآية نظير قوله تعالى حكاية عنه عليه الصلاة والسلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سأخبركم بأول امري انا دعوة ابراهيم وبشارة عيسى ورؤيا امي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور اضاءت لها منه قصور الشام ﴿قوله وقد مر معنى الوراثة فيها﴾ وهو ان تشبه الجنة التي استحقها العامل بعد فنائه بالميراث الذي استحقه الوارث بعد فناء مورثه فيطلق عليها اسم الميراث وعلى استحقاقها اسم الوراثة وعلى العامل اسم الوارث ﴿قوله واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان﴾ فانه يجوز الاستغفار للاحياء من المشركين لان المغفرة مشروطة بالايمان وطلب المشروط يتضمن طلب شرطه فيكون الاستغفار لاحيائهم كناية عن طلب توفيقهم للايمان والذين لا يجوز هذا الاستغفار لهم هم من تبين انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وان كان هذا الاستغفار منه بعد موت ابيه كان لظنه انه قد آمن باطنا وان كان على دين نمرود ظاهرا خوفا منه ولظنه هذا قد وعد اباه ان يستغفر له فلعله حيث قال لأستغفرن لك وان جاز ان يكون معناه لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ولا وجه لان يقال قوله ولذلك وعده به معناه ان اباه وعد ابراهيم بالايمان لانه روي ان اباه وعده به يوم فارقه الا انه لا يناسب هذا المقام وقال الامام ان اباه قال له انه كان على دينه باطنا وعلى دين نمرود ظاهرا تقية وخوفا فدعا له بالمغفرة لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال في دعائه انه كان من الضالين فلولا اعتقاده فيه انه في الحال ليس بضال لما قال ذلك انتهى وحاصله انه دعا لابيه حال حياته بالمغفرة على اعتقاد انه مؤمن باطنا وان قوله انه كان من الضالين معناه انه كان فيما مضى من المشركين وعلى تقدير كون معنى الاستغفار لابيه طلب توفيقه للايمان يكون معنى قوله انه كان من الضالين انه من المشركين في الحال كما في قوله كيف نكلم من كان في المهد صبيا فان كان فيه زائدة للتأكيد والمعنى من هو صبي في الحال ﴿قوله ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت﴾ حمل دعاءه عليه الصلاة والسلام بترك الاخزاء على الدعاء بترك المعاتبة على ما وقع منه مما هو من قبيل ترك الاولى كما هو المراد من الخطيئة في قوله أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين بخلاف ما لو حمل على ترك المعاتبة فان مغفرة الخطيئة لا تستلزم ترك المعاتبة فلذلك افرد الدعاء بتركها بعد ذكر مغفرة الخطيئة ثم جوّز ان يكون المراد منه الدعاء بترك تعذيبه بناء على ان قوله اطمع ان يغفر لي مبني على الدلائل الدالة على كون الانبياء معصومين مأمونين من سوء العاقبة وان دعاءه بترك تعذيبه يوم البعث مبني على انه لا يجب على الله تعالى لأحد شيء وانه يحسن منه كل شيء ولا اعتراض لأحد عليه في شيء من افعاله فتكون العاقبة خفية من هذا الوجه مع جواز التعذيب لان حسنات الابرار سيئات المقربين فكذا درجات الابرار دركات المقربين وخزي كل واحد بما يليق به ‹ الجوهري خزي بالكسر يخزى خزيا اي ذل وهان وخزي ايضا يخزى خزاية اي استحيى وخجل فهو خزيان وهي خزيا وهم خزايا ﴿قوله اي لا ينفعان احدا الا مخلصا﴾ على ان يكون مفعول لا ينفع محذوفا وهو قوله احدا وتكون من نكرة موصوفة في محل النصب على انها بدل من المفعول المحذوف او على الاستثناء المتصل منه ﴿قوله او لا ينفعان الا مال من هذا شأنه﴾ على ان يكون الا من اتى الله بدلا من فاعل ينفع بتقدير مضاف قبل من اتى ﴿قوله اي لا ينفع غنى الاغنياء﴾ فان المال والبنين لكونهما من اسباب الغنى يمكن ان يراد بهما معنى الغنى مجازا مرسلا ثم يستثنى من جنس الغنى غنى من اتى الله بقلب سليم بناء على ادخال سلامة القلب في جنس الغنى لاشتراكهما في التأدية الى سعة الحال وقطع الاحتياج لانه من سلم قلبه من الشرك والمعاصي والاخلاق الذميمة يكون قلبه منورا بنور اليقين والتوكل والاعتماد على ضمان الله وكفالته فلا يحتاج الى احد سواه ويؤيده ما روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمنا اي المال خيرا لاتخذناه فقال عليه الصلاة والسلام « افضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على ايمانه » وقوله يوم لا ينفع بدل من يوم يبعثون وقوله وازلفت الجنة عطف على قوله يبعثون كأنه قيل ويوم ازلفت وقوله وقيل لهم اي وقيل للغاوين على جهة التقريع والتوبيخ اين آلهتكم التي كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون ويمتنعون منه بانفسهم وباب افتعل هنا مطاوع فعل ثم يرميهم فيلقون في النار فلذلك قوله تعالى فكبكبوا فيها هم اي الالهة والغاوون ﴿قوله تكرير الكب﴾ اي تكرير حيث نقله الى باب

(التفعيل)

اَلسَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللّٰهِ الصَّالِحِينَ اَشْهَدُ اَنْ لَا اِلٰهَ

اِلَّا اللّٰهُ وَاَشْهَدُ اَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

اَللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى اٰلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى اِبْرَاهِيمَ

وَعَلَى اٰلِ اِبْرَاهِيمَ اِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ

اَللّٰهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى اٰلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ

عَلَى اِبْرَاهِيمَ وَعَلَى اٰلِ اِبْرَاهِيمَ اِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ

اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونستهديك

ونؤمن بك ونتوب اليك ونتوكل عليك

ونثني عليك الخير كله نشكرك ونخلع

ونترك من يفجرك

اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد واليك نسعى

ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك

ان عذابك بالكفار ملحق

(و جنود ابليس) متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه (اجمعون) تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره مابعده او للضمير و ماعطف عليه وكذا الضمير المنفصل و مايعود اليه في قوله (قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين) على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة و يؤيده الخطاب في قوله (اذ نسويكم برب العالمين) اى في استحقاق العبادة ويجوز ان تكون الضمائر للعبدة كما في قالوا و الخطاب للمبالغة في التحسر و الندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها (وما اضلنا الا المجرمون فمالنا من شافعين) كما للمؤمنين من الملائكة و الانبياء (ولا صديق حميم) اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فمالنا من شافعين و لا صديق حميم من نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق و جمع الشافع و وحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة و قلة الصديق و لان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه في الاصل مصدر كالحنين والصهيل (فلوان لنا كرة) تمن للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير او شرط حذف جوابه (فنكون من المؤمنين) جواب التمني او عطف على كرة اى لو أن لنا ان نكر فنكون (ان في ذلك) اى فيما ذكر من قصة ابرهيم (لآية) لحجة و عظة لمن اراد ان يستبصر بها و يعتبر فانها جاءت على أنظم ترتيب و احسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لمافيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصور الامر في نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا و ايقاظا لهم ليكون أدعى لهم الى الاستماع و القبول (وما كان اكثرهم) اكثر قومه (مؤمنين) به (وان ربك لهو العزيز) القادر على تعجيل الانتقام (الرحيم) بالامهال لكي يؤمنوا هم او احد من ذريتهم (كذبت قوم نوح المرسلين) القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين (اذ قال لهم اخوهم نوح) لانه كان منهم (الا تتقون) الله فتتركوا عبادة غيره (انى لكم رسول امين) مشهور بالامانة فيكم (فاتقوا الله واطيعون) فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله (وما اسألكم عليه) على ما انا عليه من الدعاء و النصح (من اجران اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون) كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرئ اتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم و ايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر و بصيرة وانما هو لتوقع مال و رفعة فلذلك (قال وما علمي بما كانوا يعملون) انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة و ما على الا اعتبار الظاهر (ان حسابهم الا على ربي) ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها (لو تشعرون) لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون (وما انا بطارد المؤمنين) جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم و توقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله (ان انا الا نذير مبين) كالعلة له اى ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا اعزاء او اذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ماعلي الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح ولا علي ان اطردهم لاسترضائكم (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المشتومين او المضروبين بالحجارة (قال رب ان قومي كذبون) اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له و استخفافهم عليه (فافتح بيني وبينهم فتحا) فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة (ونجني ومن معي من المؤمنين) من قصدهم او شؤم عملهم (فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون) المملوء (ثم اغرقنا بعد) بعد انجائه (الباقين) من قومه (ان في ذلك لآية) شاعت وتواترت (وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين) انثه باعتبار القبيلة وهو في الاصل اسم ابيهم (اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجران اجرى الا على رب العالمين)

التفعيل لتكثير الفعل والكب الطرح والالقاء منكوسا يقال كببت الاناء اكبه كبا اذا قلبته فاصل كبكبوا كببوا فاستثقل اجتماع الباآت فابدلت الثانية كافا كما في زحزح من زحه زحا اى نحاه عن موضعه ثم نقل الى باب التفعيل لتكثير الفعل فقيل زحه فابدلت الحاء الثانية زايا فقيل زحزحه اى باعده جعل التكرير في لفظ كبكب دليلا على التكرير في معناه كأنه اذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد اخرى حتى يبلغ قعرها ﴿قوله اجمعون تأكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره مابعده﴾ فتكون الضمائر التي في قوله قالوا وهم فيها يختصمون للجنود ايضا اى يختصم الرؤساء منهم والاتباع و يجادل بعضهم بعضا نحو ماذكر في قوله تعالى فيقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين الى آخر الآية ﴿قوله او للضمير﴾ اى وان لم يجعل قوله و جنود ابليس مبتدأ يكون اجمعون تأكيدا لضمير كبكبوا و ماعطف عليه من الغاوين والجنود ﴿قوله وكذا الضمير المنفصل﴾ اى وكذا يكون الضمير المنفصل في قوله قالوا وهم فيها و مايعود اليه في قوله يختصمون راجعا الى ضمير كبكبوا و ماعطف عليه حينئذ اى على تقدير ان لا يكون الجنود مبتدأ لان الاختصام يكون بين هؤلاء المذكورين من الاصنام و العبدة والجنود في شياطين ابليس وهم ذريته الذين اضلوا بني آدم يجادل بعضهم بعضا بان ينطق الله الاصنام فتخاصم العبدة ﴿قوله و يؤيده﴾ اى ويؤيد كون التخاصم بين العبدة و المعبودين بان يرجع الضمير و مايعود اليه الى ضمير كبكبوا و ما عطف عليه خطاب المعبودين في قوله نسويكم و ضمير قالوا للعبدة ﴿قوله ويجوز ان تكون الضمائر﴾ اى الضمير المنفصل و مايعود اليه للعبدة كضمير قالوا و يكون التخاصم لبعض العبدة مع بعض و يكون خطاب الجمادات في قوله اذ نسويكم على وجه الندامة و التحسر من غير ان يحييها الله و ينطقها لا على سبيل المخاطبة حقيقة و بعد الاعتراف بالانهماك في الضلال من الهدى يقولون و ما اضلنا الا المجرمون اى الشياطين وقيل اى الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل كل من دعانا الى عبادة الاصنام من الجن و الانس قال تعالى حكاية عنهم ربنا انا اطعنا سادتنا و كبراءنا فاضلونا السبيلا ﴿قوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين﴾ ظرف للاستقرار الذي تعلق به كلمة في في قوله لفي ضلال وقوله او فمالنا من شافعين ولا صديق حميم ممن نعدهم الفرق بين الاوجه الثلاثة ان المنفي في الوجه الاول مطلق الشفيع والصديق و في الثاني شفاعة اشخاص معدودين مخصوصين و صداقتهم ممن عدوهم شفعاء و اصدقاء و في الثالث ما نفوا نفس الاصدقاء و الشفعاء ولا شفاعتهم و صداقتهم و انما نفوا نفعهما على سبيل الكناية من حيث ان ما لا نفع له في حكم المعدوم ﴿قوله كالحنين﴾ مصدر حن اليه يحن حنينا اى اشتاق اليه فالحنين هو الشوق و توقان النفس و الصهيل صوت الفرس يقال صهل الفرس يصهل بالكسر صهيلا ﴿قوله لتلاقيهما في معنى التقدير﴾ اى تقدير المعدوم وفرضه فان معنى ليت تمني ما لا تقدير المعدوم كما ان المعنى في قولك لو كان كذا لكان كذا تقدير المعدوم الا انه في التمني مقرون بالطلب و في لو ليس كذلك و يدل على ان كلمة لو هنا للتمني انه نصب جوابه مع الفاء و يجوز ان تكون على اصلها و تحذف الجواب و هو لفعلنا كيت وكيت و لوجدنا شفعاء و اصدقاء وعلى هذا يكون نصب قوله فنكون بان مضمرة عطفا على كرة كقوله للبس عباءة و تقر عيني ﴿قوله تعالى واتبعك الارذلون﴾ جملة حالية من كاف لك باضمار قد و الرذالة الخساسة و الذلة و انما استرذلوهم لقلة جاههم و مالهم ﴿قوله و ايمانهم﴾ معطوف على اتباع المقلين و دليلا معطوف على مانعا اى و جعلوا ايمان المقلين دليلا على بطلان ما يدعوهم نوح اليهم ﴿قوله و ما علمي﴾ الظاهر ان ما فيه استفهامية في محل الرفع على الابتداء و علمي خبره و يجوز ان تكون نافية و الباء متعلقة بعلمي على التقديرين و على الثاني لا بد من اضمار الخبر ليتم الكلام ﴿قوله اظهارا لما يدعو عليهم لاجله﴾ يعني ان قوله رب ان قومي كذبون لم يقله نوح افادة له تعالى بمضمون هذا الخبر و لا اعلاما بكونه عالما بمضمونه لعلمه انه تعالى عالم الغيب و الشهادة و لكن اراد به اني لا ادعو عليهم لاجل تخويفهم اياي بالرجم و استخفافهم اياي بقولهم واتبعك الارذلون و انما ادعو عليهم لاجلك و لاجل دينك و لانهم كذبوني في وحيك و رسالتك فافتح بيني و بينهم فتحا اى فاقض و احكم بيني و بينهم قضاء حكما من الفتاحة و هي الحكومة و الفتاح الحاكم سمي به لفتحه المنغلق من الامر كما سمي فيصلا لفصله بين الخصومات و اراد به الحكم بانزال العقوبة لقوله عقيبه و نجني ولولا ان المراد انزال العقوبة لما كان لذكر النجاة بعده معنى وقوله تعبثون جملة حالية من فاعل تبنون و الريع بكسر الراء و فتحها جمع ريعة و هي في اللغة المكان المرتفع و كانوا يبنون في المواضع المرتفعة من الطريق اعلاما

تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرّب المدعوّ الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا في بعض التفاريع مبرّئين من المطامع الدنيّة والاغراض الدنيوية (أتبنون بكل ريع) بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها (آية) علما للمارّة (تعبثون) ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه للعبث بمن يمرّ عليهم او قصورا يفتخرون بها (وتتخذون مصانع) مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا (لعلكم تخلدون) فتحكمون بنيانها (واذا بطشتم) بسوط او سيف (بطشتم جبارين) متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة (فاتقوا الله) بترك هذه الاشياء (واطيعون) فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم (واتقوا الذي امدّكم بما تعلمون) كرّره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار في ألا تتقون مبالغة في الايقاظ والحث على التقوى فقال (امدّكم بانعام وبنين وجنات وعيون) ثم اوعدهم فقال (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) في الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام (قالوا سواء علينا أوعظت ام لم تكن من الواعظين) فانا لا نرعوي عما نحن عليه وتغيير شق النفي عما يقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه (ان هذا الا خلق الاولين) ما هذا الذي جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اي ما هذا الذي جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها (وما نحن بمعذبين) على ما نحن عليه (فكذبوه فأهلكناهم) بسبب التكذيب بريح صرصر (ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين) انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله (في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) لطيف لين للطف الثمر او لان النخل الاثنى طلع اناث النخل ألطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فرهين وهو ابلغ

طرا لا ليهتدي المارّة بها في أسفارهم فعدّه هود عبثا لاستغنائهم عنها بالنجوم ﴿قوله مآخذ الماء﴾ يعني الحياض واحدها مصنعة ولعل هنا على بابها والمعنى وتتخذونها راجين الخلود وقيل معناها التشبيه اي كأنكم تخلدون اي تبقون فيها خالدين ويؤيده ما في مصحف أبيّ كأنكم تخلدون بضم التاء مخففة ومشددة ونجهم اوّلا باضاعتهم المال عبثا بلا فائدة وثانيا باحكامهم البناء على وجه يدل على طول الامل والغفلة اي تتخذونها اتخاذ من يؤمل الخلود فيها ﴿قوله غاشمين﴾ اي ظالمين من الغشم وهو الظلم والبطش السطوة والاخذ بعنف قال ابن عباس اذا ضربتم بالسياط وقتلتم بالسيف وفعلتم فعل الجبارين كان ذلك ظلما وعلوا بلا رأفة ولا داعية حكمة والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب ﴿قوله وتغيير شق النفي﴾ يعني أن المقابلة تقتضي ان يقال ام لم تعظ وهو اخصر من ان يقال ام لم تكن من الواعظين الا انه ترك مقتضى المقابلة وعدل الى الاطول للمبالغة المذكورة فان التسوية بين وعظه اياهم وعدم كونه من اهل الوعظ والنهي ومباشرته اصلا بمنزلة ان يقال سواء علينا اوعظت ام كنت حجرا صلدا ولا شك انه ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من ان يقال او عظت ام لم تعظ والقائل ان يقول انما يكون هذا ابلغ ان لو لم يكن قولنا هو من الواعظين ابلغ من قولنا هو واعظ لكنه ابلغ منه ولهذا قالوا ان قول الزمخشري في خطبة المفصل احمد الله على ان جعلني من علماء العربية ابلغ من ان يقال جعلني عالما بالعربية ويمكن ان يجاب عنه بان المقابلة بين قوله وعظت وقوله ام لم تكن من الواعظين تأبى الحمل على الكمال وتوجب ان يكون المعنى ام لم تكن من الواعظين اي من اهله ومباشرته اصلا ﴿قوله وقرأ نافع﴾ اي وقرأ الباقون وهم ابن كثير وابو عمرو والكسائي خلق الاولين بفتح الخاء وسكون اللام وهو اما بمعنى الاختلاق والكذب كما يقال خلق الافك واختلقه اي افتراه ومنه قوله تعالى وتخلقون افكا او بمعنى الخلقة والتكوين فعلى الاول يكون هذا اشارة الى ما جاء به هود عليه الصلاة والسلام وعلى الثاني يكون اشارة الى خلقة القائلين والخلق بضمتين بمعنى العادة فعلى هذه القراءة يجوز ان يكون هذا اشارة الى ما جاء به هود وان يكون اشارة الى ما هم عليه من الدين او من الحياة والموت ﴿قوله انكار لان يتركوا كذلك﴾ والمعنى أتظنون انكم تتركون في الذي استقر في هذا المكان من النعيم وان لا دار للمجازاة والهمزة للانكار والتوبيخ وعلى الثاني تكون الهمزة للتقرير تخلية الله تعالى اياهم في اسباب تنعمهم آمنين بطريق الامتنان عليهم وعدّ النعمة ﴿قوله ثم فسره﴾ يعني ان قوله فيما ههنا مجمل فصله بقوله في جنات وعيون وزروع كما ان قوله امدّكم بما تعلمون مجمل فصله بقوله امدّكم بانعام وبنين وجنات الخ ﴿قوله لطيف لين﴾ فيكون من الهضم بفتحتين وهو الرقة والهزال قال الجوهري الهضم بالتحريك انضمام الجنبين وهو في الفرس عيب يقال لا يسبق اهضم من غاية بعيدة ابدا وكون طلع النخل هضيما قد يكون للطف الثمرة وقد يكون النخل انثى فان طلع البرني ألطف من طلع اللون والبرني اجود التمر واللون الدقل وهو ارداء التمر واهل المدينة يسمون ما عدا البرني والعجوة الوانا وكذا طلع ذكور النخل لا يكون هضيما بل يكون غليظا صلبا ثم فسر الطلع بقوله وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والشماريخ جمع شمراخ ويقال له شمروخ ايضا كالعثكال والعثكول النهاية العثكال العذق فكل غصن من اغصانه شمراخ وهو الذي عليه البسر والقنو والعذق والكباسة من التمر بمنزلة العنقود والعرجون اصل العذق وهو العود الاصفر الذي فيه شماريخ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف والواو والنون فيه زائدتان فان انقطع منه الشماريخ يعوج ويبقى على النخل يابسا شبهه الله تعالى به القمر في ليلة ثمان وعشرين حيث قال حتى عاد كالعرجون القديم من حيث ان كل واحد منهما متقوس ﴿قوله او متدل منكسر﴾ عطف على قوله لطيف لين فيكون هضيم من الهضم بمعنى الكسر يقال هضم حقه اذا ظلمه وكسر عليه حقه والمتدلي المتسفل والمتنزل عن موضعه اي متدل من الشجرة ﴿قوله وافراد النخل﴾ اي بالذكر مع ان اسم الجنة يتناول النخل وغيره مما يقصد انباته في البساتين للتنبيه على فضل النخل على سائر النبات حتى كأنه ليس من جنس ما يطلق عليه اسم الجنة تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات او لان المراد بالجنات ما عدا النخل لان اسم الجنة يصح ان يطلق على ما يشتمل على جميع اشجار البساتين وعلى ما يشتمل على بعضها فيجوز ان يراد به ههنا ما يشتمل على بعضها ويكون عطف النخل عليه دليلا على ارادة البعض ﴿قوله بطرين او حاذقين﴾ قال ابو عبيدة فرهين وفارهين يقال هما بمعنى فرحين بطرين اشرين وفرق الجوهري بينهما وقال الفاره الحاذق بالشيء من فره بالضم فروهة وفراهة فهو فاره وفره بالكسر بمعنى اشر وبطر فمن قرأ بيوتا فرهين جعله من هذا ومن قرأ فارهين جعله من فره بالضم قال الامام واعلم ان ظاهر هذه الآيات

(فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين) استعير الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى امره مجازا (الذين يفسدون في الارض) وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف (ولا يصلحون) على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم (قالوا انما انت من المسحرين) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم او من ذوى السحر وهي الرئة اى من الاناسى فيكون (ما انت الا بشر مثلنا) تأكيدا له (فأت بآية ان كنت من الصادقين) في دعواك (قال هذه ناقة) اى بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها (لها شرب) نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم (ولكم شرب يوم معلوم) فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها (ولا تمسوها بسوء) كضرب وعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) عظم اليوم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب (فعقروها) اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك اخذوا جميعا (فاصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم (فأخذهم العذاب) اى العذاب الموعود (ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم (كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين) اى أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او أتأتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزنكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثاني الناس (وتذرون ما خلق لكم ربكم) لاجل استمتاعكم (من ازواجكم) لبيان ما خلق ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ايضا (بل انتم قوم عادون) متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة (قالوا لئن لم تنته يا لوط) عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا (لتكونن من المخرجين) من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال (قال اني لعملكم من القالين) من المبغضين غاية البغض

يدل على ان الغالب على قوم هود هو اللذات الخيالية وهو طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهو طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة انتهى كلامه فقال صالح عليه الصلاة والسلام لقومه على سبيل الانكار والتوبيخ وتنحتون ثم قال فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون ويحتمل ان قوله على سبيل تذكير النعمة واستدعاء شكرها ﴿ **قوله** استعير الطاعة ﴾ ارتكب المجاز لتعذر ارادة الحقيقة لان الطاعة انما تكون للآمر كما ان الامتثال يكون للامر يقال اطيعوا الله وامتثلوا أمره فلما قيل في هذه الآية ولا تطيعوا امر المسرفين تعين المصير الى المجاز وذلك اما بان يشبه الامتثال بالطاعة من حيث ان كل واحد منهما يفضى الى وجود المأمور به فاطلق اسم المشبه به وهو الطاعة واريد الامتثال ثم اشتق منه قوله ولا تطيعوا على طريق الاستعارة التصريحية التبعية فالمعنى ولا تمتثلوا امرهم واما بان يحمل الكلام على الاسناد المجازى فان حق الطاعة ان تنسب وتعلق بالآمر فنسبت الى امره وجعل الامر مطاعا والمراد الآمر للملابسة بينهما ﴿ **قوله** وصف موضح لاسرافهم ﴾ حيث يتعين به ان المراد بالاسراف اسرافهم على انفسهم بالتمرد على الله تعالى فيدخل في المسرفين كل من افسد في الارض بالكفر والظلم ولا يصلح بالايمان والعدل من التسعة رهط الذين عقروا الناقة وغيرهم ﴿ **قوله** الذين سحروا كثيرا ﴾ على ان يكون بناء التفعيل لتكثير الفعل والمعنى من المسحورين مرة بعد اخرى وعلى الثاني يكون بناء التفعيل للنسبة الى السحر بفتح السين ﴿ **قوله** كما اقترحوها ﴾ متعلق بقوله اخرجها الله فانهم اقترحوا عليه بان قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا مثلها فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم وحصل لها سقب مثلها في العظم * عن ابي موسى الاشعرى قال رأيت مبركها فاذا هو ستون ذراعا في ستين ذراعا ثم وصاهم صالح بأمرين الاول قوله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم قال قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله وشربهم في اليوم الثاني لا تشرب هي فيه والثاني قوله ولا تمسوها بسوء ثم ان مصلحا الجأها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فسقطت ثم ضربها قدار في عرقوبها ﴿ **قوله** لان عاقرها انما عقرها برضاهم ﴾ روى ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين وكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم ﴿ **قوله** أتأتون من بين من عداكم ﴾ فعلى هذا الوجه يكون من العالمين حالا من فاعل أتأتون انكر عليهم تفردهم واختصاصهم بهذا الفعل الشنيع من جملة العالمين اى الناكحين وعلى الثاني يكون حالا من الذكران انكر عليهم اختيارهم الذكران من جملة العالمين مع كثرة الاناث فيهم ﴿ **قوله** فيكون تعريضا بانهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ﴾ فتكون الآية دليلا على حرمة أدبار الزوجات والمملوكات ﴿ **قوله** او احقاء بان توصفوا بالعدوان ﴾ اى الظلم يقال عدا عليه وتعدى عليه واعتدى عليه كله بمعنى وعلى هذا الوجه لا ينظر الى متعلق العدوان اصلا فوجه الاضراب على هذا انه جعل اتيانهم الذكور جريمة ومعصية ووبخهم عليه بقوله أتأتون هذه الجريمة ثم اضرب عنه الى ما هو ابلغ في التوبيخ فقال بل انتم بارتكابها قوم عادون اى احقاء بان توصفوا بالعدوان بارتكابها كانه قيل بل هي معظم الجرائم والمعاصي ولا يستحق المرء لان يوصف بالعدوان الا بارتكابها وعلى الوجهين الاولين يكون تعلق عادون بالمفعول مرادا ثم قال لهم بعد توبيخهم بارتكاب المعصية المذكورة بل انتم قوم متجاوزون عن حد شهوة الناس بل الحيوانات او متجاوزون الحد في ارتكاب جميع المعاصي وهذا الاتيان من جملة تعديكم وافراطكم وهو كالايضاح لما قبله ﴿ **قوله** ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف ﴾ يعني انهم لم يقولوا لنخرجنك بل قالوا لتكونن من المخرجين بلام العهد للمبالغة في الوعيد والاشارة الى انهم يفعلون به من الاخراج على الحالة السيئة ما فعلوا بغيره ولما جاز مع هذا الاحتمال ان تكون اللام لجنس المخرجين فتكون اشارة الى انهم اخرجوا كثيرا من الناس وهم قادرون على اخراجه ايضا قال المصنف ولعلهم بطريق الاحتمال لغيره وهو مثل ما حكى الله تعالى من فرعون قوله لاجعلنك من المسجونين ﴿ **قوله** من المبغضين ﴾ يعني ان قالين اسم فاعل من القلى وهو البغض الشديد وقوله من القالين متعلق بمحذوف اى لقال من القالين ومبغض من المبغضين وذلك المحذوف وهو قال خبر قوله واني ومن القالين صفته وقوله لعملكم متعلق بالخبر المحذوف ولو جعل قوله من القالين خبرا اى لمن القالين في عملكم فيفضى الى تقديم الصلة على الموصول قال ابو البقاء اى لقال من القالين فمن صفة الخبر متعلقة بمحذوف واللام متعلقة بالخبر المحذوف وبهذا يتخلص من تقديم الصلة اذ لو جعلت من القالين الخبر لأعملته في لعملكم ﴿ **قوله**

لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول انى لعملكم قال لدلالته على انه معدود فى زمرتهم مشهور بانه من جلتهم (رب نجنى واهلى مما يعملون) اى من شؤمه وعذابه (فنجيناه واهله اجمعين) اهل بيته والتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم (الا عجوزا) هى امرأة لوط (فى الغابرين) مقدرة فى الباقين فى العذاب اصابها حجر فى الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقى فى القرية فانه لم تخرج مع لوط (ثم دمرنا الآخرين) اهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم (فساء مطر المنذرين) اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم (ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين) الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال (اذ قال لهم شعيب ألا تتقون) ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهى اسم مسكنهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير الف اتباعا للفظ (انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل) أتموه (ولا تكونوا من المخسرين) حقوق الناس بالتطفيف (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) ولا تنقصوا شيأ من حقوقهم (ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) بالقتل والغارة وقطع الطريق (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين) وذوى الجبلة الاولين يعنى من تقدمهم من الخلائق (قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا) اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة فى تكذيبه (وان نظنك لمن الكاذبين) فى دعواك (فأسقط علينا كسفا من السماء) قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (قال ربى اعلم بما تعملون) وبعذابه المنزل عليكم ما اوجبه لكم عليه فى وقته المقدر له لا محالة (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم وأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا (انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) هذا آخر القصص السبع المذكورة على الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين والمراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية او كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم (وغيرهم)

لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد ﴾ كأنه قيل كيف انتهى عن نهيكم وتقبيح امركم واى لعملكم من القالين وقيل فى وجه كونه جوابا عن ايعادهم اياه بالاخراج ان معناه كيف توعدوننى بالاخراج من بينكم وانى لعملكم الذى تعملونه من المبغضين اكره المقام فيكم وابغض رؤية عملكم الذى تعملونه فيكون فى اخراجى ايصال الراحة الىّ ولولا امر الله تعالى اياى بالمقام فيكم لادعوكم الى الحق لما كنت اقربكم لشدة بغضى عملكم ﴿ قوله مقدرة فى الباقين فى العذاب ﴾ يعنى ان فى الغابرين صفة لقوله عجوزا وان المراد بالغابرين الباقين فى العذاب ولما كان ظاهر النظم يدل على ان العجوز موصوفة بكونها باقية فى العذاب وقت تنجية لوط واهله وليس كذلك لكونها من الآخرين الذين دمرهم الله بعد تنجية الناجين بحكم كلمة ثم فى قوله تعالى ثم دمرنا الآخرين ذكر ان ليس معنى الكلام الا عجوزا غابرة اى باقية فى العذاب بل المعنى الا عجوزا مقدرا غبورها فى العذاب الشديد اذ كانت مع الخارجين من القرية المؤتفكة بالامطار عليهم فانها خرجت من بين القوم مع لوط كسائر اهله فصارت من شذاذ القوم فاهلكت بما اهلك الله به الشذاذ وهو صفة لها بعد وقت التنجية ثم نقل توجيها آخر وهو ان يكون المعنى الا عجوزا غابرة فى القرية مع المهلكين غير خارجة مع الناجين وهو صفة لها وقت التنجية ﴿ قوله على شذاذ القوم ﴾ اى على من كانوا خارجين من بلادهم حين دمرهم الله تعالى بائتفاك بلدتهم عليهم والخسف بهم فيكون المعنى ان الله دمر قوم لوط بعذابين الائتفاك والامطار دمر من كان فى بلدهم بالائتفاك ومن كان خارجا عنها بالامطار قال الله تعالى فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل يقال ائتفكت البلاد باهلها اذا انقلبت ملتبسة بهم والمؤتفكات البلاد التى قلبها الله على قوم لوط سميت مؤتفكات لكونها منقلبات ملتبسة باهلها وقيل لم يرض الله بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة ﴿ قوله الايكة غيضة ﴾ اى موضع يغيض فيه الماء ولا يسيل منه الى المواضع الغائرة فينبت فيه الشجر ﴿ قوله وقرئت كذلك مفتوحة ﴾ اى قرئ اصحاب ليكة بفتح التاء على ان ليكة غير منصرف للعلمية والتأنيث فلذلك فتحت فى موضع الجر ومن قرأ اصحاب ليكة بالجر قال اصله اصحاب الايكة على ان ايكة اسم جنس عرّف بلام التعريف ثم خففت الهمزة بان القيت حركتها على اللام ثم حذفت لساكنين واستغنى عن الف الوصل لان اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا الا الجر كما تقول مررت بالاحمر على تحقيق الهمزة ثم تخففها فتقول بلحمر فان شئت كتبته فى الخط على ما كتبته اولا وان شئت كتبته بالحذف على حكم لفظ اللافظ فلا يجوز حينئذ الا الجر بالاضافة كما لا يجوز فى الايكة الا الجر ﴿ قوله وكان اجنبيا منهم ﴾ اى وكان اخا مدين فى النسب فلذلك قال الله تعالى فى آية اخرى والى مدين اخاهم شعيبا ثم انه عليه الصلاة والسلام كلفهم بامور امرهم اولا بايفاء الكيل ونهاهم عن التطفيف فى الكيل والوزن حيث قال اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين اى من الناقصين له يقال خسرت الشئ بالفتح واخسرته اى نقصته ثم نهى عن نقص حق المستحقين باى طريق كان كنقص العدد والوزن ودفع الزيف مكان الجيد والغصب والسرقة والتصرف بغير اذن صاحبه ونحو ذلك حيث قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ﴿ قوله ففعلاس بتكرير العين ﴾ الظاهر ان يقال ففعلاع لان التكرير يقتضى ان يوزن المكرر بلفظ ما قابله ثم نهاهم عن افساد شئ مما خلقه الله تعالى وصوره بقوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقال عثا فى الارض يعثو اى افسد وكذلك عثى بالكسر يعثى وانما قيده بقوله مفسدين لان افساد الصورة او الخلقة وان غلب فى الفساد الا انه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المتعدى بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ﴿ قوله وذوى الجبلة ﴾ على ان الجبلة بمعنى الخلقة ولا يتعلق بها الخلق فلابد من تقدير المضاف والكسف بفتح السين وسكونها جمع كسفة وهى القطعة كسدر وسدر فى جمع سدرة فقال عليه الصلاة والسلام فى جوابهم ربى اعلم بما تعملون يريد انه اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العذاب المنزل عليكم فى وقته المقدر لكم ﴿ قوله على نحو ما اقترحوا ﴾ بقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء هذا على تقدير ان يكون مرادهم بالسماء السحاب لان المراد بالظلة سحابة اظلتهم بعدما حبس عنهم الريح واستولى عليهم الحر الشديد سبعة ايام فأخذ بانفاسهم بحيث لا ينفعهم ظل ولا ماء فلما اظلتهم السحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فأحرقتهم واما على تقدير ان يكون مرادهم بالسماء المظلة فحينئذ يكون العذاب النازل بهم على خلاف ما اقترحوه ﴿ قوله والمراد نزول العذاب على تكذيب الامم الخ ﴾ جواب عما يقال لم لا يجوز ان يقال ان العذاب النازل بعاد وثمود وقوم لوط

وغيرهم لم يكن لكفرهم وعنادهم بل كان بسبب قرانات الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه اهل النجوم ومع قيام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص لان الاعتبار انما يحصل ان لو علمنا ان نزول هذا العذاب كان بسبب كفرهم وعنادهم وعما يقال ان الله تعالى قد ينزل العذاب محنة للمكلفين وابتلاء لهم على ما قال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين وقد ابتلى المؤمنون بانواع البليات فلا يكون نزول العذاب على هؤلاء القوم دليلا على كونهم مبطلين مؤاخذين بذلك ثم انه تعالى لما ذكر قصص الانبياء لرسوله صلى الله عليه وسلم اتبعه بذكر ما يدل على نبوته فقال وانه اى وان القرآن وما نزل من هذه القصص والآيات لتنزيل رب العالمين اى المنزل على ان التنزيل بمعنى المنزل او لذو تنزيل على حذف المضاف وجاز عود ضميره الى القرآن وان لم يجر له ذكر لعلم به والقرآن المنزل لما كان مشتملا على القصص المذكورة والآيات الدالة عليها كانت هذه الآية تقريرا لحقية تلك القصص والباء فى به على القراءتين للتعدية او للملابسة فعلى الاول تتعلق بنزل وعلى الثانى تتعلق بمحذوف على انه حال وقوله على قلبك ولتكون متعلقان بنزل ويجوز ان يتعلقا بتنزيل والمعنى وانه لتنزيل رب العالمين على قلبك لتكون لكن فيه ضعف من حيث الفصل بين المصدر ومعموله بجملة نزل به الروح الامين الا ان هذه الجملة اعتراضية جيء بها للتأكيد فلم تكن اجنبية وان مثل هذا مغتفر فيما اذا كان المعمول ظرفا او عديله وسمى جبريل روحا لكونه سببا لحياة قلوب المكلفين بنور المعرفة والطاعة من حيث ان الوحى الذى فيه الحياة من موت الجهالة يجرى على يده وقيل سمى روحا لانه روح وليس بجسم فيه روح وسمى امينا لانه مؤتمن على ما يؤديه الى الانبياء ﴿قوله والقلب ان اراد به الروح فذاك﴾ اذ القرآن المتلبس بكسوة الحروف والالفاظ انما نزل على روح رسول الله لا على مجرد الجسد اذ ليس للجسد حظ من ادراك المعانى الروحانية والقلب وسائر الاعضاء والحواس آلات الادراك والمكلف والمخاطب والمدرك انما هو الروح لا الاعضاء والآلات الا انه يجوز ان يراد بالقلب العضو المخصوص كما هو المتبادر عند الاطلاق فحينئذ يكون جعل القرآن نازلا على قلبه مع انه نازل عليه لا على عضوه مبنيا على كون القلب موضعا لقوة العقل والفهم فان الروح انما تدرك بتلك القوة المودعة فى القلب فلا جرم تنتقل المعانى الروحانية النازلة على الروح الى القلب لما بينهما من التعلق على الوجه المذكور وذهب طائفة من القدماء الى ان موضع قوة العقل والفهم هو الدماغ لا القلب استدلالا بان طريان الآفة على الدماغ يوجب اختلال العقل وبان الحواس التى هى آلات الادراك نافذة الى الدماغ دون القلب فاشار المصنف الى ان الدماغ محل القوى الباطنة التى يستعين بها الروح فى ادراك المعانى فلذلك كان سلامة الدماغ شرطا لسلامة القلب وظهور آثاره فالقرآن كلام الله تعالى وصفته القائمة به كساه كسوة الالفاظ المركبة من الحروف العربية ونزله الى جبريل وجعله امينا عليه لئلا يتصرف فى حقائقه ثم نزل به كما هو على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتمرن به ويتخلق بخلقه ويتنور بانواره ويتصل بمعانيه فيفهمه ويتمكن من تفهيمه لغيره فهو عليه افضل الصلاة والسلام مختص بهذه الرتبة العلية والكرامة السنية من سائر الانبياء فان كتبهم انزلت عليهم بالالواح والصحائف جملة واحدة فهى منزلة على صورهم وظاهرهم لا على قلوبهم ﴿قوله فهو متعلق بنزل﴾ فيكون صريحا فى ان القرآن انما انزل عليه عربيا كما فى آية اخرى انا انزلناه قرآنا عربيا لا كما زعمت الباطنية من انه تعالى انزله على قلبه عليه افضل الصلاة والسلام غير موصوف بلغة ولسان ثم انه عليه افضل الصلاة والسلام اداه بلسان العرب المبين من غير ان انزل كذلك ﴿قوله وانه لذكره﴾ لما كان ظاهر النظم يدل على ان عين القرآن العربى المبين مثبت فى سائر الكتب السماوية وظاهر انه ليس كذلك لان هذا فاسد مخالف للنص والاجماع احتيج الى تقدير المضاف اى ان ذكر القرآن وانزاله على النبى عليه افضل الصلاة والسلام المبعوث فى آخر الزمان او ان اصل معانيه مثبت فى كتبهم على معنى انه تعالى اخبر فى كتبهم عن القرآن وانزاله فى آخر الزمان او انه تعالى بين اصول معانيه فى كتبهم لا ان جميع ما فيه من الاحكام والامثال مثبت فيها وبه احتج ابو حنيفة فى جواز القرآن بالفارسية فى الصلاة وهذا كقوله ان هذا لفى الصحف الاولى وقال مقاتل تقدير الآية وان محمدا عليه افضل الصلاة والسلام ونعته وذكره لفى كتب الاولين وهو كقوله يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ﴿قوله وهو تقرير لكونه دليلا﴾ يعنى ان الاستفهام فى أولم يكن استفهام تقرير يعنى قد كان علم علماء بنى اسرائيل به آية اى علامة دالة على صحة نبوته لهؤلاء المنكرين نبوته فانه قد روى

وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعانى الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبرآئيل فانه امين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائى بتشديد الزاى ونصب الروح والامين (لتكون من المنذرين) عما يؤدى الى عذاب من فعل او ترك (بلسان عربى مبين) واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اى لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد عليه الصلاة والسلام (وانه لفى زبر الاولين) وان ذكره او معناه لفى الكتب المتقدمة (أولم يكن لهم آية) على صحة القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ان يعلمه علماء بنى اسرآئيل) ان يعرفوه بنعته المذكور فى كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا

وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدل او الفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة وآية خبران يعلمه والجملة خبر تكن (ولو نزلناه على بعض الاعجمين) كما هو زيادة فى اعجازه او بلغة العجم

(فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمى على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة (كذلك سلكناه) ادخلناه (فى قلوب المجرمين) والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اى ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا (لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم) الملجئ الى الايمان (فيأتيهم بغتة) فى الدنيا والآخرة (وهم لايشعرون) باتيانه فيقولوا (هل نحن منظرون) تحسرا وتأسفا (أفبعذابنا يستعجلون) فيقولون امطر علينا حجارة من السماء فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون) لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه (وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون) انذروا اهلها الزاما للحجة (ذكرى) تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها فى معنى الانذار او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذووا او بجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية (وما كنا ظالمين) فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار (وما تنزلت به الشياطين) كما زعم المشركون انه من قبيل ما تلقى الشياطين على الكهنة (وما ينبغى لهم) وما يصح لهم ان يتنزلوا به (وما يستطيعون) وما يقدرون (انهم عن السمع) لكلام الملائكة (لمعزولون) لانه مشروط بمشاركة فى صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لاتقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لايمكن تلقيها الا من الملائكة (فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين) تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين (وأنذر عشيرتك الاقربين) الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روى انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط

ان اهل مكة بعثوا رسولا الى اليهود الذين كانوا فى المدينة يسألهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نجد ذكره ونعته فى التوراة فهذا اوان خروجه فكان ذلك آية على صدقه وحقية امره ﴿ قوله وقرأ ابن عامر تكن ﴾ اى بالتاء من فوق ورفع آية والباقون يكن بالياء من تحت ونصب آية فيحتمل ان تكون كان فيها تامة وان تكون ناقصة فان كانت تامة تكون آية فاعلا لها وان يعلمه بدلا منها ولهم حالا منها او متعلقا بكان اى اولم يحصل آية كائنة لهم وهى علم علماء بنى اسرائيل او لم يحدث لهم علامة علم علماء بنى اسرائيل وان كانت ناقصة جاز ان يكون لهم خبر تكن مقدما على اسمها ويكون آية اسمها وان يعلمه بدلا او خبر محذوف وجاز ان يكون اسمها ضمير القصة المستتر فيها وقوله آية ان يعلمه جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ منصوبة المحل على انها خبر كان كما تقول كان زيد منطلق على معنى كان الامر هذا ولايجوز ان يكون آية اسم كان وان يعلمه خبرها الاتعين ان يجعل اسم كان هو المعرفة منهما وقد يجيء عكس هذا فى الشعر ﴿ قوله تعالى فيأتيهم ﴾ معطوف على قوله يروا وقوله فيقولوا عطف على يأتيهم وظاهر النظم يدل على ان تكون مفاجأة العذاب واقعة عقيب رؤيته ويكون سؤال النظرة واقعا عقيب مفاجأته وليس كذلك بل الذى يقع اولا هو المفاجأة ثم الرؤية ثم سؤال النظرة فوجب ان لاتكون كلمة الفاء فيهما للتراخى الزمانى بل تكون للتراخى الرتبى بان يكون المعنى لايؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب الملجئ الى الايمان فما هو اشد من رؤيته وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة مع القطع بامتناعها فانهم يرون العذاب عند معاينة ملائكة الممات او فى الآخرة وهم يعلمون فى ذلك الوقت ان لاخلاص لهم ولاامهال وانما يسألونه تعللا واسترواحا ثم انه تعالى لما وصف عذاب المجرمين بان رؤيته تلجئهم الى الايمان وانه يأتيهم بغتة فيضطرون الى سؤال النظرة والامهال طرفة عين فلا يجابون اليها قال على سبيل التبكيت والتوبيخ للذين كانوا يستعجلون العذاب فى الدنيا بمثل قولهم امطر علينا حجارة من السماء وقولهم لن نؤمن لك حتى تسقط علينا كسفا من السماء ونحو ذلك أفبعذابنا يستعجلون اى فكيف يستعجلون ما يأتيهم بغتة ويسألون عند رؤيته الامهال فلا يمهلون لحظة والعاقل لايستعجل ما فيه هلاكه ثم قال تعالى افرأيت اى اعلمت يا محمد ومعناه اعلم ﴿ قوله تعالى ما اغنى ﴾ كلمة ما فيه يجوز ان تكون استفهامية فى محل النصب مفعولا مقدما لاغنى وما كانوا هو الفاعل وكلمة ما فيه مصدرية والمعنى اى شيء اغنى عنهم كونهم ممتعين وان تكون نافية فيكون مفعول اغنى محذوفا اى لم يغن عنهم تمتعهم شيأ وقرئ يمتعون باسكان الميم وتخفيف التاء من قولك امتع الله زيدا بكذا ﴿ قوله ومحلها النصب على العلة ﴾ اى لقوله منذرون والمعنى الا لها منذرون لاجل الموعظة والتذكرة ويحتمل ان يكون مفعولا لاهلكنا فان النفى فيه لما انتقض بالا وكان المراد بالقرية القرية الظالمة آل المعنى الى قولك اهلكنا القرية الظالمة بعد الزام الحجة بارسال المنذرين اليها اهلاكا تذكرة لغيرها ويحتمل ان يكون ذكرى فى محل النصب على انه مفعول مطلق لقوله منذرون من قبيل قعدت جلوسا لان أنذر وذكر متقاربان كأنه قيل يذكرون تذكرة ويجوز ان يكون مفعول فعل محذوف من لفظه اى يذكرون ذكرى وذلك المحذوف صفة لمنذرون ثم انه تعالى بعدما وصف القرآن بانه تنزيل رب العالمين ونبه به على اعجازه وعلى نبوة نبيه رد قول من زعم من الكفار انه من القاء الجن والشياطين كسائر ما ينزل على الكهنة فقال وما تنزلت به الشياطين ﴿ قوله فى صفات الذات ﴾ اى فى الصفات اللازمة لذوات الملائكة مثل كونهم اجساما نورانية خيرة طائعة لله تعالى طاهرة من دنس الذنوب والمعاصى يسبحون الليل والنهار لايفترون واعلم ان اهل السنة والجماعة قالوا صفات الله كلها صفات بالذات على معنى انها قديمة قائمة بذات الله لكن المعتزلة قسموا صفات الله الى صفات الذات وصفات الافعال وقالوا كل ما يصح ان يثبت وينفى فهو من صفات الفعل كالخلق والترزيق والاماتة والاحياء وما ليس كذلك كان من صفات الذات كالعلم والقدرة والحياة وقالوا صفات الافعال حادثة غير قائمة بذات الله تعالى بخلاف صفات الذات ﴿ قوله ولطف لسائر المكلفين ﴾ فان اكرم خلق الله تعالى عليه الصلاة والسلام لما خوطب بانك لو اتخذت من دونى الها لعذبتك مع انك اكرم الخلائق عندى كان زجرا بليغا عن الشرك لكل من سمعه من المكلفين بعد تهييج عزيمته على ازدياد الاخلاص ﴿ قوله مستعار من خفض الطائر جناحه ﴾ شبه التواضع ولين الاطراف والجوانب عند مصاحبة الاقارب والاجانب بخفض الطائر جناحه عند ارادة الانحطاط فاطلق على المشبه اسم الخفض على سبيل الاستعارة

(التصريحية)

التصريحية ثم اشتق منه قوله واخفض جناحك ﴿قوله ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره﴾ فان قيل من التبيينية يجب ان يكون ماقبلها اعم من مدخولها حتى يتحقق فيه الابهام والاحتياج الى البيان ولم يظهر كون من اتبعك اعم من المؤمنين من حيث انه لا يحتمل غير المؤمنين بل هما متحدان في الوجود ومتلازمان في المفهوم فلا وجه للبيان ظاهرا الا ان المتبعين اعم في نفس الامر من المؤمنين لانه يتناول من اتبعه عليه الصلاة والسلام في امر الدين وغيره بخلاف المؤمنين فانه لا يتناول الامن اتبعه في امر الدين وبهذا الاعتبار صح ان تكون كلمة من للتبيين لا للتبعيض لان مدخول من التبعيضية اعم مماقبلها على عكس من البيانية ولما جعل من اتبعك اعم من المؤمنين امتنع ان تكون من تبعيضية وانما تكون كذلك ان لو اريد بمن اتبعك المتبعون في امر الدين ظاهرا وباطنا وبالمؤمنين ماهو اعم من ذلك بان يراد بهم الذين شارفوا الايمان وكانوا بصدده وسماهم الله مؤمنين باعتبار مايؤول اليه امرهم والمتبعون حقيقة بعض منهم فيصح ان تكون من للتبعيض بهذا الاعتبار كأنه قيل واخفض جناحك لبعض المؤمنين وهم الذين اتبعوك حقيقة او يراد بهم الذين صدقوا باللسان فانه ايضا اعم من الذين اتبعوا حقيقة ﴿قوله وقرأ نافع وابن عامر فتوكل﴾ اي بالفاء بان جعلا مابعد الفاء كالجزاء لقوله فان عصوك مرتبا عليه وجعلاه بدلا من الجزاء المتقدم وقرأ الباقون بالواو وجعلوه لمجرد عطف الجملة على جملة اخرى من غير ملاحظة السببية والترتيب ووصف الله تعالى نفسه بالعزيز ليدل على انه يقدر على قهر اعداء رسوله بعزته وبالرحيم ليدل على انه يقدر على نصره عليهم واعلاء كلمته برحمته وقوله الذي يراك يجوز ان يكون مرفوع المحل على انه خبر مبتدأ محذوف وان يكون منصوب المحل على المدح ومجرور المحل على انه صفة او بدل او بيان ﴿قوله وتقلبك﴾ عطف على مفعول يراك اي ويرى تقلبك لما وصف الله تعالى نفسه بالرحمة ليؤذن رسوله عليه الصلاة والسلام بانه بان رحيم عليه اتبعه ماهو كالسبب لتلك الرحمة وهو قيامه الى التهجد في جوف الليل وتقلبه في تصفح احوال اهل التهجد ليطلع على اسرار امرهم ويحتمل ان يكون المعنى يراك حين تقوم في الصلاة ويرى تصرفك فيما بينهم بالقيام والركوع والسجود والقعود فقوله في الساجدين معناه مع المصلين في الجماعة فكان حاصل المعنى يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك اذا صليت مع المصلين * والدندنة الصوت الخفي يقال دندن اذا اخفى كلامه وفي الصحاح الدندنة ان تسمع من الرجل نغمة ولا تفهم مايقول وقيل الدندنة الصوت والزمزمة ثم قال الامام واعلم ان الرافضة ذهبوا الى ان آباء النبي عليه الصلاة والسلام كانوا مؤمنين وتمسكوا في ذلك بهذه الآية وبالخبر اماهذه الآية فقالوا قوله تعالى وتقلبك في الساجدين يحتمل الوجوه التي ذكرتم ويحتمل ان يكون المراد ان الله تعالى نقل روحه من ساجد الى ساجد كما نقول نحن واذا احتمل هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكل ضرورة انه لا منافاة ولا رجحان واما الخبر فقوله عليه افضل الصلاة والسلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وكل من كان كافرا فهو نجس لقوله تعالى انما المشركون نجس قالوا فان تمسكتم على فساد هذا المذهب بقوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر قلنا الجواب عنه ان لفظ الاب قد يطلق على العم كما قال ابناء يعقوب نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق فسموا اسماعيل اباه مع انه كان عمه وقال عليه الصلاة والسلام ردوا علي ابي يعني العباس ويحتمل ان يكون متخذ الاصنام اب الامه فان هذا قد يقال له الاب قال تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وعيسى فجعل عيسى من ذرية ابراهيم مع ان ابراهيم كان جده من قبل الام * ثم قال الامام واعلم انا نتمسك بقوله تعالى لابيه آزر وماذكروه صرف اللفظ عن ظاهره واما حمل قوله تعالى وتقلبك في الساجدين على جميع الوجوه فغير جائز لما بيناه من ان حمل المشترك على جميع معانيه غير جائز واما الحديث فهو خبر واحد فلا يعارض القرآن ﴿قوله يلقون السمع﴾ في محل الجر على انه صفة كل افاك لكونه في معنى الجمع وتكون الضمائر كلها للافاكين ﴿قوله فيقرها﴾ بضم القاف اي يصبها يقال قررت على رأسه الماء اذا صببته عليه وقر الحديث في اذنه يقره كأنه صبه فيها والذي قاله عليه الصلاة والسلام كان قبل ان اوحي اليه وبعد ذلك فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا قال مقاتل ان الله تعالى اذا اراد امرا في الارض اعلم به اهل السموات من الملائكة فتكلموا به فيما بينهم فتسمع الشياطين فترميهم الملائكة بالشهب فيخطفون الخطفة فذلك قوله تعالى يلقون السمع الخ فعلى هذا يكون ضمير يلقون راجعا الى الشياطين وتكون جملة يلقون السمع حالا من الضمير في تنزل

ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان (فان عصوك) ولم يتبعوك (فقل اني بريء مما تعملون) مما تعملونه او من اعمالكم (وتوكل على العزيز الرحيم) الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط (الذي يراك حين تقوم) الى التهجد (وتقلبك في الساجدين) وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر مايصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته بعد ان وصفه بان من شأنه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه (انه هو السميع) لما تقوله (العليم) بما تنويه (هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم) لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصلح لان ينزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلوات الله عليه وسلامه على خلاف ذلك وثانيهما قوله (يلقون السمع واكثرهم كاذبون) اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة

ولا كذلك محمد عليه الصلاة والسلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لاتحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك اثيم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وقيل الضمائر للشياطين اى يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون

به اليهم اذ يسمعونهم لاعلى نحو ماتكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم (والشعراء يتبعهم الغاوون) واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله (ألم تر انهم فى كل واد يهيمون) لان اكثر مقدماتهم خيالات لاحقيقة لها واغلب كلماتهم فى النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح فى الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لايستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله (وانهم يقولون مالايفعلون) فكأنه لما كان اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا فى المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفى اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم فى القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول عليه السلام لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا) استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم فى التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه السلام قال له اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو اشد عليهم من النبل (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) تهديد شديد لما فى سيعلم من الوعيد البليغ وفى الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفى أى منقلب ينقلبون اى بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها ابو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اى منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهم اجمعين (استلزمت)

﴿ سورة النمل مكية وهى ثلاث او اربع وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) الاشارة الى آى السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه خط فيه ماهو كائن فهو يبينه للناظرين فيه

﴿ قوله وقد فسر الاكثر بالكل ﴾ جواب عما يقال كيف قيل واكثرهم كاذبون بعدما حكم عليهم بان كل واحد منهم افاك وحاصله ان كونهم كاذبين مفترين فى الخبر اكثر مايحكيه عنهم لاينافى كونهم افاكين كثيرى الكذب وقوله ولا كذلك محمد فانه لايتلقى مااخبر به من الشياطين فيرد فيه كذبات كما يفعله الكهنة كيف ولم يظهر فى اخباره عليه الصلاة والسلام خلاف مااخبر به ولما بين حال الكهنة بانهم كذابون كثيرو الاثم بخلافه عليه الصلاة والسلام فان حاله الدعوة الى الله تعالى وطاعته والترغيب فى الآخرة والتنفير من الدنيا بين مايميزه عن الشعراء فقال والشعراء يتبعهم الغاوون اى الضالون ثم بين غوايتهم بأمرين الاول انهم يهيمون ويذهبون فى كل واد والثانى انهم يقولون مالايفعلون فانهم يرغبون فى الجود ويفرون من البخل ويقدحون فى الناس بأدنى شئ صدر منهم ثم انهم لايرتكبون الا الفواحش وذلك تمام الغواية بخلافه عليه الصلاة والسلام فانه قد كان زكى نفسه الكريمة اولا ثم لم يدع احدا من الناس الا الى ماهو راجح او حدى فيه فكيف تشبه حاله حال الشعراء والنسيب مصدر قولك نسب الشاعر بالمرأة ينسب بالكسر اذا ذكر صفات حسنها وذكر حاله معها فى الشعر والغزل اسم لمحادثة النساء ومراودتهن وعرض الاشتياق اليهن والابهار الاشتهار بحب واحدة من النساء يقال ابتهر فلان بفلانة اى اشتهر بها ويقال ايضا على ادعاء الشئ كذبا وحرم الرجل اهله ومكان حرمه من نحو زوجته وامته وبنته ثم انه تعالى لما وصف الشعراء بهذه الاوصاف الذميمة بيانا لمباينته عليه الصلاة والسلام وبينهم من البون البعيد استثنى منهم شعراء المسلمين فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا اى لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله تعالى ولم يجعلوا الشعر همتهم ومتجرهم وقيل المراد بالكثار ذكر الله تعالى ان يكون شعرهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى وفى النبوة ودعوا الخلق الى الحق ثم قال وانتصروا من بعد ماظلموا اى لايذكرون هجوا الاعلى سبيل الانتصار ممن يهجوهم ثم الشرط فيه ترك الاعتداء فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم عن ابن رواحة رضى الله عنه انه قال لما نزل قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر الآية خشيت ان اموت على هذا فنزل قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فاستثنى شعراء المسلمين وقال كعب بن مالك يارسول الله ماذا تقول فى الشعراء فقال ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذى نفسى بيده لكأنكم تنضحونهم بالنبل اوترمونهم بالسيف عن عروة عن عائشة انها كانت تقول الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح واعلم ان الشعراء طبقات الجاهليون كامرئ القيس وزهير والمخضرمون وهم الشعراء الذين ادركوا الجاهلية والاسلام كحسان ولبيد والمتقدمون من اهل الاسلام كالفرزدق وجرير ويستشهد باشعارهم ثم المحدثون كابى تمام والبحترى ولايستشهد بشعرهم ﴿ قوله لما فى سيعلم من الوعيد البليغ ﴾ لان السين تدل على ان ذلك كائن لامحالة ﴿ قوله حين عهد اليه ﴾ اى حين اوصاه من العهد وهو الوصية قال الله ألم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان اى ألم اوص اليكم روى انه لما أيس ابو بكر من حياته استكتب عثمان كتاب العهد وهو هذا ماعهد ابن ابى قحافة الى المؤمنين فى الحال التى يؤمن فيها الكافر قال بعدما غشى عليه وأفاق انى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان عدل فذاك ظنى فيه وان لم يعدل فسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون قال الزجاج اى منقلب منصوب بينقلبون على المصدر لابقوله سيعلم لان أيا وسائر الاسماء الاستفهامية لايعمل فيها ماقبلها وقدم على عامله لتضمنه معنى الاستفهام وهو معلق سيعلم سادّ مسدّ مفعوليه وقال ابو البقاء اى منقلب صفة مصدر محذوف اى ينقلبون انقلابا ورد بان اى الواقعة صفة لاتكون استفهامية وكذلك الاستفهامية لاتكون صفة بل كل واحدة منهما قسم برأسه فان أيا ينقسم الى اقسام كثيرة وهى الشرطية والاستفهامية والموصولة ومايكون صفة وغير ذلك * تمت سورة الشعراء بعون الملك الوهاب وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ سورة النمل تسعون وخمس آيات مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله الاشارة الى آى السورة ﴾ بناء على ان طس اسم لهذه السورة الكريمة وهو مبتدأ وتلك مبتدأ ثان وآيات القرآن خبر الثانى والجملة خبر الاول والاشارة قائمة مقام العائد ولابد فى المبتدأ الاول من تقدير المضاف اى آيات طس لتصح الاشارة اليه بتلك ويخبر عنه بانها آيات القرآن وقرئ مرفوعا بالعطف على آيات وهذه القراءة لا

استلزمت ان يشار الى شيئين احدهما مذكر والآخر مؤنث باسم اشارة المؤنث ولا وجه له لانه لا يقال تلك هند وزيد احتيج فى توجيه هذه القراءة الى تقدير المضاف اى تلك آيات القرآن وآيات كتاب مبين ﴿قوله وتأخيره﴾ يعنى أخر الكتاب الذى اريد به اللوح من القرآن فى هذه السورة وقدم عليه فى قوله تعالى فى سورة الحجر الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين نظرا الى الاعتبارين ﴿قوله او القرآن﴾ عطف على قوله اما اللوح فيكون عطف الكتاب على القرآن من قبيل العطف فى قوله

الى الملك القرم وابن الهمام ۞ وليث الكتيبة فى المزدحم ۞

﴿قوله وتنكيره للتعظيم﴾ والمقصود من تعظيم الكتاب تعظيم الآيات المضافة اليه لان المضاف الى العظيم عظيم بل المقصود تعظيم السورة التى هى عبارة عن مجموع ما فيهما من الآيات ﴿قوله الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة﴾ اى من هذين الجنسين فى كونها عبادة بدنية او مالية اشارة الى ان تخصيص الصلاة والزكاة بالذكر لكونهما معظم انواع الطاعات والاعمال الصالحات وان الصلاة معظم الاعمال البدنية والزكاة معظم العبادات المالية وصف آيات السورة بكونها هادية ومبشرة للجامعين بين معرفة المبدأ والايمان به ومعرفة المعاد والايقان بما يتعلق به والاشتغال بطاعة المولى بنفسه وماله ﴿قوله وتغيير النظم﴾ يعنى ان الظاهر على تقدير كونه من تتمة الصلة ان يقال الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوقنون بالآخرة على العطف او وهم يوقنون بالآخرة على الحالية الا انه قدم قوله بالآخرة على متعلقه وهو يوقنون للعناية والاهتمام به واخراج الكلام على صورة ما عرفت حيث قدم ضميرهم على يوقنون وجعله مبتدأ وكرر ذلك المبتدأ على سبيل التأكيد اللفظى لبفيد الاختصاص والتأكيد لما تقرر من أن اعتبار تقديم الفاعل المعنوى على عامله يفيد الاختصاص فيكون المعنى انهم اوحدون فى الايقان بالآخرة لا يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون للصفات المذكورة وجعل الجملة اسمية مكررا فيها المبتدأ للدلالة على قوة يقينهم وثباته ولما كان اقام الصلاة وايتاء الزكاة مما يتكرر ويتجدد فى اوقاتهما جعل الصلتين المتقدمتين جملة فعلية فقال يقيمون ويؤتون ولما كان الايقان بالآخرة امرا ثابتا مطلوبا دوامه الى بالصلة الدالة عليه جملة اسمية وجعل خبر المبتدأ فى هذه الجملة فعلا مضارعا للدلالة على ان ايقانهم مستمر على سبيل التجدد غير منقطع ﴿قوله او جملة اعتراضية﴾ عطف على قوله من تتمة الصلة اى ويحتمل ان يكون قوله وبالآخرة هم يوقنون جملة مستأنفة غير داخلة فى حيز الموصول وتم الصلة عند قوله ويؤتون الزكاة وجعلها معترضة نظرا الى اتصال ما بعدها بما قبلها من حيث ان ما قبلها لبيان ما للمؤمنين من البشرى بحسن العاقبة وما بعدها لبيان ما للكفار من سوء العذاب يوم القيامة ويحتمل ان يكون جعلها معترضة بناء على مذهب من يجوز وقوع الاعتراض فى آخر الكلام بان لا يلى الجملة المعترضة جملة اصلا او يليها جملة غير متصلة بها معنى ووجه اتصال هذه الجملة بما قبلها انها تؤكد مضمون قوله للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة من حيث ان الايقان بالآخرة حق الايقان المستلزم الخوف يستلزم تحمل المشاق والتاعب حذرا من نيل ما يخاف منه فمضمون قوله وهم بالآخرة هم يوقنون يؤكد مضمون ما قبله من حيث كون مضمونه مستلزما لمضمون ما قبله فصح كونه اعتراضا وقوله كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون اشارة الى ان الضمير الاول وضع موضع اسم الاشارة من حيث ان اسم الاشارة يدل على ان المذكورين قبله أحقاء لما يرد بعده من اجل الخصائل التى عددت لهم كما فى قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب الى قوله اولئك على هدى من ربهم فكذا ههنا فان المعنى احقاء بان يوقنوا بالآخرة من اجل كونهم جامعين لمشاق التكليف من الايمان والاعمال الصالحة ﴿قوله زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع﴾ واسناد تزيينها اليه تعالى بهذا الوجه لا ينافى اسناده الى الشيطان فى قوله تعالى فزين لهم الشيطان اعمالهم فانه زينها لهم بان دعاهم الى ما تشتهيه طباعهم وتميل اليه نفوسهم ﴿قوله ما يتبعها من ضر﴾ على تقدير ان يكون المزين اعمالهم القبيحة وقوله او نفع على تقدير ان يكون المزين اعمالهم الحسنة فهو من قبيل اللف والنشر المرتب والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضلال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رأيت الناس عمهين ارادانهم مترددون فى اعمالهم واشغالهم ﴿قوله كالقتل والاسر يوم بدر﴾ حمل سوء العذاب على عذاب الدنيا لعطف قوله وهم فى الآخرة هم الاخسرون على قوله اولئك الذين لهم سوء العذاب ﴿قوله لتؤتاه﴾ قال تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا اى وما يؤتاها وقيل تلق كذا اى لتأخذه من قولهم تلقيه وتلقيه

وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه فى الحجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته بالاعجاز وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه (هدى وبشرى للمؤمنين) حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران او خبران لمحذوف (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة (وهم بالآخرة هم يوقنون) من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم) زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التى وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها (فهم يعمهون) عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع (اولئك الذين لهم سوء العذاب) كالقتل والاسر يوم بدر (وهم فى الآخرة هم الاخسرون) اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة (وانك لتلقى القرآن) لتؤتاه (من لدن حكيم عليم)

اى اخذته ﴿قوله اى حكيم واى علیم﴾ اشارة الى ان التنكير فيهما للتعظيم ﴿قوله مع ان العلم داخل فى الحكمة﴾ فان الحكمة اتقان الفعل بان يفعله على وفق العلم فان من يعلم امرا ولا يأتى بما يناسب علمه لا يقال له حكيم فلما وصف الله تعالى نفسه بانه حكيم علم منه كونه عليما فما وجه الجمع بينهما وتقرير الجواب ان العلم الذى يدخل فى الحكمة هو العلم العملى وهو الذى يتعلق بكيفية العمل والعلم اعم منه لانه يتناول العلم النظرى ايضا وهو الذى يقصد لذاته لا للعمل به فذكر الحكيم لا يغنى عن ذكر العليم فلذلك وصف نفسه بالحكمة المشتملة على العلوم العملية ثم اتبعه بقوله عليم اى بالغ فى كمال العلم كأنه قيل مصيب فى افعاله لا يفعل شيأ منها الا على وفق علمه عليم بكل شئ واحواله سوآء كان ذلك العلم مؤديا الى العمل ام لا ثم اشار الى جواب آخر مبنى على ان تكون الحكمة نفس العلم بالمعنى الاعم المتناول للعلوم النظرية والعملية فيكون تقرير السؤال حينئذ ان الحكمة نفس العلم فلم ذكر العلم بعد ذكر الحكمة ويكون تقرير الجواب حينئذ ان الحكمة التى هى نفس العلم هى الحكمة المنقسمة الى العملية والنظرية كالعلم المتعلق بالشرآئع والاحكام والعلم المتعلق بالاعتقادات والعلم اعم من الحكمة بهذا المعنى بحيث يطلق على ما لا يسمى حكمة كالعلم بالقصص والعلم بالمغيبات فان شيأ منهما غير مندرج تحت الحكمة بالمعنى المذكور فلو اقتصر على قوله حكيم لما فهم الا كونه تعالى عالما بما يتعلق بافعال المكلفين وعقائدهم وان علوم القرآن ليست الا ما هى حكمة فلما اتبع ذلك قوله عليم فهم منه ان علوم القرآن منها ما هى حكمة ومنها ما ليس كذلك ﴿قوله ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم﴾ يعنى ان قوله تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم بعد قوله تلك آيات القرآن وكتاب مبين ذكر تمهيدا لما ذكر بعده من العلوم التى ليست من قبيل الحكمة والا تعلم انه عليه الصلاة والسلام تلقى القرآن من قبله تعالى ﴿قوله والسين للدلالة على بعد المسافة﴾ جواب عما يقال التسويف لا يناسب المقام لان المفارقة عن الاهل فى الليلة الشاتية مع انفرادها لا تقبل التسويف فى الاتيان اليها اجاب عنه اولا بانه انما سوّف الاتيان للتنبيه على بعد المسافة فلو لم ينبه على بعدها لربما حاجتها عند تأخر اتيانه شبهة وثانيا بان السين فيه ليست للتسويف بل لتأكيد الوعد بالاتيان مع قطع النظر عن التسويف والفور ﴿قوله شعلة نار مقبوسة﴾ اشارة الى انه اختار قرآءة من قرأ باضافة شهاب الى قبس اضافة بيانية وان الشهاب الشعلة وان القبس النار المقبوسة اى المأخوذة من قولك اقتبست منه نارا او علما اى استفدته منه فعل بمعنى مفعول كقبض ونقض كأنه قيل بشعلة نار مقبوسة ﴿قوله والعدتان على سبيل الظن﴾ اشارة الى جواب ما يقال انه تعالى قال ههنا سآتيكم منها بخبر وفى سورة طه لعلى آتيكم منها بقبس وهما كالمتدافعين لان احدهما ترج والآخر تيقن ومحصول الجواب انه لا تدافع بينهما لان الراجى الاقوى رجاؤه يقول سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه خلاف ذلك ﴿قوله والترديد﴾ يعنى ان كل واحد من الامرين مطلوب والظاهر ان يقال سآتيكم منها بخبر وشهاب قبس بالواو الجامعة والجواب انهما وان كانا مطلوبين الا ان المظنون حصول احدهما بناء على الظاهر او على سنة الله ان لا يجمع حرمانين على عبد ﴿قوله اى بورك﴾ يعنى ان ان فى كلمة ان ثلاثة اوجه احدها انها المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول والثانى انها الناصبة للمضارع باسقاط الخافض اى نودى موسى بان بورك والثالث انها المخففة واسمها ضمير الشان وبورك خبرها ولما ورد ان يقال كيف جاز ان تكون مخففة وهى اذا دخلت على الفعل وكان ذلك الفعل من الافعال المتصرفة وجب ان تفصل المخففة من الفعل بحرف من حروف التعويض وهى السين نحو علم ان سيقوم وسوف نحو ان سوف يقوم وقد نحو ليعلم ان قد ابلغوا او من حروف النفى نحو علمت ان لم يقم وان لن يقوم وان لا يقوم وما قام وما يقوم فرقا بينها وبين ان المصدرية فان ان المصدرية لا يفصل بينها وبين الفعل بشئ من الحروف المذكورة لكونها مع الفعل بتأويل المصدر معنى فلا يفصل بينها وبين ما يؤثر فيها لضعفها وتسمى النحاة هذه الحروف التى بعد ان المخففة بحروف التعويض لكونها كالعوض من احدى نونى ان ولما وردت هذه الشبهة اجاب عنها بقوله والتخفيف وان اقتضى التعويض ومنع صاحب الكشاف كونها مخففة بناء على انتفاء حرف التعويض وهذا منه مبنى على ان بورك خبر لا دعاء فانه اذا قلنا انه دعاء لم يحتج الى الفاصل ومن فى النار قائم مقام الفاعل لبورك فان بارك يتعدى بنفسه ولذلك بنى للمفعول يقال باركك الله ويقال ايضا بارك الله عليك وبارك فيك وبارك لك فقولنا بورك من فى النار وعلى من فى النار وفيمن فى النار سوآء قال الشاعر

(فبوركت)

اى حكيم واى عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل فى الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هى حكمة كالعقائد والشرآئع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع فى بيان بعض تلك العلوم بقوله (اذ قال موسى لاهله انى آنست نارا) اى اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم (سآتيكم منها بخبر) اى عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة او الوعد بالاتيان وان ابطأ (او آتيكم بشهاب قبس) شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجى فى طه والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده (لعلكم تصطلون) رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة (فلما جاءها نودى ان بورك) اى بورك فان النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره فى احكام كثيرة (من فى النار ومن حولها) من فى مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة ومن حول مكانها

* فبوركت مولودا وبوركت ناشئا * وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب *

ومعنى بورك من فى النار ومن حولها بورك من فى مكان النار ومن حول مكانها والذى بوركت به البقعة وبورك من فيها وحواليها حدوث امر دينى فيها وهو تكليم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام وتخصيصه بالرسالة والاكرام واظهار المعجزات العظام له فيها ورب خير يحدث فى تلك البقاع فينشر الله تعالى بركته فى اقاصيها فكيف بمثل ذلك الامر الذى جرى فى تلك البقعة ﴿ قوله الموسومة بالبركات ﴾ فى قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين فان قوله للعالمين دليل ظاهر على ان الذى بورك فيه عام والكفات ما يكفت فيه الشئ اى يضم ويجمع وفى الحديث « اكفتوا صبيانكم بالليل فان للشيطان خطفة » ومنه قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا ﴿ قوله من تمام مانودى به ﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام نودى بمجموع الامرين ناداه وخاطبه اولا بقوله بورك من فى النار بشارة له بانه قد قضى له امر عظيم ثم ناداه بتنزيه رب العزة عما يليق به فى ذاته وحكمته لئلا يتوهم من سماع كلامه ان كلامه مركب من الحروف والاصوات وانه محل الحوادث كسائر المتكلمين وانه يحيط به الزمان والمكان ونحو ذلك مما لا يليق بذاته تعالى قال اهل السنة انه عليه الصلاة والسلام سمع الكلام المنزه عن مشابهة كلام المخلوقين فعلم بالضرورة انه كلام الله تعالى وصفته القائمة به فكما جاز ان ترى ذاته بلا كم وكيف فكذا جاز ان اسمع كلامه بلا حرف وصوت ﴿ قوله والتعجب ﴾ عطف على قوله لئلا يتوهم يعنى انه تعجب لموسى عليه الصلاة والسلام مما شاهده فى تلك البقعة المباركة وايذان له بأن ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين كأنه قيل ما اعظم امرا مريده من هو رب العالمين فيكون قوله وسبحان الله رب العالمين كالتذييل والتأكيد لما تضمنه قوله بورك الخ او هو تعجب من موسى بتقدير القول وهو معطوف على قوله من تمام مانودى به ﴿ قوله او المتكلم ﴾ عطف على قوله للشأن اى ويحتمل ان يكون ضمير انه راجعا الى مادل عليه ما قبله والمعنى ان من يكلمك انا ولفظ الجلالة بيان لانا ﴿ قوله تعالى تهتز ﴾ جملة حالية من مفعول رآها وقوله كأنها جان يجوز ان تكون حالا ثانية وان تكون حالا من فاعل تهتز فتكون حالا متداخلة وقوله ولم يعقب عطف على ولى والمعنى ولم يرجع على عقبه وكل راجع معقب قال

* فما عقبوا اذ قيل هل من معقب * ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا *

قيل ان العصا انقلبت حية عظيمة لكنها فى سرعة حركتها والتوائها كأنها جان وهى الحية الصغيرة فان الحية العظيمة لا تقدر عليها فلذلك خاف موسى عليه الصلاة والسلام فظن ان فى انقلاب العصا حية امرا اريد به هلاك نفسه ويدل على ان خوفه كان لذلك قوله تعالى ياموسى اى فقال له ياموسى لا تخف من غيرى لانه عليه الصلاة والسلام نهى عن الخوف مطلقا فان الخوف اللازم للايمان والمعرفة لا يفارق المرسلين ولا ينهون عنه قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فمن كانت معرفته اكمل كان خوفه وخشيته اتم واوفر فلذلك قال عليه الصلاة والسلام « انا اخشاكم لله » وانما ينهون عن الخوف من غير الله تعالى وهم فى كنف عصمته آمنون فلذلك قيل له لا تخف بأس الحية ويحتمل ان يكون المعنى لا تخف مطلقا فان حال خطاب الله تعالى اياهم ووصيته اليهم ينفى عنهم الخوف مطلقا لفرط الاستغراق لا الخوف من غيره تعالى فقط ﴿ قوله او لا يكون لهم عندى ﴾ اى فى حكمى وقضائى وقوله او مطلقا كل واحد منهما معطوف على قوله اى من غيرى فالمعنى على الثالث لا تخف من سوء العاقبة اذ ليس لاحد من المرسلين سوء عاقبة فى حكمى فيخافون منه ﴿ قوله استثناء منقطع ﴾ وانما جعله كذلك لان المستثنى وهو من ظلم اى من زل من المرسلين غير مخرج من الحكم المذكور وهو عدم الخوف لانه كما لا يخاف الرسل المعصومون من الزلات لا يخاف ايضا من فرط منه ما فرط له ثم رجع عليه لان الغفور له والمرحوم عليه كيف يخاف من الذنب الذى غفر له فاذا تعين انه لا يخاف احد من المرسلين من سوء العاقبة البتة فلما لم يكن المستثنى مخرجا من الحكم المذكور لم يكن الاستثناء متصلا وكانت كلمة الا بمعنى لكن التى للاستدراك لانه لما نفى الخوف عن المرسلين كلهم اختلج فى الصدور وهم وهو ان يقال كيف يصح نفى الخوف عمن ظلم اى زل من المرسلين فدفعه بان قال الا من ظلم اى زل ثم بدل حسنا اى توبة وندما بعد سوء بعد زلة كائنة ما كانت وهو فائدة التنكير فانى غفور رحيم وقيل انه متصل والمعنى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم فانه يخاف فيتم الكلام عند قوله الا من ظلم فيكون قوله ثم بدل حسنا مستأنفا معطوفا على محذوف « واعلم ان الناس اختلفوا فى جواز الذنب على الانبياء

والظاهر انه عام فى كل من فى تلك البقعة وحواليها من ارض الشأم الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التى كلم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له امر عظيم تنتشر بركته فى اقطار الشأم (وسبحان الله رب العالمين) من تمام مانودى به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته (ياموسى انه انا الله) الهاء للشأن وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له (العزيز الحكيم) صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوى القادر على ما يبعد عن الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير (وألق عصاك) عطف على بورك اى نودى ان بورك من فى النار وان ألق ويدل عليه قوله وان ألق عصاك بعد قوله أن ياموسى انى انا الله بتكرير أن (فلما رآها تهتز) تتحرك باضطراب (كأنها جان) حية خفيفة سريعة وقرئ جأن على لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين (ولى مدبرا ولم يعقب) ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه قوله (ياموسى لا تخف) اى من غيرى ثقة بى او مطلقا لقوله (انى لا يخاف لدى المرسلون) حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم أخوف الناس من الله او لا يكون لهم عندى سوء عاقبة فيخافون منه (الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) استثناء منقطع استدرك به ما يختلج فى الصدر من نفى الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها أتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة فانه لا يخاف ايضا وقصد تعريض موسى بوكزه القبطى وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف اى من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة

وعنده قالت الحشوية يجوز صدور الكبائر عنهم عمدا وقالت المعتزلة لا يجوز صدور الكبائر عنهم ويجوز صدور الصغائر الا ماينفر كالكذب وسرقة لقمة وتطفيف حبة وقال الجبائى لا يجوز عليهم الصغيرة ولا الكبيرة على جهة العمد بل على التأويل وقالت الرافضة لا يقع منهم ذنب قط لا قبل البعثة ولا بعدها بل هم معصومون من ابتداء ولادتهم وقال الامام والمختار عندنا انهم لم يصدر عنهم ذنب حال النبوة لا الصغيرة ولا الكبيرة وفى كلامه اشعار بان ترك الاولى منهم كالصغيرة منا لان حسنات الابرار سيئات المقربين فتأويل الآية على رأينا الا من ظلم قبل النبوة ثم بدل بعدها حسنا ويؤيده لفظة ثم فانها للتراخى قال الحسن كان موسى والله اعلم ممن ظلم بقتل القبطى ثم بدل حسنا فانه عليه الصلاة والسلام قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فلذلك قال المصنف وقصد تعريض موسى بوكزه القبطى ﴿قوله لانه كان مدرعة صوف لا كم لها﴾ علة لامره عليه الصلاة والسلام بادخال يده فى جيبه وسترها به يعنى انه تعالى لما اراد ان يجعل يده بيضاء براقة كشعاع الشمس وان لا يجعلها كذلك الا وهى مستورة محتجبة بشئ وكانت يده الكريمة مكشوفة من حيث ان مدرعته لا كم لها امره بادخال يده فى جيبه اى فى مدرعته او قميصه والمدرعة جبة صغيرة يتدرع بها اى تلبس بدل الدرع وهو القميص والجيب كما يطلق على ماجيب من القميص اى قطع لخروج الرأس منه يطلق ايضا على نفس القميص وفى الصحاح الجيب القميص تقول جبت القميص اجيبه اذا قددت جيبه واختار المصنف ان يكون المراد بالجيب المدرعة لا القميص لما روى عن ابن عباس انه قال وكانت زرمانقة من صوف وازرمانقة جبة قصيرة كمها الى مرفقيه ولم تكن لها ازرار فادخل يده فى جيبها فأخرجها فاذا هى تبرق مثل البرق وقال المفسرون كانت عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده فى جيبها واخرجها فاذا هى تبرق مثل البرق وكان تعالى قادرا على ان يجعل يده بيضاء من غير ادخاله اياها فى جيبه وايضا كان قادرا على ان يصير عصاه ثعبانا وهى فى يده لكنه تعالى امتحنه بالامر بادخال يده فى جيبه وبالقاء عصاه ولله تعالى ان يمتحن عباده بمايشاء من انواع المحن وقوله تخرج مجزوم على انه جواب لقوله ادخل اى ان ادخلتها تخرج على هذه الصفة وقوله بيضاء حال من فاعل تخرج ومن غيرسوء يجوز ان تكون حالا ثانية منه او من الضمير فى بيضاء وان تكون صفة لبيضاء ﴿قوله فى جملتها او معها﴾ على الاول تكون الآيات تسعا وتكون هاتان الاثنتان داخلتين فى جملتهن وعدادهن ويكون قوله فى تسع آيات خبر مبتدأ محذوف اى هما داخلتان فى جملة تسع آيات وعلى الثانى تكون لفظة فى بمعنى مع ويكون فى تسع آيات حالا من الضمير فى بيضاء وتكون الآيات احدى عشرة وهما اثنتان والباقية تسع فكانه تعالى لما اراه هاتين الآيتين اشار الى ان هنا تسع معجزات أخر هن مثلهما فى الاعجاز وكلمة فى قد تكون بمعنى مع وكذلك قالت الائمة اذا قال زيد على عشرة فى تسعة واراد المعية يلزمه تسعة عشر ومن جملة الآيات ان موسى عليه الصلاة والسلام دعا ربه بقوله ربنا اطمس على اموالهم فجعل الله تعالى اموالهم حجارة والطموس الدروس والامحاء ﴿قوله ان يعد الاخيرين واحدا﴾ لان الجدب والنقصان كالشئ الواحد غاية مافى الباب ان الجدب كان بالنسبة الى اهل البوادى ونقصان الزرع بالنسبة الى مزارعهم فسقط بهذا الاعتبار واحد وسقط الآخر باعتبار ان المراد بالآيات التسع هذه الآيات التى بعث موسى بها الى فرعون وهى تسع لاغير وفلق البحر ليس من الآيات التى كانت لدعوة فرعون الى الايمان بل انما كان لاهلاكهم بشؤم اصرارهم وعنادهم ﴿قوله او اذهب فى تسع آيات﴾ عطف على قوله فى جملتها اى ويجوز ان يكون فى تسع آيات متعلقا باذهب المقدر وجعل ذهابه فيها عبارة عن كونه محفوظا متحصنا من بأس الاعداء بسببها كما يتحصن من هو داخل الحصن الحصين به من شر من يعاديه ﴿قوله او ذات بصر﴾ على ان يكون صيغة اسم الفاعل للنسب كتامر ولابن فيكون اثبات البصر لها تخييلا للاستعارة المكنية بان شبه الآيات بالشخص الهادى واثبت لها الابصار على وجه التخييل قرينة لها لان الاعمى لا يقدر على الاهتداء فضلا عن ان يهدى غيره ﴿قوله او مبصرة كل من نظر اليها﴾ يعنى ان الابصار فى الحقيقة صفة من نظر وتأمل فى الآيات وجعل نفس الآيات مبصرة على الاسناد المجازى لملابسة بينها وبين المتأملين فيها فالمتأملون انما يبصرون بسبب تأملهم فيها فلما كانت سببا لابصارهم نسب الابصار اليها اسنادا مجازيا جعل صيغة اسم الفاعل اولا بمعنى المفعول نحو ماء دافق اى مدفوق ثم جعلها للنسب ثم جعل مافيها من الاسناد من قبيل الاسناد المجازى ﴿قوله وقرئ مبصرة﴾ بفتح الميم والصاد على وزن مسبعة ومأسدة اذا كثر فيها السبع والاسد وانتصابها على القراءتين على انها حال من آياتنا ﴿قوله

(وادخل يدك فى جيبك) لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اى يقطع (تخرج بيضاء من غير سوء) آفة كبرص (فى تسع آيات) فى جملتها او معها على ان التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب فى تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به (الى فرعون وقومه) وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا (انهم كانوا قوما فاسقين) تعليل للارسال (فلما جاءتهم آياتنا) بان جاءهم موسى بها (مبصرة) بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات بصر من حيث انها تهدى والعمى لا تهتدى فضلا عن ان تهدى او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصر (قالوا هذا سحر مبين) واضح سحريته

(وكذبوا)

(وجحدوا بها) وكذبوا بها (واستيقنتها انفسهم) وقد استيقنتها لان الواو للحال (ظلما) لانفسهم (وعلوا) ترفعا عن الايمان واتصابهما على العلة من جحدوا (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وهو الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة (ولقد آتينا داود وسليمان علما) طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اى علم (وقالا الحمد لله) عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما اتيا به فى مقابلة هذه النعمة كأنه قال ففعلا شكرا له مافعلا وقالا الحمد لله (الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) يعنى من لم يؤت علما او مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه مااوتيا من الملك الذى لم يؤت غيرهما وتحريض للعالم على ان يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير (وورث سليمان داود) النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر (وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شئ) تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق فى التعارف كل لفظ يعبر به عما فى الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية التخيل الذى صوته والغرض الذى توخاه به ومن ذلك ما حكى انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير فى علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شئ كثرة ما اوتى كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شئ (ان هذا لهو الفضل المبين) الذى لا يخفى على احد (وحشر) وجمع (لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون) يحبسون بحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا

﴿ قوله وكذبوا بها ﴾ لما كان المشهور ان الجحود انكار الشئ بعد المعرفة والايقان به تعنتا وكان حمله على هذا المعنى يستلزم كون قوله واستيقنتها انفسهم مستدركا فسره بالتكذيب بها والمعنى كذبوا بألسنتهم كونها آيات الهية وقد استيقنت قلوبهم وضمائرهم بذلك وقوله ظلما وعلوا يجوز ان يكون فى موضع الحال اى ظالمين وعالين وان يكون مفعولا له اى الحامل لهم على ذلك الجحود الظلم والعلو ﴿ قوله تعالى كيف ﴾ خبر كان قدم عليها وعاقبة اسمها ﴿ قوله طائفة من العلم ﴾ على ان يكون التنكير للنوعية كما فى قوله وعلى ابصارهم غشاوة وقوله او علما اى علم على ان يكون التنوين للتعظيم ﴿ قوله عطفه بالواو ﴾ مع ان ظاهر الحال يقتضى عطفه بالفاء السببية لتؤذن بانهما انما حمدا الله تعالى شكرا على نعمة ايتاء العلم الذى هو من جلائل النعم لكن عطفه بالواو التى تستدعى معطوفا عليه مسببا عن تلك النعمة يشعر بان ما قالاه بعض ما اتيا به فى مقابلة هذه النعمة كأنه قيل ففعلا شكرا له ما فعلا من الشكر بالجوارح والجنان وقالا بلسانهما الحمد لله فلو عطف بالفاء لاقتصر على الشكر اللسانى وفات الاشعار المذكور ﴿ قوله وكانوا تسعة عشر ﴾ اى كان لداود تسعة عشر ابنا واعطى من بينهم سليمان ما اعطى داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود وكان داود اشد تعبدا من سليمان ﴿ قوله تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ﴾ يعنى انه عليه الصلاة والسلام لم يقل ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل الاعتراف بفضل الله تعالى واحسانه اليه وعلى طريق رفع ذلك الفضل واعلاء ذكره يقال نوهت باسمه اذا رفعت ذكره واعليت شأنه ﴿ قوله بذكر المعجزة ﴾ متعلق بالدعاء لا بالتصديق والا لقيل بالمعجزة ﴿ قوله والنطق والمنطق فى التعارف ﴾ النطق فى الاصل مصدر نطق الرجل ينطق اى تكلم فاشار المصنف الى انه يستعمل فى عرف الناس بمعنى الكلام المنطوق الدال على ما فى الضمير ثم قال وقد يستعمل بمعنى الصوت مطلقا سواء صدر عمن له فؤاد وكلام نفسى ام لا اما على تشبيه صوت من لا فؤاد له بصوت العقلاء فى كونه صوتا تابعا للتخيل او بجرد التبعية والاطراد يعنى ان اسم النطق والمنطق لما اطلق على بعض الاصوات اطلق على البواقى ايضا على سبيل الاطراد ثم اشار الى وجه الشبه بقوله فان الاصوات الحيوانية الخ ثم انه لما بين وجه اطلاق المنطق على صوت الطير قال ولعل المراد بتعليم سليمان منطق الطير وصوته علمه بالتخيل الذى حمل الطير على ذلك الصوت وبالغرض الذى توخاه بصوته لا انه يعلم انه يصوت بذلك الصوت من غير ان يفهم التخيل الذى نشأ منه ذلك الصوت والعفاء بالمد وفتح العين الدروس وذهاب الاثر وقيل العفاء التراب قال تعالى فى صفة الهدهد فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين والعجب منه انه عليه الصلاة والسلام علم كلام من لا صوت له كالنمل قال تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم الى قوله فتبسم ضاحكا من قولها وروى انه صاح ورشان فقال عليه الصلاة والسلام انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب والطاووس يقول كما تدين تدان اى كما تفعل تجازى والهدهد يقول كل حى ميت وكل جديد بال والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه والحمامة تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمواته وارضه والقطا يقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والقنبر يقول اللهم العن مبغضى محمد وآل محمد والنسر يقول ابن آدم عش ماشئت آخره الموت والعقاب يقول فى البعد عن الناس انس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والحمار يقول اللهم العن العشار والفرس يقول اذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح والزرزور يقول اللهم انى اسألك قوت يوم بيوم يا رزاق فلكل صنف من الطيور يفهم الغرض الذى يتوخاه الآخر والذى علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضها من بعض من مقاصده واغراضه ولذلك قال يا ايها الناس تعضل الله على بزيادة ما ورثته من ابى من النبوة والملك والعلم بان علمنى منطق الطير اى فهمنى ما يقوله الطير ﴿ قوله والضمير فى علمنا ﴾ يعنى ان علمنا واوتينا من كلام المتكبرين فكيف يليق بسليمان ذلك فاجاب عنه اولا بانه ليس ضمير المعظم نفسه وثانيا بانه ضمير المعظم نفسه الا انه لم يقله تكبرا بل قاله على عادة الملوك فانهم يتكلمون بمثل ذلك رعاية لقاعدة السياسة ومقتضى الملك صيانة لرفعتهم وقدرهم فى قلوب الرعايا وقوله واوتينا من كل شئ اراد به كثرة ما اوتى كما يقال فلان يقصده كل احد ويراد كثرة قاصديه اقامة للتكثير مقام الكل ونحوه قوله تعالى واوتيت من كل شئ وقوله ان هذا اى الذى اوتيناه لهو الفضل المبين وارد على سبيل الشكر لا الافتخار كما قال عليه الصلاة والسلام انا سيد ولد آدم ولا فخر اى اقوله شكرا لا فخرا ﴿ قوله من الجن وما بعده ﴾

بيان لجنوده فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون هذا الجار حالا فيتعلق بمحذوف ايضا وكون طوآئف الجن والانس والطير جنود السليمان يقتضى ان يكون كل واحد من هذه الاصناف متصرفا على مراده ممتثلا لامره ولايكون كذلك الامع العقل الذى يصح معه التكليف بان لايكون كل واحد من تلك الاصناف اقل عقلا من المراهق الذى قد قارب حد التكليف فيلزم منه انه تعالى جعل الطير فى ايامه من ذوات العقل والفهم وان لم تكن كذلك فى ايامنا وكذا قوله تعالى قالت نملة يدل على انها تكلمت بذلك وليس بمستبعد لان الله تعالى قادر على ان يخلق فيها العقل والنطق قال المفسرون كان سليمان اذا اراد سفرا امر فجمع له طوآئف من هؤلاء الجنود على بساط واحد اتخذه الجن له من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والارض والمعنى وجمع له جنوده فى مسيره من الاماكن المختلفة ومعنى الوزع فى اللغة هو الكف يقال وزعه يزعه اذا كفه ومنه قوله مايزع القرآن اكثر مما يزع السلطان وقال عثمان رضى الله عنه مايزع السلطان اكثر مما يزعه القرآن وقالوا لابد للناس من وزعة اى من حكام يكفونهم عن الشر والعبث والفساد قال الشاعر

ولم يزعه لبه وحياؤه ❁ فليس له من شيب فوديه وازع ❁

﴿قوله تعالى حتى اذا اتوا﴾ متعلق بقوله يوزعون لانه يتضمن معنى فهم يسيرون ممنوعا بعضهم عن مفارقة بعضهم فى مسيرهم ليحصل الحسن اجتماع فى الهيئة والهيبة فى الرؤية حتى اذا اتوا ويجوز ان يتعلق بمحذوف اى فساروا حتى ﴿قوله وتعدية الفعل اليه بعلى﴾ مع انه قد يتعدى بنفسه وبكلمة الى يقال اتيته واتيت اليه اما لانهم اتوا اليه مستعلين فوقه لانهم كانوا محمولين على الريح وقيل هو من قولهم اتيت عليه اذا قطعته وبلغت آخره والمعنى حتى اذا قطعوا الوادى كله وبلغوا آخره ﴿قوله كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادى﴾ اى عند منقطعه لانهم مادامت الريح تحملهم فى الهوآء لاتخاف النملة حطمهم ﴿قوله كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادى﴾ لما لم تكن النملة من العقلاء الناصحين الذين يعبرون عما فى ضمائرهم بتراكيب ملفوظة تدل عليه دلالة وضعية لم يكن حمل الآية على الحقيقة ظاهرا فلذلك حمله المصنف على الاستعارة التمثيلية بان شبهت الحالة الواقعة بينها وبين قومها بما يقع بين العقلاء الناصحين فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبه بها فقيل قالت نملة الى آخر الآية والظاهر ان الكلام محمول على حقيقته بناء على انه لايمتنع ان يخلق الله تعالى فيها العقل والنطق الاترى انه تعالى سخر الريح والشياطين والطير لسليمان عليه الصلاة والسلام وجعل جميع ذلك جنودا واعوانا منقادين له لايخالفونه فى شئ مما امرهم به وذلك لايكون الابجعلهم عقلاء مميزين ومع ذلك كيف يبعد ان يخلق الله تعالى العقل والنطق فى النملة وقد روى ان سليمان لما سمع قول النملة قال ائتونى بها فأتوه بها فقال لها لم حذرت النمل من ظلمى اما علمت انى نبى عدل فلم قلت لايحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة اما سمعت قولى وهم لايشعرون ومع ذلك انى لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب خشيت ان يروا ماانعم الله به عليك من الجاه والملك العظيم فيقعوا فى كفران النعم فلا اقل من ان يشتغلوا بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها سليمان عظينى فقالت النملة أعلمت لم سمى ابوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحة قلبه وهل تدرى لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم القلب والصدر ثم قالت اتدرى لم سخر الله لك الريح قال لا قالت اخبرك الله تعالى بذلك ان الدنيا كلها ريح فمن اعتمد عليها فكأنما اعتمد على الريح وقول النملة وهم لايشعرون يدل على انها عرفت ان النبى عليه الصلاة والسلام معصوم فلا يقع منه قتل وايذآء بغير ذنب الاعلى سبيل السهو وهذا تنبيه عظيم على وجوب الجزم بعصمة الانبياء ولفظة نملة فى قوله تعالى قالت نملة مؤنث حقيقى بدليل لحوق علامة التأنيث فعلها لان نملة تطلق على الذكر والانثى فاذا اريد تمييز ذلك احتيج الى مميز خارجى نحو نملة ذكر ونملة انثى وكذا لفظ حمامة ويمامة من المؤنثات اللفظية ذكر الامام ان قتادة دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عماشئتم وكان ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حديث السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة رضى الله عنه كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله تعالى وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقيل قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى انتهى يعنى ان التأنيث لفظى ومعنوى واللفظى لايعتبر فى لحوق علامة التأنيث بالفعل البتة بدليل انه لايجوز قالت طلحة ولا حمزة على مذكر فتعين ان يكون اللحوق انما هو للتأنيث المعنوى ﴿قوله نهى لهم

(حتى اذا أتوا على وادى النمل) وادبالشأم كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشئ اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادى (قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم) كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرت منهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة تنبهت بها ماتحضرها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لايمتنع ان يخلق الله فيها العقل والنطق (لايحطمنكم سليمان وجنوده) نهى لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لاارينك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر لاجواب له فان النون لايدخله فى السعة (وهم لايشعرون) انهم يحطمونكم اذلو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذآء

عن الحطم ﴾ يعنى ان النهى فى لايحطمنكم متوجه الى سليمان وجنوده ظاهرا لكنه كناية فى المعنى عن نهى النمل عن الوقوف فى مكانهم فيحطمهم سليمان وجنوده كما ان النهى فى لاارينك ههنا متوجه بحسب الظاهر الى المتكلم لكنه كناية عن نهى المخاطب عن الوقوف فى مكانه فيراه فان وقوف المخاطب فيه ملزوم لرؤية المتكلم اياه فجعل النهى عن اللازم كناية عن النهى عن الملزوم والفاء فى قوله فهو استئناف او بدل من الامر لتفريع جواز كل واحد من الامرين على كون النهى المذكور كناية عن نهى النمل عن الوقوف لانه لو كان النهى على ظاهره لما جاز كون لايحطمنكم بدلا من قوله ادخلوا لان نهى الجماعة لايصلح ان يكون بدلا من الامر لجماعة اخرى بخلاف مالو جعل كناية فان المأمور والمنهى حينئذ يكون جماعة النمل فتصح البدلية ومعنى كلامه انه لما كان نهى الجنود عن الحطم كناية عن نهى النمل من الوقوف جاز ان يكون لايحطمنكم نهيا مستأنفا لاتعلق له بماقبله من حيث الاعراب وان يكون بدلا من جملة الامر قبله وهى ادخلوا ولا مدخل لكون النهى كناية فى جواز كونه نهيا مستأنفا وانما المتفرع عليه جواز كل واحد من الامرين ﴿ قوله وقيل استئناف ﴾ عطف على مافهم من تقرير كلامه من ان قوله وهم لايشعرون حال من فاعل لايحطمنكم ﴿ قوله تعالى فتبسم ضاحكا ﴾ ليس معناه انه عليه الصلاة والسلام ضحك متبسما لان التبسم والضحك لايجتمعان بل اراد انه بالغ فى تبسمه حتى بلغ نهايته التى هى اول مراتب الضحك وكأنه قيل فتبسم شارعا فى الضحك وآخذا فيه ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولاختصاصه بهذه النعمة الجليلة التى هى سماعه ما همس به بعض النمل الذى هو مثل فى الصغر واحاطته بمعناه فان احدا من الناس لم يسمع صوت النملة فضلا عن ان يفهم غرضها منه ﴿ قوله اجعلنى ازع شكر نعمتك ﴾ اشارة الى ان همزة اوزع للتعدية وانه من الوزع بمعنى الكف والمنع عن التفرق والانتشار والوازع من يكف الرعية عن التظالم والفساد وقد مر آنفا ان قوله تعالى فهم يوزعون بمعنى يحبسون ويمنعون من الانتشار حتى يجتمعوا فى مسيرهم فانه احسن فى الهيئة واهيب فى الرؤية سأل عليه الصلاة والسلام ان يجعله الله تعالى وازعا لجيش شكره فيكون قوله اوزعنى ان اشكر استعارة مكنية حيث شبه الشكر بالجماعة النافرة وجعل تعليق الوزع والربط به تخييلا وقرينة لتشبيه المضمر فى النفس ورد فى الحديث «النعمة وحشية فقيدوها بالشكر فانها اذا شكرت قرت واذا كفرت فرت» ﴿ قوله أدرج فيه ذكر والديه ﴾ اى ادرج ذكر النعمة الواصلة اليهما فى ذكر النعمة المستدعية لشكر نفسه ﴿ قوله فان النعمة عليهما نعمة عليه ﴾ ضرورة ان انتساب الابن الى اب شريف نعمة من الله تعالى على الابن فيشكر تلك النعمة الواصلة منه تعالى الى الابن ﴿ قوله والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية ﴾ فان الابن اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضى الله عنك وعن والديك فاشتغل بشكر نعم الله تعالى على والديه ايضا اشعارا بان نعمتهما من آثار ما انعم به عليه ﴿ قوله فى عدادهم الجنة ﴾ لفظ الجنة بدل من العداد المقدر يعنى ان المراد من ادخاله فى العباد ادخاله فى عدادهم والمقصود منه ادخاله فيما هى لهم وهو الجنة لانه قد سأل ان يوفقه الله تعالى للاعمال الصالحة ودخوله فى زمرة الصالحين بقوله وأن أعمل صالحا ترضاه فلو حمل قوله وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين على طلب التوفيق للاعمال الصالحة لكان تكرارا فالاية دليل على ان دخول الجنة انما يكون برحمة الله وفضله لا باستحقاق العبد وصلاحه والصالح الكامل هو من لايعصى الله ولايهم بمعصية وهو درجة عالية يطلبها كل نبى وولى ﴿ قوله وتعرف الطير ﴾ اى طلبه وبحث عنه والتفقد طلب مافقد وغاب عنك ﴿ قوله ام منقطعة ﴾ لان قوله مالى لاارى الهدهد تعجب من عدم رؤية الهدهد وهو يستدعى كون حضور الهدهد مجزوما به عنده فلا وجه لكون الاستفهام لطلب التعيين بل يجب ان يكون للاضراب عن ظن كونه حاضرا عنده ﴿ قوله او جعله مع ضده فى قفص ﴾ متذلك من العذاب الشديد لماقيل أضيق السجون معاشرة الاضداد قرأ ابن كثير ليأتيننى بنونين اولاهما نون التأكيد المشددة المفتوحة وثانيتهما نون الوقاية المكسورة والباقون بنون واحدة مشددة مكسورة والاصل قراءة ابن كثير لكن حذفت النون التى قبل ياء المتكلم كراهة لاجتماع النونات ﴿ قوله والحلف فى الحقيقة على احد الاولين ﴾ جواب عما يقال انه عليه الصلاة والسلام حلف على ثلاثة اشياء اثنان منها فعله فيصح الحلف عليهما بأن يقول والله لأعذبنه اولأذبحنه والثالث فعل الهدهد وهو اتيانه بحجة بين عذره فى غيبته فكيف يصح حلفه على ماهو فعل غيره ومن أين درى انه يأتى بسلطان مبين حتى يقول اوليأتينى بسلطان وتقرير الجواب

وقيل استئناف اى فهم سليمان والقوم لايشعرون (فتبسم ضاحكا من قولها) تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره (وقال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك) اجعلنى ازع شكر نعمتك عندى اى اكفه وارتبطه لاينفلت عنى بحيث لاانفك عنه وقرأ البزى وورش بفتح ياء اوزعنى (التى انعمت على وعلى والدى) أدرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية (وأن أعمل صالحا ترضاه) تماما للشكر واستدامة للنعمة (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) فى عدادهم الجنة (وتفقد الطير) وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد (فقال مالى لاارى الهدهد ام كان من الغائبين) ام منقطعة كأنه لما لم يره ظن انه حاضر ولايراه لساتر اوغيره فقال مالى لااراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فأضرب عن ذلك واخذ يقول بل اهو غائب كأنه يسأل عن صحة مالاح له (لأعذبنه عذابا شديدا) كنتف ريشه والقائه فى الشمس اوحيث النمل تأكله او جعله مع ضده فى قفص (اولأذبحنه) ليعتبر به ابناء جنسه (اوليأتينى بسلطان مبين) بحجة تبين عذره والحلف فى الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما

ان الاشكال انما يرد ان لو حلف على وقوع الثالث بخصوصه وليس كذلك بل حلف ليكونن احد الامور الثلاثة ومحصوله انه ان وقع الثالث لايكون ذبح ولا تعذيب وان لم يقع يكون احد الامرين لامحالة ولا محذور فى الحلف على هذا الوجه ﴿ قوله زمانا غير مديد ﴾ يعنى ان قوله عليه الصلاة والسلام غير بعيد صفة زمان ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اى مكثا غير مديد فأتاه الهدهد بحجة تبين عذره فى غيبته فقال احطت علما لم تحط به اى اطلعت على مالم تطلع عليه وعلمته من جميع جهاته بحيث لايخفى على منه شئ فان الاحاطة بالشئ علما ان يعلم من جميع جهاته بحيث لايخفى منه معلوم اصلا ﴿ قوله باطباق وبغير اطباق ﴾ الاطباق ان ترفع ظهر لسانك الى ما يحاذيه من الحنك الاعلى عند تلفظ حرف من الحروف المطبقة واختلفوا فى ان الحروف المطبقة اذا ادغمت فى غير المطبقة هل يبقى ما فيها من الاطباق اولا والظاهر ان الاطباق يقتضى بقاء المطبقة بحالها وعند ادغامها فى غير المطبقة يجب ابدالها الى المدغم فيه فلا يبقى الاطباق مع ابدالها ﴿ قوله غير مصروف ﴾ اى قرأ من سبأ بفتح الهمزة للعلمية والتأنيث وقرأ الباقون بالجر والتنوين وجعلوه اسما للحى او المكان وسبأ فى الاصل اسم رجل من قحطان واسمه عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وسبأ لقبه لانه اول من سبأ ثم اطلق على القبيلة وعلى البلد ايضا والنبأ الخبر الذى له شأن ﴿ قوله وكان الهدهد رائده ﴾ اى طالبا يطلب له الماء فالرائد الكلا يروده رودا وريادة اى طلبه فهو رائد وكان الهدهد قناقن سليمان وهو الدليل الهادى البصير بالماء تحت الارض وكيفية حفر القنى وكذلك القناقن بالضم والجمع القناقن بالفتح وكان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى الماء فى الزجاجة ويعرف الفصل بين قريبه وبعيده فيدلهم على موضع الماء بان ينقره بمنقاره ثم الشياطين يسلخون عنه الارض كما يسلخ الاهاب عن المذبوح ذكر ان ابن عباس رضى الله عنه لما قال ان سليمان طلبه لانه كان يعلم مسافة الماء ويبصره تحت الارض قيل له ان الصبى يضع له الفخ فيغطيه بالتراب فكيف لايعرفه حتى يقع فيه فقال ويحك اما علمت ان القدر يحول دون البصر وانه اذا جاء القضاء عمى البصر ﴿ قوله فوافق الرحامى ﴾ اى اتاه ﴿ قوله اذ حلق ﴾ علة لقوله لم يجده وتحليق الطائر ارتفاعه فى طيرانه ﴿ قوله فتواصفا ﴾ اى وصف كل واحد من الهدهدين ملك صاحبه وصف هدهد سليمان للآخر ملك سليمان وما خوله من كل شئ ووصف هدهد بلقيس ملك بلقيس وان تحت يدها اثنى عشر الف قائد تحت يد كل قائد مائة ﴿ قوله والضمير فى تملكهم لسبأ ﴾ يعنى ضمير تملكهم لسبأ ان اريد به القبيلة او لاهلها ان اريد بها البلدة باضمار اهلها او بطريق الاستخدام حيث اريد بالاسم الظاهر احد معنييه وبالضمير معناه الآخر ﴿ قوله واوتيت من كل شئ يحتاج اليه الملوك ﴾ حمل كل شئ فى حق بلقيس على اسباب الدنيا ولوازم الملوك لئلا يلزم التسوية بينها وبين سليمان عليه الصلاة والسلام فان المراد بقوله عليه الصلاة والسلام واوتينا من كل شئ ما اوتى من النبوة والعلم والحكمة والملك واسباب الدنيا ﴿ قوله عظيم بالنسبة اليها او الى عروش امثالها ﴾ جواب عما يقال كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان وايضا كيف سوى بين عرش بلقيس وعرش الرحمن فى الوصف بالعظم والسمك البعد الآخذ من السفل الى العلو وعكسه العمق وكان ابو بلقيس ملكا عظيم الشأن وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفؤا لى وأبى ان يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها فلما مات ابوها طمعت فى الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فأطاعوها وملكوها وفى الحديث ان احد ابوى بلقيس كان جنيا وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس ﴿ قوله فصدهم لان لا يسجدوا ﴾ وقرأ الجمهور ألا بالتشديد على ان اصلها ان لا فأن ناصبة للفعل بعدها ولذلك سقطت نون الرفع من الفعل ولا بعدها حرف نفى وان مع ما بعدها فى موضع المفعول له لقوله فصدهم اى فصدهم عن سبيل الحق لاجل ان لا يسجدوا فحذفت لام الاجل وادغمت النون فى اللام فصار الا يسجدوا والوجه الثانى ان تكون ان مع ما بعدها بدلا من اعمالهم وما بينهما اعتراضا تقديره وزين لهم الشيطان عدم السجود لله عز وجل والوجه الثالث ان تكون ان وما بعدها فى موضع مفعول يهتدون على اسقاط الخافض اى الى ان لا يسجدوا وتكون لا مزيدة كزيادتها فى قوله لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا لله وان قرئ ألا مخففا يكون ألا حرف تنبيه يستفتح بها الكلام وما بعدها حرف نداء واسجدوا فعل امر فحق الخط على هذه القراءة ان يكون على صورة يا اسجدوا الا ان الصحابة اسقطوا ألف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطا لما سقطا لفظا ووصلوا الياء بسين اسجدوا فصارت على صورة

(فمكث غير بعيد) زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف (فقال احطت بما لم تحط به) يعنى حال سبأ وفى مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان فى أدنى خلق الله تعالى من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق (وجئتك من سبأ) وقرأ ابن كثير وابو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة او البلدة (بنبأ يقين) بخبر محقق روى انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ماشاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فأعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقفا فانحط اليه فتواصفا فطار معه لينظر ما وصفه ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل فى عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها (انى وجدت امرأة تملكهم) يعنى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير فى تملكهم لسبأ او لاهلها (واوتيت من كل شئ) يحتاج اليه الملوك (ولها عرش عظيم) عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) كأنهم كانوا يعبدونها (وزين لهم الشيطان اعمالهم) عبادة الشمس وغيرها من مقابح اعمالهم (فصدهم عن السبيل) سبيل الحق والصواب (فهم لا يهتدون) اليه (الا يسجدوا لله) فصدهم لأن لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم أو لا يهتدون الى ان يسجدوا بزيادة لا وقرأ الكسائى ويعقوب ألا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اى الا يا قوم اسجدوا كقوله

(يسجدوا)

يسجدوا كما قرئ فاتحدت القرآءتان لفظا وخطا واختلفتا تقديرا ومثل لحذف المنادى مع بقاء حرف النداء بقوله

فقالت الا ياسمع اعظك بخطة ٭ فقلت سميعا فانطق وأصيبي ٭

اى الا ياصاحبي اسمع والخطة الخصلة المهمة وقوله فقلت سميعا اى ناديت سميعا ﴿قوله وعلى هذا﴾ اى على قرآءة التخفيف كما يجوز ان ينتهي كلام الهدهد عند قوله رب العرش العظيم يجوز ان ينتهي عند قوله لايهتدون ويوقف عليه ويكون قوله الا ياسجدوا استئناف خطاب من الله تعالى للمشركين او من قبل سليمان عليه الصلاة والسلام للهدهد بعد تمام كلام الهدهد وعلى قرآءة التشديد لاوقف الا على العرش العظيم ﴿قوله وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة﴾ يعني انها لاتجب على الفور بل وقتها موسع ففي اى وقت اديت تكون اداء لاقضاء وهو رد على من فرّق بين القرآءتين فأوجبها على قرآءة التخفيف نظرا الى وجود لفظ الامر فيها ولم يوجبها على قرآءة التشديد لعدم وجود لفظ الامر فيها ولم يرض المصنف بهذا الفرق لان السجدة كما تجب بالامر بها تجب ايضا بذم من تركها ومدح من اتى بها ففي قرآءة التشديد وان لم يصرّح بالامر بها الا انها تدل على ذم من تركها فتدل على الوجوب ايضا وفي كلام الفارق بينهما بحث آخر وهو ان الامر المتحقق في قرآءة التخفيف اما ان يكون من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد محكيا عنه فان كان من كلام الله تعالى فدلالته على الوجوب ظاهرة وان كان من كلام الهدهد وهو الظاهر ففي دلالته على الوجوب نظر الا ان يقال انه تعالى لما حكى كلامه على طريق الارتضاء والقبول كان كأنه قرّر مضمونه واوجبها ابتدآء من قبل نفسه فكانت قرآءة التخفيف دليلا على الوجوب سوآء كان مافيها من لفظ الامر من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد ﴿قوله وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء﴾ مع تشديدها وتخفيفها وقرئ الا تسجدون وهلا تسجدون بالتخفيف فيهما وبتاء الخطاب واثبات نون الرفع فمن اثبت نون الرفع جعل الاحرف تحضيض او عرض كما في ألا تنزل عندنا ﴿قوله والخبأ ماخفي في غيره﴾ الخبأ في الاصل مصدر خبأت الشئ اخبأه خبأ اى سترته واخفيته ثم اطلق على الشئ المخبوء ونحو هذا خلق الله اى مخلوقه والخبوء في السموات كالكواكب والامطار اخرجها الله تعالى باشراق الكواكب وانزال الامطار والخبوء في الارض كالنبات اخرجه الله تعالى بانباته والانشاء ايجاد الشئ المسبوق بالمادّة والابداع ايجاد ماليس بمسبوق بها والمقصود من وصفه تعالى بالتفرّد بكمال القدرة حيث قيل يخرج الخبأ وبالتفرّد بكمال العلم حيث قيل ويعلم ماتخفون وماتعلنون الحث على السجود له تعالى والرد على من يسجد لغيره كالشمس وتقرير كونه ردا عليه ان الاله يجب ان يكون قادرا على اخراج الخبأ وعالما بالخفيات والشمس مثلا ليست كذلك فهي لاتكون الها واذا لم تكن الها لم يجز السجود لها اما ان الاله يجب ان يكون قادرا وعالما على الوجه المذكور فلانه يجب ان يكون واجبا لذاته فلا تختص قادريته وعالميته ببعض المقدورات والمعلومات دون البعض واما ان الشمس ليست كذلك فلأنها جسم متناه وكل ماكان متناهيا في الذات كان متناهيا في الصفات ﴿قوله فبين العظيمين﴾ احدهما عرش بلقيس والآخر عرش الله العظيم يعني ان قوله تعالى لااله الا هو رب العرش العظيم سوآء كان من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد يكون المقصود منه الاشارة الى البون البعيد بين العظيمين فان كان من كلام الهدهد يكون المقصود استدراكا منه لما وصف عرش بلقيس بالعظم وان كان من كلام الله يكون المقصود الرد عليه في وصفه عرشها بالعظم ﴿قوله والتغيير للمبالغة﴾ فان ام كنت من الكاذبين ابلغ من ام كذبت لان معناه من الذين اشتهروا بالكذب وانخرطوا في سلك الكاذبين ﴿قوله ماذا يرجع بعضهم﴾ اى ماذا يرد من الجواب من الرجع وهو الرد فان جعلنا النظر بمعنى التأمل والتفكر كانت ما في قوله ماذا يرجعون استفهامية وفيها حينئذ وجهان احدهما ان تجعل مع ذا بمنزلة اسم واحد منصوب بيرجعون على انه مفعوله تقديره اى شئ يرجعون وثانيهما ان تجعل ما مبتدأ وذا بمعنى الذى ويرجعون صلتها وعائدها محذوف وتقديره اى شئ الذى يرجعونه وهذا الموصول هو خبر ما الاستفهامية وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية معلقة لانظر فمحلها النصب على اسقاط الخافض اى انظر في كذا وفكر فيه وان جعلتها بمعنى انتظر كما في قوله انظرونا نقتبس من نوركم كانت ماذا بمعنى الذى ويرجعون صلتها وعائدها محذوف وهذا الموصول مع مافي حيزه مفعول به لانظر اى انتظر الذى يرجعونه ﴿قوله لكرم مضمونه﴾ اى مافي مضمونه من اللفظ والمعنى ﴿قوله او مرسله﴾ وصفت كرم مرسله بناء على انها لما رأت الخاتم ارتعدت فرآئصها وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه

الا ياسمع أعظك بخطة ٭ فقلت سميعا فانطق واصيبي ٭ وعلى هذا صحّ ان يكون استئنافا من الله او من سليمان والوقف على لايهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة لاعند قرآءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والاتسجدون وهلا تسجدون على الخطاب (الذى يخرج الخبأ في السموات والارض ويعلم ماتخفون وماتعلنون) وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرّد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبأ ماخفي في غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج مافي الشئ بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج مافي الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ماتخفون وماتعلنون بالتاء (الله لااله الا هو رب العرش العظيم) الذى هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم (قال سننظر) سنتعرّف من النظر بمعنى التأمل (أصدقت ام كنت من الكاذبين) اى ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم) ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه (فانظر ماذا يرجعون) ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول (قالت) اى بعد ما ألقي اليها (يا أيها الملأ انى ألقي الىّ كتاب كريم) لكرم مضمونه او مرسله

او لانه كان مختوما او لغرابة شأنه اذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة وألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به (انه من سليمان) استئناف كأنه قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه اى الكتاب او العنوان من سليمان (وانه) اى وان المكتوب او المضمون وقرئ بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه (بسم الله الرحمن الرحيم ان لاتعلوا علىّ) ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اى هو او المقصود ان لاتعلوا او بدل من كتاب (وأتونى مسلمين) مؤمنين او منقادين وهذا الكلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته

صريحا والتزاما والنهى عن الترفع الذى هو أم الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الادلة (قالت يا أيها الملأ أفتونى فى امرى) أجيبونى فى امرى الفتىّ واذكروا ماتستصوبون فيه (ما كنت قاطعة امرا) ماابت امرا (حتى تشهدون) الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة (قالوا نحن اولوا قوة) بالاجساد والعدد (واولوا بأس شديد) نجدة وشجاعة (والامر اليك) موكول (فانظرى ماذا تأمرين) من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك (قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها) تزييف لما احست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بأنها ترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد مايصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لايدرى عاقبتها (وجعلوا اعزة اهلها اذلة) بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر (وكذلك يفعلون) تأكيدا لما وصفت من حالهم وتقرير بأن ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة او تصديق لها من الله عز وجل (وانى مرسلة اليهم بهدية) بيان لما ترى تقديمه للمصالحة والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكى (فناظرة بم يرجع المرسلون) من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روى انها بعثت منذر بن عمرو فى وفد وارسلت معهم غلمانا على زىّ الجوارى وجوارى على زىّ الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره ورأوا عظم شأنه تقاصر اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال طلب الحق واخبر بما فيه فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرة وامر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت فى الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية (فلما جاء سليمان) اى الرسول او ما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا (قال أتمدونن بمال) خطاب للرسول ومن معه او للرسول والمرسل (والباقون) على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة وبنونين وحذف الياء (فما آتانى الله) من النبوة والملك الذى لامزيد عليه وقرأ نافع وابو عمرو وحفص باسكان الياء وباسقاطها الباقون وبامالتها الكسائى وحده (خير مما آتاكم) فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندى

﴿قوله او لانه كان مختوما﴾ وعرفت الذى ارسل الكتاب اعظم ملكا منها لطاعة الطير اياه وهيبة الخاتم فان مجرد ختم الكتاب يكفى لصحة توصيفه بالكرم لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه وكان عليه الصلاة والسلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لايقبلون الا كتابا عليه خاتم فاتخذ لنفسه خاتما نقشه اى الخاتم محمد رسول الله وقال مقاتل أتاها الهدهد وهى جالسة فى قصرها فرفرف على رأسها ساعة والناس ينظرون فرفعت رأسها ناظرة اليه فألقاه فى حجرها فقرأته وكانت عربية من قوم تبع ﴿قوله استئناف﴾ يعنى انه من كلام بلقيس اجابت به لمن قال من هو او ماهو اى ماصفته وليس مما كتبه سليمان فى كتابه حتى يقال كيف قدم سليمان اسمه على قوله بسم الله الرحمن الرحيم فان بلقيس اذا ذكرت ان هذا الكتاب من سليمان ثم حكت مافى الكتاب بانه كيت وكيت لم يرد ذلك ثم ان العامة قرأوا انه وانه بكسر الهمزة فيهما على الاستئناف جوابا لسؤال قومها كأنهم قالوا ممن الكتاب وما فيه فأجابتهم بالجوابين وقرئ بفتح الهمزة فيهما اما على البدل من كتاب بدل اشتمال او بدل الكل من كتاب كأنه قيل القى الىّ أنه من سليمان وأنه كذا وكذا واما على اسقاط لام العلة والتقدير لانه من سليمان ولانه كذا وكذا كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا ببسم الله الرحمن الرحيم ﴿قوله أن مفسرة﴾ بناء على ان بسم الله متعلقة بالقول كأنه قيل اقول بسم الله الرحمن الرحيم ثم فسر القول بقوله ان لاتعلوا علىّ ولاتتكبروا وان كانت مصدرية تكون مع صلتها فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او على انه بدل من كتاب كأنه قيل القى الىّ أن لاتعلوا ﴿قوله مع كمال الدلالة على المقصود﴾ وهو الدعوة الى الاستكمال بالقوة النظرية والعملية والتحلى بالفضائل العلمية والعملية والعلم مقدم على العمل فابتدأ بقوله بسم الله الرحمن الرحيم لاشتماله على اثبات الصانع تعالى وصفاته صريحا والتزاما اما صريحا فظاهر واما التزاما فلان ماذكر صريحا يستلزم كونه تعالى حيا مريدا عالما قادرا مولما ورد ان يقال النهى عن الاستعلاء والامر بالانقياد قبل اقامة مايدل على رسالته حقا يدل على الاكتفاء بالقدر والدعوة اليه * اجاب عنه بان لاتقليد والحال ان رسول سليمان الى بلقيس كان الهدهد ورسالة الهدهد معجزة والمعجزة تدل على وجود الصانع وعلى صفاته وتدل على صدق مدعى الرسالة فلما كانت رسالة الهدهد دليلا تاما على التوحيد والنبوة لم يحتج الى ذكر دليل آخر روى ان نسخة الكتاب كانت هكذا بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لايطيلون ولايكثرون ويجوز ان يكون الكتاب اطول من هذا القدر لكن الله تعالى ذكر ماهو المقصود منه وهو دعاؤها الى التوحيد ﴿قوله فى امرى الفتىّ﴾ اى الحادث من قريب والفتى الشاب والفتاة الشابة والفتوى هى الجواب فى الحادثة والمعنى اشيروا علىّ بما عندكم من الرأى والتدبير فيما حدث من الامر بلفظ مشتق من الفتاء فى السن وهو لفظ الفتوى بجامع الحداثة ﴿قوله ليمالئوها﴾ اى ليعاونوها يقال مالأته على الامر ممالأة اى ساعدته عليه مساعدة وتمالأوا على الامر اى اجتمعوا عليه وتعاونوا فلما اجابها قومها بان ذكروا لها قوتهم وشجاعتهم تعريضا منهم بالقتال ان امرتهم بذلك ثم قالوا والامر اليك اى فى القتال وتركه ولما أحست منهم الميل الى المحاربة رأت ان من الرأى الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن فزيفت اولا ماذكروه وأرتهم الخطأ فيه وقالت ان الملوك اذا دخلوا القرية عنوة وقهرا خربوها وقوله تعالى وكذلك يفعلون من تمام قولها ارادت وهذه عادتهم المستمرة التى لاتتغير لانها كانت ربيت فى بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ويجوز ان ينتهى كلامها عند قولها اذلة ثم صدقها الله تعالى فيما قالت فقال وكذلك يفعلون اى وكما قالت هى تفعل الملوك ثم قالت الرأى المستقيم ان تجدىّ بارسال رسل ملتبسين بهدية فننظر بم يرجع المرسلون وقوله بم متعلق بيرجع لا بقوله ناظرة لان اسم الاستفهام له صدر الكلام * واعلم ان بلقيس كانت امرأة لبيبة حيث اختارت ان ترسل اليهم اى الى سليمان وقومه هدية وان تختبر بها أملك هو أم نبىّ وقالت ان يكن ملكا قبل الهدية ورضى بها وان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا بان نتبعه على دينه فذلك قولها فناظرة بم يرجع المرسلون فان هذا الكلام يدل على انها لم تثق بالقبول وجوزت الرد وارادت ان ينكشف غرض سليمان ﴿قوله وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام﴾ اى بادغام نون الرفع فى نون الوقاية واما الياء فان حمزة يحذفها وقفا ويثبتها وصلا على قاعدته والباقون بنونين على الاصل جمعوا بين المثلين ولم يدغموا لان الثانية ليست بلازمة لانها تزاد مع ضمير المتكلم واما الياء فان نافعا وابا عمرو وحمزة يثبتانها وصلا ويحذفانها وقفا وابن كثير يثبتها فى الحالين

(بل انتم بهديتكم تفرحون) لانكم لاتعلمون الاظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليهم وتعليله الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم فى قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها (ارجع) ايها الرسول (اليهم) الى بلقيس وقومها (فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها) لا طاقة لهم بمقاومتها ولاقدرة على مقاتلتها وقرئ بهم (ولنخرجنهم منها) من سبأ (اذلة) بذهاب ماكانوا فيه من العز (وهم صاغرون) اسراء مهانون (قال ياايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها) اراد بذلك ان يريها بعض ماخصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه فى دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر أتعرفه ام تنكره (قبل ان يأتونى مسلمين) فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها (قال عفريت) خبيث مارد (من الجن) بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان اوصخرا (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار (وانى عليه) على حمله (لقوى امين) لااختزل منه شيأ ولاابدله (قال الذى عنده علم من الكتاب) آصف بن برخيا وزيره اوالخضر اوجبريل اوملك ايده الله به اوسليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى (انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك اواراد اظهار معجزة فى نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتأتى له مالايتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك فى الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولماكان الناظر يوصف بارسال الطرف كما فى قوله

وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا ﴿ لقلبك يوما اتعبتك المناظر ﴾

وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحوشئ فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية فى الاسراع ومثل فيه (فلما رآه) رأى العرش (مستقرا عنده) حاصلا بين يديه (قال) تلقيا النعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى (هذا من فضل ربى) تفضل به على من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش فى مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام فى امكان مثله قدمر فى آية الاسراء

و الباقون يحذفونها فى الحالتين وروى عن نافع انه يقرأ بنون واحدة خفيفة وبناء على حذف النون الثانية التى تصحب ضمير المتكلم وحذف الاول لحن لانها علامة ومعنى قوله أتمدوننى بمال أتزيدوننى مالا بهديتكم وهذا استفهام انكار اى لااطلب زيادة فى المال فكأنه قيل لا اقبل هديتكم بل اردها عليكم ثم علل هذا الانكار بقوله فما آتانى الله خير مما آتاكم ثم اضرب عن انكار الاهداء وتعليله الى ذمهم بالاغترار بالامور العاجلة وغفلتهم عن الفضائل الروحانية والامور الاخروية فقال بل انتم بهديتكم تفرحون كأنه قال انا لاارضى بالهدية والمصانعة بل انتم تفرحون بذلك لان نظركم مقصور على الزخارف الدنيوية وفرحى بالنبوة والعلم والامور الاخروية قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون هذا على ان تكون الهدية فى قوله بهديتكم مضافا الى المهدى اليه فان الهدية اسم لما يهدى اى يبعث الى شخص تكرما كما ان العطية اسم لما يعطى فتضاف تارة الى المهدى وتارة الى المهدى اليه فيقال هدية فلان فيراد اهداها فلان او اهديت اليه والمراد هنا الاضافة الى المهدى اليه والمعنى بل انتم بالاهداء اليكم تفرحون ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدى ويكون المعنى بل انتم بهذه التى اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء مثلها فيكون وجه الاضراب حينئذ انه لما قال أتمدوننى بمال وكان ذلك متضمنا معنى اتظنوننى افرح بهديتكم والمعنى انى لاافرح بهديتكم اضرب عنه بقوله بل انتم بهديتكم تفرحون ﴿ قوله تعالى فلنأتينهم ﴾ جواب قسم محذوف وكذا ولنخرجنهم اى فوالله لنأتينهم * فان قيل كيف حلف سليمان على ذلك ولم يحنث يمينه * فالجواب انه معلق على شرط حذف لدلالة المقام عليه اى ان لم يأتوا مسلمين وحقيقة قوله لاقبل لهم لامقابلة ولاطاقة عليها قال ابن عباس رضى الله عنهما لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان واخبروها الخبر قالت قدعرفت والله ماهذا بملك ولالنا به من طاقة وبعثت الى سليمان انى قادمة اليك بملوك قومى حتى انظر ما امرك وماتدعو اليه من دينك ثم ارتحلت الى سليمان فى اثنى عشر الف قائد تحت كل قائد مائة الف فلما قربت منه على مقدار فرسخ بينها وبين سليمان رأى سليمان وهجا قريبا اى توقد نار فقال ماهذا قالوا بلقيس قد نزلت بهذا المكان فاقبل سليمان على جنوده حينئذ فقال ياايها الملأ ايكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين طائعين وقد روى انها لما خرجت الى طاعة سليمان امرت ان يجعل عرشها فى آخر سبعة ابيات بعضها فى بعض فى آخر قصر من قصور سبعة وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ﴿ قوله لانه يقال للرجل الخبيث ﴾ تعليل لكون من للتبيين فان ماقبلها يجب ان يكون اعم من مدخولها وههنا كذلك فان العفر والعفرية والعفريت والعفرية والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذى يعفر اقرانه اى يلقيهم فى التراب ومن الشياطين الخبيث المارد واشتقاقه من العفر وهو التراب ﴿ قوله انا آتيك ﴾ يجوز ان يكون فعلا مضارعا على وزن افعل نحو اضرب واصله أأتيك بهمزتين فأبدلت الثانية الفا وان يكون اسم فاعل فالالف زائدة والهمزة اصلية على عكس الاول ﴿ قوله والطرف تحريك الاجفان للنظر ﴾ فالطرف بالنسبة الى النظر كالنظر بالنسبة الى الرؤية فان الناظر اذا اراد النظر الى شئ حرك اجفانه نحو ذلك الشئ فهو ارسال الطرف واذا اراد الامساك عنه رد الاجفان الى مكانها الاول فلما كان وضع الطرف موضع النظر عبارة عن امتداد النور من العين الى المرئى كان انطباق الجفن يوهم ان ذلك النور ارتد الى العين ورائدا فى البيت نصب على الحال من طرفك وجواب اذا اتعبتك والرائد الذى يتقدم القوم لطلب الكلأ لهم اى اذا جعلت عينك رائدا لقلبك لطلب هواها اتعبتك مناظرها واوقعتك فى اشق المكاره ثم ان الشاعر فصل ما اجمله فى قوله اتعبتك المناظر بقوله فى البيت الثانى

رأيت الذى لاكله انت قادر ﴿ عليه ولا عن بعضه انت صابر ﴾

واختلف المفسرون فى قوله قبل ان يرتد اليك طرفك على وجهين الاول انه اراد المبالغة فى السرعة كما تقول لصاحبك افعل ذلك فى لحظة وهذا قول مجاهد والثانى ان يكون الكلام على ظاهره * فان قيل كيف يجوز ان ينقل العرش من ناحية اليمن الى ارض الشام فى هذا القدر من الزمان وهو يقتضى اما القول بالحركة او حصول الجسم الواحد دفعة واحدة فى مكانين * اجيب عنه بان المهندسين قالوا كرة الشمس مثل كرة الارض مائة واربعا وستين مرة ثم ان زمان طلوعها زمان قصير فاذا قسمنا زمان طلوع تمام القرص على زمان المقدار الذى بين الشام واليمن كانت تلك اللمحة كثيرا فلما ثبت عقلا امكان وجود هذه الحركة السريعة وثبت انه تعالى قادر على كل

(ليبلونى ءأشكر) بان اراه فضلا من الله بلا حول منى ولا قوة واقوم بحقه (ام اكفر) بان اجد نفسى فى البين او اقصر فى اداء مواجبه ومحلهما النصب على البدل من الياء (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها من وصمة الكفران (ومن كفر فان ربى غنى) عن شكره (كريم) بالانعام عليه ثانيا (قال نكروا لها عرشها) بتغيير هيئته وشكله (ننظر) جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف (أتهتدى ام تكون من الذين لا يهتدون) الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك) تشبيها عليها زيادة فى امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل (قالت كأنه هو) ولم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها (واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) من تمة كلامها كأنها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمة من المعجزات التى لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام اى واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم فى ذلك شكرا له (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) اى وصدها عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان (انها كانت من قوم كافرين) وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اى صدها نشوءها بين اظهر الكفار او التعليل له (قيل لها ادخلى الصرح) القصر وقيل عرصة الدار (فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها) روى انه امر قبل قدومها فبنى قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وعن ابن كثير رواية قبل سأقيها بالهمز حملا على جمعه سؤوق واسؤق (قال انه) ان ما ظننته ماء (صرح ممرد) مملس (من قوارير) من الزجاج

الممكنات زال السؤال قال المصنف فى سورة الاسراء والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة ان ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من ثانية وقد برهن فى الكلام ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى عليه السلام او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات روى ان آصف بن برخيا قال لسليمان ارسل طرفك فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار الكرسى تحت الارض ونبع لدى كرسى سليمان قبل ان يرجع اليه طرفه ﴿قوله نكروا لها عرشها﴾ اى اجعلوه منكرا متغيرا عن شكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه فالتنكير التغيير والتنكر التغير فلما امر سليمان عليه الصلاة والسلام الشياطين بذلك نكسوه اى جعلوا اسفله اعلاه وبنوا فوقه قبابا اخرى هى اعجب من تلك القباب وجعلوا موضع الجوهر الاحمر اخضر وبالعكس قيل لما جاءت بلقيس خاف الجن ان تفشى امرهم الى سليمان لانها كانت جنية وان يتزوجها سليمان فتلد له ولدا فلا ينفكون من التسخير فاحتالوا التنفيره عنها فقالوا ان فى عقلها شيأ من الخفة وانها شعراء الساقين وان رجلها كحافر حمار فلما سمع سليمان ذلك امرهم بتنكير عرشها ليختبر بذلك عقلها وامر الشياطين بان يبنوا له صرحا ممردا اى قصرا مملسا من قارورة بيضاء تضطرب كأنها الماء لغاية صفائها وجعلوا فيها تماثيل حيوانات الماء تسبح فيها ليقول لها عند مجيئها اليه ادخلى الصرح لتكشف عن ساقيها حيث ما اراد دخولها بناء على ظن انه ماء عظيم ليختبر بذلك حال ساقيها ورجليها وقيل امر سليمان بتنكير العرش واتخاذ الصرح ليعارضها بمثل ما فعلت هى به فى امر الوصفاء والوصائف وتنكيرها اياهم وامر الدرة العذراء والجزعة المعوجة الثقب فاهتدى هو عليه الصلاة والسلام لنبوته ولم تهتد هى اليه فاستبان لها حاله بذلك فاطاعته واسلمت ﴿قوله تشبيها عليها﴾ اى تلبيسا من الشبهة بمعنى الالتباس وقالت فى الجواب كأنه هو ولم تقل هو هو ولا ليس هو قال مقاتل عرفته ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها ووقفت فى محل التوقف لئلا تكذب وذلك من كمال عقلها فقيل لها انه عرشك فما اغنى عنك اغلاق الابواب وتسليط الحراس عليه ﴿قوله تعالى واوتينا العلم من قبلها﴾ ان كان من كلام بلقيس يكون ضمير قبلها راجعا الى الحالة او المعجزة الدال عليها السياق كأنها قالت واوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة بما شاهدناه من رسالة الهدهد ورد الهدية وسائر ما علمناه من قبل الرسل وان كان من كلام سليمان واتباعه يكون ضمير قبلها راجعا الى بلقيس فكأن سليمان وقومه قالوا انها قد اصابت فى جوابها وهى عاقلة وقد رزقت الاسلام ثم عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة مثل علمها وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى على ان خصهم بمزية التقدم فى الاسلام ﴿قوله وصدها عبادتها الشمس﴾ على ان يكون فاعل صد قوله ما كانت تعبد بمعنى عبادتها والظاهر ان هذه الجملة حينئذ تكون معطوفة على جملة واوتينا العلم على ان تكون من كلام سليمان واتباعه وان كانت من كلام بلقيس تكون هذه الجملة استئناف اخبار من الله بذلك ﴿قوله او وصدها الله﴾ على ان يكون فاعل صد ضمير البارى وعلى هذا يكون قوله ما كانت تعبد فى محل النصب على اسقاط الخافض اى ومنعها الله عما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس اى منعها من عبادة الشمس ﴿قوله انها كانت﴾ الجمهور على كسر همزة انها استئنافا وتعليلا وقرئ بالفتح على انها بدل مما كانت تعبد على تقدير كونها فاعل صد اى وصدها انها كانت او على اسقاط لام العلة اى لانها فهى قريبة من قراءة الجمهور ﴿قوله وقيل عرصة الدار﴾ اى قيل الصرح الصحن المنكشف من غير سقف وهو سواء كان بمعنى القصر او العرصة مأخوذ من التصريح بالشئ وهو كشفه واظهاره ﴿قوله حملا على جمعه﴾ يعنى انه سمع من العرب فى جمع ساق سؤوق واسؤق بالهمزة فاجرى عليه الواحد قال ابن عباس لما كشفت عن ساقيها ظهر قدم لطيف وساق حسن مدمج اى ممتلئ لكنه اشعر قيل انه عليه الصلاة والسلام تزوجها وكره ما رأى من كثرة شعر ساقيها فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت بلقيس انى لم يمسنى حديدة قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقها فسأل الشياطين فقالوا نحتال لك حتى يكون ساقها كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام من يومئذ فلما ابصر سليمان ساقها وقدمها وعرف جمالها صرف بصره وقال انه صرح ممرد من قوارير وذلك لانه لم يجز له النظر الى ساقها بعدما تبين حال ساقها وانما جاز قبل ان يتبين حاله ولذلك ناداها بذلك حتى تستر ساقها وتمريد البناء جعله مملسا يقال شجر امرد وغلام امرد اى لا ورق له ولا شعر فلما قيل انه ليس بماء بل صرح ممرد من

(قوارير)

قوارير ارسلت ذيلها وسترت ساقها وتعجبت من ذلك واستحكم ماشاهدته من دلائل الوحدانية والنبوة فقالت نادمة على ثباتها على الكفر فيما تقدم من عمرها ومنشئة لعقد الاسلام بكمال الرغبة والايقان رب انى ظلمت نفسى فيما سبق من عمرى واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقيل ارادت بظلمها نفسها سوء ظنها بسليمان حيث حسبت ان سليمان اراد ان يقتلها بان يغرقها فى اللجة قال محمد بن كعب القرظى لما ابصرت بلقيس الصرح قالت ما وجد ابن داود عذابا يقتلنى به الا الغرق فلما وقفت على حقيقة الحال قالت ظلمت نفسى حيث اسأت به الظن ﴿قوله وقد اختلف فى انه تزوجها﴾ والمشهور انه تزوجها واحبها حبا شديدا واقرها على ملكها فكان يزورها كل شهر مرة يقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له داود بن سليمان وامر الجن فبنوا لها مدينة اسيلحين وقصر غمدان بصنعاء وقيل زوجها ذا تبع ملك همدان فانه قد روى ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى ازوجك اياه فقالت اومثلى يانبى الله ينكح الرجال وقد كان لى فى قومى الملك والسلطان قال نعم انه لايكون فى الاسلام الاذلك ولاينبغى لك ان تحرمى ما احل الله لك قالت ان كان ولابد فزوجنى ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه وردها الى اليمن ودعا زوبعة ملك جن اليمن وقال له اعمل لذى تبع مااستعملك فيه فلم يزل يعمل له ما اراد الى ان مات سليمان فلما مات سليمان ومكث الجن موته نادى زوبعة يامعشر الجن قدمات سليمان فارفعوا رؤسكم فرفعوها وتفرقوا وانقضى ملك ذى تبع وملك بلقيس مع انقضاء ملك سليمان فسبحان من لاانقضاء لدوام لاهوتيته وملكه * روى ان سليمان عليه السلام ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة * وقد تمت هنا قصة داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وقد ذكر قبل قصتهما قصة موسى عليه الصلاة والسلام فالآن ذكر الله تعالى قصة ثالثة وهى قصة صالح عليه الصلاة والسلام فقال ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ﴿قوله اطيرنا﴾ اصله تطيرنا وقرئ به فادغمت التاء فى الطاء وزيدت همزة الوصل ليتأتى الابتداء والتطير التشؤم بيروح الطير وهو ان يعايك مايمرة بان يمر من ميامنك الى مياسرك والعرب تطير بالبارح لانه لايمكنك ان ترميه حتى تنحرف ويتيمن بالسانح وهو الذى يقابلك ميامنة بان يمر من مياسرك الى ميامنك والمراد بالتطير فى الآية مطلق التشؤم فانه قد يستعمل فى التشؤم بكل مايتشأم به وان كان فى الاصل عبارة عن التشاؤم بالطير روى انهم قحطوا بعد مبعث صالح عليه السلام لتكذيبهم اياه فنسبوه الى مجيئه والشأم ولابه كما يتشاءمون بالطائر فقال عليه الصلاة والسلام طائركم عند الله اى السبب الذى يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدره وكل مايصيب العبد من الخير والشر انما يصيبه بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته لاراد لقضائه ولامعقب لحكمه لامانع لما اعطاه ولامعطى لما منعه اطلق الطائر على ماهو سبب حقيق للخير والشر وهو قضاء الله وقدره تشبيها له بالطائر الذى هو سبب لهما فى زعمهم ويحتمل ان يكون الطائر مستعارا لاعمالهم التى كانت سببا لما اصابهم من الشدائد فانها مكتوبة عند الله تعالى كما ان القضاء والقدر صفتان قائمتان به تعالى ﴿قوله الى ذكر ماهو الداعى اليه﴾ وهو اختبارانهم هل يتنبهون الى ان مااصابهم من حسنة فبفضل الله ويرجعون ان مااصابهم من سيئة فبشؤم كسبهم قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بل انتم قوم تفتنون اى تختبرون بالخير والشر كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة ﴿قوله وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى﴾ يعنى ان تمييز مافوق الثلاثة الى العشرة يجب ان يكون مجموعا والرهط مفرد اللفظ ومع ذلك وقع تمييزا للتسعة لكونه فى معنى الجماعة كانه قيل تسعة انفس ﴿قوله اى شأنهم الافساد الخالص﴾ اشارة الى فائدة قوله ولايصلحون بعد قوله يفسدون فى الارض وهى ان المفسدين قد يجيء منهم الاصلاح فى بعض الاوقات وهؤلاء التسعة كان حالهم بخلاف ذلك اذلم يكن منهم الاصلاح اصلا وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف وهو عاقر الناقة وقوله يفسدون صفة تسعة او رهط فيكون فى موضع الرفع او الجر ﴿قوله امر﴾ اى يجوز فى تقاسموا ان يكون امرا اى قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا ويجوز ان يكون فعلا ماضيا وحينئذ يجوز ان يكون بدلا من قالوا مفسرا له كانه قيل ماقالوا فقيل تقاسموا ويجوز ان يكون حالا من فاعل قالوا على اضمار قد اى قالوا ذلك متقاسمين ﴿قوله وقرأ حمزة والكسائى﴾ لتبيتنه بتاء الخطاب المضمومة وضم التاء الثانية والباقون بنون المتكلم وفتح التاء ﴿قوله ثم لتقولن﴾ قرأ حمزة والكسائى بتاء الخطاب المفتوحة وضم اللام والباقون بنون المتكلم وفتح اللام وقرئ بياء الغيبة فى الفعلين فاما قراءة الاخوين فان جعلنا تقاسموا فعل امر فالخطاب واضح رجوعا بآخر الكلام الى اوله وان جعلناه

(قالت رب انى ظلمت نفسى) بعبادتى الشمس وقيل بظنى بسليمان فانها حسبت انه يغرقها فى اللجة (واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) فيما امر به عباده وقد اختلف فى انه تزوجها او زوجها من ذى تبع ملك همدان (ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله) بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء (فاذاهم فريقان يختصمون) ففاجأوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين (قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا (قبل الحسنة) قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ (لولا تستغفرون الله) قبل نزوله (لعلكم ترحمون) بقبولها فانها لاتقبل حينئذ (قالوا اطيرنا) تشاءمنا (بك وبمن معك) اذ تتابعت علينا الشدائد ووقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم (قال طائركم) سببكم الذى جاء منه شركم (عند الله) وهو قدره او عملكم المكتوب عنده (بل انتم قوم تفتنون) تختبرون بتعاقب السراء والضراء والاضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ماتحيق بهم الى ذكر ماهو الداعى اليه (وكان فى المدينة تسعة رهط) تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة (يفسدون فى الارض ولايصلحون) اى شأنهم الافساد الخالص عن شوائب الصلاح (قالوا) اى قال بعضهم لبعض (تقاسموا بالله) امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد (لنبيتنه واهله) لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر (ثم لنقولن) فيه القراآت الثلاث (لوليه) لولى دمه (ماشهدنا مهلك اهله) فضلا ان تولينا اهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك فى قراءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابوبكر بالفتح فيكون مصدرا

ماضيا او امرا فالامر فيها واضح وهو حكاية اخبارهم عن انفسهم واما قرآءة الغيبة فيهما فظاهرة على ان يكون تقاسموا ماضيا رجوعا بآخر الكلام الى اوله فى الغيبة وان جعلناه امرا كان لنبيتنه جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل كيف تقاسموا فقيل لنبيتنه والبيات مباغتة العدو ومفاجأته بالقتل ليلا والمعنى لنقتلنه بياتا اى ليلا واهله اى قومه الذين اسلموا معه ثم لنقولن لوليه اى لولى دمه ماشهدنا مهلك اهله اى ماحضرنا هلاكهم او موضع هلاكهم او زمانه او اهلاكهم او موضع اهلاكهم او زمانه ولاندرى من قتلهم قرأ العامة مهلك بضم الميم وفتح اللام من الاهلاك وحفص بفتح الميم وكسر اللام وابو بكر بفتح الميم واللام وكلاهما من الهلاك الا انه على قرآءة ابى بكر لايكون الا مصدرا لان هلك من باب ضرب واسم الزمان والمكان من يهلك بكسر اللام لايكون الا مكسور اللام واما مهلك بكسر اللام فانه يحتمل الثلاثة وكذا مهلك بضم الميم وفتح اللام * تحالف القوم على ان يبيتوا صالحا واهله ثم ينكروا عنده او لياءه انهم فعلوا ذلك اوراءوه وكان هذا مكرا عزموا عليه هذا على تقدير ان يكون تقاسموا فعلا ماضيا مفسرا للنفس قالوا ولايكون مقول القول ﴿قوله وتحلف انا لصادقون﴾ يعنى ان جملة انا لصادقون فى محل النصب بنزع الخافض المتعلق بفعل محذوف معطوف على قوله لنقولن اى ثم لنقولن اى كذا وتحلف انا لصادقون فيما قلنا او على انه حال من فاعل لنقولن * ولما ورد ان يقال كيف يكونون صادقين فيما قالوا وهو خبر غير مطابق للواقع وهو ماقد فعلوه عمدا * اجاب عنه بوجهين الاول ان الكذب انما يلزمهم ان لو انكروا المباشرة ولم ينكروها بل انكروا الشهود والنكاره لايستلزم انكار المباشرة ليلزم الكذب والثانى انهم انما انكروا شهود مهلك اهله وحده وهم صادقون فيه سمى الله مواضعتهم على قتل صالح واهله خفية مكرا لكونها مكرا فى الحقيقة لان المكر قصد الاضرار على طريق الغدر والحيلة وسمى تدميره واهلاكه اياهم وهم لايشعرون على سبيل المجازاة على مكرهم مكرا ايضا تشبيها له بالمكر من حيث كونه اضرارا فى خفية لقوله وهم لايشعرون او للمشاكلة ﴿قوله فى الحجر﴾ وهو اسم مدينة ثمود قال تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين * الراغب الحجر ماسور بالحجارة وبه سمى حجر الكعبة وديار ثمود والشعب بالكسر ما انفرج بين الجبلين وقيل الطريق فى الجبل ﴿قوله زعم انه يفرغ منا الى ثلاث﴾ وذلك انهم لما عقروا الناقة اخبرهم صالح بنزول العذاب المستأصل عليهم عند انتهاء ثلاثة ايام فقالوا ذلك قال ابن عباس ارسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح عليه السلام يحرسونه فاتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولايرون الملائكة فقتلوهم وهو قول الكلبى وقال قتادة والسدى دخلوا البلاق خرق جبل يترصدون فارسل الله تعالى عليهم صخرة فسدت عليهم فم الخرق فهلكوا فيه واهلك الله تعالى سائرهم بصيحة جبريل وقرأ الكوفيون انا دمرناهم بفتح الهمزة والباقون بكسرها على الاستئناف واختار المصنف قرآءتنا بكسر الهمزة وجوز حينئذ ان تكون كان تامة وناقصة وجوز على تقدير كونها ناقصة ان تكون ان المكسورة مع ما فى حيزها استئنافا وان تكون خبر مبتدأ محذوف ولاينافيه اقتضاؤها الصدارة لانها انما تقتضى ان تكون فى صدر الجملة التى دخلت هى عليها وهذه الصدارة حاصلة سوآء جعلت خبر ان او خبر كان الا انه لم يجوز كونها خبر كان لان المكسورة مع مافى حيزها جملة والجملة لاتكون خبرا بدون العائد بخلاف المفتوحة فانها مع ما فى حيزها فى تأويل المفرد فيصح كونها خبرا بدون العائد وعلى تقدير كونها مستأنفة يجب ان يتم الكلام قبلها وذلك بان تكون كان تامة وعاقبة فاعلها وكيف حالا منها اى فانظر يامحمد على اى حال عاقبة امرهم او بان تكون ناقصة وعاقبة اسمها وكيف خبرها ويجوز على تقدير ان تكون ناقصة ويتم الكلام قبل ان المكسورة ان يكون قوله انا دمرناهم بكسر الهمزة خبر مبتدأ محذوف اى وهى انا دمرناهم على معنى وتلك العاقبة انا دمرناهم وعلى قرآءة الكوفيين يجوز ان يكون انا دمرناهم خبر مبتدأ محذوف سوآء جعل كان تامة او ناقصة فانه ان جعل كان تامة وعاقبة فاعلها وكيف حالا منها جاز ان يكون انا دمرناهم خبر مبتدأ محذوف كما اذا كانت ناقصة وجاز ايضا ان يكون بدلا من عاقبة والمعنى كيف كان تدميرنا اياهم بمعنى كيف حدث ووقع ويجوز هذا الوجه على تقدير ان يكون كان ناقصة ايضا كما اشار اليه بقوله او بدل من اسم كان ولم يقل من فاعل كان ويجوز على تقدير كونها ناقصة ان يجعل عاقبة اسمها وانا دمرناهم خبرها وكيف حالا اى فانظر اى حال كان عاقبة مكرهم تدميرنا اياهم اجمعين ولايجوز على تقدير كون كان ناقصة وعاقبة اسمها وكيف خبرها ايضا ان يكون انا دمرناهم بدلا من كيف لان قوله انا دمرناهم ليس معه حرف الاستفهام والبدل من الاستفهام يلزم فيه اعادة حرف الاستفهام نحو كم مالك أعشرون ام ثلاثون وكيف فلان أصحيح ام سقيم ولو قلت

(وانا لصادقون) ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا اذ الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا او لانا ماشهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك مارأيت ثمة رجلا بل رجلين (ومكروا مكرا) بهذه المواضعة (ومكرنا مكرا) بان جعلناها سببا لاهلاكهم (وهم لايشعرون) بذلك روى انه كان لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون فى اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين) وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف او خبر محذوف لاخبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال (فتلك بيوتهم خاوية) خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهى حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف (بما ظلموا) بسبب ظلمهم (ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون) فيتعظون (وانجينا الذين آمنوا) صالحا ومن معه (وكانوا يتقون) الكفر والمعاصى فلذلك خصوا بالنجاة

عشرون او صحيح بغير اعادة حرف الاستفهام لم يجز ﴿ قوله واذكر لوطا او وارسلنا لوطا ﴾ يعني ان لوطا منصوب اما باذكر مضمرة او بارسلنا المدلول عليه بما ذكر في القصة السابقة لان قصة لوط معطوفة على قصة ثمود وقد ذكر في فاتحتها ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا فيقدر لها مثله واذبدل اشتمال من لوطا على تقدير ان يكون لوطا منصوبا باذكر ولا يجوز ان يكون ظرفا لاذكر لان ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام اياه ليس في زمان قوله لقومه اتأتون الفاحشة او ظرف لارسلنا على تقدير ان يكون لوطا منصوبا به ولا يجوز ان يكون بدلا من لوطا حينئذ اذلا يستقيم ان يقال وارسلنا وقت قوله والفاحشة الفعلة القبيحة واراد بها اللواطة باتفاق المفسرين ﴿ قوله او يبصرها بعضكم من بعض ﴾ يعني ويجوز ان يكون تبصرون من بصر العين لا على ان المعنى وانتم تبصرون ما تأتونه بل على انه يبصر بعضكم فعل بعض واعلان المعصية معصية زائدة على اتيانها ﴿ قوله بيان ﴾ يعني ان قوله ائنكم لتأتون الرجال عطف بيان لقوله أتأتون الفاحشة لكونه اوضح في الدلالة على فعلتهم القبيحة وقوله شهوة مفعول له اي اتأتون الرجال لقضاء الشهوة متجاوزين النساء مع انه تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فاتيانكم الرجال للشهوة مضادة لحكم الله تعالى وحكمته ﴿ قوله تفعلون فعل من يجهل قبحها الخ ﴾ جواب عما يقال كيف وصفهم بالعلم اولا حيث قال وانتم تبصرون اي تعلمون فحشها ثم وصفهم بعده بالجهل حيث قال بل انتم قوم تجهلون فكيف يكون علما وجهلا معا فاجاب بثلاثة اجوبة الاول انه ليس المعنى انتم تجهلون فحشها بلزوم التناقض بل المعنى تفعلون فعل من يجهل فحشها مع علمكم بذلك والثاني ان المراد بالجهل السفاهة والحماقة التي كانوا عليها والثالث ان المراد تجهلون القيامة وعاقبة العصيان ﴿ قوله والتاء فيه ﴾ جواب عما يقال تجهلون صفة لقوم وهو اسم ظاهر منزل منزلة الغائب فينبغي ان تكون صفته بياء الغيبة لتطابق الصفة الموصوف ومحصول الجواب ان القوم وان كان غائبا باعتبار لفظه فهو مخاطب باعتبار معناه لكونه جاريا على انتم خبرا عنه فلما اجتمع فيه جهتا الغيبة والخطاب اعتبر جانب الخطاب لان الاصل في الكلام انما هو المتكلم والمخاطب والغائب متوسط بينهما ﴿ قوله يتنزهون عن افعالنا ﴾ اي لا يوافقونا فيها بل يتهون عنها ونحن لا نرضى بتركها فليس لنا حظوة الا باخراجهم من بيننا قرأ الجمهور فما كان جواب قومه بنصب جواب على انه خبر مقدم وقرئ بالرفع والنصب احسن لان أن قالوا في تأويل قولهم فهو اعرف من جواب قومه لان المضاف الى المضمر أعرف من المضاف الى المضاف الى المضمر ولان أن قالوا لا يقبل التنكير بخلاف جواب قومه فانه يقبله بان يقال جواب لقومه ﴿ قوله قدرنا كونها من الباقين ﴾ يريد ان المضاف مقدر في قوله قدرناها لان التقدير متعلق بغبورها وكونها من زمرة الباقين في العذاب لا بذاتها فانها ان بقيت مع جملة من بقي في القرية اهلكها الله بعذاب الائتفاك وان خرجت منها مع لوط عليه الصلاة والسلام هلكت بان اصابها حجر في الطريق والمتبادر من هذه الآية ان امطار الحجارة غير مختص بشذاذ القوم بل هو امر شامل لجميعهم وان الباقين في القرى المؤتفكات اهلكوا بنوع آخر من العذاب ايضا ﴿ قوله الزام لهم ﴾ يعني ان الآية بظاهرها وان دلت على ان المقصود الموازنة بينه تعالى وبين الاصنام واستعلام انه تعالى خير لمن عبده ام الاصنام لعابديها ولا وجه له ضرورة ان احدا من العقلاء لا يزن المخلوق العاجز بالخالق القادر على كل شئ في معنى الخيرية بل المقصود الزام المشركين والتهكم بهم وتسفيه رأيهم بين الله تعالى اولا اهلاك كفار الامم السالفة ونجاة الموحدين المؤمنين ثم خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم وامره ان يحمد الله تعالى على هلاك المشركين السالفين ويسلم على المصطفى للتوحيد والايمان من عبيده او خاطب لوطا عليه الصلاة والسلام وامره بذلك ثم التفت الى المشركين وخاطبهم على سبيل التبكيت والالزام بقوله آلله خير أم ما تشركون ومن قرأ يشركون بياء الغيبة حمله على ما قبله من قوله وامطرنا عليهم وما بعده من قوله بل اكثرهم وام في قوله ام ما يشركون متصلة عاطفة بمعنى ايهما خير وما بمعنى الذي وقيل مصدرية على حذف المضاف من الاول اي أتوحيد الله خير ام شرككم وام في قوله امن منقطعة بمعنى بل والهمزة اشار اليه المصنف بقوله بل ام من لعدم تقدم همزة الاستفهام وقصد التسوية ومن موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وخبرها محذوف والتقدير بل امن خلق السموات والارض خير اضرب عن السؤال بايهما خير الى تقريرهم اي حملهم على الاقرار بان من قدر على خلق العالم فهو خير من جماد لا يقدر على شئ كأنه قيل دعوا هذا السؤال انتم تقرون بانه تعالى خالق العالم فهو خير من جماد لا يقدر فهو

(ولوطا) واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه (اذ قال لقومه) بدل على الاول ظرف على الثاني (أتأتون الفاحشة وانتم تبصرون) تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فتكون افحش (ائنكم لتأتون الرجال شهوة) بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر (من دون النساء) اللاتي خلقن لذلك (بل انتم قوم تجهلون) تفعلون فعل من يجهل قبحها او يكون سفيها لا يميز بين الحسن والقبيح او تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب (فما كان جواب قومه الا ان قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون) يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا (فأنجيناه واهله الا امرأته قدرناها من الغابرين) قدرنا كونها من الباقين في العذاب (وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) مر مثله (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) امر رسوله بعدما قص عليه القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده والسلام على المصطفين من عبيده شكرا على ما انعم عليه وعلمه ما جهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين او لوطا بأن يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك (آلله خير اما يشركون) الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لا خير فيما اشركوه رأسا حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء (امن) بل ام من (خلق السموات والارض) التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع وقرئ أمن بالتخفيف على انه بدل من الله

(وانزل لكم) لأجلكم (من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة) عدل به من الغيبة الى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه على ان انبات الحدآئق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله (ما كان لكم ان تنبتوا شجرها) شجر الحدآئق وهى البساتين من الاحداق وهو الاحاطة (ءاله مع الله) أغيره يقرن به و يجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ أإلها باضمار فعل مثل أتدعون أو أتشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين (بل هم قوم يعدلون) عن الحق الذى هو التوحيد (أمن جعل الارض قرارا) بدل من أم من خلق السموات وجعلها قرارا بابدآء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الانسان والدواب عليها (وجعل خلالها) وسطها (انهارا) جارية (وجعل لها رواسى) جبالا تتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع (وجعل بين البحرين) العذب والمالح او خليجى فارس والروم (حاجزا) برزخا وقد مر بيانه فى الفرقان (ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون) الحق فيشركون به (أمن يجيب المضطر اذا دعاه) المضطر الذى احوجه شدة ما به الى اللجأ الى الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر (ويكشف السوء) ويدفع عن الانسان ما يسوءه (ويجعلكم خلفاء الارض) خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم (ءاله مع الله) الذى خصكم بهذه النعم العامة والخاصة (قليلا ما تذكرون) اى تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائى وحفص بالتاء وتخفيف الذال (أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر) بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالى اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء التى لا منار بها (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته) يعنى المطر ولو صح ان السبب الاكثرى فى تكون الرياح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها الهوآء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب (ءاله مع الله) يقدر على شئ من ذلك (تعالى الله عما يشركون) تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق (أمن يبدأ الخلق ثم يعيده) والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها (ومن يرزقكم من السماء والارض) اى باسباب سماوية وارضية (ءاله مع الله) يفعل ذلك (قل هاتوا برهانكم) على ان غيره يقدر على شئ من ذلك (ان كنتم صادقين) فى اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية (قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله) لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع

استفهام تقرير ﴿قوله لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى﴾ فانه لو اخرج الكلام على مقتضى الظاهر وقيل فأنبت به حدآئق لأفاد الكلام اختصاص الانبات به تعالى بحكم المقابلة بين الشركاء وخالق العالم فلما التفت ونسب الفعل الى ذاته تأكد ذلك الاختصاص حيث دل عليه بأمرين ﴿قوله من الاحداق وهو الاحاطة﴾ فان الحديقة كل روضة وبستان عليه حوآئط والشئ محدقة اى محيطة به والنشز المكان المرتفع ﴿قوله أغيره يقرن به﴾ يعنى انه استفهام انكار بمعنى هل معه معبود سواه اعانه على خلق اصول الكائنات وانزال ما ينبت به ارزاق المخلوقات وليس له شريك فى ذلك وانما جاز الابتدآء بالنكرة وهو اله لتخصيصه بالعموم المستفاد من همزة الانكار الداخلة على النكرة ﴿قوله يعدلون عن الحق﴾ على انه من العدول وقيل هو من العدل بمعنى التسوية والمعنى بل هم يعنى كفار مكة قوم يعدلون بالله غيره وهو الاصنام ﴿قوله بدل من أمن خلق﴾ فتكون ام فيه منقطعة ويكون معنى الهمزة التقرير كما فى المبدل منه ﴿قوله خلالها﴾ يجوز ان يكون ظرفا لجعل بمعنى خلق المتعدية الى مفعول واحد وان يكون فى محل المفعول الثانى لجعل على ان يكون بمعنى صير ﴿قوله جبالا تتكون فيها المعادن﴾ بيان لوجه كون خلق الجبال فى الارض من جملة وجوه الانعام وذلك لان اكثر العيون والانهار والمعدنيات انما تتكون فى الجبال وفيما يقرب منها والرواسى من الجبال الثوابت الرواسخ من رسا الشئ يرسو اى ثبت ولم يذكر من منافع الجبال كونها حافظة للارض عن الميلان كما قال الله تعالى وجعلنا فى الارض رواسى ان تميد بهم لان تلك المنفعة فهمت من قوله تعالى جعل الارض قرارا فانها لا تكون مستقر الخلق الا بكونها ساكنة آمنة من الاضطراب ﴿قوله او خليجى فارس والروم﴾ الخليج من البحر ما تشعب منه قال بعضهم المراد بالبحرين بحر فارس وبحر الروم جعل الله تعالى بينهما جزيرة العرب حاجزا وسميت جزيرة لانحسار عنها الماء الى ذهب وقال بعضهم المراد بهما بحر الشام وبحر العراق ﴿قوله واللام فيه للجنس﴾ جواب عما يقال انه تعالى ذكر فى جملة ما تفضل به على عباده انه يجيب المضطر اذا دعاه والمضطر اسم جنس محلى بلام الاستغراق فيفهم منه انه يجيب كل مضطر دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام وبدونه والحذف وقرئ تتذكرون بتاءين وقليلا صفة مصدر محذوف كما ذكر ﴿قوله ولو صح ان السبب الاكثرى الخ﴾ جواب عما يقال لا نسلم انه تعالى هو الذى يحرك الرياح ويرسلها فان الفلاسفة قالت الرياح انما تتولد من الادخنة المتصاعدة بتصعيد الحرارة اياها سوآء كانت الحرارة حرارة الشمس او حرارة النار فانها اذا صعدت ادخنة كثيرة الى فوق فاذا وصلت الى الطبقة الباردة وانكسرت ببرد ذلك الهوآء لا محالة تثقل وتنزل فيحصل من نزولها تموج الهوآء فحدثت الريح وقوله ولو صح اشارة الى منع ما ذكروه وذلك ان الريح عند حركتها يمنة ويسرة ربما تقوى على قلع الاشجار وهدم الجدر فلو كانت الريح عبارة عن الهوآء المتموج بسبب حركة تلك الاجزآء الدخانية الى اسفل حركة طبيعية لوجب ان تهدم سقوف البيوت عند وقوع تلك الاجزآء عليها لان الحركة الهابطة طبيعية فتكون اقوى من الحركة العرضية التى هى الحركة يمنة ويسرة ولا شك ان شيأ من السقوف لا يسقط بسقوط الاجزآء الدخانية عليه فظهر به فساد ما ذكروه ثم انه تعالى لما عدد نعم الدنيا اتبع ذلك ذكر نعم الآخرة فقال ام من يبدأ الخلق ثم يعيده فان نعم الآخرة لا تتم الا بالاعادة بعد الابتدآء والابلاغ الى حد التكليف وذلك لا يتم الا بالارزاق فلذلك قال بعده ومن يرزقكم من السماء والارض * ولما ورد ان يقال كيف يمكن الزام الكفرة بذكر نعمة الاعادة وما يترتب عليها وهم منكرون للاعادة * اجاب عنه بانهم وان انكروا الاعادة لكن لم يكن لهم عذر فى انكارها من حيث قيام الادلة القاطعة الدالة على امكانها وكونها مقدورة لله تعالى واقتضت الحكمة وقوعها نزلوا منزلة من اقر بها فتوجه اليهم الالزام والتجهيل بذلك ثم بين ان امر الدين لا يبنى الا على الحجة والبرهان ولا يصح بمجرد التقليد فقال قل هاتوا برهانكم وقررها هنا ذكر الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى وفضله وبين بعده انه المختص بعلم الغيب ليثبت بمجموع الامرين تفرده تعالى بالالوهية واستحقاق العبادة فان الاله الحق هو الذى يحيط علمه باعمال المكلفين من الطاعة والمعصية ويقدر على مجازاة كل احد جزآء وفاقا بحيث لا يزيد عقاب العاصى على قدر معصيته ولا يضيع شيأ من طاعة المطيع ﴿قوله والاستثناء منقطع﴾ لعدم دخوله تعالى فى قوله من فى السموات والارض والمستثنى المنقطع منصوب ابدا عند الحجازيين فانهم يقولون ما جاءنى احد الا حمارا ورفع المستثنى المنقطع فى الآية مبنى على لغة

بنى تميم فانهم يقولون مافى الدار احد الاحمار ويجعلون المستثنى المنقطع فى حكم المفرغ ويقولون قولك مافى الدار احد الاحمار اصله مافيها الاحمار على ان يكون المستثنى منه المقدر اسم العام بمعنى مافى الدار شئ الاحمار الاان المتكلم لما ظن ان المخاطب يستبعد خلو الدار من الآدمى ذكر الاحد من جملة افراد المستثنى منه المقدر تأكيدا لنفى كون الآدمى فيها وابقى اعراب المستثنى مرفوعا على ما كان عليه فى الاصل تنبيها على الاصل وقد كان المستثنى فى الاصل مرفوعا على الفاعلية فلما ذكر الاحد كان بدلا منه فعلى هذا الوجه لايكون المستثنى المنقطع من قبيل المتصل حيث لم يعتبر دخول المستثنى فى المستثنى منه الذى جعل بدلا وهو الذى يفهم من قول صاحب الكشاف يقولون مافى الدار احد الاحمار كأن احدا لم يذكر الاان قوله بعد ذلك اخرج المستثنى مخرج قوله الاالبعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن فى السموات والارض فهم يعلمون الغيب يدل على انه جعل المنقطع كالمتصل وقدر دخوله فى المستثنى منه ليشتمل الكلام على التعليق بالمحال ليفيد الكلام المبالغة فى نفى علم الغيب عن اهل السموات والارض وهذه المبالغة لاتحصل على تقدير النصب لانه حينئذ يكون المعنى لايعلم من فى السموات والارض الغيب لكن الله يعلمه فيكون نصبه على انه اسم لكن وتفوت هذه المبالغة المبنية على تعليق علمهم الغيب بالمحال ﴿ قوله او متصل ﴾ فلا يحتاج فى رفع المستثنى الى العدول من مذهب الحجازيين الى مذهب بنى تميم لان المستثنى المتصل يجوز فيه النصب ويختار البدل فى كلام غير موجب اذا كان المستثنى منه مذكورا باتفاق الجمهور والآية الكريمة من هذا القبيل ووجه المراد به تعالى فى من فى السموات والارض قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقول المتكلمين الله فى كل مكان على معنى أن علمه فى الاماكن كلها فكأن ذاته فيها ورد صاحب الكشاف هذا الوجه بانه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فى كلمة واحدة وبانه ان الظرفية المستفادة من قوله من فى السموات حقيقة بالنسبة الى غير الله تعالى ومجاز بالنسبة اليه تعالى ولايجوز الجمع بينهما فى كلمة واحدة عند اكثر العلماء وان قال به الامام الشافعى رحمه الله كما فى قولهم القلم احد اللسانين والخال احد الابوين ومنه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى وجوزه المصنف اما بناء على مذهبه واما بناء على ماذكره الامام وهو قوله لايقال كونه تعالى فى السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة الحقيقة والمجاز غير جائز لانا نقول كونهم فى السموات والارض كما انه حاصل حقيقة وهو حصول ذواتهم فى تلك الامكنة كذلك حاصل مجاز ايضا وهو كونهم عالمين بتلك الامكنة فاذا حملناه هذه الكونية على المعنى المجازى وهو الكون فيها بمعنى العلم دخل الرب سبحانه وتعالى فيه فصح الاستثناء ﴿ قوله والضميران ﴾ يعنى ان قوله ومايشعرون صفة لاهل السماء والارض نفى اولا ان يكون لهم علم الغيب ثم نفى عنهم الشعور بوقت البعث من بين جملة الغيب للدلالة على تفرده بعلمه وقيل ضمير يشعرون للكفرة الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم ايان مرساها انكارا لاصل البعث فوبخهم الله تعالى بقوله ومايشعرون ايان يبعثون مع استواء الخلائق بأجمعهم فى الجهل بوقت البعث والمقصود توبيخهم على انكار اصل البعث وقد اشار اليه المصنف بقوله وأكد ذلك بنفى شعورهم بماهو مآلهم لامحالة وهو اصل البعث الا انهم لما انكروه بقولهم اى وقت وقت ارسائها واقامتها وبخهم على انكار وقت البعث بذلك اشعارا بطريق انكارهم له واشارة الى ان الجهل بقرب وقته مما لاينبغى فضلا عن الجهل باصله ﴿ قوله لما نفى عنهم ﴾ اى عن اهل السماء والارض وقوله بل أدرك قرآءة ابى بكر ادرك بتشديد الدال واصله افتعل قلبت التاء دالا وادغمت وفى التيسير قرآءة ابن كثير وابى عمرو بل أدرك بقطع الالف واسكان الدال من غير ألف بعدها والباقون بوصل الالف وتشديد الدال بعدها الف وهذا صريح فى ان عاصما وافق من قرأ ادارك من غير خلاف عنه فيكون من قرأ به خمسة نفر والله اعلم والمصنف اختار قرآءة ابن كثير وابى عمرو فانهما قرآ ابل أدرك بهمزة القطع كأكرم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وعاصم ادارك بهمزة الوصل وتشديد الدال المفتوحة بعدها الف اصله تدارك ابدلت التاء دالا وادغمت الدال فى الدال واجتلبت همزة الوصل للابتداء فصار ادارك كاثاقل وجعل ادرك بمعنى بلغ وانتهى من قولهم ادركت الفاكهة اذا بلغت وتكاملت نضجا وقدر مضافا بعد قوله أدرك حيث قال وبين ان ماانتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج وبين وجه الاضراب فى قوله بل أدرك علمهم مع كون ارتباطه بما قبله خفيا من حيث ان مدلول الآية المتقدمة انه تعالى وحده هو الذى يعلم الغيب ويعلم متى الساعة ولاتظهر المناسبة بينه وبين الآية الدالة على ان اسباب علمهم بان الآخرة والقيامة كائنة قد تكاملت واستحكمت

ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض ففيهما من يعلم الغيب مبالغة فى نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن فى السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولى العلم من خلقه وهو موصول او موصوف (ومايشعرون ايان يبعثون) متى ينشرون مركبة من اى وآن وقرئت بكسر الهمزة والضميران وقيل للكفرة (بل أدرك علمهم فى الآخرة) لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفى شعورهم بما هو مآلهم لامحالة بالغ فيه بأن اضرب عنه وبين ان ماانتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو أن القيامة كائنة لامحالة لايعلمونه كما ينبغى (بل هم فى شك منها) كمن تحير فى امر لايجد عليه دليلا (بل هم منها عمون) لايدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن فى السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل

والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل الاوّل اضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم في امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التي عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وعاصم بل ادّارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وابو بكر ادّرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ أأدرك بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادرك وبل اتدارك وبلى ادرك وبلى أأدرك وام ادرك وام تدارك ومافيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسيره بالادراك على التهكم ومابعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون اورده وانكار لشعورهم (وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون) كالبيان لعمههم والعامل في اذا مادل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وان واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحياة (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل) من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث نظرا الى الاهتمام (ان هذا الا اساطير الاوّلين) التي هي كالاسمار (قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل مانزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين في ترك الجرائم (ولاتحزن عليهم) على تكذيبهم واعراضهم (ولاتكن في ضيق) في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اي امر ضيق (مما يمكرون) من مكرهم فان الله يعصمك من الناس (ويقولون متى هذا الوعد) العذاب الموعود (ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم) تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتأكيد او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (بعض الذي تستعجلون) حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمزة منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعدالله تعالى ووعيده (وان ربك لذو فضل على الناس) بتأخير عقوبتهم على المعاصي والفضل والفاضلة الافضال وجمعها فضول وفواضل (ولكن اكثرهم لايشكرون) لايعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه (قوله) بل يستعجلون بجهلهم وقوعه (وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم) ماتخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت (ومايعلنون) من عداوتك فيجازيهم عليه

حتى توسط بينهما كلمة الاضراب ومحصول ماذكره من المناسبة ان خلاصة ماسبق بيان عجزهم عن علم مالادليل عليه اصلا وهو مطلق الغيب وخصوص وقت قيام الساعة وخلاصة قوله بل أدرك علمهم في الآخرة بيان عجزهم عن علم ماتعاضدت الادلة على وقوعه لامحالة حيث لايعلمونه كما ينبغي فظهر وجه المناسبة بينهما وصحة الاضراب الثاني عن الاوّل ثم قال والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم اي من حالة سيئة دنيئة الى ماهو اسوأ وادنى منها فانه تعالى وصفهم اوّلا بانهم لايشعرون وقت البعث اي لايعلمون متى يوم القيامة ثم بين ان حالهم ادون واسوأ من هذا بان قال بل ادرك علمهم في الآخرة اي تكاملت اسباب علمهم بان القيامة ستقوم وستقع وهم مع ذلك لايعلمونه كما ينبغي وهذه المرتبة اسوأ وانزل من الحالة الاولى لان اصل البعث ليس بغيب من حيث انه تعاضدت الادلة على حقيته ووقوعه فكأنه قيل لايعلمون الغيب بل ولا ماليس بغيب ولاشك ان الجهل بذلك اسوأ حالا من الجهل بما هو غيب ثم بين ان حالهم اسوأ حالا من هذه المرتبة اي من الجهل بان القيامة ستكون بقوله بل هم في شك منها اي هم مستغرقون في جهلهم لايطلبون التفصي منه بالتفكر في الدلائل المنجية من ظلمات الشكوك والاوهام فحالهم اسوأ حالا من حال الجاهل المتردد الذي يطلب الحق والتوصل الى الصواب ثم بين انهم اسوأ من هذا ايضا بقوله بل هم منها عمون بمعنى انه ليس لهم بصيرة يدركون بها دلائل وقوعها من حيث ان اشتغالهم باللذات النفسانية من هم البطن والفرج صيرهم كالبهائم والانعام وابطل استعدادهم للنظر والتفكر وهذه الحالة اسوأ من الحالة الاولى ولما ورد ان يقال مضمون الاضرابات الثلاث على ماذكرتم مختص بالمشركين المنكرين للبعث فكيف ترجع الضمائر المذكورة في قوله علمهم وبل هم منها في شك وبل هم منها عمون الى قوله من في السموات والارض اجاب عنه بقوله وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض الخ ﴿ قوله وقيل الاوّل اضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة ﴾ عطف على قوله بان اضرب عنه اي عن نفي علم الغيب عنهم اي وقيل في بيان المناسبة بين الآيتين ووجه الاضراب الاوّل ان المراد على هذا الوجه التهكم وقوله بل ادارك علمهم هو علمهم بانهم ايان يبعثون وان القيامة متى يقع واما على الوجه الاوّل فمعنى الآية نفي انهم لايعلمون ان البعث كائن مع كثرة الدلائل عليه ﴿ قوله وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل ﴾ عطف من حيث المعنى على قوله بين ان ما انتهى وتكامل الخ فانه يتضمن تفسير الادراك بالتكامل والاستحكام وعلى هذا التفسير لاحاجة الى تقدير المضاف ثم فسر قرآءة ادارك بوجهين ايضا احدهما تدارك وتتابع حتى استحكم والثانيهما تتابع في الهلاك حتى انقطع ﴿ قوله وابو بكر ادرك ﴾ عطف على قوله نافع فهذه القرآءة ايضا من السبعة على رواية ابي بكر عن عاصم ثم ذكر ثماني قرآءت من الشواذ ثنتان بأم وثنتان اخريان بلى والباقية بل وصحح الزمخشري قرآءة بل ادرك بقوله بالتخفيف والنقل اي تخفيف الهمزة ونقل حركتها الى اللام واصله ماقرأ به ابن كثير وابو عمرو ثم ذكر قرآءة اخرى بقوله بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل أدرك على سبيل الاستفهام انتهى كلامه فيكون اصله ادّرك على وزن افتعل دخل عليه همزة الاستفهام فسقطت همزة الوصل فصار أدّرك بهمزة مفتوحة بعدها دال مشددة ثم نقلت حركة الهمزة الى اللام فصار بل ادّرك ولم يذكر المصنف هذه القرآءة بل ذكر احدى عشرة قرآءة ثم شرع في بيان معانيها فقال ومافيه استفهام صريح او مضمن كما في قرآءة ام ادرك وام تدارك فان ام فيهما بمعنى بل والهمزة فانكار لادراك علمهم اي لانتهائه وتكامله ﴿ قوله ومافيه بلى فاثبات لشعورهم ﴾ فانه لما قيل بلى أدرك بعد قوله ومايشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بادراك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم وقت الآخرة انهم لايعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ مايكون فقوله وتفسيره الخ هو على قرآءة بلى أدرك بغير همزة الاستفهام واما على قرآءة بلى آأدرك على الاستفهام فالمعنى حينئذ بلى يشعرون متى يبعثون بناء على ان بلى لاثبات شعورهم ويكون الاستفهام الذي بعدها لانكار علمهم بوجود الآخرة وثبوتها والمعنى ماادرك علمهم بنفس وقوع الآخرة فضلا عن علمهم بوقت وقوعها على ان يكون المقصود من انكار علمهم بنفس وقوع الآخرة نفي علمهم بوقت وقوعها بالطريق البرهاني ﴿ قوله اورده وانكار لشعورهم ﴾ عطف على اضراب عن التفسير يعني ان قوله تعالى بل هم في شك منها متعلق بالتفسير او بالمفسر المستفاد من بلى وقوله عمون جمع عم وهو اعمى القلب يقال عمي عليه الامر اذا التبس ورجل عم القلب اي جاهل

(ومامن غائبة في السماء و الارض) خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء في عافية و باقية (الا في كتاب مبين) بين او مبين مافيه لمن يطالعه و المراد اللوح او القضاء على الاستعارة (ان هذا القرآن يقص على بني اسرآئيل اكثر الذي هم فيه يختلفون) كالتشبيه و التنزيه واحوال الجنة و النار وعزير و المسيح (وانه لهدى ورحمة للمؤمنين) فانهم المنتفعون به (ان ربك يقضي بينهم) بين بني اسرآئيل (بحكمه) بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه (وهو العزيز) فلا يرد قضاؤه (العليم) بحقيقة ما يقضيه فيه و حكمته (فتوكل على الله) ولا تبال بمعاداتهم (انك على الحق المبين) وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله و نصره (انك لاتسمع الموتى) تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن متابعتهم و معاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع مايتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله (ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين) فان اسماعهم في هذه الحال ابعد وقرأ ابن كثير ولايسمع الصم (وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم) حيث الهداية لاتحصل الا بالبصر وقرأ حمزة تهدي العمي (ان تسمع) اي ماتجدي اسماعك (الامن يؤمن بآياتنا) من هو في علم الله كذلك (فهم مسلمون) مخلصون من اسلم وجهه لله (واذا وقع القول عليهم) اذا دنا وقوع معناه وهو ماوعدوا به من البعث و العذاب (اخرجنا لهم دابة من الارض) وهي الجساسة روي ان طولها ستون ذراعا ولها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان لايفوتها هارب ولايدركها طالب وروي انه عليه الصلاة و السلام سئل من اين مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام (تكلمهم) من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروي انها تخرج ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة و السلام فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه (ان الناس كانوا بآياتنا) خروجها وسائر احوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن (لايوقنون) لايتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله

﴿ قوله وهما من الصفات الغالبة ﴾ جعلهما من قبيل الراوية دليل على ان ليس مراده من الصفات الغالبة الصفات التي غلبت عليها الاسمية لان الراوية ليست من تلك المقولة لكونها من ألفاظ المبالغة بمعنى كثير الرواية فينبغي ان يكون مراده الصفات الغالبة على آحاد جنسها من حيث القوة و الكمال فتكون الغائبة و الخافية بمعنى شديد الغيبوبة و الخفية وتكون التاء فيهما للدلالة على هذا المعنى كما في الراوية ويحتمل ان لايكونا صفتين بل يكونا اسمين لما يغيب ويخفى فتكون التاء فيهما كالتي في العافية و العاقبة من حيث كونهما اسمين بنيا على التاء ثم انه تعالى لماقص احوال الانبياء مع اممهم وانه دمر من خالفهم و عصاهم و انجى من آمن بهم و اطاعهم وقال لكفار مكة على سبيل الالزام و التبكيت آلله خير اما يشركون وبين انه خير بتفصيل مادل على قدرته الكاملة و آلائه المتكاثرة في تفرده بعلم الغيب و الشهادة و هدد منكري البعث بحملهم على النظر في احوال المكذبين و مانزل بهم بشؤم تكذيبهم قال بعده ان هذا القرآن يقص على بني اسرآئيل اكثر الذي هم فيه يختلفون تحريكا للمشركين على اتباع القرآن فانه لما اشتمل على بيان الحكم و الحق في اكثر مااختلف فيه اهل الكتاب الذين هم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجدوا مطعنا في شيء مماقصه وبينه وكان المشركون يرجعون اليهم في كثير من امورهم وعلموا عجزهم عن الطعن فيه ظهر لهم ان مافيه من الشرائع واصول القواعد الدينية كالتوحيد و الحشر و النبوة وشرح صفات الله تعالى و بيان نعوت جلاله مطابق لما تقتضيه العقول السليمة و موافق لما في الكتب المتقدمة وذلك يحرك لهم داعية القبول و الاتباع * فان قيل ان بني اسرآئيل يعلمون بأنفسهم مااختلفوا فيه ولايحتاجون في بيانه الى القرآن * فالجواب والله اعلم ان المعنى ان هذا القرآن يبين لهم الحكم او يبين لهم الحق في اكثر ماكانوا يختلفون فيه * وقيل ذكر في مواضع من القرآن ان فيه بيان كل حكم حيث قال ولارطب ولايابس الا في كتاب مبين وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى فما وجه قوله يبين لهم الحكم في اكثر ماكانوا يختلفون فيه واجيب بان المراد انه يبين لهم اكثر مااختلفوا فيه على طريق التنصيص و التصريح ويبين الباقي بطريق الدلالة و الاشارة فان البيان ضربان صريح ودلالة ﴿ قوله بما يحكم به وهو الحق ﴾ جواب عما يقال القضاء و الحكم شيء واحد فقوله يقضي بحكمه بمنزلة ان يقال يقضي بقضائه او يحكم بحكمه فما معناه وفائدته * وتقرير الجواب ان الحكم بمعنى الحق المحكوم به او بمعنى الحكمة ويدل عليه قرآءة من قرأ بحكمه جمع حكمة ﴿ قوله فان اسماعهم في هذه الحال ابعد ﴾ بيان لفائدة التقييد بقوله اذا ولوا مدبرين فان الاصم اذا تولى مدبرا ثم ناديته كان ابعد من الاسماع حيث انضم الى صممه بعد المسافة ﴿ قوله وقرأ ابن كثير ولايسمع ﴾ اي بفتح الياء التحتية ورفع الصم على الفاعلية و الباقون بالتاء المضمومة وكسر الميم و الفاعل الضمير المستكن وفيه نصب الصم و الدعاء على انهما مفعولاه ﴿ قوله تعالى بهادي العمي من ضلالتهم ﴾ اي يبعدهم عنها بالهدى كما يقال سقاه عن العيمة اي ابعده عنها بالسقي و العيمة شهوة اللبن ثم انه تعالى تكلم فيما يتعلق بقيام الساعة فذكر اولا من العلامات الواقعة عند قيامها دابة الارض فقال واذا وقع القول عليهم و اراد بالقول متعلقه ومدلوله و بوقوعه قربه من الوقوع بحيث يكون في حكم الواقع و الجساسة بالجيم المعجمة من بحسس الحال و بحتر خبرها و بحصص منها قيل سميت الدابة جساسة لانها تجس الكافر اي تطلبه و الزغب الشعرات الصفر على ريش الفرخ قيل في وصفها ان لها رأس ثور وعين خنزير و اذن فيل وقرن ايل وهو التيس الجبلي وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وروي ان رأسها يبلغ السحاب ومابين قرنيها فرسخ للراكب وروي انها تخرج ثلاثة ايام و الناس ينظرون فلاتخرج الاثلثها وقيل لايتم خروجها الابعد ثلاثة ايام وروي ان لها ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن زمانا ثم تخرج قريبا من مكة ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد على الله حرمة يعني مكة لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد مابين ركن الحجر الاسود وباب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط ذلك وقيل تخرج من الصفا ولايخرج الا رأسها و عنقها فيبلغ رأسها السحاب فيراه اهل المشرق و المغرب ثم تعود الى مكانها ثم تزلزل الارض في ذلك اليوم ست ساعات فيبيتون خائفين واذا اصبحوا جاءهم الصريخ بان الدجال قد خرج ﴿ قوله اذ قرئ تكلمهم ﴾ بفتح التاء و سكون الكاف وضم اللام من الكلم وهو الجرح و المراد به الوسم بالعصا و الخاتم و الجمهور على التشديد وهو من الكلام ويجوز ان يكون من الكلم ايضا ويكون بناء التفعيل لكثرة الفعل كما في غلقت الابواب ﴿ قوله وهو حكاية معنى قولها ﴾ واعلم انه قرأ الكوفيون أن الناس بفتح الهمزة و الباقون بكسرها ووجه القرآءة بالكسر كون الكلام حكاية لقول الدابة

او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار وقرأ الكوفيون أن الناس بالفتح وغير الكوفيين ان الناس بالكسر (ويوم نحشر من كل امة فوجا) يعني يوم القيامة (ممن يكذب بآياتنا) بيان للفوج اى فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين (فهم يوزعون) يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم (حتى اذا جاؤا) الى المحشر (قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال اى أكذبتم بها بادى الرأى غير ناظرين فيها نظرا يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اى أجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها (أماذا كنتم تعملون) ام اى شئ كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك (ووقع القول عليهم) حل بهم العذاب الموعود وهو كبهم فى النار بعد ذلك (بما ظلموا) بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله (فهم لا ينطقون) باعتذار لشغلهم بالعذاب (ألم يروا) ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهر وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور فى مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحياة فى مواد الابدان وأن من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم فى معاشهم ومعادهم (انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) بالنوم والقرار (والنهار مبصرا) فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الابصار حالا من احواله المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها (ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) لدلالتها على الامور الثلاثة (ويوم ينفخ فى الصور) فى الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ فى البوق (ففزع من فى السموات ومن فى الارض) من الهول وعبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه (الا من شاء الله) ان لا يفزع بان ثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك

اما لان الكلام بمعنى القول كأنه قيل تقول لهم ان الناس او باضمار القول اى تكلمهم وتقول لهم ان الناس او حكاية على تقدير ان يكون تكلمهم من الكلم بمعنى الجرح اى يقع عند ذلك حكاية منها لقول الله تعالى عند خروجها من الارض كأنه قيل وتحدثهم قول الله تعالى ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون * ولما ورد ان يقال لو كان الكلام حكاية من الله تعالى لقول الدابة لقيل ان الناس بخروجى وسائر احوالى لا يوقنون * دفعه بقوله وهو حكاية بمعنى قولها لان قوله بآياتنا يمنع كونه نفس قولها فينبغى ان يكون قولها هكذا ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجى وسائر احوالى لان تلك الاحوال لما كانت من آيات الله تعالى كان كلامها بمعناه ﴿قوله او علة خروجها او تكلمها على حذف الجار﴾ اى لان الناس وهو توجيه لقرآءة الكوفيين بفتح الهمزة ﴿قوله ويوم نحشر﴾ منصوب باذكر مقدرا اى واذكر يوم نجمع من كل امة من امم الانبياء زمرة المكذبين بآياتنا المنزلة على انبيائنا وبالآيات الدالة على وحدانيتنا فى الانفس والآفاق فيحبس اولهم على آخرهم ليجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب حتى اذا جاؤا الى ذلك الموضع قال الله تعالى موبخا لهم ومنكرا عليهم أكذبتم بآياتى وهو استفهام توبيخ وانكار ﴿قوله ام اى شئ كنتم تعملون﴾ يريد ان ماذا بمنزلة اسم واحد وهو اى شئ منصوب المحل بتعملون الواقع خبرا عن كنتم ويحتمل ان تكون ما استفهامية مرفوعة المحل على الابتدآء وذا بمعنى الذى وكنتم تعملون صلة والموصول مع صلته خبر المبتدأ والعائد محذوف والتقدير اى شئ الذى كنتم تعملونه وام منقطعة والاستفهام الذى فى ضمنه للتبكيت والزام الخصم بحمله على ان يقر بالذى سئل عنه اولا على طريق التوبيخ والانكار وبخهم اولا بقوله أكذبتم بآياتى بادى الرأى ثم اضرب عنه الى استفهام تقرير وتبكيت كأنه قيل دعوا ما تشبثه البكم من التكذيب وقولوا الى اى شئ كنتم تعملونه غير التكذيب ﴿قوله ووقع القول﴾ عطف على قوله قال أكذبتم بآياتى والقول بمعنى العذاب المقول الموعود للكذبين وقوله بعد ذلك ظرف لقوله حل اى حل بهم العذاب الموعود بعد ان خوطبوا خطاب التوبيخ والتبكيت وكبوا على وجوههم فى النار ثم قال فهم لا ينطقون كما قال فى آية اخرى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فكيف يقدر على النطق والاعتذار من استغرق فى مقاساة عذاب الجحيم وقال قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم وقيل لا ينطقون لان افواههم مختومة وقيل لا ينطقون بما يكون لهم حجة او عذرا فى الشرك والتكذيب ولا حجة لهم ولا عذر ثم انه تعالى لما خوفهم باهوال القيامة ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة فى الارشاد الى الايمان والمنع عن الكفر فقال ألم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا مضيئا يبصر فيه اما وجه دلالته على التوحيد فما ذكره بقوله لان تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص الخ واما وجه دلالته على الحشر فما ذكره بقوله وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور الخ واما وجه دلالته على بعثة الرسل فما ذكره بقوله وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم وهو بعثة الرسل ﴿قوله فان اصله ليبصروا فيه﴾ تعليل لكون التقابل مراعى من حيث المعنى فى قوله ليسكنوا ومبصرا وان كان الاول علة لجعل الليل اى خلقه والثانى حالا من النهار من حيث الاعراب ووجه التعليل ان المعنى خلقنا الليل ليكون زمانا لسكون اهله وخلقنا النهار ليكون زمانا لابصارهم الا انه اسند الابصار الى النهار وجعل حالا من احواله اللازمة للمبالغة مثل صائم نهاره ضرورة ان الابصار لا يقوم بنفس النهار وانما يقوم باهله فلما قيل والنهار مبصرا تعين ان المراد ابصار اهله فيه وانما اسند الى نفس النهار للمبالغة فى كونه ظرفا لابصار اهله ويوم ينفخ منصوب باذكر مقدرا وقيل ناصبه متأخر عنه وهو قوله من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار ﴿قوله فى الصور او القرن﴾ يعنى يحتمل ان يكون الصور جمع صورة كالصور يقال صورة وصور وصور كما يقال سورة وسور وسور لحيطان يكون النفخ فى الصور عبارة من نفخ الارواح فى صور الخلائق واجسادهم ويحتمل ان يكون الصور عبارة من شئ يشبه القرن وان اسرافيل ينفخ فيه باذن الله فاذا سمع الناس ذلك الصوت وهو فى الشدة بحيث لا تحتمله طباعهم يفزعون عنده ويصعقون ويموتون والى هذا القول ذهب اكثر المفسرين ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام * كيف وصاحب الصور قد التقم القرن وحنا جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ * روى عنه عليه الصلاة والسلام انه سئل عن الصور فقال * هو القرن وأن عظم دارته اى فمه * مثل ما بين السماء والارض فينفخ فيه نفخة فيفزع الخلق فينفخ نفخة اخرى فيموت اهل السموات والارض فاذا كان وقت النفخة الثانية جمعت الارواح

كلها فى الصور ثم ينفخ الاخرى فتخرج الارواح منه كالنحل و از نابيرو يأتى كل روح الى جسده و يمسك به من قال النفخ ثلاث احداها للفزع وهو قوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض و نفخة اخرى للموت وهو قوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض و نفخة ثالثة للبعث وهو قوله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون وقال بعضهم انما هى نفختان فالفزع و الصعق كنايتان عن الهلاك و النفخة الثانية للبعث قال ابن عباس ومقاتل فى قوله تعالى ففزع من فى السموات ومن فى الارض اى ماتوا بشدة الخوف وفى قوله فصعق من فى السموات الآية اى يبلغ منهم الفزع الى ان يموتوا ويحتمل ان لايكون هناك قرن فضلا من ان ينفخ فيه حقيقة ويكون ذكر النفخ فيه مستعارا لمسارعة الموتى الى الانبعاث من قبورهم عند سماع صوت الداعى تشبيها لانبعاثهم بمجرد سماع صوت الداعى بانبعاث الجيش عند سماع الآلة من غير توقف ولا تخلف احد منهم ﴿ قوله حاضرون الموقف ﴾ اختار قرأة آتوه على لفظ اسم الفاعل المضاف الى مفعوله فان حمزة و حفصا قرأ اتوه فعلا ماضيا و الهاء فى محل النصب على المفعولية والباقون آتوه باسم فاعل مضاف الى الهاء ﴿ قوله ثابتة فى مكانها ﴾ يقال جمد فى مكانه اذا لم يبرح و قوله تحسبها جامدة جملة حالية من فاعل ترى او مفعوله لان الرؤية بصرية وقوله وهى تمر جملة حالية من مفعول تحسبها جامدة و المعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة الاولى ظننتها ثابتة فى مكانها جدا لعظمتها لان النظر لايحيط بها وهى فى الحقيقة تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربتها الريح فان الاجسام الكبار اذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد فى السمت و الكيفية يظن من نظر اليها انها واقفة الاترى السماء لاتحس حركتها قال تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا اى يقلعها عن اماكنها ويسيرها كما يسير السحاب بالريح حتى تقع على الارض فتستوى بها ﴿ قوله مصدر مؤكد لنفسه ﴾ يعنى ان قوله صنع الله مفعول مطلق وجب حذف عامله لكونه تأكيدا لمضمون الجملة المتقدمة التى لايحتمل لها غيره فان قوله وهى تمر مر السحاب بل جميع ماتقدم من نفخ الصور المؤدى الى الفزع العام وحضور الكل الموقف ومافعل بالجبال انما هو من صنع الله تعالى لايحتمل له غيره فلما كان هذا المصدر تأكيدا لمضمون تلك الجملة ولم يكن لها محتمل غيره صار كأنه مؤكد لنفسه ووجب حذف ناصبه لكون الجملة المتقدمة كالنائب عنه و الاصل صنع ذلك صنعا فلما حذف العامل اضيف المصدر الى فاعله لانه لم يذكر فى الجملة المتقدمة وهذا التقدير يقتضى ان يقال وهو مضمون الجملة المتقدمة بدون اللام الجارة و المعنى وذلك المؤكد بهذا المصدر هو مضمون الجملة كما وجد فى بعض النسخ الان الموجود فى اكثر النسخ وهو لمضمون الجملة باللام فالمعنى على هذا انه مصدر مؤكد لنفسه الذى هو الحدث المدلول عليه بلفظ عامله المحذوف وهذا المؤكد مع مؤكده المحذوف مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة ﴿ قوله وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتها ﴾ فيكون خير صفة بمعنى شئ فاضل مرغوب فيه وتكون من متعلقة بمقدر وهى مع متعلقها المقدر فى محل الرفع صفة لخير وعلى الاول يكون خير اسم تفضيل بمعنى الافضل و من متعلقة به ولم يرض المصنف بهذا التوجيه لان المتبادر من لفظ الخير كونه للتفضيل وكون كلمة من الواقعة بعده صلة له لا لمقدر و من ذهب الى هذا التوجيه انما ذهب اليه دفعا لما يقال من ان الحسنة التى جاء بها العبد تتناول معرفة الله تعالى و الاخلاص فى الطاعات و الثواب الذى هو الجنة انما هو الاكل والشرب فكيف يجوز ان يقال الاكل والشرب خير من معرفة الله تعالى ولما جعل معنى الآية من جاء بالحسنات فى الدنيا فله فى الآخرة ثواب وخير ناله من اجل ماجاء به من تلك الحسنات لم يرد ذلك و المصنف اختار ان يحمل الآية على ماهو المتبادر منها وجعل ثواب الآخرة خيرا من الحسنات التى جاء بها العبد فى الدنيا لان اجل حسناته هى معرفة الله تعالى واخلاص العمل له لان المعرفة الضرورية الحاصلة فى الآخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم اجل و اشرف من المعرفة النظرية الحاصلة فى الدنيا وان ماجاء به من الاعمال الخالصة فانية مشوبة بأنواع التقصير واقعة بانواع المشقة ومخالفة الهوى و اعمال اهل الجنة سالمة من اللغو و التأثيم صافية عن كدر المشقة والتكليف وشأنهم حال استغراقهم فيما يشتهون من اللذآئذ مشاهدة جمال من انعم بها وتمجيد عظيم شأنه وعلو كبريائه و الانس بتقديسه وتمجيده طبعا و التذاذا لا افرضا وتكليفا وليس حالهم كحال المتنعمين فى الدنيا من الاشتغال بالنعمة عن المنعم فاى مناسبة بين احوالهم فى الجنة واحوالهم فى الدنيا ﴿ قوله يعنى به خوف عذاب يوم القيامة ﴾ اشارة الى دفع التدافع بين قوله ففزع من فى السموات ومن فى الارض وبين قوله وهم من فزع يومئذ آمنون فان من قرأ من فزع يومئذ بالاضافة يحمل

(وكل آتوه) حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص أتوه على الفعل وقرئ أتاه على توحيد لفظ الكل (داخرين) صاغرين وقرئ دخرين (وترى الجبال تحسبها جامدة) ثابتة فى مكانها (وهى تمر مر السحاب) فى السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت فى سمت واحد فلا تكاد تتبين حركتها (صنع الله) مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله وعدالله (الذى أتقن كل شئ) احكم خلقه وسوّاه على ماينبغى (انه خبير بما تفعلون) عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال (من جاء بالحسنة فله خير منها) اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقى بالفانى وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها اى خير حاصل من جهتها وهو الجنة قرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء و الباقون بالتاء (وهم من فزع يومئذ آمنون) يعنى به خوف عذاب يوم القيامة وبالاول مايلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك يعم الكافر والمؤمن

وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وآمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله أفأمنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها (ومن جاء بالسيئة) قيل بالشرك (فكبت وجوههم في النار) فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدى في قوله ولا تلقوا بأيديكم (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) على الالتفات او باضمار القول اى قيل لهم ذلك (انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها) امر الرسول بان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق في عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرئ التى حرمها (وله كل شئ) خلقا وملكا (وامرت ان اكون من المسلمين) المنقادين او الثابتين على ملة الاسلام (وان اتلو القرآن) وان اواظب على تلاوته لينكشف لى حقائقه فى تلاوته شيأ فشيأ او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل (فمن اهتدى) باتباعه اياى فى ذلك (فانما يهتدى لنفسه) فان منافعه عائدة اليه (ومن ضل) بمخالفتى (فقل انما انا من المنذرين) فلا علىّ من وبال ضلاله شئ اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت (وقل الحمد لله) على نعمة النبوة او على ما علمنى ووفقنى للعمل به (سيريكم آياته) القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض او فى الآخرة (فتعرفونها) فتعرفون انها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة (وما ربك بغافل عما تعملون) فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالياء * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله

﴿ سورة القصص مكية وقيل الا ﴾
﴿ قوله الذين آتيناهم الكتاب ﴾
﴿ الى قوله الجاهلين وهى ثمان ﴾
﴿ وثمانون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك) نقرأ بقراءة جبرائيل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا (من نبأ موسى وفرعون) بعض نبئهما مفعول نتلو (بالحق) محقين (لقوم يؤمنون) لانهم المنتفعون به (ان فرعون علا فى الارض) استئناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر (وجعل اهلها شيعا) فرقا يشيعونه فيما يريد او يشيع بعضهم بعضا فى طاعته او اصنافا فى استخدامه استعمل كل صنف فى عمل او احزابا بان اغرى بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه (يستضعف طائفة منهم) وهم بنو اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل او صفة شيعا او استئناف وقوله (يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم) بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لو صدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه (انه كان من المفسدين) فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض) ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ او حال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد لها لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان يجرى مجرى المقارن (ونجعلهم ائمة) مقدمين فى امر الدارين (ونجعلهم الوارثين) لما كان فى ملك فرعون وقومه

الفزع على الفزع المختص بذلك اليوم وهو فزع العذاب الاليم والعقاب الدائم واهل الجنة آمنون منه واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم على ما عليه الجبلة البشرية فانه يعم الكافر والمؤمن وتنوين يومئذ عوض من المضاف اليه فان اذ تضاف الى الجملة وقد حذفت ههنا وعوض عنها التنوين واشار المصنف بقوله يعنى به خوف عذاب يوم القيامة الى انه اختار قراءة من قرأ باضافة فزع الى يوم وان الجملة التى اضيف اليها اذ فى الاصل هى قامت القيامة والاصل يوم اذ قامت القيامة وهو احسن من ان يجعل التقدير يوم اذ جاء بالحسنة او يوم اذ ترى الجبال او يوم اذ ينفخ فى الصور ﴿ قوله وقرأ الكوفيون بالتنوين ﴾ للافراد والتعظيم وقرأ الآخرون بالاضافة وعلى قراءة التنوين يكون يومئذ منصوبا بالمصدر لكونه مؤولا بان مع الفعل تقديره وهم من ان يفزعوا يومئذ او بآمنون اى آمنون يومئذ وعلى الاضافة يكون يومئذ مبنيا على الفتح لكونه مضافا الى اذ وهو غير متمكن ﴿ قوله وآمن يعدى بالجار ﴾ كما فى هذه الآية فان من فيها صلة آمنون ﴿ قوله فكبوا فيها ﴾ لان ما يكب ويلقى فى النار ليس وجوههم وحدها الا انه اسند الكب اليها ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين ووجه الايذان انه لما اكتفى بذكر الوجوه ومن المعلوم انه لا يمكن القاء الوجوه فى النار مع كون ما وراءها خارجا منها علم ان الوجوه اصل فى ذلك وانها اول ما يلابس النار وان ما وراءها تابع لها ﴿ قوله وقرئ التى حرمها ﴾ صفة للبلدة وقرأ الجمهور الذى صفة للرب عز وجل والكلام مسوق لتعظيم الرب تعالى لا لتوصيف البلدة فلذلك كانت قراءة العامة واضحة والمعنى جعلها الله تعالى مأمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يعضد اشجارها واللاجئ اليها آمن والخلا بالقصر النبات ما دام رطبا فاذا يبس فهو حشيش ومعنى لا يعضد لا يقطع ﴿ قوله وان اواظب على تلاوة ﴾ على ان يكون اتلو من التلاوة وهى القراءة ثم جوز كونه من التلو وهو الاتباع لاوامره ونواهيه كما قال واتبع ما يوحى اليك ﴿ قوله وقرئ واتل عليهم ﴾ اى هذا القرآن امر له عليه الصلاة والسلام بتلاوته على اهل مكة وهو معطوف على الامر مقدر قبل قوله انما امرت فان تقديره قل للمشركين امرت ان اخص الله تعالى وحده بالعبادة وقد اشار اليه المصنف بقوله امر الرسول عليه الصلاة والسلام بان يقول لهم ذلك وان قرئ وان اتل يكون على حكاية لفظ الامر وان يجوز ان تكون مصدرية موصولة بالامر وان تكون مفسرة كما يقال امرته ان قم والحمد لله * تمت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما الى يوم الدين

﴿ صورة القصص مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله نقرأ بقراءة جبريل عليه الصلاة والسلام ﴾ فيكون اسناد التلاوة من قبيل اسناد الفعل الى السبب الآمر اسنادا مجازيا وعلى الثانى يكون المجاز فى المفرد ويكون نتلو استعارة تبعية حيث شبه التنزيل بالتلاوة من حيث ان كل واحد منهما من قبيل التبليغ فاستعير اسم التلاوة للتنزيل استعارة اصلية ثم اشتق منه نتلو ﴿ قوله محقين ﴾ اشارة الى ان قوله بالحق فى موضع الحال من فاعل نتلو كقوله تعالى تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وقوله لقوم متعلق بقوله نتلو اى نتلوه لاجلهم ﴿ قوله استئناف مبين لذلك البعض ﴾ اى الذى اجمل من قوله من نبأ موسى وفرعون كأن قائلا قال وكيف نبأهما فقيل ان فرعون علا فى الارض ﴿ قوله وذلك كان من غاية حمقه ﴾ قال الزجاج والعجب من حمق فرعون ان هذا الكاهن ان كان عنده صادقا فما ينفع القتل وان كان كاذبا فما معنى القتل ﴿ قوله او حال من يستضعف ﴾ اى يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم اى نتم عليهم بخلاصهم منه وقدر نحن لتكون جملة اسمية يعنى ليصح دخول الواو فان المضارع المثبت اذا وقع حالا لا يدخله الواو ولما جوز كونه حالا ورد ان يقال جعله حالا يستلزم اجتماع المتنافيين وهما استضعاف فرعون اياهم وارادة الله المنة عليهم لان الله تعالى اذا اراد شيأ كان ولم يتوقف الى وقت آخر فيلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له وهما اجتماع المتنافيين لان ارادته تعالى ازلية مستمرة فتكون مقارنة لاستضعافه اياهم ويكون المراد حادثا عند تعلق الارادة به ولا استحالة فى أن يريد الله تعالى حال استضعافه اياهم ان يمن عليهم بالخلاص فى وقت قدره وقضاه وانما الاستحالة فى ان تتعلق ارادته بخلاصهم حال الاستضعاف وذلك غير لازم من جعله حالا وهذا الجواب لا يتأتى على مذهب المعتزلة فانهم قالوا الارادة الله تعالى حادثة لا فى محل قائمة بذاتها (لابذاته)

(ونمكن لهم في الارض) ارض مصر والشام واصل التمكين ان تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم) من بني اسرآئيل (ما كانوا يحذرون) من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع (واوحينا الى ام موسى) بالهام او رؤيا (ان ارضعيه) ما امكنك اخفاؤه (فاذا خفت عليه) بان يحس به (فالقيه في اليم) في البحر يريد النيل (ولا تخافي) عليه ضيعة ولا شدة (ولا تحزني) لفراقه (انا رادوه اليك) عن قريب بحيث تأمنين عليه (وجاعلوه من المرسلين) روى انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرآئيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها من السعاية فارضعته ثلاثة اشهر ثم الح فرعون في طلب الوالد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته في النيل (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي حزنا (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) في كل شيء فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون او مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم او لبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ (وقالت امرأة فرعون) اي لفرعون حين اخرجته من التابوت (قرة عين لي ولك) هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من التابوت احباه او لانه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها (لا تقتلوه) خطاب بلفظ الجمع للتعظيم (عسى ان ينفعنا) فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرء البرصاء بريقه (او نتخذه ولدا) او نتبناه فانه اهل له

لا لذاته تعالى فيلزم من كون قوله ونريد ان نمن حالا من فاعل يستضعف ان تقارن الارادة الاستضعاف ومقارنتها له تستلزم مقارنة المراد له على مذهب المعتزلة وهي اجتماع المتنافيين والجواب عن مذهبهم ما اشار اليه بقوله مع ان منة الله بخلاصهم الخ وخلاصته ان الله تعالى لما اراد ان يمن على بني اسرائيل بعد هلاك فرعون وبخلاصهم منه وكانت تلك المنة قريبة الوقوع جعلت كأنها واقعة مقارنة لاستضعافهم ﴿قوله وقرئ ويرى بالياء﴾ اي قرأ حمزة والكسائي ويرى بفتح الياء والراء مضارع رأى مسندا الى فرعون وما عطف عليه فلذلك قرأ الاسماء الثلاثة بالرفع وقرأ الباقون بضم النون وكسر الراء وفتح الياء بعدها مضارع أرى فلذلك نصب فرعون وما عطف عليه مفعولا اولا وما كانوا هو ثاني المفعولين ومنهم متعلق بفعل الرؤية او الارادة لا بيحذرون لان ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله ﴿قوله واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا﴾ ذهب عامة المفسرين الى ان الوحي ههنا لم يكن بارسال رسول اليها من الملائكة واخبارها باسماعهم لانه لو كان وحي ارسال لكانت رسولا وذلك لا يجوز كما قيل

وما كانت رسولا قط انثى ۞ ولا عبد وشخص ذو افتعال

اي ولا رجل ذو كذب لانه يجب تصديق النبي عليه الصلاة والسلام والكاذب لا يجب تصديقه وكذا لا يجوز ان يكون العبد نبيا لان الرقبة اثر من الكفر والكفر لا يجوز على الانبياء وكذا لا يجوز ان تكون المرأة نبيا فان اهل السنة والجماعة اتفقوا على ان الذكورة شرط الرسالة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم وفيه بحث لانه وان جاز ان تلهم هي ارضاعه والقاءه في اليم كيف يجوز ان تلهم انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فانه لا سبيل الى معرفة ذلك وعلمه الا بطريق المشافهة والقول الصريح من احد ويجوز ان يوحى اليها بارسال رسول يخبرها بذلك مشافهة ولا يستلزم ذلك كونها رسولا كما في قصة مريم من ان جبريل عليه الصلاة والسلام ارسل اليها وقال لها انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا فقد اوحى اليها بارسال الملك اليها ولم تصر بذلك رسولا فلم لا يجوز ان يكون الوحي الى ام موسى كذلك وكانت ام موسى بنت لاوي بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام ﴿قوله ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة﴾ اشارة الى الفرق بين الخوف والحزن اذ الخوف غم يلحق الانسان لتوقع لم يقع بعد وهو بصدده والحزن كالحزن لغتان بمعنى كالعدم والعدم غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويسكن قلبها وهو قوله تعالى انا رادوه اليك لتكوني انت المرضعة وجاعلوه من المرسلين الى اهل مصر والشام ﴿قوله فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا﴾ روى انه ذبح في طلب موسى تسعون الف وليد سعوا في دفع قضاء الله تعالى بما لا طائل تحته ثم اخطأوا في التقاط سبب هلاكهم وربوه بايديهم وتبنوه وليس ذلك الا لان قدر الله تعالى كائن لا محالة وان الحذر لا يغني من القدر ﴿قوله فالجملة اعتراض﴾ يعني ان قوله تعالى ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه وان قوله وقالت امرأة فرعون معطوف على قوله فالتقطه آل فرعون فقوله خاطئين ان كان مأخوذا من الخطأ ضد الصواب يكون الاعتراض لتأكيد خطئهم في الالتقاط فان معنى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا فاخطأوا والتقطوا عدوهم فاكد هذا المعنى بالمعترضة وان كان مأخوذا من الخطء بمعنى الذنب يكون الاعتراض لبيان الموجب لما ابتلوا به كأنه قيل انهم خاطئين آثمين بالكفر والمعاصي فعوقبوا على ذلك بما جرى عليهم بسببه ﴿قوله هو قرة عين لنا﴾ يريد ان قرة عين خبر مبتدأ محذوف وقوله لي ولك صفتان لقرة روى انه لما رآه اعوان قوم فرعون قالوا هذا هو الذي تحذر منه فأذن لنا في قتله فهم فرعون بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك لا تقتلوه فان الله تعالى أتانا به من ارض اخرى وليس من بني اسرآئيل وقالت عسى ان ينفعنا فلما قالت ذلك قال فرعون عسى ان ينفعك اما انا فلا اريد نفعه قال وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما لو ان عدو الله قال في موسى كما قالت امرأته آسية عسى ان ينفعنا لنفعه الله تعالى به ولكنه ابى للشقاء الذي كتبه الله عليه ومعناه انه لو لم يكن مطبوعا على قلبه لقال مثل قولها ولأسلم كما اسلمت قال المفسرون كانت آسية لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال لآسية سميه قالت سميته موشى لانا وجدناه في الماء والشجر فو هو الماء وشى هو الشجر ء قال الامام كان لفرعون بنت ولم يكن له ولد غيرها وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور الاطباء والسحرة في امرها فقالوا ايها الملك لا تبرأ هذه الا من البحر يوجد منه شبه الانس فيأخذ من ريقه فتلطخ به برصها فتبرأ

(وهم لايشعرون) حال من الملتقطين اومن القائلة والمقولة اى وهم لايشعرون انهم على الخطأ فى التقاطه اوفى طمع النفع منه والتبنى له اومن احد ضميرى تتخذه على أن الضمير للناس اى وهم لايشعرون انه لغيرنا وقد تبناه (واصبح فؤاد ام موسى فارغا) صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون كقوله وافئدتهم هوآء اى خلاء لاعقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اى هدرا ومن الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى اولسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه (ان كادت لتبدى به) انها كادت لتظهر بموسى اى بأمره وقصته من فرط الضجرة او الفرح بتبنيه (لولا ان ربطنا على قلبها) بالصبر والثبات (لتكون من المؤمنين) من المصدقين بوعد الله اومن الواثقين بحفظه لابتبنى فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجرآء للضمة فى جار الواو مجرى ضمتها فى استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله (وقالت لاخته) مريم (قصيه) اتبعى أثره وتتبعى خبره (فبصرت به عن جنب) عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه (وهم لايشعرون) انها تقص اوانها اخته (وحرمنا عليه المراضع) ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع اومرضع وهو الرضاع اوموضعه يعنى الثدى (من قبل) من قبل قصها اثره (فقالت هل أدلكم على اهل بيت يكفلونه لكم) لاجلكم (وهم له ناصحون) لايقصرون فى ارضاعه وتربيته روى ان هامان لما سمعها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بان تأتى بمن يكفله فأتت بأمها وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لااوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله (فرددناه الى أمه كى تقر عينها) بولدها (ولا تحزن) بفراقه (ولتعلم ان وعد الله حق) علم مشاهدة (ولكن أكثرهم لايعلمون) ان موعده حق فيرتابون فيه

من ذلك وذلك فى يوم كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون فى مجلس كان له على شفير النيل ومعه آسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون فى جواريها حتى جلست على الشاطئ اذ اقبل النيل بتابوت تضربه الامواج وتعلق بشجرة فقال فرعون ائتونى به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت آسية فرأت نورا فى جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته وفتحته فاذا هى بصبى صغير فى مهده واذا نور فى عينيه فألقى الله محبته فى قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرئت وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا الذى تحذر منه رمى فى البحر خوفا منك فهم فرعون ان يقتله فاستوهبته امرأة فرعون وتبنته فترك قتله ﴿قوله اومن احد ضميرى تتخذه﴾ فتكون الجملة من كلام امرأة فرعون وعلى تقدير كونه حالا من آل فرعون اومن القائلة والمقولة يكون من كلام البارى ﴿قوله صفرا من العقل﴾ اى حتى ذهلت عن الوحى الذى اوحى اليها ان ألقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى انا رادوه اليك وروى انه جاءها الشيطان وقال لها كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجر فتوليت انت اهلاكه فألقيته فى البحر فأوقعه البحر فى يد عدوه ﴿قوله اومن الهم﴾ عطف على قوله من العقل والفرغ بكسر الفاء وسكون الرآء والغين المعجمة الهدر ﴿قوله انها كادت لتظهر﴾ يريد أن ان مخففة واللام فارقة والباء فى به مزيدة فى المفعول اى لتظهره وتقول انه ابنها اوتقول وا ابناه وقوله لولا ان ربطنا جوابه محذوف اى لأبدت كقوله وهم بها لولا ان رأى برهان ربه ﴿قوله من فرط الضجرة﴾ مبنى على كون قوله فارغا بمعنى صفرا من العقل وقوله او الفرح مبنى على كونه بمعنى صفرا من الهم فكما ان فرط الضجرة يصح كونه مؤديا اياها الى اظهار امر موسى فكذا الفرح بما سمعته من ان فرعون احبه واكرمه وتبناه يصح كونه مؤديا اليه ايضا لاسيما وقد انضم اليه الاعتقاد على تكفل الله تعالى بحفظه فان قيل كيف يكون فؤادها فارغا من الهم والحزن والله تعالى يقول لولا ان ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الجازع المحزون قلنا الحصر ممنوع فانه تعالى كما يربط على قلب الجازع الحزين يربط على قلب الواثق بوعد الله تعالى وضمانه ومعنى الربط على القلب الهامه الصبر وتقويته كما يربط على الشئ المتقلب ليقر ويطمئن وقوله لتكون من المؤمنين متعلق بربطنا اى ربطنا على قلبها لتكون من المصدقين بوعد الله تعالى وهو قوله انا رادوه اليك وقوله اومن الواثقين بحفظه لابتبنى فرعون مرتبط بقوله او الفرح بتبنيه ﴿قوله تعالى فبصرت به﴾ اى ابصرته فان بصر به وابصره بمعنى واحد ﴿قوله ومنعناه ان يرتضع﴾ لما كان التحريم الحقيقى لكونه عبارة عن النهى واقتضاء ترك الفعل غير متصور ههنا لكونه فرع التكليف جعل التحريم مستعارا للمنع من الارتضاع بان شبه المنع بالتحريم لمناسبة بينهما فى التأدية الى الامتناع فأطلق عليه اسم التحريم واشتق منه حرمنا فانه تعالى منعه أن يرتضع ثدى كل مرضع اما بان احدث فى طبعه عليه الصلاة والسلام النفرة عن لبن سائر النساء فلذلك لم يرضع اواحدث فى لبنهن من الطعم ماينفر منه طبعه اووضع فى لبن أمه لذة فلما تعودها اى تعود موسى عليه الصلاة والسلام لبن امه لاجرم كان يكره لبن غيرها فانه روى ان امه قد ارضعته ثلاثة اشهر حتى عرف ريحها فلا يبعد ان لايقبل لبن غيرها لذلك والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع او مرضع وهو موضع الرضاع يعنى الثدى اومصدر بمعنى الرضاع ﴿قوله يكفلونه لكم﴾ اى يضمنون رضاعه والقيام بمصالحه لاجلكم والنصح الخلاص العمل من شائبة الفساد ﴿قوله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون﴾ اى قالت لااعرف الغلام وانما قلت ذلك ليزول اضطراب الملك ويسكن قلبه فخلصت نفسها بهذه الكلمة من التهمة واحسنت ولبس ببدع لانها من بيت النبوة واخت نبى لابيه وامه فحق لها امثال ذلك روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لما قالت اخته هل ادلكم على اهل بيت قالوا الها من هى قالت امى قالوا ولامك ابن قالت نعم لبن هرون اخى وكان هرون ولد فى سنة لم تقتل فيها الولدان فقالوا اصدقت ﴿قوله واجرى عليها﴾ وفى الكواشى فدفعه اليها واجرى اجرتها عليها واختلفوا انها مال حربى لانها اجرة حقيقة على ارضاعها ولدها فذهبت به الى بيتها وقيل دفعه اليها الحربى من آل فرعون احدا الاهدى اليها وأتحفها بالذهب والجواهر ﴿قوله علم مشاهدة﴾ اى علما بمشاهدة الموعود فانها كانت عالمة قبل ذلك بطريق الوحى ان ماوعده الله تعالى اياها من انه يرده اليها حق لكن ليس الخبر كالمعاينة وصاحب الكشاف حمل الوعد على الوعد بجعله من المرسلين حيث قال انجز الله وعده فى الرد فعندها ثبت واستقر فى علمها انه سيكون

(ثانيا)

نبيا فان الله تعالى وعدم موسى امرين ردّ موسى اليها وجعله من المرسلين فحين حقق الامر الاوّل استقر فى علمها انه تعالى يحقق الثانى ايضا ﴿ قوله او ان الغرض الاصلى ﴾ عطف على قوله علم مشاهدة يعنى ان المراد من العلم اما العلم الحاصل بالمشاهدة او اصل العلم ﴿ قوله لا يزيد عليه نشوؤه ﴾ اى شبابه و النشئ الحدث الذى جاوز حد الصغر يقال نشأت فى بنى فلان نشأ اذا شبت فيهم ﴿ قوله او علم الحكماء ﴾ عطف على قوله نبوّة يعنى ان قوله حكما وعلما يحتمل ان يراد به النبوّة و مايعرف بها من العلوم والاخلاق و يحتمل ان يراد به علم الحكماء واخلاقهم علم موسى عليه الصلاة و السلام قبل ان يبعث نبيا علمهم و يدل عليه قوله وكذلك نجزى المحسنين لانه تعالى جعل ايتاء الحكم والعلم مجازاة على احسانه و النبوّة لاتكون جزآء على العمل و على تقدير ان يراد به النبوّة ليس فى الآية دليل على أن هذه النبوّة كانت قبل قتل القبطى او بعده لان الواو فى قوله و دخل المدينة لا تفيد الترتيب وقد مرّ انه لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين سنة ثم بقى بعد الغرق خمسين ﴿ قوله وقيل من منف ﴾ اسم مدينة من ارض مصر و منف كاف و جوز فى وجوب منع صرفه لاجتماع التأنيث و العلمية و العجمة يعنى انه اختلف فى المدينة فقيل هى مصر وقيل هى منف وقيل قرية تدعى حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل عين شمس وقوله على حين غفلة فى موضع الحال من فاعل دخل اى دخل كائنا على حين غفلة اى مستخفيا مختصا للخبر او من المدينة اى دخلها حال غرّة اهلها و اشتغالهم بعيدالهم وقيل بين المغرب و العشاء وقيل وقت الظهيرة عند القيل وليس فى طرقها احد لاشتغال اهلها بالقيلولة و من اهلها صفة لغفلة اى غفلة صادرة من اهلها و اختلف فى السبب الذى لاجله دخل موسى على حين غفلة من اهلها فقيل انه كان يسمى ابن فرعون وكان يركب ويتزل معه فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب فى اثره فادركه القيل بارض منف فدخلها نصف النهار وليس فى طرقها احد فذلك على حين غفلة من اهلها وقيل ان موسى عليه الصلاة و السلام لما بلغ اشده وآتاه الله الحكم والعلم وعلم فرعون وقومه على الباطل خالفهم فى دينهم وفارقهم ولحق بشيعته من بنى اسرآئيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ذلك منه اخافوه واخافهم فكان لايدخل قرية فرعون الاخائفا فدخلها يوما على حين غفلة من اهلها وقيل ليس المراد من قوله على حين غفلة من اهلها حصول الغفلة فى تلك الساعة بل المراد الغفلة عن ذكر موسى عليه الصلاة و السلام وامره وذلك لان موسى حين كان صغيرا ضرب رأس فرعون بالعصا ونتف لحيته فأراد فرعون قتله فقالت امرأته هو صغير لايعرف التمر من الجمر فجيئ بجمرة فأخذها وطرحها فى فيه فحصلت عقدة فى لسانه فقال لا اقتله ولكن اخرجوه من الدار و البلد فأخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر و القوم نسوا ذكره فدخل يوما على حين غفلة من اهلها ولا اعتماد بجميع بعض الروايات على بعض اذ ليس فى القرآن مايدل على شئ منها ﴿ قوله و الاشارة على الحكاية ﴾ اى رجلين مقولا فيهما هذا من شيعته و هذا من عدوّه كقوله جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط اى بمذق مقول فيه هذا القول ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولكونه متضمنا معنى الاعانة و النصرة عدى بعلى ﴿ قوله وقرئ فلكزه ﴾ الوكز و اللكز كلاهما بمعنى واحد وهو الضرب بجمع الكف على الصدر وقيل الوكز فى الصدر و اللكز فى الظهر وجمع الكف بالضم الكف المقبوضة الاصابع وكان عليه الصلاة و السلام شديد البطش فلذلك لم يحتمل القبطى وكزه ومات قيل الاسرآئيلى الذى اعانه موسى عليه الصلاة و السلام هو السامرى و القبطى طباخ فرعون وكان يسخر الاسرآئيلى لحمل الحطب الى مطبخ فرعون ﴿ قوله فقتله ﴾ بيان لحاصل المعنى فان قضاء الشئ انما هو الفراغ منه وكل شئ انهيته و فرغت منه فقد قضيته و قضيت عليه فندم موسى عليه الصلاة و السلام على القتل الصادر منه وان لم يكن قصده لقتله فدفنه فى الرمل وقال مشيرا اليه هذا من عمل الشيطان من حيث انه هيج غضبى وحملنى على الوكز نسب و القتل الى الشيطان من حيث كونه سببا له ﴿ قوله وسماه ظلما ﴾ جواب عما يقال قوله تعالى وهذا من عدوّه يدل على ان القبطى كان كافرا حربيا وكان دمه مباحا فلم جعل قتله من عمل الشيطان وظلم به نفسه واستغفر منه وحصول الجواب انه قتل قبل ان يؤذن له فى قتل الكافر فكان زلة يستغفر منها المتقون على عادتهم وان كانت محقرة صدرت خطأ ﴿ قوله اى اقسم بانعامك على بالمغفرة ﴾ قدر متعلق الباء وجعل ما مصدرية وجعل انعامه تعالى عليه بالمغفرة مع انه لايدرى كيف علم ان الله تعالى غفر له وقد كان هذا قبل ان اوحى الله اليه وعين ان الجواب المقدر هو قوله لا توبن

او ان الغرض الاصلى من الرد علمها بذلك وماسواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون (ولما بلغ اشده) مبلغه الذى لا يزيد عليه نشوؤه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى الا على رأس الاربعين (واستوى) قده او عقله (آتيناه حكما) اى نبوّة (وعلما) بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لان الاستنباء بعد الهجرة فى المراجعة (وكذلك) ومثل ذلك الذى فعلنا بموسى وامه (نجزى المحسنين) على احسانهم (ودخل المدينة) ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل من منف او حابين او عين شمس من نواحيها (على حين غفلة من اهلها) فى وقت لا يعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوّه) احدهما ممن شايعه على دينه وهم بنوا اسرآئيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية (فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوّه) فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه (فوكزه موسى) فضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره (فقضى عليه) فقتله واصله فانهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر (قال هذا من عمل الشيطان) لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على عادتهم فى استعظام محقرات فرطت منهم (انه عدوّ مضل مبين) ظاهر العداوة (قال رب انى ظلمت نفسى) بقتله (فاغفر لى) ذنبى (فغفر له) باستغفاره (انه هو الغفور) لذنوب عباده (الرحيم) بهم (قال رب بما انعمت على) قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك على بالمغفرة وغيرها لا توبن

(فلن اكون ظهيرا للمجرمين) او استعطاف اى بحق انعامك على اعصمنى فلن اكون معينا لمن أدّت معاونته الى جرم وعن ابن عباس انه لم يستثن فابتلى به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت على من القوة اعين اولياءك فلن استعملها فى مظاهرة اعدآئك (فأصبح فى المدينة خائفا يترقب) يترصد الاستقادة (فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه) يستغيثه مشتق من الصراخ (قال له موسى انك لغوى مبين) مبين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر (فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما) لموسى والاسرآئيلى لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعدآء بنى اسرآئيل (قال ياموسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس) قاله الاسرآئيلى لانه لما سماه غويا ظن انه يبطش به او القبطى وكأنه توهم من قوله انه الذى قتل القبطى بالامس لهذا الاسرآئيلى (ان تريد) ماتريد (الا ان تكون جبارا فى الارض) تتطاول على الناس ولا تنظر العواقب (وما تريد ان تكون من المصلحين) بين الناس فتدفع التخاصم بالتى هى احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملئه فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال (وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى) يسرع صفة رجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف (قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر (فاخرج انى لك من الناصحين) اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدم الموصول (فخرج منها) من المدينة (خائفا يترقب) لحوق طالب (قال رب نجنى من القوم الظالمين) خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم (ولما توجه تلقاء مدين) قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن فى سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان (قال عسى ربى ان يهدينى سوآء السبيل) توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعنّ له ثلاث طرق فأخذ فى اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا فى الآخرين (ولما ورد ماء مدين) وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها (وجد عليه) وجد فوق شفيرها (أمة من الناس) جماعة كثيرة مختلفين (يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) فى مكان اسفل من مكانهم (امرأتين تذودان) تمنعان اغنامهما من الماء لئلا تختلط باغنامهم (ولا)

اى لأرجعن عما فرط منى من الزلة وجعل قوله فلن اكون معطوفا على الجواب المقدر فتكون الجملة الخبرية التى اكدت بالجملة القسمية هى المجموع من المعطوف عليه المقدر وما عطف عليه ﴿ قوله او استعطاف ﴾ عطف على قوله قسم جعل الاستعطاف قسيما للقسم مع أن النحاة صرحوا بان القسم على قسمين قسم للاستعطاف وقسم لغير الاستعطاف وقالوا القسم جملة انشائية يؤكد بها جملة اخرى فان كانت الاخرى خبرية فالقسم لغير الاستعطاف وان كانت طلبية فهو للاستعطاف ولم يجعله المصنف والزمخشرى قسما لان القائل اذا قال بالله لأفعلن كذا انعقدت اليمين على القائل واما لو قال بالله افعل كذا لا ينعقد اليمين لا على المتكلم ولا على المخاطب فلذلك لم يجعلاه من القسم ومن جعله قسما من القسم اعتبر الظاهر لان صورته صورة القسم من حيث انه يؤكد الطلب على المستعطف وليس بقسم على الحقيقة لان شرطه ان يؤكد به جملة خبرية موجبة او منفية ومن امثلة قسم الاستعطاف قول ابراهيم بن هرمة

بالله ربك ان دخلت فقل له ٭ هذا ابو هرمة بالباب ٭

وعلى تقدير كون قوله بما انعمت على استعطافا مؤكدا لجملة طلبية مقدرة وهى اعصمنى يكون قوله فلن اكون جوابا للامر المقدر سببا عنه ﴿ قوله وعن ابن عباس رضى الله عنه انه لم يستثن ﴾ تأييد لكون قوله بما انعمت قسما لا استعطافا لان الابتلاء انما يكون بازلة لا بعدم كونه مجاب الدعوة وقوله فابتلى به مرة اخرى فى اليوم الثانى قال الامام هذا ضعيف لانه فى اليوم الثانى لم يبتل باعانة المجرم بل ترك الاعانة وانما خاف منه ذلك العدو فقال ان تريد الا ان تكون جبارا لانه وقع منه ذلك ﴿ قوله وقيل معناه بما أنعمت على من القوة الخ ﴾ فعلى هذا القول لا تكون الباء للقسم ولا للاستعطاف بل تكون للسببية اى بسبب ما انعمت على من القوة اشكرك فلن استعملها الا فى مظاهرة اوليائك لا ادع احدا من اعدآئك يغلب احدا من اوليائك ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما قتل ذلك القبطى بالوكز اصبح اى صار خائفا على نفسه من ان يظهر انه هو القاتل ويستقاد اى يطلب ان يقتل قودا وتعريف المدينة للعهد والمعهود المدينة التى قتل فيها القبطى وخائفا خبر أصبح وفى المدينة متعلق به ويترقب بدل من خائفا او خبر ثان ومفعول يترقب محذوف أى يترقب وينتظر المكروه وروى ان ولى الدم جاء فرعون وقال له قد قتل بنو اسرآئيل مناقتيلا فخذ حقنا منهم فقال له اماعلمت ان لا اقضى الا بالبينة فبيناهم يطوفون فى طلب البينة اذا مرّ موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلى يقاتل فرعونيا آخر فاستغاثه على الفرعونى فغضب عليه موسى فقال انك لغوى مبين اى بين الغواية والضلال على ان الغوى فعيل بمعنى الغاوى وقيل انه بمعنى المغوى والمعنى انى وقعت بالامس فيما وقعت فيه بسببك والآن تريد أن توقعنى فى ورطة اخرى فلما اراد موسى ان يبطش بالقبطى الذى هو عدو لموسى عليه الصلاة والسلام وللاسرآئيلى فوثب عليه ليمنعه من اخذ الاسرآئيلى وتخطيره ظن الاسرآئيلى انه عليه السلام اراد ان يبطش به بناء على انه عليه الصلاة والسلام خاطبه بقوله انك لغوى مبين ورأى الغضب عليه فقال له ياموسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس فصار هذا القول منه سببا لظهور ان القتل الواقع امس صدر من موسى عليه الصلاة والسلام حيث لم يطلع على ذلك الا الاسرآئيلى فلما سمع القبطى قول الاسرآئيلى علم ان موسى هو الذى قتل ذلك الفرعونى امس فانطلق الى فرعون واخبره بذلك فأمر فرعون بقتل موسى ﴿ قوله او القبطى ﴾ عطف على الاسرآئيلى اى توهم من قول موسى عليه الصلاة والسلام له انك لغوى مبين انه الذى قتل القبطى بالامس لاجله قال الامام هذا هو الظاهر لقوله فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى فان الظاهر ان ضمير قال هو عدو لهما وايضا فقوله ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض لا يليق الا بالقبطى الجاهل والجبار هو الذى يفعل ما يريد من الضرب والقتل ظلما لا ينظر فى العاقبة وقيل هو المتعظم الذى لا يتواضع لاحد ﴿ قوله اذا جعل من اقصى المدينة صفة له ﴾ يعنى ان يسعى مع كونه مؤخرا عن النكرة انما يكون حالا منها اذا تخصصت بالصفة فان ذا الحال اذا كان نكرة وجب تقدم الحال عليه كما فى قوله ٭ لعزة موحشا طلل قديم ٭ ﴿ قوله قرية شعيب ﴾ هو شعيب بن نويب بن مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكان لابراهيم اربعة بنين اسمعيل واسحق ومدين ومدان والبعما نسبت البلدتان مدين ومدان ﴿ قوله جماعة كثيرة مختلفين ﴾ الامة جماعة يجمعهم امر ما اما دين واحد او زمان او مكان واحد سوآء كان الامر الجامع حاصلا لهم اختيارا او تسخيرا وأخذ اختلاف الناس من لام التعريف لانه ليس للاستغراق وهو ظاهر

ولا المجلس لان قوله يسقون يغني عن بيان أن المراد بالامة جنس الناس فثبت انه للعهد والمعهود عرفا ان تكون الجماعة المجتمعة للاستقاء اناسا مختلفين وفسر من دونهم بقوله فى مكان ادون من مكانهم و يجوز أن يفسر بسوى تلك الامة والمراد بالامرأتين ابنتا شعيب عليه الصلاة والسلام قيل كبرتهما اسمها صفرآء والاخرى صفيرآء والرعاء جمع راع كقيام جمع قائم قيل الرعاء هم الذين يرعون المواشى والرعاة هم الذين يرعون الناس وهم الولاة ﴿ قوله دونه ﴾ اى دون المفعول وبيانه ﴿ قوله وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر ﴾ اى بفتح اليا وضم الدال اى يرجع يقال صدر يصدر اذا رجع من الماء وهو لازم والمعنى حتى ينصرف الرعاة وقرأ الباقون بضم اليا وكسر الدال من الاصدار وهو متعد والمعنى حتى يردوا او يصرفوا مواشيهم والرخال بكسر الرآء جمع رخل بكسر الخاء وهو الانثى من ولد الضأن والرخال بضم الرآء اسم جمع ﴿ قوله مع ما كان به من الوصب ﴾ وكيف لا وقد خرج عليه الصلاة والسلام من غير زاد ولا حذآء ولا ظهر ولم يطعم فى الطريق الا ورق الشجر وسقط جلد قدميه فى الطريق وكانت خضرة البقل ترآى فى بطنه من الهزال ورقة البدن وجلده وقيل لما سقت الرعاء مواشيهم وضعوا صخرة على البئر كما هو عادتهم فى كل سقية وكانت عادة ابنتى شعيب ان تسقيا من فضل مواشيهم انتهى موسى عليه الصلاة والسلام الى البئر وقد اطبقت عليها الصخرة الموصوفة فقلعها بنفسه ثم سقى لهما غنمهما وفى رواية الكلبي انه كان للبئر دلو يجتمع اربعون رجلا حتى يخرجوها من البئر فاتى موسى الماء فسألهم ان يعطوه دلوا من الماء فقالوا ان شئت اعطيناك الدلو على ان تستقى انت فقال نعم فاخذ موسى الدلو فاستقى بها وحده فصب فى الحوض ودعا فيه بالبركة فغزر فسقى غنمهما فروى منه جميع الغنم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما سمع قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر اخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل فى وجه الجمع بين قوله وجد عليه امة من الناس يسقون و بين كون موسى هو الذى رفع الحجر وحده من رأس البئر أن معنى قوله يسقون يريدون ان يسقوا الا انهم منتظرون لحضور الرعاة جميعا ليتعاونوا على رفع الحجر فرفعه موسى عليه الصلاة والسلام وسقى لهما قبل اجتماع الرعاة وسقيهم وهو الاظهر ﴿ قوله لاى شئ انزلت الى من خير ﴾ جعل ما موصوفة بقوله انزلت الى من خير ولما كان الوصف بالعام يقيد عموم الموصوف قال لاى شئ انزلت الخ والا فالظاهر ان يقال لشئ انزلته الى وفى الوجه الثانى جعل ما موصولة لان ما انزلت فى الوجه الاول عبارة عن شئ غير معلوم لان مطلوبه شئ من جنس الخير اى شئ كان بخلاف الثانى لان ما انزلت فى ذلك الوجه عبارة عن خير الدين وتنكير خير فى الوجه الاول للتعميم وفى الوجه الثانى للتعظيم ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولاجل ان قوله فقير ضمن معنى سائل وطالب عدى باللام فان قوله لما انزلت متعلق بفقير وكان الاصل فيه ان يعدى بالى وقيل ليست اللام متعلقة بفقير حتى يحتاج الى اعتبار التضمين لان المعنى انى وان صرت فقيرا فى الدنيا الان ذلك الفقر انما اصابنى لما انزلت الى من الخير العظيم المتعلق بالدين وهو الخلاص من صحبة الظالمين وقوله لانه كان فى سعة عند فرعون بيان لكون خروجه من عنده سببا لفقره من جهة الدنيا وقال ذلك رضى بالبدل وفرحا به وشكرا ﴿ قوله مخفرة ﴾ على لفظ اسم الفاعل من الخفر بالتحريك وهو شدة الحياء تقول منه رجل خفر بكسر الفاء وجارية خفرة مخفرة اى مستحيية اشد الحياء ﴿ قوله ولعل موسى عليه الصلاة والسلام الخ ﴾ جواب عما يقال انه سقى اغنامهما تقربا الى الله تعالى خالصا لوجهه فكيف يليق اخذ الاجرة عليه فان ذلك غير جائز فى الشريعة روى انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس قال ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا رحيما فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبى فاستدعيه لى فلما أتته و بلغت اليه رسالة ابيها تبعها موسى فالصقت الريح ثوبها بجسدها فوصفت جسدها لموسى لان الريح كانت تجيئ من خلفها فجعل موسى يعرض عنها مرة و يغض بصره اخرى فناداها يا امة الله كونى خلفى وارينى الطريق بقولك وفى رواية بحجر ترمين به الى قدامى ان اخطأت الطريق فلما دخل على شعيب وكان العشاء مهيأ قال له شعيب اجلس ياشاب فتعش فقال له موسى اعوذ بالله فقال له شعيب ولم ذلك ألست بجائع قال بلى ولكنى اخاف ان يكون عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نبيع شيأ من عمل الآخرة بملء الارض ذهبا فقال له شعيب لا والله ياشاب ولكنها عادتى وعادة آبائى نقرى الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى يأكل قال الضحاك لما دخل عليه قال له من انت ياعبد الله قال انا موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وذكر له جميع امره من لدن ولادته وامر القوابل والمراضع والقذف فى اليم وقتل القبطى وانهم يطلبونه ليقتلوه فقال له

(قال ما خطبكما) ما شأنكما تذودان (قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء) يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا من مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان ما دل على عفتهما ويدعوه الى السقى لهما ثمة دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اى ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال (وابونا شيخ كبير) كبير السن لا يستطيع ان يخرج للسقى فيرسلنا اضطرارا (فسقى لهما) مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال او اكثر فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئر اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها (ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما انزلت) لاى شئ انزلت (الى من خير) قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام (فقير) محتاج سائل ولذلك عدى باللام وقيل معناه انى لما انزلت الى من خير الدين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك (فجاءته احداهما تمشى على استحياء) اى مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفورآء او صفرآء وهى التى تزوجها موسى (قالت ان ابى يدعوك ليجزيك) ليكافئك (اجر ما سقيت لنا) جزآء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعا فى الاجر بل روى انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدى اليه شئ لم يحرم اخذه (فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يريد فرعون وقومه

(قالت احداهما) يعني التي استدعته (يا ابت استأجره) لرعي الغنم (ان خير من استأجرت القوي الامين) تعليل جامع يجري مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فيه جعل خير اسما وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امين مجرب معروف وروي ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه (قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني) على ان تأجر نفسك مني او تكون لي أجيرا او تثيبني من أجرك الله (ثماني حجج) ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اي رعية ثماني حجج (فان اتممت عشرا) عملت عشر حجج (فمن عندك) فاتمامه من عندك تفضلا لا من عندي الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على اجرة معينة ومهر آخر او رعية الاجل الاول ووعده ان يوفي الاخر ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك (وما اريد ان اشق عليك) بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ورأيك في مزاولته (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة (قال ذلك بيني وبينك) اي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه (ايما الاجلين) اطولهما او اقصرهما (قضيت) وفيتك اياه

شعيب عليه الصلاة والسلام لا تخف نجوت من القوم الظالمين اي لا سلطان له بارضنا ولسنا في مملكته فان قيل ان المفسرين قالوا ان فرعون يوم خرج على اثر موسى ركب في ألف ألف وستمائة ألف والملك الذي هذا شأنه كيف يعقل ان لا يكون في ملكه قرية على بعد ثمانية ايام من دار ملكه والجواب ان هذا وان كان نادرا لكنه ليس بمحال والقصص مصدر قص قصا وقصصا سمي به المقصوص ﴿قوله استأجره﴾ اي اتخذه اجيرا يرعى اغنامنا ثم قالت ان خير من استأجرت القوي الامين من قوي على العمل وادى الامانة ﴿قوله وللمبالغة فيه الخ﴾ بيان لوجه العدول عن مقتضى الظاهر فان الظاهر ان يجعل القوي الامين اسم ان وخير من استأجرت خبرها وأن يؤتى بلفظ المضارع بدل استأجرت فعكس جميع ذلك وجعل خير من استأجرت اسما وهو نكرة والقوي الامين خبرا وهو معرفة وعبر عن الآتي بلفظ الماضي للمبالغة في الدلالة على انه حقيق بالاستئجار وذلك لان ما هو اعني فهو بالتقديم اولى فان شدة العناية والاهتمام لما كانت متعلقة بالخيرية قدمت وجعلت اسم ان ونظيره قول الشاعر

الا ان خير الناس حيا وهالكا ۞ اسير ثقيف عندهم في السلاسل

يعني ان المناسب للمقام بيان ان موسى عليه الصلاة والسلام بخصوصه حقيق بالاستئجار لقوته وامانته لكونها في صدد تعليل طلبها لاستئجار موسى بخصوصه وذكرت في تعليله ما يدل على ان مطلق من وجد فيه القوة والامانة حقيق بالاستئجار لتستدل بهذه المقدمة الكلية المسلمة على مدعاها وهو استحقاق موسى للاستئجار ﴿قوله على ان تأجر نفسك مني﴾ على ان يكون المفعول الثاني محذوفا اي تأجر مني نفسك من قولهم أجرت داري ومملوكي غير ممدود وآجرت ممدودا كلاهما بمعنى اكريتهما والاول اكثر ﴿قوله او تكون لي اجيرا﴾ من قولهم أجرته اذا كنت له اجيرا وهو من يأجرني اي يصير اجيري كما يقال ابوته اذا كنت له ابا وعلى التقدير ين يكون ثماني حجج منصوبا على الظرفية وعلى ان تأجرني في محل النصب على الحال من كاف انكحك ﴿قوله او تثيبني الخ﴾ على ان يكون تأجرني من أجرك بمعنى اثابك فان اصل الاجر الثواب والعوض وكان عليه الصلاة والسلام يعزي بأن يقول أجركم الله الجنة والمفعول الثاني فيه محذوف اي تأجرني العوض الجميل فيكون ثماني حجج حالا ويجوز ان يكون مفعولا به بتقدير رعية ثماني حجج لان العمل هو الذي يقع به الاثابة لا نفس الزمان ﴿قوله فاتمامه من عندك﴾ اشارة الى ان قوله فمن عندك خبر مبتدأ محذوف والجملة جواب الشرط والتزوج على رعي الغنم جائز بالاجماع لانه من باب القيام بامور الزوجة فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة فانه لا يجوز عندنا لما فيه من الهوان والذل والزوج قوام عليها بالنص والمراد بالقوامية المالكية وكونه مستخدما لها فلو جاز امهار الخدمة لصارت مالكة مستخدمة ولصار هو مملوكا خادما فعاد على موضوعه بالنقض ﴿قوله وهذا استدعاء العقد لا نفسه﴾ جواب عما يقال كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز ونكاح المبهم لا يصح لانه عقد موضوع لحل الاستمتاع وهو انما يرد على المعينة دون المبهمة وعلى تقدير تسليم ان المنكوحة معينة فالمهر غير معين لكونه رعية احدى المدتين وهو غير معلومة وايضا كيف تجوز الاجارة على رعية احدى الاجلين من غير تعيين مدة العمل وايضا كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية غنم ابيها مع ان الصداق يجب ان يحصل للمنكوحة لا لابيها باتفاق العلماء وذلك لانه بدل بضع المرأة فيجب ان تكون منفعة الرعي حاصلة لها لا لابيها واجاب عن الاول بان قول شعيب ليس انشاء لعقد النكاح حتى يجب تعيين النكاح بل هو مواعدة مع موسى عليه الصلاة والسلام ذكر له انه يريد شيئين احدهما انكاح احدى ابنتيه اياه وثانيهما ان يكون موسى اجيرا لرعي الغنم ولا محذور في الابهام عند المواعدة والظاهر ان العقد جرى على المعينة وعن الثاني بان قوله على ان تأجرني ثماني حجج ليس المقصود منه جعل عمله مهرا لها بل المقصود ان يزوجها اياه بمهر آخر فكان هناك عقدان مختلفان عقد الاجارة بالاجرة المعلومة وعقد النكاح بالمهر المعين وعلى تقدير ان يكون العمل مهرا لها فلا نسلم ان مدة العمل غير معلومة بل هي متعينة وهي الاجل الاول غاية ما في الباب ان موسى وعد له ان يوفي الاجل الاخير ان تيسر له قبل العقد وعن الثالث ان الاغنام للمنكوحة لا لابيها ثم قال ويجوز ان يكون النكاح جائزا في تلك الشريعة بشرط ان تكون منفعة العمل في المدة المعلومة لولي المرأة كما يجوز في شريعتنا بشرط رعي غنمها في مدة معلومة ﴿قوله ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا﴾ اشارة الى ان ذلك مبتدأ والاشارة به الى ما تعاهدا عليه والظرف الذي بعده خبره واي في ايما الاجلين منصوب بقضيت وما زائدة مؤكدة لابهام اي وهي شرطية وجوابها فلا عدوان علي اي

(لا يعتدى)

لايعتدى علىّ فى طلب الزيادة على ما اتممت ووفيت ومن المعلوم انه لايعتدى عليه بطلب الزيادة على اطول الاجلين لكن جمع بين اطول الاجلين واقصرهما ليعلم ان الوفاء بالاقصر كالوفاء بالاطول فى ان طلب الزيادة عليه ظلم وعدوان كما ان طلب الزيادة على الاطول كذلك ﴿قوله او فلا اكون معتديا﴾ فعلى هذا يكون علىّ متعلقا بمحذوف واقع فى محل خبر لا اى ثابت علىّ او واقع علىّ وكذا على الوجه الاوّل هو متعلق بمحذوف واقع فى محل خبر لا لكن المعنيان مختلفان من حيث ان المراد بالعدوان على الاوّل اعتداء الغير عليه بطلب الزيادة وعلى الثانى اعتداؤه وظلمه على نفسه بارتكابه الاثم وهو ترك الزيادة عليه فهو على الثانى بمعنى لااثم علىّ ولايجوز ان يكون علىّ متعلقا بعدوان والالكان عدوان مشابها للمضاف من حيث ان كل واحد منهما يعمل فيما بعده وما بعدهما متمم ومخصص لهما فكان يجب نصبه لما تقرر فى النحو من ان اسم لا التى لنفى الجنس اذا كان مضافا او مشابها له يجب نصبه ﴿قوله وهو ابلغ﴾ اى النظم الواقع فى التنزيل ابلغ فى تقرير كونه مخيرا بين الاجلين من ان يقال ان قضيت الاقصى فلا عدوان علىّ وان كان مقتضى الظاهر ان يقال هكذا اذ لايتصوّر عدوان غيره عليه ولاعدوانه على نفسه على تقدير ان يقضى اطول الاجلين حتى يجمع بينهما او يقال ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علىّ ﴿قوله تنظرت نصرا والسماكين﴾ اى انتظرت رجلا مسمى بنصر والسماكين طلبا لمعروفهما ولم افرق بين نصر والسماكين فى الجود ولم اعلم ايهما استهلت مواطره علىّ من الغيث والسماكان نجمان السماك الاعزل وهو الذى لاشئ بين يديه والسماك الرامح وهو الذى بين يديه الكواكب وهل السحاب واستهل اذا انصب شديدا ونصر اسم الممدوح بالجود وايهما بسكون الياء اصله ايهما فسكن الياء للضرورة ومن فى قوله من الغيث للبيان والمواطر جمع ماطرة اى سحابة ماطرة وقوله ايهما الخ فيه حذف تقديره لااعلم ايهما انصب علىّ ولما رضى موسى بان يرعى غنم شعيب هذه المدّة باجرة معلومة وعلق شعيب انكاح احدى ابنتيه اياه بأن يرعى المذكور بان يرعى على ان ينكح هو ابنته اياه وتم العقد الذى جرى بينهما امر شعيب ابنته ان تعطى موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصىّ الانبياء عنده فدخلت فاخذت عصا فأتته بها فلما رآها شعيب قال لها ردّى هذه العصا واتيه بغيرها فدخلت والقتها وارادت ان تأخذ غيرها فلم يقع فى يدها الاهى حتى فعلت ذلك سبع مرّات فعلم شعيب ان لموسى شأنا واختلفوا فى تلك العصا فقيل كانت من آس الجنة هبط بها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب وقيل كانت تلك العصا استودعها اياه ملك فى صورة رجل ولذلك لم يرض ان يعطيها لموسى وامر ابنته ان تردّها الى موضعها وتأتى بغيرها وقيل ما كانت الاعصا اخذها موسى عليه الصلاة والسلام من عرض واحد من جنس الشجراى من جانب الشجر وعلى القولين الاوّلين لما اخذها موسى من شعيب واصبح قال له شعيب سق هذه الاغنام الى مفرق الطريق ثم خذ جانب يمينك وليس فيه عشب كثير ولاتأخذ جانب يسارك وفيه عشب كثير لكن فيه تنين اخاف منه عليك وعلى ما معك من المواشى فساق موسى المواشى الى مفرق الطريق فاخذت نحو اليسار ولم يقدر موسى على ضبطها ومرّحها فى الكلأ ونام موسى فخرج التنين فقامت العصا فصار لها شعبتان من حديد وحاربت التنين حتى قتلته وعادت الى موسى فلما انتبه موسى رأى العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولا فارتاح لذلك وعاد الى شعيب فمس الاغنام فاذا هى امثل حالا فسأله عن القصة فاخبره بها ففرح بذلك شعيب واراد ان يجزى موسى عليها فقال كل ماولدت الاغنام فى هذه السنة من اولاد سود فهو لك فكانت الاولاد فى تلك السنة كلها سودا فحازها كلها وفى السنة الثانية شرط ذلك فى البيض فولدت كلها بيضا فحازها جميعا وفى السنة الثالثة قال كل ماولدته لونان سواد وبياض فهولك فكان الكل كذلك فحازها كلها وعلم شعيب بذلك ان له عند الله منزلة ولما قضى موسى الاجل استأذن شعيبا فى ان يخرج الى مصر مع اهله ليصل اماه واخته وقرابته التى فيها فاذن له فسار باهله اليها فأظلت عليه ليلة من الليالى فى الصحراء وهبت ريح شديدة فرّقت ماشيته وضل الطريق واصابهم مطر وبرد شديد واخذ امرأته الطلق فعند ذلك ابصر من جانب الطور نارا فسار اليها ليطلب فيها من يدله على الطريق وهو قوله لعلى آتيكم منها بخبر فانه يدل على انه ضل الطريق وقوله او آتيكم منها بجذوة من النار لعلكم تصطلون يدل على انه اصابهم برد شديد وفى الجذوة ثلاث لغات فتح الجيم وضمها وكسرها مع سكون الذال وقرئ بهنّ جميعا وهى العود الغليظ سواء كان فى رأسه نار او لم يكن واورد بيتين استشهد بأوّلهما على ان الجذوة تطلق على العود الذى لم يكن فى رأسه نار وبالبيت الثانى على انها تطلق على ما فى رأسه نار فالبيت الاوّل قوله

(فلا عدوان علىّ) لايعتدى علىّ بطلب الزيادة فكما لااطالب بالزيادة على العشر لااطالب بالزيادة على الثمانى او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لااثم علىّ وهو ابلغ فى اثبات الخيرة وتساوى الاجلين فى القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلاعدوان علىّ وقرئ ايما كقوله

تنظرت نصرا والسماكين ايهما * علىّ من الغيث استهلت مواطره *

واى الاجلين ماقضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل اى اىّ الاجلين جرّدت عزمى لقضائه وقرئ عدوان بالكسر (والله على ما نقول) من المشارطة (وكيل) شاهد حفيظ (فلما قضى موسى الاجل وسار باهله) بامرأته روى انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا آخر ثم عزم على الرجوع (آنس من جانب الطور نارا) ابصر من الجهة التى تلى الطور (قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر) بخبر الطريق (او جذوة) عود غليظ سواء كان فى رأسه نار او لم يكن قال

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذى غير خوّار ولادعر *

والق على قبس من النار جذوة * شديدا عليها حرّها والتهابها *

○ باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ○ جزل الجذى غير خوّار ولا دعر ○

والمراد بحواطب ليلى جواريها التى يطلبن لها الحطب والجزل الحطب اليابس وما عظم منه ايضا والجذى جمع جذوة وفى الجمع ايضا ثلاث لغات كما فى مفرده والخوّار الضعيف من الخور وهو الضعف والدعر الردئ من قولك دعر العود بالكسر يدعر دعرا فهو عود دعر اى ردئ كثير الدخان ومنه اخذت الدعارة وهى الفسق والخبث والبيت الثانى قوله

○ والقى على قيس من النار جذوة ○ شديدا عليها حرّها والتهابها ○

اى اهلك قبيلة قيس بأن ألقى عليها نار الفتنة والعداوة والجذوة فى الآية هى التى فى رأسها نار بقرينة قوله لعلكم تصطلون ﴿ قوله ولذلك ﴾ اى ولصحة اطلاق الجذوة على العود الذى فى رأسه نار بينها بقوله من النار جعلها لشدة تشبث النار بها كأنها نار كلها ﴿ قوله اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى ﴾ اشارة الى ان كلمة من فى قوله من شاطئ لابتداء الغاية وان الايمن من اليمن المقابل لليسار لامن اليمن وهو البركة وانه صفة للشاطئ لا للوادى وان كون الشاطئ ايمن انما هو بالنسبة الى موسى وشاطئ الوادى جانبه وطرفه ﴿ قوله متصل بالشاطئ ﴾ من حيث انه متعلق بمحذوف على انه حال من الشاطئ والبقعة قطعة من الارض لاشجر فيها وصفت بكونها مباركة لانه حصل فيها ابتداء الرسالة وتكليم الله تعالى اياه ﴿ قوله هذا وان خالف ما فى طه والنمل ﴾ قال تعالى فى سورة طه نودى ياموسى انى انا ربك وقال فى سورة النمل نودى ان بورك من فى النار ومن حولها وهما مخالفان لما فى هذه السورة من حيث اللفظ الا ان الجميع متوافقة فى المقصود وهو فتح باب الاستنباء وسوق الكلام على وجه يؤدى اليه ، قال الامام لامنافاة بين هذه الاشياء فهو تعالى ذكر الكل الا انه حكى فى كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء ﴿ قوله تعالى وأن ألق ﴾ اى ونودى ان ألق ﴿ قوله اى فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت ﴾ اى تحركت يريد ان هذه الجمل الثلاث مضمرة فى الآية وصيرورتها ثعبانا قد نص عليها فى سورة الشعراء بقوله تعالى فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ولما كان الثعبان اسما لما يكون عظيم الجثة من الحيات والجانّ اسم للحية الصغيرة الدقيقة الملساء توهم ان يكون قوله كأنها جانّ مناقضا لقوله فاذا هى ثعبان مبين فاشار الى دفعه بقوله كأنها جانّ فى الهيئة والجثة او فى السرعة يعنى ان التناقض انما يكون ان لو قيل انها فى نفسها جانّ ولم يقل هكذا بل الله تعالى شبهها بالجانّ فلا يكون هذا مناقضا لانقلابها ثعبانا عظيم الهيئة والجثة الا ان تشبيهها بالجانّ فى الهيئة والجثة يقوّى جانب المناقضة ظاهرا فوجب ان يكون مراده انها تشبه الجانّ فى الهيئة وقت انقلابها حية ولا ينافيه تورّمها وتزايد جرمها بعد ذلك الى ان تبلغ غاية عظم الثعبان لان مشابهتها بالجانّ فى اوّل حالها والثعبان فى مآلها ومنتهاها واما قوله او فى السرعة فهو اصح اذ لامنافاة بين كونها فى عظم الثعبان وجثته وبين كونها فى سرعة الجانّ وخفته ﴿ قوله أدخلها ﴾ عبر عن هذا المعنى بثلاث عبارات احداها فى هذه السورة وهو قوله تعالى اسلك يدك فى جيبك وثانيتها قوله فى سورة طه واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء وثالثتها قوله تعالى فى سورة النمل وأدخل يدك فى جيبك اى فى مدرعتك والمدرعة ثوب من صوف يلبس بدل القميص ولا يكون له كم بل ينتهى كمه عند المرفقين ويقال لها زرمانقة وقيل الجيب القميص ﴿ قوله بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى ﴾ فيكون ضم يديه الى نفسه وادخالهما فى الجيب متغايرين من حيث العبارة والمعنى اما اذا فسر ضم اليدين بادخالهما فى الجيب فلا يكون التغاير الا فى العبارة لا فى المعنى وجاز تكرير الفعل بالمعنى الواحد عند اختلاف الغرض فانه اذا كرر الفعل الواحد ليتعلق بكل غرض آخر صار كأن هناك فعلين باعتبار الغرضين كما فى هذه الآية فان الغرض فى قوله تعالى اسلك يدك فى جيبك خروج اليد بيضاء وظهور معجزة اخرى وفى قوله واضمم اليك جناحك اخفاء الرهبة والتجنب عن الفضاحة وهى الذلة والنقصان لدى العدوّ فانه تعالى لما قلب العصا حية فزع موسى عليه الصلاة والسلام واتقاها بيده اى جعل يده حاجزة بينه وبين المخوف فقال تعالى بعد ان امره بادخال يده فى جيبه واضمم اليك جناحك فكأنه قال اذا ألقيتها عند العدوّ اظهارا للمعجزة فانقلبت حية هائلة مخوفة لاتتق بيدك فان ذلك فضاحة ونقصان عند العدوّ بل اذا ألقيتها فانقلبت حية ادخل يدك فى جيبك ليحصل الامران احدهما اظهار الجراءة والتجنب عما هو فضاحة عليك والثانى اظهار معجزة اخرى ﴿ قوله ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات ﴾ استعارة من حال الطائر حين

والذلك جنه بقوله (من النار) وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات (لعلكم تصطلون) تستدفئون بها (فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الايمن) لابتداء النداء من الشاطئ الايمن لموسى (فى البقعة المباركة) متصل بالشاطئ او صلة لنودى (من الشجرة) بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ (ان ياموسى) اى ياموسى (انى انا الله رب العالمين) هذا وان خالف ما فى طه والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود (وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز) اى فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رآها تهتز (كأنها جانّ) فى الهيئة والجثة او فى السرعة (ولى مدبرا) منهزما من الخوف (ولم يعقب) ولم يرجع (ياموسى) نودى ياموسى (أقبل ولا تخف انك من الآمنين) من المخاوف فانه لايخاف لدىّ المرسلون (اسلك يدك فى جيبك) أدخلها (تخرج بيضاء من غير سوء) عيب (واضمم اليك جناحك) يديك المبسوطتين تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدوّ اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأن ضمهما اليه

(من الرهب) من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات (فذانك) اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس (برهانان) حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن (من ربك) مرسلا بهما (الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين) فكانوا احقاء بان يرسل اليهم (قال رب انى قتلت منهم نفسا فاخاف ان يقتلون) بها (واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا) معينا وهو فى الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف (يصدقنى) بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة (انى اخاف ان يكذبون) ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى بالرفع على انه صفة والجواب محذوف (قال سنشد عضدك باخيك) سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد (ونجعل لكما سلطانا) غلبة او حجة (فلا يصلون اليكما) باستيلاء او حجاج (بآياتنا) متعلق بمحذوف اى اذهبا بآياتنا او بنجعل اى نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون منهم او قسم جوابه لا يصلون او بيان للغالبون فى قوله (انتما ومن اتبعكما الغالبون) بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى) سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر (وما سمعنا بهذا) يعنون السحر او ادعاء النبوة (فى آبائنا الاولين) كائنا فى ايامهم (وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده) فيعلم انى محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بغير واو لانه قال ما قاله جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد

صار ذلك اللفظ مثلا فى امنه شبه الانسان فى حال ثباته وضبطه نفسه بالطير الآمن ثم اثبت له ما هو من لوازم المشبه به وهو ضم الجناح ليكون تخييلا للاستعارة المكنية ﴿قوله اى اذا عراك الخوف﴾ اى اصابك عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك من اجل اصابة ذلك جعل الرهب الذى كان يصيبه عند رؤية الحية سببا وعلة فى الامر به من ضم جناحه اليه عن مجاهد انه قال كل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقرأ الآية ﴿قوله وقرئ بضمهما﴾ اى فى الشواذ وقرأ حفص بفتح الراء وسكون الهاء وباقى السبعة بفتحتين ﴿قوله مرسلا﴾ تقدير لمتعلق قوله من ربك الى فرعون وانتصابه على انه حال من كاف الخطاب فى فذانك والعامل فيها معنى الاشارة اى اخاطبك بالاشارة اليهما مرسلا من ربك الى فرعون ويحتمل ان يكون من ربك متعلقا بمحذوف هو صفة برهانان والى فرعون متعلقا بمرسلا المقدر المنصوب على الحالية من كاف ربك والعامل فيها ما فى الاضافة من معنى الفعل وردءا حال من مفعول ارسله اى اجعله رسولا معى الى فرعون وقومه حال كونه معينا يقال ردأته على عدوه اذا اعنته عليه ردءا بالفتح والردء بالكسر اسم لما يعان به فعل بمعنى مفعول كالدفء والصبغ والشبع لما يدفأ به ويصبغ ويشبع فاطلق على المعين الذى يتبع غيره معينا له تسمية للفاعل باسم ما يفعل به وقرئ يصدقنى بالرفع على الوصفية اى ردءا مصدقا وبالجزم جوابا لارسله وليس طريق تصديقه اياه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق اخى موسى لانه لا يحتاج فيه الى اختصاصه بزيادة الفصاحة لان سحبان وباقلا فيه سواء وانما طريق تصديقه ان يلخص الحق بلسانه ويجادل الكفار ببيانه وذلك يجرى مجرى التصديق كما يصدق القول بالبرهان ﴿قوله فان قوة الشخص بشدة اليد﴾ يعنى ان سنشد عضدك عبارة عن قوله سنقويك فهو مجاز مرسل على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب بمرتبتين فان شدة العضد سبب مستلزم لشدة اليد وشدة اليد مستلزمة لقوة الشخص فشدة العضد سبب لقوة الشخص فى المرتبة الثانية فصح ان تطلق شدة العضد ويراد بها قوة الشخص على طريق المجاز المرسل ﴿قوله غلبة او حجة﴾ يعنى ان السلطان اما بمعنى التسلط والاستيلاء او بمعنى الحجة والبرهان سميت الحجة سلطانا لكونها سببا للتسلط والغلبة ﴿قوله او قسم جوابه لا يصلون﴾ فيه تساهل لان جواب القسم لا يتقدم عليه وايضا لا تدخل الفاء فى جواب القسم عند الجمهور ولعل مراده انه قسم حذف جوابه اعتمادا على دلالة ما قبله عليه ﴿قوله بمعنى انه صلة لما بينه﴾ كأنه قيل بماذا الغلب فاجيب بآياتنا فالباء متعلقة بمحذوف قدر بآياتنا الغالبون ولا يتعلق بنفس الغالبون لان اللام فيه موصولة بمعنى الذى ولا يتقدم ما فى حيز الصلة عليها الا ان يكون اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى فحينئذ يجوز ان تتعلق الباء به ﴿قوله سحر تختلقه﴾ يريد ان يبين فائدة توصيف السحر بقوله مفترى مع انه قد علم كونه مفترى من تسمية المعجزة سحرا لان من اظهر المعجزة يدعى انها امر خارق للعادة خلقه الله تعالى على يده تصديقا له فى دعوى الرسالة فمن سماها سحرا اراد ان يجعلها مفترى على الله فلا يظهر لتوصيف السحر به فائدة فالمصنف فسر قوله مفترى بثلاثة اوجه على الاولين يكون صفة مخصصة لقوله سحر لان كل سحر لا يكون كذلك وعلى الثالث يكون صفة مؤكدة مثل نفخة واحدة الوجه الاول ان يكون مختلقا مصنوعا من قبله لم يسبقه احد فيه من قولهم فريت المزادة اى خلقتها وصنعتها وظاهر ان كل سحر لا يكون كذلك لانه كم من سحر يصنعه اكثر السحرة بل جميعهم والثانى ان يكون مسندا الى الله تعالى كذبا ولا يكون كل سحر مفترى على الله تعالى ويكون لفظ هذا اشارة الى خصوص ما اظهره موسى عليه الصلاة والسلام مع قطع النظر عن انه عليه الصلاة والسلام اظهره ليكون معجزة والثالث ان يكون بمعنى مكذوب فيه اى فى ادعاء ان حقيقة العصا قد انقلبت ثعبانا مبينا بل هو من قبيل التمويه والتلبيس كما هو شأن كل سحر ﴿قوله كائنا فى ايامهم﴾ اشارة الى ان فى آبائنا فى محل النصب على انه حال من هذا فاجمل موسى عليه الصلاة والسلام فى جوابهم تلطفا فى الخطاب واختيارا لاحسن الوجوه فى المجادلة معهم فقال ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده والمعنى ما جئتكم به حق وهدى وليس بسحر وربى عالم بذلك وانتم مبطلون ﴿قوله لانه قال ما قاله جوابا لمقالهم﴾ فان الجملة الثانية اذا كانت كالمتصلة بالاولى لكونها جوابا لسؤال اقتضته الاولى تنزل الاولى منزلة السؤال فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب من السؤال لما بينهما من الاتصال ويسمى الفصل لكون الثانية جوابا لسؤال اقتضته الاولى استئنافا كما تسمى نفس الجملة الثانية بذلك ووجه القرآءة المشهورة ان المراد حكاية قولهم ذلك وقول موسى هذا بعطف احدهما على الاخرى ليوازن الناظر بين القول والقول ويعرف فساد احدهما

(ومن تكون له عاقبة الدار) العاقبة المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هي الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء (انه لا يفلح الظالمون) لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري) نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع على الحال بقوله (فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى) كأنه توهم انه لو كان لكان جسما في السماء يمكن الترقي اليه ثم قال (واني لأظنه من الكاذبين) او اراد ان يبني له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام (واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق) بغير استحقاق (وظنوا انهم الينا لا يرجعون) بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنه اخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم ونظيره وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (فانظر) يا محمد (كيف كان عاقبة الظالمين) وحذر قومك عن مثلها (وجعلناهم ائمة) قدوة للضلال بالحمل على الاضلال

وصحة الآخر فان الواو تفيد جمع القولين في ذهن السامع فيميز بين الصحيح والسقيم لان كل شيء يتميز بضده ﴿**قوله** لانها خلقت مجازا الى الآخرة﴾ يعني ان الدنيا خلقت موضع الجواز والمرور الى الآخرة والمقصود بالذات من الآخرة انما هو الثواب والجنة والعقاب انما حصل من سوء اختيار العصاة فالعاقبة الاصلية للدنيا هي الجنة لان العاقبة السوءى لا اعتداد بها لانها من نتائج ايثار اللذات العاجلة على الحظوظ الباقية ومما يدل على ان المراد بالعاقبة العاقبة المحمودة قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن فان المراد من الدار الدنيا وقد صرح بان عقباها الجنة ﴿**قوله** وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء﴾ اي من تحت للفصل بينه وبين اسمه ولكون تأنيث العاقبة غير حقيقي وقرأ العامة تكون بالتاء الفوقية لتأنيث العاقبة فانه اسم كان وله خبرها ﴿**قوله** نفى علمه باله غيره دون وجوده﴾ اي لم ينف وجود اله غيره بان يقول ليس لكم اله غيري بناء على انه لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بانتفائه واثبت الهية نفسه حيث قال من اله غيري فكان عنده ما يقتضي الجزم بالهيته والظاهر انه لا يريد بالهية نفسه كونه خالقا للسموات والارض وما فيهما من الذوات والصفات فان العلم بامتناع ذلك مما لا يخفى على احد فالشك في ذلك يقتضي زوال العقل بالكلية فالمخذول كان يظن ان هذه الكواكب والافلاك كافية في خلق احوال هذا العالم السفلي فلا حاجة الى اثبات صانع فلهذا قال ما علمت لكم من اله غيري وكان يقول لا يجب على الناس الا ان يطيعوا ملكهم وينقادوا لامره كما قيل

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ☼ ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وهذا هو المراد من ادعائه الالهية لا كما يظن من انه يدعي كونه خالقا للسموات والارض الا ان قوله هذا فيه نوع مناقضة لقول اصحابه في حق موسى ويذرك وآلهتك فان من يزعم تفرده بالالوهية كيف يكون له آلهة فكأنه قال هذا الكلام للملأ والاشراف قومه بخصوصهم فانه كان اتخذ للاتباع والسفلة اصناما يعبدونها وجعل للملأ عبادة نفسه فانه لما لم ير الاتباع اهلا لعبادة نفسه جعل لهم عبادة الاصنام من حيث انه لم يرهم اهلا لعبادته ﴿**قوله** ولذلك امر ببناء الصرح﴾ اي امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة حيث قال اوقد لي على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه والوجه في كون التعريض بتعليم الصنعة مبنيا على التعظيم ان ايقاد النار على الشيء المسمى بالطين امر هين حقير يقدر عليه العاجز والصبيان فيكون التعبير عن الامر بطبخ الآجر الذي يكفي لبناء الصرح المذكور بقوله اوقد لي على الطين مبنيا على الاهانة بطبخه وعدم الاعتداد به ولان طبخ الآجر صنعة خسيسة لا يليق بالملوك وعظماء الناس ان يأمروا بها ويذكروا اسمها على ملأ الناس فهذا معنى قوله مع ما فيه من تعظيم وكذلك كل واحد من ندائه وزيره باسم العلم من غير تكنية وتلقيب وندائه بحرف يا الموضوع لنداء البعيد مع كون المنادى قريبا وندائه في وسط الكلام مع ان العادة تقديم النداء على المنادى له مبني على التعظيم والتجبر ودليل عليه اما كون الاولين مبنيين على التعظم فظاهر واما كون الثالث مبنيا عليه فلأنه لو قدم النداء وقيل يا هامان اوقد لي لزم ان يقدم ذكر هامان على ذكر نفسه ولم يرض به تعظما وتجبرا ﴿**قوله** كأنه اخذهم مع كثرتهم﴾ روي ان جنوده يوم خرج خلف موسى كانوا الف الف وستمائة الف فان افعال العباد واقعة باسباب ومرجحات تفيض عليهم من عنده تعالى وذلك ان كان نحو طاعة سمي توفيقا ولطفا وان كان نحو معصية سمي خذلانا وطبعا كذا ذكره في شرح المصابيح ﴿**قوله** بالحمل على الاضلال﴾ متعلق بقوله وجعلناهم ائمة اي صيرناهم قدوة لاهل الضلال بان حملناهم على الاضلال وهذه الآية من جملة ما تمسك به اصحابنا في انه تعالى خالق الخير والشر حيث ذكر فيها انه تعالى جعلهم قادة ورؤساء يدعون اتباعهم الى عمل يوجب النار من الكفر وانواع المعاصي كما ذكر في حق الرسل واهل الخير انه تعالى جعلهم ائمة يدعون الى الحق والهدى حيث قال وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا فدل ذلك على انه كان من الله تعالى في حق اهل الخير صنع حتى صاروا بذلك ائمة الخير ولم يكن ذلك منه في حق اهل الشر والضلال ولو كان الامر كما زعمت المعتزلة من ان رعاية الاصلح واجبة عليه تعالى وهو منحة الالطاف لامتنع ما ولم يكن من الله تعالى عناية خاصة بالرسل وقادة الخير بل كان ذلك منه لكل كافر وفاسق لما كان لقوله في حق احد الفريقين جعلناهم ائمة يدعون الى النار وفي حق الآخر جعلناهم ائمة يدعون الى الهدى والصراط المستقيم وجه فدل ذلك على انه كان منه في احد الفريقين ما صاروا به ائمة الخير وفي حق الآخر ما صاروا به ائمة الشر غاية ما في الباب انه جعل كل فريق اماما يقتدى به فيما هو عليه من الطاعة

والعصيان فكانوا ائمة بحسب اعمالهم فظن بذلك ان ما كان من الله تعالى اليهم فهو على السوآء فيما بينهم وما كان بينهم من التفاضل ليس الا بحسب تفاوت اعمالهم لا بان الله تعالى جعل بعضهم ائمة الخير وبعضهم ائمة الشر وليس كذلك لان ما صدر عنهم من الخير والشر وان كان سببا لجعلهم ائمة فيما هم عليه من الخير والشر الا انه تعالى له صنع فى ذلك السبب فان فعلهم لا يتحقق بلا اقدار الله تعالى اياهم عليه باعطاء الآلة والقدر والاختيار ونحو ذلك فمتى اضيف الجعل اليه تعالى نظر الى كونه تعالى موجدا لحقيقة الفعل والاسباب جميعا ولو اضيف الى فعل العباد نظر الى مجرد قيام الفعل بهم وكسبهم اياه من غير ان يكون لهم مدخل فى اسباب وجوده فكان اضافته اليه تعالى وقد وجد منه حقيقة الفعل والاسباب اولى من اضافته اليهم ولم يوجد منهم الا الفعل دون الاسباب والقدر ﴿ قوله وقيل بالتسمية ﴾ اى قالت المعتزلة الجعل محمول على التسمية كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وكما فى قولهم جعله بخيلا وفاسقا بمعنى سماه بخيلا فمعنى الآية وسميناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم كذلك وهو معطوف على قوله بالحمل وكذا او بمنع الالطاف وهى الامور المقربة الى الله تعالى بمعنى الاتيان بالطاعة والاجتناب عن المعاصى فانه تعالى يمنعها عمن علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذى لا تغنى عنه الآيات والنذر والقول بانه تعالى خذلهم ومنع عنهم الالطاف لا ينافى مذهبهم من ان رعاية الاصلح واجبة عليه تعالى لانهم يقولون انما خذلوا ومنع عنهم الالطاف من جهة انفسهم وهو تصميمهم على الكفر ﴿ قوله من المطرودين ﴾ على انه من القبح بمعنى الابعاد والطرد يقال قبحه الله تعالى اى نحاه عن الخير ﴿ قوله انوارا لقلوبهم ﴾ يعنى ان بصائر جمع بصيرة وهى نور القلب الذى يبصر به الرشد والسعادة كما ان البصر نور العين الذى تبصر به المحسوسات وبصائر حال من الكتاب اى آتيناه الكتاب انوارا للقلوب اى مشبها بانوار القلوب من حيث ان القلوب لو كانت خالية عن انوار التوراة وعلومها لكانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل فاوقع بصائر حالا من الكتاب ليؤذن بشدة احتياج القوم الى ما تستضئ به قلوبهم العمياء ﴿ قوله ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر ﴾ يعنى ان لعل للترجى الا انه لما كان مستحيلا منه تعالى صرف الى من يعرف حال الكتاب ويتمكن بسببه من ادراك الحق وقبوله ومنهم من شبه الارادة بالترجى من حيث ان كل واحد منهما متعلق بامر كائن فاستعار الترجى للارادة اصالة ثم لعل تبعا ففسر قوله تعالى لعلهم يتذكرون بقوله ارادة ان يتذكروا قال القاضى عبد الجبار وذلك يدل على ارادة التذكر من كل مكلف سوآء اختار ذلك ام لم يختره ففيه ابطال مذهب الجبرية الذين يقولون ما اراد التذكر الا ممن يتذكر فاما من لا يتذكر فقد كره ذلك منه ونص القرآن دافع لهذا القول وهذه الدلالة مبنية على كون الترجى مستعارا للارادة وهو غير مسلم واشار المصنف بقوله وفيه ما عرفت الى انه تعالى لو اراد من كل مكلف ان يتذكر بما فيه من المواعظ والبصائر لوجب ان لا يموت احد على الكفر والضلال لئلا يلزم تخلف المراد عن ارادة الله تعالى ﴿ قوله يريد الوادى ﴾ يعنى ان الغربى صفة موصوف محذوف وهو الوادى او الطور والتقدير وما كنت بجانب الوادى الغربى من مقام موسى او بجانب الطور الغربى منه والوجه فى ارتكاب الحذف ان الغربى لو جعل صفة للجانب وكان اصل الكلام وما كنت بالجانب الغربى لزم ان يكون اضافة الجانب الى الغربى من اضافة الموصوف الى صفته وهى ليست بجائزة عند البصريين لكونها فى قوة اضافة الشئ الى نفسه فان الصفة هى الموصوف فى المعنى فانك اذا قلت جاءنى زيد الظريف فلفظ الظريف يدل على شئ متعين فى نفسه حصلت له الظرافة الا انه مجهول من حيث كونه مدلول هذا اللفظ فاذا اضفت زيدا الى الظريف لزم اضافة زيد الى زيد فلذلك ذهب البصريون الى امتناع اضافة الموصوف الى صفته وتأولوا فى قوله تعالى بجانب الغربى وقوله وذلك دين القيمة وقوله حق اليقين وقوله ولدار الآخرة الى تقدير موصوف وقالوا تقديرها جانب المكان الغربى ودين الملة القيمة وحق الشئ اليقين ودار الساعة الآخرة ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه والكوفيون جوزوا اضافة الموصوف الى صفته مطلقا والمصنف بنى قوله او الجانب الغربى منه على مذهبهم حيث جعل الغربى صفة الجانب ولم يقدر موصوفا آخر ﴿ قوله الموحى اليه او على الموحى اليه ﴾ الاول على ان يكون الشاهد من الشهود بمعنى الحضور والثانى على ان يكون من الشهادة والمعنى ما كنت حاضرا فى المكان الذى اوحينا فيه الى موسى عليه الصلاة والسلام ولا كنت من جملة الشاهدين الموحى اليه او على الموحى اليه حتى يكون وقوفك على ما جرى من امر موسى عليه الصلاة والسلام فى ميقاته واخبارك به من جهة المشاهدة • فان قيل لما قال وما كنت بجانب الغربى ثبت انه

وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه (يدعون الى النار) الى موجباتها من الكفر والمعاصى (ويوم القيامة لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم (واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة) طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون (ويوم القيامة هم من المقبوحين) من المطرودين او ممن قبح وجوههم (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (من بعد ما اهلكنا القرون الاولى) اقوام نوح وهود وصالح ولوط (بصائر للناس) انوارا لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل (وهدى) الى الشرائع التى هى سبل الله تعالى (ورحمة) لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله (لعلهم يتذكرون) ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت (وما كنت بجانب الغربى) يريد الوادى او الطور فانه كان فى شق الغرب من مقام موسى او الجانب الغربى منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى ما كنت حاضرا (اذ قضينا الى موسى الامر) اذ اوحينا اليه الامر الذى اردنا تعريفه (وما كنت من الشاهدين) للوحى اليه او على الموحى اليه

لم يكن شاهدا لان الشاهد لابدّ وان يكون حاضرا فا الفائدة فى اعادة قوله وما كنت من الشاهدين * فالجواب يظهر بما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شهدت ما وقع فيه مما جرى على موسى فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهد ولا يرى ما كان فيه ﴿ قوله المختارون لميقات ﴾ الميقات هو الوقت المحدود المضروب للفعل ثم استعير منه للمكان كما فى قولهم مواقيت الحج وكما فى هذا الموضع لان المراد المكان الذى عينه الله تعالى لمناجاة موسى عليه الصلاة والسلام ربه وتكليمه فيه وقوله تعالى تتلو عليهم يجوز ان يكون حالا من الضمير فى ثاويا وان يكون خبرا ثانيا اى لم تشاهد ما تقدمك من الاحوال فتخبر بها اهل مكة عن مشاهدة ولكنا ارسلناك اليهم رسولا نقص آثارهم وتظهر سننهم واعلامهم وانزلنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها ولما اخبرت بها والمقصود اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم بالمعجزة الدالة على صدقه فى دعوى النبوة فكأنه قال ان فى اخبارك عن هذه الاشياء من غير حضور ولا مشاهدة ولا تعلم من اهله دلالة ظاهرة على نبوتك لانه تعالى لا يطلع على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ﴿ قوله لعل المراد به ﴾ يعنى انه تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام قال لرسوله صلى الله عليه وسلم وما كنت بجانب الغربى ثم قال وما كنت ثاويا فى اهل مدين ثم قال وما كنت بجانب الطور للدلالة على انه عليه الصلاة والسلام لم يكن حاضرا فى هذه المواضع التى جرى فيها على موسى ما جرى من الاحوال العظيمة ثم اخبر بتلك الاحوال على ما جرت ووقعت من غير ان يشاهدها ويتعلمها من احد ثبت به انه رسول بعثه الله تعالى وعرفه هذه الاحوال رحمة من ربه وتفضلا منه عليه فوجب ان تكون المواضع المذكورة وما جرى فيها من الاحوال امورا متغايرة اختار المصنف فى وجه مغايرتها ان يكون المراد بالاول حيث استنبأه فى اثناء رجوعه من مدين الى مصر وبالثانى ما تقدم عليه من اقامته فى مدين مع شعيب وبالثالث وقت اعطائه التوراة بناحية الطور اذ جاء لميقات ربه مع السبعين فكلمه ربه واعطاه الالواح وناداه ربه بقوله ياموسى خذ الكتاب بقوة واشار اولا بقوله او على الموحى اليه الى جواز ان يكون المراد بالاول حيث انزل عليه التوراة فيكون المراد بالثالث حيث استنبأه فى ليلة المناجاة والله اعلم ﴿ قوله متعلق بالفعل المحذوف ﴾ اى ولكن علمناك او ارسلناك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وهم العرب على رجاء تذكرهم واتعاظهم فان دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام ان كانت مختصة ببنى اسرآئيل تكون العرب واقعة فى فترة بين رسول الله عليه الصلاة والسلام وبين اسمعيل عليه الصلاة والسلام وان تناولتهم ايضا يكونون فى فترة بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام فقوله ما اتاهم من نذير فى موضع نصب على انه صفة لقوما وما فيه نافية ﴿ قوله لولا الاولى امتناعية ﴾ لولا الامتناعية هى التى تدل على امتناع القضية الثانية لوجود القضية الاولى والقضية الثانية هى جوابها وهو محذوف ههنا وهو ما ارسلناك اليهم وهى ههنا دلت على امتناع عدم الارسال لوجود قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم على تقدير عدم الارسال ربنا هلا ارسلت الينا رسولا الخ وقوله ان تصيبهم فى موضع رفع بالابتدآء وقوله فيقولوا عطف على ما فى حيزان اى لولا اصابتهم مصيبة بسبب ما قدمته ايديهم من الشرك والمعاصى فقولهم ربنا لولا ارسلت الخ ما ارسلناك يعنى ان الحامل على ارسال الرسل ازاحة عللهم بهذا القول ولما كان اكثر الاعمال مزاولا بالايدى جعل كل عمل معبرا عنه بانه كسب اليد وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع فى الكلام وجعل الاقل تابعا للاكثر وعطف المعاصى على الكفر فى قوله بسبب كفرهم ومعاصيهم اشارة الى ان الكفار كما يعذبون بترك الايمان يعذبون بارتكاب ما يعلم حرمته بالدلائل العقلية من الكبائر والصغائر والفاء فى قوله فيقولوا عاطفة وفى قوله فنتبع فاء جواب لولا التحضيضية فانها مما تجاب بالفاء لكونها فى حكم الامر من حيث ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والفاء تدخل فى جواب الامر فكذا فى جواب ما هو فى حكمه ﴿ قوله مفعول يقولوا ﴾ خبر بعد خبر لقوله والثانية ﴿ قوله وانه لا يصدر عنهم الخ ﴾ اى التنبيه على ان ذلك القول لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة اليه والمقصود الجواب عما يقال ما الفائدة فى هذا التطويل اما يكفى ان يقال لولا ان يقولوا هذا العذر لما ارسلناك * وتقرير الجواب انه ارتكب هذا التطويل للدلالة على انهم لو لم يعاقبوا وقد عرفوا بطلان دينهم لما قالوا ذلك القول بل انما يقولونه اذا لامسهم العقاب فيدل ذلك على انهم لم يذكروا هذا العذر تأسفا على كفرهم بل لانهم ما اطاقوا العذاب وفيه تنبيه على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم

وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على أن اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التى لا تعرف الا بالوحى ولذلك استدرك عنه بقوله (ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر) اى ولكنا اوحيناه اليك لانا انشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرآئع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه (وما كنت ثاويا) مقيما (فى اهل مدين) شعيب والمؤمنين به (تتلو عليهم) تقرأ عليهم تعلما منهم (آياتنا) التى فيها قصتهم (ولكنا كنا مرسلين) اياك ومخبرين لك بها (وما كنت بجانب الطور اذ نادينا) لعل المراد به وقت اعطائه التوراة وبالاول حين استنبأه لانهما المذكوران فى القصة (ولكن رحمة من ربك) ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة (لتنذر قوما) متعلق بالفعل المحذوف (ما اتاهم من نذير من قبلك) لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببنى اسرآئيل وما حواليهم (لعلهم يتذكرون) يتعظون (ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا) لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة فى سياقها لانها مما اجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اى انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم (فنتبع آياتك) يعنى الرسول المصدق بنوع من المعجزات

(وتكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق) يعنى الرسول المصدق بنوع من المعجزات (من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى) من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا (أولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل) يعنى ابناء جنسهم فى الرأى والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد (قالوا ساحران) يعنون موسى وهرون او موسى ومحمدا (تظاهرا) تعاونا باظهار تلك الخوارق او بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف او جعلهما سحرين مبالغة او اسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام (وقالوا انا بكل كافرون) اى بكل منهما او بكل الانبياء (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما) مما نزل على موسى وعلى واضمار هما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (أتبعه ان كنتم صادقين) انا ساحران مختلقان وهذا من الشروط التى يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم (فان لم يستجيبوا لك) دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول لعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعى فاذا عدى اليه حذف الدعاء غالبا كقوله

وداع دعا يا من يجيب الى الندى *
فلم يستجبه عند ذاك مجيب *

(فاعلم انما يتبعون اهواءهم) اذلو اتبعوا حجة لأتوا بها (ومن أضل ممن اتبع هواه) استفهام بمعنى النفى (بغير هدى من الله) فى موضع الحال للتأكيد او التقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) الذين ظلموا انفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى (ولقد وصلنا لهم القول) اتبعنا بعضه بعضا فى الانزال ليتصل التذكير او فى النظم لتتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر (لعلهم يتذكرون) فيؤمنون ويطيعون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون) نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب وقيل فى اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير فى من قبله للقرآن كالمستكن فى (واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به) اى بانه كلام الله تعالى (انه الحق من ربنا) استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم به (انا كنا من قبله مسلمين) استئناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما رأوا ذكره فى الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن او تلاوته عليهم باعتقادهم صحته فى الجملة (اولئك يؤتون اجرهم مرتين) مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن (بما صبروا) بصبرهم وثباتهم على الايمانين او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم (ويدرأون بالحسنة السيئة) ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلاة والسلام أتبع الحسنة السيئة تمحها (ومما رزقناهم ينفقون) فى سبيل الخير (واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) تكرما (وقالوا) للاغين (لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم) متاركة لهم وتوديعا او دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه (لا نبتغى الجاهلين) لا نطلب صحبتهم ولا نريدها

﴿قوله يعنى ابناء جنسهم﴾ يعنى ان الكلام مسوق لتوبيخ اهل مكة بانهم اقترحوا من الآيات ما ظهر به عنادهم فقالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى فكأنه تعالى قال لو عذبناهم قبل الارسال لقالوا هلا ارسلت الينا رسولا وقد ارسلنا الى اهل مكة فقالوا لولا اوتى مثل الخ فقبل البعثة تعللوا بشبهة وبعد البعثة باخرى فليس شأنهم الا الدفع والعناد ثم قيل فى حقهم لبيان ان اقتراحهم هذا ليس لطلب اليقين بل لمجرد التعنت والعناد اذ لو كان لطلب اليقين لما كفروا بما اوتى موسى عليه الصلاة والسلام وقوله اولم يكفروا بما اوتى موسى قبل الظاهر ان يكون ضمير يكفروا راجعا الى كفار مكة الا انهم لما لم يكفروا بما اوتى موسى حيث لم يكونوا موجودين فى عصره بل الذين كفروا هم الذين كانوا فى زمانه جعل ضمير لم يكفروا راجعا الى ابناء جنسهم وجعلهم مع كفار مكة بمنزلة جماعة واحدة من حيث اشتراكهم فى التعنت واللجاج فلما كفر هؤلاء بما شاهدوه من آيات موسى عليه الصلاة والسلام فكفار مكة اولى بالكفر به لانهم مثل اولئك فى العناد بل هم اعتى واطغى او هو توبيخ للعرب بالذات بناء على ما روى عن الحسن انه قال قد كان للعرب اصل فى ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم وقالوا فى موسى وهرون ساحران تظاهرا ﴿قوله بتقدير مضاف﴾ اى هما ذوا سحرين وعلى هذا كان ينبغى ان يفرد سحر لكنه ثنى تنبيها على التنويع ﴿قوله او اسناد تظاهرهما الى فعلهما﴾ اى الى ما فعلوه واظهروه من الكتابين وعلى الاولين يكون التظاهر مسندا الى نفس النبيين لان الضمير فى قولهم هما ساحران راجع اليهما وعلى هذا يكون الضمير راجعا الى كتابيهما فيكون التظاهر مسندا الى الكتابين دلالة على سبب اعجاز القرآن ﴿قوله تعالى وقالوا انا بكل كافرون﴾ معطوف على قوله قالوا ساحران ولما اقترح المشركون تعنتا وعنادا بقولهم لولا اوتى مثل ما اوتى موسى واجاب الله تعالى عن اقتراحهم بقوله اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل اى من قبل محمد عليه الصلاة والسلام او من قبل هذا القول بين كيفية كفرهم بما اوتى موسى من وجهين الاول قولهم ساحران تظاهرا والثانى قولهم انا بكل كافرون ثم انه تعالى لما اجاب عن اقتراحهم ببيان انهم متعنتون فيه امر رسوله عليه الصلاة والسلام بان يتحداهم بما يتحقق عجزهم عنه ليكون ذلك حجة على صدقه فى دعوى الرسالة فقال قل فأتوا بكتاب من عند الله الآية وقوله أتبعه مجزوم على انه جواب الامر وهو فأتوا وقرئ أتبعه بالرفع استئنافا اى فانا اتبعه ﴿قوله وهذا من الشروط التى يراد بها الالزام والتبكيت﴾ لان مثل هذا الشرط انما يذكره من يثق بأمره ويعتمد على صحته كقول العامل لمن اخر جعله ان كنت عملت لك فوفنى حقى فمثل اقطع العمل ﴿قوله فحذف المفعول﴾ فان استجاب بمعنى اجاب وهو يقتضى الدعاء البتة ويتعدى اليه فان قيل فاين الدعاء من قبله عليه الصلاة والسلام قلنا هو امره اياهم بقوله فأتوا بكتاب من عند الله فان الامر بعث على الفعل ودعاء اليه ﴿قوله ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء﴾ فيقال استجاب دعاءه وباللام الى الداعى فيقال استجاب له فاذا عدى الى الداعى كما فى الآية حذف الدعاء غالبا فلا يقال استجاب له دعاءه الا نادرا فحذف الدعاء فى الآية ايضا اتباعا للعرف الغالب والاول كما فى البيت

وداع دعا يا من يجيب الى الندى * فلم يستجبه عند ذاك مجيب *
فقلت ادع اخرى وارفع الصوت جهرة * لعل ابى المغوار منك قريب *

اى رب داع دعا هل من مجيب الى الندى اى هل احد يمنح المستمنحين فلم يجبه احد واورد البيت استشهادا على تعديته الى الدعاء بنفسه بناء على ان تقديره فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف فمعنى الآية فان لم يستجيبوا لك فيما تدعوهم اليه ولم يأتوا بمثل التوراة والانجيل والقرآن فاعلم انما يتبعون اهواءهم وان ما ارتكبوه من الكفر لا حجة لهم فيه ثم ذمهم على ايثارهم الهوى على الهدى بقوله ومن اضل الآية وهذا من اعظم الدلائل على فساد التقليد وانه لابد من الحجة والاستدلال ﴿قوله اتبعنا بعضه بعضا﴾ يعنى ان التوصيل بمعنى الوصل ضد القطع واصله من وصل الحبل والمراد بهذا التوصيل اما التعاقب فى النزول واما التناوب والتعاضد ولعل بناء التفعيل للدلالة على كثرة الوصل وتكرره باى معنى كان ولا وجه لكونه للتعدية لان الوصل ايضا متعد ﴿قوله تعالى الذين آتيناهم﴾ مبتدأ وهم مبتدأ ثان ويؤمنون خبره والجملة خبر الاول وبه متعلق بيؤمنون قدم على عامله لكونه عناية متعلقة ببيان ايمانهم به ولا يمكن جعله للاختصاص لانهم لو خصوا ايمانهم بهذا الكتاب فقد لزم كفرهم بما عداه وهو عكس المراد ﴿قوله باعتقادهم صحته فى الجملة﴾ اى ولكونهم على دين الاسلام باعتقادهم

(انك لاتهدى من احببت) لاتقدر ان تدخله فى الاسلام (ولكنّ الله يهدى من يشاء) فيدخله فى الاسلام (وهو اعلم بالمهتدين) بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت فى ابى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياعم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك لصادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا) نخرج منها نزلت فى الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف اتى النبى عليه الصلاة والسلام فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فردّ الله عليهم بقوله (اولم نمكن لهم حرما آمنا) اولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن بحرمة البيت الذى فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه (يجبى اليه) يحمل اليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب فى رواية بالتاء (ثمرات كل شئ) من كل اوب (رزقا من لدنا) فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرّضهم للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد (ولكنّ اكثرهم لايعلمون) جهلة لايتفطنون له ولايتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ماهم عليه بقوله (وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها) اى وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم فى الامن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم (فتلك مساكنهم) خاوية (لم تسكن من بعدهم) من السكنى اذ لايسكنها الا المارّة يوما او بعض يوم او لايبقى من يسكنها (الا قليلا) من شؤم معاصيهم (وكنا نحن الوارثين) منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرّف تصرّفهم فى ديارهم وسائر متصرّفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم او باضمار زمان مضاف اليه او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت (وما كان ربك) وما كانت عادته (مهلك القرى حتى يبعث فى امها) فى اصلها التى هى اعمالها لان اهلها يكونون افطن وأنبل (رسولا يتلو عليهم آياتنا) لالزام الحجة وقطع المعذرة (وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون) بتكذيب الرسل والعتوّ فى الكفر

صحته وان لم يتدينوا به قبل ذلك ﴿قوله نزلت فى ابى طالب﴾ روى انه قال عند موته يامعشر بنى عبد مناف اطيعوا محمدا وصدّقوه تفلحوا وترشدوا فقال صلى الله عليه وسلم ياعمّ تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فاتريد يا ابن اخى قال اريد منك كلمة واحدة لانك فى آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك صادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ذلك لأقررت عينك بها ولكنى على ملة اشياخى عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقصيّ فقام عليه الصلاة والسلام من عنده باكيا لما كان حريصا على اسلامه لكفله اياه فى صباه وذبه عنه فى كبره حتى قال ابو طالب لقريش حين هموا بقتله

كذبتم وبيت الله لانقتلونه ﴿﴾ ولما نطاعن حوله ونقاتل

ونسلمه حتى نصرّع حوله ﴿﴾ ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وهذه الآية حجة لنا على المعتزلة فى قولهم ان الهدى هو البيان وقد هدى الناس جميعا ولكن لم يهتد البعض منهم بسوء اختيارهم فهذه الآية دلت على ان وراء البيان ماسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة التى هى داعية اكتساب الخير والاجتناب عن الشر اذ يفعل مايشاء بحكمته لايسأل عما يفعل ﴿قوله اولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن﴾ اشارة الى مامرّ من أن اصل التمكين ان يجعل لشئ مكان يتمكن فيه ولما تضمن معنى الجعل عدّى بنفسه الى قوله حرما وان قوله آمنا فاعل بمعنى النسب اى ذا أمن يكون كل من دخله آمنا ومن قرأ يجبى بياء التأنيث اعتبر لفظ ثمرات ومن قرأ بالياء نزّل الفاصل منزلة التاء واعتبر كون التأنيث غير حقيقى والجملة صفة ثانية لحرما والظاهر ان الرزق اسم بمعنى المرزوق فيكون فى موضع الحال من ثمرات لتخصصها بالاضافة كتنصيب الحال من النكرة المخصصة بالصفة ويجوز أن يكون مفعولا له بمعنى سوقها اليه رزقا وان يكون مصدرا من غير لفظ الفعل لان يجبى اليه بمعنى رزق ٭ فان قلت فحينئذ يكون التقدير رزق الحرم ولامعنى له ٭ قلنا يجوز ان يسند الرزق الى الحرم مجازا والاصل رزق اهله ﴿قوله جهلة لايتفطنون له﴾ اى لقدر ربوبية الله تعالى وعظمته حيث آمنهم ورزقهم بحرمة الحرم حال شركهم فكيف لايعصمهم من الخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة الحرم التوحيد فيكون الاستدراك متعلقا بمضمون قوله اولم نمكن لهم حرما آمنا لابقوله من لدنا كما ذهب اليه صاحب الكشاف ﴿قوله ثم بين ان الامر بالعكس﴾ اى بعدما ردّ الله تعالى عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا بين لهم ان الامر بالعكس اى بعكس مايظنون من ان الايمان يستلزم الخوف من زوال نعمة الدنيا فان الاصرار على عدم قبول الايمان هو الذى يزيل هذه النعمة لا الاقدام على الايمان ﴿قوله وخفض العيش﴾ الخفض الدعة والرفاهية وكم فى محل النصب بقوله اهلكنا ومعيشتها منصوب بنزع الخافض اى فى معيشتها والبطر الطغيان فى النعمة وان لايحفظ حق الله تعالى فيها بصرفها فيما امر به ﴿قوله تعالى فتلك﴾ مبتدأ ومساكنهم خبره ولم تسكن جملة حالية والعامل فيها معنى تلك ويجوز ان تكون خبرا ثانيا والاقليلا اى الاسكنى قليلا او الازمانا قليلا ﴿قوله وانتصاب معيشتها بنزع الخافض﴾ كقوله زيد ظنى مقيم اى فى ظنى بجعل كل واحد من المعيشة والظن ظرفا مبنى على الاتساع وليسا بظرفين حقيقة لانهما مصدران والمصدر لايكون ظرفا الحدث الا انه جعلت المعيشة كأنها زمان البطر والظنّ زمان الاقامة او زمان الاخبار عن اقامة زيد او زمان الحكم به عليه او زمان اسناد القيام الى زيد وهذا معنى قول شرف الدين الطيبى والعامل فى ظنى الامر المنتزع من معنى الجملة كالاخبار والاسناد والحكم وقد تقرّر ان ظروف الزمان كلها تقبل النصب بتقدير فى على اعتبار نزع الخافض بخلاف ظرف المكان فانه لايقبله الا اذا كان مبهما او محمولا على المبهم فان التسمح بجعل المعيشة مكان البطر احتيج الى اعتبار نزع الخافض وان جعلت زمان البطر تكون ظرفا بنفسها او باضمار زمان مضاف اليها كقولك آتيك خفوق النجم ومقدم الحاج اى بطرت ايام معيشتها ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ﴿قوله او مفعولا﴾ اى او بجعلها مفعولا لبطرت على تضمينه معنى كفرت او جهلت اى كفرت نعمتها او جهلت شكر معيشتها ثم حذف المضاف ﴿قوله التى هى اعمالها﴾ اى توابعها وسوادها وضمير هى يرجع الى القرى ﴿قوله لان اهلها﴾ اى اهل ام القرى يكون افطن وانبل اى اكثر فطنة ونبالة وهى الفضل والشرف يقال نبل فلان فهو نبيل اى شرف فهو شريف فان الرسل انما بعثت غالبا الى الاشراف وهم غالبا يسكنون المدن والمواضع التى هى ام ماحولها فلذلك خصت ام القرى

(يتبع)

(وما اوتيتم من شئ) من اسباب الدنيا (فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية (وما عند الله) وهو ثوابه (خير) فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة (وابقى) لانه ابدى (أفلا تعقلون) فتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو ابلغ فى الموعظة (أفمن وعدناه وعدا حسنا) وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود (فهو لاقيه) مدركه لامحالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) الذى هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) للحساب او العذاب وثم للتراخى فى الزمان او الرتبة وقرأ نافع وقالون فى رواية والكسائى ثم هو بسكون الواو تشبيها المنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتى قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء (ويوم يناديهم) عطف على يوم القيامة او منصوب باذكر (فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون) اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما (قال الذين حق عليهم القول) بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد (ربنا هؤلاء الذين اغوينا) اى هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول (أغويناهم كما غوينا) اى اغويناهم فغووا غيا مثل ماغوينا وهو استئناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الاوسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فأفاده زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم (تبرأنا اليك) منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا (ما كانوا ايانا يعبدون) اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل مامصدرية متصلة بتبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم) من فرط الحيرة (فلم يستجيبوا لهم) لعجزهم عن الاجابة والنصرة (ورأوا العذاب) لازما بهم (لو انهم كانوا يهتدون) لوجه من الحيل

بعثة الرسل فيها ووجه اتصال قوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا بما قبله انه تعالى لما قال وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها توجه ان يقال لم لم يهلك الله تعالى الكفار قبل بعثة الرسل عليهم السلام مع انهم كانوا مستغرقين فى الكفر والبطر وان يقال ولم لم يهلكهم بعد بعثته عليه الصلاة والسلام مع استغراقهم فى الكفر بالله تعالى وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم ومعاداته فاجاب الله تعالى عن الاول بقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا الزاما للحجة وقطعا للمعذرة وعن الثانى بقوله وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون اى انفسهم بالشرك واهل مكة ليسوا كذلك فان بعضهم قد آمن وبعضهم علم الله تعالى منهم انهم سيؤمنون وآخرون علم الله تعالى انهم وان لم يؤمنوا لكن يخرج من نسلهم من يكون مؤمنا * اعلم ان الله تعالى رد اولا على الذين قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا ثم بين ان الامر بالعكس ثم شرع فى ازاحة شبهتهم وجه آخر فقال وما اوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا لان حاصل شبهتهم ان قالوا تركنا الدين لئلا تفوت منا الدنيا فبين الله تعالى ان ذلك خطأ عظيم لان ما عند الله خير وابقى ﴿قوله وهو ابلغ فى الموعظة﴾ لان الالتفات من الخطاب الى الغيبة يدل على ان حقهم ان يولى عنهم وان لا يتوجه اليهم بالخطاب كانهم مسلكون فى سلك الجمادين خارجون من حد العقل بالكلية فيكون ابلغ فى الزجر والموعظة ثم انه تعالى لما رجح ثواب الآخرة على منافع الدنيا اكد هذا الترجيح بقوله أفمن وعدناه على ايمانه وعدا حسنا هو الجنة وثوابها فهو لاقيه اى مصيبه ومدركه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين والفاء فى قوله أفمن وعدناه للتعقيب والتقدير بعد هذا التفاوت العظيم بين منافع الدنيا والآخرة والمقصود انهم لما قالوا تركنا الدين لدنيا قال الله تعالى لهم لو لم تحصل عقيب دنيا كم مضرة العقاب لكان العقل يقتضى ترجيح منافع الدنيا على منافع الآخرة كيف وهذه الدنيا يحصل بعدها العقاب الدائم ثم انه تعالى بين انه يسأل الكفار يوم القيامة عن ثلاثة اشياء اولها قوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائى وثانيها قوله تعالى وقيل ادعوا شركاءكم وثالثها قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين فان الكفار يعرفون يوم القيامة بطلان ما كانوا عليه وصحة التوحيد والنبوة بالضرورة فيقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ اين شركائى فظاهر انهم يعتذرون حينئذ بان الشياطين او الرؤساء دعونا الى عبادتها وحملونا على الغواية فحكى الله تعالى ما تقوله الشياطين او الرؤساء فى جوابهم فقال قال الذين حق عليهم القول الآية فانهم اختلفوا فى ان الذين حق عليهم القول من هم فقال بعضهم هم رؤساء الدين الداعى الى الضلالة وقال آخرون هم الشياطين ﴿قوله اى هؤلاء هم الذين اغويناهم﴾ يريد ان هؤلاء مبتدأ وقوله الذين اغوينا صفة الخبر المحذوف واغويناهم مستأنف واغوينا صلة الذى حذف فيها العائد الى الموصول واعربه صاحب الكشاف بان جعل هؤلاء مبتدأ والذين اغوينا صفته بحذف العائد وجعل اغويناهم خبرا وجعل كما غوينا نعتا لمصدر محذوف يعامل ذلك المصدر مطاوع لذلك الفعل اى فغووا غيا كما غوينا ولم يرض به المصنف لانه ليس فى الخبر زيادة فائدة على ما فى صفته * فان قلت قد وصف الخبر بقوله كما غوينا وفيه زيادة ليست فى الصفة والموصوف * اجيب بان الزيادة فى الظرف لا تصيره اصلا فى الجملة لان الظروف فضلات قال ابو البقاء ولا يمتنع ان يكون هؤلاء مبتدأ والذين صفته واغويناهم الخبر لانه يفيد فائدة زائدة على ما يستفاد من الصفة من اجل ما اتصل به وان كان فضلة لان الفضلات فى بعض المواضع تلزم كقولك زيد عمرو فى داره فان فى داره وان كان فضلة لكنه لابد منه ليعود من الجملة ضمير الى المبتدأ فصار بذلك كاحد شطرى الجملة ﴿قوله اى اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا﴾ حاصله انه لافرق بين غينا وغيهم فى ان كل واحد منهما بالاختيار اما غينا فلانه ما كان لنا قاسر على ذلك ولا داع اليه بل هو وسوسة لنا واما غيهم فلانه ما كان لهم قاسر ألجأهم عليه بل غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لاقسرا والجاء فلا فرق بين غينا وغيهم فى ان كل واحد منهما وقع بالاختيار ﴿قوله اى ما كانوا يعبدوننا﴾ اشارة الى ان ايانا مفعول يعبدون قدم لاجل الفاصلة وعلى تقدير ان تكون ما مصدرية فلابد من تقدير حرف من اى تبرأنا مما كانوا اى من عبادتهم ايانا كما اشار اليه المصنف ﴿قوله فدعوهم من فرط الحيرة﴾ اى لا بناء على اعتقادهم ان الاصنام يشفعون لعابديهم ويخلصونهم مما اصابهم من العذاب لان المشركين يعرفون بالضرورة يوم القيامة ان الحكم لله الواحد القهار وانه لا يشفع احد الا باذنه * قال الامام فالاقرب ان هذا على سبيل التقريع والتقريض لانهم يعلمون انه لا فائدة فى دعائهم لهم فالمراد انهم لو دعوهم لم يوجد منهم اجابة فى النصرة وان

يدعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمني اى تمنوا انهم كانوا مهتدين (ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين) عطف على الاول فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء (فعميت عليهم الانباء يومئذ) فصارت الانباء كالعمى عليهم لاتهتدى اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ماتحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ماأجابوا به الرسل او مايعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنكم بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء (فهم لايتساءلون) لايسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله (فاما من تاب) من الشرك (وآمن وعمل صالحا) وجمع بين الايمان والعمل الصالح (فعسى ان يكون من المفلحين) عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح (وربك يخلق مايشاء ويختار) لاموجب عليه ولامانع له (ماكان لهم الخيرة) اى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لااختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ماروى انه نزل في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح (سبحان الله) تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار (وتعالى عما يشركون) عن اشراكهم او مشاركة مايشركونه به (وربك يعلم ماتكن صدورهم) كعداوة رسول الله وحقده (وما يعلنون) كالطعن فيه (وهو الله) المستحق للعبادة (لا اله الا هو) لااحد يستحقها الا هو (له الحمد في الاولى والآخرة) لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده (وله الحكم) القضاء النافذ في كل شئ (واليه ترجعون) بالنشور (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص (الى يوم القيامة) باسكان الشمس تحت الارض (سرمدا) او تحريكها حول الافق الغائر (من اله غير الله يأتيكم بضياء) كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين (أفلا تسمعون) سماع تدبر واستبصار

﴿ قوله يدعون به العذاب ﴾ صفة لقوله لوجه من الحيل ولو كان العذاب ثابتا وكل ذلك على وجه التوبيخ ﴿ جواب لو لقيل لدفعوا به العذاب بلفظ الماضي كما قال لما رأوا العذاب والمقصود ان جواب لو محذوف وهو قوله لما رأوا العذاب وتقدير الكلام لو كانوا يهتدون الى الحق في الدنيا لما رأوا العذاب في الآخرة اولو كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب لدفعوه به لما رأوه وعلى تقدير ان تكون لو للتمني يكون المعنى ورأوا العذاب متمنين الاهتداء في الدنيا ﴿ قوله فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ﴾ توبيخا لهم على عبادة غير الله تعالى بناء على توقع الاجابة والنصرة منهم ثم على تكذيبهم الانبياء تبكيتا لهم بالاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل وذكر بينهما مايقوله الشياطين او الرؤساء بناء على انهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة كانوا يعتذرون بانهم استغوونا وصدونا عن الهدى وزينوا لنا عبادتها فحكى الله تعالى جواب الشياطين او الرؤساء لهم بقولهم أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل انتم غويتم باختياركم ثم عقبه بذكر مايشبه الشماتة بهم من استغاثتهم بالهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم فهذا وجه ارتباط الكلام من قوله تعالى ويوم يناديهم اين شركائى الى قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ﴿ قوله فصارت الانباء كالعمى عليهم ﴾ اشارة الى ان الانباء استعارة بالكناية بان شبهت في النفس بذوى الارادة المتوجهين الى شئ وجعل اثبات العمى لها دليلا عليه والعمى عمى العين يقال عمى يعمى عمى اذا اختل عينه وقولهم عمى عليه الخبر اى خفى مجاز من عمى البصر فالاصل ان يسند العمى من الانباء الى الكفار لكنه عكس مبالغة فان الاصل يوهم ان تحقق الجواب في نفسه وانهم لم يطلعوا عليه لخلل من قبلهم بخلاف العكس ﴿ قوله يتتعتعون في الجواب من مثل ذلك ﴾ اى السؤال وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب والتعتعة في الكلام التردد فيه من حصر اوعى ﴿ قوله فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى ﴾ لدخول اختيارهم في عموم قوله تعالى يخلق مايشاء فان قوله مايشاء يتناول الاعيان والاعراض وقد اتفق المسلمون على انه تعالى شاء جميع مافعله العباد من جميع الخيرات والطاعات التى من جملتها اختيار الطاعة فلما كان جميع ذلك مماشاءه الله تعالى لزم ان يوجد بخلق الله تعالى اذا خبر انه يخلق مايشاء فالآية حجة لنا على المعتزلة في مسائل خلق افعال العباد لانه اذا كانت الخيرة بمشيئة الله تعالى وجب كونها من مخلوقات الله تعالى بحكم هذه الآية ﴿ قوله وقيل المراد ﴾ اى قيل ليس المراد نفي الاختيار عنهم رأسا بل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه شيأ من الامور بل الخيرة لله تعالى في جميع افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة في جميع مافعله فيكون قوله ماكان لهم الخيرة بيانا لقوله ويختار فلذلك لم يعطف عليه ولما قال المشركون لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم واختاروا للرسالة الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف رد الله تعالى عليهم انه يختار من يشاء النبوة ورسالته اى فكما ان الخلق له فالاختيار لنبوته اليه فليس لهم ان يختاروا على الله تعالى شيأ من افعاله ﴿ قوله وقيل ماموصولة ﴾ فعلى هذا يوقف على قوله وربك يخلق مايشاء ويبتدأ بقوله ويختار ماكان لهم الخيرة بخلاف مااذا كانت كلمة ماحرف نفي فانه حينئذ يوقف على قوله وربك يخلق مايشاء ويختار ويبتدأ من قوله ماكان لهم الخيرة ﴿ قوله عن اشراكهم او مشاركة مايشركونه به ﴾ على الاول ما مصدرية وعلى الثانى موصولة بتقدير المضاف ﴿ قوله ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده ﴾ لابناء على الامر بالتكليف ومايدل على ان الحمد في الآخرة على وجه اللذة لاعلى وجه الكلفة ماروى عن جابر رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اهل الجنة يأكلون ويشربون ولايتفلون ولايبولون ولايتغوطون ولايمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس والالهام ان يلقى الله تعالى في النفس امرا يبعثه على الفعل او الترك وهو نوع من الوحى فان قوله عليه الصلاة والسلام يلهمون يدل على انهم لايكلفون بما تم انه تعالى لمابين انه المحمود في الاولى والآخرة لكونه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها فصل عقيب ذلك بعض مايجب ان يحمد عليه مما لايقدر عليه سواه فقال قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الآية ونبه به ايضا على هدم قاعدة الشرك ببيان انتفاء لازم الالوهية عما سواه وهو القدرة على كل شئ فيكون تقريرا لقوله لا اله الا هو ﴿ قوله كميم دلامص ﴾ وهو البراق يقال دلصت الدرع تدلص من باب نصر اى صارت لينة براقة ويقال درع دلاص وادرع دلاص فالواحد والجمع على لفظ واحد والميم زائدة في دلامص وكذا في

سرمدا قوله فحملا لبه الله تعالى بهذه الآية على ان الليل والنهار نعمتان متعاقبتان على الزمان ووجه ذلك ان المرأ في الدنيا مضطر الى ان يتعب لتحصيل ما يحتاج اليه ولا يتم ذلك الا براحة وسكون بالليل ولابد منهما في الدنيا واما في الجنة فلا نصب فيها ولا تعب فلا حاجة لاهلها الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء واللذات فبين بذلك ان القادر على ذلك ليس الا الله تعالى فقوله تعالى قل أرأيتم اى اخبروني يا اهل مكة وسرمدا مفعول ثان لجعل ان كان بمعنى صير وحال ان كان بمعنى خلق وانشأ والظاهر ان يقال هل اله لان المقام مقام انكار اله يقدر على ذلك غير الله تعالى لا مقام تعيين اله يقدر عليه غيره الا انه ذكر من بناء على زعمهم تعدد الآلهة فقيل في الرد عليهم ان الالوهية تقتضي القدرة على كل شئ فاى شئ مما تزعمون انه اله من دون الله يقدر على ما ذكرنا ﴿قوله ولعله لم يصف الضياء﴾ يعني انه تعالى وصف الليل بقوله تسكنون فيه فكان المناسب ان يصف الضياء بما يقابل ما وصف به الليل ويقول من يأتي بضياء تتصرفون فيه ان جعل الله الليل سرمدا الا انه عدل عنه ولم يصف الضياء اصلا للايذان بان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولو قيل بضياء تتصرفون فيه لفهم انه انما يقصد لما يتوصل اليه ولا يقصد لنفسه لانه لو وصف الضياء بما يقابل ما وصف به الليل لفهم أن منفعته منحصرة فيما وصف به وليست منحصرة فيه بل له منافع كثيرة فاطلق الايذان بذلك والاحتراز عن توهم الانحصار ﴿قوله ولذلك﴾ اى ولاجل كون منافع الضوء اكثر من منافع ما يقابله قرن بالضياء ما يكون منفعته اكثر من منفعة ما يقارن الليل وهو البصر وانما قلنا ان منافع السمع اكثر من منافع البصر لان العقل لا يستفيد من البصر الا صور المبصرات بخلاف السمع فان العقل يدرك بواسطة السمع جميع انواع المسموعات بل المعقولات الصرفة اذا عبر عنها بالعبارة الدالة عليها ﴿قوله ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك﴾ اى في خلق الليل والنهار بحيث يتعاقبان على وجه معين بين الله تعالى بهذه الآية ان الحكمة في خلقهما هكذا ثلاثة اشياء اثنان منها يترتبان على خلقهما بطريق اللف والنشر والثالث يترتب على خلقهما جميعا فليس فيه اعتبار اللف ﴿قوله والثاني لبيان انه﴾ اى القول بالشركاء لم يكن عن سند بل بمحض تقليد وهوى فان قوله ونزعنا فقلنا معطوفان على قوله ينادیهم فيقول اوثر فيهما لفظ الماضي لكونهما في حكم الواقع لتحقق وقوعهما وجعل المقام مقام ذكر الغيبة وجعل ضل مستعارا بمعنى غاب بتشبيه ما غاب بالشئ الضائع الهالك من حيث تحقق اليأس من حضوره والانتفاع به واطلاق اسم الضال عليه على طريق اطلاق اسم الاسد على الشجاع ﴿قوله شهيدا وهو نبيهم﴾ سمى النبي شهيدا لانه شهد ما عملوا وحضر ما كان منهم من التصديق والتكذيب والرد والقبول ﴿قوله يصهر بن قاهث﴾ عطف بيان لعمه فان يصهر ابا قارون وعمران ابا موسى كانا اخوين ابني قاهث وكان كل واحد من موسى وقارون ابنا لعم الآخر لان قارون كان ابن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وموسى عليه الصلاة والسلام كان ابن عمران بن قاهث بن لاوى وقيل معنى كونه من قوم موسى عليه الصلاة والسلام انه كان مؤمنا وكان اقرأ بني اسرائيل للتوراة فنافق كما نافق السامري وروى أن قارون كان من السبعين المختارين الذين سمعوا كلام الله عز وجل * والبغي تجاوز الحد في الظلم وذكر المصنف في طريق بغيه اربعة اوجه الاول انه طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده ولا يبعد ان كثرة المال سبب البغي والتكبر والثاني انه تكبر وتجبر وسخط عليهم والثالث ان فرعون ملكه على بني اسرائيل فظلمهم والرابع انه حسدهم لما روى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما قطع البحر واغرق الله فرعون وجعل الحبورة لهرون فحصلت له النبوة والحبورة فكان له القربان والذبح وكان لموسى الرسالة فغضب قارون من ذلك في نفسه فقال يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شئ لا اصبر انا على هذا فقال موسى والله ما صنعت ذلك لهرون بل جعل الله له ذلك فقال لا اصدقك ابدا حتى تأتيني بآية اخرى اعرف بها ان الله تعالى جعل ذلك لهرون فأمر موسى عليه الصلاة والسلام رؤساء بني اسرائيل ان يجيئ كل واحد منهم بعصا فجاؤا بها فالقاها موسى في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكان يعبد الله فيها وكان ذلك بامر الله تعالى ودعا موسى ربه ان يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فاصبحوا واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجرة اللوز فقال موسى يا قارون اما ترى ما صنع الله تعالى لهرون فقال والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر فاعتزل قارون باتباعه وكان كثير المال والتبع من بني اسرائيل فما كان يأتي موسى ولا يجالسه ﴿قوله من الاموال المدخرة﴾ الكنوز في الاصل عبارة عن الاموال المدفونة تحت الارض فشبهت الاموال المدخرة بها فاطلق عليها اسم الكنوز

(قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة) باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق (من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) استراحة من متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل حيث قال تسكنون فيه ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به أفلا تسمعون وبالليل (أفلا تبصرون) لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) في الليل (ولتبتغوا من فضله) في النهار بانواع المكاسب (ولعلكم تشكرون) ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها (ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون) تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شئ اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول لتقرير فساد آرائهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى (ونزعنا) واخرجنا (من كل امة شهيدا) وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه (فقلنا) للامم (هاتوا برهانكم) على صحة ما كنتم تدينون به (فعلموا) حينئذ (ان الحق لله) في الالهية لا يشاركه فيها احد (وضل عنهم) وغاب عنهم غيبة الضائع (ما كانوا يفترون) من الباطل (ان قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن آمن به (فبغى عليهم) فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روى انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شئ الى متى اصبر (وآتيناه من الكنوز) من الاموال المدخرة (ما ان مفاتحه) مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به

وقيل خزائنه وقياس واحدها القنح (لتنوء بالعصبة اولى القوة) خبران والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي اتى وناء به الحمل اذا اثقله

حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه (اذ قال له قومه) منصوب بتنوء (لا تفرح) لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح كما قال ‹ اشد الغم عندي في سرور ‹ تيقن عنه صاحبه انتقالا › ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال (ان الله لا يحب الفرحين) اي بزخارف الدنيا (وابتغ فيما آتاك الله) من الغنى (الدار الآخرة) بصرفه فيما يوجبها فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها (ولا تنس) ولا تترك ترك المنسي (نصيبك من الدنيا) وهو ان تحصل بها آخرتك او تأخذ منها ما يكفيك (واحسن) الى عباد الله (كما احسن الله اليك) فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام (ولا تبغ الفساد في الارض) بامر يكون علة للظلم والبغي (ان الله لا يحب المفسدين) لسوء افعالهم (قال انما اوتيته على علم عندي) فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم في موضع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي اي في ظني واعتقادي (أولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا) تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه في التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ او رد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم عنه اي أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كأنه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا محالة (فخرج على قومه في زينته) كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) على ما هو عادة الناس من الرغبة (وقيل)

﴿قوله وقيل خزائنه﴾ عطف على قوله مفاتح صناديقه اي وقيل مفاتحه خزائنه كما في قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب اي خزائنه وقياس واحده مفتح بفتح الميم لانه ليس اسم آلة بل هو اسم لمكان الفتح وكلمة ما في قوله ما ان مفاتحه موصولة بمعنى الذي وان مع اسمها وخبرها وما يتعلق به صلة الذي ولهذا كسرت ان والموصول مع صلته في محل النصب على انه مفعول ثان لآتينا والباء في قوله لتنوء بالعصبة للتعدية كالهمزة في قولك أناءه الحمل اي اثقله والمعنى ان المفاتح لتثقل العصبة الاقوياء فكما يعدى ذهب تارة بالباء والاخرى بالهمزة فكذا ناء بمعنى ثقل يعدى بالهمزة فيقال اناءه الحمل ويعدى ايضا بالباء فيقال ناء به اي اثقله ﴿قوله وقرئ لينوء بالياء﴾ اي من تحت بناء على ان يكون الضمير في مفاتحه لقارون وان يكون المفاتح بمعنى الخزائن فاكتسب المضاف من المضاف اليه التذكير كما يكتسب منه التأنيث في قولهم ذهبت اهل اليمامة ﴿قوله وهو ان تحصل بها آخرتك﴾ فان نصيب المرء من الدنيا ان يتوسل بها الى سعادة الآخرة بان يطلب الاجر بها ويقدمها لذلك واما ما خلفه فهو نصيب غيره وجوز ان يكون المراد بنصيبه من الدنيا ان يتمتع بها في الوجوه المباحة ﴿قوله بامر يكون علة للظلم والبغي﴾ يعني ان المراد بالفساد في الارض الظلم والبغي ويكون ابتغاؤه بمباشرة ما يؤدي اليه كحب المال والجاه والركون الى الدنيا وايثار الحظوظ الفانية على اللذات الباقية فان من ابتلي بمثل هذه الرذائل لا يتحاشى عن الظلم والبغي كما قيل حب الدنيا رأس كل خطيئة وكل من عصى الله تعالى فقد طلب الفساد في الارض من حيث ان شؤم المعصية ينقص بركة الارض وقيل في تفسير قوله تعالى ولا تبغ الفساد في الارض اي لا تجعل نعمة الله تعالى عليك ذريعة الى عصيانه وعونا على مخالفة امره ونهيه وقيل الفساد في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وهو معنى ما وجد في بعض النسخ نهي له عما كان عليه من الظلم والبغي وقيل هذا الواعظ هو موسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو مؤمن قومه كائنا من كان فقد جمع في وعظه ما لو قبل لم يكن عليه مزيد لكان حقا لكنه ابى ان يقبل بل زاد عليه كفر النعمة فقال انما اوتيته على علم اي انما اعطيت هذا المال كائنا على علم وفضل علمه الله تعالى عندي فرأى اهلا لذلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بسائر الفضائل نظر الى نفسه ورأى ان ما حصل له من هذه النعم انما حصل له لفضله واستحقاقه ولم ينظر الى منة الله تعالى عليه في ذلك فافتخر بها واداها لنفسه فهلك وكذا كل من زين في عينه افعاله واقواله واحواله واعجب بها ولم يعرف حق من انعم بها فانه يهلك بشؤم صنعه كما خسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا فقوله على علم حال من مرفوع اوتيته قيد به العامل للاشارة الى علة الاتيان وبيان وجه استحقاقه وقال سعيد بن المسيب والضحاك كان موسى عليه الصلاة والسلام يعلم الكيمياء انزل الله تعالى علمها عليه من السماء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان ذلك سبب كثرة امواله لانه كان يأخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس فيجعله ذهبا وقال عطاء انه اصاب كنزا من كنوز يوسف عليه الصلاة والسلام قيل كلمة ما في قوله انما اوتيته ليست بكافة بل هي بمعنى الذي اي ان الذي اوتيته على علم وعندي صفة لعلم ﴿قوله تعالى واكثر جمعا﴾ معناه اكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا وحاصل الجواب ان اغتراره بماله وقوته وجه من الخطأ العظيم فانه تعالى اذا اراد اهلاكه لم ينفعه ذلك ولا ما زيد عليه اضعافا كثيرة ﴿قوله او رد لادعائه العلم﴾ عطف على قوله تعجب وتوبيخ الاول على ان يكون قوله اولم يعلم اثباتا من الله تعالى لعلمه بان الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى على ان يكون الاستفهام في أولم يعلم للانكار لان انكار النفي نفي النفي ونفي النفي اثبات والثاني على ان يكون نفيا لعلمه بذلك بناء على ان يكون الاستفهام للتقريع ﴿قوله سؤال استعلام﴾ اي لا يسألون ليعلم ذلك من قبلهم لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة به الى ان يسأل عن كيفية ذنوبهم وكميتها ولا ينافيه ان يسألوا سؤال توبيخ وتقريع كما دل عليه قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ويحتمل ان يكون المراد بالسؤال المنفي سؤال المعاتبة ويكون المعنى انهم يدخلون النار بغير حساب ويعذبون فيها بذنوبهم بدون ان يناقشوا ويعاتبوا عليها وقوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ينبغي ان يحمل على وقت آخر حينئذ ﴿قوله كأنه لما هدد قارون الخ﴾ اشارة الى وجه اتصال قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله ﴿قوله على بغلة شهباء﴾ وهي التي يغلب ما فيها من البياض على سوادها والارجوان قطيفة حمراء وقيل كل ما يكون لونه احمر بناء على ان الارجوان معرب ارغوان وهو شجرة له نور احمر وكل ما يشبهه فهو ارجوان ﴿قوله على زيه﴾ وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وفي المغرب الديباج الثوب الذي سداه ولحمته ابريسم

(ياليت لنا مثل ما اوتى قارون) تمنوا مثله لا عينه حذرا من الحسد (انه لذو حظ عظيم) من الدنيا (وقال الذين اوتوا العلم) باحوال الآخرة للمتمنين (ويلكم) دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى (ثواب الله) في الآخرة (خير لمن آمن وعمل صالحا) مما اوتى قارون بل من الدنيا وما فيها (ولا يلقاها) الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما في معنى السيرة والطريقة (الا الصابرون) على الطاعات وعن المعاصي (فخسفنا به وبداره الارض) روى انه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه من كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بنى اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان ارميك بنفسى فخر موسى شاكيا منه الى ربه فأوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فأخذته الى ركبته ثم قال خذيه فأخذته الى وسطه ثم قال خذيه فأخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه في هذه الاحوال فلم يرحمه فأوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتى وجلالى لو دعانى مرة لأجبته ثم قال بنو اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله (فما كان له من فئة) اعوان مشتقة من فأوت رأسه اذا ميلته (ينصرونه من دون الله) فيدفعون عنه عذابه (وما كان من المنتصرين) الممتنعين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع (واصبح الذين تمنوا مكانه) منزلته (بالامس) منذ زمان قريب (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضى البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكأن عند البصريين مركب من وى للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك وان تقديره ويك اعلم ان الله (لولا ان منّ الله علينا) فلم يعطنا ما تمنينا (لخسف بنا) لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف بنا لاجله (ويكأنه لا يفلح الكافرون) لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة (تلك الدار الآخرة) اشارة تعظيم كأنه قال تلك التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر (نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض) غلبة وقهرا (ولا فسادا) ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون

وقيل اسم للنفس ﴿قوله حذرا من الحسد﴾ وهو ان تمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه وهذا التمنى مذموم بخلاف الغبطة وهى ان تمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه وما فى الآية من هذا القبيل ﴿قوله تعالى فخسفنا به﴾ اى غيبناه فى الارض يقال خسف المكان يخسف خسوفا ذهب فى الارض وخسف الله به الارض اى غيبه فيها ﴿قوله فبرطل بغية﴾ اى اعطاها الرشوة ومنه المثل البراطيل تنصر الاباطيل وهو جمع برطيل وهو فى الاصل الحجر الطويل واريد به ههنا الرشوة كما قال القمه الحجر اذا اسكته بالحجة ﴿قوله مشتقة من فأوت رأسه﴾ فوزنها فعة والهاء عوض عن اللام الساقطة بالاعلال سميت الاعوان فئة لميلهم الى صاحبهم بالمعاونة والنصرة ﴿قوله منذ زمان قريب﴾ اى اول زمان قريب والامس فى الاصل اسم اليوم الذى قبل يومك واستعير ههنا للزمان القريب والمعنى وصار القوم الذين تمنوا منزلته وما رزق من المال والزينة بالوقت القريب الى زمان خسفه ثم مضى يقولون الخ فانه يعبر من الصيرورة باصبح وامسى واضحى ﴿قوله مركب من وى للتعجب﴾ فان القوم الذين شاهدوا قارون فى زينته لما شاهدوا ما نزل به من الخسف تنبهوا للخطاء فى تمنيهم مثل ما اوتى قارون حيث علموا ان بسط الرزق لا يكون لكرامة الرجل على الله تعالى ولا ضيقه لهوانه فتعجبوا من انفسهم كيف وقعوا فى مثل هذا الخطأ ثم ابتدأوا يقولون كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اى لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته اى يضيق على من يشاء بحكمته وقضائه ابتلاء وفتنة والمعنى ليس الامر كما زعمنا من ان البسط يدل على الكرامة والقبض على الهوان بل الاشبه ان كل واحد من القبض والبسط مقتضى المشيئة الالهية المستندة الى الحكمة وكذا الكلام فى قولهم ويكأنه لا يفلح الكافرون تعجبوا من تمنيهم مثل حال قارون ثم قالوا ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح والهاء فى كأنه ضمير الشأن ﴿قوله وقيل من ويك﴾ اى قال الكوفيون ويكأن مركب من ويك وأن واصل ويك ويلك الذى اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرضى وفتح ان لكونها مع ما فى حيزها فى موضع النصب بفعل محذوف وهو اعلم فعلى هذا يكون معنى الآية الزجر والردع عن الجهل بأن كل واحد من القبض والبسط ليس الا بمشيئة الله تعالى وحكمته والبعث على العلم بهذه القضية وهى ان الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وهكذا الكلام فى قوله ويكأنه لا يفلح الكافرون فان المقصود فيه ايضا الزجر عن الجهل والبعث على العلم بان الكافرين لا يفلحون ﴿قوله لخسف بنا﴾ قرأ حفص لخسف بفتح الخاء والسين اى لخسف الله تعالى بنا وأدخلنا فى الارض والباقون بضم الخاء وكسر السين على بناء المفعول فقوله بنا هو القائم مقام الفاعل ﴿قوله اشارة تعظيم﴾ معنى التعظيم مستفاد من الاشارة بلفظ البعيد تنزيلا لبعد درجة المشار اليه ورفعة محله منزلة بعد المسافة كما فى قوله تعالى الم ذلك الكتاب فان الاصل فى اسماء الاشارة ان يشار بها الى مشاهد محسوس قريب او بعيد الا انه قد يشار بها الى محسوس غير مشاهد والى ما يستحيل احساسه ومشاهدته بناء على تصييره كالمشاهد المحسوس وتنزيل الاشارة العقلية منزلة الحسية وما نحن فيه من هذا القبيل ﴿قوله كما اراد فرعون وقارون﴾ يعنى ان المراد من عدم ارادة العلو عدم ارادته كارادة فرعون حيث استكبر عن الايمان واستعلى على ما فى الارض من خلق الله تعالى ولا سيما على نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة ومن عدم ارادة الفساد ان لا يريده كارادة قارون لقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض ولقول ناصح قارون ولا تبغ الفساد فى الارض وليس كل من يصدق عليه انه اراد علوا وفسادا فى الجملة محروما من سعادة دار الآخرة للنصوص الدالة على ان كل مؤمن من اهل الجنة ومن جملتها قوله عليه الصلاة والسلام من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق ثلاثا وقال فى الثالثة على رغم انف ابى ذر الا ان الآية فيها زجر بليغ عن الخصلتين حيث لم يعلق الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلب اليهما كما علق الوعيد بالركون الى الظلمة دون نفس الظلم فى قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وايضا فيها دلالة على ان ارادة ما ليس له من العلو والرفعة مما ينقص حظ المرء من سعادة الآخرة لما روى عن على رضى الله عنه انه قال ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحت الآية وعن الفضيل بن عياض انه قرأها ثم قال ذهبت الامانى ههنا يعنى ان الآية تدل على وجوب ترك التمنى وارادة ما ليس له من العلو والرفعة كما تدل على وجوب ترك ارادة الفساد وكرر كلمة لا فى قوله ولا فسادا ليفيد ان كل واحدة من الخصلتين على حدتها تمنع سعادة الآخرة وان لم تجامع الاخرى ثم انه تعالى لما بين ان الدار الآخرة ليست الا لمن اتقى عذاب الله بأداء فرائضه واجتناب

(والعاقبة) المحمودة (للمتقين) مالا يرضاه الله (من جاء بالحسنة فله خير منها) ذاتا وقدرا ووصفا (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات) وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم (الا ما كانوا يعملون) اى الا مثل ما كانوا يعملون لحذف المثل واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة فى المماثلة (ان الذى فرض عليك القرآن) اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه (لرادك الى معاد) اى معاد وهو المقام المحمود الذى وعدك ان يبعثك فيه او مكة التى اعتدت بها على انه من العادة وردّه اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى فى الدارين روى انه لما بلغ جحفة فى مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت (قل ربى اعلم من جاء بالهدى) وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم (ومن هو فى ضلال مبين) وما استحقه من العذاب والاذلال يعنى به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله (وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب) اى سيردك الى معادك كما ألقى اليك الكتاب وما كنت ترجوه (الا رحمة من ربك) ولكن ألقاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كأنه قال وما ألقى اليك الكتاب الا رحمة اى لاجل الترحم (فلا تكوننّ ظهيرا للكافرين) بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم (ولا يصدّنّك عن آيات الله) عن قراءتها والعمل بها (بعد اذ انزلت اليك) وقرئ يصدّنّك من أصدّ (وادع الى ربك) الى عبادته وتوحيده (ولا تكوننّ من المشركين) بمساعدتهم (ولا تدع مع الله الها آخر) هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم (لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه) الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم (له الحكم) القضاء النافذ فى الخلق (واليه ترجعون) للجزاء بالحق ❊ عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدّق موسى وكذّب ولم يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا

معاصيه بين بعد ذلك ما يحصل لهم فقال من جاء بالحسنة فله خير منها اى ذاتا وقدرا ووصفا فان ثواب المعرفة النظرية الحاصلة فى الدنيا هى المعرفة الضرورية الحاصلة فى الآخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم جل جلاله ولاشك ان هذه خير من الاولى ذاتا وكذا خير منها قدرا لان الثواب دائم والعمل منقض وكذا وصفا لان العمل فعل العبد والثواب فعل الله تعالى وقيل فله خير حاصل من جهة ما يجاء به من الحسنة فلا يرد ما يقال الحسنة التى جاء العبد بها يدخل فيها معرفة الله تعالى والاخلاص فى العمل والثواب انما هو الاكل والشرب فكيف يجوز ان يقال الاكل والشرب خير من معرفة الله تعالى وقدم هذا البحث فى آخر سورة النمل ❰ **قوله** اى معاد ❱ اشارة الى ان تنوين معاد للتعظيم والمعنى ان الذى حملك على صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليه ثوابا لا يحيط به الوصف بان يردك الى معاد يخصك ولا يليق بغيرك من البشر وهو المقام المحمود الذى وعده الله تعالى ان يبعثه فيه بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا والظاهر ان المعاد ههنا بمعنى المصير والمنقلب لا بمعنى المتبادر منه وهو المكان الذى يكون المرء مدة فيه ثم يرجع اليه بعدان فارق عنه لانه عليه الصلاة والسلام لم يكن فى ذلك المقام مدة حتى يعود اليه ❰ **قوله** او مكة التى اعتدت بها ❱ اى صرت معتادا بها وكانت موضع اعتيادك على ان يكون المعاد اسم مكان من عاده بمعنى اعتاده وتعوّده اى صار عادة له يقال عوّدكلبه الصيد فتعوّده واعتاده فقال الامام الاقرب ان يراد بالمعاد مكة لان ظاهر المعاد انه كان فيه وفارقه وحصل العود اليه وذلك لا يليق الا بمكة والمصنف جوّز ان يكون المراد بالمعاد مكة الا انه جعل المعاد حينئذ من العود بمعنى الاعتياد لان مكة لم تكن مرجعا له حينئذ الا باعتبار ما يؤول اليه وكانت موضع اعتياده حقيقة ولا يصار الى المجاز الا اذا تعذرت الحقيقة ووجه تنكيره حينئذ ان مكة فى ذلك اليوم كانت معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه ❰ **قوله** لما بلغ جحفة ❱ وهو موضع بين مكة والمدينة وهو ميقات اهل الشام فالآية نزلت الآية هنالك لم تكن مكية ولا مدنية وكانت من جملة ما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن الغيب ووقع كما اخبر فتكون من جملة معجزاته ❰ **قوله** ومن منتصب بفعل يفسره اعلم ❱ لا بنفس اعلم لان اسم التفضيل لا يعمل فى منصوب لعدم كونه بمعنى الفعل لانه يدل على التفضيل والفعل لا يدل عليه فما وقع فى حيز معموله فانه معمول لمضمر يدل عليه اسم التفضيل لما وعد الله رسوله عليه الصلاة والسلام ان يرده الى المعاد قال له قل للمشركين ربى أعلم من جاء بالهدى الآية تقريرا للوعد السابق ❰ **قوله** محمولا على المعنى ❱ فان قوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب فى معنى ما يلقى اليك عبر عنه بقوله ما كنت ترجو للمبالغة فان نفى رجاء الالقاء ابلغ من نفى الالقاء فكانه قيل وما ألقى اليك الكتاب الا رحمة اى فى حال كونه رحمة او الا لاجل رحمة فيكون الاستثناء متصلا مفرغا ويكون المستثنى منه اعم الاحوال او اعم العلل ولا يجوز ان يكون الاستثناء باعتبار اللفظ لانه اذا قيل ما كنت ترجوه الا رحمة لزم ان يكون عليه الصلاة والسلام راجيا ان يلقى اليه الكتاب لاجل الرحمة وظاهر انه عليه الصلاة والسلام لم يكن راجيا له اصلا ثم انه تعالى لما اظهر المنة عليه بانزال القرآن عليه مع عدم رجائه اياه نهاه عن مظاهرة الكافرين وان يلتفت اليهم ويستمع اقوالهم فيصدّوه عن اتباع آيات الله يعنى القرآن قال الضحاك ذلك حين دعوه الى دين آبائه ليزوّجوه ويقاسموه شطرا من اموالهم اى لا تلتفت الى هؤلاء ولا تركن الى قولهم فيصدّوك الخ قرأ العامة يصدّنّك بفتح الياء وضم الصاد من صدّه يصدّه وقرئ بضم الياء وكسر الصاد من أصدّه بمعنى صدّه وهى لغة كلب قال شاعرهم ❊ اناس أصدّوا الناس بالسيف عنهم ❊ صدود السواقى عن انوف الحوائم ❊ والحوائم العطاش من حام اذا عطش ❰ **قوله** بمساعدتهم ❱ فان من ساعدهم بان رضى بطريقتهم او مال اليهم كان منهم ❰ **قوله** فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم ❱ فان الممكن لما استفاد الوجود من الخارج كان الوجود له كالثوب المستعار بالنسبة الى الفقير فكما لا يخرج الفقير باستعارة ذلك الثوب من الغنى عن كونه فقيرا فى حد ذاته فكذا الممكنات لا تخرج عن كونها هالكة بالرغم من الوجود فى حد انفسها فظهر بهذا ان كل ما سواه من الممكنات هالك فى الحال فجاز ان تكون الجنة والنار مخلوقتين الآن كما يدل عليه قوله تعالى فى صفة الجنة اعدت للمتقين وفى صفة النار اعدت للكافرين كما قال الله تعالى اكلها دائم وظلها مع كونهما هالكتين بهذا المعنى ❊ تم بعون الله ما يتعلق بسورة القصص وقد تم طبع هذا الجزء لاربعة عشر ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وثلثمائة بعد الالف من هجرة من له السعادة والشرف

❰ طبع فى المطبعة النفيسة العثمانية لازالت شرفها الى يوم القيامة ❱
١٣٠٦


Princeton University Library
32101 069586301